



كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

عاشوراء عند الإمامية الاثني عشرية، وآثارها

عرض ونقد

بحث مقدم لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراة) في العقيدة

إعداد الطالب

عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح الرشيد

الرقم الجامعي(٤٢٨٧٠١٣٠)

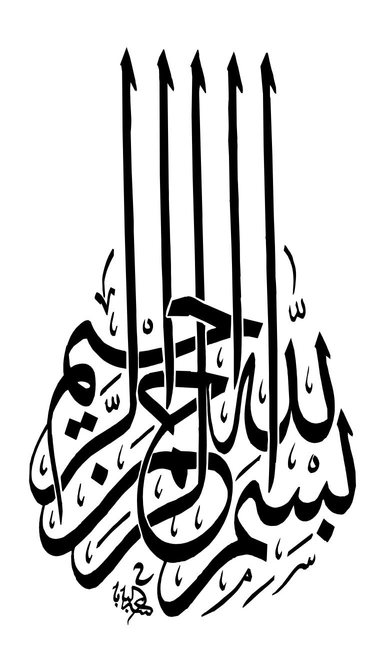
إشراف الأستاذ الدكتور

عبد الله بن عمر الدميجي

الفصل الدراسي الثاني

١٤٣٣- ١٤٣٤هـ

المجلد الأول + (الثاني)



بسم الله الرحمن الرحيم

(ملخص الرسالة)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه، وبعد:

عنوان الرسالة: **عاشوراء عند الإمامية الاثني عشرية، وآثارها، عرض ونقد.**

جاءت في مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة وفهارس في ١٣٠٠ صفحة.

أهمية الموضوع الدراسة وأهدافها:

١. أكثر البحوث تتناول انحراف الإمامية في الجانب الاعتقادي، كالإمامة، والنص، والعصمة، وتحريف القرآن، بينما الحديث عن بدعهم العملية يأتي بشكل أقل، مع خطورة انحرافهم فيها، والتي هي تطبيق لعقيدة الولاية التكوينية والتشريعية للأئمة.

٢. بروز مصطلح (الشعائر الحسينية)، وفيه مادة مؤثرة تتضمن مفردات مهمة لم تتطرق لها البحوث الأكاديمية، كالحسينيات، والتربة الحسينية، وبيت الأحزان، والجزع، والثأر والثورة، وكتب المقاتل، والأدعية، ورصدها يشكل مدخلاً لدراسة مرحلة من مراحل التشيع وتقلباته وخطرها، من خلال عاشوراء الإمامية.

٣. كشف مدخل مهم للإمامية في الطعن على أهل السنة من خلال تكذيب أحاديث عاشوراء.

عناوين البحث:

التمهيد: في التعريف بالإمامية وأقسامها، وفيه مبحثان.

الباب الأول: مفهوم عاشوراء، وعلاقتها بالحسين والإمامة عند الإمامية.

الباب الثاني: شعائر عاشوراء الإمامية الاثني عشرية: نشأتها وتطورها، ومظاهرها.

الباب الثالث: عاشوراء الإمامية الاثني عشرية: أدلتها، وعلاقتها بالاتجاهات الباطنية.

الباب الرابع: آثار عاشوراء.

الخاتمة: وفيها عرض لأهم نتائج البحث وتوصياته، ومن أهمها:

١. أن عاشوراء تبقى علامة فارقة في جبين دعاوى الوحدة والتقارب، والتقية والغلو والمظلوميات.
٢. انطباع مذهب الإمامية بمذهب الخروج والخوارج، واستحقاقهم لأحكامهم وأوصافهم.
٣. أن مصطلح (الشعائر الحسينية) لم يكن شائعاً إلا قبيل منتصف القرن الرابع عشر الهجري.
٤. أن الحسينيات التي تبنى لخصوص عزاء عاشوراء لم تبرز إلا زمن الدولة القاجارية، وقبلها في بداية الدولة الصفوية ظهر تعظيم التربة الحسينية.
٥. الكشف عن أوجه وصور للعلاقة بين الإمامية والصوفية.
٦. أهمية دراسة أحاديث عاشوراء دراسة علمية حديثية شاملة.

الباحث/ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح الرشيد

Abstract

Title of the Study: Ashura at the Imamiyah Al-Ethna Ashar, its Impact. "Presentation& Criticism".

The study consists of an introduction, preface, four chapters, conclusion and indexes in 1300 pages.

Importance of the study and its aims:-

1- Most researches are dealing with the deviation of Imamiyah in their doctorial aspect such as Imamah, text and Misrepresentationthe Qur'an. On the other hand, researches about their academic heresy are rare although this is a significant theme.
2- The term of (Al-Husainiah rites) is prominent, and it has an influentialmaterial that has important vocabularies, which did not search by the scientificresearches such as Al-Husainiat, house of sadness, impatient, revaluation and revenge, books of fighter and supplication.
3- Revealing an importance entrance to the Imamiyah in deformation of the suna's people via mispresentation of Ashura' Hadith.

Headings of the Research:

- The Preface: It is about the definition of Imamiyah, its sections and it has two searches.
- The first chapter is about the concept of Ashura, and its relationship with Al-Husain and Imamah with Imamiyah.
- The second chapter is about rites of Ashoura Al-Imamiyah; its early years, development and its expressions.
- The third chapter is about Ashoura Al-Imamiyah: its evidences and its relationship with the interior trends.
- The fourth chapter is about the effects of Ashoura.

The conclusion: It has the most important results and recommendations:

1- Ashura is a millstone in the calls of unification and Convergence.
2- The impression of Imamiah doctrine with the doctrine of Al-Khawarig.
3- The term "Al-Shair Al-Husainiah" wasn't common Butby themid-fourteenth century AH.
4- Al-Husainiat did not show anything but the time of the Qajar state.
5- Revealing the relationship between Imamiah and Sufism.
6- The importance of Ashoura Hadith.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، المصطفى الأمين، وعلى آله وأزواجه وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن من الظواهر البارزة في واقع المجتمعات الإسلامية اليوم تنوع الاهتمام في أيام العام، حتى وصل ببعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام أن تخص نفسها من بين أهل القبلة بأيام ومواسم تخالف بها جماعة المسلمين، علماً أن تلك الفرق لم تسلم عموماً من المخالفة الظاهرة في أركان الإسلام المشهورة والمتفق عليها وفي أصول الاعتقاد والاستدلال، والملفت للانتباه أن بعض هذه المواسم قد تكون معبرة عن مجمل اعتقاد تلك الفرق؛ فجاءت العناية بأيام الأمم والطوائف ورصدها كمجال من مجالات دراسات الأديان والفرق التي تستحق العناية والرصد.

من بين تلك الفرق التي توسعت حولها الدراسات والبحوث الطائفة الاثنا عشرية، لتوسع وجودها وتراثها، وكونها استأثرت بتمثيل التشيع في الفترة المعاصرة، وقدمت حولها عدد من الدراسات النافعة، والتي تساهم في تصور هذه الطائفة والحكم عليها، والتحذير من خطرها، وجاء هذا البحث لينضم إلى تلك الدراسات، وأطمع أن يكون فوق استفادته من الدراسات السابقة متمماً لها، ومضيفاً لها لبنة مفيدة في مجال البحوث المتخصصة.

وبادئ ذي بدء فإني أحمد الله حمداً كثيراً على ما أنعم علي باختيار هذا البحث لدرجة الدكتوراه، الذي أتقدم به إلى قسم العقيدة بجامعة أم القرى، وهو بعنوان: **عاشوراء عند الإمامية الاثني عشرية، وآثارها، عرض ونقد**؛ وأحمده آخراً على أن وفقني لإتمامه، وأرجو الله أن يتممه بالتوفيق والسداد؛ وحديثي في الأسطر القادمة تعريف بأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وحدوده ومنهجه، والدراسات السابقة له، وخطة البحث ومراحله.

أهمية الموضوع:

أهمية الحديث عن عاشوراء ومظاهرها وواقعها وآثارها عند الإمامية الاثني عشرية يتضح من عدة جوانب، منها ما يلي:

١. أن أكثر البحوث عن الرافضة الإمامية –وغيرها من الفرق- تتناول انحرافهم في الجانب الاعتقادي القولي، كالإمامة، والنص، والعصمة، وتحريف القرآن، بينما الحديث عن بدعهم العملية يأتي بشكل أقل، مع خطورة انحرافهم فيها؛ حيث جمعوا فيها عدداً من أصول الضلالات والانحرافات، التي بعضها كاف في تصوير شناعة مذهبها، ومفارقتها لجماعة المسلمين؛ والبدع العملية تمثل اللغة السهلة التي يتداولها العامي، ويعبر من خلالها عن معتقداته؛ وهي تلامس بشكل أكبر العلاقة والموقف بين أهل السنة والجماعة والرافضة الإمامية، فمزاولتها أظهر في اعتقادها والدعوة إليها، بخلاف العقائد النظرية التي لا تظهر إلا بالبحث والتنقيب عنها، وغالباً ما تظهر من المتعلم والداعية منهم، أما البدع العملية فيظهرها ويدعو إليها حتى العامي الجاهل منهم.

٢. بروز مصطلح (الشعائر الحسينية) المقدسة عند الاثني عشرية في الفترة المعاصرة، وكونها مادة مؤثرة على بنية المذهب، وأن الصراع حولها وفي داخلها قائم، وأنها مؤثرة في الدعوة إلى المذهب، كما هو ظاهر من خلال الجهود الإعلامية الشيعية المتعددة؛ مما يعني أن رصد هذه الظاهرة يشكل مدخلاً لمرحلة من مراحل التشيع وتقلباته، والتي تجمع أصولاً كبيرة ومشهورة عند الرافضة الإمامية؛ والذي يمثلها التشيع الحسيني، الذي يعبر عنه في الصراع الثقافي الشيعي بالتشيع الصفوي مقابل التشيع العلوي.

٣. تضمن شعائر الإمامية في عاشوراء (الشعائر الحسينية) مفردات مهمة لم تتطرق لها البحوث الأكاديمية حول الإمامية الاثني عشرية، كالحسينيات، والتربة الحسينية، وبيت الأحزان، والجزع، والثأر والثورة، وكتب المقاتل، والأدعية.

٤. أن تجلية هذا الموضوع يتيح مجالاً لتسليط الضوء على مصادر عقائد شعائر هذه الطائفة، وكيف استوردتها إلى مذهبها، وكيف تطور المذهب في تقريره لهذه البدعة الكبرى، وهذا مما يبين

بجلاء موقفهم من عموم المسلمين الذين يخالفونهم في مصادر دينهم، وأصول استدلالهم.

٥. التأكيد على أولوية أهل السنة بمحبة آل البيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فهم أولى بهم من الرافضة الإمامية، فأهل السنة أهل العدل والحق في الأمور كلها، ومنها محبة آل بيت النبي ﷺ، وهذا مما يؤكد أهمية تجلية هذا الجانب للناس، وأهمية كشف زيف الرافضة الذين شوهوا سمعة آل البيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

٦. أن عاشوراء تبقى علامة فارقة في جبين دعاوى الوحدة والتقارب، حيث تقوم فكرته على نزع لباس التقية، والسعي في الثأر والثورة والظهور؛ فلغة الدم التي تغطي سماء عاشوراء وأجوائها كافية في إغفال الحديث عن هذا الجانب.

٧. عداوة اليهود من خلال الطعن في أحاديث عاشوراء أمر برز في الفترة الأخيرة، خاصة مع الدعاية السياسية لثورة ولاية الفقيه، إضافة إلى جهود الإمامية بخلع العلاقة القديمة بين أسلاف الإمامية واليهود، المتمثلة بعبدالله بن سبأ اليهودي؛ يقابل ذلك اجتهاد من الإمامية برمي أهل السنة بالتعلق باليهود والتشبه بهم، وعلى قول المثل: رمتني بدائها وانسلت.

أسباب اختيار الموضوع:

أسباب اختياري الحديث عن عاشوراء ومظاهرها وواقعها وآثارها عند الإمامية الاثني عشرية يتضح من عدة جوانب، منها ما يلي:

١. وجود مادة لهذا الموضوع تستحق العرض والنقد، وكثرة المؤلفات حول هذه البدع، وبالأخص الشعائر الحسينية، وهذا مما يستوجب على الباحثين وطلاب العلم الوقوف معها ودراستها، ليعرف مدى خطورتها وأبعادها في هدم الإسلام والسنة.

٢. قلة الكتابة في جانب البدع العملية عند الفرق، ومنها الرافضة، وعدم وجود دراسة مستقلة حوله؛ ولذا أحببت أن أشارك في تجلية هذا الجانب الذي سبق بيان أهميته.

٣. أن موسم عاشوراء من أكبر وأهم المنطلقات والمرتكزات لدعوة التشيع، التي يقوم بها وينشط إليها الرافضة المعاصرون، فجعلوا مفاهيم عاشوراء هي المنطلق الرئيس لدعوتهم،

وخاصة الجانب الثوري، بدعوى الامتثال والاستجابة لمفاهيم رسالة آل البيت التي يجب إحياؤها ـ كما زعموا ـ، والتي يتسترون بها تحت مشروعهم السياسي، ويصدرون من خلاله ثورتهم إلى البلدان المعارضة لمشروعهم، ويدغدغون من خلالها عواطف الشعوب الإسلامية، ولعل واقع الثورات العربية في الأعوام الثلاثة الأخيرة أظهر مدى استغلال الخطاب الشيعي لعواطف المسلمين، ويمثل هذا كسر مرشد الثورة الإيراني علي الخامنئي عن طوره اللغوي، وتوجيه خطبة جمعة باللغة العربية لأهل مصر.

٤. الرغبة في تتبع جوانب المذهب الاثني عشري، ومنها الجانب الفلسفي العرفاني الباطني، الذي له أثره في من خلال الحوزات العلمية، وله أثره على جانب الطقوس المذهبية، والذي لاح لي من خلال أحد البحوث التي تيسر لي القيام بها في السنة المنهجية للدكتوراه، من خلال مادة: نوازل عقدية، التي تبنى القسم مشكوراً تدريسها، ليشارك من خلال الدراسات المقدمة في برامجه، في طرح رؤية علمية حول مثل هذه الصراعات والحوادث العقدية التي تتجدد بين المسلمين، وكانت بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد بن سعد حمدان الغامدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ وكانت تلك الأطروحة مما شجعني على اختيار الموضوع لبحث الدكتوراه، إضافة إلى ما وجدته بعد الاستشارة من تأييد بعض المشايخ الفضلاء والأخوة الزملاء للكتابة حول هذا الموضوع.

أهداف الدراسة:

١. رصد مظاهر الشعائر الحسينية في عاشوراء عند الإمامية، ومراحل نشأتها وتطورها، وعلاقة ذلك بتطور المذهب واتجاهاته.

٢. رصد ما يمكن رصده من مظاهر عاشوراء وبدعها عند الإمامية في موسم عاشوراء.

٣. تجلية دور الحكومات الشيعية والمراجع العلمية في دعم وإحياء هذه الشعائر، وفي ترسيخ الانحراف العقدي المؤصل.

٤. إبراز جانب الفرقة والافتراق في مذهب الإمامية من خلال مدارسه: الإخبارية، والأصولية، ومظاهرها في عاشوراء وأمثالها.

٥. إيضاح آثار هذه الشعائر وخطورتها على المذهب، وعلى أفراده، وعلى علاقتهم بالمسلمين.

٦. بيان واقع الطقوس والبدع المذهبية بين الشريعة والطريقة.

٧. كشف مدخل مهم للإمامية في الطعن على أهل السنة وجمهور المسلمين من خلال تكذيب أحاديث عاشوراء، ثم رمي أهل السنة بذلك.

حدود البحث ومنهجه وعملي فيه :

يعتمد البحث على الجمع بين الجانب الوصفي والنقدي، إضافة إلى الجانب التاريخي والتحليلي، ويقوم على تتبع مادته من كتب الإمامية الاثني عشرية القديمة والحديثة، ومن المصادر التقنية الحديثة، الصوتية والمرئية والمكتوبة، إضافة إلى الحضور الميداني لأحداث موسم عاشوراء في بعض المواقع الشيعية، ومن الجوانب التي اعتنى بها البحث هو دراسة الموضوع في إطار دراسات الفرق والمقالات المنتسبة للإسلام، وحرصت فيه على معالجة عاشوراء باعتبارها ابتدأت من حدث جرى بعد الإسلام، ولا علاقة له بأصل عقدي سابق بذاته، فالنزاع حوله نزاع من الفرق الإسلامية، ولذا كان الاهتمام حول آثاره بين المسلمين أهم، لأن تلك الحادثة ي امتداد للفتنة الأولى التي حصلت زمن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومن الأمور التي يحسن التنبيه عليها قبل الدخول في البحث:

١. كثرة التعبير بمصطلح الإمامية عن الاثني عشرية، لكونه أصبح علماً عليها، وهذا يجري في عنوان البحث، مع أنه في ثنايا البحث أحاول أن أنبه إلى اشتراك غير الاثني عشرية معها في مصطلح الإمامية، ومفهومه ولوازمه.

٢. التزمت في (الاثني عشرية) إعراب شطرها الأول، وثم وجه آخر يلزمها الألف، باعتبارها علماً على طائفة وهما وجهان جائزان لغة.

٣. قدمت للبحث بتمهيد للتعريف بالإمامية الاثني عشرية، وأطلت فيه لما رأيت من أهمية ذلك بعد البحث ونتائجه، وارتباط موضوعي بتقلبات المذهب، مما دعاني إلى دراسة

موسعة حول المذهب، أطمع أن يكون فيها إضافة علمية، بإذن الله.

٤. عدم الترجمة للشخصيات التي ليس لها علاقة أساسية بموضوع البحث.

٥. تداخل بدع عاشوراء عند الإمامية وارتباطها بتقلبات المذهب وانقساماته وأسمائه استدعاني إلى إفراد حديث مستقل عن الإمامية في الباب الأول، كان الباعث عليه أول الأمر معرفة حال الإمامة قبل عاشوراء وبعدها، وعلاقتها بمراحل الغلو في المذهب.

٦. كثرة الإحالات بين فقرات البحث في الحواشي حرصاً على الربط بين أطرافه، وذلك بطبيعة مادة البحث، وصلاحيتها للتناول من أكثر من وجه.

٧. تخريج الأحاديث والأخبار الواردة في كتب السنة والإمامية؛ وارتباط البحث بأحاديث عاشوراء التي اشتملت على الأحاديث الضعيفة والموضوعة استدعاني إلى التوسع في تخريجها، وتتبع رواتها، لأهمية معرفة مذاهبهم، وعلاقتها بمروياتهم.

٨. اكتفيت في تخريج أخبار الإمامية بذكر مواضعها من كتبهم الروائية والمشهورة، ولطبيعة البحث فاحتجت للتعويل على ما في كتب المقاتل، لأهميتها وحضورها في عاشوراء، ولم أنشغل بالحكم على أخبارهم، وخاصة ما انفردوا به، لأن الإمامية تعتمد قواعد التساهل في مرويات الشريعة، وقد يسمونها (السنن)، ومن ذلك تساهلهم في باب الفضائل الذي تقوم على كثير منه أحاديث عاشوراء وزيارتها وأعمالها، بناء على قاعدة (من بلغ)، أي من بلغه أجر لعمل ما، فأداه على هذه النية فإنه يعطى الأجر.

٩. قد أترك ذكر بيانات بعض المصادر إلى الفهارس، لازدحامها في بعض الحواشي؛ لأن ذلك مما يثقل على الحواشي.

١٠. بسبب جدة بعض موضوعات البحث، وطراوة بعض الشعائر والخلاف حولها بين طوائف الإمامية؛ احتجت للتوسع في مادته من المجلات المعاصرة، والمواقع الإلكترونية، والشبكات المتخصصة بالرد على الشيعة، لوجود الجديد مما يهم البحث ويعنيه، كالحديث عن جماعة الحجتية في إيران مثلاً.

١١. لكثرة المصطلحات الخاصة بشعائر الإمامية ومظاهرها خصصت الفصل الثاني من الباب الثاني بطريقة عرض مختلفة، وعرفت بطريقته ومصطلحاته.

يمر البحث كعادة البحوث بعد إقرار خطته بجمع المصادر والمراجع، والذي احتجت معها للسفر خارج المملكة، وقصدت معارض الكتب الدولية، وبعض البلدان والدول التي تتوفر بها المكتبات ودور النشر الشيعية، فزرت مصر. ولبنان والكويت والبحرين، والجمعيات والمراكز المختصة، كما أن طبيعة البحث أحوجتني إلى حضور موسم عاشوراء، فحضرت في أكثر من بلد، وتجولت في أحيائها الشيعية، وكان أبرز هذه الجولات حضور موسم عاشوراء في الهند، وذلك بزيارة أبرز تجمعين للشيعة فيها، وهما حيدر أباد، ولكنو، إضافة إلى زيارة العاصمة دلهي، وسجلت فيها ما تيسر لي من مشاهدات؛ ومع أهمية الزيارة الميدانية فما وقفت عليه لا يخفى على جماهير الناس من خلال القنوات الفضائية والأفلام والمقاطع والصور المرئية، فضلاً عن تتبع مقيدات الرحالة والباحثين من قبل، الذين حضروا يوم عاشوراء زمن الدولة الصفوية وما بعدها.

تبع ذلك فرز وتحليل للمادة العلمية التي توفرت، ثم توثيق وفحص من خلال كتب المراجع الشيعية وفتاويها، وإنتاج مثقفيها في الكتب والمجلات والنشرات؛ إلى أن اكتملت أبواب البحث وفصوله وفقراته بحمد الله، وأتممتها بخدمات البحث المساندة من تراجم، وتخريج، وتعريف بالمشكل من اللغة والمواضع والمصطلحات والفرق والمذاهب والدول، ثم بفهارس البحث المتنوعة.

الدراسات السابقة:

من خلال تتبعي لفهارس البحوث الأكاديمية المطبوعة والإلكترونية لم أقف على دراسة خاصة حول موضوع عاشوراء عند الإمامية الاثني عشرية من منظور أهل السنة والجماعة، كما أنني عند تتبعي لبحوث الأقسام المختصة بالعقيدة والفرق والمذاهب والأديان لم أجد بحثاً سابقاً مختصاً بالبدع العملية ومواسمها لهذه الفرقة، وإنما ترد عرضاً في بعض البحوث

الشاملة؛ علماً أن ثمت دراسات متعددة تناولت عاشوراء من جوانب مختلفة عن حدود البحث، ومنهجه، أو أنها تشاركه في جوانب دون غيرها، لكنها تختلف في طبيعة البحث ومنطلقاته ومنهجه وموضوعاته؛ ومن هذه الدراسات ما يلي:

١. **الألم الفدائي في الإسلام، أو (عاشوراء الحسين) عند الاثني عشري**، وطبع باسم: الألم الخلاصي في الإسلام (دراسة في المظاهر الدينية لمراسم عاشوراء، عند الشيعة الإمامية)، للدكتور محمود أيوب، عضو تدريس في جامعة تامبل في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو في الأصل شيعي من جبل عامل بلبنان، وهي دراسة دكتوراه، قدمت في جامعة هارفرد الأمريكية عام ١٩٧٥م، وهذا مما يعني أنها كتبت باللغة الإنكيلزية، ولم أتمكن من الحصول عليها، وقد علمت حين تقديم البحث للطباعة أنها ترجمت للعربية، وعرضت للنشر مؤخراً، نشرها المركز الأكاديمي للأبحاث ببيروت، ولعل طبيعة الدراسة تدور ضمن موضوع الدراسات الإنسانية، والتي تصطلح الفلسفات الغربية بعلم الانثربولوجيا (علم الإنسان)[(١)].

٢. **تراجيديا كربلاء: سوسيولوجيا الخطاب الشيعي (دراسات حول كربلاء)**، د. إبراهيم الحيدري، أستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة ألمانيا، عراقي الأصل، وهي دراسة قدمت عام ١٩٧٥م، لنيل الدكتوراه من جامعة برلين، والدراسة قريبة من سابقتها في التخصص، وتضمنت معالجة لطقوس عاشوراء ورمزيتها عند الشيعة، والكتاب مطبوع متداول.

٣. **الإمام الشهيد في التاريخ والأيدلوجيا: شهيد الشيعة مقابل بطل السنة**، للدكتورة سلوى العمد، أردنية الجنسية، وهو بحث أكاديمي قدم عام ١٩٨٧م، لنيل درجة الماجستير

---

(١) الانثربولوجيا: مصطلح غربي، مكون من لفظين، هما (علم الإنسان)، وهو يدرس الأديان ويقارن بينها كظواهر اجتماعية وثقافية بشرية، من انتاج الإنسان وعاداته ولغاته وأجناسه، وإن كانوا يدرجونها ضمن مفهوم الإلهيات كأديان (الإنثربولوجيا الدينية)، انظر: المعجم الفلسفي، ص١٠١، مراد وهبة، ط٥، ٢٠٠٧م، دار قباء – القاهرة.

من الجامعة الأمريكية ببيروت، قسم الدراسات العربية، ودراسات الشرق الأدنى، تخصص: (الإنثربولوجيا الدينية)، ويقع في ٢٢٢ صفحة، وقد تمكنت من تصوير الكتاب بعد نفاده من المكتبات، وهو مقدم باللغة العربية، وحرصت الباحثة على مقارنة الطقوس الشيعية في عاشوراء وتراتيبها بالطقوس النصرانية، وذلك ضمن مفهوم الشهادة ورمزية الحسين للمجتمعات الشيعية.

٤ . **العلاقة بين الصوفية والإمامية: جذورها، واقعها، أثرها على الأمة**، للدكتور زياد بن عبدالله الحمام، وهي رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة الملك سعود بالرياض، ونشرت في ٦٢٤ صفحة، وهي أقرب دراسة لبحثي في بعض مواضعه من جهة وجود التأثر الشيعي بالتصوف، وطرقت موضوعات مهمة في العلاقة بين الجانبين؛ لكنها لم تتخصص في جانب الشعائر الإمامية، والتي أهمها عاشوراء.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة، وذلك كما يلي:

المقدمـــة: تحتوى على فكرة البحث، وأهميته، وأهدافه، وحدوده ومنهجه، وعناوينه، وخطة البحث ومراحله، والدراسات السابقة له.

التمهيد: في التعريف بالإمامية وأقسامها، وفيه مبحثان.

- المبحث الأول: تعريف الإمامية الاثني عشرية وأسماؤها؛ وفيه مطلبان.
- المبحث الثاني: أقسام الاثني عشرية؛ وفيه مطلبان.

الباب الأول: مفهوم عاشوراء، وعلاقته بالحسين والإمامة عند الإمامية الاثـني عشـرية؛ وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول: مفهوم عاشوراء بين العرب واليهود وبين الإمامية؛ يحتوي على مبحثين:

- المبحث الأول: مفهوم عاشوراء عند اليهود والعرب قبل الإسلام وبعده.

- المبحث الثاني: مفهوم عاشوراء الإمامية الاثني عشرية.

الفصل الثاني: الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومقتله، وموقف السلف منه؛ وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخروجه وحادثة مقتله.
- المبحث الثاني: موقف السلف من عاشوراء الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفصل الثالث: الإمامة وعاشوراء عند الإمامية الاثني عشرية؛ ويحتوي على مبحثين:

- المبحث الأول: مكانة الإمامة من الدين عند الإمامية، وفيه مطلبان.
- المبحث الثاني: عاشوراء وتسلسل الإمامة، وفيه ثلاثة مطالب.
- المبحث الثالث: عقائد الإمامة المتعلقة بعاشوراء، وفيه سبعة مطالب.

الباب الثاني: شعائر عاشوراء الإمامية الاثني عشرية: نشأتها وتطورها، ومظاهرها؛ ويحتوي على تمهيد وفصلين:

الفصل الأول: نشأة شعائر عاشوراء الإمامية وتطورها؛ يحتوي على أربعة مباحث، وكل مبحث فيه مطلبان، أتحدث فيهما عن المظاهر التي نشأت في هذا الطور، وعن ظروف نشأتها.

- المبحث الأول: ما قبل عصر الغيبة؛ وفيه مطلبان.
- المبحث الثاني: من عصر الغيبة حتى قيام الدولة الصفوية.
- المبحث الثالث: فترة الدولة الصفوية.
- المبحث الرابع: ما بعد الدولة الصفوية.

الفصل الثاني: مظاهر شعائر عاشوراء الإمامية الاثني عشرية؛ يحتوي على تمهيد وثلاثة مباحث.

- المبحث الأول: شعيرة البكاء بين الحزن والجزع؛ وفيه مدخل وثلاثة مطالب.
- المبحث الثاني: مظاهر المآتم والنياحة؛ وفيه أربعة مطالب.
- المبحث الثالث: مظاهر النسك والتوسل؛ وفيه ثلاثة مطالب.

الباب الثالث: عاشوراء الإمامية الاثني عشرية أدلتها، وعلاقتها بالاتجاهات الباطنية؛ ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: الأدلة النقلية والعقلية لعاشوراء الإمامية الاثني عشرية؛ يحتوي على مبحثين.

- المبحث الأول: عاشوراء في الأدلة النقلية عند الاثني عشرية؛ وفيه ثلاثة مطالب.
- المبحث الثاني: المنطلق العقلي لعاشوراء وشعائرها عند الاثني عشرية؛ وفيه مطلبان.

الفصل الثاني: علاقة الاتجاهات الباطنية بعاشوراء الإمامية الاثني عشرية؛ يحتوي على تمهيد، ومبحثين.

- المبحث الأول: الاتجاه الصوفي وأثره على عاشوراء الإمامية؛ وفيه ثلاثة مطالب.
- المبحث الثاني: الاتجاه العرفاني الفلسفي، وأثره على عاشوراء الإمامية ؛ وفيه مدخل، ومطلبان.

الباب الرابع: آثار عاشوراء؛ ويحتوي على تمهيد، وفصلين:

الفصل الأول: آثار عاشوراء الخاصة بالإمامية الاثني عشرية وتحولاتها؛ يحتوي على ثلاثة مباحث.

- المبحث الأول: المفارقة العقدية لأهل القبلة ومشابهة الأمم الهالكة؛ وفيه مطلبان.
- المبحث الثاني: التحول من النياحة إلى المهرجان والأساطير؛ وفيه أربعة مطالب.
- المبحث الثالث: التحول من الانتظار إلى الخروج والثأر؛ وفيه تمهيد، وأربعة مطالب.

الفصل الثاني: آثار عاشوراء المشتركة بين الإمامية الاثني عشرية وغيرها؛ يحتوي على تمهيد، وثلاثة مباحث.

- المبحث الأول: التعبد بالصوم وغيره في عاشوراء؛ وفيه ثلاثة مطالب.
- المبحث الثاني: الفرح والحزن في عاشوراء (التقابل الطائفي)؛ وفيه مدخل، وثلاثة مطالب.
- المبحث الثالث: الموقف من آثار عاشوراء؛ وفيه ثلاثة مطالب.

الخاتمة: وفيها عرض لأهم نتائج البحث وتوصياته.

لم يخل البحث من بعض الصعوبات والعوائق، والحاجة إلى الأسفار، والمراسلة، ونفاذ بعض طبعات الكتب، كما أنه من فضل الله أنه تيسرت سبل كثيرة للتواصل والحصول على المعلومة، وتصوير الكتب والمخطوطات، إلا أن أصعب ما واجهني في فترة البحث هي فقد بيانات الجهاز الشخصي، مما فقدت معه بعض المادة العلمية المهمة، والتي اجتهدت باستدراكها قدر الإمكان.

طبيعة البحث من جهة كونه شبهة للشيعة، وموضع تطعن منه على أهل السنة، مع تكرر التلبيس من خلاله، ولم أقف على من تطرق له بتفصيل ؛ استدعى ذلك مني جوانب من الطول في بعض أبواب البحث وخاصة الأول والرابع، ومما أقدمه في الاعتذار عن هذا الطول رغبتي في اكتمال بعض أفكار البحث من خلال الدراسة الشاملة حول مراحل تطور المذهب.

في ختام الأمر أحمد ربي وأشكره على ما أولاني من فضله، وأسأله أن يبارك في هذا الجهد، كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساهم معي بفكرة وتوجيه وحث، أو تيسير مرجع وزيارة، وأخص بالشكر مشرف البحث فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي، فقد كانت له مواقف مشكورة، وتوجيهات سديدة، وأقدر له حلمه علي في تقصيري وقصوري، وأشكر له حرصه وتعاونه وما أفادني به من توجيهات وملحوظات قيمة أثرت البحث، كما لا أنسى أن أشكر له تواضعه وحرصه على توصيات البحث وزرع التواصل بين الباحثين، واستفادتهم من بعضهم، فشكر الله له جميل كرمه؛ كما أشكر جامعة أم القرى، وكلية الدعوة وأصول الدين بعمادتها وأقسامها على ما تبذله من جهود بارزة في البحوث العلمية، وتهيؤه للباحثين والدارسين، وأثني بالشكر لأساتذتي الفضلاء في قسم العقيدة، الذين نهلت من علومهم وأخلاقهم، وأخص بالشكر -أيضاً- عضوي لجنة المناقشة الكريمين:

١. فضيلة أستاذي الأستاذ الدكتور محمد عبدالحافظ عبده، الأستاذ بقسم العقيدة

بجامعة أم القرى.

٢. فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالقادر بن محمد عطا صوفي، أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

فجزاهما الله عني خيرا، وشكر الله لهما على ما أبدياه من تصويب وملحوظات قيمة، أثرت الرسالة.

كما أتقدم بالشكر لزملائي في مرحلة الدكتوراه، وأخص منهم الأخ الفاضل الشيخ نبيل هاشم أمير النصري على ما قدمه، وأشكر أخانا الفاضل الشيخ محمد جنيد عبد المجيد المكي، أحد خريجي هذه الجامعة على تعاونه في زيارة بلاد الهند، وأشكر الأخوة في بلاد الهند على تعاونهم وحفاوتهم وحسن استقبالهم؛ وأشكر الأخوة الذين تعاونوا معي في البحرين والكويت ولبنان، وأشكر جمعيتي الآل والأصحاب؛ والشكر موصول لكل من تعاون معي في إعداد هذا البحث وجمع مادته العلمية، كما لا أنسى شكر من قصرت مدة هذا البحث في حقهم والتواصل معهم، وفي مقدمتهم عائلتي الكريمة، زوجتي وأولادي، فاحتملوا انشغالي عنهم، وانقطاعي في الأسفار المتفرقة، وكذا كل عزيز وغال قصرت في حقه، أو اعتذرت من التواصل معه.

وأخير وليس آخر أحمد الله وأشكره، وما كان في هذا الجهد من صواب فمن فضله ومنه، وإن كان فيه من قصور وزلل فالخطأ طبعي، وأستغفر الله من زللي، وأنا شاكر لكل من أمدني بتوجيه ونقد وإضافة، وآخر أمر بعد حمد ربي الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تمهيد

الإمامية الاثنا عشرية تعريفها وأسماؤها وأقسامها

وفيه مبحثان:

المبحـــــث الأول: تعريف الإمامية الاثني عشرية وأسماؤها.

المبحـــث الثـــاني: أقسام الاثني عشرية.

المبحث الأول

تعريف الإمامية الاثني عشرية وأسماؤها

وغهضضكى ن:

المطلـــــــب الأول: تعريف الإمامية ومراحلها.

المطلـــب الثـــاني: أسماء الإمامية الاثني عشرية.

المطلب الأول

تعريف الإمامية ومراحلها

الإمامية في اللغة:

الإمامية في اللغة مأخوذة من الإمام والإمامة، وعقيدة الإمامة الشيعية في الإمام والإمامة هي شعار دينهم، حتى إنه يسمى بدين الإمامية[(١)]، وهذا الاسم على الطائفة، وواحدها إمامي.

الإمام من أَمَّ، وأصله مادة: أَمَمَ، من الأَمْ بالفتح، أي القصد، ويقال: تَيَمَّمْتُه أي قصدته، والإِمَّة والإِمَامِيَّة هي إمامة القوم، وأَمَّ القوم تقدمهم، واقتدوا به، وهي الإمامة، والإمام هو من ائتم به قوم، على الهدى أو على الضلالة[(٢)].

يقول الخليل: (والائتمام: مصدر الإِمَّة، ائتم بالإمام إِمَّة، وفلان أحق بإِمَّة هذا المسجد، أي: بإمامته، وإماميته)[(٣)].

يقول ابن فارس: (أم، وأما الهمزة والميم فأصل واحد يتفرع منه أربعة أبواب، وهي: الأصل والمرجع والجماعة والدين، وهذه الأربعة متقاربة، وبعد ذلك أصول ثلاثة، وهي: القامة والحين والقصد)[(٤)].

الإِمَّة الحالة والنعمة، والأُمَّة الشِّرْعَة والدين والسنة والقرن من الناس، والأُم العَلَمُ الذي يتبعه الجيش، والأم الحال، والكتاب إمام، وأم الكتاب اللوح المحفوظ، وأم الكتاب فاتحته، والإمام الرئيس، والطريق، والمثال، والقدوة، فهو إمام وأمة، أي جامع للخير، والأم الأصل

---

(١) محدث الإمامية الصدوق ابن بابويه القمي، ت/ ٣٨١هـ، ألف كتاباً أكد عنوانه هذه النسبة، فعنوانه: (الاعتقادات في دين الإمامية/ عقائد الصدوق)، وهذا مما يدل على ترسخ المفارقة بينهم وبين جمهور المسلمين.

(٢) انظر: لسان العرب، ١٢/ ٢٢. ٣٥، مادة: أمم.

(٣) العين، الخليل، ٨/ ٤٢٦.

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ١/ ٢١.

والوالـدة، والمثـوى الـذي يـأوي إليـه الرجـل، وأم القـرى مكـة، أي: أوسـطها ومقصـدها ومستقبلها، وكل شيء يضم إليه ما يليه فهو أم له[1].

مقالة الإمامية والإمامة أم للتشيع، ومأوى يؤوى إليها في عقائد الإمامة المختلفة، ودهليز يصدر عنه عقائد الغلو.

الإمامية في الاصطلاح:

الإماميـة -باعتبارهـا طائفـة أو مـذهب- منسـوبةٌ إلى الإمـامي والإمـاميين، والإمـامي وصف للرجل المعتقد بالإمامة، وعقيدة الإمام، أي أنه بعد وفاة الرسول ﷺ لا بد للناس من إمام، وأنه المرجع في أمور الدين والدنيا، وحصروه في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأنه منصوص عليه بزعمهم، وأن إمامته تكون بالنص والتعيين والوصية، لا بالاختيار، ثم تبع النصَ والوصيةَ العصمةُ والتسلسلُ في الأعقاب والولاية، فالإمامة في هذا الجانب ترد على عدة معانٍ من عقائد الإمامة المختلفة، كما أنها قد مرت بمراحل قبل استقرارها على مفهوم الإمامية الاثني عشرية، وكذلك بعده، خلافاً لما هو شائع عنها، وهذا ما سيتضح ــ بإذن الله ــ بعد معرفة حال الإمامة والإمامية بعد وفاة كل إمام من أئمتهم[2].

علماء الفرق يقسمون الشيعة إلى ثلاث فرق: الزيدية، والإمامية "الرافضة"، والغلاة الباطنية[3]، وبعضهم يفرد الكيسانية[4]، وبعضهم يفرد ــ أيضاً ــ الإسماعيلية عن الغلاة[5]، كما أن نسبة الغلو والغلاة إلى غير مسمى الشيعة والتشيع عند البعض أورد مجالاً للقول بأن الغلو الشيعي لم يرتبط بالإمامية الاثني عشرية إلا بعد منتصف القرن الثاني الهجري، علماً بأن

---

(١) انظر: العين، ٨/ ٤٢٦.٤٣١، ومعجم مقاييس اللغة، ١/ ٣١.٢١، ولسان العرب، ١٢/ ٣٥.٢٢.

(٢) سيأتي بإذن الله الحديث عنها في الفصل القادم، انظر ص٢٥٣ من البحث.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري، ١/ ٦٦، ٨٨، ١٤٠، وأصول فرق الباطنية أربع فرق: الإسماعيلية، والقرامطة، والنصيرية، والدروز، انظر: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ٦١، ٩٩، مع وجود موافقة بعضها -كالنصيرية- للإمامية الاثني عشرية في تعدية الإمامة إلى الحسن العسكري.

(٤) ستأتي الإشارة إلى هذا الافتراق في المبحث الثاني - بإذن الله -، انظر ص٣٨ من البحث.

(٥) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١/ ١٩٢، ١٦٩.

من سلف الأمة الصالح ـ ممن عد في شيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ من صرح بأن من فضل علياً وطعن في الصحابة فليس بشيعي[1]؛ كما أن مفهوم الإمامية في ذلك الوقت لم يكن مرادفاً للتشيع، وإنما قد يكون مرادفاً للوصية والنص والسبئية والغلو؛ وهذا فضلاً عن مفهوم الإمامية الاثني عشرية بشكل أخص.

يقول الشهرستاني: (الإمامية **هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه السلام؛ نصا ظاهرا، وتعيينا صادقا، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين، ...)** [2].

الشهرستاني على دقة تعريفه للإمامية إلا أنه يفهم من بقية كلامه أنه لم تتضح مقالة الإمامية إلا بعد اختلافهم في تعيين الإمام بعد علي بن الحسين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ "الإمام الرابع"؛ أي كأنهم مجتمعون قبل ذلك، ولذا بدأ بعرض فرقهم من الباقرية والجعفرية الواقفة، ولعل هذه الفترة هي فترة تنازع في سوق الإمامة بين البطنين، أي بين أسلاف الإمامية والزيدية، حتى استقر أمرها بعد ذلك، يقول عبد القاهر البغدادي، ت/ ٤٢٩هـ: «والكيسانية منهم اليوم مغمورون في غمار أخلاط الزيدية والإمامية»[3]، ولعل مصطلح الإمامة لم يستقر إلا بعد وفاة جعفر الصادق، وهي مرحلة البداء الثاني[4]، وكأن الإمامية حينذاك قعدة الزيدية، إضافة إلى استقرار مفهوم جديد مكون من: الإمام، ومن الداعية إليه، وأن الإمام مخفٍ دعوته وإمامته، والداعي إليه يقوم عنه بالنيابة، وهذا المفهوم ربطه البعض بالكيسانية أكثر من الإمامية الاثني

---

(١) انظر: منهاج السنة، ١/ ٧، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج الشيعة"، ص١٦١-١٦٢، د. محمد أحمد محمد جلي، ط٢، ١٤٠٨هـ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات. الرياض، ويشير الباحث في عرضه للتشيع، وأنه اتخذ أطواراً مختلفة، ومذاهب متغايرة، وأن الغلو في الشيعة لم يتمكن إلا في القرن الثاني زمن الهشامين: ابن الحكم، والجواليقي، لأن أغلب أسانيد النص والوصية تنتهي عند جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ١/ ١٦٢– ١٦٥.

(٣) الفرق بين الفرق، ص٧١.

(٤) البداء الأول هو الذي عرف به المختار بن أبي عبيد من الكيسانية، وذلك عندما هزمه مصعب بن الزبير، فسأله أتباعه عما وعدهم به من النصر، فأجابهم أن قد بدا لربكم، وهو أشهر من ينسب إليه، ومثله عدم انتصار الحسين في كربلاء عند من قال بأنه هو المهدي، وأن الله كان وقت للشيعة في السبعين، ثم بدا له أن يؤخرهم، وسيأتي الحديث عن البداء بإذن الله، انظر ص٢٨٠ من البحث.

عشرية، ثم ظهر بعد ذلك في الإسماعيلية في قولهم بالناطق والصامت، أو المستقر والمستودع.

لما سبق سأذكر معاني الإمامة والإمامية ــ وهما اسمان لمسمى واحد ــ، وكذلك مراتبها بشكل مفصل، لالتباسها بمعنى التشيع، واخترت التفصيل فيها لأنها هي من عنوان البحث، وهي الرؤية التي لازمت البحث في سيره ونتائجه، ولأنها هي الاسم الألصق بالعقيدة الفارقة والبارزة في المذهب، وقد جاءت الإمامية على خمس مراحل ودرجات ومعانٍ، وهذا على سبيل التنزل بأن الإمامة هي معنى التشيع الأول، وإلا فإن الشيعة المفضلة لم يظهر بينهم مفهوم الإمامة بمعنى الوصية، وأن الخليفة (الإمام) لا يكون إلا الأفضل، ولكنها تراكمت مع الزمن، فالمراحل هي كما يلي:

١-الإمامية المفضلة: أي المنطلقة في قولها من تفضيل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الصحابة جميعاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم[١]، مع الاعتراف بفضل الصحابة، والإمامة على هذا المعنى ليست من أصول الدين كما عند متكلمي الإمامية ــ القائلين بالإمامة المعصومة ــ، وهي بهذا قريبة من مفهوم الإمامة الزيدية[٢]، فيما عدا التسلسل المعين، والاقتصار على هذا القول يعد نصباً عند الرافضة الإمامية، كما أن بعض علماء الفرق يقصر اسم التشيع عليه[٣]، ويعتبر ما عداه رفضاً

(١) وهي بهذا الحد بدعة وفرية توجب التعزير عند علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث يقول: (لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري)، فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، ح/ ٤٩، ٣٨٧، ٤٨٤، والسنة، لابن أبي عاصم، ٢/ ٥٧٥، ح/ ١٢١٩، وجوَّد وحسَّن شيخ الإسلام ابن تيمية أسانيد هذا الأثر، انظر: مجموع الفتاوى، ٢٨/ ٤٧٥، ومنهاج السنة، ١/ ٢١٩-٢٢٠.

(٢) إمام الزيدية زيد بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ثبت عنه تفضيل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر: الإمام زيد المفترى عليه، ص٢٢٤- ٢٢٩، وقد زاد بعض الزيدية ففضل ولد علي من بعده، وخاصة البطنين، وأن الإمامة فيهم.

(٣) كالأشعري في مقالات الإسلاميين، ١/ ٦٥، وابن حزم في الفصل، ٢/ ١٠٧، وانظر نقد وتعليق د. ناصر القفاري على هذا الجانب، وتفضيله لتعريف الشهرستاني للشيعة، وهو ما يوافق مصطلح الإمامية الثاني: إمامة النص والعصمة، وإمامة ذرية علي من بعده، انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٤٤-٤٦، ويقول د. ناصر القفاري في التعريف المختار للشيعة: (وفي نظري أن تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم، ذلك أن الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر؛ فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده)، وسبق قريباً أن الغلو في الشيعة لم يتمكن إلا في القرن =

أو غلواً، كما أن بعض السلف يعد التفضيل المطلق لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على جميع الصحابة ـ ومنهم الشيخان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ رفضاً، فيدخل فيه كثير من الزيدية من هذا الوجه، ولعله نظر إلى موقفهم من بقية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأن قولهم بإمامة ذرية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بعده جرهم إلى الغلو وفتح الطعن على من عداهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وغيرهم(1).

تفضيل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقترناً بمقولة: أن «الإمام لا يكون إلا الأفضل» مسألة ظهرت متأخرة، بسبب توسع الجدل بين الفرق، ولم يكن لها وجود عملي قبل خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولذا فهي تتبع في الحديث مسألة ظهرت متأخرة ـ أيضاً ـ، وهي جواز إمامة المفضول وولايته مع وجود الأفضل، فإن قيل بفضل علي على الصحابة جميعاً بقي حكم من تولى الخلافة قبله؛ فمن جزم بعدم جواز إمامة المفضول طعن في ولاية من سبق علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن جوز إمامة المفضول كان له سعة في الترضي عن السابقين، وأن الخلافة جرت بالشورى والاختيار مراعاة للمصلحة(2).

الزيدية(3) اختلفوا في تفضيل من بعد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمنهم من أبقى الفضل في ذريته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهؤلاء منهم من جمع إلى ذلك حصر الإمامة بعد علي في البطنين من ولده، كما أن منهم من جوزها في غيرهم من سائر قريش، وقال إن الفاطمية "البطنين" شرط تفضيلي، لا شرط صحة(4).

الثاني زمن الهشامين: ابن الحكم، والجواليقي، لأن أغلب أسانيد النص والوصية تنتهي عند جعفر بن محمد الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(1) جاء الأمران عن الإمام أحمد، يقول ابنه عبد الله: (قلت لأبي: من الرافضة؟ قال: الذي يشتم ويسب أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، انظر: السنة، للخلال، ٣/ ٤٩٢، وقال عنهم: (وهم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد، ويسبونهم ويتنقصونهم)، انظر: طبقات الحنابلة، ١/ ٣٣، ابن أبي يعلى، ت/ ٥٢٦هـ، ت. الفقي، دار المعرفة – بيروت.

(2) انظر: منهاج السنة، ٣/ ٢١٩.

(3) عبرت بالزيدية بدلاً من إمامهم زيد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، لأنه ليس كل ما نسب إلى الزيدية يصح نسبته إليه، انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة"، ص٢٥١، والإمام زيد المفترى عليه، ص١٣٨-١٤٣.

(4) الملل والنحل، ١ / ١٥٥.

هنا نلحظ التقارب بين مسألتي الإمامة والتفضيل، ولكن يجمعهما أنه ليس المقصود بهما العصمة، أو النص لعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أو لذريته من فاطمة "البطنين"، وأن الإمامة بمعنى الخلافة والإمارة؛ والإمامية إذا أطلقت آخراً لا تتناول الإمامية المفضلة، كما أن التفضيل يذكر فيما بعد عند الإمامية الاثني عشرية على سبيل التنزل أو المجاراة والتلبيس، وإلا فإنهم لا يقرون بفضل الآخرين، بل يحكمون بكفرهم ونفاقهم[1].

٢- الإمامية السبابة واللعانة "الرافضة": وهم الذين جعلوا الإمامة أصلاً من أصول الدين، ويقصدون بذلك القول بإمامة النص وعصمتها، مع بطلان إمامة من سبق علياً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من الخلفاء، فضلاً عمن عداهم[2]، وهو ما عليه متكلمو الرافضة، المتأثرون بالمعتزلة، وقد شكلوا مرحلة: الإمامية التفضيلية العقلية.

هذا من دون النظر إلى تأليه الأئمة ومقالة الإمامة، أو إعطائهم مقام النبوة في العصمة والعلم الذي انضاف إلى مصطلح الإمامية من أقوال الغلاة، الذين يقوم الإيمان عندهم على معرفة الإمام[3]، وأن «من مات بلا وصية مات ميتة جاهلية» وأن «الجهل بالإمام كفر»[4]،

---

(١) الإمامية بهذا المعنى لا تدخل فيها الزيدية الأولى، القائمة على التفضيل، وجواز إمامة المفضول؛ علماً أن بعض عبارات المصنفين تصفهم بالقول بالإمامة، لكن لا شك أن قولهم ليس قولاً بالإمامية الإلهية الغالية.

(٢) انظر: المقالات والفرق، ص٣، سعد بن عبد الله القمي، ت. محمد جواد مشكور، ط ١٩٦٣م، حيدري - طهران؛ وفرق الشيعة، ص١٧، الحسن النوبختي، ت. محمد صادق بحر العلوم، ط ١٣٥٥هـ، المكتبة المرتضوية - النجف؛ وأوائل المقالات، ص٣٩، المفيد، ت/ ٤١٣هـ، ت. إبراهيم الأنصاري، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد – بيروت.

وهم يعبرون عن طائفتهم بالشيعة على هذا المعنى، فالتشيع هو القول بالإمامة "بالنص"، وأن علياً هو الخليفة بعد الرسول بلا فصل، وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٣٣.٣٨.

(٣) بعض علماء الفرق يجعل هذه المقولة مقابل مقولة: (الدين طاعة رجل) ينسبونها إلى الكيسانية، وبهذا المعنى فإنهم لا يدخلونها في الإمامية، مع أن الكيسانية من أسلاف الإمامية عند بعضهم، ومثلها ما عند الصوفية، من أن: الدين طاعة الشيخ، ويلزم بعضهم أهل السنة بمثل مقولة الكيسانية، أي أن الدين طاعة الأمير والخليفة، وهو من افترائهم وكذبهم.

(٤) الرسائل العشر، ص٣١٧، الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

وغالب هذا القول انحصر. وبقي في القائلين بالإمامة الحسينية، في ذرية الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع أن هناك من ذرية الحسين من بقي في إمامة التفضيل من دون تخصيص، كالزيدية، ومثلهم بعض العلوية الحسنية، ومما ساعدهم على مجافاتهم للطائفة القائلة بإمامة النص "الرافضة" تجاذبها مع فتن الشعوبية زمن الدولة العباسية، والشعوبية قد تكون تسترت وراء العرق الفارسي في هذه السلسلة بجامع الظلم والمصيبة وزوال الدولة ودعوى المحبة(١)، ومن آثارها على التشيع ــ أيضاً ــ غلوها في سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مدة من الزمن، وأنه يمثل العرق الذي فيه إمامة الاستيداع مقابل العرق (الإسماعيلي ــ العرب) إمامة الاستقرار، وقد تأسست فرق على هذا المعتقد(٢)، وهي وإن انقرضت فإن عقائدها ومقالاتها قد تكون باقية في تراث الإمامية المعاصرة(٣).

يظهر من صنيع بعض علماء الفرق أنهم لا يضيفون إلى الإمامية السبابة عقائد الغلو من دعوى النبوة للأئمة وأبوابهم، أو دعوى الإلهية، لأن دعوى النبوة، أو الإلهية، ومثلها الغيبة والرجعة من أقوال فرق الغلاة(٤)؛ وقد جزم البعض بانتهاء وانقراض هذا القول وهذا

(١) انظر: الفصل، ٢/ ٩١، وعلاقة التشيع بالفرس وإن كان ظهر متأخراً عن السبئية الأولى إلا أنه ظهر وبرز في زمن المختار، ثم بشكل أظهر في الشعوبية وحركة أبي مسلم الخراساني، ثم أصبح محضناً لطوائف الغلو.

(٢) مثل: القرامطة الباطنية، وأصلها من ميمون القداح زعيم الميمونية، المتولدة من الخطابية، وكذلك ابنه عبد الله بن ميمون القداح، وينتسب إلى سلمان الفارسي، والذي هو مستودع للإمامة، لأنه من ذرية إسحاق بن إبراهيم، الذين هم مستودع الإمامة، والقائمين بالبلاغ، وامتدت المهمة إلى ميمون القداح حيث أودعه جعفر ابنه إسماعيل، وكان عمره إذ ذاك ثلاث سنين، ليربيه، ويكفله، انظر: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ٧٣. ٧٤، والإمام الأشعري في القرن الرابع أشار إلى أن هناك في زمانه من يقول بألوهية سلمان الفارسي، انظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ٨٠، كما أن الشهرستاني ذكر أن أبا مسلم الخراساني على مذهب الكيسانية "الرزامية"، وأنها قالت بأن إمامة أبي مسلم إمامة استيداع، وأنه كان يبحث عن مستقرها بعد وفاة إبراهيم بن محمد العباسي، أخي السفاح، انظر: الملل والنحل، ١/١٨٧ـ١٧٩، وخص الأشعري فرقة باسم "الأبو مسلمية"، وجعلها من الكيسانية من الرافضة، انظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ٩٦.

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٨٥، ٩٨، ١٠٢.

(٤) انظر: الفصل، ٤/ ١٨٣. ١٨٧.

المذهب[1]، وأنه آل إلى أن يكون قولاً من أقوال الإمامية المعاصرة، القائلين بالإمامة الإلهية، وأنه لا يوجد اليوم طائفة إمامية اثنا عشرية من دون غلو، أو رفض ولعن وسب، وأنها وإن ادعت عدم السب والتكفير، أو القول بالترضي على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فإن ذلك من باب التقية، أو أنه تحت ستار التقريب، ولا شك أن هذا الترضي وإن ظهر عند بعض علماء الشيعة حقيقة، أو مالت إليه بعض عوامهم، فليس له سلطة ودولة تظهره عن صدق ودين، مما يضعف القول باستقرار هذا القول استقراراً بيناً، وممن جرى منهم ميل إلى الترضي، أو التوقف عن السب؛ بعض ملوك الدولة القاجارية، لكن الظروف في وقتهم لم تساعدهم على فرضه وتبنيه، بسبب ما رسخته وفرضته الدولة الصفوية في تلك المجتمعات الشيعية، وما حواه تراث الشيعة قبل ذلك من دواوين السب والرفض، ومن تلك الخطوات السيئة في هذا الجانب ما ألفه شيخ الدولة الصفوية الكركي الأصولي، وهو كتاب: "نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت"[2]، أي الشيخين الصديق والفاروق ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ، ومثله ما قرره شيخ الدولة المجلسي الأخباري في بحاره، في "باب كفر الثلاثة"[3].

أُذَكِّر هنا بأن ما سبق قد يوحي بجمع الإمامية اللاعنة الرافضة بين القول بإمامة النص، والقول بصحة خلافة الخلفاء السابقين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وذلك لأن من معاني الرفض سب غير الشيخين من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو الذين قاتلهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أهل

---

(١) المقريزي ذكر من فرق الشيعة فرقة اللاعنة الذين يلعنون الشيخين، والمخطئة الغرابية والذمية والعليانية، أي أن جبريل أخطأ الأمانة، انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٤/ ١٨٣ـ ١٨٤، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت/ ٨٤٥هـ)، ط١، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية .بيروت، المعروف بخطط المقريزي، أو الخطط المقريزية، وانظر: أعيان الشيعة، ١/ ٢٣، ومعجم الفرق الإسلامية، ص ٢٠٥، شريف يحيى الأمين، ط ١٤٠٦هـ، دار الأضواء .بيروت، وذكر من الفرق اللاعنة، وهم: من (يلعنون عثمان وطلحة والزبير وأبا موسى الأشعري وعائشة، وهذه الفرقة بائدة)، وأن مقولتهم منتشرة في كتب المزارات والأدعية بشكل مخز وفاضح؛ وهذا يدل على أن شيوع سب الشيخين جاء في مرحلة متأخرة عن سب أهل صفين والجمل.

(٢) حول الكتاب ومؤلفه الكركي انظر ص٣٩٥ من البحث.

(٣) بحار الأنوار، ٣٠/ ١٤٥.

الجمل وصفين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذه المسألة تغيب عند وصف الرافضة، لأن هذا النوع من السب كان في الأصل مقولة تكثر عند الخوارج والسبئية الغلاة عندما خرجوا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة التحكيم، مع أن السبئية نقل عنها القدح في الصحابة عموماً[1]، وفي الشيخين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خصوصاً، وذلك في زمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والذي نقل عنه التحذير من ذلك[2]، لكن ازداد فشوهما بعد ذلك، أي بعد عودة سب الشيخين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإذا انتهكت حرمة الشيخين فلا تسأل عمن دونهما؛ وعليه فسب أحد الفريقين من أهل الجمل وتفسيقهم وتكفيرهم رفض[3]، وهي مقولة وإن اشتهرت بين الخوارج فإنهم كانوا في صفوف الشيعة، وكان من مطالبهم أن يقام فيهم ما كان في عهد أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، إلى أن افترقوا عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد قضية التحكيم، واختلاط الصفوف قد يشكل في ضبط البدع وحدوثها، لكن لا شك أن حدوث القدح زمن علي في طرفي الصحابة –الذين لم يوافقوه-؛ لم يتبعه القدح في الشيخين بشكل ظاهر كما هو عليه في القرن الثاني الهجري، الذي ارتبط فيه مسمى الرفض بالجرأة على سب الشيخين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فالرفض مروق على آل البيت، وخروج على نهجهم، وكما قال زيد بن علي ـ رحمهما الله ـ: (الرافضةُ حَرْبِي، وحَرْبُ أبي في الدنيا والآخرة، مَرَقُوا علينا كما مَرَقَتِ الخوارجُ على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[4].

(١) اشتراك الخوارج والسبئة الغلاة في هذا الخلل لا يعني توافقهما في غير ذلك، كالقول بالوصية والرجعة.

(٢) روي عن محمد ابن الحنفية أنه قال: قلت لأبي: (أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر قلت ثم من؟ قال ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت ثم أنت؟ قال ما أنا إلا رجل من المسلمين)، رواه البخاري، ح/ ٣٤٦٨، وانظر: سنن ابن ماجة، ح/ ١٠٦، ح/ ٤٦٢٩، ومسند أحمد، ح/١٠٥١، ١٠٥٢، ومصنف ابن أبي شيبة، ح/ ٣١٩٤٥، والمعجم الأوسط، ٧/ ٢٣٩، ح/ ٧٣٨٢، وحلية الأولياء، ٧/ ٢٠٠، ٨/ ٣٥٩، ومعرفة السنن والآثار، البيهقي، ٣/ ١٧٨.

(٣) نبه الإمام الذهبي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن الشيعي الغالي هو من يجمع مع ميله لعلي وتفضيله في خلافته على عثمان وعلى مخالفيه من الصحابة، وبين الوقيعة فيهم وتنقصهم وسبهم، أما من يكفرهم فهو ضال مفتر، انظر ميزان الاعتدال، ١/ ٦.٥، وابن حجر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – يجعل المفضل لعلي على الشيخين رافضياً غالياً في تشيعه، فإن جمع معه السب والبغض فهو غال في الرفض، انظر هدي الساري، ص٤٥٩، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٤٩، وفرق معاصرة، ١/ ٢٣٣، د. غالب عواجي ، ط٣، ١٤١٨هـ، دار لينة – مصر.

(٤) تاريخ الإسلام، ٣/ ٤١٦، ونقل الذهبي عدداً من الروايات المهمة عن زيد – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – يتبرأ فيها من الرافضة.

ما سبق يدل على ارتباط البدعتين: التشيع والخروج، فالتشيع الرافضي نشأ في أحضان الخوارج، وهذا الارتباط يظهر اليوم في موسم عاشوراء، في مثل عبارات السيف والدم، والثورة[١]، ولعن الظالمين، والبراءة من الناكثين والقاسطين؛ كما قد يعبر بعض الإمامية المعاصرين عن الذين كانوا مع زيد بن علي من شيعة الكوفة بأنهم خوارج، وأنهم أول الخوارج غلواً[٢]، ولذا يصح القول بأن تكفير الصحابة أصبح من أقوال خوارج الشيعة، وهم مع دعوى التأويل والتقية يتحينون الخروج على المسلمين في أدنى فرصة تخالفهم.

يشير الدكتور ناصر القفاري إلى أن أصل الرفض يرتبط بعقيدة النص، وأشار إلى طرق اختفاء النص وأسبابه عند الرافضة، وأن منها ــ عندهم ــ طريقين متعلقين بالصحابة، وهما كتمان الصحابة لهذا النص على إمامة علي، أو تحريفهم للقرآن حين جمعهم له، وحذفها منه[٣]،

---

(١) في منهاج السنة، ٣/ ٤٦٥-٤٦٦، يقارن شيخ الإسلام ابن تيمية بين الإمامية والخوارج في تلازم السيف والتكفير، وأن الخوارج سبقوهم في باب السيف، كما سبقوهم في باب التكفير العام، وأنهم تبعوهم في ذلك، وإن كان منهم من نازع في التكفير العام، لكنه حكى قول الأشعري في إجماع الروافض على عدم الخروج إلا مع إمام، ويظهر أن هذا الإجماع لا ينخرم إلا إذا خرقوا عقيدة الإمامة، ومن ذلك أن يصبح الفقيه معصوماً، وإذا امتطوا مقولات الخوارج؛ ولذلك حالهم اليوم هو التركيز على كفر معسكر السلطان وأعوانه.

(٢) انظر: معجم الفرق الإسلامية، ص ١١٩ (مصطلح الرافضة)، شريف يحيى الأمين، ويظهر أنه إمامي معاصر، وقال: (وهم أول خوارج غلوا، غير أنهم يرون الخروج مع كل خارج)، ولم يذكر مرجعه في هذه المقولة، ولعلها من مصادر الزيدية الذين يرون كفر أهل الكوفة، أو فسقهم؛ وحوا الخارجين من الشيعة انظر: ص٩٤٦ من البحث.

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٢٠٨، والطريقان الآخران لاختفاء النص هو كونه وارداً في كتب إلهية غائبة، لأنها مع الإمام الغائب، أو أنه مذكور في القرآن، لكن الناس لا يعرفون القرآن بتأويله الصحيح، وتأويل القرآن من خصائص الأئمة، فهم باطن القرآن، وانظر من المرجع نفسه: ٣/ ١٤٦، وسيأتي ـ بإذن الله ـ تفصيل لذلك والإشارة إليه في ص٨٠ من البحث، وفيه تنويه بما ذكره د. ناصر القفاري ـ وفقه الله ـ أثناء استقرائه لمرويات الإمامية، وأن مقولة التحريف متأخرة تراكمت مع الزمن، ولعل مثلها سب الشيخين، لارتباط المسألتين؛ وسيأتي في الباب الرابع –بإذن الله– بيان أن أصل مقالة الإمامة متعلقة بالخروج بشكل بارز، حتى في جماعات الغلو السابقة، وأن فكرة النص لا تروج –مع الزمن، وفي عصر الرواية المتقدمة– إلا بنوع من الإسناد والرواية، وهذا يتأتى بنوع من مخالطة الرواة، ودس الموضوعات بينهم، وهذا بخلاف الخوارج الذين تعلقوا بالقرآن، واعتزلوا مجتمعات الرواية.

وهذا وإن كان الاعتراف به طعناً على المذهب، لكونه فاقد للاتصال، فلا شك أنه من مداخل تكفيرهم للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لكن لعل هذا لم يستقر سبباً للتسمية، وإنما ظهر بعد تراكم البدع في وقت متأخر، ولاستبطان كثير منها للرفض، وإن لم تعلنه شعاراً[(١)]، وهذا يتجه أكثر على الإمامية التي تعظم الخبر "الإخبارية"، لأن النص في حقيقته وأصله خبر[(٢)].

أما الأصولية فتلحقهم هذه العقائد بسبب تقريرهم للتسامح في أخبار السنن، إلا أن حماس الإخبارية لها أظهر، ومثله حماسهم في ردة الصحابة إلا عدداً يسيراً، وقولهم بتحريف القرآن، وكلا الطائفتين لا ينفكان عن التقية في هذا الباب، كما أن الأصوليين يتقون في دعوى التحريف أكثر مما يتقون في تكفير الصحابة، فلا يلتزمون تلاوة الناقص من القرآن بحجة وروده بأخبار آحاد[(٣)]، لكنهم التزموا ما جاء من طريقها في الأحكام، وهذا خلاف أصولهم في خبر الآحاد، لكن جاءت التقية هنا لأن هذه المسألة تعد من أصول مخالفيهم، فلذلك أظهروا براءتهم من القول بالتحريف، مع أنها من لوازم قاعدة التسامح في السنن عندهم؛ كما أن فيه طعناً على حفظ الدين من طريق القرآن والعترة، فإذا حرف أحدهما ضعف الآخر.

على ما سبق فالرفض بمعنى الخروج عن نهج الصحابة وتكفير عثمان وأهل الجمل وصفين ـــ رضي الله عن الجميع ـــ سابق على تخصيصه برفض خلافة الشيخين، أو رفض تفضيلهما على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولكن لظهور مقالات الغلو في صفوف الشيعة، وظهور فتن الخوارج نسيت هذه المقالة، وخفي ربط مسمى الرفض بها إلا في مقابل الزيدية، والبراءة من الشيخين.

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ في منهاج السنة النبوية، ٣/ ٩، في رده على ابن مطهر الحلي: (وأما المقرون بإمامة الخلفاء الثلاثة مع كونهم قدرية فكثيرون في المعتزلة وغير المعتزلة، فعامة القدرية تقر بإمامة الخلفاء، ولا يعرف أحد من متقدمي القدرية كان ينكر خلافة الخلفاء، وإنما ظهر هذا لما صار بعض الناس رافضياً قدرياً جهمياً، فجمع أصول البدع، كصاحب هذا الكتاب وأمثاله).

(٢) انظر: مسائل الافتراق بين الإمامية ص٧٣ من البحث "خبر الواحد"، ومن عناية الإخبارية بهذا الجانب أن آخر محدثيهم النوري الطبرسي ألف كتاباً بعنوان: فصل الخطاب في تحريف الكتاب.

(٣) انظر: المسائل السروية، ص٨٧ـ ٨٥، المفيد، ت/ ٤١٣هـ، ت. صائب عبد الحميد، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد – بيروت، وبحار الأنوار، ٩٢/ ٧٤ـ٧٥، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٢٧٤.

٣- الإمامية الإلهية: القائلين بالإمامة الإلهية: وهي من تقول باستمرار الإمامة في ذرية الحسين التسعة بالنص والوصية، مع العصمة والكمال، وأنها منصب إلهي، كمنصب النبي، وأنه لا بد من وجودها في كل زمان، وأنها امتداد للنبوة، وهذا المعنى هو الذي استقر عليه مصطلح الإمامية المعاصر[١].

علق بهذه الإمامة كثير من عقائد الغلاة الباطنية التي أصبحت من ضرورات المذهب الإمامي الاثني عشري[٢]، والتي لا تنص الإمامية عليها في الحد والتعريف، كمعلم وفصل مميز لها عن غيرها من فرق التشيع، وأنها على ضرورتها عندهم فهي من فروع الإمامة[٣]، وأرى أن الإمامة بهذا المعنى هي ركن مهم في تعريف الإمامية الاثني عشرية المعاصرة، لأن الرافضة الإمامية دهليز الباطنية[٤]، ومن المسائل التي تشتهر عند الإمامية المعاصرة ولاية

---

(١) انظر: المنية والأمل، ابن المرتضى، ص٢١، نقلاً عن: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ١٠٥، وأتوقع أن هذا المصطلح لم يتضح إلا قبيل القرن الرابع عندما تمكن الإسماعيلية، حينما أظهروا مفهوم الإمام المستتر، ثم تبعهم الاثنا عشرية في زمن الغيبة، فالإسماعيلية والقرامطة الذين تعلقوا بإمامة إسماعيل بن جعفر، ثم ابنه محمد بن إسماعيل، فتعلقوا بإمامة الاستتار التي هي من جنس الغيبة، وهي ما بين عامي (١٩٧ـ ٢٦١هـ)، انظر: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ٢٠، ويمكن أن يقابلها عند الإمامية الاثني عشرية الفترة ما بين عامي (٢٠٣ـ ٢٦٠هـ) وهي فترة الأئمة "٩ـ ١١": محمد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري رحمهم الله.

(٢) المامقاني الإمامي يقول: (إن القدماء - يعني من الشيعة - كانوا يعدون ما نعده اليوم من ضروريات مذهب الشيعة غلواً وارتفاعاً، وكانوا يرمون بذلك أوثق الرجال، كما لا يخفى على من أحاط خبراً بكلماتهم)، انظر: تنقيح المقال، ٣/٢٣، عبد الله المامقاني، ط ١٣٤٨هـ، المطبعة المرتضوية – النجف.

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٤٠، وهذا فيما عدا طائفة الركنية الشيخية التي نصت على أنه أصل أضافته إلى الإمامة، فجعلت أصول الدين أربعة: الله، النبي، الإمام، والركن.

(٤) انظر: بيان مذهب الباطنية وبطلانه، الديلمي، ص٢، نقلاً عن: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ٢٨، ٣٠، وفي ١/ ٣٦ـ٣٧: أن الخطابية من الغلاة يقولون إن الحسن والحسين أبناء الله وأحباؤه، ورأسهم أبو الخطاب أله جعفر، وشرع لهم أن من عرف الإمام حل له كل شيء، وذكر للخطابية ثلاثة أدوار، وقالوا إن الإلهية نور موجود في النبوة والإمامة، ولعل غلو الخطابية بقي في الإسماعيلية، وفي الإمامية السبابة الرافضة، فظهرت الإمامة الإلهية من هذا المزيج، ومنه ما جاء في علل الشرائع، للصدوق، ١/ ٢٠٨– ٢٠٩: (عن معاذ بن جبل أن رسول الله قال: إن الله عز وجل خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام، قلت: فأين كنتم يا رسول الله؟ قال: قدام العرش، نسبح الله تعالى ونحمده ونقدسه ونمجده، قلت: =

الأئمة، أي "الولاية التكوينية، والولاية التشريعية"[1]، وقد يتفاوتون في تقرير هذه المسألة، وإن كانوا يتفقون على أصلها، وهي معنى زائد على النص والعصمة.

يحصل عند تعريف فرقة الشيعة الإمامية التلازم بين التشيع لعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وتفضليه، وبين إمامة النص والوصية والعصمة، وهما في الواقع غير متلازمين، إذ إن الإمامية تتعلق عند تعريف مذهبها بتعريف الشيعة الأوسع، مع أن مخالفيهم لا يقصدون بإمامة علي ما تقصده الإمامية من معنى الإمامة[2]، فغيرهم يقصد بها الإمرة والخلافة الدنيوية[3]، وهم يريدون بها الإمامة الدينية والسياسية معاً، والتي يزعمون أنها موضع اكتمال العدل الإلهي، فهي عندهم من جنس النبوة، فهي منصب واصطفاء إلهي، ولذا لزم لها النص والعصمة، وتستدل لذلك

=

على أي مثال؟ قال أشباح نور، حتى إذا أراد الله عز وجل أن يخلق صورنا صيرنا عمود نور، ثم قذفنا في صلب آدم، ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، ولا يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر، يسعد بنا قوم ويشقى بنا آخرون، فلما صيرنا إلى صلب عبد المطلب أخرج ذلك النور فشقه نصفين، فجعل نصفه في عبد الله، ونصفه في أبى طالب، ثم أخرج النصف الذي لي إلى آمنة، والنصف إلى فاطمة بنت أسد، فأخرجتني آمنة، وأخرجت فاطمة علياً، ثم أعاد عز وجل العمود إلي فخرجت منى فاطمة، ثم أعاد عز وجل العمود إلى علي فخرج منه الحسن والحسين - يعنى من النصفين جميعا، فما كان من نور علي فصار في ولد الحسن، وما كان من نوري صار في ولد الحسين، فهو ينتقل في الأئمة من ولده).

(١) لمعرفة قرب هذه العقيدة من الغلو فإنها تقارن بعقائد المغيرية والمفوضة القائلين بتفويض الله للأئمة، زمن الباقر والصادق، والبزيعية من الخطابية، والبشيرية زمن الكاظم التي ذكرها علماء الفرق؛ انظر مطلب: ولاية الحسين التكوينية والتشريعية في الفصل الثاني من هذا الفصل، ص٣٢٥ من البحث.

(٢) يشير ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة، ٤/ ٥٢٢، إلى أن مصطلح الإمامية ومقالتهم لم تكن مشهورة زمن الدولة الأموية، وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ١٠٦.

(٣) الإمامة عند أهل السنة مرادفة للإمارة والخلافة والولاية والملك والسلطان من غير نص ولا وصية ولا عصمة، وقريب منه مفهوم الإمامة عند الخوارج والزيدية والمعتزلة (الوعيدية)، وهؤلاء لا يقرون بالإمامة إلا لمن ظهر منه اجتناب الكبائر، وإلا وجب الخروج عليه وخلعه، لبطلان إمامته، وذلك بناء على مذهبهم في مرتكب الكبيرة، بخلاف أهل السنة الذين يقرون ولاية من وقعت منه الكبائر وإمامته، ولا يرون خلعه والخروج عليه لذلك، ما دام محافظاً على شعائر الإسلام الظاهرة، وحامياً لحوزة المسلمين، وذلك جمعاً بين نصوص الشرع المطهر.

بأدلة نقلية وعقلية[١]، ولذا يرون أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها من طريق العقل، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا[٢]؛ وهذا معنى قد يكون بعيداً عن مقصود مخالفيهم من أهل المقالات من السنة، الذين يجتهدون في مراعاة ظاهر الشريعة عند تطلب العدل.

عقيدة الإمامة هي أحد الأصول الخمسة لطائفة الإمامية[٣]، بل هي أبرز هذه الأصول

---

(١) وأحياناً تقرر الإمامية المعاصرة ما يوحي بأن الإمامة ليست من ضروريات الدين، بل هي من ضروريات المذهب فقط، ويكثر هذا عند حديثهم مع الخصوم، الذين يقررون أن الشيعة الإمامية الاثني عشرية تكفر المخالفين لها في الإمامة، ومثل هذا التدليس والتزوير ما يقرره بعض الكتاب الشيعة من أن موضوع الإمامة (الإلهية) أمر مجمع عليه بين السنة والشيعة، وأن السنة تراه بالاختيار والشورى، لا بالنص الإلهي، وهذا نوع من الإيهام والتلبيس، فالسنة تنكر الإمامة -بالمفهوم الشيعي- التي هي امتداد للنبوة، بل ترى أن هذا المفهوم ضلال وبدعة شنيعة منكرة، انظر مثالاً لذلك: كتاب المراجعات، لعبد الحسين شرف الدين، ومقدمة كتاب (العلويون بين الغلو والفلسفة والتصوف والتشيع)، علي عزيز إبراهيم، ط١، ١٤١٥هـ، مؤسسة الأعلمي – بيروت؛ وقدم له الداعية الشيعي المشهور في لبنان محمد مهدي شمس الدين، وأشار إلى أصول الإسلام الجامعة: التوحيد، والنبوة، والمعاد، ولم يذكر منها الإمامة، ولا ضمن حديثه عن النبوة، والتي تعد الإمامة امتداداً لها، ومثله اختيار بعض من كتب في تاريخ الشيعة تعريف ابن حزم لهم في الجانب الاصطلاحي، وتعلقهم به.

(٢) عقائد الإمامية، ص١٢٠، ١٣٣، محمد رضا المظفر، ت/ ١٣٨١هـ، ت. د. حامد حفني داود، انتشارات أنصاريان – قم، ومعتقدات الشيعة، ص١٦٦، علي حسين يوسف مكي، ط١، ط ١٤٢٨هـ، بدون ذكر دار النشر وبلده.

(٣) كما أن للإمامية نوع استقلال في هذه المسائل فإنه وقع لهم فيها .أيضاً. اضطراب بسبب أصل الإمامة، الذي وقع لهم في مقابل ما نسبوه من الأخبار إلي الأئمة، وبسبب تعظيمهم لها، فاضطروا لذلك إلى مخالفة المعتزلة في بعض أصولهم الخمسة: (التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، ومن الغريب الطريف أن أحد مدلسي. الإمامية ومراجعهم يحاول مباعدة التقارب بين الإمامية والمعتزلة، بدعوى أن التقارب والتوافق كان أظهر بين الإمامية والأشاعرة، انظر: أعيان الشيعة، ١/ ٢٢، ولعل جانب تعظيم الأخبار عند الفريقين مدخل لهذا الجانب، ومنها الموافقة في بعض مسائل الصفات والشفاعة، لكن الأشاعرة لا تعظم الأحاديث المكذوبة، ولجملة منهم عناية مشهورة بصحة الأحاديث وبأسانيدها، بل صرح إمام الأشاعرة بذم الرافضة الإمامية، والغلاة من الصوفية الذين وصل بهم الحال إلى القول بالحلول، وأنهم أتوا من أهوائهم، فما استحسنته جعلوه ديناً، انظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ٨١-٨٢، والفصل، ٤/ ٥٣.

وأهمها، بل هي موضع مفارقتها لطوائف المسلمين، وذلك على قدر مراتبها الثلاث السابقة، وأصول الإمامية خمسة: (التوحيد، والنبوة، والإمامة، والعدل، والمعاد)[1]، وفي اثنين منها وافقت المعتزلة، والثلاثة الأخرى ترجع إلى أحدهما، وهو الذي أفردوه بالذكر لتعلقهم برواية الأخبار، وأما المعتزلة فأصولهم الخمسة هي: (التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[2].

نستطيع أن نصف هذه المرحلة من الإمامة بأنها الإمامة والإمامية العقلية التي لم يتحرر بعد موقفها من مرويات الغلاة، واكتفت بجامع يجمعها هو النص والعصمة، ووصف الإلهية المضاف إليها هو وصف متأخر، تأثر بالجانب التراكمي للأخبار والعقائد الباطلة، حتى أصبحت الإمامة نبوة دائمة، ثم استحالت إلى إمامة باطنية، واختلاط التراث بغيره أبقى مجالاً لعودتها، أو عودة بعض أفكارها من جديد في فترات متفرقة، من أشهرها فترة النزاع المشهور بين الأصوليين والأخباريين، ثم في الصراع القائم بين الحوزات، ومن رموز الصراع المعاصر المرجع اللبناني محمد حسين فضل الله[3]، الذي يتبنى تصحيحياً جديداً، أشبه بالمذهب الكلامي القديم، ويسميه بعضهم: علم الكلام الجديد[4].

---

(١) الرسائل العشر، الطوسي، ص١٠٣.

(٢) انظر ص٢٩٣ من البحث.

(٣) محمد حسين بن عبد الرّؤوف فضل الله، وُلِد ونشأ في النّجف، (١٣٥٤- ١٤٣٢هـ)، وأصله من بلدة عيناثا بلبنان، تتلمذ على: أبي الخوئي، ومحسن الحكيم، والشاهرودي، ومن تلاميذه: حسن نصر الله، ونعيم قاسم، ومن كتبه: نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية، فقه الشريعة (الرسالة العملية)، ومع الحكمة في خط الإسلام، وفي بعض الفترات عد المرشد الروحي لحزب الله اللبناني، وأعطي مرتبة المرجعية، فكان له أتباع ومقلدون، ثم شن عليه عدد من المراجع الشيعية هجوماً، كالتبريزي، والخراساني، وحرموا تقليده وكتبه، بسبب مواقفه من الولاية التكوينة، وقصة كسر الضلع، وسب الصحابة، حتى سحبت منه الدرجة العلمية، انظر: موقع: بينات، السيرة الذاتية، على الرابط التالي:
http://arabic.bayynat.org.lb/sira/

(٤) علم الكلام الجديد: علم في دراسته وموضوعاته يتناول المسائل الأخلاقية والحقوقية والاجتماعية إضافة إلى العقائد الإلهية، يزعم أصحابه أن سببه ومبرره هو سبب ومبرر علم الكلام القديم الذي حدث بين المنتسبين للإسلام، وهو الإجابة عن الشبهات التي تعرض أمام الإسلام؛ وعلم الكلام الجديد مرحلة ثالثة بعد مرحلة =

٤- **الإمامية الباطنية العرفانية**: وهي التي تثبت إمامة الأئمة الاثني عشر، وأن إمامتهم من جنس ولاية الأولياء، كما عند الصوفية، وهذه الإمامية الباطنية هي جامعة لمقولات الغلو السابقة، وتظهر بدعوى الحلول والاتحاد، أو التناسخ، أو دعوى الوصاية والباب والمهدوية، أو الناطق والصامت، أو الظاهر والباطن، أو العلم اللدني، هذا فضلاً عن دعوى النبوة، أو الألوهية الصريحة، أو القول بوحدة الوجود، أو الحلول والاتحاد والتناسخ، واعتقاد سقوط التكاليف الشرعية، ومثلها القول بالولاية التكوينية والتشريعية.

من فرق الإمامية الباطنية فرقة الركنية الشيخية، التي تجعل الدين والإيمان أربعة أركان: الله، والنبي، والإمام، والولي، وسموا بالركنية لجعلهم الولي ركناً[(١)]، وهذا المعنى يتكرر ظهوره في طوائف الغلو من الشيعة منذ نشأتها إلى يومنا هذا.

من صور التقاء التشيع والتصوف في مثل هذا الموضع أن بعض زعماء الطرق الصوفية ادعى أنه الإمام الثالث عشر، ويأتي في الترتيب بعد الغائب، ومن أولئك الرفاعية التي تبدأ احتفالها بطقوس الطريقة بعد يوم عاشوراء مباشرة[(٢)]، وهم بذلك يشابهون من صرح بوجوب الإيمان بالركن الرابع، إضافة إلى الإيمان بالله والنبي والإمام، كما عند فرقة الركنية من

=

الكلام الأولى، ثم مرحلته الثانية حين امتزاجه في الفلسفة التي تمت عند الشيعة على يد الخواجه نصير الدين الطوسي؛ وهذه المراحل الثلاث مسبوقة بعلم الكلام المسيحي قبل الإسلام.

من مفاهيم هذا العلم: تجديد الخطاب الديني، وإنسانية الدين، وهذا المصطلح ظهر للمرّة الأولى بين المتكلمين الإسلاميين عنواناً لكتاب العالم الهندي المسلم شبلي النعماني، وهو متأثر بالطرح العقلاني، وممن له طرح حوله وحيد الدين خان الهندي، وحسن حنفي، وكتب حوله عبد الجبار الرفاعي كتاب: الاجتهاد الكلامي .مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، وله مقال حوله في موقع نصوص معاصرة، وهو على الرابط التالي:

http://www.nosos.net/main/pages/news.php?nid=378

(١) انظر: الشيخية (نشأتها وتطورها ومصادر دراستها)، ص٢٢٥، محمد حسن آل الطالقاني، ط١، ١٤٢٨هـ، مكتبة المعارف - النجف، دار الكتاب العربي - بغداد.

(٢) انظر: ص٧٥٠، ٧٥٧ من البحث، وهناك إشارة للفرق الصوفية المتشيعة، أو الشيعية المتصوفة، وقد خصصت مبحثاً في الباب الثالث لتأثير التصوف على التشيع، ومن أبرز مظاهره الحسينيات وطقوسها.

الشيخية التي تقدم ذكرها.

علماً أنه مع تقارب التصوف والتشيع إلا أنه من المهم أن نذكر أن من أسباب النزاع الشديد بينهم هي مسألة الرفض، وبالأخص سب الشيخين وتكفيرهما، والنزاع الذي حصل بين الإمامية والصوفية في الدولة الصفوية هو بسبب فرض سب الشيخين علناً، وهو أمر لم تقره كثير من فرق الصوفية، إذ ترى أن إمامة آل البيت إمامة باطنية، لا دنيوية، ولذلك لم يلتزموا تكفير من تقدمها في الإمامة الظاهرية "الخلافة"، بل لربما تمنوا من آل البيت ألا يكون لهم حظ فيها، بناء على قولهم في التجرد والسلوك الصوفي[1].

٥- **الإمامية الحسينية**: وهي امتداد للإمامية الباطنية العرفانية، إلا أنها تعنى بالدعوة والدعاية لولاية الحسين التكوينية والتشريعية، وتبرزها بشكل ظاهر، حتى ظن اختصاصه من بين الأئمة الاثني عشر بولاية خاصة، حتى طغى الغلو في الحسين على الغلو في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حتى أصبح الغلو في الحسين - بدعوى التشيع الحسيني - من وسائل الدعاية للثورات وإقامة الدول، فهو من معالم بروز معنى الخروج من خلال دعوى المحبة والولاية الحسينية، وجاءت هذه المعاني الباطنية الصوفية الشيعية جلية في مثل موسم عاشوراء، الذي يعظم فيه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى صار تعظيمه شعاراً ملازماً للمذهب، وتعلق الأتباع بشعاراته طوال العام، حتى صح أن تكون الحسينية مسمىً جديداً للمذهب، ومرحلة من مراحل الإمامة والإمامية[2]، حيث اصطبغ كثير من واقعها الاجتماعي باسم الحسين، حتى عرفت نواديها الخاصة بالحسينيات، وعظموها أشد تعظيم، حتى ضاهوا بها المساجد، وأوقفوا لها الأوقاف،

---

(١) انظر ص٧٦٤ من البحث.

(٢) وعليه فتكون مراحل الإمامة والإمامية خمسة، خامسها الإمامية الحسينية، والتي هي في واقعها نمط من أنماط الإمامية العرفانية، وعلى ما سبق عرضه فالإمامية مرت بخمس مراحل:

١- الإمامية المفضلة.
٢- الإمامية السبابة اللعانة (الرافضة).
٣- الإمامية الإلهية.
٤- الإمامية العرفانية الباطنية.
٥- الإمامية الحسينية.

وأصبحت موضعاً للغلو، تجمع عدداً من صوره.

عشق الحسين هو نوع من العشق الذي لدى المتصوفة، هذا إضافة إلى روح الخروج والسيف، الذي قلب المذهب من الانتظار والغيبة إلى القطع والظهور، وبينما كان الفقهاء ورواة الأخبار ينوبون عن الإمام نيابة صغرى ظهر مفهوم الولي الفقيه، أي: الولي الذي ينوب في أمر الباطن، والفقيه الذي ينوب في أمر الظاهر، وتطور هذا المفهوم بعد الانقلاب الصريح للمذهب الذي شَرَّع جواز قيام الحاكم الشيعي مقام الإمام المنتظر، وذلك بمباركة الولي الفقيه، كما حصل في الدولة الصفوية، إلى أن وصل الحل به أن يسعى هو مباشرة إلى تولي الحكم، حتى أصبح "الولي الفقيه" إماماً معتبراً، أو قائماً مقام الإمام ــ على سبيل التورع ــ، ولا حاجة إلى الانتظار، أو القلق من طول غيبة المهدي؛ ولكن كل ذلك باستغلال مفهوم الإمامية الحسينية الباطنية.

بهذا تجتمع النيابة الباطنية والنيابة الظاهرة في أحد نواب الأئمة، ويغلب أن يكون في مراجع المذهب العظام، ومن يعرف بآية الله العظمى، والذي أصبح في الزمن المعاصر نائباً ظاهراً ناطقاً، قائماً بالخروج، وتولي مقام الإمام، ولعل أول من تنطبق عليه هذه المرحلة هو آية الله العظمى الخميني، ومن توسعت العبارة له حتى أطلق عليه (الإمام الخميني)، والذي لم يطلق على رموز المذهب السابقين، والذين نالتهم أوصاف أخرى، كالمجدد، والمحقق، والعلامة، وشيخ الطائفة، والوحيد، والمقدس، ونحوها.

وبعد فبهذا العرض يمكنني أن أُذَكِّر أننا تعرفنا على خمس مراحل مرت بها الاثني عشرية؛ ويظهر أنها مراحل يمكن تطبيقها على بقية طوائف الإمامية، لاشتراكها في الغلو والقول بوجوب الخروج في الأصل.

❀❀❀❀❀❀

المطلب الثاني

أسماء الإمامية الاثني عشرية

تطلق عدة أسماء وأوصاف على الإمامية الاثني عشرية بعد تلك المراحل السابقة، وهي أسماء لأسلافها قبل اكتمال مفهومها، يضاف إليها وصفين وشعارين ينطبقان على واقعها السابق واللاحق، كثر تخصيص إطلاقهما عليها، وإن كان يشاركا فيهما شيعة آخرون، وهي عدة أسماء وأوصاف، أبتدأ بذكر أسماء "الإمامية الاثني عشرية" ما يلي:

١- **الشيعة:** ومنها المشايعة والمناصرة والمتابعة، وتشايع القوم أصبحوا شِيَعاً "بفتح الياء"، وفرقاً، ولا يلزم اتفاقهم[(١)]، بل قد يكون ذلك الوصف ذماً، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[(٢)]، كما أنه يرد فيما ليس كذلك، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[(٣)].

أطلقت لفظة الشيعة في الزمن الأول على من تابع علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مقابل شيعة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وشيعة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغلب الاسم حتى أصبح علماً على المنتسبين لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإن كان منهم من الزنادقة الخارجين عن الإسلام، وانضاف إليهم عقائد مبتدعة دون ذلك، وهو في أصله نشأ زمن الاختلاف الذي وقع زمن الفتنة بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أمر طبعي، ازداد مع المحن والمقاتل التي وقعت لذرية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى دخل على التشيع مؤثرات أخرى أصبحت ملازمة له، كالعصمة والنص ومنها سب الصحابة أو تكفيرهم، ورفض خلافة الشيخين أبي بكر وعمر[(٤)]، هذا فضلاً عن تفضيل علي عليهما ـ

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، ٣/ ٤٠، مادة: شيع، ولسان العرب، ٨/ ١٨٨، مادة: شوع.

(٢) الروم: ٣١- ٣٢.

(٣) القصص: ٤.

(٤) بتصرف عن: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٨٨.

رضي الله عن الجميع ـ، وهذا يعده متقدمو شيعة علي خروجاً من التشيع[1]، وهو بداية انحراف التشيع إلى فرقة مبتدعة لها عقائد فارقت بها المسلمين، فأصبحت بعد تشيعها شيعاً يكفر بعضها بعضاً، وإن كانت تدور حول إمامة علي وذريته، وأصبحت علماً على فرقة فارقت جماعة المسلمين وسنة نبيهم.

اسم الشيعة اسم واسع لا تستقل به طائفة دون أخرى، وقد تدعيه بعضها لتعمي به بدعتها التي يشنع بها عليها، ولكثرة إطلاقه على من يشترك في معنى من معانيه فإنه لا يتميز المقصود به، وخاصة في باب الفرق، إضافة إلى أنه قد يدعيه من يدعيه من باب التزكية، وللطعن واتهام مخالفيه.

علماء الفرق ـ كما سبق ـ يقسمون الشيعة إلى ثلاث فرق: الزيدية، والإمامية "الرافضة"، والغلاة الباطنية[2]، وبعضهم يفرد الكيسانية بفرقة[3]، وبعضهم يفرد ـ أيضاً ـ الإسماعيلية عن الغلاة[4]، كما سبقت الإشارة إلى ميل البعض إلى أن الغلو الشيعي لم يرتبط بالإمامية الاثني عشرية إلا بعد منتصف القرن الثاني الهجري، ولعل مصطلح الإمامة ـ فضلاً عن الإمامية ـ لم يستقر إلا بعد وفاة جعفر الصادق ـ رضي الله عنهما ـ، وهي مرحلة البداء الثاني، وكأن أوائل الإمامية قعدة في مقابل الزيدية الثائرة على الدول القائمة، وهذه في الإمامية عموماً،

---

(١) انظر: منهاج السنة، ١/ ٧.

(٢) راجع ص١٨ من البحث.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ص٢١، ويؤيد هذا التقسيم الدكتور سليمان السلومي، حيث يرى أن الكيسانية تختلف عن الإمامية الرافضة من جهة موقفها من أبي بكر وعمر، خلافاً للأشعري وابن حزم اللذين عداها من الرافضة، انظر: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ١٩، وشيخ الإمامية المفيد يجعل الكيسانية من الإمامية، لكنها من أول من شذ عنها، والسمعاني يعد الإمامية من الغلاة، كما يدخل فيها من باب أولى الإسماعيلية، انظر: أعيان الشيعة، ١/ ٢٠، كما أن الأشعري والشهرستاني يعدان بعض الفرق التي تسوق الإمامة في ابن الحنفية، وابنه أبي هاشم، ثم في علي بن الحسين، أو ابنه محمد، ثم في محمد بن عبد الله بن الحسن النفس الزكية؛ يعدان هذه الفرق من الغلاة.

(٤) سبقت الإشارة إلى من جعل مقالة الإمامية تظهر بعد اختلافهم في الإمام الرابع، راجع ص١٨ من البحث.

فيدخل فيهم كل من قال بعصمة الإمام والنص عليه، كالإسماعيلية[1].

٢- الرافضة[2]: الرفض يتجلى ويتأكد في سب الشيخين أبي بكر وعمر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، وتفسيقهما، وتكفيرهما، وإبطال إمامتهما، وهو أمر فوق التوقف في تقديمهما وتفضيلهما على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو قبول ولايتهما مع تفضيل علي عليهما، أو تصحيح بيعة الشورى والاختيار، وفوق القدح في بقية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، في مقابل الترضي المنسوب إلى الزيدية، لبدايته من زيد بن علي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ حينما ترضى عن الشيخين[3]، فالميل إلى ولاية آل البيت ـ وخاصة البطنين[4] ـ مع الترضي على الشيخين "زيدية"، وما عداه يسمى رفضاً، وتوسع بعض العلماء فنسبوا طوائف الغلو والتأليه إلى الرفض[5].

---

(١) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج الشيعة"، ص١٦١ـ ١٦٢، ويشير الباحث في عرضه للتشيع أن التشيع اتخذ أطواراً مختلفة، ومذاهب متغايرة، وأن الغلو في الشيعة لم يتمكن إلا في القرن الثاني زمن الهشامين: ابن الحكم، والجواليقي، لأن أغلب أسانيد النص والوصية تنتهي عند جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) يختلف علماء الفرق في تسمية فرق الشيعة بالرافضة ما بين معمم ومخصص، حسب تعريفه للشيعة، انظر: الفرق بين الفرق، ص ٢١، وموقف الأئمة الأربعة، وأعلام مذاهبهم من الرافضة، ١/ ٩١، عبد الرازق عبد المجيد الأدو، ط ١، ١٤٢٦هـ، دار السلف .الرياض، والمؤلف يسمي فرق الشيعة بعد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالرافضة، وهي: (زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة)، وأرى أن هذا الإطلاق محل نظر.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ٨٩، والملل والنحل، ١/ ١٨١، والفصل، ٤/ ٩٠، وأغرب ابن حزم بذكره أن بعض أهل السنة يفضل علياً على الشيخين، فقال: (قال أبو محمد: اختلف المسلمون فيمن هو أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام فذهب بعض أهل السنة وبعض أهل المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة إلى أن أفضل الأمة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب، وقد روينا هذا القول نصا عن بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعن جماعة من التابعين والفقهاء)؛ كما أنه سبقت الإشارة إلى هذه المسألة قريباً، وانظر: منهاج السنة، ١/ ٢١، ٢/ ١٣٠.

(٤) يفسر بعض المصنفين الرفض بأنه عدم القول بإمامة المفضول، على أن بعضهم لا يقول بهذا، انظر الملل النحل، ١/١٨١، عند حديثه عن شيعة الكوفة، ولم يذكر هذا الاسم عند حديثه عن الإمامية، ونقله عنه الدكتور أحمد محمد جلي في كتابه: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة، ص١٨٠، ويقول ابن حزم: (إن الثابت عن الحسن بن صالح هو أن الإمامة في جميع قريش، ويتولون جميع الصحابة إلا أنهم يفضلون علياً على جميعهم)، انظر: الفصل، ٢/ ٢٦٦، والحسن بن صالح بن حي هو من تنسب إليه الصالحية من الزيدية، وسيأتي له ذكر -بإذن الله-؛ انظر ص ٩٥٦، ٩٦٧، ١١٣٤ من البحث.

(٥) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٩٦.٩٧، ١٠٠.

مما قيل: أنهم إنما سموا أولئك رافضة لرفضهم إمامة النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى[١]، حيث إن الشيعة بعد وفاة محمد الباقر مال بعضهم ـ وهم المغيرية ــ إلى إمامة النفس الزكية، وسموا من رفض قولهم ومال إلى إمامة جعفر الصادق بالرافضة، وعليه فالجعفرية رافضة مقابل من خالفهم من الشيعة والإمامية[٢]، وقيل: إنما سموا رافضة لرفضهم الدين، ولطعنهم في الصحابة، مقابل الغلو في علي، كما ورد في بعض الأحاديث والآثار[٣]، على أن من الرافضة المتأخرين من جعل هذا الاسم مدحاً[٤].

على ما سبق فالرفض ظهر في القرن الثاني الهجري، وعلى القول الآخر فهو مرتبط بالسبئية في عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالقدح في الشيخين نسب إليها، إضافة إلى قول طوائف من الخوارج وغلاة الشيعة بتكفير جملة من الصحابة، كتكفير عثمان والمطالبين بدمه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والوصف بالرفض وصف بلازم القول، لا بأصله[٥]، وهو القول بالإمامة، هذا من دون النظر إلى أقوال الغلاة، على أنه يلحظ أن اسم الرافضة جمع بين كونه نشأ بين شيعة علي في الكوفة، واتصافهم ــ مع المشاركة في الفتنة ــ بالغدر بآل البيت، بعلي، وبالحسين، وبزيد، صلى الله على النبي وآله وسلم.

إن وجود الاختلاف بين علماء الفرق في تصنيف الفرق من جهة القول بالإمامة والقول

---

(١) انظر: تاريخ الإمامية "تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة"، ص٧٥، د. عبد الله فياض، ط٣، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الأعلمي. بيروت، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ١٠٩، ١١١.

(٢) انظر ص٢٥٥، ٢٥٦ من البحث.

(٣) انظر: السنة، لعبد الله بن أحمد، ح/ ١٢٦٨. ١٢٧٢، والسنة، لابن أبي عاصم، ح/ ٩٧٨. ٩٨١، وغالبها تروي عن علي بأسانيد ضعيفة، ورواتها شيعة، وهذا من الغرائب، وانظر: العلل المتناهية، ابن الجوزي، ١/ ١٦٣. ١٦٧.

(٤) تاريخ الإمامية، ص٧٥، وذكر تأويلاً لهذا الاسم، ونقل أخباره عند قومهم.

(٥) قد سبقت الإشارة إلى الخوارج من الشيعة، وعلاقة الخوارج بالتشيع، وذلك عند الحديث عن الإمامية السبئية "الرافضة"، وهو يوحي بسبب ثالث لاسم الرافضة، وهو أنه اسم لجماعة من الخوارج، لا من الشيعة، وأن الرفض من أسباب بقاء الخلاف شديداً بين الصوفية والإمامية مع تشيع الفريقين لآل البيت، راجع ص٧٨-٨٣ من البحث.

بالرفض هو مما يؤكد أن مقالات الكيسانية حملت عندهم على الغلو، لخروجها بالإمامة إلى التأليه والنبوة، أو لعدم القول بإمامة علي بن الحسين؛ وعند آخرين حملت على إمامة غير البطنين، كإمامة ابن الحنفية، ولعل من أسباب هذا الاختلاف أن مقالة الرفض ليست هي أساس قول الغلاة، بل هي مما لحقها وألزمت به، أو أنه هو مما التزمته من بعدها الفرق المتفرعة عنها، وذلك فإن بعض المصنفين لا يعدها من الرافضة التي تسب الشيخين، بدعوى أن الرفض عرف في آخر الدولة الأموية، بخلاف الكيسانية التي كانت في أولها، كما أن ارتباط الدولة العباسية بالكيسانية من جهة أبي هاشم يدفع وصفها بالرفض، لأن العباسية تحارب هذا الجانب، وحتى في حروبها للعلويين لم تكن تهمة الرفض موضع الخلاف في تتبعهم لهم، وهذا مما يدل على تداخل مصطلحات: الشيعة والإمامية والرافضة عند علماء الفرق من السنة والشيعة الإمامية.

٣- **الجعفرية:** منسوبة إلى جعفر الصادق ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، وهذا في جانب الاعتقاد، وجانب الفقه، والأصل أن الأئمة في الفقه على حد سواء، ولا معنى لهذا الاسم من هذا الوجه، ولعل هذا منهم إشارة إلى كثرة ما روي عنه في الفقه بالنسبة إلى غيره، وفيه دلالة على كثرة الكذب وانتشاره في تلك الفترة وما بعدها، إضافة إلى الغلو في جعفر وتأليهه، كما عند الخطابية(١)، وهذا ما جعل اسم الإمامية واسم الجعفرية موضع اشتراك لطوائف الغلو، ويجعلها دهليزاً(٢) للتشيع والرفض(٣).

الإمامية الجعفرية قسمان: موسوية اثنا عشرية، وإسماعيلية سبعية، وهما تنتسبان إلى جعفر

(١) سبقت الإشارة إليه، وانظر: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ٣٧.

(٢) الدهليز على وزن فعليل، ودهلز ودهاليز: كلمة فارسية، والدهليز: ما بين الدار والباب، إعراب دليج، أو داليج، وهو المخدع والبيت الصغير داخل البيت الكبير، قال الليث: (والدهليز معرب بالفارسية داليز ودالاز)، والدهليز: الجيئة، والجيئة مجمع ومستنقع الماء، انظر: العين، ٤/ ١٢٣، ولسان العرب، ٥/ ٣٤٩، ١١/ ٦١٦، وتاج العروس، ٣/ ٣٧٢، ٨/ ٦٦، وقالوا: المقبرة دهليز الآخرة، والفم دهليز المعدة.

(٣) يقول شيخ الإسلام: (والبدع دهليز الكفر والنفاق، كما أن التشيع دهليز الرفض، والرفض دهليز القرامطة والتعطيل)، جامع الرسائل، ١/ ٢٦١، ابن تيمية، ـت. محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٢٢هـ، دار العطاء ـ الرياض.

الصادق، وتزعم أنه هو الذي رسم مذهبها[1]، فكلاهما إمامية، وكلاهما جعفرية، ومن عقائد السبعية الخاصة أن كل نبي مدة شريعته سبعة أعمار وأدوار، أولها الناطق الناسخ لشرع من قبله (النبي)، وبعده الصامت القائم، وأن السابع جعفر نسخ شريعة النبي، وهكذا كل دور[2]، فبعده دور جديد؛ وممن يتسمى بالجعفرية الباطنية العلوية، كالنصيرية، والبكتاشية، والنوربخشية، وبقية الفرق الصوفية الشيعية الغالية، والتي تمثل المرحلة الرابعة من مراحل الإمامية (الإمامية العرفانية الباطنية).

٤- **الموسوية:** أحد فرعي الإمامية الجعفرية المشهورة الذين قالت بإمامة موسى بن جعفر "الكاظم" بعد أبيه، وهو لقب يشمل جميع الفرق التي اختلفت بعد ذلك ممن لم يصل بها القول إلى إمامة محمد بن الحسن العسكري "المهدي المنتظر، صاحب السرداب"، وهو الذي تختص به الاثني عشرية من بين فرق الإمامية الجعفرية الموسوية، وهي في مقابل الجعفرية الإسماعيلية.

٥- **القطعية:** هم الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر "الكاظم"، وذلك أن الرافضة الإمامية بعد نبأ وفاة موسى الكاظم اختلفوا في وفاته، وفي تعدية الإمامة بعده، وذلك أن له أبناء عدة[3]، أكبرهم علي بن موسى "الرضا"، وهو حين ذاك لم يكن له عقب، فخشوا من انقطاع الإمامة، كما جرى للأفطحية شيعة عمه عبد الله بن جعفر، ومثله الإسماعيلية شيعة عمه إسماعيل بن جعفر؛ فشيعة الكاظم اختلفوا، فمنهم من توقف على إمامة موسى بن جعفر، لغيبته، وعدم موته، وسموا الواقفة، ومنهم من قطع بموته، وحيث لا بد من إمام بعده فأمّوا ابنه علي "الرضا"، فشيعة علي الرضا هم القطعية، واختلفوا بعد ذلك في الوصول إلى إمامة الثاني عشر، فليس كلهم اثنا عشرية.

على ذلك فالقطعية موسوية، وهم في مقابل الواقفة من الموسوية، واشتهروا بالموسوية

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ٤/ ٧٨، والقرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ٨٦.٨٩.

(٢) انظر: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ٦٤.

(٣) ستأتي الإشارة – بإذن الله- إلى أن بعضهم قام بثورات ضد الدولة العباسية، انظر ص٢٦٠ من البحث.

لقولهم بانتظار موسى بن جعفر، وقد يسميهم القطعية بالممطورة، وكلاهما موسوية في مقابل الإسماعيلية، وهنالك من علماء الفرق من لازم بين اسم الاثني عشرية والقطعية، لشهرته، ولاستقرار مذهب الإمامية على قولهم، وجعل الموسوية خاصاً بالواقفة المنتظرة لموسى؛ ومنهم الأشعري، والبغدادي من السنة(١)، وكذلك المفيد من الشيعة، الذي جعل القول بالقطع سمة الإمامية(٢).

على ما سبق فاسم القطعية يصلح أن يكون تاريخاً لبداية مفهوم الإمامة والإمامية الاثني عشرية بفروعها القديمة، وفروعها الباقية المشهورة: الأصولية والإخبارية، وذلك أن مفهوم الإمامة في هذا التاريخ جاء بعد مقولة النص والوصية الأولى السبئية، وبعد مقولة البداء الأولى الكيسانية، وبعد مقالة البداء الجعفرية الثانية، واشتركت الاثنا عشرية والإسماعيلية في الخفاء في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، إلى أن ظهرت عقيدة غيبة الإمام الصغرى والكبرى عند الاثنا عشرية، مقابل الاستتار، أو الاستقرار والاستيداع عند الإسماعيلية؛ ودراسة الإمامية وفرقها على هذا النحو يصلح أن يكون مجالاً للدراسة والبحث، ومما يجدر التنبيه إليه أن بعض الكتاب المعاصرين من الشيعة يستخدم مصطلح "أسلاف الإمامية"(٣)، ولهذا المصطلح مرامٍ، منها توسيع دائرة الإمامية المعاصرة، وإن كان يوحي بغموضها وحدوثها من جهة أخرى، وأنها ملفقة من مذاهب شيعية مختلفة؛ ولكن هذا التوقيت قد يصلح لتمييز ما يصح أن ينسب من تلك الفرق إلى أسلاف الإمامية، من غيرها.

٦- **الاثنا عشرية:** وهي تجمع بين النص والوصية والعصمة والتسلسل، والغيبة التي هي أهم العقائد التي ختمت بها الإمامية، والغيبة عندهم صغرى وكبرى، وأخص مراحلها كان

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ٩٠، ١٠٣. ١٠٤، والفرق بين الفرق، ص٦٣. ٦٤.

(٢) انظر: أوائل المقالات، ص٤٢، وفرق الشيعة، النوبختي، ص٧٩، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ١٠٦، ح/ ٦، وذكر د. القفاري أنهم سموا قطعية لقطعهم بإمامة موسى، ولعله سبق، وصوابه: علي بن موسى.

(٣) ممن رأيته يكثر من هذا المصطلح عبد الله فياض، ويدل عليه عنوان كتابه: تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة.

في وضعها الأخير "الكبرى"، وبها استقرت الطائفة تحت اسم الإمامية الاثني عشرية.

الاثنا عشرية عند أهل الفرق هي من فرق الإمامية الرافضة، وقد كانت تسمى بالقطعية ـ كما سبق ـ، وهم جمهور الإمامية اليوم في الظاهر، كما أنه غلب على الاثني عشرية اسم الإمامية عند الإطلاق، كما أن اسم الرافضة ملازم لهم، لأنه لازم قولهم بالإمامة الإلهية، ولا يتصور منهم ترضي على الصحابة وخاصة الشيخين إلا بتركهم لقولهم فيها، هذا عدا ما كان من التقية[١].

أوصاف الإمامية:

ثمت وصفين للإمامية الاثني عشرية هما بمنزلة الأسماء شهرة وتعلقاً، وهما:

١- **أصحاب الانتظار والغيبة:** وهو أخص أوصاف وأسماء هذه الطائفة، وليس اسماً دارجاً، فيذكر الأصفهاني الإمامي أن من أخص الأوصاف بالإمامية وصف الغيبة؛ فهذه المسألة أحدثت للمذهب أصولاً ومسائل لم تكن عند غيرهم، وأطالت حيرتهم وانتظارهم، حتى أصبحت مفتاحاً لمسائل كثيرة، كوجوب معرفة إمام غائب ليس له نائب، وأن الغائب مفترض الطاعة مع غيبته، وأن عنده الحقائق والأسرار، وأنه لا يجوز عقد طاعة وبيعة قبل ظهوره[٢]؛ وقد يكون هذا المسمى والمفهوم (أصحاب الانتظار والغيبة) لدى الإمامية هو سبب لتكثرهم بمخالفيهم الذين فارقوهم في تعدية الإمامة، وإدراجهم تحت مسمى (أسلاف

---

(١) يشتبه بهؤلاء حال بعض من ينسبون إلى الرجعة من رواة الحديث، ومنهم من له رواية في الكتب الستة، ومن آخرهم من أدرك مرحلة القطعية، والتي تستغرق النصف الأول من القرن الثالث، (٢٠١- ٢٥٠هـ)، ويظهر أن رؤية أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل من السنة إلى صفة الصدق والكذب أنها هي الأهم في شروط قبول الرواية والرواة، وخاصة في غير ما يتهمون فيه، مما يؤيد بدعتهم، ولكن مما يحسن التذكير به أن هذا المصطلح (القطعية) لم تبرز في كتب الجرح والتعديل، وقد حصرت بعض الرواة المنسوبين إلى القول بالرجعة، الذين لبعضهم رواية لأحاديث عاشوراء في الصوم والتوسعة وغيرهما، ورأيت أن ثمت فكرة تتعلق بتشيعهم، وهو الخروج والسيف تحت شعار المهدي، وهي ربما تكون غير مفهوم الرجعة السبئية، والذي يكون محصوراً في قعدة الشيعة، لا خوارج الشيعة، وفي الباب الرابع بحث موسع عن هذا الجانب، عند الحديث في الافتراق العقدي بعد عاشوراء.

(٢) انظر: مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم، ميرزا محمد تقي الأصفهاني، ت / ١٣٤٨هـ، ٢/ ٢٢٥.

الإماميـة)، بجـامع إقـرارهم بأصـل الإمـام وغيبتـه، وقـد يكـون هـذا الاسـم غطـاء للباطنيـة العرفانية، التي تشابه في ذلك مفهوم الولاية عند الصوفية.

بفصل القطعية عن جمهور الشيعة السابقة يمكن أن نجعل الشيعة بعد مصطلح القطعية، وبعـد خفـة كثـير مـن حركـات الخـروج في بغـداد عاصـمة الدولـة العباسـية، أو بانحيـاز هـذه الحركـات إلى مواضـع وبلـدان بعيـدة عـن هـذه العاصـمة؛ أن نجعـل الشـيعة اتجهـت اتجـاهين: الأول: اتجاه الخارجين من الشيعة، وفيهم الزيدية، وبعض من لديه رفض ممن يرى السيف من الشـيعة؛ وأمـا الثـاني: فهـم قعـدة الشـيعة، مـن الإماميـة القطعيـة الـذين قـالوا بالانتظـار، ثـم بالغيبتين: الصغرى والكبرى.

٢- الحسـينية: وهـو شـعار وليس اسماً، فلـم يتسـموا بهـذا الاسـم بعـد، ولم يسـموا بـه، بـل أطلق على عدد من الفرق والمقالات أغلبها ليست من الاثني عشرية[1]، لكنه يكثر عندهم

(١) الحسينية مقولة واسم لعدد من الفرق والمقالات ذكرت في كتب الفرق بهذا الاسم والوصف إما لغلوها في الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو لمقالة تتعلق بها، أو نسبة لرجل اسمه الحسين، ولمناسبة هذا الاسم فأذكر منها ما يلي:

١- فرقة الخطابية من الغلاة، قالوا في ذرية الحسين: إنهم ولد الله وأبناؤه، وزعيم الخطابية أبو الخطاب ألـه جعفر الصادق على وجه الخصوص، انظر: مقالات الإسلاميين،١/ ٧٧، والقرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ٢٨، ٣٠، ٣٦. ٣٧.

٢- فرقة من الغلاة، قالت إن روح القدس هو الله، وقد حل في النبي والأئمة الاثني عشر، ومنهم الحسين، وآخرون ألهوا أصحاب الكساء، ومنهم الحسين، انظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ٨٢. ٨٣.

٣- هنـاك مـن قـال وادعـى ألوهيـة أصـحاب الكسـاء الخمسـة: محمـد وعـلي، وفاطمـة والحسـن والحسـين، (ويقولون: فاطم بالتذكير)، أي الترخيم، وقالوا: خمستهم شيء واحد، والروح حالة فيهم بالسوية، انظر: الملـل والنحـل، ١/ ٢٠٧، والمقـالات والفـرق، القمـي، ص٥٦، والتشـيع السـياسي والتشـيع الـديني، ص٧٨، أحمد الكاتب، ط١، ٢٠٠٩م، الانتشار العربي – بيروت.

٤- فرقة الإسحاقية "النصيرية"، قالت: إن علياً هو الله، وأنه يظهر في الحسن، كما ظهر في الحسين، انظر: معجم الفرق الإسلامية، ص٢٩.

٥- قول لبعض الشيعة، ومنهم النصيرية بأنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ما كانا أولاد علي، بل أولاد سلمان الفارسي، في مقابل طائفة من النواصب نسب إليهم التوقف في نسبة الحسين إلى فاطمة، انظر منهاج السنة، ٤/ ٣٦٧- ٣٦٨.

٦- فرقة من الجارودية الزيدية، فمنهم من قال: إن علم ولد الحسن وولد الحسين كعلم النبي، وهو يجري لهم فطرة، لا تعلماً، هذا وإن جوزوا أخذ العلم عن غيرهم، أو إن العلم مشترك بينهم وبين غيرهم، وهم =

=

بخلاف البترية الذين قالوا: من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين، وكان زاهداً شجاعاً فهو الإمام، انظر: الملل والنحل، ١/ ١٨٥.١٨٩.

٧- فرقة من الزيدية، تعرف بالحسينية: تنسب إلى الحسين بن القاسم العياني، من أئمة الزّيديّة، ت/ ٤٠٤هـ، لأنها تغلو فيه، يقول ابن الوزير: (قد صحّ تواتر أنّهم يفضّلون الحسين بن القاسم على الرسول ﷺ)، وقرن ذكرهم بالمطرفية من الزيدية، وهم وضاعوا الزيدية، وذكر أن من الزيدية من كفر الحسينية، انظر: الروض الباسم، ١/ ٢٤١، ولعل هذه الفرقة هي التي أرادها النوبختي الشيعي، انظر: نشوء المذاهب والفرق الإسلامية، ص٤٩، حسين الشاكري، ط١، ١٤١٨هـ، بدون ذكر دار النشر، والحسينية إن شاركت في وضع الأحاديث لبدعتهم فهم يذكرون بالإخبارية من الإمامية، وما حشوا به كتب الأخبار والرواية من الوضع والكذب.

٨- فرقة من الرافضة تجوز وجود إمامين في زمن واحد، أحدهما صامت، والآخر ناطق، كالحسن والحسين، انظر: الملل والنحل، ١/ ١٨٨، ولعل على مثلها اتكأت حركة أبي مسلم الخراساني، ودول القرامطة والعبيدية وسائر الإسماعيلية، وهي من الأفكار التي تأثرت بها فكرة ولاية الفقيه، ونيابته المطلقة، والتي جعلت الفقيه كالإمام الناطق، وإن كان ذلك ليس بالصراحة المتناهية، إلا من جهة لفظ النيابة، ومن جهة إطلاق اسم الإمام على المرجع الأعلى من الفقهاء الأحياء، وإن كانوا يقرون الطائفة على جنس مذهبهم الاثني عشري القديم.

٩- مقولة رجعة الحسين، وأنه لم يمت، وإنما قتل شبيهه، وهي مقولة ذكرت في سياق إلزام من قال برجعة النفس الزكية، وأنه لم يمت، وإنما قتل شيطان تصور بصورته، انظر: الفرق بين الفرق، ص٥٩.

١٠- مقولة: أن دعوى محبة الحسين والأخذ بثأره توجب شفاعته، فيشفع الحسين لمن صدر منه كفر وغلو، والكذب على الأئمة، فالمختار يكذب على علي بن الحسين، وذكر الخوئي أن بعض العلماء ومنهم المجلسي مع قولهم بدخول المختار النار إلا أنه يخرج منها بشفاعة الحسين، انظر: معجم رجال الحديث، ١٩/ ١٠٣.١١٠.

١١- فرقة من الشيعة أنكرت الإمامة بعد الحسين، قال النوبختي: (وفرقة قالت بانقطاع الإمامة بعد الحسين)، انظر: فرق الشيعة، ص٤٧.٤٨، وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٧٩٦.

١٢- طائفة من الشيعة أنكرت إمامة الحسين، أو شكت فيها، وقالت هذه الطائفة:(قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين، لأنه إن كان الذي فعله الحسن حقًا واجبًا صوابًا، من موادعته معاوية، وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته، مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم؛ فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم، وكثرة أصحاب يزيد حتى قُتل وقُتل أصحابه جميعًا باطل غير واجب، لأن الحسين كان أعذر في القعود من محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية، وإن كان ما فعله الحسين حقًا واجبًا صوابًا من مجاهدته يزيد حتى قتل ولده وأصحابه، فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله، ومعه العدد الكثير باطل، فشكوا في إمامتهما، ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام)، انظر: المقالات والفرق، القمي، ص٢٥، وفرق الشيعة، النوبختي،
=

ويتردد في الفترة المتأخرة، لكثرة ما يطرون الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وينتسبون إليه، حتى أصبح اسمه شعاراً لهم؛ كما أن لانتشار معابد ودور البكاء والحزن والمأتم، وتسميتها بالحسينيات دور في بروز هذا المسمى في الفترة المعاصرة، وكذلك لهتافات التزكية والتلبية، كشعار "الحسينيون"، و"لبيك يا حسين"، ولما يسمونها الشعائر الحسينية، حتى غدت كربلاء قبلة حديثهم، وعاشوراء مشهداً زمانياً، كما كربلاء قبلها غدت مشهداً وحزناً مكانياً؛ ولتفضيلهم كربلاء على الكعبة، وتخصيصهم لتربتها بالسجود؛ ولعل موضوع شعائر عاشوراء ــ موضوع البحث ـ سيجلي هذا المعنى، فأصبحت الإمامية بهذا الوصف الحسيني حتى كأنها دين جديد، استحسنته أهواؤهم.

من عبارات معاصريهم التي تصور التشيع الحسيني قول الإمامي المعاصر حسن الشيرازي: (وكما أن كيان الإسلام كان يحتاج إلى جهود "محمد وعلي والحسين" حتى يستقيم، كذلك الإسلام لا يكمل في قلب ليس فيه محمد وعلي والحسين معاً، لأن تعاليم محمد إنشائية، وتعاليم علي تربوية، وتعاليم الحسين إمدادية، وإذا لم تتفاعل هذه العناصر الثلاثة لا يبرز الإسلام إلى الوجود)[1].

أصبحت الحسينية هي الصبغة البارزة للإمامة الإلهية، ويلاحظ عليها أنها من أولها ــ بعد الحسين ــ إلى غيبتها إمامة تقية واختفاء، قائمة على البداء[2]، وأن المطالبة بظهورها إما كفر

=

ص٢٥- ٢٦.

١٣-فرقة قالت بأن الوصي بعد علي هو ابنه محمد ابن الحنفية، وأن الحسن لم يصالح معاوية إلا بإذنه، وأن الحسين لم يخرج على يزيد إلا بإذنه، وأن المختار لم يطالب بدم الحسين إلا بإذنه، انظر: الصراع بين الإسلام والوثنية، ٢/ ٥، عبد الله بن علي القصيمي، ط٢، ١٤٠٢هـ، القاهرة.

١٤-فرقة قالت: إن أبا جعفر محمد بن علي "الباقر" أوصى بالإمامة بعده إلى رجل يدعى أبا منصور، وأن أبا منصور أوصى بالإمامة بعده إلى ابنه الحسين بن أبي منصور، والحسينية هذه في مقابل المحمدية القائلة بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن "النفس الزكية"، فجعلوها في البطنين، والدليل عليها ومستودعها أبو منصور دون ولده، انظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ٩٠.

(١) الشعائر الحسينية، ص١٣، حسن الشيرازي، ط ١٤١٩هـ، دار الصادق. بيروت.

(٢) انظر حول عقيدة البداء، ص٢٨٠ من البحث.

بها، وإما ميل بها إلى قول الزيدية الذين خرجوا بالسيف، ولم يروا الاختفاء والقعود.

إذا كان المذهب فترة من الزمن نسب إلى جعفر الصادق ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ لغلوهم فيه، فقيل جعفرية، فغلوهم الآن في الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أظهر، وجعفر أحد ذريته، بل نصيب الحسين وذريته من الإمامة ظاهر، فجعلوا تسعة من ذريته أئمة لهم، فالغلو الحسيني صورة جديدة للغلو السابق، وهذا الغلو ظهر في القرون المتأخرة، وتبنته الدولة الصفوية، وتزامن مع الصراعات التي خاضتها الدولة الصفوية ومن جاء بعدها من الدول التي قامت في إيران، وغذته الثقافات والفلسفات الفارسية القديمة، حتى أصبح التشيع الحسيني يعني مظهر العنف والظهور بعد أزمنة الغيبة الطويلة، وصار مفهوم التشيع الحسيني هو التشيع الصفوي، لأنها تبنته، وذلك في مقابل التشيع العلوي الأسبق والأصل.

لا زال التشيع الصفوي الحسيني يواجه معارضة من بعض رموز الإمامية المعاصرة، إلا أن طغيان العرفان في الإمامية ساهم في ترسيخ جذوره، لما يتميز الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن غيره من الأئمة عندهم بخروجه عن مبدأ التقية الذي أوجبوه على أنفسهم فضلاً عن أئمتهم، فليس لهم مخرج من هذا المبدأ إلا الحالة الاستثنائية، وهي حالة الحسين، ولذا بالغوا في وصف هذا الاستثناء وتمجيده تبريراً لطموحهم في الانسلاخ من المذهب، وكسر طوق الانتظار العتيق؛ حتى إنهم جعلوا الحسين استثناء تشريعياً وتكوينياً، فبذلك ازداد غلوهم، وصعب تراجعهم، وعلى عادتهم جعلوا ذلك عدلاً إلهياً، وانفتحت أشرعة الباطنية من جديد.

الإمامة الحسينية في هذه المرحلة ما هي إلا تعبير عن تسرب التراث الإسماعيلي إلى كتب الحديث عند الإمامية الاثني عشرية، وصاحب هذا التسرب للتراث الإسماعيلي امتزاجه بالمذهب الصوفي، فجعله يتسم بالمنحيين الزيدي والخارجي، تحت لبوس محبة آل البيت، مستفيداً من عقيدته في التقية، وفي البداء، فتقلب المذهب هو نمط من التلون والسعة يجد له مدخلاً من خلال هاتين العقيدتين، وكل ذلك بدعوى اللطف وحفظ الدين(١).

---

(١) لمزيد من الإيضاح عن التقية والبداء انظر ص٢٦٨-٢٨٠ من البحث.

المبحث الثاني

أقسام الاثني عشرية

وغهضضكىن:

المطلــــــب الأول: أقسام الاثني عشرية في الاستدلال.

المطلــــب الثـــاني: أقسام الاثني عشرية في الظاهر والباطن.

المطلب الأول

أقسام الاثني عشرية في الاستدلال

انقسمت الإمامية الاثنا عشرية في جانب أصول الاستدلال للأحكام الشرعية ـــ بل وللعقائد ـ إلى قسمين: أخبارية وأصولية[1]، وذلك كما يلي:

أولاً: الإخبارية:

اسم الإخبارية مأخوذ من الأخباري، الذي ينسب إلى الأخبار، أي أخبار الأئمة عند الإمامية[2]، والأخباريون يرون أن ما في كتب الأخبار الأربعة المتقدمة (الكافي، من لا يحضره الفقيه، الاستبصار، التهذيب) قطعي السند وصحيح، ويوجبون الاحتياط عند الشك في التحريم، دون أصل الإباحة، ولا يعتمدون من الأدلة في الاستدلال على ـــ الأحكام الشرعية، وحتى غيرها ـــ إلا على الأخبار: القرآن، والسنة المتضمنة لخبر الأئمة، ويرون أن

---

(١) قامت عدة دراسات أكاديمية سنية بدراسة طائفتي الإخبارية والأصولية، ومن أحدث هذه الدراسات دراسة سنية بعنوان: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد، للباحثة إيمان بنت صالح العلواني، وقدمتها في قسم العقيدة بجامعة أم القرى، وطبعت الرسالة دار التدمرية بالرياض في مجلدين، ط١/ ١٤٢٩هـ، نشر دار التدمرية - الرياض، وهي دراسة قيمة، وبما أن الخلاف بين الإخبارية والأصولية هو في قضية الاستدلال فقد جاءت الدراسة في صلب الموضوع، وقدمت الباحثة بمقدمة تعريفية عن الطائفتين في قرابة سبع وثلاثين صفحة، انظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٣٩.٧٥، ولأهمية هذه المقدمة واستحضارها هنا سألخص أهم ما فيها، وذلك كما يلي:
بعد عهد الفقهاء الرواة زمن الغيبة الصغرى (٢٦٠.٣٢٩هـ)، وبداية الكبرى؛ بعدها وجدت ثلاث مدارس:
١- مدرسة المحدثين المتقدمة (القمي ٣٢٩هـ، وابنه الصدوق ٣٨١هـ، والكليني ٣٢٩هـ).
٢- مدرسة المجتهدين المتقدمة (ابن أبي عقيل العماني، وتلميذه ابن الجنيد ٣٨١هـ).
٣- مدرسة المفيد التكاملية (المفيد ٤١٣هـ، وتلميذاه: المرتضى ٤٣٣هـ، والطوسي، ٤٦٠هـ).
ومدرسة المفيد التكاملية استمرت حتى القرن العاشر، الذي انقسمت فيه مدرسة المفيد إلى مدرستين: أخبارية وأصولية، وسأذكر ملخص ما جاء في البحث عنهما في موضعهما.

(٢) هذا اللفظ يتردد بين النسبة إلى الأخبار من الخبر، فهم الإخبارية ، أو من أخبر يخبر إخباراً، من المصدر فتكون الهمزة مكسورة: الإخبارية، ولم أقف على من حرر النسبة من أهل المذهب، وأميل إلى فتح الهمزة، وذكر لي بعض الفضلاء أن الأولى الكسر نسبة إلى المصدر، لا إلى الاسم (أخبار)، لأنه لا ينسب إلا إلى الأعلام.

أخبار الأئمة عليها المدار في فهم القرآن والسنة، والأخباري يطلق عليه المحدث لعنايته بالرواية[١].

مرت الإخبارية بمراحل، يعد منها الإخبارية القديمة التي تضم القميين الصدوقين والكليني، ثم ضمرت وخفت نجمها كفرقة بارزة لمدة خمسة قرون تقريباً[٢]، وإن كانت دعوى الضمور غير مسلمة، ولكن لعل الحركة تشكلت في أنماط لم يفصح بعد عن صورتها، لاندماجها في الباطنية والفلسفة، ومن الشخصيات التي ذكرت في تلك الفترة ابن طاؤوس الحلي، ت/ ٦٦٤هـ[٣]، المعاصر لغزو التتار، وسقوط بغداد، عام ٦٥٦هـ، وابن طاووس قد

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، محمد علي الأنصاري، ١/ ٤٧١، ٥٥٥، وأعيان الشيعة، ٣/ ٢٢٢.

(٢) أدوار المدرسة الإخبارية خمسة، وهي كما جاء في: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٤٨.٦٦(بتصرف)، كما يلي:

١- الإخبارية القديمة (المحدثون: القمي وابنه الصدوق والكليني، ق ٤).

٢- ما بين القرنين (٤. ١٠): فترة الجمود.

٣- الإخبارية الجديدة: الاسترابادي، ت/ ١٠٣٦هـ.

٤- دور الاعتدال: (هاشم البحراني ١١٠٧هـ، المجلسي ١١١١هـ، العروسي الحويزي ١١١٢هـ، الجزائري ١١١٢هـ)، ثم يوسف البحراني، ت/ ١١٨٦هـ.

٥- ضمور الإخبارية ما عدا الشيخية: بعد فترة التكفير، زمن الدولة القاجارية إلى اليوم.

(٣) ابن طاووس رضي الدين، علي بن موسى بن جعفر (٥٨٩- ٦٦٤هـ)، معاصر للمحقق الحلي والخواجه الطوسي، وقد تولى نقابة الطالبيين في عهد التتار، وأخوه أحمد بن طاووس، ت/ ٦٧٣هـ، تتلمذ على ابن نما، وأسعد الأصبهاني، ومن تلاميذه: ابن مطهر، وعبد الكريم بن طاووس (ت/ ٦٩٣هـ)، صاحب كتاب فرحة الغري، وابن داود الحلي، ولابن طاووس كتب كثيرة مشهورة، منها: الإقبال، واليقين، ومهج الدعوات، واللهوف، وكشف المحجة لثمرة المهجة (كتبه لولده، ويذكر فيه مناظرة له مع أهل السنة)، انظر: أمل الآمل، ٢/ ٢٠٥- ٢٠٧، وأعيان الشيعة، ٨/ ٣٥٨- ٣٦٣.

فائدة: شخصية ابن طاووس من الشخصيات البارزة في عداوة أهل السنة، وقد كررت ذكرها في هذا البحث لشدة ما وقفت عليه من مسائل تخص شعائر عاشوراء، وغلوه في الرفض، ومن ذلك دعاء صنمي قريش، ومن كثرة دعوته للمذهب، وتلبيسه على أهل السنة وكتبها، مع معرفة بدقيق مسائلها، ومن الكتب التي تنبي عن ذلك، كتاب الطرائف في معرفة الطوائف، وجعله في الطعن على المذاهب السنية الأربعة، وظهر بعد موته بنصف قرن، منسوباً إلى رجل ذمي قدري، اسمه عبد المحمود، واتهم بالكتاب رجل من دمشق يعرف بالسكاكيني، اشتبه بأنه من خطه، وسيأتي ـ بإذن الله- الكلام عليه، والكتاب منسوب اليوم إلى ابن طاووس.

أحيا كتب ومرويات الزيارة والأدعية، ومنها زيارة عاشوراء المشتملة على الرفض ولعن الشيخين[١]، وهذا نوع من التعلق بكتب أخبارهم المتقدمة، كما نقد ابن طاووس المتكلمين، ومن سبقوه من أصوليي الإمامية كالمرتضى، وابن إدريس الحلي، صاحب السرائر[٢]، كما يضاف إلى ذلك حركة العناية بكتب الرجال ودراية الحديث[٣].

استمرت مرحلة الضعف والضمور للأخبارية حتى جاءت مرحلة البروز من جديد، والمؤسس لها والمدافع عنها بشكل بارز قد جاء في القرن العاشر، زمن الدولة الصفوية، على يد الأخباري محمد أمين الاسترابادي[٤]، الذي أعلن أفكاره وبين أن دعوته امتداد للأخباريين الأوائل[٥]، وذكر أن منهج الأصوليين انحرف انحرافاً كبيراً زمن العلامة الحلي، ونقده بجرأة في كتابه المشهور الفوائد المدنية، وذكر أن فكرته بدأت بتشجيع من شيخه الميرزا محمد بن علي

---

(١) انظر ص٦٠٩- ٦١٧ من البحث، عند نقد بدع اللعن في عاشوراء عند الإمامية، ودعاء صنمي قريش.

(٢) من الشخصيات التي نسبت إلى الإخبارية قبل الاسترابادي الفضل بن شاذان، انظر: الفكر السلفي عند الشيعة الاثني عشرية، ص٢٧٣- ٢٧٨، ٤٧٥، د علي حسين الجابري، ط١، ١٤٢٨هـ، دار مجدلاوي – عمان، وانظر: الباب الثاني، ص٣٧٦، ٥٢١ من البحث.

(٣) أول من صنف فيها من الإمامية الأصولية الشهيد الثاني، ت/ ٩٦٦هـ، وهناك من يشير إلى تحرك هذا التوجه عند الإخباريين في تلك الفترة، ومن أشهرهم محمد علي الاسترابادي، شيخ محمد أمين الاسترابادي، فله مؤلفات رجالية، وهذه الفترة مسبوقة بطرح ابن مطهر، ت/٧٢٦هـ؛ ويتوصل مما سبق إلى أن القرن التاسع أشد قرون هذه الفترة ضعفاً وضموراً.

(٤) محمد أمين بن محمد شريف الاسترآبادي الإخباري توفي سنة ١٠٣٣/ ١٠٣٦هـ، رأس الإخباريين في القرن الحادي عشر، وأول من حارب المجتهدين، وتجرد للرد عليهم، داعياً إلى العمل بمتون الأخبار، طاعناً على الأصوليين، ويذكر أن إحياء مذهب الإخباريين أوصاه به أحد مشايخه: محمد بن علي الاسترابادي، وألف فيه كتابه المشهور: الفوائد المدنية، والذي أثار معركة شديدة، وتبعه طوائف، كالمجلسي ووالده، والحر العاملي، والفيض الكاشاني، ويوسف البحراني، وشنع الاسترابادي على ابن مطهر، وزعم أنه أول من حرف في الاستدلال، فشنع عليه تقسيمه الأخبار إلى أربعة أقسام، وغيرها من المسائل، وقد اتهم من البعض بأنه تأثر بمذهب الفلاسفة الحسيين من الأوربيين، ومن كتبه: الفوائد المدنية، وشرح أصول الكافي، وشرح الاستبصار، ورسالة في البداء، ورسالة في الرد على صاحب "الأسفار"، انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ١٣٧، وأمل الآمل، ٢/ ٢٤٦، والفوائد المدنية، ص١٥.٥.

(٥) انظر: الفوائد المدنية، ص٩٧– ٩٨، وسبقت الإشارة إليه قريباً.

الاسترابادي[١].

يذكر الأنصاري أن من أسباب ظهور الاسترابادي وأخباريته أنه انتشر في زمنه الإغراق في الجانب الأصولي والفقه التحليلي، والتجني على المرويات والأخبار بإسقاط كثير منها، كما هي طريقة شيخ الأصوليين الكركي[٢]؛ كما أن هناك من ذكر أن تأسيس الإخبارية سابق عن زمن الاسترابادي، فمنهم من يذكر ابن بابوية القمي من المتقدمين، ت/ ٣٨١هـ[٣]، صاحب كتاب "من لا يحضره الفقيه"؛ يذكره كمؤسس للأخبارية، وبعضهم يذكر ـــ من المحدثين المتأخرين ـــ محدثهم الحر العاملي[٤]، ت/ ١١٠٤هـ، صاحب وسائل الشيعة[٥]، ولكن نقد البحراني الأخباري له يدل على أنه لا يرتقي إلى هذه المكانة[٦]، كما أن شهرة الاسترابادي في

---

(١) الميرزا محمد بن علي بن إبراهيم الاسترابادي، له كتب من أشهرها كتاب الرجال الكبير (منهج المقال في الرجال)، وآيات الأحكام، ومن تلاميذه الشهيد الثاني، ومحمد أمين الاسترابادي، الذي ذكر أنه نهض بمشروعه الإخباري، ت/ ١٠٢٨هـ، وقيل غير ذلك، وكتاب: أمل الآمل يعتبر تكملة لكتاب الرجال للاسترابادي، ١/ ٤٩، انظر: أمل الآمل، ٢/ ٢٨١، وأعيان الشيعة، ٤/ ١١٤، والذريعة، ٦/ ٢٢٥.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، الأنصاري، ١/ ٥٥٩، وقد ذكر الأنصاري عدة أسباب، فإضافة إلى الأربعة المذكورة في المتن ذكر تأثر الاسترابادي بعزلته وإقامته في المدينة النبوية، فابتعد عن الأجواء العلمية الأصولية الإمامية، مما فسح له مجالاً للتأمل في الطريقة الأصولية ونقدها.

(٣) محمد بن علي بن الحسين، ابن بابويه القمي، أبو جعفر (الصدوق)، ولد بقم بداية القرن الرابع، وتوفي بالري سنة ٣٨١هـ، وهو من رموز الإمامية ومحدثيها، ومن الإخباريين المتقدمين، يروي عن أبيه علي بن الحسين، ت/ ٣٢٩هـ، ومن تلاميذه: المفيد ابن النعمان شيخ الطائفة، وله مصنفات كثيرة من أشهرها: عيون أخبار الرضا، ومعاني الأخبار، وعلل الشرائع، والاعتقادات في دين الإمامية، انظر: أمل الآمل، ٢/ ٢٨١، وأعيان الشيعة، ١٠/ ٢٤.

(٤) محمد بن الحسن بن علي المشغري، الحر العاملي، ١٠٣٣ـ١١٠٤هـ، تتلمذ لعلماء جبل عامل، كأبيه، والشهيد الثاني، وتصدر مشيخة الإسلام في الدولة الصفوية، ودرس في مشهد الرضا، وهو من طبقة المجلسي، وكان أخباريا صرفا، ويروي عن الفريقين: الشيعة والسنة، خاصة في الوسائل وأمل الآمل، وسيمر أن من مراجعه السنية المعتمدة: كتاب تاريخ نيسابور، للحاكم، كما ذكر الطهراني؛ ومن كتبه: وسائل الشيعة، والإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، والرد على الصوفية، انظر: أمل الآمل، ١/ ٩، ١٤١ـ١٥٤، وأعيان الشيعة، ٩/ ١٦٧ـ١٧١.

(٥) انظر: الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية، ص٣٢١- ٣٢٥، ٤٢٤- ٤٢٧.

(٦) انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ١٦٨.

التنظير والجدال أشهر منهما في هذا الباب، مما جعله مؤسساً للأخبارية بلا منازع.

يزعم بعض خصوم الإخبارية من الأصوليين الفقهاء أن الحركة الإخبارية حظيت بدعم من الدولة الصفوية، فبعد أن استعان الصفويون بالفقهاء من جبل عامل ـــ وهم يمثلون المدرسة الأصولية الفقهية ـ لتثبيت دولتهم أحسوا بنفوذ الأصوليين في المجتمعات الشيعية، فتضايقوا منهم، وأرادوا تخفيف هذا النفوذ بدعم الحركة الإخبارية في نهاية القرن العاشر(١)، ولكن هذا محل نظر فالمعروف أن الإخبارية ـ أيضاً ـ أحرجت الصفويين حين حاولت نزع التصوف منها، ومن المعلوم أن الأسرة الصفوية صوفية المشرب، وكذلك جيشها القزلباش، وإضافة إلى ما سبق فيدعي بعض الأصوليين أن الاسترابادي الأخباري تأثر بالفلسفة الحسية عند الغربيين(٢)، ولكن هذا مردود بأن زعيم تلك المدرسة متأخر عن الاسترابادي، وقد يكون ذلك من تحامل الأصوليين على الأخباريين الذين ضعفت حركتهم(٣).

الإخبارية ـ كفرقة تراكمت أفكارها ـ بدأها الاسترابادي بنقد طرائق الأصوليين وأدلتهم العقلية، ونشطت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، وممن أيده على هذا جمع من علماء المذهب، منهم محمد تقي المجلسي والد صاحب بحار الأنوار، فيقول معلقاً على ما أورده الاسترابادي على الأصوليين: (والحاصل: أن الدلائل العقلية التي ذكرها بعض الأصحاب وبنوا عليها الأحكام أكثرها مدخولة، والحق في أكثرها مع الفاضل الاسترابادي)(٤).

من آخر أعلام الإخبارية في هذن القرنين المذكورين يوسف البحراني(٥)، ومن الأمور

---

(١) انظر: رياض المسائل (المقدمة)، ١/ ١٠٤ – ١٠٥، علي الطباطبائي، ت/ ١٢٣١هـ، ط ١، ١٤١٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي. قم؛ ويقطع المؤلف بأن الإخبارية لا علاقة لها بالمحدثين والإخباريين المتقدمين.

(٢) الفلسفة الحسية: فلسفة تجريبية، تعتمد على المحسوسات، في مقابل الفلسفة العقلية، اعتمدت بها يعرف بالبحث العلمي المعاصر، قائمة على الشك، وإنكار المبادئ الأولية، انظر: المعجم الفلسفي، ص١٦٥، ٢٧٩.

(٣) حصر الاجتهاد، ص ٤٩، والموسوعة الفقهية الميسرة، ١/ ٤٧٢.

(٤) انظر: الفوائد المدنية، ص١٠،(المقدمة).

(٥) يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني الدرازي، من آل عصفور، (١١٠٧ – ١١٨٦هـ)، ولد في درازة بالبحرين، تتلمذ على أبيه، وحسين الماحوزي، والتقى بالبهبهائي الأصولي في كربلاء، وناضره، وكان أخبارياً صرفاً، ثم توسط في طريقته، ويزعم أنها طريقة المجلسي. ومنهجه يعتبر هو الذي استقرت عليه الإخبارية، =

التي تلفت الانتباه في هذا الجانب أن الحركة الإخبارية انتسب إليها شخصيات صوفية، مع ما عرف عنها من محاربة التصوف، ولكن لثقل بعض هذه الشخصيات، ومكانتها العلمية، وجهودها الحديثية، وما قدمته من نقد للمدرسة الأصولية؛ فقد أثر ذلك في غموض رؤية الإخبارية وموقفها من بعض المسائل.

من تلك الشخصيات التي نسبت في وقت مبكر إلى الإخبارية المحدث الفيض الكاشاني(١)، الذي نقد المدرسة الأصولية ومنهجها، وأنه لا يطمئن إلى طريقتها ومنهجها مع الأخبار والأدلة والاستدلال، ويقول في ذلك عن الأصوليين: (ولذا تراهم يمهدون أصولا كلية ثم لا يستعملونها في جميع جزئياتها، بل في بعض دون بعض، وكذا الكلام فيما يبتنى عليها من الأحكام الشرعية، فإنها أمور جزئية مختلفة، لا يجمعها أمر واحد عقلي، والأمور الجزئية المختلفة لا يحكم عليها بالأحكام الكلية المضبوطة، بل لا سبيل إلى العلم بها إلا بالنظر إلى فرد فرد، وهو موقوف هنا إلى السماع، إذ لا سبيل للعقل إلى الشرائع، بل إنما سبيله إلى فهمها إذا كان مستقيماً، وقد وقع التنبيه على ذلك في كثير من الأخبار)(٢).

هذا النقد من الفيض للقواعد الكلية سببه كثرة الاستثناءات، وصاحبه لديه حيرة في طريق السماع، فهو عنده لا يوفر اليقين، وهذا ما يفتح باب البحث عنه من طرق أخرى، اتهم بسببه الفيض بالميل إلى طرق اليقين الصوفية، من الكشف والإلهام ونحوها، والتشكيك في وظيفة العقل وقدرته على إدراك الأحكام والمسائل، وأنه فتح مجالاً للتوجه العرفاني

=

ونقد الفيض الكاشاني ومن تلاميذه: أبو علي الحائري، والميرزا أبو القاسم القمي، والنراقي، ومن مؤلفاته: الحدائق الناضرة، ولؤلؤة البحرين، والكشكول، والرد على الصوفية، انظر: أعيان الشيعة، ١٠/ ٣١٧- ٣١٨، ومقدمة كتابه الحدائق الناضرة (في أحكام العترة الطاهرة)، ١/ ٧- ٢٩، يوسف البحراني، ت/ ١١٨٦هـ، ط ١٣٦٣ ش، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

(١) تأتي ترجمته قريباً، إن شاء الله.

(٢) الحق المبين (في تحقيق كيفية التفقه)، ص ٧، محمد بن مرتضى- المعروف بالفيض الكاشاني، ت. مير جلال الدين الحسيني الأرموي، بدون تاريخ الطبعة ومصدرها.

الباطني[1]، وهذا يوحي بأن التقليد والاجتهاد في الأحكام لدى الإمامية زمن الفيض لم يكونا كما هي عليه اليوم؛ وهذا الخلل المنهجي عند الفيض رغم ما قاومه من تعظيم للأخبار عند شيوخه ومعاصريه ومحاربتهم للتصوف؛ إلا أنه لم يتضح معه موقف الإخبارية من الدليل العقلي إلا في زمن خاتمة مشاهير الإخبارية ومنظريها يوسف البحراني، يقول الباحث الشيعي حيدر حب الله في تصوير تلك الفترة السابقة: (نجح المحدّث البحراني في رتق الفتق الذي أحدثه الفيض، ليمثّل منحى أخبارياً خالصاً، بعيداً عن التحالف غير المعلن الذي قام بين الإخبارية والصوفية عصر الصفويّة، ورغم ذلك، ورغم الجهود الإخبارية للمجلسي. شكل البحراني بداية التراجع نتيجة عناصر أخلاقية وعلمية، وظروف خارجية، تمثلت في ضعف الدولة الصفويّة)[2].

قد واجهت الإخبارية صراعات عدة مع الأصولية، استمرت مع شيء من الحدة والعنف والتكفير إلى منتصف القرن الثالث عشر، ختمت بضعفها بعد الميرزا محمد الأخباري[3]، المقتول (أو الذبيح) سنة ١٢٣٢هـ[4]، بسبب حدة الصراع بين الطائفتين، وقد قام الأخباري

---

(١) ستأتي. إن شاء الله. الإشارة إلى هذا الجانب مرة أخرى ص٨١٠ من البحث.

(٢) انظر: مجلة المنهاج اللبنانية، عدد: ٣٣، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤م، مقال:(المرجعيّة القرآنيّة والاتجاه الإخباري في الفكر الشِّيعي) (١/٢) ، فقرة: تكوين الصورة التاريخيّة، حيدر حب الله، ونقل فيه من هذا الكتاب عن متقدمي الإمامية كالصدوق في كتابيه معاني الأخبار، وكمال الدين، وانظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال عند الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٧٥٨، ٧٨٠.

(٣) الميرزا محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع الإخباري النيسابوري الهندي (١١٧٨- ١٢٣٢هـ)، المقتول بالكاظمية، ولد بالهند، كان شديداً قاسياً على الأصوليين، من تلاميذه، ابنه علي، وجواد سياه بوش، وشبيب الجزائري، ومن كتبه: رجال النيسابوري، وتقويم الرجال، وتسلية القلوب الحزينة، وردود منها: القسورة، والصيحة بالحق على من ألحد وتزندق، رد على الأصولي جعفر خضر. آل كاشف الغطاء، الذي كتب ضده كتابه: الحق المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة جهال الإخباريين، وكتاب: كاشف الغطاء عن معايب الميرزا محمد الإخباري عدو العلماء، انظر: الذريعة، ٧/ ٣٧، ٨/ ٢٦٧، ١٠/١٥٧، ٢١٨، ١٥/ ٣٧٢، ١٧/ ٨٢، وأعيان الشيعة، ٤/ ١٠٠- ١٠١، ٢٨٠، ٧/٣٣١.

(٤) قد سبقت هذه الحادثة بمقتل شخصية أخرى من الإخباريين، وهو الإخباري حسين آل عصفور البحراني، الذي قتل في البحرين عام ١٢١٦هـ، انظر: الفكر السلفي عند الشيعة الاثني عشرية، ص٤٧٠.

بتقديم أطروحات كثيرة في الرد على الأصوليين، كادت هذه الأطروحات أن تستعيد جولة جديدة للأخبارية[1]، ولكنها منيت بمواجهة عنيفة من الأصوليين، استعان الأخباري فيها بعلاقته مع الشاه القاجاري في البداية، إلا أنه صدرت فتاوى بضلاله وجهله قدمت للشاه، وختمت بمقتلة مشهورة للميرزا محمد الأخباري وابنه الأكبر، حاول بعدها أبناؤه وأحفاده (آل جمال الدين)[2]، وأتباعه تجديد هذه الأطروحات، وذلك ضمن ما يعرف بقرية أو جماعة المؤمنين، ولهم تواصل مع الإخبارية في البحرين[3].

ألحق بالإخبارية ـــ في نفس الفترة ـــ بحركة الشيخ أحمد الأحسائي الذي تنسب إليه الشيخية، التي كان لها موقف من الاستدلال بالعقل، والاجتهاد والقياس والإجماع؛ ومع وصفها بأنها أخبارية فقد خالفت الإخبارية المعروفة بما يغلب على الظن أنه لا يتناسب مع حقيقتها، كما سيأتي عند الحديث عنها بإذن الله[4].

أثمرت حركة الإخبارية نشاطاً في تدوين وتجديد المرويات والأخبار، فظهرت مدونات حديثية جديدة، وأشهرها أربعة كتب، تضاف إلى الأربعة المتقدمة[5]، فتصبح ثمانية، والأربعة المتأخرة هي:

١- الوافي، لمحمد بن مرتضى الفيض الكاشاني[6]، ت/ ١٠٩١هـ، وهو يعد من

---

(١) عن منهج الميرزا محمد الإخباري أطروحاته، انظر: الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية، ص٤٧٣- ٤٨٣.

(٢) تنتسب هذه الأسرة للسادة آل البيت، انظر: الفكر السلفي عند الشيعة الاثني عشرية، ص٤٦٧، ٤٩٠.

(٣) انظر: الفكر السلفي عند الشيعة الاثني عشرية، ص٤٨٥- ٥٠٥.

(٤) للتوسع في هذا الجانب ينظر الحديث عن الإخبارية في المطلب القادم.

(٥) الكتب الأربعة المتقدمة هي: الكافي، من لا يحضره الفقيه، الاستبصار، التهذيب.

(٦) الملا محمد مرتضى بن محمود، المولى محسن/ الفيض الكاشاني، (١٠٠٧- ١٠٩١هـ)، تتلمذ على صدر المتألهين الشيرازي، وهو صهره وأشهر تلاميذه، وأخذ عنه العرفان والحكمة المتعالية في الفلسفة، وله كتب متنوعة، منها الوافي، وتفسيري الصافي والأصفى، والمحجة البيضاء، وعلت مكانته عند الإمامية إلا أنه وجه له نقد شديد، فاختلفوا فيه، واتهم بالتصوف، ووحدة الوجود، مما يدل على غموض في شخصيته، وتهجم عليه يوسف البحراني، وأحمد الأحسائي، انظر: أمل الآمل، ٢/ ٣٠٥- ٣٠٦، ومستدركات أعيان الشيعة، ٢/ ٣٠٨- ٣٠٩، ومقدمة تفسير الصافي، ١/ ٤- ٦، للفيض الكاشاني، ت/ ١٠٩١هـ، ط٢، ١٤١٦هـ، مكتبة =

الأخباريين العرفانيين، جمع في الوافي الكتب الأربعة المتقدمة[1].

٢- وسائل الشيعة[2]، لمحمد بن الحسن الحر العاملي، ت/ ١١٠٤هـ[3].

٣- بحار الأنوار[4]، محمد باقر المجلسي، ت/ ١١١١هـ[5]، وهو أشهرها حتى أصبح ديوان المذهب، ودائرة معارفه[6].

٤- مستدرك وسائل الشيعة[7]، لحسين النوري الطبرسي، ت /١٣٢٠هـ[8]، وهو مستدرك على كتاب الحر العاملي المذكور أعلاه.

على ما سبق فنستطيع أن نلخص رموز الإخبارية المشهورين، إضافة إلى غيرهم، كما يلي:

١- محمد أمين الاسترابادي.

٢- الحر العاملي.

٣- الفيض الكاشاني.

=

الصدر – طهران.

(١) انظر: الذريعة، ٢٥/ ١٣، وأصول مذهب الشعية الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٣٧٧، ويبدو أن تخصيص ما سلف بالذكر، إما لأنها مجاميع كبيرة، أو قد يكون لمجرد المحاكاة وللدعاية المذهبية، ومما يوضح ذلك أنهم اعتبروا مثلاً من المجاميع الثمانية المتقدمة كتاب الوافي، وعدوه أصلاً مستقلاً، مع أنه عبارة عن جمع وتكرار لأحاديث الكتب الأربعة المتقدمة (الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه).

(٢) اسمه الكامل: تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ويقال له "الوسائل" تخفيفاً، وهو أفضل الكتب الأربعة، أفضل من الوافي والبحار، انظر: الذريعة، ٤/٣٥٢- ٣٥٥، ٢٥/ ٧١.

(٣) سبقت ترجمته قريباً ص٥١ من البحث.

(٤) حول الكتاب وموضوعاته، وترجماته، والمستدركات عليه انظر: الفيض القدسي في ترجمة العلامة المجلسي، للطبرسي النوري، وهو في: بحار الأنوار، ١٠٢/٣٧- ٧٦، والذريعة، ٣/ ١٦- ٢٧.

(٥) انظر ترجمته ص٣٤٢ من البحث.

(٦) العلامة عبد العزيز الدهلوي – رضي الله عنه- صاحب التحفة الاثني عشرية وصم مذهب الرافضة بدين المجلسي، وذلك لكونه أصبح مرجعاً لهم، انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ١٨٣.

(٧) انظر: الذريعة، ٢١/ ٧- ٨.

(٨) انظر ترجمته ص٦٧ من البحث.

٤- عبد الله بن صالح السماهيجي[١].

٥- محمد باقر المجلسي.

٦- نعمة الله الجزائري[٢].

٧- يوسف البحراني.

٨- الميرزا محمد الأخباري.

٩- الميرزا حسين النوري الطبرسي.

ثانياً: الأصولية:

الأصولية من الأصولي، وهي نسبة إلى الأصول، وسميت بذلك لاعتمادها على الأصول العقلية في الاستدلال على المسائل الشرعية، كما في علم أصول الفقه، أو لعملها بالاجتهاد ودليل العقل، إضافة إلى أدلة القرآن والسنة والإجماع، ولذلك تسمى الأصولية العقلية، ويسمون بالمجتهدين، والفقهاء[٣].

---

(١) عبد الله بن صالح بن جمعة السماهيجي البحراني البهبهاني، (١٠٨٦- ١١٣٥هـ)، محدث أخباري، من تلاميذ أحمد البحراني والد صاحب الحدائق، وسليمان الماحوزي، وله كتب منها: حل العقود عن عصمة المفقود، وشرح الاثني عشرية الصلاتية، والكفاية، وله إجازات لمروياته، انظر: الذريعة، ١/ ٥٤، ٨٦، ١٩٦، ٢٢٦، ٢٩٤، ٤٥١، ٤٧٤، ٣/ ٣٧٧، ٧/ ٧١، ومعجم المؤلفين، ٦/ ٦٣، كحالة، ت/ ١٤٠٨هـ، إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) نعمة الله بن عبد الله بن محمد الجزائري الموسوي التستري، نعمة الله الجزائري، (١٠٥٠- ١١١٢هـ)، ولد في الصباغية من قرى الجزائر من أعمال البصرة، قرأ على علماء بلده، وعلى الفيض الكاشاني، والمجلسي، وفي أصفهان وتستر، ومن تلاميذه: ابنه نور، والخواجه الشوشتري، ومن كتبه: الأنوار النعمانية، وشرح العوالي، ونور البراهين، وهو أخباري جلد، ويشنع على أهل السنة صراحة، وفيه تصوف، انظر: أمل الآمل، ٢/ ٢٩٧، وأعيان الشيعة، ١٠/ ٢٢٦- ٢٢٧، والذريعة، ٣/ ٥، ٢٠/ ٢٥١، وإجازات الحديث، ص٢٩٧- ٣٠٤، المجلسي، ت/١١١١هـ، ت. أحمد الحسيني، ط١، ١٤١٠هـ، مكتبة المرعشي – قم، ومقدمة: نور البراهين، ١/ ٨- ٣١، نعمة الله الجزائري، ت/ ١١١٢هـ، ت. مهدي الرجائي، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، محمد علي الأنصاري، ١/ ٤٦٤، وأعيان الشيعة، ٣/ ٢٢٢.

مرت الأصولية بمراحل[1]، وتتنازع مع الإخبارية في أيهما الأسبق، ويذكر الأصوليون أن الإخبارية نشأت في القرن العاشر، وأن الأصولية هي الغالبة على القرون السابقة، لكن يبقى أن منهج الإخبارية هو الأليق بعصر الأئمة، وبمفهوم الإمامة والعصمة والنص، وقد نبه علماء الفرق كالأشعري والشهرستاني إلى وجود هذين الاتجاهين عند الإمامية، وأن بينهما نزاع وسيف وتكفير[2]؛ وربما كان ذلك لأجل نزاع يمتد إلى الأصول، وإن ادعى كثير من الإممية أنه نزاع في الفروع والأحكام فقط!، ويبين وجهاً لهذا الجانب علامتهم ابن مطهر الحلي ـ من الأصوليين ـ فيقول: (أما الإمامية فالأخباريون منهم لم يعولوا في أصول الدين وفروعه إلا على أخبار الآحاد المروية عن الأئمة ـ عليهم السلام ـ، والأصوليون منهم كأبي جعفر الطوسي وغيره وافقوا على خبر الواحد، ولم ينكره سوى المرتضى وأتباعه)[3].

الحلي هنا لم يشر إلى أن الإخبارية يعتمدون في الأصول على العقل، لضرورة القطع، بل حتى في جانب الأخبار عولوا على ما هو من قبيل الظن في الأصول، وقد تعقبه الاسترابادي بأن المتقدمين من الأخباريين لم يعولوا إلا على ما كان من قبيل المتواتر المعنوي، أو من المحفوفة بقرائن توجب العلم، لكنه لم يستدرك عليه ببيان أنهم يعولون على العقل في القضايا والأصول الضرورية، ويبدو أن اصطلاح الضروري بين الأخباريين والأصوليين يحتاج إلى

---

(١) أدوار المدرسة الأصولية خمسة، وهي كما جاء في كتاب مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٦٦. ٧٥ (بتصرف)، كما يلي:
١- مدرسة المجتهدين المتقدمة: ابن أبي عقيل العماني، وتلميذه ابن الجنيد ٣٨١هـ، وما تبعها من تكاملية مدرسة المفيد ٤١٣هـ، وتلميذيه: المرتضى ٤٣٣هـ، والطوسي ٤٦٠هـ.
٢- عصر التهذيب: ابن إدريس الحلي ٥٩٨هـ، وابن زهرة ٥٨٥هـ، والعلامة الحلي ٧٢٦هـ.
٣- دور الشهيد الثاني العاملي: زين الدين ٩٦٦هـ، وابنه الحسن صاحب المعالم في الأصول، ٩٥٩هـ.
٤- دور مقاومة التيار الإخباري، بعد أن ضعفت الأصولية: الوحيد البهبهائي، ١٢٠٥هـ، وانكمشت في عصره الإخبارية، وبحر العلوم ١٢١٢هـ، والطباطبائي ١٢٢١هـ.
٥- دور مجدد الأصولية مرتضى الأنصاري، ١٢٨١هـ، ودور ولاية الفقيه: من إجازة الحكام إلى حكم الفقهاء.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ١ ٢٣. ١٢٥، والملل والنحل، ١/ ١٩٣، ٢٠٢. ٢٠٣.

(٣) الفوائد المدنية والشواهد المكية، ص٩٧- ٩٨.

مزيد تحرير، لأن الطائفتين تأثرتا بمنهج الكشف والعرفان، وهو عند أهله مصدر بدرجة النقل من حيث الأهمية، أو يزيد، لكنهم حينما يرومون الحديث في المسائل الفقهية الشرعية يضعف هذا التأثر، مراعاة لمحظور العدوان على التكاليف الشرعية، وتهمة إسقاطها، والذي هو قول من أقوال الغلاة(١).

الأصولية قد اعتمدت في الأصول المذهب المعتزلي، وإن كانت الإمامية عموماً روت بعض العقائد الكلامية، ونسبتها إلى الأئمة، فالأصولية المتقدمة لها مشاركة في رواية الأخبار، وقد يكون قربهم من الرواية والنقل في هذا الباب وغيره مدخلاً لبعض الأصولية أن يزعم أنهم أقرب إلى الأشاعرة منهم إلى المعتزلة(٢)، وهو تلبيس يتكرر في كتب ردودهم ودعاياتهم المذهبية، حتى أن القارئ لمواضع من كتبهم يظن أنه يقرأ كلام أهل السنة، لكثرة ما يستطرد في الاستشهاد بمرويات السنة ومقولاتهم؛ هذا إضافة إلى ما يطرحه بعض الدارسين المختصين من أنه في الحقيقة لا فرق بين الطائفتين في نتائج العقائد الفاسدة والغالية في المذهب، ولا أثر لهذا الخلاف في الحكم عليهما، وإن كانوا يختلفون في الإعلان والتأويل، لأجل التقية، ولما تصالحت عليه الطائفتان في آخر الصراع(٣).

الأصولية لا ترى كتب الأخبار الأربعة المتقدمة قطعية السند، فضلاً عما سواها، ففيها المقبول والمردود، ففيها أخبار آحاد، ويقولون بالبراءة والاستصحاب، ويعتمدون من الأدلة في الاستدلال على الأحكام الشرعية على: القرآن، والسنة، والإجماع، والعقل "الاجتهاد"، ويوجبون الاجتهاد على الكفاية، ويوجبون على العامي تقليد الفقيه الحي، ويرون أن الاجتهاد من خصائص مذهبهم(٤).

الأصولية باعتبارها فرقة تراكمت أفكارها ابتداءً من متكلمي الشيعة في زمن الغيبة، ومن

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٩٧–٩٨.

(٢) انظر: أعيان الشيعة، ٢/ ٢٢٢.

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ١١٧.

(٤) انظر: معجم الفرق الإسلامية، ص٣٩، ٢١.٢٣.٢٣، ١٥٣، وأعيان الشيعة، ١/ ١١٠، ٣/ ٢٢٣.

مدرسة المجتهدين المتقدمة، مثل ابن أبي عقيل العماني[1]، وتلميذه ابن الجنيد ٣٨١هـ[2]، ثم تشكلت مدارس متكاملة، بدءاً بمدرسة المفيد ت/٤١٣هـ[3]، وتلميذيه: المرتضى، ت/ ٤٣٣هـ[4]، والطوسي شيخ الطائفة، ت/ ٤٦٠هـ[5]، وهم اليوم جمهور الاثني عشرية، وقد تشكلت هذه المدرسة في مدارس من أشهرها مدرسة الحلة، التي نقدت مدرسة المفيد في بعض الأحيان، كما فعل ابن إدريس الحلي، ت/ ٥٩٨هـ[6]، في كتابه السرائر، وفي تطبيقات المحقق الحلي، وبعده ابن مطهر، المعروف بالعلامة، ت/٧٢٦هـ، وهو الذي طرح تقسيم الحديث إلى أربعة أقسام؛ ثم مدرسة العامليين، ومن رموزها: الشهيد الثاني العاملي زين

---

(١) الحسن بن علي، أو بن عيسى، ابن أبي عقيل العماني، عاصر الكليني والمفيد، من متكلمي القرن الرابع، وهو من أول من هذب فقه الإمامية، ومن أشهر من يعمل بالقياس، وهجرت لأجله كتبه، ومنها: المستمك بحبل آل الرسول، والكر والفر في الإمامة، والنوادر، انظر: أمل الآمل، ٢/ ٢٢٦- ٢٢٨، وأعيان الشيعة، ١/ ١٤٢، ٥/ ١٥٧- ١٥٩.

(٢) محمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي، أبو علي الكاتب(ت/ ٣٨١هـ)، معاصر للكليني، يروي عنه ابن قولويه، من كتبه: تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة، أمثال القرآن، انظر: أمل الآمل، ٢/ ٦١، ٦٨، وأعيان الشيعة، ٩/ ١٠١.

(٣) محمد بن محمد بن النعمان، ابن المعلم، المفيد، (٣٣٦- ٤١٣هـ)، من متكلمي الإمامية ومعظميها، وممن له عناية بأخبارهم ومروياتهم، ويذكرون أنه صدرت تزكيته موقعة من صاحب الناحية (السرداب)، ومن شيوخه ابن الجنيد، وله مصنفات مشهورة أكثر من مائتي مصنف، منها: الغيبة، والإرشاد، والمقنعة، وأوائل المقالات، ومن تلاميذه: المرتضى، وأبو جعفر الطوسي، والنجاشي، وكانت له حظوة عند البويهيين، وارتفع شأن الشيعة بسبب ذلك، انظر: أعيان الشيعة، ١٠/ ١٣٣، والأمالي، ص٦- ٢٤، المفيد، ت/ ٤١٣هـ، حسين الأستاد ولي، وعلي أكبؤر الغفاري، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد – بيروت.

(٤) علي بن الحسين بن موسى، أبو جعفر (٣٥٥- ٤٣٣هـ)، الملقب بالسيد وعلم الهدى، يرجع إلى السادة العلويين، وكان نقيب الطالبيين، وهو من متكلمي الإمامية، من شيوخه المفيد، وابن نباته، ومن تلاميذه الطوسي، من كتبه: الشافي في الإمامة، والذخيرة، والمقنع في الغيبة، انظر: أمل الآمل، ٢/ ١٨٢، ١٨٥، وأعيان الشيعة، ٨/ ٢١٣- ٣١٩.

(٥) انظر ترجمته ص٣٤١ من البحث.

(٦) انظر ترجمته ص٧٣ من البحث.

الـدين، ت/ ٩٦٦هـ(١)، وابنـه الحسـن صـاحب المعـالم في الأصـول، ت/١٠١١هـ(٢)؛ إلى أن جاءت فترة الدولة الصفوية التي فسحت للمدرسة الأصولية المجال عن طريق رموزها، كشيخي الدولة علي الكركي، ومحمد حسين البهائي(٣).

في عهد الدولة الصفوية حدثت هزة قوية للتيار الأصولي، وذلك بسبب مقاومة التيار الأخباري لـه، بشخصياته البارزة، كالاسترابادي والحر العاملي، والمجلسيين، وغيرهم، فضعفت أمام هذه المقاومة نشوة الفرقة الأصولية، كما ساعد في ضعفها أثر النزعة الصوفية في تلك الفترة(٤)، واستمر الضعف الأصولي إلى أن انبعثت هذه النشوة من جديد، وبلغت أوجها زمن الوحيد البهبهائي الأصولي، ت/١٢٠٦هـ(٥)، الذي انكمشت الإخبارية على يديه

---

(١) زين الدين بن علي بن أحمد الجعبي العاملي، الملقب بالشهيد الثاني، (٩١١- ٩٦٦هـ)، تتلمذ على الكركي، والشهيد الأول، كما تتلمذ على علماء السنة، كابن النجار الحنبلي، ومن تلاميذه: ابنه محمد، وحسين بن عبد المقصود الحارثي، ومحمد الجزيني، ومن كتبه: منية المريد، ومسالك الأفهام، والروضة البهية في شرح (اللمعة الدمشقية، للشهيد الأول محمد بن مكي العاملي)، والشهيد الثاني أول الإمامية تصنيفاً في دراية الحديث، فأتم ما بدأه ابن مطهر، وانتقد بتقليده للعامة "أهل السنة" في علومهم، انظر: أمل الآمل، ١/ ٨٥، وأعيان الشيعة، ٧/ ١٤٢- ١٥٨.

(٢) الحسن بن زين الدين بن علي الجعبي العاملي (٩٥٩- ١٠١١هـ)، من أقران البهائي، تتلمذ على والده الشهيد الثاني، وأحمد الأردبيلي، ومن كتبه: منتقى الجمان في الصحاح والحسان، ومعالم الدين وملاذ المجتهدين في الأصول، والرسالة الاثني عشرية في الصلاة، وكان شاعراً، انظر: أمل الآمل، ١/ ٥٧- ٦٣، وأعيان الشيعة، ٥/٩٢-٩٩.

(٣) ستأتي ترجمتهما بإذن الله: الكركي في ص٣٩٥، والبهائي ص٧٦٥ من البحث.

(٤) انظر: مقدمة كتاب: الفوائد الحائرية، ص١٦، الوحيد البهبهاني، ١٢٠٦هـ، ط١، ١٤١٥هـ، مجمع الفكر الإسلامي- قم، والأصولي محمد رضا المظفر من المعاصرين أشار إلى الحيرة في معرفة سبب ضعف وفتور الأصوليين في زمن الدولة الصفوية، وأرجع ذلك إلى نزعتي التصوف والأخبار، وتأييد الصفويين للتصوف، كما أشار إلى طغيان التفكك الاجتماعي في عصر تلك الدولة، انظر مقدمة كتاب: جامع السعادات، ١/٩-١١، محمد مهدي النراقي، ت/ ١٢٠٩هـ، ت. محمد كلانتر، محمد رضا المظفر، دار النعمان – النجف، والمظفر هنا يجعل التصوف ملوم في ضعف الحركة الأصولية لزهدهم في البحث العلمي، وفي المقابل التصوف محارب من الإخبارية.

(٥) محمد باقر بن محمد أكمل بن محمد صالح (١١١٦- ١٢٠٦هـ)، عرف بالآقا، أو الوحيد البهبهاني، والمحقق الثالث، والعلامة الثاني، تتلمذ على الخوانساري، ويوسف البحراني، ومن تلاميذه: مهدي بحر العلوم، جعفر =

ـ وفي مدرسته ـ في مقابل الأخباري يوسف البحراني؛ واستمر هذا إلى أن برزت أطروحات تكميلية لهذا التيار من أبرزها أطروحات أصولية تجديدية لمرتضى الأنصاري، صاحب فرائد الأصول، ت/ ١٢٨١هـ[1]، ولا زالت معتمدة في الحوزات العلمية في قم والنجف، وعليه أغلب المراجع الأصولية.

وقد اتهمت الإخبارية الأصوليةَ بعدة تهم، منها ما يلي:

١- أنها نزعة عقلية، تسقط الأخبار المروية عن أهل العصمة.

٢- تقليدها للعامة "أهل السنة" في علومهم ومصطلحاتهم.

٣- أنها اتهمت بلأخذ بالظاهر، من قبل العرفانيين.

هذا بينما يزعم الأصوليون أنهم امتداد لفقه الأئمة، وأن الأئمة والإمامية أسسوا أصول الفقه والاستدلال قبل غيرهم من الفرق، وأن الفقيه ينوب عن الإمام الغائب، إلى أن أصبحت نيابة مطلقة عن الإمام، وانتشر بينهم ما يعرف بالمرجع المقلد، ويأخذون على الإخبارية قصر نظرهم في جمع الأدلة وعدم تنقيتهم للأخبار، وهذا شيخهم المفيد وجه النقد لهذه الطائفة الإخبارية في هذا الجانب، فيقول: (وأصحاب الحديث ينقلون الغث والسمين، ولا يقتصرون في النقل على المعلوم، وليسوا بأصحاب نظر وتفتيش، ولا فكر فيما يروونه

=

النجفي "كاشف الغطاء"، وأبو القاسم القمي، ومرتضى الأنصاري، ومن كتبه الفوائد الرجالية، والفوائد الحائرية، وتعليق على منهج المقال، وإثبات التحسين والتقبيح العقليين، واعتنى في كتبه بالرد على الإخباريين، وناظر شيخه البحراني في قصة مشهورة، وانتصر فيها للأصوليين، انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ١٨٢، ومقدمة كتاب: الفوائد الحائرية، ص١١ – ٤٧.

(١) مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى التستري (الشيخ الأنصاري)، (١٢١٤ – ١٢٨١هـ)، ولد في دزفول، وهو مقدم الإمامية في زمانه، وأكثروا من إطرائه، وهو واضع علم أصول الفقه الحديث عندهم، ومن أساتذته: محمد حسن صاحب الجواهر، وقد استلم بعده المرجعية الأصولية في النجف عشرين سنة، ومن تلاميذه: جعفر كاشف الغطاء، ومحمد بن حسن الشيرازي، والنوري الطبرسي، من كتبه: المكاسب، وفرائد الأصول، وهما مما يدرس في الحوزات، وإثبات التسامح في أدلة السنن، انظر: أعيان الشيعة، ١/ ١٣٨، ١٠/ ١١٧، والذريعة، ١٦/ ١٣٢، ٢٢/ ١٥١، ومقدمة كتاب: التقية، مرتضى الأنصاري، ت/ ١٢٨١هـ، ت. فارس الحسون، ط١، ١٤١٢هـ، مؤسسة قائم آل محمد – قم.

وتمييز، فأخبارهم مختلطة، لا يتميز منها الصحيح من السقيم إلا بنظر في الأصول، واعتماد على النظر الذي يوصل إلى العلم بصحة المنقول)(١).

تبع المفيد في هذا النقد طوائف كثيرة من الإمامية، فالطوسي مثلاً يشير إلى أن الأخباريين ذو أفق ضيق في النظر(٢)، وأن كثيراً من مصنفي الإخبارية ينتحلون المذاهب الفاسدة(٣)، ومن المعاصرين: محمد باقر الصدر، فهو يرى أن الإخبارية القديمة مرحلة فقهية ليس لديها اتجاه محدد في الاستنباط(٤).

كما شنع الأصولية على النهج الأخباري المتقدم فقد ازداد نقدهم بعد ظهور حركة الاسترابادي المتأخرة، وقاوموا أفكاره وكتبه وأتباعه، فهذا آقا الطهراني الأصولي في رده على الاسترابادي زعيم الإخبارية ألمح إلى مسألة ظريفة حين أوضح أن كلمة الاجتهاد التبست على البعض، وذلك لما تحمله من معان، وبقيت مدة من الزمن لم تتضح، وقال عن الاسترابادي: (ولذلك اتهم الاسترابادي الفقهاء بأنهم اتبعوا أهل القياس والرأي، فدعا إلى رفضه، والعمل بالأحاديث، فكان يعتقد أن سيرته امتداد لسيرة الفقهاء في زمن الغيبة الصغرى، وما قبلها، حيث كان الفقهاء يعتمدون على الأحاديث، ويرفضون الاجتهاد، ولكن ــ حسب زعمه ــ بعض الفقهاء أمثال ابن الجنيد، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والسيد المرتضى- انحرفوا عن تلك الطريقة، وابتدعوا طريقة الاجتهاد، فهذه الخواطر الذهنية ــ في رأيي ــ أثرت في نفسية الاسترابادي كي يبدي نظريته...)، وأشار الطهراني إلى أن مذهب

---

(١) المسائل السروية، ص٧٣؛ كما أن المفيد. وهو يعتمد على الحديث وينقد بعض المجتهدين. فإنه يعارض الخلط بين الرأي والنقل الذي يوقع بالتلبيس، وقال: (إن الأخبار تغني عن كثير من الآراء، لكن ذلك خفي على الطرفين).

(٢) انظر: المبسوط في فقه الإمامية، ١/ ٢، الطوسي، وللمزيد عن الكتاب ومؤلفه انظر ص٣٤١ من البحث.

(٣) انظر: مقدمة كتابه الفهرست، الطوسي، ص٣٢، ت. جواد القيومي.

(٤) انظر: المعالم الجديدة في الأصول، ص٨٠، محمد باقر الصدر، ط٢، ١٣٩٥هـ، مكتبة النجاح. النجف، ومقدمة كتاب: فوائد الحائرية، ص٨.

الاسترابادي ووتيرة حماسه في نقد الأصوليين لم يستمر إلا قليلاً[1].

أثمرت حركة الأصولية نشاطاً في تدوين وتأليف الكتب والموسوعات، إضافة إلى اعتمادها في حوزاتها العلمية على الجدل والمنطق والفلسفة في تقرير مذهبها والدفاع عنه، كما انتشر فيها منهج العرفان، القائم على الفلسفة الإشراقية، وجرى بينهم وبين الإخبارية صراع مشهور في القرون المتأخرة، اشتد في أكثر من قرنين، إلى أن تغلبت الأصولية وسادت منذ قرنين، وصارت هي الناطقة باسم الشيعة، هذا ما عدا بعض الفرق كالشيخية، كما أن ثم توجهات معارضة داخل المذهب تدعو إلى تصحيح مساره وانحرافاته، منها ما يدعو إلى منهج قريب من المدرسة العقلية السابقة، وذلك كطريقة المرجع اللبناني محمد حسين فضل الله.

وبعد ما سبق فنستطيع أن نذكر أن أغلب رموز الإمامية من الأصولية، ويمكن أن نلخص من سبق، إضافة إلى غيرهم، كما يلي:

١- الحسن بن أبي عقيل العماني، ت/ آخر القرن الرابع.

٢- محمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي، أبو علي الكاتب(ت/ ٣٨١هـ)،

٣- المفيد ابن النعمان، ت/ ٤١٣هـ.

٤- الشريف المرتضى، ت/ ٤٣٣هـ.

٥- أبو جعفر الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ.

٦- المدرسة الحلية[2]: (ابن إدريس، ت/٥٩٨هـ، وجعفر بن الحسن "المحقق الأول"،

---

(١) انظر: حصر الاجتهاد، ص٥٠-٥١، آقا الطهراني، ت/ ١٣٨٩هـ، ت. محمد علي الأنصاري، ط ١٤٠١هـ، مطبعة الخيام – قم.

(٢) نسبة إلى الحلة، إحدى مدن العراق الشهيرة، وحاضرة مهمة على ضفتي نهر الفرات، قرب آثار (بابل القديمة)، وقد كانت هذه المدينة على عهد الدولة المزيدية (٤٠٣ – ٥٤٥ هـ)، وكان قد مصرها أحد أمراء الدولة البويهية: صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي، سيف الدولة، وذلك في محرم سنة ٤٩٥هـ، بعد أن ولي إمرة المزيدية سنة ٤٧٩هـ، ولذا قد تسمى الحلة السيفية، ومن الوزراء الذين ظهروا منها: مؤيد الدين أبو طالب أحمد بن محمد ابن العلقمي، وزير العباسيين ومخرب دولتهم، الذي قتل في سنة ٦٥٦هـ، انظر: معجم البلدان، ٢/ ٢٩٤، وأعيان الشيعة، ٩/ ٨٢- ٨٣.

ت/ ٦٧٦هـ الحسن بن يوسف بن المطهر "العلامة"، ت/ ٧٢٦هـ).

٧- الشهيد الثاني العاملي، ت/ ٩٦٦هـ.

٨- علي بن عبد العالي الكركي "المحقق الثاني"، ت/ ٩٣٧هـ.

٩- محمد بن حسين البهائي، ت/ ١٠٣٦هـ.

١٠- الآقا محمد باقر "الوحيد البهبهائي"، ت/ ١٢٠٦هـ.

١١- مرتضى الأنصاري، ت/١٢٨١هـ.

١٢- روح بن مصطفى الخميني، ت/ ١٤٠٩هـ، زعيم الثورة في إيران(١).

ثالثاً: مسائل الخلاف بين الإخبارية والأصولية:

بعد هذه الجولة بين فرقتي الإخبارية والأصولية وما اتضح من اختلاف بينهما أشير إلى أن هذا الخلاف تمثل في معالم رئيسة، واستكمالاً للحديث عن هاتين الفرقتين فأذكر هنا مسائل الخلاف بينهما؛ والمسائل التي اشتهرت في الخلاف في الاستدلال بينهما كثيرة، وقداختلف الباحثون في حصرها وعدها، فمنهم من أوصلها إلى الثمانين، ومنهم من بالغ في تقليلها حتى اقتصر منها على أربع(٢)، لكن أذكر في الأسطر القادمة أبرز هذه المعالم والمسائل، كما يلي:

١) الأدلة:

اتفقت الفرقتان على دليلين في الاستدلال، واختلفوا فيما عداهما، والدليلان هما: القرآن، والسنة الواردة في كتبهم وأخبارهم، ومنها الكتب الأربعة المتقدمة، والمتضمنة للسنة النبوية، ولأخبار الأئمة، وهذه الكتب من تصنيف المحمدين الثلاثة الأوائل، وقد اعتمدوا فيها على كتب الأصول من رواة الأخبار عن الأئمة، والتي قد تصل عندهم إلى أربعمائة كتاب، والكتب الأربعة هي كما يلي:

أ- الكافي، لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني.

---

(١) ترجمته ص٤٠٩ من البحث.

(٢) انظر: أعيان الشيعة، ٣/ ٢٢٣، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ١١٩- ١٢٣، ومعجم الفرق الإسلامية، ص٢٢.٢٣، ورياض المسائل (المقدمة)، ١/ ١٠٥.

ب- من لا يحضره الفقيه، لمحمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الملقب بالصدوق.

ت- الاستبصار في جمع ما تعارض من الأخبار.

ث- تهذيب الأحكام، هذا وسابقه كلاهما لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، شيخ الطائفة، وهو معدود من الأصوليين.

اختلفت الإمامية فيما عدا ما ذكر، كالقياس والإجماع وغيرهما من الأدلة الأصولية، واتفاق الأخباريين والأصوليين في القرآن والسنة (الأخبار) ليس اتفاقاً تاماً، بل عند التأمل يتضح أنهم تنازعوا حولها نزاعاً شديداً، وهذا ــ بإذن الله ــ ما يتضح بعد بيان موقفهم من تحريف القرآن، وضعف وتهاوي كثير من مروياتهم وأخبارهم.

٢) تحريف القرآن:

تمتلئ كتبهم وأخبارهم بدعوى أن القرآن الذي بين أيدينا محرف وناقص، وأن تمامه عند الأئمة، فعند صاحب السرداب مصحف علي الذي كتبه بيده، وهذه العقيدة الباطلة ليست بغريبة عن أخواتها، كالجفر، وعلم الأئمة، وولايتهم التكوينية والتشريعية؛ ولكن الغريب أن تتجدد المسألة وتبرز ضمن النزاع حول أدلة الاستدلال، فإذا كان الأصوليون يجعلون الأدلة أربعة، كما سبق، وأولها القرآن، وذلك في مقابل أن خصومهم الأخباريين يكتفون باثنين من الثلاثة: القرآن، والسنة وأخبار الأئمة، بل بواحد منها، وهي أخبار الأئمة؛ فهل الاعتقاد بنقص القرآن يضعف الاستدلال به؟ هذا هو لازم القول، لكون القرآن حينئذ ناقص الدلالة، فقد يكون فيما أنقص منه، أو زيد فيه وحرف ما يغير حكم المسألة عندهم.

يأتي هذا الخلاف لتجديد أن القرآن لا يصلح لمباشرة الاستدلال، لأسباب منها أن حاله ومعانيه مشكلة، وأن القرآن الموجود محرف وناقص، فلا يعلم تفسيره وحقيقته إلا الأئمة، فهم القرآن الناطق، وباطن القرآن؛ فيلزم من ذلك الرجوع إلى الأئمة، والاكتفاء بأخبارهم، والإخبارية لا تسوغ طول التثبت من أخبار الأئمة، ولا الترجيح بينها بعرضها على القرآن والسنة، لأن القرآن لم يسلم به كمرجع في الاستدلال أصلاً، فكيف يكون مرجعاً للترجيح، وأما السنة فمدارها أصلاً على أخبار آل البيت، فانحصر الاستدلال بأخبارهم، وهذا وجه

مهم لاختصاصهم باسم الإخبارية؛ ويتبنى الأصوليون إظهار مخالفتهم في تحريف القرآن، والاشتغال بتخريج أخبار التحريف: إما بتأويل، أو تضعيف، أو اعتذار بتقية[1].

أشهر من فجر مسألة تحريف القرآن على استقلال هو الأخباري حسين النوري الطبرسي، ت/ ١٣٢٠هـ[2]، صاحب آخر مجاميع الرواية، وذلك في كتابه: فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب[3]، وهذه الفضيحة المخزية مسألة مشتهرة عند رموز الإخبارية من قبل، كالمجلسي، ونعمة الله الجزائري، وغيرهم، ويروونها عن شيوخهم المتقدمين، كالقمي والكليني، وغيرهم، وألفت فيها الكتب[4]، وهي عندهم من ضروريات مذهبهم التي لابد

---

(١) أشار علماء الفرق ـ ومنهم الأشعري ـ إلى اختلاف الإمامية في القرآن: هل زيد فيه ونقص، فالأشعري يذكر في ذلك ثلاثة أقوال لهم، ثالثها قول معتزلة الإمامية الرافضة "العقلانيين"، الذين نفوا التحريف زيادة أو نقصاً، انظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ١١٩ـ ١٢٠، ولعل من قال بالنقص أو الزيادة اعتمد على مرويات وأخبار يتداولونها في ذلك الحين عن غلاتهم، وهم من الإخباريين المتقدمين، فالعناية بنقل الخبر من لازم الإمامة عندهم، وإن كان شيوع كتب الأخبار الأربعة ثم بقية الثمانية صبغ المذهب الأصولي بالصبغة الإخبارية، فصعب التفريق بينهما.

(٢) الميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، (١٢٥٤ – ١٣٢٠هـ)، أخباري جلد، من آخر محدثيهم، له مستدرك الوسائل، آخر الكتب الثمانية، تتلمذ في طهران على صهره البروجردي، ومرتضى الأنصاري، ومن تلاميذه: عباس القمي، والطهراني، وعبد الحسين شرف الدين العاملي، ومن كتبه: فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، وجنة المأوى فيمن فاز بلقاء الحجة، والفيض القدسي في أحوال العلامة المجلسي، انظر مقدمة كتابه: نفس الرحمن في فضائل سلمان، ص٧ – ١٢، ت. جواد القيومي، ط١، ١٤١١هـ، مؤسسة الآفاق، ومقدمة مستدرك الوسائل، ١/ ٤١ – ٥٦.

(٣) قدم الدكتور ناصر القفاري دراسة واسعة ووافية حول مقولة التحريف قبل الطبرسي، ابتداء بمتقدمي الإمامية، وبين كيف تراكمت هذه العقيدة، وتكاثرت مروياتها، بدءاً من مرويتين إلى أن بلغت المئات والآلاف، حتى أصبحت من المتواترات والضروريات، ومما ذكره أن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يشر إلى هذه المقولة، مع أن علماء الفرق قبله أشاروا إليها؛ كما قدم نقداً لاختلاف الباحثين في تتبعهم لهذه المقولة عند الرافضة. انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ١٤٦، ٢٠٣ـ٢١٣ـ٢٢٤، ٢٤٤، ٣٧٤، ٢/ ٤٧٤؛ وعدم نقد شيخ الإسلام لمقولة التحريف ولكتابهم الكافي مما يشير إلى ضعف التيار الإخباري في زمنه، أو انغماسه مع الطوائف الباطنية، وهو أقرب.

(٤) انظر: الكافي، ١/ ٤١٢، وتفسير القمي، ١/ ١٠ـ ١١، وتفسير العياشي، ١/ ١٣، والغيبة، النعماني، ت/ ٣٦٠هـ، ت. فارس حسون كريم، ط١، ١٤٢٢هـ، أنوار الهدى – قم، وأوائل المقالات، المفيد، ص٨٠ـ ٨٢، =

من إظهارها، لأن الزمان ليس بزمان تقية!، ويرون أن القول بما هو معتمد عند العامة "السنة" هو ركون إليهم، وتقليد لهم، كتقليد الأصوليين لهم في علم الأصول والمصطلح، كما أن الطبرسي في معرض رده على خصومه في هذه المقالة قيل إنه جنح إلى أن: (المراد من التحريف خصوص التنقيص فقط في غير آيات الأحكام جزماً)(١)، وهذا هروب من تحرير خلافهم حول تحريف آيات العقائد، ولا شك أنها لازمة لهم عند خصومهم، وهو إقرار يلزمهم به خصومه من الأصوليين.

هذه المسألة وإن كانت تجددت بعد شدة الصراع بين الأخباريين والأصوليين إلا أنها أحدثت اضطراباً جديداً، حيث هاجم الأصوليون النوري، وتبرءوا من نسبة المقالة إلى المذهب، كما أنها جددت الحديث في تفسير أخبار التحريف، وإثباتها ونفيها، واختلفوا في ذلك على عدة أقوال، كلها لا تسلم من ضعف(٢)، وأن هذا تأويلهم لنصوصهم الصريحة في هذا الباب، والتي ينسبونها كذباً إلى آل البيت.

أبرز الخلاف السابق مسألة أضيفت بجلاء لعقائد الغلو عندهم، وهذه المسألة لا تذكر من الفروق البارزة بين الطائفتين تجنباً لإثارتها على المذهب، مع أنها من الأهمية بمكان، بل قد تكون أبرزها دلالة على سبب تسمية الإخبارية بهذا الاسم، فعنايتهم بالأخبار أسقطت القرآن من الاستدلال والمرجعية(٣)، بل ومن إجلال القلوب، كما يرتبط بها مسألة تكفير من جمع القرآن من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والأصوليون يتقون في هذا بخلاف الإخبارية، وكلهم في

=

وتفسير الصافي، ١/ ٤٩-٥١، وبحار الأنوار، ٣٥/ ٢٤، ٨٩/ ٧٤، والأنوار النعمانية، الجزائري، ٢/ ٣٦٣-٣٦٤.

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٤٧٨.

(٢) انظر: فقه الشيعة الإمامية (ومواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة)، ص١٤٨، د. علي أحمد السالوس، ط١، ١٣٩٨هـ، مكتبة ابن تيمية – الكويت.

(٣) انظر: مجلة المنهاج اللبنانية، عدد: ٣٣، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م، مقال: (المرجعيّة القرآنيّة والاتجاه الإخباري في الفكر الشِّيعي)، (٢/١)، فقرة: التُّراث القديم وإشكاليَّة مرجعيَّة السنَّة والقرآن، حيدر حب الله، ونقل فيه من هذا الكتاب عن متقدمي الإمامية. كالصدوق. في كتابيه معاني الأخبار، وكمال الدين.

الرفض والضلالة شركاء.

٣) حجية خبر الواحد:

الأصل في الخبر إذا صح أنه يفيد العلم والعمل، وخبر الواحد لا يخلو من حالين: أن تحف به قرائن، منها: موافقته للمعقول، ومطابقته لنص الكتاب والسنة المتواترة، وفقاً لما سارت أو أجمعت عليه الطائفة الإمامية الاثنا عشرية، فهذه قرائن تدل ــ عندهم ــ على صحة مضمون خبر الواحد، كما قرره الطوسي[١]، أما إذا لم تحف به قرائن، ولم يفد علماً ولا عملاً فهو مردود، وادعى بعضهم الإجماع على هذا، بل عد هذا من ضرورات مذهبهم[٢].

من غرائب ما ذكر في هذه المسألة إشارة الطوسي إلى وجود إجماعين متناقضين في قبول خبر الواحد وحجيته، وهما:

أ- إجماع الإمامية على ترك العمل بخبر الواحد[٣].

ب- إجماع الإمامية على قبول خبر الواحد[٤].

جمع الطوسي بين الإجماعين بأن محل الإجماع في ترك خبر الواحد من غير الإمامية، فقد أجمعوا على رده، وأما الثاني فواقعهم العملي أنهم أجمعوا على قبول خبر الواحد الإمامي، وهذا يصدق فيما إذا كان الراوي عدلاً، وليس ثم قرينة أخرى، وهو بهذا يفتح الطعن على دعوى الإجماع الأول، بل يتعدى ذلك إلى قوله بوجوب قبول خبر المخالف إذا اختص بروايته، ولم يكن مخالفاً لخبر عندهم، أو قول من أقوالهم[٥].

---

(١) عدة الأصول "العدة"، الطوسي، ١/ ١٤٣-١٤٥، وانظر: المقنعة الأنيسة والمغنية النفيسة، ٢/ ٣٢، مهذب الدين أحمد بن عبد الرضا البصري، ت/ بعد ١٠٨٥هـ، ت. علي رضا هزار، ضمن رسائل في دراية الحديث، ٢/ ٧- ٦٦، ترتيب أبو الفضل حافظيان البابلي، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الحديث. قم.

(٢) انظر: السرائر، ١/ ٨٢، ابن إدريس الحلي، ومصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٥٩١.

(٣) وهو ما يشير إليه المرتضى شيخ الطوسي، انظر: رسائل المرتضى، ١/ ٢٤، الشريف المرتضى، ت/ ٤٣٦هـ، ت. مهدي رجائي، ط ١٤٠٥هـ، دار القرآن – قم.

(٤) انظر: عدة الأصول، ١/ ١٢٨. ١٣٠.

(٥) مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٤٣١، ٥٩٤.

مما وقفت عليه من القرائن التي تدل على صحة خبر الراوي ـ عندهم ـ أن يكون الرواي معظماً وله ضريح، ويشتهر بالكرامات، وهذا يدل على امتزاج التصوف بالإمامية، وهذا مما يشخص مدى وتاريخ الانحراف للمذهب الإمامي الرافضي، والذي خالطته أصول جديدة مباينة له، حتى أصبحت من ضروريات من المذهب، فلا ينفك منها بعد ذلك؛ فقد ذكر البروجردي في طرائف المقال في ترجمة عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال بعدما ذكر عنه من ضعف روايته: (وهذا أمر عجيب، بل من أعظم العجائب، إذ معروفيته ونبالته وورعه وتقواه غنية عن البيان، قد صارت من الضروريات والواضحات... مع ما له من النسب والشرف والفخر الظاهر لكفاه، إذ ليس سلالة الأطهار كسائر الناس إذا آمن واتقى، وكان عند آبائه الطاهرين مرضياً مشكوراً مسكوناً إليه...

وقد أشرنا في الباب السابع أن هذين الوصفين أعلى من التوثيق، خصوصاً مع ملاحظة ما ورد في فضل زيارته من الروايات، فمنها ما ورد ونقله السيد الداماد في الرواشح: من زار قبره وجبت له الجنة،... وظني أن الشبهة فيه كالشبهة في الضروريات الأولية، تشبه بالشبهات السوفسطائية، بل التكلم في هذا المجال مستهجن، وقد صار قبره الواقع في مشهد الشجرة بالري مزاراً للشيعة من الخاص والعام، من لدن زمن وفاته إلى هذا الزمان، بل يزيدون الإعظام والإكرام يوما فيوما، وله قبة عظيمة مذهبة، وروضة محجرة بالمرمر والمرآة في جدرانها،... فهذه القبة الشريفة كسائر الأماكن المشرفة ملاذ ومعاذ للحيارى وذوي الحاجات، يصلون إلى مطالبهم بأدنى توجه من الأعالي والأواسط والأداني، من كل بر وفاجر وعالم وجاهل)[(١)]، عياذاً بالله من هذا القول الشنيع، وهو من أبواب الشرك وعبادة القبور والبدع عندهم.

لا ينتهي العجب من حال هؤلاء ومذهبهم في خبر الواحد، وذلك عند النظر إلى ما في كتبهم الأربعة وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والتي بنوا عليها أعمالاً ومناسك

---

(١) طرائف المقال، ٢/ ٥٤٦، البروجردي، ت/١٣١٣هـ، ت. مهدي الرجائي، ط١، ١٤١٠هـ، مكتبة المرعشي- قم.

وشعائر وأوراداً، مع أن الظن أن جلها لا يخلو من أن يكون من أخبار الآحاد التي اختلفوا فيها، ولكنهم تحت مظلة التسامح في السنن فتحوا لها الباب على مصراعيه، فحشوا كتبهم منها، حتى أصبحت لهم شعاراً، يقول البصري في المقنعة، تحت باب التسامح في السنن: (وأما الضعاف فقد شاع عمل الأصحاب بها في السنن وإن اشتد ضعفها إلى النهاية، إذ العمل عندنا ليس بها في الحقيقة، بل بالحسنة المشهورة المتلقاة بالقبول)[1].

ثم ساق في تأييد هذه ما يعرف بالحسنة ـ بل السيئة ـ ما يلي:

ما رواه الكليني بإسناده عن الباقر ــ رضي الله عنهما ــ، يقول: «من بلغه ثواب من الله على عمل فعمل ذلك العمل التماس ذلك الثواب، أوتيه، وإن لم يكن الحديث كما بلغه»[2].

وما رواه الصدوق محمد بن بابويه في كتاب ثواب الأعمال، عن أبيه علي ابن بابويه بإسناده، عن أبي عبد الله قال: «من بلغه شيء من الثواب على شيء من الخير فعمله كان له أجر ذلك، وإن كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ لم يقله»[3].

وما رواه البرقي في المحاسن بإسناده عن أبي عبد الله قال: «من بلغه عن النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ شيء من الثواب فعمله كان أجر ذلك له، وإن كان رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ـ لم يقله»[4].

وما رواه عنه ـ صلى الله عليه وآله ـ أنه قال: «من بلغه عن الله فضيلة فأخذ بها وعمل بما فيها، إيمانا بالله ورجاء ثوابه، أعطاه الله تعالى ذلك»[5].

شهرة هذه الحسنة في كتبهم جعلت الأخباريين والأصوليين لا يناقشون امتلاء كتبهم منها، لاكتفائهم بنية المتقرب، ولو كان الثواب مكذوباً، وهذا ما فتح باب الاستحسان،

---

(١) انظر: المقنعة الأنيسة والمغنية النفيسة، ٢/ ٢٨-٢٩.

(٢) الكافي، ٢/ ٨٧.

(٣) الكافي، ٢/ ٨٨، ووسائل الشيعة، ١/ ٨١، باب استحباب الإتيان بكل عمل مشروع.

(٤) وسائل الشيعة، ١/ ٨١، وبحار الأنوار، ٢/ ٢٥٦.

(٥) انظر: عدة الداعي ونجاح الساعي، ص١٠، ابن فهد الحلي، ت / ٨٤١هـ، ت. أحمد الموحدي القمي، بدون تاريخ الطبع، مكتبة وجداني – قم، وذكر في المقدمة أن هذا الحديث جاء من طريق العامة، ولم ينسبه.

وساهم بدخول الوضع إليهم، وتشريعه عندهم، وهو مرتبط بالتسامح في العقائد والأصول، التي بنوها على الأهواء، وما داموا لم يحتاطوا للوضع في أصولهم فمن باب أولى ألا يحتاطوا في باب الشعائر والزيارات[1]، إذ يعدونها من السنن، وهذا مما يوضح سبب تضخم بدعهم، كبدع عاشوراء، حتى غدت بدعتهم العملية الكبرى، ولا غرابة في تعاطف الجهال مع كل ثواب يذكر، حتى ولو كان ثواباً موهوماً، كثواب زيارة الله في عرشه، هذا لمن زار قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فشبهوا زيارة قبر الميت بزيارة الله، وهم لن يسلموا بهذا أن يوقعوا هؤلاء الجهال بمزالق الغلو بالإمام، ودعوى حلول الله في بعض خلقه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

أما صحابة رسول الله ﷺ فحاروا فيهم ما بين مقولة التكفير، أو الوعيدية الذين أسقطوا عدالتهم[2]، ولم تشفع لهم صحبة رسول الله ﷺ، كما شفعت هذه القبة التي صنعها قبوريو الرافضة لمقبورهم، والأخباريون في مروياتهم وكتبهم يقطعون بكفر أكثر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومثلهم كثير من متأخري الأصولية[3]، وإن كانوا سيدعون أنها ليست من أصول عقائدهم.

قد تكاثرت أقوال الإمامية على منع الاستدلال بمرويات الصحابة ابتداء، أو تثنية وتبعاً، وذلك لأمرين: لوفرة مرويات أهل البيت وشمولها، ولأنها نص معصوم، ولأنهم قد حذروا

---

(١) يتجه ما ذكر إذا اعتبرنا فروع العقائد ومسائلها سمعية، أما إذا لاحظنا مذهب الأصوليين في أن أدلة الأصول عقلية، وتسامحهم في السنن؛ فنعرف أن مروياتهم في العقائد جعلوها من جنس السنن، فيتساهلون فيها، وهذا ما جعل كتبهم الروائية بريداً للغلو، لأنهم يرون أن مجرد روايتها لا يلزم منه اعتقادها، لأنها خبر آحاد لا يفيد العلم واليقين، ويلبسون بجواز بعضها عقلاً، ويكثر حولها اضطرابهم، كما يحتجون بالحسنة المذكورة، والتي بربطهم لها بأصل العبادة والحب يعرف سر كثرة مداخل الشرك والزندقة لديهم، وللتوسع انظر ص٨١٩-٨٢٩ من البحث.

(٢) مسألة عدالة الصحابة تناولتها الرافضة بالتلبيس في قنواتهم ومنتدياتهم، وهي مسألة جديرة بالتحرير والرد.

(٣) المفيد في أوائل المقالات، ص١٥٥، حكى إجماع الشيعة على كفر محاربي علي كفر ملة وتأويل، وجعلوا حالهم حال المنافق، وانظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٤٨٧-٥١١، والمؤلفة -وفقها الله- لم تبرز وتنص على التفريق بين أقوال الإخباريين وأقوال الأصوليين في عدالة الصحابة، كما في صنيعها في بقية المسائل، وإن كانت أشارت إلى أن المتأخرين أكثر جرأة وتصريحاً، أما المتقدمون فيرمزون؛ لكن صنيعها يوحي بأنها ترى أن المسألة موضع إجماع من الطائفتين.

من الرأي، ومن ذلك أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[1]؛ خاصة فيما يخالف بدعتهم، وإن كانوا ينتحلون كثيراً منها، أو يستكثرون بها فيما يوافق مذهبهم، ويعدون ذلك المورد من المتواتر، وأما أقوالهم وفتاويهم وتفسيرهم فهي عندهم من جنس الرأي، وإن كان بعض الأصوليين ــ كالطوسي ـ يستأنس برواية المخالف إذا لم يخالف خبراً، أو قولاً للطائفة[2].

عرض الأصوليون لهذه المسألة في كتب الأصول، مع كونها لا توافق أصلهم في الإمامة والوعيد والتكفير؛ وإنما كان ذلك منهم تنزلاً ومجاراة لأهل السنة، وهو ما يعيبه عليهم الإخبارية، لأن كفر الصحابة وردتهم في الواقع من ضروريات مذهبهم؛ وإلا فعدالة المنافق هو الاسم المطابق لمبحث عدالة الصحابي عندهم، وهو الاسم المفترض أن يكون عنواناً لهذه المسألة في كتبهم، وعدالة المنافق ليست محل بحث أصلاً في باب الأسماء والأحكام، وإنما مبحثها في إجراء الأحكام الفقهية الظاهرة، ولكن لحنق الرافضة على صحابة رسول الله راموا التلبيس ترويجاً لمقالتهم باسم عدالة الصحابة.

٤) تقسيم الحديث:

اختلفت الإخبارية والأصولية في الخبر من حيث الصحة والضعف، فهناك من جعل الأخبار على قسمين فقط إما صحيحة معتبرة، وإما ضعيفة، واعترض هؤلاء على من زاد في التقسيم[3]، بحجة أنه لم يكن موجوداً عند السابقين المتقدمين منهم، وإنما حدث ذلك متأخراً في القرنين السابع

---

(١) دروس في أصول فقه الإمامية، ص١٧٨، عبد الهادي الفضلي، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة أم القرى .قم، وما ذكره المؤلف الشيعي فيه تلبيس ومخادعة، حيث لم يصرح بسبب الرد، لأن الشأن غالباً أن قول الصحابة -عندهم- في مقابل قول الإمام؛ فهو قول غير العدل "الفاسق أو المنافق" في مقابل قول المعصوم، فهم وعيدية من هذا الجانب.

(٢) انظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٥٨٥.

(٣) من هذه الأقسام الصحيح والحسن والموثوق والضعيف والمرسل، وهذه المسألة مرتبطة بحجية خبر الواحد، ومما لاحظه الاسترابادي على عمل الأصوليين في نقد الأخبار تأخر كتبهم في الجرح عن زمن الرواية، واضطرابهم في الحكم، وأن تقسيمهم يصلح في خبر الواحد الخالي عن القرائن، أما ما اقترن بالقرائن فلا يحتاج لهذا التقسيم.

والثامن، من قبل ابن مطهر ت/٧٢٦هـ، أو جد أمه ابن إدريس الحلي، ت/ ٥٩٨هـ[١]، وأنهم قلدوا في هذا الفن علماء السنة ومصطلحاتهم[٢]، وهذا يؤيده ما اشتهر عن علماء السنة، كابن تيمية، حيث نقد الإمامية من جهة مروياتها، وأنه لا يميز فيها الصحيح من الضعيف[٣].

٥) حجية كتب الأخبار القديمة:

كتب الأخبار القديمة كثيرة، أشهرها أربعة، وأوثقها عندهم كتاب الكافي للكليني، ومع هذه الشهرة والمكانة فهناك من الإمامية من شكك في صحة كثير من أخباره، وذكر أنه لا يجوز الاعتماد عليها، ولا يكتفى بورودها في هذه الكتب، ولا يصح الاكتفاء بتحسين مصنفيها، وأن تصحيحهم حجة عليهم، لا على غيرهم، بل إنه لا بد من الاجتهاد والنظر في صحتها على ضوء قواعد تميز صحيحها من سقيمها[٤]؛ وفي مقابل هذه الطائفة طائفة أخرى حكمت على أخبار هذه الكتب بالصحة والقطع لما حف بها من قرائن، ولا حاجة إلى البحث في أسانيدها[٥].

٦) الإجماع:

وهو اتفاق علماء الطائفة على حكم شرعي، والاختلاف حوله في زمن الأئمة لا عبرة به لوجودهم، ولا يقدم على قولهم قول أي أحد، وإنما محله زمن الغيبة، فيكون كاشفاً عن قول

---

(١) محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلي، ابن إدريس الحلي (٥٤٣- ٥٩٨هـ)، من أعيان الإمامية الأصولية، من شيوخه خاله: أبو علي الطوسي، وابن إدريس أشهر من نقد وتعقب شيخ الطائفة الطوسي، وقيل إنه جده لأمه، واستنكره بعضهم، وابن إدريس يوافق المرتضى في عدم العمل بخبر الآحاد، واتهم بالإعراض عن أخبار آل البيت، من كتبه: السرائر، انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ١٢٠، ١٦٥، ومعجم رجال الحديث، للخوئي، ١٦/ ٦٦- ٧٠، ومقدمة كتاب: السرائر، ١/ ٣- ١٦، ابن إدريس، ط٢، ١٤١٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

(٢) انظر: الفوائد المدنية، ص١٧٢-١٧٣، ومصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٤٤٤-٤٥١.

(٣) انظر: منهاج السنة، ٤/ ١٨، ومسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ١/ ٢٨١، د. ناصر بن عبد الله القفاري، ط١، ١٤١٢هـ، دار طيبة - الرياض.

(٤) انظر: المقنعة الأنيسة والمغنية النفيسة، ٢/ ٢٨-٢٩.

(٥) انظر: الشيخية، ص٣٤-٣٥.

الإمام[١]، وقد منع الأخباريون وروده[٢]، اكتفاء بأقوال الأئمة وأخبارهم، ولأنه تقليد للسنة، وجوزه الأصوليون، ووقع بينهم خلاف مشهور في تصور وقوعه، وهل هو دليل مستقل، أو كاشف عن قول معصوم ربما قد يكون بينهم، وقد يعده بعضهم من اللطف، وهو من مواضع مخالفتهم لفرق المسلمين[٣].

٧) الاجتهاد[٤]:

الاجتهاد أو دليل العقل، ويسمى القائلون به الأصوليين العقلانيين، أو المجتهدين وأهل الاجتهاد، وحجيته في مسائل الأحكام (الفروع) هو عنوان الخلاف ورأسه؛ وهو الدليل الرابع عند الأصوليين، وهو عند السنة القياس[٥]؛ واختلفوا في المراد به، فبينما منعه الأخباريون، لأنه تقليد لأصول العامة "السنة"، وللفلاسفة والمتكلمين، وأن وفرة الأخبار عن الأئمة تغني عن هذا الدليل[٦]؛ فقد زعم الأصوليون أن الإمامية في علم الأصول أسبق الفرق الإسلامية، وأنهم أسبق من السنة، التي تقول: إن الشافعي هو أول من كتب في علم الأصول، وزعموا أن هشام بن الحكم وضع كتاباً فيه قبل ذلك من إملاء الباقر والصادق[٧].

٨) التوقف والاحتياط:

أي أن الفقيه يلزمه عند الشك وعدم الخبر، أو عدم الترجيح بين الأدلة، يلزمه التوقف، وأنه لا عبرة بقاعدة البراءة وأصل الإباحة، لأنه لا بد لكل واقعة من حكم، لاكتمال الدين والشرع، فإذا جهل الحكم من جهة الخبر فلا ينظر فيه إلى أصل الإباحة، أو إلى القياس والاستصحاب، ونحوها من الأدلة العقلية التي يراها الأصوليون، لأنها مظنونة، وما كان

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، محمد علي الأنصاري، ١/ ٥٠٠.

(٢) انظر: الحدائق الناضرة، ١/ ٧١.

(٣) انظر: أوائل المقالات، ص١٢١.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، محمد علي الأنصاري، ١/ ٤٦٣.

(٥) الاجتهاد عندهم بمرتبة الدليل العقلي المضمن في النصوص، انظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، ١/ ٤٦٣.

(٦) انظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، محمد علي الأنصاري، ١/ ٤٧١-٤٧٢، وقد نقد كل من الاسترابادي والشيخ الأحسائي هذا الجانب لدى الأصوليين، مع أن بينهما فرقاً فيما بعد ذلك، وانظر ص٨٠٩ من البحث.

(٧) انظر: الشيخية، ص٣٦.

كذلك وهو ليس من ضروريات الدين فيقتصر فيه على خبر الأئمة، وإن لم يكن هناك خبر فالتوقف[1].

٩) تقليد الميت:

وهي مسألة متعلقة بوظيفة المجتهد أو المفتي، فمن يرى أن المجتهد لا يفتي إلا بنقل الخبر، دون الاستناد إلى مقدمات نظرية، لأنه مخبر عن المعصوم، فلا يشترط في تقليده أن يكون حياً، وهذا قول الإخبارية، ومن رأى أن وظيفة المفتي استنباط الحكم والفتوى من الأدلة، ولو بطرق نظرية، ينوب فيها عن المعصوم تنزلاً، لا مخبراً؛ فيلزم في تقليده كونه حياً، لاحتمال تغير نظره بعد ذلك، فلا اعتبار له إلا في حياة الناظر، وهذا هو قول الأصولية[2].

ثم مسائل أخرى غير هذه المسائل السابقة، كعرض أخبار الأئمة على القرآن والسنة، وطرق الترجيح إذا تعارض العقل والنقل، وسهو النبي وسجوده للسهو، وغيرها من المسائل، وليس المجال هنا لحصرها، وإنما لمجرد إيضاح نماذج من الخلاف بين الطائفتين؛ ومما يعنينا من هذا هو أثر هذا الخلاف على بدع عاشوراء، وهو أمر يتبين بمعرفة أثر الأخباريين في حفظ وتوفير الأخبار المليئة بالكذب والأساطير حول حادثة المقتل، التي اتخذت الشيعة منها شعائر ومناسك خاصة، وتواطأ معهم الأصوليون على قبول ما حكته كتب المقاتل من الأباطيل تحت التسامح في باب السنن، حتى غدت بدع عاشوراء في الجملة من ضرورات المذهب، وهذا ما يشهد له الواقع العملي قبل البيان القولي العلمي، وتحصل بسببها النزاعات والخصومات العريضة، ومن النماذج المعاصرة مسألة التطبير والتشابيه؛ وظهور بعض الحركات التي تظهر وتتبنى تصحيح الانحراف العميق لهذه الأساطير، ومع كونها أحدثت صراعاً مشهوداً إلا أنها قوبلت بعداء صارخ، واتهام جارح؛ ومع ذلك فهذه الجهود هي أحوج أن توجه لبنية المذهب وأسسه، إذ الخلل جاء من أصوله وأدلته، ويتضح الخلل أكثر عند فهم معنى العبادة وحقيقتها عندهم، وهو حديث الفقرة التالية.

---

(١) انظر: الفوائد المدنية، ص٢٩، والموسوعة الفقهية الميسرة، ١/ ٤٦٣، ٥٥٦.٥٥٨.

(٢) بتصرف عن: معجم الفرق الإسلامية، ص٢٣.

١٠) أصل العبادة:

وهي مسألة ظهرت لي أثناء بحثي لموضوع (عاشوراء)، ولم أقف على من ذكرها من الباحثين، وأنا أذكرها لمناسبة البحث، فبعض الإخبارية يرون أن أصل العبادة الشكر، وأما الأصولية ــ وخاصة متأخروها ــ فيرون أن أصل العبادة هو الحب، وترتبط هذه المسألة بحقيقة مقام الأئمة وولايتهم التكوينية وولايتهم التشريعية، وتفسير المراد بتفويض الله للأئمة، الوارد في أخبارهم، وكذلك تفسير التفويض المنهي عنه، وقد عرف أصحابه بالمفوضة، وعلى أنه وقع للإمامية اضطراب في هذا الباب إلا أن بعض الإخبارية ـ ومثلهم من يراعون ظاهر الأخبار ويعظمونها ـ أقل غلواً من كثير من الأصوليين، وخاصة أهل العرفان منهم، الذين تأثروا بالفلسفة الإشراقية؛ وهذا الجانب سيتضح ــ بإذن الله ــ عند الحديث عن عقيدة الولاية التكوينية والولاية التشريعية، وعند الحديث عن العرفان الشيعي[١]؛ وعليه فيمكن أن تعد الولاية التكوينية للأئمة من مواضع الخلاف بين الفريقين، وإن كانت المسألة تحتاج إلى مزيد تقص وتتبع.

الذي يعنينا في جانب العبادة هو منطلق العبادة في عاشوراء، واشتراك الأصوليين والأخباريين في إحياء عاشوراء لا يلزم منه أنهم في المنطلق والواقع سواء، فالإخبارية قد تميل إلى أن الأصل في العبادة والتأله هو الشكر والرجاء، وتتوسع في اتخاذ الأئمة وسائط، أما الأصولية العرفانية فتميل إلى أن الأصل في التأله الحب والعشق، والعشق هنا عبادة يتداخل فيها الفرح مع الحزن: فالحزن حباً للحسين، والحسرة على ألم فراقه، وذلك رجاء القرب منه بهذا العمل، ومن نيل شفاعته عند الله.

المعنى السابق من العبادة فيه معنى التأله والذل والفقر والخضوع؛ لكن يقابله معنى آخر للعبادة، قائم على الحب والعشق، وأن عبادة الله ومحبته تكونان بالتشبه به، ومثلها محبة الأئمة واتباعهم هي بالتشبه بهم، وهي عبادة الأحرار[١]؛ ويتضح هذا جلياً عند بعض الإمامية في أن

---

(١) انظر ص٣٠٣- ٣٣٢، ٧٧٧ من البحث.

(١) للمزيد عن العرفان وأثره على عاشوراء انظر: ص٨١٣ من البحث.

يوم عاشوراء يصبح حراً، وذلك لا يتم إلا إذا أعلن بنوائحه وأحزانه وأفراحه الخاصة، وعليه فيوم عاشوراء لم تتضح فيه معالم المذهب، ولم ينعتق من الشتات والخلاف إلا بعد التصالح مع البويهيين، وكما قال أحدهم: (جاء العهد البويهي في القرن الرابع الهجري فتحرر هذا اليوم)[1]؛ فالتحرر يكون من كتمان المذهب وبسب الصحابة، وبالاستعداد لأخذ الثأر.

١١) صوم يوم عاشوراء:

هذه المسألة من مسائل الخلاف بين الأصوليين والأخباريين، فبينما تمتلئ كتب الرواية عند الإمامية بأحاديث صوم عاشوراء، فهي لم تخل من أخبار النهي، أو الصوم تحزناً وجزعاً، لكن أكثر الإخبارية يغلبون تحريم الصوم، ويحملون ما ورد عن الأئمة من فضل عاشوراء وفضل صومه على التقية، لاشتهاره عند العامة، أي أن الأئمة كانوا يحدثون الناس بهذه الأحاديث الموجودة عند أهل السنة تقية، وأنها حين ترتفع فإنهم ينهون عن الصوم كلية، بل قد يميلون ـ أحياناً ـ إلى التصريح بأن أحاديث الصوم كلها مكذوبة، وأنها وضعت للانشغال عن مصيبة الحسين في عاشوراء.

أما الأصولية فيقولون بالصوم، وإن كان لهم فيه اتجاهات متقاربة، تقوم في غالبها على تغليب الحزن واستحضاره مع الصوم، وألا يكون صوماً لجميع اليوم، بل يقطع قبل تمامه، وهو صوم التحزن والجزع، وهو مكروه على المشهور عندهم، خاصة إذا اعتقد فضله، ومن أشهر من خالف فيه منهم الخوئي، حيث توصل إلى القول بالاستحباب المطلق[2].

١٢) شعائر عاشوراء (الشعائر الحسينية):

هذه المسألة تابعة ومرتبطة بما قبلها، والخلاف قائم ومشهور اليوم بين الإمامية حول الشعائر البدعية المحدثة في عاشوراء، وإن مما فتح باباً لتأسيس الغلو بها منحها مسمى الشعيرة والشعائر، فظهر الاجتهاد في تقديس هذا المصطلح الجديد، حتى لا يقدر أحد من مجتهديم ومراجعهم ــ فضلاً عن باحثيهم ومفكريهم ــ على المساس بها، أو إنكارها، وبها أشرعوا

---

(١) آداب المنابر، حسن مغنية، نقلاً عن: من قتل الحسين، لعبد الله بن عبد العزيز، ص ٥٦.

(٢) سيأتي – بإذن الله– ذكر مذهبهم في الصوم، وطعنهم على أهل السنة بسببه، انظر ص١٠١٤ من البحث.

للضلالة باباً واسعاً، يعجزون عن إغلاقه، يتحلل من طريقه كثير من العوام عن أحكام الشريعة، ويفتون فيه أنفسهم، وفقهاؤهم إن ادعوا أو اشترطوا لصحة هذه الشعائر عدم توهين المذهب بالخلاف حوله، والطعن عليه بذلك؛ فإن الخلاف حولها قامت بسببه نزاعات وشحناء وردود ومؤلفات جديدة، أحدثت لها كتباً سميت وعرفت بكتب الشعائر الحسينية، وكأنها ـ بهذه الحال ـ من مسائل النوازل الفقهية عندهم، وقد تدرج ذكرها فيما بعد إلى كتب المراجع بشكل بارز، ومن أسباب المعارضة فيها ميل المخالفين إلى التعلق بجانب الأخبار، ومحاولة عدم التوسع في تأويلها.

من أبرز ما يدور الخلاف حوله في هذه الشعائر مسألة إقامة التشابيه، والتوسع والتباهي في مجالس العزاء، بما يجعلها من جنس الأفراح، ومن أشهر من أنكرها من مراجعهم محسن الأمين العاملي[(١)]، وعلى مكانة الرجل بينهم، وخدمته لمذهبهم، إلا أنه كتبت ضده الردود والكتب، من مراجع الإمامية في بلده في جبل عامل بلنان؛ ومن مراجع النجف وقم، حتى كادت تسقط درجته واعتباريته عندهم؛ وصور الخلاف غير المشهور الخلاف بين الإخبارية والأصولية السابق حول مسائل التصوف متعددة، من السماع والغناء والمعازف، والتي طال الخلاف حولها إلى حد التكفير، وذلك آخر عهد الدولة الصفوية، زمن شيخها المجلسي، وقد تبرز صوره بين الحين والآخر، مع ضعف الطائفة الإخبارية حالياً، كما أنه استمر الجدل حول مسائل توسع انتشار هذه البدع في بلدان الشيعة، كالتطبير والزناجيل، ونحوها؛ وممن عرفوا بالمخالفة فيها المرجع اللبناني محمد حسين فضل الله[(٢)].

الأخباريون مع كونهم ينكرون القياس والاجتهاد، ويلتزمون بأخبار الأئمة المنسوبة إليهم، إلا أنهم يشاركون الأصوليين في إحياء موسم عاشوراء، بل قد يفوقونهم فيها من وجه،

---

(١) له ترجمة في البحث ص٧١٠.

(٢) في الباب الثالث عرض للعلاقة بين التصوف والإمامية، وأثر ذلك على عاشوراء، ومثله العرفان الشيعي، ومن آخر صور الاعتراض على مظاهر الصوفية في الحسينيات ما أصدره المرجع اللبناني جميل جواد العاملي في فتوى له نشرت على موقعه، ولكن سرعان ما أخفيت وسحبت من الموقع، وفيها فضح من أسماهم لصوص المعبد، ذكرتها عند الحديث عن الحسينيات ص٥٢١ من البحث.

وهو طرح التقية[1]، لما يرونه ويروونه من مقامات الأئمة، ولما يرجونه من شفاعتهم وبركاتهم، ولما فيه من الإغاظة لأعدائهم[2]، لكن مع ذلك فيفسرها بعضهم بالمنهج العرفاني الصوفي[3]، فجعلوا من تراث الأئمة ومصائبهم طريقاً لمعرفة الله والقرب منه، وهو معراج الوصول للحقيقة؛ وعند التعريف بالطائفتين سيتضح ــ بإذن الله ــ مدى تأثير هذا الجانب عليهما، وأن الخلاف بينهم مع وجوده بينهم في الأصول النظرية من وجه؛ فإنه لا يكون أثره وثمرته بارزاً مثل بروزه في مسائل الأحكام العملية، التي يشارك العوام في تطبيقها والتنسك بها.

---

(١) قد يضعف تصور هذا الجانب لا شتراك القوم في التقية، لكن بعضهم تستر بمرويات أهل السنة للتلبيس بها، بينما بعضهم يحافظ على هوية المذهب، ولا يرضى أن يدخل عليه مرويات مخالفيه، ويتوسع في استنطاق الروايات، والتفريع عليها، ومن أبرز من وقفت عليه منهم في المعاصرين جميل جواد العاملي، كما في كتابه: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء.والتطبير)، وسيأتي الاستشهاد بمواضع من هذا الكتاب –بإذن الله–.

(٢) انظر: الشعائر الحسينية كيف ولماذا؟، الميرزا حامد حسن النواب، ٥٧، ط١ ، ١٤٣٠هـ، دار العلوم – بيروت.

(٣) المنهج العرفاني: منهج تكاملي للوصول إلى المعرفة، يجمع بين العقل والنقل والوجدان في طريقه للحصول على المعرفة، وهو .عند أصحابه .نوع من الإلهام، ويعتمد على النصوص من جهة الإشارة، لا العبارة، فالنصوص .على هذا .لاحقة، لا مؤسسة، وللتوسع حول هذا الموضوع راجع: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية، إيمان صالح العلواني، ٢/ ٨٩٣- ٩٣٣.

المطلب الثاني

أقسام الاثني عشرية في الظاهر والباطن

تنقسم الإمامية الاثنا عشرية من جهة الظاهر والباطن إلى أكثر من فرقة، ويصعب حصرها، لتداخلها ولعدم تميز معالم بعضها من حيث إنها مذهب فقهي واستدلالي مستقل، وإنما تميزه من جهة كونه طريقة في السلوك، كطرق الصوفية، مع تعلق كثير من أعلام هذه الفرق بمرويات كتب الأخبار، وبمنهج الفقه تدريساً وإفتاءً في مسائل العبادات والمعاملات المشتركة؛ ولرسوخ الجمع بين الشريعة والطريقة عند كثير من المتأخرين المنتسبين إلى السنة والشيعة فإن ضبط جميع مواضع الاضطراب يحتاج إلى جهد واسع، وأرى أن أهم موضع تفترق فيه الإمامية من جهة الظاهر والباطن هو الموضع الذي تلتقي فيه مع التصوف، وهو المهدوية التي ترتبط بالإلهام والكشف، وعليه فيمكننا أن نقسم الإمامية من حيث واقعها المهدوي إلى قسمين:

مهدوية سردابية: ترى أن المهدي ولد حقيقة، وأنه موجود في موضع من المواضع، سرداب أو غيره، وأنه في غيبة، وأنه يلتقي ببعض شيعته المخلصين، وأنه يلزم شيعته انتظاره، كما عليهم تتبع أحكام دينهم من كتب أخبار الأئمة، والتفقه فيها، إلى حين أن يأذن الله له بالظهور والفرج.

مهدوية غير سردابية: ترى أنه لا يلزم أن يسلم بولادته، أو بوجود حقيقي سابق له، أو بوجود مستمر، وإنما قد يتأولونه بتأويلات باطنية، أو يرون أنه قضية روحية، أو أنه لم يولد بعد، ولابد من الانشغال بالتنبؤ لظهوره، فالأحسائي مثلاً يقرر أن المهدي يعيش بين الناس في حالة روحية لطيفة، وعليه فلا واقع جسماني له، وتبعه من صرح بركنية المتبوع الأحسائي، أو الرشتي(الشيخية الكرمانية)[1]، وسيكون دليلهم هو نفس دليل الإمامة (اللطف)، ولعل

---

(١) انظر ص٩٣، ١٩٦– ١٩٨ من البحث، وفي الموضع الثاني الإشارة إلى المناظرة بين الإمامي والقادياني، التي عقدها الشيخ عبد الملك الشافعي، في كتابه: (إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النبوة)، ومثلها الركني هنا =

هـذه المسـألة موضـع تتقـارب فيـه الإماميـة مـع الطوائـف التـي فارقتهـا في تسلسـل الإمامـة، كالنصيرية التي خالفت في مهدوية صاحب السرداب، واتخذت زعيمها مكانه، تحت دعوى البابية، ولكن ليس باباً للابن المزعوم محمد بن الحسن، بل للحسن العسكري، الإمام الحادي عشر عندهم.

لأهمية التعرف على الجانب الباطني لدى الإمامية فإن الحديث سيكون عنه بشكل مباشر، أما الجانب الظاهري فسيتبين واقعه بالحديث عن الباطن، الذي سيوحي بقلة الفرق الظاهرية، وأن ما تمارسه الإمامية من العناية بظواهر أخبارهم إما تقية مع خصومهم، وإما مراعاة للعوام منهم، الذين يتعلقون بفقه الظاهر، وفي العرض القادم بيان مدى انتشار الباطنية في الإمامية؛ ولذا سأكتفي بأن أشير إلى ثلاثة اتجاهات في هذا الجانب، تدور بين العرفان والتصوف، وهذا التقسيم لا يلغي الانقسام السابق؛ فالاتجاهات الثلاثة في الحقيقة من أقسام الباطن، وقد لا يقابلها في الظاهر إلا بقايا من المنتسبين إلى الأصولية والإخبارية، ولا شك أن التقية تمنع من معرفة حقيقة مذهبهم، وتورث البس؛ والاتجاهات الثلاثة هي حديث الصفحات القادمة.

أولاً: العرفانية:

العرفانية توجد عند الأصولية، وقد تسمى الظاهرية، كما توجد عند الإخبارية، فالعرفانية تشمل الإخبارية والأصولية، وإذا كانت المدرسة الأصولية الاجتهادية أَثْرَت البحث الفقهي، وبرز هذا الاجتهاد في جانب المعاملات والعقود والحقوق[1]، وغيرها من المسائل التي أعمل فيها النظر العقلي؛ فإننا في مقابل هذا نجد المدرسة الإخبارية أظهرت ممانعة من هذا الاجتهاد، ومالت فيه إلى التوقف والاحتياط، وهو ما يعني فراغاً لدى أتباعها، تمثل في إشكالات لا يمكن الخروج منها، حاول بعضهم تلمس مخارج لهذه الإشكالات، ومثله ما يراود بعض الأصوليين من شكوك وحيرة، أدت بهم إلى نوع من التردد إلى العرفان.

=

في احتجاجه على عقيدته في الركنية المهدوية على بقية مخالفية من الإمامية، وفي البحث مواضع منه.

(١) انظر: المكاسب (مقدمة)، ١/ ١٦، مرتضى الأنصاري، ت/ ١٢٨١هـ، ت. لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، ط ١، ١٤١٥هـ، مطبعة باقري – قم.

إذا كان النزاع الذي سبق في الاستدلال يتناول الأدلة التي يعرفها عامة الناس، والتي ترتبط بالتدين لله بشرعه، وحلاله وحرامه، من ظاهر كلام الأئمة، وهي معرفة استدلالية نظرية، تجمع بين البحث عن الأدلة وفهمها والنظر فيها؛ وثمت معرفة أخرى لم يتناولها النزاع السابق، وإن كانت تتجاذب مع أطرافه على استحياء، وهذه المعرفة هي معرفة الخواص من أهل العرفان والتصوف، كالمعرفة الشهودية والحضورية[1]، وهذه المعرفة العرفانية أضعفت معالم المذهب الأخباري في القرون التي سبقت ظهور الاسترابادي، وإن انجراف المذهب إلى التصوف والعرفان جعله من مذاهب الباطنية، لما يحمله من الغلو في حقيقته، وإن كان فقهاؤه ينشغلون بالأحكام الفقهية تقية، وحتى يكون مقبولاً للعوام، وحتى لا يرموا بتهمة إبطال الشرائع وإسقاط التكاليف، ومع طول الزمن اتسعت الفجوة بين أحكامهم وأحكام جمهور المسلمين.

مما يظن له أثر في خفاء هذا الخلل وعدم إبرازه هو التزاوج بين الإمامية والصوفية منذ زمن مبكر[2]، وبين الإمامية والفلسفة الإسماعيلية منذ زمن الخواجه الطوسي وزير هولاكو، وهذا التزاوج أثمر مرحلة جديدة في موقف الأخباريين ــ بل وحتى الأصوليين ــ من العقل ودوره في التعامل مع النصوص والأخبار.

مما مهد لهذه المرحلة أن الإمامية في قرونها الوسطى تعلقت بالمنهج الإشراقي الذي تبناه السهروردي[3]

---

(١) المازندراني في شرحه لأصول الكافي -ويوافقه كذلك الشعراني في تعليقاته على الشرح- يشير إلى أن معرفة الله على ثلاثة مراتب، وهي: المعرفة الفطرية "الوجدان الساذج"، والمعرفة النظرية الاستدلالية، والمعرفة الشهودية والحضورية، انظر: شرح أصول الكافي، ٣/ ٩-١٠، وسيأتي - بإذن الله - مزيد من الحديث عن هذا الجانب عند الحديث عن العرفان الشيعي وأثره، في الباب الثالث، انظر: ص٧٧٧، ٧٨٦ من البحث.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا قريباً، راجع ص٣٢، ٦١ من البحث.

(٣) السهروردي شهاب الدين بن يحيى بن حبش، ت/ ٥٨٦هـ، من أهل الفلسفة، من كتبه: هياكل النور، وحكمة الإشراق (فكرة نور الأنوار)، وهو غير شهاب الدين عمر السهروردي الصوفي الشافعي، صاحب عوارف المعارف، ت/ ٦٣٢هـ، الذي تنسب له الطريقة السهروردية، انظر: موسوعة أعلام الفلسفة، ١/ ٥٧٤ـ ٥٧٦، موسوعة أعلام الفلسفة، روني إيلي ألفا، ط١، ١٤١٢هـ، دار الكتب العلمية – بيروت؛ =

بعد ابن سينا[١]، إضافة إلى المنهج العرفاني الكشفي بالصورة التي تبناه ابن عربي، والذي جاء في مقابل المنهج البرهاني الذي تبناه الغزالي[٢]؛ والسهروردي في فلسفة الإشراق يجمع بين المنهج العقلي النظري (المشائين)، والمنهج الذوقي الصوفي، الذي يقوم على الفيض[٣]، والإشراق يقابله الكشف عند الصوفية[٤].

من الإمامية الذين اعتنوا بالجانب العرفاني حيدر العاملي[٥]، الذي ينسب إلى التصوف،

والكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٣٤٠، محمود عبد الرؤوف القاسم، ط٢، ١٤١٣هـ، المكتبة الإسلامية – عمان، دار طيبة – الرياض.

(١) ابن سينا نقد أرسطو، وقال بنظرية الصدور والفيض، وهو تبع لمذهب أفلاطون رئيس المذهب الإشراقي في مقولة "عالم المثل"، وابن سينا أنكر المعاد الجسماني، وقال بقدم العالم، انظر: مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، ص٣٠، د. محمد علي أبو ريان، د. عباس محمد حسن سليمان، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، دار المعرفة الجامعية .مصر. والفلسفة الإسلامية وأعلامها، ص١٢٢، د. يوسف فرحات، ط١، ١٩٨٦م، تراد كسيم. جنيف.

(٢) الغزالي يعتمد على العلم اليقيني، وهو عنده: الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب، ولا يخلطه إمكان الغلط والوهم، فهو يخضع العقل والعلم للإيمان، والعالم عنده ثلاث طبقات: عالم الملكوت، عالم الجبروت، عالم الملك والشهادة، يقابله في الإنسان: العقل والنفس والجسد، وأن سعادة الإنسان في انفصال الروح من سجن الجسد، والغزالي اتخذ الإيمان نقطة للانطلاق ومصدراً للمعرفة، ثم اتجه إلى الفلسفة والعقل، وقد كفر الغزالي الفلاسفة .ومنهم ابن سينا .لثلاثة أسباب: إنكار حشر الأجساد "المعاد الجسماني"، وبالقول بأن الله لا يعلم الجزئيات، وبقدم العالم، والغزالي في السببية نقض مبادئ الفلسفة المشائية في التلازم، كما أنكر الحلول والاتحاد، انظر: الفلسفة الإسلامية وأعلامها، د. يوسف فرحات، ص١٢٢ـ ١٣٥، ومدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، ص٣٠.

(٣) انظر: مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، ص٣٢، وأفلاطون هو رئيس المذهب الإشراقي "عالم المثل"، ونظرية الصدور ومصطلح الفيض جاءت عند أتباع مدرسته، عند أفلوطين.

(٤) للمزيد عن العرفان والفلسفة عند الإمامية، انظر الباب الثالث، ص٧٧٨ من البحث.

(٥) حيدر بن علي بن حيدر الآملي المازندراني الصوفي، ت/ ٨٨٧هـ، له كتب مشهورة في التفسير على منهج الباطنية، منها المحيط الأعظم، وله "فص الفصوص" شرح لفصوص ابن عربي، يمجده فيه، ويقر فيه أقواله، وجامع الأسرار ومنبع الأنوار، ومما قاله في كتابه هذا: (إن هذا الكتاب مشتمل على أعظم أقوال الصوفية والشيعة، ومعارضاتهم ومجادلاتهم وأقوال علماء الظاهر)، وذكر أنه جمع بين الحقيقة والشريعة، كما عد الحسن البصري من تلاميذ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولهذا اختلف في الآملي: هل من الإمامية أو من الصوفية؛ انظر: أعيان الشيعة، ٦/ ٢٧٢.

بل يرى أن مذهب آل البيت هو التصوف![1]، وكان معجباً بتصوف ابن عربي، ومثله كذلك ابن أبي جمهور الأحسائي[2] الذي يذكر عنه أنه خلط بين فلسفة الإشراق وفلسفة ابن عربي، ثم جاء بعدهما مجموعة من مشاهيرهم ومحققيهم، كبهاء الدين العاملي "البهائي"[3]، شيخ الدولة الصفوية؛ وكالمير داماد[4]، وتلميذه: الملا صدرا الشيرازي المعروف بصدر المتألهين،

---

(١) التوحيد عند حيدر العاملي، قسمان:

١- توحيد الأنبياء: وهو إثبات إله واحد، ونفي آلهة أخرى، وهو توحيد الظاهر (البرهاني الفعلي)، والذي يعتني به نوعان: أهل التقليد من العوام والجهلة، وأهل النظر والاستدلال، من العلماء والخواص.

٢- توحيد الأولياء: وهو الأعلى مقاماً، وهو توحيد أهل الطريقة والحقيقة، الذي يوصل إلى مشاهدة الوجود المطلق، ويتكلون عليه، ويرضون به، وهو التوحيد العيني والعياني، لا العلمي المجرد، ومنه: وحدة الشهود ووحدة الوجود!.

التوحيد الأول يخلص من الشرك الجلي، أما الثاني فيخلص من الشرك الخفي، وهذا هو توحيد ابن عربي الباطني، انظر: العرفان الشيعي، كمال الحيدري، ١٣٨ـ ١٤٠، ت. خليل رزق، ط ١٤٢٩هـ، مؤسسة الإمام الجواد – قم؛ وقد نبه الدكتور ناصر القفاري إلى شيوع التصوف في الإمامية، وانتشار تقسيم التوحيد إلى مراتب، وذكر عن أحد معاصريهم ومراجعهم، وهو إبراهيم الزنجاني، ذكر تقسيم التوحيد إلى أربع مراتب: توحيد العوام، وتوحيد الخواص، وتوحيد خاص الخاص، وتوحيد أخص الخواص، وأن الشيعة تمتاز بالنوعين الأخيرين، انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ٣/ ٤٥، وراجع ص٣١، ٤٥ من البحث.

(٢) محمد بن علي بن إبراهيم ابن أبي جمهور الأحسائي، ت/ ٨٤٠ـ ٩٠٤هـ، وصف بالإخباري الصوفي، وهو قبل الاسترابادي، في كتابه المجلى وفق بين الحكمة الإشراقية للسهروردي وابن عربي، وبين المأثور الشيعي، وله عناية أكثر بالأخبار وعلم الكلام، فله عوالي اللئالي، وحجية الأخبار في الحديث، وموضع الدراية، وبداية النهاية في الفلسفة، ومفتاح الفكر شرح الباب الحادي عشر، وسلك الأفهام في علم الكلام، والمناظرات، انظر: الذريعة، ٣/ ٥٩، ٢١/ ٢٢، ٢٣٦، ٢٣/ ٢٦٦، ومستدرك الوسائل، ٢/ ٢٦٨، موسوعة أعلام الفلسفة، ١/ ١٤، والأعلام، للزركلي، ٦/ ٢٨٨.

(٣) انظر ترجمته ص٧٦٥ من البحث.

(٤) محمد باقر بن المير شمس الدين الحسيني، المير داماد الاسترابادي، ت/ ١٠٤١هـ، يلقب بالمعلم الثالث بعد الفارابي، والداماد بالفارسية: صهر، وأبوه صهر علي الكركي، فاللقب لأبيه في الأصل، والثلاثة مقربين لملوك الدولة الصفوية، كما أنه عاصر البهائي شيخ الدولة بعد ذلك، ومن كتبه: نبراس الضياء في تحقيق معنى البداء، والقبسات، والايقاظات، وحواشي رجال الكشي، ورسالة في خلق الأفعال، ورسالة في تحقيق مفهوم الوجود، والأنموذج، وهو من أشهر تلاميذه الملا صدرا الشيرازي، انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ١٨٩، وموسوعة أعلام الفلسفة، ١/ ٤١٩ـ ٤٢٠.

وقد شكل مدرسة مشهورة في الفلسفة والعرفان، وذلك بعد كتابه المشهور "الأسفار الأربعة" الذي أصبح عمدة للتدريس في الحوزات الشيعية.

إذا أردنا أن نطلع على نموذج آخر لهذه المدرسة العرفانية فهذا الفيض الكاشاني من الإخبارية نراه يورد باباً للتعامل مع الأخبار خلافاً لظاهرها، حاول فيه أن يوافق بين الأخبار وبين الأجواء الصوفية التي نشأ فيها، وبين كثرة الاختلاف بين علماء الإمامية[١]، والفيض متضلع في الفلسفة[٢]، فهو تلميذ الملا صدرا الشيرازي، وقبله الفيلسوف المير داماد[٣]، كما أنه تلميذ الصوفي البهائي شيخ الصفوية[٤]، كما أنه حكى عن نفسه التقائه بمحمد أمين الاسترابادي الأخباري، إضافة إلى تأليفه كتاب الوافي؛ لكننا نجده يتجاوز هذه الأخبار فيذكر أن فهم كلام الأئمة والتفقه في الدين جرى له من طريق قوة قدسية، وواردت ترد على ذهنه المصفى، فيقول: (العقل العرفاني: شرع من داخل الإنسان في مقابل الشرع الخارجي)[٥].

كما يذكر الفيض تعاضد العقل والشرع، وأن اليقين له مراتب بحسب تعاضدهما، وأن ثمرته ونتيجته حجة خاصة على صاحبها بعد استيثاقه منها، وإن اشتبه الأمر عليه توقف، وأن هذا من جنس خبر الواحد الذي لم يتحرر محل التنازع فيه، ولن يتحرر !، وأن الشرع لم يمكن ضبطه بأصول وقواعد ثابتة[٦]، وأن أخبار الأحكام مثل أخبار الإمامة في قوة السند وضعفه، وقد تتبعه بعضهم بالنقد والتكفير[١]، كأحمد الأحسائي؛ وعلى كل فشخصية الفيض مما تنازع

---

(١) انظر: الوافي، ١/ ٩، وهناك من نسب الكاشاني إلى الطريقة النوربخشية، كما يذكر من عنايته بالتصوف كتابه المحجة البيضاء، والذي لخص فيه مباحث الإحياء للغزالي، انظر: الفكر السلفي عند الشيعة الاثني عشرية، ص٣٨٧.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، ١/ ٤٧٢.

(٣) لهؤلاء تراجم في مواضع أخرى.

(٤) انظر: الغدير، ١١/ ٢٥٨، عبد الحسين الأميني، ت/ ١٣٩٢هـ، ط٣، ١٣٨٧هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

(٥) الحق المبين (في تحقيق كيفية التفقه في الدين)، (المقدمة)، ٤-٥، وانظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال عند الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٧٥٨- ٧٨٠.

(٦) انظر: الحق المبين، ص٤-٥، ٧، ١١، وسبق قريباً ذكر كلام الفيض الكاشاني.

(١) انظر حول منهج الفيض الكاشاني كتاب: الفكر السلفي عند الشيعة الاثني عشرية، ص٣٨٧.

فيها الباحثون، واختلفوا في تشخيص مذهبه، وهو من الشخصيات الموسوعية عندهم[1].

إذا كان هذا حال الفيض الكاشاني من الاضطراب، وهو ممن عني بالفلسفة الإشراقية العرفانية من الإخبارية، فكذلك حال بعض أقرانه وتلاميذه، كسعيد القمي[2]؛ والغريب هنا هو أن الطائفة الإخبارية في غالب رموزها اهتمت بدراسة الفلسفة فترة الطلب، ففي تراجم كثير منهم أنهم درسوا هذه العلوم الفلسفية، ومثلها الكلامية والمنطقية[3]؛ هذا إضافة إلى تصديها لمحاربة التصوف والصوفية، ومحاربة الغلو في الفلسفة الذي يؤدي إلى هتك أخبار الأئمة، ومن أشهر أعلامهم في هذا المجلسي، والحر العاملي، ولكن يبقى سؤال: هل تبنت الإخبارية في محاربة التصوف نفس الموقف مع الفلسفة عموماً، والفلسفة الإشراقية خصوصاً؟

الذي يظهر أن الإخبارية ستكون أولى وأحظى من الأصولية في تبني محاربة الفلسفة والعرفان، لاستغنائها بالأخبار المعصومة عندهم، ولكن لتمكن الخلل الفلسفي من التراث الشيعي فإنه لم تبرز جهود ناجحة ومؤثرة على ساحة الإمامية المعاصرة، وذلك بسبب قدم انتشار الفلسفة الإشراقية في مدارس الشيعة عموماً، وتأثرهم بها؛ لذا حصل لهم اضطراب في معارضتها، ولم يجرؤ في محاربتها إلا القليل منهم، وهذا ما دعا بعضهم إلى البعد عنها، لما يؤول إليه أمرها من مخالفة ظاهر الكتاب والسنة (الأخبار)، وإلى القول بوحدة الوجود، والتي بسببها كفر بعض رموز الإخبارية ابن عربي؛ بل نزع بعضهم إلى التحذير من الفلسفة العرفانية، ولو باسم التصوف[1].

---

(١) انظر: مجلة المنهاج اللبنانية، عدد: ٣٤، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤م، مقال: (المرجعيّة القرآنيّة والاتجاه الإخباري في الفكر الشّيعي)، (٢/٢)، فقرة: الوحيد البهبهاني وانتصار المرجعيّة القرآنيّة، حيدر حب الله.

(٢) هو أحد قضاة الدولة الصفوية في آخرها، ويسمى الحكيم الصغير، مهر في المباحث العرفانية والصوفية، وله كتب منها، التعليقة على الفوائد الرضوية، انظر مقدمة المحقق، ص١٠.١٢.

(٣) هذا ظاهر في أن الاسترابادي ومن بعده ما قاموا بالرد إلا وأنهم تمكنوا من هذه العلوم، بل أصبح من يقوم بالرد على هؤلاء الفلاسفة مصنفاً مع طائفة الاسترابادي الإخبارية، وإن كان لا يلزم اتفاقهما في المبدأ، وذلك كالشيخ أحمد الأحسائي، الذي قد تكون نسبته إلى الإخبارية من هذا الوجه.

(١) من هذا النوع الشاهوردي الإخباري (١٣٣٣ـ ١٤٠٥هـ)، وقد لقبه بعضهم "مجلسي زمانه"، و"سلمان =

لصعوبة خوض غمار هذا الهجوم العقدي كان النزاع حول مسائل الفروع أشد، لكثرة المعتنين بها، ولحاجة العوام إليها، وتعبيراً ـــ من وجه ـــ عن منازعة هذه الفلسفة لأخبار الأحكام رواية ودراية، وهو وجه يفهمه العوام ويستوعبونه؛ لكن هذا لم يحجم من انتشار الفلسفة وتأثيرها على المذهب، وهو ما صرح به أحد المراجع، فقد صرح المرجع المعاصر محمد حسين فضل الله، ت/١٤٣٢هـ، بنقده لإحدى المنتجات الحديثة لهذا التوجه السائد في حوزات قم والنجف، وهي مقولة الولاية التكوينية والتشريعية التي يدعمها التراث الصوفي والعرفاني في المذهب، فقد صرح فضل الله أن هذه المقولة انتشرت بسبب فلسفة الحكمة المتعالية للشيرازي(١)؛ وهذا الموقف مخالف لمن أعجب بهذه المقولة، وهم كثير من مراجع الأصولية المعاصرين، ممن تأثر بطريقة العرفاء الروحانيين(٢).

إن طريقة الروحانيين والحكماء ومدرستهم أصبحت تعيش بجانب المراجع الفقهية،

=

زمانه"، تعلم الفلسفة، ثم العرفان، ثم تركهما وصية من الحجة مناماً – كعادتهم –، وألف كتاب: (تاريخ فلسفة وتصوف)، يرد فيه على المتصوفة، وعلى العرفانيين، ومما قاله فيه: (لم يطمئن قلبي بنيل الحقائق، ولم تسكن نفسي بدرك الدقائق، فعطفت وجه قلبي إلى مطالب أهل العرفان، فذهبت إلى أستاذ العرفاء والسالكين السيد أحمد، المعروف بالكربلائي في كربلاء، وتلمذت عنده حتى نلت معرفة النفس، وأعطاني ورقة أمضاها، وذكر اسمي مع جماعة بأنهم وصلوا إلى معرفة النفس وتخليتها من البدن، ومع ذلك لم تسكن نفسي، إذ رأيت هذه الحقائق والدقائق التي سموها بذلك لا توافق ظواهر الكتاب وبيان العترة، ولابد من التأويل والتوجيه، ووجدت كلتا الطائفتين كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، فطويت عنهما كشحاً، وتوجهت وتوسلت مجدا مكدا إلى مسجد السهلة في غير أوانه، باكيا متضرعا متخشعا إلى صاحب العصر والزمان (عليه السلام)، فبان لي الحق وظهر لي أمر الله ببركة مولانا...)، انظر: مستدرك سفينة البحار، ١/ ١٠، ١٨، الشاهرودي، ت. حسن بن علي النمازي، ط ١٤١٨هـ، النشر الإسلامي – قم.

(١) انظر كتاب: نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية، مبحث: موقع الولاية التكوينية في المعتقد الإسلامي، محمد حسين فضل الله، وهو على موقعه الخاص: بينات، على الرابط التالي:
http://arabic.bayynat.org.lb/books/welaya_100.htm
وانظر: مطلب ولاية الحسين التكوينية والتشريعية، ص٣٢٥ من البحث.

(٢) المجال هنا لا يحتمل مزيداً من التفصيل، وأكتفي بالإحالة إلى الباب الثالث، وفيه فصلت أثر العرفان والفلسفة الإشراقية، وكذلك التصوف على الإمامية الاثني عشرية.

وهي مدرسة جديرة بالتأمل، فمع كونها مدرسة في السلوك والطريقة، كحال الطرق الصوفية، إلا أن اتصالها بالفلسفة والبحث الفقهي من طريق الحوزات يوحي بأن لها أثراً قوياً على أصول الاستدلال العقدي والفقهي الأصولي، فإن من تأثر بطريقة العرفاء والروحانيين حاول التوفيق بين هذه الطريقة وبين نصوص الأئمة، واعتبر مكاشفاتها حجة معتبرة، فإذا أمكنه أن يقيم البرهان على هذه المكاشفات فهي حجة على الجميع! وإلا فهي حجة على نفسه، وكلما كان المكاشف فقيهاً مجادلاً فسيبرهن لها، ويجد لها مساغاً؛ وبهذا تضم المكاشفات إلى مجموع الأدلة على الأحكام والعقائد الصغرى، وحتى لا تخسر الإمامية هذا الرصيد من المكاشفات فإنها تثبته وترويه[1]، ثم يصبح من تراث مذهبها، إلى أن يصبح مع الزمن من الضروريات، وهذا ما يدَّعُون التميز به، فهم ــ بزعمهم ــ أهل إتقان فلسفي وفقهي، بخلاف الصوفية، وبذلك تميز عرفانهم عن عرفان الصوفية الذي منشأه –بزعمهم- العرفان العملي[2].

الحقيقة أنهم لم يأتوا بجديد مما عليه المتصوفة، إلا أنهم يزيدون عليهم في الكذب،

---

(١) وهو رأي للطبطبائي المعاصر، صاحب تفسير الميزان، انظر: العرفان الشيعي، ص١٦٩، ولمعرفة نموذج للتصوف في العرفان الشيعي انظر: لب اللباب في سير وسلوك أولي الألباب، محمد حسين الطهراني، ت. عباس نور الدين، دار المحجة البيضاء .بيروت، في ص١٠ـ١١، أشار إلى كلل شيخه الطبطبائي، وزميله مرتضى مطهري، وهم من المراجع المشهورين، أشار إلى كللهم من علوم الفلسفة، وسكونهم إلى الرياضات الروحية.

(٢) الإمامي المعاصر كمال الحيدري يذكر أن التصوف ظاهرة اجتماعية لا نظرية، وإن كان مبنياً على الشرع، أما العرفان الشيعي فهو مبتنى على الفكر والفلسفة المتعالية، وطريقه الفلسفة الإشراقية، والكشف والشهود، فلا مزيد عنده إلا تحصيل الفلسفة، أما السلوك فواحد، ويذكر هذا التفريق من أوجه ثلاثة، كما يلي:

أ- أنّ العرفان إنّما يُشاد على طبيعة النظرة التوحيديّة للإنسان، وعلى نقطة البداية للإنسان إزاء مبدأ التوحيد.

ب- أنّ العرفان يضمّ النظرية والتطبيق أو السلوك في نفس الوقت، بينما التصوّف هو ظاهرة اجتماعيّة لها أعرافها الخاصّة.

ت- أنّ العرفان مصطلح عريق في اللغة العربيّة، ومع كونه موجوداً ما قبل الإسلام إلاّ أنّه مغاير لرؤية الإسلام ومنهجه في الحياة، والعرفان الإسلامي نشأ من داخل البيئة الفكريّة الإسلاميّة.

انظر: العرفان الشيعي، ص ٦٧ .٦٩، ٦٤٦؛ وهذا التقرير من الحيدري في نسبة العرفان إلى الإسلام تدليس وتزوير، كما أن أسلوبه النقدي يعتمد على منهج الفلسفة الاجتماعية للأديان، وبها ينقد مذهب طائفته الشيعة، وهو ماأثار حوله كثيراً من الصراع من رموز ومراجع مذهبه.

فينسبون ما هم عليه إلى الأئمة من آل البيت، وأنهم اختصوا به دون غيرهم، لأن ما يرونه صواباً فهم الأولى به، لأنهم هم أهل الحق، وكأنه من جنس التعويض الإلهي للشيعة، وهو مثل ما ادعوه في الإمامة؛ وهذا إضافة إلى ما يشير إليه مفكرهم ومرجعهم المعاصر مرتضى مطهري من أنه في القرون الخمسة المتأخرة قلَّ في عرفاء الشيعة الانتساب إلى السلسلة المشهورة عند الصوفية التي ينتسبون فيها إلى آل البيت، ولعل من أسباب ذلك استغناؤهم بمروياتهم التي صنعوها على وفق أهوائهم في القرون السابقة، ولهذا ازداد انعزالهم عن طوائف المسلمين أكثر من ذي قبل، وظهور دولة تحمي مذهبهم ساعد ممايزتهم للصوفية(١).

إذا كان التراث الجديد قد نهج طريقة التلقي والرواية وتسلسل الإسناد فإنه أوجد تعويضاً للفرقة بين الأخباريين والأصوليين، ففيه إرضاء لكل طرف، وخاصة إذا اتصل الإسناد إلى صاحب السرداب المعصوم، يقظة أو مناماً؛ ففيه إرضاء للمعتنين بالرواية من جهة(٢)، وفيه ــ أيضاً ــ إرضاء لأصحاب المكاشفات والرياضات من الروحانيين، وإثراء لساحة الاستدلال الفقهي؛ لذا كثرت سلاسل العرفان الشيعي حتى غطت على الطرق الصوفية وسلاسلها، فيشير محمد حسين الطهراني إلى وجود سلاسل خاصة بأهل العرفان الشيعي، يروونها عن أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي أكثر من مائة طريق، بينما التصوف

---

(١) انظر: العرفان الشيعي، ص٦٧، وينقله عن مرتضى مطهري.

(٢) تشير بعض القصص إلى حرص الفقهاء على ملازمة الابتهالات والأعمال الصالحة التي تمكنهم من اللقاء بالمهدي مباشرة زمن الغيبة، وقد لا يستطيع الذين التقوا بالإمام خفية أن يعلنوا عن هذا اللقاء، وعن موضع اللقاء، وذلك لأمر الإمام لهم بالكتمان، ومن هنا بعضهم يدعي حصول الإجماع على هذا الحكم الذي تلقاه مباشرة من إمامه، وإن لم يوجد إجماع في الحقيقة، وقرر شيوخهم بأن هذا المنتظر كان يجتمع بجملة من أهل العلم والتقوى الذين كانوا يستحقون المقابلة، كمهدي بحر العلوم النجفي فيما اشتهر عنه، وميثم البحراني فيما ينقل عنه، وألف محدثهم الطبرسي النوري كتاباً بعنوان: جنة المأوى فيمن فاز بلقاء الحجة ومعجزاته في الغيبة الكبرى، انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد،١/ ٣٦٠، والإمام المهدي في عيون العاشقين:(اللقاء المحبوب)، ج٣٤، يوسف فاطمة، باللغة الفارسية .مجموعة قصص لبعض العلماء والفقهاء الذين تشرفوا باللقاء بالإمام المهدي، وهو مذكور ضمن دليل الإصدارات الإيرانية لعام٢٠٠٧م، تحت الرقم التسلسلي٥٩٤، (بيلوغرافيا الكتب الإسلامية الصادرة في إيران عام٢٠٠٧م .الصادرة بنك المعلومات الإسلامية (بارسا) ومؤسسة دار الكتاب ومؤسسة (المراجع) المعلومائية الإسلامية عام٢٠٠٨م).

لا يتجاوز خمساً وعشرين طريقة أو سلسلة !، ولم أعرف مقصده بهذا، ولم أقف على أحد ذكر هذه السلاسل الخاصة، ولعله يقصد مروياتهم في الأدعية والزيارات والمناجاة العرفانية، كدعاء عرفة، والصحيفة السجادية، والإنجيلية، والزيارة الجامعة، وزيارة الناحية المقدسة، ونحوها من موضوعاتهم التي شحنت بها كتبهم[١]، ولعل هذا التسلسل الذي ذكره الطهراني ظهر تعويضاً عن سلسلة الصوفية بعد تبني الدولة الصفوية التشيع وحرب التصوف[٢].

الشاهد مما سبق أن هذا التصور عن موقف الأخباريين والأصوليين يفسر.لنا جهد طائفة من أسلاف الإمامية في حفظ كل ما ينسب للأئمة، وإن كان متعارضاً، أو لا تقبله الفطر والعقول، أو كان صادراً ممن يخالفهم في تعدية الإمام، أو من الغلاة الذين تبرأ منهم الأئمة؛ فهمتهم جمع الأخبار المنسوبة للأئمة، تحت ستار المحبة والعصمة، أو غيره، وكان لهذا الجهد السيئ أثر على بقاء وتكاثر البدع العملية والشركية عند الإمامية، حتى بدأ الغلو جلياً في مثل شعائر عاشوراء، وقد تقدم في البحث أن أعلام الإمامية الاثني عشرية وجهوا النقد لهذا الخلل[٣]، ولكن لا جدوى من هذا النقد ما دامت الأصولية تحتضن العرفان القائم على معرفة الخواص، وهي معرفة الحضور والشهود.

ثانياً: الشيخية:

الشيخية أتباع أحمد الأحسائي الملقب بالشيخ والأوحد[٤]، كما تلقب

(١) بما أن طريقة الروحانيين والحكماء ومدرستهم ذات أهمية بارزة في الفترة المعاصرة، حيث أصبحت تعيش بجانب المراجع الفقهية، وتغذي إنتاجهم، فهي مدرسة جديرة بالتأمل، تستحق أن تتناولها الدراسات الأكاديمية بشيء من البحث والعناية.

(٢) انظر: لب اللباب في سير وسلوك أولي الألباب، ص١٤٢.

(٣) راجع ص٩٤٥، ١٠٣- ١٠٦ من البحث.

(٤) أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صقر الأحسائي البحراني(١١٦٦-١٢٤٣هـ)، مؤسس مذهب الكشفية، ولد في الأحساء، وعرف بالشيخ، وتنسب له الشيخية، وهي فرق منها الكشفية والركنية، والقرتية، والبابية والبهائية، في زمن الدولة القاجارية على مذهب الإخبارية، تنسب له شطحات وخرافات الصوفية والمنجمين، منها قوله: كل شيء يبكي على الحسين، وله ولأتباعه ولع بالمهدي والباب، افتتن به خلق، وكفره بعض معاصريه، لإنكاره المعاد الجسماني والمعراج الجسماني، ولقوله بالتفويض إلى الأئمة، وأنهم علة فاعلة، وكفر =

بالأحمدية[(١)]، وقد تلقب بالحساوية، أي الأحسائية[(٢)]، وقد نشطت هذه الفرقة في منتصف القرن الثالث عشر، وكان زعيمها له مجموعة تلاميذ توزعوا بعده على ثلاثة اتجاهات: اتجاهين منهما يحتفظان باسم الشيخية، وكان ظهور هذه الفرق بعد موت كاظم الرشتي (ت/١٢٥٩هـ)[(٣)]، وهو تلميذ الأحسائي، وقد خلفه بعد وفاته، عام ١٢٤١هـ، ودارت حوله كثير من الإشكالات، وتكشفت عنه كثير من البليات، ونسبها إلى سلفه الأحسائي، وقد تسمى الشيخية في وقته بالكشفية، لغلوه في دعاوى الكشف والإلهام[(٤)]؛ وامتازت الشيخية منذ بداياتها ما بين غلو في الأئمة إلى الولع بالمهدي وقرب ظهوره أو تجليه، ووافق ذلك مرور ألف عام على غيبة المهدي المزعوم صاحب السرداب، (٢٦٠ ــ ١٢٦٠هـ)، وهو العام الذي ختم بهلاك المبشر الرشتي وانتظار أتباعه لظهور المبشر به؛ والشيخية تذكر بتاريخ الإمامية القديمة، وقد كانت اتجاهات الشيخية الثلاثة بعد الرشتي كما يلي:

هو بعض الفلاسفة، كالملا صدرا الشيرازي، وقيل ـ أيضاً ـ الفيض الكاشاني، ومن كتبه: شرح الزيارة الجامعة، وشرح الحكمة العرشية، وشرح رسالة الفيض، والرسالة الخاقانية عن سر أفضلية المهدي على الأئمة الثمانية، وكان يدعي الإلهام والكشف، يذكر عنه تلميذه الرشتي أنه شديد العداوة للصوفية !، انظر: أعيان الشيعة، ٢/ ٥٨٩ـ ٥٩٣، ٩/ ٣٢٦، وأنوار البدرين، ٤٠٦ - ٤٠٩، والشيخية، ص٥٥ - ٩٢، والمدرسة الشيخية، ص١٨٥.١٩٦، محمد زكي إبراهيم، ط١، ٢٠٠٤م، دار المحجة البيضاء – بيروت.

(١) انظر: فرق معاصرة، عواجي، ٣/ ١٠٧.

(٢) سمعت بعض السنة في الكويت يطلق عليهم اسم الحساوية، ويرون أنهم غلاة الشيعة، وهذا الاسم إن كان يراد به بقايا الشيخية التبريزية الإحقاقية فيكون اسماً ثالثاً، وإن كان يراد به غيرهم فإني لم أقف على سبب التسمية، والمراد بها، حيث يوجد طوائف أخرى، وبعضها مجاهرة بعداوة السنة، كالشيرازية من الأصولية.

(٣) كاظم بن قاسم بن أحمد الرشتي (١٢٠٥ - ١٢٥٩هـ)، نسب إلى قرية رشت بإيران، وقيل بأن أصله قس نصراني، وشخصيته هي الحلقة الغامضة في الشيخية، ينسب له مفهوم الكشف، وذكر عنه أنه اعتكف أربعين يوماً عند قبر صفي الدين الأردبيلي، وتتلمذ على الأحسائي، وعلى جعفر كاشف الغطاء، الذي تبرأ منه، ومن تلاميذه حسن جوهر، وقرة العين، ونقل عن الألوسي عدم اطلاعه على حقيقته مع مجالسته له، مما يدل على احترافه في التقية، انظر: الشيخية، ص١١٧ - ١٣٤، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ١١٤، وفرق معاصرة، ١/ ٢٤، ٣/ ١٠٧-١٠٩.

(٤) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ١١٤، والكشف عن حقيقة الصوفية، ٢/ ٢٦٨.

أ- شيخية تبريز: أتباع حسن جوهر، ت/ ١٢٦٦هـ، والميرزا شفيع التبريزي "الشفيعية"، المقتول في عاشوراء عام ١٣٣٠هـ، ومحمد حسين المامقاني، ت/١٣٠٣هـ، وذريته، وموسى الأسكوئي، وابنه علي، ت/ ١٣٨٦هـ الذي سكن الكويت، ورئيسهم اليوم حسن الإحقاقي في الكويت، وقد تكون أخف فرق الشيخية، وخاصة في الظاهر، فهم يحاولون التقارب مع سائر الإمامية[١]، مع بقائهم على آراء الأحسائي الأصولية، فكأن الشيخية التبريزية امتداد لأفكار المؤسس الأول الأحسائي.

ب- شيخية كرمانية: "الركنية"[٢] أتباع محمد كريم خان القاجاري، ت/١٢٨٨هـ، المقرب من البلاط القاجاري، وكان له مصادة مع البابية، وبقيت رئاسة الطائفة في ذريته، ورئيسهم اليوم عبد الرضا خان[٣]، وتسمى الركنية لغلوها في كاظم الرشتي، وادعائه أنه الركن الرابع، أي من أركان الدين، بعد الله والرسول والإمام، ومن فرقهم الشيخية الباقرية[٤]، ولعل الشيخية الكرمانية امتداد لأفكار المؤسس الثاني كاظم الرشتي.

ت- البابية والبهائية: وهم أتباع علي بن محمد رضا الشيرازي "الباب"[٥]، وهو من تلاميذ كاظم الرشتي، ت/ ١٢٥٩هـ، وبعده أعلن خلافته له في عام ١٢٦٠هـ، ويسمي أتباع يوم إعلانه وظهوره عيد المبعث، ويعظمون هذا اليوم، تدرج في البابية من المهدية إلى النبوة ونسخ الشريعة، ثم إلى الأوهية والربوبية والحلولية والتجلي، وقد صدرت الفتاوى بكفره،

---

(١) انظر: الشيخية، ص١٨٢، ١٨٦- ٢٠١، ٢٢٦، ودعوى الظاهرية ادعتها كذلك الشيخية الكرمانية.

(٢) سموا بالركنية لقولهم بأن زعيمهم هو الركن الرابع، انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ١١٤، والركنية اسم -أيضاً- لطريقة صوفية، انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٣٣٨.

(٣) انظر: الشيخية، ص٤٨.

(٤) انظر: الشيخية، ص٤٨- ٤٩، ٢٠٣- ٢٢١.

(٥) علي بن محمد رضا الشيرازي (١٢٣٥- ١٣٦٥هـ)، تسلك بالطريقة الشيخية على يد عابد أحد تلامذة الرشتي، واشتغل بعلم الحروف حسب الطريقة الحروفية، ثم تتلمذ على الرشتي، كما انقطع إلى الرياضة الصوفية أربعين يوماً (الأربعينية)، ثم خرج بكشوفاته وزندقته، له علاقة بالجاسوس الروسي كينازد الغوركي المتسمي بعيسى النكراني، انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، ٢/ ٢٦٦، والموسوعة الميسرة، ١/ ٩٢، وفرق معاصرة، ٣/ ١١٠- ١١٧.

فأعدم قتلاً بالرصاص، عام ١٢٦٥هـ، اجتمع حوله أتباع عددهم ثمانية عشر تابع، رمز لهم بحروف "حي"، وهو مجموع الحرفين بحساب الجُمَّل، مما يدل على تأثرهم بالطريقة الحروفية، ومن أتباعه: تلميذه حسين البشروئي، وامرأة اسمها قرة العين؛ وانقسم أتباعه فرق، منها: القرتية، والأزلية: أتباع صبح أزل يحيى علي عباس المازندراني، والذي تنازع مع البهائية: أتباع أخيه حسين البهاء[1]، والبهاء هو الذي كسب الصراع، وبقيت شهرة هذا الاتجاه بعد الباب إلى الآن للبهاء والبهائية، وللبهاء قول بالحلول والتجلي، وله كتب مقدسة، وقد تكاثرت فتاوى علماء الإسلام بتكفيرهم وخروجهم من الإسلام[2]، وهذا الاتجاه فارق الشيخية والإمامية باختصاصه بأسماء ومصطلحات جديدة.

جاءت شهرة الأحسائي ودعوته بعد الصراع العنيف للأصولية والإخبارية الذي انتهى بمقتل الميرزا محمد الأخباري، عام ١٢٣٢هـ، كما شكلت خاتمة الأحسائي نموذجاً آخر للصراعات المذهبية، ختم بهروبه إلى الحجاز حفاظاً على حياته، ولكن حملت حركته بذور الغلو التي سقاها الرشتي، حتى ترعرت وبرزت ضمن الاتجاهات الثلاثة، والأحسائي إضافة إلى شطحاته الفلسفية[3] له ولع بالمهدي وبقرب خروجه، حتى اتهم بادعاء المهدية، أو أنه يبشر بأحد تلاميذه، وكان يقرر أن المهدي يعيش بين الناس في حالة روحية لطيفة[1]، وهو ما

---

(١) حسين علي بن عباس بزرك النوري المازندراني، (١٢٣٣ - ١٣٠٩هـ)، حين ظهرت البابية لم يكن معتبراً من حروف (حي) التي نظمها الباب الشيرازي، ولا كان له ذكر مشهور، وكانت أسرته لها علاقة مشبوهة مع السفارة الروسية، واحتضنته الدول الاستعمارية في عكا إلى أن مات، وخلفه ابنه عباس، انظر: فرق معاصرة، ٣/ ١١٩ - ١٣٠.

(٢) انظر: الشيخية، ص٤٩ - ٥٢، المدرسة الشيخية، محمد زكي إبراهيم، ١٨٥ـ١٩٦، والموسوعة الميسرة، ١/ ٣٩٠ـ٣٩٦، ٤٠٩ـ٤١٥، وفرق معاصرة،١/ ٥٠٦ـ٥١٨، ٣/ ١٠٧، ورسائل في الأديان، ص١٦٩- ٢٠١، محمد إبراهيم الحمد، ط١، ١٤٢٧هـ، دار ابن خريمة - الرياض.

(٣) انظر: مجلة المنار، عدد: ربيع أول - ١٣٣٢هـ، فبراير - ١٩١٤م، مجلد: ١٧/ ٢١٨ - ٢٢٤، مقال: (اعتقاد الشيخية)، لمحمد رشيد رضا، وفيه عرض ونقد لعقائد الشيخية الغالية ضمن نقد الشيخية الكرمانية.

(١) وذكر عنه أنه حكم بموت المهدي، وأن روحه طارت في الملأ الأعلى، انظر: فرق معاصرة، ٣/ ١٠٧، هذا إن سلمنا أن الأحسائي يرى بوجود جسد للمهدي صاحب السرداب أصلاً، لأن هناك من نسب للأحسائي القول بأن المهدي لما يولد بعد، وأن زمان ولادته قريب، وخاصة أنه اقترب مرور ألف سنة على دعوى =

صدقته الأيام، التي وافقت مرور ألف عام على الغيبة الصغرى!، فله ولأتباعه تأثر بطريقة الحروفية التي تقوم على الشعوذة؛ فكلامه غامض ومشتبه، بل بعض معاصريه بكفره[1]؛ وحياة المؤسس وثمار مدرسته نسيج من فرق باطنية غالية.

الأحسائي في حسه الأخباري جاء ليؤكد أن الإمامة ليست مرتبة عقلية[2]، وأن العقل لا يعتمد عليه في الشرع، وأن ظواهر أخبار الأئمة كظواهر القرآن والسنة، لا يعمل فيها بالعقل، وأن لها باطن، وأنه لا بد من حجة للناس في فهمها في كل زمان، وأن هذا الفهم من جنس الإلهام، ولا يكون بالعقل، وتأكيده على الحجة بداية للقول بالركن؛ ومن هذا المأخذ مالت هذه الطائفة إلى نقد مخالفيها من الأصوليين، الذين يدعون بأنهم يتعلقون بظاهر الأخبار، ويتسمون بالمتشرعة، ويخلطون ذلك بالفلسفات العقلية، مما يوحي اتهامهم لغيرهم بإسقاط الشرائع والتكاليف، وزعموا أنهم لا يرضون بهذا الاتهام، ويمثل هذا الاتجاه طائفة الشيخية، وطوائف من عرفاء الشيعة[3].

الاتجاه الشيخي له ظاهر وباطن، وهو نزعة صوفية باطنية، وهي كانت تنسب إلى الإخبارية، بل تعد وارثتها ومن بقاياها، إلا أنها في الحقيقة تختلف عنها من حيث النتيجة، فهي قد وافقتها في نقد التعلق بالاستدلال العقلي، لكنها لم توافقها بالاكتفاء بظاهر أخبار الأئمة، بل مالت إلى التصريح بانفراد رجل واحد ظاهر ينوب عن الإمام الغائب، وقد ظهر عن هذا الاتجاه فرق الركنية والبابية والبهائية، بخلاف الإخبارية السابقة التي كانت تحارب الصوفية التي تتستر عليها الأصولية، فهي لم تصرح، ولم تنجر إلى الغلو الذي آلت إليه الشيخية.

أحمد الأحسائي جاء بعد قرابة قرنين من حركة الملا صدرا الشيرازي، وحاول الرد على

=

ولادته الأولى، انظر: مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع، ٣/ ٨٦، د. علي السالوس.

(١) انظر: الشيخية، ص٤٥- ٤٦، وطرائف المقال، ١/ ٦١.

(٢) انظر: الشيخية، ص٣١٦.٣١٧، وهذا في مقابل من قال إن النبوة أو الإمامة مرتبة عقلية مكتسبة، كالفلاسفة.

(٣) بعض الشيخية يرفض الانتساب إلى الإخبارية، ويرى أنهم من الأصولية، وأن الأصولية قسمان: أصولية شيخية، وأصولية غير شيخية، ويرى أن وصف غير الشيخية بالمتشرعة مسبة وقدح للشيخية، واتهام لها بعدم اتباع الشرع، انظر: الشيخية، ص ٢٢٦، وسبقت الإشارة إلى ذلك ص٥٥ من البحث.

آراء الشيرازي بشكل عنيف حتى كفره[(١)]، وكذلك رد على تلامذته، ولكنه لم يسلم من الغلو في كتبه التي تبين مذهبه في الغلو، كما في "شرح الزيارة الجامعة"، فرده على الملا صدرا الشيرازي لم يمنع أن يقع في مثل ما وقع فيه من العرفان والفلسفة، وموقفه من الاستدلال بالعقل، والاجتهاد والقياس والإجماع، ليس بحثاً عن أخبار الأئمة رواية ودراية، بل ليغلق الطريق إليها، وأن الوصول إليها لا يكون إلا من طريق نائب واحد، يكون هو الحجة والمرجع، ومذهبه هذا هو ما فسره أتباعه من بعده، وإن كان يوجد منهم من ينفيه عنه، ولكن مع كل ذلك فوصف فرقته الشيخية بأنهم أخبارية تعتريه أمور تقدح في هذا الوصف والحكم، ظهر لي من هذه الأمور ما يلي:

أ- أنها نزعة صوفية باطنية، والإخبارية تحارب التصوف، كما هو معروف عن المجلسي، والحر العاملي، مع أنه ذكر عن الأحسائي عداوته للصوفية[(٢)].

ب- أنها اتهمت بالغلو والتصوف ووحدة الوجود، والإخبارية حاربت هذا الأمور.

ت- أنها لم تشارك في تأليف مجاميع الرواية الحديثية المتأخرة، كالوسائل والبحار.

ث- لم يعرف عن رموز الشيخية وفرقها بعد مؤسسها أحمد الأحسائي الالتقاء والاتصال القويين مع رموز الإخبارية المشهورين.

---

(١) له شرح رسالة الحكمة العرشية، وأصل العرشية للشيرازي، ومما قاله الأحسائي فيها، متهكماً لقوله بوحدة الوجود!: (قل أنا الله، ولا تخف فإنك بالتصريح تستريح وتريح)، فرد عليهم في إثبات واجب الوجود، ويذكر محسن الأمين نقيض هذا، فيذكر أن هناك من كفر الأحسائي لأخذه بأقوال الشيرازي، انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ٣٢٦، كما أنه نسب إلى الأحسائي مقولات كفرية منها القول بأن الأئمة علة فاعلة، انظر: مجلة المنهاج اللبنانية، عدد: ٣٣، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤م، مقال: (حقيقة النبوة في الفكر الفلسفي والعرفاني)، محمد يحيى فهم الدين، مجلة تصدر عن مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي .لبنان، ومصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٩٤٦.٩٥٣.

(٢) انظر: أعيان الشيعة، ٢/ ٥٨٩-٥٩٣، ٩/ ٣٢٦، وقد سبق ذلك في الترجمة، انظر ص٩٩ من البحث، ولعل تهمته بالتصوف تكثر عند الأصوليين العرفانيين الذين يخالفونه، استغلالاً للموجة المنتشرة في محاربة التصوف، خاصة أنه شنع عليهم توجههم العقلي والفلسفي، ورد على الملا صدر الدين الشيرازي في فلسفة الحكمة المتعالية، بل وكفره، ولذلك واجه حملة عنيفة من الأصوليين، جاءت بعد حملتهم على الإخباريين، وكفروه بدعوى الغلو.

ج- أن بعض المنتسبين لها رفض نسبتهم إلى الإخبارية، وأكد أنهم من الأصولية[(١)].

ح- ارتباطها بنظرية جريئة حول المهدي، وهو أمر لم يسبق إليه أحد من الإخبارية.

خ- أن رئاسة الفرقة عند بعض الشيخية وراثية، وهذا لم يتبع في الإخبارية، مما يدل على أن الشيخية تحولت إلى نظام باطني أو صوفي يحصر المرجعية.

ثالثاً: الطرق الإمامية المتصوفة:

تداخل التصوف والتشيع منذ زمن مبكر، ومقصودنا هنا الحديث عن الفرق الشيعة الإمامية الاثني عشرية المتصوفة، أو الصوفية المتشيعة، واجتهدت في الحديث عن هذا الجانب، وخصصت له مبحثاً مستقلاً[(٢)]، ولكن في مقام تعداد فرق الظاهر والباطن سأعرض هنا عدداً من الفرق التي اشتهر عنها الغلو والميل الباطني.

قد تكون الصوفية لا زالت تستفيد من دعاوي الإمامة، وخاصة في الغيبة، وتستفيد من سبق الشيعة في الأضرحة والقبور، مما اضطرها إلى المداهنة بالقول بالأئمة الاثني عشر، وبالغيبة، لكنها استغلتها في مسألة العصمة والولاية، ونفذت منها إلى معتقداتها الباطلة، فهم يرون العقل والعلوم العقلية حجاباً عن الله، وهذا موضع إشكال مع من يعتنون بالاستدلال الأصولي، ويروون أنه لا يعبد الله إلا بالعقل[(٣)]؛ والصوفي يعمل لرفع الحجب بينه وبين الله،

---

(١) انظر: الشيخية، ص ٢٢٦.

(٢) انظر ص٧٤٥ من البحث، والموضوع جدير بالتوسع في بحثه، وهو يكشف مدى الغلو الباطني في كثير من رموز الطائفة الأصولية، التي تدعي أنها هي جمهور الإمامية الاثني عشرية.

(٣) في كتاب الكافي، ١/ ١١، ١٢، ٢٠: أخرج الكليني عن (أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان)، وقال: (عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ الزمر: ١٧-١٨، وعن سماعة بن مهران ...، فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: اعرفوا العقل وجنده، والجهل وجنده تهتدوا، قال سماعة: فقلت: جعلت فداك، لا نعرف إلا ما عرفتنا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عز وجل خلق العقل، وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له: أقبل، فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقا عظيما، وكرمتك على جميع خلقي، قال: ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانيا، فقال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له: أقبل، فلم يقبل، فقال له: =

ويسعى إلى العلم اللدني!، ولذلك أصبحت المنامات والرؤى والكرامات مادة لمذهبهم، وقد تكون هذه المادة أسعفت الشيعة في بلورة مفهوم الغيبة، فكان هذا برزخاً ودهليزاً يشتبه فيه تمييز الصوفي من الشيعي، مما يوحي بالتقارب الشديد لنشأة التصوف والتشيع.

من المهم أن أشير إلى أن أهم فترة أثارت اهتمام الباحثين في العلاقة ما بين التصوف والتشيع هي الفترة التي سبقت الدولة الصفوية التي ارتكزت عليها في قيامها، حيث التحم التشيع والتصوف تحت مظلة الغلو، ممثلة في عقيدة وحدة الوجود التي كانت منتشرة في بلاد الهند في القرن العاشر، مما يدل على تقدم بروز هذه العقيدة قبل هذا القرن، حتى وصلت أوجها في القرن العاشر[1].

كثير من الفرق الإمامية الاثني عشرية عرفت بالتصوف في تلك الفترة، بل منها ما عرف بالغلو وتأليه علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أو تأليه مؤسسها، ومنها ما يلي:

(الصفوية؛ القزلباشية؛ البكتاشية؛ الإبراهيمية؛ الشبكية؛ النعمتلاهية (النعمة الإلهية)؛ البريلوية؛ النصيرية؛ المولوية؛ الهمدانية؛ النوربخشية؛ المشعشعية)

وغيرها من الطرق الشيعية، والتي اكتفي بها سيرد من الحديث عنها في الباب الثالث ــ إن شاء الله ــ عند الحديث عن المنزع الصوفي والعرفاني على الإمامية في شعائر عاشوراء.

استكبرت فلعنه، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جندا، فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل، وما أعطاه أضمر له العداوة، فقال الجهل: يا رب هذا خلق مثلي خلقته وكرمته وقويته، وأنا ضده، ولا قوة لي به فأعطني من الجند مثل ما أعطيته، فقال: نعم، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي، قال: قد رضيت فأعطاه خمسة وسبعين جندا، فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند: الخير، وهو وزير العقل، وجعل ضده الشر وهو وزير الجهل، والايمان وضده الكفر، والتصديق وضده الجحود، والرجاء وضده...).

والمتأثرين بالفلسفة من هؤلاء يرون أن من صور العبادة تشبه الفقهاء بالإمام، من جهة خاصية التشريع، وهو امتداد للتشبه بالله، فلحاجة العوام لضبط أمور دنياهم يجتهد الفقهاء منهم في مجاراة شرائع الأنبياء، ولو بمجاراتها في الظاهر وأول الأمر، حتى يصل الأمر إلى إبطال الشريعة الأولى، وإحلال شريعة أهوائهم بجانبها للمؤانسة، ولذلك قد يملؤون كتبهم بآثار الأئمة تلبيساً.

(١) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ٣/ ١٣٣٨-١٣٤٥، ١٣٦٦.

الباب الأول

مفهوم عاشوراء وعلاقته بالحسين والإمامة عند الإمامية الاثني عشرية

وفيه:

التمهيد

قبل الدخول في مظاهر عاشوراء وشعائره ولوازمه وآثاره عند الإمامية، واقعاً وتأصيلاً؛ ثمت حاجة إلى التعرف على مفهوم عاشوراء قبل الإسلام وبعده، مفهومه عاشوراء الإمامية الاثني عشرية، وعلاقتها بمقام الأئمة وإمامتهم، وعلاقة عاشوراء بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحادثة مقتله في عاشوراء، وعلى علاقة ذلك بفهمهم وتفسيرهم للحوادث التي جرت لآل البيت، وخاصة المصائب والنكبات التي غلبت على أحوالهم، كما تظهره كتب الإمامية، ثم ازدادت المصائب عليهم وعلى المسلمين بانتحال طوائف أقوالاً ينسبونها إليهم، ويقومون بالنداء بين حين وآخر من التاريخ باسمهم؛ والدعوة نيابة عنهم، وعرض هذا المقام ـــ مقام الإمامة والأئمة ـــ لن يكون على سبيل البسط، لأن البحث لم يخصص له أصالة، وإنما يرد تبعاً، لأن المراد الحديث عن شيء من تبعاته وآثاره في الجانب العملي، والتي تحولت فيما بعد إلى عقائد ثابتة لمذاهب متبوعة إلى اليوم، وهي ما بين غلاة ومن دونهم، ويجمعها اسم الشيعة.

يأتي هذا الباب مقدمة ومدخل لبيان سبب الغلو في مناسبة عاشوراء عند الإمامية، وقياس قدر هذا الغلو مقارنة بغيره من المناسبات المتعلقة بالأئمة، وكذلك بمقارنة موقف غيرهم من هذا الحدث، بحيث يتضح معه مدى تأثير الغلو في جانب الأخبار والروايات في مراجع الإمامية على العقائد والشعائر وفي جانب التطبيق الواقعي المبني عليها، والذي هو موضوع الباب التالي، بإذن الله تعالى.

لذا خصص الفصل الأول للتعريف بمفهوم عاشوراء عند العرب واليهود، ومفهوم عاشوراء الإمامية، وأما الفصل الثاني فكان عن ترجمة الحسين، وقصة خروجه إلى العراق، وعن حادثة مقتله، وعن موقف السلف من هذا الجانب وموقفهم من استذكاره، وأما الفصل الثالث فكان عن الإمامة وحالها قبل عاشوراء وبعدها، وعن مكانة الإمامة من الدين، والعقائد المتعلقة بالإمامة، والتي ـــ ولا بد ـــ تحييها مجالس المآتم والمناسبات الإمامية، والتي سيرتبط بها توصيف مكانة هذه الشعائر من المذهب، لارتباطها بأصل من أصول الدين عندهم.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

مفهوم عاشوراء بين العرب واليهود وبين الإمامية الاثني عشرية.

[illegible] :

المبحـــــث الأول : عاشوراء عند اليهود والعرب قبل الإسلام وبعده.

المبحـــث الثـــاني : عاشوراء الإمامية الاثني عشرية.

مدخل

استجد وكثر لدى الإمامية المعاصرة التلبيس في اسم عاشوراء واشتقاقه، واتهام أهل السنة من هذا الباب؛ فرأيت أن من الواجب علي تحرير هذه المسألة وبسطها، وابتدأت ذلك بالتعرف على عاشوراء قبل الإسلام، وكان حديثي عن أشهر من نسب إليهم هذا اليوم من الأمم السابقة، وهم اليهود، ولأنهم هم موضع الإشكال والنزاع مع الإمامية الاثني عشرية؛ ثم تحدثت عن عاشوراء في لغة العرب، وارتباطه بالإسلام، إذ دواوين العرب خلوة من هذا اللفظ، لذا اجتهدت في تتبعه هذا اللفظ وارتباطه بتدين العرب وخاصة قريش بتعظيم الكعبة بالكسوة، وصوم ذلك اليوم؛ ثم عرجت على ما استقر عليه واقع أهل الإسلام في أمر عاشوراء، وكان هذا في المبحث الأول؛ أما المبحث الثاني فتحدثت فيه عن مفهوم عاشوراء عند طائفة الإمامية الاثني عشرية، وما أراداو أن يختصوا فيه لأنفسهم حول هذا اليوم، حتى أصبح لهم اختصاص بما يمكن أن أسميه بـ(عاشوراء الإمامية).

المبحث الأول

عاشوراء عند اليهود والعرب قبل الإسلام وبعده

وغهن ت ـبّصِّضِيك ا:

المطلـــــــب الأول: **عاشوراء عند اليهود.**

المطلـــب الثـــاني: **عاشوراء عند العرب قبل الإسلام وبعده.**

المطلـــب الثـــالث: **عاشوراء في واقع المسلمين.**

المطلب الأول

عاشوراء عند اليهود

احتفال اليهود وفرحهم بعبور أسلافهم البحر مع نبي الله موسى، ونجاتهم من فرعون أمر لا ريب فيه، وهو ما يسمونه بيوم الفصح، ويوم الخروج، وهو عنوان أحد أسفار التوراة عندهم، ومثله صومهم ليوم الكيبور، وهو الكفارة، وذلك بسبب ما ارتكبوه من عبادة العجل، وهم يرون أن صومه فرض، بل أن من لم يصم ذلك اليوم استحق القتل، هذا إضافة إلى غيرهما من الأيام التي يصومونها، أو يفرحون بها، ولكن الذي يعنينا هنا هو أيها يوم عاشوراء الذي يوافق عاشر أول شهر من سنتهم القمرية الدينية؟؛ والحقيقة أن تحديد هذا اليوم، وموافقته ليوم عاشوراء الذي صامه النبي ﷺ بعد الهجرة دار حوله جدال طويل، والأصل أن هذا البحث ليس موضع بسطه، فلسنا بحاجة إلى ذلك لولا أن الإمامية الاثني عشرية تتبنى التلبيس في هذا الجانب، لتتوصل به إلى الطعن في مرويات المسلمين عموماً؛ إضافة إلى أن أهل الإسلام عبر الأزمنة السابقة اكتفوا بخبر الرسول ﷺ، وصدق خبره عن البحث عما عند اليهود، لكن لما كان هذا التحديد موضعاً للطعن والتشكيك فأرى أنه لا مانع من تحقيق هذه المسألة، والعناية بها.

شهور اليهود التي تشغل بالأعياد والعبادات اثنا عشر شهراً قمرياً[(١)]، يضيفون إليها

(١) شهور اليهود هي مرتبة كما يلي: نيسان، أير، سيبون، تمز، آب، أيلول، تشري، مرحشوان، كسليول، طيبث، شفط، آذار، ومن خلال هذه الأشهر وكبسها تتكون السنة اليهودية، التي يتشكل منها التقويم اليهودي، وهم يعتمدون حسابين للسنة، هما:

أ- السنة التي تبدأ بنيسان وتنتهي بآذار، ويكون عيدالفصح (العبور) في أولها، وهي السنة العبرية المعتمدة، والمتوافقة مع مراعاة الاعتدال الربيعي بالحساب الشمسي.

ب- السنة التي تبدأ في الشهر السابع من السنة السابقة، فتبدأ هذه السنة من شهر تشري، وتنتهي بشهر أيلول، وفي بدايتها عيد الأبواق (الهتاف)، وهو عيد ميلاد هذه السنة، ومن خلالها يعظمون مرور الذكرى السابعة (السبتية)، ثم سنة اليوبيل(الخمسين)، بعد مرور سبع سبتيات (٤٩ سنة)،

يختلف اليهود في أي السنتين السابقيتين بداية الخلق والكون، كما اختلفوا في أيها السنة الدينية، وأرى كثيراً من الكتاب يعبرون عن الثانية بالدينية، والأخرى بالمدنية، ولكن كلاهما يرتبطان بجانب ديني لديهم، =

شهراً ثالث عشر كل سنتين أو ثلاث سنوات، يضعونه بين الحادي عشر والثاني عشر، ويسمونه آذار الأول، ينظمونه في سنتهم الدينية التي تبدأ من شهر نيسان العبري، وسابع أشهر سنتهم الدينية هو شهر تشري، والذي هو بداية سنتهم المدنية[1]؛ ولكن العبرة هنا بسنتهم الدينية التي تبدأ بنيسان، والتي توافق شهر مارس الشهر الثالث الميلادي، كما وافقت سنة العبور بداية سنة القبط الشمسية التي يحتفلون فيها بنيروزهم، والذي يوافق الاعتدال الربيعي في أجواء السنة، وقرب استواء الزروع، وقد جرى فيها موعد السحرة مع موسى عند فرعون، فسنة اليهود الدينية اعتمدوا فيها ملازمة هذا التوقيت، واستعملوا لأجل ذلك دورة الكبس، ويسمون سنتهم الكبيسة بالعبور[2]؛ ولكن هل وافقت بدايتها بداية السنة الأولى من الهجرة؟ فكما أنه لا غرابة مع ذلك أن يتكلف اليهود كل حين موافقة ميقات هذا اليوم الذي تلاعبوا به، وربما ضلوا عنه كما ضلوا في أيام الأسبوع عن أفضلها[3]، ومن ذلك ما ذكر من

=

والتاريخ الذي يظهر اعتماده مدنياً هي السنة الأولى المبدؤة بنيسان؛ والتقويم اليهودي تقويم معقد، ومن أسباب ذلك محاولتهم التوفيق بين السنة القمرية والسنة الشمسية، ومراعاة يوم السبت عند تحديد رأس السنة وأيامهم المعظمة، أما شهور السنة اليهودية المدنية فهي نفس الأشهر؛ انظر: الآثار الباقية، ص٥٣، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبدالوهاب المسيري، ، ونتائج الإفهام في تقويم العرب قبل الإسلام، ص١٠، ح(١)، ت. محمد الحسيني؛ ولعل ما ذكر في ص١٠ من تصرف المحقق، لا المؤلف، لأن المؤلف صرح في ص٦١ بأن شهر نيسان هو أول شهور سنتهم الدينية.

(١) أما الباحث المصري جويلي فيذكر أن سنتهم أصبحت توافق بداية الشهر الرابع أبريل، انظر: موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مقال: (عاشوراء الخروج تكشف رمسيس الثاني فرعون موسى)، مهندس/ محمد عبد الرازق جويلي.

(٢) أخذاً من كلمة معبارث، وهي المرأة الحبلى بالعبرانية، انظر: الآثار الباقية، ص٥٣.

(٣) من أوجه ضلالهم أنهم زعموا أنهم أمروا باستذكار يوم العبور في زمن التيه، أي بعد العبور، وكانوا حين جاءهم الأمر -كما في السفر الثاني من التوراة- في الخامس عشر من شهرهم الأول، والقمر تام ضوءه، والزمان ربيع، ويكون بداية سنتهم، وكان ذلك في شهر نيسان، فهو يتقلب من حيث سنتهم القمرية فيما بين قرابة خمسة وعشرين إلى ثلاثين يوماً، لكنهم أثبتوه في أحدها وهو ما يوافق الخامس عشر من أول شهرهم الشمسي القمري، يقول البيروني: (ولكن تشري يقع أبداً فيما بين اليوم السابع والعشرين من آب إلى اليوم الرابع والعشرين من أيلول على الأمر الأوسط)، هذا إضافة إلى تأخير أيامهم ومناسباتهم لئلا تقع في بعض أيام الأسبوع، وتأخيرهم يعرف عندهم بالدحي، كما أشار إلى وجه آخر من ضلالهم، وهو اختلاف اليهود والنصارى في تحديد يوم الفصح، وهو معظم عند كلا الطرفين؛ انظر: الآثار الباقية، ص٥٢، ١٤٤، ١٧٦.

تثبيتهم دخول وبدايات الشهور القمرية، وإن تقدمت على رؤية الأهلة بيوم، أو تأخرت عنه بيوم؛ وأما ما ذكر عن عاشوراء عندهم فله عدة احتمالات، وسأكتفي بالإشارة إلى مجمل الأقوال وأهمها في تحديد عاشوراء عند اليهود، وهي كما يلي:

١- أنه يوم الكيبور (الكفارة/ الغفران)، وهو العاشر من شهرهم السابع تشري، وهو يوم مفروض الصوم، يصومونه مع ليلته، وهو أطول أيامهم في الصوم، فيصومون فيه خمساً وعشرين ساعة، أي مع آخر نهار اليوم التاسع، وبه لا يتم صومهم هذا إن كانوا صاموا التاسع من أوله، ولهم فيه خصوصية؛ وبهذا قد يعرف وجه المخالفة عند المسلمين حينما يصومون التاسع والعاشر، لأن اليهود لا يمكنهم فعل ذلك؛ وممن ذكره من المتقدمين المؤرخين أبو الريحان البيروني، كما أشار إلى أنه يحتمل عدة موافقات، ككونه يوم الزينة (موعد السحرة)، وأنه في مثله كلم الله نبيه موسى[1]، لكن البيروني لم يحرر الكلام حول ما نقله عن اليهود؛ وهذا القول اشتهر مع أن ظاهر النصوص أن عاشوراء يوم عبور البحر وفلقه لموسى؛ كما أن البيروني رجح أن اليهود كانوا صائمين هذا اليوم حين قدوم الرسول ﷺ مهاجراً، ودخوله المدينة في التاسع من شهر ربيع الأول، وهذا يعني أن شهرهم هذا (تشري) لم يوافق محرم من السنة الأولى من الهجرة، بل وافق الشهر الخامس من سنتهم الدينية ٤٣٨٣.

وافق البيروني وتابعه الفلكي محمود باشا المصري[2]، ومثله الفلكي الكويتي المعاصر صالح العجيري[3]، وذكر محمود باشا أن عاشوراء اليهود وافق الثامن من ربيع الأول، كما

---

(١) انظر: الآثار الباقية، ص٢٧٦- ٢٧٧، ٢٢٩- ٣٣٠.

(٢) انظر: نتائج الإفهام في تقويم العرب قبل الإسلام، ص١٢- ١٥، محمود باشا الفلكي، ت/ ١٣٠٢هـ، ت. محمد الحسيني، ط ١٣٠٥هـ، دار بولاق – مصر؛ ولترجمة هذا العالم انظر ص٩٩٠ من البحث.

(٣) جريدة الوطن الكويتية، يوم السبت، بتاريخ: ١٦/٤/٢٠٠٥م، مقال: (الهجرة النبوية كانت في عاشوراء من ربيع الأول)، لحامد السيد عن تصريح الفلكي صالح العجيري، وبتاريخ: ٢٦-١٢-٢٠٠٩م، مقال: (عاشوراء يوم حزن أم سرور؟)، كتبه حسن علي، ونقل فيه كلام للفلكي العجيري، والكلام المنسوب إليه موافق لما ذكره محمود باشا من كون عاشوراء اليهود وافق دخول النبي ﷺ المدينة في الثامن من شهر ربيع الأول، كما وافق البيروني من جهة أن عاشوراء المسلمين نقل إلى محرم، ولكن ما نقل عن العجيري –إن ثبت– قد زاد فهماً لم يذكر دليله، ولم أقف على دليل يؤيده من ظواهر النصوص، ففي الكلام المنسوب إليه أن النبي =

وافق من الميلادي ٢٠/ سبتمبر/٦٢٢م؛ وهو بهذا جعل عاشوراء اليهود في تلك السنة في الثامن من ربيع، لا في التاسع ــ كما ذكر البيروني ــ، وأطال في تقرير هذا، والاعتراض على البيروني في توهينه لخبر ابن عباس، وأن هذا اليوم ليس هو يوم عبور البحر وغرق فرعون، كما أشار إلى أن الخطأ يتصور وقوعه من جهلة اليهود الذين أخبروا عن يومهم من غير معرفة سبب صومه؛ ويظهر لي أن محمود الفلكي أطال في الاستدراك على البيروني بما لا وجه له، وكأنه لم يتحرر له قول البيروني، مع أن البيروني أورد إشكالاً وجيهاً لم يتعرض له بالمناقشة، وغاية قول محمود باشا أنه يرى أن يوم الهجرة ودخول المدينة هو عاشوراء اليهود، وهو يوم نجاة موسى ـ عليه السلام ـ، وأنه وافق الثامن، لا التاسع من ربيع الأول[1]؛ لكن لم يظهر أن الفلكي محمود حرر معنى الكيبور، ومعنى العبور، وكأنه التزم أنهما شيئاً واحداً؛ وهذا ما لم يقصده البيروني، بل هو سبب اعتراضه على خبر ابن عباس.

أما يوم الفصح (العبور) من شهر نيسان فهو أبعد عن يوم القدوم بعد الهجرة، ولذا فقد شكك البيروني في رواية أن يوم غرق فرعون وافق حين الهجرة شهر محرم في السنة الأولى،

=

ﷺ والمسلمين صاموا عاشوراء في السنة الأولى، وكان إذ ذلك في ربيع الأول، وفي السنة الثانية نقلوا صومه إلى محرم، فيقول العجيري: (لقد أفاض الله علي من فيض فضله، حيث اهتديت بعد تمحيص وتدبر أن المسلمين زمن الهجرة صاموا عاشوراء اليهود، ثم خالفوهم، وتركوا صوم اليوم العاشر من أول شهور سنة اليهود، ونقلوه إلى اليوم العاشر من الشهر الأول في سنة المسلمين؛ أقول هذا لأنني بالحساب الفلكي الموثوق أؤكد إن اليهود صائمين يوم دخوله المدينة بذات اليوم، وليس في آخر سواه)، ولكن ما فهمه بالحساب الفلكي لا يلزم منه أن النبي ﷺ والمسلمين صاموا يوم الدخول، إذ من لوازمه أن الرسول ﷺ لم يعقد نية الصوم إلا في أثناء نهار ذلك اليوم، وهذا خلاف الأدلة الظاهرة، وخلاف لما أجمع عليه أهل العلم من أن هذا كان في حق طائفة ممن لم يبلغهم خبره إلا بعد بداية وقت الصوم؛ وعلى التسليم بصحة الحساب الفلكي الذي اعتمده الفلكيون فأرى أن إطلاق عبارة: (الهجرة النبوية كانت في عاشوراء من ربيع الأول)، – كما هو عنوان المحرر– محل نظر ولبس، إذ إن الهجرة مصطلح إسلامي، وهي وإن وافقت هذا اليوم فإن أحداً من مؤرخي الإسلام لم يسم ذلك اليوم يوم عاشوراء، ولم يؤرخ بتأريخ اليهود، إذ العبرة بحاله عند المسلمين، كما لم أقف على من جزم بصوم المسلمين في السنة الأولى –كما سيأتي في الباب الرابع بإذن الله–، ص٩٨٤– ٩٩١، ولكن الأمر اشتبه بسبب ظن صوم المسلمين لذلك اليوم، وأنهم اعتمدوا له هذا الموضع في تلك السنة.

(١) انظر: نتائج الإفهام في تقويم العرب قبل الإسلام، ص١٦– ٢٠.

أو الثانية، وأنه محال إلا على سبيل النقل الجديد الخاص بالإسلام[1]، لأنه وافق بحسابه التاسع من شهر ربيع الأول، لا العاشر من شهر محرم، وهو خلاف منطوق التوراة، لأن غرق فرعون كان في اليوم الحادي والعشرين من شهر نيسان، ووافق اليوم الثالث والعشرين من شهر رمضان[2].

بعض نصوص التوراة قد تخدم كون عاشوراء يوم الكيبور، فالأستاذ أحمد بن عبد الغفور عطار في مقاله وفر لنا مستند اليهود من التوارة، فقال: (وإن كانت أسفار اليهود المقدسة خالية من نص على الصوم في وقت معين إلا صيام الكفارة الذي لم ينص عليه بلفظ الصوم أو الصيام وإنما فسره الشراح به، والنص الذي ورد هو ما جاء في سفر اللاويين ــ وهو أحد خمسة الأسفار التي، تعرف بالتوراة ــ ٦/ ١٩: (ويكون لكم فريضة دهرية أنكم في الشهر السابع عاشر الشهر تذللون نفوسكم.. لأن في هذا اليوم يكفر عنكم لتطهيركم. الخ)؛ وتكرر هذا المعنى في سفر العدد ــ دهر من أسفار التوراة ــ ٧/٢٩: (وفي عاشر هذا الشهر السابع يكون لكم محفل مقدس وتذللون أنفسكم)، ولا يصرح السفران المقدسان لدى اليهود بلفظ الصوم، وإنما فسر الشراح تذليل النفوس بالصوم، فصام اليهود هذا اليوم الذي هو اليوم العاشر من الشهر السابع من السنة الهجرية)[3].

لعل الأستاذ عطار أراد السنة القمرية، ثم الأستاذ عطار استطرد بالنقل عن التوراة، وتعظيم اليهود لليوم بالزينة، وذكر أنه من تفسير الشراح، لا من نص التوراة، وهذا مما يدل على اختلافهم فيما بينهم، كما أنه فسر هذا اليوم بأنه هو الكفارة (الكيبور)، وأنه هو يوم صومهم الوحيد، وأنه هو عاشوراء عند المسلمين؛ وهذا على القول بأن محرم السنة الأولى من

---

(١) وهو وجه جيد للجمع بين الحساب الفلكي والأدلة الشرعية، لكنه نقل على وجه التأسيس، ووضعه في موضعه الذي وضعه الله فيه لموسى ﷺ، ولا يلزم منه أنه الرسول ﷺ وافقهم على موضع صومهم المحرف.

(٢) انظر: الآثار الباقية، ص٣٣٠- ٣٣١، وإن ثبت فيكون مثله في العام الثاني، وهو العام الذي صام فيه رسول الله ﷺ رمضان، فيكون وافق صومهم – أيضاً–.

(٣) جريدة عكاظ السعودية، نقلاً عن: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد: ٢٣، ص١٤٥، قسم: ردود ومناقشات، مقال: (عاشوراء صحيحة صريحة، وصيام اليوم العاشر مشروع)، د. نايف الدعيس.

الهجرة وافق الشهر الأول (نيسان) في سنتهم الدينية القمرية، وهو مخالف لما ذكره أهل الحساب والتاريخ.

٢- أن عاشوراء يوم عبور موسى ومن معه من بني إسرائيل البحر، وغرق فرعون ومن معه، وهو يوم من شهر نيسان أول شهورهم، والذي يوافق شهر مارس من السنة الميلادية، والأصل أنه يوافق عاشر الشهر الأول القمري الهجري، لكن مما يذكر عن اليهود اليوم أنهم يحتفلون فيه يوم الخامس عشر من هذا شهر نيسان؛ وهو يوم عيد أقرب منه إلى العبادة والنسك، ولذا جعلوا عيد الفصح بداية سنتهم، لكن التزموا ميقاته الشمسي، وصرفوا سنتهم الدينية القمرية إليها، وتبعهم على ذلك النصارى الذين يوافقونهم في الفرح، لأن النصارى من بني إسرائيل، أتباع موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ؛ وهذا حملاً لأدلة صوم عاشوراء الواردة في السنة على ظاهرها، ومنها سؤال اليهود، وأنه يوم غرق فرعون، ولكن هذا من دون مراعاة حساباتهم، وجنس صومهم هل كان شكراً على النجاة (العبور)، أو طلباً للكفارة والغفران (الكيبور)، وهو أشبه بأن صنيع الرسول ﷺ تأسيس جديد ليوم عاشوراء موافق ليومه الحقيقي زمن موسى ﷺ، ومخالف لموضعه المتنقل عند اليهود، وسيأتي التفصيل حولها، وكلام أهل العلم ـ كابن القيم وابن حجر ـ في الباب الرابع، إن شاء الله.

٣- أن عاشوراء هو يوم العبور، ولكنه يوم من الشهر الثاني للسنة العبرية الدينية، وهو شهر آيار، وأن فترة رحلة العبور استغرقت خمسة وعشرين يوماً[(١)]، ابتدأت من الخامس عشر من نيسان، وهو الموعد الذي سبق ذكره، وينتهي في اليوم العاشر من شهر أيار، ومع إضافة خمسة أيام للوصول إلى موضع في سيناء يكون مجموع الأيام ثلاثين يوماً، فيكون اليهود قدموه عن موعده شهراً؛ ومال إلى هذا القول أحد الباحثين المعاصرين في الآثار، وهو محمد عبد الرازق جويلي، الباحث في الآثار المصرية[(٢)]؛ وتوصل هذا الباحث بطريقة حسابية إلى هذا القول، وإلى أن يوم

---

(١) المشهور من خلال موسم الفصح أن الرحلة استمرت سبعة أيام (١٥- ٢١)، انظر الآثار الباقية، ص٣٦٩.

(٢) لم يذكر الباحث موضع التسمية، وللباحث عدة مقالات وبحوث حول رمسيس الثاني (فرعون) المعاصر لموسى، وتوصل إلى أنه حكم ٦٧ سنة، ورأى أن هذا يوافق عدد الآيات التي ذكر فيها فرعون في القرآن، وهو مما يعرف بالإعجاز العددي البلاغي في القرآن، انظر: موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، =

عاشوراء تكرر مرتان في نفس التوقيت: عاشوراء الزينة (يوم السحرة)، وعاشوراء الخروج (العبور)، وهما في ميقات واحد من السنة بينهما أربعون سنة، وأن هذا اليوم وافق في التاريخ الميلادي ٩/يوليو/١٢٦٦ق.م، كما وافق يوم ١٠ أيار وهو الذي كان يتوافق مع ١٠ محرم في سنة ١٢٢٧ ق.م، والفارق بينهما قرابة ٣٩ سنة هي فارق الحساب بين السنة الشمسية والقمرية خلال ١٢٦٦ سنة شمسية، فيكون ميقاته على التواريخ الثلاثة كالتالي: (يوم الخميس: ٢٩ أبريل ١٢٢٧ ق.م = ١٠ أيار ٢٥٣٤عبري = ١٠ محرم ١٩٠٥ ق.ه)[١].

٤- أن عاشوراء وافق شهر اليهود الرابع في سنتهم المدنية، وهو العاشر في سنتهم الدينية، وهو شهر طيبث، وفي اليوم العاشر منه يصوم اليهود، استذكاراً لليوم الذي ورد عليهم بختنصر، وحاصر بيت المقدس، كما أنهم يصومون اليوم التاسع الذي قبله[٢]؛ كما أنهم قد يصومون ويوافقون في أيامهم الموسعة، والتي يتحرون فيها يوماً بعينه، كالاثنين، فيوافقون عاشر شهور أخرى، كعاشر الشهر الخامس: شفط، وعاشر آذار الثاني، وعاشر نيسان[٣]، وعاشر الشهر الذي بعده: أيار، وفيه صوم ذكرى التابوت الذي أخذ من بني إسرائيل[٤]، وقد تقدم في القول الثالث أنه هو يوم عاشوراء الخروج، الذي يوافق عبور البحر؛ وهذا مما يشير إلى تكرر عواشرهم، فربما اشتبه على بعض اليهود أن يكون أحدها هو المقصود بعاشوراء.

وبعد هذا العرض لعاشوراء اليهود فإن الأشبه بخبر عاشوراء عندهم أنه هو يوم العبور والغرق (الفصح)، وإذا سلمنا أنه وافق يوم الهجرة في السنة الأولى منها، في ربي الأول؛ وهذا

=

مقال: (عاشوراء الخروج تكشف رمسيس الثاني فرعون موسى)، مهندس / محمد عبد الرازق جويلي.

(١) انظر: موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مقال: (عاشوراء الخروج تكشف رمسيس الثاني فرعون موسى)، مهندس / محمد عبد الرازق جويلي.

(٢) انظر: الآثار الباقية، ص٣٦٩.

(٣) انظر: الآثار الباقية، ص٣١٦- ٣١٩، وذكر البيروني أن عاشر نيسان فيه صوم مريم بنت عمران!، وفيه غور الماء، ويأتي بعده بخمسة أيام عيد الفصح.

(٤) انظر: الآثار الباقية، ص٣١٩.

يعني أن يومهم الآخر (الكيبور) وافق رمضان من السنتين الأولى والثانية من الهجرة، وذلك بعد ستة أشهر من يوم العبور (الفصح)، فيكون رمضان وافق يوم الكيبور، وهو صوم يوم الفرض عند اليهود؛ ولكن إن ثبت حساب الباحث المصري جويلي فهو لم يتعرض لموضعه في الإسلام بعد الهجرة، لكنه أفاد إضافتين مهمتين هما:

أ- أن عاشوراء الخروج (العبور) أياً كان فهو في الحقيقة وقع في الشهر الأول القمري من العدة التي ارتضاها الله لجميع الأنبياء في الشهور، فيكون موعده هذا وافق عاشر محرم من السنة الأولى القمرية للهجرة، وكذلك عاشر الثانية وما بعدها، وهذا مما يدل على توافق الأنبياء في مواقيتهم، وهو أمر مستقر في نفوس جمهور المسلمين وعوامهم، من غير تحرٍ لتفصيل ذلك، ويتضح هذا بالتالي.

ب- أن اليهود أضلوا مواقيتهم وحرفوا فيها، كما حرفوا دينهم وكتبهم؛ والرسول ﷺ لأجل ذلك أظهر أنه أولى بموسى ﷺ منهم، وربما أنه معنى لم يظهر إلا للعارفين بحقائق أحوالهم، بسبب كثرة تحريفاتهم، بحيث لا يتسنى للمتحدث عنهم تتبع تفاصيل ذلك.

هذان الأمران يمثلان المحكم عند جمهور المسلمين، وما عداهما فمتشابه، وعليه فلا يسوغ التشويش بالمتشابه على المحكم، بل يرد إليه، ويخرج عليه قدر الاستطاعة.

المطلب الثاني

عاشوراء عند العرب قبل الإسلام وبعده

عاشوراء من حيث التاريخ والمعنى معروف عند العرب على الصحيح، لكن الإشكال فيه أن لفظه لم يعرف في عباراتهم وأشعارهم، فارتبط ظهوره بتشريع صومه بعد الهجرة، هذا سواء كان الذي سماه هو الرسول ﷺ، أو غيره؛ وأغرب من هذا ما وقع بين أهل اللغة من الإشكال حول العاشر والعِشْر، وهل يراد بالثاني اليوم التاسع، أو اليوم العاشر؟ وهذا الخلاف مبني على مأخذ شرعي في الحقيقة، مروي عن أحد الصحابة، وهو البحر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، لكن مع هذا فالغريب أن أهل اللغة حاكموا لغة العرب إلى ما روي عنه، وهو مخالف لظاهر الاشتقاق؛ لذا فقد تعلق بعاشوراء عدد من الإشكالات، وقد فصلت الحديث عنها بما يشمل الجانبين اللغوي والشرعي، مبتدئاً بالجانب اللغوي، وذلك في الفقرات التالية.

- عاشوراء في لغة العرب.
- وزن فاعولاء.
- عاشوراء في الاشتقاق والتصريف.
- عاشوراء وأظماء الإبل.

أولاً: عاشوراء في لغة العرب:

عاشوراء من العاشر والعاشرة، ولكنه زاد عليهما في المبنى، وذاك يلزم منه زيادة المعنى، وعاشوراء في الوزن على فاعولاء، وفيه لغتان: عاشوراء بالمد والهمز، وعاشورا بالقصر (أو عاشورى)، أو عاشور من دون مد، ومن دون همز في كليهما، وورد عشوراء على وزن فعولاء،

---

(١) مثله اعتماد إمام اللغة الخليل بن أحمد في لفظ (عشرين) ودلالتها على الجمع مع أن ظاهر التثنية، اعتمد في ذلك على فتوى الإمام أبي حنيفة في الطلاق، فخرج اللفظ اللغوي إلى الحكم الشرعي، وقاسه عليه؛ انظر: العين، ١/ ٢٤٦، مادة: العين والشين والراء، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد، ت/ ١٧٠هـ، ت. د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

وفيه لغتان أيضاً: بالمد والهمز عشوراء، وبالقصر عشورا (أو عشورى) وعشور، هذا على القول الصواب خلافاً لمن منع القصر.

عاشوراء بهذا اللفظ وخاصة المد والهمز لم يرد في أشعار العرب، بل حتى قيل إن وزنه (فاعولاء) ليس من أوزان العرب، وممن انتصر لهذا ابن دريد[١]، واستدرك عليه ألفاظ عدة، كما ذكر سيبويه[٢] وغيره، مما ينفي الشذوذ، وقال الجوهري: إنه مولد، وذكر أن وزن فاعولاء كعاشوراء، وهو معرفة، وكضاروراء وهو نكرة، وأنهما يأتيان اسماً، ولا يأتيان صفة، وهو وزن سباعي للمؤنث، فالهمزة المزيدة في سابعه للتأنيث[٣]؛ ولعل هذا وجه ندرة هذا الوزن، فإطلاقاته أشبه بالسماعي المحدود، ومثناه عاشوران مخففاً عن القياس: عاشوروان[٤].

يذكر بعض اللغويين أن عاشوراء لفظ مشترك، أي اسم يطلق على للتاسع والعاشر، وإن كان اشتقاقه يفيد أنه مفرد، أي أنه يطلق على اليوم العاشر، وهذا موضع نزاع، وقد أصبح ـ آخراً ـ علماً على العاشر من محرم؛ كما ارتبط عاشوراء عند أهل البلاغة بمثل يتعلق بحال أهل الكوفة بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والتي أصبحت رمزاً للتشيع، فلا يقربها ناصبي أموي، ففي المثل: (أَذَلُّ مِنْ أَمَوِيٍّ بالكُوفَةِ يَوْمُ عَاشُورَاءَ)[٥].

قيل إن عاشوراء اسم إسلامي، فلم يسمع في الجاهلية[٦]، وأول من قاله الرسول ﷺ،

---

(١) جمهرة اللغة، ٢/ ٧٢٧، ابن دريد، ٣٢١هـ، ت. رمزي منير بعلبكي، ط١، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين – بيروت.

(٢) انظر: الكتاب، ٤/ ٢٤٩، سيبويه، ت/ ١٨٠هـ، ت. عبد السلام هارون، ط٣، ١٤٠٨هـ، مكتبة الخانجي – القاهرة.

(٣) انظر: الكتاب، ٤/ ٢٤٩، ٢٦٤، والمخصص، ٤/ ٤١٩، ٥/ ٥١، ابن سيده، ت/ ٤٥٨هـ، ت. خليل جفال، ط١، ١٤١٧هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٤) انظر: شرح الكافية الشافية، ٤/ ١٧٨٣، ابن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين، ت/ ٦٧٢هـ، ت. عبد المنعم هريدي، ط١، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى – مكة.

(٥) انظر: مجمع الأمثال، ١/ ٢٨٥، الميداني النيسابوري، ت/ ٥١٨هـ، ت. محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت.

(٦) انظر: غريب الحديث ٣/ ٢٤٠، الخطابي، ت/ ٣٨٨هـ، ت. عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وعبد القيوم =

كما في الصحيح أنه قال: **«إن عاشوراء يوم من أيام الله»**(١)، وهذا وإن لم ينص عليه فإنه لم يعرف قبله في كلام قريش، أو في كلام غيرها من العرب، وكون الرسول ﷺ نقل عنه التلفظ به فذلك كاف في فصاحته، كما أن قريشاً صح من نقل الصحابة أنها عظمت هذا اليوم قبل الهجرة، لكن لم ينقل عنهم أنهم تلفظوا به، كما ذكر أن من العلماء من قال إن هذا اللفظ عبراني، وأقدم من وقفت عليه ذكر هذا هو أبو الريحان البيروني(٢)، فقال: (وقد قيل إن عاشوراء هو عبراني معرب، يعني عاشور)(٣)، أي من لغة اليهود، ونقل إلى العربية بعد الهجرة(٤)؛ كما وقفت على أحد الباحثين في الآثار المصرية ذكر في ضمن بحث له عن الإعجاز العلمي أن اليهود يسمون هذا اليوم بـ (آشورا ـ Ashur)(٥)، كما ذكر أن اليهود حين عبروا

=

عبد رب النبي، ط ١٤٠٢هـ، دار الفكر – بيروت.

(١) مسلم، ح/ ١١٢٦، وفي موضع آخر من حديث سلمة بن الأكوع (ح/١١٣٥)، قوله ﷺ: «فإن اليوم يوم عاشوراء». وستأتي الإشارة إليه ص٤١ نهاية المطلب، بإذن الله.

(٢) محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني، المشهور بالخوارزمي، (٣٦٢ - ٤٤٠هـ)، فيلسوف رياضي، ومؤرخ فلكي، عارف بالمقالات والنحل والأديان، عاصر ابن سينا وناظره وباحثه، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره، وصنف كتبا كثيرة جدا، منها: الآثار الباقية عن القرون الخالية، والاستيعاب في صنعة الأسطرلاب، والقانون المسعودي، في الهيئة والنجوم والجغرافية، وتاريخ الهند، وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ويظهر من كتابه الآثار الباقية ثناؤه على الزيدية في بلاد المشرق، وعاصر محمود سبكتكين الغزنوي، وأطلق عليه المستشرقون (بطليموس العرب)، انظر: معجم الأدباء، ٥/ ٢١٨٦، ٢٣٣٠- ٢٣٣٥، ياقوت الحموي، والأعلام، ٥/ ٣١٤، الزركلي.

(٣) الآثار الباقية (عن القرون الخالية)، ص٣٣٠، أبو الريحان البيروني، بدون رقم الطبعة وتاريخها، دار صادر – بيروت؛ والبيروني في ص٢٧٥ ذكر أن العاشر من شهر تشري يدعى العاشوراء، ويظهر أن هذا من لغتهم.

(٤) انظر: القاموس الإسلامي، لأحمد عطية الله، ودائرة المعارف، للبستاني، ١١/ ٣٣٠، ولم أعرف عن هذين الكتابين، وأدلة صاحبيها عن هذه النسبية، ولكن نقل عنهما صاحب: صيام عاشوراء، ص٣١- ٣٢، جمال الدين بن عبد الله، ط١، ١٤١٨هـ، دار المحجة البيضاء – لبنان؛ والمؤلف إمامي اثنا عشري، ويرد فيه على أهل السنة، وتعلق بأشياء ليست سبب التسمية والاشتقاق، من مثل ما يذكره أهل الفضائل من عشر فضائل لعاشوراء، وهذا أمر متأخر عن زمن الاصطلاح.

(٥) انظر: موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مقال: (عاشوراء الخروج تكشف رمسيس الثاني فرعون موسى)، مهندس / محمد عبد الرازق جويلي، وهو على الرابط التالي:
http://quran-m.com/container2.php?fun=artview&id=1140

البحر (خليج سيناء) ذهبوا إلى (برية شور)(١)؛ وتوصل الباحث إلى أن يوم عاشوراء تكرر مرتين: عاشوراء الزينة، وعاشوراء الخروج (العبور)، وهما في ميقات واحد من السنة؛ وأي كان الأمر فالمقصود لا يتوقف على بقاء هذا اللغة، فقد يكون مما ضعف استعماله عند من نشأ بينهم من يهود العرب بعد إجلائهم من جزيرة العرب، لكن المدار على بقاء تعظيم يوم عاشر من أحد أشهرهم، وصومه.

أغرب مما سبق أن يذكر أن لفظ عاشوراء لفظ معرب من اللغة السريانية، وهي أسبق من العبرانية، بل إن بعض العبرانية معدولة عنها(٢)، وقد انتشرت بين عرب بلاد الشام، والتي كانت موطن تجارة قريش، ولعل منه قول أمية بن الصلت: ساهور للقمر، وهو معدول عن الساهرة، وأمية كان مستعمِلاً للسُّريانية كثيراً، لِأَنَّهُ كَانَ قَرَأَ الكُتب، وَلم يُسمع إلاّ فِي شعره، ومثله لفظ تامور(٣)، وساعور، والساعور: الحاذق المقدم في الطب عند النصارى، ومتفقد المرضى(٤)، ولعل منه ما ذكر أن الساعود من أسماء نبي الله المسيح عيسى ــ عليه السلام ــ، (وهو من أصل "سوعورو" Soouro، بمعنى زائر؛ وتطلق اللفظة على من يزور القرى ويطلع على أحوالها، وذلك بأمر من الأسقف)(٥)؛ وهذا مما يزيد من احتمال وجود اللفظ والاشتقاق عند اليهود في لغتهم العبرية، وأن العرب من اليهود ربما كانوا هم من نقلها إلى العربية، كما أن من أسباب دواعي تسميته بهذا الوزن هو تنقله في أشهرهم الشمسية في مقابل ثباته في القمرية، وهذا قد يشبه معنى ساعود المذكور، من جهة التقديم ورجاء البركة.

لم أقف على أحد من أئمة اللغة صحح هذه النسبة التي ذكرها البيروني، والبيروني قد

---

(١) لم يربط الباحث بين اسم هذا الموضع من الصحراء، وبين اسم عاشوراء، ولعل هذا الاسم مما يدعم قوله في عاشوراء يتعلق بالعبور إلى سيناء.

(٢) انظر: جمهرة اللغة، ١/ ٣١٩.

(٣) انظر: جمهرة اللغة، ٢/ ٧٢٤، ٧٤٦، ٣/ ١٣٢٥.

(٤) انظر: تاج العروس، ١٢/ ٣١- ٣٢، مادة: سعر، وانظر: ١٦/ ٢٩٦، مادة: عيس، وقد ذكر كذلك أن عيسى معدول عن أيسوع في السريانية.

(٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٢/ ٢٢٥، د. جواد علي، ت/ ١٤٠٨هـ، ط٤، ١٤٢٢هـ، دار الساقي.

عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري؛ مما يعني أن المتيقن هو ظهور هذا اللفظ وانتقاله إلى لغة قريش وعموم العرب كان في المدينة بعد الهجرة وبسببها، وأما إن كانت قريش سبقت قبل الهجرة إليه فهو محتمل، وأقوى منه أنه من وضع الرسول ﷺ بعد الهجرة، أو أنه من وضع عرب اليهود في المدينة وخيبر دون غيرهم من اليهود، فيكون هذا مظنة أنه لم يتحدث بهذا اللفظ إلا على ألسنة العرب، وربما أنهم نقلوه من لغة إخوانهم العبريين من اليهود، كما أرى أنه من غير المستبعد أن يكون حدث في قريش ومن حولها قرب مولد الرسول ﷺ، لاختصاصهم به، وكونه وافق ذهاب آخر الحجيج وكسوة قريش الكعبة، وأنه لم يشتهر فيمن عداهم، كما لم يعرف صومه عن غيرهم من أحياء العرب، وكان من أسباب تناميه بينهم واختصاصه بينهم أنهم كان حينها يعظمون فيه الكعبة بعد خلو مكة من الحجيج، وانفرادهم بالحرم؛ فكأنه يوم خاص بهم.

ثانياً: وزن فاعولاء:

عاشوراء من أشهر أوزان فاعولاء، أي أنه له نظائر، وإذا ثبت هذا فيصبح هذا الوزن إسلاميا، خلافا لما زعمه ابن دريد، حيث ذكر أنه لا يصح غيره على هذا الوزن[1]، واستدركت عليه ألفاظ عدة، أوصلها بعضهم إلى ستة[2]، وربما تصل إلى العشرة، ويظهر منها أن هذا الوزن استخدم في الجاهلية، وإذا كان كذلك فلا يمنع أن يكون عاشوراء نطق به الرسول ﷺ على وزن موجود، لا محدث، وزاد ابن حجر أن هناك من احتج في الرد بخبر عائشة عن قريش: (كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية)[3]، وذكر ابن حجر أن استدلالهم بهذا لا يستقيم[4]؛ والألفاظ التي استدركت على أبي بكر ابن دريد في وزن فاعولاء هي كما يلي:

---

(١) انظر: جمهرة اللغة، ٢/ ٧٢٧، مادة: شعر، عشر.

(٢) ممن جمعها صاحب كتاب: السماع والقياس، ص٨١، أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، ت/ ١٣٤٨هـ، ط١، ١٤٢١هـ، دار الآفاق العربية – القاهرة، وذكر سبعة ألفاظ على وزن فاعولاء غير عاشوراء.

(٣) البخاري، ح/ ١٨٩٨، ٣٦١٩، ٤٢٣٤، ومسلم، ح/ ١١٢٥، وانظر ص٩٨٠ من البحث.

(٤) انظر: فتح الباري (شرح صحيح البخاري)، ٤/ ٢٤٥، ابن حجر، ت. محب الدين الخطيب، وابن باز، ط ١٣٧٩هـ، دار المعرفة – بيروت.

١- خابوراء، وهو اسم موضع[١]، وقيل يراد به النهر.

٢- الساروراء: كالمسرة، من السار والسراء[٢].

٣- الضاروراء: كالضارورة، من الضار والضر والضرورة[٣]، وهي(القحط والشدة)[٤].

٤- الدالولاء: من الدالة[٥]، (والدلال والدَّلالة والدِّلالة: مصدر الدَّليل)[٦].

٥- صاروراء: من صرور، كصبور، والصرور فيه تمنع، وأصله من الصر: الحبس والمنع، وصارورة، كقارورة، وصارور، وصروري، وصاروري، ورجل صرور، وصرورة: لم يحج قط[٧].

٦- حاضوراء: موضع ماء، وقيل: بلد بناه صالح، عليه السلام، والذين آمنوا به، ونجاها الله من العذاب ببركته[٨].

---

(١) انظر: جمهرة اللغة، ٢/ ٧٢٧، ماد: شعر، عشر، وتهذيب اللغة، ١/ ٢٦١، مادة: عشر، ولسان العرب، ٤/ ٥٧٠، مادة: عشر، وتاج العروس، ١١/ ١٣١، ١٣/ ٤٣، مادة: خبر، والمزهر (في علوم اللغة وأنواعها)، ٢/ ٧٤، وزن فاعولاء، جلال الدين السيوطي، ت/ ٩١١هـ، ت. فؤاد علي منصور، ط١، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية – بيروت؛ وذكر ابن الجوزي أن خابوراء موضع، وقال: (وهي القوباء، وكربلاء)، ولم أفهم مراده، انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، ١/ ٤١٤، ت. علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض.

(٢) انظر: تاج العروس (من جواهر القاموس)، ١٢/ ١٦، مادة: سرر، مرتضى الزَّبيدي، ت/ ١٢٠٥هـ، ت. مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(٣) انظر: تهذيب اللغة، ١١/ ٣١٥، مادة: ضر.

(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ٨/ ١٤٨، ابن سيده، ت/ ٤٥٨هـ، ت. عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، والقاموس المحيط، الفيروزبادي، ص٤٢٨، مادة: ضر، وتاج العروس، ١٢/ ٣٨٨، مادة: ضرر.

(٥) انظر: تهذيب اللغة، ١/ ٢٦١، مادة: عشر، تهذيب اللغة، ١/ ٢٦١، وتاج العروس، ١١/ ١٣١، ١٣/ ٤٣، مادة: خبر، عشر.

(٦) انظر: المحيط في اللغة، ٢/ ٣٣٧، الصاحب بن عباد، ت/٣٨٥هـ، ت. محمد حسن آل ياسين، ط١، ١٤١٤هـ، عالم الكتب – بيروت.

(٧) انظر: تاج العروس، ١٢/ ٣٠٧، مادة: صرر.

(٨) انظر: تاج العروس، ١١/ ٤٢، ١٣/ ٤٣، مادة: حضر، ومادة: عشر، وذكر أنه وزن غريب لا ثاني له إلا عاشوراء، وهو منقوض بما ذكر.

٧- ساموعاء[١]: وهو اللحم في التوراة[٢].

٨- ماحوزاء: من الماحوز، وهو ضرب من الريحان، يقال له المرو[٣]، وهو ما غلظ من المرو[٤]، وقد يراد به الموضع قبالة العدو.

٩- تاسوعاء: ليلة التاسع من محرم، آخر الليالي التُّسَع: (ليالي: السابع والثامن والتاسع)، وقيل هو مولد[٥]، واعترض على ذلك الزبيدي، محتجا بأن لفظ تاسوعاء ورد مرفوعا من قول النبي ﷺ: (لأصومن تاسوعاء)، ولكن اعتراضه مردود، لأن اللفظ لم يثبت مرفوعا[٦]، وذكر أن ابن بري قال: (لا أحسبهم سموا عاشوراء تاسوعاء إلا على الأظماء نحو العشر.)[٧]؛ ولفظ تاسوعاء لم يظهر إلا بعد لفظ عاشوراء[٨]، وربما كان ظهوره لقصد تمييزه عن اليوم العاشر (عاشوراء)، واستقلاله بعدم نقل عاشوراء إليه، لمأخذ الاشتقاق، ولعل هذا اللفظ ظهر بعد فترة الاحتجاج، بخلاف عاشوراء المنقول باستفاضة عن مبلغ الشريعة ﷺ.

١٠- قاقولاء: ذكره السيوطي من دون ذكر معناه، ولعله من الدهاء في القول[٩].

---

(١) انظر: تاج العروس، ١٣/ ٤٣، مادة: عشر.
(٢) انظر: المزهر، ٢/ ٧٤، وزن فاعولاء.
(٣) انظر: المخصص، ٥/ ٥١، عند وزن فاعولاء، وذكره (مرو ماحوزاء).
(٤) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ٢/ ٤٥٣، ٣/ ٢٣٥، مادة: محز.
(٥) انظر: الصحاح،، ٣/ ١١٩١.
(٦) انظر: تاج العروس، ٢٠/ ٣٩٢، مادة: تسع، وقال: (فإن المولد هو اللفظ الذى ينطق به غير العرب من المحدثين، وهذه لفظة وردت في الحديث الشريف، فأنى يتصور فيها التوليد؟)؛ ولم أقف عليه مسنداً مرفوعاً، وإنما ذكره معلقاً ابن الأثير في: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٨٩- ١٩٠، ٣/ ٢٤٠، ابن الأثير، ت/٦٠٦هـ، ت. طاهر الزاوى، ومحمود الطناحي، ط ١٣٩٩هـ، المكتبة العلمية – بيروت، ومثله بعض كتب اللغة، ولم أقف على من حكم على هذا اللفظ، ولكن الذي يظهر أنه أدرج في الروايات متأخراً، وتناقله أهل اللغة بينهم، ولا يصح الاعتماد على رفعه برواية ضعيفة مرسلة أو منقطعة.
(٧) انظر: تاج العروس، ٢٠/ ٣٩٢، مادة: تسع.
(٨) انظر: المزهر، ١/ ١٠٥، ٢/ ٧٤.
(٩) انظر: المزهر، ٢/ ٨، وزن فاعولاء.

١١- (رانوناء/ رانوقا): موضع بين قباء والمدينة، لبني سالم بن عوف، وفيه أول جمعة صلاها النبي ﷺ بالمدينة[١]، وهو وادي (بين سد عبد الله العثماني وسدنا والحرة، ويلتقي مع بطحان في دار بني زريق، وفي هذا الوادي بئر ذروان الذي دفن فيه السحر للنبي ﷺ)[٢].

١٢- باحوراء: باحور، وباحور يوم كثير العلل والأوبئة، وباحوراء: شدة الحر في تموز، وهو مولد[٣]، أو معرب[٤].

١٣- قد يلحق بألفاظ عاشوراء الأخرى وأوزانه ألفاظ قريبة منها، كبادولى على وزن فاعولى، بضم العين، وبادولى: البدال، أي البقال، من بدل يبدل[٥]، وقيل: بادولى: موضع ببطن فلج باليمامة[٦]؛ ومثله على وزن فعولاء كعشوراء، أو فاعلاء كعاشراء، مثل: سابياء وحاوياء وقاصعاء[٧]؛ ومثله وزن فاعول ومنه عاشور بدون تأنيث، وقد سبق أن في السريانية ساعود، وساهور، وهي أوزان تنزل عليها بعض الألفاظ المشتقة في العربية، كعاشوراء.

ثالثاً: عاشوراء في الاشتقاق والتصريف:

عاشوراء من عاشرة وعاشر، وعاشر اسم فاعل، وعلم على عدد معروف بين التاسع والحادي عشر، وأصله من عشر، فهو على العقد الأول، وأما العقد الثاني فوضع له عشرون، وأما الثالث فثلاثون، وكذلك عاشرة وعشرة للمؤنث، وعشَّر القوم أصبح ترتيبه العاشر، وأعشروا أصبحوا عشرة، وجاء القوم عِشَار عِشَار، أي عشرة عشرة، وحروف: (ع، ش، ر) ترد على ألفاظ وتصريفات متنوعة، منها عشر القوم أي أخذ العشر منهم، فهو عاشر وعشار، والعشار الإبل اللواقح يبقى في حملها عشرة أشهر، ويقال عُشَرَاء، والعُشَر: شجر من العضاة فيه صمغ وسكر،

---

(١) انظر: معجم البلدان، ٣/ ١٩، وأول من ذكرها ابن إسحاق في سيرته، وهو تلخيص ابن هشام، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، والقاموس المحيط، ص١١٩٩، مادة: رتن، وبين أنه ينقل بالتاء: راتونا، وصوابه بنوين.

(٢) انظر: تاج العروس، ٣٥/ ٧٦، ١١٨، مادة: رتن، وبحار الأنوار (حاشية)، ١٩/ ١٢٢.

(٣) انظر: تهذيب اللغة، ١/ ٢٧٤، مادة: بحر.

(٤) انظر: تاج العروس، ١٠/ ١٢٧، مادة: بحر.

(٥) انظر: القاموس المحيط، ص٩٦٥.

(٦) انظر: تاج العروس، ٢٨/ ٦٨، مادة: بدل.

(٧) انظر: المخصص، ٥/ ٦٥.

وقيل شجر كالقطن، يقدح به النار، وثم نبت يقال له العشاري وعشرة، إذا رعته الإبل سمي لبنها: لبن عشري، وقد يطلق على الموضع الذي فيه هذا الشجر: عشر، وذو عشر، مواضع بالحجاز، وذو العشيرة، وهو مواضع بالصمان، وينبع، واليمامة، وقد تحذف منه "ذو" فيبقى عشيرة، وهو اسم لعدة مواضع اليوم، وربما منه العشراء والعويشراء، وهو القلة، لعبة للصبيان من الشجر، والعشير الزوج، والعشيرة القبيلة، والمعشر الجماعة ينظمهم أمر واحد، والعشر والعشير في الوزن والقياس والحساب، وتصغيره عشير، وأعشار وأعاشير قدور وقداح منكسرة، وكل قطعة منها عشار، وجمعها عشارات، ومنه ما تفرق من القبيلة وخالط غيرها، وذهبوا عشاريات سبأ، أي متفرقين(١)، فكأن (عشر) فيها معنيان، هما:

١- الجمع والتمام (الزيادة)، وهو ما كان ماضيه معدا بهمز، وما تصرف عنه، ومنه العدد، وفيه المخالطة والمجامعة والاجتماع، كالعشير والعشيرة والعشائر والمعشر والمعاشر، وكأن العشرة في الأعداد عند العرب في الأول هو منتهى الجمع والعدد الذي يحتمله عدد أصابعهم، فما زاد يضيفونه إلى تعشيرها، هذا قبل أن يتواضعوا على ألفاظ العقود؛ وقد يجتمع مع العشرة انتظار نتاج وبركة، ولعل منه قوله تعالى: ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾(٣)، وقوله تعالى في سبيل التحدي: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾(٤).

٢- الجزء والبعض (النقصان)، كعشر بمعنى أخذ العشر، وما تصرف عنها، ومنه عُشْر، أي جزء العشرة، و عشار، وجمعها عشارات.

عاشوراء بحذف آخره: الألف والهمزة (علامة التأنيث) يصبح عاشور على وزن

---

(١) انظر: العين، ١/ ٢٤٥- ٢٤٩، مادة: عشر، وجمهرة اللغة، ٢/ ٧٢٧، ماد: شعر، عشر، وتهذيب اللغة، ١/ ٢٦١، مادة: عشر، والصحاح، ٢/ ٧٤٦- ٧٤٨، مادة: شعر، ومعجم مقاييس اللغة، ٤/ ٣٢٤- ٣٢٧، مادة: عشر، ولسان العرب، ٤/٥٧٠، مادة: عشر، وتاج العروس، ١٣/ ٤١- ٥٩، مادة: عشر، والمزهر، ٢/ ٧٤.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) الأنعام: ١٦٠.

(٤) هود: ١٣.

فاعول[1]، وكأن الزيادة والعدل فيه علامة للتأنيث والتعظيم، كما حكي عن القرطبي[2]، وعند التأمل فيه فكأنه من صيغ المبالغة، أو النسبة والملازمة، والمايزة على عواشر الأشهر الأخرى في السنة، فكأنه العشار، أي متمم لما قبله من الخير، فهو جامع العشر والأعشار، ولعله من زيادة البركة التي تجتمع فيه بعد أداء الحج، ولأجل تحري هذا اليوم ربما اعتني بليلته؛ فأنث اللفظ مراعاة لتأنث لفظ الليلة، ثم غلب اللفظ المؤنث على اليوم بليلته، فقيل عاشوراء على وزن فاعولاء، فأصبح علما خاصا على العاشر من محرم؛ ومثله عشوراء[3]؛ ويقول ابن فارس: (عشر: العين والشين والراء أصلان صحيحان: أحدهما في عدد معلوم ثم يحمل عليه غيره، والآخر يدل على مداخلة ومخالطة)[4].

عشوراء اسم مكان، وكذلك عشورى، ومنه العشر وذو العشيرة ــ كما سبق ــ، وعشوراء اسم زماني للعاشر من المحرم، ربما أنه لما احتيج إلى جعله اسما لموضع من الزمان زيد فيه الألف: عاشوراء، وأصله عاشور، وكان في أول أمره متنقلا في عاشر الأشهر، تبعا لليهود، ثم أثبت في عاشر المحرم، وتنقله قد يكون حاكى لفظا عند النصارى وزنا ومعنى، وهو ساعود: للمذكر، وهو من الطبيب الذي يتنقل بين المرضى، كما سبق ذكره قريبا.

العرب تطلق على ليالي القمر كل ثلاث باسم أولها الغرر، ثم نفل، ثم تسع، ثم عشر، ثم بيض، فأول ليالي العشر الليلة العاشرة، تليها الليلتان الحادية عشرة، والثانية عشرة، وربما لأهمية العاشرة زيد فيها: العشوراء، ثم العاشوراء، تشبيها لها بأرض العشر من حيث البركة والأنس، وكذلك ليالي العشر يؤنس بها غالب الليل، لظهور القمر ونوره.

---

(١) ككافور، وساحوق، وناموس، وجاموس، وحول هذا الوزن انظر: جمهرة اللغة، ٢/ ١٢٠٥، وسبق أن هذا الوزن موجود في السريانية، ونقل إلى العربية، راجع ص٨ من البحث، كساهور، وساعود.

(٢) انظر: فتح الباري، ٤/ ٢٤٥، وشرح النووي على صحيح مسلم، ٣/٢٢٢، جلال الدين السيوطي، ت/ ٩١١هـ، ت. أبو اسحاق الحويني الأثري، ط١، ١٤١٦هـ، دار ابن عفان – الخبر.

(٣) انظر: تاج العروس، ١٣/ ٥٥، وذكر أنه اسم موضع؛ ولعل أقرب الألفاظ إليها: عَشْراء، وهي الناقة التي بلغت في حملها الشهر العاشر، وقاربت الوضع.

(٤) معجم مقاييس اللغة، ٤/ ٣٢٤، ٣٢٦، ابن فارس، ت/ ٣٩٥هـ، ت. عبد السلام هارون، ط ١٣٩٩هـ، دار الفكر.

حاصل ما تقدم أن عاشوراء من العدد العشرة، لا من الجزء، وجمعه العشر. والعشور، وأنه مشتق من لفظ (عشر)، وأن ما زيد في مبناه من الألف الثانية، والألف والهمز في آخره هو زيادة في مبناه، لوجود المبالغة والتعظيم اللذين استدعيا هذا التخصيص.

رابعاً: عاشوراء وأظماء الإبل:

استشكل أهل اللغة على عاشوراء ما روي عن ابن عباس من قوله أن عاشوراء هو التاسع، وحملوه على ما عند العرب في حسابهم لورد الإبل في المراعي، فمن عادتهم أن يوردونها الماء ثم يطلقونها في المراعي حسب قربها وبعدها من مورد الماء، وعليه يكون إظماؤهم للإبل، أدناها الرفه، وأعلاها العشر، (وليس لها بعد العشر اسم) إلا بتثنية العشر: عشرين[1]، والعشر اسم للورود في اليوم التاسع، لا العاشر[2]، فإن قربت ووردت الماء كل يوم سموا ذلك رفها، وإن وردت في يوم دون يوم سموا ذلك غبا، فيوم ورد ويوم ظمأ، وإن أوردوها الماء بعد يومين سموا ذلك ربعا، فأظمؤوها يومين، وأوردوها يومين، فإذا تكرر ذلك وأوردوها بعد يومين سموه ــ أيضا ــ ربعا، فربع ثم ربع ثم ربع، ثم خمس، ثم رفها، وهكذا على اختلاف مواردهم.

من هنا يبدأ اصطلاحهم الغريب وغير المنضبط، فهو يحتمل ـ في الربع مثلا ـ أنهم حسبوا يوم الورد الأول والثاني، وبينهما يومان ظمئ فهذه أربعة، ولكن هذا لا ينظبط في الربع الثاني، حيث إن الورد الأول منه تابع للربع الأول، فأصبحت ثلاثة في الحقيقة؛ ولكن الأصل في العدد أنه مبتدأ من الورد الأول، فالظمء الأول ثاني الورد، والظمء الثاني ثالث الورد، واليوم الذي بعدهما هو رابع للورد الأول، فهو ربع للورد الأول، لا لأيام الأظماء، وكذلك العشر، فالأول من أيام الأظماء الثمانية هو ثاني يوم الورد قبله، وكذلك آخرها هو تاسع يوم الورد الأول، وما بعدها هو العشر؛ ومما يؤكد هذا المعنى أن الخليل إمام أهل اللغة نص عليه، فيقول الخليل: (ولا يقولون ثلثا أبدا، لأنهم يحسبون يوم الورد الأول والآخر، ويحسبون يومي المقام

(١) الصحاح، ٢/ ٧٤٦، وتاج العروس، ١٣/ ٤٦.

(٢) الثمانية أقصى أيام الأظماء، وعليه فإن كان يوم الورد قبلها منها فلا شاهد فيها، وانظر: جمهرة اللغة، ٢/ ٧٢٧، وقال: (وذلك أن الإبل ترعى ستة أيام وتقرب يومين وترد في اليوم التاسع).

بينهما، فيجعلون ذلك أربعة)[1]؛ ويقول الزبيدي: (وذلك أنهم يحبسونها عن الماء تسع ليال وثمانية أيام، ثم تورد في اليوم التاسع، وهو اليوم العاشر من الورد الأول،... وفي حسابهم: العشر: التاسع. فإذا جاوزوها بمثلها فظمؤها عشران، والإبل في كل ذلك عواشر)، بل قال: (والعشر، بالكسر: ورد الإبل اليوم العاشر، وهو الذي أطبقوا عليه)[2].

اقتصار الحساب في الورد على ما بين الوردين يشكل عليه فيما إذا جاوزت الأظماء ثمانية أيام، فلو كانت تسعة، أو عشرة مثلا فليس لديهم ليوم الورد اسم، إلا في العشرين، ولكنهم يعاملون هذه الأيام الزائدة (الجوازي) بحساب عشر تام، فيكون مسمى ورودهم: عشران، مع أن مجموعها عشرة، أو أحد عشر يوما، ومثله أنهم لو تم العشران، أي ثمانية عشر يوما، وزادت عليها يوما فإنهم يسمونها عشرين، بكسر الراء: على هيئة الجمع لا التثنية، مع أن مجموعها تسعة عشر يوما، بل حملوا عليها ما تواضعوا عليه من لفظ عشرين للعقد العشري الثاني، وأنه أطلق على وجود ثلاثة أعشار ولو كان أحدها نقصا، كما أن الفقهاء ـ كأبي حنيفة ـ يوقع بعض الطلقة الثالثة طلاقا ثلاثا؛ وهذا جاء في مباحثة بين الليث وشيخه الخليل ابن أحمد[3]، كما أن الزبيدي ممن توسع في تحرير هذا المعنى، وله رسالة صغيرة في ذلك، وأظنه انفرد بهذا التحقيق، وخرج هذا الإشكال ردا على من استشكله بأن الأظماء الثمانية يضاف لها ليلة قبلها مما يجعلها تسعة، فيكون الورد بعدها في اليوم العاشر على أصله، من دون حاجة إلى رد الاصطلاح، وحاول التوفيق بين الحسابين، على أنه رد القياس في اللغة على الطلاق، ورأى أن لفظ (عشرين/ وعشرون) اسم وضع على استقلال[4].

هذا الإشكال يرد على العشر الأول أكثر من غيره، إذ هو وردان بينهما ثمانية أيام، فالورد الثاني هو اليوم العاشر للأول، ولكن العشر الثاني سيكون في الحقيقة ثمانية أيام فالورد الثاني تاسعها؛ وهم يسمون الإبل على هذا عواشر، أي ترد في العشر، وتثنية العشر عشران، وهذا

---

(١) العين، ١/ ٢٤٦.

(٢) تاج العروس، ١٣/ ٤٦.

(٣) انظر: العين، ١/ ٢٤٦.

(٤) تاج العروس، ١٣/ ٤٥- ٤٧.

لا يستقيم إلا إذا نظر إلى كل ورد على استقلال، ولكن هذا لا ينقل إلى أسماء العقود ـــ كما سبق ـــ، كما لا ينقل إلى ترتيب أيام الأشهر، خلافا لما فهم من قول ابن عباس أنه يرى أن عاشوراء هو التاسع، وهذا ـــ فيما فهمت ـــ بالنظر إلى العشر الثاني، لا الأول، فالعشر الثاني ورده الأخير في التاسع، أما العشر الأول فورده الثاني في العاشر حقيقة؛ فنقل الترتيب في أظماء الإبل إلى ترتيب الأيام أرى أنه لا يسلم على إطلاقه(١).

مما يزيد الإشكال ويؤكد ضعف الاستدلال بمفهوم العشر على أن عاشوراء هو التاسع؛ أن الاصطلاح الإسلامي في اسم عاشوراء سيكون قد تكرر مرتين في المدينة، في السنة الثانية، وفي السنة الحادية عشرة؛ وهو أمر غريب وبعيد، لصعوبة الانفكاك من الاشتقاق، ولعدم سلامة حساب الأظماء من الإشكال في ذاته، لأن هذا مبني على القطع بأن اسم عاشوراء ووزنه لم يكن معروفا في الجاهلية، وأنه مولد، وهذا موضع يصعب الجزم فيه، لأن كلا الطرفين ليس مستنده على ما يقول قاطعا، عدا أن هذا الاسم لم يرد في أشعار العرب وكلامهم المحفوظ، ولكن الأظهر أن اللفظ مشتق من جنس كلامهم، وأنه فيه زيادة معنى على العاشر، وأن ما لحق يومه من التعظيم والتحري لحق مبناه بالزيادة، فصار بدل عاشر: عاشوراء، لأنه حين تميز عن غيره من الأيام بمعنى تميز مبناه بزيادة على أصله، ومن طرق تعظيم التأنيث الألف والهمز، وأضيف معها الواو للمبالغة، والتي قد تستفاد من كونه متنقل عند اليهود الذي عرفوا بالعناية به، وهم مظنة أن يكونوا منطلق تسميته بهذا الاسم، وخاصة عرب يثرب، كما يحتمل أن منطلق تسميته من أهل الكعبة الذين تركوا النسيئة الكبرى، وأقروا عاشوراء في محرم، فأثبتوا له زيادة معنى ومبنى، مما يعنى أن هذا الاسم ظهر عندما أثبت قريش الحرمة في محرم، وتركت النسيئة، ومما يظن تأريخا لهذا هي الفترة التي سبقت ميلاد الرسول ﷺ بقليل، كما أن ألفاظ بعض الأحاديث تصلح أن تكون تاريخًا للتسمية مثل قوله ﷺ: «**فإن اليوم يوم عاشوراء**»، كما في حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١)، والله أعلم.

---

(١) ما سبق على أشهر الوجهين في حساب الأظماء، إذ ثم من يجعل الورد هو اليوم الأول للأظماء، فيكون الورد الثاني في العشر الأول يوم تاسع، أما الثانية فيكون في الثامن، وهذا أظهر في عدم الاستناد إلى هذا الحساب.

(١) البخاري، ح/٢٠٠٧، ومسلم، ح/١١٣٥، وانظر الحديث بتمامه ص٩٨٢ من البحث.

المطلب الثالث

عاشوراء في واقع المسلمين

سبق أن المقصود بعاشوراء اليهود هو صوم يوم عاشر، وفي بعض صوره عندهم أنه لا يضم إليه غيره، لكن المقصود تحديد يوم عاشوراء عند المسلمين، وهل هو موافق للاشتقاق، أو أنه نقل إلى غيره، وما الذي استقر عليه عمل المسلمين اليوم؛ وقد اختلف في تعيين يوم عاشوراء على ثلاثة أقوال، أذكرها مرتبة في الغرابة، فهي كما يلي:

١- أنه اليوم الحادي عشر، وقد نقله الطبري، وأبو الليث السمرقندي في تفسيرهما[١]، من دون ذكر قائل به، ولم أقف على وجه هذا القول عند من قال به، وربما كان لأجل المبالغة في مخالفة اليهود.

٢- أنه اليوم التاسع، وهذا قول مروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنسوب إلى: معقل بن يسار[٢] المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣]، و الضحاك بن مزاحم[٤]، والشافعي[٥]، وغيرهم، وذلك أخذا من قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمن سأله عن صوم عاشوراء: فعن الحكم بن الأعرج، قال: (انتهيت إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو متوسد رداءه في زمزم، فقلت له: أخبرني عن صوم عاشوراء، فقال: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد، وأصبح يوم التاسع صائما، قلت:

---

(١) كما حكاه الزبيدي صاحب تاج العروس عنهما، انظر: الأمالي، ص١٣، مرتضى الزبيدي، ت/ ١٢٠٥هـ، مخطوط، وهو من نسخ أحمد الخضري، ضمن موقع كتب المكتبة الشاملة الإلكترونية، على الرابط التالي: http://shamela.ws/browse.php/book-10479#page-1

(٢) المزني البصري، من أهل بيعة الرضوان، ومن تلاميذه الحسن البصري، قال محمد بن سعد: لا نعلم في الصحابة من يكنى أبا علي سواه، مات بالبصرة، في آخر خلافة معاوية، انظر: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٥٧٦.

(٣) انظر: الاستذكار، ٣/ ٣٣٠، ابن عبد البر، ت/ ٤٦٣هـ، ت. سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط١، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤) وهو المفسر والإخباري، وانظر ترجمته ص٩٥٥ من البحث.

(٥) مسند الإمام الشافعي، ص٢٦٣، الشافعي، ت/ ٢٠٤هـ، ت. يوسف الزواوي الحسني، وعزت العطار الحسيني، ط ١٣٧٠هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

هكذا كان رسول الله ﷺ يصومه قال: نعم)[1]، وإليه ذهب بعض اللغويين متابعة لابن عباس، وعليه فهو عندهم مشتق من العشر، بكسر العين، وهو ورد الإبل في اليوم التاسع[2]، وربما حمل عليه تأويلا حديث: **«لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع»**[3]؛ وربما من هذا الوجه جعلوا لفظ عاشوراء مشتركا، أي يطلق على العاشر والتاسع؛ وسيتضح هذا الجانب بمناقشة هذا المصطلح قريبا في الفقرة السادسة.

استحب جمهور من العلماء صوم التاسع، ومن مسوغات قولهم بالاستحباب الخروج من خلاف قول ابن عباس، إضافة إلى المخالفة لليهود، والاحتياط في عدم تفويت عاشوراء عند اشتباه دخول الهلال[4]؛ ولكن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يتابع على هذا القول من جهة الاشتقاق، ولكنه توبع من جهة مخالفة اليهود بصوم يوم مع العاشر، وهذا مما يدل على أن اليهود في عاشورائهم لا يجمعون إليه يوما آخر، وهذا أشبه شيء عندهم في صوم يوم الكيبور.

٣- أن عاشوراء هو اليوم العاشر، موافقة لاشتقاقه، وهو مذهب جمهور الصحابة والتابعين والراجح عند الأئمة، كما أنه مروي عن ابن عباس[5]، وعليه فهو مشتق من العشر بالفتح العدد المعروف.

واقع استخدام عاشوراء:

استقر عاشوراء عند جماهير المسلمين على أنه هو اليوم العاشر من محرم، وكالإجماع

(١) مسلم، ح/ ١١٣٣.

(٢) انظر: الأمالي، للزبيدي، ص١٣؛ وسيأتي قريباً –بإذن الله– بيان وجه قولهم ونقده.

(٣) مسلم، ح/ ١١٣٣.

(٤) انظر: المجموع شرح المهذب، ٦/ ٣٨٣، النووي، ت/ ٦٧٦هـ، ط. دار الفكر، واللفظ المكرم (بفضل عاشوراء المحرم)، ص١١- ١٢، ابن ناصر الدين الدمشقي، ت/ ٨٤٢هـ، ت. مشعل المطيري، ط١، ١٤٢٢هـ، دار ابن حزم.

(٥) هذا أحد القولين المنسوبين إلى ابن عباس وهو الموافقة لقول جماهير العلماء، وقد ترك قوله الآخر، لأنه مناقض لقوله المشهور عنه، ولقول جمهور الصحابة، انظر: شرح النووي على مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، ٨/ ١٢، النووي، ت/ ٦٧٦هـ، ط٢، ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

بينهم أنه هو اليوم الذي يستحب صومه اقتداء بالرسول ﷺ، وأن من أسباب تعظيمه أنه يوم نصر الله فيه نبيه موسى ﷺ، وأنه لا يلتفت إلى ما يشكل على ذلك بعد صحة الخبر عن الرسول بصومه، فلا يلتفت إلى ما سبق من الإشكال في العشر. في أوراد الإبل، وأن ما ورد عن ابن عباس يحمل على الجمع بين صوم اليومين لقصد المخالفة، لا على أصل الاشتقاق اللغوي، لا في العاشر، ولا في العشر، وهو قول جمهور المسلمين، كما أنه مروي عن ابن عباس ــ أيضا ــ، كما أنه على التسليم بالنقل للصوم فإن هذا لا يلزم منه إبطال الاشتقاق الأول، وأنه أساس التسمية؛ وغاية الأمر أن هذا الخلاف لا حظ له في الواقع اليوم، إذ يجمع المسلمون بين صوم اليومين: التاسع والعاشر؛ كما أن من المهم عدم الربط بين تشريع الرسول ﷺ لصوم عاشوراء وبين صوم اليهود: هل وافق محرم، أو لم يوافقه؟ [1]؛ وأما واقع آحاد الإمامية فيتضح في المطلب القادم.

❁❁❁❁❁❁

(١) يتضح هذا الجانب بتتبع مراحل تشريع صوم عاشوراء، وللتوسع حوله انظر ص٩٨٤- ٩٩٢، وراجع ص١١٦ من البحث.

المبحث الثاني

عاشوراء الإمامية الاثني عشرية

١- أسلاف الإمامية (الاثني عشرية).

٢- الشعائر الحسينية.

٣- الإمامية الحسينية.

المبحث الثاني

عاشوراء الإمامية الاثني عشرية

استأثرت الإمامية الاثنا عشرية من بين فرق الإمامية بالعناية بعاشوراء، وادعت خصوصيتها به، وقد تسميه بعاشوراء الحسين، وتدعي أن هذا الاسم لا سبب لوجوده إلا استشهاد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونعيه زمن النبوة[(١)]، وتزعم أنها أعظم من يوفي الحسين حقه من خلال هذه النسبة، وبالغلو في دعوى المحبة، واعتقاد وجوب تعويضه بمثل ما أحدثوه، ولذا فإن المتأخرين منهم اعتنوا بتجديد وتحرير المخالفة لجمهور المسلمين، والطعن عليهم من مثل هذه المواضع، وباب التواريخ والتقاويم ملحظ يحرص من خلاله الإمامية الاثنا عشرية على الانعزال عن جمهور المسلمين، ومن أمثلة ذلك يوم عاشوراء، ومثله مطالع الأهلة، ومواقيت الحج، ومما يحسن ذكره أن هذه الظاهرة تتجدد مع تجدد الغلو، ففي هذا الزمن تجدد الغلو من خلال بروز عقيدة الولاية (التكوينية والتشريعية)؛ التي تؤول إلى نسخ الشريعة وإبطالها، وإلى التلاعب بالعوام وتهييجهم من خلال إحياء عقيدة الرجعة والظهور، واستغلالهم لإقامة الدول والحركات.

حرص الشيعة الإمامية الاثنا عشرية على مخالفة المسلمين ومناسباتهم ومواقيتهم جرى ذلك منهم بما لا يعقل، لا حساباً، ولا لغةً، وإذا كان هذا ظهر وسيظهر من خلال عاشوراء وأحاديثها فقد كان لهم ولأسلافهم مساغ في ذلك، وسيبين من خلال موقفهم من صوم عاشوراء، ومن صوم الأئمة الاثني عشر له، وثبوته في كتبهم، وقد نبه الأوائل على ظاهرة المخالفة لدى غلاة الشيعة، وتلاعبهم بالنصوص والتواريخ[(٢)].

تلجأ الإمامية إلى الاستكثار من كل ماضي الشيعة، مع أن طوائف من الشيعة تعدها الاثنا عشرية من أعدائهم، بل وتكفرها لمخالفتها لها في أصل الإمامة، لكن هذا العصر يشهد

---

(١) انظر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ٣٠٦/٤، وسيأتي ـ بإذن الله ـ عرض بقية آراء المؤلف ص١٠٢٣.

(٢) انظر ص١٠١٤ – ١٠٣٩، وص٨٦٤ – ٨٧٤ من البحث، ففيه مزيد من أوجه مشابهة الإمامية للضالين من اليهود والنصارى وغيرهم.

زمن توسيع دائرة التشيع من خلال التشيع الحسيني في عاشوراء، مما يجعل معالم وخصائص المذهب الاثني عشري تختفي، ويزيد المذهب من الاندماج في المذاهب الباطنية، ويحسن هنا أن أشير إلى بعض المصطلحات التي سيبرزها البحث للوصول إلى هذه النتيجة، وقد قام على نوع من الشمول لمفهوم الإمامية من خلال واقع الاثني عشرية في طرحها واستدلالها على بدعها في عاشوراء، والذي أحوجني إلى التنزل مع هذا الاستكثار للموافقة الظاهرة من الطائفة عليه، مع أن وجود التقارب بين عدة طوائف من الشيعة الإمامية في عاشوراء لا يعني اندثار كل طائفة، لكن لا يعدم المتابع لها أن يجد تقارباً وانصهاراً في بعض الجوانب، وذلك بسبب توغل العرفان الباطني بين الشيعة، وهذه المصطلحات هي كما يلي:

١- **أسلاف الإمامية** (الاثني عشرية):

هذا المصطلح يوحي لأول وهلة أن المذهب له ظهور من أول ظهور التشيع في القرن الأول، وأن أتباعه في ذلك الحين يشيع بينهم الإيمان باثني عشر إماماً معصوماً، ولكن الواقع أن بروز مصطلح (الإمامية الاثني عشرية) لم يبرز إلا زمن الغيبة، إذ ما قبلها هي فترة عائمة، ونهاية الإمامة والأئمة وعددهم غير معلومة، وسيأتي ــ بإذن الله ــ أن الإمامية مرت بمراحل من أشهرها القطعية ـ كما سيأتي ــ، هذا مع أن الإمامية تحتج بصنيع عموم الشيعة، حتى من فارقها في تعدية الإمامة، وذلك استكثارا بهم، وتنسبهم إليها مع براءتها منهم في ظاهر مروياتهم، بل وضمنت مروياتها رواية هؤلاء مع أن كثيراً منهم من الغلاة والمفوضة، واعتمدت عليها في الفقه وغيره، وإن كانت متعارضة مع رواية غيرهم، أو لا تقبلها الفطر والعقول؛ وربما أن مذهب الإمامية من دون هذا التراث المختلط لا يمكن أن يكون كافيا لبقاء المذهب.

هذا الاصطلاح جعل الإمامية تتهاون في عقيدة الانتظار، وتحن إلى ما كان عليها أسلافها ـ كالكيسانية ـ من الخروج والثأر، واعتقاد الرجعة ــ كما عند خوارج الشيعة ــ[1]، وتحن إلى غيرها من عقائد الغلو، والتي انمحت معها معالم المذهب الاثني عشري الذي ينسبونه إلى مدرسة آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتحت اسم العلوية والجعفرية، فلا يمكن أن يتصور إلا مقرونا

(١) انظر حول الخروج عند الشيعة، والخارجون منهم ص٩٤٦ من البحث.

بهذا الغلو الذي لا ينفك عنه، وهذا مما يجعل المذهب مباءة لكل طوائف الغلو والزندقة، وأن مذهبهم لا يخلو من أحد أمرين: إما أنه لم يكتمل بعد، وأن كل ما يدعونه ويحتجون به فهو عرضة للنسخ والترك، وإما أنه مذهب يأخذونه من طريق الجهلة والعوام، أو الغلاة والزنادقة، أو المخالفين والنواصب، ثم ينسبونه إلى الأئمة، ويلزم من هذا أن هؤلاء جميعا من أسلاف الإمامية؛ علما أنهم لا يحفلون من هؤلاء إلا بأهل الغلو والباطنية.

مصطلح "أسلاف الإمامية" يبرز كعنوان ومعنى عند المعاصرين بشكل ظاهر(١)، وهو إن كان نوعاً من التلون إلا أنه قد يفتح بابا للتبرؤ من عقد المذهب وضرورياته المتناقضة، ولذا قد يتنفس من خلال هذا المصطلح بعض من يظهر التصحيح والتراجع عن مشهورات المذهب التي تراكمت مع الزمن، وقد يعد هذا التنفس والتنفيس نوعا من التصحيح والتحرر، وقبول الاجتهاد والتجديد؛ لكن هذا لا يلزم منه ـــ دائما ـــ الاغترار بهذا الصنيع، فربما كان نوعا من الدعاية للمذهب والترويج له، بكونه يقبل كل ما يضاف إليه من الأهواء، فكان نوعا من التلبيس والتقية ينبغي الحذر منه، وقد اجتهدت في بحثي هذا أن أبرز هذا الجانب وآثاره.

٢- الشعائر الحسينية:

الشعائر جمع مفردها شعيرة، والشعيرة في اللغة من مادة: شعر، وهي مقاربة لمادة عاشوراء، والشعيرة هنا من شعر الرجل: كان ذا شعار، ومنه الشعار، فأصبح القوم ذوو شعار، وهو ما يتنادى به القوم ليعرف بعضهم بعضاً في الحرب، ويتقاربون من خلاله إلى بعضهم، ومنه اللباس الملاصق للجسد يسمى شعاراً، وما علاه فهو دثار، والشعور منه الإحساس والفهم؛ والمشعر هو المنسك، ويطلق على مزدلفة، والمشاعر عموم منازل الحجيج، وشعائر الحج أعلامه التي يعبد الله عندها وبها يطاع شرعه، ومن الشعائر الصفا والمروة والتلبية وحلق الشعر، والهدي الذي يشعر بعلامة تميزه عن غيره تعظيماً، فالإشعار هو طعنه بحديدة حتى يسيل دمه، والمشعرة تطلق على الملوك ووجهاء الناس، فتعظم دياتهم، والشعراء

---

(١) ممن رأيته يكثر من هذا المصطلح عبد الله فياض، ويدل عليه عنوان كتابه: تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة.

الأرض الكثيرة أشجارها[1].

أما الشعائر في الشرع فإنها تطلق على مناسك الحج كما في القرآن، والشعائر جمع شعيرة، وهي بمجموعها تدل على أنها شعار ظاهر على دين أهلها، وشعار تتضح من خلاله حبهم للمخالفة والعزلة.

الإمامية غلت في بدعها، ومنها بدع المشاهد والنياحة والثأر في يوم عاشوراء، فغلوا في هذا الباب فسموها شعائر، وجعلوا أئمتهم شعائر الله، وأضفى التشيع الحسيني أهمية على بدع عاشوراء حتى سميت بالشعائر الحسينية، لأنها أعظم شعائر الله عندهم، ولذا أصبح مشهد الحسين وزيارته أعظم من مناسك الحج التي هي ركن من أركان الإسلام الخمسة، بل خصوا مشاهد الأئمة بمناسك تضاهي مناسك الحج، ومن مظان بروز هذا المصطلح وإطلاقه على بدع عاشوراء هو الخلاف الذي اشتعل آخرا بين الإمامية الاثني عشرية حول التشابيه وحرمتها[2]، وحرمة غيره من التطبير والزناجيل، ومواكب الزحف عند القبور، ونحوها من البدع الشنيعة، والتي لجأ المفتونون بها إلى تقديسها، وإحاطتها بالهالة حتى لا ينكر عليهم في أمرها، فاختاروا نسبتها إلى الحسين، وهو منها ومنهم براء.

من المفردات التي تتعلق بهذا الغلو الحسيني في عاشوراء الغلو بدورهم التي بنوها للنياحة، وسموها بالحسينيات، وكذلك غلوهم بتربة كربلاء الحسينية، وكذلك التلبية الحسينية، وعادة التطبير، والمواكب الحسينية، وقراءة كتب المقاتل والمراثي؛ وبهذا الغلو انصرف التشيع إلى تشيع حسيني بارز، طغى على المذهب بسبب غلوهم في يوم عاشوراء، وإحيائهم لعقائدهم فيها، وأبرزوا فيه تركهم للتقية، وتحايلوا فيه على الانتظار.

٣- الإمامية الحسينية:

الحسينية وصف للمرحلة التي يمر بها المذهب، حيث تطور خلال القرون السابقة،

---

(١) انظر: العين، ١/ ٢٥٠- ٢٥٢، مادة: شعر، وجمهرة اللغة، ٢/ ٧٢٦- ٧٢٧، مادة: شعر، وتهذيب اللغة، ١/ ٢٦٦- ٢٧٠، مادة: شعر، وتاج العروس، ١٢/ ١٧٥- ٢٠١، مادة: شعر.

(٢) من الأحداث التي تصلح تاريخاً لهذه التسمية الصراع الذي ظهر بسبب كتاب (التنزيه لأعمال الشبيه)، لمحسن العاملي، ت/١٣٧١هـ، صاحب كتاب التراجم: أعيان الشيعة، وانظر ص٦٧٧ من البحث.

بسبب تداخله مع مذاهب الباطنية والعرفان، إضافة إلى تأثرها بأصل الخروج عند طوائف الشيعة والمعتزلة، وهذه المرحلة تحتضن غلوا بالحسين على وجه الخصوص حاولت إبرازه وإطلاق مسمى الحسينية عليه، لكثرة بدعهم التي نسبوها للحسين في عاشوراء بسببه، ولظهور تعلقهم بالانتساب إلى الحسين من أجله، ومن أجلى صور هذا الغلو هي الولاية التكوينية والتشريعية للحسين خصوصا، والمبنية عندهم على أصل العدل والتعويض، وهو الأصل التي تستند إليه الإمامة، وخاصة إمامة الأئمة العشرة من مجموع الاثنا عشر إماما؛ وهذه المرحلة من الإمامية وإن كانت تتستر بالإمامية الاثني عشرية فإنه لا يمنع أن تكون صورة ومرحلة جديدة لامتزاج الطوائف الإمامية عموما يظهر فيها جانب التصوف الباطني الغالي، الذي هو نوع من أنواع الزندقة والحلولية، كما سيتضح في أبواب البحث، واجتهدت أن أبرز هذا الجانب عند الحديث عن مراحل الإمامية وأسمائها، ومن خلال بدعها في عاشوراء، وتعلقها بمقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁❁❁❁❁

الفصل الثاني

الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومقتله وموقف السلف منه

وفيه:

المبحث الأول: الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وخروجه وحادثة مقتله.

المبحث الثاني: موقف السلف من عاشوراء الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

المبحث الأول

الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وخروجه وحادثة مقتله

وفيه:

تمهيد

يحسن عند دراسة "عاشوراء عند الإمامية" أن نشير إلى الجانب التاريخي للحادثة وأحداثها، ونتعرف بعدها على مواقف السلف من الصحابة والتابعين من هذه الحادثة المؤلمة، وذلك بقدر ما يخدم تعلق تلك الأحداث بنشأة شعائر عاشوراء وبدعها عند الإمامية، أو ما يفسر مكانتها في المذهب وبين أتباعه، وعلاقتها بالإمامة وبدعها العقدية، فلست بحاجة للتفصيل بكل أحداث القصة، أو إثباتها تاريخيا، مع أهمية ذلك، وأهمية معرفة موقف السلف منها، ولكن سأكتفي في هذا المبحث بدراسة عامة حول ترجمة الحسين، وأخباره ومواقفه، وقبل أن أشير إلى أحداث خروج الحسين ومقتله أذكر مصادر رواية هذه الحادثة، ودرجة اعتمادها عند علماء الجرح والتعديل.

أعرضت صفحا عن تخصيص حديث مستقل عن شخصيات القصة، وهي كثيرة، إذ ليس المقصود حصرها ودراساتها تاريخيا، واكتفيت بعرض بعضها ممن له علاقة بمعرفة موقف سلف الأئمة الصالح في مثل هذا الحدث، كما أن المقام يستدعي التذكير بما له تعلق في معرفة موقف السلف من تلك الأحداث عموما، مع أن الأصل في مثل هذا الباب هو الكف عن الحديث في مثل أخبار السابقين، وهذا لا يعني أنهم يستنقصون الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ واجتهاده وفضائله ومصابه، ولكنهم يتعففون من ذلك خشية كثرة الوقيعة في عموم أهل ذلك القرن، بحق وبغير حق، ممن لا يحسن فهم هذا الباب، فيكون ذلك سعياً في الفتنة من جديد؛ مع أهمية بيان خطر كيد الكذب والتحريف لأخبار تلك الفترة، وكثرة عناية الرافضة الإمامية بها نشرا وتلبيسا، وعلى ذلك قامت سوق شعائرهم المبتدعة، والتي يحكون فيها أحداث هذه القصة، مما يعني حرصهم على عودة الفتنة بين المسلمين؛ لذا حرصت قدر الاستطاعة على عرضها موثقة مرتبة.

❁❁❁❁❁❁

المطلب الأول

ترجمة الحسين رضي الله عنه

الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ترجم له أهل السير والحديث والطبقات والتراجم[1]، فذكروا جوانب كثيرة من سيرته وفضائله[2]، وسأذكر بعضا منها في النقاط التالية:

---

(١) انظر لترجمة الحسين المصادر التالية: تاريخ الطبري، ٥/ ٤٠٠- ٤٦٩، وتاريخ خليفة بن خياط، ص٥٨٥٩، ٢٣١- ٢٣٥، والمعارف، لابن قتيبة، ١/ ٢١٣، وتاريخ بغداد، ١/ ٤٧٣، والكامل في التاريخ، ٣/ ١٥٧، والمنتظم، ٥/ ٣٣٥، وتاريخ دمشق، ١٤/ ١١١- ٢٦٠، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٨٠- ٣٢٠، وتاريخ الإسلام، ٢/ ٦٢٧، والبداية والنهاية، ١١/ ٤٧٣- ٥٩٨، وتاريخ ابن خلدون، ٣/ ٢٧، وشذرات الذهب، ١/ ٢٧٣، ومرآة الجنان، ١/ ١٠٦- ١١٠، والإنباء في تاريخ الخلفاء، ص٥٣- ٥٤، والأخبار الطوال، ص٢٢٩- ٢٦٢، ٢٠، والاستيعاب، ١/ ٣٩٢- ٣٩٩، وأسد الغابة، ٢/ ٢٤- ٢٩، ومعرفة الصحابة، لأبي نعيم، ٢/ ٦٦١- ٦٦٢، وحلية الأولياء، لأبي نعيم،٢/٣٩، وتجارب الأمم وتعاقب الهمم، ٢/٣٨- ٨١،، والذرية الطاهرة، للدولابي، ص٨٤، وسمط النجوم العوالي، ٣/ ١٦٦- ١٩٨، ونسب قريش، ص٥٧، وأنساب الأشراف، للبلاذري، ٣/ ١٤٦، والتنبيه والإشراف، ١/ ٢٦٣، وذخائر العقبى، للمحب الطبري، ص١١٨- ١٥١، ١٦، وسبل الهدى والرشاد، ١١/٥٥- ٦٣، ٧١- ٨١، ١٤، وشرف المصطفى، ٥/ ٢٨٤- ٢٨٧، والمحن، ص١٥٨، والجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، ٢/ ٢١٣، ٢٨٣، والطبقات الكبرى، ابن سعد، ١/ ٣٦٩- ٥١٩، والطبقات الكبرى- متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٣٦٩- ٥١٩، ومجمع الفوائد، للهيثمي، ٩/ ١٦٢-١٨٥، ١٨٦- ٢٠١، ورجال صحيح البخاري، ١/ ١٦٩- ١٧٠، ورجال صحيح مسلم، ١/ ١٣٤ – ١٣٥، والثقات، لابن حبان، ٣/ ٦٨- ٦٩، والثقات، للعجلي، ١/ ٣٠١، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، ٣/٥٥، والتعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، ٢/ ٤٩١، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٦/ ٣٩٥- ٤٤٩، وتهذيب التهذيب، ٢/ ٣٤٥- ٣٥٧، وإمتاع الأسماع، ٥/ ٣٦٣- ٣٦٥، وبغية الطلب في تاريخ حلب، ٦/٢٥٦٢- ٢٦٤٧، والأعلام، للزركلي، ٢/ ٢٤٣- ٢٤٤، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ١/ ٢٩٥- ٣٩٦، وتاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ٢/ ٢٩٧- ٣٠٠، وأسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، الصلابي، ١/ ١١٦- ١٢٠.

ومن كتب الشيعة انظر: ومقاتل الطالبيين، الأصفهاني، ص٨٤، و تاريخ اليعقوبي،١ / ٢٠٦- ٢٠٧، ومروج الذهب، المسعودي،١/ ٣٧١- ٣٧٦، وأعيان الشيعة، محسن الأمين، ١/ ٥٧٧.٦٢٩.

تنبيه: لكثرة ورود المراجع أول مرة تركت التعريف بها، وبطباعاتها، تجنباً لإثقال الحواشي، فيرجع إلى الفهارس.

(٢) للاستزاده حول الأحاديث الواردة في هذا الباب ودرجتها يراجع كتاب بعنوان: الأحاديث الواردة بشأن =

اسمه ونسبه:

هو الإمام الشريف السيد سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا ومحبوبه، الشهيد بكربلاء، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، أبو عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي القرشي الهاشمي المدني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحسين خامس أهل الكساء، وهو ابن بنت الرسول ﷺ فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وجدته خديجة بنت خويلد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاهما ـ، وجده رسول الله ﷺ، وأنعم به عزا وشرفا؛ وروي عن النبي ﷺ أنه أذن في أذنه وحنكه وتفل في فيه، ودعا له، وعق عنه بكبش، وعوذه، وسماه حسينا[1].

مولده وصفته:

ولد في خامس شعبان سنة أربع من الهجرة، ولد بعد أخيه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان مولد الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سنة ثلاث من الهجرة.

كان وجه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشبه وجه رسول الله ﷺ، وكان جسد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشبه جسد الرسول ﷺ؛ وروى محمد بن سيرين وأخته حفصة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت عند ابن زياد فجيء برأس الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول: ما رأيت مثل هذا حسنا، فقلت له: (إنه كان من أشبههم برسول الله ﷺ)[2]، وكان: (أسود الرأس واللحية إلا شعرات في مقدم لحيته... يخضب بالوسمة... يتختم في اليسار)[3]؛ وكان فاضلا دينا، كثير الصيام والصلاة والحج، ويروى أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حج خمسا وعشرين حجة

= السبطين الحسن والحسين، جمعاً وتخريجاً ودراسة وحكماً، لعثمان بن محمد الخميس، وقد أفدت منها في مواضع.

(1) البخاري، ح/ ٣٣٧١، وأبو داود، ح/ ٢٨٤١، والترمذي، ح/ ١٥١٩، وأحمد، ح/ ٧٦٩، ومستدرك الحاكم، ٤/ ٢٣٧، وصحيح ابن حبان، ح/ ٥٣١١، والمعجم الكبير، ح/ ٢٧٧٣، والطبقات الكبرى - متمم الصحابة، طبقة ٥، ١/ ٢٤٠، وانظر: الاستيعاب، ١/ ٣٩٧، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٨٧.

(2) معرفة الصحابة، لأبي نعيم، ٢/ ٦٦٢، والترمذي، ح/ ٣٧٧٩، وبلفظ قريب منه في البخاري، ح/ ٣٥٣٨، وانظر: البداية والنهاية، ١١/ ٤٧٤-٤٧٥، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٨٠-٢٨١.

(3) انظر: تاريخ الإسلام، ٢/ ٦٣٦، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٨١.

ماشيا[١]؛ وكان من سادات المسلمين، وقد كان شجاعا وسخيا[٢].

زوجاته وأولاده:

زوجات الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر منهن خمسة[٣]، وهن كما يلي:

آمنة أو ليلى ـ أو برة ـ بنت أبي عروة بن مسعود الثقفي، أم علي الأكبر الشهيد[٤].

شاه زنان، وهي أميرة فارسية، ابنة يزدجرد الثالث آخر ملوك الفرس، أم علي الأصغر، زين العابدين، واسمها يعني بالعربية: "ملكة النساء"[٥].

الرباب بنت امرئ القيس بن عدي الكلبي، أم سكينة بنت الحسين.

أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، أم فاطمة وعبد الله[٦].

سلافة، امرأة من بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، أم جعفر بن الحسين.

أبناء الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذكر منهم ستة[٧]، وهم من يلي:

علي الأكبر الذي قتل مع أبيه بكربلاء.

علي زين العابدين ويعرف ـ أيضا ـ بالسجاد، وهو علي الأصغر؛ ونسل الحسين كله من قبله.

جعفر، وليس له عقب.

عبد الله، ويسمى (الرضيع)، مات مع أبيه، وليس له عقب.

---

(١) انظر: الاستيعاب،١/ ٣٩٧، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٨٧، والمنتظم، ٥/ ٣٤٩.

(٢) انظر: البداية والنهاية، ١١/ ٥٧٩.

(٣) انظر: المعارف، ١/ ٢١٣، وتاريخ الطبري، ١١/٥٢٠، ونسب قريش، ٥٧- ٥٩، والطبقات الكبرى، ١/ ٣٧٠، والبداية والنهاية، ١١/ ٥٤٥، ٥٩٥، ٦١٣، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٠٣.

(٤) في مقاتل الطالبيين، ص٨٦ (ليلى)، وتاريخ الطبري، ١١/ ٥٢٠، ونسب قريش، ص٥٧ (آمنة).

(٥) انظر: تاريخ الطبري، ١١/ ٥٢٠: (كانت تدعى سلافة)، والبداية والنهاية، ١٢/ ٤٧٩: (سلامة بنت يزدجرد)، وسيأتي -إن شاء الله- أن سلافة ذكرت اسماً لزوجة غيرها.

(٦) وقيل إن عبد الله أمه الرباب الكلبية، انظر: المعجم الكبير، ٣/ ١٠٣.

(٧) انظر: تاريخ الطبري، ١١/ ٥٢٠، والمعجم الكبير، ٣/ ١٠٣، ونسب قريش، ٥٧- ٥٩، والبداية والنهاية، ١٢/ ٤٨١، وسير أعلام النبلاء، ٤/ ٣٨٧،٣٩٠.

أبو بكر، وأمه أم ولد، وقتل مع أبيه.

محمد[1].

بنات الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر منهن أربعاً[2]، وهن كما يلي: سكينة؛ وفاطمة؛ وزينب؛ رقية.

صحبته:

أدرك الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حياة النبي ﷺ ست سنين وسبعة أشهر، وتحمل أحاديث يسيرة رواها عن رسول الله ﷺ، وتوفي وهو عنه راض، ولكنه كان صغيرا[3].

فضائله ومناقبه:

الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له مناقب وفضائل كثيرة جدا، ومما ورد في ذلك ما يلي:

روى عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قول رسول الله ﷺ: **«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»**، وفي لفظ زاد: **«وأبوهما خير منهما»**[4].

عن يعلى بن مرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من**

---

(١) انظر: المعجم الكبير، ٣/ ١٠٣، وجاء في ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، ص١٥١، أن ولد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ة أبناء، وثلاث بنات، فزاد:علي الأصغر، ومحمد، ولم يذكر رقية.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ١١/ ٥٢٠، ونسب قريش، ٥٧- ٥٩، ولباب الأنساب والألقاب والأعقاب، ص٢٣.

(٣) انظر: البداية والنهاية، ١١/ ٤٧٦، والسماع بعد الخامسة استقر عليه الحدثون، انظر: فتح المغيث، ٢/ ١٤٥.

(٤) ورد عن: أبي سعيد الخدري، وحذيفة ابن اليمان، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، والبراء بن عازب، وأبي هريرة، وجابر بن عبد الله، وبريدة، وقرة بن إياس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، انظر: أحمد، ح/ ١٠٩٩٩، ١١٥٩٤، ١١٦١٨، ١١٧٧٧، ٢٣٣٢٩، ٢٣٣٣٠، والنسائي في الكبرى، ح/ ٨٢٩٢، والترمذي، ح/ ٣٧٦٨، وابن ماجه، ح/ ١١٨، وأحاديث هذا الباب مسرودة في عدد من تراجم الحسنين وكتب الطبقات والمعاجم والتواريخ بأسانيد، مع كثرتها وشهرتها، وعنها انظر: البداية والنهاية، ١١/ ١٨٨، ٥٨٦- ٥٨٧، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٥١-٢٥٢، ٢٥٥، والسلسلة الصحيحة، ٢/ ٤٢٣، والأحاديث الواردة بشأن السبطين الحسن والحسين، ص١٨٢- ٢١٦، وبين أن الحديث رواه ستة عشر صحابياً، وصححه الإمام أحمد وغيره، وذكر أن طرق الحديث وإن كان فيها ضعف فيقوي بعضها بعضاً.

أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»[1]، ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن، وزاد الطبراني: «**الحسن والحسين سبطان من الأسباط»**[2].

عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يلعبان بين يديه، وفي حجره، فقلت: يا رسول الله أتحبهما؟ قال: «**وكيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا أشمهما»**، ومثله عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين: «**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، هكذا كان إبراهيم يعوذ ابنيه إسماعيل وإسحاق»**[4].

عن أم سلمة، وواثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ جلل حسنا وحسينا وفاطمة بكساء، ثم قال: «**اللّهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللّهم أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا»**[5].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»**، يعني: حسنا وحسينا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[6].

عن بريدة، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فحملهما فوضعهما

---

(١) أحمد، ح/ ١٧٥٦١، والترمذي، ح/ ٣٣٧٥، وقال حديث حسن، وابن ماجه، ح/ ١٤٤، وحسنه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، ٣/ ٢٢٩، برقم: ١٢٢٧.

(٢) المعجم الكبير، ٣/ ٣٢- ٣٣، ح/ ٢٥٨٦، ٢٥٨٩، والحاكم، ٣/١٧٧، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) المعجم الكبير، ٣/ ١٢٧، ح/ ٢٨٨٤، ٤/ ١٥٥، ح/ ١٩٩٠، وحديث ابن عمر في البخاري، ح/ ٣٥٤٣، ٥٦٤٨.

(٤) البخاري، ح/ ٣٣٧١.

(٥) فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل، ٢/ ٦٧٢، ح/١١٤٩، والشريعة، للآجري، ٥/ ٢٢١٢، ح/ ١٦٩٨، ومسند أبي يعلى، ١٢/٤٥١، ح/ ٧٠٢١، وقال محققه: رجاله رجال الصحيح، وأسد الغابة، ٤/ ١٠٤.

(٦) أحمد، ح/ ٧٣٩٨، ٧٨٧٦، ٩٧٥٩، ١٠٨٧٢، ٩٦٧٣، والنسائي في "الكبرى، ح/ ٨١٦٨، وابن ماجه، ح/ ١٤٣.

بين يديه ثم قال: «**صدق الله** ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾(١)، **نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتها**»(٢).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء فإذا سجد وثب الحسين والحسن على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما أخذا رفيقا فيضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا، حتى قضى صلاته أقعدهما على فخذيه قال: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله أردهما إلى أمهما؟ قال: فبرقت برقة فقال لهما: **«الحقا بأمكما»** قال: فمكث ضوؤها حتى دخلا على أمهما(٣).

ثبت: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يكرمهما ويحملهما، ويعطيهما كما يعطي أباهما، وجيء مرة بحلل من اليمن فقسمها بين أبناء الصحابة ولم يعطهما منها شيئا، وقال: ليس فيها شيء يصلح لهما، ثم بعث إلى نائب اليمن فاستعمل لهما حلتين تناسبهما(٤).

عن العيزار بن حريث، قال: بينا عمرو بن العاص في ظل الكعبة، إذ رأى الحسين، فقال: هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم(٥).

أحاديثه التي رواها:

روى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عددا من الأحاديث(٦) عن: جده رسول الله ﷺ، وأبيه علي

---

(١) التغابن: ١٥.

(٢) أحمد، ح/ ٢٢٩٩٥، وابن أبي شيبة ٣٦٨/٨، ١٢/٩٩-١٠٠، وأبو داود، ح/ ١١٠٩، وابن ماجه، ح/٣٦٠٠، والترمذي، ٣٧٧٤، والنسائي، ١٠٨/٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد.

(٣) أحمد، ح/ ١٠٦٥٩، ١٠٦٦٠.

(٤) الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٣٩٣، برقم: ٣٦٢، و تاريخ دمشق، ١٤/ ١٧٧، والإصابة، ١/ ١٠٦، والبداية والنهاية، ١١/ ٥٨٩.

(٥) الطبقات الكبرى، ١/ ٣٩٥، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٨٥.

(٦) أدرك الحسين من حياة النبي ست سنين، وسبعة أشهر ، مما يعني أنه تلقى أحاديث الرسول من كبار الصحابة كأبيه، وهذا يعد في اصطلاح المحدثين إرسالاً، لكن لم أقف على من قدح في مرويات الحسين من هذا الوجه، انظر: المراسيل، ابن أبي حاتم، ت/ ٣٢٧هـ، ت. قوجاني، ط١، ١٣٩٧هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت، والغريب أن المؤلف (ابن أبي حاتم) ذكر أن الحسين ليس له صحبة، ولكنه أثبتها في: الجرح والتعديل، وفي كلا الكتابين يروي ابن أبي حاتم المسألة عن أبيه، انظر: الجرح والتعديل، ٣/ ٥٥، ابن أبي حاتم، ت/ ٣٢٧هـ، ط١، ١٣٧١هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، والبداية والنهاية، ١٦١/٨.

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وخاله هند بن أبي هالة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وقال المزي: (روى له الجماعة)(١).

ممن يروي عن الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أخوه الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وزيد بن الحسن، وعروة بن الزبير، وسعيد بن خالد، وسنان بن أبي سنان، وطلحة العقيلي، والشعبي، وعبد الله بن عمرو بن عثمان، وعكرمة، وابنه زين العابدين، وابنتا الحسين سكينة وفاطمة، والعيزار بن حريث، وكرز التيمي، والفرزدق(٢)، وقد قال ابن أبي شيبة: (أصح الأسانيد الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ)(٣).

ومن أحاديثه التي رواها ما يلي:

روى البخاري بإسناده عن محمد بن شهاب الزهري، عن علي بن حسين، أن الحسين بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حدثه عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة، فقال: **«ألا تصلون؟»** فقلت: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك، ثم سمعته وهو مدبر، يضرب فخذه، ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾(٤)(٥).

عن عبد الله بن علي بن حسين، عن أبيه علي بن حسين، عن أبيه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: **«البخيل من ذكرت عنده، ثم لم يصل علي»**(٦).

عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قتل دون ماله فهو شهيد»**(٧).

---

(١) تهذيب الكمال، ٦/ ٤٤٩.

(٢) انظر: تهذيب الكمال، ٦/ ٣٩٧.

(٣) انظر: إسعاف المبطأ برجال الموطأ، ص٢١، جلال الدين السيوطي، ت/ ٩١١هـ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

(٤) الكهف: ٥٤.

(٥) البخاري، ح/ ١٠٧٥، مسلم، ح/ ٧٧٥.

(٦) أحمد، ح/ ١٧٣٦، ومسند ابن أبي شيبة، ح/ ٧٩١، والترمذي، ح/ ٣٥٤٦، والنسائي في الكبرى، ح/٨١٠٠، والحاكم ١/ ٥٤٩، قال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٧) أحمد، ح/ ٥٩٠، وصحح إسناده الأرناؤوط، وهو مروي عن غير الحسين من الصحابة، انظر: ح/٦٩٢٢، =

عن علي بن حسين، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**(١).

عن فاطمة بنت حسين، عن أبيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«للسائل حق وإن جاء على فرس»**(٢).

أخباره في زمن الخلفاء الراشدين:

من أخبار الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في زمن الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما يلي:

كان أبو بكر الصديق يكرم الحسين ويعظمه، وكذلك عمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ(٣).

عن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: (صعدت المنبر إلى عمر، فقلت: انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك.فقال: إن أبي لم يكن له منبر! فأقعدني معه، فلما نزل، قال: أي بني! من علمك هذا؟ قلت: ما علمنيه أحد، قال: أي بني! وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلا الله ثم أنتم!، ووضع يده على رأسه، وقال: أي بني!، لو جعلت تأتينا وتغشانا)(٤).

أورد ابن سعد بإسناده: (أن عمر جعل للحسين مثل عطاء علي، خمسة آلاف)(٥).

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن يجل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويحبه، وقد اعتمر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رجب، وخرج معه عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فمرض الحسين

=

٦٩٢٣، وهو في الصحيحين، انظر: مسلم، ح/ ١٤١.

(١) أحمد، ح/ ١٧٣٧، وعنه المعجم الكبير، ح/ ٢٨٨٦، والمعجم الصغير، ح/ ١٠٨٠.

(٢) أحمد، ح/ ١٧٣٠، ومصنف ابن أبي شيبة، ح/ ٧٨٩، وأبو داود، ١٦٦٥، ١٦٦٦، وضعفه الأرناؤوط.

(٣) انظر: البداية والنهاية، ٨/ ١٦١.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٣٠٠، ٣٩٤، برقمين: ٣٦٣، ٢٥٦،، وفي الثاني القصة بين أبي بكر والحسن، وقال المحقق: (إسناده مرسل... لم أقف على من خرجه غير المصنف)، وانظر: تاريخ بغداد، ١/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٨٥، وقال: إسناده صحيح، والإصابة، ٢/ ٧٧. ٧٨، وصححه ابن حجر.

(٥) انظر: الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٢٨٤، ٣٩٢، برقم: ٢٣٥، ٣٦٠، وفي الإسناد انقطاع، وعنه: سير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٨٥، و تاريخ الإسلام، ٥/ ١٠٠، وابن كثير، في البداية والنهاية، ٨/ ٢٠٧، قبله وأثبته لشهرته، وبإسناد آخر رواه ابن عساكر، انظر: تاريخ دمشق، ١٧٦/١٤.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأقام عبد الله بن جعفر عليه بالسقيا، وبعث إلى علي يخبره، بذلك فخرج علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفر من بني هاشم إلى السقيا، فلما دخلها دعا ببدنة فنحرها، وحلق رأسه وأقام يمرض الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعزم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يمضي لمكة، فمضى عثمان لمكة، ولما فرغ عثمان مر بالحسين يعوده، ثم لما شفي الحسين من مرضه مضى علي مع الحسين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ إلى مكة، وأتيا بعمرة[1].

الحسين ممن شارك في الدفاع عن عثمان بن عفان، ووقفوا لحراسته، حين استفحلت الفتنة[2]، مع جمع من أبناء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[3].

قال ابن كثير: (صحب أباه وروى عنه، وكان معه في مغازيه كلها، في الجمل وصفين، وكان معظما موقرا، ولم يزل في طاعة أبيه حتى قتل)[4]، وقال أبو عبيدة ابن المثنى: (كان على الميسرة يوم الجمل الحسين)[5].

أخباره في زمن أخيه الحسن رضي الله عنهما:

من أخبار الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في زمن خلافة أخيه الحسن بن علي ما يلي:

لما آلت الخلافة إلى أخيه وأراد أن يصالح شق ذلك عليه، ولم يسدد رأيه، بل حثه على القتال، فقال له أخوه: والله لقد هممت أن أسجنك في بيت، وأطبق عليك بابه، حتى أفرغ من هذا الشأن، ثم أخرجك، فلما رأى الحسين ذلك سكت وكظم وسلم.

لما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن، فيكرمهما معاوية

---

(١) باختصار وتصرف عن: الثقات، لابن حبان، ٢/ ٢٤٦- ٢٤٧.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، ١/ ٢٠٩، وقال الذهبي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- حول موقف علي من ابنيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (وبلغ عليا وطلحة والزبير الخبر، فخرجوا وقد ذهبت عقولهم، ودخلوا فرأوه مذبوحًا، وقال علي: كيف قتل وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن، وضرب صدر الحسين، وشتم ابن الزبير، وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله).

(٣) البداية والنهاية، ٧/ ١٩٨، وانظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص١٧٤، وعنه: ابن عساكر، في تاريخ دمشق، ٣٩٦.

(٤) البداية والنهاية، ١١/ ٤٧٦.

(٥) سير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٨٨.

إكراما زائدا، ويقول لهما: مرحبا وأهلا، وكانا يقبلان جوائز معاوية[١].

بعد وفاة الحسن جهزه الحسين[٢]، وكان الحسن أوصى أخاه بأن يدفن بجانب جده النبي، بشرط ألا يحدث في جنازته فتنة ودماء، ولما وضعت جنازته للصلاة، لم يتقدم الحسين، فعن أبي حازم: (إني لشاهد يوم مات الحسن، فرأيت الحسين يقول لسعيد بن العاص، ويطعن في عنقه: تقدم، فلولا أنها سنة ما قدمت)[٣].

أخباره في زمن بني أمية:

من أخبار الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في زمن بني أمية ما يلي:

قال ابن عساكر: (وفد الحسين على معاوية، وغزا القسطنطينية مع يزيد)[٤]، وكان غزوها سنة ٥١هـ، وقيل سنة ٥٢هـ، وثبت أن غزاتها **«مغفور لهم»**[٥].

استقر الحسن والحسين ابني علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالمدينة، وكان يصليان الجمع والجماعة وراء أمراء بني أمية بالمدينة، ومنهم مروان بن الحكم، ولم يكونا يتخلفان عنها، أو يعيدانها[٦]، بل في الصلاة على الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمير المدينة[٧].

بعد وفاة الحسن رأى معاوية أن يوصي لابنه من بعده، فعهد إليه، وأخذ بيعة الناس على

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ١١/ ٤٧٦، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٦٦، ٢٩٢.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ١١/ ٥١٤- ٥١٥، والبداية والنهاية، ٨/١٦١، ١٢٧،

(٣) تهذيب التهذيب، ٢/ ٣٠١.

(٤) انظر: تاريخ الإسلام، ٢/ ٦٣٦، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٩٢، البداية والنهاية، ٨/ ١٦١- ١٦٢، وفي موضع سابق لهذا الموضع ذكر ابن كثير أن يزيد حج بالناس سنة ٥١هـ، وفيها أو في التي بعده أغراه أبوه إلى الروم، أي القسطنطينية، انظر: ٨/ ١٢٧، وفي ٨/ ٣٦، ذكر أن غزو القسطينية وقع سنة ٤٩هـ، وانظر العواصم والقواصم، ٨/ ٢٠٧.

(٥) ثبت أن رسول الله ﷺ قَالَ: «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم» فكان هذا الجيشُ أول من غزاها، وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجَهْد)، البخاري، ح/ ٢٧٦٦، وانظر: فتح الباري، ٦/ ١٠٢- ١٠٣، وذكر أن الغزوة وقعت سنة ٥٢هـ، وعمدة القاري، ١٤/ ١٩٨.

(٦) انظر: مسند الإمام الشافعي، ص٥٥- ٥٦، وعنه: البداية والنهاية، ٨/ ٢٨٣.

(٧) انظر: منهاج السنة، ٤/ ٢٨١.

ذلك، إلا من امتنع، وقيل إن ذلك كان عام ٥٦هـ[١].

لما فعل معاوية ما فعل بعد وفاة الحسن من العهد بالخلافة إلى ولده يزيد، تألم الحسين، وامتنع هو وابن أبي بكر وابن الزبير من المبايعة[٢]، حتى حج معاوية، وقيل: إن معاوية أشهر بيعتهم بحيلة، وقيل أكرههم، وقيل حضروا خطبته ولم يظهروا خلافا، لأنه سمع منهم على حدة، واشتهرت البيعة في الآفاق، وقدم لأجلها الوفود على معاوية، وكانوا ممن لم يفدوا عليه، بل لقيهم في حجه بمكة أو المدينة، ولم يحدث لهم أمرا[٣]، وظن الناس بأنهم رضوا، أو غلبوا، وممن امتنع عن هذه المبايعة ابن عمر وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٤]، وأما عبد الرحمن ابن أبي بكر فقد توفي قبل وفاة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٥]، وقيل كان من أشدهم في هذا الأمر، وقد روى البخاري خبر امتناعه، وقصته مع مروان بن الحكم في خطبته، حين كان أميرا لمعاوية على المدينة[٦]، وأظهر حجة لهم في معارضتهم أن هذه البيعة لم تكن على هدي النبي ﷺ، ولا على سيرة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولا شورى برضا.

لما مات معاوية، تسلم الخلافة يزيد، وبايعه أكثر الناس، ومنهم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يبايع له ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنفا من ذلك، وسارا في الليل من المدينة إلى مكة[٧].

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ٨/ ٨٦.

(٢) أبو بكر بن الخلال روى أنه: (لم يبايع ابن الزبير ولا حسين ولا ابن عمر ليزيد بن معاوية في حياة معاوية، فتركهم معاوية)، وهؤلاء ممن دافع عن عثمان يوم الدار، انظر: السنة، للخلال، ٣/ ٥٢٠، برقم: ٨٤٤، وتاريخ الإسلام، ٣/ ٤٥٢.

(٣) انظر: الكامل، ٣/ ١٠١، وتاريخ الإسلام، ٤/ ١٥٠، والبداية والنهاية، ٨/ ٨٦.

(٤) انظر: البداية والنهاية، ٨/ ١٦٢.

(٥) انظر: البداية والنهاية، ٨/ ٩٦، ١٦١،١٢٣، وتاريخ الإسلام، ٤/ ١٥٣، ٤/ ٢٦٦، وتهذيب التهذيب، ٦/ ١٧٤، وذكر أنه توفي بمكة سنة ٥٣هـ، وقيل بعدها، وقيل سنة ٥٨هـ.

(٦) البخاري، ح/ ٤٥٥٠، وانظر: فتح الباري، ١/ ٣١٦، ٨/ ٥٦٧، والكامل، ٣/ ١٠٠، وتاريخ الإسلام، ٤/ ١٤٨، و قصة مروان حين طلب عبد الرحمن لأجل بيعة يزيد، فدخل بيت عائشة، ومما جاء في غير البخاري عن ما جرى بينهما أن مروان قال تسويغاً لاستنابتة معاوية يزيداً أنها سنة أبي بكر وعمر، فخالفه عبد الرحمن، وقال: بل سنة هرقل، أو هرقلية.

(٧) انظر: البداية والنهاية، ٨/ ١٦٢.

مقتله وقبره:

الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مات مقتولا مظلوما، قتله عبيدالله بن زياد أمير الكوفة والبصرة، بجيشه الذي جهزه من أهل الكوفة، بقيادة عمر بن سعد، وقتل معه في نفس اليوم جمع من أصحابه وأهله، وقتل بكربلاء من أرض العراق، بموضع اسمه الطف[(١)].

اختلف في تحديد موضع قبره، لقربه من مواضع قبور من قتل معه من آله وأصحابه، وذلك مظنة لقبور من قتل من مقاتليهم من جيش الكوفة، وأنكر معرفته بعض المتقدمين، منهم أبو نعيم الفضل بن دكين[(٢)]، فقد قال أحمد بن سعيد الجمال: (سألت أبا نعيم عن زيارة قبر الحسين فكأنه أنكر أن يعلم أين قبره)[(٣)]، كما ذكر ثقات المؤرخين كابن جرير الطبري وغيره أن موضع قتل الحسين بن علي بكربلاء قد عفى أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه بخبر[(٤)]؛ وسيأتي أن هذا الموضع أصبح مشهدا واتخذ مسجدا ومزارا، ولحقه من أمور الغلو والشرك بالقبور كثير من البدع، والتي أحدثت في القرن الرابع وما بعده، ومنها ما يعرف بالتربة الحسينية، والتي تؤخذ من موضع القبر بزعمهم، والذي يعرف بالحائر الحسيني[(٥)].

أما عن تاريخ مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكان مقتله يوم عاشوراء، من سنة ٦١هـ، وقيل عام ٦٠هـ، وقيل عام ٦٢هـ، ووافق ذلك يوم الأربعاء، وقيل: يوم الجمعة، وقيل السبت، وقيل

---

(١) نسبة إلى أرض المقتل قرب الكوفة، والطف: (بالفتح، والفاء مشددة، وهو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، قال الأصمعي: وإنما سمي طفا لأنه دان من الريف، من قولهم: خذ ما طف لك واستطف، أي ما دنا وأمكن، وقال أبو سعيد: سمي الطف، لأنه مشرف على العراق، من أطف أي الشئ، بمعنى أطل، والطف: طف الفرات، أي الشاطئ، والطف: أرض من ضاحية الكوفة)، معجم البلدان، الحموي، ت/ ٦٢٦هـ، ٤/ ٣٥-٣٦، ط٢، ١٩٩٥م، دار صادر - بيروت.

(٢) انظر: تهذيب التهذيب، ٨/ ٢٧٠- ٢٧٦، وهو من كبار شيوخ المحدثين الأثبات، شيخ أحمد وابن معين.

(٣) تاريخ بغداد، ١/ ٤٧٥، وروى الخطيب بإسناده، وعنه: تاريخ دمشق، ١٤/ ٢٤٥، وانظر: تهذيب الكمال، ٦/ ٤٤٤، وفي موضع القبر خلاف، وقد روى المزي عن مُحَمَّد بن زكريا الغلابي، ما يوحي بمعرفة الموضع بعد محاولة إعمائه، والظن أن الشيعة قريبة من الموضع، فلولعهم به جزموا بما عينوه له، أو أنه من أضرحة الرؤيا، والله أعلم.

(٤) انظر: البداية والنهاية، ٨ / ٢٢١.

(٥) ينظر حول التربة الحسينية ص٦٣٨، وحول الحائر الحسيني ص٦٠٣ من البحث.

الاثنين، وقال الخطيب البغدادي حول الوهم في تاريخ موته ومقتله: (فأجمع أكثر أهل التاريخ أنه قتل في المحرم سنة إحدى وستين إلا هشام ابن الكلبي ــ الشيعي ــ، فإنه قال: سنة اثنتين وستين، وهو وهم أيضا)(١)، وأيده ابن عساكر(٢)، وكذلك الذهبي بقوله: (قول الجماعة)(٣)، وكذلك ابن كثير، فوصفه بما يشبه: قول الجماعة، فقال: (على المشهور الذي صححه الواقدي وغير واحد، وزعم بعضهم أنه قتل في صفر منها والأول أصح)(٤).

الخلاف السابق يشير إلى جانبين: أحدهما عام المقتل، وهو شبه مجمع عليه بين أهل السير والتاريخ، وأنه مبتدأ عام ٦١هـ؛ وثانيهما: فهو شهر المقتل ويومه، فأما شهره فهو محرم، والاتفاق على ذلك قريب من الاتفاق على عام المقتل، أما يوم المقتل، وترتيبه من أيام الشهر، وموقعه من أيام الأسبوع، فمن حيث أيام الأسبوع فالقطع بأيها يصعب، وأما من حيث ترتيبه بين أيام الشهر وعدده فهو اليوم العاشر من محرم، على المشهور.

مع شهرة هذا التأريخ للمقتل فإنه لا يلزم الجزم بصحته، وإذا كان بعض من ثقات المؤرخين والمحدثين والأئمة جزموا بأن موضع القبر لا يعرف، كما سبق، فأرى أن تحديد اليوم وترتيبه من أيام الشهر كذلك، لا يجزم به، وإن كان تصدى البعض لبيان خفاء القبر لما يتعلق به من الغلو بالقبور والمواضع، الذي وقع في القرن الثالث، أو بعده، ولم يكن واردا بالنسبة للتاريخ، إضافة إلى الخلاف حوله يرجع إلى نوع من البدع، لا تصل إلى القبور والغلو بها، كما أن أصل رواية التأريخ والتحديد لم يثبت من طريق مشهور(٥)، لمناسبتها هناك، أهمها أن الموافقة من المؤرخين ونحوهم على وقوع المقتل وتأريخه في نفس اليوم لم يعنوا من ورائه قصد الموافقة الجازمة، بل كان ذلك منهم حملا لروايات الأخباريين على الصدق ما لم يرد لها

---

(١) تاريخ بغداد، ١/ ٤٧٤، وانظر: التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، القرطبي، ٢/ ٤٩١، والثقات، لابن حبان، ٢/ ٢٤٦- ٢٤٧، والبداية والنهاية، ٨/ ١٤٩.

(٢) انظر: تاريخ دمشق، ١٤/ ٢٤٩.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣١٨، وذكر الذهبي القول الرابع، وهو يوم الاثنين، وهو أغربها. أما ابن عبد البر في الاستيعاب، فقال: قتل يوم الأحد.

(٤) البداية والنهاية، ٨/ ١٨٥، وانظر: تاريخ الطبري، ٥/ ٣٩٤، ٤٢١، وتاريخ بغداد، ١/ ٤٧٤.

(٥) ثمت عدة أمور يستند عليها في التوقف، أوردتها في نهاية البحث.

معارض، وإذا جاز المعارض فلم يجزموا ببطلانه لمجرد رواية الأخباريين؛ وفي المطلب التالي حديث عن مصادر الحادثة ورواتها من الأخباريين، وما قيل حولهم.

أما عمر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين مقتله فكان ستا وخمسين سنة وخمسة أشهر[1]، وقيل غير ذلك، ووصف قتله بالشهادة، ووصف هو بالشهيد السعيد، فقتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مظلوما، كما قتل قبله عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مظلوما شهيدا سعيدا، كما في حديث حراء، حين قال له النبي ﷺ: **«اهدأ فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد»**، وفي لفظين آخرين: «اسكن»، أو «اثبت»[2]، وفي رواية جبل أحد **«اثبت أحد»** الحديث[3]، وكما في حديث: **«من قتل دون ماله فهو شهيد»**[4]، أو حديث: **«من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد»**[5]؛ فالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقاس ببعض الفضلاء من الصحابة الذي قتلوا في الفتن والبغي ظلما، وسبقت لهم الشهادة بالجنة، من العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وطلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[6]، أو من غيرهم، كالنعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ممن قتل بعد موت يزيد، في الاقتتال الذي جرى بعده في بلاد الشام، فحين ولدته أمه عمرة بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، وجاءت به إلى الرسول ﷺ، فدعا بتمرة فمضغها، ثم ألقاها في فيه، فحنكه بها، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يكثر ماله وولده، فقال: **«أما ترضين أن يعيش كما عاش خاله حميدا، وقتل شهيدا، ودخل الجنة»**[7].

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٧٥.

(٢) مسلم، ٢٤١٧، والترمذي، ح/ ٣٦٩٦، وأحمد، ح/ ٤٢٠، ٩٤٣٠، وفضائل الصحابة، لأحمد، ح/ ٧٥١، ٨٠٥، ٨٤٩.

(٣) البخاري، ح/ ٣٤٨٣، والسنة، لابن أبي عاصم، ح/ ١٤٤٣، ١٤٤٤.

(٤) مسلم، ح/ ١٢٦.

(٥) أحمد في مسنده، ح/ ١٦٥٢، ١٦٥٣.

(٦) المعجم الكبير، ح/ ٢١٥، والشريعة، للآجري، ٥/ ٢٢٢١.

(٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤/ ١٨٨٧، وذكره ابن عبد البر في ترجمة عمرة بنت رواحة أم النعمان معلقاً بدون إسناد، وذكره بإسناده ابن عساكر، تاريخ دمشق،٦٢/ ١٢٠، وكذلك ذكره ابن كثير، البداية والنهاية، =

ووصف السيادة إذ ثبت للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك البشرى بالجنة فإنهما يغنيان عن كل وصف، هذا فوق حق المودة والقرابة، فالحسين وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأرضاهما.

=

٨/ ٢٦٨، ولم يذكر من أخرجه، ولكنه بلفظ: "أما ترضين أن يعيش حميداً، ويقتل شهيداً، ويدخل الجنة"، ومثله الحلبي السيرة الحلبية، ١/ ٦٦، وبعد اللفظين اختلاف قد يضعف الاستدلال، والنعمان ممن ولي لمعاوية ويزيد، وله خبر مع أهل الكوفة حين بايعوا الحسين، وبعد البحث عن صحة الحديث لم أقف على من تكلم على هذا الحديث، والدعاء بكثرة المال والولد مشهور لأنس بن مالك الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المطلب الثاني

رواة مقتل الحسين رضي الله عنه

شغلت حادثة مقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عددا من المؤرخين، وإن كان ولع الشيعة بها أكثر، لاعتماد مذهبهم على مثل هذه الأحداث، ولكونه وسيلة ومنبرا لترويج دعوتهم، وكونه سوقا تروج فيه الأكاذيب بينهم، هذا إضافة إلى اعتياد الناس تعلقهم بما يخالف سياسة زعمائهم، مع عدم قدرتهم على التحقق منه في حينه، ولعجزهم عن ذلك فهم يستحسنون التسامر فيها، حتى يصل الحال إلى انتشاره واستفاضته، ولم يكن لأهل السنة عناية في رصد هذه الفترة إلا في زمن متأخر، لأن منهجهم الكف عن الخوض في الفتن، ولكن لما كثر التدوين واحتاج الناس إلى تحقيق ما ينسب إلى الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ اجتهدوا أول أمرهم في تدوين ما عثروا عليه، وجعلوا عهدته على مصدره وإسناده، كما فعل ابن جرير ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ـ، وقد كان للعلماء من قبل ومن بعد جهود في الحكم على الرواة وبعض الأخبار[1]، وإن كانوا في هذا الباب أسهل منهم في أبواب العقائد والأحكام ونحوهما، مع تشديدهم في الأمر وتنبههم لخطره، لما صاحبه تنقص لأصحاب رسول الله ﷺ.

يقول ابن كثير ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ـ في تصوير الموقف السابق: (وللشيعة والرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة، وفيما ذكرنا كفاية، وفى بعض ما أوردناه نظر، ولولا أن ابن جرير وغيره من الحفاظ والأئمة ذكروه ما سقته، وأكثره من رواية أبى مخنف لوط بن يحيى، وقد كان شيعيا، وهو ضعيف الحديث عند الأئمة، ولكنه أخباري حافظ، عنده من هذه الأشياء ما ليس عند غيره، ولهذا يترامى عليه كثير من المصنفين في هذا الشأن ممن بعده، والله أعلم)[2].

يقول ابن كثير ــ أيضا ــ: (وقد ذكر الطبراني ههنا آثارا غريبة جدا، ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا فاحشا، من كون الشمس كسفت يومئذ حتى

---

(١) هذا مما يؤكد أهمية العناية بمثل هذا الجانب –حتى المعاصر منه–، فالقصور فيه قد لا يتبين إلا بعد حين.

(٢) البداية والنهاية، ٨/ ٢٠٢.

بدت النجوم وما رفع يومئذ حجر إلا وجد تحته دم، وأن أرجاء السماء احمرت، وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم، وصارت السماء كأنها علقة، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضا، وأمطرت السماء دما أحمر، وأن الحمرة لم تكن في السماء قبل يومئذ، ونحو ذلك....إلى غير ذلك من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة التي لا يصح منها شيء)[(١)].

هذ الحال المذكورة هي فيما يرويه أشهر أخباري الشيعة، فكيف إذن بمن دونه؟ ولهذا اضطرب كلام الشيعة أنفسهم ــ حتى المعاصرين منهم ــ في الاعتماد على هذه المرويات، ومما يزيد أهمية العناية بهذا الجانب اختلاط الرواة من الشيعة الغلاة بغيرهم، ولا بد أن يكون لغلوهم تأثير على مروياتهم، فما يظن أنه عمدة أحيانا للشيعة الإمامية الاثني عشرية يظهر أنه من الغلاة، كالسبئية القائلين بالرجعة، أو الكيسانية، أو من الزيدية، أو من غيرهم، ويحسن هنا ذكر ما استنتجه الدكتور عبد العزيز محمد نور ولي في بحثه، حيث يقول: (رغم كثرة الروايات التاريخية الشيعية في المصادر التاريخية المعتمدة عند أهل السنة إلا أن تلك الروايات كانت أهون بكثير من الروايات التي تناقلتها المصادر الشيعية البحتة)، ويقول ـ أيضا ـ: (نجد في بعض الروايات الشيعية التاريخية بعض الأمور التي وافقت الروايات الصحيحة، ولكن مثلهم مثل الكهان، الذين يأخذون من مسترقي السمع من الشياطين الخبر الصادق، ويخلطون معه مائة كذبة)[(٢)].

تعتبر هذه الحادثة وتوابعها من أهم مواردهم بعد أحداث مقتل عثمان والفتنة بين علي ومعاوية ـــ رضي الله عن الجميع ـــ، وليس المجال في هذا البحث لاستقصاء الطرق والروايات، وإنما أكتفي بالإشارة إلى مصادر الروايات، وإلى طائفة من كتب المقاتل، التي أصبحت شعارا للرافضة[(٣)]، علما أن طائفة من المحدثين من أصحاب كتب: النوازل والزوائد والمستدركات وأصحاب كتب التراجم والطبقات، والمحققين من المؤرخين، أنهم عند جمعهم وعرضهم لأخبار الحسين وفضائله قد يتعرضون لروايات مقتله مع شيء من النقد

---

(١) البداية والنهاية، ٨/ ٢١٩.

(٢) أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٤١٣ـ ٤١٤، د. عبد العزيز محمد نور ولي، ط١، ١٤١٧هـ، دار الخضيري – المدينة النبوية، وقد نبه الباحث في خاتمة بحثه إلى نتائج مهمة في هذا الجانب.

(٣) عقدت لها مبحثاً مستقلاً في الباب الرابع، كأثر من آثار هذه البدع، انظر ص٨٧٦ من البحث.

المفصل، حيث منها ما يصنف ضمن الأحاديث المرفوعة، وأهم مثال خبر لذلك نعي الرسول ﷺ للحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في عدة روايات؛ وممن له تتبع لمثل هذه الروايات الهيثمي (٧٣٥ ـــ ٨٠٧ هـ)، كما في مجمع الزوائد، حيث تعقب جميع المرويات المتعلقة بالحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[١].

الصنيع الذي عمله الهيثمي في تتبع المرويات وإن كان يسيرا إلا أنها محاولة للعناية بشيء من النقد غير الإجمالي، كنقد عموم رواية راو واحد، وإن كان المتأخرون ـــ كما سبق ـــ قد يفرقون الرواية الطويلة إلى مواضع مختلفة، ولكن هذا الصنيع لم يبرز أو يفرد بشكل مستقل، كهيئة كتب المقاتل التي عرف بها الرواة والأخباريون الشيعة[٢]؛ عدا ما كتبه ابن أبي الدنيا في كتابه "مقتل الحسين"، والذي يعد مفقودا، ولكن نقل عنه ابن الجوزي، وابن تيمية، وابن كثير ـــ رحمهم الله ـــ، ومثله أبو القاسم البغوي (ت/ ٥١٦هـ)، وأشار إليهما شيخ الإسلام ابن تيمية[٣]؛ أو ما كان مستلا من كتابه الأصلي، كاستشهاد الحسين، للطبري، أو ترجمة الحسين، للحافظ المزي[٤]، أو كان تحريرا لجانب من الحادثة، ككتاب "رأس الحسين" لابن

---

(١) انظر: مجمع الفوائد، ومنبع الزوائد، للهيثمي، ٩/ ١٦٢-١٨٥، منها مرويات مشتركة: (باب فضل أهل البيت، ومنهم الحسنان: ١٤٩٥٧- ١٥١٠١ = ١٤٥ فائدة وزائدة)، ٩/ ١٨٥- ٢٠١، مرويات خاصة بالحسين: (باب مناقب الحسين: ١٥١٠٢- ١٥١٨٨ = ٨٨ فائدة وزائدة)، ومجموعها: ٢٢٣ فائدة وزائدة، والهيثمي -كما ذكر- جمع في كتابه: (زوائد مسند الإمامِ أحمد، وأبي يعلى الموصلي، وأبي بكر البزارِ، ومعاجيمِ الطبراني الثلاثة)، مجمع الفوائد، ١/ ٧.

(٢) ومن أوائل من عرف منهم بهذا أصبغ بن نباته المجاشعي، ت/ ١١٠هـ، وجابر بن يزيد الجعفي، ت/ ١٢٨هـ، وسيأتي ذكرهما عند الحديث عن كتب المقاتل في الباب الرابع - بإذن الله-، ص٧٨٦ من البحث.

(٣) انظر: منهاج السنة، ١/ ٣٣١.

(٤) استشهاد الحسين طبع مع رأس الحسين، من إخراج السيد الجميلي، ويأتي، ومثله ترجمة الحسين، للمزي، أخرجها المحمودي، والدكتور بشار عواد معروف في تحقيقه لتهذيب الكمال، عند ترجمة الحسين: أشار إلى أن من أهم تراجم الحسين ترجمة ابن سعد والطبراني وابن عساكر، ويقول الدكتور بشار عواد: (خصه ابن سعد بترجمة رائقة في كتابه "الطبقات الكبرى"، لكنها سقطت من المطبوعة مع ما سقط من هذا الكتاب النفيس، وهو كثير، وترجمته في المجلد الثامن من نسخة السلطان أحمد الثالث، كما ترجم له الطبراني في الجزء الثالث من معجمه الكبير ترجمة رائقة، على أن أكثر التراجم سعة وأهمية هي ترجمته في "تاريخ دمشق"، للحافظ أبي القاسم ابن عساكر، المتوفى سنة ٥٧١هـ، وعليها كان تعويل المزي في كثير من الأخبار التي أوردها عنه، وقد حقق المحمودي هذه الترجمة ونشرها بمجلد خاص، فعنيت بمقابلة ترجمة المزي بما ذكره ابن عساكر، وأحلت على أرقام الأحاديث والأخبار في طبعة المحمودي هذه، وقد أفاد الذهبي من ترجمة المزي، واقتبس =

تيمية[1]؛ فبقي مجال واسع لاستكمال هذه الجهود.

في هذا الجانب أنوه بجهود معاصرة مشكورة للعناية في تنقيح كتب التاريخ، والعناية بفرز وتريب مروياتها، فهناك دراسات علمية أكاديمية معاصرة، تحدثت عن هذه الموضوعات والمرويات، وأفدت منها كثيرا، ومما يعنينا منها: الدراسة التي قام بها الباحث الدكتور محمد بن عبد الهادي الشيباني، بعنوان: (مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية)، وتناول الباحث هذه الحادثة بشكل موسع في الصفحات: (١٧٤ ــ ٣٤٦)، وكالدراسة التي قام بها الباحث الدكتور عبد العزيز محمد نور ولي، بعنوان: (أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري)، وقامت الباحث بفرز روايات أحداث المقتل، ومن نقلها من المؤرخين، وذلك في الصفحات: (٣٧١ ــ ٣٨٢)، وسبق ذلك تصنيفه للرواة والأخباريين والمؤرخين الذين لهم علاقة بمرويات الشيعة، ونبه إلى خلاف العلماء في معتقد كل راو، أو إخباري، أو مؤرخ، وكلامهم في قبول مروياتهم؛ مما يظهر معه ضعف كثير من رواياتهم.

بمثل هذه الجهود والدراسات السابقة قامت دراسات أخرى تختص براو معين من الرواة الشيعة، أو من اتهموا بالتشيع، وذلك كالدراسة التي قام بها الباحث الدكتور يحيى ابن إبراهيم اليحيى، بعنوان: (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري: عصر الخلافة الراشدة ــ دراسة نقدية)؛ أو الدراسة التي قام بها الباحث الدكتور عبد العزيز بن عمر البيتي، بعنوان: (ابن أعثم الكوفي منهجه وموارده في خلافة أبي بكر الصديق)؛ أو الدراسة التي قام بها الباحث الدكتور عبد العزيز بن سليمان السلومي، بعنوان: (مرويات عوانة بن الحكم الكلبي في تاريخ الطبري، مقارنة ونقد)؛ وقد استفدت من هذه الدراسات في عرض مادة هذه المطلب، وفي كتب المقاتل، كما أن ما لم أذكر مرجعه من كتب المقاتل فهو مذكور في كتب

=

منها كثيراً في سير أعلام النبلاء، بل كان جل تعويله عليها)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٦/ ٣٩٦، حاشية: ٣، ولعل ما ذكره الدكتور بشار خرج مطبوعاً، وأخبار الحسين ضمن القسم المتمم لطبقات الصحابة، الطبقة الخامسة، حققه الدكتور محمد بن صامل السلمي، في بحث أكاديمي بجامعة أم القرى.

(١) انظر حول كتب المقاتل ص٨٨٠ من البحث.

الشيعة، كرجال النجاشي، للنجاشي[1]، والفهرست للطوسي، وغيرهما[2]، وككتب المصنفات عند الإمامية، كالذريعة إلى تصانيف الشيعة، للطهراني[3].

سأعرض ـ بإذن الله ـ في بقية هذا المطلب أهم مصادر روايات خروج الحسين ومقتله، والتي تناقلها المؤرخون والأخباريون ومن روى عنهم، وما قيل حولها؛ ليتبين أهمية الحذر في هذا الباب، وألا يركن إلى أفراد هذه الروايات وآحادها والمنكر والشاذ منها في الحكم على هذه الحادثة وتقييمها.

مصادر الروايات:

مصادر الروايات الناقلة لمقتل الحسين تقوم على شخصيات مختلفة، من أهمها ما جاء من طريق ستة من الرواة[4]، وهم كما يلي:

١ – أبو مخنف: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف، الأزدي الكوفي (ت/ ١٥٧هـ)، وجده

---

(١) أحمد بن علي النجاشي الكوفي، (٣٧٢ـ ٤٥٠هـ)، وقد يعرف كتابه بالفهرست، أو فهرس النجاشي، وهو من أشهر كتب الرجال عند الإمامية، يقول عنه المرجع المعاصر الخوئي: (هو خريت هذه الصناعة)، ومن كتبه: الجمعة، والكوفة، وهو معاصر لشيخ الطائفة الطوسي، وهو تلميذ للغضائري، وللمفيد والسيرافي، انظر: أعيان الشيعة، ٣/ ٣٠ـ٣٨، ومستدرك أعيان الشيعة، ١/ ١٩٠، كتاب: معجم رجال الحديث، ٢/ ١٦٦، أبو القاسم الخوئي، ت/١٤١١هـ، ط٥، ١٤١٣هـ، مركز نشر ـ الثقافة الاسلامية، ومقدمة: تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال، للنجاشي، ١/ ١٠ – ٧٧، محمد علي الموحد الأبطحي، ط٢، ١٤١٧هـ، قم.

(٢) الرجال، واختيار الرجال، للطوسي –ايضاص، وكالغضائري، وهو معاصر لهما، أو من كتب المتأخرين، وهي كثيرة، كمعجم رجال الحديث، للخوئي، انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ١٥٩، ومستدركات أعيان الشيعة، ١/ ١٨٨.

(٣) محمد المحسن الرازي، المعروف بـ: آقا بزرك الطهراني، (١٢٩٣ – ١٣٨٩هـ)، من تلاميذ النوري الطبرسي، ومن أشهر كتبه: وفيات أعلام الشيعة بعد الألف، وهدية الرازي، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، وهو معتمد عند المعاصرين رغم حداثته، ورغم فقده للتوثيق والتثبت، كما ذكر محسن الأمين، انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، المقدمة، آقا بزرك الطهراني، ت/١٣٨٩هـ، ط٢، ١٤٠٣هـ، دار الأضواء – بيروت، وأعيان الشيعة، ١/ ٢١٣، ١٠/ ٤٧.

(٤) انظر: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص١٥٨ـ١٦٨، وقد قام الباحث بجمع هذه الطرق والمصادر، وأفدت من عرضه هنا.

مخنف ممن حضر. حركة التوابين سنة ٦٥هـ، وعد في الصحابة[١]، ومن ولاة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الأمصار.

أبو مخنف ــ مع تشيعه[٢] ــ فإن مروياته في كتابه "مقتل الحسين" من أشهر مصادر الحادثة، وقد اعتمد عليها ابن جرير الطبري ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ــ في تاريخه[٣]، مفضلا لها على رواية عمار الدهني، لأنها أوفى وأتم[٤]، وعن الطبري نقل كثير من المؤرخين والمؤلفين من السنة[٥]، والشيعة[٦]، ومنهم من يضعفه، ومنهم من صرح بأنه لا يوجد نسخة صحيحة من كتاب مقتل الحسين لأبي مخنف، وأن النسخة المنسوبة إليه بينهم تخالف ما نقله عنه الطبري[٧]؛ كما أن بعض هؤلاء المؤرخين يتصرف في نقل هذه المرويات، أو لم يصرح بالنقل[٨].

روايات الطبري عن أبي مخنف حول عهد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تصل إلى(٤١) رواية، أما في عهد يزيد فتصل رواياته إلى (١١٨) رواية، والذي يعنينا منها فيما يخص حادثة مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخروجه أمران، وهما كما يلي:

---

(١) انظر: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٨٥، ومرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، (عصر الخلافة الراشدة، دراسة نقدية)، ص٣٠-٣١، د. يحيى اليحيى، ط١، ١٤١٠هـ، دار العاصمة. الرياض.

(٢) لمعرفة: هل كان أبو مخنف اثني عشري رافضياً إمامياً، انظر: مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص٤٢.

(٣) بلغت مرويات أبي مخنف عند الطبري (٥٨٦) رواية، تناول جزءاً منها بالدراسة والنقد الباحث د. يحيى بن إبراهيم اليحيى في رسالة علمية منشورة، واقتصر فيها على دراسة مرويات أبي مخنف حول الخلفاء الراشدين الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعددها (١٤٤) رواية، منها (١٢٦) رواية في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر: مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص١٤-١٥، ٥٨.

(٤) انظر: تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والرسل والملوك)، ٥/ ٣٥١، الطبري، ط١، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٥) كابن الأثير، وابن كثير، والذهبي، وابن الجوزي، والبلاذري، وغيرهم، كما سيأتي في المطلب القادم، بإذن الله.

(٦) الكنى والألقاب، ١/ ١٥٥، عباس القمي، ت/ ١٣٥٩هـ، ت. محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر – طهران.

(٧) انظر: مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص٤٦.

(٨) انظر: مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص٤٧، وقد ذكر أن البلاذري في كتابه "أنساب الإشراف" كان معتمداً على روايات أبي مخنف، وإن كان قد تصرف في روايته، أو لم يصرح باسمه أحياناً، مراعياً للعلاقة بين العلويين والعباسيين، وخاصة في تلك الروايات التي تحمل طابعاً مأساوياً وحزيناً للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأفراد أسرته، وقد كان البلاذري مقرباً للخليفة العباسي المتوكل على الله.

روايتان في ذكر رسالة يزيد إلى واليه بالمدينة، ليأخذ له بالبيعة.

(١٠٣) رواية، في: مراسلة أهل الكوفة للحسين، وخروجه إلى أن قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- عمار بن معاوية الدهني، البجلي الكوفي (ت/ ١٣٣)[(١)]، وقد اتهم بالتشيع[(٢)]، ولكن هذا لم يثبت[(٣)]، بل وثقه: أحمد وابن معين وابن أبي حاتم وابن حبان والنسائي، ونقل عنه الطبري رواية مطولة حول مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يرويها عن الباقر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فرقها في مواضع[(٤)]، وقد اعتمد على روايته الحافظ ابن حجر، مما يعني قبوله لروايته[(٥)]، ومثله الذهبي، كما أن الأخباريين نقلوا من طريقه، كابن سعد، ومما أورده ابن سعد عنه من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين: حدثنا عبد الجبار بن العباس، عن عمار الدهني: (أن كعبا مر على علي، فقال: يقتل من ولد هذا رجل في عصابة لا يجف عرق خيلهم حتى يردوا على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمر حسن، فقيل: هذا؟ قال: لا، فمر حسين، فقيل: هذا؟ قال: نعم)[(٦)]، وعمار يرسل هنا، فقد قال الهيثمي: (رجاله ثقات إلا أن عمارا لم يدرك القصة)[(١)]، هذا فضلا عما قيل فيه

---

(١) انظر: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص١٦٥، وأثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٢٠١، ٣٧٣.

(٢) انظر: تقريب التهذيب، ١/ ٤٦٥.

(٣) انظر: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٢٠١، وقال: متهم بالتشيع ولم يثبت.

(٤) ومنها: تاريخ الطبري، ٥/ ٣٤٧، ٣٥١، ٣٨٩، وقال فيه: (فحدثني زكرياء بن يحيى الضرير، قال: حدثنا أحمد بن جناب المصيصي. قال:حدثنا خالد بن يزيد بن عبد الله القسري قال: حدثنا عمار الدهني قال: قلت لأبي جعفر: حدثني عن مقتل الحسين حتى كأني حضرته)، ومقصوده بأبي جعفر هو محمد بن علي بن الحسين (الباقر)، يوضحه رواية الشجري الزيدي، ت/ ٤٩٩هـ، يروي عنه بإسناد نازل خبر المقتل، ويجعله من خبر أبي جعفر محمد بن علي(الباقر)، انظر: ترتيب الأمالي الخميسية، للشجري، ١/ ٢٤٩- ٢٥٣.

انظر: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٢٠١، ٣٧٣، وذكر أن الطبري نقل عنه في المقتل ثلاث روايات، ومال الباحث إلى أنها رواية واحدة فرقها الطبري في ثلاثة مواضع.

(٥) انظر: التقريب، ص٤٠٨، وقال: صدوق يتشيع، وسير أعلام النبلاء، ٦/ ١٣٨، وقال عنه الذهبي: الإمام المحدث.

(٦) انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٣٣، والمعجم الكبير، ٣/ ١١٧، برقم: ٢٨٥١، من طريق علي بن عبد العزيز عن أبي نعيم الفضل بن دكين، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٩٠- ٢٩١، والذهبي لم يحل إلى المصدر.

(١) انظر: مجمع الزوائد، ٩/ ١٩٣.

وفيمن روى عنه من تشيع.

٣- عوانة بن الحكم الكلبي، الأخباري، ت/ ١٥٨هـ[١]، وقد نقل عنه الطبري خمس روايات في مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن جرير الطبري يروي عنه من طريق هشام بن السائب الكلبي، وذكر عنه ابن حجر أنه كان عثمانيا، يضع الأخبار لبني أمية[٢]، ومما ذكره عوانة أن يزيد أوصى عبيد الله بن زياد بثلاثة أمور في شأن التعامل مسلم بن عقيل: توثقه، أو تقتله، أو تنفيه، خلافا لابن أعثم الكوفي، ت/ ٣٢٠هـ[٣]، وفي روايات عوانة ذكر ندم يزيد على مقتل الحسين، واعتذاره إلى آله وإحسانه إليهم، وإرساله كتابا إليهم، ولعن ابن مرجانة، وهذه الروايات إن كانت موضوعة فلا عبرة بها، وإن كانت ثابتة فهي تكذيب لدعاوى الغلو في النصب من يزيد، أو غيره من بني أمية، ورواية عوانة أقرب للصواب من غيره عند مؤرخي السنة[٤].

٤- الحصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفي (ت/ ١٣٦هـ)[١]، أحد رواة الكتب الستة،

---

(١) انظر: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص١٦٦، وفي الطبعة التي وقفت عليها للكتاب اسمه (عوانة بن حكيم)، والصواب: عوانة بن الحكم، كما في المصادر، ولعله خطأ طباعي، ويؤكد ذلك أن الباحث أورده على هذا (ابن الحكم) في ص١٦٣، عند حديثه عن تعامل البلاذري مع مرويات أبي مخنف، وعوانة هو ابن الحكم بن عياض الكلبي، وأبو الحكم هو أكبر شيوخ المدائني، روى عنه ابن عساكر في تاريخه، له كتاب: سيرة معاوية وبني أمية، والتاريخ، وذكر الحافظ ابن حجر أن وفاته كانت سنة ١٥٨هـ، انظر: لسان الميزان، ٤/ ٣٨٦، رقم: ١١٦٧، ت. دائرة المعارف النظامية بالهند، ط٣، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الأعلمي – بيروت، وذكر د. جواد علي في كتابه: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١/ ١٢٢، أن وفاته سنة ١٤٧هـ، وثمَّ دراسة علمية "ماجستير" في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية نوقشت عام ١٤١٠هـ، د. عبد العزيز بن سليمان السلومي، بعنوان: مرويات عوانة بن الحكم الكلبي في تاريخ الطبري، مقارنة ونقد، خصص الباحث فصلاً لمرويات عوانة حول خلافة يزيد بن معاوية.

(٢) انظر: لسان الميزان، ٤/ ٣٨٦.

(٣) وله كتاب: مقتل الحسين، وهو مؤرخ رمي بالتشيع، انظر ص٨٧٩ من البحث.

(٤) انظر: مرويات عوانة بن الحكم الكلبي في تاريخ الطبري، مقارنة ونقد، ص٢١٠، ٢١٧، ٣٣١، ٢٣٣-٢٤١، من أصل الرسالة، وفي ص٢٢٧: ذكر أن العدد التقريبي لجيش عمر بن سعد خمسة آلاف، ونبه إلى مبالغة ابن أعثم في بلوغ الجيش اثنين وعشرين ألفاً.

(١) السلمي هو أبو الهذيل، وهو ثقة من أعلام التابعين، انظر: الكاشف (في معرفة من له رواية في الكتب الستة)، =

ولعله من أوثق من يذكر المقتل، نقل عنه الطبري والبلاذري، وروى عن هلال بن يساف مناشدة الحسين لمقاتليه أن يدعوه يمضي إلى يزيد في الشام[1]، كما نقل عنه ابن الكيال قوله: (فمكثنا ثلاثا كأن وجوهنا طليت رمادا)[2]، وثم آخرون باسمه، منهم شيعي كوفي، وهو الحصين بن عبد الرحمن الجعفي، من رجال الإمامية، ويروي عن آل البيت، ولم يذكر له مصنف في المقتل[3]، والله أعلم.

٥- محمد بن عمر بن واقد "الواقدي" (١٣٠ ــ ٢٠٧هـ)، الأخباري المشهور، صاحب المغازي[1]، وقد رمي بالتشيع، وهو متروك الحديث، يقلب الأسانيد ويركبها، ويروي

=

١/٣٣٨، الذهبي، (٦٧٣- ٧٤٨هـ)، وحاشيته سبط ابن العجمي، (٧٥٣- ٨٤١ هـ)، ت. محمد عوامة أحمد، ومحمد نمر الخطيب، ط١، ١٤١٣هـ، دار القبلة .جدة، والمتفق والمفترق، للخطيب البغدادي، ٢/ ١٧١-١٧٢، وثم آخر: الجعفي الكوفي، قال عنه الخطيب البغدادي: وهو كوفي، حدث عن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، روى عنه طعمة بن غيلان الكوفي، وهو أخو إسماعيل بن عبد الرحمن، وقال الذهبي عنه: إنه مجهول، وثم ثالث، وهو الحارثي الكوفي، ت / ١٣٩هـ، وفي أحاديثه مناكير، وثم رابع، وهو النخعي الكوفي، روي عن الإمام أحمد أنه لا يعرف، فهؤلاء أربعة، وذكر غيرهم، انظر: ميزان الاعتدال، ١/ ٥٥٢، الذهبي، ت. علي محمد البجاوي، دار المعرفة.بيروت، وتهذيب التهذيب، ٨/ ٢٥٨.

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٢٩٩-٣٠٠، ويروي عنه أبو عوانة، وعباد بن العوام، ونقل ابن جرير شيئاً من مرويات الحصين، ومنها: (قال حصين فلما قتل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع)، وعنه: البلاذري في أنساب الأشراف، ١/ ٤٢٨، وانظر: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص١٦٦.

(٢) الكواكب النيرات، ص٢٣، ابن الكيال، ٨٨٩هـ، ت. حمدي عبد المجيد السلفي، دار العلم ـ الكويت، ولم يذكر ابن الكيال إسناده ومصدره، وهل له مصنف خاص بالمقتل، أو لا.

(٣) انظر: رجال الطوسي، ص١٩١، الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، ت. جواد القيومي الإصفهاني، ط١، ١٤١٥هـ، مؤسسة النشر ـ الإسلامي- قم، وتهذيب المقال، للأبطحي الإمامي، ٤/ ١٦٨ ـ ١٧٣، وذكره باسم: الحصين بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي، وأطال في رجال أسرة أبي سبرة الجعفيين، ووجاهتهم لدى الشيعة.

(١) انظر: المغازي، المقدمة، ص٥، الواقدي، ت/ ٢٠٧هـ، ت. مارسدن جونس، ط٣، ١٤٠٩هـ، دار الأعلمي – بيروت.

الغرائب[1]، ويروي خبر المقتل بإسناده عن عدة، منهم عمار الدهني، وممن اعتمد على روايته في حادثة مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تلميذه ابن سعد في الطبقات[2]، ولكن الهيثمي في مجمع الزوائد ضعفه، ذكر ذلك تعليقا على خبره الذي نقله عن الشعبي أنه قال: (رأس الحسين رضي الله عنه أول رأس حمل في الإسلام)[3].

٦- أبو معشر السندي، نجيح بن عبد الرحمن المدني، (ت/ ١٧٠هـ)، وهو ضعيف مختلف فيه، والأكثر على ضعفه واختلاطه بآخرة، له كتاب الخلفاء، ويروي عنه الواقدي[4]، واعتمد على روايته في حادثة المقتل ابن عبد ربه في العقد الفريد[5].

هذه ستة من مصادر حادثة خروج الحسين ومقتله، أطولها ـ والتي نقلها بعض المؤرخين كالطبري ـ مرويات أبي مخنف: لوط بن يحيى (ت/١٥٧هـ)، لكنه شيعي ضعيف، ومثله الواقدي (ت/٢٠٧هـ)، وقد اعتمد عليه ابن سعد في الطبقات، وأدنى منهما أبو معشر السندي، نجيح بن عبد الرحمن (ت/١٧٠هـ)، وهو ضعيف، فهذه مرويات شيعية خالصة، ويظهر أن أصلها من بيئات وبيوتات شيعية ترى الخروج، وأخذته مذهبا للعترة النبوية، كما هو حال الزيدية من العلويين الحسينين والحسنيين والزيديين وعموم الطالبيين، ويمكن أن يضم إليهم العباسيين الهاشميين، الذين دعوا إلى الرضا من آل محمد ﷺ، وإن كان في صفوف هؤلاء غلاة وسبئية، وفيهم من اضطرب في تشيعه، كما يفيده حال الشعبي وغيره من

---

(١) أبو عبد الله الأسلمي المدني، أو المديني، صاحب المغازي، قاضي بغداد، متروك وضعيف عند عدد من المحدثين، كالبخاري في التاريخ الكبير، ١/ ١٧٨، والجرح والتعديل، ٨/ ٢٠، ابن أبي حاتم، وتاريخ دمشق، لابن عساكر، ٥٤/ ٤٣٢-٤٥٩، وميزان الاعتدال، للذهبي، ٣/ ٦٦٢-٦٦٦، وقال: (واستقر الاجماع على وهن الواقدي)، وتهذيب التهذيب، ٣٠/ ٣٦٣.٣٦٨، وحكى ما ذكره الذهبي من استقرار الإجماع على وهن الواقدي، وتعقبه.

(٢) انظر: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص١٨٨، ومواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص١٦٧، ونبه الباحث إلى أن ابن سعد تصرف في عرض روايات المقتل.

(٣) المعجم الكبير، ٣/ ١٢٤، ومجمع الزوائد، ٩/ ١٩٦.

(٤) انظر: ميزان الاعتدال، ٤/ ٢٤٦.٢٤٨، وتهذيب التهذيب، ٣٣/ ٢٣.٢٦.

(٥) انظر: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص١٦٧.

شيعة علي في الكوفة، أيام خروج المختار الثقفي[1].

أما البقية فهم على ضعفهم والاختلاف حولهم فإن مروياتهم أقل في المبالغة والتهويل، وأبعد عن تهمة التشيع، وأوثقهم الحصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفي (ت/ ١٣٦هـ)، وهو الذي روى أن ابن زياد منع الجيش أن يترك الحسين إلى يزيد، بل كتب إلى قائده أنه لابد أن ينزل الحسين على حكمه هو ــ قبحه الله ــ؛ وأما عمار الدهني، (ت/ ١٣٣)، فقد اختلف فيه، وكذلك في عوانة بن الحكم، (ت/ ١٥٨هـ)؛ وإن صحت مرويات هؤلاء فإنه يستعان بها على نقد ما يخالفها من مرويات الوضاعين ومن في حكمهم، ممن راجت رواياتهم في كتب التاريخ والمقاتل، كما يمكن أن يكتفى بما اتفقوا عليه، مما لا يخالف قواعد الرواية والتثبت.

---

(١) انظر ص٩٢٥، ٢٠١- ٢٠٢ من البحث.

المطلب الثالث

أحداث خروج الحسين رضي الله عنه ومقتله

كثرت الأخبار والروايات حول خروج الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا تخلو ــ كما سبق ــ من وضع وزيادة، ولكن لا يعني ذلك أنها لا يمكن التوفيق بين أحداثها، فبذلت جهدي في أن أعرض في هذا المطلب حسب مراحل خروج الحسين وما جرى له فيها من مناصحة واستشارات، ثم ما وقع بعد ذلك من مصائب وبلايا، وإن كانت النفس تكره تلك الفواجع، لكن لحاجة البحث أسرد منها ما يحتاج إليه البحث، ويكون توطئة لبيان موقف السلف الصالح، وتوطئة تاريخية لبدع الرافضة التي ارتبطت تطبيقا واستدلالا واستذكارا لهذه الحادثة، حتى شغلوا بها أوقاتهم ومصنفاتهم ومجالسهم ومنابرهم ومنتدياتهم، حتى أصبح هذا الباب من اختصاصهم، ولهم فيه مآرب، كما سيتضح بإذن الله.

مفهوم خروج الحسين رضي الله عنه:

من المهم هنا التنبيه على أن كثرة هذه الروايات والأخبار التي تتضمن اسم الخروج وعنوانه ليس المقصود منها وبها أن يثبت في الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخروج المذموم في نصوص الشريعة، الذي سميت به طائفة من المبتدعة، وإن كانت العبارات والألفاظ توهم ذلك، بل قصد الرواة والمؤرخون والعلماء ــ وخاصة من أهل السنة والجماعة[1] ــ من التعبير بلفظ

---

(١) أما من الشيعة من الزيدية وغيرهم، ومن يوافقهم في هذا الباب من المعتزلة وبعض الأشاعرة والفقهاء، القائلون بجواز الخروج على الأئمة الظلمة والجائرين، فلا حرج عندهم في هذه اللفظة، لأنهم يرون وجوب الخروج، ومن هذا من جعل من العلماء رأي الحسين مذهباً لآل البيت والسلف المتقدمين، ووصفه بأنه خروج أهل الحق، ومذهب للسلف قديم، كما ذكره ابن حجر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، تهذيب التهذيب، ٢/ ٢٨٨، وفتح الباري، ٢٨٦/١٢، وخصهم بأنهم لا تجوز مقاتلتهم، وانظر: منهاج السنة، ٢/ ٢٤٣، وممن أشار إلى أقسام الخارجين الدكتور عبد الله الدميجي –وفقه الله–، وجعل أقسامهم أربعة: الخوارج، والمحاربون، والبغاة، وأهل الحق، انظر: الإمامة العظمى، ص٤٩١– ٤٩٩، ٥٠٢– ٥٤٨، وانظر: مواقف المعارضة في خلافة يزيد، ٤٦٧– ٤٦٩، د. الشيباني، ورأى أن القسمين الأخيرين من الأربعة قسم واحد، وسيتبين في مبحث موقف السلف =

الخروج هو تقييد انتقال الحسين من مكة وخروجه منها إلى العراق، ويدخل ضمنها انتقاله من مكة إلى المدينة، وهذا العمل وإن تضمن معنى الخروج على الوالي فليس قصدهم وصف الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بهذا الخصوص؛ إذ كيف يظن ذلك وجمهور المسلمين يجمعون على فضل الحسين وسيادته، ويشهدون له بالجنة، وذكروا أنه قتل مظلوما شهيدا، وكيف يظن ذلك وفقهاء الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن تحدثوا إلى الحسين وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لم يحكموا عليه بأحكام الخوارج[1]، بل جاء عنهم لعن قاتليه، وذمهم وسبهم، وأن قتله معصية وفسوق وظلم، وفرحهم بعقوبة الله لقاتليه؛ كما لا يعني ذلك عصمته والغلو به، أو خطأ بقية الصحابة في مخالفة قوله.

ما جرى من الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جاء في مقابل الحدث الذي صنعه معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الولاية من بعده، حيث عهد بها إلى ابنه يزيد، وعرض ذلك على بعض أعيان الناس على هيئة المخبر، لا المستشير، ولما رأى موافقة طوائف من الناس له فيها أقرها، ولم ينظر لرأي فضلاء من المهاجرين والقرشيين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ومنهم الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وزاد الأمر حرجا أنه مع رضى جمع من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ عن سيرة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعد الصلح إلا أن طوائف من الناس متعلقة نفوسهم بمن قبله، بسبب الميل: إما إلى علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وإما من الميل إلى سنة أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في أمر الولاية.

=

مزيد مما يخصنا هنا، وسيأتي بيان موقف السلف، بإذن الله تعالى، وأنه بسبب اختلاف الناس في موقفهم من يزيد جاء الحرج من تخريج موقف الحسين، ومن ذلك أنه من كثرة تقرير وذكر لفظ الخروج في أخبار الحسين فهم منه أنه تسليم بالخروج المصطلح عليه، والذي يكون بعد بيعة، وأقرب شاهد يؤيد ذلك أنه لم يشتهر عن أحد السلف أنه يطلق على معاوية حين أخذ البيعة من أهل الشام بعد موت علي، أنه خرج على بيعة الحسن، ومثله الحسن، فهي موضع فتنة لا يستعجل معها بالحكم، وأرى أن مثلها قضية الحسين، والله أعلم.

(١) هذا عدا بعض الأخبار والنقول التي تتضمن عبارة الخروج كما في قصة المراسلة بين يزيد وابن عباس، وفيها قول ابن عباس: (إني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمر تكرهه)، البداية والنهاية، ٨/ ١٧٧، أو ما جاء في نصيحة أبي سعيد: (اتق الله في نفسك، والزم بيتك، ولا تخرج على إمامك)، وسيأتي –بإذن الله– الإشارة إلى وصف آخر قريب من الخروج وهو البغي، وذلك عند بيان موقف السلف من الحسين وخروجه.

مراحل خروج الحسين رضي الله عنه:

مر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في موقفه من بيعة يزيد، وحتى مقتله، مر الحسين بأربع مراحل[1]، يمكن تصورها من خلال روايات القصة، ويمكن من خلالها معرفة فقه الحسين في هذه الحالة ونظائرها، من صنيعه في كل مرحلة، وذلك كما يلي:

١ - قبل وفاة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وفيها عدم رضى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصنيع معاوية في الولاية حين أخذها لابنه يزيد، فلم يبايع، ومع حذر معاوية من هذا الموقف وممن وافقه فيه إلا أن معاوية لم يحدث أمرا فوق ذلك؛ ومثله الحسين[2]، ولم يوجب ذلك عنده نقض بيعة معاوية، بل يشهد الصلاة والحج والمغازي خلف ولاته وأمرائه[3]؛ بل ذكر عنه أنه كان يأتي معاوية ويقبل جوائزه، ولو ثبت أن مشاركة الحسين تحت راية يزيد في غزو القسطنطينية كانت بعد هذه البيعة فيدل على أن الحسين مع كراهته لصنيع معاوية أنه لم يبن عليها مواقف عملية، لعدم اعتبار أثرها[4]، ولكن المشهور أن غزو القسطنطينية كان قبل ذلك، كما أن ما ذكره بعض المؤرخين والأخباريين من أن أهل العراق كانوا يكاتبون الحسين زمان معاوية، وخاصة بعد وفاة الحسن، وأن معاوية كاتب الحسين يحذره أهل العراق، كل ذلك إن ثبت فإنه لم يبن

---

(١) ويمكن أن تختصر في مرحلتين، كما صنع الدكتور علي الصلابي، انظر: الدولة الأموية، ١/ ٤٥٨ - ٤٥٩.

(٢) هذا على المشهور، وإلا فابن سعد قال: (وكان أهل الكوفة يكتبون إلى حسين يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية)، الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٣٩، وفي قول ابن سعد بعدٌ، إلا أن يكون ذلك منهم تعريضاً بعد وفاة الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو عند أخذ البيعة ليزيد، لأن تصريحهم لو ثبت لاشتهر، والله أعلم.

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا قريباً في ترجمة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) قد يفهم هذا -أيضاً- من صنيع ابن الزبير في محاورته لمعاوية إن صح خبرها في كتب التاريخ، حيث قال: (إِنْ كُنت قد مللت الإمارة فاعْتزِلها، وهلمَّ ابنك فلنبايعهُ، أرأيت إذا بايعنا ابنك معك لأيكما نسمعُ ونطيعُ! لا نجمع البيعة لكما أبداً)، تاريخ الإسلام،٢/ ٤٥٩، وعدد من شراح البخاري في تعليقهم على حديث جيش القسطنطينية استنكروا أن يكون سادات الصحابة تحت إمرة يزيد، وصرحوا أنه لا يشمله الوعد بالمغفرة، ومنهم من أشار إلى كفره بسبب قتله الحسين، انظر: عمدة القاري، ١٤/ ١٩٨ - ١٩٩، وإرشاد الساري، ٥/ ١٠٤ - ١٠٥، وانظر: فيض القدير، ٣/ ٨٤.

عليه مواقف عملية من قبل الحسين(١).

٢- بعد وفاة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وفيها قرر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عدم البيعة، والتحايل على والي المدينة حين عرضها عليه، ولخشيته أن يكره عليها غادر المدينة إلى مكة، ويكفي هذا في إشهار موقفه بين الناس، واستمر حال عدم البيعة شهري شعبان ورمضان عام ٦٠هـ تقريبا، كان الحسين فيها يتأمل أمره، ويجلس إلى الناس ويستمع إلى شأنهم ويذاكرهم، ومنهم من ناصحه في هذه الفترة، ومنهم من أيده، ومنهم من سكت عنه، ولم يصح عنه في هذه المدة أنه دعا لنفسه، أو اشتغل بسب يزيد وأبيه وبني أمية، وإنما غايته الامتناع من بيعة يزيد، والرغبة عنها، هذا مع إجلال الناس له، وتقديرهم لمكانته وقدره وهيبته وقرابته من رسول الله ﷺ، ورضاه عنه، واشتغاله بتعظيم البيت والعبادة عنده؛ وختمت هذه المرحلة بما جرى بعدها.

٣- اتصاله بأهل العراق ومبايعتهم له، وعزمه الخروج إليهم، وقد يكون ذلك استغرق نصف المدة الثاني قبل سيره إليهم، وقد ابتدأت كتبهم ووفودهم في رمضان، وتكاثرت بعده إلى أن أرسل إليهم مسلم بن عقيل ليستوثق أمرهم، فبعد أن بلغه ما يطمئنه إلى بيعتهم سار إليهم يوم التروية، الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠هـ.

٤- قبيل عاشوراء بيوم أو بضعة أيام: وفيها ظهر من أهل العراق التحلل من بيعة الحسين، فتركها لعجزهم وخذلانهم، وترك ما عزم عليه لعجزه عنه، وبدأ بالبحث عن مخرج عن القتل وسفك الدماء بين الطرفين، ومن الخيارات التي ذكر أنه طرحها على أمير الكوفة وجيشها: الصلح مع يزيد مباشرة، أو الرجوع من حيث أتى، أو الذهاب إلى الآفاق والثغور البعيدة، وامتنع من الاستئسار والنزول على حكم ابن زياد، الذي قتل رسوله مسلم بن عقيل قبل ذلك، وإن ثبتت الأمور الثلاثة التي عرضها عليهم فهذا يدل على شيء من حسن ظن الحسين بيزيد، في مقابل شدة سوء ظنه بابن زياد، وظهور عجلته إلى القتال، الذي ابتلي به.

وفاة معاوية وبيعة يزيد:

١- مما روى أبو مخنف لوط بن يحيى أن وفاة معاوية، وتولي يزيد كان في مطلع هلال

(١) انظر مواقف الصحابة والتابعين من خروج الحسين، ص١٩٢- ٢٠٢ من البحث.

رجب، وقيل في منتصفه[١]، سنة ٦٠هـ، ومقرهما الشام، وكان الحسين في المدينة، وكان أميرها من قبل بني أمية الوليد بن عتبة بن أبي سفيان[٢].

٢- أهم يزيد أمر بيعة النفر الذين أبوا على معاوية، فكتب إلى الوليد بن عتبة، فقال: (بسم الله الرحمن الرحيم، من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد: فإن معاوية كان عبدا من عباد الله، أكرمه الله واستخلفه وخوله، ومكن له، فعاش بقدر، ومات بأجل، فقد عاش محمودا، ومات برا تقيا، والسلام)، وخص الحسين، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالبيعة، وأن يأخذهم بها أخذا شديدا.

٣- لما أتى أمير المدينة الخطاب ونعي معاوية استشار في أمر هؤلاء النفر، وممن استشار مروان بن الحكم، وأرسل من فوره ليلا إلى الحسين وابن الزبير، يعرض عليهما البيعة، فحضر الحسين وهو في ريبة من الأمر، فاسترجع، وقال رحم الله معاوية، وعظم لك الأجر، وطلب أن تكون البيعة جهرا مع الناس، لا سرا؛ وأما عبد الله بن الزبير فامتنع عن البيعة وماطل، حتى فر الاثنان إلى مكة[٣].

خروج الحسين من المدينة إلى مكة:

خرج الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأهله من المدينة إلى مكة، وقبله بليلة خرج ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد طلبهم أمير المدينة فلم يدركهم، وكان أخوه محمد بن الحنفية ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أشار على أخيه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذلك، كما سيأتي.

خرج الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه من المدينة، وهو لم يبايع ليزيد، وكان ذلك في أواخر رجب من عام ٦٠هـ، ويذكر الواقدي أن ابن عباس وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانا حين بيعة يزيد بمكة، وفي طريقهما إلى المدينة التقيا بالحسين وابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٤].

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٤٢، البداية والنهاية، ٨/ ١٥٧- ١٥٨.

(٢) انظر ص٢٠١من البحث.

(٣) مختصر عن البداية والنهاية، ٨/ ١٥٧- ١٥٨.

(٤) انظر: البداية والنهاية، ٨/ ١٥٨، ويظهر من الأخبار المنقولة عن ابن عباس أن لقاءه بالحسين طال وتكرر، وكان بمكة، ومن ذلك أن بعضها قبيل خروجه أيام الحج، وهو أقرب، وقد يكون غادرها ورجع إليها، والله =

إقامة الحسين في مكة:

وصل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مكة شهر شعبان من عام ٦٠هـ، وقد نزل بدار العباس[١]، وأقام بها رمضان وشوال وذا القعدة، إلى قبيل أيام الحج، وظهر أنه يدرك الحج.

بقي الحسين وابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مكة، ويزيد يرصدهما، ولكنه لم يحدث أمرا بارزا في شأنهما من جهة القوة، وكان يزيد يسعى في أمر بيعتهما بوساطة بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٢]، وذكر أن تحريض ابن الزبير على بني أمية يزداد أكثر من الحسين، وقد يؤكد ذلك أن الحسين تورع من أن يجري قتال في مكة، كما أنه لم يعزم فيها ببيعة[٣]، وهذا مما زاده إجلالا ومعذرة، كما في خبر ابن عباس الآتي، كما أن ابن الزبير لم يدع إلى نفسه مع وجود الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولما جرى منه وله في الحرم، وما حصل منه من تحريض على بني أمية في مكة، جعل الحسين أحظى منه بالمعذرة عند البعض من الصحابة، كما سيأتي بإذن الله قريبا.

توافد الناس على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مكة، وسمعوا خبره، وكان أجل وأهم عندهم من ابن الزبير، والذي وافقه على صنيعه في ترك البيعة، واشتغل الحسين يرقب أمره مع يزيد، ويتحدث إلى الناس، ويتضرع عند الكعبة، وينتظر فرجا؛ ويذكر ابن سعد أن أهل الكوفة لما رأوا تباطؤ الحسين قدم منهم قوم إلى محمد بن الحنفية، فطلبوا إليه أن يخرج معهم، فأبى، وجاء إلى الحسين فأخبره بما عرضوا عليه، ولم يشجعه على موافقتهم، فأقام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ما هو عليه من الهموم، مرة يريد أن يسير إليهم، ومرة يجمع الإقامة، وممن ناصحه في تلك الفترة أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في كلمة له مشهورة عن أهل الكوفة، وتجربة أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أعلم، وابن سعد والذهبي ذكرا أنه كان مع ابن عمر في عودته للمدينة: عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وأنه ناصح الحسين، كما أنه ورد أن ابن عمر لحق بالحسين بعد ثلاث من خروجه إلى العراق، وتعلق به، وتودعه من قتيل، وانظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٣٩، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٩٥- ٢٩٦، والبداية والنهاية، ٨/ ١٧٣، ١٧٥.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٩٥.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٤٨- ٤٥٠.

(٣) انظر مواقف الصحابة والتابعين من خروج الحسين ص ١٩٢- ٢٠٢ من البحث.

معهم[1].

أبرز من وفد على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أهل العراق، وخصوصا أهل الكوفة، فكان أول من قدم عليه عبد الله بن سبع الهمذاني، وعبد الله بن وال، معهما كتاب من بعض أهل العراق، وكان ذلك في أول شهر رمضان من هذه السنة.

ثم بعثوا بعدهما نفرا، وتكاثرت رسل أهل العراق وكتبهم، تدعو الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للقدوم، وتعده النصرة، ويذكرون أنهم بايعوا ليزيد مكرهين، وأنهم يختارونه.

تحادث أهل الكوفة في خبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتداعوا بينهم في بيعتهم، ومن أشهر أعيانهم سليمان بن صرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]، الذي قاد جيش التوابين بعد مقتل الحسين، ثأرا له، ومما أورده ابن جرير الطبري في خبره قول أحد الكوفيين: (قال لنا سليمان بن صرد: إن معاوية قد هلك، وإن حسينا قد تقبض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهل[3] والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه، قالوا: لا، بل نقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه؛ قال: فاكتبوا إليه، فكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، لحسين بن علي: من سليمان بن صرد، والمسيب ابن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل

---

(١) بتصرف عن: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٣٩.

(٢) سليمان بن يسار بن الجون بن أبي الجون، أبو مطرف الكوفي، وزاد ابن حجر: الخزاعي، وعند أبيه: الباهلي، وذكر أن صحبته مشهورة، وأن اسمه كان يساراً، فغيره الرسول ﷺ، وأنه كان أَسَنَّ من خرج من أهل الكوفة في طلب ثأر الحسين، وكان دعا الحسين، ثم لم يقاتل معه، فخرجوا تائبين (جيش التوابين)، فقتل هو وأصحابه بعين الوردة، في سنة ٦٥هـ، وعمره ٩٣هـ، روى له الجماعة، وأخرج له البخاري، ح/ ٤١٠٩، ٥٧٠١، حديث الأحزاب: "نغزوهم، ولا يغزوننا"، والاستعاذة عند الغضب، وانظر فتح الباري، ٧/٤٠٥، ١/ ٢٢٠، ٤٧٥، ٧/ ٤٠٥، ١٠/ ٤٦٧،، وانظر: تقريب التهذيب، ٤/ ٢٠٠.

(٣) الوهل: من وَهِلَ، وهو الضعف والجبن والفزع، والهم والخوف وغلبة النسيان، انظر. تهذيب اللغة، ٦/ ٢٢١، مادة: الهاء واللام، ومعجم مقاييس اللغة، ص٩٣٩، مادة: الواو والهاء وما يثلثهما، ولسان العرب، ١١ ٧٣٧، مادة: وهل.

الكوفة)[1].

عندما كثرت كتب أهل العراق على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعث ابن عمه مسلم بن عقيل إلى العراق، ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق[2]، فسار إليها، وجرى له في الطرق أحداث، ولما دخل مسلم الكوفة نزل على رجل يقال له: مسلم بن عوسجة الأسدي، وقيل: نزل في دار المختار الثقفي، فتسامع أهل الكوفة بقدومه، فجاءوا إليه فبايعوه على إمرة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحلفوا له لينصرنه بأنفسهم وأموالهم، فاجتمع على بيعته كثيرون، حتى بلغوا ـ كما قيل ـ ثمانية عشر ألفا[3].

كتب مسلم إلى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليقدم عليه، فقد مهد له البيعة، فتجهز الحسين من مكة قاصدا الكوفة، وأخفى أمره، وأظهر الحج، ولكن الناس شعروا به، وأشاروا عليه بعدم الخروج من مكة، وعدم الخروج إلى العراق، ومن هؤلاء ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وروى الطبراني بإسناده: (قال سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن ميسرة، عن طاووس، عن ابن عباس، قال: استشارني الحسين بن علي في الخروج، فقلت: لولا أن يزرى بي وبك الناس لشبثت يدي في رأسك، فلم أتركك تذهب، فكان الذي رد علي أن قال: لأن أقتل في مكان كذا وكذا أحب إلى من أن أقتل بمكة)[4].

خروج الحسين إلى العراق:

خرج الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من مكة يوم التروية، الثامن ذي الحجة عام ٦٠هـ، وهو اليوم الذي ظهر وكشف فيه أمر رسوله مسلم بن عقيل ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، ولم يصحب الحسين في سفره إلا أهله وبعض أقاربه، وفي طريقه أرسل إلى من بقي في المدينة من أهله ليلحق به، فلحق به

---

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٢٣٤.
(٢) انظر: تاريخ الطبري، ٣/ ٢٣٥.
(٣) انظر: الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٥٨٠ ٤٥٩، والبداية والنهاية، ٨/ ١٦٣.
(٤) المعجم الكبير، ٣/ ١١٩، ح/ ٢٨٥٩، وعنه: البداية والنهاية، ٨/ ١٦٣، وفي مجمع الزوائد، ٩/ ١٩٢: (رجاله رجال الصحيح)، ولكن شيخ الطبراني علي بن عبد العزيز متكلم فيه، وانظر: الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٥٠.

من لحق، ويذكر أن أخاه محمد بن الحنفية ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ كان بالمدينة، فلحقه وناصحه[1]، وفي رواية أن الحسين وهو في طريقه رغب في لقاء ابن عمر، فأتاه في أرض له، وودعه[2].

لم يثبت عن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أحدث أمرا في طريقه، عدا إصراره على مواصلة سيره إلى العراق، ورصده للأخبار، لينظر أمره هناك، وما يرويه مثل أبي مخنف من إحداثه في الطريق، وأخذه عيرا قدمت من اليمن ليزيد[3]؛ فإن هذا ليس بصحيح، ويخالف مجمل خبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحاله من أول أمره، بل إنه كان في سعة لولا أنه قد يغلب على ظن البعض أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخشى من قبض بني أمية عليه، أو أن يقتلوه، ومن ذلك أن بعض الصحابة راعى هذا الجانب، وسعى في تأمينه عندهم، ومن هؤلاء ابن عمه عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سعيه مع أمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص، فأرسل عمرو أخاه يحيى بن سعيد إلى الحسين، فلحقه وهو في طريقه إلى العراق، بعد أن علم بمسيره[4].

كان والي الكوفة حين مقدم مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان حليما حاول درء الأمر بسكينة وفقه وبصيرة، فبلغ أمره يزيد فعزله، وفي انتظار الناس مقدم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ألحقت الكوفة بوالي البصرة ابن زياد، ليطلب مسلما، ويقضي عليه، فقدم الكوفة ابن زياد، وترصد له، ودس إليه، وامتحن أهل الكوفة به، حتى كشف موضعه يوم التروية، وقبض على من ضيفه في داره، وهو هانئ بن عروة.

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٥١، وعنه: البداية والنهاية، ٨/ ١٦٥، وذكر أن من لحق به من المدينة تسعة عشر رجلاً من بني عبد المطلب.

(٢) وهو مروي عن الشعبي، وفي مجمع الزوائد، ٩/ ١٢٩: (رواه البزار، والطبراني في الأوسط، ورجال البزارِ ثقاتٌ).

(٣) انظر: البداية والنهاية، ٨/ ١٧٩- ١٨٠، وابن كثير لم يتتبع كل ما يذكره من الأخبار بشكل مفصل، ويسرد أحياناً ما ينقله المؤرخون، كالطبري، وله تعليقات مجملة حول هذه الروايات، منها قوله: (وهذه صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة هذا الشأن، لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب)، البداية والنهاية، ٨/ ١٨٦.

(٤) وهي من مرويات أبي مخنف، وفيها أنه بعث مع كتابه وعبد الله بن جعفر أخاه يحيى بن سعيد أماناً، وفيها أن الحسين اعتذر برؤيا رأى فيها النبي ﷺ، وأنه أمره بأمر كتمه عنهما، ومضى. انظر: البداية والنهاية، ٨/ ١٨١.

لما علم مسلم بانكشاف الأمر لم يكن له بد من استعجال المواجهة، فنادى من بايع للحسين من أهل الكوفة، فاجتمع منهم أربعة آلاف ـ كما قيل ـ، وحاصروا ابن زياد في قصر الإمارة، لكن هذا الجمع لم يطل نفسه، بل تفرق وتخاذل، بسبب مكيدة ابن زياد، فآل الحال في الليل أن اختبأ مسلم في إحدى دور الكوفة.

انقلبت الموازيين من الغد، فحاصرت جند ابن زياد مسلما في مخبئه، ودار القتال بين الطرفين، إلى أن قبض عليه، وسيق إلى قصر الإمارة، ـ في قصة طويلة ـ، وقتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد أن أوصى من يبلغ الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ليرجع عن مسيره.

استمر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سيره إلى الكوفة بقية شهر ذي الحجة من ذلك العام، ومطلع العام الذي يليه، ولما يصله خبر مسلم ومقتله إلا قرب العراق، وكان في طريقه يلقى الناس ويستخبرهم، وممن لقيه الشاعر الفرزدق: همام بن غالب التميمي، وروي له في هذا أخبار منها أنه لحق بالحسين بعد أن استشار[1]، وقيل إنه كان في صحبته قبل أن يصل ستون من أهل الكوفة[2].

بلغ الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقتل مسلم وخبره على مقربة من العراق، ومعه أهله ومن استقبله وقدم إليه من أهل الكوفة، أو ممن مر بهم في طريقه وتبعوه، وكانوا ستين شخصا، وروي أنه بلغه الخبر ثم كتب إلى أهل الكوفة يذكرهم، وكان ذلك في الحاجر[3] من بطن ذي الرمة من أرض نجد، شرقي المدينة[4]، وقيل بلغه خبر آخر في زرود[5]، وقبل في زُبَالة[6]، وقيل في شراف[1]،

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٥٥- ٤٥٧.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٥١.

(٣) الحاجر والحاجور (فاعول): أرض في عالية نجد شرقي أبان، لبني عبس، وقيل كانت لبني تميم، ولعل فيها أو قريباً منها التقى الحسين بالفرزدق التميمي، ولعلها ضمن طريق الحاج العراقي، في بريدها ٣٦، وذكر موضع آخر لوصول الخبر، وهو زرود، انظر: معجم البلدان، ١/ ٦٢، ٢٤١، ٢/ ٢٠٤، ٤٩٣.

(٤) انظر: البداية والنهاية، ٨/ ١٧٨، ١٨١- ١٨٢.

(٥) زرود بفتح الزاي وضم الراء: موضع أو جبل قرب الرمال، على طريق الحاج العراقي، انظر: معجم البلدان، ١٣٩/٣.

(٦) زبالة: بضم الزاء المعجمة وفتح الباء، بعد القاع وقبل الشقوق، والزبالة مجمع للماء، وهي على طريق الحاج =

والأظهر أن يكون موضع وصول الخبر للحسين بعد منتصف المسافة والمدة ما بين مكة والكوفة[٢]، أو في الثلث الأخير منهما، ومن المحتمل أن ذلك في الأسبوع الثالث من مسيره، ولكن الحسين لم يستوثق من الخبر إلا على مقربة من الكوفة، لأن كتبه إلى أهلها لم ترجع ردودهم عليها، بسبب تمكن ابن زياد من الكوفة ورصده لرسل الحسين.

يذكر أن الحسين استرجع حين بلغه الخبر، وتردد في المسير، لكنه بعد أن عزم عليه استعفى من الناس، وأذن لمن يريد الانصراف، فانخذل عنه بعض من معه[٣]، ويروى أن ابنه علي الأكبر ممن نصحه بالرجوع[٤].

حصار الحسين رضي الله عنه بكربلاء

نزل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مكان يقال له كربلاء، وتسمى نينوى[٥]، وكربلاء منها، وروي أنه حين بلغه سأل عنه فأخبر، فقال كرب وبلاء، ولم يعجل بقتال، ينتظر فرجا، ولعل

=

العراقي، وكانت لبني غاضرة من بني أسد، ولها حزن يعرف حزن زبالة، أو حزن غاضرة، ويوم زبالة من أيام العرب، انظر: معجم البلدان، ٢/ ٢٥٤، ٣/ ١٢٩، ٤/ ٣٠٤- ٣٠٥.

(١) شراف، أو شرف: كلاهما بتحريك الشين المعجمة والراء، وشراف: بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب، كما قال السكوني، وقد يشتبه بها موضع باسم شرف، لقربها من طريق الحاج العراقي، وشرف: موضع شرقي المدينة، قيل شرف كبد نجد، وقد يطلق على جهة كبيرة، أو وادٍ، وقيل فيها حمى ضرية، والربذة، ويجاوره موضع: شُرَيْف، بالتصغير ويسمى به مواضع متفرقة، لكن الشاهد هنا أنه موضع على طريق الحاج العراقي، والقصة توحي بقرب هذا الموضع من الكوفة، والله أعلم، وانظر: معجم البلدان، ٣/ ٣٣١، ٣٤١، ٣٦٣، والدولَة الأمويَّة (عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار)، ١/ ٤٧٤- ٤٧٥، د. عَلي الصَّلاَّبي، ط٢، ١٤٢٩هـ، دار المعرفة – بيروت.

(٢) ياقوت الحموي ذكر أن منتصف المسافة بين مكة والكوفة هي: فيد، وأن ثلثها من جهة الكوفة هو قبر العبادي، انظر: معجم البلدان، ٤/ ٢٨٢، ٣٠٤- ٣٠٥.

(٣) بتصرف عن البداية والنهاية، ٨/ ١٨٣.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٦٢.

(٥) نِينَوَى: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح النون والواو، أرض بسواد الكوفة –جنوب العراق–، كما في أرض الموصل –شمال العراق– موضع مشهور بهذا الاسم، انظر: معجم البلدان، ٥/ ٣٣٩، وقد يذكر في القصة بدلاً منه موضع الغاضرية، وانظر: تاريخ الطبري، ٣/٢٦٣.

بقاءه في هذه الحال بضعة أيام، وكان بعض من التحق به يستعجله قبل أن يتعاظم شأن خصومه، ولكنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول:(ما كنت لأبدأهم بالقتال)(١).

بعث ابن زياد جيشا قوامه ألف فارس بقيادة الحر بن يزيد لصد الحسين عن الكوفة، وانتهى أمرهما إلى الملاحقة وانتظار الأمر والخبر ممن ورائهما، والمهلة للحسين أن يكاتب يزيد(٢)، وعرض الحر على الحسين أن يتجنب الكوفة، وأنها ليست له بمأمن، لكن رأى الحسين أنه لا بد له منها.

أخرج ابن زياد جيشا لرد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومقاومته، وأمر عليه عمر بن سعد، وقوامه من أهل الكوفة، قيل إن عدتهم أربعة آلاف، وقيل خمسة آلاف، وبالغ البعض فذكر أكثر من ذلك(٣)، فاجتمع الطرفان، فتقابلا وتتابعا وتحاورا، وابن زياد من خلفهما يرصد الطرق، ليمنعه الرجوع أو الشام، وكان مما عرض الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عمر ثلاثة أمور: (إما أن تتركني أرجع كما جئت، فإن أبيت هذه فسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده فيحكم في ما رأى، فإن أبيت هذه فسيرني إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت)(٤)، فعرض عمر الأمر على أمير الكوفة ابن زياد ـ قبحه الله ـ، فلم يرض إلا أن ينزل الحسين على حكمه فأبى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخذ الحسين في هذا الموضع أهبته وتزود وتحصن ما أمكنه، حماية لنفسه وأهله ومن معه، لما رأى من عزم القوم على القتال، ومنعهم لمن يأتيه مؤيدا ومددا، وفتكهم برسله، وممن روي أنه قدم إليه وناصحه الطرماح بن عدي، وأخبره بحال أهل الكوفة، وعرض عليه أن يرجع معه إلى بلاده فيمنعه، فاعتذر إليه وقال: (جزاك الله وقومك خيرا، إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري علام تنصرف بنا وبهم الأمور في

---

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٢٦٣.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ٦/ ٣٢٥- ٣٢٩، والدولَة الأمويَّة عَواملُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار، ١/ ٤٧٦.

(٣) انظر: مرويات عوانة بن الحكم الكلبي في تاريخ الطبري، مقارنة ونقد، ص٢٢٧، وذكر الباحث أن العدد التقريبي لجيش عمر بن سعد خمسة آلاف، ونبه إلى مبالغة ابن أعثم في بلوغ الجيش اثنين وعشرين ألفاً.

(٤) يرويه (أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثني حجاج بن محمدٍ عن أبي مَعْشَر عن بعضِ مشيخته)، البداية والنهاية، ٨/ ١٨٣.

عاقبة)[1].

تباطأ عمر بن سعد في مناجزة الأمر طمعا في أن ينفرج من دون قتال[2]، ولكن أميره ابن زياد ــ بمعونة شمر بن الجوشن ــ امتحنه وشدد عليه، حتى تواجه الطرفان وتقاربا وتدانيا، واجتمعا للصلاة، واجتهد الحسين في صرفهم، ومحاجتهم في حقيقة أمره، ويروى له في ذلك خطب وأخبار، وكان ذلك في تاسوعاء ٦١هـ.

جرى خلال هذه الأيام أمور متفرقة الله أعلم بصحة خبرها، وأغربها ما كان أثناء الاقتتال، ويسوغ كثيراً منها فجيعة المنجازة، ومصيبة القتل؛ فأمر المنجازة يكفي في خبر الطرفين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، لكن يظهر منها هيبة خصوم الحسين من البدء في القتال إلا ممن في قلبه مرض وجفوة وغلظة ونفاق، قبحت من صفات، وقبحت من نفوس قطعت برها بنبيها ﷺ والله سيتولى أمرهم.

مقتل آل أبي طالب (آل الحسين رضي الله عنهم):

مما زاد مصيبة هذه الحادثة مقتل جمع من آل علي مع الحسين، وقتلهم وهم في قلة جعلت هذه المصيبة وكأنها خاصة بهم، ومكيدة بهم، مما نسي معه من قتل أصحاب الحسين وأنصاره، وقد أثنى عدد من التابعين على هؤلاء، وهم من آل علي والحسن والحسين، وآل جعفر، وآل عقيل، وكلهم من آل أبي طالب، وعدة من ذكر ستة عشر رجلا، كما ذكر[3].

---

(١) هذا الخبر من مرويات أبي مخنف، انظر: تاريخ الطبري، ٣ / ٢٦١، وعنه مختصراً: البداية والنهاية، ٨/ ١٨٨، وانظر: الكامل، ٣/ ١٦٠.

(٢) روى ابن سعد في الطبقات أن عمر بن سعد ممن جهز مسلم بن عقيل بعد قتله، وأنه أنفذ وصيته، وقضى دينه، انظر: الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٦٢.

(٣) وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب، ١/ ٣٩٦، بإسناد عن ابن الحنفية أنه قال: (قتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة)، وروي عن الحسن البصري قال: (قتل مع الحسين بن علي ستة عشر رجلًا من أهل بيته، ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبهٌ)، أو (والله ما على ظهر الأرض يومئذ أهل بيت يشبهونهم، قال سفيان: ومن يشك في هذا؟)، انظر: مجمع الزوائد، ٩/ ١٩٨. ذكره مرسلاً، وقيل: إنه قتل مع الحسين من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا.

فمن **آل علي** بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قتل سبعة هم: جعفر بن علي، وعتيق بن علي، ومحمد بن علي[1]، والعباس الأكبر بن علي، وعبد الله بن علي، وعثمان بن علي، وأبو بكر بن علي.

ومن أبناء **الحسن** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قتل: القاسم بن الحسن.

ومن أبناء **الحسين** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قتل ثلاثة: علي الأكبر بن الحسين، وأبو بكر بن الحسين، وعبد الله (الرضيع) بن الحسين.

ومن آل **جعفر** بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قتل اثنان: محمد بن عبد الله بن جعفر[2]، وعون بن عبد الله بن جعفر.

ومن آل **عقيل** بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قتل ــ سوى مسلم ــ ثلاثة: جعفر بن عقيل، وعبد الله بن مسلم بن عقيل، وعبد الرحمن بن مسلم بن عقيل.

مقتل الحسين رضي الله عنه:

في صبيحة عاشوراء بدأ القوم بالقتال، فقتل أكثر الذين كانوا مع الحسين ــ رحمهم الله ــ، وقتل من أهل الحسين ستة عشر رجلا، كما سبق، وهم مع مسلم بن عقيل، والذي سبقهم بشهر، وسليمان مولى من موالي الحسين، يصبحون ثمانية عشر رجلاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورحمهم[3]؛ والعجيب أن روايات أبي مخنف وغيره نقلت قاتل كل واحد منهم، وتفصيل تلك المقاتل، والعبارات التي قيلت عند كل حدث[4]، مما يشك معه في صدقها ويدل على تصنع رواتها.

---

(١) محمد هذا سيكون قطعاً غير محمد بن الحنفية.

(٢) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تزوج زينب بنت علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فولدت له عوناً وعلياً، وماتت عنده، كما تزوج أختها أم كلثوم التي تزوجها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وماتت عنده، فيكون الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خالاً لعون بن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، انظر سير أعلام النبلاء، ١/ ٥١، وفي تاريخ الطبري، ٥/ ٤٦٩، أن أم عون هي جمانة بنت المسيب بن نجبة الفزاري، وذكر الأصفهاني في مقاتل الطالبيين، ص١٢٢، أن عبد الله بن جعفر له عون الأكبر، الذي قتل مع الحسين، وعون الأصغر ابن جمانة الفزارية، وهو خلاف ما ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى، ممتمم الصحابة، طبقة ٥، ٢/ ٦، وابن الأثير في الكامل، ٣/ ١٩٥.

(٣) انظر: المعجم الكبير، ٣/ ١٠٣، وتاريخ الإسلام، ٢/ ٦١.

(٤) انظر: تاريخ الطبري، ٥/ ٤٢٢- ٤٤٧.

قتل مع الحسين اثنان وسبعون رجلا، وقيل اثنان وثمانون[1]، قرابة الثلث منهم من آل الحسين، وبقيتهم ممن ناصر الحسين ورافقه، ومنهم: حبيب بن مظاهر (على الميسرة)، وزهير بن القين (على الميمنة)، والحر بن يزيد الرياحي (كان قائدا في جيش الكوفة ثم تحول إلى الحسين)، ونافع بن هلال[2].

وممن نجا مما تذكره روايات الأخباريين: علي بن الحسين بن علي، و الحسن بن الحسن بن علي[3]، والضحاك بن عبد الله المشرقي.

قتل من جيش عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا، كما ذكر ابن سعد[4]، وقد بالغ بعضهم في عدد القتلى.

قال الذهبي فيمن نجى من القتل: (ولم يفلت من أهل بيت الحسين سوى ولده علي الأصغر، فالحسينية من ذريته، كان مريضا، وحسن بن حسن بن علي وله ذرية، وأخوه عمرو، ولا عقب له، والقاسم بن عبد الله بن جعفر، ومحمد بن عقيل، فقدم بهم وبزينب وفاطمة بنتي علي، وفاطمة وسكينة بنتي الحسين، وزوجته الرباب الكلبية والدة سكينة، وأم محمد بنت الحسن بن علي، وعبيد وإماء لهم)[5].

حمي القتل قرب الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وبين يدي أهله وأصحابه، حتى فني أكثرهم، وروي

---

(١) انظر: العواصم والقواصم، ٨/٤٦: وذكر ابن العربي أن عام مقتل الحسين يُسمى عام الحزن، ولعله نقله عن القرطبي، انظر: التذكرة، ص١١١٨.

(٢) انظر: الأعلام، للزركلي، ٨/ ٦.

(٣) الحسن كان أخا إبراهيم بن محمد بن طلحة لأمه: خولة بنت منظور، وتزوج فاطمة بنت الحسين، وعرف هو أو ابنه الحسن – رحمها الله– بالشدة على الرافضة، قال الفضيل بن مرزوق سمعته يقول لرجل ممن يغلو فيهم ويحكم أحبونا لله فإن اطعنا الله فأحبونا وأن عصينا الله فأبغضونا...، وسمع الحسن يقول لرجل من الرافضة: إن قتلك لقربة إلى الله عز وجل، فقال له الرجل: إنك تمزح، فقال: والله ما هذا بمزاح، ولكنه مني الجد، وهو جد محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية، مات سنة ٩٩هـ، انظر: الطبقات الكبرى، ٥/ ٢٤٥، تاريخ دمشق، ١٣/ ٦٧، وتهذيب التهذيب، ٢/ ٢٦٢.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٧٥.

(٥) سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٠٣.

في ذلك أخبار كثيرة وأهوال فظيعة، منها قصة حرق الحسين للخندق من خلف خيامه، ليحمي أهله من خلفهم[1]، إن صح بعضها فهو كاف في رباطة جأش الحسين، وشجاعته وعظيم صبره، مما يذكر بأبيه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويجعله من نوادر الرجال، مما افتتن بأمره أقوام، حتى قيل: (فما رأينا مكثورا قط أربط جأشا منه)[2]، أي: ما رأينا مقهورا أجرأ إقداما منه[3].

بعد أن أصيب الحسين وجرح عدة جروح، وهو يمتنع بنفسه عنهم، حتى بلغت المصيبة ذروتها، وذهل آل الحسين حين وقع الهول، وقتل الحسين، رضي الله عنه وأرضاه، ورحمه رحمة الأبرار الصادقين، ورحم من معه من الصادقين.

رأس الحسين رضي الله عنه:

قتل الحسين واحتز رأسه، وأحضر إلى دار الإمارة إلى ابن زياد قبحه الله، وقد روي في الصحيح وغيره ما جرى في مجلسه من فجوره، وإنكار بعض الصحابة والتابعين عليه، مما ليس هذا موضع ذكره[4]، وحيث لم تنقل طريقة دفن جسد الحسين بإسهاب، وهل كان الرأس معه أو لا؟ لذا اختلف في أمر الرأس، هل بقي مع الجسد في الكوفة، أم نقل عنها، ومن قال بانتقاله منها ذكر لمواضع انتقاله عدة أقوال، وذلك في كلام يطول عرضه هنا، وممن أفرده في الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ، وأشار أهل العلم إلى عدة أقوال في موضع رأس الحسين[5]، وملخصها كما يلي:

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ٥/ ٤٢٢، وهو عمل يقوم الرافضة بتمثيله ومحاكاته في عاشوراء، لاستذكار المصيبة والأهوال، واستجلاب النوح والبكاء والحزن.

(٢) الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٧٣.

(٣) المكثور: المغلوب المقهور، وذلك لكثرة أعدائه وطالبيه من حوله، ونفاذ ما لديه نحوهم، انظر: تهذيب اللغة، ١٠/١٠٢، مادة: الكاف والثاء، كثر، والصحاح، ٢/ ٨٠٢- ٨٠٤، مادة: كثر، ولسان العرب، ٥/ ١٣٣، مادة: كثر.

(٤) انظر ص١٩٤ من البحث.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٢٧/ ٤٥٠- ٤٩٣، وقد أفردت رسالة ابن تيمية باسم: رأس الحسين، وهي منتزعة من الفتاوى، ومعها مقتل الحسين لابن جرير الطبري، ورأس الحسين في الصفحات ما بين: ١٧٥- ٢١٥، وانظر: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص٣٠٦- ٣٢٥، والدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ١/ ٥٠٥، وريحانة النبي ﷺ الحسين بن علي، ص١٢١- ١٣٤،.د. حامد محمد الخليفة، ط١، ١٤٢٩هـ، دار القطوف – الأردن.

١ – أنه في كربلاء[١]: قرب الكوفة، دفن مع جسد الحسين، إما بعد حمله إلى قصر الإمارة، وإما على القول بأنه أعيد من الشام هو وبقية رؤوس أصحابه، وهو ما يزعم بعض الشيعة أنه وافق العشرين من صفر، أي في يوم الأربعين، وفيه بعد، ويعرف عند أهل العراق بيوم مرد الرؤوس، وهو معظم عندهم للزيارة، وقد يسمونه: عاشوراء الصغرى، كما سيأتي في شعائرهم، في الباب الثاني.

٢ – أنه في مشهد النجف، وهو قول لبعض الإمامية، ولهم عنده زيارة للحسين[٢].

٣– أنه في الرقة[٣]، وهي من أرض العراق، وانفرد بذكر هذا سبط ابن الجوزي.

٤ – أنه في دمشق، أرسل مع بقية الحسين عند يزيد، وأنه دفن هناك، في موضع يعرف بمسجد الرأس، بباب الفراديس، وهذا القول فتح لمواضع أخرى في الشام، واستحسن ابن كثير الدمشقي القول أن الرأس نقل إلى الشام، لشهرته، ولكنه قبل ذلك قال: (الصحيح أنه لم يحمل إلى الشام)[٤].

٥ – أنه في عسقلان[٥]، وهي غرب الشام، من أعمال فلسطين[١].

---

(١) كربلاء: موضع مقتل الحسين، وهو قرب الكوفة، سمي بذلك إما من الكربلة أي الغربلة، فهي أرض نفية، أو من الرخاوة، أو على اسم شجر الكربل، وهو الحماض. انظر: معجم البلدان، ٤/٤٤٥.

(٢) كما في كتب المزار الشيعية انظر: فرحة الغري، ص١٠ .١١، ٦٥، ٨٦، عبد الكريم بن طاووس، ت/٦٩٣هـ، ت. تحسين آل شبيب، ط١، ١٤١٩هـ، مركز الغدير – بيروت، وبحار الأنوار، ٩٧ / ٢٣٨، ٩٨/ ٢٥٦، ٢٥٧، وهو قول غريب، ومثله في الغرابة ما نقل المناوي عن الإمامية أنهم يقولون: (الرأس أعيد إلى الحبشة، ودفن بكربلاء بعد أربعين يوما من القتل)، فيض القدير، ١/ ٢٠٥،، ولم أفهم عبارته لغرابتها، ولعل فيها تصحيف، أو أن الحبشة اسم لموضع في العراق، كما أنه اسم لموضع قرب مكة.

(٣) الرَّقَّةُ: بفتح أوّله وثانيه وتشديده، وأصله كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء، وهي مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حرّان ثلاثة أيّام، معدودة في بلاد الجزيرة لأنّها من جانب الفرات الشرقيونسب إليها جماعة من أهل العلم. والرّقة: البستان المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد وهي بالجانب الغربي، انظر: معجم البلدان، ٣/ ٥٨– ٦٠.

(٤) البداية والنهاية، ٨/ ١٧٨، ٢٢٢.

(٥) عَسْقَلانُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم قاف، وآخره نون، وعسقلان في الإقليم الثالث من جهة المغرب، وهو اسم أعجميّ، وقيل عربي، والعسقلان أعلى الرأس، وهي بالشام من أعمال فلسطين، على البحر بين غزة وبيت جبرين، ويقال لها: عروس الشام، وقد نزلها الصحابة والتابعين، وعسقلان –أيضا– من قرى بلخ، أو محلة فيها، انظر: معجم البلدان، ٤/ ١٢٢.

(١) ممن يميل إلى قوة هذا القول المناوي، انظر: فيض القدير، ١/ ٢٠٥.

٦- أنه في حلب[١] من بلاد الشام، وكانت عاصمة الدولة الحمدانية الشيعية، ولعل هذا من صنيعهم، وهو موضع عرض له ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ولم يذكر قائله، مهملا له، وكأن هناك من ذكر مواضع غيره في الشام[٢].

٧- أنه في القاهرة، وهو ما يعرف بالمشهد الحسيني، وزعموا أنه نقل من عسقلان أيام الدولة العبيدية، وهو كذب وباطل، كما سيأتي في الباب الثاني، بإذن الله.

٨- أنه في المدينة النبوية، أعيد مع بقية الحسين، ودفن في البقيع بجوار قبر أمه فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وروي أن يزيد كتب إلى نائبه عمرو بن سعيد بذلك، وهذا القول ينسب إلى الزبير بن بكار نسابة قريش، ولذا رجحه القرطبي صاحب التفسير[٣]، وشيخ الإسلام ابن تيمية، لكنه ذكر عن أبي الخطاب بن دحية الكلبي في كتابه الملقب بالعلم المشهور في فضائل الأيام والشهور، أن الذين صنفوا في مقتل الحسين أجمعوا على أن الرأس لم يغترب[٤]، وهذا القول يوحي بترجيح القول الأول، لا هذا القول.

سبق أن الشعبي قال إن رأس الحسين أول رأس حمل في الإسلام[٥]، والله أعلم، ومن عجائب ما روى المؤرخون في هذا الباب عن عبد الملك بن عمير قال: (دخلت على عبيد الله بن زياد، وإذا رأس الحسين قدامه على ترس، فوالله ما لبثت إلا قليلا حتى دخلت على المختار، فإذا برأس عبيد الله بن زياد على ترس، فوالله ما لبثت إلا قليلا حتى دخلت على مصعب بن الزبير، وإذا رأس المختار على ترس، فوالله ما لبثت إلا قليلا حتى دخلت على عبد الملك بن مروان، وإذا رأس مصعب بن الزبير على ترس)[١].

خبر رأس الحسين نموذج بارز لما اعترى خبر مقتله من وضع وتزيد من قبل الرواة.

---

(١) حَلَب: بالتحريك من عواصم الشام المشهورة، انظر: معجم البلدان، ٢/ ٢٨٢- ٢٩٠.

(٢) مجموع الفتاوى، ٢٧/ ٤٦٩، ٤٨٣.

(٣) التذكرة (بأحوال الموتى وأمور الآخرة)، ص١١٢٢، القرطبي، ت/ ٦٧١هـ، ت. د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط١، ١٤٢٥هـ، مكتبة دار المنهاج - الرياض.

(٤) مجموع الفتاوى، ٢٧/ ٤٦٨.

(٥) سبق ١٦٢ من البحث، وهو من رواية الواقدي.

(١) المعجم الكبير، للطبراني، ٣/ ١٢٥، برقم: ٢٨٧٧.

المطلب الرابع

من قتل الحسين

قتـل الحسـين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ واختلـف في قاتلـه ومـن بـاشره، ولـيس في تعـدادهم شرف[1]، وكذلك فيمن قتل كل واحد من أهله وأصحابه، ولكن أشدهم حرصا على قتل الحسين بعض الكبراء في ذلك الزمن، الذين أذلهم الله بصنيعهم، وكانت عواقبهم وخيمة، فلم يهنئوا بعد ذلك بعيش، واختلف الناس في تحديد القاتل والمتسبب في القتل[2]، لما ارتبط بذلك من تسويغ ما جرى بعدها من أحداث، ومن الحكم على ولاية يزيد، والحكم على شخصه وكفره وإيمانه، ولعنه وذمه، أو السكوت عنه، وعلى حكم صنيع الحسين واجتهاده، وهل يدخل ضمن النصوص المجيزة لقتل الخارج على جماعة المسلمين، وكذلك حكم أخذ الثأر من قتلته، وكذلك الحكم على من شارك في القتل أو حضره من شيعته.

لحساسية الإجابة على هذا السؤال اضطربت المواقف منه، ولاختلاف وتداخل الأصول

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٧٥، وتاريخ الطبري، ٥/ ٤٥٥.

(٢) عنوان (من قتل الحسين) عنوان تجدد في الكتابات الحديثة، من خلال الكتب والمقالات والخطب، ومن الدراسات السنية التي تناولت هذا الجانب ما يلي: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، للدكتور محمد الشيباني، ص٢٨٧- ٣٠٥، تحت عنوان: من المسؤول عن قتل الحسين، وذكر منهم ثلاثة، واستشهاد الحسين رضوان الله عليه بين الحقائق والأوهام، للدكتور علي محمد الصَّلاَّبي، وأصله فصل من كتابه: الدولة الأمويَّة عَوامِلُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار، ١/ ٤٥٦- ٥٢٤، طرح هذا العنوان: ١/ ٤٨٤- ٤٨٨، باسم: من المسؤول عن قتل الحسين، والوجيز المفيد في تبيان أسباب ونتائج قتل عثمان بن عفان، مصطفى يونس الراقي الفاخري، بحث أكاديمي مقدم في قسم التاريخ بجامعة قار يونس - إجدابيا، ٢٠٠٥م، وفي ص٦٠، تناول هذا العنوان، وأشهر الكتب المعاصرة في هذا الجانب كتاب: من قتل الحسين، لعبد الله بن عبد العزيز، والكتاب وإن حمل هذا العنوان إلا أن غالبه في الرد على البدع المحدثة في عاشوراء عند الرافضة الإمامية، وفي ص٤٣- ٥٠، تطرق للإجابة على هذا السؤال من خلال كتب الإمامية، وأورد إدانة الشيعة لأهل الكوفة، وأنهم قتلة الحسين، ولهذا العنوان صدى عند الإمامية المعاصرة، إما تأسيساً، أو رداً، ومن ذلك كتاب: لله وللحقيقة، لعلي آل محسن، وفي ص٦٨، دافع عن اتهام الشيعة بقتل الحسين، كما أنه لم تخل كتابات أخرى من هذا العنوان، ولكن المقصود بروزه بشكل مستقل في الفترة الأخيرة، والشيعة سبقوا بإحياء هذا العنوان تحت عبارة (مقتل الحسين)، ونحوها، وقد خصصت لكتب المقاتل مطلباً خاصاً في الباب الرابع.

والمنطلقات العقدية لدى الفرق التي تناولت الحدث أثر كبير في ذلك، وعموم من ذكر من القتلة وصف بالنصب والعداوة لعلي وآله[1]، ولكن يمكن حصر قاتلي الحسين فيمن يلي:

١ - المباشرين لقتله، والمحتزين لرأسه، وحامليه إلى ابن زياد، وهم بضعة أشخاص من جيش الكوفة، قتلوا في السنوات التالية لصنيعهم القبيح، وروي عن بعضهم عقوبات وغرائب بسبب صنيعهم، ومنها ذمهم من المقربين لهم، وخوفهم من مخالطتهم مع انتظار عقوبتهم، فالله ينتقم لعبده ووليه المظلوم.

٢ - عبيد الله بن زياد[2]، أمير الكوفة، وأشد المتهمين في قتل الحسين، ولم يبرئه أحد من جرم القتل[3]، لأنه لم يقبل الصلح والعرض الذي قدمه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكربلاء، ولم يذكر عنه حرص على حقن دم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإكرام عرضه وشرفه ومن معه من آل النبي ﷺ، ولم يسلك فقه البغي مثل ما أعلنه من سبقه في إمارة الكوفة، وابن زياد قتله إبراهيم بن مالك بن الأشتر من قبل المختار الثقفي، سنة ٦٧هـ.

٣- شمر بن ذي الجوشن الضبابي الكلبي[4]، تولى قسما من جيش الكوفة، وهو من أقبح

---

(١) انظر: النصب والنواصب، ص٣٣- ٣٤٥.

(٢) أبوه زياد بن أبيه عبيد الثقفي، ويقال زياد بن سمية، وهي مولاة، ونسبه معاوية إلى أبي سفيان، وزياد من ولاة علي، وولاة معاوية، وأما ابنه عبيدالله فقد ولد سنة ٣٣هـ، وولي البصرة سنة ٥٥هـ، وعمره ٢٢ سنة، وعمره حين قتل الحسين ٢٨ سنة، وقتل وعمره ٣٤ سنة، وجمعت له الكوفة أكثر من مرة، أمه مرجانة من ملوك الفرس، وقيل إنها مجوسية، تولى كبر قتل حجر بن عدي، بعد موت يزيد فر إلى الشام عام ٦٤هـ، وبايع مروان وجاء بجيش لقتال أهل العراق، فقاتل التوابين في عين الوردة، ٦٥هـ، فانتصر، وبقي معتلاً سنة إلى أن جهز له المختار ابن الأشتر فقتله يوم عاشوراء عام ٦٧هـ، وبعث برأسه لابن الزبير، أو لآل البيت، انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٩٤، ٥٤٥- ٥٤٩، والبداية والنهاية، ٨/ ٣١٢- ٣١٥.

(٣) انظر: الكامل، ٣/ ٣٢٧.

(٤) شمر بن ذي الجوشن بن شُرَحبيل بن الأعور بن عمر بن معاوية، أبو السابغة الضبابي الكلبي، أبوه التقى بالنبي ﷺ، كان أبرصاً، وله بقية في الأندلس، كان يروي الحديث بالكوفة، انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٥٩٨، وتاريخ الطبري، ٥/ ٤٢٢، والوافي بالوفيات، ١٦/ ١٠٥، ولسان الميزان، ٣/ ١٥٢، والأعلام، ٣/ ١٧٥.

أهل الكوفة صنيعا، إذ هو المحرض المباشر على القتل، والمشير به على ابن زياد[1]، قتله المختار الثقفي[2].

٤- أهل الكوفة (العراق)، وقد كانت صفوفهم مختلطة، وكان بينهم شيعة صادقون في تشيعهم، كما كان بينهم بقية نواصب وسبئية، وخوارج ظهروا فيما بعد، وأشد من يلام منهم من بايعوا الحسين، وعاهدوه على النصرة والموت، وخذلوا رسوله أول الأمر، ثم خذلوه ثانيا، بعد أن كتبوا له الكتب، واستعجلوه على الخروج والقدوم إليهم، وقد سبق أنهم يصلون ثمانية عشر ألفا، وهم من بايعوا مسلم بن عقيل، وهذا العدد وإن كان فيه مظنة المبالغة[3] فليس الأمر معلقاً بعوام الناس، وإنما بأشرافهم، وقد سبق أن مما تعاهدوا عليه وكتبوه: (ونقتل أنفسنا دونه)، كما جاء في كتاب أرسل (من سليمان بن صرد، والمسيب ابن نجبة، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة)[4].

٥- جيش الكوفة (جيش عبيدالله بن زياد)، وأغلبه من أهل الكوفة، ولذا عظم الذم لهم، كما عظمت الفتنة بعد ذلك بينهم وبين من لم يشارك من شيعة الكوفة.

---

(١) قال ابن حجر: (ليس بأهل للرواية، فإنه أحد قتلة الحسين رضي الله عنه، وقد قتله أعوان المختار، روى أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، قال كان شمر يصلي معنا، ثم يقول: اللّهم إنك تعلم أني شريف فاغفر لي، قلت: كيف يغفر الله لك، وقد أعنت على قتل ابن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، قال: ويحك: فكيف نصنع إن أمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنا شراً من هذه الحمر الشقاء، قلت: إن هذا لعذر قبيح، فإنما الطاعة في المعروف. انتهى)، لسان الميزان، ٣/ ١٥٢، وذكر ابن عبد البر -رضي الله عنهما- في كتابه بهجة المجالس وأنس المجالس: أن صنيع هذا القبيح جاء في رؤيا للنبي ﷺ، وأنه: (قيل لجعفر بن محمد - يعني الصادق - كم تتأخر الرؤيا؟ فقال: رأى النبي ﷺ كأن كلباً أبقع يلغ في دمه، فكان شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين رضي الله عنه وكان أبرص فكان تأخير الرؤيا بعد خمسين سنة)، نقلها عن ابن عبد البر ابن فرحون المالكي، في ترجمة ابن عبد البر، انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ٢/ ٣٦٨، ابن فرحون اليعمري، ٧٩٩هـ، ت. د. محمد الأحمدي أبو النور، بدون تاريخ الطبع، دار التراث - القاهرة.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ٦/ ٥٢- ٥٣، ومنهاج السنة، ٤/ ٥٠٥- ٥٠٦، والعواصم والقواصم، ٨/ ٢٥، ٢٦.

(٣) انظر: ريحانة النبي ﷺ الحسين بن علي، ص٨٦.

(٤) تاريخ الطبري، ٣/ ٢٣٤، وسبق ص١٧٠ من البحث.

٦- عمر بن سعد بن أبي وقاص[1]، قائد جيش الكوفة، وقيل إنه كان على رأس جيش، فصرفه ابن زياد إلى قتال الحسين، ومناه وأغراه، وكان أهل الكوفة يتهمونه بالقتل[2]، ولا شك أنهم هم ــ أيضا ــ متهمون، واختلف في عذره وقبوله، لكونه ظهر منه كره وتردد وندم وإحسان[3]، ولكنه قد قتله المختار سنة ٦٦هـ، في موقعة جبانة السبيع، بعد أن أعطاه أمانا سعى به أحد أهل الكوفة، في قصة معروفة عند المؤرخين، وقتل المختار معه ابنه حفصاً، وروي أنه جعلهما بالحسين وبعلي بن الحسين، وبعث بهما إلى محمد بن الحنفية[4].

تحتفل الإمامية ـ أو بعضهم ـ بيوم مقتل عمر بن سعد ــ على وجه الخصوص، ويسمون هذا اليوم بـ(عيد الزهراء)، يزعمون أنهم يعزون فيه فاطمة رَحِمَهَا اللَّهُ بابنها الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[5].

٧- يزيد بن معاوية، وبعض أعوانه من كبار بني أمية، وخاصة ابن زياد، ونقل الذهبي من قول يزيد: (لعن الله ابن مرجانة ـ يعني عبيد الله ـ، فإنه أحرجه، واضطره، وقد كان سأل أن يخلي سبيله أن يرجع من حيث أقبل، أو يأتيني، فيضع يده في يدي، أو يلحق بثغر من

---

(١) عمر بن سعد الزهري، ولد آخر حياة عمر، بقي بعد مقتل الحسين بالكوفة حتى موت يزيد، ومبايعة أهلها لابن الزبير، وعامله عبد الله بن يزيد الخطمي، وحين جاء المختار وظهر بالكوفة، وترك ابن الزبير، وأراد أن يستميل الشيعة قتل ضمن قتلة الحسين، وقتل ومعه ابنه حفص عام ٦٧هـ، انظر: الثقات، للعجلي، ص٣٥٧، والبداية والنهاية، ٨/ ٢٧٤.

(٢) انظر: الاستيعاب، ١/ ٣٩٣، وذكر ابن عبد البر كلاماً أن بعض المحدثين يروي أن عمر لم يقتل الحسين، وجرحه أهل الحديث بصنيعه، والغريب أن النسائي أخرج له في سننه، وانظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، ٦/ ١١١، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص١١١٨، وسير أعلام النبلاء، ٤/ ٣٤٩- ٣٥٠، وتهذيب التهذيب، ٧/ ٤٥٠- ٤٥٢.

(٣) من ذلك إحسانه إلى مسلم بن عقيل وتجهيزه، وإبلاغ وإنفاذ وصيته وخبره إلى الحسين شفقة من مقتله، ومنه ذمه لمن حمل إليه رأس الحسين، وإحسانه إلى بقية الحسين، وقبله تلكأ في تنفيذ أوامر ابن زياد، واستشارته الناس في الأمر، ولكن غلبه الخوف والطمع، والتعلق بالدنيا وحب الإمارة انظر: البداية والنهاية، ٨/ ٢٠٥، والدولة الأموية، ١/ ٤٧٦.

(٤) روي أن أبا جعفر مُحَمَّد بن علي – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– يقول: (أما أمان المختار لعمر بن سعد: إلا أن يحدث حدثا، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحدث)، تاريخ الطبري، ٦/ ٦٠- ٦١.

(٥) سيأتي – بإذن الله– ص١٠٩٠ من البحث.

الثغور، فأبى ذلك عليه وقتله، فأبغضني بقتله المسلمون، وزرع لي في قلوبهم العداوة)[١]، واختلف في أمره ومسؤوليته عن قتل الحسين، ومع ما ذكر عنه من ندمه ولعنه لابن زياد وإحسانه إلى بقية الحسين الذين وفدوا إليه، وسعيه من قبل مع أعيان بني هاشم لتجنب قتله، وغير ذلك مما يتفق مع حال من يريد حفظ ملكه وشرفه، ويتوافق مع سياسية أبيه من قبل؛ مع ذلك كله فإنه قتل لأجل ولايته، وفي أولها، ولذلك استحضر.له بلسان الحال أو المقال مقولة قالها جده أبو سفيان من قبل: (لم آمر بها، ولم تسؤني)[٢].

الكلام حول يزيد ليس هو مقصود البحث، لكن بعض العلماء استدل من بعض الأحاديث على جواز لعنه، لقطعه الرحم، وكونه أخاف أهل المدينة، وقد روى الإمام أحمد عن السائب بن خلاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن الرسول ﷺ قال: **«من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا»**[٣]؛ وروى زيد بن أسلم، عن جابر بن عبد الله: **«من أخاف أهل المدينة، فقد أخاف ما بين جنبي»**[٤].

قال ابن كثير ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ: (وقد استدل بهذا الحديث وأمثاله من ذهب إلى الترخيص في لعنة يزيد بن معاوية، وهو رواية عن أحمد بن حنبل، اختارها الخلال، وأبو بكر عبد العزيز، والقاضي أبو يعلى، وابنه القاضي أبو الحسين، وانتصر.لذلك أبو الفرج بن الجوزي في مصنف مفرد، وجوز لعنته[١].

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٣ / ٣١٧.

(٢) انظر: البخاري، ح/ ٢٨٧٤، وفيه قول أبي سفيان يوم أحد: (يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثلة، لم آمر بها ولم تسؤني)، وانظر: البداية والنهاية، ٤/ ٢٨.

(٣) أحمد، ح/ ١٦٥٥٧، ١٦٥٥٩، ١٦٥٦٥، وهو مروي في غيره وصححه شعيب الأرناؤوط، والألباني في: السلسلة الصحيحة، ٥/ ٣٨٢، ٦/ ٣٧٢، وصحيح الجامع الصغير وزيادته، ٢/ ١٠٣٦، برقم: ٥٩٧٨.

(٤) أحمد، ح/ ١٤٨١٨، ١٥٢٢٥، وقال ابن كثير: (قال الدارقطني: تفرد به سعد بن عبد العزيز لفظا وإسنادا)، البداية والنهاية، ٨/ ٢٤٤- ٢٤٥.

(١) ابن الجوزي ردَّ في كتابه على معاصره الشيخ عبد المُغِيثِ الحَربِيِّ؛ فإنه كان ينهى عن لعن يزيد، وكتب في ذلك، وحكي لَه موقف مع الخليفة الناصر بسبب كتابه، انظر: منهاج السنة، ٤/ ٥٧٤.

ومنع من ذلك آخرون، وصنفوا فيه أيضا، لئلا يجعل لعنه وسيلة إلى أبيه أو أحد من الصحابة، وحملوا ما صدر عنه من سوء التصرفات على أنه تأول وأخطأ، وقالوا: إنه كان مع ذلك إماما فاسقا، والإمام إذا فسق لا يعزل بمجرد فسقه، على أصح قولي العلماء، بل ولا يجوز الخروج عليه، لما في ذلك من إثارة الفتنة، ووقوع الهرج وسفك الدماء الحرام، ونهب الأموال، وفعل الفواحش مع النساء وغيرهن، وغير ذلك مما كان واحدة فيها من الفساد أضعاف فسقه، كما جرى مما تقدم إلى يومنا هذا)[١].

ابن كثير كغيره من أهل السنة الذين احتاروا وتوقفوا في يزيد مع كراهتهم الشديدة لصنائعه، وحبهم الشديد للحسين، وكان ذلك لكثرة الكذب من الأخباريين والرواة، ولذلك تأول ابن كثير ما سبق من خلاف العلماء، وقال حول ما نسب إلى يزيد من التشفي: (فهذا إن قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه)[٢].

مثله ما سبق قول الذهبي ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ــ في لعن ابن زياد وأمثاله من اقترفوا هذا الجرم: ابن زياد: (قلت: الشيعي لا يطيب عيشه حتى يلعن هذا ودونه، ونحن نبغضهم في الله، ونبرأ منهم ولا نلعنهم، وأمرهم إلى الله)[٣].

خطورة الكلام حول يزيد ليس لأجل تبرئته، بل لما يترتب على ذلك من كلام حول أصول الفرق والطوائف حول ولاية مثله والخروج عليه، ويتضح ذلك بمعرفة موقف السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كما سيأتي ـ بإذن الله ـ في المبحث التالي.

موضوع قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد يتهم فيه ــ بغير برهان ــ غير هؤلاء، كالمؤيدين لخروجه، مثل ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسنعرف ــ فيما بعد ــ: هل انتقم ابن الزبير من قتلته؟ كما أنه لم يقل أحد من أهل العقول والحجى أن غير هؤلاء ينسب إلى قتل الحسين، كما أن من

---

(١) البداية والنهاية، ٨/ ٢٤٤- ٢٤٥.

(٢) البداية والنهاية، ٨/ ٢٤٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٣/ ٥٤٥- ٥٤٩.

نسب جمهور المسلمين، ـ أو أحدا غير هؤلاء ـ إلى القتل فإنما يريد فتنة بين المسلمين[1]، ومن ظن بمحبي الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذين كرهوا خروجه وخالفوه قبل مقتله سوءا فإنما يريد الاستئثار بأمر لنفسه، فأنزله تحت راية حب الحسين؛ وإلا فلن يتهم في حبه طائفتان: جمهور المسلمين ممن أشفقوا من فتنة المقتل قبل وقوعها، وبعض أهل الكوفة من شيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن لحق بالحسين، أو سعى بعد مقتله ندما للثأر من قتلته، على أن تمييز الصادق منهم صعب على الناس، لشدة وقع الفتنة، واختلاط صفوف الكوفة ببقايا السبئية والخوارج، وجرى ضياع التحقيق في مقتل الحسين لأنه أتبع بفتن أخرى وبغي، سالت فيها دماء كثيرة بين المسلمين، وكأن حال مقتله كحال الاختلاف على مقتل عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**تقتلك الفئة الباغية**»[2]، وسيأتي مزيد إيضاح عند الحديث عن موقف السلف من مقتل الحسين، في المبحث التالي، إن شاء الله.

---

(١) جرى خلاف بين الزيدية في عمال وولاة بني أمية الذين لم يتهموا بالقتل، وإنما بإعانة بني أمية في عموم ولايتهم، وممن أطال النقاش في هذه المسألة ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه القيم: العواصم والقواصم.

(٢) مسلم، ح/ ٢٩١٦، وانظر: مجموع الفتاوى، ٢٥/ ٣٠٢، فقد ذكر شيخ الإسلام أن الحسين: (قتلته الطائفة الظالمة الباغية، وأكرم الله الحسين بالشهادة) وانظر رواية مشابهة لها حول الحسين ص٦٨٢ من البحث.

المبحث الثاني

موقف السلف من عاشوراء الحسين رضي الله عنه

وفيه:

تمهيـــــــــد.

المطلـــــب الأول: مواقف الصحابة من خروج الحسين رضي الله عنه.

المطلـــب الثـــاني: موقف الصحابة من استذكار المقتل.

المطلـــب الثالـــث: وقفات حول موقف السلف.

تمهيد

عاشوراء الحسين مصطلح حديث يعبر عنه عند الشيعة عن يوم مخصوص ارتبط مع عظمته أنه يوم قتل فيه الحسين، وهو يوم من أيام الله، وازداد غلو الإمامية الاثني عشرية فيه حتى جعلوا مقتل الحسين هو أساس عاشوراء، وتسبب لهم هذا التصور بكثير من البغي العقدي والعملي، وهو عرضة للتكرر والتفاعل بداية كل سنة هجرية، بسبب استذكاره وإحيائه، فضلا عن إقامة المآتم والمواكب وإعلان الحداد فيه؛ ويحسن بنا أن نتعرف على موقف سلف الأمة من الصحابة والتابعين من الحادثة واستذكارها، وخاصة في الفترة القريبة من المقتل، ومن المفترض أن يكون هذا الموقف مجلياً ومؤكداً لموقفهم السابق من خروجه.

الحديث عن حقيقة خروج الحسين وظروفه يطول بسط الكلام عنه، لكنني أشير إلى أن أهل العلم والباحثين ذكروا أسباب خروج الحسين، وهي غير كافية في تصور هذه الحادثة، والحكم عليها، كما أنه ليس منها رأي أهل المشورة والخبرة ورضاهم، أما ترك الحسين للبيعة فباعثه: أن ولاية يزيد وقعت من غير رضى ومشورة تامَّين، وأن فيه عهداً للابن، خلافاً لما كان عليه الشيخان من قبل[1]، أما خروج الحسين إلى العراق وقبول بيعة أهله وطلبهم فمن الأسباب التي ذكرت له ما يلي:

١. إرادة الله، مع محاولة الاعتذار للحسين والصحابة والتابعين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا من التعلق بالقدر، وهو غير داخل في مجال البحث إلا كمخرج لخفاء عذر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢. سبب خفي غير مشهور، لم يصرح به الحسين في مباحثة الناصحين له بعدم الذهب إلى العراق، وإن كان هذا السبب يفهم من خبر بعضهم، وينتظم في ثلاثة أمور: (رؤيا، واستخارة، ونعي)، ففي خبر عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذكر الحسين أنه رأى النبي

---

(١) راجع ص١٦٤ – ١٦٨ من البحث، وجاء ما ذكر خلافاً لما يذكره البعض أنه من شروط الصلح بين الحسن ومعاوية –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

في المنام، إليه الحسين: (وأمرني بأمرٍ أنا ماضٍ له، ولست بمخبرها أحدا حتى ألاقي عملي)[1]؛ ولكنه لم يخبر بماذا أوصاه، فضلاً أن الانفراد في خبر الرؤيا يشكك في صحتها، خاصة أن غالب النصائح اتجهت لأمر واحدٍ، وهو عدم صلاح العراق لمراده، لما سبق من تجربة أبيه لهم، ولم يعتذر للناصحين بالرؤيا المذكورة، إضافة إلى أن الخبر يخالف ما اشتهر عن ابن جعفر من سعيه بالأمان للحسين من يزيد؛ ومثله خبر الاستخارة[2]، وكذلك خبر النعي الوارد عن أم سلمة، وعن عمرة بنت عبدالرحمن[3]، وأصحها ما ورد عن ابن عباس[4]؛ فكل هذه الثلاثة فيها اعتذار للحسين، لكنها لا تكفي في تسويغ اجتهاد الحسين ومعرفة مستنده في مخالفة من نصحه من الصحابة والتابعين؛ وأقوى هذه الثلاثة خبر النعي، لكنه يصلح مستنداً لاختيار الحسين أن يتجنب القتال في الحرم، وهو ما حمده عليه ابن عباس[5]؛ وهذا السبب قد يرجع إلى السبب الأول، فكأنه تفسير له[6].

٣. السبب الواقعي، وهو أن يزيد سيتعقب الحسين ويكرهه على البيعة، ليقطع الطريق على أهل الكوفة، فرغب الحسين عن الحرم أن يكون موضع فتنة، كما حرص على اغتنام حال أهل الكوفة وحماسهم، قبل تغيرهم، وخاصة بعد كتاب سفيره إليهم، وأنسه برغبتهم واستعدادهم[7]؛ وهذا سبب لاستعجال الحسين في وقت الخروج، لا أنه سبب لأصل الخروج.

---

(١) تاريخ دمشق،١٤/ ٢٠٩، والبداية والنهاية، ٨/ ١٧٦، ١٨١.

(٢) تاريخ دمشق،١٤/ ٢٠٩، والبداية والنهاية، ٨/ ١٧٦، ١٨١.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، طبقة ٥، ١ / ٤٤٦. وفيه أن الحسين يقتل في أرض بابل (العراق).

(٤) حول صحة خبر النعي انظر ص٦٨٥ من البحث.

(٥) يفهم هذا من تشديد ابن عباس على ابن الزبير وبني أمية لقتالهم في الحرم، كما في البخاري، ح/ ٤٣٨٨، فقال: (معاذ الله، إن الله كتب ابن الزبير وبني أمية محلين، وإني والله لا أحله أبدا)، وانظر: فتح الباري، ٨/ ٣٢٨.

(٦) لم أقف على من نص على كونه سبباً، لكن ذكره هنا اجتهاد مني في استقراء الأسباب المحتملة لاجتهاد الحسين.

(٧) انظر: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، الشيباني، ص٢٤٠.

٤. قلب الحكم من الشورى إلى الملك الوراثي، وانقلاب الحكم وتوريثه برز وتأكد جلياً بعد يزيد، وفي عهد مروان وأبنائه[١]، ومثله من يجعل سبب قبول الحسين بيعة أهل العراق وخروجه إليهم هو جزمه بفساد ولاية يزيد، ولعل هذا حمل للحسين على ما آلت إليه ولاية يزيد، لأن الأصل هو اعتراضه على طريقة الولاية، ومخالفته لهدي الخلفاء الراشدين من قبل؛ كما أن هذا السبب ليس مشهوراً كعذر للحسين في اجتهاده عند من ناصحوه، أو خرجوا على يزيد زمن الحرة، فلم يحتجوا بمثل ما ذكر.

وبعد: فهذه الأسباب هي محاولة لتوصيف اجتهاد الحسين في قبوله بيعة أهل العراق، وذهابه إليهم، وهي مما يؤكد خفاء عذره، مع إجلاله بما ورد من فضله، وهذا ما كان عليه أقرانه ومعاصروه من الصحابة والتابعين، وإن كان استقر الأمر فيما بعد على ترك مثل اجتهاده لتحقق ما كان يحذره مخالفو الحسين[٢]، وليس المقام لتقرير هذه المسألة، وإنما هي مدخل لبيان مواقف الصحابة.

---

(١) انظر: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، الصلابي، ١/ ٤٥٧- ٤٥٨، وما ذكره الصلابي لعله استنتجه من كلام ابن خلدون، حول انقلاب الخلافة إلى الشورى (تاريخ ابن خلدون، ١/ ٢٥٣- ٢٦١)،، كما أن الدكتور علي الصلابي وفقه الله اجتهد في الاعتذار للحسين، ومن ذلك أنه جعل خروجه على مرحلتين، وأنه لا تتناوله أحاديث الخروج على الجماعة، وجعل -هنا- من أسباب خروج الحسين مقاومة فساد يزيد واستبداده، وصنيع الدكتور الصلابي يوحي بأن فساد يزيد حدث بعد البيعة، وفيه نوع إشارة إلى التلازم بينه وبين العهد، ولذا عبر عن صنيع الحسين بالخروج، مع تنبيهه على أنه لم يبايع أصلاً، ومثله في التنبيه على هذا الجانب صاحب كتاب: الوجيز في أسباب ونتائج قتل عثمان، ص٩٨- ٩٩، والعواد في: النصب والنواصب، ص٨١٣، وحول رأي ابن خلدون انظر كلاماً للدكتور عبدالله الدميجي، عرضه في حديثه عن الحكمة في اشتراط القرشية في الإمامة، الإمامة العظمى، ص٢٨٨- ٢٩٠.

(٢) انظر: منهاج السنة، ٤/ ٥٢٧- ٥٢٩، ونيل الأوطار، ٧/ ٢٠٨.

المطلب الأول

مواقف الصحابة من خروج الحسين رضي الله عنه

ابتدأت مراحل خروج الحسين إلى كربلاء بالامتناع من البيعة ليزيد، والفرار من واليها حينما أراد أن يلزمه بالبيعة، وتنقسم معارضة الحسين ليزيد بحالتين ومرحلتين[1]، هما:

١. الامتناع من بيعة يزيد، والانتقال إلى مكة.

٢. قبول بيعة أهل الكوفة الذي قدموا إليه وكاتبوه.

قد خولف الحسين في المرحلتين جميعاً، وإن كان الأمر ظهر في المرحلة الثانية، حتى إنه لم يعرف له موافق من أقرانه من فقهاء الصحابة وآل البيت، أما في المرحلة الأولى فوافقه عليها ابن الزبير، كما أن ابن عباس وابن عمر كانا ممن كرها بيعة يزيد في ولاية العهد، لكن لما مات معاوية، وكان الناس والبلدان أعطوا البيعة حينها خشيا من فتنة تجري بامتناع أمثالهم، ولذلك رجعوا وناصحوا الحسين مطالبين له بالرجوع، وهذان الصحابيان: ابن عمر، وابن عباس، خالفا الحسين في المرحلتين الأولى والثانية، وقد يفهم من موقفهما بعض الموافقة أول الأمر، بالانتظار وعدم الاستعجال إلى أن يرى ما يجمع عليه الناس، والتلميح حينها بجواز ترك البيعة أو تأجيلها، والترخص بالذهاب إلى موضع بعيد عن القتال، وخاصة في الحرم.

من الصحابة والتابعين من كاتب الحسين وكره خروجه إلى العراق، لما غلب في ظنهم من خذلانهم له، وقد وقع له ما كانوا يخشونه عليه، ومن هؤلاء إضافة إلى من تقدم ــ جمع من الصحابة والآل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم:

١. عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

٢. عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3].

---

(١) سبق ص ١٦٤ - ١٧٤ من البحث تفصيل حادثة خروج الحسين ومقتله، وقتلته.

(٢) تاريخ دمشق، ١٤/ ٢٠٨، وتهذيب الكمال، ٦/ ٤١٦، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٩٢.

(٣) انظر: البخاري، ح/ ٤٣٨٨، وفتح الباري، ٨/ ٣٢٨، وتهذيب الكمال، ٦/ ٤١٦، وتاريخ دمشق، ١٤/ ٢٠٨، ٢٠٩ - ٢١٠، والبداية والنهاية، ٨/ ١٧٢، ١٧٣.

٣.عبد الله بن جعفر، ابن عم الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وقد كتب عبد الله إلى الحسين كتاباً بعثه مع ابنيه عون وعلي، يحذره فيه أهل الكوفة(١)، وقد قتل ابناه: محمد وعون مع الحسين في كربلاء(٢)، وهو ممن سعى بالأمان للحسين من بني أمية، وطمع في الإصلاح(٣).

٤.أبو سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، مفتي المدينة ومحدثها، اعتزل يوم الحرة، وله فيه قصة، وهو ممن روى أحاديث الخوارج، وشارك علياً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في حروبه، وعرف أهل الكوفة(٤)، وقد ناصح الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في خروجه إلى أهل العراق(٥).

٥.جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٦).

٦.أبو واقد الليثي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحين علم بخروج الحسين لحقه حتى أدركه بملل، وناصحه(٧).

٧.زيد بن أرقم بن زيد الخزرجي الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٨)، وهو من كبار الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ الذين كانوا في الكوفة زمن خروج الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولكن لم يكن مع أهل الكوفة حين كاتبوا الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكان من شيعة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالكوفة، وقاتل معه في صفين، وهو ممن روى فضائل آل البيت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، بل روي عنه أنه روى فضل الحسين حين قتل،

---

(١) تاريخ دمشق،١٤/ ٢٠٩، والبداية والنهاية، ٨/ ١٧٦، ١٨١.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، ٣/ ٢٩٢، وهو من رواية أبي مخنف؛ وعبدالله بن جعفر صهر علي في ابنتيه شقيقتي الحسين: زينب وأم كلثوم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وسبق أن ابنيه عوناً ومحمداً، قتلا مع الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، راجع ص١٧٧ من البحث.

(٣) انظر: البداية والنهاية، ٨/ ١٨١، ٣٤١.

(٤) من أسنان ابن عمر، توفي سنة الحرة ٦٣هـ، أو سنة ٦٤، وقيل سنة ٧٤هـ، وهو وهم، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٦٨.

(٥) انظر: الطبقات الكبرى، متمم الصحابة، ط٥، ١ / ٤٣٩، تاريخ دمشق،١٤/ ٢٠٨.

(٦) الطبقات الكبرى، متمم الصحابة، ط٥، ١ / ٤٤٥، وتاريخ دمشق،١٤/ ٢٠٨.

(٧) مَلَل: بالتحريك: موضع وواد بين مكة والمدينة، عن المدينة مسافة ليلتين، قرب بدر، انظر: معجم البلدان، ١/ ٢٥٥، ٥/ ١٩٤- ١٩٥، وانظر: تاريخ دمشق،١٤/ ٢٠٨، والبداية والنهاية، ٨/ ١٣٨.

(٨) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري، أبو عمرو، ويقال أبو عامر الحارثيّ الخزرجي، كان يتيماً عند عبدالله بن رواحة، وحضر معه مؤتة،، وله قصة في نزول سورة المنافقين، أول مشاهده الخندق، وكان من فقهاء الصحابة، وله عدة روايات، وقيل هو الذي بشر عثمان ببشرى الجنة على بلوى تصيبه، حين نزل خبرها، توفي زمن المختار سنة ٦٦هـ، وقيل بعده سنة ٦٨هـ، انظر: أسد الغابة، ٢/ ٢٤، والإصابة، ٢/ ٤٨٧- ٤٨٨، وتاريخ دمشق، ١٩/ ٢٥٦- ٢٧٤، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ١٦٥- ١٦٨، وتهذيب التهذيب، ٣/ ٣٩٥.

معاتباً أهل الكوفة(١)، حتى سخر منه ابن زياد، وقد يفهم من هذا أنه لم ير الخروج، كما أنه ممن أنكر على ابن زياد حين أحضر عنده رأس الحسين؛ فهو ممن لا يشك في محبته للحسين وآل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد يقاس عليه أمثاله من الصحابة الذين كانوا في العراق، ولم يبايعوا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو يخرجوا معه، كأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢).

٨. المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣)، وقد كاتب الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحذره من كتب أهل العراق(٤)؛ وموقفه يحتاج إلى تحرير، لاحتمال تعدده وتغيره، ولانضمامه إلى ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما بعد(٥)؛ فما روي عن المسور شبيه بما روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والله أعلم.

٩. عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي القرشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٦)، التقى بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالأبواء، وناصحه، ونسب إليه قول يروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وربما وقع فيه تصحيف(١).

---

(١) انظر: المعجم الكبير، ح/ ٥٠٣٧.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، طبقة ٥، ١/ ٤٨٢، وأسد الغابة، ٢/ ٢٤.

(٣) المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ بن نَوْفَلٍ القرشي الزهري، أمه عاتكة بنت عوف، ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، له صحبة ورواية، ولازم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومال إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الشورى، وممن يروي فضل فاطمة رَحِمَهَا اللَّهُ، وهو رسول عثمان إلى معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يوم الحصار، ووفد على معاوية، وأثنى عليه، وهو ممن كره ولاية يزيد وبيعته، وهو من أصحاب شورى ابن الزبير، أَصَابَهُ المنجنيق بمكة وهو قائم يصلي في الحجر، فتوفي سنة ٦٤هـ، وقد غسله ابن الزبير وصلى عليه، كان شجاعاً عابداً متحدثاً، انظر: أسد الغابة، ٥/ ١٧٠، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٧٣، ٣٩٠، والبداية والنهاية، ٨/ ٢٧٠.

(٤) الطبقات الكبرى، متمم الصحابة، ط٥، ١ / ٤٤٦، ٤٩٤، وتهذيب الكمال، ٦/ ٤١٥، وتاريخ دمشق،١٤/ ٢٠٨– ٢٠٩، والبداية والنهاية، ٨/ ١٧٥.

(٥) روى ابن سعد عتابه لابن الزبير في نصيحته للحسين بالخروج للعراق، وكان العتاب عندما نعي الحسين، وانظر: الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٤٩٤،

(٦) عبد الله بن عياش، قيل: ولد بأرض الحبشة، وأبوه من أول من أسلم وهاجر إلى الحبشة، أمه أم الجلاس التميمية، وقد يشتبه بعمه عبد الله بن أبي ربيعة، والد شاعر قريش عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة؛ وبعبد الله بن أبي ربيعة الثقفي؛ وعبدالله بن عياش من مقرئي المدينة، ولم يعرف بالرواية، ومات سنة ٦٤هـ، انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم، ٣/ ١٧٤٠، وأسد الغابة، ٣/ ٢٣٢، ٣٥٦، وسير أعلام النبلاء، ٧/ ٣٣٦، والإصابة، ٤/ ١٧٥.

(١) الطبقات الكبرى، متمم الصحابة، ط٥، ١ / ٤٤٥، ونبه المحقق إلى التصحيف، وانظر: تهذيب الكمال، ٦/ =

١٠. عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي القرشي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[١]، قيل إنه لقي الحسين منصرفه إلى مكة، وقيل في زرود[٢] في طريقه إلى الكوفة، وفي خبره ذكر استخارة الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الله في أمره[٣]، وفي أخباره اختلاف.

١١. أسير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو صحابي لا يعرف نسبه[٤]، ولم يرو عنه غير حديث واحد، ومن خبره الذي يفهم منه مخالفته لخروج الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (لأن تجتمع أمة محمد أحب إليَّ من أن تفترق، أرأيتم باباً لو دخل فيه أمة محمد وسعهم، أكان يعجز عن رجل واحد لو دخل فيه؟ قلنا: لا، قال: أرأيتم لو أن أمّة محمد قال كل رجل منهم: لا أهريق دم أخي، ولا آخذ ماله، أكان هذا يسعهم؟ قلنا: نعم. قال: فذلك ما أقول لكم)[٥].

أما التابعون فقد خالف الحسين في خروجه إلى العراق عدد منهم، وبعضهم شافه الحسين، وبعضهم كاتبه، وبعضهم ندم على مقتله، أو سعى في الأمان له من يزيد لما اشتد

= ٤١٦، وتاريخ دمشق،٢٠٨/١٤، وفي البداية والنهاية، ٨/ ١٧٦، نسبه إلى ابن عباس.

(١) عبد الله بن مطيع بن الأسود بن حارثة، العدوي القرشي المدني، من أشهر رجال قريش جلدا وشجاعة، ولد في حياة النبي ﷺ، وحنكه، كان على قريش حين أخرج أهل المدينة والي يزيد، ثم بعد مقتلة الحرة لحق بابن الزبير، واستعمله على الكوفة، وقتل مع ابن الزبير في حصار الحجاج له، سنة ثلاث وسبعين، وابن كثير ذكر أنه قتل يوم الحرة سنة ٦٣هـ، ولعله سبق، ويقصد أولاده السبعة، انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم، ٥/ ٢٦٠٠، وأسد الغابة، ٣/ ٣٩٠، وتهذيب الكمال، ١٦/ ١٥٢، وتهذيب التهذيب، ٦/ ٣٦، والإصابة، ٥/ ٢١- ٢٢، والبداية والنهاية، ٨/ ٢٤٠.

(٢) راجع ص١٧٣ من البحث.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، ٥/ ٣٩٦، ٦/ ١٠، وتهذيب الكمال، ٦/ ٤١٦، وتاريخ دمشق،١٤/ ٢٠٧، وتجارب الأمم وتعاقب الهمم، ٢/ ٣٨، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، ٤٢١هـ، ت. أبو القاسم إمامي، ط٢، ٢٠٠٠م، سروش – طهران.

(٤) أسير، أو يسير، انظر: الإصابة، ١/ ٢٣٦- ٢٣٧، وابن العربي استظهر أن الرجل هو ابن عمر، ولم يذكر دليلاً، انظر: العواصم من القواصم، ص٢٢٦.

(٥) تاريخ خليفة خياط، ص١٦٤، والطبقات الكبرى، ٧/ ١٤٧، والتاريخ الكبير، البخاري، ٨/ ٤٢٣، وتاريخ بغداد ١٨/٦. وفي بقية خبره: "لا يأتيك من الحياء إلّا خير".

الطلب، ومن هؤلاء من يلي:

١. محمد بن الحنفية[١]، ابن علي، أخو الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وموقفه ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ من الخروج والبيعة مشهور، وهو شبيه بموقف ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ممن تعلق به غلاة الشيعة بعد مقتل أخيه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كالكيسانية، وقد يسمى بعضهم بالخشبية[٢].

٢. عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية[٣]، كتبت عمرة ـ رحمها الله ـ إلى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تناصحه، وفي كتابها تنعى الحسين إلى نفسه[٤].

٣. أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٥]، وينسب إليه أنه بعاتب ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خروج الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

---

(١) محمد بن علي، ابن الحنفية، أمه من بني حنيفة، أعطيت من السبي لأبيه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولد زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان حامل لواء أبيه في وقعة الجمل عام٣٦هـ، وفي زمن الفتنة بين بني أمية وابن الزبير سكن الشعب بمكة، كما لحق بابن عباس بالطائف، وضايقه ابن الزبير، ودعاه عبدالملك إليه في الشام، ثم اعتذر منه، فرجع بمن معه، وقيل كانوا ٧٠٠٠ رجل من شيعته، يعرفون بالخشبية، وأذن لكثير من معه بالرحيل إلى بلادهم، فبقي معه ٧٠٠ رجل، فقصد مكة محرماً فمنعه ابن الزبير، فبقي محرماً بالمدينة حتى قتل ابن الزبير، ولما استقر أمر عبد الملك بايعه ابن عمر، وبايعه ابن الحنفية، واستقر بالمدينة، وتوفي سنة ٨١هـ، تعلقت وغلت فيه بقايا السبئية من الكيسانية أتباع المختار، وزعموا أنه لم يمت، وأنه مختبئ في جبل رضوى، انظر: الكامل، ٣/ ٣٢١، وسير أعلام النبلاء، ٤/ ١١٠- ١٢٩، والبداية والنهاية، ٩/ ٤٦- ٤٨، وتهذيب التهذيب، ٩/ ٣٥٤.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، طبقة ٥، ١/ ٤٣٩، والبداية والنهاية، ٨/ ١٧٤، وتاريخ دمشق،١٤/ ٢١١- ٢١٢، وسير أعلام النبلاء، ٤/ ١١٠- ١٢٩، وتهذيب التهذيب، ٩/ ٣٥٤.

(٣) عمرة بنت عبدالرحمن، سيدة نساء التابعين، فقيهة محدثة، صحبت عائشة، وكانت من أعلم الناس بحديثها، يقال: ماتت سنة ٩٨هـ، وقيل: ماتت سنة ١٠٦هـ، انظر: تهذيب الكمال، ٣٥/ ٢٤١، تهذيب التهذيب، ١٢/ ٤٣٩.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، طبقة ٥، ١ / ٤٤٦.

(٥) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري: قيل اسمه عبد الله، وقيل إسماعيل، وقيل اسمه كنيته، كان ثقة فقيها كثير الحديث، وقال ابن حبان: كان من سادات قريش، مات سنة ٩٤هـ، وقيل: ١٠٤هـ، انظر: تهذيب التهذيب، ١٢/ ١١٥.

(١) انظر: الطبقات الكبرى، متمم الصحابة، ط٥، ١ / ٤٤٦، وتهذيب الكمال، ٦/ ٤١٧.

٤. أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي[١]، أتى الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بمكة، وناصحه[٢].

٥. عمر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي[٣]، ونسب إليه بعض ما نسب إلى أخيه[٤].

٦. سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي القرشي[٥]، تمنى عدم خروج الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٦]، والإمامية تجعله من خواص علي بن الحسين ـ رحمها الله ـ[١].

---

(١) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي المدني، كان أحد الفقهاء السبعة، ولد في خلافة عمر، واسمه كنيته، وكان ثقة فقيها عالما شيخا كثير الحديث، وكان يقال له: راهب قريش، لكثرة صلاته، وكان أعمى، مات سنة ثلاث وتسعين، وكانت تسمى سنة الفقهاء، انظر: البداية والنهاية، ٩/ ١٣٤، وتهذيب التهذيب، ١٢/ ٣٠.

(٢) تاريخ دمشق، ١٤/ ٢٠٩، وذكر الخبر مختصراً في البداية والنهاية، ٨/ ١٦٧، ونبه المحقق إلى أن بعض المصادر تنسب هذا القول لأخيه عمر بن عبدالرحمن، كابن جرير، وابن الأثير كما سيأتي-، وبعضهم نسبه لأبي بكر، كابن كثير، كما أن ابن كثير ذكره في أول الخبر باسم بكر، والصواب أبو بكر، كما في بقية الخبر.

(٣) عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي، ولد سنة مقتل عمر، وله رواية، له أخوة لأمه، وهم أولاد عبدالله بن الزبير، وعمر من ولاة ابن الزبير على الكوفة زمن المختار، وله معه قصة، ثم مال إلى الحجاج، وموته في حدود السبعين، انظر: تاريخ الإسلام، ٦/ ١٦٢، وتهذيب الكمال، ٢١/ ٤٢٤- ٤٢٥، وتهذيب التهذيب، ٧/ ٤٧٣.

(٤) انظر: تاريخ الطبري، ٨/ ٣٨٢، الكامل، ٣/ ١٤٧.

(٥) سعيد بن المسيب: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وسمي راوية عمر، أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته، قال: ولدت لسنتين مضتا من خلافة عمر، توفي بالمدينة سنة ٩٣هـ، انظر: تهذيب الكمال، ١١/ ٦٦، وتهذيب التهذيب، ٤/ ٨٤.

(٦) انظر: الطبقات الكبرى، متمم الصحابة، طبقة ٥، ١ / ٤٤٦، رواه ابن سعد مرسلاً، ولم أقف على من أسنده، مما قد يوحي بضعفه عنه، أو توقفه، خاصة إذا قورن بفعله المشهور يوم الحرة، مع أنه لم يخرج؛ وذكر عن ابن المسيب أنه جيء به إلى مسلم بن عقبة ليبايع ليزيد يوم الحرة، فقال: (أبايع على سيرة أبي بكر وعمر)، وكاد أن يقتله، وقيل إن عامل ابن الزبير على المدينة عبدالرحمن بن الأشعث أكره سعيدا على البيعة فامتنع، وجلده ستين سوطا، فعزله ابن الزبير عام ٦٨هـ لذلك، انظر: تاريخ دمشق، ١٤/ ٢٠٨، والمنتظم، ٦/ ١٦، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٩٦، والبداية والنهاية، ٨/ ٢٤٢، ٣٢٣.

٧.الأحنف بن قيس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ[٢]، وقال أبو بكر بن عياش كتب الأحنف إلى الحسين: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[٣]، ولعله يقصد أهل الكوفة[٤].

٨.يزيد بن الأصم الكوفي ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ[٥]، كتب إلى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحذره من أهل العراق[٦].

٩.الفرزدق الشاعر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ[٧]، ونصيحته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للحسين مشهورة حين كان مقبلاً إلى الحج، فلقيه يوم التروية بالصفاح[٨]، فقال: (القلوب معك، والسيوف مع بني أمية)[١]،

=

(١) انظر ص٨٥٦ من البحث، ح (١).

(٢) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي السعدي، أبو بحر البصري، واسمه الضحاك، وقيل صخر، والأحنف لقب، من المخضرمين، وكان ثقة شريفاً في قومه، مأمونا قليل الحديث، وحلمه يضرب به المثل، وشارك مع مصعب في قتال المختار، مات سنة ٦٧هـ، أو سنة ٧٢هـ، انظر: تهذيب التهذيب، ١/ ١٩١.

(٣) الروم: ٦٠.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى، متمم الصحابة، طبقة ٥، ١ / ٤٣٩، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٩٨.

(٥) يزيد بن عمرو (الأصم) بن عبيد بن معاوية بن عبادة بن البكاء بن عامر بن ربيعة، أبو عوف البكائي الكوفي، نزيل الرقة، أمه برزة بنت الحارث، وخالته ميمونة أم المؤمنين، وابن خالته بن عباس، مات سنة ١٠١هـ، وقيل بعدها بيسير، وهو معدود في الثقات، انظر: تهذيب التهذيب، ١١/ ٣١٣،

(٦) انظر: حلية الأولياء، ٤/ ٩٨، والراوي عن سفيان مبهم، وأبو نعيم يرويه من طريق القشيري، وهو في تاريخ الرقة، ص١٧، للقشيري، نقلاً عن: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص٢٣٧.

(٧) همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي الحنظلي، وأبوه غالب له إدراك، وجده صعصعة بن ناجية له صحبة، وروايته قليلة، ولد الفرزدق في خلافة عمر، مات سنة ١١٠هـ، وقد قارب المائة، انظر: لسان الميزان، ٨/ ٣٤٢.

(٨) الصفاح، بتشديد الصاد وكسرها موضع قرب حنين وأعلام الحرم، ويظهر أنه شرقي مكة، من جهة المقبل من نجد والعراق، قريبة من ذات عرق، كما نقل أن ذات عرق هو مكان اللقاء بينهما، انظر: معجم البلدان، ٣/ ٤١٢، و تاريخ دمشق، ١٤/ ٢١٤، وتاريخ الإسلام، ٥/ ١٠.

(١) رويت العبارة بألفاظ متقاربة، والمذكورة من رواية هشام الكلبي، وهناك رواية أبي مخنف، انظر: تاريخ الطبري، ٥/ ٣٨٦، وعنه ابن كثير في: البداية والنهاية، ٨/ ١٧٣، ١٨٠، والطبقات الكبرى، متمم الصحابة، =

وأصبح قوله مثلاً، وفيه خبره ندمه على ترك الخروج مع الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر استشارته عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في الخروج، ثم رجوعه إليه وتلاعنهما[1]؛ وفي أخباره غرابة وتناقض، ويخالف ما صح عن ابن عمرو في أحاديث الفتن[2].

١٠. رجل من آل عكرمة مولى ابن عباس[3]، ناشد الحسين ألا يخرج إلى العراق بحالهم التي هم عليها[4]، وقوله شبيه بما روي عن ابن عباس ، وربما كان من قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولعل أحد الرواة ظن هذا القول يدعم قول الخوارج، فلم يصرح باسم ابن عباس، كما أنه عرف عن عكرمة ميله إلى الخوارج[5]، ولكن لم أجد أحداً من السلف علق على كلام ابن عباس بنحو من هذا، ولعل البيئة الشيعية التي يروي منها أبو مخنف قريبة من هذا التوجه، ولذا أرى أن مرويات المقتل اعتنى بها من تأثر بقول الزيدية في الخروج، وهو موافق لرأي الحروية أو الصفرية من وجه[1]، ولذا يحصل الاشتباه والإبهام في أسانيد عكرمة؛ والله أعلم.

=

ط٥، ١/ ٤٥٣.

(١) انظر: تاريخ دمشق، ١٤/ ٢١٤، وتاريخ الإسلام، ٥/ ١٠.

(٢) مسلم، ح/ ١٨٤٤.

(٣) عكرمة أبو عبد الله القرشي مولاهم، مولى ابن عباس، العلامة، الحافظ، المفسر، أبو عبد الله القرشي مولاهم، المدني، البربري الأصل، وهب لابن عباس، حوى علم ابن عباس، واختص منه بالتفسير، اتهم برأي الخوارج، وبرأه من ذلك جماعة من المحدثين، ووثقوه، ولم يكن لعكرمة ذكر في أيام ابن عمر، ولا كان تصدى للرواية، وقيل فيه دعابة، وله مفاريد، مات عكرمة بالمدينة، سنة ١٠٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/ ١٢- ٣٦، وميزان الاعتدال، ٣/ ٩٣- ٩٧.

(٤) انظر: تاريخ الطبري، ٥/ ٣٩٩، البداية والنهاية، ٨/ ١٨٥، مع اختلاف يسير عن رواية الطبري.

(٥) انظر: تهذيب التهذيب، ٧/ ٢٦٣- ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء، ٥/ ١٢، وفيه: (وقال أبو طالب: عن أحمد بن حنبل: قال خالد الحذاء: كل ما قال محمد بن سيرين: نبئت عن ابن عباس، فإنما رواه عن عكرمة، قيل: ما شأنه؟ قال: كان يرى رأي الخوارج، رأي الصفرية، ولم يدع موضعا إلا خرج إليه: خراسان، والشام، واليمن، ومصر، وإفريقية)؛ وقيل كان أول من أحدث في أهل المغرب رأي الصفرية، وقيل لذلك لم يخرج له مالك، ولم يشهد أهل المدينة جنازته، وقيل بل لتطلب أميرها له.

(١) التزيد كـ(مقالة) حرية بالبحث والتتبع في دراسة مستقلة، والتزيد كمصطلح لم يبرز إلا مع اسم زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبحث هذه المقالة من دون الفرقة أطمع أن يبرز جانباً من أصول مقالات الفرق، ومن الدراسات التي

=

١١. عدة من أمراء بني أمية: حاولوا تجنب المواجهة، وحرصوا على مناصحة الحسين ومكاتبته بالأمان، واتصلوا في ذلك بمن سبق ذكرهم من الصحابة والتابعين، من هؤلاء: عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية(١)، أمير المدينة الوليد بن عتبة، وضمت إليه ولاية مكة، وقد سبق أنه كتب إلى الحسين مع عبدالله بن جعفر بالأمان(٢)، وبعث تأكيداً لذلك معه أخاه يحيى بن سعيد، كما ذكر ليحي غير هذا الموقف، مما قد لايصح(٣)؛ وكذلك النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والي الكوفة قبل ابن زياد(٤)، والحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، شاعر قريش(٥)، وهو أمير مكة ليزيد، وروي حرصه على عدم خروج الحسين، وشفقته عليه من عاقبته، ومن شعره في هذا:

رب مستنصح يغش ويردي وظنين بالغيب يلفى نصيحاً(٦)

أما تأييد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خروجه إلى العراق فلم يثبت عن غير من رافقه من أهله وآله في الحجاز، ثم من لحق به قبل وصوله إلى العراق، وقتلوا معه ــ رحمهم الله ــ، ولم يكن

=

صدرت بهذا المعنى دراسة: النصب والنواصب، للدكتور بدر العواد -وفقه الله-، وهو جهد مشكور.

(١) عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي القرشي، أبو أمية المدني المعروف بالأشدق، لفصاحته، وهو الأصغر، وأبوه من صغار الصحابة، ولي المدينة لمعاوية، ثم طلب الخلافة، وغلب على دمشق، وكان مروان قد ولاه العهد بعد ابنه عبد الملك، ثم قتله، سنة ٦٩هـ، انظر: فوات الوفيات، ٣/ ١٦١، وتهذيب التهذيب، ٨/ ٣٧، والإصابة، ٥/ ٢٢٥.

(٢) الطبقات الكبرى، متمم الصحابة، طبقة ٥، ١ / ٤٤٨، وتاريخ الطبري، ٥/ ٣٨٨، وتاريخ دمشق، ١٤/ ٢٠٩.

(٣) انظر: انظر: تاريخ الطبري، ٥/ ٣٨٥، تهذيب التهذيب، ١١/ ٢١٥، ويحيى بعد قتل أخيه عمرو لحق بابن الزبير.

(٤) راجع ص١٥٢، ١٧٢ من البحث.

(٥) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة القرشي، أخو عكرمة المحدث، التقى بعمر بن أبي ربيعة، وكان يذهب مذهبه في الغزل، ولاه يزيد على مكة بعد أن عزل الوليد بن عتبة، ومنعه ابن الزبير من الصلاة في الناس، انظر: تاريخ دمشق، ١١/ ٤١٥، والبداية والنهاية، ٨/ ١٥٩، والوافي بالوفيات، ١١/١٩٦، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ٢/ ١٩٧، محمد بن أحمد، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، ٨٣٢هـ، ط١، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٦) تاريخ الطبري، ٥/ ٣٨٢.

أحد منهم صحابياً، أو ممن تميز بقول ورأي في هذا الأمر عدا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن أشهر من سلم من القتل منهم علي بن الحسين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، وكان صغيراً؛ ويلحق بهم أهل الكوفة الذين كاتبوا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيهم بعض الصحابة، وأهل الكوفة هم موضع النزاع والإشكال، لأنهم كانوا موضع الشوكة والمنعة، وقاموا بتقديم البيعة والعهد بالنصرة؛ كما أن خيارهم ندموا على صنيعهم، كسليمان بن صرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في خبر التوابين[1]؛ كما أن صنيعهم في الثأر للحسين لم يكن على هدي آل البيت، كما في فقه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع المطالبين بالقصاص من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلم يكن للتوابين راية عامة، بل إنهم بايعوا نائب ابن الزبير على الكوفة، وخرجوا من غير إذنه، كما أنهم لم يوفقوا في قتل الأقربين، وانشغلوا بأهل الشام؛ بل إن بعض هؤلاء قَبِلَ أن يشارك مع المختار فيما بعد، مع اتهامهم له في تشيعه، إلى أن رأوا منه الغلو والزندقة، وتعلق السبئية به[2]؛ والفرح الذي تنسبه الإمامية إلى آل البيت بسبب ثأر المختار من قتلة الحسين، ومثله فرح بعض أهل العلم بذلك[3]؛ ولكنه لا يخرج هذا الفاجر من فجوره وزندقته، والسلوان في ذلك مثل قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[4]، ومثل ما جاء في حديث أبي هريرة حين شهد يوم خيبر، أو يوم حنين، وفيه آية من آيات النبوة، حين أخبر النبي ﷺ عن رجل في صف المسلمين: «**هذا من أهل النار**»، وفيه فكاد بعض الناس أن يرتاب، فبينما هم على ذلك، إذ قيل: إنه لم يمت، ولكن به جراحا شديدا، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: «**الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله**»، ثم أمر بلالا فنادى بالناس: «**إنه لا يدخل الجنة إلا**

---

(١) روى ابن سعد، بإسناده عن شريك. قال: (رأيت بشر. بن غالب يتمرغ على قبر الحسين ندامة على ما فاته من نصره)، الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، ط٥، ١/ ٥٠١، وراجع ص١٧٠، ١٨٤ من البحث.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، طبقة ٥، ١/ ٥١٠، والبداية والنهاية، ٨/ ٢٧٦.

(٣) انظر: التذكرة، القرطبي، ص١١٢٣، والبداية والنهاية، ٨/ ٣٠٢، وفتح الباري، ٩/ ٣٢٧- ٣٢٩.

(٤) الأنعام: ١٢٩.

نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[1].

اختلف المؤرخون في نقل موقف اثنين من الصحابة، في تأييدهما للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خروجه إلى العراق، ولكن لم يثبت عنهما نقل صحيح في خروج الحسين، وهما:

١. عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ[2]، وهو ممن تولى الكوفة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فله معرفة بأهلها، كما أن ذلك مظنة أن يروج كذبهم باسمه، للقياهم إياه[3]، روي أنه نصح الحسين بعدم الخروج إلى العراق[4]، كما روي أن الفرزدق استشاره في أمر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأشار عليه باللحوق به[1]، وقيل بتغير رأيه، وفي ثبوت ذلك نظر؛ والخبران

---

(١) البخاري، ح/ ٢٨٩٧، ٣٩٦٧، (خيبر)، ومسلم، ح/ ١٧٨/ ١١١، (حنين).

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل أبو محمد السهمي، من خيار الصحابة وعلمائهم وعبادهم، أسلم قبل أبيه، وكان يلوم أباه في القيام مع معاوية، واستنابه معاوية على الكوفة، ثم عزله عنها بالمغيرة بن شعبة، توفي سنة ٦٥هـ، وقال الإمام أحمد أنه توفي ليالي الحرة، سنة ٦٣هـ، وهذا يخالف ما ينسب إليه بعدها، حين حصار جيش الحصين بن نمير لابن الزبير في مكة، وإحراق الكعبة، واختلف في مكان موته، فقيل بمكة، وقيل بالطائف، وقيل بمصر، وقيل بالشام، انظر: تهذيب الكمال، ١٥/ ٣٥٨، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٩٤، والبداية والنهاية، ٨/ ٢٨٩.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، ط٥، ١ / ٤٥٤؛ وقد اشتهر عند جمع من أهل الحديث وشراح السنة تحسينه خروج الحسين، وذم ولعن مخالفه، ومن هذا قد يقوون أي رواية توافق وتؤيد هذا الجانب، ولو كان في ثبوتها نظر، لكن قد يفضلونها على غيرها من الآراء، ويستأنسون بها، لاعتبارات، لعل منها حق الصحبة.

(٤) تاريخ دمشق، لابن عساكر، ١٤/ ٢٠٢، بإسناد ابن عساكر، وعنه ابن كثير، وفي نسخ ابن عساكر اختلاف بين عمرو وعمر، وابن كثير اعتمد أنه عبدالله بن عمرو، ولم أقف على قول لعبدالله بن عمرو في يزيد وما بعده غير هذا، عدا ما ذكره أهل الموضوعات، وفيه: (لا بارك الله في يزيد الطعان اللعان)، وسيأتي -بإذن الله- قريباً، وقد عرف باعتزال الفتن، وكونه مات بمصر مما يورد الشك فيما ينسب إليه في مكة، وأما ابن كثير فينقله من إسناد يحيى بن معين، وفيه أن قريشاً يفنيها السيف، واستنبط ابن كثير بعد عرضه لقول ابن عمرو، وقبله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في اختيار الآخرة أن الفاطميين أدعياء كذبة، لم يكونوا من سلالة فاطمة، وهذا مما يدل على أنه يرى أن القول لعبدالله بن عمرو بن العاص؛ ويشكل عليه أن العباسيين هاشميون، وقد ملكوا، وسيأتي -بإذن الله-، انظر: البداية والنهاية، ٨/ ١٧٣.

(١) انظر: البداية والنهاية، ٨/ ١٨٠، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٩٣، وقال الذهبي: (قلت: هذا يدل على تصويب =

متعارضان فيسقطان، ويبقى ما اشتهر عنه من اعتزال الفتن[1]، كما أنه لم يتبع الحسين لو كان يرى رأيه؛ مما يرجح أن عبدالله بن عمرو لم يثبت عنه قول في أمر الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

مما يؤيد ما سبق أن عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يسلم من وضع الكذابين في خصوص عاشوراء ومقتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والذي يظهر أن الصحابي المكثر من التحديث والرواية إذا لم يشتهر له عند الثقات قول في مسألة سهل على الوضاعين أن يلفقوا عليه قولاً[2]؛ ومن ذلك ما ورد في كتب الموضوعات من نعيه الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه وصف يزيد باللعان والطعان، فقد أورد ابن الجوزي وغيره حديثاً مرفوعاً موضوعاً، وفيه: (لا بارك الله في يزيد الطّعّان

=

عبد الله بن عمرو للحسين في مسيره، وهو رأي ابن الزبير وجماعة من الصحابة شهدوا الحرة)، ولعل الحافظ الذهبي أشرك أهل الحرة مع الحسين وابن الزبير من جهة عموم كره ولاية يزيد، لكن كرههم لها لم يظهر إلا في آخرها، بعد أن بايعوه.

(١) مسلم، ح/ ١٨٤٤، وهو حديث مشهور حدث الناس به في مكة، وهو مستظل بالكعبة، وكان ذلك زمن معاوية، وفيه من أمر الفتن والمخرج منها، وفيه قول الرسول ﷺ: "وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة، فيرقق بعضها بعضا،... ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر"؛ وعبدالله بن عمرو ممن ولي الكوفة وعرفها، وإن حوكم أهل الكوفة إلى ظاهر هذا الحديث، فهو ينطبق على من بايع منهم يزيد ثم نقض بيعته، وهم طبقوه واقعا ببيعتهم ليزيد أولا، ثم بايعوا الحسين، ثم قتلوه، مع أنهم بايعوه، بل طلبوه وأخرجوه وواعدوه، لكنهم لم يستطيعوا الوفاء بوعدهم، وتركوا بيعته، ودخلوا في بيعة يزيد مكرهين؛ فكأنهم نقضوا بيعة الأول، ثم نقضوا بيعة الثاني، ثم رجعوا إلى بيعة الأول، وظفروا من ذلك بقتل الحسين، وبدمه، كما ظفروا من قبل بوهن الولاة، ومنهم علي، والذي ملهم وأبغضهم بعد أن أوهنوا صفه، وفرقوا جمعه، وخرجوا عليه، وكذلك ابنه الحسن، فرضي الله عن آل بيت نبيه بما لقوا وصبروا على ما ابتلوا به من هذه المصائب والبلايا.

(٢) انظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر، ٣١/ ٢٨٤– ٢٨٥.، وفيه: أن عبد الله بن عمرو إذا جلس لم تنطق قريش، وهذا مما يدل على قدره؛ فكيف لا يحفظ قوله وهو بهذه الحال، وفيه –أيضاً– أنه سئل عن ما سيجري من الفتن: فأين قريش يومئذ، قال: يفنيها السيف، وكأن هذا فيه طعن على قريش، واستعجال فنائهم، وهذا يخالف نصوصاً كثيره، مما يدل على ضعف مثل هذه الروايات عنه، وأن مظنتها ممن كره واستشكل ولايتهم عموماً، قبل الفتنة وبعدها.

اللّعّان، أما إنه نعي إلي حبيبي حسين...)[1]، والخبر مع وضعه إلا أنه جاء الخبر في بعض ألفاظه من دون لفظ: (الطعان اللعان)، والخبر يستدل به بعض الإمامية المعاصرون، ويحتجون به على أهل السنة[1].

---

(١) المعجم الكبير: ٣/ ١٢٠، ح/ ٢٨٦١، في ترجمة الحسين، ٢٠/ ٣٨، ح/ ٥٦، في ترجمة عبدالله بن عمرو بن العاص، والطبراني في كلا الموضعين أورده مقطعا مختصرا، ولم يذكر فيهما الطعان اللعان، وذكر أن لفظهما واحد، وهو يرويه من طريق: عبد الله بن لهيعة، عن أبي قبيل، عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن معاذ بن جبل، وللطبراني إلى ابن لهيعة طريقان لفظهما واحد، في أحدهما من طريق القعنبي عن مجاشع، عن ابن لهيعة، ولعل هذا الطريق ليس فيه الزيادة، والتي ربما تكون في الطريق الآخر الذي يشترك معه فيه بإسناد نازل الحافظ محمد بن ناصر في (سليم بن منصور بن عمار عن أبيه، عن ابن لهيعة)، والذي ساقه ابن الجوزي عن الحافظ محمد بن ناصر، بإسناده إلى عمر بن علي بن ملك الأشناني، عن حسين بن الكميت، عن سليم بن منصور، عن أبيه، عن ابن لهيعة، ولعل الزيادة جاءت في هذا الطريق، وابن الجوزي ساقه مختصرا تحت: ذم يزيد، وفيه ذكر هذه الزيادة، وفيه عن ابن عمرو من دون ذكر معاذ: (كنا بباب رسول الله ﷺ أنا وأبو عبيدة وسلمان والمقداد والزبير، فخرج علينا رسول الله ﷺ مرعوبا متغير اللون فقال: نعيت إلى نفسي، وذكر كلاما طويلا)، وابن لهيعة ضعيف، والأشناني وضاع، وضع هذا الحديث، وتعقبه السيوطي بتفصيل، وذكر أن ابن أبي الشيخ في الفتن أورده مطولا، وفيه هذه الزيادة، لكن في إسناده كثير بن جعفر الخراساني عن ابن لهيعة، وكثير مجروح، كما ذكر ابن عراق، فمداره على ابن لهيعة من أربع طرق، الثلاثة الأولى، وهذا رابعها، وفيه ذكر معاذ، وهو خبر طويل، وليست فيه زيادة (الطعان اللعان)، وفيه ذكر الفتن، والملك بعد النبوة، وويل للعرب من بعد العشرين ومائة، وأن الحق لآل محمد، وأمر السفياني والمهدي، انظر: الموضوعات، لابن الجوزي، ٢/ ٤٦، واللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ١/ ٤١٤، وتنزيه الشريعة المرفوعة، ابن عراق، ١/ ٤١٥، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، الشوكاني، ص٤١٩، وجامع الأحاديث، للسيوطي، ت/ ٩١١هـ، ٢٤/ ١٢٦، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحي، ت/ ٩٤٢هـ،١٠/ ٨٩، وكنز العمال، للمتقي الهندي، ت/ ٩٧٥هـ، ١٢/ ١٢٨، ح/ ٣٤٣٢٤، أوردوه مختصراً عن ابن عمرو، بذكر النعي، وزيادة (الطعان اللعان)، وهو بنوع من تقليب الحديث بين الأسانيد، ونسبوه لابن عساكر في تاريخه، ولم أقف عليه فيه، وإنما عند ابن عساكر دعاء الحسين على أهل الكوفة، كما فيه إنكار عبدالله بن عمرو عام ٦٤هـ على الناس بسبب قتل الحسين، وحرق الكعبة، وأن العقوبة قريبة فانتظروها، ومحاجتهم بأنهم لو كان أبو هريرة هو الذي حدثهم لصدقوه !، وانظر: تاريخ دمشق، ١٤/ ٢١٦، ٣١/ ٢٨٤- ٢٨٥؛ وكل هذا مما يدل على أن ما ينسب لعبدالله بن عمرو يحتاج إلى تثبت، وأن الكذابين وضعوا عليه، على اختلاف مقاصدهم؛ والحديث فيه نكارة ظاهرة، في أغلب مضمونه.

(١) انظر: سيرتنا وسنتنا، ص١٢٤، وقال: (وأخرجه الحافظ الخوارزمي في مقتل الحسين، ص١٦٠، ١٦١، عن =

مما نسب إلى عبدالله بن عمرو حديث التوسعة يوم عاشوراء[1]؛ وحاله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا الوضع كحال أم سلمة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ في خبر النعي وقارورة الدم، ولعن أهل العراق، وسبق أن الثقات ليس لهم ما يقطعون بتأريخ موتها بسبب مثل هذه الأخبار الضعيفة[2].

٢. عبد الله بن الزبير بن العوام، واختلف في أمره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حول الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن الثابت أنه وافق الحسين في ترك البيعة، ووافقه في جواز قبول البيعة وأخذها من أهل بلد، ويروي البعض أنه أوهم الحسين بنجاحه مع أهل العراق، وهو قدح في الصحابي من غير بينة، كما أنه ورد ما يبطله ويعارضه، وقد ينسب إليه قول غيره كابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ والأشبه بحاله أن يكون معيناً ومشيراً للحسين في مكة[3]، وصنيعه يخالف بعض خبره، والذي يرويه عنه الشيعة[1]، الذين اختلط بصفوفهم الغلاة والسبئية والكيسانية، وكذلك صنف منهم لحق

=

الطبراني بإسناديه ولفظه التام)، مع أن لفظ الطبراني ليس فيه لفظ الطعان اللعان، ولعله اغتر بصنيع السيوطي في اللالي المصنوعة، ١/ ٤١٤؛ وفي بقية الخبر ذكر ما ينطبق على خونة الحسين من شيعة الكوفة، الذين أصبحوا بسبب قتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أرضهم وبين أظهرهم شِيعَاً، لا شِيْعْةً، وفيه: (والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعونه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وبدد جمعهم، وسلط عليهم شرارهم، وألبسهم شيعًا).

(١) من ذلك أنه نسب إليه حديث تسمية يوم عاشوراء يوم الزينة، وفضل صومه والصدقة فيه، ففي الترغيب والترهيب، لقوام السنة، قال: (أخبرنا أبو نصر بن سمير، أنبأ محمد بن علي بن عمرو، ثنا عبد الله بن جعفر، ثنا هارون بن سليمان، ثنا كثير بن هشام، ثنا عيسى بن إبراهيم الهاشمي، ثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن حبيب، عن الوليد بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- قال:(من صام يوم الزينة يوم عاشوراء أدرك ما فاته من صيام السنة، ومن تصدق يومئذٍ أدرك ما فاته من صدقة السنة)، الترغيب والترهيب، ٢/ ٤٠٣، ح/ ١٨٧٣، والإسناد من علله ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقد عزاه السيوطي إلى مسند الفردوس، للديلمي، وأحاديثه ضعيفة، وانظر: جامع الأحاديث، للسيوطي، ٢٠/ ٤٥٣، ح/ ٢٢٥٩٧.

(٢) ستأتي الإشارة إلى هذا الجانب -بإذن الله-، انظر: ص٦٧٩- ٦٨٤ من البحث.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، طبقة ٥، ١/ ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٩٢- ٢٩٣، والبداية والنهاية، ٨/ ١٧٤، ١٧٩.

(١) من هؤلاء: المسعودي الشيعي في كتابه: مروج الذهب، فقد ذكر استثقال ابن الزبير لمقام الحسين في مكة، انظر: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٢٥٧.

بالخوارج بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم بايعوا ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم افتاتوا عليه، ونازعوه، فقاتلهم، وهذا مظنة للكذب عليه؛ وحاله يذكر بحال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معهم، وهذا كله لا يمنع أن يكون صوب رأي الحسين في أول الأمر(١).

(١) ممن حكي عنهم اتهام ابن الزبير بإيهامه وتغريره الحسين بأهل العراق: ابن عباس، والمسور بن مخرمة، وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، والله أعلم بصحة ذلك، لأن منهم من لحق بالزبير بعد مقتل الحسين، انظر: الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، طبقة٥، ١/ ٤٩٤، وفي إسناده ضعف، وعنه: تاريخ دمشق،١٤/ ٢٠٧، ٢٣٩.

المطلب الثاني

موقف الصحابة من استذكار المقتل

يتبين من حال الصحابة وكبار التابعين ــ التي سبق عرضها ــ أن قتل الحسين وفقده مصيبة عظيمة، ولا أدل من ذلك تودعهم منه قبل مسيره إلى العراق، وحزنهم واسترجاعهم حين نعي إليهم، وذمهم لمن قتله، بل وأغرب من ذلك كله روايتهم لفضائله عند ذمهم لمن قتله، فهذا ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين سئل من قبل أهل العراق عن مسألة يسيرة من تعظيم الحرم، أو المحرم، قال: (انظروا إلى هذا، يسألني عن دم البعوض، وهم قتلوا ابن رسول الله ﷺ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»)[١]، ومنه حكاية الصحابة الذين كانوا بالكوفة تقبيل النبي ﷺ ثغر الحسين وحبه له[٢]، وتعلقهم به رحماً وحباً وواقعاً، ولا شك أن استحضار هذا في مجلس ابن زياد نوع من إبلاغ كره النبي ﷺ لهذا المقتل، ولمن قتلوه، ومثله صنيع زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيره من سلف الأمة.

أصعب ما في الأمر أن يظن أن أولئك الصحابة مع عدم استذكارهم مقتله بنحو من التخصيص بذكر فضيلته، أو التذكير بمصيبته لخصوص الاسترجاع؛ أن يتهموا بالنصب، فهم لا يتهمون بنقص محبتهم للحسين، ولم يثبت أنهم جوزوا أو صنعوا قريبا من هذا، لا هم، ولا الحسين نفسه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا من سبقهم من أجلة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وخلفائهم الأربعة

---

(١) البخاري، ح/ ٣٥٤٣، ٥٦٤٨، والترمذي، ح/ ٣٧٧٠، ومسند أحمد، ح/ ٥٥٦٨، ٥٦٧٥، ٥٩٤٠، ٦٤٠٦، والشريعة، للآجري، ٥/ ٢١٥٦، رقم: ١٦٤٢، ١٦٤٣، والمعجم الكبير للطبراني، ح/ ٢٨٨٤، وهو في غيرها من كتب الصحاح والسنن والمسانيد والمصنفات، وشهرة هذه الرواية وصحتها عندهم أمر مستقر.

(٢) كما في خبر أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الطبراني في المعجم الكبير، ح/ ٢٨٧٨، وفيه: (عن أنس بن مالك، قال: لما أتي برأس الحسين بن علي إلى عبيد الله بن زياد، جعل ينكت بقضيب في يده، ويقول: إن كان لحسن الثغر. فقلت: والله لأسوءنك، لقد رأيت رسول الله ﷺ يقبل موضع قضيبك من فيه)، وبإسناده ابن عساكر في تاريخه، انظر: تاريخ دمشق، ١٤/ ٢٣٥.

الراشدين المهديين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا من سائر آل البيت ــ عليهم صلوات الله وبركاته ــ، فلم يخصوا شيئا من أيام الرسول ﷺ العظيمة، كيوم مولده، أو يوم بعثته، أو يوم مهاجره، أو يوم بدر، وحجة الوداع، وهي متفق عليها بينهم، ولو على سبيل التقية كما تزعم الرافضة، بل لم يثبت أن الرسول ﷺ في حضور الجميع اتخذ من أيامه يوما يستذكر، ومثله الخلفاء الراشدون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من بعده، فلم يتخذوا يوم وفاة الرسول ﷺ ذكرى، ولا يوم الغار، ولا يوم الغدير، ولا أيام فتوحاتهم وحروبهم الكبرى، ولا يوم البداية لتأريخهم الهجري، مع أنهم في نوع حاجة إلى مثله في ذلك الحين، ليظهروا أمرهم، ويبلغوه إلى الناس بنوع من الاهتمام والتضخيم، وخاصة أيام نصرهم وبطولاتهم؛ وأن هذا الباب لم ينفتح إلا في آخر القرن الثاني، ومن أهم مستنده الاستناد إلى المجربات في يوم عاشوراء، كما سيأتي، بإذن الله.

ما سبق لا ينقدح في الأذهان إلا مع نوع استحضار لحب المفاخرة والأثرة بمجد الإسلام، وإن كان نقيض هذا لا يرد إلا من مبغضي أولئك الجيل الأول فإنهم محجوجون بأنهم أحرى بهذا الصنيع لو كانوا يريدون الملك لأنفسهم، ويريدون أن يفاخروا به ممالك الدنيا في زمانهم، والذي كان من عادتهم تعظيم كبارهم وملوكهم، لكن خلفاء النبوة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أبعد عن جنس هذا، بل هم أبغض لليسير من المديح؛ وحال هؤلاء الأربعة في الزهد والعبادة والصبر حين ولايتهم مضرب المثل، ونموذج العدل والرحمة، ورسالتهم هي رسالة النبوة التي أرادوا أن يوصلوها خارج جزيرة العرب.

الغريب أن حال كثير ممن يبغض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويصفهم بالنفاق والمكر والمؤامرة على الإسلام، ويدعي بذلك أنه على مدرسة آل البيت ــ الأئمة منهم ــ أنه لم يستطع أن يسوغ عمله في المآتم والأعياد الطائفية بمقابلة عمل كان الصحابة يعملونه، في استذكار يوم من الأيام التي سبق لهم فيه حدث عظيم من مكرهم المزعوم، مما أورد هؤلاء نوعا من القلق والتقلب في الرأي، فتارة يزعمون أن ذلك بسبب وعي الناس وتعلقهم بآل البيت، وتارة بنوع من الحكم على جمهور الأئمة بالنفاق والردة بعد موت الرسول ﷺ، أو بعد ولاية علي

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أو بعد مقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[1]، فلم يسلم من هؤلاء لا خاصة الناس، ولا عامتهم؛ كما أن تخصيص عاشوراء بنوع من الفرح لم يظهر زمن بني أمية، بل في آخر القرن الثاني، وفيما بعده توسع الأمر، وإذا كان مقتل الحسين من عورات بني أمية فإن الأشبه أنهم لا يحييونه حتى بالصوم، لئلا يتعلق الناس بخصومهم، فكيف بغير الصوم.

ينتج مما سبق أن سلف الأمة من الآل والصحب، الذين خلفوا النبي ﷺ في زمانه وأمره، أن ولايتهم من جنس النبوة، لا من جنس الملك، وأن ولايتهم لم ينلها أحد منهم بقتال لذاتها، وهذا بإجماع المنتسبين للإسلام، وأن ما حصل أو يراد من ولاية بعد صلح وشوكة واقتتال فإنه لا تلحق بها، وإن كان هذا لا يعني الجزم بفساد أحوالها بعد ذلك، ولا تعليق تجويز الخروج عليها بذلك، لأنه استقرت تجارب المسلمين بعدم جدوى ذلك، وأنه لا بد من إقرار جنس هذه الولايات؛ وهذه الثمرة وإن كانت هي واقع السلف نظرا وعملا فإن غيرهم قد اضطر في الواقع إليها، في خاصة مجتمعاتهم، أو في عموم مجتمع المسلمين، وإن زعم أنها تخالف أصوله، ويعتذر لنفسه ولأتباعه وأسلافهم في تحصيل مصالح الاجتماع والسلم أنه في حال تقية.

العذر المذكور هو نفس العذر الذي يعتذر به للسابقين الأولين من أصحاب النبي وآله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وإن تغيرت عبارتهم، أو قصر حولها بلاغهم، وأن النقص الذي يحصل من هذا الوجه من الدين يحتمل لتحصيل ما هو أظهر، والنفوس إلى حصوله أطمع، وتأليفا لهم على دينهم، وأن هذه المصالح لا تتحقق إلا مع التسليم لهذا النقص والقصور من جهة ميراث النبوة، وإلا صار ذلك إذنا للناس على التقاتل على الخلاف حول كل أمر من أمورها، وما أعظم فقه ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين طلب منه مخالفة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على الملأ، فقال:

---

(١) من مقولاتهم ومروياتهم في ذلك: أن الناس ارتدوا بعد الحسين إلا ثلاثة، أو أربعة، أو إلا قليل، انظر: ص٨٥٦ من البحث، وانظر: بحار الأنوار، ٤٦/ ١٤٤، ٧١/ ٢٢٠، ومعجم رجال الحديث، للخوئي، ٢١/ ٣٨، ويفهم من صنيع الخوئي أن الخبر من رواية جابر الجعفي، وانظر: جواهر التاريخ، ٤/ ١٦٨، علي الكوراني العاملي، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الهدى – قم؛ ويصرح العاملي أن علي بن الحسين بدأ من قريب من مرحلة الصفر في الإسلام.

(الخلاف شر)[1]، وهو مما يؤكد أنهم لم يروا النبوة من جنس الملك، بل إنه استحضر ذلك المعنى عند مسير الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى العراق، وهذا لا يعني أنهم يحكمون على مقصد الحسين ومراده، ولكنه ـ لا شك ـ قد يشتبه أمره عليهم، وقد يظنون أن مراده ذلك، ولذلك فالناس بعد ذلك منهم من غلا فأوجب على الحسين هذا القصد، وحرم عليه التقصير في طلبه، ومنهم من عده مأخذا عليه، والحق بينهما.

إذا كانت الإمامية تعتذر لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عدم قتاله على الولاية بعد موت الرسول ﷺ مباشرة، وأنه ترك ذلك لأن نفوس الناس لم تسكن بعد من رهق سيفه، فمنهم من قتل أباه، أو أخاه، أو قريبه، أو نحو ذلك من الأعذار التي يوحون من خلالها في طعن الناس عليه من جهة كون النبوة في بني هاشم، وأنهم لم يرضوا بعد بذلك، لاعتقادهم أنها من جنس الملك، وأن بطون قريش لا تسكن على إبقاء معالم النبوة وآثارها إلا بجنس ما يبطلها من ولاية الملك؛ ومع أن هذا حجة عليهم في حال غيرهم من العرب أو العجم، بأنهم لم يرضوا بقبول الدين والإسلام إلا بجنس من الملك، وأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تنازلوا عما يتهمون فيه حفاظا على مصلحة الدين، بل إن من هؤلاء الذين ادعوا التشيع لآل البيت من جعل الإمامة وراثة وتسلسلا في الأعقاب، على عادة الفرس مع ملوكهم، ولجأوا فيه إلى أحوال الزنادقة المتسترين نفاقا وكيدا؛ كل ذلك حجة عليهم، وهو حجة للسابقين الأولين من الآل والصحب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في أن لا يربط الدين بالقتال على ولاية أحد لذاته على سبيل الملك، وأعظم ذلك أن يربط بمثل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ما تحقق أكثر في حركة المتشيعين له على اختلاف مقاصدهم.

إذا تبين موقفهم السابق فإنه حري بهم ألا يتخذوا يوم ولاية أحد أو مقتله يوم ذكرى، بل

---

(١) وأصل المخالفة واسترجاع ابن عمر في: البخاري، ح/ ١-٣٤، ومسلم، ح/ ٦٩٥، ونصه: «صليت مع رسول الله ﷺ بمنى آمن ما كان الناس وأكثره، ركعتين»، والزيادة المذكورة في: أبي داود، ح/ ١٩٦٠، والمعجم الأوسط، ح/ ٦٦٣٧، السنن الكبرى للبيهقي، ح/ ٥٤٣٤- ٥٤٣٦، وصححها الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة، ١/ ٤٤٠، رقم: ٢٢٤.

لم يتخذوا قبله يوما لاستذكار النبوة ونورها، وكل ذلك أحرى بالأمة وبالمسلمين أن ينحازوا بما معهم عن غيرهم من الأمم، بل حتى يكون أمرهم لله وحده، ولما شرعه لهم من أيام، ولذا لم يرد أنهم اتخذوا لمقتل الحسين ولا لغيره يوما يستذكرونه فيه، بل لم يرد عنهم توارد هممهم لضبط تاريخه، ولا التأريخ به، بل استمروا على التأريخ بالهجرة لا من جهة يومها الذي بدأت فيه، أو انتهت به، وإنما من جهة العام الذي جرت فيه، فأرخ المسلمون سنتهم الأولى ابتداء من محرم الذي سبقها، والذي تنقل الرسول ﷺ فيها بين حرمين، ولم يعلق في نفوس الناس أثر لذلك إلا من جهة منازعته لعوائدهم، أو شرق بعضهم به لهواه، أو لطمعه في الاستئثار ببلده عن موطن الحرمين: مكة والمدينة.

مع كل ما سبق فإنهم لم يؤرخوا بعاشوراء، لا حبا ولا كرها، ولم يربطوا بين صيام ذلك اليوم ووقوع مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه، لاستقرار الأمر عندهم أنه يوم من أيام الله، وهو إما من أيام نبي الله موسى ﷺ، وإما أنه من أيام الجاهلية التي ورثتها قريش من شرع سابق، وأنهم لم يثبت عندهم التوافق المذكور، وهو الأقرب؛ وأن الانشغال به لا يعني الغض من مصيبة الحسين، أو الفرح بها، ومن ألزمهم بهذا فهو مفتر كذاب، ليس له دعوى صحيحة، ولا شبهة مقبولة، وإنما أراد الطعن على أمر يشترك فيه الآل والصحب، ألا وهو الحرص على الاجتماع والجماعة، ومن ذلك أن الولاية خلافة نبوة، لا خلافة ملك، وأن التنازل عنها لتحقيق هذه المصلحة هو الأرجح، وهو الأغلب من حال الآل والصحب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأن ما أشكل من غيره فإنه يرد إليه، وبه تحصل سيادة ذلك الجيل وشرفه.

استحباب صيام يوم عاشوراء يرويه الصحابة بعد المقتل وقبله، وهو عندهم إما على التخيير وعدم العزيمة، وهو ما يحدث به عمر بن عبدالعزيز ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا، وإما على التخيير مع العزيمة على الصوم، وهو ما روي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره ممن سكن الكوفة قبله ومعه، كأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإما على التخيير مع العزيمة على الترك، وهو مروي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ت/ ٣٢هـ، شيخ الكوفة قبل زمان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومثله ما شدد فيه على المخالفة، بتأكيد استحباب صيام يوم قبله، كحال ابن عباس

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[1]؛ وهذا الاختلاف مما يؤكد عدم تقصدهم للربط بينه وبين مقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

السلف في موقفهم من الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومن مقتله لا يلزم منه أنهم أقروا بني أمية على جنس ما خالفهم الحسين لأجله، ولا أن موقفهم فيه تزكية لولايتهم، وأنها من خلافة النبوة، بل إنه إقرار من بعضهم لجنس طلبهم الولاية، خوفا من توسع الفتنة التي تيقنوا حصولها، ووقعت كما ظنوا، وهنا يلحظ أن من يتحدث عن موقف الصحابة لا يشيد بجهودهم التي منعت يزيداً عن مزيد من البغي، واجتهدت في دفع مصيبة مقتل الحسين، وهذه هي بيئة جمهور الأمة، وقد سبق أن هذا هو منطق الإمامية في التعامل مع موقف آل البيت قبل حادثة عاشوراء، وبعدها، لكنهم لا يعاملون بهذا المنطق الصحابة؛ فما يعلق في الأذهان من سوء ظن خلال ذلك فيدفعه اعتراف الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بمقام القرابة ومودتهم، وروايتهم للآثار الواردة في ذلك قبل المقتل وحينه وبعده.

مما يذكر حول الأحداث التي جرت بعد مقتل الحسين موقف أبي برزة الأسلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[2]، وهو من شيعة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فحين احتار بعض التابعين في أمر تلك الفتن التي جرت في البصرة والكوفة، وبين مروان وابن الزبير؛ فسأله الناس عنها، يروي البخاري في صحيحه عن أبي المنهال، أنه دخل هو وأبوه على أبي برزة الأسلمي في داره، وهو جالس في ظل علية له من قصب، فجلسنا إليه، فأنشأ أبي يستطعمه الحديث فقال: (يا أبا برزة، ألا ترى ما وقع فيه الناس؟ فأول شيء سمعته تكلم به: إني احتسبت عند الله: أني أصبحت ساخطا على أحياء قريش، إنكم يا معشر العرب، كنتم على الحال الذي علمتم من الذلة والقلة والضلالة، وإن الله أنقذكم بالإسلام وبمحمد ﷺ، حتى بلغ بكم ما ترون، وهذه الدنيا التي أفسدت بينكم، إن ذاك الذي بالشأم، والله إن يقاتل إلا على الدنيا، وإن هؤلاء الذين بين أظهركم، والله إن يقاتلون

---

(١) حول روايات الصحابة ومذاهبهم في صوم عاشوراء انظر الفصل الثاني من الباب الرابع.

(٢) أبو برزة نضلة بن عبيد الأسلمي، أسلم قديما، وشهد خيبر، حضر حرب الخوارج الحرورية مع علي، وشهد معه صفين، وينكر على بعضهم، فيقول: (إني غزوت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ستا، أو سبعا، وشهدت تيسيره)، توفي سنة ٦٤هـ، ولعله بعدها بيسير، بناء على خبر البخاري، انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٠- ٤٤.

إلا على الدنيا، وإن ذاك الذي بمكة والله إن يقاتل إلا على الدنيا)[1].

يظهر أن أبا برزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان بالعراق حين تكلم بهذا، ويشير بكلامه إلى التوابين من أهل الكوفة، أو القراء في البصرة، وهم الخوارج، الذين أخرجوا ابن زياد من البصرة، وكلاهما بايع لابن الزبير، أو تابعه في بعض الأمر أو أوله، وتعليقا على هذا الموقف يقول الحافظ ابن حجر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: (وهذا يدل على أن أبا برزة كان يرى الانعزال في الفتنة، وترك الدخول في كل شيء من قتال المسلمين، ولا سيما إذا كان ذلك في طلب الملك، وفيه استشارة أهل العلم والدين عند نزول الفتن، وبذل العالم النصيحة لمن يستشيره، وفيه الاكتفاء في إنكار المنكر بالقول، ولو في غيبة من ينكر عليه، ليتعظ من يسمعه فيحذر من الوقوع فيه)[2].

عدم استيعاب الحدث قد يكون له مبرراته في وقته، كما جرى في الفتنة الأولى، والتي لم يستقر بعض الخلاف فيها إلا في القرن الثالث، لكن مع ذلك وبعده يجب الرجوع إلى أعلام الأمة وهداتها، وهذا هو نهج التابعين الذين شهدوا تلك المصيبة، والتثبت في تأمل أحوالهم وتخريجها.

عرضت فيما سبق لموقف السلف من يوم مقتل الحسين حسب اجتهادي، علما أن أمر مقتله لم يكن في وقتهم كما يهول ويغالى فيه، مع حزنهم عليه في حينه، وأن الإشكال حوله برز فيما بعد بسبب الغلو في الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآله، وقد سبق مقتله بمقتل أعظم منه، جرى في عاصمة الإسلام، ودار الخلافة والهجرة، وفي مجمع من المهاجرين والأنصار، فاضطرب له الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اضطرابا عظيما، وحصلت لهم الفتنة المشهورة، ولذلك كانت نفوسهم قبل مقتل الحسين مستذكرة لذلك المصاب، وذلك الخلاف، وتلك الدماء، التي هي أول شرخ في الإسلام، وتبعه ندم كثير من الصحابة عن موقفه في الاقتتال باسم الثأر لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وطابت النفوس بتذكر أحاديث الفتن والتوبة مما جرى، وتوجت تلك المرحلة بموقف مشهود عظيم، على شرف سيد من سادات المسلمين.

(١) البخاري، ح/ ٦٦٩٥.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١٣/ ٧٢- ٧٤.

المطلـــب الثالث

وقفات حول موقف السلف

بعد عرض موقف الصحابة وخلفهم الصالح من الحسين ويوم مقتله أذكر بعدة أمور، هي كالتلخيص لما سبق، وكالتنبيه على ما يوضح ذلك الموقف، وذلك كما يلي:

١. إجلال السلف للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحبهم له، وشفقتهم عليه وحزنهم لمقتله، وبذلهم النصح للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسيره، والذي يشك في محبتهم له، وصدقهم وحزنهم على مقتله ومصابه فهو رافضي.

٢. أنه لم يثبت عن أئمة الصحابة وفقهائهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ موقف في القدح بفقه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذا مع مراجعتهم له في أمر البيعة والمسير إلى العراق، ومع الجزم من معرفتهم برأيه فإننا لم نرهم يعنفونه، ويرمونه بمنكر ومعصية، أو بغي وبدعة، ويظهر أنهم يرون أن نصوص مفارقة الجماعة لا تتناول الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل صنيعهم معه يوحي بأنهم يرون أنه اجتهد؛ كما أنه لم ينكر هو عليهم، ولم يعزم عليهم في بيعة، مما يدل على أنه من مظان الاجتهاد والعذر فيما بينهم، وأنه لن يسعى من بعدهم إلا ما وسعهم، اقتداء بهم، وبمقامهم وفقههم، ورعاية لحق الصحبة والقربى.

٣. أن مصاب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مصاب عظيم استرجعوا له عندما نعي إليهم، وهذا حال المؤمن عندما تصيبه مصيبة، أو تتجدد له ذكراها، وأنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يكونوا يخالفون الشرع، ويحيون سنن الجاهلية، التي يلتزمها الإمامية من قرون طويلة، وأجر الاسترجاع على المصيبة ولو بعد عهدها يكتب بمثل من استرجع عليها حينها، وهذا فيه فرج عظيم للأمة، والأعجب فيه أنه يروى من طريق الحسين وآله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو من عجائب الإسلام[(١)].

٤. رواية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما ورد من فضل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد مقتله، ومن ذلك أن

---

(١) انظر ص٤٥٤ – ٤٦٣ من البحث.

ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حينما ذم أهل العراق، وعاتبهم في دم الحسين، وذلك لمظنة وجود الرضى منهم بصنيعهم، وصنيع أمثالهم ممن يستحل الدماء لمثل ذلك؛ أنه علل ذلك العتاب بفضل الحسين، وأنه كما قال جده ﷺ عنه وعن أخيه الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ريحانتاي من الدنيا)[1].

٥. لم يتخذوا يوم مقتله ميقاتا وذكرى، والذي يظهر من روايات الأخبار والأحاديث أنه لم يرد عنهم ربط لتعظيم مقتله بكونه صادف يوم عاشوراء، وأنهم لم يكن مشتهرا بينهم تحديد مقتله بهذا اليوم، لتأخر وصول الأخبار إلى البلدان الأخرى، كالحجاز مثلا، كما تفيده الرؤيا المروية عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حيث قال: (رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائل، أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا؟ قال: دم الحسين وأصحابه، لم أزل ألتقطه منذ اليوم، قال: فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قتل في ذلك اليوم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ)[2]؛ ومع أهمية هذا الخبر، وكونه أصح خبر في بابه فإنه لم يلتحق به أن ذلك اليوم وافق عاشوراء؛ مما يدل على عدم تداعي الهمم لذلك.

٦. أنه لم يرد عنهم كراهة صوم يوم عاشوراء بعد مقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لموافقته لذلك اليوم، وأنه لم يستقر الربط بينهما، إما لعدم اشتهار كون المقتل في نفس يوم عاشوراء، وهذا الأقرب من حالهم، حيث لم ينقل عنهم ما يدل عليه، وإما لأن صوم عاشوراء لا علاقة له بهذه المصيبة من جهة نسخ حكمه السابق، وأن الأمر عندهم بقي على ما كان عليه من مشروعية الصيام، بناء على ما جاءت به الأخبار النبوية.

٧. أنه لم يرد ربط الحزن على مقتله ومصابه بما يحدث من تغيرات كونية، تشير إلى نوع من الآية والعبرة، وأنه وإن كان يجري مثله لبعض الأولياء والصالحين؛ لكن ذلك لم تتداع له همة الثقات والأئمة بالنقل، كما تداعت همتهم لنقل ما صح من فضله وبشراه بالجنة، وهذا يدل على إعراض السلف عن كثير مما ترويه الشيعة لاختلاطه بكثير من الباطل والكذب؛ وإن كان البعض من المحدثين استحسن نقل كثير من هذه الأخبار[3]، وأنه بمثل هذا ارتبط الكلام عن

---

(١) سبق تخريجه قريباً ص٢٠٨ من البحث.

(٢) لخبرها انظر ص١٠٦١ من البحث.

(٣) وهو أمر اتخذه ابن الوزير ذريعة ومدخلاً للدفاع عن أهل السنة ومحدثيهم وفقهائهم، انظر: العواصم =

الموقف من مقتل الحسين، والموقف من ولاية يزيد.

٨. أن مسألة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تزداد إشكالا إذا ربطت بالموقف من يزيد بن معاوية وولايته، ومن جواز لعنه، وقد اختلف العلماء فيه على ثلاثة أقوال، قد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهي كما يلي:

أ- قوم يعتقدون أنه كان كافراً منافقاً في الباطن، وأنه كان له قصد في أخذ ثأر كفار أقاربه من أهل المدينة وبني هاشم.

ب- قوم يعتقدون أنه كان من الصحابة، أو الخلفاء الراشدين المهديين، أو من الأنبياء، كبعض جهلة الأكراد، ومثله من يقول من الأمويين: إن الخليفة يتقبل الله منه الحسنات، ويتجاوز له عن السيئات، وهذا كله باطل.

ت- قوم يرون أنه ملك من ملوك المسلمين، له حسنات وسيئات، وأنه لا يعان على المعصية والسيئة، وأنه لم يتول على جميع بلاد المسلمين، كحال ولد العباس، بخلاف عبد الملك وأولاده فإنهم تولوا على جميع بلاد المسلمين[1].

= والقواصم، ٨/ ٥٢، ٥٦، ومن ذلك قوله: (ونقل الحافظ الهيثمي الشافعي في كتابه مجمع الزوائد عن أئمة الحديثِ وثقاتهم، الكثير الطيب مما يدلُّ على حب أهل البيت، مما يرويه الشيعة في مقتل الحسين عليه السلام، من كراماته العظيمة، ومناقبه الكبيرة، وزاد على نقل الشيعة بيان من رواه من أئمة الحديث، وبيان ثقة رواته عند أهلِ العلمِ بهذا الشأن)، ومما تعلق به ابن الوزير -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- بسبب مثل هذه الروايات أن حمرة الشفق لم تكن إلا منذ قتل الحسين، خلافاً لأبي حنيفة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١) بتصرف من عدة مواضع، انظر: منهاج السنة، ٤/ ٥٤٩، ٣٨٥، ٥١٨- ٥٣٠.، وانظر: البداية والنهاية، ٦/ ٢٥٦، وذكر ابن كثير أن مواقف الناس من يزيد ثلاثة: النواصب من أهل الشام، والروافض الذين يتهمونه بالزندقة، وطائفة لا تحبه، ولا تسبه، ولا يعتقدون زندقته، ويكرهون أفعاله القبيحة المنكرة، وقد يعتذرون بعدم علمه ورضاه بقتل الحسين، وبندمه إن صح، وانظر: شذرات الذهب، ١/ ٢٧٦، لابن العماد الحنبلي، ونقل مثله عن ابن الصلاح -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، وذكر أن التوسط هو الصواب، فقال: (وهذه الفرقة هي المصيبة، ومذهبها هو اللائق لمن يعرف سير الماضين، ويعلم قواعد الشريعة الظاهرة)؛ وذكر ابن العماد أنه نقل الاتفاق على تحسين خروج الحسين على يزيد، وأهل الحرمين، وابن الأشعث على بني أمية، وعلى الحجاج، وعلى من كان في مثل حالهما -كما عند الجمهور-؛ ولكن ما ذكره ابن العماد معارض بموقف جمع من الصحابة =

ارتبط بهذا التقسيم جواز الخروج على ولاية يزيد، وقد خالف شيخ الإسلام ابن تيمية في القول بوجوب الخروج على مثله، وكأنه يميل إلى نوع من الكراهة، لما ترتب عليه من المقتل والمصيبة العظيمة، لا لذات عدالة يزيد، ولكن لتغلبه، وخشية الفتنة؛ وذكر أن مضي ولاية يزيد لا ينكر أمرها وخبرها إلا مكابر، وخبرها متواتر مشهور[1]، ويفهم من كلامه ـ أيضا ـ أن القتال في هذا الموضع قتال فتنة، ولا يقاتل معه، كما أن الخروج لقتاله هو قتال في فتنة، لتعلقه بذات الولاية، ولأنه لم يؤمر بالقتال في الفتنة، فكيف يقال بأنه كان واجبا، ويظهر أن ذلك منه موافقة وتأولا لموقف جمع من الصحابة وكبار التابعين[2]، فيقول ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ: (فإذا تولى خليفة من الخلفاء، كيزيد وعبد الملك والمنصور وغيرهم، فإما أن يقال: يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يولى غيره، كما يفعله من يرى السيف، فهذا رأي فاسد، فإن مفسدة هذا أعظم من مصلحته)[3].

كأن شيخ الإسلام يرى أن حدود اسم النصب لا يتناول من قال بهذا القول، أي بعدم وجوب الخروج على الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لأن القول بلازمه قول فاسد، كما أنه لم يجعل من قال به متشيعا لذات موافقة الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بل قرر قاعدة عامة في هذا الباب، فقال: (والصواب الجامع في هذا الباب أن من حكم بعدل أو قسم بعدل نفذ حكمه وقسمه، ومن أمر بمعروف أو نهى عن منكر أعين على ذلك، إذا لم يكن في ذلك مفسدة راجحة، وأنه لا بد من إقامة الجمعة والجماعة، فإن أمكن تولية إمام بر لم يجز تولية فاجر، ولا مبتدع يظهر بدعته،

=

الذين لم يخرجوا معه، ولم يذكر لقولهم تخريجاً.

(١) انظر: منهاج السنة، ٤/ ٥٢٤.

(٢) انظر: منهاج السنة، ٤/ ٥٤٩، ٣٨٥، ٥١٨- ٥٣٠، وقد سبقت الإشارة إلى تقسيم شيخ الإسلام لأقوال الناس حول مقتل الحسين، وقد يشكل عليه أمر استدامة بيعة يزيد حال قتال الفتنة، ولعله يراه زمن توقف واعتزال، وإن بويع لأحد المتقاتلين لسبقه فإنه يوفى ببيعته حتى تنتهي ولايته، وإذا لم تعقد لأحد بيعة فيتوقف في البيعة إلى أن تجتمع كلمة المسلمين على واحد، ولو بالغلبة، وهو حال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيرهما.

(٣) منهاج السنة، ٤/ ٥٢٧.

فإن هؤلاء يجب الإنكار عليهم بحسب الإمكان، ولا يجوز توليتهم،...)[١].

يظهر أن هذا التأصيل يعتمده أهل كل مذهب فيما بينهم، ومثله الموقف من الفاسق من أهل الطائفة[٢]، لكن الإشكال فيما يقع بينهم مع من يخالفهم؛ ويتضح بشكل أظهر في الجوانب العملية لأحاديث عاشوراء، وحدود النصب والتشيع فيها، وهي ألصق بحياة عامة الناس، لتعلقها بجانب العبادة والتنسك والقرب، فيما قد يرى ما سبق في جانب الولايات والسياسات التي يعتني بها الخاصة.

صنيع أهل العلم والمقالات أنهم لا يحكون في هذا الباب قول الإمامية أصلاً، لأنهم يرون أنهم أهل انتظار، وأنهم مجمعون على هذا، وابن تيمية يبين وينقل قول أبي الحسن الأشعري أن الإمامية لا ترى السيف، وأنه قال: (وأجمعت الروافض على إبطال الخروج، وإنكار السيف ولو قتلت، حتى يظهر لها الإمام، وحتى يأمرها بذلك)[٣]، ثم قال: (قلت: ولهذا لا يغزون الكفار، ولا يقاتلون مع أئمة الجماعة، إلا من يلتزم مذهبه منهم؛ فقد تبين أن المباينة والمشاركة في أصول العقائد قدر مشترك بين الرافضة وغيرهم)[٤].

هذا القول المروي عنهم لم يثبتوا عليه مع طول الزمن ــ كما تبين ــ، فالاثنا عشرية الآن تعيش مرحلتها الحسينية، والتي تعتمد على تعظيم الخروج في عاشوراء؛ مما يعني إعادة توصيف قولها المشهور عنها، الذي يظن أنه إجماع بينهم؛ فهو محل نظر، وفضلاً عن أن الإجماع غير منعقد عندهم أصلاً، فوقوع الإجماع بينهم على الانتظار أولى بالتوقف فيه؛ إذ العبرة بالنص ــ خاصة عند الإخبارية ــ[٥]؛ علماً أن الإمامية يشاركون غيرهم في السيف مع غير

---

(١) منهاج السنة، ٤/ ٥٢٧.

(٢) ابن تيمية يحكي عن أكثر الإمامية أنهم لا يرون أن الفاسق يخلد في النار، انظر: منهاج السنة، ٤/ ٥٧٠- ٥٧١.

(٣) مقالات الإسلاميين، ١/ ٦٣، ونقله ابن تيمية في منهاج السنة، ٤/ ٥٢٧.

(٤) مقالات الإسلاميين، ١/ ٦٣، وانظر: منهاج السنة، ٣/ ٤٦٦.

(٥) هذا من اعتنائهم ببعض الأخبار غير المشهور بينهم، كأحاديث الوعيد الشديد على القتلة، وممن يحييها المجلسي في بحار الأنوار، فيقول أحيانا حين يذكرها: عند (بعض أصحابنا)، وقد لا يصرح بمصدرها، ومن أشهرها: (إن قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل النار...)، وهو يروى مرفوعا، وموقوفا على علي، وقد ذكره =

الأئمة[1]، فدعوى الإجماع منقوضة بالضرورة عند بعضهم، كما في ولاية الفقيه الجديدة، التي ترى الخروج والثورة، ومنقوضة قبلها بمفهوم الخروج في موسم عاشوراء، والذي يظهر من خلال الاستعداد للرجعة، أو الظهور مع القائم المستتر، وفي الثأر من القتلة، وذرياتهم، ولو من غير إذن إمام، لعظم مصيبة الحسين، والوعيد الشديد على قاتليه، والذي لا يشابهه أي وعيد، ولا يقبل معه توبة، فهده المصيبة لو قتلت لأجلها الأمة وأفنيت لما استكثر عندهم، كما زعموا أن الناس ارتدوا بعدها إلا قلة، فكذلك نفوس العوام ستتعلق بمن يريد الخروج للثأر، لأجل الهروب من مغبة الردة؛ وقد يكون ميل الإخبارية إلى هذا أظهر، ولذا يحرجون من استخدام التقية رغبة في استعجال الوصول إلى مثل هذه الحال، ولذا قد يظهر بينهم من يدعي المهدوية، أو يروج عندهم تصديقه، لطمعهم الشديد بظهور المهدي، ولعل لذلك ينسب مذهب أحمد الأحسائي (الشيخية) إلى دعاوى المهدية؛ كما أنه يقاربهم بعض محدثي الأصولية الذين يضيقون في استعمال التقية، ومنهم الخوئي[2].

=

ابن تيمية في: منهاج السنة، ٤/ ٥٨٥، وقال: (فهذا من أحاديث الكذابين الذين لا يستحيون من المجازفة في الكذب على رسول الله ﷺ، فهل يكون على واحد نصف عذاب أهل النار؟ أو يقدر نصف عذاب أهل النار؟ وأين عذاب آل فرعون، وآل المائدة، والمنافقين وسائر الكفار؟ وأين قتلة الأنبياء، وقتلة السابقين الأولين؟).

(١) انظر ص٩٦٠ من البحث، ومن صور استعانتهم بالكفار سقوط بغداد، وغزو الشام ص١٠٢٢- ١٠٢٣، ١٠٢٧.

(٢) الخوئي له تحرير مطول ومهم عن التقية، كتاب الطهارة، ٤/ ٢٤٦- ٣٢٧، تحت عنوان: (إذا كانت الضرورة هي التقية)، وذكر هذا البحث المطول عند المسح على الخفين تقية، بدلاً من مسح الأقدام، ودخوله تحت تقية الضرورة، ومن أنواعه التقية المحرمة بالقتل: والتي ذكرها، ٤/ ٢٥٧، ويفهم من كلامه أنه يرى أن الأولى تنزيل بعض الأحوال -كهذا الزمن- على ترك التقية وجوباً، فيقول: (أن الواجب ترك العمل بالتقية، وتوطين النفس للقتل، لأن المفسدة الناشئة عن التقية أعظم وأشد من مفسدة قتله؛ نعم، ربما تكون المفسدة في قتله أعظم وأكثر، كما إذا كان العامل بالتقية ممن يترتب على حياته ترويج الحق بعد الاندراس، وإنجاء المؤمنين من المحن بعد الابتلاء، ونحو ذلك، ولكنه أمر آخر؛ والتقية بما هي تقية متصفة بالحرمة في تلك الصورة كما عرفت، ولعله من هنا أقدم الحسين سلام الله وصلواته عليه وأصحابه رضوان الله عليهم لقتال يزيد بن معاوية، وعرضوا أنفسهم للشهادة...)؛ وبها يثني على الشهيدين من الإمامية، وهذا مما يعني تشجيع من يترك التقية ويلجأ للثأر، ولو عرض نفسه ومن معه للقتل، وهذا هو الخروج، والذي يقوله من يري السيف، ويقول الخوئي، ٤/ ٢٥٩: (بل الظاهر بما
=

٩. أن الذي استقر عليه كلام بعض المتأخرين من أهل السنة والجماعة أن الخروج ـــ بعمومه ـــ مع كلا الطرفين المتقاتلين، وبكلتا الحالتين بغي وفتنة وتغلب[١]، وأن جور الحاكم وفسقه لا يوجب عزله، كما أن خروج الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ بخصوصه ـ واجتهاده في ذلك لم يوجب ـ عندهم ـ فسقا، أو تضليلا وتكفيرا، أو رد نصوص فضله وسيادته، بل يحفظ حقه وقرابته وفضله، ويتبرءون ممن انتقصه لأجل ذلك، ويذكرون أنه من صنيع النواصب، كالمروانية[٢]،وقد يتوسع البعض فيلحق بهم بعض الكرامية[٣]، ومن يتوقف في

=

ورد من أن التقية شرعت ليحقن بها الدم، فإذا بلغت التقية الدم فلا تقية؛ إن التقية جارية في كل شئ سوى القتل)، ومع ذلك يقول في تعليله لأحد المسائل، ٤/ ٣١٨: (لا بد من حمل ما ورد من أنه ليس منا من لم يجعل التقية شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون سجية مع من يحذره على التقية بهذا المعنى الأخير)!.

(١) منهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، كما سبق، ويفهم من صنيع كثير من الفقهاء والمحدثين الذين لم يستثنوا إلا من كان مثل حال يزيد، الذي جوزوا الخروج عليه، وإلا فالخروج عند بعضهم من جنس البغي.

(٢) المروانية: نسبة إلى مروان بن الحكم الأموي وذريته الذي بقيت فيهم دولة بني أمية بعد مقتل الحسين، حتى سقوطها، وقد يوسع البعض المصطلح ليكون بمعنى العثمانية، وهو غير لازم، وكلها هذه الأسماء في مقابل الشيعة التي غلت في أمر علي وآله، ومنه موقفهم من قتال الحسين، وذلك لدعواهم خروجه على جماعة المسلمين، وشق عصى الطاعة، وزعموا أنه أول خارج في الإسلام على ولاة الأمر، انظر: منهاج السنة، ٤/ ٥٥٣، ٥٨٥، ٨/ ١٤٧، والنصب والنواصب، العواد، ص٦٣- ٨٠، ١٤٠، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة، ٣/ ١١٩٣- ١٢١٣.

(٣) الكرامية: أتباع أصحاب محمد بن كرام السجستاني، ت/ ٢٥٥هـ، من فرق المرجئة، ومن متكلمة الصفات، ومن مقالاتهم: أن الإيمان قول باللسان، وأن قاتل النبي ولاطمه لم يكفر من أجل القتل واللطمة، ولكن من أجل الاستخفاف، وكذلك تارك الصلاة مستخفا، وفي الإمامة يجوزون نصب إمامين في وقت واحد، إذا لم يمكن الاجتماع على إمام واحد، كلاهما إمام مصيب للحاجة إلى ذلك، وهو مذهب أكثرهم، ومنهم من يقول: بل المصيب أحدهما لا بعينه، ومن ذلك علي ومعاوية، ومنهم من يوافق فقهاء المذاهب الأربعة في تصويب علي، وهكذا قالوا في زمن ابن الزبير ويزيد، حيث لم يجدوا الناس اتفقوا على إمام، انظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ١٢٠، وأصول الدين، البغدادي، ص٢٩٠، والملل والنحل، ١/ ١١٣، ومنهاج السنة، ١/ ٥٣٧، ٤/ ٣٩٣، ٤٤٧، ٧/ ٥٠، والكرامية يتهمون من جهة أنهم حشوية، لتعلقهم بالأحاديث، ولكن قال الشهرستاني: (ومذهبهم الأصلي اتهام علي رضي الله عنه في الصبر على ما جرى مع عثمان رضي الله عنه، والسكوت عنه، وذلك عرق نزع)، وهذا مذهب المرجئة الأولى بتصوير الشهرستاني، وهو إرجاء أمر عثمان =

يزيد[1]، لتقاربهم في عدم تحسين خروج الحسين[2]؛ ولكن آل الأمر ــ مع تباعد الزمن ــ إلى نسيان قولهم، وشيوع القول بأن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو العدل، وأن يزيد هو الباغي، حتى كاد

=

وعلي، وهو بهذا يشبه من وجه مذهب الكاملية من الشيعة الذين كفروا علياً، أو أن قول الكرامية جاء في مقابلهم، وأنكروا الخروج، لارتباطه عندهم بالإمام (المجمع عليه)، وهناك من عدهم من النواصب، والله أعلم؛ وانظر: الروض الباسم، ١/ ٢٣٣- ٢٤٤، وسيرد كلامه في الحاشية التالية، والنصب والنواصب، ص٧٧.

(١) يسميهم بعض المصنفين الجبرية، والمرجئة، أو الحشوية، ويرمى بهذا طوائف كثيرة من أهل السنة، وللرد على هذا انظر: الروض الباسم، ١/ ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٣٨٨،، ٢/ ٥٠٥- ٥١١- ٥١٨، ٥٣٣- ٥٦٢؛ والروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير، وهو ملخص لكتابه العواصم والقواصم، وقد عرض في كلامه لمن أسرف من الزيدية في الطعن على المرجئة (من فقهاء السنة)، ولغيرهم من فقهاء أهل الحديث، وجاء نقده لهذا الجانب من عدة أوجه، لأن ذلك من الكذب الباطل، ومخالفة للمعلوم بالضرورة من كلامهم وأحوالهم، ففيهم من الزهاد والعباد وأهل الورع والمراتب الشريفة طوائف كثيرة، مما يجزم معه بطلان تهمتهم بالضرورة.

(٢) الأحكام والأوصاف التي وصف بها هؤلاء المذكورن الحسين عند حكمهم على خروجه؛ تدور على ثلاثة أمور، وهي كما يلي:

١. أنه باغ بخروجه، ويجوز قتاله ودفعه، وأنه وإن وقع بقتله فساد وضرر، فإن مجرد قتله لا يوجب عزل يزيد، ولا كفره، وهو قول لبعض الكرامية.

٢. أنه خارج، مفارق لجماعة المسلمين، وخارج على ولايتهم القائمة، وأنه ليس له ولاية، بل هو خروج قبل أن تنعقد له ولاية، ولذا لا يعدونه في الخلفاء والولاة، بل يرى هؤلاء أنه لا يستحق بفعله مدحاً، وصنيعهم يوحي بأنهم لا يلحقون أمره بالفتنة الأولى، فلم يعامل بالصلح والتحكيم، بل يدفع شره عنهم كما يدفع شر غيره من الخارجين، وهذا هو قول الناصبة، من المروانية، وغيرهم؛ انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٤/ ٤٨٦.

٣. أن قتله كان بتأويل وشبهة، ولمن ابتلي به معذرة، لكونه ظاهر بعض النصوص، وأنهم لم يكونوا مكفرين للحسين، ولا مفسقين، كما أن من أخرجوه يذمون، لأنه حصل بفساد رأيهم أعظم مما ادعوه، بل ضرر عظيم، وهو انتهاك حرمة الحسين، والغدر به وخيانته، علماً أن هذا ينحصر في طائفة من أهل تلك الفترة، وهذا التوجه ظهر الانتصار له متأخراً، كمخرج للنزاع من هذه المسألة، والاعتذار للسابقين، وهو قول ابن العربي، وقد يكون سبقه إلى الاعتذار شيخه الغزالي، لكن لم أقف على من ربط بينهما، انظر: العواصم من القواصم، ص٢٣٢، والنصب والنواصب، ص ٤٨٠- ٤٨٢، ٨١٢.

البعض أن يحكي عليه الإجماع والاتفاق لدى المتأخرين، ومثله جواز لعن يزيد[1]؛ وهذا يذكر بالإجماع المناقض تماماً له، وهو الإجماع الذي حكاه أبو بكر بن مجاهد المتكلم البصري[2]، في تحريم الخروج على أئمة الجور، وقد أنكر عليه، لما يفهم منه مخالفة الإجماع المظنون على بغي يزيد، وأنه يؤدي إلى تفسيق الحسين والطعن عليه[3]؛ فجاء الإجماعان متعاكسين من حيث

---

(١) انظر: إرشاد الساري، ٥/ ١٠٤، وذكر أن فسق يزيد أمر متواتر في مجمله، دون آحاده، ومثله: عمدة القاري، ١٤/ ١٩٨– ١٩٩، وفيض القدير، ٣/ ٨٤، وجزموا أن يزيد لا تتناوله أخبار المغفرة، بل إنه ممن يتوقف في إيمانه.

(٢) ابن مجاهد: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البصري، تلميذ أبي الحسن الأشعري، صنف التصانيف ودرس علم الكلام، وكان حسن التدين، من تلاميذه في الكلام، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، ت/ ٤٠٣هـ، فالظن أن شيخه توفي بعد منتصف القرن الرابع، انظر: تاريخ بغداد، ١/ ٣٦٠، ٢/ ٤٥٥، وعنه: سير أعلام النبلاء، ١٦ / ٣٠٥، ١٥/ ٨٧، والعواصم والقواصم، ٨/ ٧٦، ونبه محقق العواصم والقواصم إلى أن حصل غلط في كنيته فقيل: أبو بكر، والصواب أبو عبدالله.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٢/ ٢٢٩، والنووي حكى الإجماع على أن الوالي الفاسق لا ينعزل بإجماع أهل السنة، وأنه يحرم الخروج عليه بإجماع المسلمين؛ وممن شنع على من قال بذلك ابن حزم في مراتب الإجماع، وذكر أن ممن أنكر على ابن مجاهد دعوى الإجماع القاضي عياض -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، وذلك لما استظهره أن القول بذلك فيه تعريض بالصحابة وكبار التابعين، وفتح للطعن عليهم وتجريحهم،أما ابن حزم فقال عن ابن مجاهد البصري: (فانه أَتَى فِيمَا ادّعى فِيهِ الإجماع أَنهم أَجمعُوا على أن لَا يخرج على أَئِمَّة الْجور)، انظر: مراتب الإجماع، ص١٧٨، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، ت/ ٤٥٦هـ، دار الكتب العلمية – بيروت؛ وانظر: تاريخ ابن خلدون، ١/ ٢٧١، وفتح الباري، ١٢/ ٣٠١؛ ومواقف المعارضة في خلافة يزيد، ص٤٨١– ٤٨٣، والشيباني في معرض حديثة عن أسباب خروج أهل الحرة ناقش كلام ابن حجر حول خروج بعض السلف، ومخالفته للإجماع الذي ذكره القاضي عياض، الذي نقله من شرح النووي على مسلم، ١٢/٢٢٩، طبعة دار الإفتاء، لكن النسخة التي وقفت عليها توحي أن القاضي ذكر القول على صيغة التمريض، لا الاحتجاج، وهو ما فهمه ابن الوزير من كلام القاضي، وكلام ابن حزم، والذي وافقه عليه: الفقيه جمال الدين الرِّيَمي، ولم يعترضه، كما ذكر ابن الوزير، انظر: العواصم والقواصم، ٨/ ٧٧، ويؤيده أن القاضي عياض جوز الخروج على الوالي إذا غير الشرع، أو أظهر بدعة، بل أوجب ذلك على من أمكنه، وإلا هاجر من بلد ذلك الوالي، ويعود كلامه إلى جنس تخصيص الخروج بحالة ضيقة، وأما ما عداه فاستقر الإجماع على تحريم الخروج فيها؛ وأرى أن ما ذكر دليل على أن المسألة محل إشكال عند العلماء، كما أن الاستدلال فيها وبها هو استدلال بموضع النزاع، وأن أقرب المخارج لحال الحسين أنه اجتهاد زمن بغي وفتنة، والله أعلم.

البنية والنتيجة والتاريخ.

١٠. أن مصطلح البغي غير موجود في عصر الصحابة بصورته التي استقر عليها بعد ذلك، بل كما ذكر شيخ الإسلام أنه لم يرو في قتال البغاة حديث صحيح[1]، وأنه راج ونفذ من إطلاقه بعد زمن الفتنة الأولى، وأكثر إشكالاته بعد الفتنة الثانية، وأن فقه البغي الذي استقر عند فقهاء المسلمين أو أكثرهم تأثر بمصدره الذي ظهر منه، وهم فقهاء الكوفة، والذين تلقوه من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه يحصل بسبب ذلك الاشتباه عند تنزيل النصوص النبوية وأحكامها بين حالين: حال الفتنة، وحال الخوارج والمارقين والمرتدين؛ ولعل ربط البغي بالفسق أوجب أن يكون مكروها بإطلاق[2]، وهذا ما يحتاج معه إلى التأني عند الحكم به، وهو من جنس نصوص الوعيد والاجتهاد في تنزيلها؛ وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية على أنه لم يرد نص صحيح في الأمر بالقتال في الفتنة، مع أي الطرفين، ـــ لا في الأولى، ولا في غيرها ـــ،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ٤/ ٤٥١، وقال: (والمصنفون في الأحكام: يذكرون قتال البغاة والخوارج جميعاً، وليس عن النبي ﷺ في " قتال البغاة " حديث إلا حديث كوثر بن حكيم عن نافع، وهو موضوع)، وقد ذكر ذلك في نقاشه للخروج على الخلفاء الراشدين المهديين من أعدائهم ومخالفيهم، ٤/ ٤٣٥- ٤٥٢، وفي ٤/ ٤٣٨، ذكر أن الأمر في الفتنة الأولى أشكل على أئمة الحديث في وصف الزبير وطلحة بالبغاة، في مقابل وصف علي بالعدل والصواب، يقابلهما قولان آخران، فهي ثلاثة أقوال حول إمامة علي، يقابلها التوقف أو التوسع في الإمامة، وذلك كما يلي:

١. أن المصيب واحد، وهو علي، وأن غيره مخطئ: مجتهد متأول، أو باغ.

٢. أن كل مجتهد مصيب.

٣. أن المصيب واحد لا بعينه.

٤. التوقف في إمامة أي أحد منهما، لأنه زمن فتنة، مع الميل إلى أن الإمام لا يكون إلا واحداً (اعتزال الفتنة).

٥. تجويز إمامتين في وقت واحد (الكرامية)، وعدم لزوم إمامة واحدة معينة، وهذا القول قد يشبه من يصوب أحدهما، ولكن يسكت عن التصويب، لتلازمه مع تخطئة الآخر، وأنه قد يفتح باب الطعن على الصحابة، ومما يذكر هنا في هذا السياق موقف أحمد في الإمساك والكف.

(٢) والأصل أنه يذكر ضمن مسائل الفقه، ومما ذكروا فيه واستقر عندهم: أن قتال البغاة جائز إجماعا، ولا يبعد أن يكون واجبا لقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾، (الحجرات: ٩)، واستحقاق القتال لا يكون إلا لفسق، وبعضهم ذكر أن البغي فسق إجماعا، انظر: نيل الأوطار، ٧/ ٢٠٢، ٢٠٨.

والخلاف حول البغي في الولايات جرى مثله بغي بين الفقهاء والعلماء في سائر أبواب العلم والدين، بسبب اختلافهم في النظر والاجتهاد واستكمالها، وأن هذا من البأس الذي لم يرتفع من الأمة[١].

١١. أهمية تحرير باب البغي، وتنزيل الفتنة الثانية على فقه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للبغي في الفتنة الأولى، وتخريج هذا الفقه وجمعه مع بقية نصوص الجماعة والبيعة، وأن ما يجري بين الأمة من بغي ونزاع بين أمرائها وفقهائها يحمل على ذلك، ومنه ما وقع بين الحسين ويزيد في أمر الولاية، وما وقع بين الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجمهور الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من اختلاف الاجتهاد، ومثله ما يقع بين المسلمين هو مما تشمله دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته، فبقي بأسها بينها، ولم يسلط عليها عدو من خارجها، وأن السيف إذا وقع فيها وبينها فلن يرتفع إلى يوم القيامة[٢].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ٤/ ٤٣٥- ٤٥٢، ويذكر ابن تيمية عن الطائفتين: أنه وقع ذلك لكونهم (مدعين أن الحق معهم، أو أنهم أرجح بهوى قد يكون فيه تأويل بتقصير، لا بالاجتهاد، وهذا كثير في علماء الأمة وعبادها وأمرائها وأجنادها، وهو من البأس الذي لم يرفع من بينها؛ فنسأل الله العدل؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا به).

(٢) الحديث يروي عن عدد من الصحابة، ومن عدة طرق، ومنها ما يلي:

أ- عن عامر بن سعد، عن أبيه، بلفظ: «**سألت ربي ثلاثا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي: أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**»، كما في مصنف ابن أبي شيبة، ح/ ٣١٦٩٥، وعنه: مسلم، ح/ ٢٨٩٠.

ب- عن ثوبان، وهو مدار أكثر الطرق والأسانيد: يرويه أبو أسماء الرحبي مرة عن ثوبان، كما في مسلم أيضا، ح/ ٢٨٨٩، ولفظه: «**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها -أو قال من بين أقطارها- حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا**»، وهو في مسند أحمد، ح/ ١٧١١٥، ٢٢٣٩٣، ٢٢٣٩٥، ٢٢٤٥٢، والسنة، لابن أبي عاصم، ١/ ١٢٥، ح/٢٨٧، والترمذي، ح/ ٢١٧٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ت- عن شداد بن أوس: يرويه أبو أسماء الرحبي مرة أخرى عنه، كما في مسند أحمد، ح/ ١٧١١٥، وابن أبي عاصم في السنة، ١/ ١٢٥، برقم: ١٦٨٣، وقال الألباني: إسناده صحيح، انظر: السلسلة الصحيحة، ٤/ ٣٠٢، ح/ ١٧٢٤.

=

مما سبق يظهر أهمية تمييز الفرق بين معاني الخروج والبغي كمقالة واعتقاد، أو كعمل واجتهاد في الفروع، وبقاء الصحابة على اعتبار فضل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والتحديث به عند مقتله وبعده دليل على أنهم لم يتبعوا خروجه بحكم ووصف عقدي بعد مقتله، كما أنهم لم يرضوا الاستخفاف بدمه، وأن يجعل سلما لولاية، فأحوال الفتن لا يحتج بها، وعلى الارتباط الذي في أفهام المتأخرين بين حوادث الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم أقف على أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ربط بينهما في الحكم، ولا بمن احتج على ابن الزبير بمصير الحسين، هذا عدا ما نسب إلى المسور بن مخرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويُضْعِفُ ثبوته عنه صنيعه في الالتحاق بابن الزبير، وعدا كراهة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كون ابن الزبير وبني أمية أحلوا الحرم، وقد يشابهه استحلال القتال بالمدينة، ولعل الأخير يوفر للمدينتين أن تكونا آمنتين من الفتن والاقتتال لمثل هذا الغرض، وهذا نوع من ذم الاقتتال والفتن من وجه، وأنه نموذج للأمة ينبغي أن تنظر إليه قبل الصلح وبعده، وهذا وإن كان فيه نوع ازدراء وأثرة على أهلهما ففيه جوانب من تصديق نبوءة النبي ﷺ، وفي أحدهما قوله: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**»[1]، ففيه أن الناس إذا أرادوا أن يزنوا خلافهم على ولاية الدنيا ومصالحها

=

ث- في كلتا روايتي أبي أسماء الرحبي زيادات، من أكثرها طرقا كما في زيادة: " وإني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين، فإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة "، مسند أحمد، ح/ ١٧١١٥، ٢٢٣٩٤، ٢٢٤٥٢، وأبو داود، ح/ ٤٢٥٢،وصححها الأرناؤوط، ومن الزيادات المشهورة زيادة: (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين).

الحديث يروى من غير هذه الطرق، وابن أبي عاصم في السنة، ١/ ١٢٥، قال: وفيه عن سعد بن أبي وقاص، وخباب بن الأرت، ومعاذ بن جبل، وحذيفة، وابن عمر، وأبي هريرة، وخالد الخزاعي، وأنس بن مالك، كلهم عن النبي ﷺ، وسمعت حامدا وكان مما ينسب إلى معرفة بالكلام والفقه قال: ما على أهل القدر حديث أشد من هذا؛ لأن الله تعالى منعه الثالثة، لأن من إرادة الله أن يهلك بعضهم بعضا، ويسبي بعضهم بعضا، وأعلمه أنه قضى ذلك، وإنه كائن)، وقال أبو نعيم في حلية الأولياء، ٢/ ٢٨٩: (هذا حديث ثابت من حديث أيوب عن أبي قلابة، فيه ألفاظ تفرد بها عن النبي ﷺ من بين الصحابة ثوبان، ولم يسقها عن ثوبان هذا السياق إلا أبو أسماء الرحبي، ولا عنه إلا أبو قلابة).

(١) البخاري، ح/ ١٧٧٧، ومسلم، ح/ ٢٣٣.

الكبرى فليرجعوا إلى مذهب علمائها وفقهائها وخيارها، والله أعلم.

أذكر في هذا المقام الحرج حيث يعالج فيه المرء أحداثا جرت من سادة سبقت لهم من الله البشرى؛ أن الأصل في منهج السلف الصالح الكف عن الخوض في الحديث فيما جرى بين الصحابة وأمثالهم، وأن هذا أعطاهم فسحة للعناية بالأحكام والسير، هذا إلى أن أصبح الغلو ظاهراً، فاحتاجوا إلى رواية ما يدفع هذا الغلو عند أهل الأهواء والبدع، وإلى طلب الأسانيد في الرواية، ومثله حينما كثر اللبس والتلبيس من جهة محبة آل البيت، واتخاذ ذلك غرضاً لفرقة المسلمين، والطعن على السابقين الأولين، أو سلماً لتسويغ أهوائهم وأغراضهم، وللتحصن بها عن لزوم جماعة المسلمين ورايتهم؛ فكانت هذه الحادثة نموذجاً تطبيقياً نحتاج معه إلى معرفة مسالكهم فيها، للحذر من أن تعلق آثارها الباطلة في نفوس المسلمين، وأسأل الله التوفيق والسداد، فسبحانه نعم المولى ونعم المعين.

وبعد: فإن معرفة موقف السلف تُظْهِر أثر تداخل المقالات والفرق، ومدى قربها من آثار النبوة، والتي شرف بها سلف الأمة ومتقدموها، وطوائف من أهل الحديث والسنن، والناس لتعظيمهم للنبوة وقرنها الأول، والتي هي مظنة الخيرية، فإن الناس يقتربون من هذا الجانب، ويؤوبون إليه، ولو من جانب دون جانب، أو في حين دون حين، حسب ما تؤديه إليه اجتهاداتهم، والله يغفر لمن اجتهد وأخطأ، وله أجر واحد، ومن أصاب الحق منهم فله في ذلك أجران؛ وكل ذلك مما يدل على أهمية هذا العلم وفضله.

الفصل الثالث

الإمامة وعاشوراء عند الإمامية الاثني عشرية

وفيه:

المبحث الأول: مكانة الإمامة من الدين عند الإمامية.

المبحث الثاني: عاشوراء وتسلسل الإمامة.

المبحث الثالث: عقائد الإمامة المتعلقة بعاشوراء.

المبحث الأول

مكانة الإمامة من الدين عند الإمامية

وغهضضكىن :

المطلـــــــب الأول: الإمامة والنبوة (العصمة والنص) .

المطلـــب الثـــاني: مهام الإمامة وحقوقها .

المطلب الأول

الإمامة والنبوة (العصمة والنص)

الإمامة التي يراد الحديث عنها هنا ليست أمر ولاية الناس، سواء كان ذلك بالاختيار والشورى، أو بالعهد والغلبة، وهي ما قد يعبر عنه عند أهل السنة بالإمارة، أو الخلافة، أو الملك، أو السلطان ونحو ذلك، بل هو أمر أعم من ذلك[1]؛ وترى الإمامية الاثنا عشرية أن الإمامة منصب واصطفاء إلهي، كالنبوة، ولذا لزم لها النص والعصمة، وكذلك المعجزة، فالإمام منصوص على اسمه وعصمته كالنبي، ويتحدثون عنها كمنصب إلهي من جانب ديني، كما أنها كذلك في الجانب الدنيوي وسياسة الخلق وتولي شؤونهم وإدارتها، وتستدل الاثنا عشرية لذلك بأدلة نقلية وعقلية.

الإمامية يرون أن الإمامة أصل من أصول الدين الخمسة: (التوحيد، والنبوة، والإمامة، والعدل، والمعاد)[2]، وأنه لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها من طريق العقل والنظر ودليله أولاً، وذلك عن طريق النظر ــ الكلامي ــ كما في التوحيد والنبوة، وأنه (لا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا)[3]، وأن الله فرض حب الأئمة لكمالهم

---

(١) انظر: الإمامة العظمى، ص٣٦. ٣٧، أ.د. عبد الله بن عمر الدميجي، ط٢، ١٤٠٩هـ، دار طيبة – الرياض.

(٢) انظر: النافع يوم الحشر. شرح الباب الحادي عشر، ص١٨، ونص الحلي على أن وجوب المعرفة بسبب أن الله منعم، وهو واجب الشكر، ولا يتم شكره إلا بهذه المعرفة، ومثله قول بعضهم: العبادة لا تتحقق إلا بالمعرفة، وانظر: الرسائل السعدية، ص٣، ١٢، لابن مطهر الحلي، ت/٧٢٦هـ، ت. محمود المرعشي، عبد الحسين محمد علي بقال، ط١، ١٤١٠هـ، مكتبة المرعشي – قم، وعقائد الإمامية، المظفر، ص٣٢، والمظفر لم يجعل العدل أصلاً مستقلاً، بل جعله من صفات الله، وقبله شيخ الإسلام ابن تيمية – رضي الله عنه – في منهاج السنة، ١/ ٩٠، ذكر أن أصول الإمامية أربعة، فلم يذكر المعاد، ولعله أراد أن أمره عند بعضهم داخل في النبوة والإمامة، لأنها من السمعيات، ومن أوائل من تكلم وألف من الإمامية على هذا النحو من الترتيب هو شيخهم المفيد، وهذا يؤكد أن الإمامة التي أرساها المفيد، والتي جمعت بين الإمامة التفضيلية العقلية، وإمامة النص الخبرية؛ وأنها كانت في مقابل الإمامة الزيدية التي التزمت السيف، وجعلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصولها، انظر ص٢٣٢ من البحث.

(٣) عقائد الإمامية، ص١٢٠، ١٣٣، وانظر: معتقدات الشيعة، ص١٦٦.

ولعصمتهم من الخطأ والذنوب والمعاصي، وإلا فكيف يشرع محبة من يقع في المعاصي، وتلك منافية للعصمة شاهدة بالنقص (دليل عقلي)، والأئمة ــ عند الإمامية ــ مؤيدون بالمعجزات كالأنبياء[١]، ولا يمنع أن يعطوا ويخصوا بالكتب وعلوم الغيب، وفهم وتفسير القرآن[٢]، وأنهم لا يفعلون أمراً إلا بأمر الله، وأن لديهم كتباً وصحفاً حوت علومهم وأسرارهم، وحوت الكتب السماوية، توارثوها حتى بقيت مستودعة إلى آخر الزمان، كالجفر ومصحف فاطمة[٣]، وتوقيعات المعصوم زمن الغيبة.

وصل الحال ببعض الإمامية وهو يورد الأخبار والروايات حول هذا الجانب أن يشير إلى أمر يحير العاقل، ألا وهو عدم القدرة على إيجاد فرق بين مقامي الإمامة والنبوة من تلك الروايات والأخبار، إلا اسم النبوة وختمها، التي يكفر من ادعاها بعد نبينا محمد ﷺ[٤]، يقول المجلسي: (استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال، وكذا

---

(١) انظر: أصل الشيعة وأصولها، ص٥٨، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ت/ ١٣٧٣هـ، ط٥، ١٤٢٩هـ، مؤسسة الأعلمي – بيروت.

(٢) تضم كتب الإمامية الاثني عشرية روايات وأخبار بهذا الخصوص، تتضمن دعوى أن القرآن لم يفسر إلا لعلي بن أبي طالب، أو للأئمة من ذريته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويلزم على هذه الدعوى أحد قولين: إما القول بأن الرسول لم يبلغ ما أنزل إليه، وإما أن يكذب القرآن، وهي مخالفة للعقل وما علم من الإسلام بالضرورة، وهي مخالفة لقول الله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، النحل، آية: ٤٤، انظر: أصول مذهب الشيعية الإمامية الاثني عشرية، ١/ ١٤٢، وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة. بإذن الله. في المبحث القادم.

(٣) انظر معتقدات الشيعة، علي مكي، ٣٥٢ـ٣٥٧، وقد أورد المؤلف عن والده حسين بن يوسف مكي ملخصاً من كلامه في كتابه "عقيدة الشيعة في الإمام الصادق عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام"، حيث ذكر أربعة كتب من كتب الأئمة، وهي: الجامعة، وصحيفة الفرائض، وكتاب الجفر: الأبيض والأحمر، ومصحف فاطمة، وأنها وديعة من النبي ﷺ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والأئمة من بعده، ومما حواه كتاب مصحف فاطمة ذكر أسماء الملوك الذين يتواردون على الملك، وأنه ليس لبني الحسن شيء من الخلافة، وكذلك الحديث عن هذه الكتب الخفية المستودعة عند الغائب من الأئمة وأوصافها، ومحتواها ليس هذا مراد في هذا البحث، إلا أنه يؤكد عدم اكتمال الدين، وعدم الحجة به على الخلق، وذلك لبقاء قسم من القرآن لم يظهر للناس، على حد زعمهم.

(٤) الإمامية تكفر من ادعى النبوة ونزول الوحي عليه بعد النبي ﷺ، انظر: أصل الشيعة وأصولها، ص٦٧.

الجمع بينها مشكل جدا...، وبالجملة لا بد لنا من الإذعان بعدم كونهم عليهم السلام أنبياء، وبأنهم أشرف وأفضل من غير نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأنبياء والأوصياء، ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية جلالة خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا إلى فرق بَيِّنٍ بَيْنَ النبوة والإمامة)(١).

قد ذكرت الإمامية في تقريرها للإمامة أن الإمامة امتداد للنبوة، وأنه لما كان تكميل العقول وتزكية النفوس هو الغرض من بعثة الأنبياء، وكان تحقيق هذا الغرض لا يكتمل بالنبي ﷺ وحده، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق إنسان كامل كالنبي، وهو وصف متحقق في الإمام، لأن الناقص لا يكمل غيره؛ ولذا صار وجود الإنسان الكامل المحقق والمكمل للغرض واجباً ولطفاً، وكان من العدل واللطف الإلهي أنه يجب(٢) أن تمتد النبوة عن طريق الأئمة لتحقيق الغرض المذكور واستكماله؛ وهذه النتيجة قامت على مقدمتين أساسهما وأولهما، وهي شاهدنا هنا، وهي أن الغرض من البعثة لم يكتمل بالنبي، وهذه يرد عليها أنها مخالفة لتصريح القرآن باكتمال الدين وتمام النعمة المرضية قبيل موت النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٣).

ما يترتب على هذه المقدمة أنه لابد للنبي من وصي وعقب تمتد فيهم النبوة من بعده(٤)،

---

(١) بحار الأنوار، ٢٦/ ٨٢، وفي آخر عبارة لبس لغوي، لعل صوابه: (تصل)، أو بحذف (إلى).

(٢) الوجوب هنا على الله، وهو بمعنى اللزوم، ويكون ذلك منه استناداً لكماله وعدله وغناه سبحانه، ومنه أن التكليف لا يكون إلا بعد قيام الحجة على المكلفين، والحجة على قولهم لا تقوم بالنبي ﷺ وحده، بل لا بد من مشاركة الأئمة في البلاغ حتى يتم قيام الحجة على الخلق، فالشرع النبوي (الكتاب والسنة) غير كافيين، وغير وافيين في حفظ الشرع، انظر: النافع يوم الحشر، شرح الباب الحادي عشر، المقداد السبوري، ص ٩٧، وعقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، ص٩٥، ومعتقدات الشيعة، علي مكي، ص١٦٨، وتعرفوا على الشيعة، ص١١٥، محمد علي الحسيني، ط١، ١٤٢٨هـ، مؤسسة الأعلمي – بيروت، وأصل الشيعة وأصولها، محمد حسين كاشف الغطاء، ص٦٢.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) هذا القول لازم لما قبله، وهو ما تقول به الإمامية الاثنا عشرية، وأن لكل نبي وصياً، بل قال بعضهم لكل نبي اثنا عشر وصياً، انظر أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين كاشف الغطاء،٧١، وقد أورد ستة عشر مؤلفاً من =

وادعت الإمامية الاثنا عشرية أن هذا الامتداد ــ والذي يصل إلى قرنين ونصف ــ أنه من التدرج في البلاغ حسب الدواعي والبواعث، وحسب مصلحة النشر والكتمان، يقول المرجع الشيعي محمد حسين كاشف الغطاء: (والحاصل أن الحكمة في التشريع اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، ولكنه سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه، كل وصي يعهد به إلى الآخر لنشره في وقته المناسب له حسب الحكمة، من عام مخصص، أو مطلق مقيد، أو مجمل مبين، إلى أمثال ذلك، فقد يذكر النبي عاماً ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته، وقد لا يذكره أصلاً، بل يودعه عند وصيه إلى وقته...)[1].

لا شك أن جعل امتداد التشريع لفترة طويلة من الحكمة مجرد تحكم بلا دليل، بل هو مجرد اتباع للهوى، وذلك ليس من اللطف، فالحكمة واللطف والرحمة أن تكون مدة التشريع قصيرة ومتقاربة، لتتداعى الهمم إلى حفظها وضبطها، ويسهل عليها ذلك، ومما يعين على ذلك النظر إلى تطبيق الأتباع الملاصقين لتلك الفترة، ونقلهم وفهمهم لأخبار تلك الفترة، إضافة إلى ما ترتب عليه من خفاء البرهان على صدق الدعوى عندهم، بالتزامهم بأن فترة التشريع محكمة بالتقية، وإقرارهم أنه في تلك الفترة أحاط بمصدر التشريع حثالة من الغلاة والزنادقة، تكثر كتب الأخبار عند الإمامية من النقل عنهم في مسائل كثيرة في جانب التشريع.

إضافة إلى ما سبق نجد الإمامية المعاصرة في اضطراب من أمرها حين تقرر بأن الإمامة ليست من ضروريات الدين، وأنها من ضروريات المذهب فقط، ويكثر هذا عند حديثهم وحوارهم مع الخصوم الذين يقررون وينسبون للاثني عشرية تكفيرهم مخالفيه في الإمامة، كما أننا نرى بعض الكتاب الشيعة يقرر أن موضوع الإمامة ــ الإلهية ــ أمر مجمع عليه بين السنة والشيعة، مع أن السنة تراه بالاختيار والشورى، لا بالنص الإلهي؛ وهذا الاضطراب والتلاعب يذكر بفترة التشريع الطويلة التي يدَّعونها، والتي استحلوا فيها الكذب والتلبيس،

=

الشيعة المتقدمين الذين ألفوا عن مسألة الوصية.

(١) أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين كاشف الغطاء، ٨١.

وما ذكر نوع من الإيهام والتلبيس[١]، فالسنة تنكر الإمامة بالمفهوم الشيعي الذي هو امتداد للنبوة، بل ترى أن هذا المفهوم ضلال وبدعة شنيعة منكرة، فالإمامة عند أهل السنة مرادفة للإمارة والخلافة والولاية والملك والسلطان من غير نص ولا وصية ولا عصمة، وقريب منه مفهوم الإمامة عند الخوارج، والزيدية، والمعتزلة، إلا أن هؤلاء الثلاثة (الوعيدية) لا يقرون بالإمامة إلا لمن ظهر منه اجتناب الكبائر، وإلا وجب الخروج عليه وخلعه لبطلان إمامته، وذلك بناء على مذهبهم في مرتكب الكبيرة، بخلاف أهل السنة الذين يقرون ولاية من وقعت منه الكبائر، وإمامته بعد تغلبه، أو بعد تغيره في حال اختياره؛ فلا يرون خلعه والخروج عليه، وإن ظهر منه الفسق والظلم ونقص الإيمان، ما دام محافظاً على شعائر الإسلام الظاهرة، وحامياً لحوزة المسلمين، وذلك جمعاً بين نصوص الشرع المطهر[٢].

بعد التأمل والمقارنة بين النبوة والإمامة يمكن ملاحظة الفروق بين النبوة والإمامة عندهم، وأذكر منها ما يلي:

١- أن النبوة ختمت وانتهى زمانها، أما الإمامة وإن عرف خاتمها عند الاثني عشرية فهي لم تنته من حيث وجودها، فلا يخلو منها الزمان إلى يوم القيامة، حيث آخر الأئمة باق إلى هذه الأيام، وإلى قيام الساعة، والإمامة على هذا امتداد للنبوة.

٢- أن النبوة مقام خاص بالتشريع والشريعة، أما الإمامة فهي أعم من ذلك، فهي ولاية عامة دينية ودنيوية[٣]، بل وتظهر عنايتهم بحديثهم وعنايتهم بفضائل

---

(١) انظر: كتاب المراجعات نموذجاً، ومقدمة كتاب: العلويون بين الغلو والفلسفة والتصوف والتشيع، للداعية الشيعي في لبنان محمد مهدي شمس الدين، وأشار إلى أصول الإسلام الجامعة: التوحيد، والنبوة، والمعاد، ولم يذكر منها الإمامة، ولا ضَمَّنها حديثه عن النبوة، التي امتداد لها، ومثله اختيار بعض من كتب في تاريخ الشيعة تعريفات واسعة، حيث يكثرون من خلالها بالتوسع اللغوي للفظ الشيعة، بحيث لا يحتوي على تفصيل موضوع الإمامة الإلهية الذي هو جوهر التشيع الإمامي الاثني عشري، وفي إطاره الواسع تدخل بقية فرق الشيعة، راجع ص٣٨ من البحث.

(٢) للمزيد عن علاقة عاشوراء بالافتراق العقدي في الخروج، وموقف السلف، راجع ص ١٩٠ من البحث.

(٣) هذا ظاهر من كثير من كتب وتقريرات الإمامية الاثني عشرية، وإن كان كلام بعضهم من المعاصرين يوحي بأن النبوة ولاية عامة كالإمامة، وأن الإمام يخلف النبي في جميع الولايات العامة، انظر عقائد الإمامية، محمد =

الأئمة ومعجزاتهم(معاجزهم)، وعند حديثهم عن ولايتهم التكوينية، وولايتهم التشريعية[1].

٣- أن النبوة لطف خاص، أما الإمامة فلطف عام، لأن الإمامة لا يخلو منها زمان بخلاف النبوة، وإنكار اللطف العام أعظم شراً وقبحاً![2].

٤- أن قول النبي وقول الإمام معصومان، والمتأخر من قوليهما مخصص، أو ناسخ أو مفسر وشارح للمتقدم، وعليه فلا يستغنى بالأول عن الثاني، بينما الاستغناء بالثاني كاف، لأنه شامل للأول وزيادة.

٥- أن النبوة مصرح بها في القرآن، بينما الإمامة لم يصرح بها، وتزعم الإمامية أن القرآن مليء بالإشارات إلى الإمامة، إضافة إلى أن هناك من الروايات الكثيرة ــ والمختلف حولها بينهم ــ في مذهب الإمامية، التي توطد القول بتحريف القرآن، أو نقصه من هذا الجانب الذي يخص النص على الأئمة وإمامتهم، وهو من الأهمية كالنبوة.

٦- أن مدة النبوة قصيرة (٢٣ سنة)، أما الإمامة فمدتها طويلة جداً، والذي ظهر منها٢٥٠هـ سنة (قرنان ونصف تقريباً)، وما غاب منها فلا يعلم مداه، ومضى منه ما يقارب اثني عشر قرناً (٢٦٠-١٤٣١هـ)[3].

=

رضا المظفر، ص١١٩، وهو لتحسين المذهب وصورته، لا لبيان حقيقته.

(١) للمزيد حول هذه الولاية ينظر ص٣٠٣ من البحث.

(٢) يلزم من هذا أن إنكار الإمامة أشد من إنكار النبوة، انظر: الألفين، ص٢٣، ١٠٠، ٣٠٧، ابن مطهر الحلي، ت/ ٧٢٦هـ، ط ١٤٠٥هـ، مكتبة الألفين– الكويت، والباب الحادي عشر، ابن مطهر الحلي، ص٩٣، مع شرحيه: النافع يوم الحشر، للسبوري؛ ومفتاح الباب، لابن مخدوم، ت. مهدي محقق، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الأضواء – بيروت.

(٣) للتوسع حول عدد من المسائل السابقة انظر: إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النبوة، عبد الملك الشافعي، وقد عقد الباحث مقارنة جميلة بين قادياني يدعي الحاجة إلى النبوة، وإمامي اثني عشري يدعي الحاجة إلى الإمامة، وأشار إلى جانبين متنافرين، أحدهما: تبنيهم لعقيدة نضج الأمة واستغنائها عن وصاية، والآخر: تمسكهم بمعتقدهم بحاجة الأمة إلى الوصاية الإلهية المتمثلة بالمرشد الإلهي– الإمام المعصوم –، ويذكر عن =

٧- أن الإيمان بالنبوة من ضروريات الدين بالإجماع، أما الإيمان بالإمامة عند الإمامية الاثني عشرية فمن ضروريات المذهب على قول، وخاصة عند بعض المتأخرين ؛ وعلى قول ـ وهو المستقر سابقاً ـ أن الإمامة من ضروريات الدين، وهذا القول هو الأشبه بالمذهب، والأقرب إلى مروياته وكتب أخباره.

٨- أن عدد الأئمة أكثر من عدد الأنبياء.

٩- أن النبوة أعطيها الرسول ﷺ بعد بلوغه سن الأشد: أربعين عاماً، بينما الإمامة أعطيت لمن لم يبلغ الحلم، بسبب أن أباه ـ الإمام من قبله ـ تقدم موته، ومن ذلك القول بالاحتفاظ له بالإمامة حتى بلوغه سن الحلم، وذلك لا يلزم منه طول عمر الإمام المنصب، فربما لم يتجاوز سن بعضهم الخامسة والعشرين.

١٠- أن النبوة ابتداء، بينما الإمامة امتداد ووصية بعد النبوة، فليست ابتداء.

١١- أن النبوة عند الاثني عشرية لا تقبل النيابة، بخلاف الإمامة، فالفقيه ـ عند الاثني عشرية ـ ينوب عن الإمام، لا عن النبي ﷺ، لأن الذي ينوب عن النبي ﷺ هو الإمام فقط، لأنه امتداد له، ومظهر لمراد النبوة ومقاصدها(١).

١٢- أن الخلاف بين المسلمين يرتفع بالإمامة دون النبوة.

هذا الوضع والجو اللذان نشأت فيهما هذه العقيدة يمهدان لنا تصور خطورة ما يبنى عليها من عقائد وعبادات ومواسم ومناسبات تتعلق بالأئمة والإمامة، منها موسم عاشوراء

=

آيتهم العظمى محمد باقر الصدر، أنه كان مندفعاً جدا- إلى حد الاستماتة - لإثبات فلسفتهم في الإمامة مما جعله يصرِّح بعدم نضج الأمة الإسلامية وحاجتها إلى مرشد إلهي معصوم، وأن منطق الرسالات العقائدية يفرض أن تمر بوصاية عقائدية فترة أطول من الزمن تهيؤها للارتفاع إلى مستوى تلك القيمومة، ثم أشار إلى لفتة أخرى، وهي سوء تعامل علماء معاصريهم مع نصوص علمائهم المتقدمين، فهذا الحلي يعتذر للطوسي، ويحمل كلامه على محمل حسن، بينما يرفض أحد المعاصرين في تعليقه على كلام الحلي، ويلزمه بما فر منه.

(١) بينما الحال عند أهل السنة أن الفقيه والمفتي ينوب في فتواه عن النبي ﷺ، لأنه تابع لشريعته، فهو يجتهد في معرفة الحكم الشرعي بعد النظر والبحث في كلام الله سبحانه وكلام رسوله ﷺ، فالمفتون .كما يقال . موقعون عن رب العالمين، وإن كان في منتهى الأمر هو أنه يبحث ويخبر عن حكم الله.

وشعائره، التي تقام بحجة إحياء أمر الأئمة، إذ سيلحقها في حقيقتها وواقعها وأهدافها وغاياتها ما لحق موضوع الإمامة من وصف الإشكال والسرية، والكتمان لبعض، بل لكثير من أسرارها، والحذر من التعامل مع أخبار المذهب ورواياته المتضاربة ـــ في ظاهرها ـــ، واختصاص ذلك بمن يؤتمن على نقلها وفهمها، وتحذير الأتباع من الدخول في الجدال والحوار حولها، وذلك لصعوبة أمرها على الأفهام والعقول، وللخشية من وقوع الأذى على الأتباع كما وقع على الأئمة، قياساً على حال التقية والاستتار الذي عاشته الإمامة والأئمة، وعلى ما ترويه كتب المذهب فإن التقية أمر ملازم له، كما سيأتي بإذن الله[1].

مما يلفت الانتباه مع الإشكال الذي يصاحب الحديث عن مواسم الأئمة أننا نلاحظ بعض متأخري الإمامية وفقهائها حين إحياء مواسمهم ـــ كعاشوراء ـــ؛ يدَّعون أن بركات الأئمة وأسرار الإمامة لا زالت تتبدى لهم وتظهر، وأن باب كنوزها مفتوح لما ينفد، وذلك إلى حين ظهور الغائب المستتر، الذي هو مجمع سائر الأسرار الخفية والعلوم الغيبية، وبظهوره يتكشف المستور الذي التبس أمره وعظم خطبه[2]؛ ولا يسوغ هنا للأتباع المقلدين إلا التقليد والطاعة للمجتهدين من فقهاء المذهب ومراجعهم الأحياء[3]، حيث إنهم هم الذين ينوبون عن الإمام الغائب ـــ إمام الزمان ـــ، وهم المؤهلون ـــ في زمن الغيبة ـــ لمعرفة وتقدير الأسرار

---

(١) انظر ص٢٧٢ من المبحث.

(٢) هذا في ضمن الانتظار الإيجابي للمهدي، والهدف المرجو من ظهور المهدي أمران:
أ ـ نشر العلم والمعرفة.
ب ـ الانتقام من الظالمين للأئمة وشيعتهم، وإقامة العدل الإلهي.
وإن كان التراث الشيعي يخدم الأمر الثاني أكثر، ولذا نرى تداركاً من المعاصرين بإبراز الأول، انظر: المدرسة الشيخية، محمد زكي إبراهيم، ٢٠٩، وحقيقة الشيعة، ص٢٦١، أحمد راسم النفيس، ط١، ١٤٢٩هـ، دار الحجة البيضاء – بيروت، وثورة عاشوراء شمس الشهادة، ص٥٣، علي الخامنئي: المرجع الأعلى الإيراني، ط١، ١٤٢٩هـ، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت.

(٣) تقليد الحي هو قول جمهور الأصوليين من الإمامية، وهم على خلاف الإخباريين الذين يجوزون تقليد الميت، انظر: الشيخية، الطالقاني، ٤٣ـ ٤٥، والمدرسة الشيخية، محمد زكي إبراهيم، ص٧٠، حقيقة الشيعة، أحمد راسم النفيس، ص٢٧٤، وراجع ص٦٩ من البحث.

الإلهية، بل قد يجري لبعضهم دعوى تلقي شيء منها عن طريق الاختصاص بلقاء المهدي مباشرة، وتلقي علوم وأسرار المذهب منه[1]، ولذا فهذه الأسرار يختلف تقديرها من زمن لآخر، وتخفى على بقية المقلدين، وتكشف عن مدى الغلو الذي عليه المذهب؛ وأن السبب في هذا ليس عاشوراء كحدث تاريخي، بل هو بسبب ما قارن المذهب وغطاه من سحابة العرفان الباطنية التي وجدت فيه فرصة لبث باطلها تحت دعوى محبة أهل البيت، وهو أمر لم يفش إلا في زمن متأخر، حتى أصبح المذهب الإمامي جامعاً لجميع طوائف التشيع وفرقها التي تخالفه في تسلسل الإمامة بعد عاشوراء، بل وحتى الغلاة منهم، وذلك تحت ما يسميه بعض المعاصرين بـ (أسلاف الإمامية).

هذا الإطار الذي يعيشه المقلدون مع مراجعهم قريب من الإطار الذي تنسبه الاثنا عشرية لأسلافهم مع الأئمة، فهو وصف ملازم للمذهب في القديم والحديث؛ هذا كله مع كون مسألة الإمامة والأئمة هي شعار المذهب وأساسه وجوهره الذي يميزه عن مخالفيه[2]، وهي كذلك أعظم الواجبات، وأكبر الحسنات، وباب الشفاعات، وهي مما لا يقبل فيها من الشيعي أن يقلد فيها أحداً، بل يجب عليه أن يؤمن بها بنظر ويقين، وبحث وتمحيص للأدلة!

ما سبق يعيق الباحث عند دراسته لمسوغات مواسم الأئمة وشعائرها عند الإمامية ـــ موضع البحث ـــ، فهذه الأدلة والحجج والمسوغات لهذه المواسم والشعائر غير واضحة وغير مشتهرة في كتب العقائد، فهي غير مقررة بوضوح ويقين ظاهر للأتباع المقلدين، فكيف بالمخالفين، مما يؤكد الحاجة لربط مسألة الشعائر والمآتم بغيرها من المسائل المشهورة والمميزة لهذه الطائفة عن غيرها ـ كالإمامة ـ، وذلك كي نستوضح سر نشأة هذه الشعائر، والشبه التي يعلقونها بها.

وبعد: فمع أنني أطلت العرض حول هذه المسألة فإني لكي أؤكد أن الجموع الشيعية

---

(١) قصص اللقاء بالمهدي مباشرة زمن الغيبة سبقت الإشارة إليها، راجع ص٨٨- ٨٩ من البحث.

(٢) انظر أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين كاشف الغطاء، ٦٨.

التي تدفع بحماس ظاهر وترتيب باهر لإحياء هذه المواسم والشعائر من باب دعوى التعبد لله؛ أن هذه الجموع: إما على بينة وبرهان في هذا الأمر، ولا تقبل فيه تقليد الآباء والكبراء؛ وإما أنها تساق بزمام العواطف والأهواء في بحر متلاطم من الأحلام، وفضاء فسيح من الأماني، التي تدور باسم محبة الأئمة وتقديسهم وطاعتهم، وقد تتحول إلى رمز لوطن، أو طائفة، والنفوس مشحونة بإجمال أن القرآن في حقيقته نزل أصلاً لتقرير هذا الباب، في حين أنها لا تعي دليل مشروعية فعلها، ولا تدرك حقيقة متابعتها لهدي الأئمة فيه، بل تتهيب عن الخوض مع خاصتها في هذا المجال، إلى أن أصبح هذا شعار طائفة، تنتمي إليه، وتوالي وتعادي عليه، لا شعيرة دينية تتقرب بها بإخلاص، ترجو بها ما عند الله، ولعل ما سبق يستدعي معرفة مهام الإمامة وحقوقها، ومقام الأئمة وقدرهم عند الإمامية الاثني عشرية.

المطلب الثاني

مهام الإمامة وحقوقها

توكل الإمامية إلى الأئمة مهاماً شرعية وأعمالاً كونية تزعم أن الله بمشيئته فوضهم بها، ويوجبون لهم حقوقاً على الناس هي من لوازم الإيمان عندهم، ومن لم يوفهم إياها فقد ناصبهم العداوة، وهذه الحقوق لها علامات يعرف بها من قام بها.

من مهام الإمامة البلاغ وحفظ الدين، وبيان الحق، وبيان ما أشكل على الناس من أمر الدين، وتفسير ما أشكل فهمه من القرآن، وتعليم الأحكام من حلال وحرام، فهم الحجة بين الله وخلقه، ومن مهامه ــ أيضاً ــ القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة العدل، وجهاد الظالمين، وحفظ الثغور والحدود والثروات، وهؤلاء الأئمة لا يمكن أن تخلو منهم الأرض[(١)]، وحاجة الخلق وضرورتهم إلى وجود الإمامة في هذه الأبواب كحاجتهم إلى وجود النبوة، ولذلك صح أن تكون أدلة الإمامة هي أدلة النبوة[(٢)]، فالأئمة مستودع الدين، يتوارثونه، ويظهرون منه في كل زمان ما يناسبه، فبهم تظهر حكمة التدريج، وبآخرهم يكتمل بلاغ الدين[(٣)].

من حقوق الإمامة نصرتها وموالاتها ومحبتها وعدم إفشاء سرها، وذلك لا يكون إلا بطاعة الأئمة، فدعوى المحبة والإجلال لآل البيت من دون هذه العقيدة عداوة لهم؛ فهم أولو الأمر الذين تجب لهم الطاعة، وطاعتهم من طاعة الله ورسوله، فأمرهم أمر الله، ونهيهم نهي

---

(١) انظر: الغيبة، النعماني، ص٧٠.

(٢) لو نظر إلى المدة الزمنية للنبوة والإمامة الظاهرة (٢٦٠هـ تقريباً) لقيل إن الحاجة والضرورة إلى الإمامة أولى، وأن احتفاءها بالأدلة أظهر، إذ الإمامة الحاضرة شكلت تسعة أعشار تلك المدة، لكن ماذا وقد شكلت الغيبة أضعاف هذه المدة، فأين اللطف الظاهر، ولئن جوز اللطف فيها فجوازه أولى من بعد النبوة مباشرة، فتسقط دعواهم.

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا الجانب في المطلب السابق.

الله، والراد عليهم قولهم كالراد على النبي، والراد على النبي كالراد على الله[1]، وهم السبيل إلى الله، من تعلق بهم نجا، ومن ابتعد عنهم هلك، ويطاعون ولو من دون بيعة كالنبي، بل بيعة من سواهم بالإمامة باطلة، وتروي الإمامية: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيباً»[2]، ومدعي الإمامة كمدعي النبوة، فمن أنكر واحداً فهو كمن أنكر البقية، وهذا يظهر منه مأخذ شدة بعض الإمامية الاثني عشرية المعاصرين على بقية الشيعة الذين لا يؤمنون ببقية الأئمة، كالإسماعيلية والزيدية، وإن كان هذا الباب يدخله الإرجاء، وتقية التقارب[3].

من أوجب حقوق الأئمة عندهم واجب الانتظار لغائبهم المنتظر الثاني عشر، وإن كان هذا الانتظار الواجب قد حارت فيه الإمامية واضطربت، وهو مما سوغ لظهور الحديث بين الشيعة الإمامية عن: الانتظار السلبي، الذي لم تقم لهم بسببه دولة خاصة؛ والانتظار الإيجابي[4]، حتى استقر أمرها على متابعة فقهائها ورواة الأخبار عن أئمتها، فعلى قدر ما

---

(١) انظر: عقائد الإمامية، المظفر، ١٢٨.١٣١.

(٢) الكافي، ١/ ٣٧٣، وبحار الأنوار، ٨/ ١٣١، ٢٥/ ١١١.١١٣، والضمير في (لهما) يعود على المدعي والجاحد، وفي بعض الروايات التي نقلها المجلسي تشير (لفلان وفلان)، ويصدقان على أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) تقف الإسماعيلية في المنتصف بين الزيدية والاثني عشرية في أمر الإمامة الإلهية، حيث تقر بإمامة نصف الاثني عشر، بينما الزيدية لا تقر لأحد منهم بإمامة إلهية، مع موافقتهم بالقول بإمامة آل البيت إمامة تفضيل، وخاصة من البطنين من ذرية فاطمة: الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا تقول بلزوم العصمة للإمام، وإنما بنت قولها على تولية الأفضل مع جواز إمامة المفضول، بينما الإمامية الاثني عشرية والإسماعيلية توافقوا في القول بالعصمة، واستنكروا أن يقدم على المعصوم أحد، لقبح تقديم المفضول على الفاضل، وانظر: الباب الحادي عشر، ص٩٦، ١٠١.١٠٢.

(٤) يكثر حديث دعاة الإمامية في مواسمهم المعاصرة عن هذا الجانب، مطالبين الأتباع بالانتظار الإيجابي، ولم تسلم هذه المطالبة أن تكون مثار شكوك، فهي أرضية قابلة لقيام البعض بادعاء المهدية، أو تجلياتها ببعض الأشخاص والأفكار، المتسترة بدعوات وفلسفات عقلانية غربية تعود على مسألة المهدي وانتظاره بالبطلان، إما تأثراً بالفلسفات الإلحادية الحديثة، أو إحياء للفلسفات الغنوصية العرفانية القديمة، ومن الجدير بالذكر مشابهة الشيعة المتأخرة للصوفية الغالية، فما كان من معتقد ومكانة عند المتصوفة للقطب والولي هو بنفسه =

يبلغونه من الفقه ورواية أخبار الأئمة يعظم شأنهم، ويتأكد تقليدهم نيابة عن الإمام الغائب إلى حين زمان ظهور الغائب المعصوم، هذا وإن لم يكن للفقهاء نفس صفاته ومقامه، ولكن هذا الحال من التشديد في باب الإمامة مع طول زمان الانتظار هيأ ظهور دعوى العصمة لبعض المقلدين، أو دعوى المهدوية، وقبول هذه الدعوى من قبل جمهور الشيعة، وهذا الشأن ليس لدى المتأخرين فقط، بل إنه أمر ظاهر في تاريخ الشيعة المتقدمين، وهو موضوع الحديث في المبحث القادم.

من حقوق الإمامة بغض أعدائها، المنكرين لها، أو المدعين لها كذباً، أو القائلين بانقطاعها، أو عدم بقائها وصلاحها لكل زمان، أو المعترض عليها بأي شبهة، أو المعوق لانتفاع الخلق بها، والقسمة في موضوع الإمامة وموالاتها ومعاداتها لا تقبل أنصاف حلول فمن جرى منه ولاء للأئمة ـ ولو يسيراً ــ استحق شفاعتهم، والنجاة يوم القيامة، ومن جرى منه شيء من الجفاء استحق اللعنات في الدنيا، والدركات في الآخرة.

من أظهر ما يعنينا في موضوع مواسم الأئمة وشعائرها أن كتب الزيارات والأدعية مليئة بلعن وسب وكره وتكفير المخالفين في الإمامة والأئمة وانتظار الحجة الغائب، بل هي مادة مهمة في هذه الكتب والمواسم، ومجمل ما يملأ قلوب أولئك النساك والعباد من الجهلة في تلك المواسم هو العداوة البارزة والبغضاء والضغينة التي توجه لمن يشاطرونهم الانتساب إلى الإسلام، لأنهم أشد المخالفين لهم في هذه المسألة، أما أهل الملل الأخرى فإنهم ينازعونهم في أصل النبوة والدين؛ وهذا العداء متوجه إلى جمهور المسلمين ابتداءً من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد نالهم من عداوة الشيعة أشد مما نال غيرهم، والاثنا عشرية في موضوع الإمامة ــ وهي جوهر مذهبهم ــ وعيدية مع المخالف، مرجئة مع الموافق[1]، ومن وافقهم في أصل الإمامة احتملوا أقواله، ونسبوه إليهم، وإن خالفهم في سريان الإمامة، وهذا مما يفسر اضطرابهم في بعض المسائل من جهة كونها من ضروريات المذهب، أو من ضروريات الدين.

للإمام عند الشيعة، وهو بسبب تأثر الشيعة بالمتصوفة، وقد سبق ذكر ذلك، راجع ص٩٨ من البحث.

(١) بتصرف عن: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٥٨١.

المبحث الثاني

عاشوراء وتسلسل الإمامة

وفيه:

المطلـــب الأول: الإمامة بين الإعلان والسرية.

المطلـب الثـاني: تسلسل الإمامة قبل عاشوراء.

المطلـب الثالـث: تسلسل الإمامة بعد عاشوراء.

المطلب الأول

الإمامة بين الإعلان والسرية

فضل الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الأمور المسلم بها عند الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعاً، إذ هو من أول السابقين، ومن المهاجرين العشرة المبشرين بالجنة، وممن شهدوا مشاهد الإسلام العظام، وأبلى فيها بلاء عظيماً، وأرسله الرسول ﷺ لدعوة أهل اليمن، وأستخلفه على المدينة في غزوة تبوك، ثم قام بخلافة مهدية راشدة، فهو رابع الخلفاء الراشدين المهديين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الذين خلفوا رسول الله ﷺ، إلى غير ذلك من فضائله التي اجتمعت في رجل من آل النبي ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم، وهو صهره وابن عمه، وقد أوصى بمودته، وهو خير أهل زمانه في فترة خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإجماع أهل السنة وغيرهم(١).

قد عالج أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بفقهه وأفعاله في مدة خلافته أموراً طرأت على أهل الإسلام لم تكن لهم بها سابقة، فخفي على غيره ما تجلى له من الصواب، وإذا كان من أجلة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من اجتهد في مقابل اجتهاده؛ فإن النصوص -كخبر عمار- جاءت مشيرة إلى أن أحد الطرفين هو الأحق، وهو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فكان في ذلك فتنة للناس؛ تهيأ بها وبعدها التباس وتلبيس شارك فيه أهل الأهواء والغلو، وكثر خوضهم وتشعب في باب النيابة عن النبي ﷺ بعد موته، من ذلك الادعاء بأن النبي ﷺ أوصى له بذلك، ونص عليه.

يتبع القول بالنص والوصية ــ وهو أمر موجود عند السابقين، بزعمهم(٢) ــ ما وقع من

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ٧/ ٣٢٤، وقال ابن كثير -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: (وأميرهم علي بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان أعبدهم وأزهدهم وأعلمهم وأخشاهم لله عز و جل).

(٢) تذكر الإمامية أن عدد الأوصياء مائة وأربعة وعشرون ألف وصي (١٢٤٠٠٠)، انظر: الاعتقادات في دين الإمامية (عقائد الصّدوق)، ص٩٢، و بحار الأنوار: ٣٩/ ٣٤٢، وأصول الكافي: ١/ ٢٢٧، ٢٨٦، وهذا العدد يوافق ويقارب ما يذكر عن عدد الأنبياء كما جاء من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه كان رسول الله ﷺ في المسجد جالسًا في حديث يطول ذكره، وجاء فيه ذكر الصلاة والصيام والصدقة، ثم قال أبو ذر: "قال قلت يا رسول الله: كم وفَّى عدة الأنبياء؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاث مائةٍ وخمسة =

فيه بعض الغلاة من دعوى ألوهية علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ونسبة تصريف الكون إليه، أو أنه المقصود بالرسالة والنبوة، أو أن نبوة الأنبياء منتهية إليه، ومستظهرة به، أو بالقول بعدم موته، أو أنه سيرجع، وغير ذلك من المقالات التي ظهرت في هذا الباب من أسلافهم[1]، وساغت بعد بينهم تحت مسمى الولاية التكوينية؛ والذي يعنينا هنا أن من قال بالإمامة من الإمامية زعم أن ذلك بتنصيب من الله ــ سبحانه ــ، وأن الرسول ﷺ نص على ذلك، ووصى به، وأن هذه الوصاية استمرت بعد موت علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لابنه الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بنص ووصية، ثم انتقلت لأخيه الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بنص ووصية، ثم لابنه علي بن الحسين بن علي ولذريته بنص ووصية.

تختلف نصوص الإمامية الاثني عشرية حول النص والتصريح بأسماء الأئمة الاثني عشر: هل كان ذكرهم جميعاً من النبي ﷺ، أو أنه ذكر عددهم فقط، وأن كل واحد من الأئمة يوصي بأمر من الله لمن يليه من بعده، وذلك سواء مع علم المتقدم بجميع المتأخر عنه منهم، أو مع عدم علمه، والذي يبدو من نقل الإمامية أن التصريح بأسمائهم، وبوصية أحدهم لمن بعده أن ذلك جرى وتم بطريقة سرية غير معلنة، وإلى الآن لا يمكن لهم أن يقيموا عليها أدلة يقينية بسبب ظروف النشأة، وكل دعوى للتواتر فهي منقوضة بدعاوى الردة ووجود الرواة الغلاة، وأن الرواية الواردة عن النبي ﷺ لم تكن مشتهرة، حتى أن ذلك اشتبه على المقربين من الأئمة من أهل بيتهم ومن خواصهم، بل وبالنصوص الثابتة بتكذيب هؤلاء، وبراءتهم منهم، ونصوص الإمامية وأخبارها تدل على الاضطراب الشديد في أمرها، ومما

=

عشر جمًا غفيرًا"، وهو في مسند الإمام أحمد، ٣٦/ ٦١٨، ح/٢٢٢٨٨، وابن حبان في صحيحه، ١/ ٢٨٧، ح/ ٣٦٢، وصححه، والحاكم في المستدرك، ٢/ ٢١٠، ح/ ٣١١٥، وهو طرف من حديث طويل، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير، ٧/ ٢٥٨، ٧٨٧١، ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف، والبيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية، واختلف فيه العلماء، وممن أشار إلى ضعفه، أو ضعف بعض أسانيده: ابن الجوزي، الموضوعات، وابن كثير في تفسيره، ٢/ ٤٧٠ (النساء: ١٦٤)، وابن باز، مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، ٢/ ٦١، وعبد الله بن زيد آل محمود، وله رسالة في تضعيف هذا الحديث، وشعيب الأرنؤوط، وممن صححه بمجموع طرقه: الألباني، وقال: إسناده صحيح، السلسلة الصحيحة، ح/ ٢٦٦٨.

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٦١٣-٦٢٩، وتاريخ الإمامية، ص٨٦-١٠٠.

يؤكد ذلك ــ إضافة إلى ما سبق ــ ظهور فرق نازعت في إمامة الأئمة ممن كان من شيعتهم، وذلك بعد موت كل إمام منهم، وهذا ظاهر في مثل ما ادعوه حول إمامة ذرية الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومن ذلك إمامة محمد الباقر ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ـ الذي خفيت إمامته على أهل بيته، ومثله من بعده من ذريته(١).

هذه السرية التي تلبس بها المذهب في أهم أصوله التي يبنى عليها اكتنفت مرويات المذهب، فأصبح حفظ أسرار الإمامة والأئمة سمة بارزة في أخبارهم ورواياتهم، حتى كثر وعيد من أفشاها، بل لزم عليه أن الأئمة من بعد الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يظهروا أمر إمامتهم، وأسروها بين خواصهم، وحذروا من إظهارها، وطلبوا كتمانها، بل نسبت إليهم أخبار الإمامية أن من أعلنها فهو كالجاحد والمنكر لها، من ذلك ما رواه الكليني عن الصادق ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ـ: «المذيع حديثنا كالجاحد له»(٢).

من المسلم به عند الإمامية أن أهم شيء يعرض الأئمة للأذى، ويعرض حياتهم للقتل هو إعلان أمر إمامتهم، والطلب بها بين الناس، وهو الجانب الدنيوي من إمامتهم، أما إمامتهم الدينية فيرون أن الإمام لا ينازعه فيها أحد، وإن قتله منازعه، فإن إمامته ثابتة حياً وميتاً، ومنها إمامة الحسين بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في أول أمره، وخاصة بعد وفاة أخيه الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وإلى قرب مقتله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو أول الأئمة الاثني عشر ـ الذين لم يتمكنوا من الظهور والخلافة كتمكن أبيه وأخيه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

يظهر مما سبق أن أمر الإمامة في كتب الإمامية ورواياتهم أمر مضطرب، وتحوطه السرية والكتمان على مدار قرنين ونصف من الزمان(٣)، لصعوبتها وتعقيدها، بل وصل الحال أن ختم المذهب الإمامة بإمام ولد سراً، ولم ير حتى في طفولته، بل أنكره أهله، خوفاً من أعدائه، وسيبقى مستتراً حتى يأتي أوان ظهوره، ويفرج عنه، فيقوم بأمر الإمامة، ويظهر الحق،

---

(١) سيأتي عرضه في المطلبين القادمين، بإذن الله تعالى.

(٢) الكافي: ٢/ ٢٢٤، ٣٧٠، وعنه: بحار الأنوار، ٧٢/ ٨٥.

(٣) وذلك من وفاة الرسول ﷺ حتى غيبة الإمام الثاني عشر ودخوله السرداب عام ٢٦٠هـ.

وتكشف الأسرار، وسيخرج من الأرض كنوزها، حيث إن معه الكتب الموروثة عن آبائه، ومعه العهد والراية والسلاح، وهذه لن تنشر بعد علي إلا له[1]، ويفصح عن علوم الغيب التي كتمها أسلافه وآباؤه خوفاً عليها من أن يحوزها الأعداء، فيلتبس الحق بالباطل ويهلك الناس، وذلك كله يجري بعد أن يئس الناس من خروجه، وملوا انتظاره.

الإمامة بهذا الوصف من السرية والخفاء والغرابة والصعوبة والتعقيد مدار الولاء والبراء، والإيمان والكفر، والوعد والوعيد، والجنة والنار، إضافة إلى مجيئها بنص إلهي، ووصية نبوية، لا ببدعة سبئية، ولا شك أن هذا أبعد ما يكون عن اللطف الذي يتمسكون بأهدابه، بل ويفترون الكذب، فيدعونها واجبةً على الله[2].

ابن خلدون بعد سوق اختلافهم في تعيين الإمام قال: (وهذا الاختلاف العظيم يدل على عدم النص)[3]، ومثله شيخ الشيعة الزيدية في زمنه أحمد بن يحيى المترضى[4] (ت/ ٨٤٠هـ) الذي جعل اختلاف الشيعة عند موت كل إمام في القائم بعده أوضح دليل على إبطال ما يدعون من النص[5]؛ فما عندهم من النص هو من عند غير الله، وصدق الله إذ قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[6]، وإذا كان هذا حالهم في أصل الدين فكيف ببقية مسائله[7].

إذا كان هذا هو حال الإمامة ـ التي هي عمدة المذهب وشعاره وأهم أصوله ــ على هذه

---

(١) وفيه أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال للحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يا بني، إن للقوم مدة يبلغونها، وإن هذه راية لا ينشرها بعدي إلا القائم صلوات الله عليه)، انظر: الغيبة، للنعماني، ص٢٧٩، ٣١٩.

(٢) انظر: تاريخ الإمامية، ص ١٠٢.

(٣) لباب المحصل في أصول الدين، ص١٧٦، ابن خلدون، ت. رفيق العجم، ط ١٩٩٥م، دار المشرق – بيروت.

(٤) من كبار أعلام الشيعة الزيدية في اليمن في القرن التاسع، (٧٧٥ـ٨٤٠هـ)، انظر ترجمته في: البدر الطالع (بمحاسن من بعد القرن السابع)، ١/ ١١٥ـ١١٨، محمد بن علي الشوكاني، ت/ ١٢٥٠هـ، دار المعرفة – بيروت.

(٥) انظر: المنية والأمل، ص٢١، نقلاً عن: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٩٢– ٩٣.

(٦) النساء: ٨٢.

(٧) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٩٣.

السرية والصعوبة والإشكال والتعقيد، والخصومة بين الشيعة أنفسهم حتى كثر اختلافهم في الإمامة بعد موت كل إمام، وفي الوصية والغيبة والمهدية، حتى إنه من ما من قول أنكر على المخالفين إلا هو قول عندهم ضرورة، وبالرغم من ذلك فقد خصوا أنفسهم بالصواب دون غيرهم من الشيعة، وهذا يؤكد بطلان دعوى الإمامة والنص من أساسها، وإبطال دعوى اللطف التي يدعونها في هذا الباب، ويسوغون بها مسألة الإمامة وما يتعلق ــ أو يعلقونه ــ بها من مسائل.

هذا الوضع والجو الذي نشأت فيه هذه العقيدة يمهد لنا تصور خطورة ما يبنى عليها من عقائد وعبادات ومواسم ومناسبات تتعلق بالأئمة والإمامة، إذ سيلحقها وصف السرية والكتمان لبعض أسرارها، بل لكثير منها، والحذر من التعامل مع أخبارها، واختصاص ذلك بمن يؤتمن على نقلها وفهمها، وذلك لصعوبة أمرها على الأفهام والعقول، وخشية من وقوع الأذى على الأتباع كما وقع على الأئمة، قياساً على حال التقية والاستتار الذي عاشته الإمامة والأئمة؛ والمفترض في أي مذهب أو دين أن يكون حال مؤسسيه أكمل وأتم من حال أتباعه المتأخرين، وذلك لبعد المتأخرين عن مصدر العصمة: أشخاصاً وكتباً، إلا أننا نلاحظ متأخري الإمامية يدعون في بعض مواسمهم ــ كعاشوراء ــ أن بركات الأئمة وأسرار الإمامة لا زالت تتبدى لهم وتظهر، وأن باب كنوزها مفتوح إلى حين ظهور الغائب المستتر، الذي يجمع الأسرار والعلوم، وبه يتكشف المستور الذي التبس أمره وعظم خطبه، وهذا مما يؤكد تأثر مفهوم الإمامة والغيبة بالجانب الباطني، الذي تلتقي فيه الإمامة الشيعية مع الولاية الصوفية(١).

---

(١) سبقت الإشارة مراراً إلى الإمامية الباطنية وفرقها، راجع ص٣١، ٨١ من البحث.

المطلب الثاني

تسلسل الإمامة قبل عاشوراء

سبق أن الإمامة عند الإمامية كانت وصية، والوصية تكون عادة قبل فراق الحياة، ولذا فإمامة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وهو الإمام الأول عند الإمامية ـ تبدأ من حين وفاة رسول الله ﷺ، إلا أن الإمامة في الظاهر تعطلت ومرت بفترة تقية لمدة أربع وعشرين سنة، وظهرت حينما تولى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة آخر عام٣٥هـ، وبهذا ازداد التشيع والولاء لعلي، بعد أن كان محصوراً على طائفة قليلة محدودة، فكأن التشيع حصل بسبب الولاء لمنصب الخلافة، وهو ما يسميه بعض الشيعة المعاصرين بالتشيع السياسي، في مقابل التشيع الأول الديني الروحي[1]، والحقيقة أنه لم يكن ثم تشيع روحي أو ديني، وإنما هو تشيع وتأييد لقول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مقابل تشيع وتأييد لقول بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ المطالبين بتعجيل القصاص من قتلة عثمان جميعاً، عقب ذلك: إما رجوع لقول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو طلب للتحكيم والصلح إلى أن توفي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فهو اجتهاد عملي، ولم يتعلق به اعتقاد الطرفين حول خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبطلانها، أو لزومها من حين وفاة النبي ﷺ، وبطلان خلافة من قبله.

بعد موت الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عام ٤٠هـ بايع شيعته من بعده ابنه الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـــ وهو الإمام الثاني عندهم ـــ، ثم في أول عام ٤١هـ تنازل الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الولاية لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاجتمع له ولايتان، وتراضى بقية الناس على ذلك، ودخلوا في الولاية الواحدة، وكان هذا الصلح والتنازل من الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين كانت معه جيوش أهل العراق وشوكتهم، والتي خرج بها للقاء أهل الشام، وسمي هذا العام عام الجماعة باعتبار ما آل إليه من الاجتماع، ونبذ الفرقة والتقاتل، وبقي الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المدينة

---

(١) انظر: تاريخ الإمامية، د عبد الله فياض، ص٤٤-٤٦، والتشيع الديني والتشيع السياسي، لأحمد الكاتب، ص٥٥، وذكر أنه ليس كل تشيع سياسي تشيعاً روحياً؛ لكن العبرة بالظاهر.

حتى توفي عام ٤٩هـ، أو عام ٥٠هـ[1]؛ وتزعم الإمامية أن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتنازله عن الخلافة لم يتنازل عن إمامته، وإنما جمد أعمال الخلافة والولاية، وأنه أوصى من بعده لأخيه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بعد موت الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تولى أمر الإمامة من بعده أخوه الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ وهو الإمام الثالث عندهم ــ، وبقي كاتماً لأمره إلى أن تولى الأمر يزيد بن معاوية عام ٦٠هـ، فلم يبايعه الحسين، وكان الحسين إذ ذاك في المدينة، فانصرف إلى مكة، وبعدها خرج إلى العراق لما كاتبه أهلها يستقدمونه، فجرى عليه ما جرى من المقتلة المشهورة في كربلاء، يوم عاشوراء عام ٦١هـ، رضي الله عنه وأرضاه.

مدة هذه الإمامة ــ على اعتقاد الإمامية ــ خمسون عاماً، منها قرابة خمس سنوات ولاية ظاهرة، تولاها الإمام الأول والثاني بالبيعة الظاهرة، أما الإمام الثالث فلم تتم له ولاية ظاهرة، وقد انتقلت الإمامة في هذه الفترة بعد الإمام الأول إلى ابنه الأكبر، وبعده إلى أخيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبعد ذلك تمنع الإمامية سريان الإمامة في بقية الأخوة من أولاد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لأنهم ليسوا من ذرية فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنت رسول الله ﷺ؛ بل تحصرها في تسعة من ذرية الحسين عقباً عقباً، في الأكبر غالباً، ولا يقرون انتقالها في الأعقاب من أخ إلى أخيه، ويجعلون ما حصل بين الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا استثناء لا يتكرر، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم أهل الكساء الذين جللهم به الرسول ﷺ[2]؛ وإذا كانت الإمامية أبطلت انتقال إمامة أبناء علي من غير فاطمة فمن باب أولى أن تبطل انتقالها، أو كونها في ذرية العباس بن عبد المطلب الذين كانت لهم دولة مشهورة، أو في غيرهم من بني هاشم، وكذلك في غير آل الرسول ﷺ.

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ٨/ ٤٥.

(٢) الغلو نشأ في صفوف أسلاف الإمامية –كالنصيرية–، وهناك من من قال وادعى ألوهية أصحاب الكساء الخمسة: محمد وعلي، وفاطمة والحسن والحسين، (ويقولون: فاطم للتذكير، بصيغة الترخيم)، وقالوا خمستهم شيء واحد، والروح حالة فيهم بالسوية، انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١/ ٢٠٧، والمقالات والفرق، القمي، ص٥٦، والتشيع السياسي والتشيع الديني، ٧٨.

إذا كان التشيع ازداد إبان خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه خف بعد تنازل الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما أن دعوى الإمامة لم تسلم من نزاع عريض بين أتباع الأئمة في حياتهم، وبعد وفاتهم، فمن ذلك إنكار موت الإمام، أو أنه سيرجع، أو أن له وصياً، أو أنه إله، أو نبي[1]؛ لكن ــ في نظر القائلين بالإمامة ــ لم يختلف الشيعة بعد موت الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إمامة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا من طائفة قليلة من أصحابه، لعل بعضهم قال بانقطاع الإمامة، وبعضهم حار وتوقف في إمامة الحسن والحسين بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كما أن طائفة عريضة بقيت مشتهرة، ومقاتلة ومعلنة بولائها لذريتهما جميعاً[2]؛ وإنما حصل الاختلاف الكثير في الإمامة بين فرق الإمامية من بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبه ابتدأ عصر جديد للشيعة وللإمامة، بسبب مقتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3]، وإن كان القتل حصل لأبيه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ أيضاً ــ، وارتبط كلاهما بالكوفة مهاجراً ومقتلاً ومرقداً وخذلاناً، وولاءً وشيعةً ورمزاً.

مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما سيظهر ـ بإذن الله ـ طغى على مفهوم التشيع الإمامي الحسيني

---

(١) انظر تاريخ الإمامية، ٩٣ـ١٠٠.

(٢) انظر: المقالات والفرق، القمي، ص٢٥، وفرق الشيعة، النوبختي، ص٢٥ – ٢٦ـ وقالت هذه الطائفة: (قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين، لأنه إن كان الذي فعله الحسن حقًا واجبًا صوابًا، من موادعته معاوية، وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته، مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم – فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم، وكثرة أصحاب يزيد حتى قُتل وقُتل أصحابه جميعًا باطل غير واجب، لأن الحسين كان أعذر في القعود من محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية، وإن كان ما فعله الحسين حقًا واجبًا صوابًا من مجاهدته يزيد حتى قتل ولده وأصحابه، فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل، فشكوا في إمامتهما ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام)، وقال النوبختي في فرق الشيعة، ص٤٧ـ٤٨: (افترقت الشيعة بعد الحسين: فرقة قالت بإمامة علي بن الحسين، وفرقة قالت بانقطاع الإمامة بعد الحسين، وفرقة قالت بالإمامة بعد الحسين في ولد الحسن والحسين)، وانظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٧٩٦/٢.

(٣) من آراء المستشرقين براون، وفلهاوزن، معللين بأن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يختلف عن أبيه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حفيد النبي ﷺ، وابن بنته، انظر: الخوارج والشيعة، ص١٨٩،، يوليوس فلهوزن، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات – الكويت، وتاريخ الإمامية، ص٤٩ـ ٥٠، وهذا محل نظر، لأن أعظم شبهة هي الكساء والوصية، والأظهر أن ذلك مرتبط بفكرة الخروج، وموقفهم منه بعد مقتل الحسين، وسيأتي – بإذن الله– التعليق على هذا عند الحديث عن خوارج الشيعة، في الباب الرابع، ص٩٤٦ من البحث.

فيما بعد[1]، حتى أصبح هو شعار التشيع، وقد قال أحد المعاصرين من الإمامية:(فما أصدق قول القائل: إن الإسلام علوي، والتشيع حسيني)[2]، وهذا خاص عند الإمامية الاثني عشرية الذين حصروا الإمامة في السلالة الحسينية التي لم يعرف أحد منها بالظهور، بل جميعهم لزموا الاستتار، وكتموا أمرهم، حتى طغى مفهوم الاستتار والغيبة والتقية على تلك الفترة وما بعدها، وبه تعد الإمامية وأسلافها من طوائف الباطنية في مقولة الإمامة العقدية، مع اضطرابها في تطبيق توابعها في الأحكام الفقهية، فغلب عليها التقرب من أحوال جمهور الأمة مع شيء من العزلة والتمنع، مما جعلهم من جنس المنشقين عن جماعة المسلمين، والمجافين لاجتماعهم؛ وأن ذلك هيأها أن تحتضن طوائف أعلنت فيما بعد خروجها العلني، إما باسم دول قامت، أو من تحت مقولات ومذاهب الزنادقة التي ظهرت؛ فبان بمثله أن التعلق بالمقتل قد يكون سلماً للخروج.

❁❁❁❁❁❁

(١) في رأي الدكتور عبد الله فياض ـ الإمامي المعاصر ـ أن هذه الأمور مجتمعة هي ما دعا ذلك البلد وهيأها فيما بعد أن تكون أول من خف لقبول ولاية أهل البيت بعد أن رفضها الناس، وأن تكون أجدر بالسكنى من حرم الله وحرم رسوله، انظر تاريخ الإمامية، ص٦٠؛ لكن ما هذه الولاية التي لم يخفوا لها إلا فيما بعد، مع أن المعروف أن أهل الكوفة هي محل التشيع منذ زمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكنهم لم يخفوا زمن علي والحسين وزيد، بل تثاقلوا عنهم، لكن لعله يقصد أن منهم من خف لولاية معينة يهواها باسم آل البيت، ومحبتهم، ربما من جهة العصبية لبلد، أو طائفة، أو رأي ومذهب، خاصة وأن آل البيت ثبت عنهم أنهم يأمرون الناس أن يحبوهم حب الإسلام، كما سيأتي بإذن الله.

(٢) تاريخ الشيعة، محمد حسين المظفر، ص٣٦.

المطلب الثالث

تسلسل الإمامة بعد عاشوراء

سبق الحديث عن ثلاثة ممن تعدهم الإمامية الاثنا عشرية أول الأئمة الاثني عشر، وبقي الحديث هنا عن بقية التسعة، من الرابع حتى الثاني عشر، والإمامة عند الإمامية اختطت بعد عاشوراء خطاً آخر مغايراً لما كان عليه الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، وابناه السبطان سيدا شباب أهل الجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فأصبحت خاصة في السلالة الحسينية في الأعقاب دون الأخوة، وفي الأكبر غالباً، وظهر لها علامات وبينات يعرف ويميز بها الإمام القائم من غيره، ويعرف بها عصمته، وذلك كولاية الدم، وإرث كتب العلم الخاصة بالأئمة، وسلاح الرسول، ومطابقته للجسد، والعلم والمحاجة، والمباهلة، ووجود العقب، والبقاء حين وفاة الإمام السابق، والمعجزة، وغيرها من العلامات التي ترويها كتب الإمامية، وهذا ما وضعوه، ولعل من أعظم الأدلة على كذب واضعيها وبطلان ما قالوه صعوبتها على جمهور الشيعة أنفسهم، لسريتها ووجوب كتمانها بزعمهم، وبقاءها على هذه الحال قرابة قرنين من الزمان، بل إن الأعجب من ذلك أن الإمامية الاثني عشرية مع عظيم تشنيعهم على بني أمية في التوريث للأبناء، أنهم سوغوا التوريث هنا مع عدم إقامة دليل صحيح صريح بين في هذه المدة الطويلة على دعواهم.

قد تُدَّعَى الإمامة في هذه الفترة لابن لم يبلغ سن الرشد، إلا أنه لا يباشرها، بل تحفظ وتستودع له إلى حين بلوغه، ومنهم من جوز مباشرتها قبل البلوغ، وقال بأهلية الإمام في الصغر، كالأنبياء ـــ عليهم السلام ـــ، وكذلك ختمت هذه الفترة بانتظار المهدي الغائب لم يظهر، ولم ير، وتدور كثير من الشكوك حول ولادته، ومع هذا فهو متعلق الآمال عند الإمامية الاثني عشرية، ولن يظفروا بتمام الأمر إلا بعد خروجه، فلا زالوا به يستنصرون، ولظهوره يترقبون.

يتضح ما سبق بشكل جلي باستعراض ما جرى في أمر الإمامة لبقية الأئمة من السلسلة الحسينية المتعاقبة في هذه الفترة، والذين نازع في إمامتهم آخرون من الشيعة العلوية، ومن بقية

شيعة آل البيت، والتي كانت تدعو للرضا (المرضي) من آل محمد، وكان ذلك كما يلي:

١- علي بن الحسين (زين العابدين) ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ، وتلقبه الإمامية السجاد، وكنيته أبو بكر[(١)]، وهو الإمام الرابع عندهم، ت ٩٤هـ، وقد اختلفوا في نسبة الإمامة بعد مقتل أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، من ذلك أنها ادعيت لعم علي بن الحسين محمد بن الحنفية[(٢)]، ثم من بعده لولده أبي هاشم، وتفرعت عن هذه الدعوى الكيسانية، ومثلها البيانية، والراوندية التي خرجت بالإمامة من ذرية علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى ذرية العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وغيرها من الفرق التي خرجت بالإمامة من ذرية فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وكثير منها كانت تدعو وتتستر تحت اسم الرضا من آل محمد ﷺ.

٢- محمد بن علي بن الحسين (أبو جعفر، الباقر) ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ، الإمام الخامس عندهم، ت/ ١١٤هـ، وكان له عشرة من الأخوة، وذكر أنه لم يكن أكبرهم[(٣)]، وتُدَّعَى له الإمامة بعد وفاة أبيه عام ٩٤هـ، وقد ظهر في شيعته فرقة المغيرية أتباع المغيرة بن سعيد، والذي ادعى أنه وصي للباقر، وقالت المغيرية فيما بعد بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن "النفس الزكية"، وأنه المهدي الذي سيخرج في آخر الزمان، ولذا رفضهم الآخرون الذين بقوا على إمامة الباقر، وسموا لذلك رافضة[(٤)]، وأكثر وأقوى ما ينازع في إمامة الباقر خروج أخيه زيد بن علي ــ رحمهم الله ــ الذي دعا إلى الرضا من آل محمد ﷺ، وسار على نهجه ونسب إليه كثير من الحسنيين، والعلويين، والطالبيين، والهاشميين[(٥)]، وقد كان زيد على القول بالخروج لإقامة

---

(١) انظر: الشيعة والتشيع (النشأة - التاريخ - العقيدة - التوزع الجغرافي)، سعد رستم، ص٨٤، ط١، ٢٠٠٨م، الأوائل. بيروت.

(٢) لمعرفة موقف ابن الحنفية - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - من هذا الانتساب، ومن خروج الحسين ومقتله، راجع ص١٩٧ من البحث.

(٣) انظر: التشيع السياسي والتشيع الديني، ص٩٦.

(٤) انظر: تاريخ الإمامية، ص٧٥، وهذا فيه تعليق الرفض بمن رفض إمامة غير الحسينيين، وتعلق بإمامة الحسينيين وحدهم، وهذا يندرج فيه كل من انتسب إلى الجعفرية، وأقر بإمامة الباقر وعقبه، ومنهم الجعفرية.

(٥) هذه الأسماء تشمل آل البيت، فالحسنيون هم والحسينيون يشملهم اسم الفاطميين من ذرية علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهم مع بقية أبناء علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يشملهم اسم العلويين، والعلويون مع أبناء جعفر =

العدل، مع الترضي على السابقين الأولين الراشدين، وقد خالفه لأجل هذا جمع من شيعة الكوفة وخذلوه ورفضوه، وسموا لذلك الرافضة[١].

تروي الإمامية حصول مناظرة بين الباقر وأخيه زيد ـ رحمهما الله ـ حول موضوع الإمامة واستحقاق الباقر لها دون زيد، والمحاجة نوع من أدلة الإمامة وعلاماتها عندهم، وكذلك تروي الإمامية عن علي الرضا ــ الإمام الثامن ــ ما يسوغ خروج زيد بن علي، حيث يخاطب علي الرضا الخليفة العباسي المأمون فيقول عن زيد: (كان من علماء آل محمد، غضب لله فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله، ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر أنه سمع أباه جعفر بن محمد يقول: رحم الله عمي زيداً إنه دعا إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى لله من ذلك، إنه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد)[٢].

إذا كان علي الرضا تنسب له هذه الرواية في خطابه للمأمون الذي ولاه ولاية العهد عام٢٠١هـ؛ فيظهر منها أن الإمامية أرادت أن تنسب كل أعمال الزيديين للأئمة الاثني عشر، ومنها ــ أيضاً ــ ما يروونه عن يحيى بن زيد، فيقول الإمامي الدكتور عبد الله فياض معلقاً: (ويقول يحيى ابن زيد مقارناً بين نفسه وأبيه وبين أئمة الشيعة أسلاف الإمامية: إن الله ــ عز وجل ـ أيد هذا الأمر بنا، وجعل العلم والسيف فجمعا لنا، وخص بنو عمنا (يقصد الإمامين الباقر وابنه الصادق) بالعلم وحده...)[٣]؛ مع أن هذا مناقض لما يروونه عن الباقر نفسه، ولعل هذا يتضح بما ترويه كتب التاريخ عن سبب تقريب الخليفة المأمون لعلي الرضا، وأنه كان استرضاءً للزيديين، وغيرهم من العلويين المناهضين للعباسيين، والداعين إلى الرضا من آل محمد[٤]، حيث كثر فيهم الخروج على دولة بني العباس، ومنهم إبراهيم الجزار بن موسى

=

وعقيل ابني أبي طالب يشملهم اسم الطالبيين، والطالبيون مع بني العباس يشملهم اسم الهاشميين.

(١) لاسم الرافضة راجع ص٣٧ من البحث.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١١/ ٣٨.

(٣) انظر: تاريخ الإمامية، ٦٦.

(٤) البداية والنهاية، ١٠/ ٢٤٧، يقول ابن كثير: (ثم دخلت سنة إحدى ومائتين،... وفيها بايع المأمون لعلي
=

الكاظم، أخو علي الرضا الذي خرج في اليمن، وأخوه زيد بن موسى (زيد النار) الذي خرج بناحية الأنبار[1]؛ وهذا مما يدل على أن أخبار الإمامة وعقائدها مرت بمرحلة جديدة ومهمة بعد الرضا (٢٠٣ ـ ٢٦٠هـ)[2].

٣- جعفر بن محمد (الصادق) ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، الإمام السادس عندهم، ت/١٤٨هـ، وتعتبر إمامته وإمامة أبيه الباقر من أبرز ملامح هذه الفترة عند الإمامية، حيث تنسب لهما كثير من الروايات المهمة حول الإمامة والمذهب، مع أنه لم يعرف أتباعهما باسم الإمامية، أو الاثني عشرية، وأن هذا المصطلح لم يظهر إلا في وقت متأخر، بل عرفت بالعلوية، أو الترابية، أو الرافضة[3]، أو الجعفرية فيما بعد، وهذا ما يستدعي أن تقوم الدراسات التاريخية حول ثبوت موضوع الإمامة المنسوبة للأئمة تاريخياً، وهل شيء منها كان معروفاً في حياة السلالة الحسينية؟[4].

=

الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أن يكون ولي العهد من بعده، وسماه الرضى من آل محمد، وطرح لبس السواد، وأمر بلبس الخضرة فلبسها هو وجنده، وكتب بذلك إلى الآفاق والأقاليم، وكانت مبايعته له يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، وذلك أن المأمون رأى أن عليا الرضا خير أهل البيت، وليس في بني العباس مثله في عمله ودينه فجعله ولي عهده من بعده)، وفي سلسلة النسب سقط اسم (علي بن الحسين)، ولعله سهو، وانظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٣/ ١٥١، ومقاتل الطالبين، الأصفهاني، ص٥٦٣، والتشيع السياسي والتشيع الديني، ص٣١٣.

(١) البداية والنهاية، ١٠/ ٢٤٧.

(٢) تعتبر شخصية الرضا -بعد الصادق- من أهم من تنسب إليه المرويات والكتب والصحف، ولعل ما ينسب إليه هو تراث القطعية الجعفرية في مقابل الإسماعيلية الجعفرية، وحرية أن تقدم دراسة تمايز بين المرحلتين من جهة الوضع.

(٣) انظر: تاريخ الإمامية، ص٧٣.

(٤) من الدراسات الشيعية المعاصرة التي أشارت إلى هذا الجانب دراسة الدكتور عبد الله فياض: تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة التي يلحظ فيها أنه لم يفصل الحديث عن الزيدية وفرقهم وتاريخ خروجهم، وكذلك أحمد الكاتب في كتابه التشيع السياسي والتشيع الديني، ص٢٩٦، والدكتور عبد الله فياض قد قال بعد أن أكد أن مصطلح الإمامية القائلين بإمامة اثني عشر.إماماً من ولد الحسين لم يكن معروفاً في زمن الأئمة، وفي معرض اقتراحه لبداية هذا المصطلح يقول ص٧٧:(لقد وصف جماعة من الشيعة قبل حصول الغيبة سنة =

مما ظهر حول إمامة الصادق أن هناك من غلا فيه من المنتسبين إليه، ونسبه إلى الربوبية، والنبوة، كالخطابية أتباع أبي الخطاب، الذي ادعى أنه وصي للصادق، ثم ادعى النبوة، ونسخ الشريعة، وقد تبرأ منه جعفر الصادق ولعنه، وفرح بمقتله سنة ١٣٨هـ في عهد أبي جعفر المنصور[(١)]، وكذلك تبرأ الصادق من غيره من الغلاة كالمفوضة، الذين يقولون: إن الله فوض للأئمة بالخلق والرزق والحياة والموت والحساب يوم القيامة، كما تبرأ الصادق من المغيرة بن سعيد المقتول سنة ١١٩هـ، الذي غلا في أبيه الباقر، وقال عنه:(كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب فيدفعونها إلى المغيرة، وكان يدس فيها الكفر والزندقة، ويسندها إلى أبي، ثم يدفعها إلى أصحابه، ثم يأمرهم أن يبثوها في الشيعة، فكل ما في كتب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبه)[(٢)].

يظهر أن الغلو في زمن جعفر الصادق اشتد وعظم، وهذا ظاهر من مقاومة الدولة العباسية في بدايتها للزنادقة، وهذا مما يؤكد أن هذه الفترة ــ إضافة إلى ما سبق ــ هيأت أن يتداخل مع أصول المذهب الاثني عشري كثير من آثار الغلو في تلك الفترة، وبما أن المذهب

٢٦٠هـ بأنهم إماميون، منهم علي بن إسماعيل التمار، الذي عده الطوسي(ت ٤٦٠هـ): "أول من تكلم على مذهب الإمامية"، وعلي هذا كان معاصراً لهشام بن الحكم الذي توفي سنة١٩٩هـ على أشهر الروايات...)، وأورد نصاً قريباً منه للنجاشي (ت/ ٤٥٠هـ)، صاحب كتاب رجال الشيعة، واستنتج منه أن هذا المصطلح ظهر في بدايات القرن الثالث الهجري في زمن شيعة علي الرضا.

الذي يظهر لي أن هذا الصنيع ـ نسبة الرجال إلى الإمامية ـ هو من صنيع أصحاب كتب التراجم، كالطوسي في الفهرست، والنجاشي في رجال الشيعة، وذلك في القرن الخامس، وإن كان من الممكن أن تكون بدايات المذهب الإمامي الاثني عشري ومعالمه اتضحت في أول القرن الرابع الهجري، مع بداية الغيبة الكبرى، وأول من له أثر في تلك الفترة فقيه الشيعة زمن البويهيين المفيد ابن النعمان(ابن المعلم) صاحب كتاب الغيبة، والإرشاد، وقد كان متكلماً يقرر الأدلة النقلية والعقلية على الإمامة، ومما ذكر عنه أنه كان من الشيعة التي لا ترى التصريح باسم المهدي الغائب .الإمام الثاني عشر. انظر تاريخ الإمامية، ص١١٤، وسبق الحديث عن أسماء الإمامية، ومن أشهرها: القطعية، راجع ص٤٠ من البحث.

(١) انظر: تاريخ الإمامية، ١٢٢.١١٨.

(٢) بحار الأنوار، ٢/ ٢٥٠.

يتكون تراكمياً خلال الزمن فقد صعب على علمائه فيما بعد تنقيته مما علق به، ويدل على ذلك أن كتب المتأخرين تستكثر بروايات المنسوبين إلى الغلو والزندقة.

تنسب الإمامية إلى جعفر الصادق أنه أشار إلى إمامة ابنه الأكبر إسماعيل من بعده، وأنه تراجع عن ذلك لأن إسماعيل مات في حياته سنة١٣٨هـ، فأشار إلى إمامة ابنه موسى (الكاظم) الذي لم يكن أكبر من بقي من إخوته، ولذلك اختلف الشيعة في أمر الإمامة بعد وفاة جعفر الصادق ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، سنة١٤٨هـ، فمنهم من أنكر إمامة الصادق بسبب رجوعه عن إمامة ابنه إسماعيل الذي مات١٣٨هـ، كالسليمانية أتباع سليمان بن جرير، الذين قالوا بعد ذلك أن الإمامة شورى، ويجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وهو مذهب الزيدية[1]، الذي كان يزاحم موضوع الإمامة، وبعض الشيعة ينكر موت إسماعيل بن جعفر، وانتقال الإمامة إلى أخيه موسى، حيث بعد الحسن والحسين لا تنتقل الإمامة من أخ إلى أخيه، بل تبقى في الأعقاب، وهؤلاء هم الإسماعيلية، ومنهم من قال بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل بن جعفر، وهم في مقابل الموسوية شيعة موسى بن جعفر، كما أن هناك من قال بغيبة جعفر الصادق ومهديته، وأنه سيرجع، وأنكر إمامة أحد من أبنائه من بعده[2]، كما أن هناك من قال بإمامة محمد بن جعفر الصادق ـ المعروف بالديباج ـ الذي خرج في مكة سنة١٩٩هـ[3].

٤- **موسى بن جعفر**(الكاظم) ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ، الإمام السابع عندهم، الذي توفي مسجوناً عام ١٨٣هـ، في سجن الخليفة العباسي هارون الرشيد، وقد أورثته الإمامية إمامة متنازعاً فيها من شيعة أبيه، فمنهم من جعلها في أخيه الأكبر إسماعيل بن جعفر ـ كما سبق ـ، ومنهم ــ وهم أكثر الشيعة حينذاك ــ من جعلها في أخيه عبد الله بن جعفر (الأفطح) أكبر إخوته بعد وفاة أبيه، وهذا ما لبث أن توفي بعد أبيه بسبعين يوماً، وليس له عقب، ثم اختلفوا في إمامته، فمنهم

---

(١) انظر: فرق الشيعة، النوبختي، ص٦٣-٦٦، وذكر أنهم قالوا بقول البترية، وسير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٩٦، والسليمانية فرقة من فرق الزيدية؛ وعلى التوصيف المذكور تكون السليمانية إمامية مرتدة في حكم الإمامية.

(٢) انظر: فرق الشيعة، النوبختي، ص٦٧.٦٨.

(٣) انظر: فرق الشيعة، النوبختي، ص٧٧، وسير أعلام النبلاء، ١٠/ ١٠٥.

من بقي على إمامته، وادعى له ولداً مختفياً في اليمن، وهو المهدي[1]، ومنهم من رجع إلى إمامة أخيه موسى بن جعفر (الكاظم)[2].

الكاظم عاصر عدداً من ثورات العلويين على العباسيين، كثورة عيسى بن زيد بن علي، المقتول عام ١٦٦هـ، والحسين بن علي ـ صاحب فخ ـ الذي استولى على المدينة عام١٦٩هـ، ولكن موسى الكاظم لم يعرف عنه المشاركة في شيء من هذا؛ وهذا بخلاف أبنائه الذين قاموا من بعده بالخروج، ومنهم إبراهيم بن موسى الكاظم (الجزار)، الذي خرج في اليمن، وزيد بن موسى(زيد النار) الذي خرج بناحية الأنبار[3].

كما أن الكاظم ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ نوزع في الإمامة فإن هناك من غلا فيه وأنكر موته، وقال بغيبته وهروبه من السجن، ووقفوا بالإمامة عليه، وهم الواقفة، وهناك في حياة الكاظم من ادعى ربوبية الكاظم، وهم البشيرية أتباع محمد بن بشير الذي ادعى النبوة والوصية من الكاظم[4].

٥- **علي بن موسى**(الرضا) ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ، الإمام الثامن، ولعل عمره كان حين وفاة أبيه الكاظم دون الثلاثين[5]، وكان له خمسة عشر من الأخوة، وقد تنازع الناس في إمامته، لأن الإمامية أورثته الإمامة قبل أن يولد له، فليس له عقب، فخشي بعض الشيعة أن يتكرر ما حصل في إمامة عبد الله بن جعفر (الأفطح)، الذي ولي الإمامة بعد أبيه وليس له عقب، فلم يمكث إلا يسيراً فتوفي؛ ولذا فهناك من يسميهم بالواقفة، وهم الذين انقطعوا بالإمامة على أبيه موسى الكاظم ـ كما سبق ــ، وقابلهم القطعية، وهم الذين قطعوا بموت أبيه، وبإمامته ــ

---

(١) الفرقة الفطحية تشبه بقولها هذا قول الإمامية الاثني عشرية في غيبة إمامها الثاني عشر.

(٢) انظر: فرق الشيعة، النوبختي، ص٦٧– ٦٨.

(٣) انظر: البداية والنهاية،٢٤٦/١٠، والتشيع السياسي والتشيع الديني ص٢٩٧– ٢٩٨، وقد عد الذهبي لموسى الكاظم ستة عشر ولداً، انظر: سير أعلام النبلاء، ٦/ ٢٧٤.

(٤) انظر: التشيع السياسي والتشيع الديني، ٨٠، ٣٠٢ – ٣٠٤.

(٥) توفي أبوه الكاظم عام١٨٣هـ، وذكر الذهبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن ميلاد علي الرضا كان سنة وفاة جده الصادق، أي سنة ١٤٨هـ، وأنه توفي. رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. سنة٢٠٣هـ عن تسع وأربعين سنة، ويظهر أن في تاريخ ميلاده، أو عمره حين موته لبس. والله أعلم.، انظر سير أعلام النبلاء، ٩/ ٣٨٧-٢٩٣.

أي الرضا ـ من بعده، ولم يولد لعلي الرضا ابن إلا قرابة عام١٩٥هـ، وهو ابنه محمد الجواد.

لعل مجيء هذا الولد، ثم تولي الرضا عام٢٠١هـ ولاية العهد للمأمون الذي أعجب به، ورأى أنه أرضى آل محمد وأفضلهم؛ لعل ذلك زاد من فرصة القول بإمامته؛ ولكن ذلك لم يطل حيث توفي ـ رضي الله عنهما ـ عام٢٠٣هـ، ومما يذكر هنا أن الرضا زمن ولايته للعهد عاصر خروج أخيه زيد بن موسى (زيد النار)[1] على الخليفة المأمون، والرضا لم يسلم من غلو شيعته فيه، فهناك من ادعى نبوته؛ على أن إمامة الأئمة من بعد الرضا كانت أضعف حالاً مما يدعى لما قبلها ـ بزعمهم كما سيأتي ـ، إلا أن ذريته وجدت تقديراً من الخلفاء العباسيين بعد الخليفة المأمون[2]؛ وكل ما سبق كان على التنزل على ما يذكره الإمامية حول الإمامة من تكلف وتهويل في سوق الإمامة وتسلسلها، وهو محل نظر أصلاً.

وبعد: فنستطيع القول بأن الإمامة ـ المزعومة ـ في القرن الثاني الهجري عانت أكثر من ذي قبل، وذلك زمن الباقر والصادق والكاظم والرضا، حيث زامنت ثورات العلويين المشهورة، كثورة زيد بن علي ومن بعده، ولم يعرف عن هؤلاء الأئمة الأربعة المشاركة في هذه الثورات، مع جلالة مقامهم ـ رحمهم الله ـ خاصة الباقر والصادق، خلافاً لمن خرج وتعرض في الغالب للقتل، وختمت هذه الفترة بالتقارب بين الرضا والعباسيين، حيث قلده المأمون ولاية العهد، وهذا مما يدل بطلان ما تنسبه الإمامية من دعوى الإمامة والعصمة لهؤلاء الأئمة.

٦- **محمد بن علي** (الجواد) ـ رضي الله عنهما ـ، الإمام التاسع عندهم، الذي ولد عام١٩٥هـ، وكان عمره حين وفاة أبيه ثمان سنين، فقد ولد عام٢٠٣هـ، وقد حملته الإمامية الإمامة، ولم تظهرها عليه إلا عند بلوغه، وذلك تشبيهاً له بعيسى وزكريا ـ عليهما السلام ـ[3]، إضافة

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، ٩/ ٣٨٧-٢٩٣، ويفهم من صنيع الذهبي أن الحادثة وقعت ما بين ٢٠١-٢٠٣، ولكن ابن كثير وضع ثورة زيد وقبلها ثورة أخيه إبراهيم (الجزار) قبل ذلك في عام٢٠٠هـ، والله أعلم.

(٢) انظر: التشيع السياسي والتشيع الديني، ٣١٢-٣١٦.

(٣) انظر: تاريخ الإمامية، ص، والتشيع السياسي والتشيع الديني، ص٣٢٠-٣٢١.

إلى أنه لا يوجد ما يضمن له العقب الذي يؤمن مسار الإمامة بعده، وتأتي إمامة الجواد في القرن الثالث الهجري بعد معاناة الشيعة في القرن السابق، والمعانة هنا أشد وأصعب فقد افترقت شيعة أبيه الرضا إلى خمس فرق، كما ذكر القمي[(١)]، منها من احتفظت له بالإمامة، وأقرت له بها، إلا أن عمر الجواد لم يطل، فقد توفي وعمره خمس وعشرون سنة، وعرف له من الولد علي وموسى اللذين كانا صغيرين ـ أيضاً ـ حين موت أبيهما عام ٢٢٠هـ[(٢)].

٧- **علي بن محمد** (الهادي) ـ رضي الله عنهما ـ، الإمام العاشر عندهم، وكان صغيراً حين موت أبيه محمد الجواد عام ٢٢٠هـ، فاحتفظت له الإمامية بالإمامة، وقد توفي عام ٢٥٤هـ، وقد نوزع في الإمامة، وافترقت شيعة أبيه الجواد إلى أكثر من فرقة، فمنهم من قال بإمامة أخيه موسى بن محمد (المبرقع)[(٣)]، وأشد من هذا ما تزعمه الإمامية من أن علي الهادي كان له ثلاثة من الولد: محمد والحسن وجعفر، وأنه أوصى وأشار بالإمامة من بعده لابنه محمد، ولكن محمداً توفي قبل أبيه، مما جعل طائفة من شيعته يثبتون إمامة محمد وأنه لم يمت، ثم نقلت الإمامية الإمامة إلى أخيه الحسن العسكري الذي بقي حياً بعد أبيه.

٨- **الحسن بن علي** (العسكري) ـ رضي الله عنهما ـ، الإمام الحادي عشر عندهم، وقد نازعه في الإمامة ـ كما تزعم الإمامية ـ أخوه جعفر بن علي، وهو الذي تولى وصيته من بعده، وقسم تركته، لأنه ليس له عقب، وقد توفي الحسن العسكري بعد وفاة أبيه بست سنين، أي عام٢٦٠هـ، وذلك بسامراء، وقد يكون في بداية العقد الرابع من عمره، أو أقل، وقد ادعى البعض أن له عقباً، وهو محمد، لكن أخاه جعفر أنكر أن لأخيه عقباً، كما أن فترة الحسن لم تخل من الغلو، كما حصل من النصيرية أتباع محمد بن نصير النميري، الذي غلا في الحسن العسكري، وفي أبيه علي الهادي، وقال بربوبيتهما، وأنه الوصي والباب من بعدهما، وقال

---

(١) انظر: المقلات والفرق، القمي، ص٩٣، وتاريخ الإمامية، ص٧٨.

(٢) انظر: التشيع السياسي والتشيع الديني، ص٣٢٢.

(٣) انظر: فرق الشيعة، النوبختي، ص٩١.

بالتناسخ وإباحة المحارم[١].

٩- محمد بن الحسن (المهدي ــ المنتظر ــ الحجة ــ القائم)، الإمام الثاني عشر عندهم، الغائب من عام ٢٦٠هـ، وهو الذي اختلف في ولادته أصلاً، ثم اختلف في اسمه وغير ذلك من أمره، وافترقت شيعة أبيه بعده إلى أربع عشرة أو خمس عشرة فرقة[٢]، وحيث لا يمكن الحديث علانية عن الإمام المزعوم وحال إمامته فإن الناس تحدثوا عن وكلاء ينوبون عنه، أولهم ممن كان من أصحاب الحسن العسكري، ويتولى بعض أموره، فادعوا أنه أوكله على ابنه المزعوم صاحب السرداب (الناحية)، وهو بسامراء موضع وفاة أبيه وقبره، فاتخذوا المكانين ــ بعد حين ــ من مشاهدهم التي يقدسونها؛ والوكيل على الإمامة يسمونه وكيل الناحية، والناحية تعبير للموضع الذي يصدر عنه توقيعات وأوامر باسم المهدي، وتجمع إليها الأموال، من طريق وكيله، ويسمونها الناحية المقدسة[٣]، والوكلاء السفراء الأربعة هم كالتالي:

١- عثمان بن سعيد العمري، ت/ ٢٦٤هـ، ومدة سفارته أربع سنوات[٤].

٢- محمد بن عثمان بن سعيد العمري[٥]، ومدة سفارته (٢٦٤ ــ ٣٠٥هـ) أربعين سنة تقريباً، وهي حرية أن تتواطأ الإمامية على نسبة كثير من العقائد والمرويات إليها، لكونها تحت قيادة واحدة، ومثلها التي تليها.

٣- الحسين بن روح النوبختي، ٣٢٦هـ[٦]، ومدة سفارته إحدى وعشرون سنة.

---

(١) انظر: التشيع السياسي والتشيع الديني، ٨- ٨٢.

(٢) انظر: المقالات والفرق، ص١٠٢، وفرق الشيعة، ص٩٠، وتاريخ الإمامية، ص٧٩.

(٣) انظر: الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة، ص٢٩، فاضل المالكي، ط١، ١٤٢٠هـ، مركز الأبحاث العقائدية – قم.

(٤) عثمان بن سعيد العمري الأسدي العسكري، يلقب الزيات، أو السمان، وكنيته أبو عمر، انظر: رجال الطوسي، ص٣٨٩، ٤٠١، وطرائف المقال، ٢/ ٣٢٣، وأعيان الشيعة، ٢/ ٤٧.

(٥) محمد بن عثمان بن سعيد العمري الأسدي، كنيته أبو جعفر. تولى السفارة نحواً من أربعين سنة، انظر: رجال الطوسي، ص٤٤٧، وأعيان الشيعة، ٢/ ٤٧.

(٦) الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي، أبو القاسم، انظر: أعيان الشيعة، ٢/ ٤٧، ٦/ ٢١.

٤- علي بن محمد السمري، ت/ ٣٢٩هـ[١]، وسفارته ثلاث سنوات بها ختمت مرحلة السفارة[٢].

كان الوكلاء ينوبون عن الإمام في فترة الغيبة الصغرى ٢٦٠ ــ ٣٢٩هـ، وكانت سفارتهم بالوصية والنص، كما في الإمامة نفسها[٣]، وقد انتهت الوكالة بموت آخر الوكلاء الأربعة المشهورين من غير أن يوصي بالوكالة لأحد من بعده، وقد وقع الشيعة الإمامية في حيرة، فإذا مات الوكيل فما شأن الموكل، أو الموكل عليه (الغائب المنتظر)؟؛ والحقيقة أن فكرة السفارة زمن الغيبة الصغرى هي وصف مميز لهذه الطائفة عن غيرها من الطوائف ممن قالت بالمهدوية الإمامية، فهذه الوكالة إمامة صغرى بدأت بالمراسلة، وبالإجابة عن أسئلة الشيعة بعد تأملٍ أطول لطريقة الوضع والكذب والكيد، ثم الرد بجواب مختوم ومقدس، لتحصل له الهيبة عند الجهال والمدعوين، وقد بدئت هذه الوكالة بإمامة صبي كان عمره حين تحمل الإمامة خمس سنوات!، وحينها كان محتاجاً لمن يتوكل عليه لصغره، مع الاختلاف بينهم في بداية غيبته، فمنهم من يقول ببدء غيبته من حين ولادته، أي في حياة أبيه[٤]؛ وكل هذا يؤكد أن هذه العقيدة من أغرب ما ينطلي على ذوي العقول والبصائر.

تحولت الإمامية زمن الغيبة إلى جمع الروايات والأخبار والتفقه فيها، وذلك بوصية من الإمام بزعمهم، كما أنه لا يمنع أن تكون السفارة لها نواب أخفياء، وآخرون يجتهدون في طلبها، إلى أن تقبل الشيعة سفارة الفقيه ونيابته، فأصبحت السفارة خرجت من حيز السرية إلى ميدان التفقه والمناظرة والبحث.

بعد فترة السفارة المباشرة دخلت الإمامية الاثنا عشرية في الانتظار، وهذه الفترة سميت بالغيبة الكبرى، وهي لازالت قائمة بدءاً من عام٣٢٩هـ، حيث بقيت الإمامية في انتظار سلبي

---

(١) كنيته أبو الحسن، انظر: أعيان الشيعة، ٢/ ٤٧.

(٢) انظر: حياة الإمام المهدي، ص٢١- ٣١، باقر شريف القرشي، ط١، ١٤١٧هـ.

(٣) انظر: الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة، ص٦٤.

(٤) انظر: الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة، ص٤٠- ٤١.

من جهة الولايات التي اشترطوا لها الإمام؛ إلا أنه صاحب هذا الانتظار اجتهاد فقهاء الإمامية في القيام ببعض مهام الأئمة، وذلك بدعوى الحاجة الملحة للقيام بذلك، حتى وصل الحال بالإمامية المعاصرة بعد عدة تطورات في موضوع النيابة عن المهدي إلى أن قال بعض مراجعها الفقهية بتولي الفقيه جميع مهام الإمام، وذلك لطول العهد، وضرورة الحال، وتأييد العقل لذلك، ودعوى اللطف(١).

بهذه المرحلة الجديدة والأخيرة يمكن للإمامية الاستغناء عن الانتظار، أو عن ضرورة القول بعقيدة المهدي عملياً، وأن دليل اللطف وغيره مما يستدلون به على الإمامة يصلح أن يكون دليلاً لنيابة الولي الفقيه عن الإمام نيابة تامة؛ مما منح الفقيه شيئاً من الاعتبار والعصمة والحضور، وجعله في درجة قريبة من الإمام، والإمامية بهذا التطور تبقي المهدي المنتظر ــ بل وسائر الأئمة ـ كرمز للمذهب.

فتنة الغيبة والمهدية أصبحت فيما بعد محور المذهب، وخلاصته التي تدور عليها الإمامة، وهذه القضية التي بليت بها لم تكن وليدة من عندهم، بل هي مسبوقة إليها قبل عام ٢٦٠هـ، حيث اشتهرت لدى عدد من الفرق التي تصفها الاثني عشرية بالشيعة الغلاة، وقد تميزت الاثنا عشرية عن هذه الفرق الشيعية القديمة بأنها قررت المسألة بأدلة عقلية، وحجج فلسفية(٢)، وذلك بعد أن خالطت الإمامية أهل الكلام من المعتزلة فتأثرت بهم، كما تأثرت

---

(١) انظر: ص٣٠٣ من المبحث القادم.

(٢) انظر تاريخ الإمامية، ص٥٦-٨٥، وأشار عبد الله فياض ص١١٤: أن المفيد يدلل بخمسة أدلة على أن علي بن الحسين أفضل خلق الله في زمانه، وأحق بمقامه، والإمامة للأفضل دون المفضول، وذكر حديث اللوح، ثم ذكر فياض أن هذه الأدلة الخمسة تصلح لإبطال إمامة أي علوي من أئمة الكيسانية والزيدية والإسماعيلية؛ والمفيد كأنه بكلامه يؤسس ويقرر أن الإمامة التفضيلية العقلية كانت منتشرة عند من يسمون بأسلاف الإمامية، فهم متكلمون، لا أخباريون؛ وفي هذا إقرار بضعف النص، وأن عمدتهم العقل والهوى، فالإخباريون هم أهل إمامة النص، ولكنه نص خفي، بل موهوم، عظموه بالأسانيد الموضوعة، والتي قدست عندهم، وبنوا عليها المذهب، فمن هذا الوجه النقلي هم ورثة الغلاة، لأن أقوالهم تحوي النص والوصية، بينما أصحاب الاحتجاج العقلي توسعوا في حججهم العقلية والنقلية حتى أوصلوها إلى (الألفين)، والمفيد في زمانه حاول أن يؤسس منهجاً جديداً للجمع بينهما؛ والحقيقة أنهم يتسترون بحججهم العقلية المنقولة عن =

بالزيدية الذين كانت تتستر خلفهم، وظهر ذلك في فترة العهد البويهي المتأثر بالزيدية زمن الدولة العباسية (٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ).

الإمامية بهذا ورثت تراث تلك الفرق، وضمته إلى مخزونها العلمي، حتى غدا منسوباً إليها، إلى درجة يصعب معها تبرؤها منه، إذ يعني هذا تبرؤها من تراث المذهب الذي لازمها أكثر من عشرة قرون، وكان مقراً من أساطين المذهب، بل آل الأمر إلى أن يكون من ضروريات المذهب، وهذا أدَّى إلى تغلب التوجه الأصولي على التوجه الأخباري، وأشعل حدة الصراع بينهما، كما سبق[1].

في ختام هذا المبحث وبعد هذا العرض لتسلسل الإمامة وما صاحب هذه الإمامة المزعومة، والذي سبق بذكر تطور مفهوم الإمامة ومراحلها، وأسماء الإمامية وفرقها؛ بعد ذلك أستطيع أن ألخص ما سبق لكي يبرز موقع عاشوراء ومقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين مراحل الإمامة وغلو الإمامية، وما هيأته هذه المراحل والمنعطفات التاريخية من تراكم لمفاهيم الغلو والحزن والمحبة، وهي خمس مراحل، وكلها لم تسلم من الافتراق، ومن ظهور عقائد الغلو وتجددها، كالرجعة، والبداء، والتأليه، والحلول، وإسقاط الشرائع، وانتهاك محارمها، وغيرها، وهذه المراحل كما يلي:

١- غلو السبئية زمن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما تبعه من غلو الكيسانية، ثم المغيرية.

٣- حركات الغلو زمن جعفر الصادق ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، كالخطابية.

٤- اشتداد الحيرة والتوقف والاضطراب في الإمامة زمن علي الرضا ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، مع

=

تلك الفترة خلف مرويات الغلاة في النص والوصية، والتي يتحمس لإحيائها وتقديسها الإخبارية، ولأجل ذلك يتهيب الأصوليون من نقدها، أو نقد أسانيدها بالمنهج العقلي، مع عدم تسليمهم التام لمنهج النقل والرواية، لأن هذا يفتح الطعن على عموم المذهب، كما أن الاحتجاجات العقلية الشيعية كانت قبيل الغيبة، ووضعت المرويات وفقها، مما جعل تهيبهم يظهر في مسائل الأحكام، ولو كانت أخبارها ضعيفة ومرسلة، اكتفاء واعتذاراً بحال العزلة تلك الفترة.

(١) راجع ص٤٨- ٨٠ من البحث.

ظهور الخوف من انقطاع تسلسل الإمامة بعده، حيث لم يكن للرضا ولد حين تنصيبهم له في الإمامة بعد أبيه، وتكرر هذا التخوف بعد الرضا في ابنه محمد الجواد، الذي نسبت له الإمامة وعمره ثماني سنين، فاشتد الخوف أن لا يكون له عقب، ثم تكرر ذلك في ابنه علي بن محمد (الهادي) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٥- عظمت الحيرة عندهم زمن الحسن بن علي (العسكري)، الذي لم تكن مدة حياته (إمامته) بعد أبيه إلا ست سنوات لم يكن له ولد، وفي أولها تَدَّعِي الإمامية له ولداً قد أخفاه عن الناس، بل عن أقاربه، وأدخله سرداباً، ولم تظهر الدعوى إلا بعد وفاة الحسن العسكري، وكذبه أقاربه، فتولى الولاية نيابة عن الولد المخفي رؤوس الشيعة قرابة خمسة وستين سنة، وهي فترة إمامته المزعومة (الصغرى)، ثم تحول الأمر إلى ولاية جديدة، يقوم عليها الفقهاء والنقلة، وعلى هذا الابن المزعوم تقوم عقيدتهم في الغيبة، وبه تَدَّعِي الطائفة تميزها وخصوصيتها.

عاشوراء الحسين هي المرحلة الثانية من هذه المراحل، وهي مرحلة لم تنتسب إليها الإمامية من حيث الغلو إلا في فترة متأخرة، ولعلها غذتها وطورتها التجربة الصفوية، فلم تحظ قبلها بالعناية التي نلاحظها في موسم عاشوراء، ولعل السر في ذلك أن هذه المرحلة وقعت بين مرحلتين ومنعطفين مهمين للتشيع عموماً، وهما: التشيع العلوي التأسيسي، والتشيع الجعفري الذي بقي اسماً جامعاً لأنواع التشيع، بعد انقراض ما قبله ممن لا ينتسب إليه، عدا الزيدية، وجاءت هذه المرحلة الحسينية لتستعيد المرحلة الخامسة (المهدوية والسفارة) وتجددها، وبرز فيها أثر الفقهاء (الأصوليين) أكثر من أثر نقلة الأخبار (الأخباريين)، فتكشفت حقائق المذهب، وبرزت معالم الغلو من جديد، بغطاء من الجدل والتجديد.

المبحث الثالث

عقائد الإمامة المتعلقة بعاشوراء

وفيه :

مـــــــدخل.

المطلـــب الأول : الغيبة.

المطلـــب الثـــاني : التقية.

المطلـــب الثالـــث : البداء.

المطلـــب الرابـــع : الرجعة.

المطلـــب الخـــامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلـــب الســـادس : الولاية التكوينية والتشريعية للأئمة.

المطلـــب الســـابع : ولاية الحسين التكوينية والتشريعية.

مدخــــل

بعد أن عرفنا ـ فيما سبق ـ مقام الإمامة وحقوقها في الدين عند الإمامية فيحسن بنا الإشارة إلى ما يتعلق بالإمامة من عقائد، وهي فروع لمسألة تعد من أهم أصولهم الخمسة، ألا وهي أصل الإمامة، وليس القصد هنا بسط الحديث عنها، إذ ليس هو المراد، ولكن أكتفي بالإشارة إليها لقصد بيان ما تحييه مواسم وشعائر الإمامة والأئمة ـ كعاشوراء ـ من هذه العقائد، فإذا كانت هذه المواسم والشعائر متعلقة بالأئمة، وتقام لإحياء ذكرهم ومحبتهم، وإظهار حقهم، فسيرتبط بها إحياء العقائد المتعلقة بها، ومنها: الغيبة، والبداء، والتقية، ورجعة الأئمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه العقائد تتجلى عند زيارة المشاهد وإقامة المآتم والأعياد، وهي موضوع بحثنا التالي.

المطلب الأول

الغيبــــة

المقصود بالغيبة هي غيبة آخر إمام من أئمة الاثني عشرية، وهو الإمام الثاني عشر، وهذه الغيبة لم تنفرد بها الاثنا عشرية وحدها، بل هي ثمرة تراكمية، قد قال بها من توقف على أحد الأئمة المتقدمين[1]، واكتفى بإمامته، وقال بأنه حي لم يمت، وإنما غاب عن أنظار الناس، وأنه يجب انتظاره إلى حين عودته وظهوره، وذلك لعدم قبوله لعقيدة البداء، أو عدم سوقه الإمامة خارج السلسلة الحسينية الاثني عشرية، وقد سبق الحديث عن الاختلاف الطويل في هذا الباب بين المنتسبين إلى آل البيت[2].

مما يلحق بغيبة آخر الأئمة عادة ـ إمام الزمان الغائب ـ وجود دعاوى تزعم الاتصال به، أو النيابة عنه نيابة خاصة أو عامة، وذلك إما بشكل دائم، أو لفترة مؤقتة، كولاية ونيابة الفقيه، أو البابية[3]، أو السفارة زمن الغيبة الصغرى، والإمامية الاثنا عشرية تقر من أمر السفارة للمهدي الغائب ما كان في فترة الغيبة الصغرى (٢٦٠ ــ ٣٢٩هـ)[4]، ويحصل لهذه الدعاوي بين الشيعة قبول في أول أمرها، وذلك ما لم يجر منهم مجافاة لمبدأ التقية، حيث إن

---

(١) ابتدأ القول بالغيبة بدءاً بالقول بغيبة أول الأئمة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهكذا بعد موت كل من ادعيت إمامته المعصومة فالمعتاد أن يظهر من يقول بعدم موته، بل غاب وسيرجع.

(٢) راجع المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٣) البابية: دعوى الباب اشتهرت وكثرت، فما من فرقة توقفت في الإمامة على أحد، وادعت انقطاع الإمامة بعده إلا ظهر منها من يدعي أنه نائب عنه، أو وكيل في جمع الأموال، أو تنظيم الأتباع، إذ يصعب عندهم بقاء الناس بلا إمامهم، فيقع مجال لقبول الأتباع خليفة لإمامهم، فتتشعب الأهواء بأهلها، ومنها دعوى محمد بن نصير النميري مؤسس النصيرية الذي ادعى أنه باب للحسن العسكري. الإمام (١١)، ثم غلا أتباعه بالأئمة والباب، وأشهر من تعلقت بهم هذه الدعوى البابية: وهي فرقة تبناها وأسسها الميرزا علي بن محمد رضا الشيرازي، وهو من تلاميذ كاظم الرشتي (ت/ ١٢٥٩هـ)، الزعيم الثاني للشيخية، وسبق الحديث عنها ص٩٣ من البحث.

(٤) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٨٢٥.

لازم ذلك أن يظهر منها الغلو في الأئمة والإمامة بين الملأ، مع أنها تنطلق من نفس أصول الإمامية في النيابة عن الإمام، ولذا يتبرأ منها جمهور الشيعة حين تظهر عقائدها؛ ولكن الذي استقر من هذه الدعاوي وكتب له الانتشار هو فكرة نيابة الفقيه العادل الجامع للشروط عن الإمام الغائب، سواء وصل في نيابته للسلطة العامة مباشرة، أم السلطة غير المباشرة، أم عن طريق تفويض أم تزكية الفقيه للسياسي المباشر للحكم[1].

مما يعنينا في هذا البحث من موضوع الغيبة هو أن ما نسب إلى الأئمة في تلك الفترة هو مقدس عند الإمامية، ومصدر للاحتجاج، فمرويات المذهب تصور حال الظلم الذي تتجلى أعظم صوره في مظلومية الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومقتله، كما تصور المخرج من هذا الظلم، والذي يرتبط بظهور المخلص الغائب؛ فموضوع المهدي الغائب يشكل منطلقاً مهماً في الدعوة الشيعية، وفي المواسم الشيعية، إذ هو محط الآمال ومستشرف السعادة، ومستودع الدين وباب النجاة، فقد كثر ذكره والتعلق به في كتب المشاهد والزيارات، حيث تنسب إلى آبائه الوصية به، وتجديد البيعة له، وانتظار فرجه؛ ولذا سيكون الاستغاثة به والتوجه إليه، والاستعداد للظهور معه، أو الالتقاء به زمن غيبته؛ هو سلوان الأتباع المظلومين حتى في زمن الأئمة.

الإمامية تذكر ما وقع على أسلافها من الحرج من قعود الأئمة وعدم قيامهم بالثورة والانتصار لشيعتهم، حيث تسبب ذلك ــ أي عدم صبرهم ــ بالتحاقهم بالثورات العلوية الأخرى، كثورة الزيديين والحسنيين، مع زعمهم أن الخلص من شيعة الإمامية تسلوا بالانتظار للقائم الذي تعدهم به الأئمة، والذي كل قيام قبله باطل[2]؛ ولذا تتداعى الإمامية من جديد لحمل هم رسالتهم، والتخطيط لبعثها من جديد، بالاستعداد التام بالقوة والاستطاعة في جميع المجالات.

لما سبق التزم الإمامية تخصيص المهدي بالحديث أكثر من غيره من الأئمة في زمن الغيبة،

---

(١) انظر: المدرسة الشيخية، محمد زكي إبراهيم، ٢٣٠-٢٣١.

(٢) انظر: كتاب التشيع السياسي والتشيع الديني، أحمد الكاتب، ٢٢٧-٢٣٢، الفصل الثامن، (الإعلام الإمامي.. والتعبئة النفسية).

والتعويل على ظهوره، وأن زمانه زمان العدل[١]، وأن كل بيعة لمن سواه باطلة وجور وظلم وكفر، وهذا الاحتفاء بالمهدي مما يسوغ قبول الجماهير الشيعية لكل ما ينسب إلى المهدي من جديد، حتى وإن كان في الظاهر من المستحيل، فأجواء هذه المواسم وما يطرح فيها من المظالم يستثير العواطف، ويغلب الحماس، حتى يفقد معه العامة الرغبة في استحضار العقل، أو استثارة الفكر، أو التثبت مما يطرح من الأخبار والعقائد، بل يجعلها في تيار عاطفي جارف يجعلها تنجذب مع كل مدع ورافع ومخلص للشيعة من مظالمها التي تعانيها، وإذا كان هذا في جانب عوام الأتباع فإن حال خواصهم وفقهائهم لم يسلم من هذا الجو العاطفي أيضاً[٢].

---

(١) منطلق العدل تفسر به الإمامية العقلية الأصولية تاريخها ومستقبلها، وهو الشعار الطاغي على الإمامية، بل وتجعله من مفاخرها، بل وتربطه بالاجتهاد الفقهي الذي تفاخر به حتى على أقرانهم من الإخبارية الإمامية، فضلاً عن غيرهم؛ بينما الإخبارية تعتبر هذه المفخرة طعناً في الأصولية، بل وطعنة في قداسة (النص والوصية)، بل هو من آثار تقليدهم للعامة (أهل السنة) في علومهم، وهم أعداء النص المقدس على الإمامة.

(٢) راجع ص٢٤٨ من البحث.

المطلب الثاني

التقيـــــة

التقية هي أن يظهر المرء خلاف ما يبطن من المعتقدات وما يعتاد من الأعمال عند الخوف دفعاً للضرر، فيكون الكتمان مكان الإعلان، وأهم ذلك أمر الإمامة، إذ أمرها كأمر الأئمة الذين عاشوا بالتقية، وتنسب إليهم هذه العقيدة حتى أصبحت شعاراً ملازماً للشيعة في أكثر عهودهم، بدعوى أن خصومهم أسرفوا في ظلم الأئمة وظلم شيعتهم، ومما ترويه الإمامية في هذه العقيدة ما ترويه عن الصادق ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: «التقية ديني ودين آبائي»، و«من لا تقية له لا دين له»[1].

لهذه العقيدة أقسام وأحكام، والذي يعنينا من أمرها أن إعلان الإمامية لشعائرهم ومواسمهم ـ محل البحث والدراسة ـ في هذه الفترة يظهر منه عدم الخوف من الخصوم، وأن هذا الزمان ليس بزمان تقية[2]، ولكن هل يلزم من هذه الحال أن نتمكن من التعرف على كامل التفاصيل العلمية لتأصيل مشروعية هذه الأعمال، من حيث الأدلة والأحكام وتاريخها عند الأئمة؟ وفي الجواب عن هذا السؤال أشير إلى ثلاث نقاط، وهي:

---

(١) الكافي، ٢/٢١٩، ووسائل الشيعة، ح/٢١٣٧٩، وعقائد الإمامية، المظفر، ص١٦٦.

(٢) يذكر أحمد راسم النفيس أن الشيعة الإمامية الاثني عشرية لم يرتبط وجودها يوماً بثورة، كما هو حال بقية الشيعة، كالزيدية والإسماعيلية، وأن الإمامية تتميز بمرجعيتها للولي الفقيه أياً كان موقعه، حتى في زمن الثورة الخمينية المعاصرة في إيران، انظر حقيقة الشيعة، ص٣٠١-٣٠٢، ولازم ما ذكره النفيس أن الإمامية لا ترى مفارقة حال التقية، ولا تجوز ثورة الفقيه نفسه نيابة عن الإمام، مع أن كثيراً منهم بارك ثورة الفقيه الخميني في حينها، وهذا ما يؤكد أنه بسبب وجود مبدأ التقية الذي تدين به طائفة الإمامية المعاصرة؛ فإنه لا يمكن الإقرار بما ذكره النفيس من أنه لا ارتباط للإمامية بالثورة، إذ يلزم منه: إما إنكار جهد الأئمة في هذا الباب، وأبرزهم الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإما التبرؤ من ثورة الفقيه الخميني المعاصر الذي حرف في طريقة الأئمة الذين لا يرتبط مذهبهم المنسوب إليهم بالثورة؛ وهذا يلزم منه أيضاً نسبة أي ثورة في الشيعة .ومنها ثورة الخميني .إلى الزيدية، أو الإسماعيلية التي ارتبط ظهورها بالثورة، بل إن منها ما كان بين يدي الأئمة، وهذا من المخالفة الظاهرة بين أيديهم.

أ- الخلاف المشهور بين الأخباريين والأصوليين في قبول روايات الكتب الأربعة وبقيتها الثمانية، والمليئة من الغلو بالأئمة، حيث إن الأخباريين يلتزمون قبول جميع ما جاء فيها(١)، وهذا هو ما سبب عدم وضوح معالم موقف علماء المذهب مما تحويه كتب الرواية، والتي يظن أنها مستند الشعائر التي يحييها الإمامية بناء على أمر الأئمة بها.

ب- أن تراث المذهب مع توفره في هذه الأزمنة لم يلق حظه الوافر من النقد والتهذيب لما نسب إليه من الأباطيل والأخبار، والتي ينكر بعض المتأخرين من الإمامية نسبتها إلى الأئمة، ومع ما قد يقدح فيه على المذهب من صور الغلو في هذا الباب نجد من علماء المذهب من ينكره ويتبرأ منه، بل ينكر الأخبار المروية في جانب الغلو، بل يجزم بأن الأئمة لا ترضاه ولا تقره، وهذا يقع من غير منهج واضح منضبط في قبول ما ينسب للأئمة والإمامة، أو رده، لا في جانب التشريع، ولا في جانب التاريخ والسير(٢)، ومن أهم المسائل التي تدل على استشعار الإمامية لهذا الجانب هو

---

(١) سبق الحديث عن هذا الجانب في المبحث الأول، ص٦٥، ٧٦ من البحث.

(٢) جانب التشريع وجانب السير والتاريخ جانبان متلازمان، فإذا ثبتا بإسناد صحيح أمكن الاعتماد عليهما، وقد سبق في المبحث الثاني من هذا الفصل بيان عسر المسار الذي أجريت فيه الإمامة سواء قبل عاشوراء أو بعدها، وهذه الحال في الجانب التاريخي لن يفارق حال الإمامة في جانب التشريع والأحكام، فالمسار واحد، بل تشير دراسات إمامية معاصرة بعدم وجود مسمى الإمامية كمسمى لمذهب مستقر في القرون الثلاثة الأولى، ويظهر أن تأخر مسمى المذهب يعود لأبعد من ذلك، حيث إن من المعلوم أنه في القرن الرابع كان الظهور للمذهب الزيدي، وللمذهب الإسماعيلي والقرمطي اللذين لهما أثر في تكوين المذهب الإمامي الخفي وبنائه، بل لا يبعد أن يدعي أصحاب المذهب المتأخرين نسبة أعيان المذاهب الأخرى إلى مذاهبهم، إما بدعوى انتحالهم للمذهب، أو لبعض أقواله، أو لتعاطفه مع المذهب، أو لمجرد التكثر بهم، ولا عجب في هذا إذ ارتضى المتأخرون أن ينسب إلى رجال المذهب ورواة أخباره المقبولين من هو معدود في الغلاة، أو ممن لعنه الأئمة، ومن التلبيس الظاهر أن تجد الكتاب الإمامين الاثني عشريين .كما يظهر .عندما يكتبون عن الشيعة يوسعون مفهومها، وأعلامها، ومؤلفاتها، ودولها، وذلك من دون التنويه على المخالفة الظاهرة من بعض الفرق، والتي بسببها لا يدخلون تحت مسمى الإمامية عندهم، لكن لأجل التكثر باسم التشيع كان هذا، ومن أمثلة هؤلاء: تاريخ الشيعة، المظفر، والشيعة في التاريخ، عبد الرسول الموسوي، والعلويون بين الغلو والفلسفة والتصوف والتشيع، علي عزيز إبراهيم.

خلافهم الشديد حول قبول رواية خبر الآحاد، والتي هي قوام مرحلة التقية، والرواية التي ينسبونها إلى آل البيت[1].

ت- أن كثيراً من مراجع المذهب يجعل التقية مخرجاً لدفع كل ما يتهجم به على المذهب، وأن كل قول أو عمل من هذا النوع إنما جرى من الأئمة أو أتباعهم كان على سبيل التقية، حتى غدا المذهب بسبب ما اشتهر عنه من التقية كأنه تركيبة سرية، لا يستطيع أن يتعامل معها أي أحد، يقول سليمان بن جرير ـ من الزيدية ـ:(إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبدًا، وهما: القول بالبداء، وإجازة التقية)[2].

ث- أن التقية أمر ملازم لمذهب الإمامية ـ وإن اختلفت نسبة التلازم ـ من حين إلى آخر، إلى أن يظهر مهديهم المنتظر، وهو أمر ملازم لطبيعة المذهب وإن كان يدعي بعض الأتباع خلافه، وأن هذا الزمان ليس بزمان تقية، لوجود دولة لهم معاصرة، ولكن وإن سلم بهذا فهي دولة لبعضهم، لا لجميعهم، وهي ــ أيضاً ــ لا تسلم من التقية مراعاة للمصالح المحلية والعالمية لها، ولأتباعها، أو لعموم أهل المذهب، ولذا لا غرو أن معالم الإمامة وشعائرها يشوبها الكتمان، والاختلاف ما بين بلد وآخر، وما بين فرقة وأخرى.

هذه الصورة السابقة عن المذهب ينفيها، بل وينافح في دفعها الإمامية المعاصرون، فنرى ــ مثلاً ــ المظفر في عقائد الإمامية يقول: (وعلى كل حال ليس معنى التقية عند الإمامية أنها تجعل منهم جمعية سرية لغاية الهدم والتخريب، كما يريد أن يصورها بعض أعدائهم غير المتورعين في إدراك الأمور على وجهها، ولا يكلفون أنفسهم لفهم الرأي الصحيح عندنا، كما أنه ليس معناها أنها تجعل الدين وأحكامه سراً من الأسرار لا يجوز أن يذاع لمن لا يدين به، كيف وكتب الإمامية ومؤلفاتهم فيما يخص الفقه والأحكام ومباحث الكلام والمعتقدات قد

---

(١) راجع ص٦٨ من البحث.

(٢) المقالات والفرق، القمي، ص٧٨، وفرق الشيعة، النوبختي، ص٥٥- ٥٦.

ملأت الخافقين، وتجاوزت الحد الذي ينتظر من أية أمة تدين بدينها؟! بلى، إن عقيدتنا في التقية قد استغلها من أراد التشنيع على الإمامية، فجعلوها من جملة المطاعن فيهم...)[١].

في التعقيب على كلام المظفر أقول: ليس الإشكال في أصل التقية، وإنما في أثرها على حجية أهم عقائد المذهب، وهي إمام الزمان والنيابة عنه، وعلمه وأسراره وكتبه، وهذا مما يؤكد أن عقدة (عقيدة) التقية لا زالت من المسائل التي لم تحرر في المذهب، أو لم يتحرر منها المذهب، ففي مقابل كلام المظفر نجد أن الروايات مستفيضة في كتب المذهب في تعظيم شأن التقية، وفي شأن غيرها من المسائل الأخرى التي يقبح فيها الخلاف، كالقول بتحريف القرآن، وسب الصحابة وتكفيرهم، وهذه المسائل يتذمر الإمامية المعاصرون من نسبتها للمذهب، أو نقد المذهب بسببها، وقد يعول البعض منهم أن القول في هذه المسائل إنما هو قول طائفة منهم لا تمثل المذهب، وقد تلقى اللائمة فيه على الدولة الصفوية التي رسخت هذه العقائد باسم التشيع[٢]؛ فأؤكد هنا أن الإشكال في كلام المظفر ليس من المسائل التي تتضمنها كتب التراث الشيعي، سواء من الأحكام أم من العقائد الكلامية، فالإمامية كغيرها من الفرق في هذا الباب، فلها ما قد تستقل به، ولذا فالخلاف الحاصل داخل فرق المذهب ــ وبالأخص في الأحكام ـ لم يكن محل إشكال؛ لكن محل الإشكال مع الإمامية هو في مصدر الاستدلال لتلك المسائل والعقائد ابتداءً: هل هو من جهة العقل؟ أو من جهة الرواية، أو من جهة العاطفة التي يستثيرها العرفان؟.

مما يرد ــ أيضاً ــ أن التيار الأصولي في اعتماده المنهج العقلي وحذره من قبول ما ورد في كتب الأخبار؛ هل هو بهذا يلغي الاعتماد على هذه المصادر في جانب استنباط الأحكام الفقهية؟ وبالتالي فإذا كانت تلك المصادر هي مستند الأخباريين والعوام في إحياء شعائر الأئمة ومواسمهم؛ هل ستكون هي مستند الأصوليين في الشعائر؟ أو أنهم سيستمرون على الحذر والاستناد فقط على الأدلة العقلية للشعائر؟ وبناءً عليه هل سيكون لتلك الشعائر

---

(١) عقائد الإمامية، ص١٦٩.

(٢) سبق الحديث عن هذه المسألة في المبحث الأول من هذا الفصل.

تأصيل في كتب العقائد، أو في كتب الفقه والفروع؟ الذي ظهر لي أنها مسألة ترجع إلى قولهم في الخروج، ومتى ومع من يكون؟ وهذا ما لا يفردون له باباً على استقلال في كتب الفقه، مع أهميته، وذلك لوجوب الانتظار، لكن قد يستشف مذهبهم من كلامهم على قتال البغاة، وتكفيرهم للباغي(١).

يشير المرجع الإمامي المعاصر محمد باقر الصدر إلى أن موسوعات الرواية الجديدة في عهد الدولة الصفوية أعاقت نمو البحث الأصولي، مع أنها في الوقت ذاته خدمت عملية الاستنباط الفقهي(٢)، وما ذكره الصدر يوحي بأن الأصوليين قبلوا تراث الأخباريين في جانب الأحكام أكثر من قبولهم له في جانب الأصول، ومع أنهم قبل الدولة الصفوية لم يعتمدوا ذلك التراث، إلا أنهم قبلوه بعد ذلك، وهذا يوحي بتساهلهم في مروياته أصلاً، إلى أن وصل الحال أن تبرز مسائل الشعائر الحسينية، وهي من أبرز مسائل الخصومات، ويعدها البعض هي شعائر الله، وهي الدين(٣).

---

(١) قد صرح شيخ الإمامية الطوسي بأن الباغي ليس مؤمناً، بل هو منافق، ولا يغسل، ولا يصلى عليه، وأن البغي كفر، وأنهم لا يقاتلون إلا خلف إمام عادل معصوم، كما أنهم يجوزون أن يستعين الإمام في قتال أهل الحرب بالمشركين، وكما يمنع بعضهم من الصلح بين الطائفتين من أهل البغي إذا اقتتلتا، إلا على سبيل الحيل بإضعاف أحدهما، كما لا يجوز عقد الأمان لأهل البغي، لأنهم فساق، كما لا تقبل شهادة الفاسق، سواء كان فسقه من طريق التدين، أم لا؛ انظر: المبسوط، ٧/ ٢٦٢- ٢٦٤، ٢٧٤، ٢٧٨؛ والغريب أن الطوسي وأمثاله يناقشون مسائل البغي ويعرضون أقوال المذاهب الأربعة، ومخالفتهم لهم، من غير أن يصرحوا بأن سبب الخلاف وثمرته يعود إلى أن أهل المذهب الفقهية السنية هم أهل بغي، بل وفسق ونفاق، فتوافقوا في عرض المسائل، واختلفوا في المقاصد والآثار.

(٢) المعالم الجديدة للأصول، محمد باقر الصدر، ص٨٨.

(٣) وهنا أسجل ملاحظة قيمة ذكرها د. ناصر القفاري في كتابه أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٤٠، حيث يقول: «فلا غرابة في أن يربط الشيعة وصف التشيع بقضية النص، لكن اللافت للنظر أن هذا الاهتمام والمبالغة يسري في كل عقائدهم التي هي محل استنكار وتكذيب من جمهور المسلمين، فتراهم في كل عقيدة من هذه العقائد التي هذا شأنها، يجعلونها هي عمود التشيع وأساسه، ويبالغون في إثباتها، ولكن حينما يعرف شيوخهم التشيع لا يذكرون هذه العقائد في التعريف، مع أنهم يعلقون الوصف بالتشيع بالإيمان بها، ولا تشيع بدونها؛ كمسألة الرجعة مثلاً، قالوا في أحاديثهم: "ليس منا من لم يؤمن بكرتنا»، ومع ذلك لا ترى لها ذكراً في تعريف التشيع، وكذلك مسألة العصمة، والإيمان بخلافة ولد علي، وغيرها، بل تجد هذه المبالغة
=

لكن يبقى الإشكال دائراً بين الوعيد والإرجاء في توصيف الإمامية لشعائر الأئمة ومواسمهم، هل هي ستكون عندهم من فروع الإمامة؟ أو من أصولها؟ فعندما تربط هذه الشعائر من أصلها بأصل الإمامة، أو بأصول الدين فسيشتد الوعيد على المخالف في أصلها وفروعها، وعندما تربط بفروع الدين، أو فروع المذهب فيسوغ الإرجاء هنا، وتدخل ضمن ميدان التقارب والتقريب مع المخالفين، والواقع العملي الحالي للشعائر يقطع بأنها من ضروريات المذهب، وإذا كان المذهب المنسوب للأئمة معصوماً، وعصمته من ضروريات المذهب وجوهره؛ فالمخالف يستحق الوعيد بلا شك؛ فكيف إذا انضم إلى ذلك أن أصلها يعود إلى الخروج، فهم ـ إذن ـ لا يعذرون من تخلف.

لا أرى ثمة مخرج من كلام المظفر السابق إلا أن المذهب يقوم على قبول جميع مناهج التأويل وضمها، والتي هي مخارج له عند التقية، والتي قد يظهر فيها المذهب قريباً من مذهب الإسماعيلية، والذي هو أحد المذاهب الباطنية، فالمذهب الإمامي يتستر بالسير بجانب، أو خلف المذاهب الأخرى المشابهة له في الانتساب لآل البيت، ومنها المذهب الإسماعيلي، ويشير أحد الباحثين في موضوع الشيعة إلى تسرب التراث الإسماعيلي إلى كتب الحديث عند الإمامية الاثني عشرية، وصاحب هذا التسرب للتراث الإسماعيلي امتزاجه بالمذهب الصوفي، وترعرع هذا التزاوج بين التراثين الإسماعيلي والصوفي تحت دعوى التشيع لآل البيت في عهد الدولة الصفوية[1].

= حتى في مسائل الفقه وقضايا الفروع، كمسألة المتعة، قالوا: "ليس منا من لم يستحل متعتنا"؛ فالقوم ليسوا على منهج واضح سليم في ذلك".

(١) انظر: المدرسة الشيخية، ١٩٩ـ٢٠١، وقد سبق التنبيه على هذا الجانب ص٧٨ من البحث، وموضوع (التقية في عقائد المذهب الإمامي قبل الدولة الصفوية وبعدها) موضوع أرى أنه جدير بالدراسة، حيث إن الظروف التي نشأت فيها هذه الدولة لها أثر في تدخل الدولة في بناء المذهب وتكوينه الجديد، ومما لا يغيب عن البال أمران: المناهج الدراسية في الحوزات الشيعية، والجدل الدائر بين عدد من المفكرين المعاصرين حول التشيع العلوي والتشيع الصفوي، أو التشيع الفارسي والتشيع العربي، وقد أشار بعض هؤلاء إلى أمر مسلم به، وهو أن فارس ليست هي أرض التشيع الأول، إلا أنها احتضنت طوائف الغلو الشيعية فيما بعد، بل جعلت من التشيع رمزاً قومياً للهوية الإيرانية، وهذا مما يهيئ لإضفاء القداسة لأي رموز تعلن كشعار للمذهب، وهذا =

قريب مما سبق التقارب الذي يكثر إبرازه في الفترة المعاصرة بين الاثني عشرية والنصيرية العلوية[1]، ومثله سمة الاجتهاد الفقهي الذي يطرى به المذهب الإمامي وعلماؤه، وتفننهم في علوم أصول الفقه والاستنباط الفقهي[2]، ومواكبتهم للمستجدات العالمية، وذلك أن باب الاجتهاد عندهم مفتوح على مصراعيه، بخلاف من أقفل بابه عندهم منذ قرون!، وكذلك قبولهم للاختلاف واستحسانات العقول، وأنهم بعد ذلك نظروا في الرواية: إن وافقتهم استشهدوا بها، وإن خالفتهم إما ردوها، أو أولوها، أو قد يتطور الأمر عند بعضهم إلى ترقية أقوال الفقهاء والرواة إلى درجة الاحتجاج، فتراها فيما بعد منسوبة إلى الأئمة![3]؛ ومما

= يؤكد ـ أيضاً ـ أثر، بل آثار الفلسفات الصوفية العرفانية والإشراقية والغنوصية في إيران على بلورة المذهب الشيعي بصورة جديدة لا يستطيع المذهب أن ينفك منها، ومما يجدد بقاءها أن رمز المذهب ومجدده المعاصر وزعيم ثورته: الخميني هو أحد معظمي الفلسفة العرفانية والحكمة المتعالية، فنرى حركة دور النشر والطباعة ناشطة في بعث تراث الفلاسفة كصدر الدين الشيرازي، والملا محسن الفيض الكاشاني، ولكن يبقى السؤال: هل بقي بقايا من أتباع المذهب على صورته فيما قبل الدولة الصفوية؟ وهل نداءات التصحيح التي تظهر بين حين وآخر هي من هذا النوع؟ هذا ما يطمع أن تجيب عنه مثل الدراسة المشار إليها، وانظر: المدرسة الشيخية، محمد زكي إبراهيم، ١٣ـ٢٣، ٤٤، ٢٠٧، والشيخية، الطالقاني، ص٢٤٠، ودليل الإصدارات الإيرانية لعام٢٠٠٧م (بيلوغرافيا الكتب الإسلامية الصادرة في إيران عام٢٠٠٧م ـ الصادرة بنك المعلومات الإسلامية (بارسا)، و مؤسسة دار الكتاب ومؤسسة (المراجع) المعلومائية الإسلامية عام ٢٠٠٨م).

(١) ثمت دراسة بعنوان (النصيرية والشيعة الإمامية)، وهي ضمن كتاب "دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة"، د. أحمد محمد أحمد جلي، ٣٢٥ـ٣٣٣، وقد أشار المؤلف إلى الفرق بين الطائفتين، مشككاً في دعوى كونهما طائفة واحدة، وفي ص٣٣١، ذكر خمسة أسباب للتشكيك في صحة هذه الدعوى، ونقل ـ أيضاً ـ عن موفد من علماء النجف إلى النصيرية، وهو محمد رضا شمس الدين، عام١٣٧٦هـ، فذكر عدم اهتمام النصيرية بالشعائر الدينية، نقلاً عن كتاب (العلويون أو النصيرية)، ٤٦ـ٤٧، وانظر كنموذج للتقارب المشار إليه كتاب (العلويون بين الغلو والفلسفة والتصوف والتشيع)، علي عزيز إبراهيم، وقدم له الداعية الشيعي المشهور في لبنان محمد مهدي شمس الدين، ولعله هو الموفد المشار إليه قريباً، وأشار إلى أصول الإسلام الجامعة: التوحيد، والنبوة، والمعاد، ولمعرفة نظرة النصيرية المعاصرة إلى موقف الاثني عشرية (الأصولية والإخبارية) انظر: موقع (يا علي)، على الرابط التالي: www.yaali.net.

(٢) هذا على رأي الأصوليين من الاثني عشرية كما سبق في المبحث الأول من البحث.

(٣) ذكر ذلك الباحث بندر بن عبد الله الشويقي، فيما أفادني به شخصياً، وهو أحد جوانب بحثه لدرجة الدكتوراه، حول السنة والرواية عند الشيعة الاثني عشرية، والبحث لما ينشر بعد.

يسوغها عندهم تعلقها عقلاً وابتداءً بالعدل، الذي يرتبط به التحسين والتقبيح العقليان، ولتعلق هذه الشعائر بأهواء العامة وعواطفهم، وللحاجة إليها في تشجيع الثورات وإقامة الدول، فيضيع تحقيق مسائل المذهب في إطار المصالح الإستراتيجية الأخرى المهمة للثائرين عند إقامة الدول الشيعية التي ترسو مراكبها على بحر التقية.

المطلب الثالث

البـــــــداء

البدَاء مأخوذ من بدا، أي بان وظهر ووضح[1]، وهذا على كون الفعل لازماً، وقد

---

(١) البداء يرد هنا على ثلاثة معان، كما يلي:

أ- بدا: ظهر الشيء والأمر ووضح وبان، وهو فعل لازم، ولو فرض المثال في هذا النوع بالنسبة للخالق ـ سبحانه ـ لقيل: بدا الله، أي ظهر، وهذا غير مراد، وقد يحتمل أن يراد: بدا أمر الله، أي ظهر بعد اختفاء، وهذا غير مراد ـ أيضاً ـ، لأنه لا إشكال في نسبة الظهور والخفاء هنا في حق المخلوق، أي ظهر له أمر الله بعد أن كان خافياً عليه، والمراد نسبته إلى الله، ولا يوجد معنىً جديداً في نسبته لله، وإنما الله منه الإظهار والإخفاء لأمره، وهو المعنى الثالث، كما سيأتي.

ب- الإظهار بعد الإخفاء، وهذا بالنسبة لمن جرى منه الإظهار لأمر ما، وهنا يقال: " بدا منه"، وهو قريب من معنى الفعل اللازم، إلا أنه يبدو لي أن اللفظ يتضمن معنى الصدور، أي صدر ونشأ منه فعل ونحوه، وهذا المعنى غير ممتنع في حق الله، لأنه لا علاقة له بنسبة الجهل إلى الله، بل هو يتعلق بأفعال الله المرتبطة بمشيئته، فإذا شاء أظهر أمراً، وإن شاء أبقاه مخفياً وغيباً، وليس هو موضع الإشكال، وقريب منه قول السلف عن القرآن:(منه بدأ، وإليه يعود).

ت- الظهور بعد الخفاء، وهذا من جهة من وقع عليه الأمر، وهنا يقال:"بدا له"، بمعنى عرض و طرأ له من الأمر ما لم يكن له على بال، وهذا المعنى ممتنع في حق الله، لأنه يلزم منه تجويز نسبة الجهل إلى الله، ونفي القدر، وهو ممكن في حق المخلوق، لنقص علمه، وخفاء القدر عنه، وهو لم يرد في القرآن بهذا المعنى، وله معنى آخر، فبدا له أي اختار، تقول: افعل ما بدا لك، واسأل الله ما بدا لك، أي ما أردت، ولعل هذا وارد في حق الله، فهو يريد ويختار ويقضي ما يشاء، وكما في الحديث:"إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص"، صحيح البخاري، ح/ ٣٢٧٧، ٦٢٧٧، وفي مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام بإسناده، ح/ ٢٩٦٤:"أراد الله أن يبتليهم"، وأشار ابن حجر إلى الإشكال هنا، ومما ذكره أنه بمعنى قضى في سابق علمه، لا بمعنى تغير مراده، وأشار إلى رواية مسلم، انظر: فتح الباري، ١٠/ ٢٦٥، والغريب أن ابن حجر لم يذكر أن لفظ مسلم موجود في البخاري ـ أيضاً ـ، من طريق عمرو بن عاصم عن همام، ح/ ٦٢٧٧، ومدار الأسانيد على همام بإسناده إلى أبي هريرة مرفوعاً، لكن البخاري يروي عنه من طريق عمرو مباشرة، وفي ح/ ٣٢٧٧: حدثني أحمد بن إسحاق عن عمرو بن عاصم عن همام، وعن محمد عن عبد الله بن رجاء عن همام، وفيهما "بدا لله".

فدار الأمر بين المعنى الثاني والثالث، والممتنع على الله هو المعنى الثالث، وهو المتعدي باللام "بدا له"، أي عرض وطرأ له من الأمر ما لم يكن له على بال، وهو الذي ينسب إلى الشيعة عموماً، وممن ذكر عنه القول به =

يتعدى، إما بحرف اللام، أو بالحرف من، والإشكال في مسألة البداء يرد في كونه صفة من صفات الله[1]، والمعنى الممتنع في وصف الله به هو ما يفهم منه أنه يناقض علم الله وقدره ـ سبحانه ـ، مثل أن الله ـ سبحانه ـ طرأ له من الأمر ما لم يكن له على بال، وأن البداء هو تغيير الله لإرادته، وقد عرف عن الشيعة نسبة هذا المعنى إلى الله ـ سبحانه ـ، وإن كنا نجد من المعاصرين من ينبه إلى أن الشيعة لا يريدون بالبداء هذا المعنى الممتنع على الله، وإنما يريدون به أن الله يظهر من أمره ما شاء، ويخفي ما شاء ويفسرون به قول الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[2]؛ ولكن هذا إبداء، وأما لفظ "بدا"، أي غير إرادته فإنه في وصف الله لا يعدى باللام، فلا يقال: "بدا لله"، لأن هذا لم يرد في القرآن، ولما يلزم على ظاهر لفظه من المعنى الباطل، وهذا مما يدل على الاختلاق والوضع، وإن كان يرد في غير القرآن "بدا لله" بمعنى اختار وأراد، لا بمعنى تغيير القضاء والاختيار.

البداء عند الإمامية أمر مشهور، ومورده واقع في تسلسل الإمامة وختمها، ومن ذلك أن

=

المختار بن أبي عبيد من الكيسانية، وذلك عندما هزمه مصعب بن الزبير، فسأله أتباعه عما وعدهم به من النصر، فأجابهم أن قد بدا لربكم، ويشير البغدادي في الفرق أن الذي اخترع البداء هو المختار، وهو يتناسب في صدوره من رجل يدعي النبوة، ومن أسمائهم: البدائية، وهم طائفة من الغلاة، انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ص٣٦، والمحيط، للصاحب بن عباد، ٢/٣٦٣، وجمهرة اللغة، ابن دريد، ١/ ١٣٠، ولسان العرب، ابن منظور، ١/ ٢٦، ١٤/ ٦٥، ونقل عن ابن الأثير أن معنى بدا الله أي: قضى، لأن القضاء سابق والبداء استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم، وذلك على الله غير جائز؛ وهذه المسألة تدخل تحت صفة علم الله، ولهم في تقريرها ما يطول عرضه، وتأثروا فيه بكلام المعطلة والفلاسفة، المتضمن عند بعضهم نفي علم الله بالجزئيات، انظر: كشف المراد شرح تجريد الاعتقاد، الأصل لنصير الدين الطوسي، والشرح لابن مطهر الحلي، ٣٠٩ـ ٣١١، ت. إبراهيم الزنجاني، ط ٤، إسماعيليان- قم، وانظر .أيضاً: الأنساب، ١/ ٢٩٥، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، ت/ ٥٦٢هـ، ت. عبد الله عمر البارودي، ط ١، ١٤٠٨هـ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان .بيروت، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٩٤٠، والتشيع السياسي والتشيع الديني، ص ٦٨.

(١) الإمامية يبحثون هذه المسألة ضمن مسائل الاعتقاد، وبالأخص مسألة التوحيد، وغلب على الإمامية التأثر بمنهج المعتزلة العقلي في هذا الباب.

(٢) الرعد: ٣٩.

الحسين كان يظن بخروجه أنه هو القائم المهدي، وأنه آخر الأئمة، وعليه فاستمرار الإمامة بعده في ولده بداء، وهو الوحيد الذي خرج عن التقية بزعمهم، وكان الناس وعدوا بظهوره، ثم بدا لله في أمرهم[1]، فمجرد نهاية التقية والغيبة محيرة منذ ذلك الحين، فالإمامة الحسينية معتمدة على البداء، والظهور فيها إما كفر بها، أو ميل إلى قول الزيدية الذين خرجوا بالسيف، ولم يروا الاختفاء والقعود، وهذا مما يدل على صعوبة هذه المسألة عليهم، فالتقية هي سبب البداء وعدم نصرة الحسين في عاشوراء[2]، فهل سيكون ترك التقية والاحتفال بعاشوراء من جديد سبب لعقوبة جديدة، وبداء جديد!، فهم مأمورون بإخفاء أمر المهدي، ولا شك أن الاحتفال أغرب وأبعد صور التقية والكتمان، ومن هنا يظهر أهمية تتبع الاعتناء الشديد لديهم في الجمع بين المهدي وعاشوراء.

من ذلك ــ أيضاً ــ أنه حين ادعت الشيعة أن جعفر الصادق ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ أشار وأوصى بالإمامة من بعده لابنه الأكبر إسماعيل، لكن ابنه إسماعيل توفي في حياته، فزعموا أن الله بدا له في الأمر، فجعل الصادق الإمامة في ابنه موسى الكاظم، وهذا سبب افتراق الشيعة إلى

---

(١) وكذلك مما يتصور من ارتباط البداء بالحسين أن الإمامة لم يورثها الإمامية لذرية الحسن، فهو كان عندهم مستودع، لا مستقر للإمامة، والمستودع لا يورث الإمامة، ويختلف الشيعة عموماً في تعداد وقوع البداء، ما بين مرة، أو مرتين، أو أكثر، انظر: الشيعة والتشيع، سعد رستم، ص ١٠٨، ١٥٦ – ١٥٨.

(٢) انظر: الكافي، ١/ ٣٦٨، والغيبة، للنعماني، ص٣٠٤، والغيبة، للطوسي، ص٤٢٨، وتفسير العياشي، ٢/ ٢١٨: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: يا ثابت إن الله تبارك وتعالى قد كان وقت هذا الأمر في السبعين، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض، فأخره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر)، أو قناع السر، وانظر: تعليق المجلسي بنقله كلاماً للطوسي في بحار الأنوار، ٤/ ١١٤، ٥٢/ ١٠٥-١٠٦، وفيه ما يوحي بنفي الصفات عن الله أصلاً، وهو ما يزيد المسألة إشكالاً، يقول:(وهو تعالى وإن كان عالما بالأمرين فلا يمتنع أن يكون أحدهما معلوما بشرط، والآخر بلا شرط، وهذه الجملة لا خلاف فيها بين أهل العدل، وعلى هذا يتأول أيضا ما روي من أخبارنا المتضمنة للفظ البداء، ويبين أن معناها النسخ، على ما يريده جميع أهل العدل فيما يجوز فيه النسخ، أو تغير شروطها إن كان طريقها الخبر عن الكائنات، لأن البداء في اللغة هو الظهور فلا يمتنع أن يظهر لنا من أفعال الله تعالى ما كنا نظن خلافه، أو نعلم ولا نعلم شرطه)، فهل أمر الله وإرادته من مخلوقاته! وهل إرادة الله ترتبط بشرط، أو إرادة مخلوق!.

إسماعيلية وموسوية، وكذلك تكرر هذا الأمر بعد قرن تقريباً، وذلك زمن علي بن الهادي حينما نسبت إليه الإمامية أنه أوصى بالإمامة لابنه محمد، ولكن محمداً مات في حياة أبيه، ثم أوصى لابنه الحسن العسكري، يقول أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري: كنت عند أبي الحسن العسكري وقت وفاة ابنه أبي جعفر، وقد كان أشار إليه ودل عليه،... فأقبل إلي أبو الحسن وقال: (نعم يا أبا هاشم بدا لله في أبي جعفر، وصير مكانه أبا محمد، كما بدا له في إسماعيل بعدما دل عليه أبو عبد الله ونصبه)[1]، وهو ما يصرحون به في أدعية الزيارة في سامراء[2].

الذي يعنينا من مسألة البداء في موضوع شعائر الإمامية في عاشوراء: هل لمسألة البداء علاقة بشعائر عاشوراء؟ وهل يمكن أن يسري تغيير مثل هذه أحكام الشعائر تحت دعوى البداء؟ وهل نسبة التغيير للأئمة يعنى فتح مجال تغييرها لغيرهم، سواء تقية أو بداء؟ وهل حق التغيير باقٍ لنواب الأئمة وفقهاء المذهب من بعدهم، بحيث يصبح باب التبديل والتعديل سارياً حسب ما يرونه في ذلك الزمان، أو المكان، وهذا ما يفهم من قول سليمان بن جرير: (إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبدًا، وهما: القول بالبداء، وإجازة التقية)[3].

الواقع أن عاشوراء موسم للتلاعب بالمذهب، وتغيير بنيته الرئيسة (الإمامة) القائمة على البداء، كما أنها محاولة للتشبه بالحسين وخروجه عن التقية، وهذا مما يتوافق مع قاعدة اللطف

---

(١) الكافي، الكليني، ك. الحجة، باب الإشارة والنص على أبي محمد، ح ٨، ١٠، والغيبة، الطوسي، ٥٥، والإرشاد، المفيد، ٣١٧، المفيد، ٤١٣هـ، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد – بيروت.

(٢) يقول الزائر لمرقد العسكريين في سامراء:(السلام عليكما يا من بدا لله في شأنكما)، انظر: مفاتيح الجنان، لعباس القمي، ص٩٢٩، وهذا مما يؤكد أن الأخبار تحمل في طياتها تكرر حصول البدا من الله، والقصة المذكورة تفيد أن الأئمة لا تعلم تسلسل الإمامة، أو أنه تعلم ولكن تخبر بما يوقع في الحيرة والاضطراب والشك، وهذه من الأمور التي يرددها العامة ولا يفقهون حقيقتها، كما يذكر موسى الموسوي في: الشيعة والتصحيح، ص١٤٧، وانظر: أخبار الشيعة وأحوال رواتها، ص٤٦-٥٣، محمود شكري الألوسي، ت. محمد مال الله، ط١٤٢٢هـ.

(٣) المقالات والفرق، القمي، ص٧٨، وفرق الشيعة، النوبختي، ص٥٥ – ٥٦.

التي استعجلها جمع من ذرية الحسين، وهو ما تهيئ له الفرقة الأصولية بقولها بلزوم تقليد الفقيه المجتهد الحي[1]، وعدم جواز تقليد الميت، وإن كان هذا الأمر من حيث الإجمال، وإلا فالذي يظهر هو خفاء ارتباط عقيدة البداء بشعائر عاشوراء الإمامية، لكن قد يثيرها ارتباطها بمسألة ولاية الفقيه، التي هي نوع من البداء والمهدوية، وولاية الفقيه تضمنت الخروج والثورة، مستأنسة بفعل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا مما سوغ بروز مسمى "ثورة عاشوراء" في خطابات زعماء الثورة الإيرانية المعاصرة[2].

❁❁❁❁❁❁

---

(١) يلاحظ تضمين موضوع الاجتهاد والتقليد في مقدمة كتب العقائد الدعائية للإمامية، كعقائد الإمامية، للمظفر، ومعتقدات الشيعة، مكي، وأصل الشيعة، كاشف الغطاء، وتعرفوا على الشيعة، الحسيني، وحقيقة الشيعة، النفيس.

(٢) انظر مبحث الآثار العملية لعاشوراء على الإمامية ص٩٣١ من البحث.

المطلب الرابع

الرجعـــــــــة

الرجعة هي العودة في الدنيا بعد الموت وقبل قيام الساعة، وهي تكون في حق من مات، أو ادعي موته، أما من اختفى ـ المهدي ـ فيكون في حقه الظهور والقيام، والرجعة تكون بعد ظهور المهدي، وممن يرجع الأئمة، ومنهم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك يرجع أناس من خلص الأبرار، وأناس من خلص الفجار، وليس البحث في إمكانيتها، أو قدرة الله عليها، فهذا أمر لا نزاع فيه، وإنما البحث في ثبوتها عندهم من حيث النقل والخبر، فتدعي الإمامية أنها من ضروريات المذهب، ومن المسائل اليقينية، لثبوتها عن الأئمة، ولإجماع الطائفة عليها، على اضطراب بينهم فيها؛ علماً أن القول بالرجعة قد ينسب إلى من ينتظر ـ من الشيعة الأوائل ـ الخروج مع مهدي مرضي من آل محمد، لكن قد لا يلزم أن كل من قال بذلك أراد رجعة الأموات، ومن ذلك حال بعض الرواة من الشيعة الذين قبل المحدثون روايته، لصدقهم في روايتهم وحديثهم، مع اتهامهم لهم في دينهم بسبب الرجعة، لعل هذا الوصف راج عليهم لاشتهار قولهم بالسيف والخروج، وخروج كثير منهم، وهذا يمثلون خوارج الشيعة الذين لا يقولون بالانتظار المشهور، ومن أمثلة هؤلاء عباد بن يعقوب الرواجني، ت/ ٢٥٠هـ[(١)].

من الأقوال التي ترويها الإمامية عن أئمتها في موضوع الرجعة والكرة: «ليس منا من لم يؤمن بكرتنا»[(٢)]، ويقول شيخ الإمامية المفيد من المتقدمين:«واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات»[(٣)]، ويقول شيخ الإمامية الحر العاملي من المتأخرين:«إننا مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها، وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة، وكل

---

(١) لترجمته، والحديث عن خروج الشيعة وخوارجهم ص٩٤٦، ٩٥٦ من البحث.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ابن بابويه، ٣/ ٢٩١، ووسائل الشيعة، الحر العاملي، ٧/ ٤٣٨، وتفسير الصافي، الكاشاني، ١/ ٣٤٧، وبحار الأنوار، المجلسي، ٥٣/ ٩٢.

(٣) أوائل المقالات، المفيد، ٥١.

وقت، كما أننا مأمورون بالإقرار في كثير من الأوقات بالنبوة والتوحيد والإمامة والقيامة»[1]، هذا وإن كان يوجد من الإمامية المعاصرة من يحاول نفي عقيدة الرجعة، أو التهوين منها في مذهبهم[2]، بأن يظهروا لها تأويلات محتملة، وقد يكون ذلك تقية منهم.

القول بالرجعة ظهرت في كثير من فرق الشيعة المتقدمة، وهي منسوبة إلى اليهود والنصارى، وغيرهما من الأمم السابقة، ومن أول من قيل برجعته من المسلمين بعد موته هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو قول مشهور عن ابن سبأ، بل قيل بأن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يمت، وأنه حي، كما قيل ـــ أيضاً ـــ برجعة غيره من بعده، سواء من قبل الشيعة الكيسانية، أو الإسماعيلية، أو الاثني عشرية بفرقها ومدارسها المختلفة، وسواء قيل بموت من سيرجع، أو قيل بعدم موته، وبقائه حياً، كما في حال عيسى ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ[3]، وتجويز

---

(١) الإيقاظ من الهجعة (بالبرهان على الرجعة)، ص٣٣ـ٦٦، الحر العاملي، ت/ ١١٠٤هـ، ت. مشتاق المظفر، ط١، ١٤٢٢هـ، دليل ما – قم؛ وأصل الشيعة وأصولها، محمد حسين كاشف الغطاء، ٣٦ـ٣٧، وذكر عن مقام عقيدة الرجعة وأنها من ضروريات المذهب، وأنها مثل أخبار الغيب، وعلامات الساعة، وإن كان لا يرى أهمية هذه العقيدة، ولا يرى أنها محور المذهب وجوهره، انظر: عقائد الإمامية، المظفر، ٦٠ـ٦٥، وذكر أن عقيدة الرجعة ليست من الأصول، وإنما متوقفة على صحة الخبر عن الأئمة، ورد على من ينسب هذه العقيدة إلى القول بالتناسخ، وهي من المسائل التي تثار في الخلاف مع الطائفة الشيخية التي تفسر الرجعة بتفسير اتهمت بسببه بالقول بالتناسخ، والذي يقول به غلاة الباطنية والحلولية، وانظر: معتقدات الشيعة، علي مكي، ٢٩٤؛ وهنا أذكر بأهمية الربط بين الإمامية والمعتزلة الذين تأثرت بهم في جانب العقائد وأصول الاستدلال العقلي، وهنا تفارق الإمامية المعتزلة، حيث إنها تعتني بالسمعيات أكثر من المعتزلة، ولذا عدت من أصولها: المعاد، بخلاف المعتزلة الذين لم يجعلوه من أصولهم الخمسة، وإن كان مجرد التقسيم غير كاف في الدلالة، إذ لا بد من المقارنة بينهما في فروع المعاد، كعذاب القبر، والصراط، والحوض، والميزان، والشفاعة، وغيرها من أمور الآخرة التي تميل فيها الإمامية ظاهراً إلى السمع.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية، ٢/ ٩٤، ط ١٣٧٦هـ، الخنيزي – بيروت، والشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ص٢٣٧، هاشم الحسيني، ط١، ١٩٧٨م، دار القلم – بيروت. وأصول الإسماعيلية (دراسة، تحليل، نقد)، ١/ ١٣٦ـ١٣٧، د. سليمان السلومي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الفضيلة – الرياض، والشيعة الاثنا عشرية: النشأة والعقائد، د. حافظ موسى عامر، ص٢٥٨ـ٢٥٩، ط١، ١٩٩٩م، دار الاعتصام – مصر.

(٣) انظر: أصول مذهب الشيعية الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٩١١ـ٩١٣.

الرجعة ينقدح في ذهن كثير من الشيعة من جهة تفضيل الحسين على كثير ممن ذكر، وأنه يجوز ــ بل قد يجب ـ أن يعوضه الله أكثر منه!؛ ومن ذلك التعويض بالرجعة.

لذا أصبحت هذه العقيدة من الفوارق البارزة بين أهل السنة ــ التي تنكر هذه العقيدة ــ وبين عموم الشيعة، إذ هي من القواسم المشتركة بينهم، وإن اختلفوا في تحديد من يرجع، لكن من اتفقوا على إمامته فلن يختلفوا في رجعته، ولا شك أن الخلاف في رجعة من كان قبل عاشوراء أقل منه في رجعة من كان بعد عاشوراء[1]، ولذا لا غرو أن يكون علي والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحظى بغلو القوم، وإن كان الغلو في الطرفين أكثر منه في الوسط، وهذا ظاهر في أمر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسيظهر ـ بإذن الله ـ في أمر الغلو بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

إذا كانت الرجعة ربما شاعت لأحد ذرية الحسن، أو ذرية أخيه ابن الحنفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقد ظهر في مقابلها الميل إلى رجوع الحسين ومهدويته، أو أحد من ذريته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولعله استناداً لما جرى لهم بعد التضحية، لكن مع ذلك لم تترسخ فكرة أن الحسين لم يمت أصلاً، أو أنه إنما قتل شبيهه، ومع كونها قيلت في غيره في ذلك الحين، وقيلت في المهدي المزعوم ــ الإمام الثاني عشر ــ، إلا أنها لم تقل في الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3]، مع وجود طوائف من الغلاة قالت بألوهيته، وبالحلول والتناسخ في شأنه، عياذاً بالله تعالى.

الهدف من الرجعة للأئمة تولي الحكم ـ بالترتيب ـ في دولة المهدي، والانتقام من الظلمة

---

(١) سبق الحديث عن الإمامة قبل عاشوراء وبعدها، راجع ص٢٤٩– ٢٦٦ من البحث

(٢) انظر ص٣٢٥ من البحث.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق، ص ٥٩، وأشار إلى هذا الاحتمال من باب الرد على القائلين برجعة النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن، يقول:(وقال أصحابنا لهذه الطائفة: إن أجزتم أن يكون المقتول بالمدينة غير محمد بن عبد الله بن الحسن، وأجزتم أن يكون المقتول هنا شيطانا تصور للناس في صورة محمد بن عبد الله بن الحسن؛ فأجيزوا بأن يكون المقتولون بكربلاء غير الحسين وأصحابه، وإنما كانوا شياطين تصوروا للناس بصور الحسين وأصحابه، وانتظروا حسيناً كما انتظرتم محمد بن عبد الله بن الحسن، أو انتظروا علياً كما انتظرته السبئية منكم، الذين زعموا أنه في السحاب، والذي قتله عبد الرحمن بن ملجم كان شيطانا تصور للناس بصورة علي، وهذا مالا انفصال لهم عنه، والحمد لله على ذلك).

السابقين بعد إحيائهم[1]، وتشير الروايات الإمامية أن موطن الرجعة هي الكوفة[2] التي هي مهاجر الخليفة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومقتل ابنه الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولذا فعقيدة الرجعة مع اشتراك عدد كبير من الفرق الشيعية فيها هي موطن للتقارب بينها، ومن أجلى الصور التي يمكن أن تتضح فيها هو الولاء حول مظلومية آل البيت، التي هي قاسم مشترك بين فرق الشيعة الإمامية؛ وعلى رأس هذه المظلومية صورة مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي يقول بإمامته جمهور الشيعة، وإن كان بعضهم ــ كالزيدية ــ لا يقول بمفهوم الإمامة الإلهية التي يلتزم بها البقية.

عند مقارنة الإمامية الحسينية بالمسيحية فإنه ترد الرجعة بمعان تحتمل أكثر من وجه، منها ما يلي:

أ- أنه يرجع، وهو حي لم يقتل، وإنما ادعي موته، والذي قتل شبيه له.

ب- أنه يرجع بعد أن قتل، وارتفع إلى السماء، فهو كهيئة النازل.

ت- أنه يرجع بعد أن قتل بأن يبعث جسده من الأرض.

القولان الأخيران يظهران في كثير من أخبارهم، والذي يُهِمُّ منها أن من ضروريات مذهبهم اختلاط دم الحسين بتربة كربلاء، لذا فهي معظمة عندهم، وفي طوائف الإمامية من ترك الانشغال بظاهر الأخبار بسبب ميلهم إلى الغلو والزندقة، وتجاوز هذه المسائل إلى القول بغلو الاتحاد، وتأليه الإنسان وعبادة الذات، وذلك ضمن عشق الإنسان الكامل، ومن نماذج الإنسان الكامل الذي يتسترون خلفه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعاشوراء ــ إذن ــ موسم للاحتفال بالإنسان الموجود لا الغائب، وعليه فلا رجعة عندهم، ولا بعث، ولا نشور.

مما ترويه الشيعة الإمامية أن:(أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا، الحسين بن

---

(١) انظر: أصول الإسماعيلية، ١/ ١٣٦، والشيعة والتصحيح، ١٤١ـ١٤٢، الموسوي، ويقول الموسوي في ص١٤٣.١٤٤ :(وعندما تمتزج الأسطورة بالعقيدة، والأوهام بالعقائد تظهر البدع التي تضحك وتبكي في آن واحد).

(٢) حق اليقين في معرفة أصول الدين، ٢/ ٣٨، عبد الله شبر، ط١، ١٤٠٤هـ، دار الأضواء- بيروت، والشيعة الاثنا عشرية: النشأة والعقائد، د. حافظ عامر، ٢٤٤.

علي عليه السلام)[1]، فالحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أول من يرجع، ولا علاقة لرجعته بموضوع ظهور المهدي، فقد تكون رجعته سابقة لظهور المهدي، فالمهدي عندهم (حي غائب وسيظهر إن شاء الله، ولم يسلب الملك فيرجع إليه، فمبدأ الرجعة من رجوع الحسين إلى الدنيا)[2]؛ ولعل هذا مما يحيى لدى عوام الشيعة رغبة الانتقام من قتلة الحسين إلى الآن، وقد يكون وجود هذه الرغبة والحماس ليس لهذا السبب وحده ـ كعقيدة ــ، بل إن ارتباط هذه الرغبة بظهور المهدي أوضح وأظهر من خلال رواياتهم، لكن قد يفهم من رواياتهم أن الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سوف يحاسب الناس قبل الآخرة، وذلك مثل قولهم: (الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي عليه السلام، فأما يوم القيامة فإنما هو بعث إلى الجنة وبعث إلى النار)[3]، وهذا من التعلق برجعة الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأنها مطلقة، فقد تكون قبل ظهور المهدي، وأن غرضها الحساب والجزاء، والانتقام من أعدائه.

إذا كانت رجعة الحسين قد تكون من كربلاء، وربما في يوم عاشوراء فإنه قد تتوافق الرجعة والظهور في اليوم والمكان، وقد روت الإمامية من طريق وضاعيها أن ظهور المهدي يكون في عاشوراء[4]، وبما أن عاشوراء الحسين قد وافق ـ في بعض الأقوال ــ يوم السبت[5]؛ فمن هذا الاعتبار ذكر بعضهم أن المهدي يظهر يوم عاشوراء يوم سبت بين الركن والمقام، بل

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ٥٣/ ٣٩.

(٢) الفطرة السليمة، كريم بن إبراهيم، ٣٨٣، نقلاً عن: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، د.ناصر القفاري، ٢/ ٩١٣.٩١٤.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، باب الرجعة، ٥٣/ ٤٣.

(٤) انظر: الغيبة، النعماني، ص٢٩١، وعنه بحار الأنوار، ٥٢/ ٢٩٧، من دون ذكر السبت.

(٥) في هذا أخبار موجودة في بعض كتب السنة، وهي في الإمامية أكثر، انظر: البداية والنهاية، ٨/ ١٨٣، ٢١٩، وفيه: (قال الحسين: والله لتعتدن علي كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت)، وفي تاريخ بغداد، ١/ ٤٧٢، نقل الخطيب البغدادي بإسناده، عن ابن عباس،قال: (أوحى الله تعالى إلى محمد: إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا، وأنا قاتل بابن بنتك سبعين ألفا وسبعين ألفا)، وقال ابن كثير: (هذا حديث غريب جدا، وقد رواه الحاكم في مستدركه، وقد ذكر الطبراني هاهنا آثارا غريبة جدا، ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا فاحشا).

رووا عن أبي عبد الله: (يخرج القائم ــ عليه السلام ــ يوم السبت يوم عاشوراء، اليوم الذي قتل فيه الحسين ــ عليه السلام ــ)[1]؛ مما يعني أن من الإمامية من يتحرى السنة التي يكون عاشوراؤها يوم سبت، لأنها أرجى لظهور وخروج المهدي، وأن منهم من ينشغل بنوع من الحساب والتنجيم للتوصل إلى تحديد موعد الظهور، وهم في هذا كغيرهم من الأمم.

ثمت رواية تتنبأ أن موعد بداية الظهور والاستعداد هو في أحد ليالي رمضان المرجو فيها ليلة القدر، ففي رواية نسبوها إلى (أبي عبد الله: أنه ينادى باسم المهدي ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم يوم عاشوراء يوم قتل الحسين، وفي بعضها: أن جبريل ينادي يوم ستة وعشرين من شهر رمضان باسم القائم، ويقوم في يوم عاشوراء، اليوم الذي قتل فيه الحسين، بين الركن والمقام)[2]، وفي رواية أخرى أنه ينادى (في ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم يوم عاشوراء، لكأني به في اليوم العاشر من المحرم قائماً بين الركن والمقام، جبريل عن يمينه ينادي: البيعة لله، فتسير إليه الشيعة من أطراف الأرض تطوى لهم طياً حتى يبايعوه، وقد جاء في الأثر: إنه يسير من مكة حتى يأتي الكوفة، فينزل على نجفنا، ثم يفرق الجنود منها في الأمصار)[3]؛ وذكر

---

(١) من أقدم من ذكر هذا الخبر ابن طاووس، وينقله عن كتاب مجموع للشيعة، وفيه نقل أخبار وحكايات عن مجهول، انظر: الملاحم والفتن، ص٣٦٤، ابن طاووس، ٦٦٤هـ، ط١، ١٤١٦هـ، مؤسسة صاحب الأمر- أصبهان، وعنه: العدد القوية (لدفع المخاوف اليومية)، ص٦٥، علي بن يوسف بن مطهر الحلي، ت/٧٠٥هـ، ت. مهدي الرجائي، ط١، ١٤٠٨هـ، مكتبة المرعشي- قم، وفي بحار الأنوار، ٩٥، ١٩٠، قال المجلسي: (وروى الشيخ رضي الدين على أخو العلامة في كتاب العدد القوية عن مولانا الباقر عليه السلام أن القائم عليه السلام يخرج يوم السبت، يوم عاشوراء اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام)، والكتاب المذكور يظهر أنه لم يشتهر إلا من طريق المجلسي، وطبع آخراً، وهو من مصادر المجلسي التي أحياها، واعتمدها في بحاره، وحاز على نصفه الأخير، انظر: بحار الأنوار، ٤٢/ ٧٥، ٩٤/ ٢٢٤، ٣٢٤، ٩٥/ ١٩٠، ويذكر المجلسي أن المؤلف يستقي من كتب ابن طاووس الذي سبقه، كالدروع الواقية، وابن طاووس يستقى من كتب المجاهيل، واشتهر الخبر من كتاب: العدد القوية، لعلي بن يوسف بن المطهر، أخو العلامة ابن مطهر المشهور، وقد سبق ذكر الخلاف في يوم المقتل، انظر ص١٤٥- ١٤٨ من البحث.

(٢) الغيبة، للطوسي، ص٤٥٢، وبحار الأنوار، ٥٢/ ٢٩٠.

(٣) روضة الواعظين، ص٢٦٣، محمد بن الحسن ابن الفتال النيسابوري، ٥٠٨هـ، ت. محمد مهدي حسن الخرسان، ط ١٣٨٦هـ، منشورات الرضي – قم.

الكوفة يوحي بأنه يتجه إلى مشهد جده الحسين، وفي بعض الروايات أن ظهوره في سنين الوتر، أي من الأعداد[(١)].

الحديث عن عقيدة الرجعة وما يدور حولها من نزاع يطول عرضه هنا، ويرتبط الكلام فيها على الكلام عن التقية، حيث إن كونها من عقائد الغلو عند الإمامية جعل البعض يربطها بالتقية عندهم، وأن المعاصرين يخفون حقيقة مذهبهم فيها، والذي يظهر أن الأمر يصعب تحقيقه مع ضعف مشاريع تحقيق الروايات والأخبار الشيعية، وخاصة من قبل المراجع الفقهية المعاصرة الحية المعتمدة، التي يمثل أكثرها التيار الأصولي الإمامي، مع أن هذا التيار الأصولي يلقي باللائمة على التراث الأخباري الذي أقرته الدولة الصفوية.

(١) الغيبة، للطوسي، ص٤٥٢، وبحار الأنوار، ٥٢/ ٢٩٠، وأعيان الشيعة، ٢/ ٨٢.

المطلب الخامس

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة من شعائر الدين الظاهرة، وعزائم الأمور ومعاليها، وعلامة خيرة الأمة وصلاحها، ومفتاح لتوفيقها ونصرها، وأمان لحفظها، فقد قال الله سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[5].

أقوال رسول الله ﷺ في هذا الباب كثيرة، من أشهرها حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه قوله ﷺ: **«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان»**[6]، وغيره من الأحاديث، وعلى هذه الأحاديث، وعلى ما سبق من آي

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) الحج: ٤١.

(٤) لقمان: ١٧.

(٥) التوبة: ٧١.

(٦) مسلم، ح/ ٧٨.

القرآن حكي الإجماع على وجوب هذه الشعيرة، يقول الملطي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (الأمة مجمعة على أنه من رأى منكراً وجب عليه أن ينكره، كما مضت به السنة)[1].

هذا الباب له مراتب وأحوال، ويكون بالقلب واللسان واليد، وهو من شروط البيعة، فهو معنى النصيحة، وقرين للسمع والطاعة، وإذا ارتبط فيه الإخلاص لله، ومحبته وخوفه وخشيته فهو من أعظم عرى الإسلام، وهو من جنس الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، حتى عده بعض العلماء ركناً سادساً في الإسلام؛ كما أنه يشتبه الأمر فيه ما بين الحق والخروج على الأئمة، والناس فيه ما بين إفراط وتفريط ووسط، وهو من أبواب التفريط عند طائفة من الناس، وهذا فيه شبه بأهل الكتاب[2]، كما أنه من مداخل أهل الأهواء والإفراط وذرائعهم، ولغط أهل الأهواء لا يعني إلغاء هذه الشريعة، ولكن لا بد من الحذر من دعواتهم إليها، فقد كانت شعاراً للخارجين على خليفة رسول الله عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى قتلوه ظلماً وزوراً، وقد غلا فيها كثير من الوعيدية، الذين يكفرون مرتكب الكبيرة، وأعظم منهم من يقاتلون الناس على ترك بدعتهم، ويعتقدون أن تركها كفر، كما أنها تشتبه على كثير من أهل الحق والسنة.

هذا الموضوع من الشعارات والمبادئ التي تعلق عليها شعائر الإمامية في عاشوراء (الشعائر الحسينية)، كما أنه هو الشعار الذي تنطلق منه مفاهيم الثورة عند الإمامية، وتدعو إليه باسم الخروج على الحكومات الجائرة، والحكام المتسلطين الظالمين، حيث إنهم تعلقوا بكونه شعار خروج الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عاشوراء[3]، ومع هذا أهمية هذا الموضوع عند الاثني عشرية فإنه لم يذكر صراحة ضمن أصول عقائدهم، فقد استقر أمرهم على اعتبار خمسة أصول: (التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد)[4]، وليس منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) التنبيه والرد، ص٣٧، المَلَطي العسقلاني، ت/ ٣٧٧هـ، ت. محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية – مصر.

(٢) انظر: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، ١/ ٣٦٩، محماس الجلعود، ط١، ١٤٠٧هـ، دار اليقين.

(٣) سبق الحديث حديث حول الحسين وخروجه، وبيان موقف السلف، راجع ص١٦٤، ٢٢٧ من البحث.

(٤) سبقت الإشارة إلى هذه الأصول في ص٣٠ من البحث.

من الأهمية بمكان أن يعرف وجه ارتباطه بأصول المذهب، وخاصة أن شدة العناية بهذه الشعائر ونشرها مما يؤكد انطلاقها من معتقد يركنون إليه، بل هم اليوم يحتفلون به، وبأنه من أعظم ما يستعين بها مؤسسو دولهم، كما في تصريحات الخميني المعاصر[1]، وهو مما يؤكد الترابط بين الخوارج والإمامية الرافضة، وأنهما من رحم واحدة، فكأن الإمامية وأسلافهم هم من قعدة الزيدية من أهل الكوفة زمن زيد، بل وكأنهم قعدة الخوارج الأوائل الخارجين على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالشبهة عندهم كامنة، منع من ظهورها دعوى الإمامة التي لم تكن عند جمهور الشيعة الأوائل[2].

وحيث إن هذا الموضوع يرتبط ويشتبه بما هو أصل عند غيرهم من الشيعة، وهم الزيدية الذين قاموا باسم آل البيت، فإن هذا يدعوني إلى شيء من البسط حول هذا الجانب، لأن شعار الثورة في عاشوراء قائم على هذا الجانب، وهنا أجعل الحديث في النقاط التالية:

أ- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول المعتزلة والزيدية، والإمامية وإن كانت تخالف وتتبرأ من الزيدية في هذا الباب، من جهة أنهم يخرجون بين يدي المعصومين، ويدعون الإمامة، لكنها تشارك الزيدية في التأثر بأصول المعتزلة، وإن كان هناك من المتأخرين من يحاول نفي تأثير المعتزلة على الإمامية الاثني عشرية[3]، لكن هذا لا يتوجه مع وجود التقارب والتوافق بينهما في عدد من مسائل الأصول، كما هو في كتب عقائد الأصوليين، ومما

---

(١) انظر ص٤٠٧ من البحث.

(٢) انظر: معجم الفرق الإسلامية، ص١١٩، وحراسة العقيدة، ص٩٥، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، وسيأتي -بإذن الله- التوسع في الحديث عنها عند الحديث عن آثار عاشوراء على الإمامية، في الباب الرابع، ص٩٢٠- ٩٧٤ من البحث.

(٣) انظر: الشيعة الإمامية ونشأة العلوم، د علاء القزويني، ص٢٣، بينما يعترف غيره بوجود التأثير المتبادل، وقد ناقش هذا الموضوع الباحث عبد اللطيف عبد القادر الحفظي في كتابه: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، ٣٩٥.٤٠١، الحفظي، ط ١، ١٤٢١هـ، دار الأندلس الخضراء – جدة.
وذكر الحفظي على وجه الإيجاز ضعف التأثر واضطرابه في مثل: المنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف، انظر: ص٥٠٢ـ ٥٠٥، وأشار أيضاً إلى دور معتزلة بغداد في التأثير على الإمامية، وذلك لميل معتزلة بغداد إلى التشيع مقابل شيعة البصرة، انظر ص٢٤٨.٢٥٠.

يهمنا هنا هو معرفة سبب عدم اشتهار كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلاً من أصول الإمامية؟

ب- أن كتب الإمامية أشارت إلى هذا الموضوع ضمن مسائل الاعتقاد، لكنها لم تجعله أصلاً، وخالفت المعتزلة في هذا، لما يرتبط به من المخالفة بينهما في بعض الأصول، فالأمر بالمعروف يرتبط بأصل الإمامة والعصمة الذي تفارق فيه الإمامية المعتزلة وغيرها، وكذلك يرتبط بأصل المعاد، وما يلحقه من الثواب والعقاب (الوعد والوعيد)، والشفاعة، والحكم فيه وقبله على مرتكب الكبيرة (المنزلة بين المنزلتين)، والقدر وأفعال العباد، وإن كان للإمامية نوع استقلال في هذه المسائل فإنه وقع لهم فيها ـ أيضاً ـ اضطراب بسبب أصل الإمامة، وبسبب ما نسبوه من الأخبار إلى الأئمة، وتعظيمهم لها؛ فاضطروا إلى مخالفة المعتزلة في بعض أصولهم الخمسة: (التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[1]، ومما زاد هذا الاضطراب هو وجود التيار الأخباري الذي حد نوعاً ما من متابعة التيار الأصولي العقلي للمعتزلة.

يتضح مما سبق مدى ضعف الاهتمام بهذا الموضوع ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ في كتبهم؛ وسبب ذلك أن المعتزلة مرت بحالة ضعف، اندمجت فيها مع الزيدية والإمامية، وبقي بذلك منهج الاعتزال العقلي حاضراً في هذين المذهبين، ولوجود الاختلاف بين الإمامية والزيدية في أصل الإمامة؛ فمن الطبيعي ألا يلتزم المعتزلة المنتقلون لمذهب الإمامية بحمل جميع أصول الاعتزال، مراعاة لأصل الإمامة الذي هو موضع إشكال مع المعتزلة من قبل، وهذا بخلاف الزيدية التي تقبلت المعتزلة بشكل أكبر، بل إن مما شكل عاملاً للتقارب بين المعتزلة والزيدية هو مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن بقيت هذه المسألة أرضاً قابلة للتقارب بين الإمامية والزيدية، وهو ما نراه مطبقاً في فرقة الجارودية، التي عبرت بهذه الأرضية من الزيدية إلى الإمامية.

---

(١) انظر: تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، الحفظي، ص٢٦، وحتى هذه الأصول الخمسة للمعتزلة لم تستقر عندهم إلا في وقت متأخر.

ت- أن الإمامية تشير إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن أدلة الإمامة والعصمة، يقول الحلي في الاستدلال على عصمة الإمام من المعاصي والمنكرات:(ولأنه لو فعل المعصية فإن وجب الإنكار عليه سقط محله من القلوب، وانتفت فائدة نصبه، وإن لم يجب[1] سقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو محال)[2]، ولذا تجعل من مهام الأئمة وألطافهم قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا لعم الفساد، وهم وإن اعترض عليهم بوجود فساد في زمان الأئمة وبعده أجابوا بالتفريق بين اللطف من جهة وجود الأئمة بذاته، ومن جهة اللطف في تصرفهم وعدم ارتفاع الفساد بهم، وأن اللطف الثاني تخلف بسبب العباد واتباعهم للأهواء[3].

إن ضمن مهام الإمام وواجباته عندهم رفع الظلم، والانتصاف للمظلوم، والدفاع عن المستضعفين، وهذا لا يتحقق إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعلى صوره ما كان بالقوة والثورة على الحكام الظالمين، وهذا ما تعلقه الإمامية بظهور المهدي، ولأجله امتنعت الإمامية في فترة غيبته عن القيام بهذه المهمة، لأنها من خصائصه، فهي إن قامت به تعدت على منصب الإمامة؛ لكن مع طول الانتظار اضطرت إلى ذلك، لضرورة ضعف اللطف في الاقتصار على الإمام في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولتقدم الإمامية ــ بزعم الأصولية ــ في باب الاجتهاد الأصولي آل الحال بها في القرون المتأخرة أن يكون اللطف بأن ينوب الفقيه عن الإمام في هذه المهمة[4]، وهو ما طبقته الزيدية والإسماعيلية منذ قرون

---

(١) أي الإنكار على الإمام لفعله المعصية.

(٢) الباب الحادي عشر، الحلي، ص٩٦، ٢٩٣.

(٣) انظر: الباب الحادي عشر، ص٢٩١.

(٤) هذا على قاعدة اللطف، أما على قاعدة الفيض التي تقوم على حركة العشق بين العقول والأفلاك، فالفقيه يتشبه بالإمام، حتى يصل إلى أن يتشبه بالله، والفقيه في الحكمة المتعالية. كغيره. عبادته هي التشبه، المنبثق من المحبة، فالتشبه بالله جاءت به أخبارهم، فالنيابة حق للفقيه، لأنه عبد الله حتى وصل هذه المرتبة، مرتبة الوَلاية والوِلاية، بفتح الواو وكسرها، وسيرد ذكر لهذا الجانب العرفاني عند الإمامية في الباب الثالث -بإذن الله-، والبدع إذا انفتح بابها فإنها تستدعي أخواتها، وهكذا الاعتقادات الباطلة إذا اعتقدها الإنسان انسحب معها لوازمها الباطلة، فعظم الباطل والبدعة، وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رضي الله عنه-: (والإنسان قد =

طويلة، وإن اختلفت مخارجهما من ورطة العصمة، حيث لم تشترطه الزيدية، واكتفت بصلاح الخارج وتقواه وشجاعته وبروزه وفاطميته، في حين منحت ــ في فترة متقدمة ــ الإسماعيلية لدعاتها مقام الإمام المعصوم، وذلك ظاهر من منهجها الباطني الغنوصي المتصوف، بل قد وصلت الحال بها إلى دعوى الألوهية لدعاتها، ونجحت مع ذلك في قيام دول، لأنها تسوغ الثورات، والخروج على الدول، ولا تأخذ بمبدأ الانتظار لغائب.

ث- تشير الإمامية إلى موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند حديثها عن أصل المعاد الذي فيه الثواب والعقاب يوم القيامة، اللذان هما: إما عوض عن الآلام التي تصيب العبد عند الصبر، وعن الامتثال به، وإما جزاء المعاصي والكفر، واللذان هما علة البعث(1)، وأصل هذا الجانب عقلي عند متكلميهم، فنرى شيخ الإمامية الطوسي يقرر في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه عقلي، وهو في هذا كالمعتزلة، كما أنه يوافقهم في وسيلة الإنكار، وأنه يكون بالانتقال من الأسهل إلى الأصعب، وإن كان المرتضى، ثم الحلي من متكلمي الإمامية يخالفون في الوجوب العقلي، ويرون أن وجوبه سمعي(2)، وهذا مما يدل على اختلافهم في هذا الباب؛ وربط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمعاد، وأن وجوبه عقلي مرتبط بقاعدة اللطف العقلي الواجب الذي أوجبوه على الله سبحانه وتعالى، ويظهر لي أن الإمامية لما قالت بعصمة أقوال الأئمة وأخبارهم لم تستطع الجزم بأن هذا الباب من أصولهم؛ وعليه فسيكون إظهار الشعائر في عاشوراء على هذه الحال إذا ربطت بهذا الباب.

ج- أنه بناء على ما سبق فإن أكبر منطلق لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند

=

يعتقد صحة قضية من القضايا وهي فاسدة فيحتاج أن يعتقد لوازمها فتكثر اعتقاداته الفاسدة ومن هذا الباب دخلت القرامطة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم على طوائف المسلمين)، انظر: الصفدية، 1/ 88، ابن تيمية، ت/ 728هـ، ت. محمد رشاد سالم، ط2، 1406هـ، مكتبة ابن تيمية - مصر.

(1) انظر: الباب الحادي عشر، ص112، 127.128، 342.

(2) انظر: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، الطوسي، ص237، وشرح الأصول الخمسة، ص742، عبد الجبار الجبائي المعتزلي، ت. عبد الكريم عثمان، ط1، 1384هـ، مكتبة وهبة - القاهرة، والباب الحادي عشر، ص342.

الإمامية هو اللطف العقلي، وهو نفسه منطلق ودليل أصل الإمامة، أو المعاد، وكذلك النبوة، فعاد الكلام في هذه الأصول الثلاثة إلى أصل اللطف والعدل، وهو من أصول المعتزلة (العدلية) والإمامية، ومن فروعه ما يلي:

١- أن حسن الأفعال وقبحها عقليان، لا شرعيان.

٢- تنزيه الباري عن فعل القبيح، أو ترك الواجب، ونفي الظلم عن الله.

٣- أن العبد يخلق فعله.

٤- وجوب اللطف على الله، و فعل الأصلح، وهو ما يقرب العبد إلى الطاعة، ويبعده عن المعصية.

٥- أن الله يفعل لغرض.

٦- وجوب العوض على الألم والمصيبة على الله إلى حد الرضا عند كل عاقل[1].

هذه الفروع لأصل العدل يفهم منها أن الإمامية يوجبون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوباً عقلياً، وذلك لأن خلافهما قبيح، والإمامية في كل ما يوجبونه من أعمال في باب الإمامة ومواسمهم ــ كعاشوراء ــ، وفي غيرها مرتبطون بهذا الأصل، فما رأوه بعقولهم واجباً ومصلحة أوجبوه على الله، وما استقبحوه بعقولهم منعوه على الله، فقد تتعدد أقوالهم فيها لتعدد أهوائهم، ومن سلك به هواه مفازة تبعه، حمانا الله من شر الأهواء، وحالهم: كلما جاء رجل أعرف وأعلم بالجدل من رجل اتبعوه، وهذا هو مقام المرجع الفقيه، لأن الحق يتبع الأعلم بالأحسن والأقبح، فبقي الدين لعقول الرجال عياذاً بالله، والأعلمية هي المرتبة التي يخفف فيها الفقيه النفرة من ترك الشرائع في نفوس العامة، واستبدالهم لها بشيء من أهوائهم، فيكون تقليدهم هو اتباعهم على ذلك التخفيف، فهو تقليد مشروط، أو مقلوب.

---

(١) انظر: الباب الحادي عشر، ص٦٣-٧٩، ٢٥١-٢٧٤، واللطف تارة يكون من فعل الله فيجب عليه، وتارة يكون من فعل العبد فيجب عليه تعالى إشعاره به، وإيجابه عليه، وتارة يكون من فعل غيرهما فيشترط في التكليف العلم به، وإيجاب الله ذلك الفعل على ذلك الغير وإثابته عليه، وفي ص٢٧٠: اللطف قسمان: محصل ومقرب، وحول عاشوراء والعدل انظر: الإمام الحسين عظمة إلهية وعطاء بلا حدود، ص٦٣، الشيرازي، ط١، ١٤١٣هـ، دار العلوم – بيروت.

هذا الأمر المهم وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كونه مقرراً في الشريعة من غير حاجة إلى عقولهم، ومع تعلق عدد من الطوائف به للخروج على الحكام؛ إلا أنه لما جعلته الإمامية من خصائص المعصومين ضعف تطبيقهم له في أعلى جوانبه، وهو الخروج، ولم يعرف إلا عن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون غيره من المعصومين عندهم[1]، وهم إذ يميزون ذكرى مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنهم لا ينفكون من أحد أمرين:

١- قصد القيام بالخروج على حكام زمانهم، تشبهاً بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والتشبه من أعلى صور العبادة عند طوائف من عرفائهم.

٢- مجرد الحزن على ما وقع للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو ما وقع من شيعته من خذلانه، وجعل ذلك عبادة.

لا وجه للأول إلا برفع مقام الفقيه عندهم إلى رتبة الإمام، لأن هذا العمل من خصائص الإمام، وقد تطور الأمر عندهم في القرون المتأخرة بأن قام الولي الفقيه بنفسه ــ ولأول مرة ــ بالثورة، وأقام له دولة، وأما ما سبق من دول للاثني عشرية فهي لم تقم بمباشرة الولي الفقيه، وإذا سوغت نيابة الفقيه في هذا الجانب، فسينفتح جوانب أخرى، لعل من أهمها الثأر من القتلة، وإعلان الجهاد ضد المشركين، والبراءة منهم، ومن أول المواطن التي يظن أن تجري فيها النيابة هي غزو الحرمين: مكة والمدينة[2].

---

(١) وهذا على التسليم بأن صنيع الحسين من جنس الخروج، كما سيأتي في بيان موقف السلف من الحسين وخروجه، ومن الافتراق العقدي حوله، وتشترك الإمامية والزيدية في إمامة الأئمة الثلاثة علي والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإن كانت الزيدية لها سعة في أحوالهم أكثر من الإمامية من جهة جواز اختيار أي أحوالهم، من الخروج وعدمه، لطلب الإمامة التي لا تنعقد إلا بطلب، وكلاهما مذهبان يجوز العمل بهما، مع حصرهما الخروج بعد الحسين في ذرية أحد السبطين: الحسنيين، أو الحسينيين، وأنها في غيرهم، ومع غيرهم بغي.

(٢) حادثة الحجاج الشيعة الإيرانيين في مكة عام١٤٠٧هـ خير شاهد على هذا النوع من الولاية للفقيه ونيابته عن الإمام، وللاستزادة حول هذا الموضوع يراجع في هذا كتاب: البراءة من المشركين بين المعنى الشرعي والتأويل الشيعي (الباطني)، عبد الرحمن بن عبد الله آل علي، بدون تاريخ الطبع، دار أصداء المجتمع؛ ومثلها ما يتردد في السنوات الأخيرة حول غزوة البقيع، ومظلومية قبور آل البيت، وهذا الباطل يجر بعضه =

أما مجرد الحزن على ما وقع في عاشوراء، وما وقع فيها وفي غيرها -للشيعة عموماً، ولشيعة الكوفة خصوصاً- من مغبة خذلان للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فلا وجه له إلا إذا كان ذلك لقصد التوبة من هذا الفعل، ولا يتأتى أن يطالب بالثأر من لم يقع منه الذنب والخذلان، أو يحضره، أو يرتضيه، لأن هذا من نسبة الفعل إلى غير من صدر منه، وهو من الظلم، وخلاف العدل الذي تجعله الإمامية من أصول اعتقادها؛ كما أن الحزن وإقامة المآتم على آل البيت مما يشاركهم غيرهم من الغلاة، كالمختار من الكيسانية، ومن الحركات التي كانت تحت رايات العباسيين وهي امتداد لغلاة الشيعة حركة أبي مسلم الخراساني، الذي دعا للعباسيين؛ فقد ذكر أنه أقام مأتماً سبعة أيام على يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ــ رحمهم الله جميعاً ــ، وهذا يدل على أن إقامة المآتم قد تتخذ لإثارة النفوس للثورة والخروج، لا لمظنة العبادة عن جهل.

كما أنه يلتحق بمثل هذه الأعمال ما كان من جنس الفرح، كالاحتفال بيوم مقتل أحد قتلة الحسين، سواء في يوم عاشوراء الذي وافق مقتل عبيدالله بن زياد أمير الكوفة لبني أمية، أو في غير عاشوراء، كعيد الزهراء من شهر ربيع الأول، وهو يوم وافق مقتل عمر بن سعد، وهو قائد جيش الكوفة[1].

ما سبق يناسب في تصور موقف من تأثر بالمنهج العقلي من الإمامية، وهم الأصوليون، أما الأخباريون فهم ينكرون القياس والاجتهاد، ويلتزمون بأخبار الأئمة المنسوبة إليهم، إلا أنهم يشاركون الأصوليين في إحياء موسم عاشوراء[2]، لما يرونه ويروونه من مقامات الأئمة،

=

بعضاً، والسيئة تدعو أختها، وهكذا تنجرف الإمامية المعتدلة ـ فيما يظن ـ إلى أعمال واعتقادات الغلاة من القرامطة ونحوهم، وتتخذها هي والمآتم مسوغات وفرص إعلان الحرب والفتنة على المسلمين، ومثلها دعوى الاستئثار بحرب اليهود والأمريكان، وتحرير فلسطين، ومشاريع الوحدة والتقارب بين المسلمين.

(١) انظر مطلب: من قتل الحسين، ص١٨٢، وانظر ص١٠٩٠ من البحث.

(٢) اشتراك الأصوليين والإخباريين في إحياء عاشوراء لا يلزم منه أنهم في المنطلق والواقع سواء، فالإخبارية قد تميل إلى أن الأصل في العبادة والتأله هو الشكر والرجاء، وتتوسع في اتخاذ الأئمة وسائط، أما الأصولية العرفانية فتميل إلى أن الأصل في التأله الحب والعشق، والعشق هنا عبادة يتداخل فيها الفرح مع الحزن:
=

ولما يرجونه من شفاعتهم وبركاتهم، ولما فيه من الإغاظة لأعدائهم[1]، لكن مع ذلك قد يفسرها بعضهم بالمنهج العرفاني الصوفي[2]، فجعلوا من تراث الأئمة ومصائبهم طريقاً لمعرفة الله والقرب منه، وهو معراج الوصول للحقيقة التي يطلبها أمثالهم من الباطنية، ولذا سلكوا طريق الرياضات المبنية على تقديس الأئمة لتوصلهم للقاء مهديهم الغائب (الحقيقة، والعشق الإلهي)، متجاوزين العلوم العقلية والشرعية، لأنها من الحجب التي تمنع الوصول إلى الغاية والهدف حسب زعمهم، وجعلوا طريقتهم هي العدل العرفاني الإلهي مقابل العدل العقلي الإلهي عند الإماميين الأصوليين المتكلمين[3].

من الصور التي بنى عليها بعض المعاصرين قضية العدل التي من لوازمها وجوب العوض والتعويض، وأن الله خص الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما وقع به بأن جعل الإمامة من بعده في ذريته، وبالشفاء في تربته، وأنه فداء للبشر، وديمومة الحياة؛ وأرى أنه في الزمن المعاصر ظهر تمازج قوي بين المنهج العقلي والعرفاني، ظهر على أثر الصراع بين المذهبين، وهذا واضح من موضوعات المجالس الحسينية، ومن نماذجها الواضحة كتابات الإمامي محمد رضا الحسيني

=

فالحزن حباً للحسين، والحسرة على ألم فراقه، وذلك رجاء القرب منه بهذا العمل، ومن نيل شفاعته عند الله، وهذا المعنى من العبادة فيه معنى التأله والذل والفقر والخضوع؛ لكن يقابله معنىً آخر للعبادة، قائم على الحب والعشق، وأن عبادة الله ومحبته بالتشبه به، ومثلها محبة الأئمة واتباعهم هي بالتشبه بهم، وهي عبادة الأحرار، وسيأتي بسط الحديث في هذا الجانب عند الحديث عن العرفان وأثره على عاشوراء، في الباب الثالث -بإذن الله-، انظر: ص٨١٩ من البحث.

(١) انظر: الشعائر الحسينية كيف ولماذا؟، الميرزا حامد حسن النواب، ص٥٧.

(٢) المنهج العرفاني: منهج تكاملي للوصول إلى المعرفة، يجمع بين العقل والنقل والوجدان في طريقه للحصول على المعرفة، وهو -عند أصحابه- نوع من الإلهام، ويعتمد على النصوص من جهة الإشارة، لا العبارة، وهي -على هذا- لاحقة، لا مؤسسة، وللتوسع حول هذا الموضوع راجع: مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية-عرض ونقد، إيمان صالح العلواني، ٢/ ٨٩٣-٩٣٣.

(٣) سيأتي التفصيل حول العدل العقلي والعدل العرفاني في الباب الثالث، عند الحديث عن المنطلقات العقدية لعاشوراء عند الإمامية، انظر ص٧٠٣ من البحث، وانظر: المدرسة الشيخية، محمد زكي إبراهيم، ٢٢٢-٢٢٩.

الشيرازي[(١)]، وهو صاحب الثورة الثقافية بكربلاء عام١٣٨١هـ، وقد كان ذا تأثير واضح على طائفة كبيرة من الشيعة المعاصرة[(٢)].

تجعل الإمامية قولها في التعويض والعوض الإلهي للمتضررين مقابل مقولة (العفو الإلهي) عن المجرمين، الذي تصف الإمامية به موقف إلى أهل السنة في وقت بني أمية[(٣)]، فالشيعة تنبز أهل السنة بالمرجئة والجبرية، وهو من البهتان الذي تنسبه المبتدعة إلى أهل السنة؛ والمسألة بصورها وأحوالها السابقة تحتاج منا إلى معرفة موقف الإمامية من مسألة تتعلق بولاية الحسين في عاشوراء، والمقصود بذلك ولايته التكوينية والتشريعية، فما هذه الولاية، وما أثرها على عقائد الإمامية اليوم في يوم عاشوراء.

❀❀❀❀❀

---

(١) انظر: الإمام الحسين عظمة إلهية وعطاء بلا حدود، محمد رضا الحسيني الشيرازي، ٦٦، ٧٣.

(٢) الشيعة في التاريخ، ص٣٥٠، عبد الرسول الموسوي، ط٢، ٢٠٠٤م، مكتبة مدبولي – القاهرة.

(٣) انظر: حقيقة الشيعة، د. أحمد راسم النفيس، ص٢٥٩.

المطلب السادس

الولاية التكوينية والتشريعية للأئمة

الولاية من الولاء، والتولي وتجديد العهد، وأصبحت هذه المواسم والموالد والزيارات عند الإمامية متضمنة لتجديد العهد والبيعة، والولاية بالفتح من القرب والتولي والنصرة، والولاية بالكسر من التولي والحكم والسلطة والتدبير[1].

الولاية التكوينية:

التكوينية: أي الكونية من الخلق والتدبير، والإحياء والإماتة، والرزق والمنع، (أفعال الربوبية)، ويقصد بها الأفعال التي تجري على غير الأمور المعتادة والطبيعية، وهي من باب المعجزة والكرامة، والتصرف في الكون، ولكنها مطلقة للأئمة ودائمة، حتى فسرت بالتفويض المطلق[2]، فالولاية التكوينية أي القدرة على التصرف في الكون، وإن كانوا يقيدونها بولاية الله وإذنه، وهي قائمة ـ عندهم ـ على تفويض الله للأئمة في تصريف الكون، وتفويض الله لهم فعل من أفعاله التي تتعلق بمشيئته سبحانه، كما أنه متعلق بأمره وكلامه وإرادته وحكمته وملكه.

الأمور المتوقعة أن يفعلها العبد الصالح مما هو خارج قدرته، لا تتعدى ثلاثة موارد، وهي كما يلي:

أ- أن يكون ذلك استجابة من الله لدعائه.

ب- أن يكون إكراماً من الله له، من غير أن يسبق بدعاء (كرامة أو معجزة).

ت- أن يكون تفويضاً له من الله، لا يتخلف جنسه، وهو معجزة دائمة، وهي أعلى من

---

(١) انظر: الصحاح، ٦/ ٢٥٢٨، مادة: ولي، ومجمل مقاييس اللغة، لابن فارس، ٩٣٦، مادة: ولى، ومختار الصحاح، ١/ ٣٤٥، ولسان العرب، ١٥/ ٤١٥، مادة: ولي.

(٢) انظر: الولاية التكوينية (حقيقتها ومظاهرها)، ص٢١، كمال الحيدري، إعداد: علي حمود العبادي، ط١، ١٤٣١هـ، دار فراقد – قم؛ والولاية التكوينية (فيض إلهي وعطاء رباني)،، ص١١٠- ١١١، إسماعيل إبراهيم حريري العاملي، ط١، ١٤٢٤هـ دار الولاء – بيروت.

مقام الاستجابة والمعجزة الطارئة (ولاية تكوينية).

الولاية التكوينية عند الإمامية ليست لغرض إثبات الإمامة كالمعجزة في النبوة، بل هي تفويض خاص في الدنيا والآخرة، وعلى طول المدة الزمنية السابقة لم تظهر هذه الدعوى للناس بثمرة، بل يتحرج البعض منهم في الحديث عنها، ويتهرب من تحريرها، وجعلها من أصول الدين، لأنها من المشتبهات بزعمهم، هذا في مقابل من يتحمس في تقريرها، ووجوب اعتقادها، وأنها ضمن ما يجب تسليمه، لأن أحوال الأئمة وأخبارهم من الصعب المستصعب، الذي لا تحتمله العقول[1]!، وفي ضوء هذه الولاية الباطلة تنجر الطائفة إلى الغلو الصريح الذي وقع فيه أوائلها، وإن كانت تدعي -خاصة الإخبارية- براءتها من الغلو.

ينفي منظرو الولاية التكوينية أنهم يعنون بها قول المفوضة والحلولية من الغلاة، من أن الله يترك التصرف في ملكه وسلطانه، أو أن يده مغلولة، ومع دفاعهم عن مقولتهم بالتأويلات الباطلة إلا أن قولهم هو حلولية بين الرب والإمام في الإرادة، تتبعها حلولية في القدرة والتصرف، ويعبرون عنها بمشاركة الإمام ـــ ومثله الولي عند الصوفية ـــ للرب في (كن)، تعالى الله عن قولهم وإفكهم، وفي حديث قدسي يروونه: (عبدي أطعني تكن مثلي، تقول للشيء كن فيكون)[2]، ومثله تفسيرهم أسماء الله الحسنى وصفاته الحسنى بهذه الولاية[3]، فمعاني تلك الأسماء والصفات تتجلى في الوجود ضمن هذه الولاية التكوينية[4]؛

---

(١) انظر: الولاية التكوينية، إسماعيل حريري، ص١١٦، ١٣٤- ١٣٥، ١٤٦.

(٢) شجرة طوبى، ١/ ٣٧٦، محمّد مهدي الحائري، ت/ ١٣٦٩هـ، ط٥، ١٣٨٥هـ، منشورات المكتبة الحيدرية - النجف، وانظر: بحار الأنوار، ٩٠/ ٣٧٦، والولاية التكوينية، إسماعيل حريري، ص١١٧- ١٢١.

(٣) هذا التأويل في الجانب العقدي يقابله تأويل أصول الشرائع، كتفسير الصلاة بالأئمة، ومثلها الزكاة والحج والصيام، والثاني وإن كان يكثر استبشاعه واستقباحه، حتى عند العوام، لتعلقه بالشريعة فهو راجع إلى الأول، لانطلاقهما من عقائد الباطنية، والتي أساسها عند غلاة الشيعة أن الإيمان هو المعرفة (معرفة الإمام).

(٤) الولاية التكوينية، الحيدري، ص١٠٢- ١٠٧، وهذه المسألة راجعة إلى مذهب المعطلة، وأن الاسم ليس هو المسمى، وآل بهم التعطيل إلى حلول جديد، وهم بزعمهم خرجوا من عبادة آلهة متعددة، والحيدري ذكر تفريقهم في أسماء الله الحسنى بين الاسم اللفظي والاسم التكويني، وأن الاسم اللفظي ينفصل فيه المسمى (المعنى) عن الذات، وهم يفسرون الأسماء اللفظية لله بالأئمة، ويشير إلى مروياتهم التي تذكر أن من عبد الاسم دون المسمى بالاسم كفر وأشرك وجحد ولم يعبد شيئاً، ثم يقول الحيدري: (ومن هنا يتضح سبب وصف من =

فبعد توحد واتحاد الإرادتين قد يعبرون عنها ــ تقية ــ بأن قدرة الرب ذاتية أصلية، وقدرة الإمام ـ والولي ـ فرعية جعلية، مع استقلاله بالتصرف[1]، وأن نسبة أحداث الكون إلى الأئمة من جهة الإسناد لا الحقيقية، كما في وظائف الملائكة[2]، مع كونهم أعلى من ذلك من جهة أنهم علة للخلق في الغاية والحفظ والإمداد والوساطة في الفيض، كما صرح به الخوئي المعاصر، وهو زعيم الإمامية الأصولية، ومن شيوخ الخميني، حيث يقول: (فالظاهر أنه لا شبهة في ولايتهم على المخلوق بأجمعهم، كما يظهر من الأخبار، لكونهم واسطة في الإيجاد، وبهم الوجود، وهم السبب في الخلق، إذ لولاهم لما خلق الناس كلهم، وإنما خلقوا لأجلهم، وبهم وجودهم، وهم الواسطة في الإفاضة، بل لهم الولاية التكوينية لما دون الخالق، فهذه الولاية نحو ولاية الله تعالى على الخلق ولاية إيجادية، وإن كانت هي ضعيفة بالنسبة إلى ولاية الله تعالى على الخلق)[3].

يعبر الإمامي جلال الصغير عن الولاية التكوينية للمعصوم بقوله: (الولاية التكوينية تعني القدرة على التسلط على الظواهر الكونية، من طريق آلية يفترض أن تتفاعل مع مكونات الفعل التكويني إن على نحو التسلط عليها، كما يتسلط الدواء على الداء، وإن على نحو التقرب من مصدره)[4].

=

يعبد الاسم بكونه كافراً، وهو لأن الاسم اللفظي شيء اعتباري، فلا تكون عبادته عبادة لله تعالى)؛ وعليه فعبادة الاسم التكويني هي عبادة الله عندهم، وهي تدل على ذات الله حقيقة، كما يجوز تفسير الأسماء اللفظية لله على الأئمة، وتفسيرها بهم، لأنهم أظهر وأتم الموجودات دلالة على وجود الله، فدلالة الأسماء اللفظية على ذات الله دلالة اعتبارية، لا حقيقية، وقد يطلقون عليها: أسماء الأسماء؛ وهم بهذا قد يفسرون الأئمة بأنهم معان إلاهية تتجلى بصورة بشرية، فهم آيات الله، ولا يمكن معرفة الله إلا بمعرفة آياته.

(١) انظر: الولاية التكوينية، إسماعيل حريري، ص١١٨.

(٢) انظر: التنقيح في شرح العروة الوثقى، أبو القاسم الخوئي، ٣/ ٧٤- ٧٥، نقلاً عن: الولاية التكوينية، إسماعيل حريري، ص١٢١، وانظر: الولاية التكوينية لآل محمد، ص٢٥٣، علي عاشور، ط ١٣٢٠هـ، بدون ذكر الناشر وبلده.

(٣) مصباح الفقاهة، ٣/ ٢٧٩- ٢٨٠، أبو القاسم الموسوي الخوئي، ١٤١١هـ، ت. جواد القيومي الأصفهاني، ط١، مكتبة الداوري – قم.

(٤) الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم، ص٩٧، جلال الصغير، ط٢، ١٤١٩هـ، دار الأعراف للدراسات

=

أما الإمامي محمد فاضل المسعودي فعبر عن هذه الولاية بقوله: (وبتعبير أدق الولاية هي باطن النبوة المطلقة، وصاحبها هو الموسوم بالخليفة الأعظم وقطب الأقطاب والإنسان الكبير، وآدم الحقيقي المعبر عنه بالقلم الأعلى، والعقل الأول، والروح الأعظم، وإليه أشير في الحديث الشريف الوارد عن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ: «أول ما خلق الله نوري، وكنت نبياً وآدم بين الماء والطين»، وإليه استند كل العلوم والأعمال، وإليه ينتهي جميع المراتب والمقامات، نبياً كان أو ولياً، ورسولاً كان أو وصياً)(١).

أما رأس العرفان والولاية ــ الخميني مرشد ثورتهم ــ فصرح بعقيدة الغلو بجلاء، وأنها من ضروريات مذهب الإمامية، حيث يقول: (فإن للإمام ــ عليه السلام ــ مقاماً محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وأن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام كانوا قبل هذا العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله)(٢).

قول الخميني صريح في تقديم مقام الإمامة على مقام النبوة، وقد صرح كثير منهم بفضل الأئمة على جميع المرسلين، ولفضلهم عليهم فإن ولايتهم التكوينية أتم، لأن مقام عبودية آل البيت أعظم من مقامات الرسل ـ عندهم ــ، ولذا فقدراتهم الكونية أعظم؛ فمن سعى إلى الكمال النفسي والروحي جرت له القدرة على التصرف الكوني، وهذا ليس من قبيل استجابة الدعاء، بل هو من قبيل التصرف المباشر على الكون، ويقول الخميني في موضع آخر: (وكما أن

=

ـ بيروت.

(١) الأسرار الفاطمية، ص١٤٣، محمد فاضل المسعودي، ت. عادل العلوي، ط٢، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الزائر ـ قم.

(٢) الحكومة الإسلامية، ص٥٢، روح الله الموسوي الخميني، ط ١٤١١هـ، دار التعارف ـ بيروت، وانظر: بحار الأنوار، ١٨/ ٣٨٢، والولاية التكوينية، إسماعيل حريري، ص١٠٦.

ملك الموت يقوم بالإماتة، وعمله هذا لا يكون من قبيل استجابة الدعاء، وإن إسرافيل موكل بالإحياء، وعمله لا يكون من قبيل استجابة الدعاء، أو التفويض الباطل، فكذلك الولي الكامل، والنفوس الزكية القوية مثل الأنبياء والأولياء قادرة على الإعدام والإيجاد والإماتة والإحياء بقدرة الحق المتعال، وليس هذا من التفويض المحال، ويجب أن لا نعتبره باطلاً)[1].

كلام الإمامية العرفانية عن العبادة وتزكية النفس متوافر، ومن جنس كلام المتصوفة، وهم يصرحون بأن تزكية النفس تثمر لصحابها قدرة تكوينية، فهذا المرجع المعاصر ناصر مكارم الشيرازي عند تفسيره لسورة الشمس، عند "قد" من قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[2]، يقول الشيرازي عن أهمية تزكية النفس: (وهذه في الواقع أهم مسألة في حياة الإنسان...، نعم، عبادة النفس تؤدي إلى وقوع الإنسان في أغلال الرقية، بينما تزكية النفس توفر أسباب التحكم في الكون، ما أكثر الذين وصلوا بعبوديتهم لله تعالى درجة جعلتهم أصحاب ولاية تكوينية، ومكنتهم بإذن الله أن يؤثروا في حوادث هذا العالم، وأن تصدر منهم الكرامات وخوارق العادات)[3].

مثل قول الخميني والشيرازي أو قريب منهما قول من يقول: (إن الأئمة علة فاعلة)، وهو قول أحمد الأحسائي زعيم الشيخية، وقد حكم بعض الإمامية بكفره بسبب هذا القول[4]، وقد يجعل هذه العلية واجبة على الله، أو من جنس فعل الله، وهو من جنس الشرك بالله، أو القول بوحدة الوجود[5]، ووحدة القدرة والإرادة، أو قول الخطابية الذين فسروا الإلهية بأنه نور موجود في النبوة والإمامة[6].

---

(١) الأربعون حديثاً، ص٤٤٨، الخميني، نقلاً: الولاية التكوينية، إسماعيل حريري، ص١٠٦ - ١٠٧.

(٢) الشمس: ٩.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٠/ ٢٤٩، ناصر مكارم الشيرازي، ط ١٤٠٤ - ١٤٠٧هـ، قم.

(٤) سيأتي -بإذن الله- هذا الحكم في كلام المجلسي قريباً ص٣٣١ من البحث.

(٥) للمزيد انظر: مبحث العرفان الشيعي، في الباب الثالث، وانظر: أعيان الشيعة، ٢/ ٥٨٩.٥٩٣، ٩/ ٣٢٦.

(٦) انظر: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ٢٨، ٣٠، ٣٦ـ ٣٧: وذكر أن الخطابية -من الغلاة- يقولون: إن الحسن والحسين أبناء الله وأحباؤه، ورأسهم أبو الخطاب أله جعفر، وشرع لهم أن من عرف الإمام حل له كل =

هذا الغلو في القدرة والإرادة الذي وصل درجة الحلولية والاتحاد والفناء فيهما بين الرب والأئمة جعلهم يصرفون لهم التوجه والعبادة والحب، وهذا مع كونه لم يثبت شيء منه في ظاهر نصوص القرآن لخير الخلق نبينا محمد، مع ذلك هو غلو يفوق غلو الشفاعة والتوسل، الذي كان يعتقده المشركون في معبوديهم من الملائكة والأولياء والأصنام والجن، وإن كانوا ــ أحياناً ــ يروون أن هذا المقام من جنس إجابة الدعاء والشفاعة للأتباع والموالين، من ذلك التوقيع المنسوب إلى المهدي، من طريق سفيره محمد بن عثمان: (توقيع نسخته: إن الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسم الأرزاق، لأنه ليس بجسم، ولا حال في جسم، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، فأما الأئمة عليهم السلام فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسأله فيرزق، إيجابا لمسئلتهم وإعظاماً لحقهم)[1].

أما عبارات المتأخرين كالخميني فهي كعبارات ابن عربي، القائل بوحدة الوجود، فيقول الخميني: (ولا مانع من تفويض أمر العباد إلى روحانية كاملة، تكون مشيئته فانية في مشيئة الحق، وإرادته ظلال لإرادة الحق، ولا يروم إلا ما يرومه الحق...)[2]؛ لذا فإن الإمامية تمنح هذه الولاية لمن يعطى منصب الإمامة، كفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكما يقول أحدهم: (وللنبي والإمام أمير المؤمنين والصديقة والأئمة عليهم السلام ولاية تكوينية، التي تصحح لهم التصرف في كل شيء، وتدبير أمر الخلق بما يشاؤون، وكيف يشاؤون، بإذن الله تعالى)[3].

=

شيء، وذكر للخطابية ثلاثة أدوار، ولعل غلو الخطابية بقي في الإسماعيلية، وفي الإمامية السبابة الرافضة، فظهرت الإمامة الإلهية من هذا المزيج، كما أن الخطابية لها دور في الفرع الثاني من الإمامية، وهو الإسماعيلية.

(١) بحار الأنوار: ٢٥/ ٣٢٩.

(٢) الأربعون حديثاً، ص٤٨٨، ٤٨٣، نقلاً عن الولاية التكوينية، إسماعيل حريري، ص٥١، ٣٨.

(٣) حقوق آل البيت (ع) في الكتاب والسنة باتفاق الأمة، ص١٣٥، محمد حسين الحاج، ط ١، ١٤١٥هـ، مهر- قم، وانظر: الأسرار الفاطمية، المسعودي، ص١٤٩، ٢٥٠- ٢٦٠، وذكر الخلاف في الولاية التكوينية وإمكان وقوعها، وأنه على ثلاثة أقوال، كما يلي:

١- منهم من أنكر وجودها وإمكانها.
٢- منهم من قال بإمكانها، لا وقوعها.
٣- منهم من قال بإمكانها ووقوعها.

=

ما سبق من الغلو بآل البيت هو دهليز يجمع الغلاة من الصوفية والشيعة، ولذا كثرت عند الباحثين الحيرة من تداخل فرقهما وشخصياتهما في بعض، بل قد صنفت بعض فرق الصوفية بأنها شيعية،وكذلك صنف بعض فرق الشيعة بأنها صوفية، لغلوها وباطنيتها، ومن أمثلة ذلك الطائفة الشيخية، ويبين صاحب كتاب الشيخية جانباً من أسباب هذا التداخل فيقول: (الحقيقة أن الغلو ليس مما ابتليت به بعض فرق الشيعة وحدها، فهو صفة عامة لكل من حاول أن يجمع بين الدين والفلسفة الأفلاطونية الحديثة، فإن غلو أصحاب الطرق الصوفية... أشد من غلو بعض الشيعة في أهل البيت بكثير)[(١)].

الولاية التشريعية:

الولاية التشريعية: أي في الأحكام الشرعية، الحلال والحرام، والواجب والشرط، والصحيح والفاسد من العبادات والمعاملات، فالأئمة لهم ولاية بيان ذلك، وهم مفوضون في أمر الشرع والدين، كالنبي، وهو أحد معاني التفويض عندهم، كما لهم ولاية التصرف في أموال الناس وأنفسهم، يقول مرجع الإمامية المعاصر جواد التبريزي حول تفويض التشريع للنبي والأئمة: (التشريع في الجملة فوض للنبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ، والأئمة ــ عليهم السلام ــ مبينون للأحكام الشرعية المخزون علمها عندهم ــ عليهم السلام ــ، سواء كان التشريع من الله ــ سبحانه ــ، أو من النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ)[(٢)].

يظهر من كلام بعض الإمامية أن هذا التفويض للنبي والأئمة علم أعطوه دفعة واحدة، وأنه غير ما يعطونه ويخبرون به عند نزول الوحي عليهم، كما يفهم من كلام الصدوق

=

وذكر أن الولاية التكوينية جارية للأئمة بالتبع لإرادة الله، لا بالذات، وفي ص٢٥٩، يقول: (أما الذي يقول إن الله تعالى لا بد أن يباشر نفسه إدارة نظام الكون؛ فإن قوله هذا مخالف لصريح القرآن الكريم الذي يقول: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾، (النازعات: ٥)، حيث جعل الله تعالى نظام العلية والمعلولية وسيلة لصدور كثير من الأشياء في الكون، ...، وعلى هذا الأساس فإن الولاية التكوينية ثابتة للأنبياء ولأوصيائهم...).

(١) الشيخية، الطالقاني، ص٢٨١، وانظر: ص٢٨٦، ٢٩٦، ٢٩٧.

(٢) الولاية التكوينية، إسماعيل حريري، ص١١٠.

والمجلسي، فيرون أن الشرع أعطي لهم دفعة واحدة(١)، وأنهم بعد ذلك لا يصدر منهم إلا ما يوافق ما عند الله، وكأن نزول الوحي توقيت للبلاغ، لا زيادة في علمهم، ويظهر من قولهم أنهم يفسرون العصمة بالاستعداد التام للتشريع، وأنه لما صدر لهم الإذن بالنبوة أصبح كل ما يصدر منهم تشريعاً، ولذلك منعوا وقوع السهو منهم، وحتى هذا المعنى باطل، فالنبي كثيراً ما ينتظر الوحي، وهذا صريح القرآن في جواب: "ويسألونك"، ومقام النبي هو البلاغ، أما التشريع فهو لله، وليس للرسول، لكن قد يكون ثمَّتَ مسائل أقر فيها على فعله قبل البلاغ، فهي شرع من جهة إقرار الله له عليها، وهذا المعنى نجد المجلسي يقرره في مواضع أخرى(٢)، مع مخالفته في الظاهر لما ذكره أولاً.

حول ثبوت ولاية الأئمة التشريعية، وأن منها ولاية الأئمة على الناس في التصرف في أموالهم وأنفسهم، وكذلك معاملاتهم وعقودهم ورقابهم، وذلك على سبيل الاستقلال، بل لا يصح تصرف الغير في ذلك إلا بإذن من الأئمة، لأنهم أولى بالناس من أنفسهم(٣)؛ فهذا

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ٢٥/ ٣٤٦.٣٤٧.

(٢) انظر: بحار الأنوار، ٢٥/ ٣٤٢، ٣٤٨، وذكر أن التفويض في أمر الدين يحتمل أمرين، ولم يذكر منها التصرف في أموال الناس، والأمران اللذان ذكرهما المجلسي هما:

١- أن يشرعوا من غير وحي ولا إلهام، بل بمجرد رأيهم، وهذا من الغلو المنفي عنهم.

٢- ما كان على سبيل كمالهم في بيان أمور الدين، ولا اعتبار به إلا من جهة إقرار الوحي لهم عليه.

المجلسي في موضع آخر: (بحار الأنوار، ٢٥/ ٣٤٢) يشير إلى أن علم الأئمة بالشرائع علم تام من حين خلقهم الله، ثم أشهدهم خلق السماوات والأرضين وسائر الخلق، وحينها أصبحوا مستحقين للإمامة، لعلمهم بأسرار الغيب وعلل الخلق، إضافة إلى الشرائع، مع أن كلام المجلسي عن تفويض الأئمة بأمر الدين يفهم منه أن علمهم يعني استعدادهم وكمالهم الذي لا بد أن يتبع بوحي أو إلهام، أو إقرار، كما يظهر من كلامه هنا، وهذا اضطراب منه، إما بسبب خلطه في فهم الأخبار، أو لمراعاة جانب التشريع وظواهر النصوص، وهذا يكون تقية أو سهواً.

(٣) زعماً منهم أن النبي له ذلك الاختصاص، وهم مثله، تأويلاً لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، الأحزاب: ٦، ولذا فمن هذا الوجه لا يحتج عليهم بقبول علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سبي بني حنيفة، وأنه إقرار بصحة خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لأنهم يرون أن علياً إمام، والإمام أولى بالناس من أنفسهم، من دون حاجة إلى إذن أو تسويغ من غيره.

مرجعهم المعاصر الخوئي عند حديثه عن تصرف الأب والولي في مال الصبي واليتيم عرج على ولاية الأئمة على الناس فقال: (وبالجملة لا شبهة في ولايتهم واستقلالهم في التصرف على أموال الناس وأنفسهم، وتوهم كون السيرة على خلاف ذلك، وأن الأئمة ـ عليهم السلام ـ لم يأخذوا مال الناس بغير المعاملات المتعارفة بينهم، فلا يجوز ذلك للسيرة؛ فاسد، وذلك من جهة أن غير أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ لم يكن متمكناً من العمل بقوانين الإمامة، بل كانوا تحت أستار التقية، بل أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أيضاً في كثير من الموارد، وكان في غير موارد التقية لم يفعل ذلك لأجل المصلحة، وعدم الاحتياج إلى مال الناس، وإلا فلا يكشف عدم الفعل على عدم الولاية، كما لا يخفى)[1].

دعوى أن الأئمة مهمتهم بيان الشرع قصور في حقيقة معتقدهم، فهم يرون أن الأئمة لهم حق التشريع كالنبي، وهم بهذا رفعوا درجة النبي من البلاغ إلى التشريع، ثم جعلوهما للأئمة، كما يفهم من السؤال الموجه إلى التبريزي، وفيه: (هل يصح القول بأن الله ـ تعالى ـ فوض للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والأئمة ـ عليهم السلام ـ أمر الدين، يشرعون ما يرونه صلاحاً، ولا يتخطون المصلحة في ذلك لعصمتهم وحكمتهم، وإن ذلك بإذن الله ورضاه...)[2]، وهم إذا أثبتوا التصرف بالكون بإذن الله ورضاه فالتشريع مثله، بجامع الكمال والعصمة للمفوض في الجانبين، وإن كانوا يظهرون توقفهم عن منحهم منصب النبوة، لعدم ورود ذلك لهم في الشرع.

في الحقيقة أنه لا فرق بين الأمرين، فالولاية التشريعية مبنية على الولاية التكوينية، وحديثهم إن قل عنها فلأن أمر التشريع جزء من التكوين، الذي يجوز فيه التفويض، وهو

---

(١) مصباح الفقاهة، الخوئي، ٣/ ٢٨٥، ٢٨٦- ٢٩٠، ومن تطبيقات الولاية التشريعية للإمام أن يطلق زوجة أحد من الناس ويزوجها، وأن يبيع أمواله، ونحو ذلك، وأشار بعدها إلى ولاية الفقيه ونيابته، وأنها قاصرة وليست عامة، مع وجود من يقول بعمومها من متأخري الإمامية، كالجواهري، وذلك من باب أن العلماء ورثة الأنبياء، ومن ميراثهم الولاية فينوبون فيها، لا مجرد البلاغ والعلم.

(٢) الولاية التكوينية، إسماعيل حريري، ص١١٠.

راجع إلى اتحاد أو حلول في القدرة والحكمة والمعرفة بين الأئمة والرب، كما أنهم قد يتحاشون كثرة تقريره لما يجره عليهم من هدم الشرائع وإسقاط التكاليف، وهو أمر يتناوله العامة بشيء من الاهتمام والعناية أكثر من التكوينية، لتعلقها بأبواب القدرة وصفات الله ووجوده.

كما أنه يرد تحت ولاية الأئمة التشريعية ما يبتدعونه من شعائر ومناسك باسم محبة الأئمة، أو أن الأئمة يحبونها، أو لو كانوا في غير التقية لفعلوها، أو بدعوى أن أساس العبادة قائم على الحب والعشق، الذي هو طريق التأثير في الكون، وبهما تنال الولاية التكوينية والتشريعية التي نالها الأئمة، فمحبتهم وعبادتهم هي محبة الله وعبادته، لأنهم مظاهر الله في الوجود، وهذا هو باب الزندقة الذي وقفوا عليه، كما سيتضح في مبحث العرفان، بإذن الله تعالى.

هذا وإذا كان هناك ـ من الإمامية المعاصرين، كمحمد حسين فضل الله ـ من نفي الولاية التكوينية عن الأئمة، وفسرها بما يشبه الشفاعة، أو استجابة الدعاء، فإنه يفسر الولاية التشريعية للأئمة بقوله: (فهي قيامهم بمهام الإمامة لحفظ الدّين وقيادة المؤمنين، وفقاً للشّريعة المطهّرة كما بلّغها رسول الله (ص) ورسم معالمها القرآن الكريم)[١].

الولاية والغلو:

أساس الغلو في الولاية التكوينية والولاية الشرعية هو الغلو في (علم الإمام)[٢]، وكونه يعلم الغيب، وعنده علم الكتاب القائم على علم القرآن، والمهيمن على كتب الأنبياء كلها، والقرآن ـ عندهم ــ اختص به الإمام دون غيره[٣]، عدا نبينا محمد، فالإمام فاق جميع الأنبياء والمرسلين وفضل عليهم، فهو أعلم به منهم، لفضل القرآن، ولتأخر نزوله، وأن الإمام عنده

---

(١) انظر: نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية، مبحث: استفسارات حول الولاية التكوينية، محمد حسين فضل الله، موقع بينات، قسم الكتب، وهو على الرابط التالي:
.http://arabic.bayynat.org.lb/books/welaya_100.htm

(٢) مسألة علم الإمام عند الشيعة لها علاقة بعقيدة البداء، ولهم فيها اضطراب، وسيأتي – بإذن الله – ذكرها في المطلب القادم، وعلم الإمام مسألة جديرة بالتحرير، لما يتبعها من بيان بطلان المذهب برمته، فعليه تقوم عقيدة العصمة التي هي جوهر الإمامة.

(٣) الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم، ص١٧٩.

الاسم الأعظم المكون من ثلاثة وسبعين حرفاً، أوتي منها اثنين وسبعين حرفاً، ومن ملك الاسم الأعظم أثبتوا له الولاية الكونية المطلقة، بينما الأنبياء لا يعلمون إلا يسيراً من هذه الأحرف، فسيثبتون لمن ملك جميع الأحرف الأفضلية في الولاية التكوينية(١).

الغلو في الولاية هو أبرز غلو رافق التشيع الغالي في بدايته، بل هو حلقة الوصل بين طوائف التشيع، لكنه ازداد وتجدد عند الإسماعيلية، ثم الإمامية،حتى أصبحت النبوات والرسالات إنما جاءت لتبلغ وتبشر بمقام الأئمة، وأن الكون لم يخلق إلا لأجلهم، فهم علة وغاية خلقه(٢)، كما أنهم علة وجوده وبقائه، وتنذر وتحذر من الكفر به، وأن ذلك هو حقيقة الكفر والشرك، فأصبح الإيمان والكفر يدوران على حق مخلوق، لا حق الخالق ــ سبحانه ــ، ومن مقولات الغلاة المتقدمين ـ كالخطابية(٣) ـ أن الإيمان هو معرفة الإمام المنصوص عليه في ذلك الوقت فإن هذا الغلو له صورة جديدة في زمن الغيبة، وهو أن الإيمان هو معرفة صفات الإمام وعلمه وولايته التكوينية والتشريعية، لأنها طريقة معرفة الله وعبادته، ومن دونها فلا يمكن عبادة الله(٤).

قد تبرأ متقدمو الإمامية من الغلاة، فهذا شيخ الطائفة المفيد ــ وهو يجمع بين المدرستين الأصولية والإخبارية ـ يقول: (والغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته ــ عليهم السلام ــ إلى الألوهية والنبوة، ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد، وخرجوا عن القصد، وهم ضلال كفار حكم فيهم أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ بالقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة ــ عليهم السلام ــ عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام)(٥)، كما أن كتب الإمامية مليئة بتكفير الغلاة ولعنهم، ومنهم

---

(١) بصائر الدرجات، الصفار، ص٢٢٩، محمد بن الحسن الصفار، ت/ ٢٩٠هـ، ميرزا حسن كوچه باغي، ط ١٤٠٤هـ، منشورات الأعلمي – طهران، وانظر: الولاية التكوينية، الحيدري، ص١٦٨، ١٨٧–، ١٩٤.

(٢) وهذا كفر ظاهر بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، الذاريات: ٥٦.

(٣) سبق ذكرهم قريباً ص٣٠٤ من البحث، وأنهم قالوا إن الإلهية نور موجود في النبوة والإمامة.

(٤) انظر: الولاية التكوينية، الحيدري، ص١٣٧.

(٥) تصحيح اعتقادات الإمامية، ص١٣١، المفيد، ٤١٣هـ، ت. حسين دركاهي، ط٢ ١٤١٤هـ، دار المفيد – =

المفوضة، وفي عيون أخبار الرضا: (قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في التفويض؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى فوض إلى نبيه ــ صلى الله عليه وآله ــ أمر دينه فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[(١)]، فأما الخلق والرزق فلا)[(٢)]، (ومن زعم أن الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك)[(٣)]، وهذا صريح في أن القول بتفويض الخلق والرزق إلى الأئمة أنه غلو وشرك.

أما متأخرو الإمامية ــ بعد تراكم مرويات الغلاة وروايات الغلو، وانغماس الطائفة في العرفان والتصوف ــ فقد تورطوا في هذا الجانب، وهم ما بين رد المذهب برمته، أو كثير منه، أو التبرير للغلاة وتأويل غلوهم وقبوله، وأذكر هنا نموذجاً لهذا الاضطراب، فعبد الحسين الأميني، مؤلف كتاب الغدير، يذكر في ترجمة البرسي الحلي، من الإمامية في القرن الثامن، صاحب مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين، فيقول حول ما قيل من غلوه في الأئمة، وأن محققي الإمامية يوافقونه على ما ذكر، وذلك رداً على ما ذكره محسن الأمين في ترجمة المذكور من غلوه، يقول الأميني في وصف البرسي ذاكراً: (تضلعه من علم الحروف وأسرارها واستخراج فوائدها، وبذلك كله تجد كتبه طافحة بالتحقيق ودقة النظر، وله في العرفان والحروف مسالك خاصة، كما أن له في ولاء أئمة الدين ــ عليهم السلام ــ آراء ونظريات لا يرتضيها لفيف من الناس، ولذلك رموه بالغلو والارتفاع، غير أن الحق أن جميع ما يثبته المترجم لهم عليهم السلام من الشؤون هي دون مرتبة الغلو غير درجة النبوة...، ولذلك تجد كثيراً من علمائنا المحققين في المعرفة بالأسرار يثبتون لأئمة الهدى ــ صلوات الله

=

بيروت.

(١) الحشر: ٧.

(٢) عيون أخبار الرضا، ١/ ٢١٩، ابن بابويه القمي، ت/ ٣٨١هـ، ت. حسين الأعلمي، ١٤٠٤هـ، مؤسسة الأعلمي – بيروت، وبحار الأنوار، ٧/ ١٧.

(٣) عيون أخبار الرضا، ٢/ ١١٤، وبحار الأنوار، ٢٥/ ٣٢٨– ٣٢٩.

عليهم ـ كل هاتيك الشؤون، وغيرها مما لا يتحمله غيرهم، وكان في علماء قم من يرمي بالغلو كلَّ من روى شيئًا من تلكم الأسرار، حتى قال قائلهم: إن أول مراتب الغلو نفي السهو عن النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ، إلى أن جاء بعدهم المحققون وعرفوا الحقيقة فلم يقيموا لكثير من تلكم التضعيفات وزناً، وهذه بلية مني بها كثيرون من أهل الحقائق والعرفان، ومنهم المترجم، ولم تزل الفئتان على طرفي نقيض، وقد تقوم الحرب بينهما على أشدها، والصلح خير)[1].

يغذي الغلو بالأئمة عند الإمامية الاثني عشرية مصدران، هما:

١- مرويات الفضائل والمعاجز، ومنها أن الأئمة هم أسماء الله الحسنى، التي يدعى الله بها، وأنهم علة الوجود[2]، وأن كل عطاء ينزل إلى الأرض فهو بفضلهم وفيضهم ووساطتهم[3]، وسعة علم الإمام، وخاصة علياً[4]، وهذه المرويات تغذيها الطائفة الإخبارية بشكل أظهر، بسبب تبنيها قبول مرويات متقدميهم، مع كون رواتهم من الغلاة والمفوضة، وتفردهم بكثير من المرويات، مع اضطرابهم في تأويلها والتسليم بها، وتنزيلها على معنى التفويض[5]، ومن تلك الروايات المكذوبة التي تبقي أبواب الغلو مشرعة ما ينسبونه لعلي رضي الله عنه: (إياكم والغلو فينا، قولوا فينا إنا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم)[6]،

---

(١) الغدير، ٧/ ٣٤- ٣٥، عبد الحسين بن أحمد الأميني، ت/ ١٣٩٢هـ، ط٣، ١٣٨٧هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

(٢) من مروياتهم: (نحن علة الوجود وحجة المعبود)، انظر: بحار الأنوار، ٢٦/ ٢٥٩.

(٣) انظر: الولاية التكوينية، الحيدري، ص٢٠٧، ولذا فمن غلوهم قولهم: إنه حتى بكاء الباكين من أعدائهم فإنه بفضل بكاء الحسين.

(٤) من الكتب المؤلفة في هذا كتاب: صاحب مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين، للبرسي الحلي، الملقب بالحافظ.

(٥) تزداد حيرتهم بعد شيوع العرفان الشيعي والفلسفة الإشراقية، وسيأتي قريباً –بإذن الله– ذكر موقف المجلسي الإخباري.

(٦) الخصال، ص٦١٤، الصدوق ابن بابويه القمي، ت/ ٣٨١هـ، علي أكبر الغفاري، ١٤٠٣هـ، جماعة المدرسين – قم، وبحار الأنوار، ١٠/ ٩٢، ٢٥/ ٢٧٠، وهي وصية ضمن أربعمائة باب، في رواية واحدة!.

وفي رواية أخرى: (أنا عبد الله وخليفته على عباده، لا تجعلونا أربابا، وقولوا في فضلنا ما شئتم، فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا، ولا نهايته)[1].

وعن الرضا أنه قال: (إن من تجاوز بأمير المؤمنين عليه السلام العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تتجاوزوا بنا العبودية، ثم قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصارى، فإني بريء من الغالين...)[2]، وفي رواية أخرى: (اجعلونا عبيداً مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم)، (وقولوا فينا ما شئتم إلا النبوة)[3]، و(لا تقولوا فينا ربًا، وقولوا ما شئتم، ولن تبلغوا)[4].

على ضوء مثل المرويات المذكورة فتحت الإمامية باب الغلو في مديح الأئمة، بدعوى أنها مهما قالت فيهم فلن تبلغ قدرهم، وقد يوردون التنويه على عبودية الأئمة لله على استحياء، وسيجد الغلاة من يدافع عنهم، بدعوى أن هذا الباب مقامات قد تنكره بعض النفوس، ممن لم تعرف حقيقة الأئمة، كما سبق في كلام عبد الحسين الأميني في دفاعه عن البرسي، وأمثاله كثير في العرفانيين؛ كما أن الأخباريين نقدوا الأصوليين في تضعيفهم للأخبار المتضمنة لمثل هذه الفضائل، بدعوى غرابتها وآحاديتها في باب العقائد، أو أن رواتها ممن عدوا من الغلاة، فهذا علامتهم المجلسي يعزو ذلك إلى قلة إدراكهم لأحوال الأئمة، فيقول: (ولكن أفرط بعض المتكلمين والمحدثين في الغلو لقصورهم عن معرفة الأئمة ـ عليهم السلام ـ، وعجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم وعجائب شؤونهم، فقدحوا في كثير من الرواة الثقات، لنقلهم بعض غرائب المعجزات، حتى قال بعضهم: من الغلو نفي السهو عنهم، أو القول بأنهم

---

(١) بحار الأنوار، ٢٥/ ٢٨٩، ومستدرك سفينة البحار، ٧/ ٥٢.

(٢) الاحتجاج، ٢/ ٢٢٣. أحمد بن علي الطبرسي، ت/ ٥٤٨هـ، ت. الخرسان، ط ١٣٨٦هـ، دار النعمان – النجف.

(٣) بصائر الدرجات، الصفار، ص٢٦١، والخرائج والجرائح، ٢/ ٧٣٥، الراوندي، ت/ ٥٧٣هـ، ت. الأبطحي، ط١، ١٤٠٩هـ، مؤسسة الإمام المهدي – قم.

(٤) بحار الأنوار، ٢٥/ ٣٤٢.

يعلمون ما كان وما يكون وغير ذلك...)[1].

٢- المقولات الفلسفية والمتسقة مع مقولات الحلولية والاتحادية ووحدة الوجود، والتي جددها في القرون المتأخرة صدر المتألهين الشيرازي، في آرائه حول الحكمة المتعالية والإنسان الكامل، والتي تأثرت الطائفة الأصولية بمدرسته وفكره، بل تبنتها تبنياً تاماً، ومن جهة الأصول الكلامية للإمامية فإن الولاية قد ترتبط بالعدل[2]، وأن الله لا يفعل إلا لغرض، بناء على قولهم في الحسن والقبح العقليين، خلافاً لمن منع تعليل أفعال الله كالأشاعرة، وفسرت الإمامية الغرض بما يتوافق بقولها في الولاية، بل وأوجبته على الله، وأن الأولى بهذه الولاية هم أهل الكمال والعصمة[3]، وقد أحدث أحدهم مسمى العدل التكويني، والعدل التشريعي، وهي من مفاهيم أصل العدل العقلي[4].

ممن نبه وصرح بفشو عقيدة "الولاية التكوينية والتشريعية" ورواجها، وأن ذلك كان رواج بسبب الاتجاهات الفلسفية بين رموز المذهب، بعد تأثرهم بفلسفة الشيرازي؛ نبه على ذلك المرجع اللبناني محمد حسين فضل الله، وهو من التيار الأصولي، وقرر فضل الله أن الأئمة وسطاء للدعاء والاستغاثة، لا وسطاء في الفيض، فيقول: (إنّ كون المعصوم سبباً في الفيض أو اللّطف الإلهيّ أمر مقبول، وتؤيّده بعض النّصوص، أمّا الوساطة في الفيض فهي غير مقبولة...، وهي نتيجة الذّهنيّة الفلسفيّة التي لم تؤيّدها النّصوص الشرعيّة، وقول علماء كبار بهذه النّظرية أو تلك لا يعني ثبوتها؛ بل لكلّ رأيه، خصوصاً في مجال العقليّات التي تتأثر الأذهان باتّجاه معيّن فيها، وهذا الذي دعا إلى القول بالولاية التكوينية التي ينفيها القرآن الكريم، وما خالف كتاب الله لا يؤخذ به)[5].

---

(١) بحار الأنوار، ٢٥/ ٣٤٧.

(٢) انظر: الأسرار الفاطمية، المسعودي، ص١٤٩.

(٣) انظر: الولاية التكوينية، حريري، ص٢٢- ٢٥.

(٤) انظر: تعرفوا على الشيعة، محمد علي الحسيني، ص٨٧ وذكر أن أنواع العدل الإلهي ثلاثة: تكويني، وتشريعي، وجزائي.

(٥) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية، مبحث: استفسارات حول الولاية التكوينية، محمد حسين فضل الله، =

قد جاء هذا الجواب رداً على سؤال حول نظرية الفيض، والتي يقول بها كبار المعاصرين ومراجعهم من الإمامية، أمثال مرتضى مطهّري، والطباطبائي صاحب تفسير الميزان، والخميني، والخوئي؛ ولأجل مثل هذا التصريح حول الولاية التكوينية لقي هذا المرجع مواجهات عنيفة من مراجع آخرين أحياء، وكتب للرد عليه عدد من الكتب[1]، بينما هذا الجواب جاء مراعياً لمقتضى نصوصهم، وظاهر مروياتهم الباطلة، المناقضة للقرآن، ومع اجتهاده في تقرير مخالفة هذه العقيدة لظاهر القرآن إلا أنه برر قول هؤلاء بأنه اجتهاد، ولا يلزم منه الغلو والشرك، فيقول: (نحن لا نتّهم القائلين بها بالغلوّ، ولكن بالخطأ في تصوّر المنزلة)[2]، مع تصريحه بأن القول بها هو كالقول بالتفويض الذي قال به الغلاة، أي تفويض شؤون الخلق، فيقول: (فأوكل أمرها إلى غيره من الخلق المتميّز، كالملائكة والأنبياء والأوصياء، فهم يستقلّون في تدبيرها، فذلك هو (التفويض) الذي اتّفق علماء الشّيعة على رفضه في إطار ردّهم على من قال بذلك من فرقة المعتزلة، وحينئذٍ، فإنّ كلّ ما يقال في إثبات بطلان التّفويض هو مما يمكن قوله لإثبات بطلان الولاية التّكوينيّة)[3].

على ما سبق فإذا كانت الرافضة المتقدمة تروي رد الأئمة على المعتزلة في باب فعل العبد، وأنه (لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين)[4]، فالمعتزلة ــ على ما عند الإمامية ــ يرون أن العبد مفوض، أي له قدرة مستقلة عن فعل الله، بينما نجد أن الرافضة العرفانية المتأخرة

=

موقع بينات، قسم الكتب، وانظر –أيضاً– مبحث: موقع الولاية التكوينية في المعتقد الإسلامي، وهو على الرابط التالي:
.http://arabic.bayynat.org.lb/books/welaya_100.htm

(١) وهناك مواقع في شبكة الانترنت خصصت لهذا الغرض، مثل: موقع ضلال.

(٢) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية، مبحث: استفسارات حول الولاية التكوينية، موقع بينات، قسم الكتب.

(٣) نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية، مبحث: استفسارات حول الولاية التكوينية، موقع بينات، قسم الكتب.

(٤) الكافي، ١/ ١٦٠.

جعلت هذا الأمر لنوع من العباد دون غيرهم، ولكن بصورة جديدة، ففعل هذا العبد من جنس فعل الله، أي أنها جعلت العبد مستقلاً بالفعل؛ أما من حيث الإرادة فظاهر حالهم أنه مستقل كذلك، وإن كان مقالهم يظهر أنه مقيد بالإرادة والإذن من الله، ولعله إذن طارئ، لا دائم، من جنس الفيض الأول، كما عند الفلاسفة(١).

أما الطائفة الإخبارية فمع وجود مصدر الانحراف في أخبارهم إلا أننا نجد لديهم اضطراباً أكثر، لحاجتهم لبيان معنى التفويض المنهي عنه في أخبارهم، وهل ينطبق على الولاية التكوينية أو لا؟ أم هو داخل ضمن العلم المتشابه، والصعب المستصعب، الذي يجب الإيمان به ما دام منسوباً إلى الأئمة، فليس له إلا مقام التسليم، وقد سبق ذكر موقف المجلسي. واعتراضه على تضعيف الرواة بسبب روايتهم لمثل هذه المسائل والعقائد(٢)، ومن هذه المسائل المستعصية على مذهبهم مسألة التفويض، وقد عقد المجلسي فصلاً في بيان التفويض ومعانيه(٣)، وكفر

---

(١) يتبع ما سبق الحديث عن إرادة هؤلاء العباد المميزين (الأئمة) هل هي إرادة اختيارية، أو جبرية، وهل إرادة العبد اختيارية أم لا؟ ويطول الكلام حولها، وليس هذا محله، وسيبين من عرض معنى فعل الأئمة لأفعال الله: هل هو حقيقة أو مجازٌ؟، انظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، الأنصاري، ٢/ ٣٧٩، ومستدرك سفينة البحار، ٢/ ٧- ٩.

(٢) انظر: بحار الأنوار، ٢٥/ ٢٨٣، ٣٤٧.

(٣) بحار الأنوار، ٢٥/ ٣٤٧- ٣٥٠، وذكر المجلسي أن معاني التفويض ستة، منها ما يجوز نسبته لهم، ولم يذكر مصطلح الولاية التكوينية والتشريعية، وما ذكر هنا يعده غيره من الولاية التشريعية، عدا القسم الأول فهو من الولاية التكوينية، على أن بينها تداخل، وهذه المعاني الستة كما يلي:

١- التفويض في الخلق والرزق ونحوهما من خصائص الربوبية، وله وجهان، أحدهما مرفوض.
٢- التفويض في أمر الدين، وله وجهان، أحدهما مرفوض، كما سبق ص٢٨١.
٣- التفويض في أمور الخلق وسياستهم وتعليمهم وتأديبهم.
٤- التفويض في كيفية بيان العلوم والأحكام حسب المصلحة، مراعاة لاختلاف العقول، أو للتقية، وهو توسعة خاصة بخاتم الأنبياء، وبالأئمة، ولم تتيسر لسائر الأنبياء والرسل، لأنهم مكلفون بعدم التقية الإمامية.
٥- التفويض بأن يحكموا بين الناس بظاهر الشريعة، أو بعلمهم!.
٦- التفويض في العطاء وقسمة الأموال.

المفوضة والغلاة[1]، فإذا كان الله ـ سبحانه ـ أثبت أن له أفعالاً هي ربوبيته، كالخلق والرزق، والتدبير، والإحياء والإماتة، فهل الله فوض إلى الأئمة، أو الأولياء في أفعال ربوبيته وخلقه وتصريفه؟ وهل هم يفعلون ذلك حقيقة؟ أو مقارنة؟ وهذا الأمر لا يخلو من حالتين:

١- أن الله فوضهم، وأنهم يفعلون هذه الأعمال بإرادتهم وقدرتهم حقيقة، وقد ورد في أخبار الأئمة المنسوبة إليهم أن هذا الاعتقاد كفر، حيث جعلوهم شركاء لله في خصائص ربوبيته، وإلا لماذا تجري عليهم وعلى شيعتهم المصائب، ولماذا لا يدفعونها بقدرتهم، وإن كانوا قد يخرجون هذا الخبر أنه على سبيل التقية، وقد روى الصدوق:(عن زرارة أنه قال: قلت للصادق ـ عليه السلام ـ: (إن رجلاً من ولد عبد الله بن سبأ يقول بالتفويض، قال ــ عليه السلام ــ: (وما التفويض)؟ قلت: يقول: إن الله عز وجل خلق محمداً ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ، وعلياً ـ عليه السلام ـ، ثم فوض الأمر إليهما، فخلقا، ورزقا، وأحييا، وأماتا: فقال: (كذب عدو الله، إذا رجعت إليه فاقرأ عليه الآية التي في سورة الرعد: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾[2]، فانصرفت إلى رجل فأخبرته بما قال الصادق ـ عليه السلام ـ فكأنما ألقمته حجرا، أو قال: فكأنما خرس)[3].

٢- أن الله يفعل ذلك مقارناً لإرادتهم، مثل شق القمر، فذلك بفعل الله مقارناً لإرادتهم، فالله خلق كل شيء، وجعل كل شيء مقارناً لقدرتهم، وهم يرون ذلك، وإن كانت الأخبار توحي بغير ذلك، بل ما ورد منها موضع شك عندهم من حيث صحتها، وهذا شيخهم وعلامتهم المجلسي.يقول عن هذا الاحتمال: (العقل لا يعارضه كفاحاً، لكن الأخبار تمنع من القول به فيما عدا المعجزات ظاهراً، بل صراحاً، مع أن القول به قول بما لا يعلم، إذ

---

(١) بحار الأنوار، ٢٥/ ٢٦١- ٣٥٠، وهو ضمن باب نفي الغلو في النبي والأئمة، وفي: ٢٥/ ٣٤٢، نقل المجلسي عن كتاب العقائد، ولعله من كتبه.

(٢) الرعد: ١٦.

(٣) الاعتقادات، للصدوق القمي، ت/ ٣٨١هـ، ص١٠٠، وفسر الصدوق التفويض بأنه التفويض في أمر الدين، وقال: (وعلامة المفوضة والغلاة وأصنافهم نسبتهم مشايخ قم وعلماءهم إلى القول بالتقصير)، وبحار الأنوار، ٢٥/ ٣٤٤.

لم يرد ذلك في الأخبار المعتبرة فيما نعلم، وما ورد من الأخبار الدالة على ذلك كخطبة البيان وأمثالها، فلم يوجد إلا في كتب الغلاة وأشباههم، مع أنه يحتمل أن يكون المراد كونهم علة غائية لإيجاد جميع المكونات، وأنه تعالى جعلهم مطاعين في الأرضين والسماوات، ويطيعهم بإذن الله تعالى كل شيء حتى الجمادات، وأنهم إذا شاءوا أمرا لا يرد الله مشيئتهم، ولكنهم لا يشاؤون إلا أن يشاء الله)[1]، وذكر ـــ أيضاً ـــ أن وصف الأئمة بالقدم من مقولات الغلاة.

أظن أن كلام المجلسي صريح في الحكم على قول من يقول بأن (الأئمة علة فاعلة)، أنه من كلام الغلاة الذين يكفرهم الأئمة في مروياتهم، وقد أحال المسألة إلى احتمال أنهم علة غائية، وفسرها بنوع من التردد والاضطراب، وعلقها بالمشيئة، ثم قال: (ولكنهم لا يشاؤون)، ولم يبين لماذا لا يشاؤون، فكأن هذا الاحتمال تحصيل حاصل، إضافة أن العلة الغائية هنا أشبه أن تكون إشارة إلى فضلهم ومقامهم، وقرب استجابة الله منهم، فيقول المجلسي: (وأما ما ورد من الأخبار في نزول الملائكة والروح لكل أمر إليهم، وأنه لا ينزل ملك من السماء لأمر إلا بدأ بهم، فليس ذلك لمدخليتهم في ذلك، ولا الاستشارة بهم، بل له الخلق والأمر تعالى شأنه، وليس ذلك إلا لتشريفهم وإكرامهم، وإظهار رفعة مقامهم)[2]، وهذا قد يسلم جنسه، وهو من الغلو الظاهر بهم وبمقامهم، ولكن لا يلزم منه التفويض؛ ولا شك أن كلام غير المجلسي أصرح في الغلو، وفي اتحاد الإرادة والمشيئة والقدرة بين الله والأئمة، وأن الأئمة يفعلون ما فوضوا فيه حقيقة، بل يفهم من بعض كلام المجلسي عدم جواز نسبة أفعال الربوبية إلى الأئمة، وأنه شرك[3].

يضاف إلى ما سبق أن هذا المصطلح "علة غائية" له معنى آخر عند العرفاء، فيذكر العرفاء أن العلة الغائية من العلل الوجودية، فبدونهم الخلق عبث، ولم يخلق الخلق إلا لأجلهم، وهذا

---

(١) بحار الأنوار، ٢٥/ ٣٤٧، ٢٦٣، ٣٤٢، ٣٤٥.

(٢) بحار الأنوار، ٢٥/ ٣٤٨.

(٣) بحار الأنوار، ٢٥/ ٢٦٢.

وإن جاز في العقول لكن هو من باب سوء الأدب مع الله، ومن التألي بين يديه، وإذا كان واحد من أساطينهم كفانا بطلان ما دون ذلك من المرويات، فما كان مقرراً لهذه العلة جزمنا ببطلانه، وأنه من عقائد الغلاة، القائلين بالاتحاد والتناسخ ونحوها من صنوف الكفر[1].

لا زالت هذه العقيدة متسربة إلى من بعد المجلسي، وخاصة بعد شيوع الفلسفة المتعالية، ونظرية الإنسان الكامل التي تتمثل عند البعض في "الولاية التكوينية"، فهذا الإمامي جعفر السبحاني يقرر كلام المجلسي في غالبه، ويقول معلقاً على حديث مشهور عندهم: (لولا الحجة لساخت الأرض)[2]، وشهرته بلفظ أن أهل قم في مقام الحجة، (ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها)[3]، فيقول مجيباً عنه: (الأول: إن النبي والإمام غاية لخلق العالم، ولولا تلك الغاية لما خلق الله العالم، بل كان خلقه أمراً لغواً، وبعبارة أخرى: إن العالم خلق لتكَـوُّن الإنسان الكامل فيه، ومن أوضح مصاديقه هو النبي والإمام، ومن المعلوم أن فقدان الغاية يوجب فقدان ذيها[4]، ولأجل ذلك يصح أن يقال: إن الإنسان الكامل يكون من بسببه الوجود سببية غائية، لا منه الوجود سببية فاعلية معطية له، فهو سبب غائي لا علة فاعلية، فاحفظ ذلك فإنه ينفعك)[5].

هذا مع أن السبحاني نفي أن يتخذ النبي والأئمة من جملة العلل والأسباب، لأنهم

---

(١) انظر: كليات علم الرجال، ص٤٢٢، جعفر السبحاني، ط٣، ١٤١٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

(٢) كليات علم الرجال، ص٤٢١.

(٣) وكذلك: بلفظ: (لولا الإمام)، كما في دلائل الإمامة، لابن جرير الشيعي، ص٤٣٦، بلفظ: (لو بقيت الأرض يوما واحدا بلا إمام منا لساخت الأرض بأهله)، دلائل الإمامة، ص٤٣٦، محمد بن جرير بن رستم الطبري، ق ٤ هـ، ط١، ١٤١٣هـ، مؤسسة البعثة – قم.، وبحار الأنوار، ٥٧/ ٢١٣، (وسيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حجة على الخلائق، وذلك في زمان غيبة قائمنا عليه السلام إلى ظهوره، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها)، وفي لفظ: (فيجعل الله قم وأهله قائمين مقام الحجة، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها)، وشرح أصول الكافي، المازندراني، ١/ ٣٠٢، ١٢/ ٥٩، وفيهما من عبارة المازندراني: (ولولا وجوده لساخت الأرض)، وي ٥/ ١٢٦، حاشية (١) شكك المحقق.الشعراني، أو عاشور- في صحة العبارة المذكورة، وبهذا يكون نواب الإمام -كأهل قم- ينطبق عليهم نفس الحكم.

(٤) غير واضحة في الأصل، ولعله اسم إشارة، فيكون صوابه: (ذيًا).

(٥) كليات علم الرجال، ص٤٢١.

يستفيدون من تلك الأسباب الطبيعية، وتتوقف حياتهم على وجود العلل والأسباب المادية، فكيف يكونون في مرتبة العلل والأسباب؟ فالنبي والإمام يستنشقان الهواء، ويسدّان جوعهما بالطعام، ومع كونه تنزل في هذا الجانب، ووافق المجلسي في أن التفويض هو كون أقدار الله مقارنة لعلمهم وإرادتهم، إلا أنه خالفه في المعجزات، واختار أنهم قائمون بها، ويفهم منه أن المجلسي ينفي ذلك، وليس كذلك، بل هو ما أثبته كما نقلته قريباً، لكن لعله أشكل عليه أن المجلسي في الأول نسب الفعل إلى الله، فظن أنه يلتزمه في المعجزة، وأن النبي والإمام لا ينسب لهما فعل، وهو غير ظاهر، بل توهم منه[1].

المجلسي قد نبه ـ أيضاً ـ إلى صور أخرى من الغلو، يكثر ذكر الإمامية لها في باب إثبات عدم مشابهتهم للنصارى في الغلو بالمسيح، لكن يظهر أن هذا الإقرار منهم للظهور بموافقة الشرائع، وبعد ذلك: (قولوا فينا ما شئتم)، ولا تسأل بعدها عن حدود هذا القول، كما أنهم يفرقون بين الغلاة والمفوضة بأن الغلاة من نسبوا الأئمة إلى الإلهية والنبوة نصاً، ومثله الحلولية والاتحادية، أما المفوضة فمن زعموا أن الله فوض إلى الأئمة الخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحوها من دون ادعاء الربوبية أو الاستقلال[2].

كما قد نبه بعض متقدمي الإمامية إلى هذا الجانب من الغلو، من ذلك ما أشار إليه الصدوق في اعتقادات الإمامية بقوله: (اعتقادنا في النبي والأئمة عليهم السلام أن بعضهم قتلوا بالسيف، وبعضهم بالسم، وأن ذلك جرى عليهم على الحقيقة، وأنه ما شبه أمرهم، لا كما يزعمه من يتجاوز الحد فيهم من الناس، بل شاهدوا قتلهم على الحقيقة والصحة، لا على الخيال والحيلولة، ولا على الشك والشبهة، فمن زعم أنهم شبهوا، أو أحد منهم فليس من ديننا في شيء ونحن منه براء)[3]، ولا شك أن النفوس المشحونة بالغلو بولاية الأئمة

---

(١) انظر: كليات علم الرجال، ص٤٢٢، وكأنه ظنه من جنس قول الأشاعرة في السببية.

(٢) انظر: بحار الأنوار، ٢٥/ ٣٤٥، ٣٤٧، وقال: (والمفوضة صنف من الغلاة، وقولهم الذي فارقوا به من سواهم من الغلاة: اعترافهم بحدوث الأئمة وخلقهم، ونفي القدم عنهم، وإضافة الخلق والرزق مع ذلك إليهم، ودعواهم أن الله تعالى تفرد بخلقهم خاصة، وأنه فوض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الأفعال).

(٣) الاعتقادات في دين الإمامية، ص٩٧ـ، الصدوق،ت/ ٣٨١هـ،ت/ عصام عبد السيد، ط٢، ١٤١٤هـ، دار =

لا تسلم بظاهر هذا الكلام، ولذلك نرى غلوهم في زيارات قبور الأئمة، وفي الاستغاثة بهم ودعائهم، وفي كثرة إطرائهم، وهو عين ما وقعت فيه النصارى، بل أقوال طائفة منهم تنضح بنوع من الحلول والاتحاد والفناء، وإن كانوا يعقبونها بعدم دعوى الربوبية، أو إثبات عبوديتهم لله، لكنها تقدح في الأذهان بأنه لا فرق بينهم وبين الله إلا هذه الدعوى.

ذكر الصدوق أنواعاً أخرى من الغلو، منها ما يتعلق بالشرائع، من ذلك ما ذكره أن من علامة الحلاجية من الغلاة دعوى التجلي بالعبادة مع تركهم الصلاة وجميع الفرائض، ودعواهم معرفة أسماء الله العظمى[1]، وقد يخوض في الزندقة من يدعي العلم بالإلهيات، ومعرفة الله وشهود أسمائه وصفاته، كما هي حال كثير من الباطنية.

❊❊❊❊❊❊

=

المفيد - بيروت، وبحار الأنوار، ٢٥/ ٣٤٢.

(١) انظر: الاعتقادات في دين الإمامية، ص٩٧، وبحار الأنوار، ٢٥/ ٣٤٢، ٣٤٤، وقد سبق من كلام المجلسي في تفويض الأئمة بأمر الدين ما يفهم منه أن علمهم يظهر ويكتمل ويأتي متفرقاً، لا دفعة واحدة في القدم، وهذا اضطراب منه.

المطلب السابع

ولاية الحسين التكوينية والتشريعية

ولاية الحسين عند الإمامية هي من جنس ولاية الأئمة عموماً، ولكن يظهر أنها في الواقع أهمها، ولا أخطر منها إلا ولاية المهدي التكوينية، لما يترتب على هاتين الولايتين من واقع عملي، يتبين في مواسمهم كعاشوراء، وولاية المهدي مع بطلان وجوده أصلاً إلا أنها ولاية يجب وجودها عندهم، وتتميز هذه الولاية عن غيرها ـ إن قلنا وسلمنا بوجودها ـ بأنها ولاية حي مستتر، بينما ولاية غيره ولاية ميت، كولاية أصحاب الأضرحة من الأولياء عند الصوفية، أو مواضعهم ومقاماتهم، والتوسل بالحي أقرب إلى نفوس الناس، وأكثر تلبيساً في باب الشرك، وكيف بهم إذا كان موضع الفيض الإلهي حياً، ويمكن اللقاء به؟!.

قد سبق أن من صور غلو الإمامية بالأئمة أنهم جعلوهم علل الخلق والوجود، على خلاف بينهم في بعضها، وجعلوا العلل: "الفاعلية والغائية والصورية والمادية" هي معنى المحبة والعشق وسببها، فمن لم يحبهم فلم يوجد؛ فإن بعضهم طبق هذا الغلو على البكاء، فجعل البكاء كله من بكاء الأئمة، ولعل هذا هو سر قول بعضهم أن كل بكاء هو من بكاء الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى بكاء أعدائه، فهو من بكائه، وممن ذكر عنه هذا الغلو أحمد الأحسائي زعيم الشيخية(١).

مما يعتري ولاية الأئمة ـ عند الاثني عشرية ـ وولاية الحسين خصوصاً هو كيف أن الأئمة يعرضون أنفسهم للمخاطر، وهم يعلمون الغيب، كما أنهم يقدرون على دفع تلك المخاطر بولايتهم الشاملة، وسبق أن من أصول غلوهم هذا غلوهم في علم الإمام، وبعضهم يقسم علم الإمام ـ المعصوم ـ إلى قسمين:

١- علم كعلم المخلوقين، مع ما يمتازون به من صفاء ونقاء في التفكير.

٢- علم من جهة علم الملكوت، يعلمون به مستقبل الأمور، وعلم الملكوت فيه حسب

---

(١) سبقت ترجمته، ص٩١، وراجع ص٣٠٧ من البحث.

الظاهر على نوعين:

أ- علم مبرم لا يختلف.

ب- علم غير مبرم، ويمكن أن تغير فيه حالات كثيرة، كما في حالات البداء وآثار الدعاء، والأعمال الصالحة كصلة الرحم والصدقة(١).

هذا التقسيم قد يوحي بأن الأئمة لا يعلمون النوع الأول من علم الملكوت، وأن علم الإمام مما يجري عليه البداء، ولكن ظاهر كلام كثير منهم خلاف ذلك، وأنهم يرون أن الأئمة يعلمون الغيب، وأن لهم ولاية على جميع ذرات الكون، وعندهم علم الكتاب المبين، الذي أحصي فيه كل شيء.

أما عن تعرضهم للمخاطر والمهالك ــ كحال الحسين ــ مع علمهم بها فيقول الإمامي المعاصر جلال الصغير إن الإمام: (مخير كما تشير الروايات بين أن يستخدم الأساليب التي تنحو به إلى مجال التنحي عن الضراء، وبين أن يتحمل آثارها صابراً محتسباً، طلباً لثواب الله وعطائه، وفي كل الحالات لا يكون تعرضه للضراء أمراً معيباً، طالما أن لديه علم مصالح الشريعة، وهي المصالح التي قد تتحقق بطرق التعرض للبلاء أكثر من غيره، والذي يتأمل أدنى تأمل في ثورة الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ، وما تميزت به من تعرض الحسين ـ عليه السلام ـ إلى مظلوميات مأساوية شديدة، يدرك بركات الدرس الحسيني في تحمل الضر...)(٢).

هذا الإمامي يجعل الإمام هنا مخيراً بين ما يحتمله البداء من علم الله، أي من العلم غير المبرم، مع إيجاب ذلك الخيار الذي جرى للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكان واجباً عليه ــ عندهم ــ لما ترتب عليه من مصالح ودروس يهوونها؛ مع أنه يستشهد بروايات تفيد تخيير الله للحسين بين النصر وبين الموت، وذلك: (كما في الصحيحة التي يرويها ثقة الإسلام الكليني عن العدة، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن عبد الملك بن أعين، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ قال: أنزل الله تعالى النصر على الحسين ـ عليه السلام ـ حتى كان ما بين

(١) بتصرف عن: الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم، ص٢٧٥- ٢٧٧.

(٢) الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم، ص٢٧٥- ٢٧٧.

السماء والأرض، ثم خير: النصر، أو لقاء الله، فاختار لقاء الله تعالى)[1]، وهذا الأثر يوحي ــ بنصه الصريح ـ بأن موت الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان مقابل النصر. فكان خسارة، لا نصراً،، وهذا من اضطرابهم في فهم موقف الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من وجه آخر نراه يجعل هذه المخاطر مما لا يدخله البداء، ومن العلم المبرم الذي لا يختلف، وأن الإمام يعلمه، مع أن الرواية السابقة توحي بأن التخيير لم يحصل ولم يعلم به الإمام إلا بعد نزول العلم والأمر إلى السماء الدنيا، مع قولهم بأن الإمام يعلم ما في الكتاب المبين، ويعلل تعرض الإمام للمخاطر بأنه كان من الممكن أن يخير ما بين عدة صور للموت، مع تحتم أحد تلك الصور عليه، وأنه: (عندئذ ينتخب الصورة التي تتناسب مع ما يرغب من فضائل وكرامات عند الله، وهذه إحدى الأمور التي يتمايز بها الأولياء، والله العالم)[2].

هذا من اضطرابهم ــ أيضاً ــ، بسبب غلوهم أو أخذهم بالتقية، وهم يزعمون أن تلك الصورة التي جرت للحسين هي سبب مقام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلة غلوهم فيه، وأنه مقام لم يجر لأحد قبله، وأنه كان باختياره وإرادته، وأنه أعطي المقام المزعوم تعويضاً على اختياره وإرادته، وقد ينقدح من هذا الغلو تفضيلهم للحسين على الخلق كلهم، وهذا ظاهر من واقعهم في يوم عاشوراء، ولذا لا غرابة في كونهم يعدون ذلك اليوم أعظم أيام الله، وأنه لا مانع ــ أيضاً ــ أن الحسين أفضل خلق الله، لأن هذا اليوم لم يعط مثله لجده نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والفضل بقدر العطاء، يقول جواد العاملي عن الحسين ومقامه: (الوحيد المتفرد في عالم التكوين برفع صوت الحق بتلك الكيفية العظيمة، والرزية الكبرى، حيث إن ما لاقاه من المصائب والمحن والرزايا لم يلقه نبي أو رسول أو إمام على الإطلاق،... لا يوم كيومك)[3].

يقول آخر من الإمامية: (فدعوى أن الثواب المترتب على إقامة الشعائر الحسينية من

---

(١) الكافي، ١/ ٢٦٠، والولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم، ص٢٧٦.

(٢) الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم، ص٢٧٥- ٢٧٧، وفي الباب الثالث ص٧١٨ من البحث مزيد عرض لموضوع البداء وأثره على عاشوراء.

(٣) الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء. والتطبير)،جواد العاملي، ص١٦٩- ١٧٠.

البكاء إلى إنشاد الشعر كثير جداً، لا يتناسب مع الفعل، مدفوعة بأنه من باب التفضل الإلهي، ولا حد لفضله سبحانه)[١].

ربط مقام الحسين بالتعويض الإلهي ـ القائم على العدل الإلهي ــ أمر يطول عرضه، وقد بنوه على مرويتهم الموضوعة، التي اتخذوها مدخلاً لباطلهم وزندقتهم[٢]، من ذلك أن قبر الإمام (يزوره الله مع الملائكة، ويزوره الأنبياء، ويزوره المؤمنين)[٣]، وأن: (أول من صلى على الجثمان المقدس هو الله تعالى من فوق عرشه)[٤]؛ يقول الفيض الكاشاني حول فضائل زيارة قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إن هذا ليس بكثير على من جعله الله إماماً للمؤمنين، وله خلق السماوات والأرضين، وجعله صراطه وسبيله، وعينه، ودليله، وبابه الذي يؤتى منه، وحبله المتصل بينه وبين عباده من رسل وأنبياء، وحجيج وأولياء، هذا مع أن مقابرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيها أيضاً إنفاق أموال، ورجاء آمال، وإشخاص أبدان، وهجران أوطان، وتحمل مشاق، وتجديد ميثاق، وشهود شعائر، وحضور مشاعر)[٥].

مما يروونه في هذا الباب في شأن مقام ومقتل الحسين وقاتليه، ما رواه ابن قولويه في حديث مخترع طويل، ينسبونه إلى علي بن الحسين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، ذكر فيه جبل الكمد، فيه واد من جهنم، يعذب فيه قتلة الحسين، وأعداء الأئمة، ومما جاء فيه حول الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قلت: جعلت فداك أخبرني عن الحسين ــ عليه السلام ــ لو نبش كانوا يجدون في قبره شيئاً، قال: يا ابن بكير ما أعظم مسائلك! الحسين ــ عليه السلام ــ مع أبيه وأمه وأخيه الحسن في منزل رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ، يحيون كما يحيى ويرزقون كما يرزق، فلو نبش في أيامه لوجد، وأما اليوم فهو حي عند ربه ينظر إلى معسكره، وينظر إلى العرش متى يؤمر أن يحمله، وإنه لعلى يمين العرش متعلق، يقول: يا رب أنجز لي ما وعدتني، وإنه لينظر إلى زواره، وهو

---

(١) الشعائر الحسينية المنصوصة، ص١٧٧، محمد حسين ترحيني العاملي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الهادي. بيروت.

(٢) في الباب الثالث ص٧٠٤ من البحث مزيد عرض لهذا الجانب.

(٣) بحار الأنوار، ١٠٠/ ٢٥٨، وصواب اللفظ: (المؤمنون).

(٤) حياة الإمام الحسين، ١/ ٢٢٣، باقر شريف القرشي، ط١، ١٣٩٤هـ، مطبعة الآداب – النجف.

(٥) الوافي، المجلد الثاني، ٨/ ٢٢٤.

أعرف بهم، وبأسماء آبائهم، وبدرجاتهم وبمنزلتهم عند الله من أحدكم بولده وما في رحله، وإنه ليرى من يبكيه فيستغفر له رحمة له، ويسأل أباه الاستغفار له، ويقول: لو تعلم أيها الباكي ما أعد لك لفرحت أكثر مما جزعت، فيستغفر له كل من سمع بكاءه من الملائكة في السماء وفي الحائر، وينقلب وما عليه من ذنب)[1]، وهذا الخبر على ما فيه من الغلو بما يشبه قول النصارى في صلب عيسى، ففيه إنكار على صنيعهم ونياحتهم، وأنه يدل على جهلهم بمقامات أئمتهم المذكورة، والتي توجب الفرح، لا الجزع والنوح، ومثله ترويجهم وقبولهم لكثير من الأباطيل التي جرت يوم مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى غدت من الأساطير، وكل ذلك من أثر اعتقادهم بأن الحسين من ولاية تكوينية.

يقول الإمامي المعاصر علي الكوراني: (ولا نبي، من آدم عليه السلام بعلمه للأسماء، ونوح عليه السلام صاحب مقام العبد الشكور، وإبراهيم عليه السلام صاحب رتبة خليل الله، وموسى عليه السلام صاحب مقام كليم الله، وعيسى عليه السلام صاحب منصب روح الله، كلهم يطلبون في باب الله، سائلين أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين ـ عليه السلام ـ، هذه ثمرة عمل الإمام الحسين ــ عليه السلام ــ إن عملاً هذا جذره ودافعه، وهذه طبيعته، وتلك ثمرته، واجبكم تجاهه أن تعرفوه، وتعرفوه للناس كما هو على حقيقته)![2].

ومن صور غلوهم في ولاية الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تعليقهم كثير من العبادات ــ ومنها العبادات الحسينية ــ على معرفة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معرفة حقيقية، ومثلها معرفة سائر الأئمة، وهذا ما يذكر بقول الغلاة المتقدمين، وإن كانوا يؤكدون ضرورة أن تكون معرفة عن يقين ونظر، لا عن تقليد، يقول الإمامي المعاصر علي عاشور: (معرفة آل محمد ــ عليهم السلام ــ بحقيقة المعرفة يتوقف عليها الكثير من العبادات، فحتى البكاء على آل محمد ــ عليهم السلام ــ، وإقامة المآتم، وتفسير ابتلائهم ومحنهم، ونحو ذلك، كله يختلف باختلاف الاعتقاد بحقيقة

---

(١) انظر: كامل الزيارات، ص٥٣٩، ابن قولويه، ت/ ٣٦٧هـ، ت. جواد القيومي، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة نشر الفقاهة – قم، وعنه: بحار الأنوار، ٢٥/ ٣٧٦، كما ذكره طرفاً منه المفيد في: الاختصاص، ص٣٤٣- ٣٤٤.

(٢) الحق المبين في معرفة المعصومين، ص٣٨٤، علي الكوراني، ط٢، ١٤٢٣هـ، دار الهادي – قم.

محمد وآل محمد ـ صلوات المصلين عليهم ما سبح ملك وقدس آخر ـ؛ فإذا كان شخص يبكي على الحسين ـ عليه السلام ـ لأنه ظلم وسلب حقه، ولأنه معصوم وابن الرسول الكريم، فإنه إذا عرف مكانة الحسين الحقيقية من الله تعالى، وأنه كان يعلم بتفاصيل واقعة عاشوراء، ومع ذلك أقدم، وأنه كان يستطيع أن يفني وجودهم بولايته التكوينية، أو بدعائه المستجاب، ومع ذلك صبر لعشقه الشهادة، وعشق لقاء الله وجواره، فإن البكاء يختلف، وصبر الحسين يعظم، وهذا كله متوقف على معرفة حقيقته وسعة علمه، وقدرته في التصرف بالكون، وعندها إذا تعرف العبد على سيده وعرف مكانته وبكى عليه، أو أظهر الحزن، يكون بكاؤه عن عقيدة وعلم ويقين واطمئنان، لا عن مجرد تقليد للآباء، أو مجرد عاطفة وتأثير الضمير بالبكاء على كل مظلوم)[1].

هذه هي الولاية التكوينية التي لزم منها، أو لها كثرة الإطراء، حتى وكأن الحسين والله شيء واحد، من حيث المكانة، والقرب من موضع الهيبة "العرش والكرسي" ــ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ــ، وهذا يؤكد ما سبقت الإشارة إليه، وهو أن الولاية التكوينية مرحلة من مراحل الوحدة والاتحاد والفناء، ومن ذلك الوحدة بين الرب والإمام في الإرادة والقدرة والمكان، وكل هذا إذا استحضرنا معه نفيهم للصفات، وتعطيلهم الرب باسم التوحيد؛ فإننا نعلم أنه لن يبقى في نفوسهم حرج ولا حياء إلا من جهة مخالفة ظاهر أخبار الأئمة، وقد وضع لهم أحبار المذهب مخارج لذلك، منها أن مقامات الأئمة من الصعب المستصعب، الذي لا تتحمله العقول، ولا تطيقه كثير من الأفهام.

ما سبق من الغلو في ولاية الحسين التكوينية يرد مثله في ولايته التشريعية، فكما كانت ولاية الحسين التكوينية استثناء بين الأئمة فكذلك ولايته التشريعية، وكما أن يومه ليس كسائر الأيام؛ لذا شرعوا وابتدعوا ليوم الحسين "عاشوراء" شرائع وشعائر، عظموها أيما تعظيم، حتى غدت شعار مذهبهم، ومدار ولائهم، ونسبوها إلى الحسين، وهو منها براء، وجزموا بأنها شعائر الله، بل أعظمها، تبعاً لمقام الحسين، وبموجب ولايته التشريعية فمن عرف مقامه

---

(١) الولاية التكوينية لآل محمد، علي عاشور، ص٦٧.

وولايته التكوينية وآمن بها انتفى عنه الحرج من جهة ما يقع من مخالفة الأخبار، وتحت ولاية الأئمة وحبهم فتحوا قاعدة الاستحسان، والتسامح في السنن والأخبار؛ فكما قبلوا تلك الأخبار الموضوعة من الغلاة فإنهم التزموا بلوازمها الباطلة التي كانت عند الغلاة المتقدمين، سواء شعروا بذلك، أم تشاغلوا عنه بتقريراتهم وتأويلاتهم الباطنية والفلسفية، أم جرى منهم كره لها في ظاهر الأمر، بدعوى أنها من الغلو والبدع والتصوف الذي أنكره الأئمة.

أصبح موسم عاشوراء بهذه العقيدة فرصة للتعريف بولاية الحسين خصوصاً، والأئمة عموماً، والسعي إلى نيل ما نالوا من ولاية، وذلك بالانشغال بشرح كلمات الأئمة، وبالإطراء لها بدعوى التفقه، ومن خلالها يتخذ عاشوراء موسماً لتفعيل وتفتيق المهارة التخييلية عند النبي والإمام، ليكتسبها الولي والمستبصر، لينال بعدها القوة الحسية الظاهرية والباطنية!؛ وهذا يدل على خطورة الانحراف الذي عليه المذهب، وهذا يرد من جانبين، الانحراف في أحدهما ليس بأخطر من الآخر، والجانبان هما:

الانحراف من جهة البدعة وتشريعها، وهو أمر في مقابل حفظ الشريعة والنبوة ودعوى النسخ، وهو انحراف من جهة الولاية التشريعية.

الانحراف من جهة معنى الإله، ومعنى النبوة، ومعنى الإلهية والعبادة، والتي جعلوها تدور تحت المحبة والعشق والتشبه، وهذا الانحراف فيها سبب لتطور البدع العملية، بل والقولية، والأخطر من ذلك أنها تنسف الدين نسفاً عقيدة وشريعة، وقد يكون مدار ذلك أن مفهوم العبادة أصله عقلي، فكذلك فروعها، فتلاعبت بهم أهواؤهم في هذا الباب، وإن كانوا يتظاهرون لعوامهم بعباءة الزهد والورع.

ما سبق من ولاية الحسين مثله يقال في ولاية المهدي، فيثبتون له ولاية تكوينية وولاية تشريعية، بها يتعللون ويتعبدون، ولظهوره ينتظرون، وله يعاهدون، وعليه يوالون ويعادون، وذلك لأنه حائز على الفضائل أكثر من غيره، حتى إنهم يفضلونه على الأئمة من بعد الحسين[1]، وكما أنه وارث للفضائل فهو وارث للمصائب والمظالم، وصاحب الثأر، القائم

---

(١) انظر: كنز الفوائد، ص١١٣، أبو الفتح الكراجكي، ت/ ٤٤٩هـ، ط٢، ١٣٦٩ ش، مكتبة المصطفوي – قم، =

بالحق والمجد.

على هذا الانحراف فلا غرو أن يثمر الغلو في عاشوراء الغلو في عشق الحسين والمهدي ــ صاحب الزمان ــ وحبهما، وأنهما من أول الواجبات على المكلف، بل أولها، وما دام أنه أمر مرتهن بعقولهم وأهوائهم وجدلهم فقد يصلون إلى هذه الثمرة، فالمعرفة والنظر ــــ عند عرفائهم، بل وكثير من فقهائهم ــ واجب عقلي، والعبادة واجب عقلي، وهي عبادة العشق والحب، وهم مكلفون بعبادة الأحرار، لا عبادة الأجراء والعبيد، وهذا مما يدل على خطورة هذه العقيدة، وعلى واقع المذهب من أثرها، وقد رأينا زعيم المذهب يدعي ــ بسبب نصوص المذهب وأخباره ــ أنها من ضروريات المذهب الجلية، وهذا ما سيتبين أكثر في مبحث أثر العرفان الشيعي على واقع عاشوراء، بإذن الله.

❁❁❁❁❁

=

وبحار الأنوار، ٢٥/ ٣٦٢- ٣٦٣.

البَابُ الثَّانِي

شعائر عاشوراء الإمامية الاثني عشرية :

نشأتها وتطورها ، ومظاهرها

وفيه :

تمهيـــــــد.

الفصـــل الأول: نشأة شعائر عاشوراء الإمامية وتطورها .

الفصـــل الثـــاني: مظاهر شعائر عاشوراء الإمامية .

تمهيد

يتناول هذا الباب الأعمال التي أحدثتها الشيعة ــ أسلاف الإمامية الاثني عشرية–[1]، ومن ادعى دعواهم ـ في أيام عاشوراء، التي تلت مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك ما صاحبها وانضم إليها من أعمال تتكرر كل حين بهذه المناسبة، وهي ما تعرف بالشعائر الحسينية، وسيتتبع الباب نشأة هذه الأعمال، ويعددها، ويصنفه، وسيضيف إليها ما ألحق بها وبالمذهب، من شعائر عامة أصبحت لأجلها عاشوراء شعاراً وعنواناً لها.

ستكون البداية هنا بتاريخ هذه الشعائر والأطوار التي مرت بها من بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عام ٦١هـ، وحتى القرن الخامس عشر الهجري، الذي واكب ظهور دولة جديدة، تحيي هذه الشعائر وتنشر المذهب، هي الدولة أو الثورة الخمينية الإيرانية؛ وجاء ذلك من خلال الأطوار التاريخية، فجعلت كل طور في مبحث، وجاء تقسيم الأطوار ــــ لشعائر عاشوراء المذهبية ـــ إلى أربعة أطوار[2]، مراعاة لعلاقة ذلك بتطور المذهب وتدوين كتبه،

---

(١) سبق ذكر ذلك ص٤٠، ١٣١ من البحث، كما سبق –أيضاً– أنه لم يكن يعرف مصطلح الإمامية الاثني عشرية قبل زمن الغيبة الكبرى، وأن من أشهر أسمائها حينذاك: القطعية.

(٢) الشيعي المعاصر حسن الشيرازي قسم هذه الأطوار إلى خمسة، وجعلها أدواراً، وهي كما يلي:

١- دور الأئمة.

٢- دور بني العباس.

٣- دور البويهيين والديالمة والفاطميين.

٤- دور الصفويين.

٥- دور الفقهاء المتأخرين.

وأنبه هنا إلى أن الشيرازي أشرك بني العباس في دور الأئمة، مع أن الأئمة لم ينته دورهم إلا بالغيبة عام ٢٦٠هـ، فلعله يقصد الأئمة زمن بني أمية (السجاد، الباقر، الصادق)، وكلا الدورين: الأول والثاني فترة تقية ومظلومية في نظره، بخلاف الدور الثالث: البويهيين والديالمة والفاطميين، مع أن هؤلاء لا يحسبون على الإمامية الاثني عشرية، والتي مثلها الدور الرابع: دور الصفويين الذي برز عهدهم كمؤثر مهم على التشيع.

أماالدور الخامس: دور الفقهاء، والشيرازي هنا لم يربطه بمسمى دولة معينة، كالقاجارية الملكية، ولا الثورة الخمينية التي تبنت نظرية ولاية الفقيه، ولعل السر في ذلك أن الشيرازي من ضمن المدرسة الشيرازية التي تتبنى نظرية شورى الفقهاء، بدلاً من ولاية الفقيه، ولهذا الجانب، ولضعف دور الدول التي بعد الصفوية رأى =

ووجود الدولة الإمامية التي تدعمه، حيث يغلب على طورها الأول ــ ما قبل الغيبة ــ عناية مؤلفي الشيعة بتدوين التاريخ والمقاتل، بل وصل الأمر إلى أن أصبح عدد من مؤرخيهم وإخبارييهم في تلك الفترة مرجعاً لبعض أهل السنة، حيث نقلوا عنهم في كتب التاريخ، مع مخالفتهم لهم في المذهب؛ مما يشير إلى تركيز ظاهر لدى الشيعة على جانب المقاتل والأخبار في تلك الفترة[1]، والأطوار الأربعة هي كما يلي:

١- ما قبل عصر الغيبة.

٢- عصر الغيبة حتى قيام الدولة الصفوية.

٣- فترة الدولة الصفوية.

٤- ما بعد الدولة الصفوية.

سيشمل الحديث ــ أيضاً ــ الدول التي واكبت نشأة تلك الشعائر، وأثرها في تطورها، وذلك من خلال مطلبين في كل مبحث، كما يلي:

١- الأطوار التي مرت بها شعائر عاشوراء.

٢- الظروف التي واكبت نشأتها وتطورها.

بيان الأعمال والمظاهر في يوم عاشوراء وموسمه بشكل عام هو روح البحث وعنوانه، فهي معالم مهمة لمعرفة المذهب في جانبه العملي والواقعي، لعلاقة ذلك بالجانب العلمي والنظري، وتطور هذه البدع العاشوروية من مظاهر لها علاقة بالنياحة، أو مظاهر أخرى هي من جنس النسك والعبادة والتوسل، وهما يمثلان حدود تلك البدعة كجانب عبادي مضاهي للشرع، وثم مظاهر أخرى لشعائر عاشوراء، هي من جنس الفرح والاحتفال والعيد، وهذه المظاهر بهذا الترتيب تتواكب مع تقلبات المذهب، حتى الحاله الذي هو عليها اليوم، وقد

=

أن يعبر عن هذه الفترة من خلال نظرية شورى الفقهاء، وكأن دور الفقهاء لم يبدأ إلا بعد الدولة الصفوية، ولعل الفقهاء المعتبرين هم فقهاء قم والنجف، انظر: الشعائر الحسينية، ص٩٨-٩٩، حسن الشيرازي، ط١٤١٩هـ، دار الصادق. بيروت.

(١) أصبحت كتب المقاتل من أبرز آثار عاشوراء، انظر ص٨٧٦ من البحث.

أبقيت على تواصل التسلسل الرقمي للمظاهر والأعمال خلال الحديث عنها في فترة النشأة، مما أبرز في نهايتها ما يزيد على المائة مظهر، مرتبة على تسلسلها الزمني بشكل تقريبي، وهذا يوضح مدى تراكم هذه البدعة وتفتقها، وهكذا البدعة تجر أختها.

مظاهر وشعائر الاحتفال والعيد الخاص بالمذهب والطائفة لاقت عناية غريبة في الفترة المعاصرة، حتى جعلت شعاراً للمذهب، وأثرت على مسمياته، وقد رسخت هذه المظاهر وجددت عزلة الطائفة عن جمهور المسلمين، لما تثيره هذا المواسم من زيادة التوتر والأحقاد، هذا مع عدم ظهور معنى التعبد والابتداع فيها عندهم، لأن مذهبهم في التقية والحزن يمنع من الفرح والسرور في مثل هذا اليوم، إضافة إلى بروزها باعتبارها خصوصية للطائفة والمذهب، وقد يكون ذلك سبباً في الانصراف عن رصدها من قبل أهل السنة؛ لكن جانب الأعياد بذاته له علاقة بالدين والتشريع والابتداع في مذهب أهل السنة، وفي مفهوم علم الأديان والفرق عموماً، فكيف إذا كانت هذه الخصوصية تتعلق بالمعلم الفارق بين الإمامية وبين المسلمين، وهو تعظيم قضية الإمامة وإحياء أمرها، بل هي تنتسب إليها، فاسمها التي ترضاه هو الإمامية، حتى أصبحت تفضلها على الاسم المرتبط بعدد الأئمة الاثنا عشرية، أو بما يطلقه عليها أهل السنة: الرافضة، مع إظهارهم حبهم لمفهوم هذا الاسم ـ آخراً ـ، حيث يفسرونه برفض الباطل والظلم، والثورة عليهما؛ كل ذلك يجرنا إلى تتبع معنى مهم وخطير يرافق أطوار هذه المظاهر والأعمال، حتى أصبح هو روحها التي تقوم عليه؛ ألا وهو مفهوم العبادة والتعبد، والذي سيرافق البحث في بابه الثالث، بإذن الله.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

نشأة شعائر عاشوراء الإمامية وتطورها

وفيه:

المبحـــث الأول: ما قبل عصر الغيبة.

المبحـــث الثـــاني: عصر الغيبة حتى قيام الدولة الصفوية.

المبحـــث الثالـــث: فترة الدولة الصفوية.

المبحـــث الرابـــع: ما بعد الدولة الصفوية.

المبحث الأول

ما قبل عصر الغيبة (٦١ـ ٢٦٠هـ)

وفيه:

المطلب الأول: المظاهر وتطورها.

المطلب الثاني: الظروف التي واكبت هذا الطور.

المطلب الأول

المظاهر وتطورهـــا

يبدأ هذا الطور من إمامة زين العابدين علي بن الحسين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، الإمام الرابع ـ عند الإمامية ـــ، أي بعد مقتل أبيه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عام٦١هـ، إلى وفاة الإمام الحادي عشر ـــ عندهم ـ، الحسن بن علي العسكري ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عام٢٦٠هـ، ولم تشر كتب التاريخ في هذه الفترة إلى إقامة علنية رسمية للشعائر الحسينية في عاشوراء على أنها شعائر دينية، وإنما أشارت إلى عدد من الوقائع والأحداث التي وقعت من الشيعة المنتسبين إلى آل البيت، والمعتبر منها ما كان صادراً من الأئمة ـ عندهم ـ، ولذلك نرى أن الإمامية هم من ادعت ونسبت إليهم إقامة المآتم ومجالس العزاء.

بعض كتاب الإمامية المعاصرين يحكي ويدعي الإجماع ـ أو ما يشبه الإجماع ـ على وقوع المآتم زمن الأئمة، وإقامتهم لها، وجلوسهم للتعزية[1]، ويروج لهذه الدعوى، بل ويوجب صدورها منهم، وأن الأئمة لم يكن خيار لهم في إقامتها أصلاً، لأنه أمر من الله، ولأنه من ضروريات المذهب، كما يوحي إليه واقع الإمامية !.

هذا المنطق يقابله منطق آخر لبعض مراجع الشيعة المعاصرين، فهذا مرجعهم وآيتهم العظمى جواد التبريزي يشير إلى أن الأئمة لم يقيموا المأتم، ولكن يجزم بأن السبب في عدم

---

(١) انظر: تراجيديا كربلاء (سوسيولوجيا الخطاب الشيعي - دراسات حول كربلاء)، ص٧٠٩، د. إبراهيم الحيدري، ط١، ١٩٩٩م، دار الساقي – بيروت، ومجلة جنة الحسين، عدد٢، محرم١٤٣٢هـ، مقال (متى نشأت المجالس والمآتم)، مجلة إلكترونية تابعة لشبكة جنة الحسين الحسينية التخصصية:، على الرابط التالي:
http://site.jannatalhusain.net/?page=categories&id=87
وانظر: موقع هيئة علماء بيروت (شيعية)، مقال (متى نشأت المجالس والمآتم)، ص٢٠، محمد زيدان، على الرابط التالي:
http://www.allikaa.net/subject.php?id=264،
وهو في الأصل في موقع: إسلام أون لاين، عاشوراء، مقال للكاتب نفسه، تحت عنوان: (الشعائر الحسينية.. النشأة والتطور)، محمد زيدان، ١٧/٢/٢٠٠٥م.

إقامة الأئمة لمظاهر المـأتم والنياحة كان بسبب عملهم بالتقية، وفقدهم للحرية، ولو وجدوا حرية في ذلك الزمن لأقاموها كما هي عليه اليوم وأكثر(١).

هذا الإجماع المزعوم ،والمتأخر في النقل؛ لا شك أنه قد يبهر القارئ، ويظن أن لهذه البدع أصلاً، أو شبهة أصل، وقد سبق أنهم إذا استحسنوا شيئاً نسبوه إلى الأئمة، وقطعوا بصدوره منهم(٢)، والحقيقة أن دعوى الإجماع على جلوس الأئمة للمأتم والعزاء دعوى باطلة كاذبة، ولأهمية بيان بطلانها وفسادها فإني أبسط الحديث حولها، مشيراً إلى ما يلي:

١- أن الإجماع يقوم على تواتر نقل لحالة نوح وجلوس للعزاء، أو لعدة حالات، والحكم بالتواتر لا يحكم به إلا بفرض صحة أو قبول كل رواية على حدة، وهذا دونه خرط القتاد، ولم يثبت المدعي حالة ورواية واحدة صحيحة، فكيف يصل به الحال إلى دعوى الإجماع.

٢- أن الإجماع ليس حجة وموضع إشكال عند أكثر الإمامية(٣)، لعدم ثبوته أو فائدته من غير معرفة رأي الإمام الذي لا ينقطع وجوده عندهم، فالإجماع إن كان في زمن الأئمة فلا عبرة به، لوجود المعصوم، ولا يقدم على قول المعصوم قول أي أحد، فبقي الأمر متوقفاً على نقل قولهم، وهو محل الإشكال، فإذا لم يصح نقل عن أحدهم، فكيف بإجماعهم؛ وإن كان محل الإجماع في زمن الغيبة، فيكون كاشفاً عن قول الإمام، وناقلاً لقول إمام مستتر، وهذا كما أنه كذب فإنه لم يدع من قبل، ولا يتجه إلا أن يكون مهديهم لم يصرح بقوله بعد الغيبة إلا في القرون المتأخرة، وكتمه عن السابقين، وهذا يخالف العصمة واللطف الإماميين، كما أنه يوحي ببقاء عهد السفارة والبابية، وهو منكر عندهم، وعلى حد الشرك بالله، فتبين أن ادعاء إجماع متأخر في شعار المذهب (الجلوس للتعزية) أنه ادعاء باطل.

٣- أن دعوى الإجماع منقوضة بالأحاديث والأخبار والآثار،التي تتضمن النهي

---

(١) من كلام جواد التبريزي، ملحق بكتاب: صراط النجاة، أبو القاسم الخوئي، ت/١٤١١هـ، ٢/ ٥٦٢، ط ١٤١٧هـ، دفتر نشر بركزيده. إيران، و انظر: الشعائر الحسينية، حسن الشيرازي، ص١٠٠.

(٢) راجع ص٦٢، ٦٩ من البحث.

(٣) سبقت الإشارة إلى مسألة الإجماع كأحد مسائل الخلاف بين الإخباريين والأصوليين، وذلك ص٧٤ من البحث.

والتحريم والتغليظ في أمر النياحة، وهي منقولة عن آل البيت، بالاتفاق بين السنة والشيعة، ولا يتأتى حينئذ دعوى الإجماع السابق إلا على مذهبهم في التقية، ولكنه معارض بمخالفة رموز المذهب السابقين لهذا الإجماع، وكيف يصح مع مخالفتهم دعوى الإجماع، هذا على التنزل بأن الإجماع يقصد به إجماع علماء المذهب وفقهائه.

٤ - أن هذا الإجماع منقوض بإجماع واستفاضة آخرين، مخالفين له، كما نبه عليه بعض رموز المذهب وشيوخه المشهورون، من الأصوليين والإخباريين، وما ذكروه يناقض ويرد أي قول شاذ، فكيف بدعوى الإجماع، ومن رموز المذهب الذين نصوا على ما يخالف الإجماع المزعوم من يلي:

أ) شيخ الطائفة الطوسي (ت/ ٤٦٠هـ) من الأصوليين[١]، وهو في القرن الخامس يحكي الإجماع على كراهية نوع من النياحة، وهو الجلوس للتعزية ـ كما هو حالهم في أول شهر محرم ـ، في المبسوط قال: (ويكره الجلوس للتعزية يومين و ثلاثة إجماعاً)[٢]، ولا يمكن أن يغيب عن شيخ الطائفة عمل الأئمة لو كان ثابتاً؛ أما النوح واللطم والشق وجز الشعر فهي محرمة باعتراف شيخ الطائفة، بل حكى الإجماع على تحريم النوح، بل نص الطوسي شيخ الطائفة على أن الأصل ألا يتميز أهل المصيبة بلباس، أو حال معينة، ليعرفوا[٣]، فكيف ينسب هذا إلى

---

(١) محمد بن الحسن بن علي الطوسي، أبو جعفر، (٣٨٥- ٤٦٠هـ)، يلقب بـ(شيخ الطائفة)، ومرجعيته عندهم أمر مشتهر، من شيوخه: المفيد، والغضائري، والمرتضى. وصنف مصنفات كثيرة اشتغلت بها الإمامية، منها: التهذيب، والاستبصار - في الأخبار، والفهرست في الرجال، ومن أول من انتقده من الإمامية ابن إدريس الحلي، ووصف بكثرة الاختلاف في أقواله، كما ذكره البحراني في اللؤلؤة، انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ١٥٩- ١٦٧.

(٢) المبسوط (في فقه الإمامية)، ١ / ١٨٩، الطوسي، ت /٤٦٠هـ، ت. محمد تقي الكشفي، ١٣٨٧هـ، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفري .طهران، وانظر: المعتبر (في شرح المختصر)، ١/ ٣٤٤، جعفر بن الحسن الحلي "المحقق"، ت / ٦٧٦هـ،، ت. ناصر مكارم الشيرازي، ط ١٣٦٤ش، مؤسسة سيد الشهداء.قم.

(٣) انظر: المبسوط في فقه الإمامية، ١/ ١٨٩، ونقله عنه محمد بن مكي العاملي، الملقب بالشهيد الأول، حيث قال: (والشيخ في المبسوط و ابن حمزة حرما النوح وادعى الشيخ الإجماع)، انظر: ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، ص٧٢، محمد بن مكي العاملي، الشهيد الأول، ت / ٧٨٦هـ، ط١، ١٤١٩هـ، مؤسسة آل البيت . قم، وبحار الأنوار، ٨٢ / ١٠٧.

الأئمة ما يراه شيوخ المذهب محرماً وغير مشروعاً.

ب) المحقق الحلي (ت/ ٦٧٦هـ)[١] من أعيان الإمامية الأصولية ومرجعها في القرن السابع يبين عدم إقامة الأئمة للمآتم، أو الجلوس للتعزية، وهذا مما يدل على كذب ما يروى عنهم، يقول الحلي تعليقاً على كلام الطوسي السابق بعد أن حكاه: (وأنكر هذا القول بعض المتأخرين[٢]، واستدل بأنه اجتماع وتزاور فيكون مستحباً، والجواب أن الاجتماع والتزاور من حيث هو مستحب، أما إذا جعل لهذا الوجه، واعتقد شرعيته، فإنه يفتقر إلى الدلالة.

والشيخ[٣] استدل بالإجماع على الكراهية إذ لم ينقل من أحد من الصحابة والأئمة الجلوس لذلك، فاتخاذه مخالفة لسنة السلف، لكن لا يبلغ أن يكون حراماً)[٤].

كما علق الحلي على ما ذكره الطوسي من حرمة النوح واللطم والشق ونحوها، فقال: (الذي يقتضيه أصول مذهبنا، أنه لا يجوز اعتقاد ذلك وفعله، لأن ذلك حكم شرعي يحتاج إلى دليل شرعي)[٥].

ت) المجلسي-(ت/ ١١١١هـ)، ويلقبونه بالعلامة[٦]، وهو من أشهر أعلام الإمامية

---

(١) نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن، (المحقق الحلي)، ٦٧٦هـ، من شيوخه: والده، وابن نما الحلي، كما أن جده لأمه ابن إدريس، صاحب السرائر، والمحقق شيخ ابن مطهر، وخاله، ومن كتبه: شرائع الإسلام، ومختصره النافع، وشرحه المعتبر، من تلاميذه نصير الدين الطوسي، وابن طاووس، وابن العلقمي، انظر مقدمة المعتبر، ١/ ٧.١٢.

(٢) هو ابن إدريس الحلي، انظر: بحار الأنوار، ٧٩، ٧٢.

(٣) يعني شيخ الطائفة الطوسي.

(٤) المعتبر، ١/ ٣٤٤، وفيه (كراهية) بدون أل، ولا يستقيم الكلام.

(٥) المعتبر، ١/ ٣٤٢، والمحقق الحلي جوز المخالفة للقريب، بناء على أصل الإباحة.

(٦) محمد بن باقر بن محمد تقي بن مقصود علي المجلسي، (١٠٣٧- ١١١١هـ)، (العلامة) من رموز الإخبارية، ويقال أن المجلسي لقب لجده، ويميز المترجم عن أبيه بالمجلسي الثاني، ويدعي هو أن نسبه يتصل بأبي نعيم صاحب حلية الأولياء، تتلمذ على والده، وعلى: الفيض الكاشاني، والمازندراني، وتولى شيخ الإسلام في الدولة الصفوية، وتتلمذ عليه: نعمة الله الجزائري، والميرزا عبد الله الأفندي، والذي خدم كتابه البحار، وأجاز طائفة جمعوا في كتاب: إجازات الحديث، ضمن ترجمته: الفيض القدسي، للطبرسي، ومن كتبه: بحار الأنوار، وهو أشهرها، ومرآة العقول، شرح للكافي، والاعتقادات، انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ١٨٣- ١٨٤، =

المتأخرين، وهو من الإخباريين، والمجلسي. بعد أن ذكر قول الطوسي قال: (ونصره المحقق بأنه لم ينقل عن أحد من الصحابة والأئمة الجلوس لذلك،... قلت: الأخبار المذكورة مشعرة به، وشهادة الأثبات مقدمة إلا أن يقال: لا يلزم من عمل المأتم الجلوس للتعزية، بل هو مقصور على الاهتمام بأمور أهل الميت، لاشتغالهم بحزنهم، لكن اللغة والعرف يشهدان بخلافه، قال الجوهري: المأتم النساء يجتمعن، قال: وعند العامة المصيبة، وقال غيره: المأتم المناحة، وهما مشعران بالاجتماع انتهى)[1].

جزم الطوسي والحلي بالكراهية، وموافقة المجلسي. وتأكيده على دلالة الأخبار والمرويات على عدم المشروعية، كل ذلك لا يمكن تصوره مع وجود نقل عن الأئمة بجوازه وإباحته، فكيف بمشروعيته واستحبابه، فكيف بدعوى الإجماع، وقولهم جزم بالكراهة، دون التحريم، وهو يؤكد علمهم بالنصوص الصريحة بالتحريم في مثل النوح والجزع، واللطم ونحوها من أعمال الجاهلية، وحرمتها أصرح من تحريم الجلوس للتعزية والمأتم، فقد نقل الوعيد فيها والتغليظ عن آل البيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

٥- الحال الذي استقر عليه، وأقر به بقية الشيعة ــ من غير الإمامية ــ؛ فلم يعرف عن الشيعة المنتسبين إلى آل البيت، وخاصة الحسينين ــــ نسبة النياحة والجزع وتجويزهما إلى آل البيت، فكيف بدعوى الإجماع، ومن ذلك ما ينقله قاضي الدولة العبيدية الإسماعيلية ــ وله إجلال واعتبار عند الإمامية، بل عده طائفة منهم من الإمامية[2] ــــ، فالقاضي العبيدي

=

وبحار الأنوار، ١٠٢/ ٢- ١٦٥.

(١) بحار الأنوار، ٧٩، ٧٢.

(٢) انظر: أمل الآمل، ٢/ ٣٣٥، وأعيان الشيعة، ١٠/ ٢٢٣، ولعل ذلك اعتماداً على ما ذكر ابن خلكان من أنه انتقل إلى مذهب الإمامية، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٥/ ٤١٥، ابن خلكان، ت/ ٦٨١هـ، ت. إحسان عباس، دار صادر – بيروت، والفوائد الرجالية، بحر العلوم، ٤/ ١٤، وذكر أنه لم يرو فيه عمن بعد الصادق، خوفاً من الإسماعيلية، وهناك من نفى كونه إمامياً، انظر: نقد الرجال، ٥/١٧، التفرشي، ت/ ق ١١هـ، ١٤١٨هـ، مؤسسة آل البيت – قم، ومعجم رجال الحديث، الخوئي، ٢٠/ ١٨٤- ١٨٦، ورجح الخوئي بأن دعائم الإسلام ليس على فقه الإمامية، وأنه غير معتبر، لأن مروياته مرسلة، وذكر أن شيخه حسين
=

أبو حنيفة النعمان الشيعي[1] ـ في القرن الرابع ـ، وفي كتابه دعائم الإسلام يروي أخباراً عدة، توحي بأن النياحة لم تكن مشتهرة بين الشيعة، ومما أورده هذا القاضي العبيدي ما يلي:

أ) عن جعفر الصادق ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ أنه قال: (نيح على الحسين بن علي سنة كاملة كل يوم وليلة، وثلاث سنين من اليوم الذي أصيب فيه)[2]، ويفهم منه أن النياحة استمرت أربع سنين فقط، أي حتى قيام جيش التوابين وحركة المختار ٦٤هـ، وقتلهم لقتلة الحسين، مما يعني أنه أخذ بثأر الحسين، وبعد ذلك لم تقم نياحة على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وهذا على التسليم بصحته فلم يكن من جهة آل البيت، بل من جهة شيعتهم.

ب) أن آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم ينوحوا، ومنهم من آثر الصبر على من قبله، بل منهم من نص على حرمة النياحة، ومنهم من أوصى بعدم النوح عليه، كجعفر بن محمد ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ: فعندما احتضر أوصى ـــ (تواضعاً لربه، واستكانةً إليه) ـــ، فقال: (لا يلطمن علي خد، ولا يشقن علي جيب، فما من امرأة تشق جيبها إلا صدع لها في جهنم صدع، كلما زادت زيدت)[3]، وذكر أن من الأئمة من نيح عليه، ولكن ذلك لا يعني إقرارهم عليه، ولا بأمر منهم، بل المنقول عنهم النهي عن النياحة، لأنها من عمل الجاهلية[4].

ت) أمر آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالصبر وعدم الجزع، وذلك لمكانة الصبر من الإيمان، ولضرر الجزع، وكما قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إياك والجزع، فإنه يقطع الامل، ويضعف العمل،

=

النوري الطبرسي ممن يتحمس لإماميته.

(١) أبو حنيفة النعمان بن محمد المغربي، ت/٣٦٣هـ، يعرف عند السنة بأبي حنيفة الشيعي، وكان مالكياً ثم تشيع، وصفه الذهبي بالعلامة المارق، وداعي الدعاة، ولي قضاء طرابلس، والمنصورية، ثم عين قاضي القضاة، وبه يعرف عند الإسماعيلية المستعلية، ومن كتبه دعائم الإسلام، واختلاف أصول المذاهب، ومن الاثني عشرية من يعده منهم، انظر:، وانظر: أعيان الشيعة، ١٠/ ٢٢٣-٢٢٤، ١/ ١٤٤، ٨/ ٣١- ٣٢، وسير أعلام النبلاء، ١٦/ ١٥٠، ومقدمة: دعائم الإسلام، ١/ ٢٢٣ـ٢٢٧، ٣٨ـ٤٠، ت. آصف بن علي أصغر فيضي، ط ١٣٨٣هـ، دار المعارف – القاهرة.

(٢) انظر: دعائم الإسلام، ١/ ٢٢٧، وعنه: بحار الأنوار، ٧٩/ ١٠٢، ومستدرك الوسائل، ٢/٣٨٧.

(٣) دعائم الإسلام، ١/ ٢٢٦ـ٢٢٧.

(٤) انظر: دعائم الإسلام، ١/ ٢٢٢ـ٢٢٧، ٣٨ـ٤٠.

ويورث الهم، واعلم أن المخرج في أمرين: ما كانت فيه حيلة فالاحتيال، وما لم تكن فيه حيلة فالاصطبار)، وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (منزلة الصبر من الايمان كمنزلة الرأس من الجسد)[1].

ما ذكره القاضي أبو حنيفة الشيعي يقوي ما ذكره الطوسي والحلي والمجلسي، ويبين بطلان ما ينسب إلى الأئمة من جلوسهم ونوحهم، فكيف بدعوى الإجماع المزعوم، ولعل أشهر من آثر في عاشوراء الصبر من آل البيت ـ صلوات الله وبركاته عليهم ـ علي بن الحسين زين العابدين ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ـ، ولا شك أنه قدوة لمن بعده من ذريته، وحجة على من عرف مقامه وورعه، فهذا حفيده جعفر الصادق ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ـ يروى عنه أنه جدد عهد آبائه ووصاياهم، محذراً من أعمال الجاهلية، ومخوفاً من وعيدها الشديد، كل ذلك يدل على بعدهم عن فتح أبواب تلك البدع والمنكرات، واجتهادهم في محاربة ودفع كل ما يحييها.

٦- كيف تصح دعوى الإجماع على المأتم والجلوس في شأن عاشوراء، وقد ثبت أمر الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأهله بالصبر، ونهاهم عن النوح[2]، وهذا يضعف ويبطل كل نقل بخلافه، فكيف بدعوى الإجماع، وبالأخص ما ينقل عن علي بن الحسين ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ـ، الذي يجزم بأنه آثر الصبر، واحتسب أجره عند الله، وله في العفو والصبر سنة من أهله، فجده رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجده علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعمه الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ووصية أبيه الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكلهم مدرسة وأسوة له في هذا الباب، وهذا يدعمه ما نقل عن آل البيت من الإجماع على عدم النياحة؛ وهنا يجوز لنا أن نقلب هذه الدعوى، ونقرر: (الإجماع الضمني لآل البيت على تحريم النياحة، وتحريم الجلوس للمآتم، لا في عاشوراء، ولا في غيرها)؛ وهو وإن كان إجماعاً سكوتياً إلا أنه يدعمه ما روي عنهم من المرويات الكثيرة، حول حرمة النوح والجزع ونحوهما من أعمال الجاهلية.

وبعد: فبهذه النقاط الست فإن دعوى الإجماع المذكورة دعوى باطلة مردودة، لا ينهض أفراد مستنداتها أصلاً لإثبات حالة واحدة عن آل البيت في النياحة، فكيف بإجماعهم على عمل

---

(١) دعائم الإسلام، ١/ ٢٢٣.

(٢) للتوسع في هذا الجانب ينظر ص٤٦٢ من البحث.

من أعمال الجاهلية، فهو من أعظم البهتان والإفك، برأ الله آل نبيه من دنس هؤلاء وإفكهم؛ بل لو قلب الإجماع لكان أقرب إلى الحق، فالصحيح المروي عنهم هو أشبه بإجماع منهم ــ ولو سكوتياً ــ على حرمة هذه الأعمال التي تنسب إليهم.

الإمامية نسبت إلى علي بن الحسين ــ رضي الله عنهما ــ كثيراً من الباطل، وهو براء منه، فقد تواتر عنه انقطاعه للعبادة واعتزاله الناس، ولا يصح ما نسبته الإمامية إليه من بدعهم، ومن ذلك إحياء العزاء والمأتم الحسيني، وقوله: إنه من أعظم شعائر الدين، ومن ذلك ــ أيضاً ــ أن علي بن الحسين يبكي كلما شرب الماء، وهذا أحد الباحثين الشيعة يبالغ ويجزم بصحة هذا الخبر، مستدلاً به على مشروعية الشعائر الحسينية، فيقول: (فكان يبكي كلما أراد شرب الماء، وكان بكاؤه على مرأى من الناس ومسمعهم، حتى طلبوا منه الكف عن البكاء خوفاً على صحته، لكنه رأى من الصواب والمنطق، بل من الضرورة البكاء على شهداء كربلاء؛ لعمق المصاب ولما لهم من شأن...)[1]، والغريب في الأمر أن المؤلف لم يشغل نفسه بتعداد مصادر الخبر، كعادته في بقية الأمثلة، واستعاض عن ذلك بمنطق العقل والضرورة التي يراها، وألزم بهما إمامه، ولعل هذا المنطق هو مستند ما ينسبونه إلى الأئمة في موضوع الشعائر وغيرها.

هذا المنطق يقابله منطق آخر للمرجع المعاصر التبريزي ــ كما سبق ــ يشير إلى أن الأئمة لم يقيموا المأتم، ولكن يجزم بأن تركهم لإقامتها كان خوفاً تقية، ولو انتفت لأقاموها كما هي اليوم وأكثر[2]، وهذان المنطقان مؤداهما واحد، هو القول بوجوب هذه الشعائر، وأن مصدر الوجوب هم الأئمة، من جهة إقرارهم أو فعلهم، عقلاً وضرورة!، أو القول بأنه من إقرار عقول أتباعهم له، وسيرتهم (والسيرة نوع من الإجماع عندهم)، وهذان القولان واردان على قواعد التيار العقلاني الأصولي، الذي قد يبحث عن مستند من غير الرواية والخبر للاستدلال

---

(١) جدل ومواقف: ص٢٤، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري)، د. محمد صالح الجويني، ط١، ١٤٣٠هـ، دار الهادي ـ بيروت، والكتاب ضمن سلسلة كتاب: نصوص معاصرة، ويشتمل عدة بحوث ومقالات، وهي منشورة على موقع: (مجلة نصوص معاصرة).

(٢) سبق قريباً ص٣٣٩ من البحث.

على الشعائر، حيث إن القدح في الأخبار الواردة عن الأئمة محتمل، وهو تيار في مقابل التيار الإخباري الذي لا يرى الدخول في مثل هذه الاحتمالات العقلية، بل يحرمها في مقابل الأخبار التي يرويها الشيعة عن الأئمة، فكل ما روته الشيعة عن الأئمة فهو صحيح جزماً، وخاصة في كتب الرواية الأربعة المشهورة.

من ذلك ـ أيضاً ـ ما يروونه عن جعفر الصادق ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال للفضيل: (بلغني أن قوماً يأتون قبر جدي الحسين (ع) من نواحي الكوفة وناساً من غيرهم... فقلت: نعم جعلت فداك...، فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم يهددونهم ويقبحون ما يصنعون)[١].

هذه الرواية عن الصادق منتشرة في كتب الشعائر الحسينية، يقول الكاتب محمد زيدان في مقال له، موضحاً ومعلقاً على مكانة هذه الرواية: (لقد عدّ بعض الباحثين والمتخصصين في المنبر الحسيني قول الإمام الصادق بدايات نشوء المأتم، وبروز دور البعض في إدارة ما يشبه مجالس العزاء الحالية، من حيث الشكل والاشتراك)[٢]، وكأن هذه الرواية إن صح كونها في عصر الصادق فإنها تدل على وجود بعض الأفعال في عصره، وقد تولى الكذابون ترويج هذه الأعمال باسمه، وأن الرثاء والمدح كان محصوراً حول قبر الحسين، ولم يكن له مجالس خاصة، لإقامة المآتم، كما ادعى البعض الإجماع عليه.

في الأسطر القادمة أشير إلى ما نسبوه من الروايات إلى الأئمة بالتدرج، وذلك من خلال تقارير المعاصرين من الشيعة الإمامية في دراساتهم لتاريخ المأتم الحسيني[٣]، وذلك كما يلي:

السجاد:

نسبت الإمامية إلى السجاد ـ رضي الله عنهما ـ عدة أعمال، أنه فعلها أو أقرها، وأذكرها مرقمة،

---

(١) كامل الزيارات، ص٥٣٩، ووسائل الشيعة، ١٤/ ٥٩٩، وبحار الأنوار، ٩٨/ ٧٤.

(٢) موقع هيئة علماء بيروت (شيعية)، مقال (متى نشأت المجالس والمآتم)، ص٢٠، محمد زيدان.

(٣) اعتمدت هنا العرض الذي ذكره الشيعي محمد صالح الجويني في بحثه: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري)، وهو ضمن كتاب جدل ومواقف، ص١٧.٥٦.

ومتسلسلة مع ما بعدها في هذا المطلب، وهي كما يلي:

١- البكاء، وهو جوهر الشعائر وروحها، وقد يعد جوهر أدلتهم النقلية، فيرون أنه أول من سن البكاء، وكان بكاء دائماً، وسيأتي التنويه على بطلان هذا الادعاء، وبطلان استدلالهم به في الفصل القادم بإذن الله.

٢- إقراره للنياحة الصادرة من أهل بيته.

٣- التبرك بالتربة الحسينية، فيزعمون أنه أول من اتخذها[1].

الباقر:

نسبت الإمامية إلى الباقر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أنه فعل عدداً الأمور، منها الأمور التالية:

٤- إقامة المآتم في البيوت، واتخاذ يوم عاشوراء يوم عزاء.

٥- نشر آداب مآتم البيوت.

٦- ذكر فضل البكاء وأجره.

٧- حث الشعراء على رثاء الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الصادق:

نسبت الإمامية إلى الصادق ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أنه شجع الآفاقيين على القدوم للزيارة والعزاء، ووسع الشعائر، وبَيَّنَ أُسَسَ المأتم، واعتمد إطاره العام، مع ما سبق، والصادق أكثر من ابتلي بكثرة الكذب عليه من قبل الشيعة في مثل هذه الأبواب، ومما نسبوه إليه التالي:

٨- إقامة المآتم في أوقات مختلفة.

٩- دعوة النعاة إلى البيوت[2].

١٠- ترديد النعي بصوت حزين.

١١- الدعوة إلى زيارة قبر الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في يوم عاشوراء.

١٢- تشجيع الآفاقيين على زيارة قبر الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

---

(١) انظر حول مظهر البكاء ص٤٨١، وحول التربة الحسينية ص٦٣٨ من البحث.

(٢) لا يحضر إلى البيوت إلا النائح، لا الناعي، وانظر ص٤٩٥ من البحث.

١٣- البكاء والنوح عند قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٤- الامتناع عن الملذات والطعام والشراب حتى الغروب.

١٥- لبس زي الحداد، وهو السواد.

١٦- الحث على إقامة المأتم الفردي.

الكاظم:

نسبت الإمامية إلى الكاظم ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أنه سن بعض الأمور، كما أنه وسع الشعائر، وحث على الاستعداد المبكر لها، ومما نسبوه إليه التالي:

١٧- توسيع مدة العزاء والحداد، لتبدأ من اليوم الأول من شهر محرم.

١٨- الحث على إقامة المأتم مع سجن الإمام[١]، وقيام الوكلاء بدوره.

١٩- تعزية الشيعة بعضهم لبعض، واستقبال العزاء نيابة عن الكاظم حين سجن، وظهور دور الوكلاء[٢].

الرضا:

نسبت الإمامية إلى الرضا ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أنه سن أموراً جديدة، ووسع الشعائر أكثر من ذي قبل، ومما نسبوه إليه التالي:

٢٠- إقراراه لقصيدة دعبل الخزاعي[٣] في رثاء الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك في مجلس الخليفة العباسي، وحضوره.

---

(١) الكاظم: موسى بن جعفر. رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. سجن زمن الرشيد، حتى وفاته: ١٧٩. ١٨٣هـ.

(٢) انظر: جدل ومواقف، ص٢٩. ٣٢، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري).

(٣) دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، عاش ما بين ١٤٨ – ٢٤٦هـ، شاعر هجاء، أصله من الكوفة، وأقام ببغداد، ودخل دمشق ومصر، له ديوان شعر، وصنف كتاباً في (طبقات الشعراء)، قال ابن خلكان: (كان بذيء اللسان مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس، وهجا الخلفاء- الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق- فمن دونهم)، وانظر: أعيان الشيعة، للعاملي، ٣٠/ ٢٦٠– ٣٥٩، والفهرست، لابن النديم، ١/ ١٦١، ووفيات الأعيان، ١/ ١٧٨.

٢١-أنه فسر الذبح في قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، بأنه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بكى عليه.

٢٢-بيانه أن مُحَرَّمَ انتهكت فيه حرمتان: حرمة الشهر، وحرمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٣-قبوله لهدية تربة كربلاء.

٢٤-إقراره لذكر مصيبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المآتم الأخرى.

٢٥-تجويزه الجزع واللطم وشق الجيوب.

٢٦-بدء اليوم بالسلام على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولعن قاتليه، وإهداء الصلاة له.

٢٧-النوح الجماعي لمن لم يتسن له النوح عند القبر.

بقية الأئمة (الجواد، الهادي، العسكري):

الجواد والهادي والعسكري - رحمهم الله - لم تنسب إليهم أعمال جديدة، ففي عهدهم قل اتصال الناس بالإمام، وذلك لصغرهم، أو الخوف عليهم، ولكن ظهر دور التلاميذ المنتسبين إليهم من الشيعة والغلاة، أو من يسمون رواة الأخبار، واستمر الشيعة في إقامة المأتم بصورة أقل، وذلك لمنع الشعائر من قبل العباسيين أيام المتوكل، وإن كان بعده - في عهد المستنصر - خف المنع، وسمح لهم بزيارة كربلاء[2].

تستشهد الإمامية في هذا الجانب بما صدر من غير المعصومين، من ذلك ما ينسبونه إلى نساء آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مما جرى لهن بعد الفاجعة، وحين استقبالهن في الكوفة والشام والمدينة، التي لا بد أن الأحزان تتجدد فيها، ومن ذلك ما ينسبونه إلى زينب بنت علي[3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من ضربها خشبة المحمل برأسها، أو زيارة صحابي لقبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو نظم شاعر لقصيدة يرثي بها الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه من آله وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ونحو

---

(١) الصافات: ١٠٧، وحول أدلتهم من القرآن وتفسيره له حول عاشوراء، انظر ص٦٥٦ من البحث.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٤/ ٣٥، وجدل ومواقف، ص٣٣، وحول مظهر الزيارة: زيارة قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ و(زيارة الأربعين)، انظر ص٦٢٤، ٦٢٩ من البحث.

(٣) المعروفة بعقيلة بني هاشم، وقصتها في مظهر التطبير، انظر ص٥٧٠ من البحث.

ذلك مما هو محتمل ومظنون وقوعه، لكنه لا يعني أنه شعيرة دينية جرت بأمر معصوم، إلا إذا كانوا يمنحون العصمة لغير الإمام، أو يرون أن مثل هذه الشعائر لا تحتاج إلى دليل عن الإمام أصلاً، على ما سيتبين في مفهوم العبادة والشعيرة عندهم، بإذن الله.

من ذلك ـ أيضاً ـ ما وروى أبو مخنف الشيعي: (لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه إلى قبر الحسين نادوا صيحة واحدة: يَا رب إنا قد خذلنا ابن بنت نبينا، فاغفر لنا مَا مضى منا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وارحم حسينا وأَصحابه الشهداء الصديقين، وإنا نشهدك يا رب أنا على مثل مَا قتلوا عليه، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، قال: فأقاموا عنده يومًا وليلة يصلون عليه ويبكون ويتضرعون، فما انفك الناس من يومهم ذلك يترحمون عليه وعلى أَصحابه، حتى صلوا الغداة من الغد عند قبره، وزادهم ذلك حنقًا ثم ركبوا)[1].

الحال المذكورة ليس فيها شنائع القبور التي عرفت فيما بعد، وإنما فيها ندم وتضرع لله، واستغفار منه، لا من الحسين، وقصدهم القبر لهذا، ومكثهم للصلاة تلك الليلة ظاهر في قوله: (وزادهم ذلك حنقًا ثم ركبوا)، وإذا كان هؤلاء لا يوافقون ولا يقرون على عملهم الأول، وهو الخذلان، فكذلك لا يعني أن ما صنعوه بعد ذلك حجة، وغايته أنه اجتهاد منهم في الندم.

مما يذكره الإمامية في هذه الفترة من أعمال العزاء والمأتم على مقتل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ مما يذكرونه استئناساً واستناداً ــ؛ ما قام به المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي قاد حركة التوابين مع سليمان بن صرد الخزاعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ورفع شعار "يا لثارات الحسين"[2]، وجمع الناس في داره بالكوفة بمناسبة يوم عاشوراء، وأرسل النادبات إلى شوارع الكوفة لندب الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[3].

كما أنه قد يذكر في هذا المجال ما أقامه بعض المنتسبين إلى التشيع من مآتم لا علاقة لها

(١) تاريخ الطبري، ٥/ ٥٨٩،

(٢) البداية والنهاية، ٨/ ٢٦٦، وسليمان بن صرد سبقت ترجمته ص١٧٠ من البحث.

(٣) بتصرف عن: موقع هيئة علماء بيروت (شيعية)، مقال (متى نشأت المجالس والمآتم)، ص٢٠، محمد زيدان، وانظر: البدع الحولية، ص١١٣، عبد الله التويجري، ط١، ١٤٢١هـ، دار الفضيلة. الرياض.

بيوم عاشوراء، وإنما هي مآتم على بعض ذرية الحسين الخارجين من بعده، أو أفراح تعقد بمناسبة يوم موت وهلاك بعض قتلة الحسين، ومن ذلك يوم مقتل عبيدالله بن زياد الذي قتل في عاشوراء من عام ٦٧هـ، أي بعد مقتل الحسين بست سنوات، وبهذا يكون يوم عاشوراء يوم حزن على الحسين، ويوم فرح، لأنه قتل فيه أخص قتلته، ومثله أن يحتفل بيوم غيره من القتلة في غير يوم عاشوراء، كما يعرف عن بعض الشيعة احتفالهم في التاسع من شهر ربيع الأول بعيد الزهراء، أو فرحة الزهراء، وهو احتفال بمناسبة الفرح بهلاك عمر بن سعد قائد جيش الكوفة، ولم أعرف زمن نشأته، وهل هو قديم، أو أحدث متأخراً، ويظهر أنه غير مشهور، وأنه بعث متأخراً[(١)]، كما أنه من توابع عاشوراء.

الحزن وإقامة المآتم على آل البيت مما يشارك الإمامية فيه غيرهم من الغلاة، كالمختار من الكيسانية، وكالحركات التي كانت تحت رايات العباسيين وهي امتداد لغلاة الشيعة، كحركة أبي مسلم الخراساني، الذي دعا للعباسيين، فقد ذكر أنه أقام مأتماً سبعة أيام على يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ــ رحمهم الله ــ[(٢)]، وهذا يدل على أن إقامة المآتم قد تتخذ لإثارة النفوس للثورة والخروج، لا لمظنة العبادة عن جهل، ولا بدافع المحبة المزعومة.

ما سبق يؤكد أن تلك النياحة لا يمكن أن ينسب للإمامية وأئمتهم الاثني عشر من وجهين: إما لأن مذهبهم لم يكتمل بعد، وكل ما يدعى فهو عرضة للنسخ؛ وإما أنهم يأخذونه من طريق الجهلة والعوام، أو الغلاة والزنادقة، أو المخالفين والنواصب، ثم ينسبونه إلى الأئمة؛ ويلزم منه أن هؤلاء جميعاً من أسلاف الإمامية، فمذهبهم هو مباءة لكل مدع للمحبة، ولو أشهر الخيانة، وخذل الحسين، كحال أهل الكوفة؛ وبهذا يتأكد ما سبق ذكره من النقاط الست لبطلان دعوى الإجماع المذكورة الباطلة، وبطلانها هو بإقرار أعلامهم، وبه يعلم أن ما ادعوه خلاف ذلك من أفراد المسائل المكذوبة، أو الإجماع الموهوم أنه من نسج أهوائهم واستحسانهم.

---

(١) سيأتي – بإذن الله– موقف ناصر مكارم الشيرازي وتحذيره من فرحة الزهراء، ص١٠٩٠ من البحث.

(٢) انظر: تاريخ دمشق، ٦٤/ ٢٢٨ وتاريخ الإسلام، ٣/ ٥٥٨.

المطلب الثاني

الظروف التي واكبت هذا الطور

واكب طور الأئمة الثمانية السابقين عدة ظروف، يمكن ملاحظتها في استناد الإمامية على مشروعية الشعائر في عاشوراء، والذي ظهر لي منها ما يلي:

١ - الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قتل مظلوماً كان قتله في مقابل ولاية قائمة استمرت بعد الحادثة سنين، وحصل من هذه الولاية عدة مصائب، من أشهرها حادثة الحرة المشهورة عام٦٣هـ، ثم السير إلى مكة، الذي انتهى بحصار ابن الزبير ومقتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحرم عام٧٣هـ(١)؛ كما أن الشيعة ــ شيعة علي ــ لاقوا منها أذى قبل وبعد هذا المقتل، واتكأت الشيعة على جانب المصائب والمظالم التي وقعت عليهم، وهو ما يسمونه بالنصب، وجعلت الإمامية هذا الاسم مصطلحاً مرادفاً للعثمانية ـ شيعة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ، ومقتل الحسين بهذه الحال لم يكن الطرفان فيه ذا جمهور عريض، كما كان في الفتنة التي جرت قبل ذلك، فمقتله لم يعقبه صلح، كما جرى بين معسكر الحسن بن علي ومعاوية، والذي عرف بعام الجماعة، بل بقي مقتل الحسين عند البعض امتداداً للفتنة الأولى، ونقضاً للصلح الذي أخمدها، وقضية لم تحسم، ومقتله بهذه الحال يذكر بباب الفتنة الذي لم يفتح فقط، بل كسر كسراً، وذلك كمقتل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تعتبر الإمامية أن قيام دولة بني أمية كان ثأراً لمقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بينما لا يعتبرون الدولة العباسية ثأراً لمقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع أنها قامت باسم الرضا من آل محمد، ومما ساعدهم على هذا الاختلاف قيام حركات العلويين: الزيديين والحسنيين في زمان العباسيين، باستثناء الباقر وابنه الصادق ـ رحمهما الله ـ وذريتهما ـ، الذين لم يشاركوا في تلك الحركات، بل نجد علي الرضا ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ بتوليه ولاية العهد للخليفة العباسي كاد أن يتمثل دور الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حقن دماء المسلمين، وخاصة دماء آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وذلك على رأس القرن

---

(١) انظر البداية والنهاية، ٨/ ٢٣٨، ٣٦٣.

الثالث، إلا أن توسع العلويين في ثوراتهم، وقصر ولاية الرضا وظروفها لم تنجح في تسكين النزاع بين المتنازعين، إضافة إلى العنف الذي قام به العباسيون لتثبيت دولتهم، وكان جزء منه تجاه العلويين، مما فتح للنصب[1] باباً جديداً داخل آل البيت: العباسيين والعلويين.

كل ما سبق ساعد أن تتخذ مصيبة مقتل الحسين ومن معه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ رمزاً لمصائب العلويين ـ خصوصاً ـ أكثر من مصيبة مقتل أبيه أمير المؤمنين، الخليفة الراشد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لاختصاص حادثة مقتل الحسين في أغلبها بآل البيت، منعزلين عن شيعتهم إلا قليلاً، وعن غيرهم ممن لم يبايع علياً، ولكون الحادثة في زمن الدولة العباسية بقيت حية، لاستثمارها ضدها، لأنها ورثت محاربة العلويين بعد الدولة الأموية، فكأن الدولة العباسية تتحمل جرمها في مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن معه من الطالبيين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فمن أراد أن يغيظهم اعتبر محاربتهم للعلويين شماتة بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد يتضح هذا في رثاء الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والنوح عليه عند زيارة قبره، ولقرب مكان مقتله وقبره من بغداد عاصمة العباسيين، فكربلاء قريبة منها؛ وهذا مما جعل كثرة زيارة قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثار شك وحذر لدى العباسيين، مما حدا بأحد خلفائهم إلى محاولة طمس معالم القبر، وطمس ما حوله من المباني والدور، بل توسع مفهوم النصب، فأصبح ينسب إليه كل من أعرض عن الدخول في هذه الفتن[2]، علماً بأن سياسة العباسيين مع موضوع زيارة قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تغيرت فيما بعد، كما سيأتي في الطور الثاني.

٢- انتشار ظاهرة الدعوة باسم الرضا من آل محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ـ، والقيام بثورات ضد الأمويين والعباسيين تحت هذا الاسم، بل كان ـ أيضاً ـ هذا الشعار مستنداً للعباسيين ضد الأمويين، وهذا الشعار وإن كان سبباً لإبقاء التشيع وتأصيله إلا أنه هيأ أرضية لنشوء الإشاعات والفتن والكذب على آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا ظاهر

---

(١) النصب عداوة آل البيت، أو بعضهم، وللمزيد انظر ص١١٠٩ من البحث.

(٢) اعتزال الفتنة تكرر في هذه الفتنة، وإن كان لم يتضح ولم يبرز كما في برز اعتزال الفتنة الأولى، التي كان يرجع فيها إلى فقه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن صوره موقف عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والموضوع حري بأن يفرد ويبرز.

بدءاً من المختار بن أبي عبيد الثقفي، إلى نهاية هذا العصر، وهذا ظاهر من خلال الاطلاع على الأحداث التاريخية في تلك الفترة، وكما في دعوات النبوة المعاصرة، كالبابية والبهائية والمهدية.

٣- أن الحال بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليست كالحال بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فصلح الحسن ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا شك أنه هدأ من ثائرة الفتنة، بينما لم يجر بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثل ذلك، فلم يكن الحال بمثل حال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومكانته ـ كما سبق ـ، ومما زاد الأمر سوءاً موقف يزيد وبني أمية من بعده من أهل المدينة، وأهل مكة، الذين يشكلون ثقلاً للدولة، في مقابل الأقطار الأخرى، فبقي جرح الحادثة مفتوحاً لم يندمل، وبقي التشيع لعلي وبنيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ باباً لم يحرر مما علق به من الأهواء والغلو، وخاصة في باب الحكم والخلافة، مما وسع دائرة المطالبة بالثأر، وسوغ لاعتبار كل عصيان ضد الدولة القائمة هو لترسيخ أحقية حكم علي وبنيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، واستحضر فيه الثأر لمقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأكد هذا المعنى مقتل حفيده زيد بن علي بن الحسين، وابنه يحيى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في أواخر الدولة الأموية.

أشير هنا إلى أن هذه الفترة شهدت تحولاً في مفهوم التشيع، وبروز مسمى الرفض، وهذا مما خفف حدة التشيع العام، وانحساره في التشيع الخاص، في ذرية الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبالأخص في زيد بن علي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ وأتباعه، فالعباسيون هم من آل البيت عند أهل السنة؛ وأتباع زيد قد يكون أولى بدعوى إحياء المقتل، والأخذ بالثأر، لأنه تشيع عملي، كما أنه امتداد للغلو الأول، كما قد يظنه البعض، أو يفسره بأنه من دعوى الوصية والإمامة، بينما الحقيقة أن هذا النوع من التشيع ظهر انشقاقه مبكراً في غير شيعة زيد "الزيديين"[1]، بل في الشيعة المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر، وكلا الفريقين يرون أحقية علي وبنيه في الحكم على اختلاف بينهم في معنى الإمامة ووجوبها؛ إلا أن كليهما حسم القضية بالخطوات العملية، وبإقامة الدول الشيعية، بخلاف الإمامية ـ وأسلافهم "الروافض" ـ، والتي مالت إلى القعود وعقيدة

---

(١) ومثلهم الحسنيين العلويين، وقد ينسبون كثيراً إلى الزيدية، وبينهما تداخل، ومما يسوغ تعميم هذا الاسم قبول الزيدية إمامة الفرعين على حد سواء: ذرية الحسن والحسين، ومما يؤكد أهمية دراسة هذا الجانب أن ذرية الحسن ودولهم .حتى المتأخرة .لا تنسب إلى التشيع ولا الشيعة، والموضوع يحتاج إلى تفصيل ليس موضعه هذا البحث.

الانتظار، مع دعواها أنها هي صاحبة الحق، وهذا المبدأ هيأ لبقاء مقتل الحسين أمراً لم يحسم عندهم، ولذا استمرءوا إقامة المـأتم والنياحة عليه إلى أجل غير مسمى، مما جعل منطقهم غريباً ومستهجناً بين الفرق والطوائف.

٤- أن وجود فرق الغلو بين صفوف الشيعة قبل المقتل، وانتشارها بشكل أكثر بعد ذلك، يؤكده ظاهرة الانشقاق داخل الشيعة بعد موت كل إمام، مما يدل على وجود أرضية خصبة للكذب على آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم طالما اشتكوا من الكذب عليهم من رواة الشيعة، الذين استند المتأخرون على كلامهم وأحوالهم ورواياتهم، وذلك تسويغاً لمذهبهم أمام دهماء الناس، ووصولاً إلى مآربهم، وهذا الوضع لا تستطيع الإمامية المعاصرة الانفكاك من مغبته، ولا زالت المطالبة بينهم تتواصل للخلوص من آثاره، حتى قيل إن عزاء عاشواء يحتاج إلى عزاء، وعاشوراء تحتاج إلى تضحية جديدة، لتنقذها ممن يهدم رسالتها الأولى باسم إحيائه.

٥- أن روايات الإمامية أكثرها تعتني بما ينسبه أسلافهم إلى الإمام وقت إمامته، ويسمونه حينها "الناطق"، أما قبل استلامه منصب الإمامة، وفي زمن الإمام الذي قبله فلا تروي عن مشاركته في هذه الشعائر، ويسمونه حينها "الناطق"، إذ فترة الإمامة هي زمن عصمة عندهم، وإن كانوا قد يرون عصمته من حين الولادة، تأثراً بأن الإمام في تلك الفترة هو تجلي ومظهر للقدرة الإلهية، وأنه الإنسان الكامل[1]؛ مما يبين أثر عقائد الغلو وانتشارها منذ ذلك الزمن، ومنها عقائد الإسماعيلية والكيسانية التي تأثرت بها الإمامية، ومما يكشف ــ أيضاً ــ مدى تقصد الكذب عند الرواة، وحرص كل راو كذاب على تسويغ كلامه في حينه، بنسبته إلى الإمام، أو بدعوى رضاه عنه، وهذا يتكرر في عصر كل إمام، ولذا لم يحتج الكذابون للكذب في نقل سير الإمام قبل توليه الإمامة.

قد كثرت صور الكذب على الأئمة، ومن ذلك ما ينسبونه كذباً إلى علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الذي تواتر عنه انقطاعه للعبادة واعتزاله الناس، وأن السبب في عدم إقامته لمظاهر المأتم والنياحة كان بسبب عمله بالتقية، وفقده للحرية، ولو وجدها لأقامها كما هي

---

(١) سيأتي. إن شاء الله. ربط عقائد الإمامية بالفلسفة العرفانية في الباب الثالث.

اليوم وأكثر[1].

من ذلك ـ أيضاً ـ ما ينسب إلى الباقر والصادق والكاظم والرضا ومن بعدهم ـ رحمهم الله ـ من إقامة للمأتم والنعي والندب، ووجود البكاء، وزيارة كربلاء، ومن ذلك انتشار بعض المراثي المشهورة، كمرثية الشاعر الشيعي دعبل الخزاعي، في زمان الرضا علي بن موسى ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ[2]؛ لكن وجود شيء من ذلك لا يعني إقرار الأئمة له، وقد حصل ما هو غلو وكفر صريح بإجماع السنة والإمامية الاثني عشرية، كقول ابن سبأ، وقول الكيسانية، وقول الإسماعيلية، وغيرهم، ولا يعنى هذا مشروعية هذا الغلو لكونه نسب إليهم، بل كم نقلت الشيعة عن الأئمة لعنهم لبعض أصحابهم وشيعتهم، وبراءتهم منهم، لكذبهم عليهم، ومنه قول جعفر الصادق ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عمن ينسب الباطل إليهم، ويكذب عليهم: (ما أنزل الله سبحانه آية في المنافقين إلا وهي فيمن ينتحل التشيع)، وقوله: (لو قام قائمنا بدأ بكذابي شيعتنا فقتلهم)[3]، وقد سبق ذكر نموذج لهذا الكذب، وأن المحقق الحلي نص على أنه لم ينقل عن الأئمة الجلوس للعزاء والمأتم[4]؛ مما يدل على عدم استقرار هذه النسبة وأن توهم الإجماع وادعاءه من المتأخرين على إقامة الأئمة ومن بعدهم للمآتم ـ؛ لم يظهر إلا في فترة متأخرة.

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا قريباً ص٣٣٩، ٣٤٧.

(٢) انظر: جدل ومواقف، ص٢٩، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري).

(٣) رجال الكشي، ص٢٥٤، الكشي، مؤسسة الأعلمي .كربلاء، ومعرفة أخبار الرجال لأبي عمرو الكشي ص٧١-٧٢ ط ١٣١٧هـ، بمباي ـ الهند، واختيار معرفة الرجال، ٢/ ٥٨٩، الطوسي، ت/٤٦٠هـ، ت. مير داماد الأسترابادي، ومهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت. قم، ومعجم رجال الحديث، الخوئي، ١٥/ ٢٦٥.

(٤) سبق ص٣٤٢ من البحث.

المبحث الثاني

عصر الغيبة حتى قيام الدولة الصفوية (٢٦٠-٩١٠هـ)

وفيه:

المطلب الأول: المظاهر وتطورها.

المطلب الثاني: الظروف التي واكبت هذا الطور.

المطلب الأول

المظاهر وتطورها

يبدأ هذا الطور من عام٢٦٠هـ، وهو بداية الغيبة الصغرى، وذلك بعد موت الحسن بن علي العسكري ـ رضي الله عنهما ـ، وهو الإمام الحادي عشر عند الإمامية، الذين ينسبون إليه ابناً قد غاب عن الأنظار بعد دخوله السرداب في سامراء، ومن هنا جاءت تسمية الغيبة، وزعم الإمامية أنه الإمام الثاني عشر، وله غيبتان: صغرى، حتى عام٣٢٩هـ، وكبرى، لم تنته بعد، ويستغرق هذا الطور أكثر من ستة قرون، وشمل هذا الطور عدداً من الدول الشيعية التي أحيت هذه الشعائر، وابتدعت بعض صنوفها، وسأتعرض لذكرها، راصداً الظواهر والأحداث البارزة، التي تشير إلى تطور هذه البدعة خلال السنين الطويلة، مراعياً الترتيب الزمني.

عصر النيابة (الغيبة الصغرى):

فترة الغيبة الصغرى هي التي تولى فيها أمر المذهب نواب الإمام الغائب، الذين يلتقون به، كما تزعم الإمامية، ويأخذون عنه التوقيعات، وهم من يسمون بالسفراء، ولم تشتهر في هذه الفترة أعمال جديدة، وإن كان عدم شهرتها لا يمنع حدوثها.

مما يذكر في هذه الفترة إشارة بعض المؤرخين إلى قيام الشيعة بالنياحة بشكل ظاهر وعلني، ومن ذلك ظهور مصطلح النائح والنائحة، وإنكار أهل السنة عليهم، كما ذكره ابن الأثير في حوادث عام٢٩٦هـ[1]، ومن ذلك ـ أيضاً ـ شيوع تأليف كتب المقاتل، وقراءتها، ولعل النياحة في يوم عاشوراء عند ضريح الحسين أبرز مظاهر هذه الفترة، ويشير بعض الكتاب الشيعة على عادتهم في التكثر والمبالغة إلى توسع الزيارات للقبر في هذه الفترة، فيزار بشكل متبع في عرفة وشعبان[2].

---

(١) الكامل في التاريخ، ٥/ ١٤.

(٢) انظر: جدل ومواقف، ص٣٣، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري).

مما يعنينا في هذه الفترة هو ظهور المبالغة من الشيعة في زيارة قبر الحسين، وكثرة اختلافهم إليه في القرن الثاني للدولة العباسية، وأحدثوا حول القبر دوراً وأبنية، حتى أن الخليفة العباسي المتوكل عام٢٣٦هـ قام بمنع كثير من هذه المظاهر حول قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأزال الدور والأبنية التي حوله، وحرث الأرض، وحاول إخفاء معالمه[(١)]، ولكن هذه الأعمال عادت بعد عهد المتوكل، وازدهرت حتى جاء البويهيون، وشجعوا مثل هذه المظاهر؛ فالشيعة تشنع على المتوكل، وقد تزيد في أخبارها حوله، كعادتها، وتجعل عمله امتداداً لعمل بني أمية في عاشوراء.

ممن أشار إلى هذه القصة وزاد فيها الأصفهاني الزيدي[(٢)]، صاحب مقاتل الطالبيين، فذكر أن المتوكل فعل ذلك، ولكنه لم يفعل بسبب عداء مباشر تجاه علي، أو الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإنما بسبب جارية يعشق غنائها، كانت ترتاد مجالس سمره، ثم فقدها، فبحث عنها وعاتبها، فاعتذرت بأنها في صحبة مولاتها التي ذهبت للحج في شعبان، وحين سألها أين تحج في شعبان؟، فأخبرته بأنها زارت قبر الحسين، فبعث المتوكل الديزج ـ وأصله يهودي ـ، وهدم ما حول القبر واستعان على القبر بأناس من اليهود فحرثوا أرضه، وأجروا حوله الماء، ومنع الزائرين؛ وذكر بعد موت المتوكل قام بعض الطالبيين والشيعة بإعادة القبر وما حوله[(٣)].

كان التعاطف مع آل البيت من الشيعة عموماً، وليس مختصاً بالإمامية الاثني عشرية، أو بما

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ٩/ ١٨٥، ١١/ ٢٣٧، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٦/ ١٣٠، وذكر عداوة المتوكل لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه ناصبي، وكذلك الذهبي في تاريخ الإسلام، ١٧/ ١٨-١٩، وابن كثير في البداية والنهاية، ١١/ ١٤٣، وذكر الأخيران أبياتاً تهجو العباسيين، بسبب عدواتهم للعلويين، وقيل هي للشاعر البسامي الهجاء، وهي:

بالله إن كانت أمية قد أتت	قَتْلَ ابنِ بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاهُ بنو أبيه بِمثله	هذا لَعَمْرُكَ قبره مهدوما
أسِفُوا على أن لا يكونوا شارَكوا	في قتله، فتتبَّعوهُ رميما

(٢) لترجمته، والحديث عن زيديته وتشيعه انظر: ص٨٧٩ من البحث.

(٣) انظر: مقاتل الطالبيين، ١/ ٤٧٨-٤٧٩، ٥١٨.

يسميه البعض أسلاف الإمامية، ومنهم أبو الفرج الأصفهاني ـ كما سبق ـ، والذي عاصر آخر عصر الغيبة الصغرى، والذي يذكر رواج سوق القصاصين في ذلك القرن والذي قبله، مما يجعل من مثل كتب المقاتل مجالاً لاستعطاف قلوب العوام، وكسب الرزق من ورائه[1].

دولة القرامطة:

القرامطة[2] من أول الدول الشيعية التي شكلت لها كياناً سياسياً مستقلاً، وذلك عام٢٨٦هـ، وابتدأت بحركات عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان الباطني[3]، والتي بدأت مع بداية الغيبة عند الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، أي في عام٢٦٠هـ، وشغلت قرابة قرنين من الزمان، أغلبها في شرق الجزيرة العربية، ومع تمسحها بالتشيع لآل البيت، والدعوة تحت الثأر لهم، ونشر مظلوميتهم، وقوة دولتهم إلا أنه لغلوها وزندقتها لم يحفظ عنها شيء حول عاشوراء،

(١) انظر: سنوات الحنابلة، ١/ ٩١، محمد أبابطين، ط١٤٢٥هـ، كتاب منشور ضمن المكتبة الشاملة الإلكترونية.

(٢) القرامطة (٢٧٨ـ ٤٧٠هـ)، نسبة إلى قرمط بن حمدان، أحد أتباع عبد الله بن ميمون القداح، والقداح من مؤسسي الباطنية، وادعى الانتساب إلى آل البيت، وتنسب إليه الإسماعيلية التي منها العبيديون، ولكن أحد دعاته استقل عن دعوته، إلى أن وصل الأمر إلى حمدان بن قرمط، ثم إلى أبي طاهر الجنابي، فظهرت دولة القرامطة قبيل القرن الرابع، واستقرت في البحرين، لها شنائع وفضائع، منها قلع الحجر الأسود، وقتل الحجيج، عام ٣١٧هـ، والقرامطة باطنية إباحية زنادقة، لهم مواجهات مع الفاطميين العبيديين والبويهيين، ومصالحة أحياناً، سقطت دولتهم على يد أهل السنة في البحرين، انظر: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ٧٣ـ٨٢، وأصول الإسماعيلية، ١/ ٢٤٣ـ ٢٥٤، ٢٦٨ـ ٢٧٥، ٣٧٤ـ ٣٨٢، والموسوعة الميسرة (في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة)، ١/ ٣٧٨ـ٣٨٣.

(٣) عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي في القرن الثالث، الداعي الإسماعيلي، ومن مؤسسي الحركات الباطنية، الذي تنسب إليه العبيدية، فقيل سميت بذلك نسبة لحفيده عبيدالله بن ميمون بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح، وهو غير: عبد الله بن ميمون المكي، أو المخزومي، فالمكي في القرن الثاني، أحد رواة الإمامية عن جعفر الصادق، أما الأهوازي في القرن الثالث، وحصل لبس عند بعض أهل الفرق والتاريخ في هاتين الشخصيتين، فظن أنهما شخصية واحدة، وكلا الشخصيتين لهما علاقة بالتشيع، والانتساب إلى آل البيت، وأن لأبيهما (ميمون) شهرة ورواية عن الأئمة، واتفاق في وصف القداح، مع أن المتأخر قد يقال إنه عبيد الله، لا عبد الله، لشهرة انتساب العبيدية إليه، مع أن عبيدالله المهدي المشهور لم يكن هذا اسماً له، ويرد هنا استفهام محتمل: هل تلتقي الشخصيتان في سلسلة نسب؟؛ انظر: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ٧٣ـ٨٢، عام١٤٠٠هـ، بحث غير منشور، ومطبوع على الآلة الكاتبة، وأصول الإسماعيلية، ١/ ٢٤٣ـ ٢٥٤، ٢٦٨ـ ٢٧٥، وكلا هما رسالتان علميتان في جامعة أم القرى للدكتور سليمان السلومي.

وموالد آل البيت ووفياتهم ومقاتلهم، إلا أنه ثمت من يربط ما يوجد عند الإمامية من الغلو وإباحة المتعة بما كان عند القرامطة، ومن أبرز ما يحظر من ذلك ما يعرف بليلة الطفية[1]، وهي متعة جماعية في المناسبات والمواسم، التي منها عاشوراء، وذلك لشهرة القول عنهم بشيوعية المال والنساء، كالمزدكية، وسيأتي الحديث عن هذا المظهر في الباب الرابع، بإذن الله.

لكن لم أقف على واقع عاشوراء عند القرامطة كما عند العبيديين، عدا ليلة الطفية الإباحية التي تنسب إليهم[2]، ولعل لخفاء أخبارهم في عاشوراء أسباباً، منها شدة كره الناس لهم ولمذاهبهم، ولأنهم لم يكن لهم وارث مباشر.

الدولة العبيدية:

الدولة العبيدية الإسماعيلية، وهي التي تسمت بالدولة الفاطمية[3]، واستولت على بلاد المغرب عام٢٩٦هـ، ثم على مصر.عام٣٦٢ ــ ٥٦٨هـ، وعرف عنهم إحياء شعائر الرافضة في عاشوراء، وتفاوتت أخبارهم، واهتمامهم بها، يسمحون بها أحياناً، ويشاركون في تنظيمها، وقد يعطلونها أحياناً، كما أقاموا مواكب خاصة للنساء[4]، وقد يغلقون الأسواق حداداً، ويتخذون سفرة الأحزان[5]، وقد يصنعون مثل هذا في غير عاشوراء، وقد بقيت بعض

---

(١) انظر: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ٤٨٨، ٢/ ٤٧٨.

(٢) انظر ص٩١٤ من البحث.

(٣) الدولة العبيدية نسبة إلى مؤسسها عبيد الله بن ميمون المهدي، الذي قيل إنه من ذرية عبد الله بن ميمون القداح، داعي الإسماعيلية، الذي بدأت دعوته عام٢٦٠هـ، في الكوفة، ثم قامت دولتهم ببلاد المغرب عام٢٩٦هـ، بعد أن أسقطت دولة الأغالبة في القيروان (١٨٤ـ ٢٩٦هـ)، والدولة الرستمية الإباضية في الجزائر(١٤٤ـ ٢٩٦هـ)، وفي عام٣٢١هـ كان موت المهدي صاحب إفريقية أول خلفاء الفاطميين، وانتقلت الدولة العبيدية إلى مصر، وفيها استقرت، ٣٦٢ـ ٥٦٨هـ، وبعد أن سقطت انقسمت الإسماعيلية إلى فرق، انظر: البداية والنهاية، ١١/ ١٧٩، وأصول الإسماعيلية، د. السلومي، ١/ ٣٧٤ـ ٣٧٥، وفي التاريخ العباسي والفاطمي، ص١٦١، د. أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية. بيروت.

(٤) في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٢٨٧، وذكر المؤلف أن سبب المنع كان كثرة شكوى الناس من الجرائم النسائية والسرقات.

(٥) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "خطط المقريزي"، ٢/ ٣٢٩، ٣٣١، وثم حديث عنها في صوم يوم عاشوراء، وترك الملذات، والاجتماع على الولائم، انظر: ص٤١٩، ٤٢٢، ٤٥٢. ٤٥٤ من البحث.

آثارهم في البلدان التي حكموها إلى هذا الزمن، ولعل منها أضرحة آل البيت التي لا زال للناس تعلق بها، وقد يحدث عندها يوم عاشوراء مثل جنس هذه الشعائر المبتدعة، وذلك عند قبر رأس الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المشهور في القاهرة، والذي أحدثه العبيديون، أو أضرحة السيدة أم كلثوم(١)، والسيدة نفيسة بنت الحسن(٢)، وغيرها.

ممن أشار بالتفصيل لأخبار العبيديين في مصر-المقريزي في خططه، فيقول المقريزي في أحداث سنة٣٦٣هـ: (قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلثمائة، انصرف خلق من الشيعة، وأشياعهم إلى المشهدين: قبر كلثوم ونفيسة، ومعهم جماعة من فرسان المغاربة، ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين عليه السلام، وكسروا أواني السقائين في الأسواق، وشققوا الروايا، وسبوا من ينفق في هذا اليوم، ونزلوا حتى بلغوا مسجد الريح، وثارت عليهم جماعة من رعية أسفل، فخرج أبو محمد الحسين بن عمار، وكان يسكن هناك في دار محمد بن أبي بكر، وأغلق الدرب، ومنع الفريقين، ورجع الجميع، فحسن موقع ذلك عند المعز، ولولا ذلك لعظمت الفتنة، لأنّ الناس قد غلقوا الدكاكين وأبواب الدور، وعطلوا الأسواق، وإنما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر، وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الإخشيدية، والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كلثوم، وقبر نفيسة)(٣).

أشار المقريزي إلى ما يشبه الفرح والأعياد في عاشوراء في آخر أيام العبيديين، وإلى اضطراب حالهم بسبب تنازع ولاتهم ووزرائهم، واختلاف أهوائهم، ومن غريب أمرهم أن

---

(١) قيل إنها أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: إنها السيدة أم كلثوم أو كلثم بنت القاسم الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق، وقيل: إنها أم كلثوم بنت محمد بن جعفر الصادق، والمقريزي يذكرها: (كلثوم / كلثم)، كما تذكر بأم كلثوم، وانظر: جدل ومواقف، ص٣٥، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري)، وفي التاريخ العباسي والفاطمي، ص٢٦٢.

(٢) هي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، (١٤٥- ٢٠٨ هـ)، زوجها إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق، وأبوها الحسن تولى إمرة المدينة لأبي جعفر المنصور، كانت نفيسة امرأة صالحة، وروى عنها الشافعي في مصر، ودفنت بمصر، انظر: وفيات الأعيان، ٥/ ٤٢٣.

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "خطط المقريزي"، ٢/ ٣٢٩.

منهم من منع من الاجتماع وقراءة مصرع الحسين[١]، وذلك عام٥١٦هـ، كما قد يحتجب الحاكم ذلك اليوم، ويقوم أحد وزرائه بإحياء عاشوراء بدلاً عنه، ويختلف وضع عاشوراء بحسب حال الوزير، يقول المقريزي: (فإن كان الوزير رافضياً تغالوا، وإن كان سنياً اقتصدوا)[٢]، وقد يتفق عاشوراء مع قرب مولد أحد الحكام العبيديين، كالآمري الذي أحيا موالد أصحاب الكساء (النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ــ صلوات الله وبركاته عليهم)[٣]، ومولد الحاكم الحاضر، وهو الآمري، في الثاني عشر من شهر محرم، مما دعاه إلى إحياء عاشوراء[٤].

قد أشار المقريزي إلى تقدم إحيائهم لمواسم ومشاهد آل البيت، ومنها مشهد رأس الحسين، وذكر من الأقوال التي ذكرت: أن الأفضل ابن أمير الجيوش حين سار إلى بيت المقدس، عام٤٩١هـ، مر بعسقلان، وأتى مشهداً ينسب إلى الحسين، فعمره، وأخذ الرأس المزعوم معه إلى القاهرة، عاصمة الدولة العبيدية، وأحيى عاشوراء في المشهد المعروف اليوم، فزادت تلك الأعمال أكثر مما كانت عليه، وقيل إنه حصل هذا في عام٥٤٨هـ، ويقول المقريزي

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٢/ ٣٣٠.

(٢) المرجع السابق، ٢/ ٣٣١.

(٣) أشهر هذه الموالد المولد النبوي، والدولة العبيدية في مصر هي أول من عرف عنها إقامته، وذلك في القرن الرابع، عام ٣٦٢هـ، ويكون بذلك أقيم بعد إقامة البويهيين لعيد الغدير بعشر سنين (٣٥٢هـ)، انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "خطط المقريزي"، ٢/ ٣٢٢ـ٣٢٣، ومحبة الرسول بين الاتباع والابتداع، ص٢٨٣، عبد الرءوف محمد عثمان، ط١، ١٤١٤هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض؛ والمقريزي نص على بدء الاحتفال بالمولد النبوي، أما بدء الاحتفال بغدير خم فلم ينص عليه، وهو ينص أحياناً على تقدم الاحتفال بمولد علي، على الغدير، ولعلهم لم يحييوه إلا بعد مدة من دولتهم، وأن ظهور عيد في العراق تزامن مع إحياء مشهد النجف، وهناك من ذكر أن المولد النبوي أول ما أقيم كان في القرن السادس، وقيل السابع، عام ٦٢٥هـ، في العراق، ولعل الأول أصح، انظر: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم، ت/ ١٣٨٩هـ، ٣/ ٥٩، جمع: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٣٩٩هـ، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة؛ والبدع الحولية، ص١٤٥ – ١٤٩، والإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، ص٤٥، ٥٠، أبو بكر الجزائري، ط١، ١٤٠٥هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

(٤) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "خطط المقريزي"، ٢/ ٣٣٢.٣٣٣.

عن بعض تلك الأعمال: (وكانوا ينحرون في يوم عاشوراء عند القبر الإبل والبقر والغنم، ويكثرون النوح والبكاء، ويسبون من قتل الحسين، ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم)[(١)].

ما ذكره المقريزي يدل على أن حدوث هذه الأعمال وعناية العبيديين بها ازداد مع تأخر دولتهم، وبناء على كلام المقريوي يمكن أن أشير هنا إلى أن يوم عاشوراء في مصر.زمن الدولة العبيدية (٣٦٢ ـ ٥٦٨هـ)، مر بمرحلتين:

١- عاشوراء في القرن الرابع، حيث تجري مظاهر عاشوراء عند قبري نفيسة وأم كلثوم، وهذا عند قيام الدولة العبيدية وحماسها، عام ٣٦٣هـ.

٢- عاشوراء في منتصف القرن السادس، أي بعد بناء المشهد الحسيني، وقصة نقل رأس الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ٥٤٨هـ، وهنا ارتبطت بمشهد الحسين، ولم ينقل أنها تقام في غيره من المشاهد، أو في غير القاهرة، مع ما اعتراها من توقف وضعف، حيث فوض الإشراف عليها إلى الوزراء.

موسم عاشوراء في هذه الفترة كان يطغى عليه توزيع الهدايا والأطعمة، ونحر البهائم وتوزيع اللحوم، ومنح الهبات والعطايا، وهو بهذا أقرب لمواسم الموالد منه إلى مواسم المآتم، فالنياحة لم تترسخ من خلال الدولة العبيدية، بخلاف جانب العيد والفرح، الذي لا يزال أثره موجوداً في المشهد الحسيني وعموم مصر يوم عاشوراء إلى اليوم، ولعل من أسباب ذلك طغيان أمر الموالد عند العبيديين، التي هي من جنس الفرح، ولم أقف على موعد مولد الحسين عندهم، فلعلهم جعلوا الاحتفال بمولده في يوم عاشوراء، مما ساعد على خفة جانب النياحة.

ما سبق يؤيده ما ذكره قاضي الدولة العبيدية في منتصف القرن الرابع، أبو حنيفة الشيعي، وكتابه "دعائم الإسلام" هو عمدة الدولة العبيدية في زمانه، وقد ذكر فيه حرمة النياحة، وتجنب آل البيت لها، ولم يشر إلى أعمال النياحة في عاشوراء[(٢)]؛ كل ذلك يوحي بأن اشتهار

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "خطط المقريزي"، ٢/ ٣٢٢.٣٢٣.

(٢) سبق الحديث عن ذلك ص٣٤٣، وأبو حنيفة الشيعي روى في كتابه الدعائم: (عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنه كتب =

هذا الأمر عندهم تأخر إلى ما بعد منتصف القرن الرابع، وأنه تزامن مع اشتهاره في العراق، تداعياً لما يجري في بغداد بين السنة والشيعة حول النياحة في عاشوراء، وذلك زمن البويهيين، مما يشير إلى أنه صاحبه حينذاك وبعده تداعي همة الحكام العبيديين لنقل مشهد رأس الحسين إلى القاهرة؛ مما هيأ لانتشار وتجدد النياحة في مصر.بصورة لم تكن فيها من قبل، ولعل ذلك دليل على ضعف الدولة، وضعف مصداقية تشيعها عند الناس، فأرادت أن تسعيد ذلك بمثل هذه الأعمال.

قد زاد شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رضي الله عنهما ــ مسألة رأس الحسين ومشهده إيضاحاً، فذكر تاريخ نقله، وتاريخ بناء المشهد، فقال: (فإنه باتفاق الناس: أن هذا المشهد بني عام بضع وأربعين وخمسمائة، وأنه نقل من مشهد بعسقلان، وأن ذلك المشهد ــ بعسقلان ــ كان قد أحدث بعد التسعين وأربعمائة، فأصل هذا المشهد القاهري هو ذلك المشهد العسقلاني، وذلك العسقلاني محدث بعد مقتل الحسين بأكثر من أربعمائة وثلاثين سنة، وهذا بعد مقتله بقريب من خمسمائة سنة، وهذا مما لم يتنازع فيه اثنان ممن تكلم في هذا الباب من أهل العلم، على اختلاف أصنافهم ــ كأهل الحديث، ومصنفي أخبار القاهرة، ومصنفي التواريخ، وما نقله أهل العلم طبقة عن طبقة، وهذا بينهم مشهور متواتر)[(١)]، وأطال شيخ الإسلام في رد هذا الدعوى، وذكر أن طائفة من الثقات أنكرت أن يكون ثم مشهداً لرأس الحسين، كابن دقيق العيد، والقرطبي صاحب التفسير، بل إن آخرين منهم ــ كالشيخ أبي محمد القسطلاني ــ ذكروا أن ذلك الموضع قبر لأحد الحواريين[(٢)].

إلى رفاعة بن شداد قاضيه على الأهواز: وإياك والنوح على الميت ببلد يكون لك به سلطان)، ولعل وجود دولة عبيدية يعيش الشيعي في أكنافها خفف حماسه من الانشغال بالنياحة وتقريرها، بناء على هذه الرواية.

(١) رأس الحسين، ص١٨٧، تقي الدين أحمد بن تيمية، ت/ ٧٢٨هـ، ت. د. السيد الجميلي، دار الريان. مصر.

(٢) رأس الحسين، ص٢٠٩.٢١١.

الدولة الحمدانية:

ابتدأت الدولة الحمدانية[(١)] عام٣٣٣هـ، قريباً من عهد البويهيين في بغداد، فحكمت بلاد الموصل وحلب وغيرهما من بلاد الشام والعراق، واضطراب أوضاع بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وقربها من كربلاء والنجف وبغداد أمكن الدولة الحمدانية من إحداث بعض الأعمال، ونشر التشيع في بغداد وغيرها من البلدان، مما يشير إلى أنها من الأسباب التي ميزت عصر البويهيين في باب إحياء شعائر عاشوراء، حيث إن البويهيين تعاطفوا ولم يحدثوا وحدهم تلك الشعائر في تلك الفترة، فالحمدانية أبدت حرصاً وتشجيعاً على التشيع، وشيدت الأضرحة لآل البيت، وقيل إنها هي التي أحدثت قبر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنجف، بداية القرن الرابع الهجري[(٢)]، ومن الشعراء المشهورين من الشيعة الذين كانوا يفدون على أمرائها الناشئ الأصغر[(٣)]، فيعقد مجالس النياحة على آل البيت، أو المديح لهم[(٤)]، وهو مظهر من مظاهر عاشوراء.

---

(١) الدولة الحمدانية: أسسها سيف الدولة الحمداني، في حلب عام ٣٣٣هـ، أيام ضعف الدولة العباسية، وبنو حمدان من قبيلة تغلب، وهم من قواد الدولة العباسية، وعمالها على الموصل، حتى استقلوا بها، ولهم مواجهات ضد الروم والبويهيين والبريديين وغيرهم، الدولة الحمدانية في حلب أسقطها صالح بن مرداس،(الدولة المرداسية)، وهو منشق على العبيديين، وذلك عام٤١٤هـ، وبقيت الدولة الحمدانية إلى قرابة عام٤٦٥هـ، انظر: البداية والنهاية، ١١/ ٢٣٧، و في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٣٣١.

(٢) ذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٥١٠هـ، عن أبي الغنائم النرسي قوله: (حتى جاء محمد بن زيد الداعي وأظهر القبر)، وهو أخو الحسن بن زيد الزيدي العلوي، تولى في طبرستان أول القرن الرابع، والمنتظم (في تاريخ الأمم والملوك)، ١٧ / ١٥١، ابن الجوزي، ت / ٥٩٧هـ، ت. محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٢هـ، دار الكتب العلمية .بيروت، ورأس الحسين، ص١٩٦، وهناك من ذكر أن القبر في النجف أحدثته الدولة الحمدانية، عام ٣١٧هـ، انظر حول بدع الزيارة ص٦١٨ من البحث.

(٣) الناشئ الصغير، كما ذكر ابن حجر، وذكر غيره: الأصغر(٢٧١- ٣٦٦ هـ)، علي بن عبد الله بن وصيف، أبو الحسن الحلاء المعروف بالناشئ الأصغر: شاعر مجيد، من أهل بغداد، كان إمامياً متكلماً، وشيعيا جلداً، وصنف كتبا، وقصد سيف الدولة بحلب، وأملى ديوان شعره في مسجد الكوفة، وتوفي ببغداد، كان في صغره يعمل النحاس ويحليه في صنعة بديعة، فقيل له "الحلاء"، وكان جده "وصيف" مملوكا، وأبوه عبد الله عطارًا، انظر: معجم الأدباء، الحموي، ٥/ ٢٣٥- ٢٤٤، ولسان الميزان، ٤/ ٢٣٨، وفهرست الطوسي، ص٨٩.

(٤) موقع هيئة علماء بيروت، مقال: (متى نشأت المجالس والمآتم)، محمد زيدان.

الدولة البويهية:

ابتدأ عصر البويهيين[1] من سنة ٣٣٤ ـــ ٤٤٧هـ، ومن أظهر الأعمال التي برزت فيه إعلان الحداد، وإقامة النياحة العلنية في الطرقات، وظهور المواكب بشكل رسمي، لأول مرة في تاريخ الشعائر[2]، حيث شارك فيها وزير الدولة معز الدولة ابن بويه، وهذا مما يستلزم أن يكون هناك شيء من التنظيم لسير الناس في الطرقات، وانضمام هذا العمل إلى مفهوم الشعائر فيما بعد على أنه من أساسياتها، إضافة إلى تزامنه مع إحداث عيد الغدير عام ٣٥٢هـ[3].

يشير المؤرخ التنوخي الشيعي، ت/٣٨٤هـ[4]، إلى جانب من أعمال عاشوراء، فيروي

---

(١) الدولة البويهية: ابتدأ ذكر بني بويه في عام ٣٢١هـ، فهم ثلاثة إخوة: (عماد الدولة، وركن الدولة، معز الدولة)، وأصلهم من الفرس، وإنما قيل لهم الديالمة لأنهم جاوروا الديلم وكانوا بين أظهرهم مدة، أقبلوا على بغداد واستولوا عليها، وهمهم إسقاط الخليفة، لكنهم نصحوا بتركه في منصبه، لكن معز الدولة أحمد بن الحسن بن بويه دخل بغداد في عام ٣٣٤هـ، ودخل إلى الخليفة فبايعه، ودخل عليه المستكفي ولقبه بمعز الدولة وقرب أخوته، وبعد حين قبض على المستكفي وسمل عينيه، نوصب الفضل بن المقتدر بالله، وعرف عنه تقريب الزنادقة، وكانت وفاة معز الدولة أحمد بن بويه سنة ٣٥٦هـ، قال ابن كثير: "فلما أحس الموت أظهر التوبة وأناب إلى الله، ورد كثيرا من المظالم وتصدق بكثير من ماله، قال: وعهد بالأمر بعده إلى ولده بختيار عز الدولة، وقد اجتمع ببعض العلماء، فكلمه في السُنة، وأخبره أن عليًا زوج ابنته أم كلثوم إلى عمر بن الخطاب، فقال: والله ما سمعت بهذا قط، ورجع إلى السُنة ومتابعتها"، ويرجح البعض أن تشيعها كان أقرب إلى المذهب الزيدي، الموجود في بلاد الديلم، وهذا من سر إبقائهم للخليفة العباسي، أخذاً بتجويز ولاية المفضول على الفاضل، وتأثرهم بالرفض بسبب انتشاره حول بغداد.

انظر: ابن كثير " البداية والنهاية، ١١/ ١٧٣، ٢٢٤، ٢٦٢، و في التاريخ العباسي والفاطمي ١٦١، ١٦٤ـ ١٧٥، وسنوات الحنابلة، ١/ ١٤٥.

(٢) جدل ومواقف، ص ٣٦، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري).

(٣) انظر: البداية والنهاية،١١/ ٢٧٢، ٢٧٤، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "خطط المقريزي"، ٢/٢٥٤- ٢٥٥، ٢/ ٤٣٦، والبدع الحولية، ص٣٧٧- ٣٧٩، وقد سبقت الإشارة إلى أن العبيديين ابتدءوا الموالد، ومنها مولد علي، بينما البويهيون سبقوا في عيد الغدير، والله أعلم، وذكر ابن كثير ما يوحي بأن العامة أظهرت الطعن على عمر، سنة ٣٥١هـ، بدعوى أنه أخرج العباس من الشورى، ولعل هذا من الرافضة ليتوصلوا إلى موافقة العباسيين لهم في بعض رفضهم.

(٤) المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي القاضي، ٣٢٧ـ ٣٨٤هـ، تولى وأسرته القضاء لدى الحمدانيين والبويهيين، وفيهم تشيع واعتزال، وتفقهوا على مذهب أبي حنيفة، وله عناية بالأدب =

أنه: (كانت في بغداد نائحة مجيدة حاذقة، تعرف بخلب، تنوح بهذه القصيدة، فسمعناها في دور بعض الرؤساء، لأن الناس إذ ذاك كانوا لا يتمكنون من النياحة إلا بعز سلطان، أو سراً، لأجل الحنابلة، ولم يكن النوح إلا مراثي الحسين وأهل بيته ــ عليهم السلام ــ فقط، من غير تعريض بالسلف، قال: فبلغنا أن البربهاري قال: بلغني أن نائحة يقال لها خلب تنوح اطلبوها فاقتلوها)[(١)].

البربهاري[(٢)] ـ رضي الله عنه ـ إنكاره للبدع ليس بمستغرب، وإن كان كلام التنوخي غير كاف في وصف حقيقة الحال، وكونه موجباً للقتل، لكن كان مخالفوه يحرضون عليه السلطان، وتكثر حوله البلاغات، لشدته على المنكرات، وقد عايش بدع الرفض والاعتزال والجهمية، ومما قاله تحذيراً من البدع والمحدثات: (احذر صغار المحدثات من الأمور، فإن صغار البدع تعود كباراً، وكذلك كل بدعة أحدثت فِي هَذِهِ الأمة كَانَ أولها صغيرا يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فِيهَا، ثُمَّ لم يستطع المخرج منها، فعظمت وصارت ديناً يدان به...)[(٣)]، وظاهر كلام البربهاري ــ رضي الله عنه ــ يشير إلى ما عاصره زمن البويهيين، الذي نشطت فيه فتنة القبور، وبناء

=

والتاريخ والأخبار، من كتبه: المستجاد في فعال الأجواد، والفرج بعد الشدة، انظر: سير أعلام النبلاء، ١٦/ ٥٢٤ـ ٥٢٥، ١٧/ ٦٥٠، ومعجم الأدباء، ٥ / ٢٢٨٠، ياقوت الحموي، ت / ٦٢٦هـ، ت. إحسان عباس، ط١، ١٤١٤ هـ، دار الغرب الإسلامي .بيروت، والوافي بالوفيات، ٢١/ ٣٠٣، الصفدي، ت/٧٦٤هـ، ت/ أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث.بيروت.

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٢/ ١٢٤، المحسن التنوخي، ت/ ٣٨٤هـ، ط ١٣٩١هـ، وجدل ومواقف، ص٣٤، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر.القاجاري)، ويفهم من نقل الباحث عن التنوخي أنه رجل!، وما ذكره التنوخي عن البربهاري لم أقف عليه عند ابن كثير، ولا الذهبي، ولا ابن الأثير، ولعل أصل ذلك هو القصة التي ذكرها ابن الأثير في تاريخه، وذكر أن اسمها سكينة، الكامل في التاريخ، ٨/ ٦٠٠، وانظر تعليق محمد أبابطين في كتابه: سنوات الحنابلة، ١/ ١٤٥.

(٢) الحسن بن علي بن خلف، أبو محمد البربهاري، ت/ ٣٢٨هـ، تتلمذ على تلاميذ الإمام أحمد، وصحب سهل التستري، وهو شيخ الحنابلة في زمانه ببغداد، صلباً في الأثر، قوالاً للحق، عرف بالإنكار على المبتدعة، وله أعوان على ذلك من أتباعه الذين يجلونه، عاصر الأشعري، توفي مستتراً عام ٣٢٨هـ، ومن كتبه شرح السنة، انظر: طبقات الحنابلة، ٢/ ١٨.٤٥، وسير أعلام النبلاء، ١٥/ ٥٩١.٥٩٣، وسنوات الحنابلة، ١/ ١٤٥.

(٣) شرح السنة، للبربهاري، ص٣٧.٣٨، وطبقات الحنابلة، ٢/ ١٨.

الأضرحة، ومنها قبر علي الذي أحدث في النجف بداية القرن الرابع الهجري، حيث آل الأمر إلى حدوث كثير من البدع والمنكرات، ومنها بدع ومنكرات عاشوراء.

يقول ابن كثير ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ بعد ذكر مقتل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عام ٦١هـ، واصفاً بعض تلك المظاهر في هذا العصر: (وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها، فكانت الدبادب[١] تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء، ويذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتعلق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء، ليلتئذ موافقة للحسين، لأنه قتل عطشانًا، ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن، حافيات في الأسواق، إلى غير ذلك من البدع الشنيعة والأهواء الفظيعة والهتائك المخترعة، وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية[٢]، لأنه قتل في دولتهم)[٣]، وهذه الصورة تشبه ما انتشر عند الإمامية في القرون المتأخرة بما يعرف بالتشابيه (التمثيل).

ذكر ابن كثير عدداً من السنوات التي حصل فيها مثل ذلك، وبالأخص سب الصحابة، وما حصل بسببها من الفتن والقتل بين الرافضة والسنة، من بعد تسلط البويهيين في بغداد عام ٣٣٤هـ، منها ما حصل في سنوات ٣٣٨، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٢هـ، من الفتنة بين السنة والشيعة[٤]، ويقول ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ في حوادث سنة ٣٤٧هـ: (وقد امتلأت البلاد رفضًا وسبًا للصحابة، من بني بويه وبني حمدان والفاطميين، وكل ملوك البلاد مصراً وشاماً وعراقاً وخراسان، وغير ذلك من البلاد، كانوا رفضًا، وكذلك الحجاز وغيره، وغالب بلاد المغرب،

---

(١) الدولة الأموية، ١/ ٧١، ١٠٣، د. علي الصلابي، انظر مبحث استشهاد الحسين، والدبادب: جمع دبداب، وهو الطبل، ويقول ابن كثير في في حوادث سنة ٣٧٢هـ، يقول عن عضد الدولة: (أول من ضربت له الدبادب ببغداد، وأول من خطب له بها مع الخليفة)، وفي ٣٦٨هـ، قال: (في شعبان منها أمر الطائع لله أن يدعى لعضد الدولة بعد الخليفة على المنابر ببغداد، وأن تضرب الدبادب على بابه وقت الفجر، وبعد المغرب والعشاء، قال ابن الجوزي: وهذا شيء لم يتفق لغيره من بني بويه)، انظر: البداية والنهاية، ١١/، ١١/ ٢٩٢، ٢٩٩.

(٢) انظر: مقدمة كتاب في التاريخ العباسي والفاطمي، وسنوات الحنابلة، ١/ ٩٢.٩٣.

(٣) البداية والنهاية، ٨/ ٢٠٢، وقوله: (ليلتئذ)، لعلها: ليلتذ، من اللذة، أو ليتأذ من الأذى، وهي أقرب.

(٤) البداية والنهاية، ١١/ ٢٢١.

فكثر السب والتكفير منهم للصحابة)، ومثلها ما ذكره في حوادث سنة ٣٥١هـ[١].

ابن كثير ذكر أن النياحة في عاشوراء صدر الأمر بها من قبل معز الدولة ابن بويه عام ٣٥٢هـ، وفي نفس العام ــ أيضاً ــ صدر الأمر بتخصيص الثامن عشر من ذي الحجة عيداً بمناسة يوم الغدير، وذكر أن أهل السنة لم يستطيعوا دفع فتنة نياحة عاشوراء هذا العام؛ مما يدل أنهم دفعوا عدة محاولات سابقة.

ذكر الذهبي ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ قريباً من هذا، وأشار إلى أن تلك الأفعال تثير جهلة من أهل السنة، فيعملون ما يغيظ الرافضة، فيقول في حوادث ٣٨٩هـ: (كانت قد جرت عادة الشيعة في الكرخ وباب الطاق بنصب القباب، وإظهار الزينة يوم الغدير، والوقيد في ليلته[٢]، فأرادت السنية أن تعمل في مقابلة هذا أشياء، فادعت أن اليوم الثامن من يوم الغدير كان اليوم الذي فيه النبي ﷺ وأبو بكر في الغار، فعملت فيه ما تعمل الشيعة في يوم الغدير، وجعلت بإزاء عاشوراء يوماً بعده بثمانية أيام، إلى مقتل مصعب بن الزبير، وزارت قبره بمسكن، كما يزار قبر الحسين، فكان ابتداء ما عمل في الغار يوم الجمعة لأربع بقين من ذي الحجة، وأقامت السنية هذا الشعار القبيح زماناً طويلاً، فلا قوة إلا بالله)[٣].

مثله ما جرى في النصف من شعبان، عام ٣٣٥هـ، من زيارة لقبر الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وتعطيل الأسواق، ولعل ذلك أحدث تعظيماً لمولده، أو مولد المهدي المزعوم صاحب السرداب[٤]، وهذا العمل يصلح أن يكون بداية لعمل الموالد خلافاً للمشهور أنه ابتدأ مع دخول الدولة العبيدية لمصر سنة ٣٦٣هـ.

مما سبق تتضح جهود البويهيين وقبلهم العبيديين في إحداث بدع عاشوراء، وتطويرها، وأن العبيديين على ما ذكر عنهم من اضطراب أحوالهم فيها إلا أنهم أسسوا لاجتماع الحزن

---

(١) البداية والنهاية، ١١/ ٢٠٦، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٦٢.٢٧٣.

(٢) الوقيد: النار.

(٣) تاريخ الإسلام، ٢٦/ ١٣، ٢٧/ ٢٥، في حوادث سنة ٣٨٢هـ، وسنة ٣٩٣هـ.

(٤) حول حال زيارة المهدي زمن الدولة القاجارية، وأنواع الزيارة انظر ص٤٠٣، ٦٣١ من البحث.

والفرح فيها، وأنهم جعلوا مقتل الحسين كأيام الموالد، وقرنوها بموالد حكامهم، كما سبق، وأثر هذا على الإمامية، في قبول مثل هذه الأعمال، كما في عمل الولائم، والاجتماع عليها في سفرة الأحزان؛ ومع إظهار العبيديين الحزن والنياحة في عاشوراء إلا أنهم لا يبالغون فيه، أو أنهم قد يحصرونه عند المشهد الحسيني؛ بينما في العراق زمن البويهيين كان لجانب النياحة ومظاهرها صدى أكثر، وربما كان ذلك لقربهم من بيئة التشيع ومشاهد الأئمة، ومواضع مقاتلهم، وكونها قرب عاصمة الخلافة جعل لمظاهر عاشوراء هناك صدى أوسع.

القرون التالية(٦ـ٩):

وافقت هذه الفترة عدم استقرار الدول، وخاصة الكبيرة كالدولة العباسية، ثم استيلاء التتار المغول[(١)]، ثم قيام دويلات كثيرة متفرقة، وما يعنينا هنا من تشيع حكام هذه المرحلة، أو تأثرهم به، ودعم إقامة بعض مظاهر عاشوراء، وهنا أسجل ملحوظة، حيث لم تشتهر أحداث بارزة في هذه الفترة من جهة عاشوراء، مع جانب زيارة القبر، التي وسع فيها العباسيون، وقاموا بزيارات رسمية له، هذا إضافة إلى وجود مشاهير الإمامية، كالمحقق الحلي[(٢)]، وابن مطهر الحلي[(٣)]، وعلاقتهم بوزراء الدولة، كنصير الدين الطوسي[(٤)]، الذي قد

(١) انظر: الشيعة في العصر المغولي، محمد سعيد الطريحي، ص١٥، ط١، ١٤٢٧هـ. هولندا.

(٢) سبقت ترجمته قريباً ص٣٤٢ من البحث.

(٣) هو الحسن بن يوسف ابن مطهر الحلي، (٦٤٧- ٧٢٦هـ)، المشهور بالعلامة، رأس الإمامية في زمانه، واختلفت حوله آراؤهم، من شيوخه والده، وخاله المحقق الحلي، وأحمد بن طاووس، وميثم البحراني، وتتلمذ على غير الإمامية كالطوسي، وبعض السنة، ومن تلاميذه: ابنه أبو طالب محمد، والذي تتلمذ عليه الشهيد الأول العاملي نيابة عن أبيه، ومحمد بن علي الجرجاني، له تصانيف كثيرة جداً في الفقه والنحو والأصول والفلسفة والرفض، وينشغل بها الإمامية في حوزاتهم إلى اليوم، من كتبه: منتهى الطلب، وشرح مختصر ابن الحاجب،، ومنهاج الكرامة، وتجريد اعتقاد الطوسي، انظر: أمل الآمل: ٢/ ٨١- ٨٥، ٢٦٠، وأعيان الشيعة، ٢/٣٦٧، ٥/٣٩٨- ٤٠٨، ولسان الميزان، ٢/ ٣١٧، ٦/ ٣١٩، والدرر الكامنة، ابن حجر، ٢/ ١٦٠، ١٨٨، ووصفه بالمعتزلي، وأنه في غاية الشح رغم غناه ووجاهته.

(٤) هو محمد بن محمد بن الحسن، الطوسي، الملقب بـ(نصير الدين، المحقق، الخواجه)، (٥٩٧- ٦٧٢هـ)، من فلاسفة الشيعة ومنجميها، وزير هولاكو، بعدما فتحه قلاع الإسماعيلية بآلموت، وعايش سقوط بغداد ٦٥٦هـ، واختلف في علاقته بابن العلقمي الحلي وطريقة تشفيهما بأهل السنة، وكانت أسرته وزراء لحكام =

تنسبه الإمامية إليها، لكن المعروف عنه أنه إسماعيلي المذهب، اشتغل بالفلسفة والتنجيم والفلك[1]، ومع كونه وزيراً لزعيم هولاكو فلم يذكر أنه صنع مثل صنيع البويهيين، بل إن معاصره المحقق الحلي ـ كما سيأتي ـ ينكر أعمال النياحة والمآتم[2]، ويكذب نسبتها إلى الأئمة.

مما يذكره بعض الباحثين الشيعة في هذه الفترة وجود التوسع في حكاية أحداث كربلاء، وتنظيم الكتب المؤلفة في المقاتل بشكل جديد، أكثر تنظيماً وجودة في الصياغة الأدبية، ومن أبرزها آخر هذا الطور كتاب(روضة الشهداء)[3]، الذي نال شهرة عدة قرون، وقد اعتمدت قراءة كتب المقاتل كأبرز وسيلة للنياحة، وكأهم مظاهرها[4]، وهذا مما يؤيد مشاركة العلماء الأدباء من الشيعة فيها، وقد عرفوا عند المأتم بخلع عمائمهم، التي هي زي الوقار، إشارة إلى الجزع والفزع[5].

مما يذكر ــ أيضاً ــ في هذه الفترة وجود مشاركة من بعض الحنفية والشافعية في إقامة المآتم، وقد يدخلون معها من بداية محرم إحياء مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومقتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، ولو على سبيل المخالفة، كمقتل ابن الزبير، ومثل ذلك وقبله الاحتفال بقصة

=

الإسماعيلية النزارية، تتلمذ للإسماعلية، ثم في مدرسة الحلة، وتدارس مع تلاميد ابن عربي، ومن أعماله بناء مرصد مراغة عام ٦٥٧هـ، وعلى يديه دخل بعض التتار إلى التشيع، ومنهم تكودار بن هولاكو، من كتبه: تجريد الاعتقاد، وشرح الإشارات (لابن سينا)، والأخلاق الناصرية، انظر: أمل الآمل، ٢/ ٢٩٩- ٣٠٠، وأعيان الشيعة، ٩/ ٤١٤- ٤٢٠، ١/ ١٩٢، ٣/ ١٥٠، ٥/ ٢٦٩، ٩/ ٨٢- ١٠١، والبداية والنهاية، ١٣/ ٣٣٤.

(١) تتنازعه الإسماعيلية والإمامية، انظر: موسوعة أعلام الفلسفة، ٢/ ٦٦- ٦٧، والناجون من الغزو المغولي، ص١٣٧، ناديا إيبو جمال، ط١، ٢٠٠٤م، دار الساقي – بيروت.

(٢) راجع ص٣٤٢، ٥٠٨ من البحث.

(٣) انظر: كتب المقاتل ص٨٨٢ من البحث.

(٤) انظر: موقع: جمعية التوعية الإسلامية .مملكة البحرين، مقال: (نحتاج تغيير وإصلاح إيجابي.. والموكب في مقدمة الشعائر الإلهية)، هاشم السلمان، على الرابط التالي:
http://news.islam.org.bh/index.php?plugin=news&act=news_read&nid=639

(٥) النقض، ص٣٧٠.٣٧٠، القزويني، ط ١٩٧٩م، مجمع الآثار الوطنية. طهران.

(١) جدل ومواقف، ص٣٩.٤٢، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري).

الغار في مقابل احتفال الشيعة بيوم الغدير، وهذا كله من الجهل، قابله إنكار كثير من علماء السنة لهذه البدع، مما خففها ورفعها، بل نجد حتى بعض علماء الإمامية كالطوسي والمحقق الحلي أنكرا بعض هذه الشعائر، وكونها شعاراً للإمامية، أو آل البيت، وهذا يدل على استمرارها في تلك العصور، على الرغم من وجود من ينكرها؛ ومما يزيدها رواجاً هو رواج التصوف في تلك الفترة، حتى بين المنتسبين للسنة، والعلاقة بين التصوف والتشيع عموماً، والإمامية خصوصاً[1]؛ مما يفسر هذا الاشتراك بينهما في شهر محرم، فليس محرم خاصاً بالشيعة، ولعله من آثار عدم قبول مفهوم وعقيدة الرفض في مثل هذه المواضع المشتركة بينهما.

وفي ختام المطلب نستطيع أن نلخص ما استجد من أعمال الشعائر في هذا الطور في النقاط التالية:

٢٨- المواكب العلنية الرسمية.

٢٩- نصب القبب.

٣٠- ضرب الطبول.

٣١- تعليق المسوح (جلد الحيوان) في الطرقات.

٣٢- مشاركة النساء في المواكب حاسرات مع الرجال، ونوحهن ولطمهن.

٣٣- مشاركة النساء بمواكب خاصة، كما عند الفاطميين.

٣٤- تخصص البعض بمهمة النياحة، وظهور مصطلح النائح والنائحة.

٣٥- عدم شرب الماء يوم عاشوراء، والعطش موافقة للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣٦- ظهور مائدة سفرة الأحزان.

٣٧- الاجتماع على الولائم، ونحر بهيمة الأنعام لأجل ذلك (فرح).

٣٨- ذر الرماد والتبن ونثرهما في الطرقات، وعلى رؤوس المعزين.

٣٩- إغلاق الأسواق، ولو بالتشغيب على أهلها، وسد الطرقات.

---

(١) انظر الباب الثالث: المنزع الصوفي.

٤٠- انتقال صور الحداد والنياحة وزيارة القبر إلى مولد الحسين في شعبان.

٤١- عقد مجالس خاصة لرثاء آل البيت ومدائحهم، في غير عاشوراء.

٤٢- توسع زيارة قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤٣- ابتداء النياحة بشكل بارز عند قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤٤- بروز مشاهد آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومواسمهم، كالنجف، ويوم الغدير.

٤٥- ظهور قبور بقية آل البيت كمجمع للنياحة والاحتفال، كما في مصر.

٤٦- ظهور مشهد رأس الحسين بالقاهرة.

٤٧- ظهور الاحتفال بموالد أصحاب الكساء، ومنها المولد النبوي.

٤٨- المشي إلى الزيارة، وفي المواكب بأرجل حافية.

٤٩- تحول النياحة إلى مفهوم قراءة كتاب من كتب المقاتل.

٥٠- انشغال علماء المذهب بإعداد كتب المقاتل والزيارات.

٥١- قراءة المقتل في مجالس العزاء.

٥٢- بروز كتب مشهورة، كروضة الشهداء.

٥٣- خلع العمائم في مجالس قراءة المقتل من قبل العلماء والأعيان.

٥٤- بروز مشاركة غير الإمامية في عاشوراء، من شيعة، أو سنة.

٥٥- إضافة ذكر مقاتل الصحابة كعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى الشعائر.

٥٦- توسع ظاهرة السب، حتى شمل جمهور الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٥٧- وجود الإنكار من قبل أهل السنة.

٥٨- حصول بعض الفتن بين السنة الرافضة، وإحداث الجهلة البدع مقابلة.

المطلب الثاني

الظروف التي واكبت هذا الطور

واكب الطور الثاني ـــ وهو أطول الأطوار الأربعة ـــ عدة ظروف لها أثر في نشأة بعض الشعائر وتطورها، ولعل طول مدة هذه الفترة، وصعوبة تتبع تاريخها على الباحث لا يعني عدم أهميتها، فالأفكار لا بد من مرورها بمتغيرات خلال الزمن، قد يصل معه الأمر إلى اختلاف الصورة، أو غياب الهدف، و يمكنني هنا تسجيل ظروف هذا الطور، ومنها ما يلي:

١ - انتشار التشيع بأنواعه، واستحكام هذا الانتشار ظاهر في بداية القرن الرابع الهجري، وقيام عدة دول إسماعيلية وزيدية ناهضت الحكومات السنية، وإن كان لم توجد دولة اثني عشرية خالصة، وحتى الدولة البويهية لم تكن اثني عشرية، فإن قدومها كان من بيئة زيدية في بلاد الديلم، ولكنها تتعاطف مع الاثني عشرية، وأيضًا تتعاطف مع القرامطة والعبيديين، مما يشير إلى وجود أرضية تنتقل من خلالها عقائد تلك الفرق وشعائرها إلى عقائد الإمامية الاثني عشرية وشعائرها، إضافة إلى أهواء حكام تلك الدول التي ترسم صورة جديدة في الشعائر، من مثل ضرب الطبول كما في مسيرات السلاطين ومواكبهم، وأن تأييدهم لمثل هذه الشعائر لم يكن مستنداً إلى أسس مذهبية، بل كان لكسب ود طائفة من الناس في ظروف حرجة.

لكثرة ما يستشهد الإماميون بصنيع البويهيين ويستكثرون به فإنهم يتغاضون عن بيان حقيقتهم، وأنهم ربما أدخلوا إلى الإمامية ما ليس من مذهبها، وأن تغاضيها عنهم كان لقيامهم بحماية أسلافهم وتمكينهم في ذلك الوقت، ومن أشهرهم شيخهم محمد بن محمد بن النعمان، ابن المعلم، المعروف بالمفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ)، الذي كانت له حظوة عند البويهيين[١]؛ ولعله لبعد عهد البويهيين عن الفترة المعاصرة فإنهم لم يحظوا بنقد بارز كما حصل للدولة الصفوية، فعلى الرغم من فضلها على الشيعة إلا أنها لاقت نقداً من بعضهم؛ والذي ظهر لي أن البويهيين ليسوا من الإمامية، بل هم إلى الزيدية أقرب، كما أن هناك من ينسبهم إلى الإسماعيلية، لشدة

(١) سبقت ترجمته ص٦٠ من البحث.

تأثر بعض البويهيين بهم[1]، ولأهمية هذا الجانب فيمكنني أن ألخص الأمور التي ترشح قرب البويهيين من المذهب الزيدي، وهي كالتالي:

أ- نشأتهم وقدومهم من بلاد الديلم، التي يحكمها ويغلب عليها المذهب الزيدي.

ب- أن إبقاءهم للخليفة العباسي، وعدم إسقاط دولته، كان أخذاً بتجويز ولاية المفضول على الفاضل.

ت- أن تأثرهم بالرفض كان بسبب انتشاره حول بغداد، وبسبب جهلهم، ولذا رجع بعضهم عنه.

ث- أن تأثر بعضهم بالإسماعيلية مما يؤكد ضعف الجزم بكون البويهيين إمامية اثنا عشرية، بل أقرب إلى القول بجهلهم وتقلبهم.

ج- أن هناك من ذكر أن البويهيين من فرقة الجارودية من الزيدية، لسبهم الصحابة، مما يدل على أنهم زيدية الأصل، وليسوا إمامية، وإن عدت الجارودية من الرافضة.

ح- أن الزيدية ترى الخروج وإقامة الدول، بخلاف الإمامية التي تحرم ذلك، وتعيش حالة الانتظار[2].

٢- خطورة المواكب والمسيرات في تأجيج الصراع بين السنة والشيعة، وخاصة في البيئات المختلطة، فكان مرور المواكب لا يسلم من مصادمة بين الطائفتين، حيث أصبحت المواكب تعبيراً عن المخالفة، وتزداد باعتبارها شعيرة دينية، مع أن العبادات في ذاتها لا تحتاج

---

(١) تمكّن الداعية هبة الله بن موسى بن عمران الشيرازي -وهو والده أحد الدعاة العبيديين إلى فارس- من إدخال الأمير البويهي أبي كاليجار (٤١٥ . ٤٤٠هـ) في الدعوة الإسماعيلية، وقد كان كتاب دعائم الإسلام لأبي حنيفة الشيعي يقرأ في مجالسه، انظر: مجلة البيان، عدد: ٢٣٦، ص١٨، مقال: (الجذور التاريخية للتغلغل الشيعي في كردستان)، د. فرست مرعي الدهوكي، والإسماعيليون بين الاعتزال والتشيع، ص١٦١، محمد أمين أبو جوهر، ط٢، ٢٠٠٦م، التكوين - دمشق.

(٢) قد سبقت الإشارة إلى هذا الجانب عند التعريف بالدولة البويهية، حاشية (١) من البحث ص٣٦٨، وانظر مقدمة جيدة عن ظهور البويهيين من بلاد الديلم في كتاب: الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، ص ١٥، ٧٥.٧٨، د. وفاء محمد علي، ط ١٤١١هـ، المكتب العربي. القاهرة، وانظر: الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة، ص١٩٥، ١٩٧، أسامة شحادة، وهيثم الكسواني، ط١، ٢٠٠٧م، مكتبة مدبولي. القاهرة.

إلى التجمهر، فالصيام والحج يؤديها الفرد منفرداً، وصلاة الجماعة تؤدى ولو باثنين، ولا علاقة لبقاء المذهب بالتزام المواكب، فالمذهب قبل ذلك بقي من دون مواكب العزاء.

٣- النزاع بين السنة والشيعة يخلق جواً مناسباً لظهور بعض الأعمال الجديدة، ففي أرض العراق ــ مثلاً ــ يصحب النزاع السياسي والاجتماعي بين البلدان استرجاع بعض الأحداث التاريخية، فالتحق ذكر سب ابن الزبير في محرم، مقابل مدح أهل السنة له في ذلك الشهر، مما ساهم أن تحتضن هذه الشعائر في عاشوراء سب بعض الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كما يحتضن الاحتفال بعيد غدير خم سب الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويجري في مقابله احتفال بيوم الغار، الذي صحب فيه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله ﷺ.

قد يتوسع هذا الجانب بسبب الجهل، ويفتح باباً للكذب والوضع والابتداع وبناء المعالم والمشاهد على سبيل المقابلة، ثم ينبى عليها أمور ومظاهر عملية، ومن ذلك ما قد يكون لأجل كرامة تجددت أو ادعيت؛ يقول ابن كثير ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ: (ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة، في محرمها كشف أهل البصرة عن قبر عتيق، فإذا هم بميت طري عليه ثيابه وسيفه، فظنوه الزبير بن العوام، فأخرجوه وكفنوه ودفنوه، واتخذوا عند قبره مسجدا، ووقف عليه أوقاف كثيرة، وجعل عنده خدام وقوام وفرش)[1]، وفي موضع آخر يقول: (... قابلتهم طائفة أخرى من جهلة أهل السنة، فادعوا أن في اليوم الثاني عشر من المحرم قتل مصعب بن الزبير، فعملوا له مأتماً، كما تعمل الشيعة للحسين، وزاروا قبره، كما زاروا قبر الحسين، وهذا من باب مقابلة البدعة ببدعة مثلها، ولا يرفع البدعة إلا السنة الصحيحة)[2]، وفي موضع آخر يقول: (ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وفيها كانت وفاة الطائع لله على ما سنذكره، وفيها منع عميد الجيوش الشيعة من النوح على الحسين في يوم عاشوراء، ومنع جهلة السنة بباب البصرة وباب الشعير من النوح على مصعب بن الزبير بعد ذلك بثمانية أيام، فامتنع

---

(١) البداية والنهاية، ١١/ ٣١٩.

(٢) البداية والنهاية، ١١/ ٣٢٦.

الفريقان ولله الحمد والمنة)[1].

٤- انتشار وطراوة عقيدة الغيبة بصورتها النهائية، حيث رصدها ودونها أساطين المذهب في القرن الرابع، وعقيدة الغيبة بتحولاتها انتقلت بالشعائر من مفهوم المأتم والنياحة إلى مفهوم الخلاص، وعهد الأمل المنشود، ولعل دعاوى المهدية التي تكررت في بداية نشوء الدول، والتي منها الدولة الصفوية ـ بداية الطور الثالث ـ؛ توحي بأن عاشوراء سيتحول إلى مناسبة للمهدي الغائب، لا موسماً للحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ مما يمنحها أن تكون فرصة للإعلان عن تغير أو تجديد في المذهب، أو نشأة لحركة شيعية جديدة، مما رسخ عقيدة خروج المهدي في عاشوراء، وأنه وارث الدم، وصاحب الثأر، وكثرت دعاوى ملاقاته لأعيان الشيعة في ذلك اليوم، ولكن كان هذا على سبيل الانتظار، والخوف من التقدم بين يدي المهدي، والذي أخذ منحىً أوسع وأجرأ فيما بعد، وخاصة بعد تطبيق ثورة الخميني لنظرية ولاية الفقيه، والتي سيأتي الحديث عنها ـ بإذن الله ـ في مبحث قادم.

٥- ظهور الجهل في بلدان متفرقة، وأزمنة متفرقة من هذا الطور، في جانبي السنة والشيعة، مما قد يصحبه ضعف في التدين، وإهمال للشعائر الدينية، أو اشتراك في إقامة الشعائر المذهبية، أو ضم مظاهر غريبة إليها، كالحزن معًا على مقتل عثمان وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ وبعض العوام في بعض البلدان مع شدة الجهل قد يحتفظ بشيء من روح التشيع الحسيني، كالبكاء واللطم، ففيه رمز وذكرى وبعد تاريخي، من غير دعاية لها، ولذلك هذه الحالة قد تشهد تعايشاً غير مقصود بين السنة والشيعة، وأذكر أن أحدًا ممن قابلتهم أثناء فترة البحث، وكان سنياً متزوجاً بامرأة شيعية قريبة له، تسننت فيما بعد، وسألته عن سبب قبوله لهذا الزواج في البداية، فذكر لي أنه في ذاك الحين يتعايشون بشكل عفوي، بل لم يكن يستوعب فرقاً بين التشيع والتسنن إلا ما يذكر أن الآباء والعجائز كانوا يجتمعون ويضربون على صدورهم، من غير فهم لمعنى هذا التصرف، ومن غير أن تصلهم دعوات لشرح مضمون هذا العمل وأبعاده.

---

(١) البداية والنهاية، ١١/ ٣٣٢.

٦- التصوف والعرفان[١] في هذا الطور يضرب بأطنابه، فانتشار البدع الصوفية في البلدان السنية مما يسوغ استمرار شعائر عاشوراء، ويطورها عند الإمامية، وكلاهما مما يستغل لبعض الأهداف السياسية[٢]، والأهداف الباطنية، والتصوف احتضن بعض الطوائف الشيعية الغالية[٣]، التي ظهر من بينها الصفويون الذين كان لهم دور بارز في الطور التالي، ولعل المنهج الصوفي في إهماله للنقل والرواية، وإكثاره من الكرامات والخوارق والأساطير؛ له أثر على كتب الرواية الشيعية، التي يتعلق بها العوام والفقهاء لدرجة العشق، ويبنون عليها الشعائر ومشاهد القبور والمقامات، ولا يستطيع حينها مصلحو المذهب تخليصه منها[٤].

٧- تطور التيار الأصولي على يد المدرسة الحلية، ومن أعلامها "المحقق"، جعفر بن الحسن، الحلي، ت/ ٦٦٧هـ، و"العلامة" ابن مطهر الحلي، ت/٧٢٦هـ، وابن إدريس، وغيرهم؛ هذا في مقابل ضمور التيار الإخباري في هذه الفترة، أو انقراضه، الذي أخفى معرفة موقف هذا التيار من الأعمال التي حدثت في هذه الفترة، ومظنة الاختلاف قد تكون محصورة، أو لا ثمرة منها، لكن هذا واقع تلك الفترة، وما فيها من انتشار كتب المقاتل، وكتب الفضائل يوحي بتماهي المذهب مع التصوف، وكونهما دهليزاً للباطنية؛ ومما يشير إلى ذلك انشغال بعض رموز هذه المدرسة بكتب المقاتل والفضائل الضعيفة والموضوعة، ومثلها كتب

---

(١) انظر عن التصوف والعرفان الشيعي الباب الثالث من البحث.

(٢) منها قصة أبي ركوة الوليد بن هشام الأموي المتصوف السني، ت/ ٣٩٥هـ، الذي قام ضد الفاطميين في مصر، وسمي بأبي ركوة لحمله للركوة (آنية للماء من جلد) في أسفاره، وهي من عادات المتصوفة، انظر: الكامل في التاريخ، ٤/ ١٤١، وتلبيس إبليس، ١/ ٤٥١، ابن الجوزي، ت/ ٥٩٧هـ، ط١، ١٤٢١هـ، دار الفكر. بيروت، ويمكن مراجعة: الشيعة في العصر المغولي، للطريحي، ص٤٤.٤٨، للاستيضاح حول علاقة الشيعة والصوفية أيام حكم المغول في الهند.

(٣) حول الفرق الغالية المنتسبة للشيعة انظر ص٧٤٠ من البحث، والناجون من الغزو المغولي، ص١٣٧.

(٤) من غريب ما ذكر في أخبار الصوفية ما جاء في كتاب سير الأولياء في القرن السابع الهجري، ص١٠٣، ١١٤، من أن بعض الصوفية يضرب بالسيوف الحادة، ولا يحس بأذى، ولا تأثر، وأنهم يدخلون في النار، وذلك بدعوى التوكل، انظر: العلاقة بين التشيع والتصوف، ص٣٣٦، د. فلاح بن إسماعيل بن أحمد، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، مطبوعة على الآلة الكاتبة.

زيارات المشاهد والأدعية.

إذا أمكن أن نعد الانشغال بكتب المقاتل من ملامح التيار الإخباري، الذي يتحمس ويتصعب لإحيائها، وأن مثل هذه العناية يمكن أن تكون تعبيراً عن نشاط هذا التيار ووجوده، ومن الشخصيات الحلية التي تبرز في هذا الجانب ابن نما الحلي، ت/٦٤٥هـ[١]، في كتابيه: مثير الأحزان، وذوب النضار شرح الثأر، الذي يثني فيه على أحوال المختار الثقفي، ويثبت مشروعية زيارة قبره[٢]، ثم تلميذه ابن طاووس الحلي، ت/ ٦٦٤هـ، صاحب اللهوف على قتلى الطفوف، ومصباح المتهجد[٣].

الحديث عن مدى الانحراف في كتب المقاتل تلك الفترة له حديث خاص، والكتب المذكورة آنفاً من تلك الكتب، وهي تعبر عن الانحراف الخطير في وقتها، وكلما تباعد الزمن كثر التزيد في التاريخ، وتتنازع في هذا أغراض المؤلفين مع عقائدهم السردية، حتى أصبح التاريخ مستنداً للشعائر المذهبية، وطرق مسألة الثأر أمر قديم، ويوحي بتداخل الاثني عشرية مع فكر الزيدية، حيث إن ممن ألف في المقاتل بعض الزيدية المتقدمين ــ كما سيأتي ــ، وهو أمر يضاف إلى أثر البويهيين على الاثني عشرية، والذي تتكرر مثله في استظلال الإمامية تحت الإسماعيلية، وتأثرها بها، وذلك زمن التتار، ووزير هولاكو نصير الدين الطوسي[٤].

نعرف مما سبق أن من أظهر آثار هذه الفترة عدم عناية الإمامية بتصحيح الروايات، التي لم تأت إلا في وقت متأخر، وإذا كانت المدرسة الحلية خطت قليلاً في هذا الاتجاه فإنها تلقت هجمة شرسة من مجدد التيار الإخباري محمد أمين الاسترابادي؛ مما يوحي بأن نقدها لبدع عاشوراء سيضعف أثره بسبب هذه الهجمة، فكيف إذا عرفنا أن الإخباريين بعد الاسترابادي ـ كالمجلسي[٥] ـ أقروا كتب المقاتل والمزار والفضائل كما هي عليه، بل قد يكون حماسهم لها

---

(١) انظر ترجمته ص٨٨١ من البحث.

(٢) له ضريح يعظم، وشرعوا له زيارة انطلاقاً من تعظيمهم للثأر، انظر مطلب الزيارة ص٦٢٤ من البحث.

(٣) سبقت الإشارة إلى ترجمته، وأن ابن طاووس يمثل الإخبارية، في فترة ضمورها، انظر ص٤٩ من البحث.

(٤) سبق ترجمته ص٣٧٢، وحول أثر هذا الإسماعيلي على المدرسة الحلية انظر ص٥٩٢، ٧٧٩ من البحث.

(٥) من هؤلاء المحدثين الإخباريين المتأخرين عبد الله البحراني، صاحب العوالم، تلميذ المجلسي، وعباس =

أكثر، وزادها مكانة واعتباراً، مما جعلها بمثابة الكتب المعتبرة المتقدمة، وذلك لأنها ضمن المجاميع الأربعة المتأخرة، وزخرت بها، وقد تتسبب مثل هذه الأخبار الضعيفة في إشغال الفقهاء بالجدل حولها؛ وبهذا يمكننا أن نعد هذا من الفروق بين التيارين، وربما من هذا المأخذ نجد التيار الأصولي يعيب على الإخباريين إعاقتهم للبحث الأصولي[1].

مما يعنينا في جانب عاشوراء أن المحقق الحلي وهو أحد رموز هذا التيار الأصولي في هذه الفترة جزم ببطلان جلوس الأئمة للمآتم، ومثله أعمال النياحة المنسوبة إلى آل البيت[2]، والحلي ينسب إليه تبني التيار الأصولي، والانتصار للجانب العقلي، وقد ظهر الجانب لدى علماء الشيعة في تلك الفترة في المناظرات والردود التي جرت لهم مع مختلف المذاهب الإسلامية، ومن تلك المناظرات والردود ما جرى بين ابن مطهر الحلي وابن تيمية، ويظهر من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رضي الله عنه ـ أن الناس في زمانه من أهل السنة وغيرهم، يعيبون على الإمامية مذهبهم في ذلك الوقت وقبله، وأنه ليس لهم أخبار صحيحة، ولا عقول سليمة، ولا دولة منصورة[3]، وخاصة في قلب بلاد الإسلام، كالعراق والشام؛ ولعل هذا يشير إلى تذمر الشيعة في ذلك الوقت من طول انتظارهم، ووقوفهم عند أخبارهم، مما لعله ألجأهم إلى التبرؤ من الغلو في النياحة، وإعلان دعوى الإجماع على نفي ورود النياحة عن الأئمة، وعدم جلوسهم لها خلافاً لما تجدد من دعوى باطلة أن الإجماع جرى بين أعيان المذهب على إقامة الأئمة لنياحة عاشوراء، وهي دعوى تدل على توسع باب الأهواء والاستحسان لدى الإمامية الاثني عشرية؛ وهي غاية ما لديهم في هذا الباب.

وبهذا يتبين أن المرحلة الثانية للشعائر احتضنت نمواً لبدع عاشوراء الإمامية، إلا أن أهم

القمي، صاحب نفس المهموم، ومفاتيح الجنان.

(١) انظر: المعالم الجديدة في الأصول، ص٨٨، محمد باقر الصدر، وراجع الحديث عن الإخبارية والأصولية، ونشأتها، والفروق بينهما في الباب الأول، ص٤٨ من البحث.

(٢) وقبله شيخ الطائفة الطوسي الذي ادعى الإجماع على حرمة النياحة، كما سبق ص٣٤٢ من البحث، وسيأتي ذكر هذا عند الحديث عن المآتم في الفصل القادم، بإذن الله. انظر ص٥٠٨ من البحث.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٤/ ٤٢٩، ٤٧١، ٢٧/ ٥٤، ٢٨/ ٤٨٠، ٣٥/ ١٢٩.

ما يلحظ على الإمامية فيها هو اختلال مفهوم الانتظار لديهم، والسبب في ذلك هو ميلهم إلى الخروج، وتأصله فيهم، كما هو مذهب الزيدية، وبرز هذا الجانب في تأثر بدع عاشوراء بوجود البويهيين في السلطة، والذين كانوا ينتمون إلى التشيع الزيدي كما هو الأرجح في حالهم؛ إلى أن كثرت المؤثرات على مذهب الإمامية بامتزاجها مع طوائف الباطنية التي تقر الخروج، ولا تلتزم بالانتظار الاثني عشري؛ وهذه الفترة هيأت لما بعدها في الفترة الصفوية.

المبحث الثالث

عصر الدولة الصفوية (٩١٠-١١٤٩هـ)

وفيه:

تمهيـــــــــد: الصفويون.

المطلـــــب الأول: المظاهر وتطورها.

المطلـــب الثـــاني: الظروف التي واكبت هذا الطور.

تمهيد

يتناول هذا الطور فترة الدولة خاصة، وذلك من استيلاء الصفويين على إيران في بداية القرن العاشر الهجري، واستمروا في الحكم أكثر من قرنين، وتخصيص هذه الفترة باسم الصفويين ودولتهم لا يعني أنه لم يوجد شيعة إمامية غيرهم، لكن لأنها تبنت المذهب الإمامي الاثني عشري رسمياً من حين بدايتها، وادعت الانتساب إلى الأئمة، ومباركتهم لدولتهم، ولأهمية دورها أبرزت لها طوراً خاصاً.

الصفويون: واحدهم صفوي، نسبة إلى جدهم في القرن السابع صفي الدين، (الأردبيلي، نسبة إلى أردبيل في أذربيجان)، اختلف في أصله فقيل تركي، وقيل كردي، وادعى الصفويون فيما بعد أنهم ينتسبون إلى موسى الكاظم ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ، وواجهت الدولة الصفوية العثمانيين خلال قرنين، تشتد مواجهتهم حيناً، وتخف حيناً آخر، واتخذت من تبريز، ثم أصبهان عاصمة لها، ونظامها نظام ملكي وراثي، ومعنى الشاه: الملك، وظهر التقاتل داخل أبناء الأسرة الصفوية، إلى أن سقطت الدولة في عهد شاه حسين، الذي تسبب في إثارة السنة وتعصبه الشديد للمذهب الشيعي، وانتهى ذكرهم عام (١١٤٩هـ)، وكان بداية سقوطهم على يد الأفغان السنة، عام ١١٣٥هـ. ١٧٢٢م.

وملوك الصفويين عددهم جميعاً ١٤ ملكاً، وأسماؤهم قد تتكرر، وهي بالترتيب وترقيم مكررها كما يلي: إسماعيل: (١، ٣، ١٤)، وطهماسب: (٢، ١١)، ومحمد خدا بنده(٤)، وعباس: (٥، ٧، ١٢)، وصفي: (٦، ٨)، وسليمان: (٩، ١٣)، وسلطان حسين الأول: (١٠).

وأبرز شخصيات هذه الأسرة كما يلي:

١- صفي الدين تتلمذ على طريقة شيخه زاهد الجيلاني، ثم بعد وفاته أنشأ طريقته الصوفية.

٢- صدر الدين بن صفي الدين، (٧٣٥هـ)، ثم ابنه خواجه.

٣- خواجه علي: سلطان الأولياء، ثم ابنه جنبد.

٤- جنيد، الذي مال بالطريقة إلى التشيع، لاستعانته ببعض العلويين القزلباش، وهم في

الأصل أسرى لتيمور في حربه مع العثمانيين، لأجل استعادته سيادته بقيادة الطريقة، وعرف عنه ادعاء سيادة النسب، فاستعان بهم بعده ابنه حيدر.

٥- حيدر بن جنيد: الذي قاد الطريقة، وهو المؤسس الذي بدأ بالاستعانة بجيش خاص عرف بالقزلباش (نسبة إلى العمامة أو القلنسوة الحمراء التي يرتديها مريدو الطريقة الصوفية الصفوية، والتي تحتوي اثنا عشر عقدة، رمزاً لاثني عشر إمام).

٦- الشاه إسماعيل بن حيدر، أول ملوك الدولة الصفوية، عام ٩٠٧- ٩٣١هـ، والذي ادعي أنه مؤيد من الأئمة ونائباً عنهم، واعتمد المذهب الاثني عشري مذهباً رسمياً للدولة، استولى على إيران والعراق، واتخذ تبريز عاصمة له، أسقط دولة (القراقوينلو) التركمانية: الخروف.

٧- الشاه طهماسب بن إسماعيل، ٩٣١. ٩٨٤هـ.

٨- عباس الصفوي، وعصره هو العصر الذهبي الثاني: ٩٩٦-١٠٣٩هـ، وهو الذي اعتنى بالحج إلى مشهد، وبمدح الأئمة، واهتم بالعلاقة مع الغرب[1].

❁❁❁❁❁❁

---

(١) انظر: موسوعة تاريخ إيران السياسي، د. حسن كريم الجاف، ٣/ ١١-٨٥، ط١، ١٤٢٨هـ، الدار العربية للموسوعات. بيروت، وتاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، ٩٠٧-١١٤٨هـ، ٥. ١٤، ٣٥. ٤٩، د. محمد سهيل طقوش، ط١، ١٤٣٠هـ، دار النفائس. بيروت، والشيعة في العصر المغولي، ص٢٢. ٢٧، والصفوية: التاريخ والصراع والرواسب، مبحث: (الأسرة الصفوية شيوخها وملوكها)، ص١٣٧-١٥٧، محمد المعموري، ط١، ٢٠١٠م، مركز المسبار للدراسات والبحوث.

المطلب الأول

المظاهر وتطورها

يبدأ هذا الطور من حين استيلاء الصفويين على إيران في بداية القرن العاشر الهجري، ومن حين تمكنها من السلطة اعتمدت إقامة الشعائر في عاشوراء كجزء من مسؤولياتها، بل كما يشير الدكتور علي شريعتي أنها خصصت لها وزيراً خاصاً[(١)]، وقربت علماء المذهب، ونشرت تراثهم، ودعمت اجتهاداتهم وبدعهم الحديثة، ولعل من أبرز ما تعلق بعاشوراء منها فتوى شيخ الدولة علي الكركي، بجواز السجود على التربة المشوية، التي تصنع وتحمل من أرض كربلاء مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مما ساهم في تمديد وتسهيل رسالة عاشوراء زمانياً ومكانياً[(٢)].

الدولة الصفوية ينسب إليها الجهد الأكبر في شعائر عاشوراء، ومن ذلك اعتماد مجالس العزاء الرسمية، ووجود منبر ومقعد بارز مخصص للخطيب والواعظ، الذي سيتولى أمام الشاه والحضور حكاية الحادثة، وقراءة كتب المقاتل، وإبكاء الحاضرين، كما تلقى عايه قصائد الرثاء والمديح للأئمة؛ وقد تنافس المؤلفون والشعراء بين يدي الشاه، لتقديم الكتب والمنظومات والملاحم حول الحادثة، ومن ذلك نظم حسين فدائي النيسابوري لروضة الشهداء، والذي كان مشتهراً في مجالس العزاء، وقد قدم هذا النظم هدية للشاه إسماعيل الصفوي.

كان انشغال بعض ملوك الدولة الصفوية بكثرة الحروب والقتال مجالاً لحرصهم على مثل كتب المقاتل، لما تحركه من عواطف العوام، وكانت هذه الشعائر تتزامن مع أوقات الحروب؛ ومع شدة ظروف الحرب فإن الصفويين كانوا يقيمونها، بل وفي مواقع القتال[(٣)]، بل وكان

---

(١) انظر: التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص٢٠٦ـ٢١٠، د. علي شريعتي، ط٢، ١٤٢٨هـ، دار الأمير – بيروت، وذكر أنها أوفدت هذا الوزير إلى أوربا مبعوثاً لحضور ذكرى استشهاد المسيح السنوية، التي تقام في منطقة اللورد.

(٢) حول مظهر التربة الحسينية ينظر ص٦٣٨ – ٦٥١ من البحث.

(٣) انظر: جدل ومواقف، ص٤٩، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري).

الشاه نفسه نائحاً جزعاً، فيلبس السواد، ويتمرغ بالوحل[1]، ولعل هذا ما يورد القول بأن ظهور حمل الأسلحة وعدة الحرب وراياتها وطبولها كان مرجعه إلى هذه الحال الذي عاشه الصفويون مع مناوئيهم، ولعل من أشهرهم دولة الخلافة العثمانية، فأصبحت الشعائر وكأنها مناورة حربية، تأثراً بمثل هذه المرحلة، وذلك مما زاد التعلق بالدولة وبالمذهب، خاصة في بلاد إيران، التي تعتبر هذا العهد نصراً لم يسبق له مثيل بعد الفتح الإسلامي.

مما يشار إليه اتصال الدولة الصفوية بالدول الأوربية[2]، التي استولت على سواحل قارتي آسيا وأفريقيا؛ فحظيت هذه الدول بتواصل الصفويين معها، وزامن ذلك زيارة الرحالة الغربيين الموفدين، أو السياح إلى بلاد إيران، وتضمنت زيارتهم حضور موسم عاشوراء واحتفالاته في إيران، وتدوين ما رأوه في مذكراتهم، يقول أحدهم عن مجالس العزاء: (وتقام هذه المجالس نهاراً في المساجد، وليلاً في الأماكن العامة، أو في بعض البيوت التي تعرف بأنوارها الكثيرة، والأعلام السوداء، ووشاح المأتم، وتقرأ المراثي بحماس أكبر، ويبكي المستمعون، وينوحون بأصوات عالية، وتلطم النساء صدورهن، ويكرر الجميع بحزن عميق المقطع الأخير من القصائد التي تقرأ، ويرددون: آه حسين، الملك حسين)[3].

من الغريب أنه تكرر في تقرير أولئك الأوربيين ذكرهم أن المناسبة كانت احتفالاً لإحياء

---

(١) انظر: الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي، ص٩٩، وانظر ص٤٩٩- ٥٨٣ من البحث.

(٢) يحمل بعض الإمامية الدولة الصفوية عبء الشعائر الدخيلة على المذهب، ومن هؤلاء د. علي شريعتي، ولكن شريعتي في حملته على الدولة الصفوية كأنه يحملها .أيضاً .عبء وتبعات الاتصال بأوربا، ويتوسع في ذلك، حتى يحملها تبعات الدول التي جاءت بعدها، فيوحي أن جميع هذه الشعائر المسيحية نقلت دفعة واحدة إلى إيران.

(٣) انظر: جدل ومواقف، ص٥١، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر.القاجاري)، وفيه أن الزيارة كانت عام ١٢٠٧هـ / ١٦١٨م، كما في الكتاب، ولعله خطأ طباعي، والصواب بالتاريخ الهجري: ١٠٢٧هـ، أي في عهد الشاه عباس الأول (٩٩٦.١٠٣٩هـ/ ١٥٨٧.١٦١٨م)، ويعد عهده فاتحة التحالف مع أوربا، وعن علاقات الصفويين بالبعثات الأوربية، انظر: موسوعة تاريخ إيران السياسي، ٣/ ٤٢ـ ٥١، وتاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، ص١٨٦ .٢١٣، وانظر: جدل ومواقف، ص٦٤، مقال: (تاريخ المآتم الحسينية في العصر القاجاري).

ذكرى الإمامين: الحسن والحسين ابني علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وذكروا أن من هتافات الشيعة ترديدهم في الطرقات وأثناء الرقص عبارة: (حسن حسين)، مع أن المناسبة خاصة للحسين، وأفادني بمثل هذه العبارة أحد المشايخ السلفيين من حيدر أباد في الهند، أنه كان يسمع هذه العبارة من بعض الهندوس المجاورين للشيعة، وأنهم يقلدون الشيعة في شيء من أعمالهم فيرقصون لعباً، ويرددون بلهجتهم: (هسو هسين)، أي حسن حسين، ولم أعرف حينها تفسير هذه العبارة وعلاقتها بيوم عاشوراء، إلا أنها ربما كانت من تصرف العوام، أو أن لفظ (حسن) وصف للحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لا اسم أخيه الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وذلك على نحو الهتاف والعبارة التي يرددها الشيعة الهنود وغيرهم: (حيدر علي)، فحيدر هو علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[1]، على أن اسم الحسن يتكرر كثيراً ضمن المنشورات والكفوف[2]، والأعمال النحاسية التي تخصص غالباً لأصحاب الكساء الخمسة:(محمد، وفاطمة، وعلي، والحسن، والحسين)، عليهم جميعاً الصلاة والسلام والبركة والإكرام[3].

قد وقفت على ما يفسر هذا العمل، وهو من باب التمثيل والتشبيه لما جرى من التصارع بين الحسن والحسين في عهد النبي ﷺ،عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «قعد رسول الله ﷺ موضع الجنائز وأنا معه فطلع الحسن والحسين فاعتركا، فقال النبي ﷺ: إيهًا حسن، خذ حسيناً، فقال علي: يا رسول الله، أعلى حسين تواليه، وهو أكبرهما، فقال: هذا جبريل يقول: إيهاً حسين»[4]؛ وهذا يشير إلى عناية هذه الفترة بالتشابيه، وتمثيل أحداث المقتل.

---

(١) في زيارة قمت بها لبلاد الهند في عام ١٤٣١هـ.

(٢) الكفوف: جمع كف، وأصبحت من مظاهر وشعائر عاشوراء، وكانت ترمز إلى بعض أحداث المقتل، وهي كف العباس، وللتوسع حولها انظر: الفصل القادم، المبحث مظاهر الأحياء والتعظيم، المبحث الثالث: التذكار والتشابيه.

(٣) لعل هذه الأعمال نشأت لتضاد وتفاعل الاحتفال مع بيئات شيعية أخرى، إما: زيدية (ترى الإمامة في ذريتهما)، أو إسماعيلية (تختلف في تفضيلها كمستقر ومستودع: داودية، سليمانية)، والهند تحوي كثيراً من فرق الشيعة.

(٤) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ١٤/ ١٦٥، أخرجه عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومداره على: علي بن أبي علي اللهبي، الذي يرويه عن الصادق، واللهبي متروك، كما في لسان الميزان، ٣/ ١٤٧، وأخرجه ابن عساكر، ١٤/ ١٦٥، من =

مما يجدر ذكره هنا أن الدولة الصفوية لها تواصل في نشر التشيع ودعم الشيعة، مع دولة المغول[1] في بلاد الهند، فبين شيعة القطرين اتصال مشهور، وهو مما يؤكد وجود إحياء لبدع عاشوراء في بلاد الهند، وتبادل في طريقة تلك الشعائر[2]، وقد عرفت دولة المغول في عهد

=

رواية أبي هريرة، وذكر فاطمة بدل علي، ومداره على: عمر بن أبي خليفة العبدي، الذي يرويه عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، والعبدي مختلف فيه، وقيل: منكر، الميزان، ٣/ ١٩٢، وأخرجه ابن سعد في الطبقات، ط٥، ١/ ٢٨٥، رقم ٢٣٦، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أقوى الطرق الثلاثة على ما فيه، وقد درس هذه الروايات الباحث عثمان الخميس، وحكم على الحديث بمجموع طرقه بأنه حسن لغيره، انظر: الأحاديث الواردة في شأن السبطين، ص٣١٣.٣١٧.

(١) الدولة المغولية ـ المنغولية: نسبة إلى المغول، ويرجعهم البعض إلى الترك، أو إلى المنغول، وهم التتار، شكلوا عدة قبائل تقطن صحراء وهضبة بين الصين وروسيا، توحدت تلك القبائل تحت لواء جنيكيزخان، الذي امتدت مملكته وامبروطريته امتداداً عظيماً على رقعة شبه متصلة، مستولية على بلاد الصين والروس، فاقها إمبروطرية بريطانيا المتفرقة، أسقط المغول عديداً من الدول والممالك، منها الدول الإسلامية في بلاد وراء النهر، وبلاد فارس والعراق، اعتمدت كتاب وقانون الياسق، وقسم "الخان: الملك" جنيكزخان الدولة في آخر عهده على أبنائه الثلاثة، والذي يعنينا هي الجهة الغربية لدولته من نصيب ابنه هولاكو، وحكم التتار في هذه الجهة جاء على مرحلتين، كما يلي:

فترة هولاكو بن جنكيز خان، الذي استولى في منتصف ق ٧هـ/ منتصف ق ١٣م على بلاد فارس والعراق، وزحف إلى الشام، وقامت بينه وبين المسلمين المعركة المشهورة "عين جالوت" في الشام، بقيادة المظفر قطز، الذي أوقف زحف المغول من جهة الغرب، وبعد اضطراب حكم الأسرة المغولية فترة من الزمن تولى السلطة في البلاد الإسلامية ابنه غازان المغولي، الذي اعتنق الإسلام، وزحف بقواته نهاية القرن إلى الشام، وفي بداية القرن الثامن الهجري ضعف المغول، واستقلت السلالة الجلائرية ببلاد فارس والعراق، حتى عودة المغول مرة ثانية.

فترة تيمورلنك، عام ٧٧١ ـ ٨٠٧هـ، والذي انقسم أولاده من بعده: بعضهم بقي في بلاد فارس، ولكن لضعفهم اضطرتهم إلى أفغانستان دولة التركمان (القراقوينلو)، والذين خلفهم الصفويون بعد تعاون المغول معهم، فالمغول لهم فضل في تولي الصفويين.

بعضهم استقل فيما بعد بالهند، من أشهرهم بابر، الذي تولى عام ٨٩٩هـ، ودخل دلهي عام ٩٣٢هـ، خلفه من بعده ابنه همايون، الذي التجأ فاراً إلى الشاه طهماسب الصفوي بإيران، عام ٩٤٧هـ، ثم جهزه بصحبة القائد التركماني الشيعي بيرم، واستولى على الهند ثانية، ومات سنة ٩٦٣هـ، وخلفه ابنه جلال الدين أكبر (ت/ ١٠١٤هـ).

انظر: الشيعة في العصر المغولي، ص٤٤.٧، ٤٨.

(٢) الشيعة في العصر المغولي، الطريحي، ص١٧، ويذكر أن غازان متسامح مع الشيعة، وزار العتبات الشيعية، ثم

=

أكبر ابن همايون[1] بتشجيع الصور والرسم، والانفتاح مع الهندوس والبوذيين والمسيحيين[2]، حتى عرف أنه تبنى ديانة جديدة شاملة للهند، أسماها "الدين الإلهي"، ولها دستورها وتقويمها.

قد سبق أن أشرت إلى التوسع في كتب المقاتل قبيل الدولة الصفوية، ككتاب روضة الشهداء للكاشفي، الذي اعتمدته الدولة الصفوية في بدايتها، ومن أشهر ما أبرزه هذا الطور: كتاب مقتل العوالم، لعبد الله البحراني الإصفهاني، وكتاب شيخه المجلسي، المعروف ببحار الأنوار، الذي لقي حظوة عند البلاط الصفوي، وتقديماً على غيره، واعتماداً لآرائه، فعين في منصب (شيخ الإسلام)، وقبله منتخب الطريحي، ت/١٠٨٥هـ.

هذا كما تُرْجِمَ في تلك الفترة عدد من كتب المقاتل ومجالس العزاء، من اللغة الفارسية وغيرها إلى اللغة العربية، والعكس، ولعل فيما لم يترجم إلى العربية ما هو أشد وأفظع نكارة، كما أن مما أثارته الدولة الصفوية إحياء الأدب الفارسي ورواياته القديمة لأبطال إيران، وتمثيلها ورسمها على المسارح، ومنها مسرحية عرس القاسم[3]، وكذلك دخول الموسيقى للاحتفالات الدينية، والتي صدرت فتوى الإباحة بجوازها من السبزواري، ت/ ١٠٩٠هـ، بعد طول جدل واستنكار[4].

من أبرز المظاهر الحديثة التي يشنع فيها على الإمامية، ما اكتسبه ملوك الصفويين من

=

بعده أخوه خدا بنده، الذي كان مسيحياً، ثم أسلم، ثم تشيع، ثم ابنه أبو سعيد، وذكر دول الشيعية، ومنها: دولة التركمان الشيعية (القراقوينلو)، والدولة السربدارية في سبزوار؛ وبعد انتصار إسماعيل الصفوي على دولة الأوزبك السنية عام ٩١٦هـ، وكان أنقذ منهم أخت بابر زعيم مغول الهند، مما جعل ذلك فرصة للتقارب بين المغول في الهند وبين الصفويين في فارس، ومن رد الجميل السابق للمغول، وانظر: كتاب الشيعة في التاريخ، عبد الرسول الموسوي.

(١) يشير الطريحي الشيعي إلى تشيع أكبر وأبوه همايون.

(٢) الشيعة في العصر المغولي، ص٧٨، ٨٠.

(٣) عرس القاسم ضمن مظاهر المهرجان والاحتفال، انظر ص٩٠٦ من البحث.

(٤) انظر: الصفوية، المسبار، ص٢٨، ٣٣، ٣٤.

طقوس البلاد المسيحية المجاورة لهم، والتي يقيمونها في ذكرى المسيح؛ من تطبير وزناجيل حيث أرسل الشاه طهماسب(٩٣١- ٩٨٤هـ) بعثة إلى بلاد القرم، لتنقل تلك الطقوس، مما يعني أن هذه العادة ظهرت في القرن العاشر الهجري، وقيل إنها نقلت من وفد تركي شيعي قدم من القوقاز لزيارة كربلاء[١].

بروز جانب العنف ومظاهره ارتبط ذكرها بذكر الدولة الصفوية، وهو قضية لا زال الجدل قوياً فيها، وهناك من يربط بينه وبين العنف في الحروب العالمية، وبين الدولتين العثمانية والصفوية، ومن ذلك ما يعرف بالفدائيين القزلباش، وهم في الأصل أتراك من أسرى حرب تيمور مع العثمانيين، فعطف عليهم الصفويون، واستعانوا بهم في فترة إعداد قوتهم، وقبل ظهور دولتهم، حين تعاون تيمورلنك المغولي معهم، ثم أخلصوا للشاه الصفوي، حتى إن لهم فيه اعتقاد، حتى إنهم يلقبونه بالمرشد الكامل[٢]، وهي من بقايا التصوف لدى الصفويين.

في ختام المطلب أضيف ـ إلى ما سبق ـ ما استجد من أعمال الشعائر ومظاهر بارزة في هذا الطور، مما ذكره أو نبه عليه أحد الكتاب، ومنها مظاهر لم يسبق عرضها، وهي من قبيل المهرجانات وأبهة الملوك، وذلك في النقاط التالية:

٥٩- تبني الحكام للشعائر والنياحة بشكل مباشر، وتخصيص وزير لها[٣].

٦٠- مجلس التعزية والروضة: وتسمى مجالس العزاء بمجالس الروضة، لانتشار قراءة كتاب روضة الشهداء.

٦١- العناية بالأضرحة، كعناية الصفويين بمشهد الرضا، والحج إليه.

٦٢- اعتماد السجود على التربة الحسينية المشوية، من خلال فتوى الكركي.

٦٣- التوسع في كتب المقتل، و بروز عدد منها، ككتاب منتخب الطريحي، والنظم الملحمي لكتاب روضة الشهداء، لحسين فدائي النيسابوري.

---

(١) هناك من ذكر أن الزناجيل ظهرت بعد الدولة الصفوية، انظر ص٤٠٥ من البحث.

(٢) انظر: تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، ص٤٢، ٤٨، ٥١.

(٣) راجع ص٣٨٧ من البحث.

٦٤- ترجمة كتب المقاتل، وربطها بالأدب الفارسي.

٦٥- استخدام المنبر، بحيث يتخذ للخطيب بحضرة الملك.

٦٦- تشجيع الابتكار والتنافس في مجالس العزاء.

٦٧- اجتماع الرجال والنساء في مجالس العزاء.

٦٨- الرقص، ومنه القفز والدوران.

٦٩- تمثيل التصارع، وترديد أسماء الأئمة، كعلي والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ونداء: حسن حسين، وحيدر علي.

٧٠- طلي الجسم بالسواد، أو بالحمرة، مع تعرية الأجسام.

٧١- حمل الأسلحة وعدة الحرب.

٧٢- حمل الأعلام والبيارق في المواكب.

٧٣- حمل الصناديق والتابوت.

٧٤- إطلاق ١٢ حمامة.

٧٥- تنظيم دخول المواكب، ووفودها من أماكن متفرقة، وقد يصل عددها إلى اثني عشر موكباً.

٧٦- أكل الطعام ليلاً.

٧٧- تمثيل الرؤوس المقطوعة.

٧٨- تمثيل شخصيات القصة.

٧٩- إعداد مجسمات لأعداء الحسين، كابن زياد، ويزيد، وغيرهما، لإهانتها وإحراقها.

٨٠- قراءة الفاتحة للحاكم في عاشوراء.

٨١- الضرب بالسلاسل على الظهور: الزناجيل.

٨٢- التطبير بالسيوف، أو الحجارة.

٨٣- إقامة المآتم والطقوس حتى في زمن الحروب.

المطلب الثاني

الظروف التي واكبت هذا الطور

واكب الطور الثالث عدة ظروف لها أثر في نشأة بعض الشعائر وتطورها، ولعل أهمها وجود أول دولة تمثل مذهب الإمامية الاثني عشرية، أو تعترف به مذهباً رسمياً لها، ويمكن هنا تسجيل بعض تلك الظروف، ومنها ما يلي:

١- النزاع بين الدولتين الصفوية والعثمانية، الذي كان له أثر في تجدد العداء، وظهور مظاهر العنف والانتقام في المناسبات، ومنها المناسبات الدينية، كشعائر عاشوراء عندهم، ويتضح ذلك في حمل السلاح، وتحريق المجسمات التي ترمز إلى قتلة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن الأمور التي حدثت في هذا الطور تعظيم الصفويين لمشهد طوس، وتوجيه الزوار الشيعة إليه، فقد تبنى الشاه عباس - في بداية القرن الحادي عشر الهجري - الحج إلى هذا المشهد، فكان يمشي إليه سيراً على الأقدام من مسافات طويلة، وقام بإعماره وبالغ في ذلك، حتى أضحى منافساً للنجف وكربلاء، وكان يأمر الناس بزيارة هذا المكان، وذلك تعويضاً للشيعة الفرس عما يلاقونه من مضايقات في مزارات الشيعة في العراق[1].

٢- الدعوة إلى التشيع بالقوة والإجبار، وقتل أهل السنة، و ظهور العداوة والسب للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سمة بارزة في الدولة الصفوية، مما هيأ أن تحتوي شعائر عاشوراء على مزيد من اللعن والسب للصحابة، إضافة إلى لعن قتلة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خاصة وأن الحادثة تمثل مصيبة وقعت بين صفوف المسلمين، فالشعائر بهذا الحال تستحضر كل معاني ومواضع الخلاف بين الطائفتين، وتقسم واقعهم: إما مع الحسين، أو مع بني أمية، ولا أدري: هل كان للنسب الحسيني الذي ادعاه الشاه الصفوي أثر في قبول هذه الشعائر الحسينية، من جهة رمزها الأول، ومن جهة محييها الآخر؟

من خلال النظر في حال الدول التي جاءت بعد الصفوية يمكن أن يستأنس بهذا

---

(١) انظر: الصفوية، المسبار، ص٢٣-٢٤.

الاحتلال، حيث جرت منها محاولات لتخفيف هذه الشعائر الجديدة، أو إزالتها، لكنها لم تنجح، والغريب مع هذا أن تأتي ثورة الخميني فتنسف كل فضل للدولة الصفوية على التشيع، بدعوى أنها كانت امتداداً للامبرطورية الفارسية، والسر في هذا وجود نظام التوارث الملكي عند الصفويين ومن بعدهم، الذي يعد أخطر انحراف في عرف الثورة الخمينية الحسينية، وهو المدخل الذي استثمره الخميني كثيراً لثورته[1]، لكن هذا الإلغاء لشرعية الدولة الصفوية لم يتبعه إلغاء لشعائرها وثقافتها الأوربية التي جلبتها.

٣- زامنت الشعائر في هذا الطور تجديداً من علماء المذهب، فظهر دور العالم الشيعي علي الكركي، الذي يعرف بـ(مخترع الشيعة)[2]، الذي منح الشاه الصفوي مباركة شرعية على ولايته وحكمه، بكونه نائباً عن الإمام الغائب، وكان الشاه قد استدعى الكركي من لبنان، ومن خلال فرمان عينه في أعلى منصب ديني في الدولة، باعتبار أن العالم ينوب عن إمام الزمان الغائب، ولم يسبق لهذا الاجتهاد مثيل، حيث كان علماء الإمامية يعيشون فترة الانتظار والغيبة، ويرون أن كل دولة قبل عصر الظهور دولة باطلة، ولعل هذه الخطوة مهدت لقيام الفقيه بالولاية المباشرة، غير المباشرة، التي تتم قبل ذلك، علماً أن أعمال عاشوراء بدأت من الشاه الأول إسماعيل، بينما فتوى الكركي كانت في عهد الشاه الثاني[3].

---

(١) نهضة عاشوراء، ص٢١، ٤١، إعداد: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، وهو ضمن مكتبة شبكة البتول الإلكترونية، وهو على الرابط التالي:
http://www.anwar5.net/albatoul/index.php?book=89&part=1

(٢) علي بن بن الحسين بن عبد العالي العاملي الكركي، يلقب بالمحقق الثاني، بل (مخترع المذهب)، أعلن الرفض والتصوف والفلسفة، استقدمه الشاه إسماعيل من جبل عامل، ثم طهماسب، وولي عندهما منصب صدر الدولة (الشؤون الدينية)، ومنصب شيخ الإسلام (القضاء)، ومنح الشاه النيابة الشرعية عن المهدي، يشبه بالطوسي وزير هولاكو، ومن كتبه: نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت، وشرح الشرائع، ورسالة الجمعة، ورسالة السجود على التربة، ومن فتاويه: جواز السجود على التربة المشوية، وهي من شذوذاته التي أصبحت من ضروريات المذهب، توفي سنة ٩٣٧هـ؛ انظر: أمل الآمل، ١/ ١٢١-١٢٢، وأعيان الشيعة، ١، ١٤٥، ٦/ ٦٦، ٨/ ٢٠٨- ٢١٣.

(٣) انظر: الصفوية، المسبار، ص١٥-١٧.

صدور هذه الفتوى ألبس كل ما أحدثه الشاه صبغة دينية، ومنها التربة الحسينية بعد شويها، وألصق هذه البدع بالمذهب، وفتح للحكام والملوك المشاركة في رسم معالمه، والغريب أن هذا كله مناقض للهدف الذي تدعي الإمامية إحياءه، وهو حفظ الدين من الانحراف، الذي ضحى من أجله الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهذه المبادرة من الكركي ــ كمرجع للمذهب ـ لاشك أنها أحدثت إشكالاً وقلباً وهزاً للمذهب في جميع جوانبه، ولا زال الخلاف والإشكال قائماً بين علماء المذهب على جواز تصرفه، والخلاف ينجر إلى جوانب كثيرة، منها شعائر عاشوراء[1].

٤- أن الشعائر اكتسبت صبغة الغلو في الأئمة من خلال الإرث الصوفي للدولة والأسرة الصفوية، وقد بلغ أوجه قبل قيامها، واكتسب الغلو مشروعيته من خلال منصب شيخ المذهب في الدولة، حيث ينصب فيه أحد علماء التيارين: الأصولي الذي حظي بمكانة في الغالب، والإخباري الذي حظي بالمكانة في آخر عهد الدولة، ومنهم المجلسي صاحب بحار الأنوار، الذي عاصر الدولة الصفوية في آخر عهدها، لكنه ـ مع غيره ــ حمل الدولة على محاربة التصوف والتبرؤ منه، في نزاع مشهور، وصل حد التكفير والرمي بالزندقة، مما يدل على خطورة الأثر الذي أحدثه التصوف على المذهب، ولن تسلم شعائر عاشوراء من هذا الأثر، هذا مع أن الطائفة الإخبارية اعتمدت قبول كثير من كتب الرواية في المذهب، والتي تحوي الغلو، ولكن زعمت الطائفة الإخبارية أن ما زاد على ذلك فهو غير مقبول، اكتفاء بأخبار الأئمة، وخاصة ما كان من خصائص طائفة أخرى، كالصوفية، التي قد يتهمونها بالنصب، إضافة إلى القول بوحدة الوجود، ونحوها من مقولات غلاة الصوفية.

هذا الصراع حول التصوف والتشيع انتهى بمثل نهاية الصراع حول الطقوس المحدثة في عاشوراء في هذه الفترة، فقد قام بعض علماء المذهب باستنكار واسع لهذه الطقوس الدخيلة، ولكن قوة وعنف الدولة الصفوية أخضعت الجميع لقبولها، مما اضطرهم إلى الركون إلى التقية

---

(١) حول التربة الحسينية انظر ص٦٣٨ من البحث.

لمدة تقارب الثلاثة قرون، فاستقرت بإرادة سياسية، لا إرادة دينية[١]، مما جعل هذه الطقوس والشعائر خلفية دينية للمجتمع الشيعي، وإرثاً تاريخياً يصعب عليه التخلي عنها، وجدت من يبرر لها تحت غطاء أنها: «خارجة عن نطاق الشريعة، وداخلة في نطاق الحب الذي لا يلتزم بالقيود والضوابط»؛ وهذا الاعتذار اللطيف لا يخلو أيضاً من تقية، فالتقية عقدة المذهب وعقيدة شيعته.

الإشكالية ــ إذن ــ ليست في تطبيق الدولة الصفوية، وإنما في المذهب وتراثه، والباطنية المتغلل فيه؛ وهذا مما أضعف دعاوى إصلاح المذهب، وبطبيعة الحال فإن نفوذ المؤيدين لروايات الغلو في المذهب يعمق رسوخ الانحراف في عاشوراء، وهو ما يحاول المعاصرون التبرؤ منه، وخاصة من التيار الأصولي.

الطائفة الإخبارية حرصت في محاربة التصوف، لإبعاد تهمة التصوف الشيعي، وذلك بعدة وسائل، ولعل من أهمها العناية بمجاميع الرواية الإخبارية، فالأخبار عند الإخباريين مثلاً تغني عن تراث الصوفية، وليس المقصود من نشر هذه المجاميع الحديثية المقصود إفساح المجال لنقدها، وهي بحالها تشبه كتب الموضوعات عند أهل السنة، التي لا يركن إليها إلا من أراد التشبث بأطرف خيط وأرقه لتبرير عمله وبدعته، والإخباريون أحدثوا بموقفهم مزاحمة للتصوف، وانقلاباً على الإرث الصفوي، مما أحرجوا به المنهج الإخباري العرفاني، وذلك بمطالبته بمراعاة الظاهر، ونشر أدلته للملأ، وعدم الركون إلى التقية، كما أنه أحرج المنهج الأصولي العقلي الذي كان سائداً وممثلاً للتشيع قبل الدولة الصفوية، وذلك بمطالبته بقبول كل ما نسب إلى آل البيت، من غير حاجة إلى إعمال قواعد التثبت من الأخبار، والاكتفاء بأنها مروية عن شيعة يحبون آل البيت، وهذا مما يؤكد أن شخصية المجلسي ومشروعه الروائي، بل ومشروع كتب الرواية في عهد الدولة الصفوية؛ أنها بحاجة إلى مزيد من الدراسة، وتقصي الظروف التي أنتجتها في هذه الفترة المتأخرة من الزمن[٢].

---

(١) انظر: التشيع العلوي والتشيع الصفوي، د. علي شريعتي، ص٢٠٦ . ٢١٠.

(٢) حول أثر التصوف على التشيع في عاشوراء انظر ص٧٣٤ من البحث.

بما سبق نكون عرفنا أثر الدولة الصفوية على إحياء وبعث بدع عاشوراء، ودور أعيان المذهب العلميين والسياسين في ترسيخ الرفض والغلو في أعمال عاشوراء، وأنهم بتسويغ مفهوم النيابة أضافوا شرعية لهذا الغلو إضافة إلى وضعها التي كانت عليه.

المبحث الرابع

ما بعد الدولة الصفوية (١١٤٩-١٤٣٢هـ)

وفيه:

المطلـــــــب الأول: المظاهر وتطورها.

المطلــــب الثـــــاني: الظروف التي واكبت هذا الطور.

المطلب الأول

المظاهر وتطورها

يبدأ هذا الطور من سقوط الدولة الصفوية بداية القرن الثاني عشر الهجري، إلى عصرنا الحاضر في نهاية الثلث الأول من القرن الخامس عشر الهجري، ولا شك أن هذا الطور ورث مخلفات الدولة الصفوية، وسيقتصر حديثنا على الدول التي حكمت في بلاد إيران، إذ سمعة الدولة الصفوية وتمثيلها للمذهب جعل الأنظار تتجه إلى الدول التي حكمت تلك البلاد بعدها، إضافة إلى كونها قريبة من أرض العراق التي تضم مزارات الشيعة، وهذه الدول كانت استمراراً للنظام الملكي الوراثي، الذي بدأته الدولة الصفوية، هذا إلى أن أصبح بعض رموز المذهب أشد حاملي العداء، خاصة بعد ظهور ثورة ولاية الفقيه الخمينية، التي انتقدت الدول الشيعية قبلها، بدءاً بالنظام الصفوي، وحتى النظام البهلوي، بحجة أنه نظام وراثي، وروجت نقدها خلال شعائر عاشوراء.

هذه الدول حكمت ما بين عام ١١٤٩هـ ـ حتى الآن[١]، وهي كالتالي:

١- الدولة الأفشارية: ١١٤٩.١١٧٧هـ.

٢- الدولة القاجارية: ١٢٠١.١٣٤٤هـ.

٣- الدولة البهلوية: ١٣٤٤.١٣٩٩هـ.

٤- الخمينية: ١٣٩٩هـ. إلى الآن.

---

(١) هناك دول أخرى معاصرة لهذه الدول مثل:

١- دولة القطب شاهية في الهند: كلكتده: ٩١٤.١١٠٣هـ.

٢- دولة أود في لكنو بالهند: ١١٣٥.١٢٧٥هـ.

٣- الدولة الزندية الكردية: ١١٦٦.١٢٠٩هـ.

انظر: الشيعة في التاريخ، عبد الرسول الموسوي، ص٣٢٣.٣٢٤، وموسوعة تاريخ إيران السياسي، ص١٣٥. ١٧٥.

الدولة الأفشارية:

في فترة حكم الدولة الأفشارية[1] لم تذكر مظاهر وشعائر جديدة في عاشوراء، فهذه الدولة عانت من كثرة الحروب، بل عرف عن مؤسسها الشاه نادر الأفشاري رغبته بتخفيف مظاهر العزاء، كموكب العزاء، وسب الخلفاء، الذي اعتمدته الدولة الصفوية قبل ذلك، وسعى نادر شاه إلى التقارب بين الشيعة والسنة[2]، وكون الشاه نادر ينتمي إلى قبيلة الأفشار ــ إحدى مكونات جيش الصفويين: القزلباش ــ دليل على عدم قبول بعض الشعب الإيراني

---

(١) الدولة الأفشارية (١١٤٧ـ١٢١٨هـ): مؤسسها الشاه نادر، وكان أول الأمر هو القائد المصرف والمدافع عن الدولة الصفوية، في فترة ما يسمى حكومة الظل الصفوية، بعد أن غزا محمود الأفغاني عاصمة الصفويين أصبهان عام ١١٣٥هـ، فتولى الدفاع عنها نادر قلي، وسمى نفسه طهماسب قلي، باسم الشاه الصفوي، ثم قام بعزل الشاه طهماسب، وتولية ابنه عباس ميرزا بن طهماسب، عام ١١٤٥هـ، إلى أن استقل بالحكم باسمه بحدود عام ١١٤٩هـ، ومن أبرز قواد الدولة الأفشارية من يلي:

١- الشاه نادر مؤسس الدولة الأفشارية، وقد غزا الهند عام ١١٥١هـ، ومال إلى العنف والبطش مع معارضيه، حتى إنه سمل عيني ابنه، وفي عام ١١٥٧هـ ثارت ضده العشائر العربية في البحرين ومسقط، وتصالح مع العثمانيين عام ١١٥٦هـ، ومن قواده فتح علي خان السيستاني، ابن أخي نادر شاه، قتل نادر شاه بمؤامرة، عام ١١٦٠هـ.

٢- الشاه: شاه رخ، تولى عام ١١٦٢.١٢١١هـ، واتهم بأنه سني.

٣- ابنه نادر ميرزا، الذي قتل سنة ١٢١٨هـ، وبه انتهت الأفشارية.

يشير المؤرخون في هذه الفترة إلى جرائم مروعة في الاقتتال بين الدول، من السبي، وسمل العيون، وأهرام الجماجم، وصور من الجزع والنياحة، كعض الأيدي، وفعل اللواط والفواحش، ومثله ما جرى في عهد الزندية، زمن لطف خان، انظر: موسوعة تاريخ إيران السياسية، ٣/ ٦٣.١١٦، ١٣٥.١٧٥، ١٦٠.١٦٢.

(٢) استطاع نادر قلي إسقاط الشاه الصفوي، وأن ينجح في انتخابه شاهاً على إيران، بشرط أن يوافق المنتخبون . بعد تمنعه مدة شهر . على شروطه، ومنها أن يترك سب الخلفاء الثلاثة، ومواكب العزاء، وطالب بقبول المذهب الجعفري بدل المذهب الاثني عشري، وقيل: إنه عمل هذا التصرف لكي يمحو الصفويين من ذاكرة الشعب الإيراني، وقيل: إنه رأى أن المذهب الجعفري أقرب لتحقيق طموحاته، لكي يقضي على الدولة العثمانية، وقيل: إنه لم يكن متعصباً أصلاً، ويحاول التشبه ببعض الشخصيات المتسامحة مع الأديان، فتم ترشيحه شاهاً لإيران عام ١١٤٨هـ، وأرسل وفداً للدولة العثمانية للمصالحة، وطلب الاعتراف بالتوجه الجعفري الجديد لدولته، وأن يكون كمذهب إسلامي خامس، وأن يكون له تمثيل وركن في المسجد الحرام بمكة، وعقد لذلك مؤتمر النجف، للتقريب ١٧٤١م.

انظر: موسوعة تاريخ إيران السياسية، ٣/ ٦٣، ٨٨، ٩٢.١٠٠، ١١٢.١١٣.

للمظاهر التي كانت تفرضها الدولة الصفوية لنشر مذهب التشيع، ولكن نادر شاه واجه معارضة من مؤيدي الصفويين، الذين اعتبروا طريقة الصفويين جزءاً من وحدتهم القومية والإقليمية.

ما سبق لا يعنى عدم استمرار شعائر عاشوراء في المجتمع الشيعي، بل انظم إليها مزيد من العناية بالأضرحة والقبور، وخاصة المنسوبة إلى آل البيت، كما أن قصر عمر هذه الدولة لم يمنحها فرصة لبث رؤيتها لمستقبل المجتمع الإيراني، مما زاد في الحكم على تلك الخطوات بالفشل.

الدولة القاجارية:

الدولة القاجارية(1) حكمت ما بين عامي: ١٢٠١ـ ١٣٤٤هـ، وتوسط هذه المدة عام

---

(١) الدولة القاجارية: القاجار إحدى القبائل السبع التي شكلت جيش القزلباش الصفوي، قسمهم إسماعيل الصفوي بعد ذلك إلى ثلاثة أقسام، ثم انقسمت القاجار بينها إلى قسمين: يوخاري باش، واشاقة باش، تزعم اشاقة باش القائد العسكري فتح علي، وذلك زمن الشاه الصفوي طهماسب الثاني، وأدى هذا إلى تزعمه القاجار عموماً، حتى قتله الأفشاري نادر شاه، لمنافسته له في تصريف الدولة الصفوية في آخر عهدها، وبعد مقتل فتح علي القاجاري تسلط القاجار على أبنائه، لكن نجا منهم ابنه محمد حسن خان الذي تزعم معارضة فيها بعد ضد الأفشاريين، لكنه قتل، ثم جاء ابنه أغا محمد خان (مؤسس القاجارية)، الذي اتخذ من طهران عاصمة لدولته، ومن أبرز قادة القاجارية من يلي:

١- الشاه آغا محمد خان، مؤسس الدولة القاجارية، والذي أسقط الدولة الزندية بقتل قائدها لطف علي خان، في قصة مأساوية، صاحبها جرائم شنيعة.

٢- فتح علي شاه، ابن آغا محمد: (١٢١٢ـ ١٢٥٠هـ)، ظهرت في عهده العلاقات مع فرنسا وأوربا ضد الروس وضد بريطانيا، و تدخلت بريطانيا في دعم المعارضات الداخلية في عهده، وقام بعدة حروب أضعفت دولته، مع الروس، ومع الدولة العثمانية.

٣- ثم تولى بعده ابنه محمد ميرزا ابن عباس بن فتح علي (١٢٥٠ـ١٢٦٤هـ)، في عهده انتشرت الجاسوسية البريطانية، ص٢١٥، في جو مشحون بالمؤامرات والدسائس والعمالة، والخلافات المذهبية الداخلية، وظهور حركات دينية، كالغاخانية، والبابية، والشيخية (أحمد الأحسائي)، وفي عهده جرت احتفالية ١٠٠٠ عام على غيبته، عام ١٢٦٠هـ.

٤- ثم تولى ابنه الشاه ناصر الدين (١٢٦٤ـ١٣١٣هـ)، وفي عهده ضعف بسبب الدول الاستعمارية، وظهور ما يعرف بالوعي السياسي للمثقفين، مقابل نظرية التفويض الإلهي، كحركة جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ـ١٣١٦هـ)، وحركة التنباك (١٣٠٨ـ١٣٠٩هـ)، تصدرها المرجع الشيرازي بفتوى التحريم، =

١٢٦٠هـ، وهذا العام يوافق مرور ألف سنة على غيبة المهدي المنتظر، وأثارت مناسبة الألفية احتمالية خروجه، وروج لها طائفة الشيخية، أتباع أحمد الأحسائي، ثم كاظم الرشتي، واستغلها محمد علي الشيرازي، المعروف بالباب، مؤسس الفرقة البابية[١]، ولا شك أن الدعاية لهذا العام يشير إلى ما مدى انتشار ظهور المهدي والضجر من طول انتظاره، وخاصة بعد أن جرب المجتمع الإيراني تعاقب الدول الشيعية، وعدم مصداقيتها.

مما يذكر في هذا العهد توسع الشاه ناصر الدين القاجاري باهتمامه بالشعائر وموالد الأئمة، مع ظهور انقسام العلماء في وقته[٢]، وأصبح مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومولد المهدي المنتظر، من الأعياد الرسمية للدولة[٣]، ويوم مولد المهدي عند الاثني عشرية في النصف من شهر شعبان، ولعل مثل هذه الاهتمام زاد من ترسيخ الزيارة الشعبانية للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤]، كشعيرة من شعائر عاشوراء الإمامية، لما بين مولد المهدي وأخذه بثأر الحسين من ترابط، وهذا مما يلمح إلى أن يكون ظهور المهدي في يوم عاشوراء كي ــ بزعمهم ــ ينتصر للشيعة يوم حزنهم؛ ومما يلحظ في الفترة المعاصرة بقاء هذا الترابط بين الحدثين والشخصيتين، فأصبح عاشوراء موعداً للظهور والانتصار، بدلاً من الغيبة والذلة، وربما عُدَّ انضمام الاحتفال بمولد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الاحتفال بمقتله شعيرة جديدة لم يسبق إليها من قبل، إذا اعتبرنا أن الدولة العبيدية كانت تحتفل يوم عاشوراء بمولد الحسين،

=

وظهر في عهده ثورة عبيد الله النهري الكردي، داعياً لوحدة الأكراد القومية.

٥- ثم تولى ابنه مظفر الدين شاه، عام ١٣١٣هـ، وجرى في عهده الحركة الدستورية (١٣٢٢هـ)، التي تزعمها من المراجع الفقهية الشيعية البهبهائي الطباطباني، وفي عهده ظهر أثر البعثات إلى البلدان الأوربية، وظهر اضطراب في الوضع المعيشي والتجاري.

انظر: موسوعة تاريخ إيران السياسي، ص١٨١، ٢٠٢، ص٢١٥، ٢٣٨.

(١) سبق التعريف بالبابية، راجع ص٩٣ من البحث.

(٢) يوصف ناصر الدين بالرياء في هذا الباب، واتهم بميله للصوفية والمتصوفة، وتظاهره بمظاهرهم، انظر: جدل ومواقف، ص٦٠- ٦٢، مقال: (تاريخ المآتم الحسينية في العهد القاجاري).

(٣) انظر: جدل ومواقف، ص٦٢، مقال: (تاريخ المآتم الحسينية في العهد القاجاري).

(٤) انظر مظاهرهذه الزيارة ص٦١٨ من البحث، كما سبقت الإشارة إليها في ص٣٧١.

لا بمقتله[1].

أبـرز مظـاهر عاشـوراء في عهـد الشـاه نـاصر الـدين القاجـاري هـو اهتمامـه بالمسرـح، واستجلابه للعادات الغربية الحديثة، وتمت محاولة تمثيل حادثة عاشوراء بالنظام المسرحي الحديث، وهو ما يعرف بالتشابيه، ومنها مسرحية عرس القاسم[2]، حيث شجع الشاه هذا النوع حتى طغى على طقوس مجالس العزاء التقليدية، واهتم بما يعرف بمجلس عزاء الدولة، أو خيمة عزاء الدولة[3]، والتي تستعرض المواكب الشعبية في عاشوراء على طراز النظام الملكي، وتقام في هذه الخيمة الكبيرة تلك المسرحيات، ومن اهتمام الشاه بهذه الخيمة أنه سافر إلى بلاد أوربا لتجديد وتطوير هذه الخيمة؛ مما جعل هذا الباب مجالاً للتنافس بين الأمراء والأعيان والتجار.

لاقت هذه تصرفات ناصر الدين القاجاري معارضة من بعض علماء المذهب، لما سببه هذا النوع من تعلق للناس بهذا النمط، وإقبالهم عليه، وتركهم للنمط السابق؛ هذا في أول الوقت، لكن بعد ذلك انساق العلماء في تبرير كثير من هذه المحدثات وتبريرها، فقد حظيت التشابيه والمسرحيات بعد ذلك بفتاوى تجيزها من قبل المراجع الشيعية، كالنائيني[4]، كما تحولت خيمة العزاء بموافقة الفقهاء إلى بنايات جديدة ودائمة، تمثل خصوصية للطائفة، عرفت واشتهرت باسم "الحسينية"، و"الحسينيات"، وقد حظيت بدرجة من التقديس ـ أحياناً ــ، حتى كأنها دور عبادة، وقد يكون من أسباب بروزها التصارع المذهبي، وتبادل أطرافه القرب من بلاط الشاه، واستعداء الخصم من خلاله، خاصة وأنه سبق في آخر الدولة الصفوية

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ١١ / ٣٦٥، وجدل ومواقف، ص٨٣، مقال: (تاريخ المآتم الحسينية في العهد القاجاري).

(٢) يقال أنها مسرحية مأخوذة من قصة فارسية قديمة، وسيأتي الحديث عنها، إن شاء الله، انظر ص٩٠٦ من البحث.

(٣) انظر: موسوعة تاريخ إيران السياسي، ٣/ ٥٠، وألمح الدكتور علي الوردي إلى أن هذه المجالس إنما نشأت بعد الصفويين، أي في عهد الدولة القاجارية، ولعله يقصد المجالس ذات الأبهة، والخيمة الفاخرة، انظر: جدل ومواقف، ص٢٤، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري).

(٤) جدل ومواقف، ص٦٦ـ٦٩، مقال: (تاريخ المآتم الحسينية في العهد القاجاري).

صراع من هذا النوع حول الصوفية، وطقوسهم وتكاياهم، والذي تبنته الإخبارية ممثلة بشيخ الدولة المجلسي؛ فكأن الحسينيات امتداد أو تماهي وردة فعل لخيمة العزاء التي سبق ذكرها، فاحتضنت الحسينيات مجلس العزاء بصورته الجديدة(١).

هذا الحرص من الشاه والتنافس من الأعيان والتجار، والصراع بين رموز المذهب، وفر وجود جو مضطرب ظهرت من خلاله مزيد من الأعمال والبدع منها انتشار صور ورسومات للأئمة، خاصة الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وإهداء السرج والمصابيح الفاخرة (النجف الملون)(٢) إلى الحسينيات، وإيقاد الشموع، والتنقل بين مجالس العزاء في الليلة الواحدة إلى حد زيارة أربعين مجلساً، مما جعلها أشبه بالمتاحف والمزارات(٣).

من المظاهر التي برزت ــ أيضاً ــ في هذا العصر ما يعرف بالزناجيل، وهي آلة حادة مربوطة بسلسلة، تظهر الدم من الظهر عن طريق تكرار ضرب الجسد بها، وهي تقوم بمهمة التطبير، وقد سبق أن هناك من ربط الزناجيل بالتطبير من حيث نشأتها(٤)، ولكن الصواب أن نشأة الزناجيل وشهرتها كان في عهد الدولة القاجارية، ويذكر بعض الباحثين أنها عادة ظهرت لأول مرة في إقليم "كرمنشاه" الإيراني، على يد الأكراد الإيرانيين الشيعة، ومنه انتقلت إلى العراق في بداية الاحتلال البريطاني عام ١٩١٨م(٥)، مما يؤكد أنها بدأت من طبقة العوام، ثم استحسنت، وقد تكون ــ أحياناً ــ باباً لطلب الرزق والصدقة، يفعلها الفقراء أمام الأغنياء والوجهاء، كعادة بعض الشعوب في احتفالاتها الوطنية والسياحية، ومما يؤيد الاحتمال الأول

---

(١) خصصت فقرة للحديث حول الحسينيات، انظر ص٥١٦ من البحث.

(٢) هذا كثير في مزارات الهند وحسينياتهم (إمام باره)، وما يسمونه شبيه النجف (مرقد علي)، ولا أدري ما هي علاقة تسمية بعض المصابيح بالنجفات، وربما لأنها حين ظهرت تهدى إلى النجف من قبل الملوك في تلك الفترة.

(٣) جدل ومواقف، ص٧٨، وص٦٦ .٦٩، مقال: (تاريخ المآتم الحسينية في العهد القاجاري).

(٤) هناك من ذكر أن الزناجيل كالتطبير ظهر زمن الدولة الصفوية، انظر ص٣٨٧- ٣٩٣ من البحث، ولكن لعل الصواب أن الزناجيل حدثت في زمن الدولة القاجارية.

(٥) مجلة الموسم، عدد ١٢، ١٩٩١م، مقال: (من تاريخ الشعائر الحسينية في النجف الأشرف)، طالب علي الشرقي، ص٢١٢- ٢١٤.

أن بلاد إيران والعراق استمرت الحروب فيها بعد الدولة الصفوية، أي: إلى فترة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـــ ١٩١٨م)، فكانتا ميادين حروب، والتي من طبيعتها أن تحيي الممارسات العنيفة، وأن تنتقل آثارها إلى الشعائر الدينية، وخاصة البدعية منها.

أما كتب المقاتل فوافقت ظروف انفتاح وتواصل إيران بالدول الأجنبية، فجاءت مضادة لما عانته هذه الفترة من خواء روحي، كما شهدت هذه الفترة مشاركة البلاط الملكي في تأليف كتب المقتل، ومن الكتب التي اشتهرت في العهد القاجاري "إكسير العبادات في أسرار الشهادات"، للملا آغا الشيرواني، وهو كتاب مليء بالمؤثرات العاطفية، والروايات الخرافية المستهجنة، وكتاب "القمقام الزخار والصمصام البتار"، لحفيد الشاه فتح علي القاجاري: الميرزا فرهاد بن عباس، وكتاب اللؤلؤ والمرجان، للمحدث حسين النوري الطبرسي، وكتاب "نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم"، لعباس القمي، وهو من أشهرها، وله انتشار واسع إلى فترة قريبة، وإن كان يواجه نقداً واضحاً في ظل توسع مشروع مراجعة مرويات عاشوراء عند الباحثين المعاصرين، وخاصة مع ظهور الحركات السياسيّة والفكرية والاجتماعية المتأثرة بالمناهج والدراسات الغربية المعاصرة[(١)].

الدولة البهلوية:

الدولة البهلوية[(٢)] حكمت ما بين عامي: (١٣٤٤ ــ ١٣٩٩هـ)، وانشغلت هذه الدولة

---

(١) سيأتي حصر أشهر كتب المقاتل في مطلب خاص في الباب الرابع، بإذن الله.

(٢) الدولة البهلوية: ١٣٤٤ـ ١٣٩٩هـ/ ١٩٢٥ـ ١٩٧٩م، انقلب رضا شاه البهلوي على آخر حكام الدولة القاجارية، عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، ونظام دولته ملكي، وانتهت دولته بالمعارضة الشعبية الدينية والشيوعية، ثم أسقطت بتسلم الخميني لمقاليد المعارضة، عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م، وأبرز ملوك هذه الدولة هم كما يلي:
الشاه رضا، مؤسس الدولة البهلوية، كان قائداً عسكرياً، وتولى منصب رئيس الوزراء عامي: ١٣٤٢ـ ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٣ـ ١٩٢٤م، وفي عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م خلع آخر حكام الدولة القاجارية، وأسس الدولة البهلوية، واستمر في الحكم حتى أجبرته بريطانيا وروسيا ودول المحور على التنحي، لعلاقته بهتلر الألماني إبان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١م، ثم بعده نصب ابنه محمد، ومن أعمال الشاه رضا أنه أبرز اسم إيران على دولته، بدلاً من اسم فارس، وضم إليها عدداً من الأقاليم، وإيران نسبة للآريين، الذين أسسوا أمبرطورية فارس منذ أكثر من ألفي عام.

=

بعلاقاتها الخارجية، والامتيازات مع الدول الأجنبية، وأعلنت خطواتها الإصلاحية تحت مسمى: الثورة البيضاء، التي تبنتها الحكومة لإصلاح البيت الداخلي، كما تبنت النهج العلماني، وفصل الدين عن الدولة، فأهملت المظاهر والشعائر الشيعية، وضيقت على المهرجانات الدينية العامة، بل واجهت بعض الرموز والمراجع المذهبية، حتى من وصف بالاعتدال منها، كعلي شريعتي، ومرتضى مطهري، اللذين طالبا بالعودة إلى التشيع العلوي (أو العرفاني)، في مقابل نقدهما للتشيع الصفوي الذي عد وعرف ـ فيما بعد ـ باسم التشيع الحسيني، فالتشيع الصفوي يحيي ويبالغ في شعائر عاشوراء، وهو الذي هيأ لاسم الشعائر الحسينية، والحسينيات، وهو أماكن وأبنية تخصص للنياحة على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الدولة الإيرانية الخمينية:

الدولة الإيرانية الخمينية الحالية[1] حكمت تقريباً من عام ١٤٠٠هـ، بعد ثورة الآية

=

الشاه محمد رضا (١٩١٩-١٩٨٠م): تولى من عام ١٩٤١-١٩٧٩م، وكانت له علاقة وطيدة بالغرب، وهو تحت الوصاية البريطانية والروسية حتى سنة ١٩٤٦م، ثم قام بالتقرب من الولايات المتحدة في سياسته الخارجية، إلى أن جرى نزاع بينه وبين رئيس وزرائه مصدق (الذي يحظى بشعبية كبيرة)، اضطر الشاه بعده إلى المنفى الإجباري سنة ١٩٥٣م، إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلا، فتدخلت القوات الأمريكية، ومعها الاستخبارات المحلية (السافاك)، لصد قوى المعارضة الشعبية، ثم قام رضا بهلوي باتخاذ إجراءات لعصرنه المجتمع والبلاد، وتغريب المرأة، وذلك منذ عام ١٩٦٤م، وأقام الشاه ١٩٧١م احتفالاً مشهوراً وعالمياً لمدة ثلاثة أيام، وذلك لمرور ٢٥٠٠ عاماً على الأمبرطورية الفارسية، واعتمد بذلك التاريخ الفارسي، بدلاً من الهجري، وهذه التصرفات عدت من أسباب فساده وسقوطه، كما أن اتخاذ أكثر هذه التدابير جاءت بشكل إجباري وتعسفي، مما أدى إلى توحد قوى المعارضة (الشيوعيين ورجال الدين الشيعة) في وجهه، سنة ١٩٧٩م، أجبر الشاه حينها على ترك البلاد.

(١) الدولة الإيرانية، أو الثورة الخمينية، واسمها الرسمي: الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومؤسسها روح الله الخميني، فاجأت المجتمع الدولي بخطواتها ومفاهيمها، حيث اعتمد الخميني نظرية جديدة داخل المذهب الإمامي الاثني عشري، وهي نظرية ولاية الفقيه، التي نقلت فقهاء المذهب وأتباعهم من الانتظار إلى الظهور، تحت نيابة جديدة عن الأئمة، بسبب طول الانتظار وضرره على الطائفة، والثورة بدأت معارضة لسياسة الشاه التغريبية والمالية، ومنها مشروع رئيس الوزراء مصدق لتأميم النفط، وتنقسم الثورة إلى مرحلتين:

١- المرحلة الأولى (من منتصف ١٩٧٧م، إلى منتصف ١٩٧٩م): شهدت المرحلة تحالفاً ما بين الليبراليين

=

العظمى والمرجع الشيعي، روح الله الخميني الموسوي[1]، وجاءت هذه الثورة ضمن الشرائح المختلفة المعارضة للبهلوي، لكن حركة الخميني الحوزوية قطفت الثمرة، والتزمت السمة الدينية الشيعية للدولة الجديدة، ورأت أن من أكبر ما يجذب عواطف الجماهير هو استغلال المناسبات الدينية، والتي كان أشهرها وأنسبها لمفهوم الثورة هو يوم عاشوراء، فركز الخميني على استغلال هذا الجانب، فيرى فيه فرصة لا تتوفر لأي دولة أو ثورة في العالم، وأنه كان سبباً رئيساً لنجاح ثورته، وكتب حوله الرسائل والخطابات، ومن ضمن ما قال: (ولو أن القوى الكبرى عزمت على عقد مثل هذه التجمعات الجماهيرية الكبرى في البلدان التي تحكمها، فإن ذلك يحتاج منها إلى أعمال ونشاطات وجهود كبرى، تستغرق عدة أيام،... ولكنكم ترون كيف أن هذه المجالس والمواكب التي ربطت الجماهير ببعضهم، هذه الجماهير التي يلتئم شملها من جميع الشرائح الاجتماعية المعزية بمجرد أن يحصل أمر يستدعي التجمع،

=

واليساريين والجماعات الدينية لإسقاط الشاه.

٢- المرحلة الثانية (بعد منتصف ١٩٧٩م): شهدت بروز الخميني، وتعزيز السلطة والقمع، وتطهير زعماء الجماعات المعارضة للسلطة الدينية، بما فيها الثورة الثقافية في الجامعات الإيرانية، وهي فترة استلام الخميني للسلطة.

اعتمدت الثورة تنصيب الفقيه بالمنصب الأعلى للدولة، بمسمى المرشد الأعلى، وتولاه -إلى الآن- اثنان، وهما:

١- روح الله الخميني الموسوي.

٢- علي الخامئني.

(١) روح الله بن مصطفى الخميني، (١٣٢٠- ١٤٠٩هـ)، زعيم الثورة الخمينية المعاصرة، وأحد مراجع قم، حاز على رتبة: آية الله العظمى، ولقب (الإمام)، ولد في خمين، وتتلمذ على أخيه بسنديده، وعلى عبد الكريم اليزدي، وتولي مرجعية قم بعد البروجردي، حرض على حكومة البهلوي، سجن ونفي إلى العراق، وشارك في الثورة ممثلاً للحوزات، وانقلب على الثورة العامة عام ١٣٩٩-١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م، إلى أن جاء إلى طهران بطائرة فرنسية، قام بعدها بإعلان نفسه ممثلاً للثورة بمفهوم ولاية الفقيه، وله جرائم بشعة ضد السنة في إيران، اشتغل بالفلسفة والعرفان، ومجد القائلين بوحدة الوجود، كابن عربي، من كتبه: كشف الأسرار، وأسرار الصلاة، وحاشية على الأسفار الأربعة، والحكومة الإسلامية، وله أطروحته المشهورة بولاية الفقيه، والتي طبقها عملياً، انظر: بدائع الدرر في قاعدة نفي الضرر، ص٩- ١٢، الخميني، ١٤١٠هـ، ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني – قم.

وليس في مدينة واحدة، بل في كل أنحاء البلاد، ودون الحاجة إلى بذل جهود كبرى،أو إعلام واسع النطاق!)[١].

من المفاهيم التي تبناها الخميني في مواسم الحج وعاشوراء البراءة من الظالمين، وشعار: (الموت لأمريكا وإسرائيل)، وكذلك مفهوم البكاء السياسي، وأثر فكر الخميني على تشكيل مفاهيم عاشوراء المعاصرة بصورة واضحة، خاصة في أبعادها ودلالاتها وفلسفتها، وقد كان الخميني أحد رواد مدرسة العرفان والفلسفة، وإن أظهر فيما بعد تحفظاً عن بعض الشعائر، وحاول خلفه الخامئني منعها، وإصدار فتاوى بتحريمها ــ كما سيأتي ــ، وكان المفهوم الثوري لحركة الخميني مصدراً مهماً في البحث، حيث طرقت هذه الثورة هذا الموضوع بشكل كبير، مما جعله مؤثراً في بنية المذهب.

في ختام المطلب أذكر ما استجد من أعمال الشعائر ومظاهر بارزة لها علاقة بعاشوراء عند الإمامية في هذا الطور، وذلك في النقاط التالية:

٨٤- طغيان الأبهة الملكية على المواكب ومجالس العزاء.

٨٥- خيمة عزاء الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٨٦- بناء الحسينيات.

٨٧- بناء الشبيهات[٢].

---

(١) نهضة عاشوراء، الخميني، ص١٥.

(٢) الشبيهات: كشبيه النجف، وشبيه كربلاء، ونحوها، وهي أماكن تتخذ في البلدان البعيدة مشابهة لتصميم النجف وكربلاء في العراق، ليقوم أهل تلك البلدان بزيارتها ليتذكروا تلك الأماكن، وقد تجد هذه "الشبيهات" عناية حتى تتحول إلى مزارات، علماً بأن بعض الأضرحة أسست بنحو من هذا المعنى، فبعض الحكام قد يصرف العوام إلى موضع بدعوى أنه ضريح، كما فعل العبيديون في رأس الحسين بمصر، ومثله قبر علي في النجف، وغيرها كثير، وكما فعل عباس الصفوي في صرف أتباعه إلى حج مشهد طوس، إضافة إلى أن هذه الشبيهات مع طول الزمن تصبح مدفناً لمؤسسها، ولأسرتها، ومن يخلفونه إن كان صاحب طريقة صوفية، وقد رأيت مثل هذا في "إمام علي" بالهند، في مدينة حيدر أباد، وهي في رأس جبل، رصفت الدرج عليه للصعود، ويذكر بغار حراء بجبل النور بمكة، ومثلها شبيه النجف بمدينة لكنو بالهند، وانظر ص٤٢٢، ٥١٦، ٥٢١، ٥٩٩ من البحث.

٨٨- إهداء السرج والمصابيح الفاخرة إلى الحسينيات والشبيهات.
٨٩- إيقاد الشموع، أو إطفاؤها عند زيارة المآتم والحسينيات تنسكاً.
٩٠- كثرة الرسوم والصور التي تمثل الأئمة.
٩١- تقليد الأربعين: زيارة أربعين مجلس عزاء في يوم عاشوراء.
٩٢- العناية بالتمثيل لواقعة عاشوراء (الفلوكور)، ويعرف بالتشابيه.
٩٣- تمثيل عرس القاسم، الذي اعتمد من أحداث كربلاء[١].
٩٤- الزناجيل: ضرب الظهور بآلة الزنجيل لإدمائها.
٩٥- تعليق الأقفال.
٩٦- المشي على الجمر.
٩٧- بروز كتب جديدة للمقتل، منها: نفس المهموم، واللؤلؤ والمرجان.
٩٨- ظاهرة طبقة الوعاظ: بين النعاة وقراء المراثي، (المنبر الحسيني).
٩٩- استغلال المنبر الحسيني للمشاركات السياسية والاجتماعية، التي استجدت على المجتمع الإيراني متأثراً بالأنماط البرلمانية الأوربية.
١٠٠- استحضار نقد الأنظمة الملكية الوراثية من خلال تشبيهها بنظام بني أمية.
١٠١- استحضار مظلومية الحسين عاشوراء مع مظلومية الشعب الإيراني في تدخل الدول الأجنبية في شؤونه الخاصة.
١٠٢- بروز مصطلح الثورة الحسينية، والنهضة الحسينية، ومثلها الشعارات الحزبية السياسية الحديثة.
١٠٣- ظهور الاهتمام بيوم الغدير الذي يسبق عاشوراء، ومثله مولد علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٢].
١٠٤- الاهتمام بالزيارة الشعبانية، ومولد المهدي، واتخاذه عطلة رسمية.
١٠٥- الاحتفال بمولد الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والاهتمام بالزيارة الشعبانية، وتزامنهما مع مولد المهدي، واتخاذه عطلة رسمية.

---

(١) انظر: جدل ومواقف، ص٦٦، مقال: (تاريخ المآتم الحسينية في العهد القاجاري).
(٢) سبق ص٣٦٢ من البحث أن الدولة العبيدية بمصر أول من أحدث العناية بالموالد.

١٠٦- تجدد الاحتفال بمقتل قاتل الحسين: عمر بن سعد، في ربيع الأول، ويعرف بعيد الزهراء، أو فرحة الزهراء.

١٠٧- التعبير عن القلق من طول انتظار المهدي، من خلال الاحتفال بمرور ألف على غيبته.

١٠٨- قوة حضور فكرة المهدي خلال شعائر عاشوراء.

١٠٩- بروز نقد ظاهر لبعض الشعائر، ومحاولة عدم ربط عاشوراء بعقيدة سب الصحابة، وتخيف موكب العزاء، وطرح فكرة التقارب.

المطلب الثاني

الظروف التي واكبت هذا الطور

يمكننا من خلال دراسة هذا الطور تسجيل النقاط التالية:

١- التركة والسمعة السيئة التي خلفتها الدولة الصفوية لإيران جعلت من الدولة التي تليها، ونشأت في أحضانها، تحاول محو كثير من هذه المظاهر السيئة، أو تخفيفها، وذلك لما سببته السياسية الصفوية من ويلات وحروب على إيران، ولكن وقع قادة الدول الذين جاءوا بعد الصفويين في العيب نفسه، فكثرت الفوضى والعنف والانتقام، حتى شاع في أخبار تلك الدول والممالك القتل، وسمل العيون، والقضاء على الأقارب من الأبناء والأخوة، ولعل للآثار النفسية التي عاشها المجتمع الإيراني في هذه الفترة تسبب في إسقاط صور ومعان جديدة على شعائر عاشوراء، منها المظلومية، وتكرار مأساة كربلاء، والتمثيل بالأجساد والرؤوس، مما سوغ للمشاركين في عاشوراء الانتقال من لسان الحال إلى لسان المقال[١]، وأن تتضمن تلك الأحوال ما يروى في المجالس والمآتم، ثم تضاف مع الزمن إلى أصل قضية كربلاء.

٢- ظهور دعوى خروج المهدي بعد مرور ١٠٠٠ عام، والاحتفال بمناسبة الألفية على غيبته، وظهور هذه العقيدة وتجددها فيه التحريض ضد الحكومات القائمة، مما عمق إمكانية استمرار المذهب وبقائه من جهة الجوانب السياسية.

٣- بناء الحسينيات[٢] في هذه الفترة ساهم في تثبيت هذه البدعة الكبيرة، وتهيئة فرصة أكبر لاستمرارها وتوسعها، بل أصبح اهتمام المجتمعات الشيعية وتنافسها ببنائها وعمارتها أظهر من اهتمامها وتنافسها ببناء المساجد وعمارتها، لما ترمز إليه من الهوية المذهبية، ولما تمنحه

---

(١) تتكرر هذه العبارة في البحوث والدراسات التي تنتقد الشعائر الحسينية، وتشير إلى ميلها من الجانب الواقعي المقبول إلى الجانب الأسطوري الخرافي، مما يشير إلى كبر الخرق على الراقع، فما استحسنه خطباء ونعاة الحسينيات أثبت فيما بعد على أنه من المسلمات في أخبار مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) للمزيد عن الحسينيات انظر مظاهر المآتم ص٥١٦ من البحث.

من مقومات البقاء للمذهب، بل من مقومات النشر والتبليغ للمذهب، فأصبحت هذه المباني الجديدة حوزات نياحة، ومراكز للدعوة، ومؤسسات ثقافية، ومقرات للجمعيات السياسية والاجتماعية، إضافة إلى كونها منتديات شعبية في الأفراح والمآتم العامة.

٤- ظهر في هذا الطور دور فقهاء الشيعة الإمامية ومراجعها، بمشاركتهم في الحركات الاجتماعية والسياسية، وظهور ما يعرف بالوعي السياسي للمثقفين، مقابل نظرية التفويض الإلهي، كحركة جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ ـــ ١٣١٦هـ)، والتي قوبلت بحماس مشابه ومضاد للفقهاء، كما في حركة التنباك (١٣٠٨ ــ ١٣٠٩هـ)، التي تصدرها المرجع الشيرازي، وأفتى بحرمته، وأن مستعمله كمن حارب الإمام الغائب!، ومثله ما قام به المرجع التبريزي في تبريز من تحريض ضد المستعمرين، وقد استغل منابر عاشوراء فرصة لتحذير الدولة؛ ومثلها الحركة الدستورية (١٣٢٢هـ)، التي تزعمها مراجع فقهية شيعية، كالبهبهائي[(١)].

كان من المتوقع أن تضفي هذه الفترة بحراك الفقهاء والمثقفين إما تصحيحاً لمسيرة الشعائر، وما حملته من بدع جديدة ـــ في نظرهم ـــ؛ وإما مزيداً من ترسيخ تلك البدع وتوسيعها، ولذا نرى المرجع الإمامي المعاصر حسن الشيرازي يهون من دور الحكومات والدول في التأثير على تطوير الشعائر في هذا الطور، وهذا واضح في تسميته لهذا الطور (دور الفقهاء)[(٢)]، في حين أنه يسمي ما قبله بدور الصفويين، وما قبله بدور البويهيين، وهذا فيه تعمية وتزكية، فالمتوقع أن الفقهاء يقومون بثورة عارمة ضد تحريف المذهب، لكنهم أصبحوا آخر الأمر رهينة لتسلط العامة، كما وقعوا قبله رهينة لتسلط الحكام الصفويين، وغيرهم من الحكام، فأين تضحية الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ورسالته التي يزعمون أنهم يستأثرون بها ويحيونها؟ يزداد التساؤل عندما ختم هذا الطور بقيام الفقهاء بتولي الحكم في إيران، خلافاً للمعروف من ولاية الفقيه زمن الغيبة؛ ولعل هذا السبب استهوى الشيرازي حين أطلق على هذا الدور:

---

(١) انظر: موسوعة تاريخ إيران السياسي، ص٢١٥.٢٣٨.

(٢) الشعائر الحسينية، ص٩٨.٩٩، وسبق عرض هذا التقسيم، راجع ص٣٣٤ من البحث.

"دور الفقهاء"[1].

٥- واجهت الدول الملكية في إيران كثرة المعارضات الداخلية، وخاصة القاجارية التى عانت من شدة تلك المعارضات، التي جاءت تحت شعار العدالة الاجتماعية، ورفض الامتيازات الأجنبية "الرأسمالية"، واستحضر من خلال عاشوراء كره النظام الوراثي، ومثله الإقطاعي، وذلك بدءاً من بني أمية، حتى ساغ اتهام الدول الملكية المعاصرة من قبل المراجع والحوزات الدينية في إيران بأنها تمثل دولة بني أمية، وأنها ضمن صفوف قتلة الحسين في كربلاء، وأنهم يحتفظون بالخنجر الذي قطع به رأس الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لدى حاكم طهران[2]، وعد علماء النجف حصار الحكومة لجمعيتهم[3] مثل حصار الأمويين للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحرمانه من ماء الفرات، وأن جمعيتهم هذه أسست على يد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإن بقيت مختفية طوال هذه المدة.

أصبحت المناسبات الدينية فرصة لجمع المواطنين المؤيدين للمعارضة، خاصة مناسبات التعزية، كعاشوراء، واستغلت في دفع الظلم الاقتصادي والسياسي، والمطالبة بالعدالة الاجتماعية، أو الدعاية لها، مما شكل فراغاً نفسياً شحن بالخطوات العملية ضد الدولة، كما في الثورة الدستورية ١٩٠٦ ـــ ١٩١١م[4]، والتي عبرت عن تحالف التجار ورموز المذهب في

---

(١) الإبراز لاسم "الفقهاء" قد يكون المراد به الطائفة الأصولية، الذين يميزون أنفسهم عن الإخبارية بأنهم أهل الاجتهاد، والنيابة، فمنصب المرشد الأعلى يشبه منصب الداعي عند الإسماعيلية.

(٢) تاريخ إيران بين ثورتين: ١٩٠٦-١٩٧٩م، ص٢٠-٢١، د آمال كامل السبكي، ط ١٩٩٩م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت، والكتاب رقمه: ٢٥٠، ضمن سلسلة بدأ صدورها عام ١٩٧٨م.

(٣) مصطلح جمعية يشير إلى دخول علماء الحوزات في نطاق العمل السياسي والاجتماعي.

(٤) انظر: تاريخ إيران بين ثورتين، ص٧-١٢، ١٦-٢١، ٢٩، وأشارت الباحثة إلى جيل البعثات ورموز التنوير والتغريب، ومنهم المسيحي ميرزا مالكوم خان، وهو صديق لجمال الدين الأفغاني، الذي درس في فرنسا، وتأثر بالماسونية والفلسفة السان سيمونية، انظم إلى بلاط الشاه بعد أن أعلن إسلامه، ،أسس جمعية سرية اسمها "السلوان"، وأهدى إلى الشاه كتاب "الإصلاح"، ركز فيه على مبدأ العدالة الاجتماعية، والكتاب ركيزة أساسية للثورة الدستورية في الجانب المدني، جلب له تهماً وعداوة من الشاه، ومن المعارضة الدينية حتى نفي مؤقتاً إلى تركيا، ثم عين سفيراً في مصر. ولندن، ثم رجع للمعارضة، وأنشأ جريدة القانون، إلى أن مات قبيل الثورة الدستورية، عام ١٩٠٨م.

معارضة الوضع الاقتصادي المرتبط بالخمس، والطبقية الاجتماعية المضطربة، فالدولة القاجارية في نظر علماء الشيعة مغتصبة للشرعية، لأنها لا تقيم العدالة الاجتماعية، ومن خلال هذه الثورة برز دور جديد للفقهاء الأصوليين، من أبرزهم المرجع النائيني، والذي عده البعض المنظر الأول لفكرة ولاية الفقيه قبل الخميني(١).

٦- انتشر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي في أثناء النزاع بين التشيع والتصوف بين الإخباريين والأصوليين؛ كما انتشر التقليد المذهبي للمراجع بطريقته الجديدة، مما أعطى التجربة السياسية الدينية نجاحاً؛ كما أعطى مراجع إيران تأييداً من مراجع التقليد في النجف، هذا أعطى الشعب الإيراني مزيداً من الحماس لتأييد المعارضة الدينية في الداخل، إضافة إلى تعاون المراجع مع طبقة التجار في حماية مواردهم المالية من ضرائب الدولة القاجارية(٢).

٧- أدى قرب بلاد إيران من مطامع الدول الاستعمارية، وخاصة الشيوعية الصارخة، أدى هذا إلى تدخلها المباشر في مصالح البلاد، الذي وفر كراهة شديدة للمستعمر، والرغبة الشعبية لأي تجمع وطني يرفض الاستعمار، ومن بين التوجهات المطروحة هي التمسك بالتشيع كمذهب، فكانت شعائره ومناسباته فرصة للتعبير عن الموافقة لما يطرحه علماء المذهب من رؤى للخروج من المأزق الاقتصادي والسياسي الذي سببه الاستعمار؛ وهذا التوجه جاء في مقابل أحزاب أخرى أبرزها الأحزاب الشيوعية الاشتراكية، وهذا الانشقاق في المعارضة تسبب في قيام حكومة بهلوي بتصفية الأحزاب الشيوعية والوطنية الليبرالية المعارضة، مما فسح المجال للخيار الديني بشكل أكبر بعد الفراغ السياسي في صفوف المعارضة، علماً أن وجود المعارضة الشيوعية والدينية استمر حتى أسقط الشاه باتحاد

---

(١) محمد حسين النائيني (١٢٧٣-١٣٥٥هـ) ألف في هذه الفترة (١٩٠٩م) كتابه المشهور: "تنبيه الأمة وتنزيه الملة" الذي قد يعده البعض: زبور الحركة الدستورية، وقد تسبب في بلبلة ضده، ووصلت إلى طبقة العوام، فاضطر إلى سحب الكتاب، انظر: موقع بينات، مقال: (الإمام النائيني: الثائر والمفكر)، تحت نافذة اخترنا لك: شخصيات إسلامية، من دون ذكر كاتبه، وهو على الرابط التالي:
http://arabic.bayynat.org.lb/alam/mouhamad%20naeine.htm.

(٢) تاريخ إيران بين ثورتين، ص٢٢.

المعارضتين ضده، إلى أن انتهى الحال بانفراد المعارضة الدينية بقيادة الخميني، وإقصاء المعارضة الشيوعية، وغيرها، وتصفية رموز كثيرة، قد تفوق ما كان في العهدين السابقين، وذلك مما هيأ جواً لاتهام ثورة الخميني بالعمالة والخيانة، فكانت المواسم الشيعية فرصة لتبرئة ساحة الثورة الخمينية، من خلال دغدغة عواطف الجماهير، وإيهامها بأن هذه الثورة امتداد للثورة الحسينية.

٨- النظم التي أراد أن يفرضها الغرب في البلاد الإسلامية، تحت عدة ذرائع منها: التأييد والتوجيه الإلهي، من مثل ما تدعيه الإرساليات النصرانية[(١)]، وهذا فسح مجالاً للإمامية أن تتبع نفس المفهوم، وأن يصبغوا الجانب الإلهي بحادثة كربلاء، كما صبغوا الإمامة من قبل، فسموها الإمامة الإلهية، ولذلك تعددت صور مشابهة أعمال عاشوراء لأعمال النصارى، في الفداء والصلب والرهبانية والتطبير ونحوها.

٩- حدوث تذمر بعض المجتمعات الشيعية .وخاصة العربية .من محاولة تطويق إيران المجتمعات الشيعية تحت راية الولي الفقيه (المرشد الأعلى) نيابة عن الإمام الغائب، وباسم المصلحة الدينية، من خلال مرجعية قم في إيران؛ كل ذلك جعل مجال الاختلاف والجدل بين المراجع الشيعية ووكلائهم وأتباعهم يطول في موضوع الشعائر، ويضعف من مكانتها وهيبتها، ويوسع المجال لمزيد من التحريف لها ولمضامينها، ويمهد لأن تكون عاشوراء جديدة، وكربلاء جديدة داخل المذهب، لما يعيشه المذهب والأتباع من الخلاف، وبعدهم عن حقيقة التقارب والصلح، وإذا لم يرتضوه للمتقدمين فكيف يرضاه المتأخرون.

وبعد أن نتعرفنا على جهود هذه الدول في الطور الرابع فنستطيع القول بأن الطور الرابع ــ من حيث عاشوراء ــ امتداد للطور الذي قبله في الدولة الصفوية، ساعد على ذلك أن إيران

---

(١) وهذا مثله ما تتبناه السياسيات الأمريكية الإنجلوصهيونية من تعديل غلطة الرب في توزيع الثروات النفطية الاقتصادية، ومن ذلك جعلها في منطقة الخليج العربي، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ولا غرو في ذلك، فقد أسلافهم من قبل: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾، المائدة: ٦٤، ويمكن الاستزاده حول هذا الجانب من خلال القراءة في الكتب التي تحدثت عن الخلفيات الدينية المحركة للسياسة الغربية عموماً.

أصبحت محضناً لهذه الدول، وإن كانت الدولة الخمينية الأخيرة أبلغها في مشابهة الصفوية، بسبب المنطلق الديني في منظومتها، بل هولسان حالها كما سبق في كلام زعيمها، والذي شكل ثورته على أساس مشابهة الفقيه للإمام في الصلاحيات، وربما في الأوصاف والعصمة؛ كما أن عاشوراء استثمرت كدعاية للمذهب، الذي حرص الخميني على تصديره خارج إيران، كغطاء للتمدد السياسي لدولته؛ فحضرت عواطف عاشوراء كأهم دافع للأقليات الشيعية في تعاطفها مع الامتداد السياسي لثورة الخميني.

بما سبق من مراحل نشأة شعائر الإمامية في عاشوراء وتطورها نلحظ أن هذا التطور مواكب لتطور المذهب عموماً، وإن كانت عاشوراء تلازمه في خاصية من أهم خصائصه وركائزه وهو الانتظار، وهذا مما ألزمها ـ مع الزمن ـ بوصف الهامشية، فاحتالت عليه إلى أن أصبحت عاشوراء هي شعار المذهب الأول والأهم، باسم التشيع الحسيني، الذي يرمز إلى الخروج والثورة ـ مع الفقيه ـ وعدم الانتظار، وقد تراكم هذا التطور من خلال دعوى الإجماع الموهوم والمتأخرة؛ وذلك مما يعني انفتاح المذهب، وأنه لم يكتمل بعد، وسوغ للتلاعب بالشرائع، أهمها اختلال مفهوم الانتظار، ومفهوم النيابة زمن الدولة الصفوية (بفتوى الكركي/ مخترع المذهب)، ونيابة الفقيه عن الإمام في الخروج، في زمن ولاية الفقيه الخمينية، والتي جاءت بعد عصر الانفتاح على العالم، مما ساعد على ترويج المذهب عالمياً بعد الاتصال بالنصارى، وإقامة مفهوم تصدير التشيع بما يشبه إرساليات التبشير والإغاثة الإنسانية، واستثمار المناسبات والمآتم في العمل السياسي.

❀❀❀❀❀❀

الفَصْلُ الثَّانِي

مظاهر شعائر عاشوراء الإمامية الاثني عشرية

وغهن تمنهخ وت نبقّضى جت:

تمهيـــــــــــــد.

المبحـــــث الأول: شعيرة البكاء بين الحزن والجزع.

المبحــــث الثـــــاني: مظاهر المآتم والنياحة.

المبحــــث الثالـــث: مظاهر النسك والتوسل.

تمهيد

من خلال الدراسة السابقة عن نشأة أعمال عاشوراء ظهر أن أغلبها نشأ في البداية من جانبين، هما: النياحة والحزن، والنسك والتصوف، ثم تحولت إلى خصوصية طائفية أكثر من كونها مذهبية، بسبب تراكمات متعددة، دعمتها وصهرتها الاحتفالات والتشابيه، ولمصالح وأهواء مختلفة تأولها البعض بأنها مقدمة لظهور المهدية الخاتمة؛ وتحت دعوى المحبة المزعومة وحقوقها ترددت هذه المظاهر ما بين الحزن والجزع إلى الفرح والفرج، وتسللت بينهما عقائد المذهب وفروعه، وآلامه وآماله، وتقيته وصريحه، وظاهره وباطنه، وإفراطه وتفريطه؛ فيتشغل الشيعي بتلك العقائد من خلال الأوراد والأدعية وبعض التعبد والتنسك والزيارات.

في هذا الفصل سنتعرف على مظاهر هذين الجانبين: الجزع والتعبد بشكل مفصل، بعد الحديث عن المبدأ الذي تنطلق منه، وتقوم عليه، وهو الحزن والمحبة وآثارهما، وسيكون أولها ذكراً البكاء، وبيان علاقته بالجزع، ثم بالحديث عن مظاهر المـآتم ومقدماتها من النعي والحداد، ثم عن مظاهر نسكية تعبر عن النياحة بصورة صامته، يظهر فيها جانب الغلو بالأئمة، الذي تحول بالموضوع فيما بعد إلى احتفال وموسم مشهود، تعلق عليه الطائفة آمالها، والتي سترد في الباب الرابع ـ بإذن الله ـ.

سيكون الحديث في هذا الفصل من خلال عدة مباحث ومطالب، تندرج تحتها المظاهر بحسب التصنيف الذي اجتهدت فيه، وهي بمجموعها موضوع هذا الفصل.

سأتناول ــ بإذن الله ــ في هذا الفصل مظاهر عاشوراء وأعمالها من خلال ما تيسر لي من النقاط السبع الآتية، التي جعلتها عنواناً لفقراتها، فبحسب ما توفر لي من معلومات أضعه تحتها، رغبة في ترتيب مادتها، وقد أتجاوز بعض هذه الفقرات من دون حاجة إلى التنبيه على ذلك، إما لوضوحه، أو لتكرره، وإما لعدم وقوفي على معلومات حولها، بعد بذلي قصارى جهدي؛ فبعض الأعمال أتناول معلوماتها من النقاط السبع جميعاً، وفي بعضها لا أتناول منها إلا جانبين، أو ثلاثة، أو خمسة، وفي بعض المطالب ولكثرة المظاهر تحتها أقتصر في التفصيل على ما أراه مهماً لشهرته في أعمال عاشوراء، ومن جهة ارتباطه بالمطلب، وفي هذا التمهيد

سأسرد هذه النقاط، مبيناً المراد منها، وذلك كما يلي:

١- معناه: أي معنى هذا المظهر وعنوانه، وقد أتوسع بذكر معناه في اللغة ليتضح أكثر، وما قد يدخل تحته من أعمال تشبهه.

٢- نشأته: أي نشأة هذا المظهر، وأقصد به التذكير بشكل مختصر عن الطور الذي نشأ فيه العمل والمظهر من شعائر عاشوراء، وقد أكتفي بالاختصار مع الإحالة استغناءً بما سبق من العرض الموسع عن نشأتها في الفصل الأول.

٣- واقعه: واقع هذا المظهر، فبعض المظاهر تكون في زمن مضى، ولم تعد موجودةً، وبعضها موجودة لكنها تطورت من جهة أهميتها، أو مسمياتها، أو من جهة منطلقها وتصنيفها.

٤- وقته: أي متى يفعل هذا المظهر وهذه الشعيرة؟ هل ذلك في يوم عاشوراء، أو قبله أو بعده؟ وهل هو من أعمال النهار أو من أعمال الليل؟

٥- مستنده: أذكر فيه الدليل والخبر الذي تتخذه الإمامية ذريعة لمشروعية أو جواز هذا العمل والمظهر، وغالباً يكون التركيز على الأدلة النقلية، من أخبار الأئمة، وإن كانوا يعتمدون على الأدلة العقلية ــ أحياناً ــ، لكنهم لاشك يفرحون بالأخبار أكثر، لتقبل العامة لها، وإن كانت ضعيفة، أو موضوعة، ولأنها تقطع النزاع في الظاهر، لمكانة من نسبت إليهم، ولأنهم يحتجون ويخاصمون من يحتج بأشباهها من المنتسبين إلى السنة، من المتصوفة ونحوهم، وقد سبق الحديث في الباب الأول عن موقف فرق الإمامية .أخبارية وأصولية .من أخبار الأئمة المروية في كتبهم، ومن العمل بخبر الآحاد، الذي يضعف تطبيق شروط قبوله في مثل أبواب الفضائل، ومحبة الأئمة، وإطلاقهم لقاعدة (من بلغ)، فمن بلغه خبر وعمل به لزم أجره على الله؛ فتوسعوا في باب الفضائل حتى أصبح هذا الباب دهليزاً للوضع والكذب.

٦- فلسفته وتأويله: هي ذكر لبعض المعاني العاطفية التي يتعلق بها منظرو المذهب، باسم محبة آل البيت، وإحياء أمرهم، وخاصة في المظاهر التي لا يجدون لها دليلاً، ويتجلى هذا الجانب بشكل أكثر في الأعمال التي أحدثت في الزمن المعاصر، وإلا فكل أعمالهم محدثة، ولكن

لقرب زمن هذه المحدثات؛ أو أن أدلتها ظاهرة الكذب والتناقض، أو تعارض مسلمات ظاهرة من الدين والعقل، حتى صار لهم في هذا الباب أصول ومدارس، وإذا وصل الخلل إلى الأصول فلا يستغرب في التطبيقات.

قبل الدخول في حصر الشعائر المحدثة في عاشوراء فأذكر بأن أهم هذه الشعائر التي برز لها تأويل وفلسفة شعيرة البكاء، والحزن الدائم، والمآتم المتكررة، ومفهوم الثورة والثأر، والمظلومية والبراءة من الظالمين، وتأثرت هذه التطبيقات بالخلفية الباطنية العرفانية لكثير من رموز المذهب، وهي التي أثرت على الأصول العقدية قبل الشعائر النسكية والأحكام التشريعية الفقهية، ولذا قد يكون ذكر هذه التأويلات والفلسفات لم ينطلق من الكتب الفقهية والرسائل العملية لمراجع المذهب، بإنه لا يزال وجوده فيها بشكل ضعيف، أو مفرق، ولم يخصص باسمها عناوين بارزة، وأبواب مفردة في تلك الرسائل، مما يوحي بوجود تباين مواقف رموز المذهب باعتماد هذه المظاهر والشعائر كعبادات دينية من خلال كتب الفقه، ورفع التقية عنها، وخاصة في القرون المتأخرة التي كشفت الإمامية عن تراثها، بل لا زال الطرح الفقهي لها يرد من خلال فتاوى مستقلة، أو بحوث متخصصة، هذا عدا قضية الزيارة لقدمها، ولأن الفتنة بها شائعة بين المسلمين، فلا تميز لهم فيها.

٧- نقده: أي نقد هذا المظهر، وفي هذه الفقرة أذكر النقد الذي يوجه للمظهر والشعيرة من ناحية الدليل النقلي، أو العقلي، أو من خلال خلافه لصريح المذهب ومرويات الأئمة، وقد يكون النقد متكرراً بين عدد من المظاهر المتشابهة فأكتفي بأحدها، علماً أنه لن يخلو هذا الجانب من تكرار، لأن البدعة في عمومها متشابهة، ومنطلقة من أسس محددة، وإذا نقضت هذه الأسس، أصبح نقد التطبيقات نوع من التفصيل، أو التكرار، فتوسعت في جانب النقد نزولاً مع الطائفة في أدلتها، ولعل في ذلك مزيداً من الإيضاح والبيان.

في عرض هذه الفقرات راعيت لفظ المذكر "المظهر" لتوحيد العبارات في عناوين الفصول والمباحث والمطالب والفقرات، فهو حديث عن المظهر، أو حديث عن العمل: معناه، مستنده، ولا أستعمل فيها لفظ شعيرة، فلم تكن العناوين: معناها، مستندها، لأن اسم الشعيرة غير مسلم به في عمومها.

يعترض هذا الفصل عددٌ من المصطلحات التي تتكرر فيه، ولطول هذا الفصل فإني أسرد هنا أهم هذه المصطلحات، مرتبة على حروف الهجاء، لاستحضارها بشكل أولي، مع توضيح يسير لها، اكتفاء بما يرد من تفصيل حولها في سياقها وموضعها المناسب، وهي كما يلي:

١- التحاريم: وهي المآتم مجالس العزاء، ومنها الحسينيات.

٢- التُّرَب: جمع تربة، وكأنها موضع ومقام للعبادة والذكر عند الصوفية، وفي أصلها تتخذ مواضع للدفن.

٣- التشابيه: هي التمثيليات والمسرحيات.

٤- التعزية والتعازي: هدايا وتحف تهدى وتعد كقربان في موسم، أو إلى مكان.

٥- الحائر: موضع قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كربلاء قرب الكوفة.

٦- الحجب السبعة: الموانع الكثيفة الحسية، وإن كانوا يؤولونها بالموانع المعنوية.

٧- دعاء (العهد، الندبة، الناحية): من أنواع الأدعية عند الإمامية، ويسمى كل دعاء بما يبرز فيه، أو بسبب جهة صدوره.

٨- الربت: من جنس اللطم، ولكنه ضرب هادئ، غير مؤثر على موضعه من الجسد.

٩- الرواديد والرادود: من ينشد ويغني قصائد المديح والرثاء والأحزان.

١٠- الروضة، (روضة خان "روضخاني"، نوح خان "نوحخاني"): مجالس العزاء والمآتم التي تقرأ فيها كتب المقاتل، ومن أشهرها كتاب: روضة الشهداء.

١١- الزناجيل: سلاسل في أطرافها سكاكين صغيرة، يضرب بها على الظهور.

١٢- زيارة الناحية المقدسة (سرداب سامراء): وهي دعاء يتلى في زيارة مشاهد الأئمة، منسوب إلى المهدي المنتظر، الذي اختفي في سرداب سامراء.

١٣- الشبيهات (شبيه النجف، وشبيه كربلاء، إمام بارة): مواضع يحاكى في بنائها المشاهد والمقامات المشهورة عند الإمامية.

١٤- الضريبة: المجموعة والفريق الذين يضربون الزناجيل على ظهورهم.

١٥- الطينة: عقيدة تقوم على أن الأئمة وشيعتهم خلقوا من طينة واحدة، وتنتقل من خلالها القداسة، ومن أعظم صورها تربة الحسين (الكربلائية).

١٦- اللطم (واللدم): ضرب لموضع من الجسد على سبيل التفجع والجزع.

١٧- اللطميات (اللطمية): من اللطم، وهي القصائد التي تنشد وتغنى عند القيام بلطم الخدود والصدور، وهي من جنس السماع عند الصوفية، ومثلها الصيحات التي تتخللها على شكل إيقاعات، أو ترديد الحيدريات عند التطبير والمواكب.

١٨- مرد الرؤوس (يوم المرد: الأربعين)، وهو يوم العشرين من صفر، يعظم مظنة أنه يوافق عودة رؤوس شهداء كربلاء بعد إرسالها إلى الشام.

١٩- المشهد، المشاهد: ضريح وقبور الأئمة ونحوهم.

٢٠- المقامات: مواضع قرب الأضرحة، ومنها مواضع جلوس الصالحين وخلواتهم ومصلاهم، التي أقاموا فيها، ومثلها العتبات: مقدمات الأضرحة وعتبات أبوابها، ومنها ما يحدث لاستذكار معظم، واستقبال نذوره، كمقام العباس(العباسية)، ومقام القاسم، ومقام الرضيع، ومن جنسها: التعزية والتعازي.

٢١- النجف: موضع قبر مزعوم لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في أرض العراق.

٢٢- النواح والنواعي: مفرد النائح (داخل المأتم)، والناعي (خارج المأتم).

المبحث الأول

شعيرة البكاء بين الحزن والجزع

وغصضخحك وتـ بّصىضىكـ ا:

مدخل: التلازم بين الحزن والجزع.

المطلب الأول: الحزن.

المطلب الثاني: الجزع.

المطلب الثالث: البكاء.

مدخل

التلازم بين الحزن والجزع

الحزن والجزع هما عمدة جميع شعائر عاشوراء عند الإمامية، وإليهما ترجع الشعائر، كما تذكر وتدعي الإمامية، وعلى التسليم بصدق تحقق هذين الأمرين عند البعض؛ فلا يلزم أن يكونا متحققين باطناً وحقيقة عند كل مدع للتشيع ومتظاهر بهذه الأعمال والشعائر، بل إنه لا يستغرب أن تكون هذه الشعائر مدخلاً وباباً يستغله أصحاب الأهواء والمطامع، تحت مظلة محبة آل البيت، أو الحزن عليهم، وفرق الغلو التي نشأت في عهد مبكر من عمر التشيع ــ زمن خلافة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ــ خير دليل على اقتران الغلو والكذب على آل البيت مع دعوى محبتهم، ولا يمكن انفكاكها عن دعوى المحبة التي تحاول أن تستأثر بها الإمامية الاثنا عشرية، وذلك مقابل شيعة آخرين ادعوها ــ أيضاً ــ، هذا فضلاً عن أهل السنة الذين يرمون منهجهم ظلماً وبهتاناً بالنصب والعداوة لآل البيت رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

الحديث في هذه الفترة المتقدمة هو حديث عن المحبة بشكل أوضح، إلا أنه تبعه بعد مدة يسيرة الحديث عن الحزن على مصائبهم، وأخذ يتركز بشكل أوضح وأكثر بعد حادثة مقتل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فتجلى حينئذ ربط الحزن بالمحبة، والمحبة بالحزن، وازداد الربط والتداخل بينهما حتى استحسنوا التعبير عنهما بكل وسيلة، ومن خلال وقائع التاريخ فإن الشيعة يسقطون عيوبهم ومصائبهم وخياناتهم وغدرهم من خلال مقاتل آل البيت ووقائعهم، وأنه بسبب ما يقع على شيعتهم من الظلم[1].

ما بين عودة نشاط الغلو والغلاة زمن جعفر الصادق رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، الذي واكب الحرب على الزنادقة من قبل العباسيين[2]، ثم افتراق شيعة جعفر إلى موسوية وإسماعيلية، إلى عهد علي الرضا ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ حيث برز اسم القطعية للجعفرية الموسوية، انضوى تحتها جمهور من غلا في

---

(١) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٨٠- ٨١.

(٢) سبقت الإشارة إلى هذا الجانب ص٢٥٧ من البحث.

أمر الإمامة، وقد شكلت هذه الجوانب مع فترة المهدوية خمسة مفاصل مهمة في تاريخ الإمامة والإمامية[١]، ومع سقوط أقنعتهم الزائفة فيها إلا أنها أصبحت تشكل مجالاً تسقط من خلالها مصائبها وآلامها وآمالها، تحت دعوى متراكمة من المحبة والحزن.

زادت حيرة الإمامية بعد دعواهم ولادة مهديهم، وغيبته وهو طفل صغير، إضافة إلى أنه سبق ذلك ادعاءات كثيرة على هذا المنوال، بسبب رواج سوق التنبؤات، والمحفوفة بجمع الأموال والأخماس للاستقواء بها، تحت دعوى حقوق آل البيت ومحبتهم[٢]، وكثرت بسبب ذلك الأطماع والاختلافات والتهارش، (كما تتهارش الكلاب على الجيف)[٣]؛ فحظيت غيبة مهديهم بروح هذا التراكم، فأصبحت عقائدهم مجالاً لانعزال المذهب، وتجدد غلوه من خلال شعائر جديده تنمو في جو العزلة والتقية ودعوى الأحزان، مثلت عاشوراء نموذجاً صارخاً لها.

الحزن هو عنوان مظاهر عاشوراء عند الإمامية، ومنه يدخلون إلى الجزع الذي أصبح ملازماً له عندهم، ولعل أول تعبير عنهما هو البكاء، فأصبحا يتنازعانه، وأصبح يتردد بينهما، حتى غدا البكاء أول لباس الحزن وشعاره، ومن خلاله أجلبوا إلى البكاء بخيلهم ورجلهم، طمعاً أن يحظوا من خلاله على تسويغ ما بعده، ولأهمية هذا الجانب، وكونه مدخلاً لهذه المظاهر ضممته في الحديث مع الحزن والجزع، ليتبين أصل الشبهة التي يدخلون منها، وهي شبهة بكاء الأئمة في عاشووراء، وبدفعها يسهل الكلام عما بعدها، على أن كل هذا الباطل هو من لوازم عقيدتهم الباطلة في الإمامة والأئمة، وهكذا الباطل يجر بعضه بعضا، ولكن لكثرة

---

(١) وبهذا أصبحت المراحل والمنعطفات التاريخية التي هيأت لتراكم الحزن والمحبة خمسة، وكلها لم تسلم من ظهور وتجدد لعقائد الغلو، كالرجعة، والبداء، والمراحل هي: (غلو السبئية؛ غلو الكيسانية ثم المغيرية بعد مقتل الحسين؛ حركات الغلو زمن الصادق، كالخطابية؛ اشتداد الحيرة والتوقف والاضطراب في الإمامة زمن الرضا؛ الغيبة بعد موت الحسن العسكري)، وقد سبق ذكرها مفصلة ص٢٤٩- ٢٦٢، وبعدها عقائد الغلو ص٢٦٧- ٣٣٢ من البحث.

(٢) انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٨٢٦- ٨٣٨.

(٣) الغيبة لابن أبي العزاقر الشلمغاني (مدعي البابية زمن الغيبة الصغرى، المقتول سنة ٣٢٣هـ)، نقلها عنه الطوسي في الغيبة، ص٣٩٢، وعنه بحار الأنوار، ٥١/ ٣٥٩.

تلبيسهم حول هذا الجانب كان لا بد من كشفه، وبسط الكلام حوله، فأسأل الله التوفيق والسداد.

مما سبق في الفصل الأول اتضح توافق نشأة هذه الأعمال والشعائر مع ظهور التأريخ لمقاتل آل البيت، ثم تداخلت بالعقائد والأخبار والفضائل والكرامات المنسوبة إليهم، التي في أسانيد من تعترف الإمامية بغلوهم وكفرهم(١)، وتراكم تراث الشيعة مع الزمن ليترسخ بسببه هذا المبدأ الحزين، حتى ادعوا أن الحزن على آل البيت من خصائصهم التي لا يمكن أن يشاركهم فيها غيرهم، حتى من بعض آل البيت أنفسهم، كالذين يخالفونهم في الإمامة، بل أصبح الحزن على آل البيت سلوان الشيعة في أحزانها الخاصة، وفيما يقع عليها من المصائب والمظالم، بل أصبح استذكار هذا المصاب وغيره من المصائب هو عمدة مذهبهم، وشعار حياتهم، فأبدعوا، لكنها لم تبدع بهم رواحلهم بعد(٢)، ولم تكل نفوسهم من اتباع الأهواء والجهالات، وعند الله تجتمع الخصوم.

في موسم عاشوراء يواكب الحزنَ صورٌ من النياحة، وإذا كان البكاء من أبرز وأسرع مظاهر الحزن وصوره فإن استمراره وتكراره يستدعى صوراً من التسخط والجزع، كنزع اللباس، وإيذاء الجسد، وكلمات الاعتراض على القدر، ونعي المصيبة والمصاب، وإقامة المأتم، والانقطاع إلى الحزن والبكاء، ولبس ملابس الحداد، والظهور بهيئته، ومجانبة الفرح، كل هذا بدعوى أن الجزع على مصيبة آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أمر واجب عليهم وعلى محبيهم، ويجب تكرره في مثل هذا الموعد، وسبق أنهم ادعوا الإجماع على ذلك(٣)، وأنه لا تتحقق محبتهم إلا بالجزع الدائم، وادعوا أن مجرد الحزن إذا لم يتبعه جزع فإنه يضمر ويزول، وبه تزول

---

(١) قبول رواية هؤلاء ترد في مسألة قبول خبر الآحاد، وهي موضع خلاف بين الإخباريين والأصوليين سبق ذكره ص٦٨ من البحث، وحول الغلو والغلاة وأثرهم في العقائد (الولاية التكوينية) راجع ص٣٠٣.

(٢) انظر: الخصائص الحسينية، ص١٨٥-١٨٨، جعفر التستري، ت. جعفر الحسيني، ص٧٧ -٧٩، بدون تاريخ الطبع، دار الحوراء. بيروت؛ وفي ص١٦١: كل خضوع في الكون وبكاء فسببه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) راجع ص٣٤٢- ٣٤٩ من البحث.

محبة آل البيت وولايتهم وإمامتهم، ثم انضاف إليه التبرؤ من مخالفيهم وإيجاب لعنهم وسبهم، والسعي في الثأر منهم، والثورة عليهم.

هذا التلازم الذي التزموه، وبه جعلوا الكآبة في ذلك اليوم ديناً ورهبانية يجب عليهم التزامها وإظهارها؛ آل بهم ذلك أن يتخذوا كل ما أحدث وأظهر بدعوى الحزن والمحبة شعيرة وديناً، ولو كان ذلك مناقضاً لأصول من الدين ظاهرة، أو مخالفاً لعبارات عن آل البيت منقولة، ولذا وقعوا في التبرير والتأويل، وأوجبوا على أنفسهم تصنع استذكار المصيبة، بل جعلوه حد الإيمان، وحكموا به نصوص الوعد والوعيد، وقبلوا التشقيق لمعنى الجزع بما يخدم مصالحهم، ويتوافق مع عقيدة التقية التي يدينون بها، ومع الرهبانية التي على أنفسهم كتبوها، ثم أتبعوها بالجدل، ولذا عظم الشقاق والنزاع بينهم، واحتدمت بينهم دعوى المهدوية، والأولوية والأحقية بالنيابة، ولا غرو، فدين آل البيت ــ بزعمهم ــ صعب مستصعب، على خاصتهم قبل عامتهم، ولكنهم يخرجون هذه الصعوبة بمخارج التقية التي هي تسع أعشار دينهم، وقد رووا: (إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له)[1]، وعليه فلم يبق من دينهم أمراً سهلاً تقبله الفطرة، أو شيئاً تصدقه العقول البريئة، إلا العشر.أو أقل، ومن حازه فلا دين له.

من هذه الأمور التي لا تقبل فطرة وعقلاً في هذا الباب أمر الحزن، الذي ربطت به هذه الشعائر، وتفرعت منه مظاهر الجزع، وتلاعبت به أساليب التأويل العرفاني والباطني.

وبعد هذا العرض عما أوجبوه من التلازم بين المحبة والحزن، ثم بين الحزن والجزع، فقد جعلوا الحزن برزخاً بين المحبة والجزع، وهو موضع شبهتهم وتلبيسهم؛ كما أؤكد أن الحزن الذي تظاهروا به مخالف لما عليه آل البيت ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ، كما سيتبين ــ بإذن الله ـ من خلال المطالب القادمة زيف دعاويهم وبطلانها، وأن الحزن لا تلازم بينه وبين الجزع بشكل دائم، بل بينهما معالم يفترقان من خلالها؛ وبذلك يتضح بُعْدُ الإمامية عن نصوص الشريعة، وكيف انتهكوا حرماتها، وظاهوها بالبدع المحدثة، ومن هذه المعالم ما يلي:

---

(١) الكافي، ٢/ ٢١٧.

١- أن الحزن عند العلم بالمصيبة ليس من الجزع.

٢- أن استثارة الحزن مع القدرة على دفعه والصبر عليه واحتساب أجره نوع من الجزع المذموم، لأنه إبقاء وإقرار ورضى بما يؤدي إلى مخالفة الشرع ومعارضته.

٣- أن الحزن الطويل ليس دائماً دليلاً على كمال المحبة والاتباع والإيمان، وليس مقياساً لها، بل قد تكون المبالغة فيه علامة ضعف ونقص إيمان، ولا يمدح بذاته، ولكن إذا كان معه الصبر الجميل، والمؤمن العامل القوي **«خير وأحب إلى الله»**[1]، وأقرب إلى الأدب مع الله في أقداره وشرعه، وأبعد عن عمل الشيطان وخطواته، ومن أعظمها اليأس والعجز وترك العمل، وكم سببت الأحزان لأهلها من الكمد والغيظ؟ وكم تُذُرِعَ بها لترك الأعمال المشروعة، وتضييع المصالح النافعة؟

الإمامية المعاصرة استأثرت بالربط بين الحزن والمحبة تنظيراً وتطبيقاً أكثر من غيرها من الشيعة، لحاجتها إلى الجانبين في نشر المذهب، ونقله من طور الانتظار ـ الذي ملته ـ إلى طور الفقهاء والمراجع، الذين تذرعوا لترويج مذهبهم بالضرورة والمنطق الذي فقده أسلافهم؛ لذا لا غرو أن تخالط عاشوراء مظاهر ليس أصلها الحزن، بل هي من جنس الذكرى للمحبوب، والمدح له، ونشر فضائله، حتى غدا عاشوراء موعداً للاحتفال بالحزن والمحبة في آن واحد.

لأهمية موضوع الجزع القائم على الحزن، من حيث إنه مَرْكَبٌ لكسب العواطف، وتضليل العوام، ولدوره في توصيف الطائفة وتسميتها، وأثره في تبليغ المذهب ونشره، وترسيخ عقائده، والاحتجاج بالمظلومية من خلاله، ولربطه بالفرج وظهور المهدي المنتظر، الذي سيحقق آمالهم التي عجزوا عن تحقيقها، ويستعيد لهم الأمجاد التي حرموها؛ لذلك كله فإني سأتحدث في بقية هذا المبحث عن مظهر الحزن، واستدراره باستذكار المصاب، وباستحلاب البكاء، وعن مظهر الجزع في عاشوراء عند الإمامية بشكل موسع، موضحاً قدر التلازم بينها من خلال بيان فقه آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكيف تعاملوا مع المصائب والأحزان.

---

(١) هذا جزء من حديث أبي هريرة، وفيه: «**وفي كل خير، فاحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل قدر الله**»، الحديث، مسلم، ح/ ٢٦٦٤.

المطلب الثاني

الحـــــزن

الحزن خلاف السرور والفرح، ونقيضهما، وقيل يقابله الهم، فالهم الغم مما يستقبل، والحزن الغم على ما مضى وفات، والحزن كمصدر يأتي بلغتين:

١- حُزْن: بضم الحاء وسكون الزاي، وهو مصدر للازم وللمتعدي، على لغتين: حَزَنَه يَحْزُنُه، وأَحْزَنَه يُحْزِنُه ويُحَزِّنُه، وهو بمعنى (من)، أي حزن من كذا، ويفيد ببداية أول الحزن، وعلى ما يقع في القلب.

٢- حَزَن: بفتح الحاء والزاي، وهو مصدر للفعل اللازم، حَزِن يحْزِن حَزَنَاً، وهو يفيد تعاظم الحزن، ويتعدى بعلى، كحزن على مصيبته حزناً(١).

الحزن على المصيبة يكون بالدمع ورفع الصوت والنحيب، أي البكاء(٢)، ويكون بالقلب وأوله كمد وكظم، كما أنه يكون ظاهراً، فإذا فاض ماء العين منه فهي دمعة، وصوته بكاء(٣)، فالجزع هو الحزن الظاهر، وأما الكمد فهو الحزن المكتوم، وشدة الحزن مع انكسار الهيئة كآبة(٤)، ومثله طول التأثر والبكاء، وتسميتها جزعاً لا يلزم منه أن يلحقهما الذم الوارد في الشرع، وكثرة الحزن: قد يكون من الجزع المذموم، وقد لا يكون، فقد يجتمع معه الصبر

---

(١) انظر: الصحاح: (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية)، مادة: حزن، ٥/ ٢٠٩٨، الجوهري، ت/ ٣٩٣هـ، ت. أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، ١٤٠٧هـ، دار العلم للملايين - بيروت، ولسان العرب، مادة: حزن، ١٣/ ١١١، وتاج العروس، مادة: حزن، ٣٤/ ٤١١.

(٢) البكاء بالمد والقصر، فالبكاء بالمد: الصوت، وبكىً بالقصر: دمعت عينه حزناً وألماً، ومنه ندب الميت: أي بكى عليه، والصياح العويل، والحزن علة للبكاء، وقد يحزن القلب من دون بكاء بصوت، والصوت إذا تردد في الحلق فهو نشيج، وإن كان في الصدر فهو عبرة، انظر: مظهر البكاء، ص٤٧٧.

(٣) وقد تسيل الدمعة من مآقي العين باكية فرحًا وسرورًا، والبكاء على أربعة أنواع: بكاء خوف، وبكاء جزع، وبكاء فرح، وبكاء رياء، انظر: تفسير القرطبي، ٩/ ٢٦٨، والقاموس المحيط، مادة: دمع، ص٧١٦، الفيروزآبادي، ت/ ٨١٧هـ، ط ٨، ١٤٢٦هـ، ت. محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت.

(٤) الصحاح، مادة: ندب ٢/ ٢٣٥.

الجميل والرضا، أي أنه بلا جزع مذموم، ولا شكوى، كحال نبي الله يعقوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[1]؛ فليس كل حزن ـــ وإن طال ـــ يكون جزعاً مذموماً، كما في حزن يعقوب وبكائه[2]، الذي معهما الكظم والصبر الجميل، فلم يتبع بتسخط أو صياح وعويل، ولطم وشق، وشكوى للخلق بإسماعهم النوح، ونحوها من أعمال الجاهلية التي يلزم منها الاعتراض على القدر، وانعدام الصبر والتصبر معه، لأن ذلك من الضعف والخور، وعدم الأخذ بعزيمة الصبر، وترك المحرم.

الإمامية يرون أن الجزع والبكاء من دعائم حفظ مذهبهم، حتى أصبح شعاراً لهم، اتخذوا له دوراً وبيوتاً يفاخرون بها غيرهم، ويأنسون أحياناً بنبي الله يعقوب عليه السلام، الذي زعموا أنه اتخذ للحزن بيتاً، ومثله جعلوا لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، هذا فضلاً عن الغلو بها والقول بعصمتها، وتفضيلها على الأنبياء[3] ـــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبرأها الله من إفكهم وكذبهم ـــ، ومثله استشهادهم بما ينسبونه ويفترونه على آل البيت، كالذي ينسبونه إلى آل الحسين بعد حادثة كربلاء، أو ما يوردونه من صنيع شيعة الحسين في الكوفة بعد مقتل يزيد، حين قام التوابون بالثأر للحسين، وناحوا عند قبره قبل أن يخوضوا القتال، ومنه صنيع المختار، وسبق الحديث عن ذلك والرد عليه[4]، وأما الحديث عن الحزن كمظهر من مظاهر عاشوراء فهو موضوع الفقرات التالية.

---

(١) يوسف: ٨٤.

(٢) في فقرة النقد مزيد إيضاح لهذا الجانب.

(٣) انظر: الخصائص الفاطمية، ١/ ٥٣٣-٥٤٣، محمد باقر الكجوري، ت/ ١٢٥٥هـ، ت. سيد علي جمال أشرف، ط١، ١٣٨٠ ش، مكتبة الشريف الرضي، والأسرار الفاطمية، ص٤٣، ٩٥، ١١١، ١٣٧، محمد فاضل المسعودي، معاصر، ت. عادل العلوي، ط٢، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الزائر. قم؛ والغلو بفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لا يقل عن الغلو بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو الغلو بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس هذا موضع الحديث عنه، ومن الملفت للانتباه أن موسم وفاتها بدأ يأخذ حيزاً من الظهور والدعاية، مما يستحق معه تتبع مدى هذه البدع للحذر والتحذير منها، وإن كان ما هو إلا خرزة ضمن سلسلة، ولكن أبعاده أعمق من عاشوراء في الطعن على الإسلام.

(٤) راجع ص٣٥٢ من البحث.

الحــزن:

معناه: التألم والتحسر على ما جرى للحسين من مصيبة القتل، بسبب تسلط أعدائه، وخذلان مشايعيه وأنصاره، والحزن كمظهر من مظاهر عاشوراء يتجدد ببداية كل عام هجري، موافقة لليوم الذي حصلت فيه المصيبة، ومثله الحزن على فاطمة وآل البيت ـــ صلوات الله وبركاته عليهم ـــ هو حزن موسمي، لا حزن دائم، وإن زعموا أنهم يريدون الوصول إليه، إحياء لأمر آل البيت وأحزانهم.

نشأته: الحزن عند الإمامية ملازم لجميع الأطوار، وزعموا أنه من ضرورياتهم.

وقته: مدة العزاء في شهري محرم وصفر، وبالأخص يوم عاشوراء، وعند التذكر طوال العام على شكل حداد دائم(١).

واقعه: يتمثل الحزن في كثير من مظاهر عاشوراء، وإذا كان الجزع يغلب على المذموم من مظاهر الحزن فإن تلك المظاهر كلها تعد جزعاً محرماً، لاكتماله في حالة يمكن دفعها، كما في مآتمهم ونعيهم وحدادهم ونوحهم وتطبيرهم وأهازيجهم ومواكبهم، وكما يظهر من خلال زياراتهم وأورادهم وأدعيتهم اليومية والموسمية، المليئة بالنوح والندب، واللعن والتشكي.

مستنده: يقوم الحزن على تذكر مصاب الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووجوب استذكار مصيبته وبقية مصائب آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم أوجبوا هذا الأمر على أنفسهم، ولذا فكثير من الأعمال المحزنة مترتبة عليه، ومن أدلتهم على هذا الوجوب:

أ- أنه من إحياء أمر آل البيت، وينسبون إلى الصادق ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبرأه الله من كذبهم ـ: (حدثوا عنا ولا حرج، رحم الله من أحيا أمرنا)(٢).

ب- اقتداء بيعقوب عليه السلام في حزنه، وأنه قد اتخذ بيتاً للأحزان.

---

(١) ستأتي الإشارة ـ بإذن الله ـ إلى النعي الدائم والمتكرر، انظر ص٥٣٧ من البحث.

(٢) الدعوات، ص٦٢، قطب الدين الراوندي، ٥٧٣هـ، ط١، ١٤٠٧هـ،مدرسة الإمام المهدي – قم، وعنه: بحار الأنوار، ٢/ ١٥١، وفي الكافي، ٢/ ١٧٥: (وتذاكروا أمرنا، وأحيوه)، وانظر: الاختصاص، المفيد، ص٢٩، وعنه: الطوسي في الأمالي، الطوسي، ص١٣٥، وبحار الأنوار، ٧١/ ٢٢٣، ٧٨/ ٢١٩.

ت- اقتداء بفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حزنها عموماً، ومواساة لها ولذريتها، حيث اتخذت بيتاً للأحزان، بناه لها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما سبق، وفي حزنها على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خصوصاً، فاطمة ــ بزعمهم ــ حزنت وبكت طويلاً على الحسين، حتى قيل لها إن الأئمة من ولده، فسكنت عن البكاء؛ وهذا بناء على عقيدتهم في أن البكاء والحزن مدخل للتعويض الإلهي(١).

ث- موافقة للحزن الكوني الذي ورد في أخبار مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من حمرة السماء، وتكدر الأجواء.

ج- النصوص التي يروونها كذباً عن آل البيت في البكاء والجزع، وأنها كانت بسبب حزنهم على مصائبهم، ومنها مصيبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كربلاء.

ح- أن هذه النصوص لو كانت عند غير الشيعة لعملوا بها، وهو دليل في موضع النزاع، وهو أمر توهموه، أو أوهموا به لكثرة جنسه عندهم، وزعموا أن ذلك من خصائصهم، وأسرار مذهبهم، ومن انتصارهم لآل البيت؛ فهذا الداعية والمرجع الشيعي في لبنان عبد الحسين شرف الدين الموسوي يؤكد ما يشير إليه غيره من أسرار مذهب الإمامية، وأسباب عنايتهم بالحزن على مقتل الحسين، والجلوس له بشكل متكرر ودائم، فيقول: (وقول اللائمين بأنه: لا يحسن الجلوس على الميت حزناً إذا تقادم العهد بموته، لا يتم في فجائعنا بأهل البيت، حيث لا يتلاشى الحزن عليهم مهما تقادم العهد بهم،... ولو علم اللائم الأحمق بما في حزننا على أهل البيت

---

(١) من هذا القبيل ما جاء في بحار الأنوار، ٤٣/ ٤٧، فقد أورد المجلسي الرواية التالية: (عن أبي عبد الله -عليه السلام-، وعن سلمان الفارسي أنه لما استخرج أمير المؤمنين -عليه السلام- من منزله خرجت فاطمة، حتى انتهت إلى القبر، فقالت: خلوا عن ابن عمي، فوالذي بعث محمدا بالحق، لئن لم تخلوا عنه لأنشرن شعري، ولأضعن قميص رسول الله -صلى الله عليه وآله- على رأسي، ولأصرخن إلى الله، فما ناقة صالح بأكرم على الله من ولدي، قال سلمان: فرأيت والله أساس حيطان المسجد تقلعت من أسفلها، حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ، فدنوت منها، وقلت: يا سيدتي ومولاتي إن الله -تبارك وتعالى- بعث أباك رحمة، فلا تكوني نقمة، فرجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها، فدخلت في خياشيمنا).

من النصرة لهم، والحرب الطاحنة لأعدائهم لخشع أمام حزننا الطويل، ولأكبر الحكمة المقصودة من هذا النوح والعويل، ولأذعن للأسرار في استمرارنا على ذلك في كل جيل)[1]، وهذا المرجع من حمقه وسوء أدبه يسوق الأدلة على مشروعية عمله من رواية مخالفيه الذين يتهمهم بالحمق، ولم يكلف نفسه أن يفسح المجال لهم في أن يوضحوا له وللقارئ تعليقهم على مثل هذه المرويات.

يقول الموسوي ــ بعد ذلك ــ ملبساً ومدلساً: (على أن الأوامر المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة تستوجب التعبد بآثار الحزن بترتيب آثار الحزن على الدوام، ولو ثبتت هذه الأوامر عن أئمة المذاهب الأربعة لعمل اللائمون بها، فلماذا إذن يلوموننا بعد ثبوتها عن أئمة العترة،... ولِمَ يلومنا اللائمون في حزننا، مع تقادم العهد بمصيبتنا، ويحبذون استمرار أهل المدينة على ندب حمزة كلما ناحوا على ميت منهم)[2]، فحكم على المرويات بالتواتر، وهو أمر لم يسلم به أعيان مذهبه قبل مخالفيه، كما سبق، بل إن رواية الصبر عند تذاكر المصيبة مع تقادم عهدها هي من رواية آل الحسين بخصوصهم، فلماذا يخالفونها؟! وكيف يدعون التواتر فيما يخالفها؟.

سيأتي –بإذن الله– مزيد من الحديث عن مستند الحزن عند الحديث عن مظاهر التذكار والفرح، الذي أصبح شعاراً للإمامية تدور في فلكه، وتنسج آمالها من خلاله، فبنت للحزن دوراً، كبيت الأحزان الذي جعلوه أسطورة أحزانهم، كما سيأتي عرض أدلتهم النقلية على شعائرهم وطقوسهم في الباب الثالث، إن شاء الله تعالى.

تأويله وفلسفته: الحزن يثمر البكاء، والبكاء عند الإمامية مطلوب في عاشوراء، ولو كان تباكياً، وأصله من الحزن والتفجع من المصيبة، ثم خالطه الندم على الخيانة، ثم التعبير عن الظلم والمظلومية، والتعبير عن القهر وطول انتظار الفرج، وطول انتظار ظهور القائم بالأمر

---

(١) المجالس الفاخرة (في مآتم العترة الطاهرة)، ص٤٤، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، ط٢، ١٤٠١هـ، دار الزهراء – بيروت.

(٢) المجالس الفاخرة، ص٤٤، ٤٥.

"المهدي"، حيث قطع الهم والحزن نياط قلوبهم على هذا الإمام، ثم تحول البكاء في فلسفة الثورة الشيعية المعاصرة إلى ما يعرف بالبكاء السياسي، والبكاء الإيجابي، وفلسفة البكاء، ولا عجب أن تكون عاشوراء موضع الألم والأمل في آن واحد، وهو ما ترسخه الثورات المتأخرة من خلال الزمن، والتي قلبت مفهوم الإمامة، ووظائف الإمام، وهذا الانقلاب المتأخر عند الإمامية جار عند غيرهم من غلاة الشيعة في زمن متقدم، فجاء هذا التأخر يحمل معه تراثاً ضخماً يسانده من خلال الزيارات ومواسم الأئمة، وبالأخص موسم النياحة الكبرى، كعاشوراء، ومثله المظلومية الفاطمية التي بدأت بالظهور، وهذا التراث لا شك أنه لم يتوفر لغير الإمامية من فرق الشيعة، مما جعلها تفرح به، وتتعجل استثماره، ولو بهدم أصول المذهب.

العرفان الشيعي بفلسفته الإشراقية أضفى على الحزن ومفعولاته ــ ومنها البكاء ــ أهمية بالغة، مع كونه من السلوك والعرفان العملي، فهو عند عرفاء الشيعة رياضة روحية لتحصيل المعارف، والاتصال بالمعشوق، بناء على أن الوقائع ممكن التعرف عليها، والتنبؤ بها ــ كما أثبتته الكشوف العلمية المعاصرة، فهي كما يذكر الكوراني محفوظة في عالم أثيري[1]، واستذكار المشاهد المحزنة والمقاتل الشنيعة يوفر شيئاً من الاطلاع على حقيقتها بالنقل المباشر، المشابه للبث الإعلامي لوسائل الاتصال، وإذا كان هذا في الماضي، فقد يرونه نافعاً في رؤية حية لأحداث الظهور والفرج في المستقبل القريب، الذي تعودوا على استعجاله طمعاً في أمر طالما حزنوا عليه[2].

---

(١) انظر: الحق المبين في معرفة المعصومين، ص٥٣٠ علي الكوراني العاملي، والكتاب في أصله بحوث مستفادة من محاضرات المرجع الوحيد الخراساني.

(٢) مثل هذا موجود في الفلسفات الحديثة، كالبرمجة العصبية، وهي تعرف روادها على اكتشاف ما يعرف بالعقل الباطن، والجسم الأثيري، والعلاج بتقنية الحرية الشخصية، وهي متأثرة بالفلسفات القديمة والحديثة، انظر حولها موقع: الفكر العقدي الوافد، د. فوز كردي، وللدكتورة فوز عناية برصد هذا الجانب؛ انظر موقعها على الرابط التالي:
http://www.alfowz.com/index.php?option=com_content&task=view&id=135&itemid=2

نقده: يرد نقد هذا المظهر في النقاط التالية:

١- أن كثيراً من النصوص التي ترويها الإمامية في كتبهم عن آل البيت في البكاء والجزع على مصائبهم، ومنها مصيبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كربلاء، أنها كذب؛ وقد ابتلوا برواية الغلاة والوضاعين، وزعموا أنهم بذلك يحيون كل أمر نسب لآل البيت، وآفتهم أنهم اعتقدوا ثم رووا، وقد سبق من مروياتهم: (حدثوا عنا ولا حرج، رحم الله من أحيا أمرنا)[1]، ومن ذلك الكرامات والخوارق التي جرت يوم مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجواز حصول أفرادها لا يلزم منه ثبوتها ووجوبها.

٢- أن دعوى اقتدائهم بنبي الله يعقوب عليه السلام، في اشتداد الحزن والتفرغ له، واستدلالهم بحاله استدلال قاصر، وذلك من عدة وجوه، منها:

أ- أن أسلافهم المتقدمين ليسوا أصحاب المصيبة حقيقة، كحال يعقوب وذرية الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأهله، بل هم أدعياء، وصنيعهم مع آل البيت، وغدرهم بالحسين يدل على ذلك، ومتأخروهم إما أنهم ورثوا هذه الدعوى، أو أنهم جهال تكلفوا هذا الأمر تنطعاً، وابتدعوه رهبانية؛ وأدل شيء على ذلك أن الحزين الصادق يبقى في حزنه حتى يرتفع بزوال سببه، أما من جعل له موسماً يستثير فيه الحزن، ويستحلب فيه الدموع، ويستولد البكاء، ثم بعده يرجع إلى بقية شأنه ودنياه، فهذا دعي، وهو كاذب بدعواه، أو متكلف متنطع، وليست النائحة الثكلى كالمستأجرة.

ب- أن ما نسبوه إلى يعقوب من اتخاذ بيت الأحزان لم أقف على ثبوته بدليل صحيح، ويغني عنه الاقتصار على ما في القرآن من شدة حزنه، وإعراضه عن إخوة يوسف، كما قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[2]، وحرص يعقوب على كظم حزنه يتوافق مع صبره الجميل، خلافاً للإمامية، وحرصها على النعي، والاحتفال به، والدعاية من خلاله.

---

(١) سبق قريباً، ص٤٣٢ من البحث.

(٢) يوسف: ٨٤.

ما أظن ذكر البيت إلا من زيادات بني إسرائيل وأوهامهم، وقد ذكروا أنه بقي أربعين سنة، أو أكثر(١)، ولا حجة لهم في ذلك فنبي الله يعقوب عليه السلام كُشَف همه، وانتهى حزنه، ورد الله بصره، فلماذا هذا البيت، وإنما هو من غلو اليهود والنصارى "بني إسرائيل" في مقامات أنبيائهم وقبورهم، والتي حذرت هذه الأمة من التشبه بهم؛ ومنهم من نسب هذا البيت ليوسف عليه السلام، ويقصدون به السجن، أو بيت امرأة العزيز، كما ذكر بعض أهل التفسير والتاريخ(٢).

ت- النصارى اعتنوا بهذه الأخبار حتى إنهم في القرن السادس الهجري سموا بلداً لهم في الشام بهذا الاسم (بيت الأحزان)، بلد بين دمشق والساحل، وهو موضع بيت يعقوب عليه السلام، أو قريباً منه(٣)، وذكر المؤرخون أن الإفرنج في الحروب الصليبية عمروا هذا البلد، واتخذوا فيها حصناً، ثم هدمها الملك الناصر يوسف بن أيوب، سنة ٥٧٥هـ، وقد ذكره ابن الأثير باسم مخاضة الأحزان، وأنه كان بقرب بيت يعقوب(٤)، وأما ابن كثير فيقول ـ رضي الله عنها ـ في حوادث سنة ٥٧٤هـ: (وفيها بنت الفرنج قلعة عند بيت الأحزان للداوية، فجعلوها مرصداً لحرب المسلمين، وقطع طريقهم، ونقضت ملوكهم العهود التي كانت بينهم وبين صلاح الدين)(٥).

صنيع النصارى حين اتخذوا الأحزان ـ حزن يعقوب ـ شعاراً وحجة لاستحقاقهم بلاد الشام، واحتلالها، وجعلهم هذا بلداً باسم بيت الحزن لرصد المسلمين وحربهم؛ أن ذلك يؤكد

---

(١) انظر: تفسير بصائر ذوي التمييز، الفيروزبادي، ٦/ ٤٣، مجد الدين أبو طاهر، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت/ ٨١٧هـ، محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي، (الكشف والبيان)، ٥/ ٢٣٠، فقد ذكر أن يوسف لما خرج من السجن كتب على بابه: (هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان)، ومثله تفسير البغوي (معالم التنزيل)،، ٢/ ٤٩٧، والألوسي في تفسيره (روح البيان)، ٤/ ٢٣٦، أورده يوسف في حواره مع امرأة العزيز (زليخا) عن بيتها، وانظر: الكامل في التاريخ، ١/ ١٣١.

(٣) انظر: معجم البلدان، الحموي، ١/ ٥١٩، وقال: (وكان الأفرنج عمّروه وبنوا به حصناً حصيناً).

(٤) انظر: الكامل في التاريخ، ٩/ ٤٣٩.

(٥) البداية والنهاية، ١٢/ ٣٦٨.

أن أتباع الأنبياء والصالحين قد يتعلقون بالدعاوى، وهم منهم براء، كصنيع الرافضة الإمامية اليوم ـ منذ أكثر من قرن ـ في بناء بيوت الأحزان، والتي يسمونها الحسينيات[1]، واستكثارهم منها، وتقديسهم لها لا يخرج من هذا المحيط، فنشروها في زمننا المعاصر كمعابد للحزن في أوساط المسلمين، رصداً لهم، ونشراً لباطلهم بينهم، وتمكناً من بلدانهم.

٣- أنه لا بد من معرفة ما نسب إلى يعقوب عليه السلام وحقيقته، فهو مع شدة حزنه وبكائه لم يجزع، لأنه جمع مع حزنه الصبر الجميل، أي أنه بلا جزع مذموم، ولا شكوى، وتسمية ذلك جزعاً لا يعني صدور أمور منكرة منه، ونفي الجزع عنه يؤكد أهمية التنبيه على أنه قد يحصل وَهْمٌ يتعلق به البعض في تجويز جزعه استناداً إلى نسبة الجزع إلى يعقوب، وقد يكون ذلك بسبب ما يرد في بعض عبارات المفسرين، من أن يعقوب عليه السلام جزع، وأنهم عدوا ندبه وتأسفه على يوسف جزعاً، كما أن بعضهم ينفي عنه ذلك، فصبره الجميل هو الذي لا جزع معه، وليس من شرطه استحلاء البلاء، وإعلام الخلق بالمصيبة إذا كان للإخبار لا للتشكي، فمع الرضى بقضاء الله لا يعد جزعاً، كما ذكره سفيان بن عيينة ـ رضي الله عنهما ـ[2]؛ وبه يعرف عدم التلازم بين الجزع الجائز الذي يعبر به عن الحزن وشدته، والجزع المذموم الذي يصحبه تسخط وعويل ونحو ذلك.

ما سبق ينطبق على ما ورد عن الرسول ﷺ في أمر الجزع، من ذلك أنه **«جزع جزعاً شديداً»** حين أبطأ جبريل عنه في أول الوحي[3]، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا

---

(١) للتوسع حول الحزن في هذه الحسينيات ينظر ص٥١٦ من البحث.

(٢) انظر: تفسير الطبري (جامع البيان)، ١٣/ ٢٩١، وتفسير الثعلبي، ٥/ ٢٠٣، وتفسير الواحدي (الوسيط في تفسير القرآن المجيد)، ٢/ ٢٢٦- ٢٢٩، وتفسير البغوي، ٢/ ٤٨٠، ٥١٤، ٣/ ٣١٠، والكشاف، الزمخشري، ٢/ ٤٩٨، وتفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ١٨/ ٤٣١، ٤٠٨- ٤٠٩، ٢٢/ ١٧٥، وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ٣/ ١٧٤.

(٣) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، ٦/ ٣٢٣، ح/٣١٧٦٤ يرويه بقوله: (حدثنا وكيع، عن هشام بن عروة، عن أبيه)، وبه من طريق أبي كُرَيب، يرويه الطبري، تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٨٧، ورواته ثقات، وفيه ذكر خديجة رضي الله عنها، وأنكر، ورواه من طريقه الحاكم في المستدرك، ٢/ ٦٦٧، ح/٤٢١٤، وصححه ووافقه الذهبي، وفي تفسير ابن كثير، ٨/ ٤٢٥، ذكر أن إسناد الحديث مرسل، ولعل المرسل عروة بن الزبير، وهناك من =

قَلَىٰ﴾[1]، وإنما هو حزن في نفسه، ومثله ـ أيضاً ـ قول فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين سارها النبي ﷺ بخبر وفاتها، وقال لها: **«فاتقي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك»**، قالت: «فبكيت بكائي الذي رأيتِ، فلما رأى جزعي سارني الثانية»[2]، ولكن هذا المذكور وإن سمي جزعاً فليس من الجزع المذموم قطعاً، استدلالاً بحال يعقوب ونبينا محمد ــ عليهما الصلاة والسلام ــ، وحال فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

للجزع صور كثيرة، منها البكاء كذباً[3]، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾[4]، وهذا فوق أنه كذب وتصنع فهو جزع، وذلك في مقابل سبب بكائهم في الظاهر، وهو الحرص على يوسف، وفي الواقع هو بسبب الاعتراض على قدر الله وفضله، وهو هنا جزع وتسخط، والشيطان يُحَزِّنُهم، ويوسوس إليهم كي يَحْزُنوا، فعادته الكيد وتزيين النجوى، ومثلها تزيين التقية بالعمل والقول ظاهراً، واستسرار حقيقتهما، كما قال الله عنه: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[5]، والحقيقة أنهم حسدوا أخاهم يوسف وشقيقه، وتمنوا أن تزول محبتهما من قلب أبيهم، لينفردوا به، وهو جزع على قضاء الله وقدره وفضله، كما أنه نوع من الضعف عن فعل

=

وصله من رواية خالته أم المؤمنين عائشة، وأنكر، لعدم ولادتها حين القصة، وقال ابن كثير: (ولعلَّ ذِكر خديجة ليس محفوظًا، أو قالته على وجه التأسف والحزن، والله أعلم)، وما ذكره ابن كثير وغيره يوحي بضعف الحديث، واضطراب رواته، كما أنه خلاف المشهور في سبب النزول أن المرأة المتكلمة من المشركين، كما في البخاري، ح/ ٤٦٦٧، وقيل إنها أم جميل امرأة أبي لهب، وشاهدنا ذكر الجزع، وله ما يقويه من رواية أخرى، وانظر: فتح الباري، ٨/ ٧١١، وعمدة القاري، ١٧٢/٧.

(١) الضحى: ٣.

(٢) الحديث في الصحيحين، وسيأتي تخريجه قريباً -بإذن الله- ص٤٥٧ من البحث.

(٣) البكاء على أربعة أنواع: بكاء خوف، وبكاء جزع، وبكاء فرح، وبكاء رياء، انظر: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ٩/ ٢٦٨، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، ت/ ٦٧١هـ، ت. أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، ١٣٨٤هـ، دار الكتب المصرية – القاهرة.

(٤) يوسف: ١٦.

(٥) المجادلة: ١٠.

المشروع في مثل هذه الحالة، من الصبر وبذل الأسباب المشروعة لنيل محبة أبيهم من دون عدوان على إخوانهم المحسنين.

يقابل الحزن وآثاره ويعالجهما الصبر والتصبر، وقد يترافق ويجتمع الصبر والحزن في صورة واحدة، وأعظم الصبر ما يكون عند شدة الحزن، وذلك أن يبث الحزن ــ إذا لم يطق كظمه ــ إلى الله، لا إلى الخلق؛ وإلا أصبح نوعاً من الجزع، فإن المؤمن إذا اشتد عليه الحزن، واحتاج إلى بثه فلا يبثه إلا إلى الله، مع إحسان الظن بالله، وحينها يصبح من جنس الدعاء وهذا هو معنى الصبر الجميل، كما قال تعالى على لسان يعقوب: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[2].

الصبران المذكوران جاءا بعد تقرير ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾، وهذا كله مع حسن الدعاء وحسن العمل وحسن التوجيه والتربيه والتوكل، وعدم العجز مع كبر سنة، وتفاقم مصيبته بفقد وغيبة ولديه، ثم انتظار أخيهم الأكبر في مصر، وتحرجه من القدوم على أبيه إلا بعد أن يرضى عنه، وأن المتسبب في ذلك هم أولاده ــ أيضاً ــ، الذين قد يستحقون القصاص لجنايتهم وعدوانهم، الذي قد يصل إلى القتل، ولكن حال يعقوب حال الصابرين، بل كحال أجملهم، كما في قول الله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[3]، فلم يظهر منه اجتهاد في طلبهما، بل كان يظهر التولي عن بقية الأبناء خشية أن يبتلى بزيادة المصيبة منهم وبهم بسبب غيرتهم، كما أن إعراضه عنهم تبكيتاً لهم، وتأنيباً على صنيعهم به، وتوقياً وحذراً من تجدد مصيبة، ويقول الرازي تعليقاً على هذه

(١) يوسف: ١٨.

(٢) يوسف: ٨٣.

(٣) يوسف: ٨٦– ٨٧.

الحال: (وذلك لأن أحد الولدين إذا ظلمَ الآخرَ وقع الأب في العذاب الشديد، لأنه إنْ لم ينتقمْ يحترقْ قلبه على الولد المظلومِ، وإن انتقم فإنه يحترِقُ قلبه على الولد الذي ينتقمُ منه)[1].

حال يعقوب حال من يريد الإصلاح، لا الانتقام؛ ولكن أين حال يعقوب من حال من يريد الانتقام من أمة الإسلام، لأجل كيد، أو حسد، أو بغي بين أهله، فليس حاله كحال يعقوب مع أبنائه، فحال هذا المنتقم كحال أبناء يعقوب، بل أسوأ منهم حالاً ومآلاً، فكيف بحال يعقوب عليه السلام، وشتان بين الحالين والمقامين.

أبناء يعقوب رأفوا بأبيهم وأشفقوا عليه وطاوعوه، وطلبوا إذنه وعفوه ومعذرته واستغفاره، وبذلوا أنفسهم لتخفيف مصابه، وتحرجوا من لقياه على هذه الحال، بعد أن أوثقوا له العهد والميثاق، مع شدة غيرتهم من أخيهم يوسف، ولجوئهم إلى الكذب لذلك، حتى في مجالس الناس، عند غير أبيهم، كما قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[2]، وقال سبحانه عن حالهم مع أبيهم: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴾[3]؛ والنبي ﷺ وآل بيته رضي الله عنهم الأكرمين كحال يعقوب عليه السلام في إرادة الإصلاح والرحمة، ولو بالتنازل والعفو في حقوقهم وأموالهم وأعراضهم؛ لا الإفساد والنقمة والثأر.

٤- أن دعوى اقتداء الإمامية بفاطمة رضي الله عنها، واستدلالهم بحالها استدلال قاصر،

---

(١) انظر: تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ١٨/ ٤٣١.

(٢) يوسف: ٧٨.

(٣) يوسف: ٨٥ – ٨٨.

وذلك من عدة وجوه، منها:

أ- أن ما نسبوه إلى فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من اتخاذ بيت الأحزان، وبناء علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهذا البيت، لم أقف على ثبوته بدليل صحيح، وهذا البيت المزعوم لم يثبت للإمامية إلا في العصور المتأخرة، وبطرق ضعيفة، وينسبونها إلى أهل السنة، وهذا البيت صاحبه اختلاف غير مؤثر في موضعه، فهل بيتها هو مكان قبرها؟ أو أن قبرها في موضع، والمكان الذي بقيت فيه قبل وفاتها، وبعد وفاة الرسول ﷺ موضع آخر؟ ذكر في ذلك ثلاثة مواضع، في اثنين منها حكي له اسم بيت الأحزان، والسر في هذا الخلاف هو أن المشاهد المنسوبة للأولياء والصالحين قد تكون مكان قبورهم، كما قد تكون مواضع عبادتهم، أو خلوتهم واعتكافهم، أو رؤيا نسبت إليهم[1]؛ وارتبط الخلاف في هذا البيت مع الخلاف في موضع القبر، وسأشير إليه أولاً، ثم أتبعه بتاريخ التسمية، وذلك كما يلي:

١- أن قبر فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الروضة النبوية، بين المنبر والحجرة، وهو أضعف الأقوال وأغربها، وممن ذكره ابن الهمام الحنفي[2]، كما ذكره قبله الصدوق، مستنداً إلى رواية لم يرجحها[3]، والطوسي[4]، ــ وقد ذكر القول مهملاً ــ، وفسرا ذلك أن الروضة لم تكن كذلك إلا لأن قبر فاطمة فيها، وكذلك ابن رستم الطبري الصغير[5] من الإمامية، واستند الأخير على رواية مسندة كأن الطوسي يميل إلى مضمونها[6]،

---

(١) من ذلك ما يعرف بأضرحة الرؤيا، انظر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ١/ ١٠٢ ١٠٣، د. سعاد ماهر، نقلاً عن: مجلة البيان، عدد: ١٣١، ١٣٢ ص٤٠، ملف: (القبور والأضرحة دراسة وتقويم)، مقال: (انتشار القبور والأضرحة وعوامل استمرارها)، خالد محمد حامد، الصادرة عن المنتدى الإسلامي – لندن.

(٢) انظر: فتح القدير، ٣/ ١٨٢ – ١٨٣، ابن الهمام، ت/ ٨٦١هـ، بدون الطبعة وتاريخها وبلدها، دار الفكر.

(٣) انظر: من لا يحضره الفقيه، الصدوق ابن بابويه، ٢/ ٥٧٢، ومعاني الأخبار، ص٢٦٧ – ٢٦٨، الصدوق ابن بابويه، ت/ ٣٨١هـ، ت. علي أكبر الغفاري، ١٣٧٩هـ، مؤسسة النشر الإسلامي. قم.

(٤) انظر: تهذيب الأحكام، ٦/ ٩.

(٥) ابن رستم: محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير، من إمامية القرن الخامس، ومعاصر للطوسي، وهو غير ابن رستم الطبري الكبير، الشيعي المعاصر للكليني، انظر: دلائل الإمامة، ص٢٩ – ٣٦.

(٦) يرويها عن: (محمد بن هارون بن موسى التلعكبري)، بإسناده، وفيه محمد بن همام بن سهيل، انظر: دلائل =

والمجلسي- نقل أنه صلي عليها في الروضة[1]، ولم أقف على من أطلق على هذا الموضع بيت الأحزان، بل يسمونه الروضة، وعليه فهي عندهم روضة فاطمية، وقبرها في الجهة الغربية من الحجرة النبوية، لكن السمهودي الشافعي، ت/ ٩١١هـ، استبعد هذا القول، وذكر أنه لا يعرف لذلك أصلاً ـ أي عند أهل السنة ـ، وأنه ربما اشتبه على القائل به أن هذا الموضع يشتمل على صندوق ومحراب، ومثله بيت فاطمة يحتوي على صندوق ومحراب، فمن سمع قول البعض أن قبرها عند الصندوق والمحراب ظن أنه عند محراب الإمام في الروضة المعروفة[2].

٢- أن قبر فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا في بيتها، المعروف ببيت فاطمة، والمجاور للحجرة النبوية (حجرة عائشة) من الجهة الشرقية، أو من الجهة الشمالية، وهو بيت علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[3]، فهو ضمن المسجد النبوي الآن، وقد سكنه بعد وفاة فاطمة ذريتها رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ومنه كانوا ينكرون على من يغلو من زيارة القبر، واستمر هذا الحال إلى أن سكنه حفيدها الحسن بن الحسن، وزوجته فاطمة بنت الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، إلى أن ضم البيت إلى المسجد زمن بني أمية[4].

هذا البيت المجاور للحجرة النبوية لم أقف على من سماه بيت الأحزان، لا من السنة، ولا من الإمامية، ولكن اختلف فيه، فقيل: فيه قبر فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، كما ينسب إلى جعفر الصادق ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ[5]، واستظهره ابن جماعة مفتي الشافعية، ت/ ٧٣٣هـ[1]،

=

الإمامة، ص١٣٤- ١٣٦، وعنه بحار الأنوار، ٤٣/ ١٧٠- ١٧١.

(١) انظر: بحار الأنوار، ٤٣/ ١٧٤- ١٨٠، وفي آخر قصة فضة مولاة فاطمة، وستأتي الإشارة إليها قريباً.

(٢) انظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٣/ ٩٣، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي، ٩١١هـ، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) انظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٢/ ٢١٤.

(٤) انظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٢/ ٢١٤، ٢٦١، ٣/ ٩٤، ٤/ ٢٢- ٢٣، ١٩٠، ونقل الأول عن الغزالي، والثاني عن المجد الفيروزبادي اللغوي، ومعاني الأخبار، الصدوق، ص٢٦٨.

(٥) انظر: بحار الأنوار، ٩٧/ ١٩١.

والكمال ابن الهمام الحنفي، ت/ ٨٦١هـ، في فتح القدير[٢]، وكذلك الصدوق من الإمامية[٣]، ومثله الطوسي من وجه[٤]، والمجلسي[٥]، وعلى هذا القول فهو مشهد يزار، على أنه قبر فاطمة، لا على أنه موضع حزنها، والكليني يروي أن بيت فاطمة أفضل من الروضة النبوية[٦]؛ بينما قد يسمى مسجد فاطمة، أو محراب فاطمة[٧]، مع المشهور أن مسجدها في البقيع[٨]، والإمامية تزعم أن محراب فاطمة مختلف الملائكة[٩].

ممن قال إن قبرها ليس في هذا البيت، وأشار إلى تعظيم هذا المشهد السمهودي الشافعي (ت/ ٩١١هـ)، لكن على أنه بيت فاطمة، لا قبرها، وقد رجح أن قبرها في البقيع[١٠]، وأن موضع القبر في البقيع يسمي مسجد فاطمة، وأما بيت فاطمة فهو بيتها المجاور للحجرة النبوية، وهو ضمن المقصورة الدائرة على الحجرة النبوية، والتي أحدثها السلطان الملك الظاهر بيبرس، سنة ٦٦٨هـ، وهو خلف الحجرة النبوية، وعندها محراب؛ وذكر السمهودي أن الشيعة كانوا في زمنه ـــ في القرن التاسع ــ يصلون في ذلك الموضع، كما أفاد أن خدام الحرم والحجرة النبوية في زمنه

=

(١) انظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٣/ ٩٣.
(٢) انظر: فتح القدير، ابن الهمام الحنفي، ٣/ ١٨٢- ١٨٣.
(٣) انظر: من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ت/ ٣٨٠هـ، ٢/ ٥٧٢- ٥٧٤، في الحج والزيارة، ومعاني الأخبار، الصدوق، ص٢٦٨.
(٤) انظر: تهذيب الأحكام، ٦/ ٩.
(٥) انظر: بحار الأنوار، ٤٣/ ١٨٨، ٩٧/ ١٩٣، وانظر: اللمعة البيضاء، ص٨٥٨، ٨٨٧، محمد بن علي التبريزي الأنصاري، ت/ ١٣١٠هـ، ت. هاشم الميلاني، ط١، ١٤١٨هـ، مؤسسة الهادي – قم.
(٦) انظر: الكافي، ٤/ ٥٥٥- ٥٥٦، وعنه: بحار الأنوار، ٩٧/ ١٩٣.
(٧) انظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٣/ ٨٩- ٩٢، ٤/ ٢٠١.
(٨) انظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٣/ ٩٣.
(٩) انظر: بحار الأنوار، ٤٣/ ٤٩.
(١٠) انظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٣/ ٨٩- ٩٤.

يعتقدون أن قبر فاطمة في ذلك الموضع، كما نقل اختيار البدر ابن جماعة، ت/ ٧٣٣هـ لهذا الموضع[١]، وهذا مما يوحي بأن هذا القول له شهرة، وقد يكون مأخوذاً، أو متأثراً بمرويات الشيعة التي تقدمت باشتهارها في القرن الرابع، أو قبله. نقل السمهودي عن قاضي المدينة ومؤرخها البدر بن فرحون (ت/٧٩٦هـ) ما يفيد أن ذلك حدث في القرن الثامن، أو قبله[٢]؛ بينما صنيع الصدوق ــ وبعده الطوسي (٤٦٠هـ) ــ من الإمامية يفيد بأن الشيعة يزورون هذا الموضع في القرن الرابع، لاعتقادهم أن قبرها فيه، وأنه إنما سمي بالروضة لأجل قبرها، ولكنهما لم يذكرا لهذا الموضع اسم بيت الأحزان، ولا لغيره، فيظهر أن الاسم برز في آخر القرن الخامس الهجري.

٣- أن قبر فاطمة يقع في البقيع، وبجانبه قبر ابنها الحسن حيث أوصى، ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ، ومن ذلك ما اشتهر أنها حملت من بيتها على نعش مغطى بنحو الهودج، وأنها أول من غطي بنعشها، وأشارت عليها به أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[٣]، وهو المشهور عند

---

(١) انظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٣/ ٩٣.

(٢) انظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٢/ ١٥٩- ١٦١، وقال البدر ابن فرحون (٢/ ١٦٠): (وقد تساهل من كان قبلنا فزادوا على الحجرة الشريفة مقصورة كبيرة، عملت وقاية من الشمس إذا غربت، وكانت بدعة وضلالة تصلي فيها الشيعة؛ لأنها قطعت الصفوف، واتّسمت بمن ذكر من الصنوف، وندم على ذلك واضعها، ولقد كنت أسمع بعضهم يقف على بابها ويؤذن بأعلى صوته «حي على خير العمل»، وكانت مواطن تدريسهم، وخلوة علمائهم، حتى قيّض الله لها من سعى فيها فأصبحت ليلة منخلعة أبوابها، مقوسة أخشابها، متصلة صفوفها، وأدخل بعضها في الحجرة الشريفة- يعني ما اشتمل عليه الدرابزين المذكور- وجعل فيها الباب الشامي، وكان ذلك مع زيادة الرواقين اللذين زادهما الملك الناصر).

(٣) انظر: الآثار، ص٨١، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، ت/١٨٢هـ، ت. أبو الوفا، دار الكتب العلمية - بيروت، ومستدرك الحاكم، ح/ ٤٧٦٣، ومصنف عبد الرزاق، ٦٢٣٦، ومصنف ابن أبي شيبة، ح/١١١٦٤، وحلية الأولياء، ٢/ ٤٣، والسنن الكبرى، البيهقي، ٧/ ١١١، ح/ ١٣٤٢٣، وفيه أنه صنع لزينب بنت خزيمة يوم توفيت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، والمعجم الأوسط، للطبراني، ٢/ ١١١، ح/ ١٤١٨، وفيه أنه صنع لابنة رسول الله ﷺ في حياته، وأقرها عليه، وسير أعلام النبلاء، ٢/ ٥٤، ١٣٢، ٢٨٤، ولم أقف على من حكم على هذه الأسانيد، مع شهرة الأمر، وهذا الخبر متداول بكثرة في كتب الإمامية، وقد يكونون أخذوها عن =

أهل السنة، وقد يسمى مسجد فاطمة، كما نبه عليه ورجحه السمهودي، ولم أقف على من رجح هذا القول من الإمامية، مع ذكرهم له، وأنه موضع زيارة فاطمة، لكنها بدعة أحدثها الصدوق ابن بابويه للإمامية[1]؛ لكن سبق أن الطائفتين منهما من يرى أن لها مشهداً في البقيع، وكأنه موضع أقامت أو صلت فيه، وربما أن فيه قبراً، أو قبوراً منسوبة إليها، ولو على سبيل التعمية.

نقل السمهودي عن الغزالي (٥٠٥هـ) أن هذا المسجد يسمى بيت الأحزان[2]، لأن فاطمة أقامت به أيام حزنها على أبيها، وقيل إنه قريب من الموضع المذكور، أي بجانب قبر إبراهيم ابن نبينا محمد ﷺ[3]، وسبق أن ابن الهمام رجح أن قبرها في المسجد، والذي في البقيع هو بيتها الذي يسمى ببيت الأحزان، ومسجد فاطمة[4]؛ وهذا مشهور عند بعض أهل السنة، والذين تسميهم الشيعة بالعامة، ولكن شهرته متأخرة، لم يظهر منها شيء قبل القرن الخامس الهجري، وأقدم من وقف عليه ذكر بيت الأحزان هو الغزالي في آخر القرن الخامس؛ مما يشير إلى أن هذه الفترة تشكل امتزاجاً شديداً بين التصوف والتشيع، وقد أثار هذا الامتزاج معاني الحزن واستذكار

= أهل السنة، وقد يروونها بصيغة التمريض، وهي لا تتوافق على المشهور عندهم، من أنها قبرت في بيتها، فلا معنى لهذه الهودج والستر، انظر بحار الأنوار، ٧٨/٢٥٣، ح١، ٤٣/ ١٨١، ح ١، ١٨٩- ١٩١.

(١) انظر: من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ت/ ٣٨٠هـ، ٢/ ٥٧٢- ٥٧٤، في الحج والزيارة: زيارة فاطمة، وذكر في موضع القبر ثلاثة أقوال: البقيع، والروضة، وبيتها الذي داخل المسجد، واختار الثالث،، وقال بعدها: (لم أجد في الاخبار شيئا موظفاً محدوداً لزيارة الصديقة -عليها السلام-، فرضيت لمن نظر في كتابي هذا من زيارتها ما رضيت لنفسي، والله الموفق للصواب، وهو حسبنا ونعم الوكيل)، والطوسي نقل عن الشيخ، ولعله الصدوق، لأنه ذكر الأقوال الثلاثة، انظر: تهذيب الأحكام، ٦/ ٩، الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، ط٤، ١٣٦٥ش، ت. حسن الموسوي الخرسان، بدون تاريخ، دار الكتب الإسلامية – طهران؛ وعليه فزيارة فاطمة بدعة ابتدعها الصدوق للإمامية.

(٢) انظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٣/ ٩٤.

(٣) انظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٣/ ٨٩- ٩٢، ١٠١.

(٤) انظر: فتح القدير، ابن الهمام الحنفي، ٣/ ١٨٢- ١٨٣.

المقاتل والمصائب، كما أنه قد واكبت هذه المواضع تسلط الدول الشيعية العبيدية والزيدية على المدينة، مما يهيئ لإحياء الأبنية على القبور والمشاهد، كما فعل العبيديون في مصر، كما في مشهد رأس الحسين؛ أو البويهيون في العراق؛ أو الحمدانيون في الشام.

أما المجلسي من متأخري الإمامية الاثني عشرية وأخبارييها فيقول: (ثم إنه بنى لها بيتاً في البقيع نازحاً عن المدينة، يسمى بيت الأحزان، وكانت إذا أصبحت قدمت الحسن والحسين (عليهما السلام) أمامها، وخرجت إلى البقيع باكية، فلا تزال بين القبور باكية، فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ إليها، وساقها بين يديه إلى منزلها)[(١)]، ويفهم منه أنه يرى أن قبرها ليس في البقيع، وإنما في المسجد، وأن علياً أخفى قبرها باتخاذ قبور موهمة بالبقيع، كما ذكره في موضع سابق لهذا المذكور[(٢)]، وممن يرويه من متقدمي الإمامية في القرن الخامس ابن رستم (ابن جرير) الطبري الصغير، وذكر أن عدد هذه القبور الموهمة سبعة، وقيل: أربعون قبراً، وأن علياً دفنها في الروضة[(٣)]، فخفي مكان قبرها على الناس، وفي هذا الزعم والعدد فحش ونكارة لا تقبله العقول، ولو ادعوا قبراً واحداً مزوراً لاستشكل،

---

(١) بحار الأنوار ٤٣/ ١٧٧ - ١٧٨، وعن المجلسي ينقل المتأخرون، وعليه يعولون، ومنهم: التبريزي، اللمعة البيضاء، ص٨٥٨، وبيت الأحزان (في مصائب سيدة النسوان)، ص١٦٥، عباس القمي، ت/١٣٥٩هـ، ط١، ١٤١٢هـ، دار الحكمة – قم؛ والنص والاجتهاد، ص٣٠٢، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، ١٣٧٧هـ، ت. أبو مجتبى، ط١، ١٤٠٤هـ، سيد الشهداء- قم.

(٢) انظر: بحار الأنوار، ٤٣/ ١٧٠ - ١٧١، ١٨٣، ١٩٣، ٢١٢، ففي الموضع الأول ينقل عن دلائل الإمامة، لابن رستم الطبري الصغير، وسبقت الإشارة إليه قريباً، وعن محمد بن همام، وفيه ذكر الأربعين، وفي الموضع الثاني ينقله مرسلاً عن أصبغ بن نباته أنه سأل أمير المؤمنين، وأن علياً لما دفن فاطمة – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- أخفى قبرها، وهو في مناقب آل أبي طالب، لابن شهر أشوب، ٣/ ١٣٨، ثم في رواية مهملة أنه اتخذ قبوراً موهمة، قيل سبعة، وقيل أربعين، وكذلك في الموضع الثالث، وفي الموضع الرابع ينقل عن كتاب المعجزات، للمرتضى، وانظر: اللمعة البيضاء، ص٨٦٤، ٨٨٧.

(٣) انظر: دلائل الإمامة، ص١٣٦، ومناقب آل أبي طالب، ٣/ ١٣٨، ابن شهر آشوب، ت/ ٥٨٨هـ، ط ١٣٧٦هـ، مطبعة الحيدرية – النجف.

فكيف بقبور كثيرة، ولكن هذه من حيل الكذابين، وفي رواية وأكذوبة أغرب من ذلك أن قبرها خفي حتى على زوجها علي بعد أن دفنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[1]؛ ولعل المجلسي وغيره بهذا يوافق الصدوق والطوسي في كون القبر في المسجد، بل صرح بأن قبرها في بيتها، وربما ادعوا الاختصاص بمعرفته، وبعضهم يزعم أنها خرجت إلى البقيع عند شجرة فقطعت، ثم بنى لها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيتاً بجانبها، فكأنهما موضعين متجاورين[2].

أما مستندهم في اسم بيت الأحزان فإنهم استندوا على قصة طويلة مخترعة، لا زمام لها، ولا خطام، حبكت على لسان مولاة لفاطمة تدعى فضة، وجعلوها من مشاعرهم ومزاراتهم المقدسة، يقول المجلسي: (وجدت في بعض الكتب خبرًا في وفاتها ــ عليها السلام ــ، فأحببت إيراده، وإن لم آخذه من أصل يعول عليه)[3]، وادعوا أن هذا البيت الذي بناه علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لزوجته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[4]؛ كما أن فيهم لأجل الحزن من يقارن بين يعقوب وعلي، وبين أبنائهما، ومن ذلك أنه إذا كان ليعقوب بيت الحزن فلآل علي كربلاء[5]، ويقارنون في البكاء

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ٤٣/ ٢١٤، ينقله عن بعض كتب المناقب القديمة، واللمعة البيضاء، ص٨٧٩، ٨٨٧.

(٢) انظر: النص والاجتهاد، الموسوي، ص٣٠٢، وزعم الموسوي أن هذا البيت اتخذ مقاماً معظماً عند المسلمين، إلى أن أزالته الدولة السعودية، والذي يعرف أن البناية على قبرها، لا على هذا الموضع الموهوم (شجرة الآراكة التي بجانب القبر)، والشيعة يجعلونهما موضعين، ومثله المرهون، والكوراني، انظر: أعمال الحرمين، على بن منصور المرهون، معاصر، ص١٩٠ـ ١٩١، ط٢، ١٤٢٢هـ، دار الهدى، بدون ذكر البلد، وجواهر التاريخ، ١/ ١٣٤ـ ١٣٥، علي الكوراني العاملي، معاصر، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الهدى .قم، والكوراني ذكر أن البيت كان عند شجرة أراكة قطعها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) بحار الأنوار، ٤٣/ ١٧٤ـ ١٨٠، وينظر: بيت الأحزان(في مصائب سيدة النسوان)، عباس القمي؛ وفضة امرأة يحيك حولها الإمامية الأساطير عن آل البيت، كما في قصة الصدقة حين الصلاة، وإطعام اليتيم والمسكين في سورة الإنسان، وكذلك ذريتها، ومنها شهرة بنت مسكة بنت فضة، انظر: بحار الأنوار، ٤٣/ ٥٤.

(٤) انظر: بحار الأنوار، ٤٣/ ١٧٤. ١٨٠، وبيت الأحزان، ص١٦٥، والنص والاجتهاد، ص٣٠٢.

(٥) انظر: مناقب آل أبي طالب، ٣/ ٤١، وعنه: بحار الأنوار، ٣٩/ ٥٤، كما أن في الإمامية من قارن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنبي الله نوح عليه السلام، في النوح والبكاء، وإن كان هو سمي نوحاً فإنها فاقته بالحصول على =

بين فاطمة وتأذي أهل المدينة من بكائها؛ ويوسف في بكائه على يعقوب، وهو في السجن، حتى تأذى أهل السجن منه[1].

ب- يتلخص مما سبق أنه في أول الأمر لم يكن ثم بيت في البقيع، وإنما موضع اختصت به، وفيه دفنت ــ وهو الأشبه بحال القرون الأولى ــ، ثم بني عليه بناء في القرون المتأخرة، كالقرن الخامس، أي بعد فتنة القبور والمشاهد في مصر والعراق والشام، كما قصد بالزيارة موضع بيتها المجاور للحجرة النبوية، والذي يعرف بمحراب فاطمة، ومن عادة البعض تعظيم هذه المقامات، حتى ظن مع الزمن أنه موضع قبرها، وأما الاشتباه بأن قبرها في الروضة فلعله توهم من البعض بسبب ما يرون من حبس بعض الأمراء لجانب الحجرة النبوية الغربي، من جهة الروضة الشريفة، فظن أن فيه قبراً لفاطمة، ولا صحة لذلك؛ والأقوى أن بيتها داخل المسجد، ضمن المنطقة المحبوسة لمحيط الحجرة النبوية، وأن قبرها ليس هناك، بل هو في البقيع، استناداً إلى أن ذريتها سكنوا بيتها بعدها.

ت- أن تسمية بيت الأحزان لم تعرف إلا متأخرة، ولا يمنع أنه زاد التعلق بها بعد التداخل مع النصارى والتشبه بهم زمن وعقب الحروب الصليبية (٤٩٣ ـ ٥٨٣هـ)، وقد سبق أنهم سموا بلداً بالشام ببيت الأحزان، والتي ـ كما سبق ــ هدمها الأيوبيون في القرن السادس، سنة ٥٧٥هـ، والغريب أن الإمامية المعاصرة تعترف أن هذه التسمية تناقلتها الإمامية من طريق العامة (أهل السنة)، ومع تحفظ الإمامية الإخبارية من النقل من هذا الطريق إلا أننا نراها تتساهل في هذا الجانب، ولم تتفطن له بسبب إقحام المجلسي لرواية مجهولة حول هذه التسمية، وممن نبه إلى هذا مرجعهم اللبناني محمد حسين فضل الله، فأنكر أساطير الإمامية حول بيت الأحزان، وبين مخالفتها لعصمة الزهراء، وزعم أن اسم بيت الأحزان لم يعرف إلا

رحمة لا متناهية!، و(حتى صار لها عالم الإمكان "بيت الأحزان")، انظر: الخصائص الفاطمية، ١/ ٥٣٦- ٥٣٧، محمد باقر الكجوري، ت/ ١٣١٣هـ، ت. سيد علي جمال أشرف، ط١، ١٣٨٠ ش، الشريف الرضي.

(١) انظر: بحار الأنوار، ٤٣/ ١٥٥، وسبق –من أخبار بني إسرائيل- أن بيت الأحزان اسم أطلقه يوسف على السجن.

من طريق العامة، وقد لقي بسبب ذلك تشنيعاً وتضليلاً[(١)].

يظهر أن فترة تناقل هذه التسمية من السنة إلى الشيعة ابتدأت آخر القرن الخامس الهجري، وهي فترة امتزاج شديد بين التصوف والتشيع، وممن أشار إلى وجود هذه التسمية عند الشيعة وغيرهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو ممن عاش بعد القرن الخامس، حيث يقول: (ثم إن هؤلاء الشيعة ـــ وغيرهم ـــ يحكون عن فاطمة من حزنها على النبيِّ ﷺ ما لا يوصف، وأنها بنت بيت الأحزان)[(٢)]، وهذا يدل على وجود التسمية في زمانه، ولا أدري من أي الشيعة اقتبس متأخرو الإمامية هذه التسمية، وربما كان لعداوة الشيعة عموماً للدولة الأيوبية التي أسقطت الدولة العبيدية في مصر، وهدمت بيت الأحزان للنصارى في الشام، ربما كان ذلك سبباً في تسويغ هذه التسمية من قبل بعض الشيعة، حتى ورثته الإمامية، وإلا فمتقدمو الإمامية حتى القرن الخامس لم يشيروا إلى هذا الاسم، كما سبق.

٥- أن دعوى الإمامية ـ والرافضة عموماً ـ تأسيهم بفاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ومواساتهم لها في أحزانها، ومنها حزنها على قتل ابنها في كربلاء بزعمهم، أن ذلك دعوى مجردة، وخالية من قرائن الصدق؛ فإذا كانت فاطمة حين حزنت لزمت بيت الأحزان الذي زعموه، وانقطعت عن الناس، وحرصت على الستر، فما لهم ينشرون أحزانهم في الطرقات، ويذيعونها في الآفاق، وما لهم يخرجون نساءهم نائحات أمام الملأ، ويسوقونهن على مرأى الناظرين، ويُعَرِّضُونَهُنَّ للفتنة في الدنيا والآخرة!؛ أليس لهم أسوة في ستر فاطمة وحشمتها، وانقطاعها حال الحزن، وعدم تفوهها بلعن ودعوة وهلاك؟[(٣)]، بخلاف حالهم اليوم في الزيارات والأدعية؛ أليس لنسائهم أسوة في فاطمة حين أوصاها حبيبها ﷺ بالتقوى والصبر، كما لهن أسوة بنساء الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ حين أوصاهن بالصبر، ونهاهن عن النياحة؟

---

(١) انظر: حوار مع فضل الله حول الزهراء، ص٢٤١، هاشم الهاشمي، ط٢، ١٤٢٢هـ، دار الهدى- قم، وخلفيات كتاب مأساة الزهراء، ٢/ ٧٩، جعفر مرتضى، ط٥، ١٤٢٢هـ، دار السيرة – بيروت.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٨/٤٥٩، ٤٦١.

(٣) انظر: الخصائص الفاطمية، ١/ ٥٣٧، عند تفضيل فاطمة على نوح، فنوح دعا على قومه بالهلاك فأغرقوا!.

٦- أن مسألة الحزن من المسائل التي يظهر من خلالها اضطراب الإمامية، فإذا وصفت به الأئمة جعلته من حقوقهم وفضائلهم ومن أسباب عصمتهم، بل مما استوجبوا بسببه الإمامة والولاية، فكأنها تعويض لهم عن أحزانهم، بناءً على اعتقادهم في العدل الإلهي، وكتب الإمامية تصف أهل البيت عمومًا بأنهم بيت أحزان، وألفت في هذا الكتب والموسوعات[(١)]؛ لكنهم لما يذكرون الحزن وصفاً لمخالفيهم يجعلونه عيباً ونفاقاً، مع أن القرآن عده فضلاً ومقاماً حميداً لأولئك، ومنه قول الله تعالى في حق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[(٢)]، يقول ابن مطهر الحلي تعليقاً على هذه الآية: (والجواب: أنه لا فضيلة له في الغار: لجواز أن يستصحبه حذراً منه، لئلا يظهر أمره، وأيضا فإن الآية تدل على نقصه، لقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، فإنه يدل على خوره وقلة صبره، وعدم يقينه بالله تعالى، وعدم رضاه (لأن الحزن إن كان طاعة استحال أن ينهى النبي ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عنه، وإن كان معصية كان ما ادعوه فضيلة رذيلة)[(٣)].

لا شك أن الاحتمال الثاني هو من باب الإلزام، ولا قائل به إلا هو ومن هو على شاكلته، أما الاحتمال الأول فهو على سبيل النقض، ولكنه لم يحرر فيه محل النزاع، فليس الحزن بذاته محل النزاع، إنما منشأه، فهو أراد أن ينفي كونه ناشئاً عن محبة للنبي وإيمان بالله، بل هو عن

---

(١) من آخرها كتاب الغدير، لعبد الحسين بن أحمد الأميني، ت/ ١٣٩٢هـ، وأما الكتب فإن الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ٣/ ١٨٥، ١٢/ ٥٥، ذكر عدة كتب فيها التسمية بالحزن والأحزان، منها: كتاب (بيت الأحزان، في مصائب سيدة النسوان)، لعباس القمي، ت/ ١٣٥٠هـ، وله ترجمة، وكتاب (بيت الأحزان، في مصائب سادات الزمان الخمسة الطاهرة من ولد عدنان)، مقتل فارسي، للمولى عبد الخالق بن عبد الرحيم اليزدي المشهدي، ت/ ١٢٦٨هـ، وآخر قد لا يكون له علاقة بسابقيه، باسم: (بيت الحزن)، مثنوي فارسي، لمير محمد عباس بن علي أكبر الموسوي التستري اللكهنوي، ت/ ١٣٠٦هـ، وفي تراجم الرجال، لأحمد الحسيني، ١/ ٣٧٩- ٣٨٠، ط ١٤١٤هـ، مكتبة المرعشي- قم، ذكر المؤلف كتاباً لا أدري عن مضمونه، باسم: (بيت الأحزان)، لعلي بن محمد الهند وكلائي، المعروف بسليم المازندراني (١٢١٤- بعد ١٢٨٨هـ).

(٢) التوبة: ٤٠.

(٣) في منهاج الكرامة (في معرفة الإمامة)، ص١٨٥، ابن مطهر الحلي، ت/ ٧٢٦هـ، ت. عبد الرحيم مبارك، ط١، ١٣٧٩ ش، انتشارات تاسوعاء – مشهد.

نفاق وجزع بزعمه، لأنه يزعم أن أبا بكر منافس للنبي في فضيلة النبوة، وأن حزنه لنقصه وخوره وحسده، ولذلك نهي عن الحزن، لكنه يلزمه أن كل من نهي عن الحزن فإنه يتصف بالصفات التي جاء في سياقها الحزن، أو يستحق الذم.

الإقرار بما سبق فيه جناية على جناب الأنبياء والصالحين، وخاصة إذا علمنا أن الرسول ﷺ نفسه نهي عن الحزن، وأمر مرة بعدم التعلق بمتعة الدنيا الجالبة للغرور، كما قال سبحانه: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، ومرة أمر بالصبر وعدم الضعف والخور، بل وجعل ذلك علامة لمعية الله له، ونصره إياه، كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[2]؛ بل وأعجب من ذلك أن آية الغار فيها ذكر معية الله سبحانه للنبي ﷺ وصاحبه، وكأن النهي هنا فيه بشارة بالمعية والحفظ، وزوال المحظور، وذكرت المعية لأنها علة لعدم الحزن، كما في آية سورة النحل، ومثلهما ما ذكره الله عن نبي الله لوط عليه السلام، حين نهاه عن الحزن والخوف، وبشره بالفرج والنصر، فقال سبحانه: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾[3].

يؤكد شيخ الإسلام هذا الجانب في رده على ابن مطهر فيقول عن حزن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وحُزنه على النبي ﷺ يدل على كمال موالاته ومحبته، ونصحه له واحتراسه عليه وذبه عنه ودفع الأذى عنه، وهذا من أعظم الإيمان وإن كان مع ذلك يحصل له بالحُزْن نوع ضعفٍ، فهذا يدل على أن الاتصاف بهذه الصفات مع عدم الحُزن هو المأمور به، فإن مُجرد الحُزن لا فائدة فيه ولا يدل ذلك على أن هذا ذنب يذم به، فإن من المعلوم أن الحزن على الرسول أعظم من حزن الإنسان على ابنه، فإن محبة الرسول أوجب من محبة الإنسان لابنه).

---

(١) الحجر: ٨٨.

(٢) النحل: ١٢٧ – ١٢٨.

(٣) العنكبوت: ٣٣.

بعد أن أشار إلى حزن يعقوب على ابنه قال: (فهذا إسرائيل نبي كريمٌ قدْ حَزِنَ على ابنه هذا الحُزْنَ، ولمْ يكن هذا مما يُسَبُّ عليه، فكيف يُسَبُّ أبو بكرٍ إذا حَزِنَ على النبي ﷺ خوفًا أن يقتل، وهو الذي علقت به سعادة الدنيا والآخرة؟!)(١).

يقول شيخ الإسلام ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ مقارناً بين حزن أبي بكر وحزن فاطمة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: (ثم إن هؤلاء الشيعة ـ وغيرهم ـ يحكون عن فاطمة من حزنها على النبيِّ ﷺ ما لا يوصف، وأنها بنت بيت الأحزان، ولا يجعلون ذلك ذمًّا لها، مع أنه حُزْنٌ على أمرٍ فائتٍ لا يعود، وأبو بكرٍ إنما حَزِنَ عليه في حياته خوفَ أن يُقتلَ، وهو حُزْنٌ يتضمن الاحتراسَ، ولهذا لما مات لمْ يَحْزَنْ هذا الحُزْنَ، لأنه لا فائدة فيه، فحُزْنُ أبي بكرٍ بلا ريبٍ أكملُ من حزن فاطمةَ، فإن كان مذمومًا على حُزْنِه، ففاطمةُ أولى بذلك، وإلا فأبو بكرٍ أحقُّ بأن لا يُذَمَّ على حُزْنه على النبي ﷺ من حُزن غيره عليه بعد موته)(٢).

عدم ذكر الحزن في هذا الموضع لا يعني الفرح، بل لما برز له من الثبات وحفظ الدين، وهو مقام لأبي بكر، قد يكون من ثمار معية الله لهما في الغار؛ وكما ما سبق مما يدل على اضطراب الإمامية في باب الحزن؛ فالمصاب إذا حزن، وعظم حزنه لشدة وقع المصاب على قلبه، وعدم مفارقة همه عن نفسه، وكظم غيظه ولو أضر بنفسه، أو أدى لفقدها، أو فقد شيء من نعم الله عليه، أو كان معه شيء من الندب الجائز، أو العزلة؛ فحاله ليس كحال من يدعي الحزن لمصيبته، كما حصل ليعقوب عليه السلام، وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فادعاء المصيبة لعظم مصيبة الأول واستدامتها واتخاذها موسماً وعيداً وديناً لا يكون إلا عن تكلف وتصنع وجهل ورهبانية، أو مكر وكيد، كما تدعيه الرافضة لغيرها.

٧- أن الحزن واستذكار المصيبة هو استسلام لها، وتعمده يخالف الصبر، فقد أمر العبد بالاسترجاع والصبر، كما قال الله سبحانه في وصف المؤمنين الصابرين وجزائهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ

(١) منهاج السنة النبوية، ٨/٤٥٩. ٤٦٠.

(٢) انظر: منهاج السنة النبوية، ٨/٤٥٩. ٤٦٠.

هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[(١)]، ويقيننا أن آل البيت كعلي والحسن والحسين نالوا صلوات من ربهم ورحمة وهدى بمثل هذا الصبر، صلوات الله وبركاته عليهم، وعلى سيدهم نبينا محمد ﷺ، والتسخط والتحزن باسترجاع المصيبة مخالف لكلام أئمة آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن قبلهم سيدهم نبي الأمة محمد ﷺ، وقد رووا عن محمد الباقر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، أنه قال: (من صبر واسترجع وحمد الله عند المصيبة فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله، ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم، وأحبط الله أجره)[(٢)]، وفوات الأجر يزيد الحزن حزناً وذماً لمن كان يعقل.

الاسترجاع عند المصيبة باعتقاد وقول: (إنا لله، وإنا إليه راجعون)، وهي تعبير عن الاستسلام والرضى، واليقين بوعد الله وفضله وثنائه، وهذا الشعار هو من خصائص أمة الإسلام[(٣)]، والإمامية قد حرمت منه، فليس من شعاراتها، وعباراتها البارزة، لأنه حجة عليها، وجزعهم في مثل عاشوراء مخالف لما أمره الله من الصبر، فمن خالف أمر الله هذا فهو في ضلال وجهل وشقاء وسخط من الله، لإعراضه عن أمره، وتعرضه لسخطه ولعنته.

٨- أن موال الأحزان الذي تنسج عليه الإمامية طقوسها وترهاتها إضافة إلى ما سبق من مخالفة هدي آل البيت ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ فإنه مخالف لما قرروه من أن أعظم المصائب هو فقد سيدهم ونبيهم سيدنا ونبينا محمد ﷺ، بل روت الإمامية في كتبها عنهم ما ينص على أن الناس لن يصابوا بمثل مصابهم بفقد الرسول ﷺ، وأن على كل أحد عندما يصاب بما دونها أن يتسلوا بهذا المصاب، فمصيبته سلوان في كل مصيبة مهما عظمت، وسلوان لكل مصاب، أياً كان، وفي هذا نجد أنهم يروون عن النبي ﷺ من ذلك: «أيها الناس أيما عبد من أمتي أصيب بمصيبة من بعدي، فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بعدي، فان أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي»[(٤)]، وهو مروي بلفظه

---

(١) البقرة: ١٥٦- ١٥٧.

(٢) بحار الأنوار، ٦٨/ ٩٦.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٤٧.

(٤) وسائل الشيعة، ٣/ ٢٦٧.٢٦٨، وبحار الأنوار، ٧٩/ ٨٤.

عند أهل السنة، كما عند الإمام أحمد في فضائل الصحابة، والطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان، وغيرهم[1]، وأن ذلك وصية من الرسول قالها في مرض موته ﷺ، بل وأعجب منه أن يكون قال ذلك ﷺ عندما رآهم مجتمعين في الصلاة في مسجده، وراء أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحمد الله على ما رأى من حسن حالهم واجتماعهم[2]؛ ولا شك أن تفرقهم عنه مصيبة.

من ذلك ــ أيضاً ــ ما يرويه الحر العاملي: (عن أبي عبد الله ــ عليه السلام ــ قال: إذا أصبت بمصيبة فاذكر مصابك برسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإن الخلق لم يصابوا بمثله قط)[3]، وقال: (لما أصيب أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ نعى الحسن إلى الحسين وهو بالمدائن، فلما قرأ الكتاب قال: يا لها من مصيبة ما أعظمها، مع أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من أصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بي، فإنه لن يصاب بمصيبة أعظم منها، وصدق صلى الله عليه وآله)[4].

هذا النص الأخير نَقْلٌ خاصٌ بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه تعريف بأدب آل البيت في مصائبهم، فلم يتلق الحسين عنهم غير هذا المقام الرفيع، والهدي الرباني، الذي وعده الله بعده بالبشرى، وهذا هو أبوه وجده وأمه صلوات الله وسلامه عليهم فيما لو كان الشأن في نعي الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا شك أن ادعاء غير ذلك تكذيب للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتكذيب لجده ﷺ، ولابنه جعفر الصادق ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ، وافتراء عليهم، برأهم الله منه، وخاب المكذبون المفترون وخسروا.

٩- النبي ﷺ أوصى أمته بالثبات والصبر والاسترجاع، عند كل مصيبة مهما عظمت، ولم يأمرهم بنعي، ولا مأتم، ولا نياحة، ولا شيء من دعوى الجاهلية، ولو كان ذلك فقده

---

(١) فضائل الصحابة، ح/ ٢١٦، والمعجم الأوسط، ح/ ٤٤٤٨، وشعب الإيمان، ح/ ٩٦٧٨، والتمهيد، لابن عبد البر، ١٩/ ٣٢٥.

(٢) ابن ماجه، ح/ ١٥٦٦، وصححه الألباني بشواهده، انظر: السلسلة الصحيحة، ح/ ١١٠٦.

(٣) وسائل الشيعة، ٣ / ٢٦٧ .٢٦٨، ٢٧٢، باب استحباب تذكر المصاب مصيبة النبي (صلى الله عليه وآله)، واستصغار مصيبة نفسه بالنسبة إليها.

(٤) المرجع السابق، ٣/ ٢٧٢.

ﷺ، وأولى الناس بامتثال ذلك أهل بيته، وخاصة حبيبته وكريمته وريحانته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التي كان يشفق عليها، ويكرم نزلها، ويتعاهدها على قلة ذات يده ﷺ، ويذكرها بما جعله الله لعباده المتقين في الجنة، وبما خير الله عبداً من عبيده، إذ خيره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وزهد فيما سواها، ولا تسأل بعد ذلك عن إيمانها بذلك، وقد تَرَبَّتْ في بيت النبوة، وقد علمت في مكة حال أبيها وتأييد الله له، ثم نصر الله له بدخول الناس في دين الله أفواجاً.

فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي الوحيدة من بين أولاد أبيها ﷺ التي أدركت وفاته ﷺ، لذا اشتهرت بعظم حزنها على فقده، فهي بقيته من بعده، وهي بقيته التي أدركت تمام نعمة الله عليه ﷺ، وما بعد التمام إلا النقصان، وما أوحش من بقي بعد أهله وحيداً وهو يعلم بهذا الحال، وقد فقدت حينها من يسليها في أبيها من أم وإخوة وأخوات[1]، وهم أعظم من يسلي في هذه المواطن، لكونهم عوضاً وذكرى، وذلك فيهم أكثر منه في الأبناء والزوج وزوجات الأب وغيرهم من القرابات، وإذا كان الناس أمروا أن يتسلوا في فقد أحبابهم بفقد حبيبهم ﷺ فمن يسلي ابنته وبضعته بفقده ﷺ، وبمن تتسلى وهو حبيبها وأقرب قريب لها، وليس له ثمة بقية بعده أقرب منها.

لم تكن تلك المصيبة فاجعة فجأتها، فأبوها وحبيبها ﷺ قد سارها بخبره قبل وفاته، فأيقنت به وأدركته، وهي تعلم أنه الصادق المصدوق، ثم سارها بأمر آخر بقرب لقائها به، وتشرفها بسبق أهل بيت النبوة بتلك المرافقة والكرامة، وقد كانوا يسألون عن ذلك ويستشرفونه، وإن ثم من عجب فهو أن من تروي هذا الاستشراف هي من تروي هذه المسارة، وهي أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقد نقلت السر الذي كان بين فاطمة وأبيها بعد وفاة رسول الله ﷺ، فاختلط لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الحزن بالفرح.

روى الشيخان البخاري ومسلم ـ رحمهما الله ــ في (باب من ناجى بين يدي الناس، ومن

---

(١) انظر: فتح الباري، ٧/ ٨٦، وذكر ابن حجر هذه العلة ضمن إحدى العلل المحتملة لمنع النبي ﷺ علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أن يتزوج على ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأن ذلك جبراً لخاطرها وحزنها، وهذا يفيد أن حزنها ابتدأ من قبل وفاة أبيها ﷺ، لكنه اشتد بعد ذلك.

لم يُخبر بسرِّ صاحبه، فإذا مات أخبر به): أن عائشة أم المؤمنين روت أن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تمنعت من إفشاء السر قبل وفاة الرسول ﷺ، وكان ذلك بمحضر أمهات المؤمنين ــ رضي الله عنهن ــ، ثم بعد وفاته ﷺ سألتها عن ذلك فأخبرتها بالأمر، (قالت: **أما حين سارني في الأمر الأول**، فإنه أخبرني: **«أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرةً، وإنه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك»** قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني الثانية، قال: **«يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة»**[(١)].

في رواية أخرى للترمذي: وصفت عائشة مكانة فاطمة عند أبيها، وشبهها بسمته وهديه، وفيه قول فاطمة جوابًا لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين سألتها بعد وفاة رسول الله ﷺ عن سر هذه المسارة، فقالت: (إني إذًا لَبَذِرَةٌ، أخبرني أنه ميِّتٌ من وجعه هذا فبكيتُ، ثم أخبرني أني أسرع أهله لحوقًا به فذاك حين ضحكْتُ)[(٢)]، ومعرفة هذا السر يهون حقيقة أمرها حزناً وفرحاً، وهو ــ ولا شك ــ أمر لم يجر لغيرها من أهله، وأمهات المؤمنين على مقامهن لم يجر لهن ذلك، ومع ثبوت فضيلة سرعة لحاق إحداهن بالرسول ﷺ فلم يثبت الخبر بمسارتها بذلك، وبوفاة رسول الله ﷺ، وإن كان ذكر فضلها، وقرب الوفاة يوحي بالأمان من الفتن[(٣)]،

---

(١) البخاري، ح/ ٦٢٨٥، ٣٦٢٣، ٣٦٢٤، ومسلم، ح/ ٢٤٥٠، وأبو داود، ح/ ٥٢١٧، مختصراً.

(٢) الترمذي، ح/ ٣٨٧٢، ٣٨٧٣، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث من غير وجهٍ عن عائشة)، وروى الترمذي عن أم سلمة أن هذا كان عام الفتح، والنسائي في سننه الكبرى، ح/ ٨٣٠٨، ٨٣١١، ٨٤٥٩، وزاد في المسارة: (وأني سيدة نساء أهل الجنة، إلا مريم بن عمران فضحكت)، وأخرجه الحاكم في المستدرك، ح/ ٧٧٥١، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) تخصيص فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بكونها أسرع أهله لحوقاً بالرسول ﷺ لا يعارض ما أخرجه البخاري، ح/ ١٤٢٠، فقد روى:عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ: أينا أسرع بك لحوقا؟ قَال: «**أطولكن يدًا**»، فَأخذوا قَصبةً يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يدًا، فَعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقاً به وكانت تحب الصدقة)، فهذا خاص بالأول والأسرع من زوجات الرسول ﷺ، والجواب كان عنهن، حيث السؤال بصيغة (أينا)، ولا يمنع منه ما جاء في خبر فاطمة، رضي الله عنهن جميعاً، حيث لم تكن حاضرة معهن ذلك الخطاب، وكأن أسرع أمهات المؤمنين وفاة هي زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقيل: بل سودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كما في رواية البخاري السابقة، فقد توفيت في عهد عمر بن =

والثبات على الهدي، وهو مع كونه محزناً إلا أن من في قلبه يقين فإن فرحه بهذه الفضيلة قد يطغى على الحزن، لكن دواعي الحزن تعظم إذا اجتمع معه مشاركة الناس في مصابهم الجلل، والخوف على دينهم، وخاصة لمن عرف آثار الفتن وأحاديثها.

كان رسول الله ﷺ يوصي ابنته فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بالصبر والاحتساب والرضا، وذلك لا يعني عدم الحزن، بل إن المؤمن يُدْفَعُ عنه الجزع بإخباره وتذكيره بما يسره من وعد الله وفضله، كما فعل الرسول ﷺ مع ابنته فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وهل يظن أنها نسيت ذلك بوفاة أبيها ﷺ، كيف وهي تعلم أن أباها وحبيبها قد دمعت عيناه حين وفاة ابنه، ولكن قال: «**ولا نقول إلا ما يرضي ربنا**»[1]، وقد ذكر الحر العاملي محدث الإمامية أن رسول الله ﷺ قال لابنته فاطمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا يوصيها: «إذا أنا مت فلا تخمشي علي وجهاً، ولا ترخي علي شعراً، ولا تنادي بالويل، ولا تقيمن علي نائحة، قال: ثم قال: هذا المعروف الذي قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾[2]»[3].

فكيف بعد هذا يظن أن آل البيت خالفوا سيدهم رسول الله ﷺ، أو أن فاطمة بنت محمد ﷺ تترك عهد أبيها الذي كان يبايع عليه النساء، ويخصها بالوصية به؛ حتى وصل

الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، سنة ٢٠هـ، ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن بطال أنه سقط من الحديث ذكر زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة، وهي أسرعهن لحوقاً، لاتفاق أهل السير على ذلك، ووافقه ابن الجوزي، وعد ذلك بسبب غلط بعض الرواة، ونص النووي على أن لفظ البخاري باطل بالإجماع، وتوجيه ابن بطال أولى، لأن لفظ البخاري -في الصحيح- ليس فيه جزم أصلاً، وإنما إشارة لوقع توهم أمهات المؤمنين في معنى طول اليد، بل يغلب أنهن عرفنا فيما بعد أنه ليس المراد اليد الجارحة، التي كانت أطولهن فيها سودة، واستغنى عن ذكر زينب لشهرة أمرها ووفاتها، والوهم وقع في رواية البخاري في التاريخ الصغير، والتبس الأمر عند بعض الشراح، والبخاري ذكر الحديث تحت فضل الصدقة، لا فضائل زينب؛ وسبق زينب جاء صريحاً في فضائل أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عند مسلم، ح/٢٤٥٢، انظر: فتح الباري، ٣/٢٨٦- ٢٨٨، وشرح النووي على مسلم، ١٦/ ٨.

(١) ينظر تخريجه ص٤٧٨ من البحث.

(٢) الممتحنة: ١٢.

(٣) وسائل الشيعة، ٣ / ٢٦٧ .٢٦٨، ٢٧٢، باب استحباب تذكر المصاب مصيبة النبي (صلى الله عليه وآله)، واستصغار مصيبة نفسه بالنسبة إليها.

الحال بمن ضلوا السبيل أن جعلوها سيدة النوح والنائحات، ودعوا نساءهم أن يكن فاطميات، كيف يوصيها رسول الله ﷺ بغير ذلك، وقد كانت هذه وصيته ﷺ لأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبرأ الله هذه السيدة الجلية ابنة نبيه من إفكهم وكيدهم، ورضي عنها، وعن زوجها وذريتها، وأخلفها بخير في الآخرين.

هذا هو الذي تعلمه أصحاب رسول الله ﷺ، فأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يذكر الله في القرآن تأديب النبي ﷺ له عند الحزن، وتسليته إياه ببشارة وكرامة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾[1]، وكذلك أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوصي ابنته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند موته بالرضا، ويذكرها أن تتمثل كلام الله ـ سبحانه ـ، لا كلام غيره[2]، ومما روي أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقد عايشت سكرات الموت في موت رسول الله ﷺ ـ لما رأت أباها يحتضر قالت لأبيها أبي بكر متمثلة بقول الشاعر:

لعمرك ما يغني الثّراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر إليها أبو بكر معاتبا غير راض، ثم قال لها: لا تقولي هكذا، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[3].

أما عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فشأنه في الحزن والجزع طويل، وله في ذلك أخبار كثيرة وعجيبة، تضاف إلى أسباب عداوة أهل الجاهلية ومن يحيي سنتهم، ممن ملئت قلوبهم غيظاً وغلاً، ظلماً وزوراً؛ وأما عثمان الصابر الشهيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسن سنة عظيمة في الصبر على البلاء، والتمسك بالوفاء لوصية حبيبه ﷺ، والأخذ بالعزيمة في أصعب موقف وأحرجه، على ما يظن له من منعة؛ وأما علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو القائد والقاضي الحكيم، والفقيه الصابر على بلاء لم يسبق لمن قبله مثله، وقد سبق حال ابنيه عند خبر وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبهذا اكتمل آل البيت أهل الكساء،

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) انظر: ابن سعد في الطبقات، ٣/ ١٤٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق، ٣٠/ ٤٢٦، ٤٣٤.

(٣) ق: ١٩.

وعقد الأصهار الخلفاء، وكلهم كما رأينا على هدي واحد في الصبر عند البلاء، والوصية بالرضا، وحسن الظن بالمولى، والتسلي بأعظم مصاب، مصاب حبيبهم ﷺ الذي هو سلوان لهم بإجماع، ولا سلت نفس بغير ما تسلوا به ورضوا.

١٠- أن من هدي الرسول ﷺ أن العلم بالخاتمة الحسنة للميت مانع للنياحة، ومخفف للحزن، ومن علم وتقين مآل فاطمة وابنيها، وسيادتهم في الجنة خف حزنه على فقدهما، لأن الموت سنة ماضية، ولأنه متبوع بنعيم عظيم، وقد كان النبي ﷺ يربي صحابته على هذا المعنى، ففي خبر والد جابر يوم أحد، ذكر عن عمة أبيه فقال: (فأمر رسول الله فرُفِعَ، فسمعَ صوتَ صائحةٍ، فقال: **«مَنْ هَـٰذِهِ؟»** فقالوا: ابنةُ عمرٍو، أو أخت عمرٍو، قال: **«فَلِمَ تبكي؟ أو لا تبكي، فما زالت الملائكة تُظِلُّهُ بأجنحتها حتى رُفع»**[(١)]، فالعلم بالخاتمة الحسنة تمنع من النوح والبكاء والجزع.

١١- أنه لا وجه لما تصف به الإمامية مخالفيها من وصف العداوة والنصب لآل البيت، ولما تصف به من لم يتبعها على أهوائها بالكفر والوعيد، وما سبق لا يعني التهوين من مصيبة مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهي فاجعة عظيمة، وحدث جلل على المسلمين، وعلى آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خصوصاً: آل علي وغيرهم من بني هاشم، فهي مقتلة عظيمة لسيد من سادات المسلمين، وثلة معه من آل البيت ــ صلوات الله وبركاته عليهم، ولا معنى أن ننفي وجود الحزن والوجد عليهم، وأن يتكرر ذلك الحزن كلما تجدد ذكر هذه المصيبة[(٢)]، فهي مصيبة تضاعفت بمصيبة مقتل الذين رافقوه في مسيره إلى العراق، فهم لم يرضوا أن يسلموه حتى يموتوا دونه، فهي مصيبة عظيمة في بيت النبي ﷺ، وهم من أحق من يشملهم قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾[(١)]؛ لكن لا يعني أن حال من غلبه الحزن وتجدد عنده بسب عارض عرض له يكون كحال من لا يتصبر، أو حال من يثير أسباب الحزن متعمداً ودائماً، كما أن حال

(١) البخاري، ح/ ١٢٣١، ومسلم، ح/ ٢٤٧١.

(٢) سترد قريباً -بإذن الله- رواية مهمة لعلي بن الحسين عن أبيه عن جده. صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

(١) الشورى: ٢٣.

من غلبه الحزن لمصيبته، ليس كحال من يدعيه، أو يستحلبه مع بعد الزمان والحال عن أسباب التعلق والمحبة؛ ولذلك تجد أن الحزن على وفاة الرسول ﷺ يكاد يكون معدوماً عند هؤلاء، فكل حديثهم عن الحزن عند فاطمة وذريتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مما يدل على أن حزنهم ليس على الدين، وفقد الوحي، فالوحي عندهم لم ينقطع، ودينهم محفوظ بالأحزان، وكأن الرسول وجوده كعدمه، وأنه جاء مبشراً بمذهب الإمامة التي يحزنون لها؛ وإلا ففقد الرسول أعظم مصيبة، والحزن عليه أولى.

مصيبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإن كانت مصيبة عظيمة فليست أول مصيبة تحل على آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعلى المسلمين عموماً، فقد أوذي أخوه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتل أبوه الخليفة الراشد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قبل، وقتل قبله طلحة والزبير وعمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقتل قبلهم الخليفة الراشد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في مصيبة وفاجعة عظيمة على أهل المدينة وعلى المسلمين جميعاً، ومن قبل مقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن قبله مقتل كثير من الصحابة الكرام المجاهدين، كحمزة وجعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكلها مصيبة من تذكرها حزن لها، ولما جرى على المسلمين حينها وبعدها، وإن كان المؤمن يتسلى بما يعرفه من مقامهم عند الله، وبما جعله الله من الأجور للصابرين.

من لم يسله السلوان به ﷺ فليست له في مقتل غيره مصيبة من جهة دينه، وإنما لأمر آخر توهمه من الدين، وآل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم ينقل عنهم، ولا عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنهم أقاموا المجالس والمآتم على هذه المصائب؛ ولكن استئثار الشيعة بمقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، وإحيائهم له كان في أول أمره لقصد بعضهم إظهار التوبة والندم، أو لهوى في نفوس بعضهم،

(١) يقول الدكتور ناصر القفاري في كتابه: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ١/ ٨٨، معلقاً على هذا الجانب: (والذي أرى أن التشيع المجرد من دعوى النص والوصية ليس هو وليد مؤثرات أجنبية، بل إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحداً من الصحابة، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع، وقد نما الحب وزاد للآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام بدءاً من مقتل علي، ثم الحسين...)، والإمامية المعاصرة توسع الأحزان، فتستدعي كل ما تظنه من مظلوميات آل البيت قبل مقتل الحسين، فتجعله في مصافه.

ووافق ذلك المقتل تبعات تواصلت ضد بني أمية، واتسع الخرق على مبتغي الإصلاح، وذلك بخروج أهل المدينة، وحركة التوابين، وخروج ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مكة، وقيام زيد بن علي بن الحسين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، ومحمد بن عبد الله الحسني، المعروف بالنفس الزكية ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ في زمن بني العباس، وغيرها من حركات العلويين، من الحسنيين والحسينيين، وغيرهم؛ وذلك مما هيأ لدعوى أن ذلك من باب الثأر لدم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن ذلك من إحياء شعائر المأتم، واستذكار مقتله إغاظة للحاكم القائم، وهؤلاء وإن وافقوا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حبه للحق والقيام به فلا يعني أنهم فعلوا ذلك ثأراً وانتقاماً، عدا حركة التوابين التي قام بها أهل الكوفة بعد خذلانهم للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٢- أن الحزن والجزع وترك الصبر لها مضار على المحزون زيادة على حزنه ومصيبته وفوات أجره، فقد ذكر شيخهم المجلسي مفاسد عدم الصبر فقال: (مع أن الكاره تزداد مصيبته، فإن فوات الأجر مصيبة أخرى، والكراهة الموجبة لحزن القلب مصيبة عظيمة، ومن ثم قيل: المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان، بل له أربع مصيبات، الثلاثة المذكورة، وشماتة الأعداء، من ثم قيل: الصبر عند المصيبة مصيبة على الشامت)[1]، وإذا لم يكن ثم شامت فالصبر أوجب، بل تخيله زيادة في الحرمان والعذاب النفسي، بل أعظم من ذلك أنه شماتة بآل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين تدعي الإمامية انتسابها إليهم، حيث إن الإمامية جعلت هذا الاستذكار هو أساس الدين وسر بقائه.

يتبين ذلك من وجهين وردا في وصية عظيمة لإمام معصوم عندهم، وما أعظم أن تخالف الوصية، أو تبدل، فقد روت الإمامية أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصيته أقسم على أهله ونسائه، ألا ينحن، ولا يشمتن به الناس: (يا أختاه، يا أم كلثوم، وأنت يا زينب، وأنت يا فاطمة، وأنت يا رباب: انظرن، إذا أنا قتلت فلا تشققن علي جيباً، ولا تخمشن علي وجهاً، ولا تقلن هجرًا)[1]، والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا أوصى بمثل هذا فهو مقتد بهدي جده محمد ﷺ، الذي مع

---

(١) بحار الأنوار، ٧٩/ ٨٤.

(١) سيأتي في النياحة والجزع (التطبير)، انظر ص٥٧٣ من البحث.

كون مصيبته أعظم لم يوص بشيء من هذا، بل إنه أوصى بأمور عظيمة، منها الصلاة، والبعد عن سنن من لعنهم الله: اليهود المغضوب عليهم، والنصارى الضالون.

١٣- إذا كان البكاء في نظر هؤلاء علاج للأمراض النفسية، وخاصة ما تولد للإمامية خلال القرون حزناً على الأئمة، فلماذا هم يجتهدون في توفير الحزن، ثم يجتهدون في علاجه؟ فالنصوص الشرعية والفطر السوية تجعل الحزن حالة اعتلال للنفس والبدن، مشغل لها عن واجباتها ومصالحها، يسعى إلى تجاوزها بكل وسيلة من ابتلي بها، وقد ورد في الحديث التعوذ منه، وذلك لما يترتب عليه من الأذى، فذكر من خالط رسول الله يكثر من قوله داعياً: **«اللّهم إني أعوذ بك من الهم والحَزَن، والعجز والكسل، والبخل والجُبْن، وضلع الدَّين، وغلبة الرجال»**(١)، فالحزن بفتح الحاء والزاي هو شغل بمكروه سابق، والهم هو الخوف مما يستقبل، وهما يتداعيان، ويجلبان الكآبة، والله أوصى عباده بألا يحزنوا، ومن فوائد ذلك البعد عن مظانه وأسبابه، وذهابه علامة للفرح والعافية، كما قال الله عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾(٢)، والحزن قد يكون من الشيطان، فهو يُحَزِّنُ الإنسان، فيبطل عمله، ويشغله بالوسوسة، فإذا انقاد لها ساقه إلى فعل القبيح والمنكر؛ وهذا يشير إلى العزلة النفسية للفرد الشيعي، وخاصة التي تلاحقه فيها التقية، والخوف والهلع مما يتوقعه في مستقبل الأيام، والهلع نوع من الجزع، خلق قبيح، وطبع مذموم.

١٤- أن الحزن يستدعي الجزع والنوح، وسيأتي أن آل البيت حذروا من ذلك، وما ورد من لعن النائحة وحرمة عملها، ولعل من الجزع من هذه الأمور أن يقوم أحد بمخالفتها، ويكثر من اللعن لمن أصابه، فيقع في وبال عمله من غير أن يشعر، فيقع فيما فرَّ منه، ويجدد الشماتة به، ويذكر بعيوبه وخذلانه لآل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فيتداوى بما به علته وسقمه.

١٥- أن قولهم في الأحزان كقولهم في الإمامة من جهة التقية واللطف، فخفاء كل منهما هو عمدة قولهم، فإذا كان الحزن أولى أنواعه بالعناية ما له علاقة بظلم الإمامة وجحدها، وما

---

(١) البخاري، ح/ ٢٨٩٣.

(٢) فاطر: ٣٤.

يدور في فلكها، وأن الأئمة كانوا يتكتمون عليها خوفاً على أنفسهم من القتل، وهم ــ كما زعمت الإمامية ـ يجعلون الأحزان مركب الإمامة، فيعترض عليهم بأنه إذا كان الأئمة يتقون في أمر إمامتهم فلماذا لا يتقون أيضاً في أمر أحزانهم، لأن مخالفيهم لن تخفى عليهم هذه الحيلة، فيلزمهم ــ على منطقكم ــ أنهم كانوا يخفون أحزانهم، فكيف تقولون بشهرتها وتواترها، واشتهارها بين الناس، ثم هم مع هذا لم يجدوا من يتعاطف معهم، وكيف تقبلون نقل ورواية من لم يتعاطف معهم؟

أما من جاء بعدهم بعد ذلك فإنه ثبت عنده ذلك تواتراً، فتعاطف معهم، لكن هؤلاء المتعاطفين مع تلك الأحزان وخلال قرنين ونصف لم يتمكنوا من تثبيت ولايتهم، كما غاب الإمام ولم تمكنه الأحزان خلال هذه المدة من ولايته؛ فأين اللطف في الإمامة وفي هذه الأحزان التي لم تنتج ولاية ظاهرة حتى الآن، وهل الأحزان عقوبة من الله على هؤلاء لم ترتفع بعد، لأن الإنسان بطبعه يشتاق للسعادة، ويأنس بمعاودتها؛ لذا أصبح من أصول الدين والسعادة عندهم هو الإحساس بالألم[1]؛ وهذا يجعلني أذكر أن من صور الزندقة التي سرت في طوائف الرافضة: التعبد لله بالحب وحده، وأعجب من ذلك أن يكون التعبد بحب الألم والحزن، وهو نوع من مذاهب الهندوس والبوذية، التي انتقلت إلى الشيعة من بوابة التصوف والعرفان، كما أنه موجود عند النصارى، الذين تشابههم الإمامية في الغلو والمحبة والحزن، ثم في الرهبانية والتنطع.

١٦- أن باب الحزن باب مفتوح، وهو من الفتن التي يشعلها الرافضة مع أهل السنة على مدى بعيد، وإذا كانت فتنتهم في عاشوراء ظاهرة باسم العداوة لبني أمية لمقتلهم الحسين، فإن القصد أبعد من ذلك.

١٧- أن حال طائفة الإمامية أقرب إلى حال أخوة يوسف، من حال يعقوب وابنه يوسف ـ عليهما السلام ـ، حين أفصحوا عن غايتهم وقصدهم: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا

---

(١) الإنسان الكامل، مطهري، ص٤٨، ٦٨، ومنه في عاشوراء صوم التحزن، وترك الملذات، وتعذيب الجسد، وإسالة الدم، وانظر ص٤٧٩، ٥٠١ من البحث.

مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾(١)، ولما قال لهم أبوهم في المرة الأولى: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾(٢)؛ كان حالهم أنهم تعلقوا بدفع السبب البعيد، وتغافلوا عن الجواب عن السبب القريب، ﴿ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾(٣)، وكذلك حال الشيعة ــ وخاصة الإمامية ــ حين يتغافلون عن الجواب عمن تسبب في قتل الحسين، وعن تحرير مشاركة أدعياء التشيع في قتله والغدر به، بل يعولون على أشق الأمرين على أهل الإسلام، ومشقته على أهل الإسلام لمعرفتهم به، وتجربتهم له، ولذا ودعوا الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في مكة، بينما الإمامية هنا يعولون على الذئب (جيش بني أمية) وسبعيته التي لم يقدروها، اغتراراً بكثرتهم وحالهم، وابتعاداً عن أن يتهموا بشيء من الغدر والخيانة وحبهم لأنفسهم، فإنهم شابهوا حال أخوة يوسف بإحضار البراءة من خلال دعاوى المحبة، ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾(٤)، ولكن يبقى أن الأمر ليس على ظاهره، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(٥).

في ختام هذا المطلب تعرفنا على مفهوم الحزن عند الإمامية، وأداتهم عليه، كما عرفنا بطلان هذاالمفهوم، وبطلان من ما استندوا إليه من دعوى الاقتداء بيعقوب، وبآل البيت، والأنبياء والصالحين من أتباعهم إن حزنوا فلا يلزم منه أن يجزعوا، بل إنهم صبروا، وأن من يعلم بخاتمته الحسنة عند ربه يمتنع تجويز النياحة والجزع في حقه، وأن ذلك ليس تهويناً من قدرهم، ولا نصباً لعداوتهم، بل للجزم بأنهم نَهَوا عما يستجلب الآثار المذمومة، كما أنه لا يلزم من طول الحزن صدق المحبة أو كثرة الأجر، بل التصبر مظنة كثرة الأجر وحصول

---

(١) يوسف: ٨ – ٩.
(٢) يوسف: ١٣.
(٣) يوسف: ١٤.
(٤) يوسف: ١٨.
(٥) يوسف: ١٨.

الرضى بالله وبقدره؛ فلا تلازم بين الحزن والمحبة، ولا بين الحزن والجزع.

بما سبق اتضح ـ أيضاً ـ اضطراب الإمامية في الحزن، فبيت الحزن مخالف لمواكب النياحة في الطرقات التي ابتدعوها، ومثله موقفهم من الحزن، فيمدحونه مرة، ويذمونه أخرى من غير ضابط، بل تعنتاً وهوىً منهم، مع أن الحزن من مداخل الشيطان على المؤمن ومن منغصات الحياة، فاستجلابه منا قض للفطرة والدين، كما أنهم بصنيعهم هذا يشبهون أهل الكتاب مع أنبيائهم، والإمامية في أخذها بالتقية أرادت أن تدعي أن تقية الأئمة في باب النياحة هو استعداد للثورة والخروج؛ كما عرفنا أن مسمى بيت الأحزان اسم محدث لم يعرف زمن الأئمة، وإنما أحدث آخر القرن الخامس، وأن الشيعة يتلقفونه من خصومهم، والغريب في حين أن الدولة الأيوبية تهدم بيت الحزن الذي اتخذه النصارى كرصد للمسلمين؛ ينتقل بعد ذلك هذا الاسم بين المسلمين.

❀❀❀❀❀❀

المطلب الثالث

الجـــــــــزع

الجزع في جملته نقيض الصبر، وخلافه، ومن الجزع: الهَلَع، وهو أَسْوَأ الجزَع وأفحشه وأعلاه، ويجتمع فيه معنى الحزن والخوف مما سيأتي، وعلى ما فات، والجزع على فراق الإلف يسمى جشعاً، ورجلٌ جَشِعٌ بَشِعٌ: يَجْمَعُ جَزَعاً وحِرْصاً وخبث نفس، ومنه المتخلق بالباطل، وما ليس فيه، ومثله: الشَّكِعُ، وهو الشديدُ الجَزَعِ الضَّجُورُ، وقد يحصل مع الجزع أو منه خفة حركة، أو خفة عقل، كما في الفرح، ومنه تقلب القلب والبصر. كما في قوله تعالى عن الخوف يوم القيامة: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾(١)، قال الزجاج: معناه: ترجفُ، وتَخِفّ من الجَزْع والخوف(٢).

الجزع في عاشوراء:

معناه: الجزع أن يصدر من المرء ما يدل على اعتراضه على مصيبة الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومقتله، من بكاء، وتسخط، وتكرار نوح ونعي وتأبين، وتعري، أو ضرب وجرح ولطم لجسده، ولعن وسب لمن يعادونه، بما يعبرون به عن مرارة الفقد، وهو ضد الصبر، ومداره على الاعتراض، أو سوء الظن، والتخوف من عاقبة أخرى، فهو من سوء الظن بالله، وسوء الأدب معه سبحانه، حيث شرع لعباده خلاف ذلك، شرع لهم الصبر والرضا، واليقين بوعده وكرمه وقوته وحكمته، وأنه سبحانه عوض العبد في كل أمره، وهذا يستوجب استمراره بالعمل النافع، وحسن الظن بالله، والقول الحسن، والاسترجاع.

واقعه: من أهم مجامع بدع الإمامية عاشوراء، فتعول عليه تجويز التصرفات والشعائر

---

(١) النور: ٣٧.

(٢) انظر: جمهرة اللغة، مادة: جزع، وشكع، ١/ ٤٦٩، ٢/ ٨٧٠، وتهذيب اللغة، مادة: جزع، ١/ ٢٢١، والصحاح، مادة: جزع، وهلع، ٣/ ١١٩٥، ١٣٠٨، ومعجم مقاييس اللغة، مادة: جزع، ١/ ١٨٧، ولسان العرب، مادة: حزن، وشكع، وهيع، وخفف، ٨/ ٤٧ـ ٤٩، ١٨٥، ٣٧٨، ٩/ ٨٠، وتاج العروس، مادة: قلب، ٤/ ٧٥.

المحدثة، بدعوى أنه جزع على مصائب أهل البيت، فهو جوهر الشعائر عندهم، وإذا تحققوا وجوده في عمل محدث حكموا بجوازه، بل باستحبابه، لأنه من مصاديق الجزع، (إن بعنوان أولي، أو بعنوان ثانوي)[(١)]، كما يتكرر في عبارات مراجعهم المتأخرين، ولذا فيمكن تتبع هذا المظهر في الأعمال التي تصنف من النياحة والتسخط، أو من البكاء، والتي تساق كدعاية للمظلومية الطائفية أمام عوام المسلمين وغيرهم، وكوسيلة لترسيخ المذهب وخصوصيته داخل العوام من أتباعه[(٢)].

مستنده: إن الجزع على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مستثنى من عموم الجزع المنهي عنه، لأنهم أدرجوه تحت عنوان المواساة لأهل البيت، والعشق لهم[(٣)]، وأن الأئمة ندبوا إلى الجزع على الحسين، بل بالغوا في ذلك، ومنه ما نسبوه إلى أحد الأئمة في فضل الجزع والبكاء على الحسين، وهو يخاطب شيعته: (رحم الله دمعتك، أما إنك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك،... ما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلا رَحِمَهُ اللَّهُ قبل أن تخرج الدمعة من عينه، فإذا سالت دموعه على خده، فلو أن قطرة من دموعه سقطت في جهنم لأطفأت حرها، حتى لا يوجد لها حر)[(٤)].

نقده: ويرد في النقاط التالية:

١- أن الجزع محرم ومناف للصبر، ولا يعد من العبادة، ولا من الخوف الذي يترتب عليه البكاء والخشية، كالخوف من الله ومن عقوبته وحسابه، والجزع المزعزم لا يليق صدوره من الأئمة، وليس من أوامرهم، والإمامية شابهوا أهل الكتاب، حينما زعموا أن المسيح عليه السلام جزع قبل أن يصلب، مع ادعائهم ألوهيته[(٥)]، وهو لم يصلب، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ

(١) هذا المصطلح يكثر في تقريرات الكتب المعاصرة في الأصول والفقه عند الإمامية.

(٢) انظر: مظاهر البكاء في ص٤٨١ من البحث، ومظاهر النياحة في ص٥٥٢ من البحث.

(٣) نسبت الإمامية عددًا من المرويات إلى الأئمة في هذا الباب، وخاصة إلى جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، انظر: وسائل الشيعة، ١٤/ ٥٠٥، ٥٠٧، وبحار الأنوار، ٤٤/ ٢٨٠.

(٤) كامل الزيارات، ص١٠٣، ١٠٤، ووسائل الشيعة، ١٤/ ٥٠٧-٥٠٨.

(٥) انظر: إظهار الحق، ٣/ ٧٦٩، رحمة الله الهندي، ت/ ١٣٠٨هـ، ت. د. محمد أحمد ملكاوي، ط١، ١٤١٠هـ، =

﴾[1]، كما أنه لم يجزع، لتعلقه بالله سبحانه، وكثير من الإمامية زعموا أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعلم الغيب، ويلزمهم على ذلك: أنه إما أن يكون جزع قبل مقتله؟ أو أنه لم يجزع، ولكنه أمر به أتباعه، أو رضيه لهم!، وكلاهما باطل، ومثله ما نسبوه إلى فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من النياحة والجزع.

لو كان الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد جزع لما واصل المسير، لأن رجوعه من مظان جزعه، ولو أمر أصحابه به لكان أمراً بما هو من جنس الخذلان، فالجزع قبل القتال خور وخذلان، ولا يصح شيء منه في هذا الباب كما هي أحوال المتقين ــ إلا ما يكون من باب البشرى، والإخبار عن مقام السعادة بما بعد القتل، وهذا يوجب الفرح، لا الجزع، وأنه مظنة لتسلية النفس بما يحدث لها من الحزن لذات الفقد؛ فلم يبق إلا احتمال أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوصى بالجزع عليه بعد موته، وهو أمر تقطع النصوص بخلافه، حيث أوصى أخته بعدم الجزع، لكن الإمامية المتأخرة تلاعبت بالمذهب، وادعت أن نهي الحسين لأخته عن الجزع نهي مغيى، أي إلى غاية، وهذا من تحريفهم، وتغييرهم حتى لشرائعهم التي يروونها.

مما يؤكد ما سبق أننا لم نر الرسول ﷺ يعد مقتل أصحابه وآله في المعارك مغرماً لهم، بل شهادتهم مغنم عظيم، وإن كان يلحق غيرهم حزن عليهم، لكنه حزن لا يتبعه جزع وسخط، بل صبر ويقين وعمل، فلم يسن لهم مأتماً سنوياً في حياته، مع أنه ﷺ أحرص الناس على استثمار ما يكون به مصلحة للدين، ووسيلة لتبليغه، فزعم الإمامية أن احتفالهم بالجزع فيه فرصة لنشر المذهب وتبليغه، وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ، ومن الأمور التي تركها ﷺ مع توفر أعظم أسبابها، فدل على أن الاستدراك عليه في هذا الموطن من أعظم البدع والمنكرات.

٢- الصبر له مقام عظيم في نصوص الشرع، حتى ثبت أنه نصف الإيمان، وأوسع

= الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ـ الرياض، ومنحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، ١/ ٣٨٤، عبد العزيز بن حمد آل معمر، ت/ ١٢٤٤هـ، ت. محمد بن عبد الله السكاكر، مكتبة الرشد –الرياض.

(١) النساء: ١٥٨.

العطاء[1]، وهذا هو هدي آل البيت، فقد قال أمير المؤمنين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بان الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له)[2]، وهذا الأثر ترويه الإمامية[3]، وتروي مثله عن علي بن الحسين، والباقر، والصادق رحمهم الله[4]، وهذا الأثر وإن كان فيه ضعف، ولا يحتج به عند أهل السنة إلا أن معناه يثبت من أوجه أخرى، لكنه حجة قاطعة على الإمامية لوروده في كتبهم.

هذا المقام يخالف ما جعلته الإمامية للجزع والبكاء من الفضائل والمقامات، والصبر مطلوب من المؤمن في مواضع كثيرة، فكما يصبر المؤمن في أرض المعركة، ويتجلد أمام العدو، كما فعل نبي الله ﷺ في معاركه، وكذلك حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في حروبه وقتاله، بل حتى عندما فقد الولاية (الدين) والإمامة، وضاعا بعد رسول الله ﷺ، والدين والإمامة أهم شيء يحتاجه البشر ــ كما تزعم الإمامية وعموم الشيعة ــ؛ مع ذلك كله صبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يجزع، بل إن أهل السنة تقر له بعظيم المكانة في تلك الفترة، بل يقرون بأنه

---

(١) وفي حديث آخر «**الصبر نصف الإيمان**»، وفي بعض رواياته زيادة: «**واليقين الإيمان كله**»، رواه عبد الله بن الإمام أحمد، في السنة، ١/ ٣٧٤، والحاكم، في المستدرك، ٢/ ٤٨٤، وصححه الذهبي، وأبو نعيم، في حلية الأولياء، ٥/ ٣٤، والبيهقي في شعب الإيمان، ١٢/ ١٩٣، رقم: ٩٢٦٥، ٩٢٦٦، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ٥/ ١٠٠٢، وفي الحديث الآخر: «**ما أُعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**»، رواه البخاري، ح/ ١٤٦٩، ٦٤٧٠، ومسلم، ح/ ١٠٥٣، واللفظ له.

(٢) أثر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوف، ولفظه من جنس المرفوع، وفي بعض أسانيده أهل اليمن، وكذلك في بعض ألفاظه، وأخرجه ابن أبي شيبة، في مصنفه، ٧/ ١٠١، رقم: ٣٤٥٠٤، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ١/٣٨٣، رقم: ٥٤٧– ٥٤٨، وأبو نعيم في الحلية، ١/ ٧٥، والبيهقي فى شعب الإيمان، ٧/١٢٤، رقم: ٩٧١٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق، ٤٢/ ٥١٠، وابن الجوزي في الموضوعات، ٣/١٨٤، والسيوطي في اللآلي المصنوعة (في الأحاديث الموضوعة)، ٢/ ٣١٣، وابن عراق الكناني في تنزيه الشريعة المرفوعة (عن الأخبار الشنيعة الموضوعة)، ٢/ ٣٣٩.

(٣) الكافي، ٢/ ٨٧– ٨٩.

(٤) انظر: وسائل الشيعة، ٢/ ٢٧٣، ٣/ ٢٥٥ـ ٢٦١، باب استحباب الصبر على البلاء، ومثله ما ترويه الشيعة العبيدية، وسبق في ص٣٤١ من البحث.

زمن ولايته هو الذي وافق الحق والصواب، وأنه كان أفقه الناس في زمانه، ولا زالوا يقتبسون من فقهه في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الإسلام؛ وكل ذلك بصبره ومصابرته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان صابراً حتى قتل شهيداً، فكذلك المحب له يجب عليه الصبر بعده، حتى ولو هزم وخسر في المعركة، وإذا كان الرسل والأئمة صبروا عند لقاء العدو، فكذلك يجب الصبر فيما دون ذلك، والتكليف بالصبر بعد المعركة أيسر منه في المعركة، وهو ما لا يتطرق إليه في مجالس عاشوراء، ولا يمدحونه في مثل هذه المواطن، بل لا يطرونه أصلاً[(١)].

قد يعذر المرء بأن يتملكه الحزن حيناً من الزمن، لكن لا يعني هذا أن يطلبه ويستدعيه، ويستأجر من يستولده، بدعوى أنه لا يتحقق المشروع إلا بمولدات متنوعة: قولية أو فعلية[(٢)]، ويتخذ ذلك رسالة يتقدم بها إلى الناس، وأعظم منه أن يجعل لها هالة وقداسة، فكيف إذا نسبها كذباً وزوراً إلى أناس صالحين، كآل البيت صلوات ربي وسلامه عليهم، واتخاذها مذهباً لهم.

---

(١) فيلسوف الثورة الخمينية مرتضى مطهري، في كتابه: الإنسان الكامل، حينما تعرض للصبر في القرآن ذكر أنه لم يرد إلا في الصبر في القتال، انظر: الإنسان الكامل، ص٦٥، مرتضى مطهري، ت. جعفر الخليلي، ط٢، ١٤١٢هـ، مؤسسة البعثة. بيروت؛ وهذا مما يؤكد تحييد مفهوم الصبر عند الإمامية.

(٢) التوليد يمعنى الاستخراج ولو بتكلف، (فعل توليدي)، والمكلف يكون في عمل مشترك بين طرفين، مختار في فعله، والتوليد عبارة جاءت في فتوى المرجع الشيعي علي الحسيني الفاني الأصفهاني، ت/ ١٤٠٩هـ، نقل عنه الشيعي مرتضى عباد في كتابه: مقتل الإمام الحسين (وفتاوى العلماء الأعلام في تشجيع الشعائر)، كما في مقتل الحسين، عبد الله عبد العزيز، ص٣٥؛ والفاني له كتاب: الشعائر الحسينية، ولم أقف عليه، وربما كان النقل منه؛ وقد ذكر الأصفهاني: أن البكاء فعل توليدي، وهو عمل مشروع، ويحصل توليده بأمرين: قولي، كالمراثي، أو عملي، كالتشابيه، فما يتوقف عليه المشروع فهو مشروع، وهذا ما يلزم منه مشروعية التعزية للباكين وأهل الحزن، لتوفر سببه عرفاً، فاستحقوا المواساة والتسلية، لكن سبب المشروعية هنا مكتسب، وليس فطرياً، فرجع الأمر إلى حكم توفير السبب وتوليده أصلاً، هل هو واجب، أو غير واجب؟، وهم لما ولدوه اضطروا إلى تبنيه والتعايش معه، بل واستحسانه، وهكذا البدع يجر بعضها بعضاً؛ ولترجمة الفاني وكتبه انظر: موسوعة أحاديث أهل البيت، ١٢/ ٤١١، هادي النجفي، ١٤٢٣هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣- أن الاستناد إلى ما حصل من تفجع منسوب إلى آل البيت من تلك المصيبة العظيمة، ومن التوابين في مسيرهم لملاقاة جيش الشام، وأنهم مروا بقبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبكوا، مع كونه وقع من غير المعصومين ــ عندهم ــ؛ أن هذا إذا سلم به فلا يلزم منه تسويغ ما بعده، والمختار وإن كان قتل كثيراً من قتلة الحسين، فإنه على الرغم من ذلك فإن آل البيت تبرءوا منه، لكذبه عليهم، فهذا جعفر بن محمد الصادق ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تعالى ـ يقول: (كان المختار يكذب على علي بن الحسين)[١]، وهذا أحد الشيعة يقول لإمامه سائلاً: (جعلني الله فداك، ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ فقال: وأي الاختلاف؟، فقال: إني لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكاد أشك في اختلافهم في حديثهم، فقال أبو عبد الله: أجل، هو كما ذكرت، إن الناس أولعوا بالكذب علينا، وإني أحدث أحدهم بالحديث، فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا، وكل يحب أن يدعى رأساً)[٢].

في إطار هذا المنطق السابق لا يستغرب أن يكون مستند هذه الشعائر عند القوم مرويات المقاتل والتاريخ والأدب، لا كتب الأحاديث المسندة، بل هي أخبار مرسلة ومنقطعة، وحالهم مع ما صح منها كحال مسترقي السمع يكذبون معها مائة كذبة[٣]، بل في كتبهم ما يخالفها مما يروى عن الأئمة بتحريم النياحة، وأنها من عمل الجاهلية[٤]، كحديث: «النياحة

---

(١) رجال الكشي، ص١١٥، ١١٦، ومن مزاعم الكشي التي ذكرها: أن مهر أم الصادق كان مما بعث به المختار، وأن الصادق قال: ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين، وانظر: أخبار الشيعة وأحوال رواتها، الألوسي، ١/ ٨.

(٢) رجال الكشي، ص١٣٥ـ١٣٦.

(٣) انظر: البداية والنهاية، ٨ / ٢٠٢، وأثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٤١٣ ـ ٤١٤، وستأتي ـ بإذن الله ـ الإشارة إلى هذا الجانب عند الحديث عن كتب المقاتل، انظر ص٨٧٦ من البحث.

(٤) انظر: من قتل الحسين، عبد الله عبد العزيز، ص٣٧ـ٣٨، وقد تتبع المؤلف عدداً من الروايات في كتب الشيعة، والتي تنص على حرمة النياحة، انظر الفصل الخامس: الشعائر الحسينية محرمة في مصادر الشيعة، ص٤٧ـ ٥٥، والفصل الرابع: الشعائر الحسينية، المبحث الأول: الشعائر الحسينية طقوس لم تكن على عهد الأئمة، ص٣٥ـ٣٨.

من عمل الجاهلية»[1]، وقول جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تعالى: (من ضرب يده على فخذه عند المصيبة حبط أجره)[2]، بل صرح بعض معاصريهم بكذب ما ينسب إلى الأئمة، وأنه لم يصح منه شيء، وأنها من فعل عوام الشيعة[3].

٤- أن آل البيت تبرءوا ممن ادعى حبهم (حب العار)، حتى أن كتب الإمامية روت ما يؤكد هذه البراءة عن زين العابدين علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث يقول: (أحببتمونا حتى صار حبكم علينا عارًا)[4].

فليس كل من ادعى حباً محباً، بل قد يكون المدعي جلب عارًا وشماتة على المحبوب، كما تفيده هذه الرواية، بل في بعض ألفاظ الأثر: (ولا تحبونا حب الأصنام)، وهذا إقرار بأن المحبة توصل إلى عبادة المحبوب من دون الله، كحال حب أهل الأصنام لأصنامهم، ولا ريب أن هذا أيضاً إقرار بممارسة أرباب الكذب والغلو لدعوى المحبة الكاذبة، أو الخاطئة في زمان آل البيت، بما ينسبونه ويروونه، ليستكثروا بدعواهم.

انتشار الغلو من عهد علي بن الحسين، وأنه ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ انصرف إلى محاربة الغلو الذي ظهر في صفوف الشيعة، ويدل على ذلك العبارة المذكورة؛ والغلو ودعوى المحبة لآل البيت موجودة من قبل يوم كربلاء، ولكن مقتلة كربلاء فسحت المجال أكثر لدعاوى المحبة، والتستر تحتها لأجل تحقيق مآرب وأهواء، ومن أشهر ذلك ما قام به المختار الثقفي الكذاب

---

(١) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ٤ / ٢٧١ - ٢٧٢، ووسائل الشيعة، ٢ / ٩١٥، وبحار الأنوار، ٨٢ / ١٠٣.

(٢) الكافي، الكليني، ٣ / ٢٢٥، ووسائل الشيعة، ٢/ ٩١٤.

(٣) كل الحلول عند آل الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد التيجاني، ص١٥١، ط١، ١٤١٦هـ، دار المجتبى . بيروت.

(٤) ما وقفت عليه عند الإمامية من رواية للأثر هو من رواية أهل السنة عن علي بن الحسين .رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .، انظر: الإرشاد، المفيد، ٢/ ١٤١، بإسناده من طريق سفيان بن عيينة، عن الزهري، ومناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ٣/ ٣٠١، وابن شهر يذكر رواية أبي نعيم في الحلية، وانظر: بحار الأنوار، ٤٦/ ٧٣، نقله عن المفيد في الإرشاد، مع تعليق وتأويل للمجلسي. والرواية عن الزهري لم أقف على لفظها مسندةً، كما أنه قد ينسب الأثر إلى آخرين من آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والله أعلم، والأثر برواية أهل السنة وقفت منها على ثلاث روايات.

الذي تبرأ منه آل البيت، والدول العلوية الشيعية التي قامت فيها بعد لم يشتهر عنها ــ مع المبالغة في دعوى المحبة ــ الغلو في أعمال البكاء والجزع والنياحة، وإنما عمدت إلى السيف والخروج، أما الإمامية المعاصرة فنراها تجمع بينهما بجلاء، فأحيت الغلو السابق، وأحيت الثورة والسيف[1].

٥- أن آل البيت صلوات الله وبركاته عليهم حفظوا لنا المخرج من الجزع في المصائب والأحزان، يقول ابن كثير عمن يستذكر المصائب والفتن التي وقعت للسابقين من أهل الإسلام، يقول . رَضِيَ اللهُ عَنْهَا .: (وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه علي بن الحسين عن جده رسول الله ﷺ أنه قال: **«ما من مسلم يصاب بمصيبة فيتذكرها وإن تقادم عهدها، فيحدث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب منها»**، رواه الإمام أحمد[2]، وابن ماجه)[3].

---

(١) بتصرف عن: نشأة الشيعة الإمامية، ص٨٢، نبيلة عبد المنعم داود، ط ١، ١٤١٥هـ، دار المؤرخ العربي – بيروت.

(٢) بلفظ قريب منه، وفيه: «**وإن طال عهدها**»، وزيادة: «**ولا مسلمة** »، وهو في المسند، ح / ١٧٣٤: "حدثنا يزيد وعباد بن عباد، قالا: حدثنا هشام ابن أبي هشام، ثنا عباد بن زياد، عن أمه، عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين ابن علي . رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .، عن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم ولا مسلمة، يصاب بمصيبة، فيذكرها وإن طال عهدها . قال عباد: قدم عهدها . فيحدث لذلك استرجاعاً، إلا جدد الله له عند ذلك، فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها**»، قوله: (ثنا عباد بن زياد)، ولعل الصواب: (وعباد قال: هشام بن زياد)، أي وأما يزيد فقال: هشام بن أبي هشام، وذكر غيرهم اسمه: هشام بن زياد أبو المقدام، وأبو المقدم بصري، وهشام أبو المقدام، وهو هنا يروي عن أمه، وبعضهم يرويه عن أبيه، ويزيد الراوي عن هشام هو: يزيد بن هارون الواسطي، وسيأتي بإذن الله في بقية التخريج، وإسناد أحمد رواه عنه الضياء المقدسي في: الأمراض أو الطب النبوي، رقم: ٢٧.

(٣) مسند ابن أبي شيبة، ٢/ ٢٩١، ابن أبي شيبة، ت/ ٢٣٥هـ، ت. عادل العزازي، وأحمد المزيدي، ط١، ١٩٩٧م، دار الوطن – الرياض؛ وابن أبي شيبة شيخ ابن ماجه، لفظه كما في سنن ابن ماجه، ح/ ١٦٠٠، عن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع بن الجراح، حدثنا هشام بن زياد، عن أبيه، عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها قالت: قال النبي ﷺ: «**من أصيب بمصيبة فذكر مصيبتَه فَأَحدث استرجاعاً وإن تَقَادَمَ عهدُها كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب**»، والبوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، ١/ ٢٤٨، ضعف هذا الإسناد، وذكر طرقاً أخرى غير وكيع، ومن طريق ابن ماجه أخرجه محمد بن =

اللفظ المذكور لابن ماجه، ويرويه ــ أيضاً ــ عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعاً[1]، والحديث مداره على رواية هشام بن زياد[2].

=

طولون في الأربعين في فضل الرحمة والراحمين، ٢٧/ ٢، والدولابي في الذرية الطاهرة النبوية، ٢ / ١٢٨، والسلسلة الضعيفة، الألباني، ١٠/ ٥٤، ح/ ٤٥٥١، وأخرجه المقدسي في فضائل الأعمال، ١/ ٣٧، برقم: ١٤٩، عن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي كنز العمال ذكره عن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نقلاً عن ابن ماجه، ولعله خطأ مطبعي، الصواب الحسين، انظر: كنز العمال، ٣/ ٥٣٥، برقم ٦٦٣٤.

(١) البداية والنهاية، ٨ / ٢٠٣.

(٢) الحديث مداره على هشام بن زياد، ويروى مرة عن أمه، ومرة عن أبيه، وهما عن فاطمة بنت الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والرواة عن هشام، كما يلي:

١- عباد بن عباد، وهو: عباد بن عباد بن حبيب بن أبي المهلب بن أبي صفرة، أبو معاوية العتكي الأزدي المهلبي البصري، كما عند أحمد، ح / ١٧٣٤: عن أمه.

٢- يزيد هو: يزيد بن هارون الواسطي السلمي مولاهم، كما عند أحمد، ح / ١٧٣٤، وأحمد بن منيع في مسنده: عن أمه، كما عند الدورقي من طريق أحمد بن أبي السرح، عن أبيه، كما ذكرهما البوصيري في مصباح الزجاجة، ١ / ٢٤٨.

٣- وكيع بن الجراح: كما عند ابن أبي شيبه، ٢ / ٢٩١، وابن ماجه، ح / ١٦٠٠.

٤- ابن علية: إسماعيل ابن علية، كما عند الدورقي، كما ذكر البوصيري في مصباح الزجاجة، ١/ ٢٤٨، عن أبيه.

٥- عبد الرحمن بن سلام الجمحي: كما عند أبي يعلى، ح / ٦٧٧٧: عن أمه، عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها عن جده مرفوعاً، وصرحت بالسماعين، وعنه روى ابن السني في عمل اليوم والليلة، ح/ ٥٥٩: عن أبيه، وكذا ابن عساكر في تاريخ دمشق، ١٤/ ١١١، رقم: ١٦٥٥، بإسنادين: عن أمه، إلى الحسين موقوفاً ومرفوعاً، بلفظ قريب من لفظ أحمد، ورواه ابن حبان، في المجروحين، ٣/ ٨٨، رقم: ١١٥٢، من طريق الفضل بن الحباب: عن أبيه، وفيه: "من أصابته مصيبة فقال إنا لله وإنا إليه راجعون أخر الله له من الأجر مثل ما كان له يوم أصابته"، ومثله عند الطبراني في الأوسط، رقم: ٢٧٦٨، من طريق إبراهيم بن هاشم البغوي، بلفظ: "من أصابته مصيبة، فقال إذا ذكرها: إنا لله وإنا إليه راجعون، جدد الله له من أجرها مثل ما كان يوم أصابته"، ومن طريق أبي خليفة الفضل بن الحباب الجمحي، رقم / ٤٩٤٤، كلاهما: عن أمه، وهما. أيضاً. عند الطبراني المعجم الكبير، رقم: ٢٨٩٥.

٦- إسرائيل: كما في الذرية الطاهرة، للدولابي، ص٩٣، رقم ١٦٧، بإسناده: عن أمه.

٧- حوثرة: كما عند أبي يعلى، عن أمه، ح / ٦٧٧٨، وفيه: "إلا أحدث الله له عند ذلك، وأعطاه ثواب ما وعده عليها يوم أصيب بها".

والخلاف من الرواة عن هشام أمره يسير، لكن الأهم الكلام في ضعفه، وأن يكون الاختلاف في الرواية عن =

يعلق ابن تيمية ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـــ على هذا الحديث، بكلام لطيف فيه إجلال لآل البيت رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فيقول: (هذا حديث رواه عن الحسين ابنته فاطمة التي شهدت مصرعه، وقد علم أن المصيبة بالحسين تذكر مع تقادم العهد، فكان من محاسن الإسلام أن بلغ هو هذه السنة عن النبي ﷺ، وهو أنه كلما ذكرت هذه المصيبة يسترجع لها، فيكون للإنسان من الأجر مثل الأجر يوم أصيب بها المسلمون، وأما من فعل ـ مع تقادم العهد بها ـ ما نهى عنه النبي ﷺ عند حدثان العهد بالمصيبة؛ فعقوبته أشد، مثل لطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية)(١).

يؤكد هذا المعنى ويوضحه ـ أيضاً ـ العلامة الشوكاني ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ، فيقول تعليقاً على قوله

=

أبيه أو عن أمه منه هو، مما يؤكد ضعفه، وأشار إلى ضعفه البوصيري، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، ١/ ٢٤٨.

وأما تفرد هشام عن أحد أبويه، وحالهما، وفي التفرد عن فاطمة بنت الحسين، كل ذلك محل لضعفه، وأشار إلى التفرد الطبراني في الأوسط والكبير، والألباني ذكر تفرد ابن ماجه، نقلاً عن ابن طولون، وذكر حكم الجمال بن المبرد عليه بأنه: حديث حسن غريب، واستغربه الألباني؛ وقال: (اللّٰهم ! إلا أن يدعى أنه حسن باعتبار الشواهد. والله أعلم.

قلت (الألباني): ولا أعلم له شاهداً بهذا اللفظ أو المعنى، فالحديث ضعيف جداً؛ لأن هشام بن زياد – وهو أبو المقدام – متروك؛ كما قال الحافظ في "التقريب")، وقال: ضعيف جداً، انظر: السلسلة الضعيفة، للألباني، ١٠/ ٥٤، برقم: ٤٥٥١، والأرناؤوط قال: (إسناده ضعيف جداً، هشام بن أبي هشام متروك، وأمه لا يُعرف حالها)، وأشار إلى احتمال الخطأ الطباعي بين لفظي: أبيه، أمه، مسند أحمد، ح / ١٧٣٤؛ لكن هذا إضافة إلى تفرد هشام ضعفه بنفسه، وجهالة من روى عنه، وكما يقول ابن حبان .أيضاً .في المجروحين، ٣/ ٨٨، رقم: ١١٥٢، عن هشام: (هشام بن زياد أبو الْمقدام مولى آل عثمان بن عفان، وهو هشام بن أبي هشام، يروي عن محمد بن كعب الْقرظي، وهشام بن عروة، وقد روى عن أبيه وأمه، روى عنه أهل العراق، كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات والمقلوبات عن الأثبات حتى يسبق إِلَى قلب المستمع أنه كان الْمتعمد لها، لا يجوز الاحتجاج به)، وما سبق يؤكد ضعف إسناد هذا الحديث، وإن كان معناه مقبولاً، فإن تذكر المصيبة من غير تقصد هو ابتلاء جديد لم يتسبب به العبد، ويجب الصبر عنده والاسترجاع، واحتساب الأجر.

(١) مجموع الفتاوى، ٤/ ٥١٢، ومنهاج السنة، ٤/ ٥٤٤، واقتضاء الصراط المستقيم (مخالفة أصحاب الجحيم)، ٢/ ١٣٠، ابن تيمية، ت/ ٧٢٨هـ، ت. د. ناصر العقل، ط٧، ١٤١٩هـ، دار عالم الكتب .بيروت، وأطال الكلام عن البغي الذي وقع بين المسلمين في ذلك الزمن بكلام مفصل.

في الحديث: «**فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب**»، يقول الشوكاني: (فيه دليل على أن استرجاع المصاب عند ذكر المصيبة يكون سبباً لاستحقاقه لمثل الأجر الذي كتبه الله له في الوقت الذي أصيب فيه بتلك المصيبة، وإن تقادم عهدها ومضت عليها أيام طويلة، والاسترجاع هو قول القائل: إنا لله وإنا إليه راجعون)(١).

ما ذكره هذان العالمان الفاضلان كما أنه مثوبة وفضل لمصيبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه من محاسن الإسلام وظرائفه، فإن من يرويه هو من وقعت عليه هذه المصيبة، التي نرى الناس كيف ابتلوا بها، وكم قدر انحراف أهل التفريط، كما أوضحته هذه الدراسة، والأعجب من هذا أن كتب الإمامية وموسوعاتهم الحديثية مشحونة بوجوب الصبر، ولو عظمت المصيبة، وأن أعظم المصائب هي فقد النبي ﷺ، وأن أي مصيبة سواها فهي دونها، ولذا فمن أصيب بمصيبة دونها فليتسلى ويتعزى بمصابه بالنبي ﷺ، فإنه أعظم لأجره، وأطوع لربه، وأتبع لنبيه، وأكمل لدينه، وقد سبقت الإشارة إلى مرويات الإمامية في هذا الباب(٢).

ولكن حال القوم كما قال الشاعر:

ومن العجائبِ والعجائبُ جَمَّةٌ ... قربُ الدواءِ وما إليه وصولُ

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول(٣)

---

(١) نيل الأوطار، ٤/ ١٤٤، الشوكاني، ت/ ١٢٥٠هـ، ت. عصام الدين الصبابطي، ط١، ١٤١٣هـ، دار الحديث. مصر، وانظر: تسلية أهل المصائب، ص٢٠، محمد بن محمد المنبجي، ت/ ٧٨٥هـ، ط٢، ١٤٢٦هـ، دار الكتب العلمية .بيروت، وقيل اسمه: شمس الدين المينحي الحنبلي، وقد ذكر إسناد أحمد، ثم ذكر إسناد ابن ماجه، وقال: لكن في إسناده مقال، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ٢/ ٣٣٣، السفاريني الحنبلي، ت/ ١١٨٨هـ، ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة قرطبة – مصر، وذكره السفاريني تحت عنوان: مطلب بشارة عظيمة.

(٢) راجع ص٤٥٤ من البحث.

(٣) البيتين من الكامل، ومع شهرة البيتين لم أقف على قائلهما بشهرتهما، وهناك من نسب قريباً منهما إلى أبي العلاء المعري، كما أن هناك من المعاصرين من يتقدم في النسبة، فينسبه إلى طرفة بن العبد، انظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ١٥/ ٤٥٢، أحمد بن يحيى العمري، ت/ ٧٤٩هـ، ط١، ١٤٢٣هـ، المجمع الثقافي – أبو ظبي، ومجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ١/ ٤٩٧، أحمد قبش بن محمد نجيب، ط١٩٧٩م، دمشق، وانظر: زاد المعاد، ٤/ ٩٣، وحياة الحيوان الكبرى، ٢ / ٢٣٢، الدميري، ت/ ٨٠٨هـ، ط٢، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية .بيروت، وذكر: قرب الحبيب، بدلاً من: قرب الدواء، وقرب الشفاء، كما أن عجز البيت الأول يروى =

٦- أهل الإيمان والسنة يكرهون اليسير من الجزع، ويستعينون على دفع ذلك إذا وقع بالصبر والصلاة، امتثالاً لأمر الله سبحانه، ولتقوية القلب عند الفزع، فكم غفل غيرهم عن هذا العلاج، بل عدوا داء الجزع أمراً يفاخرون به غيرهم، بل من العجيب أن يعتبر بعض الشيعة استنكار المسلمين لغلو الشيعة في مدح نفسها من قبيل الجزع؛ فجعلوا إنكار البدع من الجزع، فوصفوا أهل الإسلام بالجزع الذي ينكرونه عليهم، مع أنهم يتفاخرون به(١).

٧- الجزع والحزن ليسا متلازمين، وهو ما سبق تأكيده عند الحديث عن الحزن(٢)، فدمع العين ليس ملازماً للجزع والنياحة اللذين هما من خصال أهل الجاهلية، ولا وجه لاستدلالهم بما جرى للأنبياء، فجزع الأنبياء إن عد منه دمع العين فإن معه صبراً جميلاً، لا تسخط معه، لا بقول، ولا بجوارح، فالرسول ﷺ حين حزن قلبه، ودمعت عينه على ابنه إبراهيم قال ﷺ: «**ولا نقول إلا ما يرضي ربنا**»(٣)، فلم يبث مصابه بين الناس جزعاً، ولم يدعهم إلى التسخط والجزع، ويعقوب ﷺ حين حزن على ابنه يوسف ﷺ، وعلى أخيه، تصبر بالجميل، وقال بالرضا، كما قال الله تعالى على لسانه: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾(٤).

٨- الجزع مناف للصبر، والصبر من أعظم رياضات النفوس والأرواح وأعمال القلوب، حتى عند متصوفة الإمامية، وهو عندهم درجات أعلاها صبر الأئمة، ومنه صبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كربلاء، الذي به يفضلون الحسين على بقية الأئمة، وشرعوا له شعائر وأعمالاً، وجعلوا يوم صبره لا كسائر الأيام، وهذه الدرجة هي التي أوصلت وأنتجت له الإمامة الكبرى، كما زعموا!، والتي لا يتحملها إلا من هو في مقام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٥)، ولكنهم

=

بألفاظ أخرى.

(١) انظر: الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية، ١/ ١١٩، الخنيزي.

(٢) راجع ص٤٢٥ من البحث.

(٣) البخاري، ح/ ١٣٠٣، ومسلم، ح/ ٢٣١٥.

(٤) يوسف: ٨٦.

(٥) انظر: الحق المبين في معرفة المعصومين، علي الكوراني، ص٥٣٠، والمرجع الإمامي وفيلسوف الثورة الخمينية مرتضى مطهري، وهو من أهل العرفان: ذكر أن الصبر في القرآن خاص بالصبر في القتال، وعلى كلامه =

خالفوا روح الصبر من خلال شعائرهم، التي تظهر أمراً لم يظهر من الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في ذلك اليوم، فمن العجب أن تكون رياضة قوم مخالفة لهدي إمامهم، ثم مع ذلك يدعون حبه، واختصاصهم به، فهم جعلوا من أبواب العبادة والمعرفة التي تقرب إلى الله رياضات الجزع والتسخط والبكاء في يوم عاشوراء، ونحوه من أيام الأحزان التي أظهروها، كيوم كسر ضلع الزهراء، وأيام موت الأئمة، التي نشروا لها المآتم، وبنوا لها دور العزاء ومجالسه في الأزمنة المتأخرة، حتى غدت من شعائرهم ومشاعرهم المقدسة؛ وإذا كان الرجل قد يذم لجزعه من مصابه الجديد فإنه يعظم ذمه على الجزع على المصائب القديمة، فكيف إذا اتخذ الجزع دينًا ومذهباً وطريقة، فهل بعد هذا من نكوص وخذلان[1].

٩- أن الإمامية ــ والشيعة عموماً ــ حين ابتلوا بمصائب آل البيت تسبباً وحزناً وعاراً لم يوفقوا إلى العمل الصالح حال الابتلاء وبعده، مع أنهم جعلوها عمدة في دينهم، واتخذوا لها شعائر اختصوا بها أنفسهم من بين جمهور المسلمين؛ وذلك أن بعض المصائب تحدث لصاحبها فتنة تعمية عن المشروع، إما لجهله به، أو شكه فيه، أو لعجزه عنه بسبب مزاحمة الهوى؛ وإلا فالأصل أن المصائب للمؤمن خير، وتكفير لذنوبه، وتعينه على التوبة، لكنها قد تكون فتنة للبعض من جهة آثارها، من مثل البدع والمحدثات التي يرتكبها، والتي تخل بدينه.

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلام جميل له قال: (فإن من الناس من إذا ابتلي بفقر، أو مرض، أو جوع حصل له من الجزع والنفاق ومرض القلب والكفر الظاهر، وترك بعض الواجبات، وفعل بعض المحرمات ما يوجب له ضررًا في دينه، فهذا كانت العافية خيرًا له من جهة ما أورثته المصيبة، لا من جهة نفس المصيبة، كما إن من أوجبت له المصيبة صبراً وطاعة كانت في حقه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الرب عز وجل رحمة للخلق، والله تبارك وتعالى محمود عليها، فمن ابتلي فرزق الصبر كان الصبر عليه نعمة في دينه، وحصل له مع ما كفر من

=

فلا صبر في أمر النياحة، وبعضهم ذكر أن بعض المراتب خاص بالأئمة، وسيأتي التنويه على ذلك في الباب الثالث، بإذن الله.

(١) انظر: منهاج السنة النبوية، ٤/ ٥٥٤.

خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[1]، وحصل له غفران السيئات ورفع الدرجات، فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك)[2].

١٠- أن جعل الجزع والحزن والنياحة شعاراً ومعلماً ومفخرة هو نوع من الضعف والعجز، لا تقره العقول والنفوس السوية، فكيف ينسب إلى الدين وبيت النبوة، ولذلك لا نجد الإمامية حين قالت بذلك منصورة بشيء من نصوص القرآن المحكمة، بل تكاثر في القرآن الدعوة إلى الصبر والمصابرة والعمل، وهذا مما يبطل أعمال الجزع التي هي عمدة شعائر الإمامية في عاشوراء.

وبعد: فقد أطلت في هذين المظهرين: الحزن والجزع، وبيان موقف آل البيت منهما لأن مطالب المباحث القادمة تنبني عليهما، فهي تتضمن مظاهر متداخلة من حيث الحزن والجزع، وسأبدؤها بمظاهر الحداد، التي هي نوع من الجزع والنياحة، وإن كان منشؤها الحزن، ولكن لكون بعض الأعمال تجتمع تحت عنوان بارز يناسبها، وله أهميته عندهم؛ لذا أفردتها على حدة في مطلب مستقل، رغبة بالترتيب والتنسيق في عرضها.

❀❀❀❀❀❀

---

(١) البقرة: ١٥٧.

(٢) هذا النص لم أقف على أصله في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية المطبوعة، وممن نقله بعض أئمة الدعوة، وقال بعد النقل: (انتهى ملخصاً)، انظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، ص٤٧٧، ولعل عنه نقله من أتى بعده؛ وفتح المجيد، ص٣٦٥، وكتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، ص١٧٩، ومن خلال البحث في المتصفحات الإلكترونية وجدت في ملتقى أهل الحديث من نبه إلى أن أصل كلام ابن تيمية ذكره المنبجي الحنبلي في كتابه: تسلية المصائب، فيكون الشيخ سليمان بن عبد الله صاحب التيسير لخصه من هناك، ولم أطمئن لهذا بعد مراجعتي لتسلية المصاب، ص١٧٥، لوجود اختلاف ونقص، ولعل الشيخ سليمان بن عبد الله صاحب التيسير – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– لخصه من أكثر من موضع، أو أن لديه مخطوطاً لشيخ الإسلام لم ينشر بعد، والله أعلم، وانظر: موقع: ملتقى أهل الحديث على الرابط التالي:
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=209961

المطلب الرابع

البكـــــــاء

البكاء يأتي بالمد والقصر، فالبكاء بالمد: الصوت، وبكى بالقصر: دمع العين حزناً وألماً، ومنه ندب الميت: أي بكى عليه، والصياح والعويل، والحزن علة للبكاء، وقد يحزن القلب من دون بكاء بصوت، والصوت إذا تردد في الحلق فهو نشيج، وإن كان في الصدر فهو عبرة، والعبرة تطلق على الدمعة قبل أن تفيض، وقد تؤثر في العين كما في حال نبي الله يعقوب، قال تعالى: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾[1]، ومع شدة الحزن (بفتح الحاء والزاي) يفيض الدمع بعد أن يملأ محجر العين، كما في قوله تعالى: ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾[3]، الحزن على المصيبة، بالدمع ورفع الصوت والنحيب[4].

الحزن يكون بالقلب وأوله كمد وكظم، ويكون ظاهراً، فإذا فاض ماء العين منه فهي دمعة، وصوته بكاء، وكثرته قد تكون من الجزع، وقد لا تكون، فقد يجتمع معه الصبر الجميل والرضا، أي بلا جزع ولا شكوى ولا تسخط، كحال يعقوب عليه السلام [5]، وقد يكون البكاء كذبا، قال تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾[6]، وأعظم الصبر عند شدة الحزن أن يبث إلى الله إذا لم يطق كظمه، لا إلى الخلق؛ وإلا أصبح جزعاً، فإذا اشتد الحزن واحتاج إلى بثه فلا يبثه إلا إلى الله.

---

(١) يوسف: ٨٤.

(٢) المائدة: ٨٣.

(٣) التوبة: ٩٢.

(٤) انظر: الصحاح، مادة: ندب، وبكى، ٢/ ٢٣٥، ٦/ ٢٢٨٤، ولسان العرب، مادة:، ١/ ٧٤٥، ١١/ ٤٨٢، ١٤/ ٨٢، ابن منظور، ت/ ٧١١هـ، ط٣، ١٤١٤هـ، دار صادر. بيروت.

(٥) تفسير البغوي، ٢/ ٤٨٠.

(٦) يوسف: ١٦.

في المطلبين السابقين تحدثت عن الحزن والجزع، وسأتحدث في هذا المطلب عن أهم معلم من معالم الحزن وشعاراته العملية في الحسينيات والمواكب والزيارات والتشابيه "المسرحيات"، وهو البكاء، ومثله الإبكاء والتباكي، الذي يتجلى دوره في الخطباء وقراء المقتل والرواديد، وتأتي أهمية هذه الشعيرة لأنها قد تكون المستند الوحيد للشعائر من حيث النقل، فيتوسع علماء الإمامية الأصولية في التفريع عليه، وإذا ثبت عندهم مستند البكاء نقلاً فلا إشكال عندهم في القول بعدم وجود نقل لبقية الشعائر، ومن طريق إثبات مشروعية البكاء يتوصلون إلى نفي صفة البدعية والذم عن بقية الشعائر، فما يجلب البكاء ليس بدعة عندهم، لأن البكاء فعل توليدي يطلب من المكلف، إظهاراً للحزن، لتحقيق أمر قصدي مطلوب، وهو التعزية، التي لا تتكامل فرحتهم بقبولها إلا بتوليد ما يسوغ لدى العوام التعاطف مع المصيبة(١)، بل يجزمون باعتبارها من شعائر الله التي يجب تعظيمها، ويفسرون بذلك قول الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾(٢).

يتضح مما سبق إقرار ضمني من مراجع مشهورة ومعتبرة عند الإمامية بتكذيب وقوع بقية الأعمال من الأئمة، وانحسار محل النزاع معهم في ثبوت نقل البكاء عن الأئمة، وإذا ضاقت عليهم الأدلة النقلية، فلا يعني ذلك انعدام الأدلة العقلية، أو العرفانية التي تعتمد عليها الإمامية في عقائدها وشعائرها وفقهها، ولأهمية البكاء ومقامه في شعائر الإمامية العاشوراوية أفردته بعنوان مستقل، أما التفصيل في الأدلة النقلية وغير النقلية فهذا موضعه في الباب الثالث، وسيكون الحديث هنا عن الإبكاء والتباكي ضمن إطار واحد.

البكاء والإبكاء والتباكي:

معناه: الحزن على مصيبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومقتله بالبكاء والتباكي، والبكاء عند الإمامية مطلوب في عاشوراء ولو تباكياً، وكذلك إبكاءً، وأصله من الحزن والتفجع على المصيبة، ثم خالطه الندم على الخيانة، ثم التعبير عن الظلم والمظلومية، والتعبير عن القهر وطول انتظار

---

(١) (فعل توليدي) راجع ص٤٧١ من البحث.

(٢) الحج: ٣٢.

الفرج، ثم تحول في فلسفة الثورة الشيعية المعاصرة إلى ما يعرف بالبكاء السياسي، والبكاء الإيجابي، والبكاء التعبوي التوحيدي، وفلسفة البكاء، وإسقاط مفاهيمها للحفاظ على الدين، ولذلك كان لابد من التباكي، بل والصراخ !، فضلاً عن البكاء[1].

مثل البكاء الإبكاء والتباكي، وهما التسبب في بكاء الغير، ولو من باب تصنع البكاء: أي التباكي، ومثله النائحة الثكلى والنائحة المستأجرة، وهو عمل وشعيرة معتبرة عند الإمامية، يروون فيه عن الأئمة الأعاجيب[2]، وهي وإن كانت تتجلى في دور الخطباء والملالي وقراء المقاتل والرواديد فهي عامة، فيلزم كل شيعي أن يسعى في إبكاء غيره.

واقعه: في مجالس العزاء وعند الخطابة والنعي والرثاء وقراءة المقتل، وفي المواكب والتمثيل والمسرحيات، ومع اللطم عند الإنشاد والرواديد، وعند كل شربة ماء، وعند كل استذكار لمصيبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نشأته: تزعم الإمامية أن البكاء ابتدأ في الطور الأول، بدأ بعد حادثة المقتل من زين العابدين "السجاد" ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، وهو أول شعيرة ظهرت، كما أنه أساس الشعائر وجوهرها[3]، ثم تطور فيما بعد من بكاء فردي إلى بكاء جماعي، ثم إلى أناس متخصصين للإبكاء وإثارة الأشجان، يعرفون بالنعاة، وإلى فرق اللطم البكائية، وأصل الأحزان على الحسين مرتبط بحزن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بل يتوسعون في الغلو فيربطون كل بكاء في الكون بالبكاء على الحسين، فيقولون بأزلية هذا البكاء، لأن الإمام هو علة الكون[4]، وبأبديته حتى الثأر![1].

---

(١) انظر: عاشوراء في فكر الإمام الخميني، ص٢٥ـ٢٦، عاشوراء في فكر الإمام الخميني، إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة، ط٣، ١٤٢٨/ ٢٠٠٧م، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية؛ وقد قسم الخميني البكاء إلى خمسة أنواع: (سياسي، وفعال، وتعبوي، وموحد، ولصون الدين)، وأكد على أن البكاء وسيلة فعالة لإسقاط الحكومات والأنظمة، وأنه يبقي على إيقاد الثورة، وعلى تأجيجها.

(٢) انظر الأدلة النقلية "البكاء" ص٦٩٠ من البحث.

(٣) انظر: الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، محمد السند، ص٢٦٢، إعداد: رياض الموسوي، ط١، ١٤٢٧هـ، دار الولاء. بيروت.

(٤) راجع ص٣٢٥ من البحث (ولاية الحسين التكوينية والتشريعية).

(١) انظر: الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، محمد السند، ص٢٦٣.

وقته: البكاء يكون بشكل دائم ومتكرر، حتى أصبح من أظهر شعارات الطائفة، بل جعل بعض علمائهم ومراجعهم المعاصرين مجلساً للعزاء والبكاء كل أسبوع، بدعوى أنه مدخل للدعوة والتربية لعامة الناس، وأنه وسيلة لتأليف قلوبهم(١)، بينما هو بالمفهوم الشيعي الخميني الثوري المعاصر هو شعيرة سياسية ودينية، وأنه إذا بكت الجماهير يوماً فلا بد أن يستجيب القدر(٢)، فلا بد أن يستمر طوال العام، وفي كل زمان وكل مكان، فكل يوم عاشوراء، فكان يوصي بالبكاء "الحسيني" بشكل دائم، لأن الثورة مرتبطة به، فهو الذي يحفظ الثورة الإسلامية في إيران، وببركته قامت، ويحذر من المستغربين الذين يستخفون بالبكاء، أو يتندرون برواد مجالس العزاء بأنهم شعب بكاء، وأنهم يجهلون فوائده العظيمة(٣).

مستنده: حصول البكاء من النبي ﷺ حين مات ابنه إبراهيم(٤)، ومن نبي الله يعقوب حين بكى على يوسف ــ عليهم الصلاة والسلام ــ، وأن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكى في عاشوراء، والأئمة من بعده بكوا عليه، وأن البكاء على مصائب الأئمة طاعة لله بذاتها(٥)، وأن البكاء على الحسين مستثنى من أحاديث النهي عن البكاء والجزع، كما أنهم جعلوا كل ما ورد عن زين العابدين من الخشية والبكاء كان تذكيراً ودعوة إلى البكاء على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسناً

---

(١) انظر: النعي الدائم والمتكرر، ص٥٣٣ من البحث، وعلى سبيل المثال خصص المرجع الشيعي جواد التبريزي مجلساً للبكاء كل خميس، انظر موقع: (فقيه مقدس أستاذ الفقهاء آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي)، على الرابط التالي:
http://tabrizi.org/ar/2010/12/ashk-eshgh/.

(٢) على حد قول الثائر القومي العربي أبي القاسم الشابي:
إذا الشعب يوما أراد الحياة ❊❊❊ فلا بد أن يستجيب القدر.
وهي عبارة لا تخلو من الغرور وتعظيم فعل العبد؛ والإمامية المعاصرة تصرح بما هو قريب من هذا، فبعد نجاح الثورة الخمينية الإيرانية لا نرى نسبة الفضل إلى الله، بل يعلق على فضل بشر، من قائد أو جماهير، كما في مقدمة كتاب الخميني: نهضة عاشوراء، ص٣، فلم يعز فضل نجاح الثورة إلى الله أولاً، ولا آخراً.

(٣) انظر كتاب: نهضة عاشوراء، للخميني، فهي مليئة من تقرير هذا الجانب.

(٤) حديث: «**إن العين لتدمع، والقلب يحزن**»، انظر: البخاري، ٢/ ٨٣، ح/ ١٣٠٣، ومسلم، ٤/ ١٨٠٧، ح/ ٢٣١٥.

(٥) انظر: الخصائص الحسينية، جعفر التستري، ص ٧٧. ٧٩.

لهذه الشعيرة، بدليل الضرورة، ومن مبالغاتهم قول أحدهم: (فكان يبكي كلما أراد شرب الماء، وكان بكاؤه على مرأى من الناس ومسمعهم، حتى طلبوا منه الكف عن البكاء خوفاً على صحته، لكنه رأى من الصواب و المنطق ـ بل من الضرورة ـ البكاء على شهداء كربلاء؛ لعمق المصاب ولما لهم من شأن)[1]، بل ذكروا أن زين العابدين بكى بعد الحسين أربعين سنة[2]، كما أنه وقبله جدته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عدوا من البكائين الثمانية[3].

ورووا عن جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي، عليهما السلام، فإنه فيه مأجور)[4].

وعن موسى الرضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتن يوم القيامة، ومن ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)[5]، و (من ذكرنا، أو ذكرنا عنده فخرج من عينه دمع مثل جناح بعوضة غفر الله له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر)[6].

ومما ينسبونه إلى مهديهم المنتظر قوله في زيارة الناحية[7] مخاطباً جده الشهيد: (فلئن أخّرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك

---

(١) جدل ومواقف، ص٢٤، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري).

(٢) انظر: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (شعائر الإمام الحسيين المظلوم)، (البكاء - والتطبير)، ص١٣٥، محمد جميل حمود العاملي، منشور عبر موقع مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث – بيروت.

(٣) انظر: بحار الأنوار، ٤٣/ ٣٥.

(٤) كامل الزيارات، ٢٠١، وبحار الأنوار، ٤٤/ ٢٩١.

(٥) كامل الزيارات، ٢٠١، وبحار الأنوار، ٤٤ / ٢٩١.

(٦) كامل الزيارات، ٢٠١، وبحار الأنوار، ٤٤ / ٢٩١.

(٧) زيارة الناحية (المقدسة): وهي زيارة الناحية، أي أنها صادرة من صاحب تلك "الناحية المقدسة" يراد بها موضع السرداب في سامراء بالعراق، وهي هنا زيارة قبر الحسين في كربلاء، فهي إحدى صيغ زيارات كربلاء، وهي مما يؤكد وجود الترابط بين عاشوراء وموعد ظهور المهدي وثورته وثأره، وممن صرح من الإمامية بكذب روايات هذه الزيارة، وكونها موضوعة المرجع اللبناني محمد حسين فضل الله، انظر: لهذا كانت المواجهة، ص١٠٧، جلال الصغير، ط١، ١٤٢١هـ، بينات الهدى – بيروت.

العداوة مناصباً فلأندبنك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ لك بدل الدموع دماً)[1]، ونص أحد الإمامية المعاصرين على أن مشروعية البكاء في عاشوراء ثابتة بالتواتر، (ومن شكك بمضامينها، أو أسانيدها لا أعتقد عنده حس الفقاهة، أو يملك شيئاً من الفقاهة)[2]، ويلزم من التردد فيه، أو رده رد جميع المتواتر من أحكام المذهب، وهذا اتكاء واضح على المنهج الإخباري المتواري عن الساحة الحوزوية الشيعية.

تأويله وفلسفته: أنه جوهر الشعائر، التي هي جوهر الدين، ومن مصاديق الخشوع لله[3]، ولن يكتمل الدين، وتصلح البشرية إلا بتوقف البكاء، بعد أخذ الثأر، وانتشار العدل، وذلك بظهور المهدي، ولذا لابد من استمراره ودوامه[4]، فالبكاء مرتبط بأخذ الثأر، وقد يفهم من بعض كتب المقاتل والمآتم أنه من لوازم العصمة، أو من لوازم صفات المعصوم![5]؛ كما زعموا أن فيه جوانب دنيوية قد يكون أبرزها الجانب التربوي، لأنّ البكاء على شيء لا يكون إلا بعد انفعال الباكي بالحادث الأليم، الذي اكتنف ذلك الشيء حتى يبكي عليه، ولكل حادث مجرم وضحية، ومن الطبيعي أن يؤدي الانفعال إلى تحيز الباكي للضحية ومعاداة المجرم، فتهيج فيه الثورة على الظالم والإشفاق على المظلوم، بل ويربط منظر الثورة الخمينية وفيلسوفها مرتضى مطهري البكاء في مجالس العزاء بصفاء النفس وراحتها، وأن

---

(١) بحار الأنوار، ٩٨ / ٣٢١، وتضمن النص عبارة: (ولأبكين لك بدل الدموع دماً)، وقد حظيت العبارة بتعليقات نقدية من قبل بعض الباحثين الشيعة المعاصرين، انظر: زيارة عاشوراء في الميزان، (دراسة لزيارة عاشوراء سنداً ومتناً، وما طرأ عليها من تزوير وتحريف)، وسيأتي النقل عن هذا الكتاب -بإذن الله- ص ٦٠٨ من البحث.

(٢) الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء .والتطبير)، محمد جميل العاملي، ص١٣١، وانظر: ص٤٥، ١١٢، مع ملاحظة أن المؤلف لم يخلط مع مرويات الإمامية روايات السنة، كعادة غيره من المعاصرين، كعبد الحسين شرف الدين، صاحب كتاب المراجعات، وعبد الحسين الأميني، صاحب الغدير.

(٣) انظر: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء.والتطبير)، ص٧٥.

(٤) انظر: الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، ص٢٦٢، والرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء . والتطبير)، ص١٢٩.

(٥) ثمرات الأعواد (مجالس عاشوراء)، ص٢٤، علي بن الحسين الهاشمي النجفي، ط١، ١٣٧٠هـ، انتشارات الشريف الرضي. قم.

المجالس من مجرباتهم النافعة لأدوائهم، وأن ذلك مبني على الشعور بالألم في طريق البحث عن الله، والإحساس بالألم قيمة مهمة من قيم الإنسان الكامل(١).

قد تبارك الإمامية العرفانية هذه المنافع الموهومة بأن البكاء يتضمن علاجاً للأمراض النفسية، وتخفيفاً لها، هذا بعد أن قاموا بجلبها وتجديد أسبابها، وأن الشيعي يخشى عليه إذا لم يبك أن تتطور العقد النفسية عنده بعد الكبت الطويل، حتى يتحول إلى حقد، ثم عدوان، ثم لا يرتاح إلا إذا رأى الدماء البريئة؛ فالبكاء إذن علاج قبل أن يستفحل الداء !، استئناساً بالنساء اللاتي تقل عندهن العقد النفسية لكثرة بكائهن بطبيعتهن، وأن الرجل يحتاج إلى هذا التطبع، كما أن البكاء جرت عليه سير العقلاء، لأنه أصدق وسيلة للتعبير عن الحب!(٢)؛ ولكن هذا لم يغنهم عن تمثيل هذا الحل، فلجأت الإمامية إلى الدماء من أجسادها دون اعتداء على الغير، لا من الأطفال والرضع، بل ولا من البهائم أحياناً!(٣)؛ فالبكاء إذن لم يعالج العقد النفسية، بل زاد منها، ونقلها إلى خطوة أخطر وأضر.

ممن يشير إلى أهمية البكاء وأنواعه وضرورته ودوره في إسقاط الأنظمة العريقة، وتحدث عنه بشكل مفصل؛ مرشد الثورة الخميني، ولكثرة حديثه عنه فيمكنني أن أعرضه في النقاط التالية:

أ- زعم أن للبكاء جهوداً توحيدية في نفوس الباكين، وأنه سبب لارتباطهم وتآلفهم،

---

(١) الإنسان الكامل، مطهري، ص٤٨، ٦٨، والشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، ص٢٥٣- ٣٣١، السند، وقد أطال في تقرير أبدية البكاء حتى الثأر، وأنه ذروة الشعائر، وأنه يحقق خاصية الكمال العاطفي، كما عند النساء!

(٢) انظر: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء. والتطبير)، ص٧٥. ٨٣، ١٢٧، ١٢٥.

(٣) وصل الحال بهم أن يمثلوا أمامهم حيواناً أو مجسماً يسمونه بمن يبغضونه، كقتلة الحسين، كابن زياد، أو يزيد أو من قبلهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كمعاوية، أو عمر، أو عائشة، ثم يشفون غيظهم منه بضرب هذا الماثل أمامهم، والاعتداء عليه بأقسى أنواع الاعتداء؛ ثم بعد ذلك يزعمون أن البكاء سيكفيهم عن مثل هذا العدوان، وتلك العقد النفسية، عافانا الله من حال السوء، مع أن مراجعهم .كما سيأتي بإذن الله .يقررون حرمة أذية النفس، وأذية من تحت ولايته، ويحرمون ما يوهن المذهب، وهي من جنس التشابيه التي يعتادونها في عاشوراء، انظر ص٩٠٠ من البحث.

وأنه يحقق لهم منافعهم الدنيوية، في مقابل المنافع الدينية، يقول: (إن البكاء على الشهيد يعد إبقاءً على اتقاد جذوة الثورة وتأججها)، وذلك فإن البكاء في عاشوراء عند الخميني شعيرة دينية، وشعيرة سياسية في آن واحد[1].

ب- أبرز مصطلح البكاء السياسي، والخميني بهذا الطرح أضاف ــ بتبنيه هذا الطرح ــ نمطاً من أنماط السياسة الحديثة وأساليبها، متضامناً مع النمط السياسي الشيعي الجديد، وهو ولاية الفقيه، التي تعد ثورة الخميني أول تطبيق عملي له، حيث كان البكاءوسيلة من ضمن وسائل ولاية الفقيه الدعائية الناجحة ـ التي طبقتها الثورة ببراعة ـ هي وسيلة البكاء السياسي الفعال.

ت - أن البكاء بذاته له فوائد متعددة، يقول الخميني: (فلا يخفاكم ما له من الأهمية النفسية والدور في تأليف القلوب وانسجامها)، وأن غايته هو حفظ الدين وصيانة المذهب[2]، ويقول ـ أيضاً ـ: (إن ما أود أن أعرضه على السادة الخطباء هنا هو أن قيمة العمل الذي يقومون به، ومدى أهمية مجالس العزاء لم تدرك إلا قليلاً، ولربما لم تدرك بالمرة، فالروايات التي تقول إن كل دمعة تذرف على مصاب الحسين ــ عليه السلام ــ لها من الثواب كذا وكذا، وتلك الروايات التي تؤكد ثواب من بكى أو تباكى... لم تكن من باب أن سيد المظلومين "ع" بحاجة إلى مثل هذا العمل، ولا لغرض أن ينالوا هم وسائر المسلمين هذا الأجر والثواب، بالرغم من أنه أمر محرز، ولا شك فيه حتماً، لكن لم جعل هذا الثواب العظيم لمجالس العزاء؟ ولماذا يجزى الله تبارك وتعالى من بكى أو تباكى بمثل هذا الثواب والجزاء العظيم؟

إن ذلك يتضح تدريجياً من ناحية السياسة، وسيعرف أكثر فيما بعد إن شاء الله تعالى، إن هذا الثواب المخصص للبكاء ومجالس العزاء إنما يعطى ـ علاوة على الناحية العبادية والمعنوية ـ على الناحية السياسية، فهنالك مغزى سياسي لهذه المجالس.

---

(١) نهضة عاشوراء، الخميني، ص٨.

(٢) نهضة عاشوراء، الخميني، ص ١٥، ٨٢، ٨٤.

لقد قيلت هذه الروايات في وقت كانت فيه الفرقة الناجية مبتلاة بالحكم الأموي، وأكثر منه بالحكم العباسي، وكانت فئة قليلة مستضعفة تواجه قوى كبرى...)[1].

ث- الخميني يطرح وجهاً وسبباً آخر لاستمرار الثورة الشيعية بالبكاء السياسي، وهو مجاراة الحركات والأحزاب السياسية المعاصرة، التي من نهجها أنها تحتفل بزعمائها وتحتفل بمقتلهم، وتعقد اجتماعات تأبين وبكاءً عليهم، وتستغل هذه الأحداث في إبقاء الولاء لها بين أعضائها وأتباعها، وكذلك الثورة حين تبكي على رموزها وعظمائها، بل إن الثورة لم تقم وتنتصر إلا بهذه الوسيلة العظيمة.

نقده: يرد النقد لمظهر البكاء عند الإمامية من عدة أوجه، منها ما يلي:

١- مرويات الإمامية أكثرها مكذوبة على الأئمة، وتخالف ما ثبت عنهم من تحريم النياحة، ومن وجوب الصبر على المصيبة.

٢- إذا كان البكاء يجر صاحبه إلى أمور محرمة، كالنياحة وشق الجيوب ولطم الخدود؛ فإنه قد يؤمر المرء بالبعد عن مسبباته ومثيراته ومولداته، ومن ذلك منع النساء من زيارة القبور[2]؛ هذا فضلاً على أن الجزع والسخط يبطلان العمل وأجر المصيبة، وفي الحديث: **«وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط»**[1]، وفي

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢.١٦.

(٢) كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**»، وهو مروي عن عائشة وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد، ح /٢٠٣٠، ٢٦٠، وأبو داود، ح / ٣٢٣٦، والنسائي، ح / ٢٠٤٣، والترمذي وحسنه، ح / ٣٢٠، ـ عن ابن عباس، وعند الجميع هو من رواية أبي صالح باذان عن ابن عباس، واختلف في سماعه عن ابن عباس، ولأجله اختلف في صحة الحديث، وقد قال عنه الحافظ في التقريب: "ضعيف مدلس"، وحسن الحديث العلامة أحمد شاكر، ورفعه بشواهده لدرجة: الصحيح لغيره، وأخرجه ابن ماجه، ح/ ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، عن حسان بن ثابت، وابن عباس، وأبي هريرة، بلفظ: «**زوَّارات القبور**»، والشيخ الألباني حسنه بهذا اللفظ، وضعف رواية "زائرات"، ونقل تضعيف الإمام مسلم بن الحجاج لأبي صالح، انظر: إرواء الغليل (في تخريج أحاديث منار السبيل)، ٣/٢١٢.٢١٣، محمد ناصر الدين الألباني، ت/ ١٤٢٠هـ، إشراف/ زهير الشاويش، ط٢، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

(١) الترمذي، ح/ ٣٢٠، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

رواية: **«ومن جزع فله الجزع»**[١].

٣- أن الغلو في البكاء سوغ زيادة الكذب والأساطير التي نسبت إلى المذهب، وهي بلا شك ستنسب للإسلام، وهنا يرد ملحظ مهم سجله وانزعج منه كثير من الكتاب والمثقفين الشيعة أنفسهم، بسبب تجذر مفهوم البكاء في تراث المذهب، والطريقة التي يفسر بها، من قبل الخاصة أو الدهماء؛ ألا وهو ما آل إليه أمر المجالس الحسينية في الفترة المعاصرة، من عمق الجانب الأسطوري الخرافي لقضية عاشوراء، وعمق الترميز الباطني والقداسة لشخصيات الأئمة في التراث الشيعي الإمامي، وهو ما جعلها عرضة للاستغلال السياسي، ومجالاً لتدخل الأهواء في صياغة أحداثها، أو تفسير مفاهيمها، وميداناً للانعزال الفكري المذهبي والاجتماعي، مما أورث المذهب وعقائده وصف العقدة والسرية[٢].

الجانب الأسطوري في قضية عاشوراء لا يقف عند شخصية الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل يتعداها إلى بقية شهداء كربلاء ـ رحمهم الله ـ، ففي جانب واسع من التراث الإمامي والشيعي ـــ وخاصة في جانب الشعر والأدب ـــ يبرز انشغال المجتمع الشيعي في تصوير الحادثة ورموزها، مما أدخلها مجال العشق والهيام، حتى بالغ الشعراء في جانبي الوصف والرثاء، ولعل لمشاركة الأدب الفارسي المتميز في هذا الباب دور في إثراء الإبداع والخيال الأسطوري، مما زحف بالحادثة ومجرياتها من جانب الأدب إلى جانب الاعتماد التاريخي، ثم العقائدي والشعائري، الذي عاش بين أكناف التصوف والعرفان[٣]، ولا شك أن الأدب الفارسي تأثر كثيراً بالرصيد التراثي القديم للحضارة الفارسية، مما يصعب الانفكاك منه في نفوس المعجبين به، فانزاح الإعجاب به إلى الشخصيات الإسلامية، فانطبعت عليهم أنماط الإعجاب

---

(١) أحمد، ٥ / ٤٢٧، وقال المنذري: رواته ثقات.

(٢) انظر: العقدة والعقيدة (قصة الشيعة في العراق)، ص٥٨، سيف الخياط، ط ٢٠٠٦م، دار مدبولي – القاهرة.

(٣) من المواضع الغريبة والمصورة لما سبق، من حيث السبب والعلاج قصة نسبت لأحد علماء الإمامية، وهو مهدي بحر العلوم، حيث وقع له لغز أشكل عليه: كيف ضريح العباس بن علي صغير مع أن الروايات تفيد طول جسمه وساقيه، فكان حل اللغز عن طريق المنام، وباللقاء مع فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأخبرته بأنه بسبب الإصابات الكثيرة. دفن مكوماً على بعضه!.

والمديح، ومثلها أنماط الرثاء الحزين على شخصيات ذلك التراث، حتى أشبه الأدب العربي والفارسي في العصر الإسلامي الأدب الفارسي قبل الإسلام؛ وهذا يفسر لنا أحد أسباب وجود العشق في الشعر والأدب والمديح الخاص بالأئمة لدى بعض الشعراء الفرس أو غيرهم؛ إضافة إلى الثقافة الفلسفية العرفانية المتداخلة مع الأدب وغيره في تلك الحضارات.

جانب العرفان لم تسلم منه الأدعية والأوراد والزيارات، حتى أصبحت بعض الأدعية تعرف بالدعاء العرفاني، كالصحيفة السجادية، ودعاء عرفة، وغيرهما، فكتب تحت التأثير المباشر، أو غير المباشر، وإذا كان الوضاعون ـ في عرف السنة والشيعة ـ يقرون بنسج الأخبار والقصص على مقام النبوة والأئمة فإن جانب العبادات والأدعية ليس بمنأى عنها، بل لعل لشهرة التساهل في التحري في جانب الفضائل والتاريخ أفسحت المجال للخيال والوضع ليندمج في كتب التراث، بل أصبحت مرجعاً تاريخياً لأحداث كربلاء، وشخصياتها.

هذا المخزون العرفاني في التراث الشيعي القائم على الحب والعشق الإلهي، وخاصة في الشعر والأدب والروايات، قد حظي بولاء ومحبة في نفوس الشيعية، وله دور كبير في عدم قدرة المذهب عن التراجع عن مدلولاتها الظاهرية، أو إهمالها، خاصة في مقابل الجماهير البسيطة، مع أن رموز التشيع لا تجعلها مستنداً تعتمد عليه في السير إلى الله، ومعرفته!، فقد تصور ذلك التراث بأنه تجليات اجتماعية في أزمان متقدمة، حفظها بعض السالكين من خلال هذه الشعائر، وهذا سوغ تصوير المذهب بأنه إحدى فلسفات العدالة الاجتماعية.

٤ – أن غلو أهل أي مذهب في بدعة من البدع يجرهم إلى تغيير أصول المذهب وهدمها، ويفتح عليهم التحول عن مذهبهم، ومن ذلك الغلو في باب الجزع والبكاء، الذي كان باباً لرفض الانتظار الذي هو شعار المذهب الإمامي الاثني عشري، كما فتح باب ادعاء المهدوية باسم التشيع، أو باسم التصوف الذي تخالط طويلاً مع التشيع الاثني عشري، وهو ما قد يهيئ لردة فعل في رفض الانتظار، واللجوء إلى الظهور تحت أي دعوى، كصلاح الداعي، أو ظهور الداعي المستتر واجب الطاعة، وهو ما سبقت إليه الزيدية والإسماعيلية منذ زمن مبكر، واضطرت الإمامية إلى قبوله تحت مظلة ولاية الفقيه، مع عدم تسليم جميع طوائف الإمامية بهذه الولاية، ولا شك أن هذا استنساخ ظاهر للمذهب الإسماعيلي وزرعه في جسم المذهب

الإمامي الاثني عشري.

٥- أن الشيعة بهذا الغلو بالبكاء واستغلاله بالثورات وتهييج العوام فتحوا بذلك باباً لأصحاب السياسات والدول بلبس لباس العباد والرهبان المنقطعين في معابدهم، واستغلال مأخذ التشابه لصرف الأنظار عنهم أول أمرهم؛ فكثير من الحركات والثورات الشيعية لجأ قادتها إلى التظاهر بالتعبد، ثم ينتقل إلى الثورات، بل واقع الثورة الخمينية مع مخالفيها يكفي في تصور درجة التطبيق الواقعي للحقد والكراهية التي يتربى عليها الشيعة، هذا مع مخالفيها من فرق المذهب، فضلاً عن أهل السنة ومضايقتهم في مساجدهم.

٦- أن هذا الغلو أظهر مكر الثورات السياسية بالجماهير المتدينة، سواء ابتداءً، أو استغلالاً واستغفالاً، ورفعها للشعارات الدينية، وهنا أؤكد أثر تدين المجتمعات ولو كان تديناً بدعياً على مقاومة الاحتلال الأجنبي؛ ولذا اجتهد مرشد الثورة الإيرانية المعاصرة وزعيمها باستغلال هذا الجانب في أول الثورة، وخاصة بربط الثورة بعاشوراء وكربلاء، وأن ثورته امتداد لهما، ومن بركاتهما، وكثيراً ما يسقط الأحداث التاريخية على الأحداث في ثورته، فنراه يسمي خصمه شاه إيران السابق البهلوي باليزيدي، وأنصار الشاه باليزيديين والأمويين، يقابلهم الحسينيون: هو وأتباعه ومؤيدوه.

الخميني يركز على كون ولايته وثورته هي النمط الإسلامي الوحيد، وبها دخل الفتح الإسلامي إيران!، وكان يفتخر بأعظم وسيلة للنصر، وهي البكاء السياسي، وهو الذي من خلاله (أسقطنا نظاماً عُمِّرَ ألفين وخمسمائة سنة)[1]؛ ويقصد بهذا الحكم والنظام الساساني الإمبراطوري الفارسي الذي احتفل به شاه إيران البهلوي عام ١٩٧١م، احتفالاً عالميًا بهيجًا مشهورًا، أغضب به الشعب، بما أنفق فيه من أموال الدولة، وبما اعتمده من التاريخ الملكي بدلاً من التاريخ الهجري الشمسي، ومعارضة حكم الشاه لم تكن من الشعب المتدين الشيعي وحده، بل كانت من عموم الشعب وأطيافه، ومنهم أحزاب يسارية واشتراكية لم تكن تتبنى المذهب الشيعي في معارضتها، ولذا عانت من الخميني بعد الثورة.

---

(١) نهضة عاشوراء، الخميني، ص٢١، ٤١.

الخميني وهو يستثمر غضب الجماهير الديني والاقتصادي يواجه نقد بعض العلماء والمثقفين في بقاء المغالاة في البكاء بعد نجاح الثورة، وأن هذا لا يناسب التفرغ للتنمية والبناء، وسرى هذا النقد إلى فئة الشباب بصورة أزعجت الخميني، حتى خصه هذا النقد بالرد والمواجهة، فقال: (قد يسمينا المتغربون: شعب البكاء)[1]، ويؤكد لهم الفوائد السياسية التي كسبتها إيران من البكاء في مجالس الحسين ومجالس الأدعية، وأنهم يجهلونها، وإلا لطالبوا بالمزيد من البكاء!، ولما سمونا شعب البكاء، بل شعب الملاحم![2].

لكن في نظر الخميني في خطابه للشبان الذين غرر بهم، وروجت بينهم اللغة العصرية الغربية، بقي عليه أن يؤكد لهم سراً إلاهياً لم يفهموه في الثورة الخمينية، وهو أن جماهيرها ذوو تنظيم وانتظام من دون أن يرعاهم أحد!، ولذا فإن القوى الكبرى تخشى هذا التنظيم، لأنه لا يستند إلى يد واحدة تنظمه[3]؛ فلغة المجالس الحسينية ورسالتها هي السر، وهي لغة العصر التي لم يفهموها!.

ما السر في مراوغة الخميني هنا؟ الذي يظهر أنه لا يريد ادعاء ما ليس له، لكن أراد أن يستغل الجماهير، أو الشريحة المتدينة (البكاءة) منها، بالنفخ فيها، ومدحها، ليتقوى بذلك لإنجاح ثورته، بل قد يذكر لها أنها بإنجاحها للثورة أصبحت أفضل من مجتمع المدينة زمن النبوة، ومن مجتمع الكوفة زمن الأئمة!.

يبقى السؤال الذي يطرح نفسه أمام فلسفة الخميني وثورته، وأمام تعلقها بالبكاء كأهم سبب لنجاح الثورة: هل كان الحسين البطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَكَّاءً جزعاً؟ وكذلك والده حيدر الكرار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل كان بكاؤهم جزعاً؟ وهل عدم نجاحهم هم وشيعة الكوفة لأنهم لم يستخدموا سلاح البكاء الذي استخدمه الشعب الإيراني وقائد ثورته؟ إن الشجاعة ورباطة الجأش تقتضي عدم الجزع، وعدم إراقة الدمع قبل أن يراق الدم مقابل الدم.

---

(١) نهضة عاشوراء، الخميني، ص١٣.

(٢) نهضة عاشوراء، الخميني، ص١٤.

(٣) نهضة عاشوراء، الخميني، ص٢١، ٤١.

٧- ما سبق من الغلو في أمر البكاء واستغلاله السياسي أبرز إذن جانباً اجتماعياً، ألا وهو عقدة إرضاء الجماهير من خلال التعبير عن مشكلاتها الاجتماعية من خلال هذه المواسم، وأصبح هذا الأمر مزعجاً ومقلقاً لحركات تصحيح المذهب الشيعي، التي تعاني من عقدة إرضاء الجماهير في عدم تشويش أذهانها في تكذيب تلك الأخبار، أو ادعاء أنها نوع من الغلو المحرم، وحيث تربت المجتمعات الشيعة على أن مراجعها تخضع لإرضائها واستمالتها، مقابل المجتمعات السنية التي تخضع لحكامها وولاة أمورها بالسمع والطاعة؛ فحصل جدل واسع، وصراع طويل حول هذا التراث الشيعي.

٨- من المناسب الإشارة هنا إلى أن التيار الأصولي يعتبر تصحيحياً في مقابل التيار الإخباري الذي يتبنى التراث من دون نقد أو تصحيح، ولكن التيار الأصولي ـ بمنهجه العقلي ـ لم يكن له بروز في تحرير المذهب وتجديده في هذا الجانب، وانشغل أكثر في الاجتهاد في المسائل الفقهية والأصولية في جوانب العبادات والمعاملات، والغريب أن الشعائر العاشورائية بدأت تزحف إلى كتب الفقهاء والمراجع الأصوليين في الفترة المتأخرة، وإن كانت لم تبرز فيها كما كنت متوقعاً، ولعل هذا نتيجة متأخرة وطبيعة للصراع الذي احتدم بين الأصوليين والإخباريين، وإن كان النصر في الظاهر للأصوليين.

٩- أن الأمر لا يخلو من محاكاة الأمم السابقة، من أهل الكتاب ومن سبقهم، فالبكاء بصورته العبادية ندم على ما اقترفه الشيعة الأوائل مع مخلصهم يشبه ما عند النصارى، وما عند اليهود، وقد تمتد إلى الأمم التي قبلهم، كما عند الأغريق الرومان، وقد اشتهر أرسطو الإغريقي بفلسفة المأساة، من خلال كتابه: المأساة، ومن ذلك ما عرف بالمسرح الديني، الذي يعني منه هو الجانب التراجيدي، والذي تفاخر به الشيعة من خلال مسارح التشابيه المعروفة.

هذا كله في مقابل تأكيد المذهب على أهمية مخالفة جمهور المسلمين بدعوى أنهم أحد المذاهب الفقهية، وأنه مجرد فقه جعفري ينتسب إلى آل البيت، ولكن هذا الانعزال نوع من التقية، ونوع من طرق الترجيح في المسائل الخلافية الفقهية، حيث إن من طرق الترجيح أن يكون القول المرجح مخالفاً لمذهب العامة، أي أهل السنة، لأن الرشاد في مخالفتهم، فكان

عداؤهم للمذاهب الأربعة السنية مشتركاً، وكأنها في جهة ومذهبهم في جهة، بل ويعتذرون عما حصل في التاريخ ونقل في الروايات من موافقة لهم بإذن ذلك كان تقية، ومع هذا يدعون حبهم للوحدة والتقارب.

١٠- يتلخص مما سبق أنه لا تلازم بين البكاء والجزع، والإمامية بجعلهم البكاء شعاراً لمذهبهم يلزم منه تعظيم البكاء لذاته، والأصل أن البكاء لا يمدح إلا إذا كان من خشية الله، فالبكاء الفطري لا يمدح لذاته، ولا يتحول إلى شرع أو شعيرة يطالب به من لم يجر منه سببه، ولا تلازم بين الجزع ومطلق البكاء، لكن صنيع الإمامية في عاشوراء يجعله من قبيل الجزع، إذ ينضاف ـ بوضعه عندهم ـ إلى النعي والنياحة والحداد والمآتم، والجزع والنياحة ونحوهما من خصال الجاهلية؛ ولا وجه لاستدلالهم بما جرى للأنبياء عليه السلام، فالرسول ﷺ حين حزن قلبه، ودمعت عينه على ابنه إبراهيم قال ﷺ: «**ولا نقول إلا ما يرضى ربنا**»[1]، فلم يبث مصابه بين الناس، ويدعوهم إلى تسخط وجزع، ويعقوب ﷺ حين حزن على يوسف، تصبر بالجميل، وقال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]، أما المذهب الإمامي بواقعه العرفاني فلم يلتزم بالرضا، بل دلس على أتباعه، وزعم أن البكاء له أسرار، وأنها لم تكتشف بعد، وأن البكاء والحزن وسيلة للتعرف على الغيب والمستقبل، فكأنه وسيلة للكهانة عن طريق الاتصال بالمعشوق المبكي عليه، فهو رياضة روحية لتحصيل المعارف[3].

---

(١) البخاري، ح/ ١٣٠٣، ومسلم، ح/ ٢٣١٥.

(٢) يوسف: ٨٦.

(٣) سبقت الإشارة إليه ص٤٥٣- ٤٥٤ من البحث.

المبحث الثاني

مظاهر المآتم والنياحة

وفيه:

المطلب الأول: مظاهر الحداد.

المطلب الثاني: مظاهر مآتم العزاء.

المطلب الثالث: مظاهر النعي.

المطلب الرابع: مظاهر التسخط والنوح.

المطلب الأول

مظاهر الحداد

سبق أن الإمامية ادعت أن علياً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بنى لزوجته فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بيتاً للأحزان، لذا فلا غرو أن تنسج الإمامية على هذا المنوال كل ما أحدثته من مظاهر الحزن، ومنها مظاهر الحداد التي تقيمها في مواسم الأئمة، وخاصة في عاشوراء، الذي أصبح مظهراً بارزاً في الحزن، حتى يجزم معه بمنعهم ما يخالف هذا المظهر، من مظاهر الفرح، أو عدم الشعور بالمصيبة واستحضارها، ثم تطور في العصور المتأخرة إلى ما يشبه الاحتفال والمهرجان، فبعد أن أصبح موسم عاشوراء مظنة للشؤم والتشاؤم أدخلت إليه رياح التغيير مفاهيم جديدة، وما يعنينا في هذا المطلب هي مظاهر الحداد، وسأتحدث عن عدة مظاهر تتعلق بالحداد في التالي:

الحداد.

أيام الحداد (تعطيل وترك الأعمال).

السواد في اللباس والأجساد.

الامتناع عن الطعام والشراب (الصوم).

الامتناع من الملذات والتمتع.

الحداد:

معناه: حبس النفس عن عوائدها اليومية، وإشغالها بالحزن، أو ركونها إليه طبيعة، وإقامة المآتم، واستقبال المعزين، ومنه تعطيل الأسواق والأعمال والمصانع، وتعليق المسوح، وتنكيس الأعلام، ولبس السواد، توقف مكاتب أعمال الدولة ودوائرها العامة، وقد يصحبها تنكيس للأعلام الرسمية، كعادة الدول، ورفع لرايات الحداد والسواد، والوقوف في المحافل والمآتم، وقراءة دعاء، أو سورة الفاتحة على روح الميت.

نشأته: يرتبط الحداد عند الإمامية بالبكاء، أي أن ظهوره في الطور الأول، وإن كان ذلك جرى على سبيل التخفي، وتوسع أمره إلى أن ظهر بصورة واضحة في الطور الثاني زمن الدولة البويهية.

أيام الحداد (تعطيل وترك الأعمال):

معناه: أن يجري ما سبق من صور الحداد لمدة يوم أو أكثر، وهي خصوصية تطالب بها الطائفة الحكومات التي تتبعها، وتختلف الاستجابة من موقع لآخر، حسب أغلبية الطائفة وتمكنها، وإن كانت مظاهر الحداد تستغرق شهرين، من بداية شهر محرم إلى نهاية شهر صفر، مروراً بيوم التاسع، ويوم عاشوراء، حيث يخصصان للحداد على الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتمتد الأحزان إلى يوم الأربعين، العشرين من صفر، وتعاد فيه الأحزان بشكل يقارب ما في عاشوراء، بل قد تكون له بعض الخصائص، وعادة الأربعينية هي إحياء لمرور أربعين يوماً على موت ميت أو فاجعة، وهي من تقاليد الحداد والمآتم المنتشرة، ويسميها بعض العراقيين بعودة الرؤوس، أو يوم المرد[1]، أي مرد رؤوس شهداء كربلاء من الشام إلى الكوفة، على ما تحكيه أساطير كتب المقاتل، وهي مما لا يمكن تصديقه بالحسابات التاريخية، فهي مدة غير كافية للسفر والعودة بين الكوفة ودمشق في تلك الأيام.

مستنده: ما يروونه من كره المكاسب والتشاؤم منها، وعدم بركتها في هذا اليوم، وأنه مخالف لتعظيم الشعائر، والغريب أن أيام الحداد تتحول مع الزمن وارتفاع التقية إلى فرح، والتشاؤم إلى فأل وبركة، وإذا كان المعتاد أن يقطعوا الأفراح والأعراس في شهري الحزن(محرم وصفر) فإن الحال قد يتغير فتكون في تلك المدة أكثر بركة، ومقدمات ذلك ظاهرة جداً، وسيأتي مزيد منها عند الحديث عن جانب الاحتفال والعيد والمتعة، وذلك في المبحث الثالث إن شاء الله تعالى.

السواد في اللباس والأجساد والأعلام:

معناه: صبغ الوجه أو أجزاء البدن بالسواد، ومثله ارتداء اللباس الأسود، وتجليل المراكب والمباني وجدران الحسينيات والمجالس بالأقمشة السوداء، ويقابله لبس الأبيض من الثياب، كهيئة الكفن، استعداداً للموت في سبيل الحسين والأئمة، انتقاماً وثأراً، واستعداداً

---

(١) انظر: انظر: جدل ومواقف، ص٢٤، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري).

للظهور مع المهدي[1].

واقعه: من أشهر معالم هذا اليوم السواد، وهو الظاهرة المعبرة عن الحزن، وهو شعار ظاهر على الأفراد والطرقات والمراكب والمباني والحسينيات والمواقع المعتبرة للطائفة، وفي أجهزة الإعلام ومواقع الانترنت، والسواد هو الغالب على لباس الطائفة، وإن كان يشاركه لبس البياض على هيئة الأكفان عند البعض، ولبس ملابس التبذل، أو نزع جزء من اللباس إظهاراً للحزن، ونحوها من مظاهر الحزن، وتعد من مظاهر النياحة كما سيأتي قريباً بإذن الله.

نشأته: ينسب لبس السواد إلى عهد جعفر الصادق[2] ـ رضي الله عنهما ـ في الطور الأول، وأصبح ظاهراً بشكل علني في الطور الثاني زمن الدولة البويهية، وظهر طلي الأجساد بالسواد في زمن الدولة الصفوية، ولعلهم أخذوه من عادات الفرس، وإن كان شعار السواد أظهره العباسيون في أول دولتهم[3]، كما أن الشاه عباس الأول الصفوي، الذي دام حكمه خمسين

---

(١) لبس البياض عرف عند بعض فرق الشيعة الباطنية الغلاة في زمن الدولة العباسية، فقد اتخذه القرامطة والعبيديون شعارًا لهم عند ثورتهم، انظر: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، د السلومي، ٢/٤٩٠، وهذا يشير إلى أن لبس البياض لا يعنى الأكفان والاستعداد للموت فقط، بل أصبح رمزاً لظهور المهدي، وقد يكون هذا العمل من الأمور التي تتوافق فيها الفرق، أو تتوارثه عن بعض من غير تمييز، خاصة مع طول الزمن، وتدعي هذه الفرق أنها تحيي شعار آل البيت الذين خرجوا ضد العباسيين، الذين كانوا يلبسون السواد، والعلويون والعباسيون كلاهما من آل البيت.

(٢) هذا لم يثبت عنه رضي الله عنهما، وقد يتوقع من نسب إليه ذلك أنه من باب موافقة العباسيين تقية، على عادة الرافضة الإمامية، مع أن قاعدتهم هي المخالفة للعامة، فيفترض ألا يلبسوه لأنه شعار العباسيين حزناً على قتلاهم في حربهم مع الأمويين، فهل يقلدون العباسيين، أو يحزنون على قتلاهم، ولأنه إن كان لبسه تقية فلا معنى للتقية اليوم، لأنه لو كان في غير تقية لم يلبسه، فالاقتداء ألا يلبس.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، ١/ ٥٠٨، وقد كان لبس السواد شعاراً للعباسيين الذين يتولون الخلافة، وكانوا يلزمون الناس به، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام، ٩/ ٣٢٩: (وقال يحيى بن أيوب المقابري: ثنا أحمد بن أَبي الحواري، قَال: دخل الأوزاعي على المنصور، فلما أراد أن ينصرف استعفى من لبس السواد فأجابه، فسئل الأوزاعي فَقَال: لَمْ يُحْرِمْ فيه مُحْرِمٌ، ولا كُفِّنَ فِيه مَيِّتٌ، ولم تُزَيِّنْ فيه عَرُوسٌ)، والأوزاعي إمام أهل الشام في زمانه، ويذكر أن المأمون لبس الخضرة بعد أن ولى علي بن موسى الرضا ولاية العهد، ثم رجع إلى لبس السواد، وانظر: البداية والنهاية، ١٠/ ١٢٠، وابن خلدون ذكر أن بني العباس لبسوه حزناً وحداداً على قتلاهم، والله أعلم، فيقول: (كالسّواد في رايات بني العبّاس، فإنّ راياتهم كانت سوداً، حزناً على شهدائهم =

عاماً، وهو أكبر الملوك الصفويين دهاء وقوة وبطشا؛ كان يلبس السواد في يوم عاشوراء، ويلطخ جبينه بالوحل، مظهراً الحداد على الحسين(١).

مستنده: أنه مروي من صنيع نساء آل البيت بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)، وأنه من "مصاديق" الجزع والحزن والحداد على الحسين.

نقده: ينكر على الإمامية هذا العمل من خلال ما يروونه في كتبهم، ومن ذلك أن يقال لهم: ما معنى السواد والبياض في وقت واحد؟! فقد كان بعض الإمامية المتقدمين ينهى عن لبس السواد، لأنه لباس فرعون، ولباس أهل النار، ولباس أعداء الأئمة، سواء في الصلاة أو في الحج أو غيرهما، وأن الأئمة لم يلبسوها زمن العباسيين إلا تقية، وهذا يدل على أنه لا يجوز لبسها في غير التقية(٣)، وأنه وإن جوزه البعض للنساء فما وجه فعله للرجال؟، والذي لم يفت به إلا بعض متأخري الإمامية، كالبحراني الإخباري(٤)، فلم يكن منتشراً قبله.

من بني هاشم، ونعياً على بني أميّة في قتلهم، ولذلك سمّوا المسوّدة، ولمّا افترق أمر الهاشميّين، وخرج الطّالبيّون على العبّاسيين من كلّ جهة وعصر؛ ذهبوا إلى مخالفتهم في ذلك، فاتّخذوا الرّايات بيضاً، وسمّوا المبيضة لذلك سائر أيّام العبيديّين، ومن خرج من الطّالبيّين في ذلك العهد بالمشرق، كالدّاعي بطبرستان، وداعي صعدة، أو من دعا إلى بدعة الرّافضة من غيرهم، كالقرامطة)، انظر: تاريخ ابن خلدون، ١/ ٣٢٠، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، العصامي المكي، ت/ ١١١١هـ، ٤/ ١٢٨، ت. عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، وذكر: أن الْحسن بن زيد بن الحسن بن علي. أَمِير الْمَدِينَة من قبل أبي جعفر المنصور العباسي. أنه أول من لبس السواد من العلويين.

(١) انظر: الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي، ص٩٩.

(٢) انظر: الحدائق الناضرة، ٧/ ١١٨.

(٣) علل الشرائع، ٢ / ٣٤٨، الصدوق القمي، ت/ ٣٨١هـ، ت. محمد صادق بحر العلوم، ط ١٣٨٦هـ، المكتبة الحيدرية - النجف، وحواشي كتاب: المهذب البارع، ٢/ ٢١١، ابن فهد الحلي، ت/ ٨٤١هـ، ت. مجتبى العراقي، ط ١٤١١هـ، مؤسسة النشر الإسلامي .قم، ومصباح الفقيه، ٢/ ١٦٢، آقا رضا الهمداني، ت/ ١٣٢٢هـ، طبعة حجرية عام ١٣٥١هـ، مكتبة الصدر – طهران.

(٤) انظر: الحدائق الناضرة، ٧/ ١١٨، وذكر البحراني أن مأتم الحسين مستثنى من الكراهة، لاستفاضة الأخبار بإظهار الحزن، وخالفه في هذا الهمداني في مصباح الفقيه، ٢/ ١٦٢، والبحراني من أظهر وأشهر من قال بلبس السواد في عاشوراء، انظر: صوم عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الأموية، ص١٤٨، ٣٨، نجم الدين الطبسي، ط١، ١٤٢٢هـ، منشورات العهد. إيران.

الامتناع عن الطعام والشراب (الصوم أو التعطش):

معناه: الصوم بطريقة مخصوصة[1]، والحكم باستحباب الصوم أو كراهيته يتعلق بمستند الصائم في مشروعية الصوم، فإن كان يستند على فضل الصوم وأجره، أو أنه أفضل أعمال ذلك اليوم، أو لما ورد من الخبر في صومه، فإن هذا يختلط بما عند أهل السنة وغيرهم ممن يصوم ذلك اليوم، ومن هنا مأخذ كراهيتهم للصوم، وإن كان هو لتعظيم مقتل الحسين فيه، والتعبد لله من هذا الوجه، فهنا يرد مأخذ الاستحباب أو الكراهة عندهم، وقد جعل المرجع اليزدي ـ بإقرار بعض علماء الحوزات ومراجعها ـ صوم عاشوراء من المكروهات، حيث إنه أقل ثواباً، ولمزاحمته لما هو أفضل منه، ولأنه يضعف عن القيام بشعائر العزاء في يوم عاشوراء[2].

واقعه: إمساك إلى قبيل الغروب يلتزم في النهار حتى الغروب لمن نواه صوماً، وإلا إلى آخر النهار لمن لا يريد موافقة العامة (أهل السنة)، الذين يصومون عاشوراء، ويرى بعض الإمامية المعاصرين أن نشأة شعيرة الصوم عندهم كانت مشاكلة لأهل السنة على وجه التقية، وأنه لم يثبت فعله من قبل الأئمة[3]، ولذا قد تختلط معه مظاهر الحزن، من مثل أن يكون الإفطار على سفرة الحزن، وقلة سقي المواكب في نهار عاشوراء، أو انعدامه، مقارنة بغيره من الأيام، فتفرغ أماكن السقيا في الطرقات من الماء بشكل ظاهر[4].

---

(١) والقيد هنا بخلاف ما يذكره العلماء في عموم الصوم، وذلك بسبب اختلاف الإمامية في كلامهم عن الصوم هنا، فمثلاً يكثر تقييدهم للصوم هنا بأنه يقطع بعد العصر، بخلاف صوم رمضان الذي يقطعونه عند اشتباك النجوم، على خلاف ما يطلق عليه الصوم في الأدلة الشرعية الأخرى، فهو عند بعضهم صوم مبتور.

(٢) انظر: العروة الوثقى، الطبطبائي اليزدي، ٣/ ٦٦٠، ت/ ١٣٣٧هـ، وعليه تعليقات لفقهاء ومراجع آخرين، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، وهو من الكتب المعتمدة، والتي تدرس في كثير من الحوزات العلمية المعاصرة، وأشار اليزدي إلى استحباب صيام الأيام المفردة من شهر محرم قبل عاشوراء، ولم يذكر للأمرين دليلاً.

(٣) انظر: صوم عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الأموية، ص٣١؛ مع أنه يلزمهم أن الأئمة ربما صاموه تقية.

(٤) وقد لاحظت ذلك في حضوري لعاشوراء في الهند عام ١٤٣٠هـ.

يرى بعضهم أن يقطع الصوم قبل الغروب، أي بعد العصر[١]، فهو صوم مخصوص ومغاير لصوم رمضان من هذا الوجه وغيره، كما سبق، وقد يكون تسميته صوماً ليس لقربه من مفهوم الصوم الشرعي، وإنما من باب التقية لأهل السنة، حيث إن طائفة كبيرة منهم لا يجيز الصوم في ذلك اليوم، ويراه من الشماتة بآل البيت، ويعبرون عن صومه بأنه مكروه لقلة ثوابه[٢].

نشأته: تزعم الإمامية أن ترك الأكل والشرب من عمل الأئمة، أي في الطور الأول، وقد ورد عنهم ـ كما ترويه الإمامية ـ الحث على الصيام، كما ورد عنهم النهي عنه أيضاً؛ وهذا من مواضع اضطرابهم وتناقضهم وشذوذهم.

مستنده: يستدلون بما يروونه عن الأئمة ومنه: ما جاء (عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله ــ عليه السلام ــ عن أبيه، أن عليا ــ عليهما السلام ــ قال: صوموا العاشوراء، التاسع والعاشر فإنه يكفر ذنوب سنة)، وما جاء (عن أبي همام عن أبي الحسن ـ عليه السلام ـ، قال: صام رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ يوم عاشوراء)، وما جاء (عن عبد الله بن ميمون القداح[٣]، عن جعفر عن أبيه ــ عليه السلام ــ قال: صيام يوم عاشوراء كفارة سنة)،

---

(١) انظر: العروة الوثقى، اليزدي، ٣/ ٦٦٠.

(٢) انظر: العروة الوثقى، اليزدي، ٣/ ٦٦٠، والدروس (الشرعية في فقه الإمامية)، ١/ ٢٨٢، الشهيد الأول، محمد بن مكي العاملي، ت/ ٧٨٦هـ، ط١، ١٤١٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، وكتاب الصوم، ٢/ ٣٠٢، أبو القاسم الخوئي، ت/ ١٤١١هـ، مجموعة محاضرات، إعداد: مرتضى البروجردي، ط ١٤٠٣هـ، المطبعة العلمية – قم، وسيتضح هذا الجانب في الفقرة التالية، بإذن الله.

(٣) راو مشهور في كتب الإمامية، يروي عندهم هو وأبوه ميمون عن الأئمة، كالباقر، وابنه الصادق - رحمهما الله-، وعبد الله بن ميمون هذا هو المكي، أو المخزومي، وهو غير عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي في القرن الثالث، الذي انتسبت إليه العبيدية، والقرامطة الباطنية، وهو عبد الله، أو عبيدالله بن ميمون بن ديصان القداح، وقد سبق التنبيه على ذلك ص٣١٢ من البحث، ولكن المكي ليس ببعيد عن الأهوازي، إلا أن الإمامية ترتضيه، وله مرويات عند الشيعة والسنة، وثقته الإمامية، كالحلي في خلاصة الأقوال، وبعضهم اتهمه بالتزيد: أي زيدي المذهب، كالتفرشي في نقد الرجال، ٣/ ١٤٨، وفي رجال ابن داود، ص٢٨، ٥٣١: (أنه ملعون، وبعضهم ذكر عذره بالتزيد، وأنه كان من باب التقية، وأن فيه بعداً، كالبهبائي في تعليقه على تنقيح المقال، ص٢٢٢)، انظر: رجال ابن داود، ابن داوود الحلي، ت/ ٧٤٠هـ، ت. محمد صادق آل بحر العلوم، ط =

وغيرها مما يفيد تعظيم هذا اليوم عند الأنبياء السابقين[1]، وهذه الأحاديث موافقة لأحاديث أهل السنة الصحيحة، لكن الاختلاف في تفسيرهم للصيام، فصيامهم غير صيام أهل السنة، وعلة ذلك الصيام ليست هي علة صيامهم.

تأويله وفلسفته: أن الصوم له أثر عاطفي على استحضار الفرد لمصيبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا معنى لكونه شكراً إلا لمن شمت بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفرح بمقتله في هذا اليوم، ولم يكن صومه له لأنه يوم من أيام الله، التي نجى الله فيها موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه؛ وعليه فلا يتأتى قبول الصوم ـ على مذهبهم ـ إلا على وجه النذر لمحبوب تعبداً، لا تبركاً[2]، أما لغير هذا فهو أقرب إلى الشماتة بآل البيت.

وقته: يوم عاشوراء، والأيام العشر الأولى من محرم.

نقده: مجرد ربط الصوم المبتور بيوم عاشوراء هو بدعة لم تكن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا في غيره، سواء كان ذلك حزناً، أو شماتةً، وهو من قبائح الأقوال، وشواذها، التي لم تنشأ إلا حباً من الإمامية في مخالفة المسلمين، وتأصل مجافاتهم لجماعة المسلمين، فأي تقارب يدعون، ويندرج في هذا كل عمل أو مظهر ينضاف إلى الصوم حزناً، أو فرحاً؛ وأقوال الإمامية في حكم

=

١٣٩٢هـ، الحيدرية – النجف / الرضي – قم؛ وللإمامية فيه خبر مشهور: من قول أبي جعفر: (يابن ميمون كم أنتم بمكة، قال: أربعة)؛ وتكلم عنه أهل السنة، وذكروا أن حديثه منكر، وخاصة ما انفرد به، وأنه يروى عن جعفر بن محمد وأهل العراق والحجاز المقلوبات، كما في كتاب المجروحين، ابن حبان، ٢/ ٢١، وقال البخاري: ذاهب الحديث، وقال أبو حاتم: متروك، التاريخ الكبير، البخاري، ٥/ ٢٠٦، والميزان، الذهبي، ٢/ ٥١٢، وتهذيب التهذيب، ٦/ ٤٥، فله أحاديث منكرة ومقلوبة.

(١) لما سبق من الآثار انظر: الاستبصار، الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، ٢/ ١٣٤، ت. حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية – طهران، وتهذيب الأحكام، شيخ الطائفة الطوسي، ٤/ ٢٩٩-٣٠٠، ت. حسن الموسوي الخرسان، بدون تاريخ، دار الكتب الإسلامية – طهران، ووسائل الشيعة، الحر العاملي، ١٠/ ٤٥٦، والحدائق الناضرة، ١٣/ ٣٧٠.

(٢) تذكرة الفقهاء، ابن مطهر الحلي، ت/ ٧٢٦هـ، ٦/ ١٩٣، ط١، ١٤١٦هـ، مؤسسة آل البيت .قم، وشرائع الإسلام، المحقق الحلي، ت/ ٦٧٦هـ، ١/ ١٥٤، ط٢، ١٤١٩هـ، ت. صادق الشيرازي، انتشارات استقلال . طهران.

صوم يوم عاشوراء لا يتعدى أحد الأمور التالية[1]:

١- أنه مفضول ومرجوح، لمزاحمته لعبادات أولى منه، والسؤال هنا: كيف بعد هذا يبقي له فضل يروونه عن أئمتهم.

٢- أنه مستحب على الإطلاق، وأن كل ما ورد في الأخبار من نهي عن صومه ضعيف مردود، وانتصر لهذا القول الخوئي.

٣- أنه مكروه، لأنه يوم شؤم على آل البيت وشيعتهم، ومثله صيام يوم الاثنين، الذي يعد من صامه ناصبياً، كما في رواياتهم[2].

٤- أنه بدعة، لأنه شرع صومه ثم ترك بصوم رمضان، وصوم المتروك بدعة، كما رووه عن الأئمة، كالصادق، أو الرضا، رحمهما الله[3].

٥- أنه صوم مخصوص مشروع، مخالف للصوم المفروض كرمضان، وللمستحب كصوم النوافل، ويمكن أن يوصف بـ (صوم التحزن)، وهو من مفردات الإمامية الاثني عشرية، وشذوذاتهم.

٦- أنه محرم، وأن ما ورد من الأخبار في صومه محمول على التقية، وانتصر لهذا القول ابن طاووس والمجلسي وغيرهم من الإخبارية، واشتهر بتقريره يوسف البحراني.

إذا كان هذا الصوم الأبتر ليس من جنس صوم التطوع، ولا المفروض، لا من جهة سببه، ولا دليله، ولا حدوده ونهايته، ولا ما يصاحبه من الأعمال؛ إذ الصوم المشروع يشرع فيه اجتناب السب واللعن وفحش القول، بخلاف صوم عاشوراء عندهم، الذي يزدحم

---

(١) سيأتي – بإذن الله– مزيد عرض لهذه الأقوال، وتوثيقها، في الباب الرابع، ص١٠١٤ من البحث.

(٢) يرويه عن الرضا الطوسي في تهذيب الأحكام، ٤/ ٣٠١، ومما جاء فيه: (واليوم المتشائم به الإسلام وأهله لا يصام، ولا يتبرك به، ويوم الإثنين يوم نحس قبض الله فيه نبيه صلى الله عليه وآله، وما أصيب آل محمد –عليهم السلام– إلا في يوم الإثنين، فتشاءمنا به، وتبرك به أعداؤنا، ويوم عاشوراء قتل الحسين –عليه السلام– وتبرك به ابن مرجانة، وتشاءم به آل محمد –عليه وعليهم السلام–، فمن صامهما، وتبرك بهما لقي الله عز وجل ممسوح القلب، وكان محشره مع الذين سنوا صومهما وتبركوا بهما).

(٣) الكافي، الكليني، ٤ / ١٤٥.

بأعمال السب واللعن، فتسميته صوم هو من جنس التقية، وهو من ميادينها التي تشرع للتلبيس على العوام، وإلا فالأصل أنه يوم يتفرغ ويتقوى فيه لأعمال الجزع، ومثله في قصد المخالفة كراهتهم صوم يوم الاثنين.

الامتناع عن الملذات والمتع.

معناه: أن لا تعقد ولا تقام الأفراح والمناسبات خلال شهري محرم وصفر، وأن يمتنع الفرد عن التزين في اللباس والهيئة وقت العزاء، وعن التوسع في أكل أطايب الطعام والشراب، وعن اللحوم عند البعض، وأكل الطعام المالح تعطشاً، أو عدم شرب للماء[1]، والتبذل في الهيئة، ومنه لبس السواد، وأن لا يفطر من صام هذا اليوم إلا على الألبان ونحوها[2]، وذلك فيما يسمونه سفرة الأحزان.

واقعه: يرتبط الامتناع عن الملذات بالامتناع عن الطعام والشراب، الذي سبق قريباً، ومنه الامتناع عن إقامة الأفراح في أيام عاشوراء، كما أنه من آداب ومناسك زيارة مشاهد الأئمة، وخاصة قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كربلاء[3]، وقد يشتبه ويشكل هذا المظهر بما قد يشتهر أحياناً عن الإمامية والشيعة عموماً من تجويز أو استحباب للمتعة، أو "الزواج" في أيام عاشوراء، وعند مشاهد الأئمة، مع أنها مواطن حداد وحزن، وستأتي الإجابة عن هذا في المبحث الرابع من هذا الفصل، بإذن الله.

نشأته: تزعم الإمامية صدوره من الأئمة في الطور الأول.

مستنده: تزعم الإمامية أن جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فعله[4]، وأنه من مصاديق الحزن.

تأويله وفلسفته: أن خلافه يعد من الفرح بمصاب آل البيت، وهو من النصب والعداوة لهم، والشماتة بهم، وأنه لا بد من مخالفة النواصب الذين يوسعون على أولادهم في يوم

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية، ٥/ ١٧٧، وذكر هذا العمل ضمن أقوال الرافضة التي انفردوا بها عن سائر الأمة.

(٢) انظر: مسار الشيعة، المفيد، ت/ ٤١٣هـ، ص٤٤، ت. مهدي نجف، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد. بيروت.

(٣) انظر: مسار الشيعة، الشيخ المفيد، ص٩٧.

(٤) راجع الفصل الأول من الباب الثاني ص٣٤٨ من البحث.

عاشوراء.

وقته: يوم عاشوراء، وقد يدخل معها العشر الأولى من محرم، والعشرين من شهر صفر "أربعينية عاشوراء".

نقده: يمكن أن يتضح من خلال النقاط التالية:

أن الحداد والامتناع عن الأكل والشرب والملذات نوع من النياحة وعدم الصبر، وصورة للسخط من قضاء الله وقدره، كما أنه مخالف لكلام الأئمة من آل البيت، فهو نوع من الجزع المذموم.

الحداد بالنسبة للرجال من أعمال الجاهلية، وإنما صرح به في أحوال محددة، بالنسبة للنساء، ويعظم أمره ي حقهن حينما يكررنه في السنة، في غير الفترة التي نصت عليها الشريعة، أو بشكل دوري، فكيف إذا كان ذلك بشكل سنوي، من الرجال والنساء؛ بل إنه هنا دخل ضمن مظاهر الخصوصية، وكأنه دين مستقل، له أيامه ومعابده وطقوسه ورموزه.

إن هذه البدعة فتحت أبواباً لبدع أخرى، وهكذا البدع يجر بعضها بعضاً، ومن ذلك ما يظهر من أحوال الإمامية في القنوات المرئية، حتى أصبحت مواسم مآتم الأئمة موعداً لتجديد الرايات المنصوبة فوق مقاماتهم وقببهم، ومن ذلك ضريح الحسين في كربلاء، وفي غيرها، ومقامات شهداء كربلاء، كالعباس، فتجدد راياتها في عاشوراء، وهذا على خلاف الحداد، وهذا يؤيد ما أشرت إليه من اختلاط مظاهر الفرح والاحتفال والمهرجان بمظاهر الحزن، إضافة أن تلك الأعلام قد يكون لونها أحمر تعبيراً عن الدم والشهادة والثورة، أو غير ذلك، ولا يلزم كونها في هذه المواضع سوداء.

عادة تجديد أكسية القبب والأضرحة تشترك فيه الإمامية مع الصوفية ونحوهم، ممن يقدسون القبور ويعبدونها، وأول من عرف عنهم الجمع بين الحزن والفرح في عاشوراء هم العبيديون في مصر[1]؛ وهكذا أصبح التوسع في مثل هذه البدع أرضاً لتداخل البدع وتجاذبها، ومجالاً لانتقال عقائد الغلو إلى الإمامية التي تزعم براءتها من الغلو والغلاة.

---

(١) راجع ص٣٦٢ من البحث.

المطلب الثاني

مظاهر مآتم العزاء

الحديث عن المـآتم امتداد عن الحديث عن الحزن والبكاء والحداد، فهي معان مترابطة، وتهدف المـآتم الإمامية ـ كما ذكروا ـ إلى إحياء أمر آل البيت، وبالأخص منهم: السلسلة الاثنا عشر، وفي معتقد الإمامية يكون إحياء أمرهم من جانبين: جانب كمالهم وأهليتهم للإمامة والولاية، التي من جحدها، أو ادعى مشاركتهم فيها فقد كفر وظلم، والجانب الثاني جانب الظلم الذي حل بهم، والمصائب والمآسي التي أنزلت بجانبهم، وهذا هو الشاهد هنا، وإن كان الجانبان يتكاملان في تحقيق النتيجة، كما هو واقع عاشوراء اليوم؛ والمراد من هذا أن المـآتم تحيي هذين الجانبين، والأهم منهما أن يبقى ملف المصيبة والمظلومية حياً ومفتوحاً، ويصور المرجع الشيعي اللبناني محمد حسين فضل الله حال قومه وتعلقهم وغلوهم في هذا الجانب، فيقول: (إن مشكلتنا مع أهل البيت هي أننا حبسناهم في سجن المأساة فقط، وعندما أطلقنا آفاقهم أطلقناهم فقط في جانب المعاجز والكرامات،... لقد عزلناهم عن حركة الحياة وأدخلناهم في حركة الدموع فضيقنا واسعاً)(١).

الإمامية في عاشوراء تركز على ظلم آخر زائد على ظلم إنكار الإمامة، وهو مصير أحد الأئمة الذي قام بحق الإمامة، فقتل في قصة مشهورة، وفاجعة محزنة، في يوم عاشوراء، وهو الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعاشوراء ــ عندهم ــ اعتنت بأمر جديد فوق الإمامة، وهو مأساة أحد الأئمة، فامتاز بذلك من يحييها على غيره ممن يحيي مجرد الإمامة، كمن يحتفل بتنصيب علي إماماً في غدير خم، أما الإمامية العاشوراوية فإنها تقيم المـآتم ذكراً لمقام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحزناً عليه، وصار مأتمه باباً وأساساً وأصلاً لإقامة مآتم بقية الأئمة، ثم تبعها الاحتفالات بموالدهم ومناسباتهم ومصائبهم، وتسلي الإمامية نفسها مع كثرة هذه التكاليف ومشقتها ومواعيدها أن هذا كله من أجل: (حفظ الدين وصون المذهب)، واختلط ذلك كله بانتظار

---

(١) الندوة، ٥/ ٤٩٨.

الفرج، وترقب الأمل، بتحقق إمامتهم الغائبة على وجه الكمال، بظهور الغائب المنتظر.

قد سبق ذكر إنكار آل البيت لهذه البدع، وبراءتهم منها، وأنها كذب عليهم، وأنها مخالفة لوصية الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأهله بعدم النوح والجزع، لأن ذلك يفتح باب الشماتة به وبمن معه، ويصدق على ذلك ما ينسبونه إلى قول الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. في حق من ينسب إليهم الباطل، ويكذب عليهم: (ما أنزل الله سبحانه آية في المنافقين إلا وهي فيمن ينتحل التشيع)، وقوله: (لو قام قائمنا بدأ بكذابي شيعتنا فقتلهم)[١]؛ وبخصوص المآتم فالمحقق الحلي وهو من علماء الشيعة الإمامية في القرن السابع، يؤكد أنه لم ينقل عن الأئمة الجلوس للعزاء والمأتم[٢]، فهذا المرجع الكبير من أعلام المذهب ورموزه يكذب كل ما ينسب إلى الأئمة بخصوص الجلوس للمآتم، ولا شك أنه تكذيب لما هو أشد من ذلك من صور النياحة التي قد تنسب. ولو فيما بعد. إلى الأئمة، وهذا كاف في الرد عليهم.

ما سبق يدل على عدم استقرار نسبة كثير من هذه الأعمال إلى الأئمة عندهم، وعدم اشتهارها والإطباق عليها إلا في فترة متأخرة؛ ويؤيد هذا ما انتشر واشتهر من قبل عند متقدمي علماء الإمامية من حرمة النياحة، وهي أظهر معاني المآتم، وذلك في روايات كثيرة عن أئمة آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حتى إن شيخ الطائفة الطوسي في القرن الخامس ادعى الإجماع على حرمته، وهذا يدل على أنها في عصور الأئمة محرمة باعتراف شيخ الطائفة، فكيف ينسب إلى الأئمة ما يرون تحريمه[٣]، وأكتفي بهذا التنويه عن الحديث عن أدلة النعي والمأتم، التي سيرد ذكرها في الباب الثالث، إن شاء الله تعالى.

لعل مما روج لقبول هذه البدع المتراكمة أنها أعطت المذهب مجالاً وخصوصية تعينان على تطوير المذهب، والانتقال به من طور الغيبة إلى طور الظهور، وتحصين أتباعه من الدعوات الأخرى، وقبول انتسابه لآل البيت، واختصاصه بمدرستهم، مما جعل مذهب الإمامية

---

(١) سبق تخريجها، ص٣٥٧ من هذا الباب.

(٢) انظر: المعتبر في شرح المختصر، ص٩٤.

(٣) سبقت الإشارة إلى هذا، راجع ص٣٤١ من البحث.

بطبيعته قابلاً لمزيد من الشعائر والمآتم، ومنحها المشروعية، فتوسعت أبواب المآتم من خلال عاشوراء، فليست مأتماً خاصاً بالحسين، بل واقع الإمامية يشهد أن كل شخص انضم إلى الحسين في كربلاء يستحق مأتما خاصاً، ومزاراً، ومقاماً، ونذوراً، ورثاءً ونوحاً، وتشابيه، فامتد التقديس لكل هذه المآتم، ولن يتمكن البحث من تسليط الضوء على كل هذه الامتدادات في هذا الموضع(١)، واكتفى بالحديث عن المأتم عموماً في عاشوراء.

سيكون الحديث عن المأتم من خلال مكان إقامته، ومن خلال أبرز أعماله: التعزية، وقراءة كتب المقاتل، وذلك في الفقرات التالية:

١- المأتم (المأتم الحسيني).
٢- مأتم الأربعين (عاشوراء الصغرى).
٣- مجالس العزاء.
٤- بناء القبب.
٥- نصب الخيام.
٦- الاجتماع على الولائم.
٧- الحسينيات (الحسينية).
٨- مجالس العزاء الإلكترونية.
٩- استقبال التعزية.
١٠- التعزية.
١١- تعزية الأئمة.
١٢- قراءة المقتل.

---

(١) من الكتب الشيعية الحديثة التي توسعت في الاستدلال لمشروعية المآتم كتاب: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء. والتطبير)، محمد جميل العاملي، ومن ذلك ما أورده ص١٢٧، وسبقت الإشارة إليه.

المأتم (المأتم الحسيني):

معناه: أصله من جنس العزاء التقليدي، لكنه توسع وتطور، حتى أصبح بشكل دائم، له مكان وجهد وزمن مخصص لاستقبال التعزية، وقد يسميه البعض بأسماء أخرى، كالتحاريم، والروضة.

وقته: في شهر محرم وصفر، وخاصة في عاشوراء والأيام التسعة قبله، والتحق به ما يعرف بذكرى الأربعين، في العشرين من صفر، التي تحيى بزيارة كربلاء، أو بإقامة المأتم الذي بدأ يتطور العمل فيه، مما قد يسمى "عاشوراء الصغرى"، ويتوسع مأتم الحسين ليشارك الشيعة في بقية مآتم الأئمة، وحتى مآتمهم الخاصة، والغريب أن يقام المأتم واستذكار المقتل قبل عاشوراء، فالأصل أن يقام المأتم بعد يوم المصيبة، لا قبلها، ولعل كتب المقاتل، وترتيبها أسهمت في هذا الوضع، وسيأتي قريباً بيان وجهه عندهم، عند الحديث عن قراءة كتب المقتل.

تأويله وفلسفته: يذكر الخميني ــ مرشد الثورة ــ فائدة بقاء المأتم، وعدم انقطاعه أنه يبقي ملف المظلومية مفتوحاً ومعلقاً من خلال مجالس العزاء[1]، ويقول أيضاً: (إن شعار الفرقة الناجية وعلامتهم الخاصة من أول الإسلام إلى يومنا هذا إقامة المآتم)، إضافة إلى إقرار كثير من علماء الإمامية، ومراجعهم المتأخرين كشيخهم كاشف الغطاء، الذي ذكر أن المآتم وما يتبعها من أعمال هي من شعار وشعائر الفرقة الناجية[2].

نقده: إحياء المأتم الحسيني والمبالغة فيه يشعر بتوجه جديد للمذهب، ولذا أصبح شعاراً للمذهب، وشعيرة تبنى له دور خاصة، تعرف بالحسينيات، وهذا ما يؤكد أن شخصية الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أبرزت من بين شخصيات الأئمة، من خلال هذا العمل أكثر من ذي قبل، وأنه أعطى الطائفة خصوصية وقوة وجذباً، حتى فاق رمز التشيع الأول علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولذا لا يرد ذم وصف واسم الرفض والرافضة للطائفة إلا بشكل خفي وبعيد، هذا بغض النظر

---

(١) انظر: نهضة عاشوراء، الخميني، ص٨٣.

(٢) انظر: الآيات البينات في قمع البدع والضلالات، ص٨، محمد حسين آل كاشف الغطاء، دار المرتضى- بيروت.

عن لوازم هذا اليوم، لأنه يتعلق بصراع متأخر عن فترة الإمامة والوصية التي تتجلى في إبراز الجانب العلوي في التشيع، هذا في مقابل وصف الرفض المتعلق بالخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ، وأصبح من مآلاته عند كثير منهم تكفير الصحابة الأولين والخلفاء الراشدين، ولذا تعالت نداءات توفيقية: أن الإسلام علوي، والتشيع حسيني، أو التأسيس علوي والبقاء حسيني، بعد أن كان الحال. عندهم. أن الإسلام محمدي والتشيع علوي.

مأتم الأربعين (عاشوراء الصغرى):

معناه: هذا المأتم تكرار للمأتم السابق، وإن كان لا يلزم أن يكون تكراراً لكل ما جرى في مأتم عاشوراء، لكن يغلب عليه القيام بزيارة كربلاء، استذكاراً لقيام أهل الكوفة بالخروج لاستقبال آل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حين عودتهم من الشام بعد مقابلتهم ليزيد بن معاوية، وذلك في العشرين من صفر، أي بعد مرور أربعين يوماً على مقتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعادة الأربعين من ضمن العادات الخاطئة الموجودة عند بعض الناس إلى اليوم ذكراً لميتهم وفقيدهم، ومأتم الأربعين تسلية وتذكر لمصيبة آل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وحالهم، ويلاحظ في السنوات الأخيرة . وبعد سقوط العراق بيد الأمريكان والشيعة .توسع مأتم الأربعين، وأصبح موعداً لتوافد الزائرين إلى كربلاء والحرم الحسيني[(١)].

مجالس العزاء:

معناه: أن يخصص مكان في بيت، أو مزرعة، أو على قارعة طريق، أو ميدان واسع، يخصص للجلوس للعزاء بشكل معتاد، على هيئة المأتم، قد تعرف بالتحاريم، وقد تسمى في الهند "إمام برا"، وتطور إلى ما يعرف بالحسينية، وهي بمثابة تكية (مجلس) منسوبة للحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لأنها تبنى لإقامة العزاء أيام عاشوراء على الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، هذا في أول الأمر، وعندما كثر إحياء مآتم آل البيت أخذت هذه المجالس مكانة أكبر، وأصبحت مقصداً للتواصل مع أعيان الطائفة ورموزها، بل وأصبحت تتشكل بحسب طبقات الناس الاجتماعية

---

(١) للتوسع حول هذه الزيارة انظر مظاهر الزيارة ص٦١٨ من البحث.

والمالية، ودفعها ذلك إلى التنافس في كيفية هذه المجالس، حتى تطورت بسبب المباهاة إلى نصب الخيام، واستدعاء الشعراء والمنشدين والمسرحيين، وأصبحت فكرة الجلوس للتعزية أحد فقرات التعزية بمفهومها الجديد.

الذي ظهر لي من خلال البحث أنه لم تكن في السابق مجالس عزاء خاصة بالنساء، فالمجتمعات التي اعتادت اجتماع الجنسين في مناسباتها لن تمانع من حضور النساء في مجالس العزاء، ولا زالت النساء تخالط الرجال في مواقع الشعائر عند الشيعة، إلا أنه بدأ يظهر في بعض البلدان تخصيص النساء بحسينيات، وحوزات، ومقامات، ومواكب، ومسرحيات، ولطميات، وخطيبات، وناعيات، ونحوها مما قد يصل إلى "عاشوراء النسائية"، أو عاشوراء الزينبيات، أو الفاطميات، والتي يتنادى البعض بين الحين والآخر لإحيائها.

نشأته: تذكر كتب الإمامية أن مجالس العزاء بدأت في الطور الأول في زمن الباقر ـ رضي الله عنه ـ. ومع استمرارها إلا أنها توسعت في الطور الثالث قبل الدولة الصفوية، بدلالة انتشار كتب المقاتل(١).

مستنده: يشير الخميني إلى أن الباقر استأجر من يرثيه عشر سنوات في مجلس الحج بمنى، فيقرر ذلك ناقلاً رواية المجلسي، وفيها: (روي أن الإمام محمد الباقر (ع) أوصى بـ ٨٠٠ درهم لإقامة المآتم ومجالس العزاء، وقال الإمام الصادق (ع) ما معناه: (لقد قال لي أبي يا جعفر ليوقف من مالي ويؤجر به من يرثني عشر سنوات في منى، في مواسم الحج، ويبكي علي، ويجدد المآتم لإظهار مظلوميتي)(٢).

تأويله وفلسفته: سبق أن المآتم ومجالس العزاء ـ عندهم ـ من أهم معالم وشعائر الفرقة الناجية، ويؤكد كثيراً مرشد الثورة الخميني أهمية مجالس العزاء، وأنه لم تدرك أهميتها إلا قليلاً، ويطالب بكثير من العناية بها، لما لها من المنافع الدنيوية قبل الأخروية، ومن أهمها في نظره

---

(١) حول كتب المقاتل انظر ص٨٧٦ من البحث.

(٢) جلاء العيون، المجلسي، ص٦٩٢، رواية رقم: ٤٣، نقلاً عن: نهضة عاشوراء، الخميني، ص٨٣.

المنافع السياسية[(١)]، وقبله في القرن الماضي يطرح خشيته من أن منع المواكب سيؤدي إلى منع غيره، بل سيكون لسد أبواب المآتم،(وعندها لا سمح الله لا يبقى للشيعة أثر ولا عين، ولتذهبن الشيعة ذهاب أمس الدابر)[(٢)].

بناء القبب:

معناه: القبب جمع قبة، ولعل بناءها في ذاك الوقت رمز للعزاء، أو لاجتماع مهم، كنصب الخيام، ومثلها اليوم عقود الإنارة في الطرقات، التي أصبحت تدل على وجود مأتم وعزاء، ومنها القبة التي فوق نعش الميت، حيث تحمل التوابيت تعبيراً عن قتلى كربلاء[(٣)]، وكانت القبب قديماً ملاصقة للجدران[(٤)]، تسقف بسعف النخيل وأغصان الأشجار، وتكون على قارعة الطريق ليستريح بها المارة، وخاصة إذا كان الطريق يحتاج إليه الناس، أو تمر به وفودهم ومواكبهم، أو تكون في أسواقهم ومداخل بلدانهم.

نشأته: نشأت في الطور الثاني، متزامنة مع إقامة المأتم والمواكب في عاشوراء زمن الدولة البويهية[(٥)].

نصب الخيام:

معناه: هو شبيه ببناء القبب، التي مرت في الفقرة السابقة.

واقعه: يظهر أن هذا المظهر انقطع في المدن، ولا يظن أن له وجوداً إلا في البيئات التي لا زالت تنصب الخيام في مآتمها الخاصة، لعدم توفر المباني الكافية، ويعد منه ما ينصب في

---

(١) انظر: نهضة عاشوراء، الخميني، ص ٨٣.

(٢) الآيات البينات في قمع البدع والضلالات، كاشف الغطاء، ص٨.

(٣) انظر: بطلان عقائد الشيعة، التونسوي، وهو منشور على موقع: فيصل نور(البرهان)، مقال: (عقيدة الاحتساب في النياحة وشق الجيوب وضرب الخدود على شهادة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عاشوراء واستشهاد الحسين)، على الرابط التالي:
http://www.fnoor.com/fn0295.htm

(٤) هذا فيما سمعته من كلام بعض أهل نجد.

(٥) سبق الحديث عن هذا الجانب، راجع ص ٣٣٨ من البحث.

الميادين الواسعة التي تخصص للاحتفالات، كاحتفالات عاشوراء، ويجري فيها ما يعرف بالتشابيه، فتنصب الخيام كي تحرق تمثيلاً لما جرى في كربلاء على ما في كتب المقاتل، واعتاد البعض أن يطلق على هذه الميادين: كربلاء، لكثرة ما تقام فيها احتفالات عاشوراء.

نشأته: اشتهر هذا المظهر في الطور الرابع، زمن الدولة القاجارية، ومن دواعيه انتشار المسرحيات في حضرة الملك وحاشيته، مما استدعى توفير مواقع كبيرة، لها أبهة وفخامة، وتتسع لمآتم عاشوراء وتشابيهها، التي كان الملوك القاجاريين يحضرونها في مكان عرف بخيمة العزاء(١).

الاجتماع على الولائم:

معناه: هو صنع الولائم الكبيرة، والاجتماع عند أهل المصيبة، ومنه ما يعرف في عاشوراء في سفرة الأحزان، يجتمع عليها الناس بشكل ظاهر، وطبخ الأطعمة ونصب القدور وإبرازها ظاهر في بلدان الشيعة يوم عاشوراء، وقد يدخل هذا العمل ضمن مظاهر الصدقات والقرب التي تهدي إلى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نشأته: لعل من أول من أبرزها بشكل ظاهر العبيديون في مصر، فكانوا يجمعون في موسم عاشوراء بين الحزن والفرح، ومن دواعي ذلك أنهم يحتفلون بموالدهم إذا وافقت أيام عاشوراء، وقد يتفق يوم عاشوراء مع قرب موالد أحد الحكام، كالآمري: الآمر بأحكام الله، والذي كان مولده في الثاني عشر من شهر محرم، مما دعاه إلى إحياء عاشوراء، وإحياء مولده، والجمع بين الحزن والفرح، وكانوا يقيمون الولائم الكبيرة، وينحرون البهائم(٢).

نقده: يعد صنع الطعام لأهل الميت من دون اجتماع عندهم من السنة، وأشهر من وردت فيهم هذه السنة هم آل البيت ــ صلوات ربي وسلامه عليهم ــ، فقد ورد عن النبي أنه عام غزوة مؤتة في العام الثامن من الهجرية النبوية، قال ﷺ بعد استشهاد جعفر عم الحسين بن

---

(١) سبق الحديث عن هذا الجانب، راجع ص٤٠٤ من البحث.

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "خطط المقريزي"، ٢/ ٣٢٩.٣٣٣.

علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: **«اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد أتاهم ما يشغلهم»**(١)، فهذا من المواساة لهم، لانشغالهم بمصيبتهم؛ لكن لم يأمر ﷺ بجمع الناس إليهم؛ فجمع الناس عند أهل الميت على هيئة الولائم يعد من النياحة، وهو من أعمال المأتم التي انتشرت، وقد روت الإمامية عن آل البيت نهيهم عن ذلك، اتباعاً للسنة النبوية، من ذلك ما رووه عن الصادق - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «الأكل عند أهل المصيبة من عمل أهل الجاهلية، والسنة البعث إليهم بالطعام، كما أمر به النبي صلى الله عليه وآله في آل جعفر بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ لما جاء نعيه»(٢).

فجمع الناس للولائم عند المصيبة هو من عمل الجاهلية، وخلاف السنة المروية، وما عداه يرد إليه، والعجيب في أمر الإمامية في عاشوراء أنهم يدعون أنهم هم أهل المصيبة، ومع ذلك يصنعون الطعام، ويجمعون الناس عليه، مع أن الخبر عندهم أن أهل المصيبة مشغولون بمصابهم، فيصنع طعامهم غيرهم، أما أن يصنعوا طعامهم بأنفسهم ويجمعوا الناس عليه فهذا قد يشعر بضعف الحزن، لأن هذا الصنيع لا يكون إلا في أحوال الفرح، أما الحزن فحاله أقرب إلى الانقطاع إلى المصيبة، بل يتصور معه الانقطاع عن الأكل والشرب عند شدة الحزن، وهذا ما يدل على أن الإنسان قد يتوهم في اجتهاده أنه فر من الملامة والتقصير، وأراد الإحسان، لكنه في الحقيقة يقع في نقيض قصده.

الإمامية بهذا الحال تستن بسنة الدولة الرافضية العبيدية الإسماعيلية، فهي أعلنت ذلك صراحة، أو أنست به، واستكثرت، ولا زالت ــ بدعوى عدم مخالفتهم لجمهور المسلمين ــ تستأنس ببقايا وآثار العبيديين اليوم، حيث لا زال بعض الصوفية وجهلة المسلمين يحييون عاشوراء في القاهرة، عند رأس الحسين، ويصنعون الحلوى والأطعمة، ومع أن هذا عند الإمامية الاثني عشرية يعد نصباً إلا أننا نجدهم يتغاضون عنه على استحياء، لأنه من صنيع

---

(١) أبو داود، ح/ ٣١٣٢، والترمذي، ح/ ٩٩٨، وابن ماجه، ح/ ١٦١٠، ومستدرك الحاكم، ح/١٣٧٧، والحديث حسنه الترمذي، وصحح إسناده الذهبي، وحسنه الألباني، انظر: أحكام الجنائز، ص١٦٧، محمد ناصر الدين الألباني، ت / ١٤٢٠هـ، ط٤، ١٤٠٦هـ، المكتب الاسلامي. بيروت.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الطوسي، ١/ ١٨٢، ووسائل الشيعة، ٣/ ٢٣٧، وانظر: تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي، ٢/ ١٢٨، والحدائق الناضرة، البحراني، ٤/ ١٦١.

أسلافهم، ولأن حالهم ليست ببعيد عن هذه الحال اليوم؛ وبهذا نعرف أن عاشوراء تتضخم عند الإمامية، لا بمصيبة الحسين وحدها، بل لما يتوافق معها من مصائب، وموالد، في شهر محرم، بل أصبح عاشوراء هو متنفس الطائفة من خلال أوضاع بلدانهم ومجتمعاتهم، المفرحة والمحزنة، ولذا اجتمع فيها عدد من التناقضات.

الحسينيات (الحسينية):

معناه: امتداد لمجالس العزاء، والبكاء على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتعرف في ذلك الوقت الذي نشأت فيه بتكية الحسين، لقيامها على مأتم الحسين في عاشوراء، ولتطور فكرة المأتم، ودخول ما يعرف بمسرح التعزية والتشابيه أصبحت الأماكن التقليدية غير كافية لاستيعاب هذه الأعمال الجديدة، مما دعا أن تتخذ مواقع أكبر، تبنى مخصصة لهذا العمل[(١)]، وسميت بالحسينية نسبة إلى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأن مصيبته أعظم المصائب، ومأتمه أكبر المآتم وأساسها، كما يجري فيها العزاء بمصائب غيره من الأئمة وبقية الشيعة، وقد تسمى بأسماء مختلفة بحسب البلدان، منها اسم النوادي الحسينية، كما في جبل عامل[(٢)]، ولقيامها على الحزن فقد يسميها البعض من أهل السنة بالحزنوية نسبة إلى الحزن[(٣)].

الحسينية بمفهومها الحالي مكان وحوزة للبكاء والنوح الجماعي، وهي ــ في الغالب ــ عبارة عن دار ذات فناء وصحن، أو مجلس كبير، يقام فيه منبر للخطابة، ويأوي إليها الغريب، ويقام فيها عزاء الحسين في عاشوراء، كما يقام فيها تشابيه كربلاء ومقتل الحسين وأنصاره، وقد تخصص في كل أسبوع في ليلة مخصوصة، كليلة الجمعة لإحياء هذه البناية، وإقامة التعازي مطلقًا، سواء أكانت للأئمة، أو غيرهم، وأيضًا تقام فيها احتفالات موالد الأئمة، وحفلات

---

(١) انظر: تاريخ المسرح في إيران من البداية إلى اليوم، ص٢٢١، فاطمة برجكاني، ط ١، ٢٠٠٨م، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي. بيروت، والكتاب تريبه (٧) ضمن سلسلة الفكر الإيراني المعاصر.

(٢) انظر: عاشوراء في الأدب العاملي، ص٧٣، ٢٥٥، عاشوراء في الأدب العاملي، حسن نور الدين، ط ١٤٠٨هـ، الدار الإسلامية – بيروت، ولعل هذا الاسم اشتهر آخر القرن الماضي.

(٣) سمعته من أحد الأخوة السنة من الأحساء، ولعل التسمية متأخرة، وجاءت على سبيل إلزامهم بالنسبة الواقعية، مع إنكار دعواهم في الانتساب إلى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الزواج وعقود النكاح، والندوات والمحاضرات وغيرها من الاجتماعات؛ فالحسينية تضم جوانب يتضح من خلالها حقيته، من حيث الواقع والنشأة، منها ما يلي:

١- المسرح الديني في عاشوراء، والمتمثل في تمثيل واقعة عاشوراء، والمعروف بمسرح التعزية.

٢- المآتم والمناسبات والأنشطة المذهبية والاجتماعية.

٣- الطقوس والأذكار الصوفية الطرقية المختلفة، إذ هي امتداد للتكية الصوفية التي يمارس فيها السماع والرقص، ولكنها تكية نسبت للحسين، وربما كان ذلك من آثار ظروف وملابسات الصراع حول الصوفية والتصوف، الذي في آخر عهد الدولة الصفوية.

واقعه: كثر الاهتمام ببنائها، لأنها أصبحت شعاراً ومناراً للتشيع الإمامي، وموقعاً لتنظيم وتعليم وتبليغ المذهب، وأصبح لها انتشار في الأحياء الصغيرة، والكبيرة، كالمساجد، بل إن العناية بها طغت على العناية بالمساجد[(١)]، وقد تسمى بغير العربية: نوح خان، أو روضة خان، أو إمام بارة، وذلك لتخصصها في قراءة كتب المقاتل، ومثله بناء ما يسمى بالشبيهات والمقامات، التي قد تسمى أحياناً: العباسية، أو شبيه النجف، والتي تقدم لها الهدايا والنذور[(٢)].

قد انتشرت الحسينيات في المناطق التي يوجد فيها شيعة إمامية، وتختلف حالها في الكبر والصغر والإتقان العمراني وكثرة الريع باختلاف أحوال منشئيها[(٣)]، ومن العادة أن تكون

---

(١) مما يضعف العناية بالمساجد العناية بالأضرحة والمزارات والقبور، ومثلها دور الطائفة كالحسينيات والتكايا والزوايا، وهو أمر منتشر عند الإمامية والصوفية وغيرهم.

(٢) الانتصار للعاملي: ٩/ ١٨٥، الانتصار (أرشيف مناظرات بين الشيعة والسنة على شبكة الانترنت)، العاملي، ط١، ١٤٢٢هـ دار السيرة – بيروت؛ وذكر في الكتاب أن النياحة في إذا كانت في ناحية من المسجد، فقد تسمى: (عزاء حسيني).

(٣) انظر: رافضة المدينة النخاولة، ص٣٢، أبو عبد الله الأثري، ملف وورد، موقع صيد الفوائد، على الرابط التالي:

http://www.saaid.net/book/open.php?cat=89&book=750

=

الحسينية تحت رعاية أحد أعيان الشيعة وأثريائها، تنسب إليه باسمه، بينما في الفترة المتأخرة ظهر نمط جديد في رعاية الحسينيات، فدخلت تحت النظام المؤسسي- الجماعي الحديث، فيوضع لها مجلس إدارة، ولجان تنفيذية، وبرامج ثقافية وإعلامية، ومجلات ومواقع على شبكة الإنترنت[1]، وقد تتقاسم هذه الحسينيات مجموعة من الأحزاب والتيارات الدينية والسياسية والاجتماعية، مما جعلها منتدىً ومكاناً للتفاعل الاجتماعي والسياسي، وليست مخصصة للجانب الشعائري العبادي.

لعل ما سبق كان تفاعلاً مع دعوات شيعية، طالبت بأن يكون الإشراف على مرافق المجتمع الدينية والاجتماعية وغيرها وفق النظام الحزبي الديمقراطي الحديث، الذي يحتوي على مجالس إدارة منتخبة، حتى طالت هذه الدعوات مكاتب المرجعية، بل حتى المرجعية نفسها، والتي كانت تتولى مصالح الشيعة في كثير من جوانبها، حتى أصبح مألوفاً الحديث عن صفات المرجع وشروطه، وفقهه، ليمهد للعامة أن يشاركوا في تعيين المرجعية، بعد أن كان هذا محصوراً في دوائر ضيقة، وغالباً مقتصراً على مشايخ الحوزات الكبرى في النجف وقم، ومما يضاف إلى هذا بروز تخصيص أو مشاركة للمرأة في الحسينيات، وقد تخصص بعض المجتمعات حسينيات خاصة للنساء، تحت اسم مؤسسات نسوية حزبية، وتحت منظمات حقوق الإنسان، والمنظمات الديمقراطية[2]؛ وهذا مما يعنى أن مشاركة المرأة في المآتم نالت

=

وانظر: كتاب مآتم البحرين، (دراسة وثائقية)، عبد الله السيف، ط١٩٩٥م، البحرين، وقد نبه المؤلف إلى أن كلمة "مأتم" في اللغة تعنى مجتمع الناس، سواء كان هذا المجتمع في حزن أو في فرح، وأن أهالي البحرين يطلقون على الحسينية مأتماً، وأن هذا خطأ، فاسمها الصحيح حسينية، كما يرى، وحول الكتاب انظر: جريدة الوسط البحرينية، عدد: ٥٤٥، ٤/٣/ ٢٠٠٤م، مقال: (كتاب «المآتم في البحرين» إطلالة على الظاهرة الحسينية في البحرين)على الرابط التالي:

http://www.alwasatnews.com/545/news/read/377817/1.html

(١) للشيعة في البحرين عناية واضحة في تطوير الحسينيات والاهتمام بها، انظر: مجلة صوت الحسين الإلكترونية، مقال: (تاريخ المآتم في البحرين.. من البيوت والمزارع إلى المؤسسات)، مجلة تصدر عن مأتم سار – البحرين.

(٢) النشاط النسوي المؤسسي من خلال المآتم ملت لأنظار الجمعيات الدولية لتحرير المرأة، وقد جاءت الإشادة بدور المرأة البحرينية من خلال هذه المؤسسات في تقرير المنتدى الديمقراطي الأول للمرأة العربية: (التمكين =

أبعاداً غير مذهبية.

من الأعمال التي تجسد ما سبق أن الحسينيات أصبحت نقطة لاجتماع وانطلاق المواكب الدينية والاجتماعية والسياسية في عاشوراء وغيرها، والتي غالباً تخرج بهذه الصورة لإبراز الوجود الاجتماعي للطائفة والمذهب، كما أن بعض الجمعيات الاجتماعية تقوم من خلال العمل الاجتماعي والإغاثي بإنشاء حسينيات في الأرياف والقرى، ولا يتضح عملها إلا بعد حين، فتظهر كمراكز دعوة إلى التشيع، ولرصد البيئات المستهدفة من جميع الجوانب، تحت أغراض سلمية، وهي بهذا تذكر بالقلاع والحصون العسكرية التي بناها الصليبيون لرصد المسلمين[1]؛ فأعطت هذه الحسينيات الطائفة انتماءً دينياً إلى الحسينيات أكثر منه إلى المساجد، فبذلك نالت الحسينيات أكثر مما نالته المساجد من المكانة والرعاية.

نشأته: لم أقف على من نص على تاريخ نشأة الحسينيات، ومع قراءتي عدداً من الكتب التي تكلمت عن المآتم فلم أجد عند الإمامية دراسة وافية عن هذا الجانب، وهو أمر يدعو للغرابة والتأمل، هذا مع مكانتها وأهميتها وقرب نشأتها، وهل كان ذلك الإهمال عمداً، أو من غير قصد؟ وغاية من كتب عنها أن يذكر نشأة بعض المآتم "الحسينيات" في حدود بلد ما، كالبحرين، أو الكويت مثلاً، هذا مع ما للحسينيات من مكانة وصلت إليها، حتى أصبحت شعاراً أبرز من المساجد عند الإمامية، حتى غدت كأنها معابد خاصة للحزن.

الحسينية في أصلها معبد حزنوي، ولكن لا يعني هذا أن يتوقف الغرض منها على الحزن، فترى أن الطائفة تتبرك بهذه النسبة، وأنه علامة على حب الحسين وعشقه وولايتهم له بزعمهم، إضافة إلى قدسية الحزن، وما يحققه لها من مصالح جوهرية!، ومن المعروف أن هذه

=

السياسي للنساء خطوة ضرورية نحو الإصلاح السياسي في الوطن العربي)، ص١٧٤، ط١، ٢٠٠٥م، منتدى الشقائق العربي لحقوق الإنسان – صنعاء؛ والتقرير مكون من ٢٢٢ صفحة، ورقة: التمكين السياسي للمرأة في البحرين، د. سبيكة محمد النجار، ممثلة الجمعية البحرينية لحقوق الإنسان، ص١٥٥ – ١٨٠، والمنتدى عقد بتاريخ: ١١/ ديسمبر/ ٢٠٠٤م، في فندق شيراتون بصنعاء، وأقامه منتدى الشقائق العربي لحقوق الإنسان.

(١) سبق الحديث عنها ص٤٣٧ من البحث، عند الحديث عن بيت الأحزان.

الدعوى تشارك وتنازع فيها فرق كثيرة، تنوعت فيما اتخذته شعاراً لمحبة آل البيت، حتى يصل الحال أن يكفر بعضها بعضاً، مع أن الدعوى واحدة، وهي محبة آل البيت صلوات ربي وسلامه عليهم.

ما أذكره حول الحسينيات هنا اجتهدت في جمعه وعرضه، من خلال الربط الذي ظهر لي حول نشأة الحسينيات، وذلك في النقاط التالية:

١- أن أصل الحسينية مرتبط بالنياحة والحزن، التي أخذت تزداد من طور إلى طور، إلى أن وصلت إلى الاحتفال بالنياحة في موقع خاص، وقد برز هذا في الطور الرابع، فيما يعرف بخيمة العزاء، في عهد الدولة القاجارية (عهد الشاه ناصر الدين)، وكانت حينها تضم ميداناً لتمثيل المقتل، كهيئة الاستعراض بين يدي الشاه، فتبنى معها المسارح، إلى أن توسع الأمر فخصص للتشابيه ميادين ومواقع أخرى[١].

٢- من أسباب بروز الحسينيات شدة التصارع المذهبي في الزمن التي ظهرت فيه، وتبادل أطراف الصراع القرب من بلاط الشاه، واستعداء الخصم من خلاله، خاصة وأنه سبقه ـــ في آخر الدولة الصفوية ـــ صراع من هذا النوع حول التصوف والصوفية، وطقوسهم وتكاياهم، والذي تبنته الإخبارية ممثلة بشيخ الدولة المجلسي؛ فكأن الحسينيات امتداد أو تماهي وردة فعل لأمرين ظهرا في ذلك الوقت: خيمة العزاء ومسرحها، والتي سبق ذكرها، والتي عارضها بعض الفقهاء، وتكايا الصوفية التي حاربتها الطائفة الإخبارية بشكل أبرز[٢]، فاحتضنت هذه التكايا مجلس العزاء بصورته الجديدة، وكأن ذلك احتماءٌ من الضغوط التي مارستها الدولة الصفوية، ثم القاجارية على التصوف من جهة، وعلى مسرح التعزية من جهة أخرى.

٣- مما يؤكد جو الصراع المذهبي الذي نشأت فيه الحسينيات هو تجدد هذا الصراع حول

---

(١) راجع ص٤٠٤ من البحث.

(٢) لمزيد من عرض الصراع بين الأصولية والإخبارية في الشعائر والمشاهد انظر ص٥٩٠- ٥٩٨ من البحث.

التصوف والغلو في الفترة القريبة، من خلال الخلاف حول بعض الشعائر الحسينية، ومنظومة الأحزان الفاطمية، وإن كان هذا الصراع لم يبرز بشكل ظاهر، بسبب طغيان المرجعية الأصولية العرفانية، ومن آخر صور الصراع ما كتبه أحد المراجع المعاصرين من إنكارٍ للطقوس الصوفية، التي تمارس في الحسينيات في المواسم، كالرقص والسماع والغناء، وسمى القائمين على هذه المنكرات بلصوص المعبد، فأصبحت الحسينية ــ عنده ــ هي المعبد الحسيني، جاء هذا في فتوى كتبها المرجع اللبناني محمد جميل جواد العاملي، يوم الثلاثاء، بتاريخ ١٤/٨/١٤٣١هـ، كما هو منشور على موقعه في شبكة الإنترنت، ولعلها لم تدرج في الموقع إلا في نهاية عام ١٤٣٢هـ، وبقيت الفتوى حتى محرم من عام ١٤٣٣هـ، ولكنها حذفت سريعاً، ولم تبق إلا عدة أيام، وكنت اطلعت عليها قبل حذفها، ثم وجدتها منشورة في إحدى المنتديات السنية التي ترصد الرافضة الإمامية، وترد عليهم[(١)].

٤- تشبه الحسينيات مباني أخرى تؤدي نفس الدور، أو قريبًا منه، كالشبيهات والمقامات، مثل شبيه النجف، والعباسيات، أو مقام القاسم[(٢)]، والتي تخصص لاستقبال الهدايا والقرابين، والتبرك بها.

٥- تزعم الإمامية كذباً أن الأئمة قاموا بإحياء مجالس العزاء، واستقبال المعزين، بل قد تتوسع عبارات بعض رموز الشيعة المعاصرين بما يوحي أن الأئمة هم من أنشأ الحسينيات، ولكن ليس مرادهم بها الحسينيات المعروفة اليوم، فقطعاً ليست

---

(١) انظر: منتديات السرداب الإسلامية، مقال: (حقائق من عالم شيعي كبير لأول مرة)، وهو على الرابط التالي: http://alsrdaab.com/vb/showthread.php?t=53454.

(٢) العباسية: مرتبطة بقصة كف العباس أخي الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي قطعت كفه في حادثة كربلاء، وهذه القصة تتعاطف معها الأسماع الشيعية، حتى خصتها بمقامات، وبكفوف تصنع ويتبرك بها، وتصبح كالألوية يطاف بها أثناء المواكب، بعدما تمتلئ من النذور وقلائد الزهور والحلي، التي منحت تكريماً للعباس وفدائيته، ومثله القاسم: العريس، الذي يخصص له من الشيعة احتفالاً من خلال الأيام التي تسبق يوم عاشوراء، ويتخذ له مقامات يفد إليها الناس مهدين ومهنئين ومتبركين، وتستجلب هذه القصة مشاعر الحب والعشق، وانظر مبحث التذكار والتشابيه، ص٩٠٠ من البحث.

موجودة في زمن الأئمة، وإنما المراد دعوى الجلسة والاجتماع المزعومة، وهي ما لم يقم عليها دليل مقبول أصلاً؛ وإن كان منطق الشيعة ــ بعد أن أصبحت من ضروريات مذهبهم وأعلامه ــ أنها لو كانت في عهد الأئمة لأقروها، بل لأمروا بها، لأن اللطف والضرورة يقتضيان ذلك.

٦- قد يستحسن البعض أن تكون فكرة الحسينيات جاءت من التورع من إقامة العزاء في المساجد، لتوسع الشيعة في مفهوم العزاء مما لا يتناسب معه البقاء في المسجد، كوجود جنب !، أو حائض، حيث لم يكن من شروط الحضور إليها الطهارة، لأنها عزاء، وهذا مما يؤكد أنها لم ترتبط بمفهوم العبادة أو الشعائر العبادية في أصل نشأتها، وإنما هو توسع بدعوى المحبة لآل البيت، يقول محمد حسين فضل الله: (لا يبعد أن تأسيس الحسينيات انطلق من فكرة احترام المسجد، لأن الناس قد يحتاجون إلى الاستماع لعزاء الحسين عليه السلام، أو للمواعظ والإرشادات، وفيهم الجنب، وفيهم الحائض، ومن جهة عدم جواز تنجيس المسجد، فلربما جعلت الحسينيات إلى جانب المساجد، لا لتكون بديلة عنها، فهذا ما لم يفكر فيه أحد، ولكن من أجل حماية المساجد، وإفساح المجال للاستماع للموعظة والذكرى الحسينية، حتى يحضرها كل الناس، حتى لو أدى ذلك إلى تنجيسها، أو ما إلى ذلك، ولا نعرف متى بدأ إنشاء الحسينيات)[1].

٧- من الأسباب التي لم تذكر في سبب نشوء وانفصال الحسينيات عن المساجد إضافة إلى حضور الحائض والجنب؛ أن ذلك كان بسبب حضور النصارى الغربيين، من

---

(١) الندوة (سلسلة حوارات)، ٤/ ٤٧٨- ٤٧٩، ٥/ ٥٠٩، محمد حسين فضل الله، ت. عادل قاضي، ط١، ١٩٩٧- ٢٠٠٨م، دار الملاك – بيروت؛ وقد يفهم من بعض كلام فضل الله السابق أن الحسينية التي بجانب المسجد بناية مستقلة، وهذا غير مسلم، إلا أن يريد به اجتماع لقراءة المقتل بجانب المسجد، وهذا لا اعتبار له، وهذا ما يؤكد أن بعض الشيعة يطلقون على الحسينية المأتم، وهو ما قد يسبب لبساً عند التعبير عن أحدهما بالآخر، وقد سبق ذكر رأي مؤلف كتاب المآتم في البحرين: عبد الله السيف، ويظهر أن تسمية المجلس، أو جلسة العزاء حسينية سابقاً انسحب مباشرة على الموضع الجديد.

ممثلي البعثات والسفارات الأجنبية[1]، أو من يشاركون عادة في الأعمال المسرحية من اليهود والغجر وغيرهم، القادمين إلى المدن الإيرانية من القوقاز وغيرها، ممن يشاركون الإيرانيين في الجانب المسرحي، الذي من أبرز جوانبه مسرح التعزية، الذي قد يتضمن ــ أيضاً ــ الفرق الموسيقية، ومجموعات الرقص، ومسرح التعزية بحالته المذكورة كان له رواج زمن الدولة القاجارية، كما تفيده تقارير عدد من الأوربيين[2].

مستنده: أنه من مصاديق الإحياء لأمر الأئمة: (رحم الله من أحيا أمرنا)[3]، وتجسيد لخصوصية المذهب في إحياء أمرهم، وامتداد لإحيائهم للمآتم، وجلوسهم للعزاء، وأنه قربان بين يدي الأئمة، ومما رووا عن الصادق ــ رضي الله عنهما ــ: (الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا، ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم يهددونهم ويقبحون ما يصنعون)[4]، وقد سبق أن هناك من يعد هذا القول المنسوب إلى الصادق دليلاً على المشروعية، وخاصة مشروعية تنظيم أعمال المآتم ومثلها الحسينيات[5].

كما أن هذا المظهر داخل ضمن مستندات الحزن وأدلته، وهو تشبه بنبي الله يعقوب عليه السلام، وبفاطمة رضي الله عنها حين بنت لها بيتاً؛ لكنه متعلق هنا بالحزن على الحسين رضي الله عنه، وكل ما أضيف عندهم إلى الأئمة فله حق التعظيم والتقديس، حتى تصبح الحسينية مقاماً مستقلاً، كأحد المشاهد والمزارات، حيث اكتسبت هذه الهالة من باب الإضافة والاعتبار، أو من طريق الرؤيا، كما في أضرحة الرؤيا[6]، فما أضيف منها إلى الأئمة فهو مثلهم.

نقده: يتضح من خلال عدد من النقاط، منها ما يلي:

---

(١) ابتداء حضورهم هذه الطقوس والشعائر كان في الدولة الصفوية؛ راجع ص٣٨٨ من البحث.

(٢) انظر: تاريخ المسرح في إيران، ص ٢٢١، ويتكرر في مواضع متفرقة من الكتاب، وخاصة الفصل الثاني منه.

(٣) بحار الأنوار، ٧١/ ٢٢٣.

(٤) سبق ص٣٤٧ من البحث.

(٥) المرجع السابق.

(٦) سبقت الإشارة إليها ص٤٤٢ من البحث.

١ - انفراد واختصاص الإمامية الاثنا عشرية بهذا المظهر عن غيرهم من طوائف الشيعة والباطنية، كالإسماعيلية: البهرة والأغاخانية، والنصيرية، مع أن هذا لا يعني أنهم سبقوا طوائف الشيعة في الأبنية المضاهية للمساجد، مع أن هناك من ذكر أن الأغاخانية لهم حسينية في كربلاء، يحييونها ويزورنها عند زيارتهم للعتبات الشيعية، كما أن الإسماعيلية أو غيرها عندها ما يعرف ببيت الجماعة[1]، أو (جماعت خانة)[2]، أو الخلوات[3]، وهي مكان للعبادة، أوللاجتماع، وهو أقدم من الحسينيات.

فرح الإمامية بهذا الاختصاص والتفرد لا يخلو من كون مذهبهم مباءة للغلو، وهو مظهر قائم على إفراطهم في باب الجزع والحزن، فجاءت هذه البنايات بدعوى إظهار ذكرى مظالم آل البيت والانشغال بها، قد يعد شماتة واستسلامًا وذلة، كما أنه من جنس عنايتهم ببيت الأحزان الذي نسبوه إلى يعقوب عليه السلام، أو إلى فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[4]، وحالهم في العناية بالحزن

---

(١) ممن ذكره ونسبه إلى المبتدعة من غير أن يبين نوع بدعتهم ابن عساكر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، في القرن السادس، فيما ينقله عن أحد شيوخه، عن زين القراء جمال الحرم أبا الفتح عامر بن بحام بن أبي عامر الساوي، وبقية النقل يوحي بأن هؤلاء المبتدعة من الرافضة، وذلك عام ٥٤٥هـ، إلا أنه ذكر عملاً من أعمالهم، وهو أنهم يسجدون على لوح يطرحونه في موضع سجودهم، ويعظمونه ويحفظونه في جيوبهم، وكان ذلك بجوار الكعبة الشريفة، عند (باب بيت الجماعة للرباط الرامشتي عِنْد بَاب العزورة)، وممن لهم حرص إلى اليوم بتملك الأربطة حول الحرم طائفة البهرة، فلهم رباط مشهور شرق مستشفى أجياد، وقد أزيل للتوسعة، وانظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ص٢٩٧، ابن عساكر، ت/ ٥٧١هـ، ط٣، ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، وعنه نقل السبكي في طبقات الشافعية (الكبرى)، ٦/ ٢٢٨، السبكي، ت/ ٧٧١هـ، ت. د. محمود الطناحي، د. عبد الفتاح الحلو، ط٢، ١٤١٣هـ، دار هجر - مصر؛ وعنه -أيضاً- نقل اليافعي، ولكنه قال عن الرباط: (للرباط الراسي عند باب المروة مفتوحاً، قلت: يعني في جهة الباب المسمى في الحديث الحزور)، انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ٣/ ١٤٢، عبد الله بن أسعد اليافعي، ت/٧٦٨هـ، ت. خليل المنصور، ط١، ١٤١٧ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) هذا الاسم عند الإسماعيلية الأغاخانية الباكستان، ولعله بلغة الأردو، انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ٢/ ٣٩٢، ٣/ ٧٨، ت. أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

(٣) هذا الاسم عند الدروز، انظر: الموسوعة الميسرة (في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة)، ١/ ٣٩٩.

(٤) سبق الحديث عن بيت الأحزان، ص٤٣٦- ٤٥٠ من البحث.

والقعود جاء في مقابل من أظهروا الانشغال بإقامة الدول المنسوبة إلى آل البيت، وهؤلاء يعد عملهم انتصاراً وعزةً، وهذا ظاهر لمن ينفر من الأخذ بالتقية والتوسع فيها، لأنها استسلام وضعف، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

٢- أن أعلام الطائفة بينوا كذب ما ينسب للأئمة من الجلوس للعزاء والنوح، بل إنه إضافة لمخالفة هذا المظهر للأحاديث الواردة فإن شيخ الطائفة الطوسي، والمحقق الحلي جزما بكراهية هذه الأعمال، وحكيا الإجماع على كراهته وخلافه، وعدم نقله عن الأئمة، ووافقهما العلامة المجلسي، وأكد دلالة الأخبار والمرويات على عدم المشروعية؛ كل ذلك لا يمكن معه تصور وجود نقل عن الأئمة بجوازه وإباحته، فكيف بمشروعيته واستحبابه، فكيف بدعوى الإجماع الموهوم(١)؛ وهذا الموقف من الجلوس للعزاء ينجر إلى الموقف من الحسينيات، لأنها جلوس موسع، وبهذا يعرف كذبهم فيما استندوا عليه في بناء الحسينيات.

٣- أن تكلف فضل الله تبرير سبب نشأة الحسينيات كان للتورع من تنجيس المساجد، وهذا مخالف أصلاً لعمل آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -كما سبق-، وهو عمل لم يرد في القرون الأولى، لأنه خلاف ما عليه المسلمون، ولأن الشيعة في أغلب الأزمان الماضية يعجزون عن إظهاره، ولأنه أشبه بصنيع المتصوفة وطقوسهم في تكاياهم وزواياهم، ولم يظهر إلا في قرون متأخرة.

٤- بسبب طول فترة التقية تأثرت الشيعة ببدعة التصوف التي انتشرت منذ القرون الأولى، وعليه فليس بمستغرب أن تكون الحسينيات حدثت بسبب تأثرهم بأهل التصوف الذين يتخذون التكايا والزوايا، يستقبلون فيها مريديهم، ويقيمون فيها طقوسهم من الذكر والسماع والغناء والرقص، وتشبههم بالصوفية أمر أوقعهم في حرج التشبه بمخالفيهم، فهم يعدونهم من العامة، ومع ذلك آل أمرهم إلى تقليدهم في طقوسهم وعاداتهم، وقد سبقت الإشارة إلى هذا قريباً، عند الحديث عن نشأة الحسينيات.

٥- أن الحسينيات لم ترتبط بمفهوم العبادة أو الشعائر العبادية في أصلها، وإنما توافر لها التقديس بشكل تراكمي من خلال الزمن، وهكذا البدعة تبدأ صغيرة، حتى تتعاظم وتتعلق

---

(١) سبق الحديث عن هذا الجانب بشكل مفصل ص٣٣٩- ٣٤٥ من البحث.

بها النفوس، فيعجب بها صاحبها، حتى ينسيه ذلك كثيراً من شرع ربه، هذا إضافة إلى أن واقعها يوحي بأنها ليست للحزن، وإنما للعمل الذي يخص مصالح المجتمع الشيعي، وخاصة السياسي، ولكن لبست باسم الشعائر لتعطيها هيبة ودعاية، وقد وافقت البدعة عند الإمامية مشقة وكلفة حتى أصبحت شعاراً لهم لا يتوقع أن ينفكوا عنه، ودليلاً وحيداً عندهم على الإيمان بالله ورسوله ومحبة آل بيته ﷺ؛ فإن حال جهالهم إن أحسنا الظن بهم فهو يذكر بما كان عليه النصارى من الرهبانية التي ذمهم الله عليها، حيث عبدوا الله بجهل، فقال الله سبحانه: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾(١).

مجالس العزاء الالكترونية:

معناه: توفير مجالس ومنتديات ثقافية دائمة، وذلك من خلال أرشيف مكتوب، ومسجل، ومرئي، في أقسام خاصة بعاشوراء ومآتم الأئمة، من خلال مواقع ومنتديات المراجع الفقهية، أو الحوزات العلمية، أو الجمعيات والحسينيات، على شبكة الانترنت، أو من خلال برامج التواصل الاجتماعي الحديثة، وتحظى المآتم أحياناً بتخصيص مواقع وميادين كاملة بعاشوراء، وباسم كربلاء، أو باسم موكب أو حسينية، أو باسم شعيرة، كالتطبير، واللطم، والرواديد، أو شخصية كربلائية، كالعباس، والقاسم، والطفل الرضيع، وغيرهم من آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو ممن شاركهم.

نشأته: نشأت مجالس العزاء الإلكترونية في الطور الرابع، خلال الفترة القريبة، وازداد مع عصر الإنترنت والإعلام الفضائي، ومن خلال القنوات الشيعية المشهورة، ووسائل الاتصال والتواصل الحديثة، وبرامجها.

استقبال التعزية:

معناه: الجلوس من قبل أعيان الطائفة وعلماء المذهب في مكان مخصص، كعادة المآتم،

---

(١) الحديد: ٢٧.

لاستقبال من يحضر من الأفراد والوفود لتقديم العزاء في مصيبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عاشوراء، فيعزي الشيعي من يلقاه، وكأن الميت أخوه أوقريبه، والأصل في العزاء أن يقدم واراث الدم والمصيبة، وهو في ذلك الحين ـ على ما تصوره الإمامية ـ عزاء لعلي بن الحسين[1] ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ في فقد أبيه وأهله، ثم ورثت الإمامية العزاء إلى من بعده إلى أن ورثته إلى الإمام الغائب، الذي تزعم الشيعة أنه يحضر. معهم في مجالس العزاء، بهيئة غير معروفة، لكن ـ في الظاهر ـ يقوم أعيان المذهب ـ خاصة السادة ـ نيابة عنه باستقبال العزاء، ومعهم المقدم من جمهور المجتمع الشيعي، أو من غيرهم ممن قد يشاركهم في مجامعهم ومحافلهم، وهو نوع من النيابة وولاية الفقيه؛ هذا إضافة إلى تقديم العزاء للمهدي في الأدعية والخطب، ولكن بطرق مختلفة، تأتي الإشارة إليها بعد هذه الفقرة.

نشأته: تزعم الإمامية أن استقبال العزاء ظهر في الطور الأول: طور الأئمة، وأنه من أقدم الشعائر، وزعموا أن توسيع مدة العزاء بدأها الكاظم، أو وكلاؤه بعد سجنه، أو من خلال تعزية الشيعة بعضهم لبعض، ويظهر أن هذا من مبالغات الإمامية، فإذا كانت تزعم أن الأئمة لم يكونوا يقدرون على ذلك بسبب التَّقِيَّة، فكيف بغيرهم، وقد سبق قريباً أن المحقق الحلي في القرن السابع الهجري ذكر أن هذا العمل لم يكن في عهد الأئمة، وهذا يلمح أن هذا العمل ظهر في الفترة ما بين القرنين الخامس والسابع، ولعل ما يوجد بين الصوفية والإمامية من ترابط في تلك الفترة المتقدمة يرشح أن هذا العمل لم يظهر إلا في القرن السابع وما بعده، ثم تحول في الطور الثالث إلى استقبال رسمي في مواقع مخصصة[2]، قد يصحبه احتفاء خاص، يشبه ما يحصل في المولد النبوي، وذلك بحضور المهدي، أو أحد الأئمة، أو فاطمة،

---

(١) يذكر بعض الكتاب أن العزاء يقام مواساة لإمام الشيعة الأول، علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر تاريخ المسرح في إيران، ص ١٨٩، وذكرت المؤلفة غلو الشيعة في علي من خلال هذا العزاء، كما أنه لا يخفى ما يستحضره عوام الشيعة من عزاء لبقية آل البيت. عندهم. الغائب المنتظر، تسلية له، وطمعاً في لقياه.

(٢) انظر: جدل ومواقف، ص٢٩ـ ٣٢، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري)، وراجع ص٣٨٤- ٤٠٣ من البحث.

ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن بنيها ـ في مجالس التعزية، أو عند زيارة قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وقته: في يوم عاشوراء وما قبله من أيام محرم، وفي ذكرى الأربعين، في العشرين من صفر، ويستمر تبادل التعازي واستقبالها طوال المحرم وصفر، وبقية العام، وذلك من خلال مواسم الأئمة، أو مآتم أبناء الطائفة وأعيان المذهب.

التعزية:

معناه: أن يقوم الفرد بتعزية بقية أفراد الشيعة بمصيبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كربلاء، وهو نوع من استقبال التعزية، وقد يبدأ الخطيب والواعظ والمؤلف ونحوهم حديثه بالتعزية، ويختم بها، ويشارك التعزية عادة الدعاء والمطالبة بالثأر، ومن صيغ التعزية المستحبة المشهورة ـ عندهم ـ كما في مصباح التهجد، عن الباقر: (قلت: فكيف يعزي بعضنا بعضا؟ قال: تقولون: أعظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره، مع وليه الإمام المهدي من آل محمد عليهم السلام)[2].

نشأته: لم أعرف متى اشتهرت هذه التعزية، ولعلها كانت عند زيارة الأضرحة، ثم نقلت إلى المآتم فروعي فيها الحاضرون الأحياء، وهذا ما يؤيد أن التعزية وتوابعها نشأت بعد فتنة القبور، التي لم تستفحل إلا بعد القرن الرابع، والله أعلم.

واقعه: يجري في أي مكان يلتقي فيه شيعيان، وقد يخصص مكان لتقديم العزاء واستقباله، تعرف بمجالس العزاء، أو التحاريم، وتطورت إلى الحسينيات، وقد تسمى بعض المظاهر بعزاء معين، كعزاء الزناجيل، للعزاء الذي يصحبه ضرب الزناجيل، وعزاء الغرباء الذي يقام في ليلة الغربة: ليلة الثاني عشر من شهر محرم[3]، وعزاء خاص بطائفة أو عشيرة،

---

(١) الحضرة: من المسالك المشتركة بين الصوفية والإمامية، انظر ص٧٥٣ من البحث.

(٢) مصباح المتهجد، ص٧٧٣، الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، ط١، ١٤١١هـ، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت، وعنه: وسائل الشيعة، ١٤/ ٥٠٩، وقبلها ابن قولويه في كامل الزيارات، ص٣٢٦، وعنه: بحار الأنوار، ٩٨/ ٢٩٠، ومستدرك الوسائل، ١٠/ ٣١٥، وفي بعض الكتب ينقل بلفظ: (عظم)، و (أجورنا وأجوركم)، وانظر حول الزيارة وطقوسها، ص٥٩٩ من البحث.

(٣) عزاء الزناجيل يسمى نسبة إلى فكرته، وهي الضرب بالزناجيل على الظهور، والحديث عن الزناجيل مستقلاً =

كعزاء طويرج، الخاص بقبيلة بني أسد، القريبة من كربلاء.

تعزية الأئمة:

معناه: تقديم التعزية لأئمة آل البيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وللمهدي المنتظر، من خلال الأدعية والزيارات التي تتلى في مثل هذه المواسم، وفي غيرها، وتتضمن عبارات التعزية والتسلية للأئمة، ولعن أعدائهم، والبراءة منهم ومن عهودهم، وقطع العهد على النفس باللحوق بالقائم إذا ظهر.

واقعه: يحظى المهدي ـ على الخصوص ـ بحس متجدد لدى العوام، حتى إنهم يتلهفون لإمكانية اللقاء به، وتقديم العزاء إليه مباشرة، وبما أن عقيدة حياة المهدي ووجوده مستقرة عند الإمامية، وأن اللقاء به ممكن، بل هو أمر مستفيض عندهم، ومظنته في عاشوراء عندهم أن يواسي شيعته في أمورهم العظيمة، ومنها مصيبة عاشوراء حين قتل جده الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لذا فإن تعزية المهدي تعد شعيرة ظاهرة في عاشوراء، وأعظم مراتبها ما يؤدى العزاء فيها مباشرة، لكن من يظفر بها!.

يلحظ مما سبق أنه يتعلق بهذه التعزية ــ المباشرة وغير المباشرة ــ أمر مهم، وهو الطلب بالثأر، مما يدل على وجود العدو والخصم، وهو يحتمل وجود أمرين: إما وجود ظاهر كوجود أعداء للشيعية المعزين، أو وجود رمزي غيبي منتظر لأعدائهم الذين سيرجعون مع رجعة المهدي، وكلاهما تحتمله وتتضمنه نصوص التراث الشيعي، فالثأر يتوسع عندهم ليشمل ذرية قتلة الحسين، وهم –بدعواهم– أهل السنة، الذين يسمونهم النواصب.

نقده: إن التعزية بجميع صورها السابقة ترد ضمن بدع المآتم والنياحة، إضافة إلى تكرارها الذي ضخم أضرارها، ورسخ روح الكراهة والعداء لمن يمكن أن تلحقهم تهمة قتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتعبر الشيعة عن أهل السنة ببني أمية، وهذا مما يجسد القطيعة والطائفية،

=

يأتي بإذن الله ص٥٧٦ من البحث، وأما عزاء الغرباء فيسمى بالفارسية: "شامة غريبان"، وهو عزاء مكرر، لكنه قد يشتمل على بعض الأعمال المناسبة للسبايا، ومنها أعمال استعراضية لا تفعل في صبيحة عاشوراء، انظر: موقع هيئة علماء بيروت (شيعية)، مقال (متى نشأت المجالس والمآتم)، ص٢٠، محمد زيدان.

ويجسد ـ أيضاً ـ مفهوم الثأر، وأن المهدي إذا ظهر فلن يسلك إلا طريق الثأر، الذي هو طريق الحسين، كما زعموا، ويمتنع عليه أن يسعى في طريق الصلح، كما فعل آل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، وهم بهذا ينسبون لهم رسالة العداء والكراهية للبشر، مع أن نهجهم ونهج سيدهم وسيدنا محمد ﷺ هو الرحمة والشفقة على أمته.

قراءة المقتل:

معناه: يقوم أحد أفراد المأتم بقراءة كتب تروي مقتل الحسين في كربلاء، على مسمع من الحضور الذين قدموا لاستذكار المصيبة من جديد، ويعرف من يقوم بالقراءة بقارئ المقتل، وهي مهمة شبيهة بمهمة الخطيب، إلا أنها ظهرت مؤخراً بمهمة أقل، حتى أن قارئ المقتل لا يصعد المنبر المخصص للخطابة، ومرت كتب المقاتل بمراحل مختلفة، وتطور هذا العمل حتى صارت له مدارس مختلفة، تتضمن السرد التاريخي، وذكر المراثي والمدائح والفضائل والمعجزات، ولأهميتها في موضوع عاشوراء فقد خصصت لها مبحثاً مستقلاً.

واقعه: هو من أبرز أعمال المأتم، وهو يحقق زبدة غايات المآتم، ويوفر العاطفة التي توصل إلى المحبة، وتحقق المنافع الدنيوية والدينية، حيث إن القراءة بطريقة مؤثرة، يتخللها وقفات للبكاء والنحيب والهتاف، لا قراءة سردية بحتة، والطبيعة التي يجري فيها التفاعل العاطفي مع القراءة أدت إلى تحول كتب المقاتل إلى كتب روايات أسطورية، لكثرة ما دخل إليها من التضخيم والمبالغة، حتى أصبحت كأنها محاكاة للحزن المعيشي للحاضرين.

نشأته: لم أجد بداية ظاهرة في عصر الأئمة لقراءة المقتل، إلا أن ظاهرة التأليف في التاريخ والمقاتل توحي بإمكان وجودها، ولو بصور فردية، إلا أنها تأتي ضمن قراءة المراثي عموماً؛ إلا أن هذه الظاهرة استقرت في الطور الثاني، أي بعد الدول الشيعية، كالقرامطة والعبيدية والبويهية(١)، وبسبب تشييدها القبور والأضرحة، وتعظيمها والغلو بها، فيكون آخر القرن الثالث مظنة لبداية تأليف كتب المقتل وتداولها، مما يهيئ لقراءتها، ولكن الصورة الموجودة

---

(١) سبق الحديث عنها ص٣٥٩- ٣٧٢ من البحث.

اليوم على هيئة مجالس لعشرة أيام محرم الأولى فالظن أنها استقرت قبيل ظهور الدولة الصفوية، ثم زاد استقرارها بعد ظهور هذه الدولة، كما في كتاب منتخب الطريحي[(١)].

وقته: يتأكد في يوم عاشوراء، ولتوفر مادة ضخمة متراكمة من الروايات التاريخية، ولمراعاة المستمعين فإنه قد يقسم القارئ قراءة المقتل على عدة أيام، كما سبق عرضه عند الحديث عن كتب المقاتل.

نقده: ما سبق من الحديث عن قراءة المقتل يذكر بارتباط هذه البدعة ببدعة أغلظ منها، وهي الزيارات البدعية عند الإمامية، في عاشوراء وغيرها، حتى غدت الزيارة والمأتم ــ وربما الموالد ــ شيئاً واحداً، لما بينها من التطابق والتكرار، مما يدل أن نصوص الزيارة أصبحت مادة للمآتم، وأن نشأة النياحة والمآتم وقراءة المقتل لم تظهر وتبرز إلا بعد انتشار الزيارات البدعية[(٢)].

ثَمَّ أمر لم يراعه الإمامية المتأخرون الذين حرصوا على إقامة المآتم عموماً، وعلى قراءة المقتل خصوصاً، وهم حريصون على استحضار الفرد الشيعي للحادثة، وتمثيل المقتل بصورة مسرحية كاملة؛ لم يراعوا أن العزاء والحزن حصل في الأيام التالية لعاشوراء، لا قبلها، كما هو حالهم اليوم، وقبله منذ قرون طويلة، وكل المآتم التي أقيمت ــ فيما يزعمون ــ لآل البيت، كلها بعد عاشوراء، لا قبلها، وهكذا مآتم غيرهم تقام بعد مصائبهم، لا قبلها، إلا أن طول الزمن خلط الحزن بالسرور، وهكذا يهدمون ما يظنون أنهم يشيدون، وزعموا أنهم حفظوا الدين بهذه البدع والمنكرات، وهكذا تتحول النياحة إلى فرح وخصوصية، وإلى شعائر للظهور والثورة، وموعد للفرج والمخلص كما سنرى في المبحث الثالث، بإذن الله.

نجد أحد أعلام الإمامية في القرن السابع يحاول أن يجد مخرجاً لهذا الملحظ، وهو ابن طاووس[(٣)]، صاحب كتاب من أشهر كتب المقاتل التي كانت تقرأ في مآتمهم، وكتابه هو:

---

(١) حول كتب المقاتل انظر ص٨٧٦ من البحث.

(٢) انظر مظاهر الزيارة، ص٦١٨، كما أن هذه الجوانب تشابه فيها الإمامية الصوفية، انظر ص٧٥٣ من البحث.

(٣) سبقت ترجمته ص٤٩ من البحث، وابن طاووس ممن تولى نقابة الأشراف من قبل التتار، بعد سقوط دولة بني العباس.

الملهوف على قتلى الطفوف، وابن طاووس الحلي هو شيخ علامتهم ابن مطهر الحلي، فيقول ابن طاووس: (ولعل قائلاً يقول: هلا كان الحزن الذي يعملونه من أول عشر المحرم قبل وقوع القتل، يعملونه بعد يوم عاشوراء، لأجل تجدد القتل، فأقول: إن أول العشر كان الحزن خوفاً مما جرت الحال عليه، فلما قتل ـ صلوات الله عليه وآله ـ دخل تحت قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]، فلما صاروا فرحين بسعادة الشهادة وجبت المشاركة لهم في السرور بعد القتل، لتظفرهم بالسعادة.

فإن قيل: فعلام تجددون قراءة المقتل والحزن كل عام؟ فأقول: لأن قراءته هو عرض قصة القتل على عدل الله ـ جل جلاله ـ، ليأخذ بثأره كما وعد من العدل، وأما تجدد الحزن كل عشر. والشهداء صاروا مسرورين، فلأنه مواساة لهم في أيام العشر، حيث كانوا فيها ممتحنين، ففي كل سنة ينبغي لأهل الوفاء أن يكونوا وقت الحزن محزونين، ووقت السرور مسرورين)[2].

قول ابن طاووس عن سبب تكرار قراءة المقتل: (لأن قراءته هو عرض قصة القتل على عدل الله ـ جل جلاله ــ، ليأخذ بثأره كما وعد من العدل)، هذا القول فيه سوء أدب مع الله، وإدلاء على الله مع العجز والخور، وسوء ظن به، تعالى الله عن قوله، وهل الله ينسى أولياءه، أو يخلف وعده، فكم قرأوا هذا المقتل، ولم يخرج من يأخذ بالثأر، وهو قول ناشئ عن عقيدتهم في العدل، وفي التحسين والتقبيح العقليين، فما توهموه بعقولهم جعلوه واجباً على أنفسهم، ثم أوجبوه على الله، ولذا الزيدية خير منهم من هذا الوجه، فلم يدلوا على الله بالقعود والعجز والخور، بل لزموا العمل، والبدع بعضها أهون من بعض، وسيأتي المزيد حول هذا ـ بإذن الله ـ في الرد عليهم في أصولهم العقلية[3].

---

(١) آل عمران: ١٦٩ – ١٧٠.

(٢) إقبال الأعمال، ٣/ ٩٠– ٩١، ابن طاووس الحلي، ت/ ٦٦٤هـ، ت. جواد القيومي الاصفهاني، ط١، ١٤١٤هـ، مكتب الإعلام الإسلامي. قم.

(٣) انظر ص٧٠٣ من البحث.

المطلب الثالث

مظاهر النعي

إذا كان قد سبق أن الإمامية جعلت من عاشوراء موسماً للحداد المتكرر سنوياً، فلا غرو أن تنسج بعد هذا أعمالاً تحيي هذا المأتم لكي يستمر، وتجعل منه موعداً للحديث عن المذهب والطائفة وإبراز رموزها بالمدح والرثاء، والإعلان عن واقعها وطموحاتها، وذلك من خلال الإعلان عن موعد الحداد والمأتم، والمصيبة التي قام عليها هذا المأتم، وترويج هذا الموسم خارج إطار الطائفة، ومن خلال دعوة الطوائف الأخرى إلى المشاركة في الاحتفال مع الشيعة، وكأن الأمر مناسبة احتفالية تخص الطائفة، لا أنه حالة مأتم يتناسب معه التعزية والحزن؛ وسأتحدث في هذا المطلب عن عدة مظاهر تتعلق بالنعي، ومنها العناوين والفقرات التالية:

١- النعي.
٢- النعي الدائم.
٣- نعي عاشوراء من جديد.
٤- الرثاء، والمدح.

النعي:

معناه: الإخبار عن الموت، يقال: نعيته ونعي، بدون تعدية، أي أخبرته وأخبر عن موت فلان، أو مقتله، وانع فلاناً أو قوماً أي: أعلن موته أو موتهم، وأخبر غيره بموته، وأذاع أمره، سواء كان بإرسال راكب أم فارس يجول بين الناس والأحياء والبلدان، سواء أكان لذات الإخبار والمشاركة في تشييعه؛ أو كان للتحريض على الحرب والانتقام وطلب الثأر، وكأن الناعي يتقدم السامعين ليتبعوه، فهو سيتقدمهم، وقد تأتي لفظة النعي متعدية بإلى، كما تأتي متعدية بعلى، فيكون لها معنى آخر، وهو بمعنى التقبيح والتشنيع واللوم(١)، وكانت العرب

(١) انظر: تهذيب اللغة، مادة: نعي، ٣/ ١٣٩، ٦/ ٢٦٦، والصحاح، مادة: نعى، ٦/ ٢٥١٢، ومعجم مقاييس اللغة، مادة: نعى، ص٨٧٤، وتاج العروس، مادة: نعي، ٤٠/ ١١٠.

إذا قتل منهم شريفٌ أَو مات بعثوا راكبًا إلى قبائلهم ينعاه إليهم فنهى النبيُّ ﷺ عن ذلك، لأنه من عمل أهل الجاهلية، كما في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: (سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن النعي)[1]، والمراد منه أن يطاف بالناس لإذاعة الخبر، وقد يصاحبه تفجع وهلع، وقد يصل الحال أن ينسب النعي إلى قوم لموت عظيم منهم، وكأنهم ماتوا كلهم.

قد تتداخل مفاهيم النعي والنوح والندب، فقد يكون الندب مقترناً بالنعي، وقد يتأخر عنه، فليس بينهما تلازم، وكذلك النوح، ويتميز النوح بأنه تكرار لما علم من خبر الموت، ولكن بقصد التفجع على الميت، مع ما يصاحبه من ندب للميت، وذكر ألم فقده، ومحاسنه، وبكاء عليه، فإن خلا من البكاء فهو ندب، لا نوح، وقد يحصل بين هذه تداخل، ولأجل هذا التداخل يختلف الحكم عند أهل العلم على هذه الصور، فقد يفهم من كلام بعض أهل العلم أن النعي المنهي عنه هو الندب والنوح، فيستثنى من النعي ما كان من قبيل الإخبار[2].

واقعه: كل شعائر الحداد التي سبق الحديث عنها هي نوع من صور النعي، وإن كان النعي ــ مع الواقع الاحتفالي المعاصر ــ هو أشبه بتنظيم المهرجانات والاستعداد لها، فيبدأ المنظمون لها بتحديد مواعيدها قبل بدايتها، وهكذا النعي في عاشوراء، أصبح له لجان تنظيمية وإشرافية، وورش عمل لتصحيح الأخطاء السابقة، فأصبح بمثابة المهرجان القومي الطائفي، أو الوطني، والنعي يظهر بصور مختلفة، منها إعلان المراثي والمدائح، وعبارات الظلم، والفداء والمحبة والتلبية، وكأنه في بعض صوره نعي لطلب الثأر والانتقام من القتلة الظالمين، فهو نعي مزدوج بين قضية واقعة سابقة، وقضية غائبة منتظرة؛ وهكذا دأب الباطنية من الروافض وغيرهم يفرحون بتأجيج نار الفتنة والعداوة بين المسلمين، وتفريق كلمتهم ووحدتهم بأسماء يحسنونها للأسماع، ويحركون بها العواطف باسم محبة آل البيت.

يختص بعض الناس بالنعي، يقومون به تبرعاً، أو بمقابل، وقد يصاحبه إنشاد أو تعزية،

---

(١) الترمذي، وحسنه، وابن ماجه، ١/ ٤٧٤، وحسنه الألباني، السلسلة الصحيحة، ٣/ ٣٠٤، ح/ ٩٨٦.

(٢) سيأتي – بإذن الله– مزيد بيان لعدم صحة الاستدلال بأحاديث نعي النبي ﷺ للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على جواز إقامة بدع عاشوراء، باسم الاقتداء بالسنة، انظر الباب الثالث ص٦٤٠ من البحث.

ويغلب معه البكاء، وهو بهذا نوع من النوح، وقد يتولاه من هو في مرتبة بين العوام والمتعلمين، يسمون بالنعاة، ومما يوصفون به كما يقول أحد الكتاب: (امتناعهم اعتلاء المنبر، والاكتفاء بتلاوة المصائب والمقتل من تحته، مع ذلك تبقى هذه الجماعة الأكثر التصاقاً بقضية الحسين، والراعي الأول لعاشوراء في المراثي، وقد شكّلت طبقة النعاة منطلقاً لانبثاق الخرافات والتحريف في مشاهد عاشوراء)[1]، وهذا الوصف كاف في تصوير سبب من أسباب الغلو في هذه البدع، فالنوح بهذه الحال نوع من النياحة المحرمة، التي نقل تحريمها آل البيت، كما سبق.

نشأته: نشأ النعي في الطور الأول، إذا كان النعي هو مجرد الإخبار بالموت فلا شك أن هذا الخبر طار في الآفاق، وقد كان خروج الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مظنة له، كما هي عادة الحروب، فهناك من ودعه في الحجاز؛ أما إذا كان النعي يراد به ما هو من جنس النوح والندب فإنهم ينسبونه كذباً إلى زمن جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومثله ما قام به المختار في حركته تحت شعار: "يا لثارات الحسين"، فقد أرسل النادبات إلى شوارع الكوفة، لنعي الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وندبه، كما سبق الحديث عنه في الفصل الأول[2].

مستنده: من الأخبار التي تستدل بها الإمامية ــ إضافة إلى ما سبق ــ على أن نعي الحسين ابتدأ قبل مقتله، ويروون في ذلك أخباراً طويلة، منها قصة جبريل حينما نعى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك عند حمله في بطن أمه، أو قبل ولادته، ونعي أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له عندما مر على كربلاء، حين كان في العراق؛ بل ويجنحون إلى أبعد من هذا، فيزعمون أن الأنبياء ــ عليهم السلام ـ نعوا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك في أخبار طويلة سيأتي عرضها في الباب الثالث ــ إن شاء الله ــ، عند الحديث عن الأدلة النقلية، وأفردتها بذلك لأهمية ما يقع منهم من

---

(١) انظر: جدل ومواقف، ص٤٠٩، مقال: (عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة.. تعدّد الأهداف والوسائل)، تحت عنوان: ظاهرة النعاة تحت المنابر.

(٢) راجع المبحث الأول من الفصل من هذا الباب، ص٣٥١ من البحث، وفيه. كما زعموا. أن الصادق بدأ بدعوة أو إرسالهم النعاة إلى البيوت، وأن يكون بصوت حزين، وهؤلاء ليسوا نعاة، بل نواح، لأن الناعي لا يحضر. إلى البيت، بل ينطلق في الطرقات والبلدان.

التلبيس بها، ومن ذلك استشهادهم بمرويات أهل السنة، كما أن بعضها اختلق لخصوص مذهب الإمامية الاثني عشرية، ولتأصيل إمامة ذرية الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من هذه الروايات الباطلة على سبيل المثال: رواية عند محدثهم ابن قولويه، ومما جاء فيها أن النبي ﷺ قال: «... يا جبرئيل وعلى ربي السلام، لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي، قال: فعرج جبرئيل عليه السلام إلى السماء، ثم هبط فقال له مثل ذلك، فقال: يا جبرئيل وعلى ربي السلام، لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي، فعرج جبرئيل إلى السماء، ثم هبط فقال له: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام، ويبشرك أنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فقال: قد رضيت»، وفي آخرها مثل ذلك، عندما نعى جبريل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أمه فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[(١)]، ويظهر أن هذه الرواية أدرجت بعد ظهور غالب سلسلة الاثني عشر، وبعد أن شاع القول بالوصية لذرية الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تأويله وفلسفته: إنه من علامات إحياء مصائب آل البيت، وإنه لا يحفظ الدين إلا بذكر آل البيت وإحياء مصائبهم، وأنه يتحصل منه الهدف المرجو من المآتم وهو الاجتماع لأجل مصيبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والبكاء عليه، والثأر له، أو التهيؤ لظهور القائم، وغير ذلك من الأهداف، فكل يقرر منها ما يرى أنها هي هدف المآتم التي أراده الأئمة، ولكل وجهة هو موليها.

كما يؤكد الخميني ـ مرشد الثورة ـ أن مجالس العزاء لم تدرك أهميتها إلا قليلاً، وأن النعي له أبعاده السياسية والاجتماعية التي يخشاها الحكام، ومن فوائد النعي عنده الدعوة إلى إبقاء باب مظلومية آل البيت مفتوحاً ومعلقاً[(٢)]، وكم رأى المسلمون من تجارب هذا المرشد الضال، ومن تطبيقاته وتلاعباته بالشعارات الجوفاء، وما إجرامه في مكة، وفي محضر من حجاج بيت الله الحرام، وفي مقتبل ركن عظيم يؤدونه؛ إلا خير شاهد على أن دعاويه وأمثاله من الزنادقة باسم آل البيت هي من أخبث الحيل التي يجب الحذر منها، والتي تذكر بحيل القرامطة والإسماعيلية وأضرابهم.

---

(١) كامل الزيارات، ١٢٣. ١٢٤، وحول أخبار وأحاديث نعي الحسين انظر ص٦٧٩ من البحث.

(٢) نهضة عاشوراء، الخميني، ص٨٤، ٨٩.

النعي الدائم والمتكرر:

معناه: يراد بالنعي الدائم استمرار النعي للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في غير موسم عاشوراء، وذلك من خلال مآتم بقية الأئمة ورموز المذهب، وكل ما فيه مصيبة لآل البيت، فاعتادت الإمامية تداول قضية عاشوراء، ونشرها في مجالس العامة، وعلى أسماعهم، ومن المواسم التي بدأت تنافس بدعة عاشوراء وخطورتها بدعة بيت الأحزان، وقصة فدك، وكسر الضلع وغيرها من أكاذيب الإمامية في مظلوميات فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[(١)].

واقعه: يتجلى هذا في الواقع المعاصر مع بروز ظاهرة مجالس العزاء، وبناء المقرات الخاصة بها، وهو ما يعرف بالحسينيات التي ارتبط اسمها بالعزاء للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد وسعت هذه الحسينيات من زمان النعي والحداد والاستعداد، ولعلها زادت من ظهور النعي المتكرر والدائم الذي أصبح معلماً وشعاراً يختصون به، وقد استدعى لهم ــ في الظاهر ــ البكاء والتفاخر به.

وصل النعي المتكرر أَوْجِه في الوقت المعاصر، خاصة مع تطور وسائل الإعلان والدعاية، وتوفرهما في المنشورات واللافتات والخرق التي تعلق في الطرقات، ومثلها الإعلانات من خلال مواقع الإنترنت، وصناديق البريد التي سهلت تواصل الناس ببعضهم، وتناقل الأخبار والإعلانات، وخصص لهذا الجانب مواقع ومنتديات كثيرة يصعب حصرها، باسم الحسين "واحسيناه"، أو باسم عاشوراء، أو كربلاء، أو الطف[(٢)]، أو نحوها من الأسماء، ويكفي في ذلك الاطلاع عليها من خلال محركات البحث المشهورة، وتحتوي هذه النعايا على المراثي والمدائح، وعبارات رفض الظلم والذلة وعار الخنوع، والفداء والمحبة والتلبية والعشق، وصور الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقطرات الدم والدمع الحمراء الساكبة، وتتنافس المجموعات والمجتمعات الشيعية في إبراز هذا الجانب، إبرازاً ملفتاً للأنظار، مما يدل على موقع هذا الشعائر وأهميتها لدى الطائفة، سواء من حيث مستندها، أم من حيث ثمرتها.

---

(١) سبق الحديث عن تعلقهم ببيت الأحزان في ص٤٣٦- ٤٥٠ من البحث.

(٢) نسبة إلى أرض المقتل قرب الكوفة، والطف: طف الفرات، وراجع ص١٤٩ من البحث.

نشأته: يشير بعض الكتاب إلى أن ظاهرة نعي المصيبة خارج وقتها ـ شهر محرم ـ، أنه ابتدأ من الطور الأول في عهد علي الرضا ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ، في بداية القرن الثالث الهجري، وهو من جنس كذبهم العريض، وكيف نقل عنهم هذا وهم في تقية شديدة كما يزعمون، ويظهر من خلال نصوص الزيارات أنها أحيت هذا الجانب، حيث تتضمن زيارة أي ضريح لآل البيت إطراء المصيبة، ولعن القتلة، وإعلان العهد على الأخذ بالثأر لمظالم آل البيت، وإن كانت الزيارة في غير محرم، ولا شك أن النعي الدائم ظهر بارزاً في العصور المتأخرة، زمن الدولة الصفوية، وما بعدها في الطور الرابع ـ، وزادت بعد كثرة مجالس العزاء، وتوسعت قراءة كتب المقاتل، وبناء الحسينيات، وارتبط بذلك كل ما كان من قبيل رثاء آل البيت ومدحهم، وقد اجتهدت الإمامية في تفعيله ونشره حتى عند غير طائفتهم، لما فيه من الدعاية لعملهم، والتسويغ لغلوهم.

تأويله وفلسفته: هو استمرار لإحياء أمر آل البيت، ونوع من الاستعداد لظهور المهدي المنتظر الذي تفاخر به، بل وتستفتح به على أهل الإسلام عموماً، وادعوا أن النعي رمز لمحبة آل البيت رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وأنه من معالمهم وخصائصهم، يقول المرشد الإيراني الأعلى للإمامية علي خامئني: (من أهم مميزات المجتمع الشيعي دون غيره من الأخوة المسلمين هو امتلاكه لذكرى عاشوراء، وفاجعة كربلاء)[1]، مع أن الخميني المرشد المؤسس يؤكد أن سيد المظلومين الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليس بحاجة إلى مثل هذه الأعمال، وإنما المهم هو البعد السياسي لها، وكأنه يشير إلى حاجة الشيعة أنفسهم لمثل هذه الأعمال، وأنهم هم الذين يجنون نفعها الدنيوي قبل الديني، والنعي في هذا الجانب مثله مثل الأدعية في أهميتها، لما لها من الأبعاد السياسية النافعة[2].

نعي عاشوراء من جديد:

(١) ثورة عاشوراء (شمس الشهادة)، ص٥٣، علي الخامئني، ط١، ١٤٢٩هـ، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت.

(٢) انظر: نهضة عاشوراء، الخميني، ص١٢، ١٦، ١٨.

معناه: ينعي بعض أبناء الشيعة عاشوراء الحسين من جديد، والمصيبة التي استدعت النعي هي بسبب ما يقع من الشيعة أنفسهم من انحراف تجاه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورسالته ومقتله ويومه، وهذه الدعوات تنعي وتحزن على واقع عاشوراء عند الشيعة المعاصرة، وأن ذلك يستدعى عاشوراء من جديد، وكربلاء أخرى، وكأن المحرفين هم يزيد وبنو أمية المعاصرون، فهؤلاء المحرفون هم خصوم الحسين وألد أعدائه؛ فيجب أن يفعل بهم مثل ما فعل الحسين بخصومه.

واقعه: يأتي هذا النعي من باب الغيرة على الانحرافات العاشوراوية الإمامية، ولكن يقابلها حماس آخر، يرفض أصحابه الوصاية على شعائر عاشوراء، وتحريم ما كان منها معمولاً به، وعلى الرغم من أن الانحراف كان موجوداً زمن المرشد الخميني للثورة ــ وهو في أوج ثورته ــ إلا أنه لم يعره اهتماماً، بل نراه يمر على هذه الانحرافات على استحياء شديد، مع أنه يزعم من خلال ثورته أنها تقوم على صيانة الإسلام ومدرسة آل البيت من الانحراف وصور الفساد، ولكن أصول السياسة في ولاية الفقيه تجبره أن يراعي مشاعر الجماهير المحبة والعاشقة لشعائر وطقوس عاشوراء، ولما فيها من انحراف، بل ترى أنفسها شريكة في سنها أو رفضها، لأن الحب هو شريعة العابدين العاشقين عند عرفائهم، وبما أن عاشوراء استثناء كوناً وشرعاً فإنه لا اتباع لمرجع تقليد، ولا لغيره في موسم عاشوراء، ولا تسأل بعد ذلك عن شريعة، فاليوم يوم الطريقة والحقيقة، وهذا الحال يصور الغلو والزندقة التي وصلت إليه الإمامية، كما سيتضح ـ بإذن الله ـ من خلال مبحث العرفان في الباب الثالث.

الرثاء والمدح:

معناه: نظم وإلقاء القصائد والخطب والأناشيد لرثاء الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وآل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بذكر مصائبهم ووفواجعهم، أو مدحهم، بذكر فضائلم ومعجزاتهم، وهو من جنس الندب والنعي، وإذا كانا في سياق المظلومية فهما نوع من طلب الثأر والثورة، ويتجلى

هذا الدور عندما تقوم ثورات باسم الطائفة، وخاصة إذا برز فيها الجانب الديني[1]، كما في عاشوراء، فإنها من أعظم الرموز التي تتعلق بالدين، لأنه رمز ديني ترتبط بها الطائفة، وذلك من خلال الاستئثار التاريخي المتراكم.

واقعه: الرثاء والمدح من أشهر أعمال مجالس العزاء في العصور المتأخرة، وخاصة بعد قيام الدولة الصفوية، فهي النمط التقليدي المتبع إلى هذا العصر، وكأنه جانب عبادي وشعائري بحت، لكن بدأ يزاحمه جانب التوجيه الاجتماعي، والحوار حول الهموم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للطائفة، إضافة إلى جانب التمثيل والتشابيه التي أضعفت النمط القديم، وهو مما سبب انزعاج المهتمين به، ورأوا أن محاولة صرف الناس عنه هو نوع من الانحراف الذي سبقت الإشارة إليه قريباً.

نشأته: تزعم الإمامية أنه نشا كل من الرثاء والمدح في الطور الأول زمن الباقر، وتطور واشتهر زمن الرضا ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ في قصة رثاء دعبل للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين يدي الرضا[2]، ولسان حال الإمامية أن هذا المظهر مجمع عليه بينهم، ومنقول بالتواتر عندهم، بل ويحكي الباحث الاجتماعي الشيعي د. إبراهيم الحيدري أنه قد أجمع على نقله كتب التاريخ، فيقول: (تجمع كتب التاريخ على أن أهل البيت وشيعتهم كانوا يجتمعون يوم عاشوراء في كل عام، في بيت من بيوت الأئمة من أهل البيت ــ عليهم السلام ــ، ويقيمون النياحة، حيث يستحضر أحد الشعراء مأساة الطف، وكان هناك شعر غزير مملوء بالعواطف، ملتهب الوجدان، لم يسمح للشعراء آنذاك الجهر به، سمي بشعر المكتمات الذي منع من التداول)[3].

ولا شك أن هذا الإجماع مشكوك في نقلته، لأنهم هم الذي ينقلون أخذ الأئمة بالتقية، ولا شك أن الرثاء والمدح يدوران مع دعوى المحبة، ففيه تزكية ضمنية للنقلة من الإمامية

---

(١) يبرز هذا أكثر في الثورة الخمينية المعاصرة، انظر: مقدمة كتاب نهضة عاشوراء، الخميني، ص٣، وعاشوراء في فكر الإمام الخميني، وتاريخ المسرح في إيران، ص١٨٠.

(٢) راجع ص٣٤٩- ٣٥٧ من البحث.

(٣) انظر: تراجيديا كربلاء، إبراهيم الحيدري، ص٧٠٩.

وغيرهم، كما أن أكثر من ادعوا المحبة هم من خانوا الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخذلوه بعد أن دعوه، وخانوا من بعده في الكوفة عام ١٢١هـ حفيده زيد بن علي بن الحسين ــ رحمهم الله، وانتقم لهم ممن خانهم وافترى عليهم ــ في قصة مشهورة عند المؤرخين[١]، كما أنه سبق نقض دعوى الإجماع الموهوم، وأنه من كذب الرافضة المتأخرين[٢].

مستنده: تستند الإمامية إلى ما ترويه من إقرار الرضا لدعبل الشاعر، وأنه من مصاديق الإحياء، وكذلك ما يروونه عن جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أنه قال للفضيل: (بلغني أن قوماً يأتون قبر جدي الحسين(ع) من نواحي الكوفة وناساً من غيرهم...، فقلت: نعم جعلت فداك... فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا، ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم، يهددونهم ويقبحون ما يصنعون)[٣]، وقد سبق أيضاً (لقد قال لي أبي: يا جعفر ليوقف من مالي ويؤجر به من يرثيني عشر.سنوات في منى، في مواسم الحج، ويبكي علي، ويجدد المآتم لإظهار مظلوميتي)[٤].

تأويله وفلسفته: يؤكد ويركز الإماميون المعاصرون على أهمية هذا الجانب، فنرى مرشد الثورة الخميني كثيرًا ما يطالب بالمراثي، لأهميتها بصناعة التضحية والفداء والقوة عند الجماهير، لأنها لم تَحْيَ ولن تَحْيَى إلا بها[٥].

سر إلحاح مرشد الثورة الإيرانية على المبالغة في المراثي والمدائح والبكاء في بناء الثورة والحضارة وفلسفتها، مع أن المعروف أن الرثاء والمدح والشعر يصنف في الجانب العاطفي، والذي يفترض ألا يستحوذ على منظر الثورة وفيلسوفها، فهو خبير وضليع بالفلسفة والعرفان ومناهجها، والفلاسفة لا يميلون إلى الجانب العاطفي في نظرياتهم؛ يفسر.هذا الأمر ما يذكره

---

(١) انظر: تاريخ الطبري، ٧/ ١٦٠، والكامل في التاريخ، ٤/ ٢٦٥، والبداية والنهاية، ٩/ ٣٢٧.

(٢) راجع ص٣٤٢- ٣٤٧ من البحث.

(٣) كامل الزيارات، ص٥٣٩، ووسائل الشيعة، ١٤/ ٥٩٩، وبحار الأنوار، ٩٨/ ٧٤.

(٤) جلاء العيون، المجلسي، ص٦٩٢، نقلاً عن نهضة عاشوراء، الخميني، ص٨٣.

(٥) انظر: نهضة عاشوراء، الخميني، ص١١٠.

المرشد الثاني للثورة علي خامئني، فيوضح سر المبالغة في الجانب العاطفي، فيذكر أن ذلك بسبب أن: العاطفة هي أساس دعوة الرسل![1].

هذا السر سينسحب ـ أيضاً ـ على مدرسة المنتسبين إلى آل البيت وأئمتهم، والتي تتزعمها الإمامية العرفانية[2]، وحينئذ فلا غرابة أن تنشحن الشعائر الشيعية بالجانب العاطفي، وما دام أن العاطفة هي أساس دعوة الرسل فلا غرابة أن يصبح حال الشيعة كحال الشعراء، وعواطفهم ومدامعهم، بل وآهاتهم وجزعهم، وأحوال العاشقين منهم خير شاهد على صور الألم؛ ولذلك أبدع الشعراء من فارس في المشاركة في تصوير عاشوراء، لما لديهم من تراث وعاطفة سابقة تجلت من جديد في مأساة عاشوراء، وكما قيل: من أكثر من شيء عرف به[3].

نقده: يتوجه النقد إلى مظاهر النعي عموماً بمثل ما يتوجه إلى البكاء والحداد والحزن، الذي أحيت به الإمامية أعمال الجاهلية، وغلت فيها الإمامية غلواً بارزاً، حتى أصبحت دمعة الشيعي مثلاً، وطغى غلوهم على كثير من مسائل الدين، وكأن آل البيت لم يوصوا إلا بإحياء مصائبهم، وأن الإمامية هي الوصية على آل البيت، والقائمة على تنفيذ هذه وصيتهم، وكأن آل البيت ـ أيضاً ـ لا ينتمون إلى أحد سواهم، وفي هذا الجانب أنبه إلى أمور منها:

١- بطلان ما ترويه الإمامية عن آل البيت، وبطلان ما تدعيه من دعوى إجماعهم على إقامة المآتم، والدعوة إليها، وقد سبق التنويه إلى ذلك.

٢- أن تكرار النعي من جنس التسخط والجزع وقلة الصبر والاستسلام للأحزان، وهو باب لإثارة الفتن والقتال، كما هو حال أهل الجاهلية، وقد سبق نقد هذه الجوانب بشكل مفصل في المبحث السابق؛ والنعي في دعوى هؤلاء يشفي أحزانهم السابقة، ويطفئ جمرة غضبهم، وفي الواقع أنه يلهبها؛ ولكنه لا يبعد أن يكون باباً لحرمانهم، لأن الجزع يورث

---

(١) انظر: ثورة عاشوراء، علي خامئني، ص٨٣، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩١، والشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، السند، ص٢٥٣- ٣٣١.

(٢) للتوسع حول هذا الجانب انظر العرفان الشيعي وأثره على عاشوراء، ص٧٧٧ من البحث.

(٣) انظر: تاريخ المسرح في إيران، ص ٢١.

الضجر والملل، ويوقع في العجلة المؤدية إلى التلف والهلكة من وجه قد يخفى أول الأمر، كما قال الرسول ﷺ: **«كان فيمن كان قبلكم رجلٌ به جُرْحٌ، فجزعَ، فأخذَ سِكينًا فَحَزَّ بها يَده، فما رَقَأَ الدَّمُ حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حَرَّمْتُ عليه الجنةَ »**(١).

المؤمن يطرد الأحزان، ولا يجلبها، ومن أعظم وسائل ذلك اللجوء إلى الله، والتضرع بين يديه، والمبادرة إلى الصلاة وذكر الله، واللذان بهما يسكن القلب ويطمئن؛ وهذا بخلاف أهل الجاهلية، الذين غفلوا عن هذا الهدي، وسعوا من خلال النعي والندب إلى استجلاب الأحزان واستحلاب الدموع، وأين حالهم من ذكر الله، وأين قلوبهم من الصلاة.

٣- أن الرسول ﷺ نهى عن الغلو في المديح، وبالغ في التحذير من هذا الباب، فقال ﷺ: **«لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله»**(٢)، كما نهى عن تفضيله على إخوانه من الأنبياء، مع ثبوت فضله وسيادته ﷺ على جميع الخلق، ولكنه ربما أمته فقال فيما يرويه عنه عبد الله ابن عباس أحد آل بيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: **«لاَ يَنْبَغِي لِعبد أَنْ يَقُولَ: أنا خيرٌ من يونسَ بن مَتَّى»**، وفي ألفاظ أخرى: «**لا يقولن**»، «**ولا أقول**»(٣)، فكيف إذا كان هذا على سبيل التفضيل المستلزم لتكفير خيار الناس بعد الأنبياء، والذي لا تتورع فيه الرافضة طرفة عين، وهو خلاف هدي القرآن بلا ريب، الذي نص على فضلهم ورضى الله عنهم، فليس فيه إطراء لآل البيت ورثاء لهم، إلا على تأويل الباطنية الغلاة، الذين أفسدوا الشرائع واستباحوا الحرمات.

٤- أن طغيان باب رثاء آل البيت ومديحهم في واقع الشيعة، واتخاذه ديناً، وفوق أنه غلو بهم عن الحد المشروع فإنه سيزاحم أموراً من الشرع ظاهرة، مما يعني أنه سيضعف وجودها، ويسقط مكانتها الشرعية، وهو أمر يجمع بين الابتداع وهجر الشريعة وإبطالها، إضافة إلى انتهاك المحرمات بدعوى المحبة.

---

(١) البخاري، ح/ ٣٢٧٦.

(٢) البخاري، ح/ ٣٢٦١.

(٣) البخاري، ح/ ٣٢١٥، ٣٢٣١، ٣٢٣٤، ومسلم، ح/ ٢٣٧٣، ٢٣٧٦.

٥- أن دعوى مرشد الثورة بأن العاطفة هي أساس دعوة الرسل دعوى باطلة، ووجود هذا الجانب في دعوة الرسل لا يعني أن يكون هو أساس دعوة الرسل، وهذا المعنى الذي ذكره مرشد الثورة يتضح بما يقابله، وبما يلزم عليه، فماذا يُقَوِّلُونَ مخالفيهم، فهل أساس دعوة الرسل عندهم هو الخوف والترهيب، أو الرجاء والترغيب؟ ولا شك أن القرآن جمع بين هذه الجوانب كلها، ووازن بينها، بينما طوائف من أهل البدع طغى عليها جانب العاطفة والحب، وغذوها بمثل هذه البدع والأهواء التي استحسنوها، حتى انفتحت لهم أبواب الشر على مصراعيها، فعطلوا الشرائع، وأحدثوا البدع تحت دعوى العاطفة، وشدة محبتهم لآل البيت، وفي تركيز الإمامية على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتجاوز اسم الرسول ﷺ ابتعاد عن تحرير هذا الجانب، كما أنه تأثر بالتصوف والعرفان الشيعي الذي يجعل عبادة الله قائمة على الحب والعاطفة والعشق[1].

٦- الزعم بأن العاطفة هي أساس دعوة الرسل لايسلم من تنقص الرسل، وتشبيههم بالشعراء؛ القرآن نفى عن الرسول ﷺ وصف الشاعرية، التي اتخذها المشركون نقيصة، لما يعرفونه من غواية كثير من الشعراء وأهوائهم وجنوح عواطفهم، وقد ذم الله الشعراء بسبب هيامهم، وغواية أتباعهم، الذي أدى بهم إلى الكذب والزور، مع التكلف والتصنع والتقلب، والنبوة منزهة عن هذا كله، كما قال الله ــ سبحانه ــ في حق نبيه ﷺ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾[2]، وبيان القرآن فيه ميل إلى الإقناع والتدبر والنظر والتفصيل والحجج، ومخاطبة عقول الناس وفطرهم[3]، لا عواطفهم، ففيه عبرة لأولي الألباب والبصائر، وهذا لا يجتمع معه وصفه بالعاطفة، وهذا ما يفتقده كثير من عوام الشيعة بشهادة مراجعهم، وبسبب تربيتهم إياهم على هذا النهج، والله حينما استثنى قوماً من الشعراء

---

(١) لمزيد من الحديث عن هذا الجانب انظر الباب الثالث : ص٧٧٧ من البحث.

(٢) يس: ٦٩.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٦٩٨، عبد الرحمن السعدي، ت/ ١٣٧٦هـ، ت. عبد الرحمن اللويحق، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

من الذم، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ زاد في وصفهم شرطاً، فقال ـــ سبحانه ـــ: ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، والنعي عند الإمامية مما يشغل عن ذكر الله، لأنه يشغلهم بذكر غيره، وهذا لا يغفره دعوى المحبة، لأن الذين آمنوا من وصفهم كثرة ذكر الله، والله يقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾[2].

٧- ربط الأحكام الشرعية بالأعراف لا بد أن يضبط بما يوافق الشرع، ولا يناقضها، فتعارف الناس على منكر، وشيوعه بينهم لا يغير من المحرم شيئاً، والإمامية تدخل على العوام من هذا الباب، وتتلاعب بالنصوص الشريعة، وأنها راجعة إلى عرف الناس، والخلل الذي وقع فيه عوام الشيعة من جهة العاطفة سوغ لمخالفيهم رميهم بالجنون، وذلك بشهادة علمائهم، وهو بسبب أعمال الجزع والنياحة، ومنها الصياح والعويل والصلق، والتي بمثلها فتحت أبوابهم أمامهم على مصراعيها، وهو وهن لا يفرح به إلا الشامت بالإسلام وأهله، لكن مراجعهم أسسوا لهم أن دينهم مبني على العاطفة، وإذا كانت شعائرهم وحسينياتهم مليئة بالمهيجات للأحزان، والمولدات للحقد والعداء فلا تسل عن الأفعال القبيحة التي تصدر من عوامهم وجهالهم عند هيجان عواطفهم، وغليان غضبهم، وتلاعب الشيطان بهم.

هذا الميرزا جعفر الطباطبائي يقرر صنوفاً من النياحة، وضرب آلات اللهو، ولطم الخدود، بدعوى أن مما تجري به العادة، ولا يحتاج إلى دليل، متغافلاً عن نصوص النهي واللعن والتحريم، كل ذلك لتحقيق الهيجان، ثم بعد ذلك يشتكى من نسبة الجنون إلى الشيعة، ففي جواز استعمال آلات اللهو يقول الميرزا: (بل يكفي مجرد كونه مما يصدق عليه ذلك في العرف والعادة، سيما لو كان مما جرت عليه السيرة كما نحن فيه.

ومن هنا ينفتح باب واسع لتجويز مثل الطبول والشيپور ونحوها من الآلات التي تضرب حال الحرب لهيجان العسكر...، سيما بين الأتراك من الشيعة الذي له تأثير غريب في هيجان الأحزان والإبكاء والصياح والنياح، بحيث تراهم يخرجون بذلك عن الحالة

---

(١) الشعراء: ٢٢٧.

(٢) البقرة: ١٦٥.

الاختيارية، وكذلك البوق المتداول بين نصف الدراويش، ونحو ذلك مما تداولها عوام الشيعة في مأتم مولانا الحسين ــ عليه السلام ــ مما لا دليل على الحرمة سوى كونه من آلات اللهو المحرم بعمومه، من حيث كونه لهواً، لا لحرمته ذاتا،... في مثل المقام المقصود منه إقامة العزاء وهيجان الأحزان ونحوهما...، جاز، بل ندب واستحب، لاندراجه حينئذ في عموم ما دل على مطلوبية شعار الحزن والتحزن عليه (ع) بما يصدق عليه ذلك في العرف والعادة، وإن لم يرد عليه دليلا بالخصوص، كاللطم والضرب بالراحتين على الصدور،... حتى بلغ ذلك إلى حد ينسب إليهم الأعداء فيها الجنون)[١].

الأدهى من هذا أنهم لتحقيق مقصودهم من هيجان الأحزان الذي يذكون به روح الفتن والبغي بين المسلمين، أنهم يسعون إلى تحقيق ذلك باستحلال شرب الخمر والمسكرات، لكي تشتد عواطف المطبرين والنائحين المستأجرين، ويرتكبون قبائح الأعمال وشنيع الفعال[٢].

٨- طغى هذا الغلو على كل شيء، حتى إنه أثر على إحيائهم ذكر سيد آل البيت رسول الله ﷺ، بل حتى صار هذا الغلو في المحبة باباً ينسب إليهم منه كثير من الباطل والكذب، حتى إن أحد مراجع الإمامية الكبار يقرر هذه الصورة التي انطبعت في نفوس عوام الشيعة، يقول مرجعهم في القرن الماضي كاشف الغطاء: (وعوام الشيعة من فرط حبهم لآل البيت يقبلون كل ما يقال فيهم من دون تدقيق أو إعمال نظر)، وفي موضع آخر قال هذا المرجع: (وعوام الشيعة من فرط حُبهم لأهل البيت يقبلون كل ما قيل، ويقال فيهم، فصار ذلك شركاً، وفخاً لأمر معاشهم، ورئاستهم)[٣].

الإشكال إذن ليس في عوام الشيعة، وإنما في علمائهم وخواصهم، حيث يقرون مثل هذا الانحراف المتراكم في كتبهم ومجتمعاتهم، وهم يدعون أنهم أوصياء على عاشوراء، والذين

---

(١) إرشاد العباد إلى استحباب لبس السواد، ص٤١- ٤٥، جعفر الطباطبائي، ت/ ١٣٢١هـ، ت. محمد رضا الأعرجي الفحام، بدون ذكر الطبعة ودار وبلد النشر.

(٢) وهي مع كثرتها قد تجعل الإنسان أشبه بالسكران والمجنون، انظر ص٥٧٢ من البحث.

(٣) انظر: العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، ص٦٧، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ت/ ١٣٧٣هـ، ت. جودت القزويني، ط١، ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال - بيروت.

لا يذكرون مقام غير الحسين إلا على استحياء، فأين كلمة الحق وحفظ الدين الذي استشهد لأجله الحسين وأهل بيته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في عاشوراء؟ أين حفظ الوصية؟ أين رواة الأخبار ونقادها وصيارفتها الذين يميزون صدقها من كذبها؟ وأين المحبة الصادقة لآل البيت؟ أين الشجاعة في قول الحق والثورة على الباطل؟ هذا المرجع الشيعي من خلال هذه الكلمة ـ وهو ممثل التيار الأصولي في صراعه مع التيار الإخباري ـ يقرر ويشخص الخلل الكبير الواقع بسبب المنهج الإخباري، ولكن ومع جرأة موقف كاشف الغطاء، وانتصاره للتيار الأصولي العقلي لم يترتب عليه أثر عملي إيجابي واضح على جسد التراث الشيعي، بل وكأن الانتصار الأصولي انتصار صوري، فالعوام لا زالت تستوحي التشيع على النهج الإخباري، الذي تركن إليه حقيقة، بسبب خلفياته الصوفية المتراكمة، والتي أصبغوا عليها هالة بسبب نسبتها إلى آل البيت كذباً وزوراً.

٩- هذا الخلل عند الإمامية بين ظاهر، شهد به الخبير بأحوالهم، وهنا أعرض لكلام عالم وأديب مشهور بين المسلمين في الفترة المعاصرة، وهو الشيخ الهندي الحنفي، أبو الحسن الندوي الحسني، والذي ينتمي إلى الأسرة الشريفة آل البيت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، يقول واصفاً حال المجتمعات الشيعية، وعنايتها بالسيرة النبوية: (ولكن هذه المعتقدات عن الإمامة والأئمة لا تعارض الإعجاب والحب للنبي ﷺ فحسب، بل إنها تضادّه وتتصادم معه، فكانت النتيجة الطبيعية والنفسية أن الشيعة لم يتمكنوا من تأليف كتاب قوي مؤثر في السيرة النبوية، ولا أن شعراءهم النابغين وفقوا إلى نظم نبويات قوية مؤثرة، ومدائح نبوية تتجلى فيها العاطفة القلبية في المديح الشعري للنبي ﷺ، وتتدفق فيه القريحة الوقّادة، كما نرى ذلك في شعر المراثي ومناقب أهل البيت، وتصوير ما حدث في كربلاء، بأسلوب ساحر وشاعرية بليغة، ولا نبغ فيهم شاعر للمديح يضاهي شعراء الهند الذين علا كعبهم في شعر المديح، دع عنك شعراء الفارسية في المديح النبوي، مثل القدسي والجافي؛ وهذا ما يقتضيه القياس، وهي قضية معلومة.

من المناسب في هذه المناسبة أن أنقل ما قلته في رحلتي إلى إيران في كتاب "من نهر كابل إلى نهر اليرموك": إننا شعرنا في كل مجتمع ينتمي إلى الطريقة الإمامية أن الصلة العاطفية

والحماس الداخلي في حب أهل البيت، وتعظيم الأئمة الذين كانوا أئمة الهدى ومصابيح الدُجى ـــ ولا يشك في ذلك مسلم ـــ كاد يشغل كل فراغ في النفس والعاطفة والعقل والضمير، ويُخشى أن يكون قد أخذ الشيء الكثير من حق النبوة، التي هي مصدر كل خير وسعادة، ومن شخصية الرسول الأعظم الذي نال به أهل البيت الشرف، واستحقوا الحب والتعظيم، وأنه نما وازدهر على حساب الصلة العميقة التي يجب أن تكون بين المسلم ونبيه ﷺ، وقد ظهر ذلك الأثر في الشعر الذي قاله شعراء إيران في مدح النبي ﷺ، وفيما قالوا في حق أهل البيت، وخاصة في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وسيدنا حسين بن علي، فيفوق الثاني الأول في قوة العاطفة والتعبير عن القلب، والقدرة الشعرية وفيض الخاطر وتدفق القريحة، لمسنا هذا الفرق في الشعر الذي قاله شعراء أردو في الهند من إخواننا الجعفريين، والشعر الذي قالوه في المديح النبوي، ولمسناه في الشعر الفارسي، ورأينا هذا الفرق في الكتب التي أُلِّفت في السيرة النبوية وفي مناقب أهل البيت كماًّ وكيفاً، ورأيناه في الفرق الواسع بين العناية بالمشاهد والعناية بالمساجد، وبين الشوق إلى السفر إلى النجف وكربلاء و"العتبات العاليات" والسفر إلى الحرمين الشريفين)[1].

١٠- يقول الباحث السني المعاصر الشيخ عبد الملك الشافعي، معلقاً على كلام الندوي: (وأنا بسبب عيشي بين أظهرهم وقفت على ما ذكره الندوي، بل أكثر من ذلك، ويمكن بيان ذلك من خلال مظهرين هما...)، ثم ساقهما:

أحدهما: أن ذكر الرسول ﷺ أمر ثانوي عند الشيعة في مقابل ذكر الأئمة، وسواء فيهم مثقفوهم وعوامهم، فالشيعي حصل محبة النبي من خلال محبة علي، لا من خلال التعلق بالنبي مباشرة، فالأصل محبة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومحبة النبي ﷺ فرع عنها.

ثانيهما: عناية الإمامية بقراءة كتب المقاتل أكثر من عنايتها بقراءة القرآن، فيجيدون الأولى، ومعها اللطم والنوح، ويهملون الثانية، بل إن المجتمع الشيعي يشجع أبنائه على الأول

---

(١) صورتان متضادتان (أهل السنة والشيعة الإمامية)، الندوي، ص١٠٥- ١٠٦، ط١، ١٤١٠هـ، دار البشير – جدة.

أكثر من الثاني، وذلك من خلال المكانة الاجتماعية، والهبات المالية للمشاركين في مجالس العزاء، وهو ما لا يحظى به القرآن الكريم[1].

وإذا كان الشيخ أبو الحسن الندوي، وهو ممن ينتسب إلى آل البيت رحمهم الله قد شخص قصور الإمامية في جانب النبي ﷺ فإن غيرهم من أهل الاعتدال وحب السنة جمعوا بين مدائح النبي ومدائح آل البيت، كما جمعوا بين مراثيهما أيضاً، من غير جفاء في حق النبي ﷺ، ومن ذلك من يستشهد بهم الإمامية، وهم أدباء الأندلس مثلاً[2].

١١- لوضوح وبروز فحش هذا الخلل في المجتمعات الشيعية المعاصرة، وذلك بسبب عودة المسلمين إلى العناية بالقرآن، وتربية النشء عليه، وظهور عنايته بتشجيع الصغار والشباب على مدارسة القرآن؛ لذا نرى استدراكاً ظاهراً عند بعض الشيعة لما رأوا حال القرآن عند أهل السنة، فأظهروا اهتماماً لاحقاً بعد قرون من الخلل العقدي والواقعي، ومن ذلك أنهم بدؤوا يضمنون مواسمهم ــ كعاشوراء ــ برامج للعناية بالقرآن، فنرى ــ مثلاً ــ إحدى الجمعيات البحرينية تجعل شعار عاشوراء لعام ١٤٣٢هـ هو (حسينيون قرآنيون)، والذي يدخل عامه العاشر في عام ١٤٣٢هـ، ويتضمن نداءين متضامنين: لبيك يا حسين، لبيك يا قرآن[3].

هذان النداءان لم يأت ضمنهما نداء الوسيط بينهما: لبيك يا رسول الله ﷺ، ولعل هذا ما تفرضه المنطلق المذهبي الذي انشغل بدعوى إحياء اسم آل البيت؛ وهذا مما يؤكد خطورة تأصيل هذا الخلل ما تضمنته المقالات التي تنشرها الحملة، من ذكر وتجديد معتقد الإمامية في الأئمة، فالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو القرآن الناطق، كما أن الإمام هو عدل القرآن، وهو مفسر القرآن وناسخه، فهما نداء واحد، لا نداءين؛ وهذا ما يعني أن هذه الحملة لن تحمل تغييراً، بل هي

---

(١) إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النبوة، عبد الملك الشافعي، ص١١١. ١١٢.

(٢) انظر: مقدمة كتاب: درر السمط في خبر السبط، ص٤٤، ابن الأبار، ت/ ٦٥٨هـ، ت/ د. عز الدين عمر موسى، ط١، ١٤٠٧هـ، دار الغرب الإسلامي – بيروت.

(٣) انظر: موقع: جمعية التوعية الإسلامية – مملكة البحرين، صفحة: (حسينيون قرآنيون. عاشوراء البحرين).

تجديد لغوي لفظي لعقائد الإمامية، إضافة إلى أن هذه الحملة تسقط إمامة الحسين على القرآن بشكل بارز، مختزلة إمامة بقية الأئمة، وهو من الغلو الحسيني الجديد، وهذه هو حال عاشوراء وثمارها عندهم؛ فهي شعارات للتلبيس، وكيف وتراثهم مشحون بما يصرف عن كلام الله وكتابه وذكره، وكذلك حالهم في النياحة والمواكب والمسيرات وفي المشاهد والمزارات(١).

---

(١) ثمت صور أخرى لآثار هذه البدع على العناية في القرآن، وهو مشاهد من واقعهم، وباعتراف منهم، وممن خبرهم، وانظر حول أثر النياحة والنوح على القرآن كما قصة زوجة أبي طلحة ص٥٦٠ من البحث.

المطلب الرابع

مظاهر التسخط والنوح

الحديث عن مظاهر النياحة في عاشوراء هو حديث عن أمور محرمة ومستقبحة من المسلم في أي وقت كان، لأنها من عمل الجاهلية التي أبطلها الإسلام، ونهى رسول الله ﷺ عنها، لأنها قائمة على الهلع والجزع عند سماع المصيبة، وهو ضعف وجهل، وعدمها ليس دليلاً على الفرح، وعلى عدم الحزن والرحمة والمحبة، لكن يزيد قبح هذه الأعمال إذا عظم معها الدجل، واستفحل التلبيس، وضوهي الشرع، ويخرج شأنها من دائرة النهي عن مجرد معصية؛ وذلك حينما يدعى أن هذه الأعمال المحرمة قربة، وشعيرة من شعائر الله التي يجب تعظيمها، وأنها من أعظم أسباب تقوى القلوب، وأنها شعار الإسلام الذي يجب الحفاظ عليه، وأنها ميزان الإيمان وحده الذي لا يجوز تجاوزه، حتى حكى أحد المعاصرين عن شيخهم حسن الدمستاني البحراني[1]: (أن هذه النياحة على الحسين واجبة وجوباً عينياً)[2]، وأنها إن هجرت فقد ضيع الدين، ولا شك أن هذا يخلق العداء لمن يمنع من هذه الشعائر ويحرمها، وهذه المقولة والعبارة إذا لم تصدر من مقال غيره تصريحاً فهي لسان حالهم بالإجماع، وإن زعموا أنه مستحب، لارتباط المسألة بعقيدة الإمامة، ولكن الخلاف بينهم، أو وجه الاستغراب في كيفية النياحة، ولكن عادة هذه الألفاظ الجريئة تكثر عند الإخباريين، وأظن حسن الدمستاني منهم، لكثرتهم في البحرين في زمانه.

---

(١) اسمه: حسن بن محمد بن خلف الدمستاني البحراني، ت/ ١١٨١هـ، من قرية دمستان في البحرين، وله قصيدة كربلائية: (أحرم الحجاج)، ويعتني بعلم النجوم والحروف، وأسرة الدمستاني فيها أعلام للمذهب، وهم شيوخ لأحمد الأحسائي، مؤسس الشيخية، وله منهم إجازة، وعناية البابية بعلم الحروف مشهور، ولعله امتداد لهذا الاتجاه، ومن كتبه: أوراد الأبرار في مأتم الكرار "الأسفار"، انظر: أعيان الشيعة، ٥/ ٢٦٠-٢٦٢، ٢/ ٤٩٢، ٤٩٥، ٦٠٤.

(٢) انظر: ملحمة الطف، ص١٥، د. عبد علي محمد حبيل، ط١، ١٤١٢هـ، دار أهل البيت .البحرين، نقلاً عن: من قتل الحسين، عبد الله عبد العزيز، ص٤١.

كل ما سبق بحجة محبة آل البيت ـ صلوات ربي وبركاته عليهم ـ، وأن هذه الأعمال تولد محبتهم، وتعزز العاطفة الجياشة تجاههم، وتوفر البيئة المناسبة لنصرة مذهبهم وشيوعه، أو لظهور مهديهم، وعلى قدر ما يوجبون على أنفسهم من النصرة والظهور فإنه يزيد تعلقهم بمثل هذه الأعمال، وإيجابهم لها، حتى اختلطت فيها رسالة المحبة والرحمة ورسالة القوة والعزة، فمع كون التسخط وشق الثياب وخلع العمائم نوع من الحزن على الميت، إلا أن التطبير والمشي على الجمر، والمتصاحبين مع اللطم والهتاف، فيه معنى الفداء والتضحية، والقوة والعزة؛ وعلى كلا الأمرين فإنهم خصوها بالنسبة إلى الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من بين الأئمة، فسموها "الشعائر الحسينية"، لدعواهم موافقتها لعاشوراء الحسين زماناً وغاية، واستدلوا لتعظيمها بدليل تعظيم مناسك الحج إلى بيت الله الحرام، وبه التزموا رفع مقام الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حتى غلب على الظن أنهم يفضلونه على من جعلوه مؤسس التشيع والولاية، وهو أبوه ومربيه، وصاحب الفضائل والمقامات، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الحديث هنا عن مظاهر النياحة هو حديث عن زبدة الموضوع، وهي محل الشناعة الصريحة على الإمامية، وهي الملاصقة والمختصة بعاشوراء، حتى أصبح شعاراً لها، وكأنه هو هَمُّ علمائها ومراجعها ورموزها، وكأنه هو رسالة الأئمة ومذهب مدرستهم، كما أن مظاهر النياحة أربكت علماءهم ومراجعهم ورمزهم، فألفت بسببها عدد من المصنفات والفتاوى، تأصيلاً وتفريعاً، وموافقة ومخالفة، وخيل للناظر أنها هي محل النزاع معهم، أو بينهم، وإنما هي شرر من نار فرقتهم وافتراقهم، وظهرت بينهم لأجلها خصومات علمية، وصراعات مع جماهير الطائفة، وهم ما بين حريص على مراعاة الوضع الداخلي للطائفة، واحترام خصوصيتها وشعائرها، وما بين حريص على سمعة المذهب الخارجية، وعلى تبليغ المذهب ونشره بهدوء وعقلانية، بحجة أن بعض هذه المسائل توهن المذهب في نظر الآخرين، وتصدهم عن الإقبال عليه، إضافة إلى نداءات متفرقة ومتباعدة تدعو إلى وجوب تصحيح الأخطاء، وألا يضاف إلى المذهب ما ليس منه، وأن يصان روح التشيع من أهواء ومحدثات العوام والجهلة.

النياحة في عاشوراء ونحوها ليست من خصائص الإمامية، فقد كانت الدول الشيعية

تحيي مراثي آل البيت، وتتعلق بمن ينتسب إليهم، من الشعراء والعلماء، كالحمدانية في حلب، والتيمورية المغولية في العراق، وغيرهما، تعقد ما يشبه مجالس النياحة على آل البيت، أو المديح لهم، ويضعون لها الهبات[1]، بدعوى أن الأئمة يحبون ذلك، لكن سبق ذكر أن الأئمة نهوا شيعتهم عن النياحة، ومنه قول جعفر الصادق ــ رضي الله عنهما تعالى ــ: (من ضرب يده على فخذه عند المصيبة حبط أجره)[2]، بل إن الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ له وصية أوصى بها أهله ونساءه، بعدم لطم الخدود، وخمش الوجوه، وشق الجيوب، وأن يصبروا، وألا يشمتوا القوم به بسبب جزعهم[3]، والمفترض أن أول من يأخذ بهذه الوصية وينفذها هم من زعموا أنهم أتباعهم، لا أن يكونوا أشهر من يخالفها، بل قد سبق ذكر إنكار محققهم الحلي لما ينقل عن الأئمة من الجلوس للعزاء والمأتم، كما صرح بعض معاصريهم بكذب ما ينسب إلى الأئمة، وأنه لم يصح منه شيء، وأنها من فعل عوام الشيعة[4].

سيكون الحديث عن هذه المظاهر والشعائر مرتبًا على موضوع المظهر الذي ينتظم أكثر من عمل وشعيرة، وهذه المسائل منها ما يتعلق باللباس، كشق الثياب والجيوب، ومنها ما يتعلق باللسان والمنطق، كالنوح والعويل، ومنها ما يتعلق بأذية الجسد وإيلامه، كالضرب على الخد والصدر، ومنها ما يتعلق بأذية الجسد بنوع من التعذيب كالإدماء، والمشي على الجمر، ومنها ما يتعلق بإهانة النفس كتعفيرها بالتراب والوحل، وانتظم الحديث هذه الموضوعات في النقاط التالية، أذكرها مجملة، ثم مفصلة، كما يلي:

١- كشف الرؤوس وخلع العمائم.

٢- نشر الشعر.

٣- شق الثياب والجيوب.

---

(١) سبق الحديث هذا الجانب في الفصل الأول، راجع ص٣٥٩ من البحث.

(٢) الكافي، ٣/ ٢٢٥، ووسائل الشيعة، ٢/ ٩١٤.

(٣) ستأتي هذه الروايات قريباً ـ بإذن الله ـ في فقرات هذا المطلب.

(٤) سبق ذكر هذا ص٣٤٢- ٣٥٢ من البحث.

٤- تعرية الأجساد.

٥- الصياح والعويل والصلق.

٦- النوح.

٧- التطبير.

٨- خمش الخدود والوجوه.

٩- ضرب الظهور (الزناجيل).

١٠- المشي على الجمر.

١١- مشي الفرد حافياً.

١٢- ضرب الرؤوس والقامات.

١٣- ضرب الخدود (اللطم).

١٤- ضرب الصدور (اللطم).

١٥- التطيين (الطينة).

١٦- تعليق الأقفال.

١٧- نثر التبن والتراب على رؤوس المعزين.

كشف الرؤوس وخلع العمائم:

معناه: أن يقوم من يلبسون العمائم من الخطباء والأعيان، أو عامة الناس بنزع العمامة في مجلس العزاء خلال قراءة المقتل، أو إنشاد النواح والنواعي والرواديد، وقد يلحق به حلق الرؤوس، أو جزء منها جزعاً في المآتم والمصائب والنكبات.

واقعه: يجري في مجالس العزاء، وهو غير مستغرب من عمل العوام، وبدأ يظهر من قبل الوعاظ والخطباء، والنعاة، والروادید، وغيرهم، وجنس هذا العمل قديم، لكن بدأ يظهر للإعلام الخارجي، واطلع عليه الناس من خلال وسائل الأعلام والاتصال الحديثة، التي تظهر بعض الخطباء وهم يبكون بكاءً شديداً تأثراً بالمقطع الذي يتلوه على مسامع الحضور، ليثيروا عواطفهم، فيخلع الخطيب عمامته، ويلطم خده، ثم يجتمع إليه الناس رأفة بحاله، ورفقاً به، وقد تجري صور أخرى قريبة من هذا القبيل، من إزالة غطاء الرأس، وكشف الشعر

ممن كان من عادته أنه يستره، ومن ذلك المرأة حينما تسير في المواكب على مثل هذه الحال، كاشفة عن رأسها وشعرها، نازعة حجابها وجلبابها.

مستنده: أنه من مصاديق الجزع.

نقده: أنه من الجزع وعدم الصبر، وأن صوره لن تنتهي، وقد ورد في كتب الإمامية العبارات الصريحة عن آل البيت بذكر حرمة النياحة والجزع، لكن لا يعملون بهذا المنع في مأتم عاشوراء، ويبقون له حكم الأصل، وهو الإباحة بزعمهم، ولكن يرد عليهم بأن: الأصل في الحكم قبل عاشوراء هو التحريم، فاشتهر أنها محرمة، وأنها من أعمال الجاهلية، ولم يعلم لهذا الأصل استثناء أو نسخ له قبل عاشوراء، فكيف تبطلون الأصل؟ وتزعمون الإباحة؟ ولا مخرج لهذا إلا بدعوى استمرار التشريع إلى ما بعد عاشوراء، فحينئذ يرد: إما النسخ، وإما الاستثناء، علماً أن بعض مراجعهم وفقهائهم قد يحرم مثل هذه المظاهر تحت عنوان آخر "ثانوي"، وهو توهين المذهب[1]، أما العنوان البارز "الأولي" لهذا العمل وهو تجديد الأحزان وتهييج النفوس فهو مسوغ للاستحباب والوجوب، لكنهم يتركونه مع أولية تحقيقة، وهذا نوع من التقية المعروفة عنهم.

المشي حافياً:

واقعه: أن يقوم الشيعي بالمشي حافي القدمين في يوم عاشوراء، في المسيرات والمواكب، وفي الزيارات، وسيأتي الحديث عنها في هذه المواضع بإذن الله.

نشر الشعر:

معناه: أن تقوم النائحة أو النائح ممن له شعر طويل اعتاد ترتيبه بنشره، أو تفريقه وجذبه بيده، مع العويل والنوح، هذا إضافة إلى خلع غطاء الرأس.

واقعه: نشر الشعر عند المصيبة عادة قديمة، من عادات الجاهلية، وتجددت زمن

---

(١) وهذا أمر تندرج فيه أكثر صور النياحة، فهي محل خلاف طويل بينهم، ومدار الخلاف أن هذه المظاهر فيها توهين للمذهب، فضلاً عن أنها لا تستند إلى نصوص جازمة، والعبارة التي بين علامتي تنصيص من عبارات المتأخرين أو المعاصرين من الإمامية، والعنوان يعني العلة والسبب والمأخذ، أو الدليل والمستند.

البويهيين، فقد كانت تخرج النساء في مواكب العزاء نائحات، على هذه الحال، ولا زالت تتكرر في عاشوراء في المجتمعات الشيعية، لكنها قد تزاحم ببدع جديدة، لا تبتعد عنها بالقبح والشناعة، كما أنها تزاحم بالأفراح والتشابيه التي تخفف منشأها.

شق الثياب والجيوب:

معناه: أن يقوم المرء بشق ثوبه من جهة صدره، أو من أي موضع آخر، جزعاً وتسخطاً، ويدخل ضمن تعرية الأجساد، التي تكثر في مواكب عاشوراء، وكونه من النياحة وأعمال الجاهلية أمر مشهور، وهو في العادة أمر عند النساء أكثر منه عند الرجال، ويتم الحديث عنه بالفقرة التالية.

تعرية الأجساد:

معناه: أن ينزع المرء عن جسده بعض ثيابه حين اشتداد البكاء، أو لأجل طليها بالسواد حداداً، أو لأجل التطبير، وضرب الظهر بالسلاسل، أو لأجل الاستعراض بالقوة والانتقام، وقد يعرى موضع الضرب من الظهر، أو النصف الأعلى من جسده، ومنه خلع العمائم، ونشر الشعور للنساء، لتطيين الرؤوس، أوتعفيرها بالتراب؛ وهذا في مقابل لبس الأكفان، التي تلبس استعداداً للتضحية والموت، والظهور مع المهدي المنتظر للقتال، ومثل هذه المظاهر ليس لها ضابط فقهي، وإنما هي من تصرفات منظمي المآتم والمواكب وبدعهم، التي يعبرون من خلالها عن محاكاة لآخرين، أو رد فعل طائفي.

واقعه: تقع تعرية الأجساد كثيراً في المواكب والمسيرات، حيث يختص بعض الأفراد بالتطبير، والضرب بالزناجيل، كما قد تقع في مجالس العزاء وقراءة المقتل مع إنشاد الرواديد لطمياتهم[1] وأهازيجهم في الحسينيات، كما هو مشاهد في القنوات الإعلامية، كما يقع ـ أيضاً ـ

(١) اللطميات: جمع مفرده: لَطَمِيَّة، أو لَطْمِيَّة، بتحريك الطاء وتسكينها، وهي القصائد الملحنة التي يصاحبها لطم الخدود، أو الصدور، أو الرؤوس، موافقة لألفاظ المغني والرادود، يغلب عليها القصائد المثيرة للأحزان والجزع، وهذا المصطلح اشتهرت به الرافضة الإمامية، حتى غدا من خصائصها، لاختصاصهم باللطم والجزع.

في الزيارة، وعند صياح النوائح في أي موضع كان.

نشأته: ترتبط بنشأة المواكب، ومجالس النياحة، ويظهر بروزها في الطور الثالث مع مواكب التطبير، زمن الدولة الصفوية، وقد تكون التعرية لطلي الأجساد بالسواد، كما أنه من ضمن مظاهر الطور الثاني زمن الدولة البويهية، حيث تكشف النساء عن روؤسهن، ويخرجن ناشرات شعورهن، ويفهم من بعض كتب الأحاديث والأخبار عند الإمامية أنهم ينسبون تعرية الجسد، وشق الثياب إلى بعض الأئمة وأهليهم برأهم الله من كذب الأفاكين، من ذلك أنهم قد رووا أن الحسن العسكري رؤي حين موت أبيه علي بن محمد .رحمهم الله .وقد شق ثوبه من الخلف والأمام؛ وعليه فيكون موجوداً في الطور الأول، وهو من الكذب والباطل، بل نسبوها إلى الأنبياء كرمهم الله من عوائد الجاهلية، فزعموا كذباً أن موسى عليه السلام شق ثوبه حين موت هارون عليه السلام [1].

مستنده: تعرية الأجساد لازمة لبعض الأفعال التي أباحها عامة الشيعة، وهي من مصاديق الجزع عندهم، كالتطبير وضرب الظهور بالزناجيل، وهناك من يشير إلى مستند آخر للإمامية في مثل هذا الفعل، وهو ما أورده شيخهم المجلسي.أن المهدي: (يظهر عارياً أمام قرص الشمس)، ولم أقف على لفظه عند غيره، لا رواية، ولا تأصيلاً، ولا ذكر له كعقيدة عندهم، بل ظهر من بعض المعاصرين إنكاره وتأويله، وربما أن لفظ (عارياً) اشتبه بلفظ: (غازياً) فصحف[2]، كما أن بعض أخبارهم تذكر أنهم عند ظهور المهدي (يرون بدنًا بارزًا نحو عين الشمس)[3]؛ فالمهدي عندهم يظهر للناس بالسيف والقتل والنقمة، وهم إن كانوا يفعلون التعري في مواكبهم على هيئة الاستعراض والمناورة، فهذه الرواية (عارياً) تلزمهم، لأنها من صور

---

(١) تهذيب الأحكام، ٨/ ٣٢٥، ووسائل الشيعة، ٣/ ٢٧٣.٢٧٥، وذكر عدة روايات.

(٢) حق اليقين، المجلسي، ص٣٤٧، والكتاب بالفارسية، والخبر من رواية النعماني والطوسي عن الباقر، نقلاً عن كتاب: بطلان عقائد الشيعة، ص٤٢، محمد عبد الستار التونسوي، ط ١، ١٤٢٩هـ، المكتبة الإمدادية – مكة المكرمة، دار النشر الإسلامية العالمية – باكستان؛–والمجلسي ذكره في بحار الأنوار، ٥٢/ ٢٨٩، ونقله مختصراً من رواية النعماني في الغيبة، والطوسي في الغيبة، وذكر (بارزاً)، ولم يقل: (عارياً).

(٣) الغيبة، الصدوق، ص٢٨٣.

الشجاعة عند البعض، وأما إن كانوا يفعلونها على سبيل النياحة فتلزمهم ــ أيضاً ــ، وهم وإن أنكروا لفظها فلا يحق لهم إنكار معناها، لأن الضرورة ــ من مروياتهم ــ تدل على أن الأئمة تقع منهم النياحة وشق الثياب من الخلف والأمام، كما أوقعوه من الأنبياء ـ أيضاً ـ.

الصياح والعويل والصلق:

معناه: المقصود بالصياح والعويل والصلق[1] هو ترديد النائح والنائحة لكلمات التسخط والحسرة على الفقد، مع الصراخ والتأوه والولولة، ومنه الأصوات المنكرة القبيحة، كنبح الكلاب، التي يفعلها بعض الشيعة عند زيارة الأضرحة، أو عند الاحتفاء بمعظميهم[2]، فيزحفون قبل الوصول إليه، وينبحون كما تنبح الكلاب، حزناً وجزعاً وتذللاً ـ عياذاً بالله من الذل لغيره ـ، كل هذا بدعوى الولاء والمحبة لآل البيت![3].

يبدو أنهم مع عملية توليد البكاء والحزن ــ إضافة للعشق المسبق ــ تحصل لبعضهم حالة

---

(١) الصلق: رفع الصوت بالصياح والولولة، والصوت الشديد، ومنه الصلق والصالقة، وقد ترد السين بدل الصاد، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾، الأحزاب: ١٩، انظر: لسان العرب، مادة: صلق، ١٠/ ٢٠٥، وهو غالباً من النياحة والجزع، وما عداه فضرب من الجنون وخفة العقل.

(٢) انظر: الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم، ص ٢٣، ونقل المؤلف ـ منتقداً ـ عن المرجع اللبناني محمد حسين فضل الله ذكر مسيرة الكلاب في العراق وإيران، كزحف الكلب، عند زيارة الأضرحة، ومثله أن يذهبوا إليها مشياً على الأقدام، ومنه ما فعله جنود قوات البسيج لما عادوا بعد موت الخميني ذهبوا إلى قبره مشياً ثم زحفاً، وذكر إنكار فضل الله لهذه الأفعال، وأنه منع مسيرة من بيروت إلى مقام السيدة زينب في دمشق مشياً على الأقدام، وهذا مما أغضب عليه مراجع قم والنجف، وشنت عليه الحملات الإعلامية، ومنها مؤلف هذا الكتاب.

(٣) التعبد بالتكليب لعل له أصلاً عباديًا عند الشيعة، فهو أمر محمود عندهم، ولعله أخذ من كلب أهل الكهف الذي ذكر في القرآن، ومن ذلك أنهم يتسمون: بكلب جواد، وكلب صادق، وكلب الحسين، وكلب علي، وهي أسماء لبعض أعيانهم المعاصرين في لكنو بالهند، وغيرها، ومثله التعبيد المباشر لأحد الأئمة، وهو من شرك الألفاظ، ومن أعلامهم على هذا النحو: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، ت/ ١١١٢هـ، صاحب تفسير نور الثقلين، والمعاصر للمجلسي، ولم أقف على سبب هذه التسمية ومستندها ونشأتها، وهي تعني الخدمة والحراسة للإمام، فهي إضافة تشريف.

من السكر وغياب الوعي، فيصدر منه ما يستقبحه الناس من القبائح وكبائر الذنوب، لكنه مأجور، وهو ــ في هذه الحالة ــ قد يكون في مرحلة من مراحل سير العاشقين العارفين، وإذا لم تحصل هذه الحالة بمثل هذه الأعمال فقد يتناول الخمر ويشربه، ويظهر أنهم يستعينون به على بعض الأعمال والشعائر الأخرى التي تحتاج إلى قوة وتهيئة نفس، كالتطبير، أو المشي على الجمر، أو نحو ذلك، وقد يرد تحت مصطلح: الإحماء، كما في كتب التطبير، ثم بعد ذلك يرجو أن ينال التقوى(١).

نشأته: من عادات النياحة القديمة، وأما صورة النباح والزحف والمشي على الجمر، ونحوها من أعمال الدجل والشعوذة، فلعلها من تأثر الإمامية بالصوفية الغالية، والتي لديها من هذه التصرفات الشيء الكثير(٢).

نقده: يكفي في قبح هذه الأعمال أن الرسول ﷺ بريئ من أصحابها، ففي حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول ﷺ: «بريئ من الصَّالِقَة والحالِقة والشاقَّة»(٣)، قال الإمام النووي ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ــ معلقاً: (الصَّالقةُ: التي ترفع صوتها بالنياحة، والحالقةُ: التي تحلق شعرها عند المصيبة، والشَّاقةُ: التي تشقُّ ثيابَها عند المصيبة، وكل هذا حرام باتفاق العلماء، وكذلك يحرم نشر الشعر، ولطم الخدود، وخمش الوجه، والدعاء بالويل)(٤)، فهذه الأعمال كلها من النياحة، وتحريمها والنهي الصريح عنها هو المأثور عن آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، المروي عنهم بطرق صحيحة، خلافاً لمن يدعي اتباعهم، وينسب إليهم خلافه، وفي الفقرة التالية مزيد من الأحاديث التي تدل على تحريم هذا العمل.

النـــوح:

---

(١) انظر جريدة: منبر السبت، بتاريخ ١٩٩٦/٦/٢٠م، وفي الرد عليه انظر: الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم، ص ٢٣، لمؤلفه: جلال الصغير، وقال إنه: (يتبع منهج الأنسنة الحديثة).

(٢) الحضرة من المسالك المشتركة بين الصوفية والإمامية انظر ص٧٥٣ من البحث.

(٣) البخاري، ح/ ١٢٩٦، ومسلم، ح/ ١٦٧.

(٤) الأذكار، ص١٤٧، النووي، ت/ ٦٧٦هـ، ت. عبد القادر الأرنؤوط، ط١، ١٤١٤هـ، دار الفكر – بيروت.

معناه: استذكار محاسن الميت، وفضائله، وخسارة فقده، وتكرار خبر موته، مع الصياح والنشيج وقد يقصد به النعي عند أول حلول المصيبة، أو الندب بعد ذلك، كما أنه يتوسع بإطلاق اسم النياحة على الأعمال الأخرى، ويعرف أن النوح بالصوت والكلام والتسخط هو الغالب فيه، أو هو الأصل والمنطق، فكلما تكلم النائح أتبعه بعمل من اللطم وشق الجيوب ونحوها، وبما أنه يزيد ويتكرر بما يسببه ويولده فإنه أعطيت اسمه، ومن ذلك التشابيه الحزينة التي تولد وتستجلب الحزن والنوح لتجديدها الحزن والفجائع، وتوحي بتعظيم الميت والمصيبة، ولذلك قد يتصنع هذا العمل ويستأجر من يقوم به، ولذلك جاء التفريق بين النائحة المستأجرة، والنائحة الثكلى، وأصبح مثلاً مضروباً، وقد اشتهر اعتبار النوح المنهي عنه على ما كان من قبيل استجلاب واستدرار البكاء والحزن، ليس على البكاء الأولي الذي يحصل عند خبر المصيبة من دمع وحزن وبكاء.

أغلب أعمال عاشوراء جاءت لاستجلاب النوح والنياحة، وقد تسمى المآتم ومجالس العزاء بمجلس النوح، كما عند الفرس "نوحخاني" و"روضخاني، أو في الهند: "نوح روضة: روضة الشهداء "، وهو كتاب المقتل المشهور[1]، ولذا ليس من الغريب مع شمول هذا اللفظ لكثير من أعمال عاشوراء أن يطلق أحد الإمامية وجوب النياحة وجوباً عينيا[2]، هذا على الحسين خاصة، وما أدري هل الوجوب العيني يسري ــ أيضاً ــ على النياحة على أبيه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلى أمه فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعلى أخيه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلى بقية آل البيت صلوات ربي وبركاته عليهم؟ الذي يظهرونه غالباً أنهم يكتفون بالنياحة على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما يجدون له من خصوصية يَهْوَونَها، وربما تكشف الأيام عن استثناء آخر.

نشأته: تذكر الإمامية أن النوح نشأ من الطور الأول، وإذا راعينا التوسع في إطلاق لفظ النوح والنياحة، ومنه النعي والندب، فسينسب إلى ما قبل مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإلى ما بعده، كما في قصة إدماء زينب ـ رحمها الله ـ لرأسها في طرف المحمل حسب زعمهم، ومن

---

(١) انظر: موقع هيئة علماء بيروت (شيعية)، مقال: (متى نشأت المجالس والمآتم)، ص٢٠، محمد زيدان.

(٢) سبق قريباً في ص٥٥١ من البحث.

صوره النوح الجماعي لمن لم يتمكن من القيام بالزيارة، لعجز، أو لبعد، بدعوى أن هذا ظهر في زمن الرضا، وقد ظهر تنظيم أعمال النوح والنياحة في الطور الثاني بشكل بارز، فظهر اختصاص أناس بهذه الأعمال بمسمى: "نائح ونائحة"، ثم تحول مفهوم النياحة إلى قراءة قصة مقتل الحسين وأحداثها، والتي عرفت فيما بعد: بقراءة المقتل[1].

تأويله وفلسفته: أنه من مصاديق الحزن والجزع، المطلوب تحصيلهما، لإحياء محبة آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حسب زعمهم.

نقده: يتضح من خلال عدد من النقاط، منها ما يلي:

١- أعمال النياحة من أعمال الجاهلية، ومحرمة كما ثبت صريحاً وجلياً في نصوص كتب السنة والشيعة، والمروية عن الرسول ـــ صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ـــ، ومنها قوله ﷺ: **«أربع في أمتي مِنْ أَمْرِ الجاهلية، لا يتركونهنَّ: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»**، وقد سبقت الإشارة إلى نهي آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن الجزع والنياحة، وأمرهم بالصبر على المصيبة[2].

٢- النياحة من شعب الكفر، والأصغر منه قبيح ومنكر، وما كان كذلك كيف يكون من الإسلام، والأحاديث النبوية متوافرة ومتواترة على ذم النياحة وأهلها، ولعنهم والوعيد الشديد لهم، ومنها حديث: **«اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»**[3]، وحديث: «**نهى رسول الله أن نتبع جنازة معها رانَّةٌ**»[4]، والرانة المرأة التي تصيح بصوت شديد مرتفع مع الجنازة، وحديث: **«لعن الله النائحةَ والمستمعةَ إليها»**[5]، وقال

---

(١) سبق الحديث عن هذا الجانب في الفصل الأول، وفي فقرة قراءة المقتل في المبحث الثاني من الفصل الثاني، وانظر: الانتصار، العاملي، ٩/ ١٨٥.

(٢) سبق التفصيل في هذا الجانب عند الحديث عن الجزع، راجع ٤٦٧- ٤٨٠ من البحث.

(٣) مسلم، ح/ ٦٧.

(٤) أحمد، ح/ ٥٦٦٨، وابن ماجه، ح/ ١٥٨٣، وهو مروي من طريقين، وبمجموعهما حسنه الألباني في أحكام الجنائز، ص٧٠.

(٥) أحمد، ٣/٦٥، وأبو داود، ح/ ٣١٢٨، والبيهقي في السنن الكبرى، ٤/ ٦٣، وهو عن أبي سعيد الخدري، =

ﷺ: **«النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»**[١].

٣- أن ترك النياحة تعقد عليه البيعة في الإسلام، وهذا دليل على مناقضتها له، وأنه يجب التحلي بما يضادها، وذلك شعار أهل الإسلام، فعن أُمّ عطيةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: (أخذَ علينا رسولُ الله ﷺ في البيعة أن لا ننوح)[٢].

أن الإمامية روت خبر البيعة، فأورده القمي أن أم حكيم ابنة الحارث ابن عبد المطلب قامت (فقالت يا رسول الله: ما هذا المعروف الذي أمرنا الله به أن لا نعصيك فيه؟ فقال: أن لا تخمشن وجهاً، ولا تلطمن خداً، ولا تنتفن شعراً، ولا تمزقن جيباً، ولا تسودن ثوباً، ولا تدعون بالويل والثبور، ولا تقيمن عند قبر، فبايعهن رسول الله صلى الله عليه وآله على هذه الشروط)[٣]، والذي يظهر أن هذا البيان كان على ملأٍ من النساء، ومنهن نساء آل البيت، بل أعجب منه ما عند الصدوق بإسناده عن عمرو بن أبي المقدام: (سمعت أبا الحسن، أو أبا جعفر عليهما السلام، يقول في هذه الآية: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾[٤]، قال: إن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ قال لفاطمة ــ عليها السلام ــ: إذا أنا مت فلا تخمشي علي وجهاً، ولا ترخي علي شعراً، ولا تنادي بالويل، ولا تقيمي علي نائحة، ثم قال: هذا المعروف الذي قال الله ــ عز وجل ــ في كتابه: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾)[٥].

=

وروي عن غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد ضعفه الشيخ الألباني في إرواء الغليل، ٣/٢٢٢- ٢٢٣.

(١) مسلم، ح/ ٩٣٤.

(٢) مسلم، ح/ ٩٣٦.

(٣) انظر: تفسير القمي، ٢/ ٣٦٤، القمي، ت/ ٣٢٩هـ، ت/ طيب الموسوي الجزائري، ط٣، ١٤٠٤هـ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر- قم، والتبيان، ٩ / ٥٨٨، الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، ت. أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، ١٤٠٩هـ، مكتب الإعلام الإسلامي - قم، وتفسير مجمع البيان، ٩/ ٤٥٦، أحمد علي الطبرسي، ت/ ٥٤٨هـ، ط١، ١٤١٥هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(٤) الممتحنة: ١٢.

(٥) معاني الأخبار، ص٣٩٠، والكافي، ٥/ ٥٢٧، ووسائل الشيعة، ٢٠/ ٢١٠، وبحار الأنوار، ٢٢/ ٤٦٠.

إذا كان هذا في أمر البيعة على النبوة[1]، فهل حقوقها مغاير لحقوق الإمامة التي أوجبتها الإمامية في مواسمها، من النياحة والجزع؟ فالمعروف أن الإمامة من جنس النبوة عند الإمامية؛ فلماذا يكون شعار الإمامة وشعائرها مناقضاً لمقتضى النبوة، وظاهر الحال: أن القول بتناقضهما قد يؤدي إلى إسقاط أحدهما، أو كليهما، والقول بخلاف ظاهر النصوص هو نهج الباطنية التي مرقت على شريعة الإسلام، ورامت تقويض بنيانه، فما أعظم نقضهم لعرى الإسلام.

٥- أن الحكم عند كافة أهل الإسلام على أن النياحة بعمومها من الكبائر، لما صحبها من الوعيد الشديد، واللعن، والوصية بالحذر منها قبل موت الرسول ﷺ، وأخذ البيعة في شأنها، وإعلان ذلك على الملأ، وبحضرة أهل البيت، لأنها من أعمال الجاهلية التي لا بد من تركها[2]؛ فكل ذلك يجعلها من كبائر الذنوب والمعاصي، التي تواتر خبرها، وقد تلحق معرفة ذلك بالضروري من الدين، كما أن النياحة قد تلحق بالبدع من جهة التعبد بها، واعتقاد ذلك، مع كونه باطلاً، ولا ريب أنها إذا كانت بدعة فلا ينفسخ منها وصف المعصية والكبيرة، بل تزداد ذماً وعصياناً، وتتضاعف من جهة الوصفين.

٦- أن النياحة ليست من ذكر الله، وليست عملاً صالحاً، أو نافعاً، والدعوة إليها وإشغال الناس بالنوح صرف لهم عن الصبر الجميل، الذي هو من هدي الأنبياء، وصرف لهم عن الأعمال النافعة الدينية والدنيوية، والتي من أعظمها التأسي بذكر الله ــ سبحانه ــ ودعائه، وتلاوة كتابه، والعجيب أن من انشغل بالنياحة، ثقل عليه التسلي بالله ووعده ورجائه وكلامه ومناجاته، والوقوف بين يديه، والذي هو باب طمأنية للقلوب الحزينة، ودواء للنفوس المصابة المكلومة، كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ

---

(١) وعند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، الممتحنة: ١٢، فسر أهل العلم بيعة النساء في هذه الآية بما جاء في حديث أم عطية المذكور: أن لا ننوح، وهو من تفسير القرآن بالسنة».

(٢) انظر: الكبائر، الذهبي، ١/ ١٨٣، الكبائر، الذهبي، ت/ ٧٤٨هـ، بدون ذكر الطبعة وتاريخها، دار الندوة الجديدة – بيروت؛ وهي الكبيرة رقم: ٤٩.

﴿تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[1]، فذكر الله خير من ذكر أي أحد، فلا حول أنفع من حول الله، ولا قوة أعظم من قوة الله، فلا يلجأ العبد لحول نفسه وقوته منكسراً، أو مهيجا لها، فهو من الجزع المذموم؛ فذكر الله باب بركة للعبد، أياً كانت مصيبته، ومنه الصلاة.

من أجمل آثار ذكر الله على المصاب أن يعينه الله بعد المصيبة، فيكون أقوى مما كان عليه، ويفتح الله عليه، لحسن ظنه به، ومن أجمل ما جاء في هذا الباب قصة تلك المرأة، زوجة أبي طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، فيقول أنس ابن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ في خبرها، يقول: اشتكى ابن لأبي طلحة، قال: فمات، وأبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئًا، ونحته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام، قالت: قد هدأَت نفسه، وأرجو أَن يكون قد استراح، وظنّ أبو طلحة أنها صادقة، قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أَراد أن يخرج أَعلمته أنّه قد مات، فصلى مع النبي ﷺ، ثمّ أخبر النبي ﷺ بما كان منهما، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«لعل اللَّه أن يبارك لكما في ليلتكما»**، قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أَولاد، كلهم قد قرأ القرآن)[2].

٧- أن الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ نهى أهله ونساءه عن النوح، فالأمر به، أو تحسينه وتجويزه مخالف لمذهب الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ ورسالته ووصيته، وقد سبق ذكر ذلك؛ فالعجب لا ينقضي. إذا علم أنه استقر عند علماء المذهب ـ قبل عامتهم ـ أن من يعمل بهذه الوصية أنه لا يحب آل البيت، وأنه ممن يناصبهم العداء، فأصبح النوح وكأنه على الطائفة والأتباع، لا نوحاً على الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، لأن من أعظم حقوق الميت إنفاذ وصيته، ومن أعظم الظلم له بعد موته إخلاف عهده ووصيته، فالأولى أن ينعى هذا الخلف بما ارتكبه باسم آل البيت، أما الحسين فهو سيد قد بُشِّرَ بمقامه يوم القيامة بين أهل الجنة.

التطبير:

معناه: في لغة العرب مفردة طَبَـرَ بفتح الباء المفردة الموحدة بمعنى: قَفَـزَ، أو اختبأ،

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) البخاري، ح/ ١٣٠١.

ووقعوا في طَبَار: أي داهية، مثل الغول والغائلة، والطُّبَّار وطُبَّارَةٌ شجرٌ له ثَمرةٌ حَمراءُ حُلوةٌ، شبيه بشجر التين والرمان، وورد: طَبَر الحِصانُ الفَرَسَ: ضَرَبَهَا، أي علاها وواقعها[١].

أما طَبَّـر بتشـديد البـاء وفتحهـا فهـي كلمـة فارسـية: أي ضرب بالآلـة التـي يشـقق بهـا الخشب، والطَبْر اسم فارسي لآلة من السلاح قديمة كالفأس، فَطَبَّـر مصدرها تطبير، وهما ليستا عربيتين[٢]، ويقال: فلان طَبَّر: أي جرح رأسه وقامته، إما بنفسه، وإما بواسطة غيره، فيقوم بجرحه بسكين ونحوها، ولم أقف على تصريف الكلمة، لأن بعضهم يراها مهملة، كالجوهري[٣].

هناك من المعاصرين من أشار إلى أوجه الجمع بين الاستخدمين: العربي والفارسي، وخلص إلى أن التطبير بالاستقراء في العربية وغيرها يرجع إلى ثلاثة معاني: (السلاح، والحمرة، والمصيبة الداهية)، وأن هذه الثلاثة لا تجتمع إلا في الحروب، ولذا تطلق في عاشوراء[٤]، وكأنه تلميح وتصريح بأن حالهم كذلك، والحمرة هنا تعبير منه عن الدم في الحرب بالثمرة الحمراء كالرمان؛ ولكنه بهذا أهمل معان أخرى: كـ(القفز، والاختباء، والعلو والاعتلاء بين البهائم)، والتطبير بواقعه قد يحوي هذه المعاني، فالمطبر تعلو يده رأسه، وقد يصحب ذلك القفز موافقة للأهازيج والصيحات التي يتقوون بالصراخ بها، كما قد يخفي المطبر وراء عمله مقاصد ومرام يؤملها، وتقية يتوصل إليها بنوع من الضجر والجزع، وعلى كلٍ فلا يخرجها ذلك من النياحة إذا فعلت جزعاً، وخاصة إذا كان المطبر كالهائم والهلع.

وبعد: فالمقصود بالتطبير في عاشوراء شج الرأس وجرحه من أعلاه بالسيوف،

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة: طبر، ٤/ ٤٩٥، وتاج العروس، مادة: طبر، وغول، ١٢/ ٤١٢، ٣٠/١٣١، والقاموس المحيط، مادة: طبر، ص٤٣٠، وانظر: تهذيب اللغة، مادة: ط ر ب، ١٣/ ٢٢٧.٢٢٨.

(٢) انظر: معجم البلدان، ٤/ ١٣، والتطبير والإشكالية المزمنة، باقر الرستم، ص٢٢، ط١، ١٤٣١هـ، دار المحجة البيضاء.بيروت، والعقدة والعقيدة، سيف الخياط، ص٦٢.

(٣) انظر: تاج العروس، مادة: طبر، ١٢/ ٤١٢.

(٤) انظر: كتاب الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء .والتطبير)، محمد جميل العاملي، ص١٧٩ـ ١٨٠، ٣٢٣.

أو السكاكين، أو الحجارة، ليخرج الدم، ثم بعد ذلك تتكرر إسالة الدم بالضرب على هذا الموضع براحة اليد على هيئة اللطم.

واقعه: التطبير من الأعمال المنتشرة في كثير من المجتمعات الشيعية، ويخصص لها أناس داخل المواكب، وغالباً من الشباب، بما يعرف بفريق الحيدر، مما يوحي بالشجاعة والقوة، نسبة إلى حيدر: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما قد تخصص مواكب تطبير للنساء والأطفال، وقد رأيت في الهند الأطفال الصغار يشكلون مجموعات للزناجيل، أما تطبير النساء فلم أقف على فعلهم له، أو حديثهم عنه إلا بشكل يسير(١)، مع أنه أصل الأدلة عندهم، فربما أخفوه تقية.

يصاحب هذا العمل أناشيد مواساة، وهتافات حيدرية، وقد تسمى لطميات، ويستمر المطبر بعد التطبير في استخراج مزيد من الدم، من خلال تكرار الضرب على قامته بكفه، بصورة ومنظر بشع، مع هتافات، كحيدر علي، وتسبق عملية جرح الرأس بنادب ينعي الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويثير الأشجان لدى المطبرين.

يُبْدَأُ التطبير بمجموعة، ثم يعقبها مجموعة أخرى، يتكرر ذلك أكثر من مرة خلال مسيرة الموكب، وبطريقة علنية مشهودة، قد يصحبها بكاء وصراخ، ليتوافد الراغبون ويزداد الحماس، كما يريد منظمو المسيرات، وتستمر هذه الحالة إلى أن تصل المواكب إلى غايتها، وقد تكون ميدانًا، أو مبنى واسعًا تنتهي إليه الوفود والمواكب، لتبدأ مرحلة أخرى من النياحة، وقد يطلق على هذا الميدان كربلاء، وكأن المواكب السابقة باستعراضها تلبي من يناديها إلى كربلاء.

قد يكون في هذه الأجواء فرصة سانحة لاستعطاف بعض الطوائف من المجتمع، كما في إخراج المساجين تعبيرًا عن عفو تكريمي لأجل هذه المناسبة الاجتماعية، لا لكونها شعيرة تعبدية، وغالبًا ما يكون ذلك داعيًا إلى مشاركتهم في هذه الأعمال، وخاصة العنيفة منها،

---

(١) انظر: عاشوراء في الأدب العاملي، ص٧٠، حسن نور الدين، فقد ذكر أنه في ثمانينات القرن الميلادي الماضي (العشرين) وجدت هذه الظاهرة في احتفالات النبطية في عاشوراء، ثم منعت من قبل رجال الدين، ومن ذلك ما قد ينتشر في صور التطبير في الصحف والمجلات، ومقاطع الفيديو في القنوات ومواقع الانترنت.

تكريماً لها، وتعاطفاً معها، أو رجاء أن يحصلوا على المغفرة الإلهية[١].

تظهر في الفترة الأخيرة عناية كبيرة بهذه الشعيرة، واستنفار بارز، فمن خلال الصور والأفلام المسجلة والمباشرة، ومن خلال اطلاعي المباشر رأيت أن عملية التطبير تحظى بأفراد يتفرغون لأعمال النوح والتهييج، وآخرين لأعمال الإسعاف والإنقاذ، وآخرين للتعقيم للمطبرين ولضاربي الزناجيل، وآخرين للتصوير الإعلامي؛ هذا إضافة إلى فرق أعمال الموكب الأخرى، كمجموعة العزف والموسيقى، علماً أن هذه الشعائر تؤدى في حالة العطش والإرهاق، أو الصيام!، لتحقيق المشابهة مع مأساة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم عاشوراء[٢]؛ فهي تدور بين أمرين: إما القرب والنذور[٣]، وإما الاستعداد للثأر والحرب، تصريحاً أو تلميحاً، وبأي الأمرين هو إعلان للنياحة، وإشعار للجسد ووسمه كإشعار الهدي المساقة إلى الحج، وكذلك الشيعي يشعر جسده تعظيماً وولهاً[٤]؛ فيطليه بالحمرة، بعد أن كان يطلى بالسواد حداداً، وعلى كل فوراء الأمر أمر طَبَار، خلفه طَبْر وطُبَّار، وفيه قفز واختفاء واختباء وفتنة.

لا زال الجدل في التطبير واسعاً وحاداً بين المراجع الإمامية، بسبب كون هذا العمل أضر بالمذهب، وهتك حرمته، وأوهنه أمام الناس، وقد ألفت فيه الكتب والرسائل، وأنشئت باسمه مواقع ومنتديات ومدونات إلكترونية، وازداد الخلاف بعد صدور فتوى الولي الفقيه الإيراني ومرشد الثورة الخمينية علي خامنئي بتحريم التطبير، وقيام الحكومة الإيرانية بمنعه، هذا في مقابل من يقول باستحبابه من المراجع، وأنه ـ عندهم ــ من تعظيم شعائر الله عندهم، إلى آخر يقول: إنه واجب كفائي؛ في جدول طويل وعقيم، جرت بسببه مقاتل ومطاحنات

---

(١) انظر: مجلة الموسم، عدد ١٢، ١٩٩١م، ص٢١٣، مقال: (من تاريخ الشعائر الحسينية في النجف الأشرف)، طالب علي الشرقي، والتطبير والإشكالية المزمنة، ص٢٨، ٣٥. ٤٠.

(٢) تبالغ الإمامية بالسعي لتحقيق استذكار المصيبة، وكأنها رأت أنه أمر واجب عليها، ولما واكب متأخروهم انتشار وشيوع التمثيل (التشابيه) والمسارح في هذه الأزمنة نقلوها إلى شعائرهم، وفرحوا بها فرحاً كبيراً، لأنها تحقق مرادهم المزعوم، ومما يدل على ذلك أنهم بعدها انشغلوا بتعظيمها والدفاع عنها حتى عدوها شعاراً لهم.

(٣) وهذا ظاهر في البديل عنه: التبرع بالدم، انظر ص٦٠٤ من البحث.

(٤) انظر: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء. والتطبير). محمد جميل العاملي، ص١٥٧.

وتحزبات بين عوام المذهب وخواصه[١]؛ كما قد يسمى الذين يضربون بالسلاسل والسيوف بالشيرازية، نسبة إلى المرجع الشيعي الشيرازي، لانتصاره للتطبير، وتطبيقه إياها، فخرق أعراف العلماء والمراجع، ومارس التطبير بنفسه على مرأى من مقلديه، مع أنه كان مستقراً عندهم أنه من أعمال العوام وأشباههم، وأنه: (لم يطبر مفت)[٢].

نشأته: قيل إن التطبير نشأ في الطور الثالث زمن الدولة الصفوية، وابتدأت به بعض مواكب التركمان من أذربيجان أو القفقاز المجاورة لبلاد فارس في زيارتهم للنجف وكربلاء، حيث قام أحدهم بجرح رأسه، حتى أدى إلى موته، ثم قام الوفد باستذكار هذا العمل واستحسانه[٣]، مع حلق الرؤوس ولبس الأكفان، حتى انتشر هذا العمل؛ وقيل: إن هذا ظهر بعد الدولة الصفوية، في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي[٤].

قد يرجع البعض سبب نشأته إلى ظهور العنف في تدريبات جيوش الدول الكبرى الغازية في القرون المتأخرة، ومنها الدولة العثمانية التي من أشد خصومها الدولة الصفوية، لتقوية قلوب الجنود، ومنها انتقل إلى كربلاء مع وفود الزائرين والمعزين في عاشوراء[٥].

ما سبق في ظروف نشأة التطبير لا يمنع أن يكون اقتباس هذا العمل جاء تقليداً لإحدى الملل والأديان والطوائف في مثل هذه الأعمال في احتفالاتهم الدينية، أو القوميات والبلدان القريبة من إيران، ومع ورود ترجيح أحدها دون غيره فلا يمنع من تكرر البدايات، والأجواء المشابهة، مما سهم في سرعة ظهور هذا العمل، ومن الاحتمالات التي ذكرت في هذا الجانب ما يلي:

---

(١) انظر: موقع تطبير، وقد خصص بهذا الاسم للرد على المانعين والمحرمين، وقد جاءت مقالات الموقع بلغة ساخطة، وأدب سوقي رخيص، ودرجة علمية وضيعة.

(٢) انظر: موقع: تطبير، على الرابط التالي: http://www.tatbir.com/index1/initial.htm.

(٣) الملاحظ هنا أن الضرر في أصل الحادثة الأولى تحقق، وهلكت النفس، هذا فيما يظهر من الخبر، ثم تكرر التطبير استذكاراً لهذا الميت، ولفعله، لا للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) سبق في ص ٣٨٨- ٤٠٥ من البحث.

(٥) راجع عن النشأة ص٣٨٨ من البحث.

أ- نصارى القفقاز، وهم من النصارى الأرثوذكس، وكانوا يفعلون هذا التطبير في ذكرى مصائب المسيح عليه السلام، وفيما يعرف بالجمعة العظيمة[1].

ب- نصارى أذربيجان القريبين من إيران، وكانوا يقيمون مسرحيات مصائب المسيح، كغيرهم من النصارى[2].

ت- نصارى أوربا، وقد ذكر الدكتور علي شريعتي أن هذه العادة وغيرها من الشعائر الحسينية في المواكب والتشابيه وفدت من أوربا، كحمل الأقفال أوتعليقها، واللطم والزنجيل، وغيرها، وأن هذه الشعائر استقيت من خلال زيارة مبعوث الدولة الصفوية (وزير الشعائر الحسينية) لأوربا، وحضوره ذكرى استشهاد المسيح السنوية، التي تقام في منطقة اللورد، وأشار إلى الاستنكار الواسع من العلماء لهذه الطقوس الدخيلة، ولكن قوة الدولة الصفوية وعنفها أخضعت الجميع لقبولها، مما اضطرهم إلى الركون إلى التقية، مدة تقارب ثلاثة قرون، فاستقرت بإرادة سياسية، لا إرادة دينية، مما جعلها خلفية دينية للمجتمع الشيعي[3].

ث- بيئات متنوعة لديها عادات مشابهة للتطبير، قد يصاحبها جلد للذات من خلال مسيرات ومواكب تفد إلى أرض العراق وإيران، اللتان تحويان كثيراً من مشاهد آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[4]، أو كما في مجالس الصوفية بضرب الجسد بآلة حادة من حديد، مثل ما يعرف بضرب الجسد بآلة (الشيش) في الحضرة، عند الطريقة الرفاعية[5]، وقد أشار الألوسي من علماء العراق أن هذه الممارسات العنيفة كثرت

---

(١) انظر: الجذب والدفع في شخصية الإمام علي، مرتضى مطهري، ص١٦٥.

(٢) انظر: جدل ومواقف، ص٦٩، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري).

(٣) انظر: التشيع العلوي والتشيع الصفوي، د. علي شريعتي، ص٢٠٦ . ٢١٠، وراجع ص٣٨٨، ٤٠٥ من البحث.

(٤) جدل ومواقف، ص٦٩، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري).

(٥) انظر: الصوفية نشأتها وتطورها، ص٩٧، محمد العبدة، وطارق عبد الحليم، ط١، ١٤٠٦هـ، دار الأرقم – الكويت؛ وهي موجودة في أرض العراق وإيران وغيرهما.

في أرض العراق بعد غزو التتار لبلاد الإسلام[1]، ومثله حرص وتحري بعض الجهلة ــ من المتصوفة وغيرهم ــ على أن يوافق الختان يوم المولد النبوي ونحوه، والاحتفال بالختان، والذي فيه إسالة الدم[2]، ومثل ذلك ــ أيضاً ــ الاستحمام المكشوف بالماء البارد في الأجواء الشاتية، كما عند بعض النحل الشرقية القريبة من إيران، أو داخلها.

وقته: يوم عاشوراء غالباً، من خلال المواكب النهارية، وقد تتكرر يوم الأربعين.

مستنده: تستند الإمامية في كون التطبير من الشعائر بأن الأصل فيها الإباحة، وكونه من مصاديق الجزع، وخاصة إن ظهر منها معنى الحزن وأمن الضرر، وتحقيق هذا محل نزاع وجدل طويل بينهم، وأما من حيث الرواية والخبر فتستند الإمامية إلى أخبار منها:

١- قصة ينسبونها إلى زينب بنت علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في اليوم التالي لعاشوراء، حين كانت راكبة في الهودج، مارة بأرض كربلاء، فضربت رأسها بالمحمل، فأدمت جبينها، عندما رأت رأس الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فخرج منها الدم[3].

٢- قصة الرباب بنت امرئ القيس بن عدي[4]، زوجة الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، لما تمنعت من بعد مقتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن تستظل تحت سقف، حتى تقشر جلدها، وبليت وماتت من حرارة الشمس[5].

٣- ما يروونه: (أن آدم لم ير حواء فصار يطوف في الأرض في طلبها، فمر بكربلاء فاغتم وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين ــ عليه السلام ــ، فسال

---

(١) انظر: روح المعاني، ٩ / ٦٧، محمود الألوسي، ت/ ١٢٧٠هـ، ت. علي عبد الباري عطية، ط ١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء- الرياض، ٥/ ١٣٣.

(٣) بحار الأنوار، ٤٥/ ١١٤، والقصة بعثها الطريحي في منتخبه، انظر ص٨٨٣ من البحث.

(٤) وهي أم سكينة، وعبد الله أولاد الحسين ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ، الذي يشتهر في كتب الشيعة بـ عبد الله الرضيع، انظر: أعيان الشيعة، محسن الأمين، ٣/ ٤٩٢.

(٥) انظر: التطبير والإشكالية المزمنة، ص٢٠، وأشار إلى ما عند الرومان واليونان من أعمال مشابهة.

الدم من رجله...، فلعنه أربع مرات[1]، ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حواء هناك)[2]، وهذا نص ظاهر فيه الكذب والوضع، والإمامية تقبل مثل هذه الترهات من باب (التسامح في باب السنن)، بل في البدع، وإن شئنا قلنا إنها تحث على الوضع والكذب، وهذه الرواية توفر لهم قصد الموافقة للحسين في إسالة الدم، وإن كانت الرواية موافقة في المكان، لا في الزمان، ومخالفة أيضاً في الموضع من الجسد بين الرجل والناصية، أما الحسين فمن جميع جسده، بل قطع رأسه؛ فأين المواساة؟ كما أن آدم ليس من شيعة الحسين حيث لعن مكانه!.

٤- عدة استنتجات منها: أن الشيعي في هذه المناسبة ـ يوم عاشوراء ـ يتبع ويقلد حال الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حين أنهكه العطش، وجرح وأهريق دمه، فلعل الشيعي بهذا يبعث يوم القيامة ملطخاً بدم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه أمان للميت إذا وضع في كفنه[3]، وأن أحد الأئمة تعرض للإغماء وهو يستمع إلى النوح والرثاء، فالتعرض لمثل الإغماء وسببه جائز، ومثله التطبير، وهو عندهم من مصاديق الجزع والتضحية ومواساة أهل البيت، وأنه من جنس البكاء دماً بدل الدموع، كما في كتب الزيارة عندهم[4]، وهو ـ أيضاً ـ من الاستعداد للظهور والبيعة للمهدي، والأخذ بالثأر، كما أنه من جنس الفصد والحجامة من حيث الانتفاع بخروج الدم[5].

توسع أحد الإمامية المعاصرين في تشريع هذه البدعة، فقرر أن كل ما ترشح (لزم) عن البكاء من سلاسل وتطبير فهو مشروع، وأن التطبير لا يشترط في حليته استشعار المصاب به وبألمه، فنفس العمل تعظيم لله، محبوب إليه[6]، وهذا التعميم والغلو في تعظيم النياحة

(١) أي لعن آدم الموضع (كربلاء)!.

(٢) انظر: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء .والتطبير) .محمد جميل العاملي، ص١٩١، ولم يذكر مصدر الرواية، ونقلها بلفظ روي.

(٣) انظر: التطبير والإشكالية المزمنة، ص١٢٦.

(٤) انظر: التطبير والإشكالية المزمنة، ص٥٦.

(٥) انظر: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء.والتطبير)، محمد جميل العاملي، ص١٥٧.

(٦) انظر: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء.والتطبير)، محمد جميل العاملي، وفيه نقاش مطول حول =

القبيحة والتأجيج عليها؛ لا شك أنه من التألي على الله، والقول عليه بالكذب، وسوء الأدب في الفتوى، ومن قلة الورع، ثم لا تسأل عن حب مثل هذه النفوس للثأر والفتنة بين المسلمين، وكرهها لحقيقة الوحدة والتقارب بين المسلمين.

مما يذكر أن أول فتوى محررة في جواز التطبير هي فتوى محمد حسين النائيني عام ١٣٤٥هـ، وهي من أشهر الفتاوي في مشروعية هذا العمل، وقد عارض بها فتوى التحريم التي صدرت من مرجع النجف في زمنه محمد حسين آل كاشف الغطاء النجفي عام ١٣٣٩هـ[١].

تأويله وفلسفته: التطبير ـ باعتباره صورة من تعذيب النفس ـ نوع من الرياضة الروحية، والتوبة من الخطايا، وطرق التكفير عنها، كما أن فيه جانب من إظهار القدرة على التحمل والمشقة، والاستعداد للذوبان الروحي في قضية الإمام حباً وثأراً[٢]، وهو نوع من تفريغ الطاقة البشرية المشحونة بالظلم، والتي تزداد اشتعالاً بالبكاء والحزن، وبسبب مولداتها، وقد يكون معدودًا كنوع من تكفير الخطايا، كما أن الدماء النازفة كالقرابين بين يدي الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو أنها كالمواثيق والعهود التي تقدم لبقية الأئمة وآخرهم المهدي المنتظر، لكي يخرج إلى شيعته، أو أن المطبرين كالبدن التي تشعر في الحج تعظيماً للإمام، وعليه يصرح المرجع اللبناني جواد العاملي ـ كما سبق ـ بأن التطبير لا يشترط في حليته استشعار المصاب، فنفس العمل تعظيم لله محبوب إليه[٣].

كل ما سبق جعل من هذه البدعة وأمثالها مما يسمونه شعائر؛ جعل منها خلفية دينية للمجتمع الشيعي، وإرثًا تاريخيًا سيصعب عليهم التخلي عنه، وذلك تحت غطاء أن هذه

=

التطبيرفي الفصل الثالث، وانظر ص١٧٣ من الكتاب.

(١) انظر: التطبير والإشكالية المزمنة، ص٤١-٤٢.

(٢) انظر: التطبير والإشكالية المزمنة، ص٨٣، ويشير مهدي السويج إلى أن التطبير واللطم هما تعبير عن المحبة، وعن الحزن في آن واحد !؛ انظر: مائة مسألة مهمة حول الشيعة، ص٤٥، مهدي محمد السويج، ط٣، ١٩٩٦م، مكتبة العرفان –الكويت.

(٣) انظر: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء-والتطبير)، ص١٧٣.

الشعائر ضمن موسوعة محبة آل البيت، وهي محبة «خارجة عن نطاق الشريعة، وداخلة في نطاق الحب الذي لا يلتزم بالقيود والضوابط»(١).

نقده:

١- أن كل ما استند عليه المجيزون للتطبير موضوع وباطل، ولا يرقى دليلاً على جواز التطبير، بل هو محرم قبيح منكر، من جنس خمش الوجوه، والنياحة المحرمة، وما استند إليه المجيزون للتطبير مأخوذ من كتب المقاتل المتأخرة، كمنتخب الطريحي الذي ذكر قصة المحمل(٢)، وذكر أنه عمل محدث لم يعمله الشيعة من قبل، وأن كل صور النياحة في عاشوراء، ومنها قصة زينب مخالفة لتوجيه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث إن الإمامية تروي أنه قال لأخته: (يا أخية! إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي علي جيباً، ولا تخمشي علي وجهاً، ولا تدعي علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت، ثم جاء بها حتى أجلسها عنده)(٣)، ولما أوصى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نساءه يوم كربلاء بدأ بأم كلثوم فقال: (يا أختاه يا أم كلثوم، وأنت يا زينب، وأنت يا فاطمة، وأنت يا رباب: انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن علي جيبًا، ولا تخمشن علي وجهًا، ولا تقلن هجرًا...)(٤)، ورووا أيضاً أنه لما (جلس الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الطف وجون مولى أبي ذر يصلح سيفه، والحسين يقول: يا دهر أف لك من خليل الأبيات، جعلت أم كلثوم تنادي وا محمداه، وا علياه، وا أماه، وا أخاه، وا حسيناه، وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله، فعزاها الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال لها: (يا أختاه تَعَزَّي بعزاء، الله فإن سكان السماوات يفنون،

---

(١) التشيع العلوي والتشيع الصفوي، د. علي شريعتي، ص٢٠٦.٢١٠.

(٢) انظر: التطبير والإشكالية المزمنة، ص٤٧.

(٣) الإرشاد، المفيد، ص٢٣٢، والمناقب، ابن شهرآشوب، ٤/ ٩٩، وبحار الأنوار، ٤٥/ ١، والعوالم، ١٧/ ٢٤٥، وأعيان الشيعة، ١/ ٦٠١، وتاريخ اليعقوبي، ٢/ ٢٤٣، وكذلك انظر من كتب أهل السنة: تاريخ الطبري، ٣/ ٣١٦، والكامل في التأريخ، ٢/ ٥٦٠، والبداية والنهاية، ٨/ ١٩١.

(٤) انظر: اللهوف (في قتلى الطفوف)، ابن طاؤوس، ص٣٥، ابن طاووس الحلي، ت/٦٦٤هـ، ط١، ١٤١٧هـ، أنوار الهدى – قم، وكتاب الفتوح، ابن أعثم، ٥/ ٩٤، ومقتل الحسين، الخوارزمي، ١/ ٢٣٨، والدمعة الساكبة (مجالس عزاء)، ٤/ ٢٧٦، ليلى محمد الدهيني، ط٢، ١٤٢٨هـ، دار الحواء .بيروت؛ وأعيان الشيعة، ٣/ ٤٨٥.

وأهل الأرض كلهم يموتون، وجميع البرية يهلكون)[1].

٢- أنه مخالف لفتوى وتعليمات عدد من مراجع المذهب، ومنهم الولي الفقيه الحي مرشد ثورة إيران الإمام النائب علي خامئني، لما في ممارسة التطبير من هتك المذهب، والإضرار بالنفس، ومن صور الاعتراض على هذا المظهر قيام دعوات لبدائل عن التطبير، كالتبرع بالدم يوم عاشوراء "بنك سيد الشهداء"، لأن هذا التطبير يرسخ مرحلة الندم وعقدة الذنب[2]، فوجود النزاع داخل المذهب كاف في البحث عن بطلانه من خارج المذهب.

٣- أنه عادة مستقاة من الأمم الكافرة، وقد استنكرها واستقبحها علماء المذهب ومراجعه ومفكروه قبل غيرهم، وقد أشار مرتضى مطهري في بعض أبحاثه إلى أن عادة التطبير هي من العادات المستوردة من المسيحيين، وقال مبيناً السبب الذي هيأ لقبولها السريع ــ وكأنه نقطة ضعف للمذهب ولأتباعه ــ: (إذا تجاورت النحل وتعاشرت، تَبَدَّلَتِ العقائد والأذواق، وإن تباعدت في شعاراتها، من ذلك مثلا سريان عادة التطبير، أي ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات، وضرب الطبول والنفخ في الأبواق من المسيحيين الأرثوذوكس القفقازيين إلى إيران، وانتشرت فيها انتشار النار في الهشيم، بسبب استعداد النفوس والروحيات لتقبلها)[3].

هذا الخلل الذي عرضه مطهري على استحياء يجليه علي شريعتي صراحة بقوله الذي سبق نقله، ويفيد بأن المذهب ابتلي بالعرفان الفلسفي الذي مرر باطله تحت شماعة محبة آل البيت، والانتساب إليهم، وطالما دخل الغلاة والزنادقة من هذا الباب، فمحبتهم إياهم محبة هوى، لا محبة هدى، وكما قال شريعتي: (خارجة عن نطاق الشريعة، وداخلة في نطاق

---

(١) اللهوف، ابن طاؤوس، ص٣٥.

(٢) موقع: فيصل نور، بحوث ومقالات حول عاشوراء، مقال: (الطقوس العنفية على مسرح عاشوراء)، سلوى فاضل، كاتبة شيعية، وهو على الرابط التالي:
http://www.fnoor.com/fn0295.htm
ونقلت الكاتبة عن الإمامي شمس الدين أن الأصل في التطبير الجواز، (لأنه في مجرى ما يسمى عند الفقهاء بأصالة الإباحة، أما إذا أدى إلى الإضرار بصاحب الذكرى فيصبح محرماً شرعاً، بالعرض، لا بالذات).

(٣) الإمام علي في قوته الجاذبة والدافعة، ص١٨٠، مرتضى مطهري.

الحب الذي لا يلتزم بالقيود والضوابط)[1]؛ وبمثل هذه المحبة تسقط ضوابط الشريعة، وتنتهك حدودها، ويبقى حكم الطريقة والحقيقة.

٤- أن الخلل ازداد ظهوره بسبب تركيزهم على إثارة العواطف والمظلوميات، بدعوى تحصيل الحزن الذي هو من علامات المحبة، دون نظر لمشروعية هذه الغاية أصلاً، مما أبقى المذهب عرضة لمزيد من الهتك والشناعات.

٥- أن كل عمل فيه ضرر لا تستدعيه حاجة محققة فهو محرم، وهم قد توسعوا في تقرير ذلك في كتبهم الفقهية، بضابط أن دفع الضرر عن النفس مطلوب من المكلف، وإذا كان شيعة الكوفة قعدوا وخانوا الحسين دفعاً للضرر عنهم، وهو ضرر القتل، بل لم يقاوموا اليسير منه، بل اصطفوا ضد الحسين ليحموا أنفسهم من الضرر، ولذا لا عليهم في أن يدفعوا الضرر عن أنفسهم بعد مقتله، بل بعد مضي مئات السنين على ذلك؛ وإلا للزمهم وجوب القتال حين المقتل وبعده مباشرة، ولو بقتل أنفسهم، وهو ما استأثر به غيرهم من الشيعة، إما من الزيدية والتوابين، وإما من الغلاة كالكيسانية، ونحوهم[2].

خمش الخدود والوجوه:

معناه: جرح الخد أو عموم الوجه بأي وسيلة، ويلحق بالتطبير بجامع الإدماء، ومثله حلق شعر الوجه تسخطاً وتفجعاً، وهي من عادات الجاهلية التي تتجدد في كل زمان، وهو من جنس التطبير، واللطم على الخد.

ضرب الظهور (الزناجيل):

معناه: ضرب الظهر بالزناجيل، أو السلاسل، ويسمى بالفارسي: "شيني زاني"، أي عزاء

---

(١) التشيع العلوي والتشيع الصفوي، د. علي شريعتي، ص٢٠٦. ٢١٠.

(٢) ممن له ردود على الإمامية حول هذه المسألة عبد الله القصيمي، في فترة انتسابه للحق، إذ في رده يلزم الإمامية بتجويز قتل النفس مواساة، لأنه أبلغ، في المواساة والجزع والاستذكار والتأسي، انظر كتابه: الصراع بين الإسلام والوثنية، ٢/ ٤٨، عبد الله بن علي القصيمي، ط٢، ١٤٠٢هـ، القاهرة.

الزناجيل[١]، والزناجيل جمع زنجيل: وهي كلمة غير عربية، وتلفظ أحياناً جنزير[٢]، وهي عبارة عن مجموعة سلاسل يجمعها مقبض من خشب، وفي آخر كل سلسلة حديدة صغيرة، يحدث لإلقائها إلى الخلف على الظهر والكتف جلجلة وصوت، ويتكرر الضرب بها يميناً وشمالاً، وقد يتنظم هذا العمل مع إيقاعات الرواديد، أو الهتافات، أو الضرب الجماعي، وقد يكون الضرب بهذه السلاسل من دون قطع الحديد الجارحة، فتكون كهيئة السياط.

واقعه: تنقسم المواكب إلى عدة مجموعات ووفود، لكل وفد منها مجموعة تقوم بالتطبير، إضافة إلى مجموعات أخرى كمجموعات النوح واللطم، وهي تسير مع الموكب بالهتافات ضمن وفدها، ثم يقف الموكب قليلاً ليستعرض أصحاب الزناجيل، بالضرب على إيقاع الصيحات والهتافات والرقص، ثم يتوقفون عن الاستعراض للسير مع الموكب، ثم يتكرر هذا العمل عدة مرات، ويحيط بمثل هذه المجموعات مراقبون يحرسونهم، رافعين من حولهم سكاكين كبيرة، أو سيوفاً تشبه السيف المنسوب لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والذي كثيراً ما يرسم وتعلق صورته في الحسينيات والشبيهات، إلى حين أن يصل الموكب إلى غايته، ثم يجتمع في ميدان أو مكان واسع، لتبدأ مرحلة أخرى من النياحة، وقد يطلق على هذا الميدان كربلاء، فكأن المواكب السابقة باستعراضها تلبي من يناديها إلى كربلاء.

المجموعة التي تستخدم الزناجيل قد تسمى بـ"الضريبة"، وتكون في الغالب تكون مكشوفة ظهورها، ويظهر من حالها أنها مكلومة من آثار الزناجيل في العام السابق، إذ تبقى آثارها كما في الحجامة، إضافة إلى أنه تخصص مجموعة ضمن الوفود والمواكب للأطفال والغلمان، تقوم بضرب السلاسل بنفس الطريقة، مع الهتافات، وقد تنزع السكاكين الصغيرة من أخشابهم لتبقى مجرد السلاسل، أو تكون غير محددة، مراعاة لصغرهم[١]، وقد يخصص

---

(١) انظر: موقع هيئة علماء بيروت (شيعية)، مقال (متى نشأت المجالس والمآتم)، ص٢٠، محمد زيدان.

(٢) لم أقف على مرجع لهذه المعلومة إلا ما ذكره الباحث الأستاذ عمر بن عبد العزيز الزيد، المتخصص في دراسة التشيع، في لقاء تلفزيوني معه، انظر: قناة صفا، ١٤٣٢هـ، برنامج إيران من الداخل.

(١) هذا من خلال ما اطلعت عليه في لكنو بالهند، في عاشوراء، ١٤٣٠هـ.

هذا العمل باسم (عزاء الزناجيل)[1]، ولعل البعض يميز وقته عن مسيرة المواكب، كأن يجعلها في آخر النهار، مع أن الغالب أنها تكون في ضحى يوم عاشوراء.

نشأته: سبق في التطبير أن هناك من جعل نشأته هو والزناجيل في الطور الثالث زمن الدولة الصفوية، ولكن لعل الأرجح أن الزناجيل حدثت في الطور الرابع زمن الدولة القاجارية، وما بعدها[2].

مستنده: القياس على التطبير، وأنه من مصاديق الجزع والمواساة، ومن التشبه بأهل المصيبة، وقد يلجأ بعضهم إلى الاستدلال ما يرونه من حال الفاطميات ــ من آل الحسين ــ حين ضربهن الجلادون، وهو من أخبارهم المختلقة، أو استناداً إلى إباحة بعض الفقهاء له، هذا فضلاً عن استحبابهم له باعتبار ما يؤديه ـ بزعمهم ــ من المواساة لآل البيت، ويعبر عن ذلك بقوله: (مباح بالعنوان الأولي، مستحب بالعنوان الثانوي)، وأنه لا مضرة فيها، بل زعموا له فوائد صحية، كتصلب الجلد وخروج الدم[3].

وقته: يوم عاشوراء، وليلته، وقد يتكرر في يوم الأربعينة من شهر صفر[4].

نقده: يرد على هذا المظهر ما ورد على التطبير من النقد، الذي سبق قريباً ذكره، ومن ذلك أن أخبارهم مكذوبة، وأما دعوى المواساة لأهل المصيبة فهو تحكم منهم، وإلا ليس ثم أعظم من القتل دونهم مواساة وانتصاراً، فلماذا لا يأتون بهذه المواساة على تمامها إن كانوا صادقين ومحبين وعاشقين، وخاصة كبراؤهم ومراجعهم، والغريب أن مثل هذه الأعمال يسلط عليها الجهلة والعوام، حتى شاع عندهم أن المفتي لا يطبر، مع أن المفتي والمرجع والفقيه أولى الناس بأعظم أنواع المواساة والاستذكار، وأولى مصاديق الجزع[1]، خاصة مع احتماء دعوى

---

(١) عزاء الزناجيل ضمن أنواع العزاء في عاشوراء، كما سبق ص٥٢٤ من البحث، وانظر: موقع هيئة علماء بيروت (شيعية)، مقال (متى نشأت المجالس والمآتم)، ص٢٠، محمد زيدان.

(٢) راجع ص٣٨٨، ٤٠٥ من البحث.

(٣) انظر: مشروعية الشعائر الحسينية، ص١٦٣، مهدي معاش، ط١، ١٤٣٠هـ، دار العلوم – بيروت.

(٤) كما سبق في التطبير، وانظر: مشروعية الشعائر الحسينية، مهدي معاش، ص١٦٤.

(١) انظر: الصراع بين الإسلام والوثنية، ٢/ ٤٨.

المحبة والعشق في نفوسهم إن كانوا صادقين.

أما ما يدعونه في الضرب بالزناجيل وأمثاله من بدعهم من حصول منافع جسدية للجسد والنفس، وأنه تسلية للنفس، ولا مضرة منها، أن ذلك كذب منهم، ومجرد دعوى، وإلا فما الذي يمنعهم من تحصيل هذه المنافع والاستكثار منها في بقية العام، خاصة إذا أنهم اتخذوها شعائر مقدسة، ومن شعار مذهبهم، والذي جلبوا به الشماتة على الإسلام وأهله، وإنما يرومون فيها ومنها للفتنة بين المسلمين، وإثارة العداوات والشحناء، ولذا نجد بعضهم عندما تلوح رايات التشنيع عليهم من المسلمين، بسبب ما ألصقوه بالإسلام وأهله من العار، نجده يتنصل من هذه المنافع الموهومة، وتظاهر بتحريم هذه الأعمال وكراهتها، وذلك تحت دعوى أنها توهن المذهب، وليت هذا الوهن استحضر في الأول، فدفعه أيسر من رفعه بعد وقوعه، وما أضر الدين إلا قصور في عقول ومدارك المنتسبين إليه، هذا فضلاً عن سوء المقاصد والنوايا.

ضرب الرؤوس والقامات:

معناه: أن يضرب الرجل رأس وقامته بيده، أو بقناة ونحوها مما له ثقل يسير غير جارح(١)، وذلك على هيئة اللطم، وقد يسبق ذلك بأن يضربه بآلة حادة لجرحه وإخراج الدم، ويكون بسكين، أو خشبة، أو حجر، والضرب يكون على الناصية، كما في التطبير، لكي يستمر خروج الدم بتتابع وتكرار ضرب الرأس باليد: راحة الكف ليستمر الدم بخروجه، وقد يحصل الضرب مع تطيين الرأس من دون دم؛ والضرب على القامة فيه إذلال وشدة تبكيت وتقريع للمضروب.

ضرب الخدود (اللطم):

(١) ضرب القامة: أي بنوع من العصا وهي القناة، وهو من الخشب يحمل في السفر ليدافع به المرء عن نفسه، والقامات: جمع قامة وهي الهيئة والقوام، والمراد بها أعلى الجسد حين يقوم الإنسان، وهو موقع الضرب انظر: لسان العرب، مادة: قوم، ١٢/ ٤٩٩.

معناه: صفع الوجه براحة الكف[1]، ومثله ضرب القامات والرؤوس فيسمى لطماً، لأنه ضرب بما له ثقل، على سبيل الجزع والنياحة، وهو اللطم المشار إليه في أحاديث النهي عن النياحة، مع أن اللطم غلب في شعائر عاشوراء المتأخرة أن يطلق اللطم على ضرب الصدور، وقد يفرق بعضهم ويخصص، فيسمي الضرب على الصدر لدماً[2]، ولكن الشهرة اليوم في اللطم لضرب الصدور، والذي أصبح شعاراً، لما يصحبه من أهازيج وأغاني تسمى باللطميات.

نشأته: هو من أعمال النياحة المعروفة في الجاهلية، ومن حيث ارتباطه بعاشوراء لا يستغرب وجوده في الطور الأول، فعظم مصيبة مقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تثير مثل هذه الأعمال

---

(١) اللطم: ضرب الخد وصفحة الجسد ببسط اليد، أي بالكف مفتوحة فيعقب حمرة، وفيه معنى الإلصاق والتتبع، يقال: لَطَمَه، يَلْطمه، لَطْماً ولاطَمَه مُلاطَمَة، ولِطَاماً، ولطيم جمعه لُطُم، ولطيمة جمعها لطائم، والمَلْطَمان: الخدان، جمعها: الملاطِم، أي الخدود، وواحدها مَلْطَم، فيه معنى الانكسار والتذلل، وبداية الاقتتال عند أول السباب والتنادي، وروي: (يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم أموالكم...)، واللطيمة إبل قوافل التجارة، والمَلْطُوم المردود عن الشيء أن يناله، ومَلْطَم البحر: الموضع الذي تنكسر عنده الأمواج، ولَطَّم الكتاب: ختمه، واللَّطِيم: الصغير من الإبل الذي يفصل عند طلوع سهيل، واللطيم: الذي يموت أبواه، والنسبة في اللطم: لطمي ولطمية، مثل لطيم ولطيمة، واللطيمة: وعاء المسك، أي العنبرة التي لطمت بالمسك فتفتقت به حتى نشبت رائحتها، ويقال لها: اللَّطَمِيَّة: نسبتها إلى التطام البحر عليها بأمواجه، وكل شيء خلطته بشيء فقد لطمته، وقيل نسبة إلى اللطائم، أي الأسواق، انظر: لسان العرب، ١٢/ ٥٤٢-، مادة لطم، وتاج العروس، ٣٣/ ٤٢١- ٤٢٦، مادة: لطم، وأسد الغابة، ٥/ ٥٠٠، وتفسير القرطبي، ١٦/ ٢٤٤، وعليه فالقصائد التي تنشد مع اللطم تسمى: لطْمية ولطَمِية، وجمعها: لطْمِيات ولطَمِيات، ولكنها لم تسم: لطيمة ولطيمات، وذلك -والله أعلم- لأن فيها معنى المخالطة والتسول جزعاً، أو التنادي للفتنة، والتهييج لها.

(٢) اللدم: يقال: لدم، ولادم، وجمعه لدم، كخادم وخدم، والتدم،وتلديم، بمعنى ضرب واضطرب، واللدم: الضرب بشيء ثقيل، له وقع، ومنه ضرب خبز الملة، واللدم: اللطم، ويعرف عن النساء، وتسمى المرأة لدم، ومنه رقع الثوب بعد خلقه، ورجل ملدم: أحمق ضخم، ومثله الحجر يتخذ للرضخ، والعرب تقول للحمى أم ملدم، (آكل اللحم، وأمص الدم)، انظر: جمهرة اللغة، مادة: دلم، ٢/ ٦٨١، الصحاح، مادة: لدم، وذكر أن المرأة تسمى لداماً، لأنها تلدم القرابة، ويظهر لتحملها الوصل، ورضاها بأدناه، وتواضعها أجمع القرابة عليها، وقد يقال: اللدم اللدم، بدل الدم الدم، عند التحالف والتعاهد، ٥/ ٢٠٢٨، ولسان العرب، مادة: لدم، ١٢/ ٥٣٩، القاموس المحيط، مادة: اللدم، ١١٥٧، وتاج العروس، مادة: لدم، ٣٣/ ٤١٤.

في المجتمعات التي لم يتمكن الإسلام منها، وإن كان الصبر مطلوبًا عند كل مصيبة[1].

مستنده: من أدلة الإمامية على اللطم ما ذكره المفيد بقوله: (لما كان اليوم التاسع من المحرم زحف عمر بن سعد إلى الحسين"ع" بعد العصر، والحسين"ع" جالس أمام بيته، محتب بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه فسمعت أخته الضجة الصيحة، فدنت من أخيها فقالت: يا أخي، أما تسمع هذه الأصوات قد اقتربت فرفع الحسين رأسه فقال: إني رأيت رسول الله "ص" الساعة في المنام، فقال لي: إنك تروح إلينا، فلطمت أخته وجهها ونادت بالويل، فقال لها الحسين: (ليس لك الويل يا أختاه، اسكتي رحمك الله)[2]، والمراد بأخته في هذه الرواية هي زينب، لأنها هي التي كانت تراقب أحوال أخيها في كل وقت ساعة فساعة، وتتبادل معه الكلام فيما يحدث من الأمور والأحوال، وقد روى ابن طاووس هذه الرواية مصرحاً باسمها: زينب، وزاد (لا تشمتي القوم بنا)، وذكر أبياتاً[3].

نقده: القصة التي ذكرت حجة عليهم، لا لهم، فهذه وصية الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لأهله، فهل شيعته من أهله وأتباعه، أم يرضون أن يشمت الناس بآل البيت، برأهم من كيد كل شامت ومفتر، ومن كل جاهل محب، ويكفي حجة عليهم ما يروى في نهج البلاغة: أن عليًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (ينزل الصبر على قدر المصيبة، ومن ضرب يده عند مصيبة على فخذه فقد حبط عمله)[4]، وقد سبق في مطلب الجزع ذكر عدد من أوجه النقد والرد.

ضرب الصدور (اللطم):

---

(١) أعظمها مصيبة الناس بموت الرسول ﷺ، وهي سلوان لكل مسلم، وراجع ص٤٥٤ من البحث.

(٢) الإرشاد، المفيد، ص٨٩، وقبله أوردها الطبري بعد قصة المكاتبة بين ابن زياد وعمر بن سعد، من رواية أبي مخنف، عن أبي جناب الكلبي، انظر: تاريخ الطبري، ٥/ ٤١٦-٤١٧، والكامل في التاريخ، ٣/ ١٦٥، ١٦٧-١٦٨.

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف، ص٥٥، وأعيان الشيعة، ٧، ١٣٨

(٤) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ت/ ٦٥٦هـ، ١٨/ ٣٤١، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان -قم، وأسنده أبو نعيم إلى جعفر بن محمد الصادق، وانظر: حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني، ت/ ٤٣٠هـ، ط ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.

معناه: أن يقوم الشيعي أثناء الغناء والإنشاد في المآتم بضرب صدره بيديه، أو إحداهما، ويقع الضرب بحسب صوت المغني وإيقاعاته ومقاطعه الصوتية، التي تكون على شكل الحزن، وبشكل مثير أحياناً، مع تمايل وانحناء، وترديد لبعض عبارات الرواديد "والرادود: المُغَنِّي أو المُنْشِد"، وبترتيب لمجموعات المرددين، وقد يصحبه ما يشبه الرقص الموحد، كما أنه يجري أحياناً بصورة فردية وعفوية، على هيئة تعبدية حزينة هادئة، خلال المواكب والزيارات والتعازي، وقد يسميه البعض على هذه الحال بـ(الرَّبَت)[1]، خاصة إذا كان بشكل هادئ[2].

واقعه: يشتهر لطم الصدور عند إنشاد المراثي، وتسمى قصائد الإنشاد والغناء باللطميات، وهي تشبه السماع عند الصوفية[3]، وأصبح لها حضور في الإعلام والمبيعات، كنموذج للغناء الديني عند الإمامية، وأصبحت مجالاً للتنافس داخل المجتمعات الشيعية، ووسيلة لكسب أعداد كبيرة من الحضور، واستمالة نوعيات منهم، كالشباب والنساء

---

(١) الرَّبَتُ والتَّرْبِيتُ للصبي بِمَعْنى التَّرْبِيةِ، كالرَّبْتِ، يُقَال: رَبَتَ الصَّبِيَّ، ورَبَّتَه: رَبَّاهُ، كتَرَبَّتَهُ، والتَّرْبِيتُ: ضَرْبُ اليَدِ على جَنْبِ الصَّبِيِّ قَلِيلا قَلِيلا، لِينامَ، انظر: تاج العروس، ٤/ ٥٢٤، مادة: ربت، والربت يطرح في البرامج الشخصية والنفسية، ويعرف كعلاج في تقنية الحرية الشخصية.

(٢) ممن ذكر هذا واختاره المرجع اللبناني: محمد حسين فضل الله، وانظر: التطبير والإشكالية المزمنة، باقر الرستم، ص٥٤.

(٣) السماع، وهو ما يعرف بالتغبير عند متقدمي الصوفية، أحدثوه في آخر المائة الثانية (القرن الثاني)، وقيل ابتدأه الزنادقة الحلولية، يحوي على قصائد وتهليل وترجيع وإنشاد وتطريب، وضرب بالقضيب، على الدف، أو على وسادة، أو جلد، أو الأرض والفرش، وقد يصحبها تنافس بين المغبرين في شدة إثارة الغبار، وقيل من ذلك سمي تغبيراً، وقيل من المغايرة وتذكيرهم بالآخرة (الغابرة: الباقية)، ولعلها من حال من أحدثوها، فغبرتهم كلبسهم الصوف، كرهه السلف والأئمة الأربعة – رحمهم الله–، ومنهم الشافعي، وقال عنه: (خلفت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن)، وكرهه أحمد، وقال عنه: (بدعة ومحدث)، وأما أربابه الصوفية فخالفوا فقهاء الإسلام واستحسنوه، لا على ظاهر الطرب، بل بزعمهم بما يوصل إليه من حقيقة، وتهييجه لكوامن النفس، انظر: الكتاب: الإبانة الكبرى، ٧/ ١٩٥، ابن بَطَّة العكبري، ت/ ٣٨٧هـ، (ج٧) ت. الوليد بن سيف النصر – الرياض، ولسان العرب، ٥/٥، والاستقامة، ابن تيمية، ١/ ٢٩٧، وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، السفاريني، ١/١٦١-١٦٧، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، ٥/ ٢٥٣، السيوطي الرحيباني، ت/ ١٢٤٣هـ، ط٢، ١٤١٥هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

والصغار، وأهل الطرب.

نشأته: يظهر أنه نوع من النوح الجماعي في بداياته، وقد سبق أنه نشأ في الطور الأول، في عهد علي الرضا ـ رضي الله عنهما ـ[(١)]، لكن من المحتمل أنه أصبح بصورته الإنشادية المعروفة بعد القرن الخامس، أو قريباً منه، بسبب التداخل بين الصوفية والإمامية، فكانت الصوفية أحدثت في مجالسها ما يعرف بالسماع والتغبير، وبان أثر التداخل بيين الطائفتين في الطور الثالث زمن الدولة الصفوية، حيث اعتمدت الرقص من ضمن أعمال وشعائر عاشوراء.

مستنده: تستند الإمامية في جوازه وكونها من شعائر عاشوراء عندهم على فتاوى الفقهاء والمراجع، اعتماداً على الاستحسان، وأنه من مصاديق الولاء لآل البيت، وعلى ما ينسبونه إلى آل البيت ونسائهم[(٢)]، وقد يستدلون على الجواز بالمكاشفات والمنامات، فهذا المرجع الشيعي المشهور بحر العلوم ذكر أنه رأى في المنام أن المهدي يشارك في عزاء طويرج، يلطم[(٣)].

تأويله وفلسفته: اللطم تحضير للقوة، ورياضة روحية، وتعبير عن الاعتراض، وهو رمز الانتصار ورقصة الحرب[(٤)]، كما أن اللاطمين يدخلون ضمن المصاديق المعتبرة عندهم في عاشوراء، فمنهم من يعبر عن المحبة، ومنهم من يعبر عن الحزن والمظلومية "السخط"، ويقول مهدي محمد السويج في تسويغ اجتماع المتناقضين في عمل هؤلاء اللاطمين: (ولهذا ترى اللاطمين في ذكرى مأساة الحسين .عليه السلام .إنما يعبرون عن العواطف الجياشة، والمودة الصادقة من جانب، كما يعبرون من جانب آخر بنفس لطمهم يعبرون عن السخط على الظالمين ابتداء من هناك، وصولاً إلى هنا[(١)]، وامتداداً حتى النهاية، ففي كل الأزمان يزيد

---

(١) راجع ص٣٥٠ من البحث.

(٢) تهذيب الأحكام، ٨/ ٣٢٥، ووسائل الشيعة، ٣/ ٢٧٣.٢٧٥، وذكر عدة روايات.

(٣) مائة مسألة مهمة حول الشيعة، مهدي محمد السويج، ص١٠٢، ولم يذكر في لطم المهدي المذكور إن كان صاحبه غناء أم لا؟!، لكن ذلك الزمان اعتادت المواكب الغناء وضرب الطبول.

(٤) نهضة عاشوراء، الخميني، ص١٠٧.

(١) يظهر أن معنى هذه العبارة كما يلي: من "هنا": حكام الدول المعاصرة، إلى "هناك": حكام بني أمية.

وابن زياد، وفي كل زمان ضعفاء يعبرون عن ذلك باللطم ونحوه)[1]، وهذا نوذج لتحول المذهب من الحزن إلى الفرح والثورة.

وقته: يبتدئ من الليالي الأولى من محرم، وذروته في التاسع والعاشر منه، وأصبح بشكل في مواسم الوفيات، التي تحتضنها حسينياتهم.

التطيين:

معناه: التعفير بالتراب والطين أن يضع جبينه أو خده، أو سائر جسده عليهما، ويمرغه فيهما، ومنه في عاشوراء وغيرها المسح باليد على موضع السجود، أو العتبات والمقامات والنذور، ثم إمرارها على الوجه والخدين والجبين، تبركاً وتقديساً، وقد يأتي الفعل على هيئة الشكر[2].

واقعه: التطيين والتعفير يكون على هيئة السجود وإلصاق الجبين بأرض وحلة، أو بحمل التراب والطين على الرأس وأعلى الجسد، على هيئة الاستحمام، وقد يكون بتمريغ الجسد كله في وحل، وهو ظاهر عند بعض الشيعة في يوم عاشوراء، وقد تفعله النساء بشكل أكثر في المزارات والشبيهات والتعازي، أو جزعاً وتسخطاً، أو تبركاً وسجوداً، كما في طينة كربلاء: طينة الحسين[3].

نشأته: عرف هذا المظهر في الدولة الصفوية، زمن الشاه عباس الأول الصفوي الذي كان يلطخ جبينه يوم عاشوراء[1]، وهذا لا يمنع أن يكون هذا العمل كان موجوداً لدى الشيعة من قبل، خاصة مع وجود فرق شيعية صوفية غالية، ومنها الفرقة التي قامت عليها الدولة

(١) مائة مسألة مهمة حول الشيعة، ص١٠٢.

(٢) تذكر هذه المسألة في سجود الشكر في كتب الفقه عند الإمامية، ومنهم من يذكر التعفير بين سجدتي الشكر بعد صلاتي الظهر والعصر، ويكون سجودهم على تربة كربلاء، ولما أنكر جمهور أهل السنة هذا العمل، واستعاضوا عنها بوضع اليدين على الصدر. بزعمهم؛ تأكد عندهم أنه من علامات الإيمان، ومما لا تقبل فيه التقية، كما أنه ورد في الخبر عندهم أن التعفير من علامات شيعة علي التي يميزهم بها يوم القيامة، انظر: مستدرك الوسائل، ٥/ ١٣٠، حسين النوري الطبرسي، ت/ ١٣٢٠هـ، مؤسسة آل البيت – بيروت.

(٣) منتديات الانترنت تنشر صوراً كثيرة من هذا النوع، وعن تربة الحسين انظر ص٦٣٧ من البحث.

(١) انظر: الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي، ص٩٩.

الصفوية، وباعتبار السجود على التربة والتبرك بها من هذا المظهر فإنه نشأ قبل ذلك، ولكن في عهد الدولة الصفوية اعتمد السجود على التربة الحسينية المشوية، كما سيأتي بإذن الله.

مستنده: ما ترويه الإمامية عن الحسن العسكري ـ رضي الله عنهما ـ، أومرفوعاً: (أن علامات المؤمن خمسة: التختم باليمين، وتعفير الجبين، وصلوات إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[(١)]، وهذا نص عام في تعفير الجبين[(٢)]، ويجعلونه من ضمن مدلولات الجزع والتبرك ونحوها[(٣)].

تأويله وفلسفته: استذكار حال الحسين بعد مقتله عند تعفر وجهه بالتراب، والاستعداد للتضحية للأخذ بثأره.

وقته: يوم عاشوراء، أو قريباً منه، وقد تكون في كل يوم إذا قصد به السجود على التربة الحسينية المشهورة، أو التبرك بها، والاستشفاء.

نقده: التطيين في ذكرى الحسين وباسمه هو أشبه بطريقة وطقوس النصارى في تعميدهم[(٤)]، ومثله طريقة الوثنيين والصابئة، واليزيدية عبدة الشيطان، علماً أن هناك لدى

---

(١) المزار، ص٥٣، المفيد، ت/ ٤١٣هـ، ت. محمد باقر الأبطحي، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد – بيروت؛ وتهذيب الأحكام، ٦/ ٥٢، وإقبال الأعمال، ابن طاووس، ٣/ ١٠٠، (وله تعليق متكلف حول حساب الأربعين)، ومستدرك الوسائل، ٤/ ٣٩٨، وزاد أن هذه الخمسة جاءت بزعم واضع الرواية إجابة للخليل عليه السلام حين سأل رسول الله ﷺ عن الشيعة علي بم تعرفهم.

(٢) تختلف تفسيرات الإمامية لتعفير الجبين، لكن ذكرت هذا الخبر استئناساً، وإلا فإنهم يستدلون على شعائرهم بما هو أقل صراحة، من مثل المصاديق.

(٣) يتناول علماء الإمامية هذه المسألة في عدة موارد، منها كتب الأصول والقواعد الفقهية، عند قاعدة الضرر، انظر على سبيل المثال: منتهى الدراية، الشوشتري، معاصر، ٦/ ٦٤٠.

(٤) التعميد: عند النصارى صب الماء على الرأس، أو غمس الجسم بماء، وهي نوع من تكفير الخطايا، وعلامة الدخول في النصرانية، للكبار والصغار، وعند اليزيدية: عبدة الشيطان شبيه به، أخذوه عن النصارى، ولكن يتم ذلك عند عبدة الشيطان بصب القاذورات على الرأس، ويذهب بالطفل لعين ماء تسمى العين البيضاء، وكذلك يرى النصارى أن من شرب الخمرة فقد شرب دم المسيح، انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص٣٤٣، د. سعود الخلف، ط٤، ١٤٢٥هـ، مكتبة أضواء السلف – الرياض، والموسوعة الميسرة (في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة)، ١/ ٣٧٥، ٢/ ٥٧٣، وعباد الشيطان، أخطر الفرق المعاصرة، ص٩٨، يوسف البنعلي، ط٢، ١٤٢٥هـ، المكتب الإسلامي .بيروت، وعقيدة الخمرة واستحالتها =

الشيعة في الهند، ومنهم الإسماعيلية، والذين قد يندمج بعضهم مع الإمامية، أو يتسمون باسمهم؛ لديهم مثل هذا التعميد، حيث يجمع ماء عبرت فيه أرجل المشيعين، أو اغتسلوا فيه، أو غسلت فيه قرابينهم وهداياهم، ثم يرش على الحاضرين، أو يغمس فيه الميت تفاؤلاً بنجاته من العذاب، أو تحفظ للتبرك بها فيما بعد عاشوراء، ونحو ذلك من صور التبرك[1].

نثر التبن والتراب والرماد على رؤوس المعزين:

معناه: نثر التبن أو التراب أو الرماد في الطرقات، وعلى رؤوس المعزين في المآتم والمواكب، وذلك علامة على الفاجعة، ومثله ما يكون في الأمم السابقة، ومثله ما كان يجري من لبس المسوح، أو تعليقها على الجدران وهي من الصوف، أو جلود الضأن، وهي علامة على الفاجعة والركون إلى التوبة والندم، وهي مظهر من مظاهر التبذل والحزن، وقد يكون من جنس التبرك بما ينثر، ومنها ما يجري جهلاً في بلاد السنة من رش الماء على الصبيان[2].

واقعه: قد يخف ظهور هذه الأفعال، لكن لا يمنع وجودها في البيئات الريفية الفقيرة، وبالقرب من المزارات النائية، التي قد تحدث عندها صور من الأفعال القبيحة والعادات الشنيعة التي لم يسجلها الباحثون، ومما ذكر منها في غير عاشوراء وجود الرقص المختلط بين الرجال والنساء[3]، والتعاقب في الاحتفال بين الشيعة والمجاورين لهم، من مسلمين ووثنيين أو غيرهم، يشاركونهم في احتفال خاص، في يوم تال، أو موقع مستقل[1].

إلى دم المسيح وجعلها مقدسة، مثلها دماء الشيعة في التطبير تصبح مقدسة، والتطيين بتربة مقدسة كتربة كربلاء يورث التقديس لدى العامة، ولا غرابة أن بعضهم يحتفظ بهذه الآثار لتدفن معه في قبره، أو تضاف إلى المجربات في العلاج، وطلب الإنجاب، أو التعويذ للصغار، ونحوها.

(١) حدثني بذلك عدد من المشايخ السلفيين، الكبار سناً في الهند أثناء زيارتي لها عام ١٤٣٠هـ.

(٢) انظر: جدل ومواقف، ص٥٦، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري)، وانظر ص١١٠٤ من البحث.

(٣) انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ٢٢٤.

(١) ومن ذلك ما رأيته في الهند موكب البريلوية بولاية لكنو في يوم عاشوراء، وذكر -أيضاً- بعض كبار الأخوة السلفيين في الهند أنهم يذكرون قديماً وجود احتفال للهندوس بعاشوراء، وإن كانوا يحتفلون به بعد لوحدهم.

نشأته: وجود بعض هذه المظاهر في الطور الثاني، زمن الدولة البويهية[1]، وإن كنت أتوقع وجودها قبل ذلك، لأنها في أصلها مأخوذة من الأمم السابقة، وهي صورة من الرهبانية القديمة.

مستنده: قد يستأنس البعض بما ترويه كتب الإمامية من أن النساء عندما ناحت زينب نثرن التراب على رؤوسهن، وشققن جيوبهن، ونحو ذلك[2].

تأويله وفلسفته: أنها من مصاديق الحزن المعتبرة عند كثير من الأمم.

وقته: يوم عاشوراء، وقد يفعل في غيره.

نقده: إذا ثبت الدليل ثبت المدلول، وكذلك إذا بطل الدليل بطل المدلول، نقلاً وعقلاً، وإذا كان العمدة على النقل فإن النقل يفيد التعارض، فيظهر من الأخبار التي نسبتها الإمامية إلى نساء آل البيت أنهن يخالفن هدي أئمة الهدى من بيت النبوة، بدءاً من سيدهم وسيدنا رسول الله ﷺ، ثم أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم ابنيه سيدي شباب أهل الجنة، الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد وردت عنهم الأخبار بالنهي عن ذلك كله، وتحريمه، وأنه من عمل الجاهلية، وأنه مبطل لأجر الصبر، فلا بد من ورود الكذب في أحد الجانبين، أو سقوطهما معاً، مما يلزم منه عدم صحة الاستدلال بالنقل على جواز هذه الأفعال، وأن يكون ذلك من تحكم العقول وأهوائها، وكفى بذلك بطلاناً؛ بل وصل الحال بالإمامية إلى جعل نساء آل البيت نموذجاً للمرأة الشيعية المعاصرة في احتراف النياحة، والمشاركة بذلك كوسيلة إعلامية للثورة في وجه الظلم والظالمين، واتخذت من زينب بنت علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مثالاً فصورته بما تراه وتهواه، وسمتها أم المصائب، وكذبت عليها الأخبار ما بين نثر التراب، وجرح جبينها في المحمل، وغير ذلك من الأخبار، كما أنها سمت بيت فاطمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بيت الأحزان، ويلاحظ في الفترة المتأخرة التركيز على مشاركة المرأة في هذا الجانب، واستثارة عواطفها من خلال ما يروونه عن نساء آل البيت.

---

(١) انظر: الانتصار، للعاملي، ٩/ ١٨٥، وراجع ص٣٦٨ من البحث.

(٢) انظر: أعيان الشيعة، ٣ / ٤٨٥.

تعليق الأقفال.

معناه: إقفال البدن، أي: أن يحمل المرء قفلاً يسير به في المواكب والمسيرات في عاشوراء، أو في ذهابه إلى زيارة الأضرحة، أو الأشجار والمواضع المعظمة، ويعتبر فتح الأقفال رمز لقضاء الحوائج(١).

واقعه: ذكر مرشد الثورة الإيرانية علي خامئني انتشار هذا المظهر في فترة سابقة، ثم اندثاره بسبب بعض الفتاوى التي حرمته، وأشار إلى عودته مرة أخرى لمواكب العزاء في عاشوراء.

نشأته: نشأ هذا المظهر في الطور الرابع، وقد أخذ من النصارى الأرثوذكس في بلاد القفقاز، وما حولها(٢)، حيث انتشر بينهم هذا المظهر، كما أن مثله ما يجري في منطقة اللورد من مدينة باريس من تعليق أقفال الحب بين العشاق رمزًا للإخلاص الأبدي(٣).

تأويله وفلسفته: تعليق الأقفال يكون: إما تعبيرًا عن الحزن والكبت، وإما تعبيرًا عن عظيم الحب لهذا الرمز صاحب المناسبة.

وقته: في مواكب يوم عاشوراء، وما شابهها، وفي مواكب ووفود الزيارة.

نقده: يقول المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامئني: (عادة اندثرت ثم رجعت، وإنها بدعة شنيعة)(١)، كما ينكرها عدد من مفكري إيران، ومن علماء الشيعة الذين رجعوا إلى السنة، ويذكرون أنها من عادات النصارى.

بهذا المظهر أكون قد أتيت على أبرز مظاهر التسخط والنوح في عاشوراء، عند الطائفة

---

(١) ذكر المجلسي في بحار الأنوار، ٩٧/ ٢٥٥، قصة قد توحي بارتباط الأقفال بالزيارة عند الإمامية، وذلك أن وفداً من أهل البحرين قدموا لزيارة الحسين، ووجدوا سادن الضريح أغلقه، فتضرعوا بالإمام، وتمرغوا بالتراب حتى فتحت الأقفال وزاروا، ويظهر أن هذه العادة رمز من رموز السحرة الدجالين، ومن الدجل الذي يروج على العوام.

(٢) راجع التطبير والزناجيل، ص٥٦٨، ٥٧٩ من البحث.

(٣) انظر: جدل ومواقف، ص٦٩، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري).

(١) ثورة عاشوراء، ص٧٥، وراجع ص٤١٦ من البحث.

الإمامية الاثني عشرية، وهي بدعة المعلظة في يوم عاشوراء على الأخص، وهذا لايعني وجودها مجتمعة في كل موضع احتفال لهم، أو عزاء، بل قد يوجد ويكثر بعضها في مكان دون مكان، أو في زمان دون زمان.

المبحث الثالث

مظاهر النسك والتوسل

وفيه:

تمهيـــــــــد: التنسك بين التصوف والتشيع.

المطلـــــب الأول: مظاهر القرب والدعاء.

المطلـــب الثـــاني: مظاهر الزيارة.

المطلـــب الثالـــث: مظهر التربة الحسينية.

تمهيد

التنسك بين التصوف والتشيع

الحديث في هذا المبحث هو امتداد للحديث في المبحث السابق، وحلقة وصل إلى بقيته في المبحث القادم، فإذا تقرر مما سبق مستند الإمامية فيما أحدثوه وابتدعوه وأضافوه إلى عاشوراء، مما يسمونه اليوم بالشعائر الحسينية، والأولى أن تسمى الشعائر الرافضية، واتضح تأويلهم لها، وفلسفتهم فيها، فإني هنا أؤكد ما سبق ذكره في ظروف وأسباب نشأة مظاهر عاشوراء، وما هي عليه اليوم من الغلو؛ أن أحد أسباب ذلك هو تأثر الشيعة عموماً، والإمامية خصوصاً بالتصوف والباطنية منذ زمن بعيد، وإن كانت رئاسة المذهب عقوداً من الزمن لم تتبن كل هذه الأعمال، فالتيار الأصولي العقلاني الذي تعايش مع مذهب المعتزلة لم يحي هذه الشعائر، ويقررها كما هي عليه اليوم، منشغلاً بترسية بقية مشروعه الأصولي الذي لم يستقر بعد.

لا شك أن التيار الإخباري أسعد بالاعتراف بهذه الشعائر، وبنسبتها إلى الأئمة، بل وتبنى ترسية مشروعها، من خلال تصنيف الروايات، وكتب المقاتل، وبعثها من جديد، وما حركة التصنيف لكتب الحديث الأربعة في عهد الدولة الصفوية إلا أبرز دليل وعنوان على الاعتراف والمصادقة، وهنا يمكن أن يبرز لنا دور التيار الإخباري وأثره على المذهب، وحفاظه على جانب كبير من روح المذهب، وإذا كانت الدراسات أشارت إلى انقطاع التيار الإخباري في العصور الوسطى "الطور الثاني"، وانه ابتدأ في القرن العاشر الهجري، من لدن محمد أمين الاسترابادي، فإن هذا يصعب التسليم به، وقد سبق في الباب الأول أن ألمحت إلى هذا الجانب، والذي أراه أن التيار الإخباري والمنهج موجودان من خلال الشعائر التعبدية، والطقوس المذهبية، التي تتضح من خلال كتب الزيارات، ومرويات الفضائل والمراثي، والمعاجز، وكتب المقاتل؛ وإن ضمور المنهج الإخباري في تلك الفترة لا يعني انعدامه؛ وخير دليل يؤيد هذا أن كتب الزيارة التي انتشرت في تلك الفترة صورة طبق الأصل للنياحة، بل لو شئت لقلت: إنها هي الأساس لصورتها النهائية، وهذا يعني أن التيار الإخباري من خلال

الاختفاء والاتقاء في الأضرحة والمشاهد استطاع أن يساهم برسم صورة هذه الشعائر، وإن كان هو في هذا الباب صورة مجانسة تماماً لما عند المتصوفة، حتى غدا المذهبان وكأنهما شيءٌ واحدٌ، هذا رغم ما حدث آخراً من محاولة الفصل بين المذهبين.

قد أشار عدد من الباحثين في دراساتهم إلى العلاقة والتواصل بين الإمامية والصوفية، ومن آخر هذه الدراسات دراسة قدمها الباحث الدكتور زياد بن عبد الله الحمام، وهي دراسة قيمة في هذا الباب، تناول فيه العلاقة بين الإمامية والصوفية من جهة التنظير والطقوس والشعائر، وقد أبرز عدداً من صور التقارب بين أعلام المذهبين، كما أنه أشار إلى مواقف التجافي لدى أعلام آخرين، وإن كانت قليلة ومتأخرة، ومن أولها جهود ابن حجر الهيتمي، ت/ ٩٧٣هـ، في كتابه: الصواعق المحرقة في الرد على أهل الرفض والضلال والزندقة، وحذر فيه من بدع النياحة والحزن في عاشوراء[(١)]؛ وهذه الجهود ــ من خلال عرض الباحث ــ لم تبرز موقفها من الصوفية في جوانب التنسك[(٢)]، وإنما ظهر أكثر في عقائد الرفض والغلو،

---

(١) ذكر الباحث في هذا الجانب عدة مظاهر ومواقف من متصوفة السنة، ممن لهم ردود وتحذير من الرافضة:

١- ابن حجر الهيتمي، من الأشاعرة الشافعية، ومن المتأثرين بالتصوف، لكن له ردود على الرافضة الإمامية.

٢- يوسف بن إسماعيل النبهاني، ت/ ١٣٥٠هـ، في كتابه: شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق.

٣- أبو عبد الرحمن السلمي، من متقدمي الصوفية، فيما نقله عنه الاسفراييني، ت/ ٤٧١هـ، في كتابه: التبصير في الدين.

٤- شيخ الطائفة النقشبندية، بهاء الدين الجامي النقشبندي، ت/ ٧٩١هـ، ومثله شيخ الطريقة العلية النقشبندية المعاصر – في مصر-، في كتابه: الدلائل العالية.

٥- طائفة من شيوخ الأزهر، حيث أصدروا بياناً يحذرون فيه من الرافضة وعقائدهم، وذلك بإشراف شيخ الأزهر: جاد الحق علي جاد الحق.

٦- منتديات صوفية على شبكة الانترنت الإلكترونية: (رباط الفقراء إلى الله، سفينة النجاة، الحوار الإسلامي).

انظر: العلاقة بين الصوفية والإمامية، ص١٦٠- ١٦٥.

(٢) سيأتي في الباب الرابع – إن شاء الله- بيان تعلق كثير من أهل العبادة بالأيام الفاضلة، وتوسع هذا إلى بدع المشاهد والقبور في عاشوراء، وإحياء ليلتها ويومها، وأن منهم من استند في مشروعيتها إلى أحاديث صوم =

التي تربط بالإمامة التي هي منشأ الخلاف.

لكن ثمت جهود تشير إلى مرحلة مهمة في انحراف الإمامية إلى التصوف والفلسفة، وهي مرحلة تتلمذ رموز من المدرسة الحلية على الإسماعيلية، كعلامتهم ابن مطهر الحلي حين تتلمذ وتعلق بشيخه الخواجه نصير الدين الطوسي، فاشتغل باختصار كتبه وتهذيبها وتدريسها، وروج لفلسفة الطوسي الإشراقية بين الإمامية[1]، إضافة إلى اجتهاداته الفقهية المذهبية، التي أثارت حوله إشكالات، حتى تبرأ منه بعض الإمامية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رضي الله عنه ـ في رده على كتابه منهاج الكرامة: (ومن الناس من يقول: إن صاحب هذا الكتاب ليس هو في الباطن على قولهم، وإنما احتاج أن يتظاهر بهذا المذهب، لما له في ذلك من المصلحة الدنيوية، وهذا يقوله غير واحد ممن يحب صاحب هذا الكتاب ويعظمه، والأشبه أنه وأمثاله حائرون بين أقوال الفلاسفة وأقوال سلفهم المتكلمين، ومباحثهم تدل في كتبهم على الحيرة والاضطراب، ولهذا صاحب هذا الكتاب يعظم الملاحدة كالطوسي وابن سينا وأمثالهما، ويعظم شيوخ الإمامية، ولهذا كثير من الإمامية تذمه وتسبه، وتقول إنه ليس على طريق الإمامية)[2].

شيخ الإسلام ابن تيمية ذكر أن الذين تبرءوا من نهج ابن مطهر الحلي كانوا كثيراً من الإمامية إلا أنه رضي الله عنه لم يذكر نماذج من هؤلاء[3]، ولكن أصل الاعتراض موجود، واستمر

=

عاشوراء، وما فيها من عبارات صوم الشكر، وقاسوا عليها بعض بدع يوم المولد النبوي، انظر ص ١١٣٨ من البحث.

(١) سبق ترجمة ابن مطهر الحلي والخواجة الطوسي، والعلاقة بينهما ص٣٧٢ من البحث.

(٢) منهاج السنة، ٦/ ٤٣٨.

(٣) ربما كان أغلب هؤلاء من طائفة الإخبارية –كابن طاووس– الذين ضاع مذهبهم في مقابل الأصولية، ولأن الإخبارية – بسبب أصول مذهبها– قد تكون أقل حظوة عند سلاطين التتار، الذين ربما تشيعوا لأجل استقامة ملكهم، ويظهر أن ابن تيمية اضطر إلى الرد على ابن المطهر لشدة خطره، وتبني سلاطين المغول نشر كتبه، وخاصة زمن خدا بنده الذي ألف لأجله الكتاب، وقد سبقه أخوه غازان الذي غزا بلاد الشام، وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية قصة وحوار معه، ومدافعة لغزوه، وذلك في وقعة شقحب المشهورة سنة ٧٠٢هـ،
=

إلى أن أبرز جانباً منه الاسترابادي في القرن العاشر.

ثمت من أبرز –أيضاً– جانب الانحراف في المدرسة الحلية وأتباعها، من خارج الإمامية، فهذا أحد متصوفة الأشاعرة، وهو الخواجه ملا فضل الله روزبهان الخنجي الشيرازي، الشافعي[1]، وذلك في كتابه: "إبطال نهج الباطل"، الذي صنفه عام ٩٠٩هـ، رداً على كتاب "نهج الحق وكشف الصدق"، للحلي، وانتصر للحلي من الإمامية نور الله التستري الهندي (٩٥٦ ـ ١٠١٩هـ)، فرد على الخواجه ملا "فضل الله روزبهان" في كتاب سماه: "إحقاق الحق وإزهاق الباطل"[2]؛ والغريب –مع ما سبق– أن ابن مطهر الحلي مع تهجمه على الصوفية، وذكره لقولهم في الحلول والاتحاد[3]؛ إلا أنه أنكر عليهم بدع المشاهد والقبور، ومنها السماع والرقص؛ بما يصور أن حال الإمامية في تلك الفترة لم تكن كحال الصوفية في السماع والرقص

=

وسيأتي الحديث عنها – إن شاء الله– ص١٠٧٧، كأثر من آثار التقابل بالبدع، ومنها الاتهام بالنصب من خلال عاشوراء.

(١) فضل الله بن روزبهان بن فضل الله الخنجي الأصل، الشِّيرَازِيّ الشَّافِعِي الصُّوفِي، ت/ ٩٢٧هـ، ويعرف بخواجه ملا، ترجم له شيخه السخاوي، وذكر عنه أنه أخذ علم السلوك من الجمال الأردستاني، قدم القاهرة وبيت المقدس والخليل والمدينة، وبها لقي السخاوي، وأجازه بصحيح البخاري وغيره، ومدح شيخه السخاوي بقصيدة، انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٦/ ١٧١، السخاوي، ت/ ٩٠٢هـ، دار مكتبة الحياة – بيروت، وقد فر الخواجه ملا من الصفويين بعد قيام دولتهم.

(٢) للتستري رد على الهيتمي، اسمه: إلقام الحجر في الرد على ابن حجر، أما كتابه إحقاق الحق فقد اعتنت به الإمامية، ومنهم شهاب الدين المرعشي النجفي، في شرحه: شرح إحقاق الحق، انظر: شرح إحقاق الحق، المرعشي النجفي، ت/ ١٤١١هـ، ت. إبراهيم الميانجي، مكتبة المرعشي – قم، وفي ص٣٤ ذكر من عنايتهم بهذا الكتاب أنه يحكى عن الوحيد البهبهاني أنه كان يقول: (من أراد إحكام عقيدته فليراجع الإحقاق، وفيه الكفاية عن غيره من الكتب).

(٣) انظر: شرح إحقاق الحق، ١/ ١٧٩، ١٨٣ – ١٨٦، وقال التستري: (بعض المتصوفة وكلامهم مخبط بين الحلول والاتحاد، والضبط ما ذكرناه في قول النصارى، والكل باطل، ورأيت من الصوفية الوجودية من ينكره ويقول: لا حلول ولا اتحاد، إذ كل ذلك يشعر بالغيرية، ونحن لا نقول بها؛ بل نقول ليس في الدار غيره ديار؛ وهذا العذر أشد قبحا وبطلانا من ذلك الجرم، إذ يلزم تلك المخالطة التي لا يجترء على القول بها عاقل ولا مميز له أدنى تمييز).

قرب المشاهد، ولكن لم تطل مدة ذلك التجافي، بل لحقت الإمامية بالصوفية[1]، وذلك ببركة الانحراف الفلسفي الإشراقي، فالإمامية ـ فيما بعد ـ استقلت بممارسة هذه البدع بأبنية خاصة أسمتها الحسينيات، كما أنها تمارس عند المشاهد مثل أفعال الصوفية، بل أشد، لكنها اجتهدت بالبكاء والنياحة بشكل بارز في المزارات.

لأهمية ما ذكره الحلي في تهجمه على طقوس الصوفية فأذكر كلامه بطوله، فيقول الحلي: (وخالفت الصوفية من الجمهور في ذلك، وجوزوا عليه الحلول في أبدان العارفين، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً، فانظر إلى هؤلاء المشايخ الذين يتبركون بمشاهدهم كيف اعتقادهم في ربهم وتجويزهم عليه، تارة الحلول، وأخرى الاتحاد، وعبادتهم الرقص والتصفيق والغناء[2]، وقد عاب الله ـ تعالى ـ على الجاهلية الكفار في ذلك، فقال الله ــ تعالى عز من قائل ــ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[3]، وأي تغفل أبلغ من تغفل من يتبرك بمن يتعبد الله بما عاب به الكفار، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، ولقد شاهدت جماعة من الصوفية في حضرة مولانا الحسين ــ صلوات الله عليه ــ، وقد صلوا المغرب سوى شخص واحد منهم، كان جالساً لم يصل، ثم صلوا بعد ساعة العشاء سوى ذلك الشخص، فسألت بعضهم عن ترك صلاة ذلك الشخص، فقال: وما حاجة هذا إلى الصلاة وقد وصل[4]، أيجوز أن يجعل بينه وبين الله ــ تعالى ــ حجاباً؟ فقلت: لا، فقال:

---

(١) مثل هذا قد سبق ص٥١٦، ٥٢١ من البحث عند الحديث عن الحسينيات في فتوى العاملي، ينكر فيها طقوس الصوفية الموجودة في الحسينيات، من الرقص والسماع والغناء، وسمى القائمين على هذه المنكرات بـ(لصوص المعبد).

(٢) انظر: شرح إحقاق الحق، ١/ ١٩٨، ووافقه التستري قائلاً: (ويرشدك إلى أن الفتوى بحل الغنا ونحوه من اللهو مخصوص بأهل السنة، وأنه معمول متصوفيهم؛ صدور إنكار ذلك عن المعتزلة أيضا موافقا للإمامية).

(٣) الأنفال: ٣٥.

(٤) ذكر الشارح المرعشي أن هؤلاء المتصوفة قد يسمون الواصلية، والخواجه ملا "فضل الله روزبهان" ذكر أن الحلي يقصد جماعة من فسقة الصوفية يسمون: القلندرية (من حلولية الصوفية)، وليسوا بحجة على الصوفية ومحققيها، وجزم المرعشي أنهم من السنة، لا من الشيعة، ومن أدلته على ذلك: أنهم لم يجمعوا بين الصلاتين، =

الصلاة حاجب بين العبد والرب، فانظر أيها العاقل إلى هؤلاء وعقائدهم في الله ــ تعالى ــ كما تقدم، وعبادتهم ما سبق، واعتذارهم في ترك الصلاة بما مر، ومع ذلك فإنهم عندهم الأبدال، فهؤلاء هم أجهل الجهلاء)[1].

رد الخواجه ملا "فضل الله" على الحلي ورميه الصوفية بالحلول والاتحاد وتضييع الصلوات، وتبرأ من ذلك، مع إقراره بتجويز بعض الأعمال، كالسماع ونحوه، وقال: (نعم هذا الرجل الطاماتي الذي يصنف الكتاب، ويرد على أهل الحق، ويبالغ في إنكار العلماء والأولياء طلباً لرضى السلطان محمد خدا بنده[2]، ليعطيه إدراراً، ويفيض عليه مدراراً، فله أن لا يستحسن عبادة المشايخ المعرضين عن الدنيا، الزاهدين عن الشهوات القاطعين بادية الرياضات...)[3].

هذا التقارب الشديد ــ رغم بعض التجافي ــ في تلك الفترة لم يستمر، والغريب أن من

=

وأن هذه طريقة العامة "السنة"، ولكنه ربما خفي عليه، أو فاته أن فقه الإمامية الإتمام في الحائر الحسيني، انظر: شرح إحقاق الحق، ١/ ١٩٨- ٢٠٠، وعن طائفة القلندرية وكفر كثير من أتباعه انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٣٥/ ١٣٦؛ وما ذكره عن عدم الجمع بين الصلاتين في السفر فهذا مذهب الحنفية فقط من السنة.

(١) انظر: شرح إحقاق الحق، ١/ ١٨٣- ١٨٦.

(٢) انظر ترجمته قريباً في ص٥٩٨، وهو أخو غازان التتري المغولي الذي غزا بلاد الشام في وقعة شقحب عام ٧٠٢هـ، وما ذكره الخواجه روزبهان عن خدا بنده أشار إلى قريب منه شيخ الإسلام ابن تيمية قبل ذلك، ولكن بشكل أوسع، وذلك في مقدمة كتابه: منهاج السنة، ١/ ٤- ٨، وذكر أن هذا السلطان ممن (يَجْعَلُونَ الْمِلَلَ بِمَنْزِلَةِ الْمَذَاهِبِ، وَالسِّيَاسَاتِ الَّتِي يَسُوغُ اتِّبَاعُهَا، وَأَنَّ النُّبُوَّةَ نَوْعٌ مِنَ السِّيَاسَةِ الْعَادِلَةِ الَّتِي وُضِعَتْ لِمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ فِي الدُّنْيَا)، وانظر: شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن ناصبياً، ص٣٠-٣٨، سليمان الخراشي، ط١، ١٤١٩هـ، دار الوطن – الرياض، وفيه نقل عن الخونساري في روضات الجنات أن خدا بنده تشيع عام ٧٠٧هـ، وسيأتي قريباً أنه تشيع عام ٧٠٩هـ، وأشار المؤلف (الخراشي) من ذلك أن تأليف منهاج السنة عند هذا التاريخ، وساقه من كلام الشيخ محمد بن بهجة البيطار في رده على الكوثري، في اتهامه لابن تيمية بالنصب، وباستعداء الشيعة عليه بسبب كتابه منهاج السنة، ولكن خبر غازان المذكور، وكلام ابن تيمية المذكور يوحيان بأن التشيع دخل أثره إلى سلاطين المغول قبل ذلك.

(٣) انظر: شرح إحقاق الحق، ١/ ١٨٦- ١٩٠، وقد عول على كتبهم، كعوارف المعارف والرسالة القشيرية.

أسباب ذلك هو التيار الإخباري ــ أيضاً ــ، ولعل مشروع التيار الإخباري أيام الصفوية كان بارزاً في محاولة الفصل بين المذهبين؛ ومن أبرز موسوعات هذا المشروع الحديثية كتاب بحار الأنوار للمجلسي، والغريب أن يواجه المجلسي بتهمة وجهت لأبيه وهي التصوف، فقد لاقى تشنيعاً من أهل الفلسفة والعرفان النظري، ومع نفي المجلسي التهمة عن أبيه إلا أننا نرى والده يرسخ هذه الأعمال والمظاهر التي هي من جنس التصوف والدروشة، مع أن الإخبارية تشاغلت عن المنهج السلوكي العرفاني بجهدها بجمع الأخبار والروايات، إلا أن المجلسي كان له نصيب أكبر من هذا التوجه، فلجأ إلى المرويات، واستخراج مهجورها، وجمع متفرقها، وتستر بها انتصاراً لطائفته الإخبارية، لأنها تستوعب كثيراً من أقوال طائفته وآرائها؛ ولأن ما ينسب إلى آل البيت في هذه الأخبار والروايات يجد إجلالاً وتقديراً في نفوس العوام، وهم لا يدققون في صحة النسبة ما دام علماؤهم أثبتوه في الكتب، بل يقبلونه ويعظمونه.

هذا مما يؤكد أن الإمامية دهليز مخترق من قبل الصوفية بشكل أكثر من غيرها من فرق الشيعة، لذا جعلت من بعض طقوسها سلواناً لها زمن الغيبة والتقية، فجاءت فيها صور من الجزع والنياحة والتنسك، وأما بقية الشيعة الذين يشاركون الإمامية في تعظيم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فالتي لها وجود معتبر منها هي الزيدية والإسماعيلية، فأما الزيدية فليس من نهجها الجزع والتقية والانتظار، ولا الغلو في الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومع قولهم بأفضلية البطنين إلا أنهم يقبلون إمامة غيرهما، ومع كل ذلك هم أهل عمل، وأهل سيف وثورة، لا نياحة وتقية، وإن كان ذلك لم يمنع من دخول التصوف إليهم، لكن لا في خصوص الإمامة وإقامة الحكم.

أما الإسماعيلية فمع قربها في مفهوم الإمامة من الاثني عشرية أكثر من الزيدية، ومع كونها أقامت دولاً مشهورة إلا أنها لا تحيي الأحزان والنياحة بمثل مفهوم الإثني عشرية اليوم(١)، بل نجدها انشغلت بإعداد الجيوش المبتكرة والمرعبة، كما انشغلت ببعض العلوم العصرية، واتصلت ببعض المجتمعات الأخرى، واشتهر من أعلامها فلاسفة وعلماء في الفلك والجبر والهندسة والطب، وغيرها من العلوم البشرية، ومع كونها تستوعب ما هو أشد

---

(١) راجع ص٣٦٢ من البحث.

من التصوف العملي إلا أنها لم تنشغل به، ومما يدل على ذلك أنه في الفترات التي سيطرت فيها الإسماعيلية على العراق لم يشتهر عنها إحياء عاشوراء كما هي عليه اليوم، بل ولم يسجل المؤرخون في عهد نصير الدين الطوسي الذي استوزر لهولاكو ملك التتار، لم يسجلوا أنه فعل مثل ما فعل البويهيون حينما استوزروا للعباسيين قبل ذلك، مع أن مؤرخي الإمامية المعاصرة يذكرون أن بعض ملوك التتار تشيع (على مذهب الإمامية الاثني عشرية) بعد تسننه، وهو خدا بنده[1]، الذي ألف له علامتهم ابن مطهر الحلي كتابيه نهج اليقين، ومنهاج الكرامة، على مذهب الإمامية، كما استوز له عددٌ منهم.

الفترة التاريخية التي عبرت الإمامية من خلالها جسر. دولة الأسرة الصفوية الصوفية تشير إلى أنها دخلت مرحلة جديدة، يمكن أن نصفها بمرحلة الإمامية الباطنية الحسينية الجديدة، وهو ما قد يسمى بالتشيع الحسيني مقابل التشيع العلوي القديم، وهي مرحلة لم ينته الصراع حولها، وتحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث، ولعل من أبرز مجالاتها موقفها من شعائر عاشوراء، وسيكون الحديث في بقية المطالب القادمة عن صور منها في جانب التنسك والعبادة، وهذه المرحلة تواجه إهمالاً لدى شرائح كثيرة من الشيعة الإمامية المعاصرة، وخاصة الأغلبية الأصولية، بسبب الانشغال بمظاهر الاحتفال والظهور والمهدية.

ثَمَّتَ حركة تصحيحية، لها روادها ودعاتها، ومن أبرز مضامين هذه الحركة تصحيح التشيع بما يجعله مقبولاً للتصدير، ومعبراً عن سعة مفهوم الإمامة، بعدم الانخناق في أزمة التراث، الذي هو من سلبيات الدولة الصفوية؛ وقد اعتمد هذا المنهج الانطلاق من التراث بفهم ونقد جديدين، هو أقرب ما يكون لتقمص التشيع العلوي، وقد يستند في ذلك إلى

---

(١) خدابنده غياث الدين محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن جنكيز خان، تولى بعد أخيه غازان، (٦٩٤- ٧٠٣هـ)، وكان مثله في التسنن إلى أن تشيع عام ٧٠٩هـ، بسبب ابن مطهر، وألف له نهج اليقين، ومنهاج الكرامة، تولى بعده ابنه: السلطان أبو سعيد، بهادر خان، يلقب بالجايتو خان المغولي: (٧٠٤- ٧٣٦هـ)، وفي ذريته ملوك الدولة الإيلخانية، واسمه الجايتو (أو أولجايتو) خدابنده، وقيل: خربته، ومعناها السلطان الكبير بلسان المغول، انظر: أعيان الشيعة، ٢/ ٣٥٥، ٥/ ٣٣٩، والبداية والنهاية، ١٣/ ٢٤٩، وراجع عن المغول ودولهم ص٣٩٠ من البحث.

الفلسفات الحديثة، أو علم الكلام الجديد[1]؛ ومن أبرز من كان له تقرير لجانب الإصلاح المذهبي هو المرجع اللبناني محمد حسين فضل الله، الذي اعتمد هذا الطرح متكئاً على مرجعيته الفقهية الأصولية، لما لها من شعبية، وإن كان أراد أن يحيدها، أو يرسم لها مساراً جديداً، من خلال نظام مؤسسي، كحال بعض أهل السنة المعاصرين في البيئات الآمنة في الغرب، أو الأقليات في البلاد الإسلامية، كالكويت مثلاً، وقد تراجع هذا الطرح عن المشاركة في تصدير ثورة الخميني ونظريته، بعد أن كانت له مشاركة فيها، ومن الصور التي ينتقدها هذا الطرح الغلو في التصوف، ويصور المرجع الشيعي اللبناني محمد حسين فضل الله حال قومه، وتعلقهم وغلوهم في جانب التصوف، فيقول: (إن مشكلتنا مع أهل البيت هي أننا حبسناهم في سجن المأساة فقط، وعندما أطلقنا آفاقهم أطلقناهم فقط في جانب المعاجز والكرامات... لقد عزلناهم عن حركة الحياة، وأدخلناهم في حركة الدموع فضيقنا واسعاً)[2].

هذا المبحث الذي خصص عن مظاهر التوسل والقرب هو محل لهذا النزاع والصراع بين رموز المذهب، لكن مطالبه ستبين الواقع الذي عليه المذهب في غالبه، والذي ترسخ فيه منذ قرون، ليكشف للمتابع عن قدر التنازل الذي يتوقع أن يجري من خلال مظاهر هذا المبحث، إن سلم بوجوده حقيقة، إن باسم الإصلاح، أو باسم التقارب، إضافة إلى أنه حكاية عن الواقع الموجود، والذي من أسبابه الغلو في عاشوراء؛ وقد جاء هذا المبحث ليبين مفهوم النياحة وواقعه في الزيارة عند الإمامية، وما يصحبها من قرب ونذور وأدعية وأوراد، وآداب، وهي أمور تفعل في زيارة عاشوراء، كما أن هذه الزيارة انبثق منها شعيرة لها خصوصية في المذهب، وهي التربة الحسينية، ولخصوصيتها وأثرها في امتداد مفاهيم عاشوراء البدعية خصصت لها حديثاً ومطلباً مستقلاً.

---

(١) علم الكلام الجديد امتداد للنهج الاعتزالي والفلسفي القديمين، راجع ص٣١ من البحث.

(٢) الندوة، ٥/ ٤٩٨.

المطلب الأول

مظاهر القرب والدعاء

ثمت مظاهر ظهرت في عاشوراء هي من قبيل التوسل بين يدي الله، وبين يدي الأئمة، يعدونها من شعائر الإيمان والولاية، وقد تكون للإذن بالظهور والخروج، أو لاستنهاض الإمام الغائب، ورجائه في أن يعجل بالفرج، وسأعرض منها المظاهر التالية:

١- إهداء الزهور والتحف والطعام.

٢- إهداء القرب والنذور.

٣- التبرع بالدم.

٤- التصدق (الصدقة).

٥- الدعاء.

٦- الصلاة على آل محمد.

٧- السلام على الحسين، وعلى آله.

٨- اللعن لقاتليه، ولظالمي آل محمد.

إهداء الزهور والتحف والطعام (النذور المالية):

معناه: إهداء القلائد والحلي والعقود والعطور والشموع، والسرج والمصابيح الفاخرة، تهدى إلى الأئمة، وفي عاشوراء تهدى إلى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن معه من آل البيت ــ رحمهم الله ــ، وذلك بأن تهدى إلى الحسينيات والشبيهات[1]، أو المزارات والمقامات التي تصنع في شهر محرم بشكل مؤقت، كهيئة المآتم، وقد تصبح دائمة، كحال الحسينيات، وتوضع الهدايا في مجسمات وأعمدة، وكفوف تحمل كرايات في المسيرات والمواكب، أو على هيئة بنايات مرتفعة

(١) الشبيه والشبيهات سبق التعريف بها ص٤٠٩ من البحث.

ومزركشة، وأسرة تحمل بالأيدي، أو على الأكتاف، أو العربات[1]، وتعلق عليها الهدايا والتحف والجواهر، وقد تسمى تلك المجسمات بالتعزية والتعازي[2]، أو تسمى بالتبريكات، التي يقصد بها ومنها حصول البركة، والقرب من الأئمة، ورجاء فضلهم وعطائهم ونصرتهم، وشفاعتهم عند الله، ومثلها ما يقدم ويحمل من أنواع من المأكولات والمشروبات، والأموال والإعانات والأخماس، مما يوقف لهذه المقامات والمواضع[3]، وهي تقدم كهدايا وصدقات للزائرين للأضرحة والمجتمعين في المآتم، والمشتغلين بالنوح والنعي واللطميات، كما تعطى للنوائح المستأجرة، يتبعها اعتقاد البركة، ولو كانت على سبيل الأجرة، لأن في مرويات الإمامية ما يدل على نسبة ذلك للأئمة، كما سبق.

نشأته: يرتبط هذا المظهر بمسألة المجيء إلى قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابتداءً من حركة التوابين عام ٦٥هـ، فمروا على القبر وبكوا وتعاهدوا، لكن هذا غير كاف في كونه بداية للظاهرة، ولم أقف على نشأة بارزة على مفردها لهذا المظهر، مع من مظانها تعظيم الأضرحة عموما، وهو أمر نشأ عند الشيعة في زمن مبكر، واشتهر عنهم في القرن الرابع، لكن ذكرت كتب الشيعة ما قد يتصور منه وجوده قبل ذلك، وذلك من خلال كثرة اختلافهم إلى قبر

---

(١) يغلب عليها أَسِرَّة الأطفال، لتمثل الطفل الرضيع من آل البيت الذي شهد المعركة.

(٢) التعزية والتعازي: اسم للهدايا والمجسمات التي يصنعونها على شكل بيوت مربعة، في قاعدة تتسع في الأسفل، وتضيع في الأعلى، على شكل طبقات، ويسير مع كل تعزية وفد إلى مكان الاجتماع العام، مصحوباً بالطبول والأهازيج، وينتهي بدفن تلك المجسمات في مقبرة يسمونها مقبرة كربلاء، وهذه هي طريقة احتفال البريلوية في يوم عاشوراء، وقد رأيتها في بلاد الهند، في لكنو، حيث يحتفلون بعاشوراء بمواكب مستقلة ومختلفة عن مواكب الشيعة، ويختم الاحتفال بتمثيل دفن القتلى في مقبرة كربلاء، وما رأيته قريب مما ذكرته الدكتوره سلوى العمد عن مظهر موجود قريب من هذا العمل، حيث تقول: (في بلدة سنابس في البحرين يتم تشبيه دفن شهداء كربلاء، تقليداً لما جاء في الرواية التاريخية، أن قوما من بني أسد كانوا يسكنون قرب المعركة، قاموا بدفن الشهداء بعد مغادرة قوات ابن زياد للموقع، وتشبيه ذلك يقتصر على قيام عدد من الأشخاص بإيماءات تشير إلى قيام بني أسد بدفن الشهداء)، انظر: الإمام الشهيد في التاريخ والأيدلوجيا (شهيد الشيعة مقابل بطل السنة)، د. سلوى العمد، ط ٢٠٠٠م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.

(٣) انظر: موقع هيئة علماء بيروت (شيعية)، مقال: (متى نشأت المجالس والمآتم)، ص٢٠، محمد زيدان.

الحسين في أول الدولة العباسية، حتى إن الخليفة العباسي المتوكل في عام ٢٣٦هـ قام بمنع كثير من هذه المظاهر حول قبر الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأزال الدور والأبنية التي حوله[١]، كما أن عهد البويهيين فيما بعد شجع على مثل هذه المظاهر، ويلاحظ أنه إلى هذه الفترة كانت ظاهرة التصدق بالطعام ونحر البهائم تذكر من أعمال يوم الغدير، الذي يحتفل فيه الشيعة بمنح الإمامة لعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو أشبه بالفرح والعيد، وكانوا ينحرون في صبيحته الإبل[٢]، وأظن أن هذا الأمر استمر إلى أن جاء عهد الدولة الصفوية، فقد تنافس ملوك إيران الصفويون في تعظيم المزارات، ومن بعدهم القاجاريون في الطور الرابع، وظهر فيه إهداء المصابيح والهدايا، ولعله بسبب طول العهد دخل معها التوسعة على الأهل والعيال إلى الشيعة، الذي يعدونه من شعار النواصب.

مستنده: أن الأئمة يفرحون بالإهداء، ومن ذلك قبول الرضا علي بن موسى لهدية من أهداه التربة.

تأويله وفلسفته: أنه من تعظيم آل البيت وإحياء أمرهم، وتحصيل بركتهم.

وقته: الأيام العشر الأولى من محرم، ومواسم الزيارة، والأربعين، ومولد الحسين، وعرفة، وفي المشاهد والأضرحة.

إهداء القرب (النذور البدنية أو العملية):

معناه: أن يهدي الفرد بعض العبادات، كالصلاة وقراءة القرآن والختمة[٣]، والصوم إلى الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وبقية الأئمة، ومن ذلك القيام بتجديد العهد بين أيدي الأئمة في مشاهدهم، والبراءة ممن ظلمهم من أعدائهم ولعنهم، ومن ذلك أن ينوي بالصدقات والنذور التقرب إلى

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا الحدث، في نشأة الشعائر ص٣٦٠ من البحث.

(٢) المنتظم، ابن الجوزي، ١٥/ ١٤.

(٣) من الصور الحديثة لهذا الجانب حملة: حسينيون قرآنيون، التي تقيمها في عاشوراء جمعية التوعية الإسلامية الشيعية بالبحرين من عشر سنوات، آخرها عاشوراء ١٤٣٢هـ، ومن برامجها الختمة الجماعية يوم عاشوراء، والمجالس الأسبوعية المستمرة.

صاحب المشهد، ليشفع له بقبول دعوته، ومنه التصدق على السدنة حول المشهد والمزار، ومنه التوسل بصلاة ركعتين، أو استئجار من يصليهما في الحائر[1]، أو غيره، إعماراً له، وهذا يكون إهداء لأي ميت، لكن يتحرى في القرب المواسم والأماكن الفاضلة عندهم[2]، ويتأكد الإهداء للحسين، ومن مرويات الإمامية: (ثم صل ركعتي الزيارة بمهما شئت، وقل بعدهما... اللّهم وهاتان الركعتان هدية منى إلى سيدى ومولاى الحسين بن علي عليهما السلام)[3].

تأويله وفلسفته: أن القرب من مصاديق المحبة والولاء، ومن تكريم المزور[4].

وقته: يكثر عند زيارة القبور والأضرحة، فهو من طقوس الزيارة[5].

نقده: أن النذور لا يجوز صرفها إلا لله ـ سبحانه ـ، والنذر لغيره تشبه بعمل المشركين، الذين قال الله ـ تعالى ـ عنهم: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ

---

(١) الحائر: جمعه حيرانٌ وحوران، والعامة تقول: حَيْرٌ، وهو خطأٌ، والحائر: من حار الماءُ، وتَحَيَّرَ: تَرَدَّدَ؛ وتَحَيَّرَ الماءُ: اجْتَمع وَدَارَ، واسْتحارَ المَكَانُ بِالماء وتَحَيَّرَ: تَمَلَّأَ، وإنما سُمِّيَ مُجْتَمَعُ الْمَاءِ حَائِرًا لأَنه يَتَحَيَّرُ الْمَاءُ فِيهِ يَرْجِعُ أَقصاه إِلى أَدناه، وربما أطلق على البحر،والْحَائِرُ: الْمَكَانُ الْمُطْمَئِنُّ الوَسَطِ، المرتفعُ الحُروف، يَكُونُ فِيهِ الماءُ، ومنه يسمى البستان حائر، والحائِرُ: سُمي بأحد هذه الأَشياء، لتحَيُّر الماءِ فيه، أو لكونه حِمى، وهو الآن بكربلاء، وفيه مَشْهَدُ الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر: الصحاح، ٢/ ٦٤٠، ولسان العرب، ١/ ٥٧٤، ٤/ ٢٢٣-٢٢٤، وتاج العروس، ١١/ ١٠٩- ١١٧.

(٢) حول صلاة ركعتين وإهداء ثوابهما للميت ليلة الدفن، وماذا يقرأ فيهما، انظر: العروة الوثقى، اليزدي، ٣/ ٤٠١.

(٣) مصباح المتهجد، الطوسي، ت / ٤٦٠هـ، ص٧٢٢، والمزار، الشهيد الأول: محمد بن مكي العاملي الجزيني، ت / ٧٨٦هـ، ط ١، ١٤١٠هـ، مؤسسة الإمام المهدي - قم، والمصباح، الكفعمي العاملي، ت/ ٩٠٥هـ، ص٤٨٥، ط ٣، ١٤٠٣هـ، مؤسسة الأعلمي - بيروت، وبحار الأوار، ٩٧/ ١٣٥.

(٤) الرسائل العشر، ص٢٤٧، ابن فهد الحلي، ت / ٨٤١هـ، ت. مهدي الرجائي، ومحمود المرعشي، ط١، ١٤٠٩هـ، مكتبة المرعشي. قم.

(٥) انظر: الينابيع الفقهية، (موسوعة فقهية معاصرة)، ٣٠/ ٥٠١-٥٠٤، علي أصغر مرواريد، ط١، ١٤١٣هـ، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت.

وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(١)، ومالم يكن من هذه الأعمال نذراً فهو ذريعة إلى الشرك بمن نذرت له، والشيعة من أوائل الفرق التي غلت وعظمت الأضرحة.

وأما دعواهم أن النذور تهدى إلى الأئمة لكي ينتفعوا بها، فلا معنى لهذا مع عقيدة الإمامة عندهم، وما حاجة الإمام المقبور إلى هذه النذور ما دام معصوماً، بل إن ثوابها يصله من دون إهداء، لأنه متسبب بها، فهذا العمل تحصيل حاصل إذن؛ كما أن هذا يوصلهم إلى الوهم والظن السيئ في جناب الله ـ سبحانه ـ، فيظن أن النذر ينفعه، والله قد أخبرنا بأنه ابتلانا بأمره ونهيه، ومنها النذور والأضاحي والهدي، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٢)، مع أن النفوس الضعيفة قد تقع لها من تعظيم المخلوق المقبور، وهيبته وخشيته، والخشوع والعكوف عند ضريحه، وذكره وإطرائه، ودعائه والاستغاثة به، والتأدب في حضرته، حتى اتخذت لهم المناسك، وهذا ما لا يقع لها مثله عند ذكر الله وعبادته وفي بيوته(٣)، ومن أبلغها أن يحصل لها التلاعب بالنذور المقربة إلى الله، بخلاف النذور المقربة إلى غيره، لما في تلك النفوس من تعظيمها أعظم من تعظيم الله، كما في آية الأنعام؛ ومحبة الله مقدمة على أي محبة، ولو في مثل ما توهمه القبوريون في قبورهم، والله ابتلى قوماً فقال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤).

---

(١) الأنعام: ١٣٦.

(٢) الحج: ٣٧.

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (في شرح كتاب التوحيد)، ص٢٨٢، ٦١٣، سليمان بن عبد الله، ت/ ١٢٣٣هـ، ت. زهير الشاويش، ط١، ١٤٢٣هـ، المكتب الاسلامي – بيروت، وفتح المجيد (شرح كتاب التوحيد)، ص٤٨٧، عبد الرحمن بن حسن، ت/ ١٢٨٥هـ، ت. محمد حامد الفقي، ط٧، ١٣٧٧هـ، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ٣/ ١٥٥٣، ١٥٩٩.

(٤) آل عمران: ٣١.

التبرع بالدم (الأعمال البدنية):

معناه: التبرع بالدم شعيرة حديثة، أفتى وطالب بها بعض المراجع والشخصيات المعاصرة، كحل بديل عن التطبير، الذي هو من جنس التضحية والاستعداد للظهور مع المهدي لأخذ الثأر، والتطبير أصبح في الفترة الحالية موهناً للمذهب في نظر الناس، ولذا استبدلوه بفكرة:التبرع بالدم، تحت اسم (بنك الحسين للدم)، كي تستفيد منه المستشفيات بدلاً من الدم المهدر في التطبير.

نشأته: نشأ هذا المظهر في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري، أي في السنوات العشر الأخيرة (١٤٢٠ ــ ١٤٣٠هـ)، ولا زال موجوداً، وهذا المظهر جاء لتخفيف الشبهات حول التطبير، لكنه لم يسلم من حملة غاضبة من مؤيدي التطبير، استوجبت دفع الشبهة المزعومة، ودفع الحيلة نفسها، ومن الشبهة التي استند لها مشرعو التبرع بالدم، تحت دعوى أن التطبير والزناجيل موهنة للمذهب، من هذه الشبه: أنه من إلقاء النفس بالتهلكة، وأن فيه ضرراً على البدن، وأنه لم يكن معهوداً في زمن الأئمة، ويؤدي إلى الإغماء، وأنها توجب استهزاء الأجانب بالمذهب وبالشيعة، وأن ما يفعل بالصغار يوجب الدية، وأن أكثر المطبرين فسقة، فهو من أعمالهم، وأنه إسراف بالدم، بخلاف التبرع فهو حفظ للدم بأسلوب يجمع بين المحبة والحضارة، بخلاف التطبير فإنه يثير عصبيات ومفاهيم خاطئة، ويفسد طريق الوحدة الإسلامية(١).

نقده: هذا التصرف تحويل للشعيرة الدموية من اتجاه إلى اتجاه آخر، وبهذا بدلاً من أن تكون عنواناً وقرباناً للتضحية والظهور صارت نوعاً من تقديم وإهداء النذور والقرابين عند المشاهد، وهذا التحول قد يعد من أساليب التقية في المذهب، وممن يتبناه دعاة التقارب مع أهل السنة، لأن التطبير صريح في كذب دعواهم، ومن مخارجهم أمام قومهم أن العامي يرجع في التطبير ويقلد مرجعه الحي، وهذا يعد ـ عندهم ـ من قابلية المذهب للتجدد والمراجعة

---

(١) انظر: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء ـ والتطبير) ـ محمد جميل العاملي، الفصل الثالث والرابع، ص٢٦٤ ـ ٤١٧، حيث توسع المؤلف في الرد على القائلين بالتبرع بالدم.

موافقة للعصر، وقد يطالب البعض بمنع الأمرين كليهما، لأنهما من البدع القبيحة التي لا تليق بالمذهب، وهذا التحول مما رفع مستوى الخلاف حول التطبير، ومشروعيته، وحول الشعائر الرافضية عموماً.

من التهم التي وجهت للمتبرعين بالدم أنهم لا يعظمون شعائر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنهم يريدون هدم المذهب، والتلاعب به!، وقد ألفت المؤلفات وأنشئت المواقع الإلكترونية لرد شعيرة التبرع، وبيان أنها حيلة شيطانية لإبطال التطبير، بينما التطبير ليست حيلة شيطانية، وقامت هذه المؤلفات والمواقع برد الشبهات حول التطبير، وذلك بكلام يطول عرضه هنا، مداره أن منع التطبير فيه توهين للمذهب، واستخفاء به، ومداراة ومداهنة للمخالفين، وحرص على الوحدة معهم[1].

على شدة الخلاف الظاهري بين الفريقين إلا أن كثيراً منهم يتفقون في المنهج الرسالي (الدعوي التبشيري) الرافض للتنازل عن مذهبهم، وأنه لا بد أن يجمع بين الإنكار بالكلمة اللينة، والإنكار بالقوة واليد، ولكن يختلفون في مدى الكلمة، ومن ينفرد بالقيام بها، فكأن المسألة تبادل أدوار، ولذا من حماس بعض المراجع لتقرير التطبير وتقديسه ممارسته التطبير بنفسه، دفعاً للشبه، ورداً للحرج الذي قد يطرأ على بعض العقلاء، وتأليفاً لنفوسهم، مع أن المتعارف عليه أنه عمل قبيح تشمئز منه النفوس، ولا يقارفه إلا الفسقة، وأنه لم يطبر مفت قط.

الدعاء (دعاء عاشوراء):

معناه: الدعاء طلب الحاجات الدنيوية والأخروية، يسبقه توسل وقرب ونذور، سواء أكان الطلب من الله، أم من الأئمة، ومنه النداء المطلق: يا حسين، يا علي، واللذان أصبحا من شعارات عاشوراء، وهتافات مسيراتها، وتكتب على الرايات واللافتات، ومثله الندبة: واحسيناه، ومنه ما يكون متضمناً لتمني لقاء الأئمة، وتقديم الولاء لهم، والعهد بالخروج مع قائمهم، وأن يبلغهم الله ذلك، ومثله أيضًا ما تتضمنه أدلتهم من لعن أعدائهم الظالمين،

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠٢- ٤٥٥.

والبراءة منهم، وتوسع الأمر تدريجياً حتى خصصت أدعية باسم: دعاء عاشوراء، وهي مع تشابهها مع غيرها إلا أن فيها زيادة تخصيص وعناية بالمناسبة، وله صيغ وروايات عند الإمامية، ويكثر استحضاره عند زيارة قبر الحسين، أو مشاهد الأئمة، أو مشاهد غيرهم، أو عند زيارة المقامات والشبيهات، وقد يكون مثلها الحسينيات، وذلك في يوم عاشوراء وتوابعه، كالأربعين، ومولدي الحسين والمهدي.

واقعه: الدعاء له أوقات وأزمنة، منها ما هو مقيد، ومنها مطلق، وباب الأدعية عند الإمامية واسع، وكتبه تنتشر بينهم انتشاراً كبيراً، فلهم في الزيارات أدعية كثيرة وطويلة، ولها كتب مشهورة، ومن أشهرها ما ينسب منها للأئمة، كالصحيفة السجادية "زبور آل محمد"[1]، ومنها دعاء عاشوراء، ودعاء عرفة، ودعاء الندبة، ودعاء العهد، ودعاء الناحية المقدسة.

مستنده: أن الدعاء من شعائر الله، وله أثر على تزكية النفس، وفيه مصالح دينية ودنيوية.

تأويله وفلسفته: الجانب الديني العاطفي مهم في نجاح الحركات والفلسفات، وإن كانت تدعي خلاف ذلك، فنجد مرشد الثورة مثلاً يؤكد أهمية مجالس الدعاء، وأبعادها السياسية الدنيوية المهمة إلى جانب أبعادها الدينية الأخروية، المحرزة بلا شك للداعي، وأن هذه الأدعية ـ بزعمه ـ تربط الشعوب بأدعية الحسين في عاشوراء، وقضيته في الدين والحياة، وأن لها دوراً مهماً في قلب الأنظمة الحاكمة، ومن الأدعية التي حظيت بعناية بارزة دعاء عرفة، وأدعية السجاد زين العابدين علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَ، والمعروفة بالصحيفة السجادية، أو أخت القرآن، أو زبور آل محمد، إنجيل أهل البيت[2].

نقده: يرد سؤال حول رأي الإمامية في الدعاء واهتمامهم به، هل لأجل أن الدعاء يحقق

---

(١) الحديث عن هذه الصحيفة يطول، لكثرة ما تعلقت به الشيعة من جهة العرفان، ومثله دعاء عرفة، الذي قال عنه مرشد الثورة المعاصر علي خامئني: إنه دعاء عرفاني، انظر: نهضة عاشوراء، ص٦٥، وللدكتور ناصر القفاري كتاب بعنوان: حقيقة ما يسمى بزبور آل محمد، د. ناصر القفاري، ط١، ١٤١٩هـ، دار الفضيلة – الرياض.

(٢) انظر: نهضة عاشوراء، الخميني، ص١٩، ٧٦، والذريعة، ١٥/ ١٨.

مطلوب العبد بإرادة الله وأمره؟ وأنه مظنة عند العبد لحصول الاستجابة؟ أو أن الدعاء رياضة قلبية مستقلة، لا ارتباط لها باستجابة الله للعبد، وإنما لأنها تحقق همة عالية للعمل، فيحتاج إليها لتقوية إرادته، وطرد أحزانه، لأنه هو الذي يصنع فعل نفسه، فهو بهذا يهيئ الأجواء لنجاح فعله؟ أو أن الدعاء من قبيل الاستجابة للشرائع والتبرك بها، ولا أثر لها؟

مسألة الدعاء ترتبط بمسألة القدر، والتي ضل فيها كثير من الخلق، ما بين مُفْرِطٍ ومُفَرِّطٍ، والتبس عليهم المخرج منها، والذي يظهر لي من حال بعض نساكهم ومن له عناية بالأوراد والأدعية، كابن طاووس وأمثالهم ممن لهم ميل إلى الطائفة الإخبارية، ولكنهم مرتهنون بما استقر من مناهج متكلميهم؛ أن حال هؤلاء أنهم يرون أن الأدعية في الزيارات والمواسم من جنس النياحة والجزع، ومن جنس قراءة قصة المقتل، التي يقرأونها من باب عرضها على عدل الله، ليثأر للحسين، وسبق أن هذا فيه سوء أدب مع الله، وسوء ظن به، وأن هذه المسألة ترتبط بالتحسين والتقبيح العدليين[1]؛ مع أن الدعاء يكمل أثره إذا أحسن الداعي ظنه بربه، وجعل تضرعه مقروناً بتفويض الأمر إلى الله، والتوكل عليه، والاستكانة بين يديه، مع عدم التعلق بما سواه، والسكون إلى شرعه وقدره، وعدم التقدم بين يديه بمخالفة نبيه ﷺ، وبالتعلق بالمتشابه من القول، وترك المحكم؛ وهم لما ضلوا في أفعال الله، وأوجبوا تفويضها إلى خلقه حرموا الهدى والسلوان من هذا الباب، فازدادوا حيرة وضلالاً؛ ولعل افتتانهم بالإمامة جعلهم يقبلون كل ما يؤكدها، وكأن مروياتهم في الأدعية والأوراد والفضائل والمعاجز أصبحت مستنداً لهم على صحة قولهم في الإمامة، وسلواناً لهم في قبولها، إضافة إلى ما يضمونه إليه من رؤى مكذوبة، أو هي من كيد الشياطين وتلاعبها بهم.

طريقة الشيعة في أدعيتها حال الأحزان ــ وخاصة في عاشوراء ــ، بما تحويه من النياحة واللعن، والركون إلى التشكي والجزع، والانتظار وترك العمل؛ طريقة بدعة محدثة شنيعة، وإضافة إلى ما فيها من تكلف فإنها قد توصلهم وتفتح لهم ما هو أشد من ذلك، من عقائد الغلو والباطنية، كالوحدة والاتحاد والحلول؛ بل إن الانقطاع إلى التنسك في هذا الجانب على

---

(١) راجع ص٥٣٢ من البحث.

هذا النحو قد جاء الشرع الحنيف بخلافه، فالرسول ﷺ عندما أصيب جسده، وقتل عدد كبير من أصحابه حزن حزناً شديداً، فدعا وقنت شهراً، ثم نهي عنه، وقد روى أنس رضي الله عنه قال: «قنت رسول الله ﷺ شهرًا حين قتل القراء، فما رأيت رسول الله ﷺ حزن حزنا قط أشد منه»[1].

مصيبة القراء السبعين في بئر معونة تذكر بمصيبة الحسين وآله رضي الله عنهم، في المكانة والعدد والفاجعة والغدر، فهم قراء ذهبوا يبلغون دين الله وكتابه لأولئك القوم الغادرين، ومع ذلك لم يتخذ الرسول ﷺ والمسلمون والإمامية لهذه الحادثة موسماً للحزن والنياحة، ولا ورداً للدعاء باسمهم، بل إن الرسول ﷺ وهم أعظم من فجع بهم، هو ومن معه من المسلمين، لم يشرع له أن يطيل في القنوت بعدهم، مع إقرا الله له في وسيلة الدعاء والتضرع إليه، وبث الشكوى بين يديه، فهل يقال إن هذا التشريع ظلم لهم، وإسقاط لحقهم ومحبتهم في قلوب المسلمين؛ وكذلك الحال في حال أمثالهم من المسلمين، فترك الانقطاع في الحزن والدعاء لا يعني إسقاط حقهم وقدرهم ومحبتهم، ولا شك أن مراعاة ما يحصل من الأحزان بسبب البغي بين المسلمين أولى بالحذر مما يثار حوله بتركها، لما يترتب عليه من إحياء البغي والفتنة بين المسلمين.

الصلاة على آل محمد:

معناه: رفع الصوت بعبارات الصلاة على الرسول وآله، والصلاة هي نوع من الدعاء، كما أنها نوع من الثناء والتزكية والإجلال إذا كانت في الملأ، لكنها أصبحت رمزاً يغلب على ذكر النبي عند أهل السنة، كما يغلب الترضي في حق الصحابة ومنهم الآل الذين لهم وصف الصحبة؛ ويغلب عند الإمامية الجمع بين النبوة والأئمة من آل البيت بصيغة واحدة عند ذكر أحدهما، وهي: (اللّهم صل على محمد وآل محمد)، أو (صل الله عليه وآله وسلم)، ويسمونها الصلاة التامة، بينما يسمون ما عداها الصلاة البترية، ويزعمون أنها من طريقة النواصب.

---

(١) البخاري، ح/ ١٣٠٠.

واقعه: يكون هذا المظهر بارزاً وبشكل جماعي، أو بصوت عال في الزيارة يوم عاشوراء، ومع التعزية في المآتم والخطب والمآتم والمواكب والأدعية والأوراد، حين يمر فيها ذكر النبي ﷺ، أو أحد آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

السلام على الحسين، وعلى آله:

معناه: هو كسابقه نوع من الدعاء، وقد يصحب السلام لفظ الصلاة، ولكن فيه تخصيص بالحسين وآل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويظهر من التخصيص استحضار مصيبة المقتل، ولذا يقارنها لعن قاتليه، والبراءة منهم.

واقعه: يكثر عند الدخول إلى زيارة قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وآله، وتظهر كثيراً في موسم عاشوراء، وفي الأوراد اليومية والأسبوعية، كما في كتب الأدعية وأعمال اليوم والليلة، وتكون بلفظ: (السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى آل الحسين)، ومما جاء في زيارة مشهورة عندهم تسمى بزيارة وارث: (وأكثر من... والصلاة على الحسين خاصة، والعن من قتله)[1].

اللعن، لقاتليه، ولظالمي آل محمد:

معناه: أن يضمن الشيعي دعاءه الدعاء على قتلة الحسين باللعنة، والطرد من رحمة الله، وهو متضمن لكفر الملعون بسبب فسقه وظلمه، إضافة إلى كفره بجحده للإمامة الإلهية التي ابتدعوها، والتي يرون أن اللعن من حقوقها وواجباتها، فهو من تمام المحبة لآل البيت.

واقعه: ينتشر اللعن في كتب الزيارات، فهو نص من نصوص الزيارة وأعمالها، وهو ضمن الأوراد اليومية التي يتلوها الفرد الإمامي صباحاً ومساءً، وضمن الأذكار بعد الصلوات المفروضة، واللعن في زيارة عاشوراء يعتبرها الخميني مثل هتافات الشعوب في ثوراتها الوطنية[2]، ويتوسع هذا الدعاء حتى يشمل جيل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعلى رأسهم

---

(١) ضياء الصالحين، في الأدعية والأعمال والصلوات والزيارات، ص٢٠١، محمد صالح الجوهري، ط١، ٢٠٠٥م، اعتماد الكاظمي. طهران.

(٢) انظر: نهضة عاشوراء، ص٨١.

أبو بكر وعمر وعثمان، ثم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حتى يصل إلى يزيد، الذي بسبب ولايته قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلى أن يتعداه ليشمل لعن أهل السنة جميعاً، فيدخلونهم ضمن قتلة الحسين، كما يدخلونهم في قتلة أبيه، أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، وقد يكرر الداعي والزائر اللعن مائة مرة، كالسلام على الأئمة الذي يكرر مائة، مرة كما في بعض الروايات[2].

نقده: العمل بذاته غني عن النقد لما يحمله من الافتراء على آل البيت، الذين جاء سيدهم رسول الله ﷺ رحمة للخلق، ولما يحمله من تكفير المسلمين أولهم وآخرهم، وهذا التكفير حاولت الإمامية أن تغلفه بالبراءة من الظلم هو من الأمور التي كانت تحذر من إظهاره تقية، وخاصة تكفير الخلفاء الراشدين، وقد ترمز للشيخين بأسماء أخرى، حتى إنه عرف من أورادهم دعاء صنمي قريش، وهو في لعن أبي بكر وعمر، وحفصة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

لعن السابقين من الصحابة من ضروريات مذهبهم[3]، وإن لم يكثروا من التصريح به، كيف وقد فعلوا، فلا يتم حب آل البيت عندهم إلا بلعن الخلفاء، والبراءة منهم، وممن أقر بهذا الدعاء وصحته، وضرورية مضمونه لفظاً ومعنى، ومطابقته للوازم الإمامة؛ من هؤلاء أصحاب موسوعات الرواية من متأخريهم، كالحر العاملي، والمجلسي.[4]؛ فضرورية معناه مما لا نزاع فيه عند كل من يعتقد عقيدة الإمامة، التي هي على حد الكفر، فهي عقيدة تكفيرية، ملازمة لهذا الدعاء لفظاً ومعنىً، ومن شك في هذا فلا يسمى إمامياً، لأن هذا هو معنى القول بالإمامة الإلهية، وهو مضمون الرفض؛ أما من عدا الشيخين من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد حكى متقدموهم كفر كثير منهم، كمن قاتل في صفين والجمل، بل حكى المفيد إجماع طائفته

---

(١) انظر: كامل الزيارات، ص١٠٠، ومن لا يحضره الفقيه، ٢/ ٥٨٦-٥٩١، وسيأتي -بإذن الله- عرض موسع لأصل هذه الشبهة عندهم، انظر: ص١١٠٩ من البحث.

(٢) سيأتي في فقرة النقد قريباً، بإذن الله.

(٣) انظر: الوشيعة (في نقد عقائد الشيعة)، ص٢٧، موسى جار الله، ت/ ١٣٦٩هـ، ط١، ١٤٣٠هـ، دار البصائر- القاهرة، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٧٢٤-٧٣٠.

(٤) انظر: الاعتقادات، المجلسي، ص٩٠-٩١، نقلاً عن: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٧٣٠.

على ذلك، وأن هؤلاء مستحقون للعنة، والخلود في النار، وهذا هو أدنى الرفض[1]، وإذا كان هذا حكمهم فيمن ابتلي بالقتل، ولم يغفر به ذنبه بعد الخروج عليه، فكيف بمن تقدم بالخلافة قبل علي، ولم يجر عليه القتل.

ينسبون دعاء صنمي قريش إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه من أدعية قنوته، وزعموا أن الداعي به كالرامي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بدر وأحد وحنين بألف ألف سهم، ومن ثنائهم على هذا الدعاء قول أحدهم عنه أنه: (من غوامض الأسرار، وكرائم الأذكار)![2]، ومما جاء في هذا الدعاء: (اللّهم صل على محمد وآل محمد، والعن صنمي قريش، وجبتيهما، وطاغوتيهما، وإفكيهما، وابنتيهما، اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك... اللّهم العنهما وأتباعهما وأولياءهما وأشياعهما ومحبيهما،... فكان ـ عليه السلام ـ يقنت به، ثم يقول أربع مرات: اللّهم عذبهم عذابا يستغيث منه أهل النار في النار، آمين رب العالمين)[3]، ويظهر أن أصل هذا الدعاء كان موجوداً في القرن الرابع، أو قبله، كما يظهر من كتاب منسوب لابن عقدة الكوفي، ت/٣٣٣هـ، وهو أقدم من وقفت عليه في لعن الجبت والطاغوت[4]، فبعثه ابن طاووس وشيوخه ومعاصروه، وتلاميذه في القرنين السابع والثامن[5].

---

(١) انظر: أوائل المقالات، ص١٥١، المفيد، وسبقت الإشارة إليه، راجع ص٢٢، ٣٧ من البحث.

(٢) المصباح، الكفعمي، ت/ ٩٠٥هـ، ص٥٥٢. ٥٥٤، والمجلسي نقله عن الكفعمي من كتابه البلد الأمين، ونقل عنه قوله عن هذا الدعاء: (من غوامض الأسرار، وكرائم الأذكار)، انظر: بحار الأنوار، ٣١/ ٦٣١، ٨٢/ ٢٦٠. ٢٦١.

(٣) المحتضر، ص١١١. ١٢٦، حسن بن سليمان الحلي، ق ٨، ت. سيد علي أشرف، ط ١٤٢٤هـ، المكتبة الحيدرية، والمصباح، الكفعمي، ت/ ٩٠٥هـ، ص٥٥٢ـ ٥٥٤، ونسبه إلى ابن طاووس في مهج الدعوات، وبحار الأنوار، ٣١/ ٦٣١، ٨٢/ ٢٦٠. ٢٦١.

(٤) انظر: فضائل أمير المؤمنين،ص١٤٣، ابن عقدة الكوفي، ٣٣٣هـ، ت.عبد الرزاق محمد حسين فيض الدين، ط١٤٢١هـ، بدون ذكر دار النشر.

(٥) دعاء صمني قريش له شأن وفضل عند الإمامية، ينسبونه إلى علي برأه الله من إفكهم، من رواية ابن عباس، وله عدة شروح منها: شرح معروف عند الإمامية في القرن السابع، وهو رشح الولاء في شرح دعاء صنمي قريش، لأسعد بن عبد القاهر بن أسعد الأصفهاني، وهو من شيوخ ابن طاووس، انظر مقدمة إقبال الأعمال، =

من الجدير بالذكر أن ثم تلبيساً يدعيه بعض المتأخرين، بعد كل هذه العناية بلعن من هم قبل قتلة الحسين، وجعلهما سواء في الجرم والظلم، بل قد يكون ظلم الأولين أشد، فالمتأخرون يستحقون اللعنة قياساً عليهما، وهذا التلبيس هو دعوى ضعف مرويات اللعن في زيارة عاشوراء، وأن زيارة عاشوراء دخلها التحريف، وقد وقفت على كتاب جديد باسم:)زيارة عاشوراء في الميزان)، لحسين الراضي العبد الله، كتاب ضخم الحجم، أخرج بطباعة فاخرة، ودعم بصور كثيرة لمخطوطات قديمة، وبذل مؤلفه فيه جهداً بارزاً، جذبتني فكرته فاقتنيته طمعاً أن أجد فيه ما يسر، وأن يبين الكاتب فيه أدلة بطلان بدع الزيارة الكثيرة، طبقاً لعنوانه، فإذا هذا الجهد الضخم لإثبات أن اللعن زيد في نص زيارة عاشوراء، والمقصود اللفظ الموهم بأن المقصود باللعن خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دون بقية اللعن في نفس الزيارة، ودون أن يتتبع لعن أبي بكر في بقية زيارات الإمامية؛ فماذا عن كونه نصاً في الزيارات الأخرى؟ وكونه من ضروريات المذهب، كما اعترف بذلك كثير من أساطينه، تجاهل المؤلف تحرير هذا الجانب، واشتغل بما يخص مناسبة عاشوراء، لأنها موضع الفتنة والنزاع بين السنة والشيعة، كما تفيده كتب التاريخ، وأن السنة كثيراً ما يحتجون على الشيعة في لعنهم للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بما جاء في زيارة عاشوراء!

خلص المؤلف إلى أن زيارة عاشوراء رويت من أربع طرق، إحداها نسبت للباقر، وهي المتعارفة، وأخرى للصادق، والأخيرتان مرسلتان، وهذه الروايات ممن ذكرها جميعاً ابن طاووس، وذكر أن عباساً القمي، ت/١٣٥٩هـ نقل ألفاظ اللعن في كتابه المشهور مفاتيح الجنان عن طبعة محرفة مزورة لكتاب شيخ الطائفة الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ: مصباح المتهجد الكبير، أو الصغير(المختصر)، والمقصود بالتحريف هو المقطع الأخير، وهو: (اللّٰهم خص أنت أول ظالم باللعن مني، وابدأ به أولاً، ثم العن الثاني والثالث والرابع...)، ومثلها تكرار

=

١/ ١١، وذخر العاملين في شرح دعاء الصنمين، للمولى محمد مهدي القزويني، ألفه باسم الشاه سلطان حسين الصفوي، كما شرحه الملا حبيب الله الكاشاني، ١٣٤٠هـ، انظر: الذريعة، ٤/ ١٠٢، ٨/ ١٩٢، ١٠/ ٩، وبحار الأنوار، ٨٢/ ٢٦٠، ٢٦٨، وفي الأسطر التالية أن بعض فقرات الدعاء قد تعود إلى القرن الرابع.

اللعن مائة مرة، أي أنها غير موجود في الزيارة، وجاء هذا الجهد من المؤلف بسبب ما أحدثه هذا المقطع من نزاع وفتن بين السنة والشيعة، بدعوى أنها روح التشيع؛ فأراد المؤلف أن يثبت عدم وجود هذا اللعن لأول ظالم، ومن بعده في النسخ الصحيحة لكتاب الطوسي: مصباح المتهجد، هذا بغض النظر عن تفسير من هو أول ظالم والخلاف فيه؛ وذكر أن أول من تنبه إلى هذا ابن طاووس، والقصة المروية عن موقف الطوسي حينما رفع أمره إلى الخليفة العباسي، بدعوى سب الصحابة، وكيف أول كلامه[1]، وهو بهذا شاهد على بني طائفته بتمرير التزوير من مدد طويلة، والاستدلال باشتهار العمل مدة من الزمن.

هذا الجهد فتح باباً لتقرير بدع الزيارة وضرورتها في المذهب، والطعن في الباحث وبحثه[2]، وإذا كان بين المؤلف وبين ابن طاووس الذي نبه على هذه الزيادة قرابة سبعة قرون فكفى بذلك شهادة على تزوير كثير من قضايا المذهب، الذي قام على وضع الزنادقة، وكذب الغلاة الرافضة، وإذا كان اعترف أن الزيادة دون إثباتها خرق القتاد فكذلك حال الإمامة وفروعها، وقد سبقه إلى مثل ذلك يوسف البحراني ونعمة الله الجزائري، وإذا كان يحسب لابن طاووس تنبهه وتنبيهه على هذه الزيادة فيحسب له أنه أشهر من فرح بهذه الزيادة، وروج لها في كتبه، لما في قلبه من الغل والحقد على صحابة رسول الله ﷺ، ومن كتبه التي كشف فيها عن خلاصة همه ومذهبه كتاب "كشف المحجة لثمرة المهجة"، وهو على هيئة الوصايا لابنه محمد، وسرد ابن طاووس في هذا الكتاب كتبه، ومنها كتب الدعوات، وذكر عنايته بكتب الدعوات السابقة، وأنه حاز على ستين كتاباً منها[3]، ولا ريب أنها مليئة بمثل ما أنتجه

---

(١) انظر: زيارة عاشوراء في الميزان، (دراسة لزيارة عاشوراء سنداً ومتناً، وما طرأ عليها من تزوير وتحريف)، ص٢٥ـ٢٩، ٥٥ـ ٦١، ٨٣، ١٠٧ـ ١٢٥، حسين الراضي العبد الله، ط١، ١٤٢٩هـ، دار المحجة البيضاء . بيروت.

(٢) الرسول المصطفى والشعائر الحسينية، ص٦٢٨- ٦٥٤، باسم الحلي، ط١، ١٤٣٠هـ، دار الأثر – بيروت.

(٣) انظر مقدمة: إقبال الأعمال، ابن طاووس، ١/ ١٣– ١٥، وكشف المحجة لثمرة المهجة، ص١٣٢، ابن طاووس، ٦٦٤هـ، ط ١٣٧٠هـ، المطبعة الحيدرية – النجف، وابن طاووس له عدة كتب في هذا الجانب منها ما يلي:

=

في كتبه، كما أنه أحيى كتب الرافضة حين تهيأت له الفرصة، وغابت التقية، خاصة وأنه عاصر سقوط بغداد على يد التتار، وهي فترة حظي فيها الإمامية بالقرب من التتار، والاستيزار لهم، ومن معاصري ابن طاووس تلميذه ابن مطهر الحلي، وشيخه الطوسي وزير هولاكو.

تلقى ابن طاووس هذا المعتقد والغل عن شيوخه وأسلافه، من مثل شيخه أسعد الأصفهاني، الذي ألف شرحاً لدعاء صنمي قريش، كما سبق، ومن جده شيخ الطائفة الطوسي[(١)]، والذي تتلمذ على المفيد، الذي يصرح بكفر كثير من الصحابة كما سبق، واجتهد في ترويج العداوة بين آل البيت وإخوانهم من الصحابة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جميعاً ــ؛ فالمسألة مبنية عندهم على عقيدة كفرية، من كفر بها فهو كافر، ومن قال بها نجا، وأهل البيت ــ عليهم صلوات الله وبركاته ــ براء من كذبهم، رافضين لقولهم، متبرئين منهم، كيف وقد تصاهروا وتآخوا مع إخوانهم قبل عاشوراء وبعدها، وآل البيت لم يكونوا لعانين ولا طعانين.

أما الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، وكذبوا على آل البيت فحسابهم عند الله يوم تجتمع الخصوم، كيف وقد جعلوا همهم صباحاً ومساءاً وأدبار الصلوات وجوف الليل اللعن والطعن فيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ورضوا عنه، فلا يهنأ عيشهم إلا بذلك، ولا يربون أبنائهم إلا على

=

١- إقبال الأعمال.

٢- مهج الدعوات ومنهج العنايات

٣- إغاثة الداعي وإعانة الساعي.

٤- جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع.

٥- الدروع الواقية من الاخطار فيما يعمل مثلها كل شهر على التكرار.

٦- زهرة الربيع في أدعية الأسابيع.

٧- المجتنى من الدعاء المجتبى.

٨- مصباح الزائر وجناح المسافر.

(١) يشير ابن طاووس أن الطوسي صاحب المصباح من أجداده، وأنه علوي حسني النسب!، وأن الحسين جده لأمه، فمن جداته أم كلثوم بنت علي بن الحسين، كما يذكره في وصيته لابنه التي شحنها بالحقد والكره للصحابة، انظر: كشف المحجة لثمرة المهجة، ص١٨، ٦٧، ٧١، ٨٢، ١١٨، ابن طاووس، ط ١٣٧٠هـ، المطبعة الحيدرية – النجف.

ذلك، كما فعل ابن طاووس المذكور مع ابنه وثمرة فؤاده، فقد ألف له كتاباً شحنه بالعداوة والبغضاء على المسلمين، وبالأخص الصحب الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كاشفاً لابنه المحجة التي تخفى على المسلمين، وتنكشف للرافضة اللعانين، وقد صح عند المسلمين قول نبيهم سيد آل البيت ﷺ: **«إن اللّعّانين لا يكونون يوم القيامة شفعاء ولا شهداء»**(١)، فكيف يرجون شفاعة نبيهم وآله ـ صلوات الله وبركاته عليهم ــ وهم يخالفونهم، بل وفي ذات العمل الذي يزعمون نسبته إليهم، ويتخذونه قربانين بين يدي دعائهم.

إذا كان اللعن عاقبته وخيمة في الآخرة، ويباعد من المقامات العالية فهو كذلك في الدنيا، فاللعنة إن بلغت وإلا أضرت بقائلها، فالمؤمن ليس لعاناً، كما ورد عن النبي ﷺ، فعن عبد اللَّه بن مسعود قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ليس المؤمن بالطّعّان ولا اللّعّان ولا الفاحش ولا البذيءِ»**(٢)، وأعجب منه ما رواه عمران بن حصينٍ، قال: (لعنت امرأةٌ ناقةً لها، فقال النبي ﷺ: **«إنها ملعونةٌ، فخَلُّوا عنها»**، قال: فلقد رأيتها تتبع المنازل ما يعرض لها أحد، ناقة ورقاء)(٣)، كما روي عن

---

(١) مسلم، ح/ ٢٥٩٨.

(٢) الترمذي، ح/ ١٩٧٧ وقال: حسن غريب، والحديث يروى مرفوعاً، ويروى موقوفاً على ابن مسعود، والأكثر رفعه، كما يروى عن غيره، وشهرته عن ابن مسعود، ومداره عنه على طريقين مشهورين، أخرجهما كثير من المصنفين أذكر بعضاً منهم، الطريق الأول: عن علقمة، كما عند احمد في مسنده، ح/ ٣٨٣٩، والبخاري في الأدب المفرد، ح/ ٣١٢، والحاكم في مستدركه، ح/٣٠، ١/ ٥٧، والطبراني في الدعاء، ح/ ٢٠٧٤، والمعجم الأوسط، ح/ ١٨١٤، ومن علل هذا الطريق محمد بن سابق البغدادي، تكلم فيه، ووثقه جمع؛ والطريق الآخر: عن عبد الرحمن بن يزيد، أو أبيه، كما عند ابن حبان في صحيحه، ح/ ١٩٢، والطبراني في الدعاء، ح/ ٢٠٧٣، المعجم الكبير، ح/ ١٠٤٨٣، وابن أبي عاصم في السنة، ٢/ ٤٨٧،؛ وفي كلا الطريقين تفرد، والحديث حسنه الترمذي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح/ ٣٢٠، وفي تحقيق السنة لابن أبي عاصم، ٢/ ٤٨٧، والأرناؤوط في تحقيق المسند، ٦/ ٣٩١،

(٣) أحمد في مسنده، ح/ ١٩٨٥٩، والطبراني في الدعاء، ح/ ٢٠٨٥، وفي معجمه الكبير، ١٨/ ١٨٩، والبغوي في السنة، ح/ ٣٥٥٨، ومداره في هذه المواضع على: معمر بن راشد عن أيوب عن أبي قلابة، عن أبي المهلب، عن عمران بن حصين، وقد أخرجه معمر بن راشد في جامعه، ح/ ١٩٥٣٢، وقد صححه شعيب الأرناؤوط في تحقيه للمسند، ومعمر تربى في بيئات علوية: الكوفة واليمن، ومع ذلك لم يرو عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لعان، أو طعان، كما تفتريه الرافضة، بل ونشأ في بيئات تكره النياحة، وأهلها.

علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: «لعن اللّعّانون»[1]، كما أن الإمامية تروي عن الباقر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قوله: (قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله ــ عز وجل ــ يبغض السباب اللعان الطعان على المؤمنين، الفاحش المفحش السائل، ويحب الحيي الحليم العفيف المتعفف)[2]، والسنة تروي مثله عن عبد الله بن عباس[3]، وهذا الحبر من آل البيت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ ولا شك أن الداعي سائل، فكيف بعد هذا يملؤ الإمامية أدعيتهم وأورادهم وصلواتهم بالسباب واللعان؟ وكيف يتقربون إلى الله بما يكره من الفحش والتفحش؟ ويجافون ما يحبه من الحياء والحلم والعفة؟ كيف يدعون محبة الله وهم يخالفون هذا الأدب في السؤال؟

أغرب من كل ما سبق أن يرد في كتب الموضوعات ــ وقد تكون من مروياتهم، ومما دسوه إلى غيرهم ــ وصف اللعان والطعان في حق يزيد بن معاوية، فكيف ــ بعذ ذلك ــ يرضى أعداؤه ومبغضوه أن يتصفوا بصفاته؟ فقد أخرج ابن الجوزي والسيوطي وابن عراق حديثاً مرفوعاً موضوعاً، وفيه: (لا بارك الله في يزيد الطّعّان اللّعّان، أما أنه نعي إلي حبيبي حسين...)[4]، والخبر

---

(١) الأدب المفرد، للبخاري، ح/ ٣١٥، وضعفه الألباني في ضعيف الأدب المفرد، ص٤٣.

(٢) انظر: تفسير الميزان، ١/ ٢٢٠، الطباطبائي، ت/ ١٤١٢هـ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية- قم؛ ونقله عن المعاني (ولعله معاني الأخبار، للصدوق)، وذكر أن مثله في الكافي، وتفسير العياشي.

(٣) ذكره أبو طاهر السلفي في منتخبه من الطيوريات، برقم: ٤٥٦، وفيه: (أخبرنا أحمد، حدثنا سهل، حدثنا علي بن ماهان، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا حَجّاج، عن ابن جُرَيج،عن عطاء، عن ابن عباس في قوله -عز وجل-: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ (البقرة: ٨٣)، قال: (قولوا لهم ما تُحبّون أن يُقالَ لكم، إن الله -عز وجل- يُبْغِض الفاحشَ المُتَفَحِّش، الهَمَّاز السَبَّاب، الطعَّان السائل المُلْحِف في السُّؤال، ويُحِب الحَيِيَّ المُتَعَفِّفَ)، وذكر المحقق أن إسناده واهٍ، لضعف سهل بن أحمد الديباجي، وجهالة علي ابن ماهان، وأحمد بن إبراهيم، انظر: الطيوريات، ٢/ ٥٣٣- ٥٣٤، المبارك بن عبد الجبار الطيوري الحنبلي، ت/٥٠٠هـ، انتخبه من الأصل: صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي الأصبهاني، ت/ ٥٧٦هـ، ت. دسمان يحيى معالي، وعباس صخر الحسن، ط١، ١٤٢٥هـ، مكتبة أضواء السلف، الرياض.

(٤) سبق تخريجه ص٢٠٤ من البحث.

مع وضعه إلا أنه في بعض ألفاظه من دون لفظ: (الطعان اللعان)[1]، والخبر قد يستدل به بعض الإمامية المعاصرون، ويحتج به على أهل السنة[2]، وفي بقية الخبر ذكر ما ينطبق على خونة الحسين من شيعة الكوفة، الذين أصبحوا بسبب قتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أرضهم وبين أظهرهم شِيعَاً، لا شِيْعْةً، إن صح هذا الوعيد، وهو من ضمن الخبر السابق: (والذي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يقتل بَين ظهراني قوم لَا يمنعونه إِلَّا خَالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وبدد جمعهم، وسلط عليهم شرارهم، وألبسهم شيعًا)[3]؛ فكيف بعد هذا يدعي محب للنبي وآل بيته أنه باق على محبتهم، وهو يعاشر من قد تصيبهم لعنتهم، أو ينتمي إلى أولئك الخونة، بل ويعتبر ذلك سلواه وغاية آماله، والمحبة ليست بالأهواء والدعاوى، وإنما بالاتباع، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[4].

❁❁❁❁❁❁

(١) وهذه زيادة لم ترد إلا من طريق الوضاع الأشناني، الذي انفرد به الحافظ محمد بن ناصر، فهي موضوعة بخصوصها، كما سيأتي، بإذن الله.

(٢) انظر: سيرتنا وسنتنا، ص١٢٤، سيرتنا، عبد الحسين أحمد الأميني، ت/ ١٣٩٢هـ، ط٢، ١٤١٢هـ، دار الغدير/ دار الكتاب الإسلامي – بيروت؛ وقال الأميني: (وأخرجه الحافظ الخوارزمي في مقتل الحسين، ص١٦٠، ١٦١، عن الطبراني بإسناديه ولفظه التام)، مع أن لفظ الطبراني ليس فيه لفظ الطعان اللعان، ولعله اغتر بصنيع السيوطي في اللالي المصنوعة، ١/ ٤١٤.

(٣) هو جزء من الخبر السابق.

(٤) آل عمران: ٣١.

المطلب الثاني

مظاهر الزيارة

اشتهرت الشيعة الرافضة عموماً بسبقها إلى بدع القبور، وتعظيمها، والبناء عليها، والطواف بها، والعكوف عندها، بل إنها أحيت مواضع ونسبتها إلى بعض آل البيت، وعظموها مع عدم ثبوت نسبتها، كما فعلت الدولة العبيدية في مصر برأس الحسين، وكما فعلت الرافضة بقبر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنجف[1]، في القرن الرابع تقريباً، زمن صولة القرامطة والعبيدية والحمدانية، وعهد الدولة البويهية ببغداد، كما ذكر الذهبي[2]، وقيل إن القبر في النجف أحدثته الدولة الحمدانية، عام ٣١٧هـ، وأن المشهد الحسيني في القاهرة أحدثه العبيديون في آخر عهدهم عام ٥٥٠هـ[3]، وكما فعلت الدولة الصفوية بمشهد الرضا[4]،

---

(١) النجف: والنجاف جمع مفرده نجفة، والنجفة أرض مستديرة مشرفة، والنجف بالتحريك أرض في العراق، وهي عين قرب الكوفة، بينهما ثمانية كيلو مترات تقريباً، وهي بظهر الكوفة كالمسنّاة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها، والنجف قيل كان موضعها بحراً، انظر: لسان العرب، ٩ / ٣٢٣، ومعجم البلدان، ٥/ ٢٧١، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبويّة، ١ / ٢٦٧، البلادي، ت/ ١٤٣٠هـ، ط١، ١٤٢٠هـ، دار مكة. مكة، والشيعة تسمى موضع القبر بالغري، وربما يقال نسبة: المشهد الغروي، ويزعمون أن فيه قبر هود وصالح، ومستقر سفينة نوح -عليهم السلام، وهو خلاف المعروف من أنها استقرت على جبل، وان علياً دفن في قصر الإمارة بالكوفة، وذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٥١٠هـ، عن أبي الغنائم النرسي قوله: (حتى جاء محمد بن زيد الداعي وأظهر القبر)، وهو أخ الحسن بن زيد الزيدي العلوي، تولى في طبرستان أول القرن الرابع، وبعضهم يزعم أن رأس الحسين في النجف -أيضاً-، وقد ألف عبد الكريم بن طاووس ت/٦٩٣هـ، كتاباً اسمه: فرحة الغري، انظر: فرحة الغري، ص١٠ -١١، ٦٥، ٨٦، وبحار الأنوار، ٩٧ / ٢٣٨، ٩٨/ ٢٥٦، ٢٥٧، والمنتظم، لابن الجوزي، ١٧ / ١٥١، ورأس الحسين، ص١٩٦.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، ١٦/ ٢٥٠.

(٣) انظر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، ١/ ٤٦، د. سعاد ماهر فهمي، نقلاً عن: مجلة البيان، عدد: ١٣١، ١٣٢، ص٤٠، ملف: (القبور والأضرحة دراسة وتقويم)، مقال: (انتشار القبور والأضرحة وعوامل استمرارها).

(٤) انظر: تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، د. محمد سهيل طقوش، ص١٠، ١٤٦-١٤٨، وذكر المؤلف غلو الشاه عباس بمشهد الرضا، وأنه أراد صرف الناس إليه، وقد حجه حافياً ماشياً على الأقدام، من عاصمته =

ومن تعظيمهم لها أن جعلوا مشاهد الأئمة أفضل من المساجد، فاتخذو لها حرماً، وشرعوا لها مواقيت ومناسك، كما قرره متقدموهم ومتأخروهم(١)، ولذا أحيوها، وهجروا المساجد، بل وفضلوا زيارتها والصلاة عندها على الصلاة في المساجد المفضلة(٢).

من المواضع التي تعنينا في بحثنا هو قبر الحسين في كربلاء، فقد عظمته الشيعة عموماً، والإثني عشرية خصوصاً(٣)، فمما نسبوه إلى الباقر كذباً أنه قال: (مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين بن علي ـ عليه السلام ــ، فان إتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين عليه السلام بالإمامة من الله جل وعز)، و(من لم يأت قبر الحسين ـ عليه السلام ــ من شيعتنا كان منتقص الإيمان، منتقص الدين)(٤)، وتناقلت بعض رسائلهم العملية هذه المسألة بصيغة واحدة، هذا نصها: (يستحب الصلاة في مشاهد الأئمة ـ عليهم السلام ــ، وهي البيوت التي أمر الله تعالى أن ترفع ويذكر فيها اسمه، بل هي أفضل من المساجد، بل قد ورد في الخبر «أن الصلاة عند علي (عليه السلام) بمائتي ألف صلاة»، وكذا يستحب في روضات الأنبياء، ومقام الأولياء والصلحاء والعلماء والعباد، بل الأحياء منهم أيضاً)(٥).

=

أصفهان، وهي مسافة تزيد على الألف كيلو متراً، وأنه أضيف إليها من المشاهد قدم الناقة التي كانت تحمل النبي ﷺ.

(١) انظر: الكافي، ٤ / ٥٧٦، والعروة الوثقى، ٢ / ٤٠٢، الطباطبائي اليزدي، ت/ ١٣٣٧هـ، ومنهاج الصالحين، ١٤٧/١، أبو القاسم الخوئي، ت/ ١٤١٣هـ، ط٢٨، ١٤١٠هـ، مهر - قم.

(٢) انظر: منهاج السنة، ٨ / ٢٣٧، ومجموع الفتاوى، ٤ / ٥١٧، ١٧ / ٤٩٧، ٢٧ / ١٩١، ٢٢٤، ٢٨ / ٤٨٢، وانظر: بحار الأنوار، ٩٨/ ٢٧٩.

(٣) سبق ذكر موقف التوابين، وموقف العباسيين، وخاصة المتوكل من قبر الحسين، ص٣٠٠، ٣١٠، ٥٥٥ من البحث، كما سبق بيان كذب القبر المنسوب إلى الحسين في القاهرة، راجع ص٣١٣- ٣١٤ من البحث.

(٤) كامل الزيارات، ص١٢١، ١٩٣، وبحار الأنوار، ٩٨ / ٣، ٤.

(٥) لم أقف على نص الرواية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتب الأخبار المشهورة عند الإمامية، ولكن تناقلته بصيغة التمريض عدد من الرسائل العملية لمرجع التقليد المعاصرين المشهورين، ولم ينسبوها إلى أصلها، عدا أن أحد المحققين ذكر أن الرواية موجودة في كتاب أبواب الجنان، لخضر الشلال، وممن ذكرها عباس القمي في الكنى والألقاب، ٢/ ٤٢١، انظر: مستمسك العروة، ٥/ ٥١٩، محسن الحكيم، ١٣٩٠هـ، ١٤٠٤هـ، مكتبة المرعشي.

=

هذا الغلو باق في معاصريهم، وهو من ضروريات مذهبهم، ويقررونه بمقدمات فلسفية ومنطقية، فضلاً عما في مروياتهم من فضل المشاهد (مما لم يرد مثله في عموم المساجد، وعلى فضيلة الصلاة فيها، مما يثبت أنها أفضل من الصلاة في جل المساجد)[(١)]، وقد صرح محمد باقر الصدر ـ من أشهر مراجعهم وفلاسفتهم المعاصرين ـ أن فضل مشاهد الأئمة وكونها خير من المساجد أمر لا يحتاج إلى دليل خاص، لأن المشاهد مضافة إلى الأئمة، وهم مضافون إلى الله، وهذه إضافة تكوينية لا يحتاج معها إلى الأدلة التشريعية؛ وهذا الغلو اصطلحوا على تسميته: بـ(الولاية التكوينية، والولاية التشريعية) للأئمة[(٢)].

الله لم يأمرهم بشيء من ذلك، وإنما أمرهم بتعظيم مساجده وبيوته التي تقام فيها الصلوات المفروضة، فأين مروياتهم من قول الله ـ سبحانه ـ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[(٣)]، بل إنهم هجروا المناسك التي شرعها الله لعباده في كتابه، فزيارة المشاهد والأضرحة ـ وخاصة زيارة الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ من أبرز شعائر مذهبهم والدينهم، بل صرح أحد معاصريهم أن أئمة آل البيت هم الشعائر الإلهية، وأن معرفتهم بمنزلة الشعائر، وأن الحسين أهم من شعائر الحج، إذ لولاه لما بقي حج[(٤)]، وقد رووا من قبل عن زيارات الأئمة: (أنها من أحب الأعمال إلى الله)، وأنها (من أفضل ما يكون من الأعمال)[(٥)].

هذه البدع تلقى منهم غاية الاهتمام، وبهذه البدعة الشنيعة حققوا المضاهاة التامة لدين الإسلام، وزيادة، وسنوا لها المناسك والآداب، وحددوا لها المواسم والأجور، وألفوا الكتب

= قم، ومطبعة الآداب – النجف.

(١) انظر: شرح العروة الوثقى، ٤/ ٣١٤، الصدر، ت/ ١٤٠٢هـ، ط١، ١٣٩١هـ، مطبعة الآداب – النجف.

(٢) ينظر ص٢٥٠- ٢٨٠ من البحث.

(٣) الأعراف: ٢٩.

(٤) انظر: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء. والتطبير). محمد جميل العاملي، ص١٦٥.

(٥) كامل الزيارات، ص١٤٦، ووسائل الشيعة، ١٤ / ٤٩٩، وبحار الأنوار، ٩٨ / ٤٩.

باسم مناسك المشاهد، أو باسم المزار، وهو الاسم الشائع في مصنفاتهم[١]، حتى تعلقت قلوب الأتباع بها أكثر من شعائر الحج إلى بيت الله الحرام، وقد ذكر بعض الكتاب الذين تتبعوا مرويات الزيارة في كتب أخبارهم أنها بلغت (٤٥٨) رواية، وأن نصيب زيارة الحسين منها بلغ قرابة (٣٣٨) رواية، أي اختص الحسين منها بقرابة ثلاثة أرباع الروايات، والباقي لسائر الأئمة[٢].

الزيارات القبورية بابها واسع، وهي قائمة على فتح أبواب الشرك، وتعظيم أصحاب القبور بما لم يشرعه الله، والعكوف عندها، وتلمس البركة والشفاء، ويصعب أن نستقصي شعائر هذه الزيارات، إذ ليست هي مقصود البحث، ولكن حسبي أن أشير إلى ما يتعلق منها بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما كان امتداداً لبدعة عاشوراء الكبرى، فحضور ذكر مصيبة مقتله في أدعية الزيارة، ولعن قاتليه، وتعزية إمامهم الغائب، المنسوب إلى ذريته، وأنه تاسعهم وقائمهم، ظهور ذلك وارتباطه بموضوع عاشوراء وأحزانها والثأر لها أمر ظاهر.

---

(١) من هذه الكتب: المزار، وهو لعدة من الإمامية، كلهم سمى كتابه بهذا الاسم، منهم: ابن النعمان المفيد، ت/ ٤١٣هـ، والذي ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه باسم مناسك المشاهد، أو الحج إلى زيارة المشاهد، والمشهدي، ت/ ٦١٠هـ، وقد يسمى كتابه: المزار الكبير، والشهيد الأول محمد مكي العاملي، ت/ ٧٨٦هـ، وقبلها كامل الزيارات، لابن قولويه جعفر بن محمد القمي، ت/ ٣٦٧هـ، وثواب الأعمال، للصدوق، ت/٣٨١هـ،، ومنها -أيضاً- المصباح، للكفعمي، ومفاتيح الجنان، لعباس القمي، ومنها كتب الأعمال، مثل كتاب إقبال الأعمال، لابن طاووس، إضافة إلى كتب الرواية المتقدمة، كالكافي، وتهذيب الأحكام، ومن لا يحضره الفقيه، والموسوعات الحديثية المتأخرة، ومن أشهرها وسائل الشيعة، للحر العاملي، وبحار الأنوار، للمجلسي، والذي خصص للزيارة الأجزاء: ج/ ٩٧: لزيارات المدينة والكوفة، ج/ ٩٨: خاص بزيارات الحسين، ج/ ٩٩: في زيارة بقية الأئمة، الكاظم، والجواد، (ببغداد)، والرضا، (بمشهد طوس، بفارس)، والهادي، والزكي العسكريين، (بسامراء)، والإمام الغائب صاحب سرداب سامراء المقدس!، (يزار في كل مكان!)، وأما:(فاطمة، والحسن، والسجاد: زين العابدين، والباقر، والصادق)، ففي زيارات المدينة، وعنوان بداياتها بكتاب المزار، وغيرها من موارد الزيارة في كتبهم.

(٢) التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، ص٢٥٥، محمد البنداري، ط١، ١٤٠٨هـ دار عمان. الأردن.

بدع القبور بذاتها من البدع المغلظة، لما تحويه من ألوان الشرك بالله، ومضاهاة شرعه ودينه وشعائره، وما فيها من مفاسد زيارة النساء للقبور، من نياحة وسفور ومخالطة للرجال؛ مما يجعل ذلك كافياً في التشنيع على هذه الطائفة وغيرها، ولطول العهد بهذه البدع، ولكثرة ما طرح حولها من البيان والتذكير أكتفي بذلك عن التفصيل في موضوعاتها، مع اختلاط أعمالها بشكل دائم ومستمر بعمل مواسم الموالد عند القبورية عموماً، وعند الرافضة الإمامية بشكل خاص، فلهم مسارعة ظاهرة إلى مثل هذه البدع، ولعل اختصاصهم بفقه وشريعة خاصة، وانعزالهم عن جمهور المسلمين، وتسترهم بالتقية، جعل أهل العلم يتعرفون على جنس بدعهم من جهة المتصوفة القبورية، الذين انتشرت فتنتهم بالأضرحة والقبور، في كثير من بلدان المسلمين اليوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

حسبي في هذا المطلب أن أشير إلى أنواع الزيارة، وثوابها عندهم، وأن أذكر بعض مظاهر الزيارة ومناسكها، والتي لها علاقة وارتباط بموسم عاشوراء عند الإمامية الاثني عشرية، وذلك في النقاط التالية:

١- أنواع الزيارة.

٢- ثواب زيارة الحسين.

٣- أعمال الزيارة.

٤- زيارة عاشوراء.

٥- زيارة الأربعين.

٦- الزيارة الشعبانية.

٧- إتمام الصلاة عند قبر الحسين.

٨- تقبيل العتبات والمقامات.

٩- التلبية والإحرام.

١٠- الزحف إلى القبور.

أنواع الزيارة:

الزيارات الخاصة التي لها علاقة بعاشوراء، وبالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشكل خاص[1]، والتي يمكن أن يزار بها، قد وردت بصيغ كثيرة، وأشهرها في هذا الجانب، زيارة عاشوراء، وزيارة الأربعين، وسأعدد هذه الزيارات ــ ثم ثوابها ــ من دون ذكر مصدر كل زيارة ومضمونها، استغناء باستفاضتها في كتبهم، وتكررها، ومن أشهرها كتب محدثهم عباس القمي، ت/ ١٣٥٠هـ، والذي جمعها من كتب المزار لسلفهم، ومن كتب الدعوات، ككتب ابن طاووس وغيره كما سبق ـ، وذلك كما يلي:

١- زيارة عاشوراء(محرم).

٢- زيارة الشهداء: شهداء كربلاء(محرم).

٣- زيارة الأربعين (شهر صفر).

٤- زيارة ربيع الأول.(فرحاً بيوم موت يزيد بن معاوية)[2].

٥- زيارة رجب(أوله، ونصفه).

٦- زيارة شعبان(مولد الحسين، مولد المهدي).

٧- زيارة ليلة القدر(رمضان).

٨- زيارة يومي العيد، وليلتيهما(شوال.ذي الحجة).

٩- زيارة عرفة(بداية خروج الحسين من مكة إلى الكوفة).

١٠- زيارة الوداع، وهي في نهاية كل زيارة.

١١- الزيارة البديلة: وهي زيارة أي ضريح آخر بنية زيارة الحسين، كقبر عبد العظيم الحسني بالري ومثلها زيارة الإمام الحي الغائب.

١٢- زيارة يوم الإثنين (الأسبوعية)، زيارة للحسن والحسين ابني علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) بعض الإمامية نص أن زيارات الحسين سبعة، كابن فهد الحلي، في القرن التاسع، ولكن أمر الزيارات توسع فيما بعد، وانظر: الرسائل العشر، ص٢٧٣.

(٢) بحار الأنوار، ٩٨ / ١٠٢.

١٣- زيارة الأيام الفاضلة طوال العام، ومنها أيام مواسم (موالد ووفيات) بقية الأئمة، وخاصة الجارية في شهري محرم وصفر.

١٤- زيارة وارث المطلقة، ومثلها الزيارة الجامعة لكل إمام.

١٥- الزيارة اليومية(ولو من بعد)، ومثلها زيارة التقية[١].

١٦- زيارة أصحاب الحسين، وأنصاره، والآخذين بثأره، كالمختار[٢].

ثواب زيارة الحسين:

جاء ثواب الزائر لقبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصيغ وأجور مختلفة، فكل راو يضع أجراً يراه مناسباً لترغيب الجهلة والعوام، وقد يزيد الأجر لضريح بجواره، طلباً للمنفعة وكسب الأموال، ومن عادة مثل هؤلاء أن يحيوا أماكناً ليس فيها قبر لأحد[٣]، واختلفت الروايات فيما تعدل الزيارة من الأجر، ما بين أجرة حجة، أو عمرة، واحدة، أو أضعاف مضاعفة منها، أو أجر غزوة مع نبي، أو شهادة مع الحسين، أو كزيارة الله في عرشه، وهذه الأجور كثيرة[٤]، منها ما يلي:

١- أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله.

٢- صلاة النافلة عن عمرة، وصلاة الفريضة عن حجة.

٣- تعدل العمرة والحج والجهاد والإعتاق.

---

(١) وصفتها: (تصعد فوق سطحك، ثم تلتفت يمنة ويسرة، ثم ترفع رأسك إلى السماء، ثم تحول نحو قبر الحسين ثم تقول...)، وقد يكتفى عند التقية بالسلام، من دون أن عمل آخر، وهذا الخبر المذكورر موضع لوهم التقية عند المجلسي، فالزائر هنا يلتفت يمنة ويسرة لكيلا يكشف، يقول المجلسي: (بيان: لا يبعد أن يكون الالتفات يمنة ويسرة إلى جانب الفوق للتقية لئلا يطلع عليه أحد)، بحار الأنوار، ٩٨ / ٣٦٥.٣٦٧.

(٢) راجع ص٣٤٧، ٣٧٧ من البحث، وابن نما له كتاب: قرة العين في أخذ ثأر الحسين، وذوب النضار في شرح الثأر، في آخره زيارة المختار، والثناء عليه، انظر: ذوب النضار، ص١٥١، ابن نما الحلي، ت/ ٦٤٥هـ، ت. فارس حسون كريم، ط١، ١٤١٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامي. قم، وانظر: المزار، الشهيد الأول، ص٢٨٤.

(٣) وهو ما يعرف بأضرحة الرؤيا، وقد سبق ذكرها ص٤٤٢، ٥٢٣ من البحث.

(٤) لاستفاضتها في كتبهم وبطلانها لم أر لازماً الانشغال بتتبع مواضعها، ومن مظان هذه الزيارات كتاب: بحار الأنوار، للمجلسي، ووسائل الشيعة، للحر العاملي، ومستدرك الوسائل، للنوري الطبرسي.

٤- تعدل حجة لمن فاته الحج، ثلاث حجج.

٥- تعدل عدد: ٢٢، ٨٠ حجة.

٦- تعدل عدد: ٢٠ حجة، و٢٠ عمرة، و٢٠ عزوة مع نبي.

٧- كزيارة قبر الرسول ﷺ.

٨- تعدل ١٠٠، ١٠٠٠ حجة مع الرسول ﷺ.

٩- تعدل ألفي ألف: (حجة، عمرة، غزوة).

١٠- مرافقة الرسول في الجنة.

١١- أيام الزائرين لا تعد من آجالهم.

١٢- درهم نفقة الحج إلى الحسين يضاعف ألف ألف ضعف.

١٣- زائره ليلة عاشوراء يلقى الله شهيداً، ملطخاً بدم الحسين.

١٤- يخلق من عرق الزوار سبعين ألف ملك يستغفرون لهم إلى يوم القيامة.

١٥- موسى زاره بصحبة سبعون ألف ملك.

١٦- أمنية الأنبياء والملائكة.

١٧- أفواج الملائكة، ومختلفهم: عددهم: ٤٠٠٠، ٧٠٠٠٠.

١٨- الله يزوره ليلة كل جمعة، مع وفود الأنبياء والملائكة.

١٩- كمن زار الله في عرشه(١).

٢٠- أن مشهده من مواطن إجابة الدعاء، بدليل وجوبه عقلاً وتعويضاً.

---

(١) انظر: كامل الزيارات، ص١٤٧، ١٧١، وثواب الأعمال، ص٨٥، وبحار الأنوار، ٩٨ / ٦٠، ٧٠، وفي بعضها (يوم عرفة)، وقال المجلسي (زيارته تعالى كناية عن إنزال رحماته الخاصة عليه وعلى زائريه)، وفي معنى (كمن زار الله) قال المجلسي: (بيان: أي عبد الله هناك، أو لاقى الأنبياء والأوصياء هناك، فان زيارتهم كزيارة الله، أو يحصل له مرتبة من القرب كمن صعد عرش ملك وزاره).

أعمال الزيارة:

معناه: أن يتبع الزائر الأعمال الواردة لكل زيارة.

واقعه: الأعمال الزائر لقبر الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كثيرة، وهي شبيهة بمن يزور ويحج الكعبة، فيمر بميقات عند الفرات، ويغتسل، وقد يلبي وينوي الزيارة ويصلي لها، ويلبس أحسن ثيابه ويتطيب، وقد يتحرى أن يكون صائماً، أو عطشاناً، ويدخل إلى حائر الحسين بخشوع وتذلل، على هيئة المستأذن، مستحضراً الإذن، فإن آنس ذلك دخل مستقبلاً القبر مسلماً، ثم تالياً ورد الزيارة، ثم يطوف بجوانب القبر، يقف عند كل جانب، من جهة الرأس، ثم القدمين، بعدما يكب عند جانب مقبلاً ركنه، والأرض من تحته على هيئة السجود.

تكثر الصلاة عند هذه المشاهد، وبعضهم يخص بها قبور الأئمة دون غيرهم، كما يخصونها باستقبالها عند الدعاء، لا استقبال القبلة[(١)]، بل قد يوجد من عوامهم من يستقبلها في الصلاة، أو يتحرى أن يجمع بينهما، وقد يصلي الزائر ركعتين أو أكثر، ويدعو بحاجته متوسلاً بصاحب القبر، وللوادع كيفية من السلام والتوديع، ويتبع ذلك التبرك بشيء من تراب القبور، وتقديم النذور والصداقات عنده، وتلاوة القرآن وأداء النوافل وإهداؤها لصاحب القبر.

أما عن وِرْدِ الزيارة، وما يُقْرَأُ فيها ــ وهو الشاهد في موضوعنا ــ فإنه يحتوي على عدة أمور، تتضمن عقائد الإمامة، والنياحة على مصيبة الحسين، وسائر الأئمة، ومن هذه الأمور التي تتكرر في الزيارة:

١- السلام على الحسين وآل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

٢- الاعتراف بإمامته، وإمامة جميع الأئمة الاثني عشر، مع تعدادهم.

٣- ذكر كفر من جحد إمامتهم، ولعنه والبراءة منه.

٤- الإقرار ببعض عقائد الإمامة، مثل الإقرار بالبداء، ورجعة الأئمة، والتفويض، ومقامات الأئمة المشتركة.

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ٩٨/ ٢٧٨- ٢٧٩.

٥- الاعتراف بصحة خروج الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأنه أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وجاهد في الله حق جهاده.

٦- سرد لبعض أحداث فاجعة كربلاء، وشخصياتها.

٧- لعن قاتل الحسين، وأول ظالم لآل البيت، والثاني، و....

٨- إطراء الأئمة، ومدحهم، وندبهم، ورثائهم، وتعزيتهم.

٩- إعلان موالاة الأئمة، والطلب بثأرهم، والاستعداد لذلك.

١٠- الدعاء بأن يكون الزائر من الطالبين بثأر الحسين مع الحجة الغائب، وأن يعجل الله ظهوره وفرجه، وتعزيته، وبيعته(١).

نقده: الإمامية في زيارتهم يفتحون أبواب الشرك بالمخلوقين، من الأولياء والصالحين، وهذه الأعمال غالبها من صور الشرك وذرائعه، فضلاً عما يقترفه الداعي بعد ذلك من ذكر حاجته وشكواه، وما يخلصه من دعاء صاحب القبر، والدعاء مخ العبادة، ولا يجوز صرفها إلا لله، ومثله العكوف عند القبور الساعات والليالي، وليس ذلك مما شرعه الله عند زيارة القبور، وما يعنينا أكثر في زيارة عاشوراء ونحوها هو وردها الذي يتلوه الزائر، والذي هو من جنس المأتم الخاص، فالزائر مستحضر للحادثة، وصنيعه يشبه قراءة كتب المقتل، كما في مجالس العزاء، فهي زيارة نياحة وجزع، لا زيارة تفكر واستغفار ودعاء للميت، وسلام عليه، كما أن القبور ليست موطناً للاستغاثة بالله، لا عرضاً، ولا بشكل دائم، كما تفعل الرافضة الإمامية.

يقول العلامة محمود شكري الألوسي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - حول ما يفعل في زيارة القبور، ورداً على أحد الإمامية الرافضة: (على أنه يُجَوِّزُ أن يفعل ما هو شرك بالله، وإيذاء للميت، وظلم من العبد لنفسه، كزيارة المشركين وأهل الجزع، الذين لا يخلصون له الدين، ولا يسلمون لما حكم به سبحانه وتعالى، فكل زيارة تتضمن فعل ما نهى عنه، وترك ما أمر به، كالتي تتضمن

---

(١) هذه الأعمال حصرتها من نصوص زيارات عاشوراء ونحوها، كما في كتبهم، ومن مظان هذه الزيارات -كما سبق- كتاب: بحار الأنوار، للمجلسي، ووسائل الشيعة، للحر العاملي، ومستدرك الوسائل، للنوري الطبرسي.

الجزع، وقول الهجر، وترك الصبر، أو تتضمن الشرك، أو دعاء غير الله، وترك إخلاص الدين لله، فهي منهي عنه.

وهذه الثانية(أي الشركية) أعظم إثماً من الأولى(أي النياحة)، ولا يجوز أن يصلّى إليها، بل ولا عندها، بل ذلك مما نهى عنه النبي ﷺ، فقال: **«لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها»**(1).

فزيارة القبور على وجهين: وجه نهى عنه ﷺ، واتفق العلماء على أنه غير مشروع، وهو أن يتخذها مساجد، ويتخذها وثناً، ويتخذها عيداً، فلا يجوز أن تقصد للصلاة الشرعية، ولا أن تعبد كما تعبد الأوثان، ولا أن تُتَّخَذَ عيداً يجتمع إليها في وقت معين كما يجتمع المسلمون في عرفة ومنى.

وأما الزيارة الشرعية؛ فهي مستحبة عند الأكثرين، وقيل: مباحة،...)(2).

لعل هذه الزيارات، أو كثير منها مما وضع زمن الغيبة الصغرى، وبعد استقرار عقائد الإمامة والغيبة، ومن ذلك مثلاً أنه جاء في زيارة العسكريين، قول الزائر: (يا من بدا لله في شأنكما)(3)، والعسكريان من أواخر الأئمة عندهم، فأحدث بعدهما زيارة باسمهما.

زيارة عاشوراء:

معناه: أن يقصد الشيعي ـ من أي بلد ـ ضريح الحسين بكربلاء يوم عاشوراء.

واقعه: يرونه من أعظم الأعمال، ويكون بالزيارة المباشرة، وقد يستعيض عنها بالزيارة

(1) مسلم، ح / ٩٧٢.

(2) غاية الأماني في الرد على النبهاني، ١/ ٢١١، محمود الألوسي، ت/ ١٣٤٢هـ، ت. الداني بن منير آل زهوي، ط١، ١٤٢٢هـ، مكتبة الرشد. الرياض.

(3) بحار الأنوار، ٩٩ / ٦٣، وقال المجلسي تعليقاً: (أما البداء في أبي محمد الحسن. عليه السلام. فقد مضى. في باب النص عليه أخبار كثيرة، بأن البدا قد وقع فيه، وفي أخيه الذي كان أكبر منه ومات قبله، كما كان في موسى وإسماعيل، وأما في أبيه . عليه السلام . فلم نر فيه شيئاً يدل على البداء، فلعله وقع فيه أيضا شيء من هذا القبيل، أو من القيام بالسيف، أو غيرهما، أو نسب هذا البداء إلى الأب أيضاً، لأن التنصيص على الإمامة يتعلق به).

غير المباشرة، وهي الزيارة عن بعد، بالخروج إلى الصحراء، أو بالصعود إلى سطح منزله، أو بزيارة أحد الأضرحة القريبة منه، ويقوم الزائر باتباع آداب وأعمال الزيارة المذكورة في كتب الزيارة[1].

تأويله وفلسفته: أنه زيارة الحسين أعظم مواساته، ويرجى قبولها في عاشوراء.

نقدها: هي بداية بدع عاشوراء فيما أظن، وقد يتضح هذا من أمر الزيارة في رأس المائة الثانية، وما بعدها اشتهر بين السنة والشيعة، وأنها فتحت باب الغلو بالقبور والمشاهد، والحديث عن هذا الجانب مرتبط بالتوسع بالأعمال التعبدية ــ المشروعة منها والمبتدعة ــ المتعلقة بعاشوراء، وكونه من أيام الله الفاضلة[2].

زيارة الأربعين:

واقعه: أهم الزيارات من حيث التوقيت، لتفرغ الزائرين لها، بخلاف يوم عاشوراء، فهو مليء بأعمال النياحة والمأتم، إلا أنه مع تخصيص يوم الأربعين من يوم عاشوراء ــ وهو يوم العشرين من شهر صفر ـ لهذه الزيارة، ولاستقبال وفود الزائرين في كربلاء العراق، الذين قد يسمون بالأنصار، ويصرف على سفرهم النذور والأوقاف[3]، إلا أنه تصاحبها من أعمال النياحة ما يجعل يوم الأربعين قريباً من يوم عاشوراء، مما قد تسمى بعاشوراء الصغرى.

نشأته: تزعم الإمامية أن زيارة الأربعين بدأت في الطور الأول، ولم يجزموا بتاريخ وعلة للزيارة، وقيل أن أول من زار الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من الآفاقيين هو الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، في عام المقتل، ٦١هـ[4]، وقيل غيره، وقال بعضهم إن الأربعين هو يوم

---

(١) انظر: وسائل الشيعة، ١٤ /٤٩١.

(٢) انظر ص١١٣٨ من البحث.

(٣) انظر: منهاج الصالحين، الخوئي، ٢/ ٢٥٠.

(٤) انظر: مصباح المتهجد، الطوسي، ص٧٨٧، وكمال الدين وتمام النعمة، ص٣٠٩، القمي الصدوق، ت/ ٣٨١هـ، علي أكبر الغفاري، ط ١٤٠٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

إخراج آل الحسين من السجن في الشام[١]، وقيل هو موعد عودتهم من الشام إلى المدينة، أو الكوفة، بعد لقاء يزيد، وأنهم رجعوا بالرؤوس إلى الكوفة فدفنوها مع الأجساد[٢]، ولذا قد يسمى يوم مرد الرؤوس.

مستنده: يستندون إلى عدة أخبار عن حصول الزيارة في عهد الأئمة، منها خبر ينسبونه إلى الصادق[٣]، وأشهر منه ما ينسبونه إلى الحسن العسكري، أن من علامات المؤمن زيارة الأربعين[٤]، وهذا الخبر هو أساس هذه الزيارة، ومنها ربما اشتق بعض الإمامية ما يفعلونه من زيارة أربعين مقاماً، أو مشهداً، أو مأتماً في عاشوراء، ومثله إشعال أربعين شمعة ونحوها من الأربعينيات.

تأويله وفلسفته: من مصاديق المحبة والولاء، وأن هذه الزيارة الرافضية متواصل عمل الحسين وثورته، وتخلق تياراً اجتماعياً يتربى على أخلاق الثورة[٥].

نقده: كل ما ذكروه لم يثبت به نقل صحيح، بل هو من تخميناتهم، بل كثير منه مما يستنكره بعض علماء ومراجع الإمامية[٦]، بل صرح بعضهم بأن العلة غير معروفة[٧]، وأعجب منه هو تحديدهم ليوم العشرين أربعيناً لعاشوراء، مع احتمال أن يكون هو يوم الحادي والعشرين، على احتمال تمام محرم ٦١هـ[٨]، ويظهر أن كثيراً من بدع المآتم عموماً ألحقت بأعمال وزيارات

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ٩٨/ ٣٣٢- ٣٣٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر أشوب، ٣/ ٢٣١، ونقله عن الطوسي، وعنه: بحار الأنوار، ٤٤/ ١٩٩.

(٣) تهذيب الأحكام، الطوسي، ٦/ ١١٣، بحار الأنوار، ٩٨/ ٣٣٢، وذكر المجلسي أن الزيارة رويت مرسلة، ووصلها ابن طاووس في إقبال الأعمال.

(٤) انظر: المزار، المفيد، ص٥٣، ومصباح المتهجد، الطوسي، ص٧٨٧، وبحار الأنوار، ٩٨/ ٣٢٩.

(٥) انظر: نظرات حول الإعداد الروحي، ص٣٠٥، حسن معن، تقديم: محمد مهدي الآصفي، ط ١٤٠٥هـ.

(٦) من هؤلاء من المعاصرين محمد حسين فضل الله، فأنكر عدداً من الزيارات، منها زيارة الأربعين، وأن تحديدها تأويل غير مقبول، وأنه قد يراد بها زيارة أربعين مؤمن من الأحياء، انظر: لهذا كانت المواجهة، الصغير، ص١٠٩.

(٧) انظر: بحار الأنوار، ٩٨ / ٣٣٤.

(٨) انظر: إقبال الأعمال، ابن طاووس، ٣ / ١٠٠، وعنه: بحار الأنوار، ٩٨ / ٣٣٤- ٣٣٦.

عاشوراء آخراً، واستقرت أواخر القرن الثالث وبداية الرابع، في زمن نشاط الدول الرافضية.

قد يكون أشهر ما جاء في خبر الزيارة ما ذكر من خبر جيش التوابين، ومرروهم على القبر، ومما جاء فيه: (لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه إلى قبر الحسين نادوا صيحة واحدة: يَا رب إنا قد خذلنا ابن بنت نبينا، فاغفر لنا مَا مضى منا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وارحم حسينا وأَصحابه الشهداء الصديقين، وإنا نشهدك يا رب أنا على مثل مَا قتلوا...)(١)، ولكن الحال المذكورة لم يكن في الأربعين، وليس فيها شنائع القبور التي عرفت فيما بعد، وإنما فيها ندم وتضرع لله، واستغفار منه، لا من الحسين، وقصدهم القبر لهذا الغرض، وإذا كانوا هؤلاء لا يوافقون ولا يقرون على عملهم الأول، وهو الخذلان، فإنهم كذلك لا يكون ما صنعوه وحددوه للزيارة حجة، وغايته أنه اجتهاد منهم في الندم.

إن المحبة الصادقة تكون بإتباع الشرع، لا بمخالفته، واتباع الأهواء، ودعوى المحبة قد تتخذ طريقاً للباطل، وهدم الشريعة، كحال الزنادقة، الذين وصل بهم الحال باسم المحبة والعشق إلى القول بوحدة الوجود، ونحوها من عقائد الكفر، فليست دعوى المحبة مشرعة لكل أحد، بل كما قال الله سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

الزيارة الشعبانية:

واقعه: زيارة شعبان كسابقتيها، لكنها هنا احتفال بمناسبة مولد الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لا بمقتله، وهي في اليوم الثالث من شهر شعبان، وتتكرر في منتصفه، لذكرى مولد المهدي المزعوم، والذي يحتفل له في موضع ولادته وسردابه في سامراء من أرض العراق، بجانب مرقد العسكريين، ولكن مما أحدث لها في بعض الأزمنة أن اتخذ منتصف شعبان عيداً، وجعل يومها كعطلة رسمية، كما ذكر عن البويهيين سنة ٣٣٥هـ(١)، ومثله زمن الشاه ناصر الدين

---

(١) تاريخ الطبري، ٥/ ٥٨٩،

(٢) آل عمران: ٣١.

(١) انظر: صلة تاريخ الطبري، ١١/ ٣٦٥، وهو مطبوع مع تاريخ الطبري.

القاجاري[(١)].

تأويله وفلسفته: من مصاديق الإحياء، وأن الزيارة فيها تذكير بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وثأره، أو بمولد المهدي الذي يأخذ بثأره، وتشويق لذلك.

إتمام الصلاة عند قبر الحسين:

معناه: أن يتم المسافر الآفاقي إذا وصل حائر الحسين، فالآفاقي إذا أراد الصلاة وكان قريباً من قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكربلاء، بمسافة خمسة وعشرين ذراعاً من كل جانب، ففي هذه الحالة يخير المسافر القادم إلى القبر بين القصر والإتمام في الصلاة، وبعضهم يجعل كل البلد حرماً ([(٢)]).

واقعه: هذا الموضع وهو أحد المواضع الأربعة التي تتم فيها الصلاة في السفر عند الإمامية، وهي مكة والمدينة ومسجد الكوفة .وهو غير النجف .وحائر كربلاء، وفي حائر كربلاء عند قبر الحسين اختلفت الإمامية في تحديد حرم القبر[(٣)]، الذي يتم فيه المسافر صلاته، واختلفوا في الموضع الذي يصلي فيه الزائر: هل هو خلف القبر؟ أو أمامه مما يلي القبلة؟ فالإخباريون يقولون بمنع الصلاة أمام القبر، لما فيه من إساءة وهتك لحرمة صاحب القبر، وخالفهم الأصوليون في هذا، حيث جوزوا صحة الصلاة أمام القبر[(٤)].

مستنده: مرويات ينسبونها إلى الأئمة منها ما رووا عن زياد القنديِّ، قال: (قال أبو الحسن موسى ـ عليه السلام ـ: أحبُّ لك ما أحب لِنفسي، وأكرِهُ لك ما أكرِهُ لِنفسي، أتمَّ

---

(١) راجع ص٣٧١، ٤٠٣ من البحث.

(٢) انظر: بحار الأنوار، ٨٦/ ٨٥ـ٨٦، ٩٨/ ١١٧، والمسائل المنتخبة، ص١٨٣، علي السيستاني، معاصر، ت/١٤١٤هـ، مكتب السيستاني – قم، وهي في أصلها الرسالة العملية للخوئي، اعتمدها المرجع الشيعي المعاصر علي السيستاني، وكذلك الروحاني.

(٣) في حدود حرم الحسين انظر: تهذيب الأحكام، الطوسي، ٦/ ٧١، ومصباح المتهجد، الطوسي، ص٧٣١، وبحار الأنوار، ٨٦/ ٨٦.

(٤) انظر: بحار الأنوار، ٩٨/ ٨٢.

الصلاة في الحرمين، وبالكوفة، وعند قبر الحسين عليه السلام) ([1]).

تأويله وفلسفته: أن هذه الأمكنة، ومنها حائر الحسين من المخزون والمذخور، وموضع أنوار الله، فقبره مخزون علم الله، وقصر. الصلاة عنده من مخزون علم الله، والصلاة فيه من المذخور الذي يعظم أجره، حتى أن الفريضة تعدل حجة، والنافلة تعدل عمرة[2]، وبعضهم علل الإتمام بأن الزائر ينوي الإقامة في المكان، أو لقصد كثرة الثواب، أو لشرف البقعة، أو أن التخيير من خواص المذهب[3].

وقته: عند زيارة الآفاقي لقبر الحسين بكربلاء على مدار العام، ومنها زيارة عاشوراء، ويكون ذلك في الصلوات المجموعة: الظهرين، والعشائين.

نقده: الإمامية مختلفون في مسألة القصر. والإتمام في المواضع الأربع، ومن أعجب مآخذ الاختلاف عندهم ــ كعادتهم ــ مخالفة العامة في الإتمام في صلاة السفر، وحكى بعضهم أن المشهور عند المتأخرين هو التخيير بين القصر. والإتمام، مع أفضلية الإتمام، وهذه المسألة من صور مخالفة الإمامية لجمهور المسلمين، وذلك قصداً لذات المخالفة، وقد استحسن البحراني كونها من ضروريات المذهب، كما هي من الأسرار المختصة بأهل البيت وشيعتهم، والتي حجبت عن غيرهم، فهي ــ بزعمه ــ من المخزون والمذخور التي اختصت به الإمامية، وأن ما ورد عن الأئمة، أو عن محدثي وفقهاء المذهب بخلاف ذلك أنه يحمل على التقية، كما زعم البحراني الإخباري، ومما قاله في أمر المخالفة:(لما تقرر عنهم ــ عليهم السلام ــ من القواعد التي من جملتها عرض الأخبار في مقام الاختلاف على مذهب العامة والأخذ بخلافه،

---

(١) كامل الزيارات، باب ٨٢: (التمام عند قبر الحسين وجميع المشاهد)، ص٤٣١، وثم كتب عند الإمامية ألفت لهذه المسألة، منها: الكنوز المودعة في إتمام الصلاة في الحرم الأربعة، ليوسف البحراني الشيعي (١١٠٧ . ١١٨٦هـ)، انظر: الحدائق الناضرة (المقدمة)، ١/ ٢٨، والذريعة، ١٨/ ١٨٥، وهداية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، ص٥٦٩، دار إحياء التراث العربي. بيروت.

(٢) كامل الزيارات، باب ٨٣، ص٤٣٣.

(٣) انظر: الحدائق الناضرة، البحراني، ١١/ ٤٣٨ـ ٤٥٥، وأطال في ذكر التعارض بين أدلتهم وعمل متقدميهم، وخرج بعضها على التقية، ومخالفة العامة، حتى غدت المسألة تعد من ضروريات مذهبهم!.

وروايات التمام في هذه المواضع مخالفة لمذهب العامة، فيتحتم الأخذ بها)[١].

العجب لا ينتهي من حرص الإمامية على المخالفة لأهل السنة (العامة) في هذه المسألة، مع أن المسألة في أصلها ليست مورداً للمقارنة، فأهل السنة ليسوا ممن يتخذ القبور مساجد أصلاً، اقتداء منهم بهدي نبيهم سيد آل البيت ﷺ، الذي نهى عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، فكيف بغيرهم، فقد قال ﷺ: **«لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**، وقوله ﷺ: **«قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**، وقوله ﷺ: **«ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»**[٢]؛ وهذا خلافاً لمن خالف هذه الوصايا النبوية، ووافقهم من المبتدعة في تعظيم القبور، والذي أرادت الرافضة الإمامية أن تتخذ لها ميزة عليهم.

أما إتمام الصلاة في غيرهما فالعجب أن تدعي الإمامية انفرادها بالإتمام، ومن مظان ذلك مشعر منى، وهي من حرم مكة، وقد اشتهر خبر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الإتمام[٣]، وإن خالفه غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فليس لهم وجه في المخالفة إلا من جهة ما ينسبونه من الكذب على آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيما يروونه عنهم، فأهل السنة مع مشاركتهم لهم في الرواية إلا أنهم لا يكذبون عليهم.

تقبيل العتبات والمقامات:

معناه: المقصود بهذا المظهر تقبيل العتبات التي في مداخل الأضرحة والقبور، ومثلها ما يتخذونه من مقامات، أو شبيهات لها، وذلك بالسجود إليها، وتقبيلها ومسح الخدين بها،

---

(١) الحدائق الناضرة، ١١/ ٤٢٨.٤٤٢، ٤٥٢.

(٢) البخاري، ح / ٤٣٥، ٤٣٧، ومسلم، ح / ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢.

(٣) البخاري، ١٠٨٢، ١٠٨٤، ومسلم، ح / ٦٩٤، ٦٩٥، وزاد أبو داود وغيره ذكر علة إتمام عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر: أبو داود، ح / ١٩٦٠ .١٩٦٤، وصححه الألباني من دون زيادة معاوية بن قرة، وقال: (إسناده صحيح على شرط الشيخين)، صحيح سنن أبي داود، ٦/ ٢٠٤، ناصر الدين الألباني، ت/ ١٤٢٠هـ، ط١، ١٤٢٣هـ، غراس .الكويت.

أو بإمرار كف اليد عليها، ثم تقبيل الكف ومسح الجسد بها، قصداً للبركة منها[1]، ومن ذلك الانكباب على القبر عند الدخول بعد الاستئذان والرقة، وعند الخروج والوداع[2].

واقعه: هو من مظاهر زيارة القبور والأضرحة، ولكنه يتكرر في عاشوراء من جهة تقبيل الرايات والمقامات التي تزار، أو الشبيهات، وهي مباني يتخذونها على شكل قبر الحسين، أو قبور من قتل معه في كربلاء، ومثلها ما يخصونه بذكرى، كالقاسم بن الحسن "العريس" ــ رحمهم الله جميعاً ـــ، والصور والنذور والهدايا والتعازي ونحوها، مما يساق في موسم عاشوراء، وتسير في المواكب والطرقات.

مستنده: هي عند الإمامية من مناسك زيارة وحج الأضرحة، وكتب المزار والزيارة مليئة بذكره منسوباً إلى الأئمة كذباً وزوراً، ويتكرر في مواسم الأئمة، لأنه ــ عندهم ــ من مصاديق الإحياء والمحبة، ومما جاء في أحد هذه الزيارات: (ثم انكب على القبر وقبله)[3]، وهذا الفعل يتكرر، فمرة أمام القبر، ومرة مما يلي الرأس، وغير ذلك كهيئة الطائف[4]، عياذاً بالله من عبادة غيره، فهذه الأعمال مناقضة لتعظيم الله ﷻ، وإعراض عن هدي نبيه ﷺ.

نقده: أن التقبيل يجوز فيما ورد تقبيله، وما لم يرد فلا، لأن مبناه على الخبر الصحيح، وقد يكون بدعة شنيعة إذا صاحبه اعتقاد، وهو من بدع الزيارات الشركية، وهو يشبه السجود للأصنام، ومثله الزحف قبيل الدخول إلى القبور.

مما يرد هنا نقد مراجع الإمامية لهذا المظهر، فقد أشار الخامئني مرشد الثورة الخمينية إلى قبح هذا العمل، وأنه لم يعمله أحد من العلماء، وأن بعض المراجع قبله ــ وهو البروجردي ــ قد منع من تقبيل العتبات؛ وهذا مع استحباب هذا العمل في كتب الأدعية والزيارات[5]!،

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ٩٧ / ١٣٦.

(٢) انظر: بحار الأنوار، ١٠١/ ٢٥٧-٢٦١.

(٣) مصباح المتهجد، الطوسي، ص٧٢١، وبحار الأنوار، ٩٨/ ٣٥٠.

(٤) انظر: ضياء الصالحين، ص٢٠١.٢٠٦.

(٥) ثورة عاشوراء، ص٧٨.

ولعل هذا الإنكار المذكور إنما هو من قبيل البعد عن توهين المذهب في نظر الناس، لا تورعاً عن البدعة ذاتها، وكلام الخامئني يوحي أنه لو فعلها بعض العلماء لأصبحت جائزة لذات فعلهم، فأبواب البدعة مشرعة، كما رأينا في هذا الموسم السنوي: عاشوراء.

التلبية والإحرام:

معناه: عقد نية الزيارة للقبر في أماكن تشبه مواقيت الإحرام للحج والعمرة، ومثله الاغتسال وتجديد اللباس، واستحضار أنه في الحرم المكي، ويذكرون هذا العمل في كيفية الزيارة، فأوردوا الكليني من يسأل الإمام عن زيارة الحسين، فقال: (إني أريد أن أزوره فكيف أقول وكيف أصنع؟ قال: إذا أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاغتسل على شاطئ الفرات، ثم ألبس ثيابك الطاهرة، ثم امش حافيًا، فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله، وعليك بالتكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، والتعظيم لله عز وجل كثيرًا، والصلاة على محمد وأهل بيته، حتى تصير إلى باب الحير، ثم تقول: «السلام عليك يا حجة الله وابن حجته، السلام عليكم يا ملائكة الله وزوار قبر ابن نبي الله»، ثم اخط عشر خطوات، ثم قف وكبر ثلاثين تكبيرة، ثم امش إليه حتى تأتيه من قبل وجهه، فاستقبل وجهك بوجهه، وتجعل القبلة بين كتفيك، ثم قل...)[(١)].

الزحف إلى القبور:

معناه: أي عندما يقرب من باب مسجد كربلاء فإنه يأتي إلى القبر زحفاً على بطنه، ومثله أن يحبو على يديه ورجليه[(٢)]، هذا فضلاً عن المشي حافياً مسافات طويلة، الذي يجوزونه، لأنه أبلغ في تعظيم الحسين.

واقعه: يجري عند زيارة القبور، قبر الحسين، أو قبر الرضا بمشهد، أو غيرهما من القبور، ومثلها ما قد يجري في المسيرات والمواكب في موسم عاشوراء، في مسيرات خاصة، ومن ذلك ما يعرف بمسيرة الكلاب، كما تنقله وسائل الإعلام اليوم، بل ذكر عن جيش وقوات البسيج

---

(١) الكافي، ٤/ ٥٧٦.

(٢) ثورة عاشوراء، ص٧٨،، حوار مع فضل الله حول الزهراء، ص٤٤٣، هاشم الهاشمي.

الإيرانية أنه عندما زارت قبر الخميني قامت بمسيرة الكلاب، هاتفين بالنباح كالكلاب![1].

نشأته: لعله نشأ في فترات التحام التشيع والتصوف، لأنه من جنس أعمال وطقوس المتصوفة، وذلك قبيل الدولة الصفوية، لكن المؤكد وجوده بعدها.

نقده: هذا العمل لقصد إذلال النفس وإهانتها، وهو بدعة شنيعة، ويكفي في ذلك استنكار عدد من مراجعهم، كمرشدهم الأعلى الخامئني، ومحمد حسين فضل الله[2]، وقد يكون ذلك الإنكار لما في العمل من دعوى توهين المذهب.

❁❁❁❁❁

---

(١) انظر: حوار مع فضل الله حول الزهراء، ص٤٤٢- ٤٤٣، والولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم، ص١٠٠.

(٢) انظر: ثورة عاشوراء، ص٧٨، والولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم، ص١٠٠، وفيه رد على فضل الله في مسيرة الكلاب في العراق وإيران، كزحف الكلاب على أربع.

المطلب الثالث

مظهر التربة الحسينية

الحديث عن مظهر التربة الكربلائية الحسينية هو امتداد لمظاهر الزيارة البدعية والشركية للقبور، والمخالفة للزيارة الشرعية للقبور، فتعظيمها وتقديسها كما عليه أهل الشرك والنصارى، وهو الذي أوقعهم في الغلو في القبور، وهي بريد الشرك وعبادة أصحاب القبور، ومن ذلك النصب والصور والتذكار، التي هي من أول أسباب الشرك، والتي ابتدأت بدعوى المحبة لقوم صالحين، إلى أن آل الأمر إلى عبادتهم، وقد حذر النبي ﷺ أمته أن تأتي بفعل النصارى، فقال: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله»**[1]، والإطراء يشمل الإطراء القولي، والإطراء الفعلي، فهما متلازمان، فكلاهما من وسائل الشرك وذرائعه التي يجب سدها، ومن ذلك التبرك بتراب القبور والمشاهد، فمن عادات زوارها أن يحملوا معهم أثراً منها، لما يرجونه من بركاتها، والاستشفاء بها، ويعتبرونها من أنفس الهدايا[2]، ومنه العناية بما يعرف بالتُّرَب، أي جمع تربة، وكأنها موضع ومقام للعبادة والذكر عند الصوفية، وفي أصلها تتخذ مواضع للدفن، وتتوارثها الأجيال، ويتبعها سبل ومصلى[3].

هذا العمل من جنس بدع القبور، ولكنه امتاز عند الإمامية الاثني عشرية بمزيد من الغلو، وظهر كشريعة ظاهرة للطائفة تبرزه في كتبها الفقهية، وتنتصر لمسألة السجود عليها،

---

(١) البخاري، ح/ ٣٢٦١.

(٢) انظر: مجلة المنار، عدد: صفر - ١٣٤٦هـ/ أغسطس - ١٩٢٧م، مجلد: ٢٨/ ٤٣٩- ٤٥٠، مقال: (مناظرة في مسألة القبور والمشاهد)، للشيخ العلامة محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي؛ وهو رد وجواب على الإمامي محمد مهدي القزويني؛ والقبورية في اليمن، نشأتها، آثارها، موقف العلماء منها، ١/ ٣٢٦، أحمد بن حسن المعلم، ط٢، ١٤٢٦هـ، دار ابن الجوزي – الدمام.

(٣) انظر على سبيل المثال: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "خطط المقريزي"، وقد تتبع كثيراً من هذه الترب في مواضع متفرقة من الكتاب، منها: ١/ ١٥٨، ٣/ ٢٢، ٢١١، ٢٢٢، ٢٣٥.

ومن مواضعها في أبواب الأحكام باب الصلاة، ومواضع السجود[(١)]، واستصحابها في السفر، أو القبر[(٢)]، والتسبيح بها، وكذلك الإفطار عليها يوم العيد، والاستشفاء بتناولها، مع إجماعهم على حرمة أكل التراب والطين، وأنه كأكل الميتة ولحم الخنزير، ولا حرمة لمن مات بسبب ذلك، وأنه يورث السقم والوسوسة، وأنه من مصائد الشيطان وحبائله، بل إنه بخصوص تربة كربلاء فيظهر من بعض رواياتهم أن من أكلها فكأنما أكل لحوم الأموات، لأنها مقبرة[(٣)]، وهي موضع لحوم الأموات، من الموالين والمخالفين، ومع كل ذلك يأكلونها!، فقد روى شيخهم الصدوق: (من أكل طين الكوفة لقد أكل لحوم الناس، لأن الكوفة كانت أجمة، ثم كانت مقبرة ما حولها، وقد قال أبو عبد الله ــ عليه السلام ــ: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ: من أكل الطين فهو ملعون)[(٤)].

مع كون الإمامية استثنوا قبر الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(٥)]، لكن حقيقة الحال أن تربة الحسين غير مأمون أن يخالطها تربة غيره، ممن يدخلون ضمن الإجماع في التحريم، زيادة أن أرض المعركة مظنة لاختلاط هذه التربة بتربة من يحكمون بشدة نجاستهم، وهم قتلة الحسين، يقول المجلسي ـ وهو من المتأخرين ــ: (بيان: يدل على عدم جواز أكل طين قبر أمير المؤمنين عليه السلام وكان هذا التعليل لشدة حرمة خصوص طين الكوفة وحواليها، ويدل على أن طين قبر الحسين عليه السلام ـ أيضاً ــ إذا كان من المواضع التي يظن خلط لحوم الناس وعظامهم

---

(١) انظر: الحدائق الناضرة، ٧/ ٢٥٩، والعروة الوثقى لليزدي، ٢/ ٣٩٧، ومستمسك العروة الوثقى، ٥/ ٥١١، الطبطبائي الحكيم، ت/١٣٩٠هـ، ط٣، ١٤٠٤هـ، مكتبة المرعشي – قم.

(٢) انظر: وسائل الشيعة، ٣/ ٢٩، ١١/ ٤٢٧.

(٣) انظر: كامل الزيارات، ص٤٧٨، والكافي، ٦/ ٣٧٨، وبحار الأنوار، ٥٧/ ١٥٣، ٩٨/ ١١٨.١٣٩، وفيه نقل عن علل الشرائع: (كل طين حرام كالميتة والدم وما أهل لغير الله به، ما خلا طين قبر الحسين عليه السلام، فإنه شفاء من كل داء)، والسرائر، ص٣١٨، لابن إدريس الحلي، وحكم على رواية الأكل يوم العيد بالشذوذ.

(٤) علل الشرائع، ٢/ ٥٣٣،، وعنه: وسائل الشيعة، ٢٤/ ٢٢٥.

والسرائر، ص٣١٨، لابن إدريس الحلي، وحكم على رواية الأكل يوم العيد بالشذوذ.

(٥) علل الشرائع، ٢/ ٥٣٣، وفيه: (كل طين حرام كالميتة والدم وما أهل لغير الله به، ما خلا طين قبر الحسين . عليه السلام.، فإنه شفاء من كل داء)، عنه: ٥٧/ ١٥٣، ٩٨/ ١١٨.١٣٩.

به لا يجوز أكله، وأكثر المواضع القريبة سوى ما اتصل بالضريح المقدس في تلك الأزمنة كذلك)[1]؛ فكيف مع هذا يخرجون من الاضطراب والقلق والحيرة، فضلاً عن قبح تصور المسألة، ولكن عقائدهم الغالية، كعقية الطينة، وعقيدة الولاية التكوينية صورت ما هم عليه من التلاعب بالشرائع، وانتهاك الحرمات.

ليس المراد هنا الحديث عنها كمسألة فقهية، وإنما كمسألة عقدية، وكمظهر مرتبط بقضية عاشوراء، حتى أصبحت شعاراً وتذكاراً ومعلماً خاصاً بالطائفة، لأن الإمامية تخرج المسألة على أنها فقهية، وأنه سجود على التربة، لا لها، هذا في مقابل من يرميها بعبادة الحجر، أو التربة الحمراء، وقد يعيرون بـ"عبدة القرميدة"[2]، ولكن المسألة هي فرد من مجموع الغلو والتقديس الذي تراكم من خلال الزمن، حتى أصبح شعاراً للطائفة، ومن وجوه ارتباطها بعاشوراء أنهم يستحبون لمن صام عاشوراء أول النهار أن يفطر عليها بعد العصر![3]، وهذا من مناكيرهم.

التربة الحسينية.

معناه: أن يحمل الزائر إلى قبر الحسين حفنة من تراب الضريح، أو ما حوله، على خلاف بين الإمامية في مدى المواضع التي يؤخذ منها، ليستعملها لسجوده وتسبيحه، واستشفائه ورجاء بركته وأمانها في الحضر والسفر والقبر، وغير ذلك، ويدخل معها التراب المجصص والمشوية، لقصد التماسك، وإلا فقد يصعب حفظه، لكونه يتهلل من أوعيته.

وقته: أصبحت مع الغلو بها طقس دائم، وكالحرز والشعار عند متأخريهم، وإن زعموا أن ذلك استحباباً، لكنهم أصبحوا يستأنسون بمشابهتها لحال الصلبان عند النصارى، وقد يكوم منه تطيين الرؤوس في عاشوراء، كما سبق في النياحة[1].

---

(١) بحار الأنوار، ٥٧/ ١٥٣.

(٢) هذا يظهر في المنتديات الإلكترونية، في مواضع الردود العامة، والقرميد الطين الأحمر المشوي والمصنع، ومنه ما يستعمل لتشريف البناء.

(٣) انظر: بحار الأنوار، ٥٧/ ١٦١.

(١) راجع ص٥٧٩ من البحث.

نشأته: تزعم الإمامية ـــ كعادتها ـــ أن أول من صلى على هذه التربة، وسبح بها زين العابدين علي بن الحسين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، فبعد أن دفن أباه ومن معه أخذ قبضة من تربته، فشده في صرة، وعمل منها سجادة ومسبحة[(١)]، وقد يعود البعض بنشأة تعظيم تربة كربلاء إلى عصر النبوة، فالرسول ﷺ احتفظ بها في قارورة، أو صرة، كما سبق فيما يروى عن أم سلمة وغيرها، والذي يستدلون به على جواز إقامة النعي والمأتم على الحسين[(٢)]، وكذلك قد يصرح بعضهم أن من سنة ومذهب آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يهتمون بترب شهدائهم !، وقد يعيدون ذلك إلى مقتل سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنهم تبركوا بتربته، والذي يضم إلى ملف العداوة بين آل البيت وبني أمية.

بقيت التربة الحسينية مدة تسعة قرون تستعمل على طبيعتها المنثورة، والتي يصعب توفيرها للسجود إلا بكلفة، ولذا كانت تظهر عند العباد منهم، وهي أقرب إلى الصوفية السياح، الذين ينقلون معهم المتاع القليل، ومنه الركوة والكشكول، ومنه عند متصوفة الشيعة هذه التربة، تبركاً وورعاً منهم في اجتناب مظان النجاسة ـــ فيما يزعمون ـــ، وأنها أظهر في التواضع والتذلل، مع أنها كما سبق خاصة للجبهة، دون سائر المصلى؛ وكان من الشائع لدى الإمامية تفضيل السجود على التراب عموماً، ومنه ما نبت من الأرض، ويفضلون السجود على التراب على السجود على الحجر[(٣)]، ويستعملون في نقلها خريطة ديباج ـــ كما في عباراتهم ـــ[(٤)]، وينهون عن السجود على التربة المشوية بالنار[(١)]؛ هذا الحال استمر إلى أن

---

(١) انظر: الأرض والتربة الحسينية، ص٤٣ .٤٦، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ط ١٣٦٩هـ، المطبعة الحيدرية . النجف.

(٢) عن أخبار وأحاديث نعي الحسين انظر ص٦٧٩ في الباب الثالث من البحث.

(٣) انظر: مستمسك العروة الوثقى، ٥/ ٥١٠.

(٤) انظر: بحار الأنوار، ٩٨/ ١٣٥، والحدائق الناضرة، ٧/ ٢٥٩، ٢٦٠، ويظهر أنها خريطة من قماش، تعبئ فيها التربة، وتنثر عند الصلاة، وتصب على موضع السجود من سجادته.

(١) انظر: رسائل الكركي، ١/ ١٠٣، ٢/ ١١، الكركي، ٩٤٠هـ، ت. محمد الحسون، ط١، ١٤٠٩هـ، مكتبة المرعشي – قم.

أحدث الكركي ـ شيخ الدولة الصفوية في بدايتها ـ القول بجواز السجود على التربة المشوية، فاشتهر شوي التربة الكربلائية الحسينية، وسهل نقلها.

واقعه: تغالي الإمامية في فضل التربة الكربلائية، وفضلها متعلق بفضل كربلاء الذي يضم جسد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكربلاء عندهم أفضل من مكة، ومما يتداولونه بينهم من نظم، قول ناظمهم:

ومن حديث كربلاء والكعبة لكربلاء بان فضل الرتبة[1]

من الصور العملية العقدية للاستثناءات الفقهية استثناؤهم لتربة الحسينية في عدد من الأحكام، والتي تبين جوانب من الغلو والتقديس؛ منها أنها تقبل معها الصلاة الباطلة لخلل يبطلها فيما إذا لم يكن المصلي معه هذه التربة[2]، وأن السجود عليها أفضل مواضع السجود المشروعة[3]، مع كون الساجد قد لا يتمكن إلا من السجود على الجبهة فقط!، واتخاذ الحروز منها[4]، والتوسل بحقها عند الزيارة[5]، وأنها جزء من الولاية التكوينية للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويتبع ذلك بالاستغاثة والاستعانة وخالص الدعاء من دون الله سبحانه.

إن قول الكركي على مخالفته لمن سبقه من جمهور الإمامية، ولمعاصريه، ومن أشهرهم إبراهيم القطيفي، الذي رد الكركي عليه برسالة خاصة، والخصومة بينهما مشهورة، وكذلك مع غيره من الإخباريين، وممن خالف أو توقف فيها محمد أمين الاسترابادي، ويوسف البحراني[6]؛ ولكن قول الكركي سرى في الإمامية لمكانته ومنصبه، وأصبح معتمداً بعد أن

---

(١) الأرض والتربة الحسينية، آل كاشف الغطاء، ص٣٨.

(٢) يرويه محدثهم حسين النوري عن الشهيد من طريق الكركي، انظر: مستدرك الوسائل، ٤/ ١٢.

(٣) انظر: الحدائق الناضرة، البحراني، ٧ / ٢٦٠.

(٤) انظر: وسائل الشيعة، ١١/ ٤٢٧، ١٤/ ٥٣٠.

(٥) انظر: مصباح المتهجد، للطوسي، ص٧٣١. ٧٣٤، المصباح، للكفعمي، ٥٠٨.

(٦) انظر: رسائل الكركي، ٢/ ٨٩ .١٠٨، وممن، انظر: الفوائد المدنية، ص٥٦٥، الاسترابادي زعيم الإخبارية نقل قول الكركي في التربة المشوية، وذكر مخالفته لمشايخ الطائفة معاصره، وممن توقف فيها البحراني، انظر: الحدائق الناضرة، ٧/٢٦١، والفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية، ص٣٠٨.

كان محدثاً، وتبعه عليه سائر الإمامية، حتى أصبح حمل التربة المشوية بعد الكركي شعاراً للطائفة بعد أن كان هذا العمل محرماً، أو مكروهاً، أو مسكوتاً عنه، بل في بعض أخبارهم أن الشيعي لا يستغني عن أربع، ولم يذكر منها فيما يتعلق بطينة الحسين إلا السبحة(١)، فهذه يدل على أن بعض الأخبار سبقت بعضاً في الوضع، وما كان من عمل العوام ووضاعي الأخبار أصبح مقرراً لدى الفقهاء في كتبهم.

يظهر أنه بانتصار الكركي (والتيار الأصولي) لهذه المسألة ازداد رسوخ مقام التربة الحسينية بين الإمامية عموماً، ودخلت مرحلة جديدة، خاصة مع ازدياد الغلو في عاشوراء زمن الدولة الصفوية، والتي أصبح حماسها لبعض المظاهر العملية نموذجاً للتشيع الحسيني مقابل التشيع العلوي، ولما تحمله طقوس التشيع الحسيني من ثورة وعنف أصبح وكأنه ينسب إلى الدولة الصفوية، وقد يعبر عنه البعض بالتشيع الصفوي، فَنَقَلَ المسألة من نمط الطريقة الخاصة إلى نمط الشريعة الظاهرة، ولا شك هذا نوع من التلاعب بالمذهب تحت دعوى الاجتهاد، الذي يتبناه التيار الأصولي في الإمامية؛ هذا إضافة أن الكركي من الفقهاء المشهورين بالتصوف، الذي تمت محاربته فيما بعد، في القرن الحادي عشر الهجري، وهو القرن الثاني للدولة الصفوية، وترسخت الدعاية لها في العصور المتأخرة بمثل ما كتبه محمد حسين كاشف الغطاء، ت/ ١٣٧٣هـ، وعبد الحسين أحمد الأميني النجفي، ت/ ١٣٩٢هـ.

مستنده: مما وضعته الإمامية في فضل هذه التربة ومشروعية طقوسها عندهم أن: (السجود على تربة أبي عبد الله عليه السلام يخرق الحجب السبع)، وأن: (السجود على طين قبر الحسين ينور إلى الأرضين السبعة)، وأن: (من كانت معه سبحة من طين قبر الحسين كتب مسبحاً وإن لم يسبح)(٢)، وغيرها من الفضائل الكثيرة، وأن آل البيت ــ بزعمهم ــ كانوا يتخذون السبحة قبل كربلاء من تربة حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ !، ثم بعد ذلك استغنوا

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ٨٢/ ٢٤٠.

(٢) انظر: من لا يحضره الفقيه، ١/ ٢٦٧، ووسائل الشيعة، ٥/ ٣٦٦.

بتربة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، وأن علي بن الحسين والأئمة بعده استعملوا التربة الحسينية، وأن هذا عليه عمل الطائفة، كما قد يحتجون بأن غير الشيعة ـ أيضاً ـ يعظمون ترب المشاهد.

استند الكركي في بدعة التربة الحسينية إلى أنه لم يثبت عند متقدمي الإمامية دليل ما يمنع من جواز السجود على التربة المشوية، وخاصة إذا كانت تربة حسينية، رجاء بركتها؛ عدا ما جاء عن سلار(أبو يعلى الديلمي حمزة ابن عبد العزيز، ت/٤٦٢هـ)، أحد فقهاء الإمامية في القرن الخامس، ومن تلاميذ المرتضى ـ، وانتصر الكركي لقوله فيها على طريقة أهل الجدل، وتقرير قاعدة استصحاب البراءة الأصلية، وعدم قبول دعوى استحالة التربة بعد شويها، كما استقر في أمر السبحة من التربة الحسينية المشوية، ومما قاله في مقدمتها: (لا نعرف خلافا بين أصحابنا الإمامية رضوان الله عليهم، بل بين المسلمين، في أن التربة الشريفة الحسينية ـــ صلوات الله على مشرفها ـــ، يجوز السجود عليها، سواء شويت بالنار أم لا؛ أما غير أصحابنا فظاهر، لأنهم يجوزون السجود على كل شيء طاهر، وأما أصحابنا فإنا لم نقف لأحد من المعتبرين في ذلك على منع، نعم سلار في رسالته حكم بكراهية السجود على التربة المشوية، وسيأتي ـ إن شاء الله ـ بيان ضعفه، وباقي أصحابنا أطلقوا القول بجواز السجود على الأرض وأجزائها، وبعضهم أطلق القول باستحباب السجود على التربة المقدسة)[2].

تأويله وفلسفته: إضافة إلى الأخبار التي ترويها الإمامية، والسيرة العملية لأسلافها على هذه الشعيرة البدعية؛ فإن المتأخرين من دعاتهم ذكروا أموراً يجادلون بها، لترويج بضاعتهم بين المسلمين[3]، ومن هؤلاء: مرجعهم محمد حسين آل كاشف الغطاء، ومرجعهم

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ٨٢/ ٢٤١، ٩٨/ ١٣٣، وكشف الغطاء، عن مبهمات شريعة الغراء، ١/ ٢٤٧، جعفر كاشف الغطاء، ت/ ١٢٢٨هـ، بدون ذكر تاريخ الطبعة ورقمها، انتشارات مهدوي – أصفهان، والأرض والتربة الحسينية، آل كاشف الغطاء، ص٤٣ .٤٦، والسجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية، ص٩٤، إعداد: مركز الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، مركز الرسالة. قم.

(٢) رسائل الكركي، ٢ / ٩٢.

(٣) من الكتب التي أفردت للحديث عنها:

١- السجود على التربة، للمحقق الكركي، ت / ٩٣٧هـ، ورسالة السبحة، أمل الآمل، ١ / ١٢١ ..

=

عبد الحسين بن أحمد الأميني النجفي، حيث ذكرا جوانباً من علوم وأسرار التربة الحسينية، منها ما يلي:

أنها من جنس التراب، والذي هو أصل الإنسان، الذي أسجد الله له الملائكة، وتكريمه تكريم لأصله: التراب، والسجود عموماً، وعلى التربة الحسينية خصوصاً تكريماً للتراب، فهو (الأم الحنون) ابتداء وانتهاءاً، والمسلمون بهذا يخالفون المجوس عبدة النار[1]، ويصور الأميني ارتباط أرض كربلاء بالتوحيد الخالص من خلال خروج الحسين ومقتله، مع أن الحسين لم يبق مدة لأجل أن ينشر. هذا الأمر، لكن مأخذ الأميني يذكر بمأخذ الخميني الذي جعل مهمة الرسل منطلقة من العدل الإلهي والعرفاني، ومنطق العقل الذي يقصدون به العاطفة، فالعاطفة أساس دعوة الرسل ــ بزعمهم ــ[2]، ويغرون به العواطف، تحت معنى الوفاء، ودعوى العشق والحب لله، ويبنون عليها الشرائع[3].

زعموا أن من مفردات مذهبهم ومفاخره: أن المصلي لا يسجد إلا على التراب، أو ما نبت منه، ولا يسجدون على متاع الدنيا من غير التراب، لأن الناس عندهم عبيد ما يأكلون، فكيف

=

٢- رسالة في التربة الحسينية، الميرزا أبو المعالي محمد بن الحسين الخراساني المشهدي، توفي في القرن الرابع عشر الهجري، ذكره محسن الأمين في أعيان الشيعة، ٢ / ٤٣٣.

٣- الأرض والتربة الحسينية، محمد بن حسين آل كاشف الغطاء.

٤- السجود على التربة الحسينية، لشرف الدين عبد الحسين بن أحمد الأميني النجفي.

٥- السجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية، مركز الرسالة - قم، وهو في غالبه تكرار للكتابين السابقين، وخاصة كتاب الأميني.

(١) الأرض والتربة الحسينية، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ص٢٦.

(٢) سبق الحديث عن هذا الجانب عند الحديث عن المدح والرثاء، راجع ص٥٣٨، ٥٦٣، ٧٧٢ من البحث.

(٣) انظر: السجود على التربة الحسينية، الأميني، ص٦٦، والسجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية، ص١٠٠، مركز الرسالة، والسجود على التربة الحسينية ودلالاتها، عبد الله الغريفي، وهو منشور على الانترنت، وهو فصل من كتابه: التشيّع نشوؤه مراحله مقوماته، ط٢، ١٤١٢هـ، دار المواسم .بيروت، وستأتي الإشارة إلى هذا الجانب، والرد عليه في الباب الثالث، إن شاء الله.

يسجد على معبود أهل الدنيا[1]، وأن التراب أكمل وأحوط المواضع في الطهارة والتطهير، وخاصة في السفر، كما أن ذلك أظهر في التواضع والخضوع[2]، لكن مع ذلك كيف يعبد أحدهم طعامه هو، فهو يأكل تراب الحسين، فهذا مظنة أن يعبد ما يأكل؟!، فضلاً عما يداخلها من التقديس، فهي أحرى أن تكون معبوداً لهم على استقلال من هذا الوجه، كما في رواياتهم عن الصادق برأه الله من إفكهم[3].

أن المطلوب من المصلي الاحتياط لطهارة مصلاه، والترب تتفاوت في الطهارة والمكانة والقداسة حسب قاعدة النسب والإضافات[4]، ومن أعظم الترب عندهم ما أضيف إلى المعصوم، وخاصة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكثرة بركاتها ومنافعها، ولما جعله الله فيه تعويضاً للحسين، فهي تخرق الحجب السبعة، ومعراج للصعود[5]، وهذه من مظاهر غلوهم في عقيدتهم في الولاية التكوينية والتشريعية للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهي ولاية استثنائية شرعاً وكوناً،

---

(١) انظر: السجود على التربة الحسينية، ص٢٢، عبد الحسين الأميني الموسوي، ١٣٩٢هـ،(المقدمة)، محمد عبد الحكيم الموسوي الصافي، بدون بيانات الطبع.

(٢) انظر: السجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية، ص١٨، والسجود على التربة الحسينية، الأميني، ص٤٩، وصرح أن السجود على البُسُطِ بدعة، هذا من تورعه!، على سعة مذهبه في الحب والعشق، كما أن من تدليسه وكيده أنه يستدل بعمل النواصب!، فيذكر أنه يقتدي بالتابعي الجليل مسروق بن الأجدع -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- في حمله لبنة يسجد عليها إذا ركب البحر، (ابن أبي شيبة، ح / ٦٦٠٣، ٦٦٠٥)، وهذا من كذبه وتلبيسه فهو يذكر أن حجته آل البيت، ومسروق إن تثبت خبره فليس معصوماً، كما لم يذكر أنها من تربة المدينة، ولا أنه يصنع بها ما تصنع الرافضة الإمامية.

(٣) انظر: مستمسك العروة الوثقى، محسن الحكيم، ٥/ ٣٣٨.

(٤) انظر: السجود على التربة الحسينية، الأميني، ص٥٥- ٦٩، والسجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية، ص٨٩.

(٥) الأرض والتربة الحسينية، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ص٤٠، ٤٨: ويقول: (ولعل المراد بالحجب السبع هي الحاءات السبع من الرذائل التي تحجب النفس عن الاستضاءة بأنوار الحق وهي الحقد، والحسد، والحرص، والحدة، والحماقة، والحيلة، والحقارة، فالسجود على التربة من عظيم التواضع والتوسل بأصفياء الحق، يمزقها ويخرقها ويبدلها بالحاءات السبع من الفضائل، وهي الحكمة، والحزم، والحلم، والحنان، والحصافة، والحياء، والحب).

ومن ذلك أن الحسين أنه خلق من نور، وأنه جمع النورين المحمدي والعلوي، ولذا فتربته تنور الأرضين السبع، كما يروون، ولذا فلا غروا أنهم يرون أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أكرم شخصية في الدهر)، وإن كان يتداركون على استحياء: إلا من النبي وصهره وسبطه الحسن؛ ولكنهم لا يخفون ابتهاجهم بفضل بركة الحسين عليهم جميعاً.

أفضل الأراضي والترب عندهم أرض وتراب هي كربلاء التي تحوي الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل ويبالغ آل كاشف الغطاء في تعظيم وتفضيل أرض العراق على بقاع الأرض كلها، ولكونها من قبل تحوي نواويس ومعابد، ومدافن الأنبياء، ولأنها تحوي موضعاً يخرق الحجب السبعة، وهي معراج للمصلي إلى ربه(١)، وقول: (ولما تسامت الروح والمادة، وتساوت الحقيقة والصورة صارت هي أشرف بقاع الأرض بالضرورة)!؛ ولا يخفي آل كاشف الغطاء مع هذا أسفه على الظلم والمصائب على العراق، وأنها مع فضلها لم تنل مقامها، وأنها من بين البلدان التي كان فتحها عنوة، وذلك في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

زعموا أن الصلاة امتداد للثورة على الظلم!، وأن أفضل ما يذكر منها بهذا المعنى هو السجود على التربة الحسينية، ولعل هذه اللغة والمعاني ظهرت بعد ثورة الخميني، لمبالغتها في تقمص شخصية الحسين، ومنحتها القداسة(٢).

نقده: تتداعى البدعة بأهلها، فبينما يخصون مشهد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنقل تربته يتوسعون على استحياء في تجويز ترب غيره من مشاهد الأئمة، بل حتى من عداهم، هذا في حين إنهم كانوا يستثنون تربة الحسين في مقابل تربة مكة والمدينة، وهذا الاستثناء هو وجه جديد لهدم الشريعة؛ وهذه البدعة مع شيوع مثلها عند القبورية من غيرهم نرى دعاة الرافضة الإمامية ـ من خالص شفقتهم على دعوة الناس إلى الضلال ـ، نراهم يدعون عموم المسلمين إلى

---

(١) انظر: الأرض والتربة الحسينية، آل كاشف الغطاء، ص٣١، ٣٥.٣٦، ٤٠، ٥٤، ٧٤.

(٢) انظر: السجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية، ص٩٨، مركز الرسالة، والتشيّع نشوؤه - مراحله، عبد الله الغريفي، فصل مقوماته والسجود على التربة الحسينية ودلالاتها.

تقليدهم في هذه الخاصية[1]، ويضحون بمن ينتقدهم في غلوهم، ويرمون خصومهم بأنهم يفترون عليهم، وأنها مسألة مستحبة وليست مفروضة في مذهبهم، وأنه يجوز في مذهبهم السجود على غيرها، بل صرحوا أنها ليست من أصل دينهم!، وأنها مما استحسنته عقولهم[2]، لكنها صارت من ضروريات مذهبهم!، ومع هذه الدعوى والإقرار نجد علامتهم الأميني يطالب المسلمين أن يكونوا كذلك.

هذه التربة تحولت إلى شعار إلى موالاة آل البيت، وإلى وثيقة تاريخية لإثبات هذا الولاء[3]، وخاصة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلامة للبراءة من قاتليه، والاستعداد للانتقام منهم، والأخذ بالثأر، وشعاراً لانتظار المهدي، تجمل هذه العبادة بصورتها الحديدة نعياً دائماً، ومأتماً تذكارياً، وتحفة ثورية[4]، كيف وإذا أضيف إلى ذلك خصوصية الشيعة، وإضافتهم أنفسهم إلى هذه التربة والطينة، فضلاً عن عقيدتهم في طينتهم وطينة سائر أئمتهم[5]، وبعضهم يخص بالفضل بتربة الحسين وحده بعد أن رأى ما وصل إليه قومه من تعظيمها[6].

وبعد: فهذه التربة المقدسة عند الاثني عشرية هي من أبرز آثار عاشوراء الدائمة، وهي دليل على تنطعهم في العبادة، وجهلهم وتحولهم عما كانوا عليه، فبعد الاشتباه عند متقدميهم

---

(١) انظر: سيرتنا وسنتنا، الأميني، ص٤٣.

(٢) انظر: السجود على التربة الحسينية، الأميني، ص٦٧، ٦٨، والسجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية، ص١٠١.

(٣) انظر: التشيّع نشوؤه مراحله، عبد الله الغريفي، فصل مقوماته والسجود على التربة الحسينية ودلالاتها.

(٤) انظر: بنور فاطمة اهتديت، ص٢٠٩، عبد المنعم حسن، ط١، ١٤١٩هـ، دار المعروف – بيروت.

(٥) حول عقيدة الطينة لدى الإمامية، وأنها سبب لوقوع الآثام منهم، وأن الشيعي خلق من طينة، والسني خلق من طينة أخرى، وأنه جرى المزج بينهما بالنسبة للشيعي، وأن لوازمها القول بالجبر، انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٩٥٥ .٩٦٢، د. ناصر القفاري، وذكر أن لهم في عقيدة الطينة أكثر من ستين رواية عندهم، ولو أضيفت إليها أخبار طينة الحسين لتضاعف العدد.

(٦) انظر: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء. والتطبير). محمد جميل العاملي، ص٧٥، ١٢٨، والعاملي تصرف بالرواية المشهورة (فاضل طينتنا)، فخص شيعته بطينة الحسين، وانظر: زيارة المراقد عند الشيعة، ص٢٧ .٢٨، د. طه حامد الدليمي، ط٢٠٠٤م.

قرر متأخروهم حسنها، لكمال طهارتها، ولاعتبار إضافتها، وكونها تذكاراً للعدل والظلم[1]؛ وهذا غير كاف في الدلالة، لما سبق من حرمة أكلها، لكونها مختلطة بالدماء، وهي مظنة النجاسة والأمراض، واستحقاق اللعنة والنفاق[2]، ومن أسباب وقوعهم في الآثام والمعاصي، لأنها مظنة لدماء أعداء الحسين وقاتليه، الذين جلب على الكفر والعصيان، فالأولى أن ينقلب الحال من الفرح بها إلى التشائم منها، لما جرى عليها من المصائب والأحزان، كما يتشائمون من الرزق والمكاسب في يوم عاشوراء، ولما فيها من الشماتة بتجديد الأحزان والفتنة بين المسلمين، ولزوم حال الخوف والتقية التي نشأت فيه، ولما يروونه أن جنس هذا العمل من النفاق[3]، وأعجب منه ما يرويه شيخهم ابن قولويه: (من باع طين قبر الحسين ـ عليه السلام ـ فإنه يبيع لحم الحسين ـ عليه السلام ـ ويشتريه)[4]، ومع هذه الشناعة يمنعون من أكل تربة من هو خير من الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع عدم وجود هذه الشبه التي امتحنوا أنفسهم بها.

من تنطع الإمامية أنهم يدعون أنهم لا يسجدون على غير التراب من متاع الدنيا، حتى لا يعبدوها، فلا يسجدون على ما يؤكل ويسجد، خشية أن تتعلق نفوسهم بعبادة طعامهم وملبسهم، ولكن هذا الفقه والورع لم يرد في أذهانهم تعلق نفوسهم بهذه التربة المقدسة، مع

---

(١) انظر: الأرض والتربة الحسينية، آل كاشف الغطاء، ص٣٩. ٤٠، وسيرتنا وسنتنا، الأميني، ص١٣٥.

(٢) كامل الزيارات، ص٤٧٩، وبحار الأنوار، ٥٧/ ١٦٣.

(٣) ثم مسائل حول التربة الحسينية وتطبيقاتها مع عقيدة التقية ومواردها عند الإمامية الاثني عشرية، والحكم فيما لو تركها في محل وجوبها، ولكن يطول عرضها في هذا المقام، وانظر على سبيل المثال: كتاب الطهارة، ٤/ ٢٤٣- ٢٤٧، ٣١٢- ٣٢٥، ٣٣٣، أبو القاسم الموسوي الخوئي، ت / ١٤١١هـ، ط٣، ١٤١٠هـ، دار الهادي. قم؛ وأكثر من يلوذ إليها، ويتفنن في تقريرها، وخاصة في تبرير تناقض المذهب هم الطائفة الإخبارية، وانظر: أخبار الشيعة وأحوال رجالها، ص٤، محمود شكري الألوسي، (المقدمة)، محمد مال الله، ط ١٤٢٢هـ، والكتاب مستل من مختصر التحفة الاثني عشرية، للألوسي، بتعليق وحواشي مطولة من محمد مال الله – رحمهما الله-.

(٤) انظر: بحار الأنوار، ٥٧ / ١٥٣، ١٥٧، ويظهر من تعليقات المجلسي والبحراني أن الطائفة الإخبارية تتوقف عن بعض المسائل المشتهرة الفقهية الاجتهادية حول التربة الحسينية، هذا من دون الأخبار والمرويات.

كونهم يأكلونها، فوقعوا فيما فروا منه، فسجدوا على ما يأكلون، علماً أن أكل التراب عندهم كأكل الميتة، وإذا سبق عندهم أن من باع هذه التربة كمن باع لحم الحسين؛ أفلا يكون من أكلها كذلك؛ كما أنهم يبالغون فيما ينسبونه إلى الأئمة مع مخالفته لهم، فنسبوا إلى الصادق ــ برأه الله من كذبهم ـ أنه لا يسجد على التربة الحسينية إلا تذللاً لله، واستكانة إليه[١]، فأين هم من تقديس الله، وعدم تقديس ما يوهم أو يفتح باب عبادة غيره معه، ومن ترك هذا العمل إجلالاً لله وتقديساً وتعظيماً لجنابه ــ مع حبه للحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ــ فإنه لا ينقص مقامه في التذلل والاستكانة، فهذا رسول الله ﷺ حقق أكمل المقامات في هذا الباب، وهو لم يسجد على التربة الحسينية، إلا أن يقال لكل زمان شريعة، وأن شريعته ينسخها تجديد، وهذا هو الاستثناء التشريعي الذي يخصون به أئمتهم، والحسين على وجه الخصوص.

كل ما سبق هو من الإطراء الذي نهينا عنه، كحال النصارى، ومن مصداق نبوة نبينا محمد ﷺ أن نجد مثل الإمامية حين تفاخرها بإطراء الحسين تستأنس بحال النصارى وتمجيدهم لعظمائهم منذ ألفي سنة!، فتربة الإمامية كصليب النصارى، الذين تعلقوا به أحياء وأمواتاً، بل زادوا ــ أي الشيعة ــ أنهم خلقوا من فاضل تلك الطينة بعد مزجها بنور ولاية الإمام[٢]؛ ففرحوا أو أنسوا بالمشابهة، ولعلهم نسوا تيقنهم بطلان أصل الصلب، وما ترتب عليه من عقائد كفرية، هذا مع تغليظهم وتشنيعهم على من يروي استئناس الرسول ﷺ بصيام عاشوراء أول مهاجره موافقة لليهود، لأنهم أهل كتاب، مع أنه ﷺ خالفهم بعد ذلك، وشدد في ذلك حتى كان من آخر وصاياه التحذير من مشابهتهم قي الإطراء، ولعنهم على تحريفهم دينهم، وغلوهم في قبور أنبيائهم ـ فكيف بغيرهم ـ، واتخاذها مساجد، ومثله تقديسه بأي عمل لم يشرع الله، وكان يغني عن هذه البدع تبركم باتباع هدي سيد المرسلين ﷺ، وما وافقه مما صحح عن الآل والصحب الأكرمين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

قريب من أنسهم بحال النصارى الضالين أنسهم بحال اليهود المغضوب عليهم، في خرز

---

(١) انظر: السجود على التربة الحسينية، الأميني، ص٢١.

(٢) انظر: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية، ص٧٥، ١٢٨، وزيارة المراقد عند الشيعة، ص٢٨.٢٧.

السبحة التي يتخذونها من تربة كربلاء، ليتذكر الشيعة إله السماء، وأورد المجلسي رواية عن الصادق أن السبحات الشيعية، أو خيوطها كانت زرقاء!، يقول فيها: (السبح الزرق في أيدي شيعتنا مثل الخيوط الزرق في أكسية بني إسرائيل، إن الله عز وجل أوحى إلى موسى أن مر بني إسرائيل أن يجعلوا في أربعة جوانب أكسيتهم الخيوط الزرق، ويذكرون بها إله السماء)[1]، وهذا يشير إلى احتمال تعلق الرواة الغلاة بهذه المشابهة، كما شابهوهم في التأثر في الفلسفة، وفي البكاء، فاليهود تبكي عند حائط البراق، والإمامية تذكر من مسوغات بكاء عاشوراء أن يكون البكاء موافقة للكون، بغض النظر عن المبكي عليه![2]، ولعل هذا من التشبه بالإله، أو بالكون والطبيعة في باب القدر والقدرة والتأثير، وكأن الكون بكى من أجلهم هم، لا من أجل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❁❁❁❁❁

---

(١) بحار الأنوار، ٩٨/ ١٣٤.

(٢) الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء. والتطبير)، ص٥٨.

الْبَابُ الثَّالِثُ

عاشوراء الإمامية الاثني عشرية أدلتها، وعلاقتها بالاتجاهات الباطنية

وفيه:

تمهيد.

الفصل الأول: الأدلة النقلية والعقلية لعاشوراء الإمامية الاثني عشرية.

الفصل الثاني: علاقة عاشوراء الإمامية الاثني عشرية بالاتجاهات الباطنية.

تمهيد

إن عقيدة الإمامة لدى الإمامية هوية مميزة لمذهب، والأصل ــ تنظيراً ــ أن تكون هذه العقيدة حامية للمذهب من انتقال مقولات عقدية لفرق أخرى تخالفها في هذه الميزة؛ ولكن من خلال ملاحظة وجود تقارب وتعايش وتداخل بين الفرق وأهل الخلاف عموماً، سواء كان ذلك بقصد واختيار، أو بصورة السلم الجبري الذي تصطلح عليه التجمعات البشرية فترة من الزمن، بل حتى في أجواء التقاتل والفتن؛ إن ذلك يسبب تسرب آثار تلك الفرق والمذاهب من بعضها إلى البعض الآخر، وذلك من خلال التساهل في مروياتهم واجتهاداتهم في الفروع، ثم ينسحب أثرها مع الزمن إلى خلخلة أصول المذاهب، أو فتح ذريعة للتأويل من داخل المذهب، أو الاحتجاج به على بطلان أصوله، مما يفتح مجالاً لتأصيل الخلاف ونقله إلى الطبقات الأولى من المذهب، وتسويغ وجوده بينهم؛ وعدم حسم هذا الجانب يهيئ لانشقاق وحدة المذهب وهويته وانشطارهما، ومن أقرب ما يصور ذلك هو الخلاف في وجود المسلك الباطني الصوفي لدى رموز المذهب الأوائل الاثنا عشر.(١١ ــ ٣٢٩هـ)، وتلاميذهم والرواة عنهم، والذين يفترض فيهم أن مذهبهم ــ في تلك الفترة الطويلة ــ قائم على النص والنقل، لا على العقل، ولا على الذوق، لا من جهة أصول المذهب، وخاصة أصل الإمامة، ولا من جهة مسائله وشرائعه.

جانب العقل الذي ينتمي إليه جمهور الإمامية ــ بسبب تأثرهم بالاعتزال والمعتزلة من وجه ــ بقي في مرحلة متوسطة، أو برزخية بين النقل والذوق، وبان انجذابهم إلى الأخير في الفترة الوسطى، أي زمن التتار، واتهمت من خلاله المدرسة العقلية بالانحراف عن النص، وكان الانحراف يظهر تدريجياً، إلا أن انعطافه زاد بعد توغل الفلسفة العرفانية الإشراقية في حوزات المذهب الفقهية، من خلال بعض فقهاء المدرسة العاملية، التي ظهرت آثارها زمن الدولة الصفوية، وبسببها، واعتمدت أكثر الحوزات الشيعية هذه الفلسفة العرفانية، وضمت تدريس الفلسفة والعرفان إلى مناهجها السابقة الفقهية والكلامية؛ واشتغل الفقهاء ببناء مدرسة أصولية فقهية تجمع بين النص والعرفان، قد يسميها البعض (الاجتهاد الأصولي)،

الذي من أشهر رموزها مرتضى الأنصاري، ولا زالت الإمامية تفاخر بهذه المرحلة، وتطرحها في مقدمة مسوغات الدعوة إلى التشيع، باسم مدرسة آل البيت.

الاثنا عشرية في مراحلها المتقدمة والوسطى تجاوزت ــ فيما يظهر ــ الخلاف داخل المذهب حول العقل ومدرسته وتياره، ومن أسباب ذلك أن تراث المذهب وخزانة مروياته حوت بعض نتاج ومسائل العقل والكلام القديمة، بشكل مرويات منسوبة إلى رموز المذهب الأوائل، فأصبحت بمثابة النص ومنزلته؛ كما أن النزاع بين النص والعقل لن يظهر بريقه ــ بعد فترة النص المزعومة وغيبة الإمام ــ بسبب تغلب المدرسة العقلية لفترات طويلة وباقية، لكن ثمت صور جديدة تغلب فيها اتجاه جديد، أضاف للمذهب أصولاً في الاستدلال، وهو اتجاه الذوق والوجدان، فأصبحت الرؤى والاستحسانات الذوقية ملحقة بتراث المذهب، وربما ترقى إلى درجة النص؛ مما مهد لانخراط العقل ومدرسته في الاتجاه العرفاني، بل وأصبح هو الممثل البارز لها حيناً، أو المحامي عنها أحياناً أخرى، وأصبح يستظل من جهة بالنص، ومن جهة بالفلسفة والعرفان؛ مما اشتد معه غياب روح المذهب القائم على نص الأئمة وخبرهم، وغدت الإمامة لدى الإمامية من جنس الاتجاه الصوفي.

بناء على موقع العقل الشيعي من النص والذوق بقي المذهب وشعائره في حقيقته يتغذى من مادتين: مادة النص والخبر المنقول عن الأئمة، والمرويات التاريخية، والأصول العقدية للإمامية، وكذلك مادة الفلسفة والتصوف، وفي غضون ذلك خرافات تتجلى خطورتها بتتبع البدع العملية الكبرى، ومنها الشعائر الحسينية في عاشوراء، وما تجره على الطائفة من تبني هدم الشريعة والتحلل منها، وإحلال الطريقة؛ ولذا فقد جاء هذا الباب لرصد واقع الشعائر الحسينية من خلال هاتين المادتين أثراً وتأثيراً.

في بداية بحثي ورصدي للشعائر التي اتخذتها الإمامية شعاراً كنت أتوقع أن أجد لهذه الشعائر تأصيلاً واضحاً في كتب العقائد الإمامية المشهورة، فتعللت بأن هذه من جنس العبادات، ومحلها كتب الفقه، كالحج والزيارة والصيام والصلاة، كما صرح به متأخروهم، ولذا يممت جهدي حول تتبع عدد من الكتب الفقهية، وخاصة الرسائل العملية للمراجع المعاصرين، الذين يعدونهم هم أهل الاجتهاد عندهم، وهذه الكتب والرسائل أحياناً بمثابة

كتب الفتاوى عند أهل السنة، لكني لم أجد تأصيلاً فقهياً وأصولياً لهذه المسألة الكبيرة عندهم في تلك المظان، فلم أجد أبواباً مخصصة باسم شعائر عاشوراء، كما في مناسك الحج، وإنما تذكر مسائل الزيارة كأحد الشعائر في نهاية كتاب الحج والمناسك، سواء في الرسائل العملية للمراجع، أو في الكتب المخصصة للمناسك، أو في كتب المزار، وهي لا تزيد عن الزيارة، ولا تذكر النياحة والمواكب واللطم ونحوها مما استقر آخراً باسم الشعائر الحسينية، فإذا بالأمر يحتاج مني إلى معالجة لموضوعات هذا الباب من جوانب متعددة، لكنني اقتصرت منها على ما كان من جنس المقولات العقدية، والبدع العملية الكبرى، كالمواسم والأعياد، التي أصبحت شعاراً للمذهب، ولم أشتغل هنا بمعالجة الجانب الفقهي، والأصولي الاستدلالي بسبب تخصص هذا البحث العقدي[1]، واكتفيت منه بما جاء من نقد لها في الباب الثاني، وبما أذكره مجملاً في الفقرة التالية.

كما أني لم أطمع ولم أنشغل بداية بتتبع كتب التفسير الإمامية، لما شاع من كون كتبهم مشحونة بالتفسير الباطني، المنصب على قضية الإمامة، وقد كنت أظن أن الوجه الباطني سيتعلق بشخصية علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بشكل أكثر، لأنه رأس الوصية والإمامة عندهم، إلا أني من خلال تتبع مروياتهم الحديثية[2] لاحظت أن الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حظي بالنصيب الوافر من هذا التفسير، وذلك اعتماداً على ما في كتب الرواية الموضوعة عندهم، بل إنه في الفترة المتأخرة لوحظ إبراز جانب الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حتى طغى ذكره على ذكر أبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، بل يجزم المطلع

---

(١) من أصول الاستدلال الفقهي التي يوردها فقهاء الإمامية حول أحكام عاشوراء: أصل الإباحة، والاستحباب، ومصاديقه في المحبة والجزع، كما أنهم يتعرضون كثيراً لتطبيقات التقية التي عرفوا بها، كتوهين المذهب، وسد ذرائعه بمنع بعض الشعائر، فضلاً عن قضية تجويز الخروج من دون الأئمة، وترك الانتظار، بالاستعداد للظهور.

(٢) الأصل أن التفسير عندهم يقوم على المرويات الحديثية، لإشكالية النص، والتي منها أن الأئمة هم من يعرفون تأويل القرآن، فلا يؤخذ ولا ينقل إلا عنهم، ولكن لعناية الاتجاه الباطني بالتفسير بالرأي والذوق طغى -في ظني- اختصاص كتب التفسير بالمدرسة العقلية الأصولية، لأنها مجال ومتنفس لها في الانتصار على الطائفة الإخبارية، التي تحصر.العمل وحجية القرآن وفهمها من جهة الأخبار والمرويات، ومثل كتب التفسير كتب شروح الحديث، التي أصبحت هي -أيضاً- متنفساً للاتجاه العقلي العرفاني.

على هذا الجانب في تراثهم بأن هنالك تغيراً وانقلاباً في المذهب، يبرز في دراسة بدع عاشوراء وواقعها عندهم، ومن أكبر الأدلة على ذلك أن الطائفة تسمى هذا الموسم وشعائره باسم عاشوراء الحسين، والشعائر الحسينية، بل إنها جعلت لها دوراً خاصة بها، تفاخر بها كشعار لها، وكسر من أسرار بقائها، وتسميها "الحسينيات".

الخصائص التي أبرزتها الإمامية للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جعلته أس التشيع ومنطلقه، وجعلوا من مقتله روحاً دائمة للمذهب لا ينفك عنها، واعتبروا وجود المذهب ووجودهم من دون هذه الروح الحسينية غير متصور؛ حتى أني أستطيع من خلال ذلك أن أذكر وأؤكد أن المذهب الاثني عشري يمر بمرحلة جديدة، هي مرحلة (الإمامية الحسينية)؛ وهي مما يؤكد أن للمذهب صورتين: شريعة ظاهرة، وطريقة باطنة، تزامنت هذه المرحلة مع تأثير الدولة الصفوية على المذهب عموماً، وعلى عاشوراء خصوصاً، ومن أسباب أثر هذه الدولة هو طبيعتها الصوفية الطرقية قبل تبنيها للتشيع في حكمها، واستيضاح هذه الجوانب في هذه المرحلة سيكشف عن واقع عاشوراء اليوم، لما لتلك المرحلة من أثر على الطائفة اليوم.

كل ما سبق في الباب الثاني من شعائر عاشوراء البدعية عند الاثني عشرية جاء بدعوى موالاة ومواساة آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم قد يقررونها بأدلة نقلية أو عقلية، أو يسوغونها بتفسيرات فلسفية، أو يعتمدون فيها على الاستفادة من الملل الأخرى، أو يستحسنونها بأهوائهم، وقد جاء عرض هذا الواقع في عاشوراء عندهم في فصلين معبرين عن مرحلتين للمذهب: مرحلة الإمامة العقلية الإلهية، ثم مرحلة الإمامة الباطنية، التي ارتسم بها التشيع الحسيني، وذلك على النحو التالي:

الفصل الأول: عن عاشوراء بين الأدلة النقلية الروائية، والمنطلقات العقلية عند الاثني عشرية؛ ويمكن أن يكون هذا الفصل معبراً عن مرحلة الإمامة العقلية الإلهية.

الفصل الثاني: الاتجاهات الباطنية الصوفية، والعرفانية الفلسفية وعلاقتها بعاشوراء، باعتبار أنهما وفدا من خارج التشيع، ويعبر هذا الفصل عن مرحلة الإمامة الباطنية الحسينية.

دراسة هذه الشعائر يتداخل فيها التراكم التاريخي لها، والمتوقع أن يبرز مؤثرات أخرى على مذهب الإمامية، من ملل محرفة، كاليهودية والنصرانية، أو نحل محدثة، كالمجوسية

والبوذية؛ ومعرفة الاتجاه الباطني والغنوصي الإشراقي لدى الإمامية كاف في وجود أرضية لعدد من المؤثرات، ولكن لأن أعظمها وأشدها هو الجانب الباطني المشترك بينها وبين عدد من الفرق الإسلامية، ولأن قضية عاشوراء هي حادثة بعد الإسلام، وفي جيله الأول، وعليها تدور رحى بدع الإمامية، وجعلتها رمزاً لنهاية الانتظار، وموعداً للظهور؛ لذا رأيت التركيز على الجانب العملي المؤثر في المذهب، وهو الجانب الباطني بشقيه الشعائري، والنظري الفلسفي، وهو كاف في تصوير مدى الانحراف في شعائر الإمامية في عاشوراء؛ علماً أن هذه الدراسة تضمنت التنويه ببعض البدع المأخوذة من الملل والنحل، كما ذكره الباحثون في مواضعها المناسبة.

الفصل الأول

الأدلة النقلية والعقلية لعاشوراء الإمامية الاثني عشرية

وفيه:

المبحث الأول: عاشوراء في الأدلة النقلية عند الاثني عشرية.

المبحث الثاني: المنطلق العقلي لعاشوراء وشعائرها عند الاثني عشرية.

المبحث الأول

عاشوراء في الأدلة النقلية عند الاثني عشرية

وفيه:

المطلـــــب الأول: عاشوراء في القرآن عند الاثني عشرية.

المطلـــب الثـــاني: عاشوراء في السنة النبوية عند الاثني عشرية.

المطلـــب الثالـــث: عاشوراء في مرويات آل **البيت عند الاثني عشرية.**

المطلب الأول

عاشوراء في القرآن

مسألة شعائر عاشوراء عند الاثني عشرية تستند إلى مقام الأئمة في دينهم، ولكن الحسين وبقية الأئمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لم يذكروا نصاً في القرآن، مع أهمية شأنهم وما جرى لهم، فلم يرد النص عليهم، ولا على ما تفعله الإمامية من البدع التي اتخذوها شعائر لهم، وهذا مما يرسخ مفهوم تحريف القرآن عندهم(١)، ويسوغون به نشر مذهبهم باسم مظلومية آل البيت، ومثله ما يقررونه ـ كذباً ـ من إجماع الأمة على إقرار البدع التي ادعوا أن بني أمية أحدثتها وحرفت بها الدين في صوم عاشوراء، أو غيره من صور العبادة والتوسعة في هذا اليوم(٢)؛ وغلوهم هذا أرضية مثيرة للعواطف، وتؤدي بعوامهم اضطراراً إلى قبول القول بتحريف القرآن، والقول بوجود مصاحف وكتب للأئمة لما تظهر بعد، وأن عهد الخلفاء والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كان عهد انحراف وتحريف وردة.

ليس لدى الاثني عشرية نص صريح يذكر شعائرهم في القرآن، وإنما يتعلقون بتأويل القرآن وتفسيره بمروياتهم الموضوعة، واستحسانات أهوائهم(٣)، وبخصوص شعائرهم ـ إجمالاً أو تفصيلاً ـ فإنهم يستدلون بعدد من الآيات، منها ما يلي:

---

(١) لعلاقة عاشوراء بتحريف القرآن من جهة عدم ذكر إمامة الحسين ومقتله، انظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٣/ ١٠٣٤، ١٠٤٠، ١٠٨٩.

(٢) هذا موضوع الباب الرابع في آثار عاشوراء.

(٣) المفسرون الذين سيرد النقل عنهم كالتالي: تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ت/ ٣٢٠هـ؛ وتفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ت/ ٣٢٩هـ؛ والتبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ؛ والأصفى في تفسير القرآن (الصافي منتخب من تفسير للصافي)، الفيض الكاشاني، ت/ ١٠٩١هـ؛ ونور الثقلين، الحويزي، ت/ ١١١٢هـ؛ وتفسير الميزان، الطباطبائي، ت/ ١٤١٢هـ؛ والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ط ١٤٠٤- ١٤٠٧هـ، قم، وهي تجمع بين تفسير الرواية وتفسر الرأي والعرفان.

١- قولــه تعــالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[(١)]، فجعلــوا ما يفعلونه في عاشوراء من المـآتم والبكاء والمواكب من أعظم شعائرهم، وأنها من شعائر الله[(٢)]، وليس الإشكال في كونها من أعظم شعائر مذهبهم، بل في جعلهم إياها من شعائر الله وشعائر دينه، وهذه الآية واردة في مناسك الحج وأعماله في سورة الحج، ومنها الهدي ــ من بهيمة الأنعام ــ التي تهدى إلى البيت الحرام، وتُشْعَرُ وتُعَلَّمُ عند سوقها إلى الحج تعظيماً لها، وتذبح في مشعر منى قربة إلى الله سبحانه؛ وتعظيم أوامر الله كلها هو ــ أيضاً ــ من أبواب التقوى وموارده وأسبابه، لكن هذا لا يعني إطلاق لفظ الشعيرة والشعائر عليها، وإلا لما كان في تسمية الله لبعض الأعمال شعيرة وشعائر دون غيرها مزية، كالهدي، والصفا والمروة؛ ولفظ "شعائر الله" مع كونه مطلقاً من حيث الثواب والثناء على من عظمها، وتخصيص إطلاقه على أعمال محددة؛ فإن ذلك يوحي بأنه لا يلزم أن كل عمل في الدين يكون شعيرة وشعاراً، فمثلاً إيتاء الزكاة المفروضة يكون ويتم من غير إشعار وإبراز؛ كما أنه مع فرض التجاوز والتساهل في المسمى فإن تسمية بعض أعمال الحج شعائر فإن ذلك لا يعني أنها موضع للزيادة والإضافة بحجة التعظيم ومحبة الله؛ فغاية التعظيم ألا يتعبد الله إلا بما شرع، فشأن العبادات توقيفية.

الإمامية مع تعظيمهم لشعائرهم لم يبينوا سبب عدم ذكرها نصاً في القرآن، ولم يبينوا وجه كونها شعيرة وشعاراً في الدين؛ اللّهم إلا كونها ظاهرة ومتواترة عندهم، أو أنها ضرورة في مذهبهم وأفهامهم[(٣)]، حتى وصل بهم الحال إلى أن عدَّ كثيرٌ منهم مشاعر الحج وشعائره أقل أهمية من مناسك زيارة كربلاء، بل وفضلوا كربلاء على مكة، وأن ثواب زيارتها أجزل وأعظم، وأنها أقرب إلى الإجابة، كما أن هذا هو واقع كتب الزيارات والمشاهد التي تداولها

---

(١) الحج: ٣٢.

(٢) يقول مرجع الإمامية المشهور محمد حسين آل كاشف الغطاء، ت/ ١٣٧٣هـ: (ولا ريب أن تلك المواكب المحزنة، وتمثيل هاتيك الفاجعة المشجية من أعظم شعائر الفرقة الجعفرية)، الآيات البينات، ص٥.

(٣) الأرض والتربة الحسينية، ص٥٥- ٥٦، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ويقول عن كربلاء: (أشرف بقاع الأرض بالضرورة)، وعقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، ص١٣٣.١٣٩.

العامة قبل الخاصة؛ ومع كل ذلك لم تذكر كربلاء ومناسكها بالقرآن!، وكونها حادثتها لم تحدث إلا بعد ختم النبوة وانقطاع الوحي من أعظم ما يطعن عليهم بغلوهم في كربلاء، وانتهاكهم لحرمة النبوة والرسالة؛ وتوصلوا إلى ذلك بالضرورة العقلية التي يدعونها، وبالمنطق الكلامي الذي أوجبوه على الله، كقولهم باللطف والتعويض الإلهي للحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وبما ينسبونه إلى آل البيت من روايات الكذب والزور، وحرفوا بها دين الله، وهو ـ عندهم ـ أقوى حجة من نص كلام الله في كتابه، بل هو المنطلق والمرجع.

قد تتعلق الإمامية بعموم آيات القرآن وشمولها، وأنها لا تحمل على موردها الخاص[1]، يقول ناصر مكارم الشيرازي: (إلا أن من الواضح مع كل هذا احتفاظ الآية بمفهوم شمولي لجميع الشعائر الإسلامية، ولا دليل على اختصاصها ـ فقط ـ بالأضاحي، أو جميع مناسك الحج. خاصة أن القرآن يستعمل "من" التي يستفاد منها التفريق في مسألة أضحية الحج، وهذا دليل على أن الأضحية من شعائر الله كالصفا والمروة التي تؤكد الآية (١٥٨) من سورة البقرة على أنهما من شعائر الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، ويمكن القول: إن شعائر الله تشمل جميع الأعمال الدينية التي تذكر الإنسان بالله سبحانه وتعالى وعظمته)[2]؛ وهو بهذا لا يركن إلى لفظها الظاهر، وما ذكره هو من طرق الباطنية الذين يتخذون للقرآن ظاهراً وباطناً، كما أنه لم يعلل لوجه تسمية الله لها بهذا الاسم دون غيرها.

٢- قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾[3]، وهذه الآية يذكرها مؤرخو الشيعة حجة وشعاراً لمن قاموا بعد مقتل الحسين للمطالبة بدمه والثأر لمقتله، وعرفوا بالتوابين[4]، ومنهم من أهل الكوفة الذين ندموا على

(١) انظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ٧/ ٣١٣.
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٠/٣٤٣- ٣٤٤.
(٣) البقرة: ٥٤.
(٤) سبق الحديث عنهم راجع ص٣٥١ من البحث.

خذلانهم للحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فأرادوا أن يكفروا عن خطيئتهم[1]، وهذه الآية في بني إسرائيل الذين عبدوا العجل، وهي عقوبة خاصة لهم، والشيعة المتأخرة تذكرها في بركة الاستشفاع بالأئمة، وأنه سبب لقبول الدعاء، وهو ما حصل لهؤلاء القوم من بني إسرائيل، حيث استشفعوا في دعائهم بأئمة آل البيت كي يرفع الله عنهم عقوبة القتل، فاستجيب لهم![2]؛ والغريب في أمر الإمامية أنهم هم لم يُسْتَجَبْ لهم دعواتهم ــ وهم يتبركون بالأئمة ــ لطلب الثأر طوال القرون الماضية، مع كونهم أولى بالاستجابة من بني إسرائيل، وهم أتباع الأئمة وشيعتهم، زعموا، فأين اللطف؟

بمثل ما سبق فسروا ما حصل من قبل لآدم عليه السلام حين أخرج من الجنة، بسبب خطيئته، وأنه أمر بالاستشفاع بمحمد وآل بيته صلوات الله وسلامه عليهم، وأنها هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتسببت في قبول توبته[3]، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4].

كل ما سبق لا يشير إلى جانب من الاستدلال لحجية الشعائر كشعيرة عبادية صرفة، بل جعلوا الآية في الغلو في الأئمة والتبرك بهم، لكن لعلهم استدلوا بفعل الشيعة الأولى، فبما أنهم عرضوا أنفسهم للقتل في ذكرى مقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ والثأر له؛ فرأوا أن لمن بعدهم من الشيعة أن يفعل مثل هذا في عاشوراء، فلو عرض الشيعي نفسه للقتل فما دونه في عاشوراء فإنه قد أتى باباً من أبواب التوبة، والتوبة من أبواب الدين وشعائره؛ لكن هذا إقرار منهم ببقاء عقدة الذنب التي ارتكبها الأولون على المتأخرين، وهو خلاف ما جاء في القرآن، فالله

---

(١) الشيعة والتشيع، سعد رستم، ص٤٨، ٥٢، ٥٣.

(٢) تأويل الآيات، ١/ ٤٨، شرف الدين الحسيني، ت/ ٩٦٥هـ، ط١، ١٤٠٧هـ، مدرسة الإمام المهدي - قم، وقال المؤلف: (فيه دلالة على أن المسؤول به أفضل من السائل، وهذه الدلالة من أوضح الدلائل).

(٣) بحار الأنوار، ١١/ ١٧٥.١٧٨.

(٤) البقرة: ٣٧.

عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(1)، وهو ـ أيضاً ـ إقرار ببقاء القتلة الذين يؤخذ منهم الثأر للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والذين بسببهم يستحسنون بقاء شعائرهم كشعيرة تشبه الجهاد والإعداد للثأر(2)؛ وهم بهذا يستثنون ذرية قتلة الحسين من هذه الآية، فيرون أن ذرية القتلة يستحقون القتل، وينسبون ذلك إلى آل البيت، وأن ذلك الثأر سيتم إذا خرج القائم المهدي، فيقتل ذراري قتلة الحسين بفعل آبائهم، وعلتهم كما رووا: (... لكن ذراري قتلة الحسين ـ عليه السلام ـ يرضون بأفعال آبائهم كذلك ويفتخرون بها، ومن رضي شيئا كان كمن أتاه، ولو أن رجلا قتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله شريك القاتل، وإنما يقتلهم القائم ـ عليه السلام ـ إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم)(3)، ويقول الفيض الكاشاني: (وذلك لأنهم إنما يكونون من سنخهم وحقيقتهم بحيث لو قدروا على ما قدر عليه أولئك فعلوا ما فعلوا كما حقق في المقدمة الثالثة)(4)؛ وهذا الجزم منهم فوق أنه كذب فهو تألٍ على الله، وتكذيب ظاهر للآية، وافتيات على آل البيت فإن العبرة في مثل القتل على الاعتراف البين، لا المظنون المتوهم، الذي تبنى عليه الفتن بين المنتسبين للإسلام، وهو خلاف هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إقامة الحجة، والعفو عن جرم متيقن بعد المقدرة.

3- قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾(5)، وهذا ندب لطائفة من المؤمنين، ندبهم الله في القرآن، وهذا دليل على مشروعية ندبة المؤمنين، وبما يقع عليهم من ظلم الظالمين، والأئمة أولى منهم بهذا العمل، فالندبة سنة قرآنية(6)، ومن ذلك ندب الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث قتل الحسين عطشاناً؛ وكي لا يقعون تحت لوم سؤال يرد في هذا المقام: لماذا لم يذكر ويندب القرآن أهم مظلمة، وهي مظلمة عاشوراء؟ فزعموا أن الندب والمأتم على الحسين سنة نبوية، وهذا

---

(1) الإسراء: 15.

(2) انظر: الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، ص379، محمد السند.

(3) علل الشرائع، ابن بابويه، 1/229، باب164.

(4) الأصفى في تفسير القرآن، 1/ 229، الفيض الكاشاني، ط1، 1418هـ، مكتب الإعلام الإسلامي. قم.

(5) البروج: 4.

(6) الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، ص406، وتوسع المؤلف حتى عدَّ قصص القرآن رثاءً وندباً.

من كذبهم وبهتهم، فإن مجرد الإخبار عن مصيبة جرت أو ستجري لأهل الإيمان لا يعني أن تكون موعداً للمآتم والنياحة، فهل سينسبون إلى الرسول ﷺ أنه أقام المناحات في عاشوراء قبل مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما نسبوها إلى آل البيت؟؛ نعم، قد فعلوا ذلك، فزعم داعيتهم الأميني: أن الرسول ﷺ عقد عشرين مأتماً للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]؛ والرقم كاف في بجاحة كذبه وجرأته وتهويله.

٤- قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[(٢)]، فذكر بعض مفسري الإمامية أن هذه الأحرف المقطعة ترمز إلى نعي الحسين ومقتله، فهي كما يلي: (الكاف كربلاء، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد، والعين عطش الحسين، والصاد: صبر الحسين)[(٣)]؛ وأصل هذا عندهم ما يروونه: (أن زكريا سأل ربه أن يعلمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل فعلمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين سري عنه همه، وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة، فقال ذات يوم: يا إلهي، ما بالي إذا ذكرت أربعا منهم تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه الله تعالى عن قصته، وقال: "كهيعص"...، فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ومنع فيها الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب)[(٤)].

يقول الفيض الكاشاني: (إن هذه الحروف من أنباء الغيب، أطلع الله عبده زكريا عليها، ثم قصها على محمد صلى الله عليه وآله)[(٥)]، بل قد أوردوها في بعض الأدعية: (يا كهيعص)[(٦)]،

---

(١) انظر: كتاب سيرتنا وسنتنا، الأميني، ص١٣٧، وعنه: الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، ص٤١٣.

(٢) مريم: ١.

(٣) انظر: بحار الأنوار، ١٤/ ١٧٨.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة، ٢/ ٤٦١، الصدوق، ت/ ٣٨١هـ، ت. علي أكبر الغفاري، ط ١٤٠٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، وانظر: تفسير: نور الثقلين، ٣/ ٣١٩، الحويزي ت/ ١١١٢هـ، ت. هاشم الرسولي المحلاتي، ط٤، ١٤١٢هـ، مؤسسة إسماعيليان. قم، وجدل ومواقف ص٢٤٤.

(٥) انظر: الأصفى، ٢/ ٧٣٤، وهذا التفسير مما يروونه عن الإمام الغائب الحجة.

(٦) انظر: الأصفى، ٢/ ٧٣٤.

فجعلوا هذا التفسير مسوغاً ومستنداً لتعظيم وتكرار مأتم عاشوراء، واستذكار تلك المصيبة، وأن الأنبياء ذكروا بمقامه، وأحيوا ذكر الأئمة، واستغاثوا بهم؛ فاتخاذ هذا العمل شعيرة من شعائر الله، وهذا من جنس تفسير الباطنية، وهذه الآيات يفسرون بها الولاية التكوينية والحقيقية العلوية، فهم يروون أن علياً قال: (أنا وجه الله...، وأنا اللوح المحفوظ...، و أنا كهيعص)[1]، وهو من تأليههم لعلي، تعال الله عما يقولون ويفترون علواً كبيراً، فهم فسروا الآية هنا بالحقيقة الحسينية، كما أن أحد مصنفي الجرح والتعديل المعاصرين عندهم، وهو محمد تقي التستري (الشوشتري)، المعروف بكتابه الكبير في علم الرجال "قاموس الرجال"، نص على أن هذه الرواية موضوعة مكذوبة[2]، كما أنهم تروج فيهم العناية بعلم الحروف[3]، وخاصة الفرق الشيعية المتصوفة، ومنها فرقة الحروفية، والتي انتشرت أفكارها بين بقية فرقهم[4].

٥- قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾[5]، فهناك من الإمامية من فسر المقتول بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن من يطلب بثأره فإن له حجة وسلطاناً، وسينصره الله[6]، مع أن هذه الآية ناهية عن التوسع بالثأر إلا أنهم يأخذون أولها ويدعون بقيتها، ومما يذكر عن فقيه آل البيت وحبر الأمة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) مشارق أنوار المتقين، ص٢٥٣، البرسي، ت/ ٨١٣هـ.

(٢) انظر: الأخبار الدخيلة، ص٩٦- ١٠٤، نقلاً عن: مجلة نصوص معاصرة، عدد: ٨، مقال: (التحريف في السيرة الحسينية. دراسة في المظاهر والأشكال)، محمد صحّتي سردرودي.

(٣) علم الحروف يسمى عند الشيعة علم الجفر، وهو لكشف المغيبات عن طريق التكهنات من خلال الحروف، وتحويلها إلى أرقام، ثم حسابها، واستنتاج نتيجة منها، لزعمهم ارتباطها بحركة الأفلاك والنجوم؛ ومن ذلك دعواهم أن علوم آل البيت تقوم على هذا العلم: علم الأسرار، وهذا العلم وإن هون منه مراجعهم تقية فإن مدارسهم الروحانية العرفانية تقوم عليه، ويشاركهم فيها الصوفية، انظر: تاريخ ابن خلدون، ١/ ٦٨٩.

(٤) انظر ص٧٤٩ من البحث.

(٥) الإسراء: ٣٣.

(٦) انظر: أجوبة المسائل الحسينية، ص٥٢، صادق الحسيني الشيرازي، ط١، ١٤٢٩هـ، دار العلوم – بيروت.

أنه استشهد بها في أمر الثأر من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، حيث إن طلب الثأر من قبل أولياء المقتول قد ينفتح معه الإسراف في الطلب، بحضور سبب من أسباب القوة، ويهيئ لحظ النفس في التغلب والبغي، كما جرى في أمر معاوية مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإذا كان ذلك في الثأر لقتيل من غير آل البيت فكذلك الحال فيما لو كان الثأر لقتيل من آل البيت، فإنه قد دخل في صفوف المطالبين بالثأر للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أناس ممن مثل المختار الذي ادعى النبوة، وطلب لنفسه بالولاية، إضافة إلى أن الإمامية تروي أن ولي الدم هو المنتظر الغائب، فما جرى من ادعاء المهدوية والبابية عبر التاريخ دليل على كذبهم، وأنهم بيئة للدجل باسم آل البيت، وأنه هذه البدعة الكبرى هي استمرار للكذب باسم المهدي الذي يثأر لمقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦- قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾[2]، وتروي الإمامية عند تفسير هذه الآية أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبر أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تبكي عليه السماء والأرض، وأنهما ما بكتا إلا عليه وعلى زكريا ــ عليه السلام ــ[3]، وهو مخالف لتفسير مروي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4]، ويروي متأخروهم ـــ أيضاً ـــ ما نقل عن السدي، قال: (لما قتل الحسين بن عليّ رضوان الله عليهما بكت السماء عليه، وبكاؤها حمرتها)[5]؛ وبعضهم يغربُ فينقله حديثاً مرفوعاً من صحيح مسلم![1].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٥/ ٧٣.

(٢) الدخان: ٢٩.

(٣) تفسير القمي، ٢/ ٢٩١.

(٤) وذكر ابن كثير في تفسيره، ٦/ ٢٥٤، الأثر الوارد عن علي في تفسير الآية، وهو موافق لتفسير أهل السنة، ويرويه ابن أبى حاتم، حيث قال: (حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو أحمد -يعني الزبيري- حدثنا العلاء بن صالح، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله قال: سأل رجل عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل تبكي السماء والأرض على أحد؟ فقال له: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، إنه ليس من عبد إلا له مصلى في الأرض، ومصعد عمله من السماء. وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الأرض، ولا عمل يصعد في السماء، ثم قرأ علي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾، الدخان: ٢٩.

(٥) تفسير الطبري، ٢٢/٣٣، وتفسير الثعلبي، ٨/ ٣٥٣، والبغوي، ٧/ ٢٣٢، والقرطبي، ١٦/ ١٧١، وغيرهم.

(١) الطرائف، لابن طاووس، ٢٠٣، وربما عنه تناقلها آخرون، كابن مطهر الحلي في: نهج الحق (وكشف الصدق)، =

مما نسبوه إلى علي بن الحسين وإلى غيره ــ رحمهم الله ــ: (أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليهما السلام دمعة حتى تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا...)، و(من ذكرنا، أو ذكرنا عنده فخرج من عينه دمع مثل جناح بعوضة غفر الله له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر)[1]، وهذا التفسير بزياداته هو من مفردات الشيعة، التي تستند فيه إلى مروياتهم التي يكذبونها على آل البيت.

بعض مفسريهم يلمح إلى معنى آخر ليس موجوداً في منطوق الآية، ولا مفهومها، يستدل به على مشروعية البكاء الذي هو إحدى الشعائر عندهم، فبما أن الكفار لم تبك ولا تبك عليهم السماء والأرض لهوانهم على الله، وأنهما بكتا على الحسين، وهذا دليل على مقام أمر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الله، ومراعاة مقامه يكون بالبكاء، ويجاب عن هذا بأمور أهمها:

أ- أنه إذا صح تفسير الآية في الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو يصح في كل مؤمن، كما جاء عن سلف هذه الأمة، كابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيره، وفيه ذكر بكاء السماء وحمرتها أربعين صباحاً على المؤمن[2]؛ وبهذا فليس فيما ذكروه اختصاص بهم.

ب- أن ما ذكروه لا يصح دليلاً على تكرار البكاء كل عام، وجعله ذكرى سنوية كما تفعله الرافضة الإمامية، فلم يرد بكاء السماء والأرض كل عام، إضافة إلى أن المكلف مخاطب بنصوص الصبر على المصيبة، والتسلي بمصيبة فقد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أشار ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى مبالغة الرافضة وغلوهم في هذا الجانب، فقد حصل ما هو أعظم من مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يثبت فيه مثل ما ذكروه فيه[1].

ت- لعل الشيعة بمبالغتها في ذكر حوادث مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخبار، تأثرت بما

=

ص٢٥٧، ابن مطهر الحلي، ت/ ٧٢٦، ت. رضا الصدر، وعين الله الحسني الأرموي، ط ١٤٢١هـ، دار الهجرة – قم؛ والمجلسي، بحار الأنوار، ٤٣/ ٢١٧.

(١) تفسير القمي، ٢/ ٢٩١-٢٩٢، والتبيان، للطوسي، ٩/ ٣٢٣، ونقله عن السدي، وفسر بكاء السماء بحمرة أطرافها، ومثله مجمع البيان، للطبرسي، ٩/ ١٠٩، ونقل تفسير السدي قبلهم من السنة كما سبق.

(٢) تفسير الطبري، ٢٢/ ٣٣، وتفسير القرطبي، ١٠/ ٢٢٨.٢٢٢.

(١) تفسير ابن كثير، ٤/ ١٧٣.

روي عن بني إسرائيل حينما قتلت نبي الله يحيى عليه السلام ، حينما قتل إرضاء لبغي، وبما قتل منهم، وبالدماء التي أسيلت منهم، حتى كادوا أن يفنوا بسبب ذلك الفعل لولا أن دم يحيى هدأ عن الغليان(1)، فقالت الإمامية: الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك، لأنه ابن بنت نبي؛ لكن قبول شيء من تلك الأخبار لا يلزم منه رفع الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن مقامه، وادعاء العصمة له، فهذا نبي الله يحيى عليه السلام مع ما جرى له من قتل قومه له، والتي يعظم بها أجره لم يثبت أنه من أولي العزم من الرسل.

٧- قولـــه تعـــالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾(2)،فذكر مفسرو الإمامية ــ كالقمي ــ(3) أن أول الآية نزل في الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأن الذي حملته أمه كرها هو الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن ذلك الله حينما بشر رسوله ﷺ بمولد الحسين، وأن الإمامة تكون في ولده إلى يوم القيامة، ثم أخبره بما يصيبه من القتل والمصيبة في نفسه وولده، ثم عَوَّضه بأن جعل الإمامة في عقبه دون غيره، وأعلمه أنه يُقْتَلُ، ثم يُرَدُّ إلى الدنيا حتى يَقْتَلَ أعداءه ويُمَلِّكَه الأرض(4)؛ ثم بَشَّر الرسول ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها بخبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتله فحملته كرها، ووضعته كرها، وتركت إرضاعه كرهاً؛ وهذا يذكر بحال أم موسى –عليه السلام– مع ابنها، أم موسى لم يجر لها كره ابنها، أو كره إرضاعه، مع استجابتها لأمر ربها بإلقاء ابنها في اليم، بينما روت الشيعة عن فاطمة: (لم تُرَ في الدنيا أُمّاً تلد غلاماً تكرهه) (1)، أي غيرها، والأولى أن تمثل فاطمة ــ

---

(1) انظر: تفسير الطبري، ١٧/ ٣٥٧- ٣٩١، وأشار إلى خبر يروي عن حذيفة، وإلى أخبار أخرى؛ وتفسير القرطبي، ١٠/ ٢٢١، ، وحكم بوضع خبر حذيفة، ومثله ابن كثير، ٥/ ٤٧، وذكر أن الخبر من وضع زنادقة بني إسرائيل، ونقل عن شيخ الحافظ المزي أنه حديث موضوع.

(2) الأحقاف: ١٥.

(3) تفسير القمي، ٢/ ٢٩٧.

(4) وهذا هو التعويض الإلهي عند الإمامية، الذي هو مقتضى العدل الإلهي، الذي أوجبوه على الله.

(1) انظر: التفسير الصافي، ٦/ ٤٥٣، ونور الثقلين، ٥/ ١١- ١٤.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بأم موسى، في امتثالها لأمر ربها، فالكره يقع للمصيبة، لا للولد؛ وأما كراهة فاطمة لإرضاع الحسين فيزيدون فيه أن الحسين امتنع من ثدي النساء، ورضع من أصبع جده رسول الله ﷺ [1].

الإمامية جعلوا لمولد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خصوصية لم تكن إلا له، ولعيسى بن مريم عليه السلام ، حيث مكثا في الحمل ستة أشهر؛ فبعد هذا يستدلون على أن الإشارة إلى مولده ومقتله دليل على أن مولده ومقتله من شعائر الله[2]، وأن مقتله سبب لاستمرار الإمامة في ذريته، دون ذرية الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فجعلوا القتل مقدساً يتناسب مع قولهم بإمامة التسعة بقية الاثني عشر من الأئمة، وكأن عاشوراء موعد للاحتفال بإمامتهم وإمامة أبيهم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو بهذا مقدم على الاحتفال بعيد ويوم الغدير، الذي يحتفلون فيه بإمامة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك هو سبب لكونهم ــ أي الإمامية الاثنا عشرية ــ أهل الحق في مقابل بقية الناس، وأن إمضاء الإمامة في هذه السلسلة سبب أهمية مقام يوم مقتل الحسين، وأن هذا الوصف لا يستقيم إلا بالرضا بالإمامة على هذا التصور والاعتقاد، فهو رضىً مشروط[3].

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل علقوا الرضى بهذه الإمامة المتسلسلة بالانتقام لمقتل الحسين، أو السعي في ذلك، وأنه لن يتحقق إلا بعد حين، يقول ابن بابويه: (وحدثني أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال تلا هذه الآية: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[1]، قال الحسين بن علي منهم،

---

(١) انظر: الكافي، ١/ ٤٦٤، باب مولد الحسين بن علي، وعلل الشرائع، ٢٠٥- ٢٠٦، باب ١٥٦- العلة التي من أجلها صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن صلوات الله عليهما.

(٢) الأصفى، ٢/ ١١٦٦، ويعتمد هذا التفسير على كتب الرواية، وانظر: الكافي، ١/ ٤٦٤، وعلل الشرائع، ٢٠٦/١.

(٣) انظر: كامل الزيارات، لابن بابويه، ص٥٦.

(١) غافر: ٥١.

ولم ينصر بعد، ثم قال: والله لقد قتل قتلة الحسين عليه السلام ولم يطلب بدمه بعد)(١).

مثله ـــ أيضاً ـــ ما أورد العياشي في تفسيره مرسلاً: (عن زرارة قال: كرهت أن أسأل أبا جعفر عليه السلام في الرجعة، فأقبلت مسألة لطيفة أبلغ فيها حاجتي، فقلت: جعلت فداك أخبرني عمن قتل مات؟ قال: لا، الموت موت، والقتل قتل، قال: فقلت له: ما أحد يقتل إلا مات، قال: فقال: يا زرارة قول الله أصدق من قولك قد فرق بينهما في القرآن قال: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِـلَ﴾(٢)، وقال: ﴿وَلَيِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾(٣)، ليس كما قلت يا زرارة، الموت موت، والقتل قتل، وقد قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية(٤)، قال: فقلت له: إن الله يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾(٥)، أفرأيت من قتل لم يذق الموت؟ قال: فقال: ليس من قتل بالسيف كمن مات على فراشه، إن من قتل لا بد من أن يرجع إلى الدنيا حتى يذوق الموت)(٦).

كون الحسين قتل دليل على أنه لم يمت عندهم! وهذه حجتهم في إيجابهم على الله نصره في الدنيا، وهو مأخذهم في القول برجعة الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وسيأتي ذلك في المبحث القادم عند الحديث عن الرجعة، إن شاء الله.

٨- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾(١)، ويتخذونها تبريراً لشيعة الكوفة في خذلانهم للحسين، وتقريعاً لهم أحياناً، حيث إنهم أخطئوا بطلب

(١) كامل الزيارات، لابن بابويه، ص٥٦.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) آل عمران: ١٥٨.

(٤) التوبة: ١١١.

(٥) آل عمران: ١٨٥.

(٦) تفسير العياشي، ٢/ ١١٢، محمد بن مسعود العياشي، ت/ ٣٢٠هـ، ت هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية– طهران؛ وبحار الأنوار، ٥٣/ ٦٥، وعزاه إلى مختصر بصائر الدرجات، للصفار، والمحتضر. (في إثبات حضور النبي والأئمة عند المحتضر.)، الحسن بن سليمان الحلي انتخبه من مختصر. بصائر الدرجات، سعد القمي، وذكره مسنداً، ولم ينقله من أصله البصائر.

(١) إبراهيم: ٤٤.

الخروج والقتال مع الحسين، وترك التقية حتى في عاشوراء، ويرون أنهم عوقبوا بكشف السر وطلب الظهور، وأنهم عصوا بذلك، فقد أخرج العياشي في تفسيره: (عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1]، إنما هي طاعة الإمام، فطلبوا القتال، فلما كتب عليهم مع الحسين ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾[2]، أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام)[3].

إذا كان أهل الكوفة عوقبوا، فهل الحسين عوقب عندهم ــ كذلك ــ، حين قتل وحده، أم عوقبوا هم بقتله؟!؛ لأن الإمام كان يأمرهم بالتقية، ولكن تعجلوا وأظهروا، فافتضحوا وكان عقابهم رحمة بهم، وإلا كما رووا: (لو قاتل معه أهل الأرض لقتلوا كلهم)![4]، وإذا كان هذا سر الإمامة فلماذا يصرخون بهذا السر الآن، ويستحثون المهدي، ويفضحون سره، فهل يريدون له عاقبة مثل عاقبة الحسين، ففي تفسيرهم حجة عليهم، مع أنهم يروون أن زمانهم اليوم هو موعد الظهور، لذا فيوجبون الاستعداد لنصرة المهدي، لكن تزول هذه الدعاية بنيابة الفقيه عن الإمام المنتظر، فيحق لهم البدء بالظهور والقتال، فهذا التفسير يشكل مرحلة من مراحل الإمامية، لاتتناسب مع مرحلة ولاية الفقيه، الذي اجتهد وأذن لنفسه بالقتال، على أنه ولي الدم، وله سلطان الثأر والقصاص.

٩- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾[1]، فيزعم بعض مفسري الاثني عشرية أن هذه الآية المكية نزلت في آل البيت، أو تجرى فيهم، ويخصون

---

(١) النساء: ٧٧.

(٢) إبراهيم: ٤٤.

(٣) تفسير العياشي، ١/ ٢٥٨، وعنه: بحار الأنوار، ٤٤/ ٢١٧- ٢١٨، باب: الآيات المؤولة لشهادته صلوات الله عليه.

(٤) المرجع السابق، وكأن حالهم مثل حال بني إسرائيل مع نبي الله موسى عليه السلام، كما قال الله عن بني إسرائيل: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، المائدة: ٢٤.

(١) الحج: ٤٠.

الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، وتمامها آية السيف التي نزلت في قائمهم الغائب، فيرون أنه نزل فيه قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٢]، ومما يذكرونه من رواياتهم التي يكذبونها على آل البيت هذه الرواية: (حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...﴾الخ قال: إن العامة يقولون نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله لما أخرجته قريش من مكة، وإنما هي للقائم عليه السلام إذا خرج يطلب بدم الحسين عليه السلام، وهو قوله: نحن أولياء الدم وطلاب الدية)[٣].

استشهاد الإمامية بهذه الآية وأنها إذن بخروج قائمهم المنتظر، وأخذه بالثأر لمقتل الحسين يوحي بأمور:

أ- أن المهدي الغائب هو صاحب الدم والثأر، وأنه لا يقتل إلا ذراري قتلة الحسين، أما القتلة فقد قتلوا، أو قتل كثير منهم، وأن معنى الثأر في عاشوراء أولى به الأحياء من رجعة القتلة، وهو مما يجوزونه، لخصوص القصاص.

ب- أن خروجه يكون في يوم عاشوراء، لعظمة هذا اليوم عندهم.

ت- أن شعائر عاشوراء ليست عبادية محضة، بل هي من جنس الجهاد والاستعداد للقتال، سواءً بانتظاره وحثه على الخروج، أو بالقتال بين يديه.

ث- أن عاشوراء موعد لإسالة الدماء.

وهذا كله من تلاعبهم بدين الله، واتباعهم لأهوائهم.

١٠- قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[١]، وتورد الإمامية هذه الآية في معرض ردهم على مخالفيهم المعترضين عليهم في بعض شعائرهم أنها من إلقاء النفس

---

(١) تفسير الميزان، الطباطبائي، ١٤/ ٣٩٥.

(٢) الحج: ٣٩.

(٣) تفسير القمي، ٢/ ٨٤- ٨٥.

(١) البقرة: ١٩٥.

في التهلكة، ولهم هنا حديث يطول عرضه في أن ما يفعلونه من التطبير والضرب بالزناجيل، والمشي على الجمر، ونحوها، وإن أدت إلى ضرر أنها مستثناة من هذه الآية، وأن الضرر في الشعائر ليس من التهلكة، وأن مصلحة المذهب في نظر الشارع في الشعائر الحسينية أهم بكثير من تلف عضو، أو معرضيته لذلك، لأنه مستند على تلف الإمام في عاشوراء[1]؛ وإذا كان الإمام ـ عندهم ـ عرض نفسه للتهلكة امتنع الاحتجاج على من اقتدى به؛ ولكن هذا تعليل عليل، وقد كفونا الرد على باطلهم، ففي كتب تفسيرهم يوردون الآية المذكورة في مثل موارد الضرر، فيتخذونها حجة لبعض الأئمة كعلي بن طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تركه القتال زمن الخلفاء الثلاثة، وكعلي الرضا في قبوله لولاية العهد زمن المأمون، لكنهم يستثنون منها الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]، فصلاحيتها للموضعين عندهم ليس جزماً بتفسيرها في أحدهما.

١١- قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[3]، فتفسر بعض الإمامية "سقيم" أي لمقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيروي الكليني في الكافي: (علي بن محمد رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[4]، قال: حسب فرأى ما يحل بالحسين عليه السلام فقال: إني سقيم لما يحل بالحسين عليه السلام)[5]؛ والغريب أن هذا من جرأة القوم بالكذب على الأنبياء، فمن المعروف أن هذه المقولة ــ كما في الصحيحين ــ هي إحدى كذبات إبراهيم عليه السلام الثلاث، والتي ندم عليها[1]، واعتذر بها من الشفاعة، فإبراهيم

---

(١) انظر: الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، ص٢٩٣، ٣٣٦، ٣٣٩، والضرر يكون: بتلف العضو، أو النفس، أو المذهب، ويشير المؤلف إلى مأخذين في التلف الشخصي: على سبيل التخصيص للعموم، أو لتزاحم المطالب (على المشهور)؛ ومعرضيته أي: تعريضه.

(٢) انظر نور الثقلين، ١/ ١٧٩، ٢/ ٧٤.

(٣) الصافات: ٨٩.

(٤) الصافات: ٨٨- ٨٩.

(٥) الكافي، ١/ ٤٦٥، وعنه بحار الأنوار، ٤٤/ ٢٢٠.

(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز و جل قوله: ﴿إني سقيم﴾، وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾...)، رواه البخاري، ح/ ٣١٧٩، ومسلم، ح/ ٣٢٧١.

هنا كذب على قومه، فلم يكن سقيماً، والشيعة تصر على أنه سقيم!.

١٢- قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[(١)]، بأنه الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأن إبراهيم عليه السلام بكى عليه، كما بكى عليه جده محمد ﷺ، ويروون فيه أن النبي ﷺ خير بين موت ابنه إبراهيم، وموت الحسين، فاختار بقاء الحسين، وموت ابنه إبراهيم[(٢)]، وهي قصة مروية نبه أهل السنة على ضعفها وشناعتها، كما في تاريخ بغداد[(٣)]، فهي باطلة موضوعة، وعدها ابن الجوزي من الموضوعات[(٤)]، وفيها: (فنظر النبي ﷺ إلى إبراهيم فبكى، ونظر إلى الحسين فبكى، ثم قال: (إن إبراهيم أمه أمة ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأم الحسين فاطمة، وأبوه علي ابن عمي لحمي ودمي، ومتى مات حزنت ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت أنا عليه وأنا أوثر حزني على حزنهما، يا جبريل تقبض إبراهيم فديته بإبراهيم).

إذا كانت الإمامية عالة على أهل السنة في رواية هذا الخبر فإن أهل السنة هم أدرى به، وقد بينوا وضعه، وعجب لهم كيف يستندون إلى ما ليس لهم إليه إسناد يخصهم؟؛ وقد تعقب بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية على ابن مطهر الحلي، فقال: (هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث، وهو من أحاديث الجهال، فإن الله تعالى ليس في جمعه بين إبراهيم والحسين أعظم مما في جمعه بين الحسن والحسين على مقتضى.هذا الحديث، فإن موت الحسن أو الحسين إذا كان أعظم من موت إبراهيم، فبقاء الحسن أعظم من بقاء إبراهيم، وقد بقي الحسن مع الحسين)[(١)]، ويظهر أن الحديث لم يتناقل بينهم إلا متأخراً، وخاصة عند الحليين[(١)].

---

(١) الصافات: ١٠٧.

(٢) انظر: جدل ومواقف، ص٢٩.٣٢، مقال: (تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري).

(٣) تاريخ بغداد، ٢/ ٦٠٢، وبين الخطيب البغدادي علة الخبر، ومما ذكره: (النقاش بن صاعد،... كان يكذب في الحديث والغالب عليه القصص،... كل حديثه منكر).

(٤) الموضوعات، ١/ ٤٠٧، بَاب فِي فضل الْحُسَيْن فِيهِ أَحَادِيث، وذكر فيه بضعة أحاديث موضوعة، وانظر: الأحاديث الواردة في شأن السبطين، ص١١٧- ١١٩.

(١) انظر: منهاج السنة، (٤/ ٤٥؛ وعلى الميلاني من الإمامية المعاصرين تعقب شيخ الإسلام، واستدرك عليه بأن الخطيب البغدادي أخرجه، وهو من المعتبرين عند السنة، شرح منهاج الكرامة، ص١٤١، علي الميلاني، ط١، ١٤١٨هـ، دار الهجرة – قم؛ ولكن كلام ابن تيمية صريح في التشنيع على ابن مطهر، وأنه لم يسند، ويوحي =

وبعد: فما سبق هو ذكر لبعض الآيات التي يذكرونها عند حديثهم عن مشروعية شعائرهم المبتدعة، وليس المقصود استقصاءها، فليس فيها ما يشير إلى شيء من المشروعية، إلا ما يحملونها تعسفاً على ما يريدون، وهي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[2]، فهم قرروا لأنفسهم أن أعمالهم من شعائر الله، ثم قرروا استناداً إلى هذه الآية أن: من يعظمها فإنه من المتقين، فنتيجتهم هذه من مقدمتين، أولاهما هي محل الجدل، فهل ما يفعلونه في عاشوراء من دين الله وشعائره أصلاً؟ وهل تواطأ المسلمون على نقلها عن نبيهم ﷺ، وعلى تطبيقها قبل مقتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وبعده؟ أو أنه دليل على أن باب التشريع عندهم لا يتوقف، فيشرعون ما تهواه نفوسهم، ويتوارثونه بينهم، حتى يصبح عادات تخصهم، وتقاليد وتراث يتفاخرون به، واختلط بما هو من دينهم فعجزوا عن الانفكاك عنه، والبراءة منه[3]؛ وبهذا يمكن أن أذكر بأهم ما مرَّ من نقد على الإمامية في استدلالهم بالقرآن على عاشوراء، وذلك في النقاط التالية:

١- الإمامية مع تعظيمهم لشعائرهم لم يبينوا سبب عدم ذكرها نصاً في القرآن.

٢- أنهم لم يبينوا سبب عدم ذكر فضل كربلاء نصاً في القرآن، مع كونها عندهم أفضل من مكة المذكورة في القرآن.

٣- أنهم لم يبينوا وجه كونها شعيرة وشعاراً في الدين، اللّهم إلا كونها ظاهرة ومتواترة عندهم، أو أنها ضرورة في مذهبهم؛ وهذا حجة عليهم فقط، فضلاً عن متقدميهم الذين أنكروا نستها إلى الأئمة.

=

بأن ابن تيمية يعرف موضعه عند أهل السنة، بدلالة جزمه باتفاق أهل الحديث على وضعه، وجهل واضعه، ولكن الميلاني لفرحه بكل مطعن، توهم أنه يخفى على ابن تيمية كلام ابن الجوزي وقبله الخطيب.

(١) انظر: مناقب آل أبي طالب، لابن شهر أشوب، ٣/ ٢٣٤، ونقله عن تاريخ بغداد، ومثير الأحزان، ابن نما الحلي، ت/ ٦٤٥هـ، ص١١، وذكره مرسلاً، والطرائف، لابن طاووس، ص٢٠٢، ت/ ٦٦٤هـ، ونسبه لبعض كتب الحنابلة، وبحار الأنوار، ٢٢/ ١٥٣، ٤٣، ٢٦١.

(٢) الحج: ٣٢.

(٣) وهذا ما صرح به داعيتهم المعاصر: محمد التيجاني التونسي، انظر: كل الحلول عند آل الرسول، ص١٥٠.

٤- تفاسيرهم من جنس تفاسير الباطنية الذين يجعلون للقرآن ظاهراً وباطناً.

٥- تقليدهم لأخبار بني إسرائيل، كما في خبر زكريا عليه السلام.

المطلب الثاني

عاشوراء في السنة النبوية عند الاثني عشرية

بمثل طريقتهم في التعامل مع أدلة القرآن تتعامل الإمامية في تقرير ثبوت شعائرهم من سنة النبي ﷺ، ومما يروونه عن آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فيوجبون أولاً حصول الجزع والحزن وإقامة المآتم ونحوها منهم، وأن ذلك واجب عقلاً، وتقتضيه ضرورة عقولهم، ثم يقبلون لذلك كل ما يروى عنهم من غير تمحيص، حتى ولو كان رواته ليسوا عدولاً عندهم، كالغلاة الذين كفرهم الأئمة، وأعجب منه استنادهم أو استشهادهم على ما يرويه أهل السنة، الذين يسمونهم العامة والنواصب، فيقبلون روايتهم في جانب ويردونها في آخر، تكثراً ولدعوى الاستفاضة، وهذا نهجهم في كل ما كان من شأن الإمامة، فكيف بما دونها، وهم في استنادهم على الوجوب العقلي ثم على المرويات يقعون بالدور في الاستدلال، فيقررون الوجوب العقلي من خلال النقل والروايات والأخبار المنسوبة إلى آل البيت، والعكس كذلك.

حالهم مع السنة النبوية كحالهم مع مرويات الأئمة من جهة الاستدلال، فهما بنفس المنزلة من حيث الاستدلال عندهم، بل إذا اعتبرنا كلام الأئمة امتداداً للتشريع، ومفسراً للنصوص، وتخصيصاً للعام وبياناً للمجمل، فعلى هذا المعنى يكون كلام الأئمة أهم من كلام النبي ﷺ، ولذا كان تعويلهم في كلامهم في هذا الباب وغيره على كلام الأئمة أكثر، وقد يسمون إماماً من الأئمة بالكتاب الناطق، أو القرآن الناطق، ومن ذلك الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

تستدل الإمامية على مشروعية شعائرهم المبتدعة، أو شيء منها بأدلة يروونها عن النبي ﷺ، وذلك من جهة البكاء، أو النعي، والمأتم، وهي لا تخلو إما أنها أدلة غير صحيحة، بل مكذوبة، أو أنها مع صحتها، أو ضعفها لا دليل فيها ولا حجة على ما استدلوا به من المشروعية؛ وإنه لحاجة معرفة ما يذكرونه في هذا الباب فإني أذكر جملة منها، مع أنه سبق ذكر

---

(١) الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٨/ ٣٨٥، وأصلها من كلمة ينسبونها لعلي في صفين، في قصة التحكيم.

شيء منها[1]، علماً أنهم لا يتوقفون عليها في الاستدلال، وإنما يوردونها لإيناس وحشة عوام المسلمين وبسطائهم من مخالفة الشرع وارتكاب البدع والمنكرات، وذلك بدعوى محبة آل البيت، ومن أدلتهم ما يلي:

١- أن الأنبياء بكوا عند المصائب كمصيبة فقد أبنائهم، كقصة بكاء يعقوب على ابنه يوسف عليهم الصلاة والسلام، وقصة بكاء نبينا محمد ﷺ على ابنه إبراهيم[2]، بل رووا ما هو أخص من ذلك وهو أن الأنبياء بكوا على مقتل الحسين قبل مئات السنين، فبكاه إبراهيم، وسقم ومرض بسببه، وبكاه نوح وعيسى وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، وأنهم زاروا أرض كربلاء، وهذا مما يروونه مرسلاً، أو مرفوعاً، أو من طريق الأئمة، وقد أكثروا من الوضع في هذا الباب[3].

٢- نعي الرسول ﷺ للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد علمه أنه سيقتل بكربلاء، ومن تلك الأحاديث ما جاء عن أم سلمة رضي الله عنها، سواء في أول خبره، أو التربة التي احتفظت بها، أو الرؤيا التي رأتها حين مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي كما يلي:

أ- روى الطبراني عن أم سلمة قالت: (كان رسول الله ﷺ جالسا ذات يوم في بيتي، فقال: **«لا يدخل علي أحد»**، فانتظرت، فدخل الحسين، فسمعت نشيج رسول الله ﷺ يبكي، فاطلعت فإذا حسين في حجره والنبي ﷺ يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت حين دخل فقال: إن جبريل كان معنا في البيت، قال أفتحبه؟ قلت: **«أما من الدنيا فنعم»**، فقال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء، فتناول جبريل عليه السلام من تربتها فأراها النبي ﷺ)، فلما أحيط بحسين حين قتل قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء، قال: صدق الله ورسوله أرض كرب وبلاء)[4]، وروي عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقية

---

(١) راجع الفصل الثاني من الباب الثاني، ومرت في مواضع متفرقة.

(٢) سبق تخريجه، ص٤٣٦، ٤٤٦، من الباب الثاني من البحث.

(٣) تذكر الشيعة أن البكائين خمسة، وفي بعض رواياتهم أن عددهم ثمانية، انظر مستدرك سفينة بحار الأنوار، ١/ ٣٩٦، وانظر بحار الأنوار، ٤٤/ ٢٥٣.

(٤) المعجم الكبير، الطبراني، ٣/ ١٠٨، ١٠٦، ٢٣/ ٢٨٩، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٩/ ١٨٩: ورجاله =

لهذه القصة، وهي احتفظت بهذه التربة في صرة أو قارورة حتى تحقق خبر جبريل بمقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[1]، وروي قريب من لفظ حديث أم سلمة عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وفيه زيادة أن رسول الله ﷺ خرج إلى أصحابه وهو يبكي[2].

حديث النعي والإخبار عن مقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رويت من طرق أخرى تصل بمجموعها إلى ثلاثة عشر طريقاً لا تخلو من ضعف، وقال عنه الباحث عثمان الخميس بعد دراسته لأسانيده: (والحديث بمجموع هذه الطرق يرتقي ــ إن شاء الله ــ إلى الحسن لغيره، والله أعلم)[3]؛ وهذه الطرق بجميع ألفاظها، وباعتبار أنها نعي للحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يرد فيها أن الرسول ﷺ حصل منه ذلك في يوم عاشوراء، أو أنه أعاد نعيه في أقرب عاشوراء بعد نزول الخبر عليه، أو أمر بذلك[4]، فالتزام النعي كل سنة بدعوى أنه سنة نبوية تحكم

=

ثقات، وفي رواية أن الملك ليس جبريل، وإنما ملك القطر، ٣/ ١٠٦، ورواه البيهقي في دلائل النبوة، ٦/ ٤٦٩، والحاكم في المستدرك، ٤/ ٤٤٠، ح/ ٨٢٠٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق، ١٤/ ١٩٠-١٩١، وفيه زيادات، ومنها: (قال رسول الله ﷺ لنسائه: «**لا تبكوا هذا الصبي يعني حسينا**»،... فقال جبريل للنبي ﷺ: إن أمتك ستقتل ابنك هذا، فقال النبي ﷺ: «**يقتلونه وهم مؤمنون بي**»، قال: نعم يقتلونه)، (فخرج إلى أصحابه وهم جلوس فقال لهم إن أمتي يقتلون هذا وفي القوم أبو بكر وعمر وكانا أجرأ القوم عليه فقالا يا نبي الله يقتلونه وهم مؤمنون قال نعم هذه تربته فأراهم إياها) وكل أسانيدها لا تخلو من مقال، لأن مدارها على شهر بن حوشب، وطرق الحديث الأخرى ضعفها شديد، انظر: الأحاديث الواردة في شأن السبطين، ص١٢١.١٢٨، ١٤٩.١٥٢.

(١) المعجم الكبير، ٣/ ١٠٨، وفيه: (وديعة عندك هذه التربة فشمها رسول الله ﷺ، وقال: ويح كرب وبلاء قالت: وقال رسول الله ﷺ: «**يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دما فاعلمي أن ابني قد قتل**»، قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوما تحولين دما ليوم عظيم)، وذكره في تاريخ اليعقوبي، ١/٢٠٧، وزاد أنها كانت (أول صارخة بالمدينة)، ويظهر أن خبر التربة لم يكن مشتهراً عند أهل السنة أصلاً.

(٢) المعجم الكبير، ٣/ ١٠٧، وتاريخ دمشق، ١٤/ ١٩٣، والحديث لا يخلو من مقال وفي بعض أسانيده شك في الراوي: هل هو عائشة أو أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٣) الأحاديث الواردة في شأن السبطين الحسن والحسين، جمعاً، ص١٢١.١٥٦.

(٤) من خلال استعراض عدد من مروياتهم لم أجد عندهم أن الرسول ﷺ كرر إحياء الذكرى إلا ما ذكره الأميني نقلاً عن الخوارزمي في مقتل الحسين ١/ ١٦٣، وانظر: سيرتنا وسنتنا، ص٦٢، عبد الحسين الأميني.

بلا مستند، وظن ذلك سنة نبوية تكررت في عهد النبوة ظن ووهم منشؤه مجرد الهوى، والأهواء عند البعض بمرتبة اليقين![1]، وحتى على هذا العدد فكيف يقبلونها وهي من أحاديث العامة "أهل السنة" وطرقهم ـ كما يدعون ـ، فلا حجة لهم فيها، وكيف يستدلون على شعائر دينهم من مرويات أعداء آل البيت "النواصب"، فهي محتملة للكذب، لعدم العدالة، ولحدوث الردة، ولأن ذلك من توهين المذهب، ولذا صنيعهم في ذكر الأدلة من مرويات أهل السنة ساقط، لأنها فاقدة للقبول، وإلا فيلزمهم أن يقبلوا بقيتها التي تخالف مسلكهم، حيث خلاف ذلك تحكم وتلبيس، واستكثار وتهويل، كما سنرى.

إضافة إلى أن الإخبار عن المقتل قد حصل لغير الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يجعل نعيهم سنة تتكرر كل عام، وشعيرة تحيا، ودعوى اختصاص الحسين لا ترقى في مقابل من سبقه.

بينما نجد علماء الإمامية يجعلون خبر أم سلمة مستندهم الأول والأهم على إقامة المآتم؛ فإنهم يتوسعون في عرض الروايات بما يوحي أن كل رواية حادثة مستقلة بعينها، فهذا عبد الحسين الأميني (صاحب كتاب الغدير) زعم أن الرسول ﷺ أقام قرابة عشرين مأتماً على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقصة ورواية أم سلمة قصة واحدة اعتبرها قرابة عشرة مآتم، مع أن بعض الرواة الذين رووا عن عائشة ــ كوكيع ــ قد شك: هل الرواية عنها، أو عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[2]، ولا شك أن هذا العدد الكبير، وتسميته مأتماً يوهم القارئ أن إقامة المآتم سنة

---

(١) يقول عبد الحسين الأميني: (وربما يظن (وظن الألمعي يقين) أن تكرر المآتم التي أقامها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيوت أمهات المؤمنين – كما تسمع حديثها بعيد هذا – إنما كان على حلول الأعوام والسنين إما نظرا إلى ميلاد الحسين السبط (سلام الله عليه)، أو إلى يوم استشهد فيه، أو إلى هذا وذاك معا، سنة الله في الذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنة الله تحويلا)، سيرتنا وسنتنا، ص٦٢، وصدق الله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾، الزخرف: ٥٨، فأصبح الهوى والجدل ألمعية ويقيناً.

(٢) انظر كتاب سيرتنا وسنتنا، ١٤٨.٦٤، والأميني توسع في إدراج روايات المنام مع روايات إخباره عن المقتل في حياته، وذلك كخبر ابن عباس ورؤياه التي ترد قريباً، والقصة والمقتل مرويان عن أم سلمة، وعائشة، وزينب بنت جحش، وأم الفضل بنت الحارث، وعن علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأنس بن مالك، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وزاد رواية ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث الرايات السود، رواية أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيه «تقتله الفئة الباغية»، ونسبه للبيهقي، ولم أقف عليه في كتبه، ولكن قد ذكره محب الطبري، =

وشعيرة نبوية[١]، وهذا من التدليس والتلبيس، وإلا لماذا لم نر الإمامية تقيم مآتم لبكاء يعقوب؟ ولا لجعفر ومن معه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، مع أن الرسول ﷺ نعاهم لما قتلوا في مؤتة؟ مما يدل على أن صنيعهم مجرد هوى، لا اقتداء بالنبي ﷺ.

ما ذكروه من كثرة نعي الرسول ﷺ للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوحي بأن الناس استفاض عندهم خبره، فخذلوه ولم يخرجوا معه، وهذا يوحي بتضليل جيل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومنهم جمع من آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حيث علموا بالمصاب والظلم ولم يقوموا بالنصرة والولاء، وقد يصل الغلو في هذا الجانب أن يصبح مقتل الحسين بمقام الوصية بالإمامة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو أشهر منها عندهم، وقد يشترك الأمران أنهما كانا في آخر حياة النبي ﷺ.

ب- رؤيا أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]: فروى الترمذي عن سلمى

=

ت/ ٦٩٤هـ، في كتابه ذخائر العقبى، ١/ ١١٩، وفي كتاب الأحاديث الواردة في شأن السبطين، عثمان الخميس، ص١٢١.١٥٦، زاد الباحث روايات وطرق أخرى للقصة تبلغ (١٣) طريقاً، منها عن: الحسين بن علي، وأبي أمامة، وأنس بن الحارث، وأبو الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ورجل اسمه جمهان؛ وحكم الباحث على الحديث من مجموع طرقه بالحسن لغيره.

(١) ومثل الأميني د.محمد صالح الجويني، في مجلة نصوص معاصرة، مقال: تاريخ المأتم الحسيني من الشهادة وحتى العصر القاجاري، حيث أوصل المآتم إلى خمسة عشر مأتماً، وممن توسع في تكرار الروايات في البكاء الذي هو منطلق المأتم، جواد العاملي في كتابه: كتاب الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء . والتطبير).

(٢) هذا على القول بأنها كانت حية في عام٦١هـ، وقد اختلف في وفاة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقيل كانت وفاتها سنة٥٦هـ، وقيل سنة٥٩هـ، وقيل سنة٦١هـ قال ابن حجر: هو الأرجح، انظر فتح الباري، ١٤/ ٢٧٩، وقيل سنة٦٢هـ، وفي تهذيب التهذيب، ٤٧/ ٦٢، زاد قولاً رابعاً: أنه توفيت سنة٦٢هـ، وفي أصله تهذيب الكمال، ٣١٩/٣٥، ورجح ابن حجر أنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شهدت زمن يزيد، واستظهر ابن كثير أنها توفيت سنة٦١هـ بناء على أحاديث المقتل المذكورة، انظر البداية والنهاية، ٨/ ٢١٥، وابن كثير غَلَّط من قال سنة٥٩هـ، ورجح ٦١هـ، ومثله الذهبي في تاريخ الإسلام، ٥/ ٢٨٤، وعمدة من رجح سنة٦١هـ الحديث الذي في صحيح مسلم، ح/ ٥١٣١، الذي فيه أن الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان دخلا على أم سلمة أم المؤمنين، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك في بداية أيام ابن الزبير بمكة، آخر سنة ٦٣هـ، أي في آخر زمن يزيد، وهذا يشكل على ما سبق؛ وشراح صحيح مسلم ذكروا الإشكال ولم يجزموا، ومنهم القاضي عياض، فقال: (قال أبو الوليد الكناني: هذا لا يصح؛ لكن أم سلمة ماتت أيام معاوية قبل موته بسنة،
=

قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك، قالت: رأيت رسول الله ﷺ ـ تعني في المنام ـ وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: «**شهدت قتل الحسين آنفاً**»[(١)]، قال هذا حديث غريب[(٢)].

وعند ابن سعد: (...فقالت قتل الحسين، قالت: قد فعلوها ملأ الله بيوتهم عليهم ناراً، ووقعت مغشياً عليها)[(٣)].

ما روي أن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (كانت أول صارخة في المدينة) بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد ذكره اليعقوبي الشيعي في تاريخه من دون إسناد، فقال بعد أن ذكر قصة جبريل والتربة: (فلما رأتها قد صارت دماً صاحت: واحسيناه!، وابن رسول الله! وتصارخت النساء من كل

= ولم تدرك أيام ابن الزبير)، إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، ٨/ ٢٠٨، القاضي عياض اليحصبي، ت/ ٥٤٤هـ، ط١، ١٤١٩هـ، دار الوفاء – مصر؛ وأبو الوليد هو هشام بن أحمد الكناني الوقشي، القاضي الباجي، وانظر: الاستيعاب، ٤/٢٢٠٨، ولسان الميزان، ٦/١٩٣؛ ولكن يظهر أن الأرجح أن أم سلمة توفيت في عهد يزيد؛ مع أني لم أقف على ورود قول من الأئمة بأن وفاتها بعد مقتل الحسين، أنه من وضع الرافضة، لارتباطه بحديث الكساء الذي روته أم سلمة، والله أعلم.

(١) سنن الترمذي، ح/ ٣٧٧١، قال: (حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر حدثنا رزين، قال حدثتني سلمى)، وسلمى هي البكرية، وضعف الإسناد من أجلها، والرواي عنها رزين اختلف فيه هل هو رزين بياع الأنماط البكري، أو هو رزين بن حبيب الجهني، وبعضهم يسمي: زريق، انظر: التاريخ الكبير، للبخاري، ٣/ ٣٢٤، وتهذيب الكمال، ٩/ ١٨٦، والذهبي سكت عنه، كما في المستدرك، ٤/ ٢٠، ح/ ٦٧٦٤، والترمذي ضعف الحديث، والمباركفوري في شرحه "تحفة الأحوذي"، ١٠/ ٢٧٦، وكذلك الألباني ضعف هذه الطريق، كما في ضعيف سنن الترمذي، ومشكاة المصابيح، ح/ ٦١٥٧، لكنه يصحح القصة بالطرق والشواهد، كما في السلسلة الصحيحة، ج٢، ح/ ٨٢١، وانظر: الأحاديث الواردة في شأن السبطين، ص١٥٩ـ ١٦١، ويظهر أن المؤلف يميل إلى القول بضعفه.

(٢) وروي بنفس طريق الترمذي عن أبي خالد الأحمر عن رزين، عن سلمى، رواه البيهقي عن الترمذي في الدلائل، ٧/ ٤٨، والطبراني في الكبير، ٣٢/ ٣٧٣، ح/ ١٩٣٢٥، ورواه الحاكم في المستدرك من طريق الترمذي، ٤/ ٢٠، ح/ ٦٧٦٤، وسكت عنه الذهبي، وابن الأثير في أسد الغابة، ٢/ ٢٦٦،

(٣) الطبقات الكبرى – متمم الصحابة، طبقة ٥، ١/ ٤٩٥– ٤٩٦ والمعجم الكبير، ٣/ ١٠٨، وتاريخ دمشق، ١٤/ ١٤٠، وفي المسند، ٤٤/ ١٧٣، ح/ ٢٦٥٥٥، وفيه: (فلعنت أهل العراق فقالت قتلوه...)، وبين لفظ اللعن والقتل فرق، ولعله من تصرف الرواة، والراوي عن أم سلمة شهر بن حوشب.

ناحية، حتى ارتفعت المدينة بالرجة التي ما سمع بمثلها قط)[1].

في نقض هذه الفرية يمكننا القول بأنه قد قيل بأن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ماتت قبل المقتل، ولو قيل بموتها بعده فإن أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي التي تربت بأدب النبوة في المصائب، ونالت من بركة هذا الأدب بأن عوضها الله خيراً بصبرها واسترجاعها وأدبها مع ربها، حين فقدت زوجها الأول أبا سلمة، كما في خبرها المشهور[2]، ومما قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (لما مات أبو سلمة قلت: غريب وفي أرض غربة، لأبكينه بكاء يتحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه إذ أقبلت امرأة من الصعيد تريد أن تسعدني فاستقبلها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: **«أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتا أخرجه الله منه؟»**، مرتين، فكففت عن البكاء فلم أبك)[3].

مما روته كتب الإمامية في خبر وفاة أم سلمة أنها بكت وندبت زوجها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ببيتين من الشعر؛ فقال لها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لا تقولي هكذا يا أم سلمة، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾[4])[5]؛ ومثله عند الطبراني أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجع عن الدخول لما سمع نوحاً: «**لست أدخل داراً فيه نوح**»[6].

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ١/ ٢٠٧.

(٢) صحيح مسلم، ح/ ٦١٨، وفيه: (سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللَّهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرا منها**»، قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخلف الله لي خيرا منه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

(٣) صحيح مسلم، ح/ ٩٢٢، وفي دلائل النبوة .للبيهقى، قالت في وصف مصيبة وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووقعها على الصحابة في المدينة: (فيا لها من مصيبة ما أصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به)، ولا يعني أنه إذا حصل فزع وحزن وبكاء أن يستمر المرء على ذلك، ولا يدفعه بالصبر والتصبر، وكما روى ابن ماجة، ح/١٥٧٩، وأحمد ح/ ٢٦٧٢٠، عن ابن أبي شيبة (المصنف، ح/ ١٢١٠١)، عن أم سلمة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾ (الممتحنة:١٢)، قال: «النوح».

(٤) ق: ١٩.

(٥) قاموس الرجال، محمد تقي التستري، ١٠/ ٤٤٥، ط١، ١٤٢٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي. قم.

(٦) المعجم الكبير، ١٢/ ٤٤٠، ح/ ١٣٦٠٦، وأنساب الأشراف، ١/ ٩٠، وضعفه الألباني، لضعف أيوب بن نهيك، السلسلة الضعيفة، ٩/ ٢٩٦.

ت- رؤيا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للرسول ﷺ ليلة مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كربلاء، ومنها رؤيا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد روي عنه أنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار، أشعث أغبر، وبيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا؟ قال: «**هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل التقطه منذ اليوم**»، فأحصي ذلك اليوم فوجدوه قتل يومئذ)[1]، ومثلها ما يروى من المنامات في مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو الوقائع في الانتقام من قتلته، فكلها تبين مقامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه ولي من أولياء الله، وسيد من سادات المؤمنين، ومثل هذه الأمور رويت لمن هو دونه من الناس من السابقين، بل من المتأخرين والمعاصرين، بل قد يرى موت ومصرع من ليس من أولياء الله أصلاً، فذات رؤيا الموت والمقتل لا ترتبط بفضل لمن رؤي، بل بما تتضمنه من فضل وكرامة، ولا يعنى هذا أن يتخذ يوم مصابه موسماً وشعيرة، فليست هذه الرؤى الخاصة بالمقتل متضمنة لأي دليل على ما تفعله الإمامية في عاشوراء كل عام.

هذه الأحاديث والأخبار يفهم منها جواز أن ينعى الرجل إلى أهله وأصحابه ومحبيه، حيث إن الرسول ﷺ نعى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقظة أو مناماً، فيقال إن هذا صحيح، وقد وقع، ولكنه ليس خاصاً بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد نعى النبي ﷺ النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]، ونعى جعفراً وزيداً وابن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[3]، ونعى عماراً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مخبراً بمقتله وقاتله: «**تقتلك الفئة الباغية**»[4]، والنعي بذاته ليس بمنهي عنه، لكن لا يعد مأتماً منهياً عنه إلا إذا صاحبه ما كان من جنس عمل الجاهلية، من إرسال من يطوف بالبلدان مخبراً ونادباً للميت، وكانت

---

(١) مسند أحمد، ح/ ٢٥٥٣، من طريق حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار، وكذلك الحاكم في المستدرك، ٤/٤٣٩، ح/ ٨٢٠١، وقال الذهبي: على شرط مسلم، والطبراني في المعجم الكبير، ٣/ ١١٠، ح/ ٢٨٢٢، والبيهقي في دلائل النبوة، ٦/ ٤٧١، ٧/ ٤٨، وابن أبي الدنيا في المنامات، ح/ ١٣٠، ٢٨١هـ، ت. عبد القادر أحمد عطا، ط١، ١٤١٣هـ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.

(٢) البخاري، ح/ ١١٨٨، ومسلم، ح/ ٩٥١.

(٣) البخاري، ح/ ١١٨٩، ٣٤٣١، ٣٥٤٧.

(٤) مسلم، ح/ ٢٩١٦، ٧٥٠٦.

العرب إذا قتل منهم شريفٌ أو مات بعثوا راكبًا إلى قبائلهم ينعاه إليهم فنهى النبيُّ ﷺ عنه، لأنه من عمل أهل الجاهلية، والمراد منه أن يطاف بالناس لإذاعة الخبر، وقد يصاحبه تقجع وهلع، وهو بهذا من جنس النوح والنياحة.

وجود نوع من التداخل بين هذه معاني النعي والنوح والندب لا يعني التلازم التام بينها، فالنوح ـ كما سبق ـ يتميز بأنه تكرار وترديد لما علم من خبر الموت، ولكن بقصد التفجع على الميت، مع ما يصاحبه من ندب للميت، وذكر ألم فقده، ومحاسنه، وبكاء[1]، ولأجله يختلف الحكم فيه عند أهل العلم، وقد يشتبه من كلام بعض أهل العلم أن النعي المنهي عنه هو الندب والنوح، فيستثنى من النعي ما كان من قبيل الإخبار، استناداً إلى أن النبي لما رأى قبرا دفن ليلا قال: «**متى دفن هذا؟**»، فقالوا: البارحة، قال:«**أفلا آذنتموني؟**»[2]، يقول الشوكاني ـ رضي الله عنها ـ معلقاً على حديث النعي، ورافعاً الإشكال حوله: (فدل على أن مجرد الإخبار بموت الميت من دون إذاعة ولا تفجع جائز، لأنه قد ورد ما يدل على أن في كثرة المصلين عليه منفعة له، وأنهم شفعاؤه، وأيضاً لا بد من حضور من يتولى تجهيزه وحمله ودفنه، فإخبارهم بذلك مما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه الضرورة)[3].

وبعد: فيمكن أن أذكر بأهم ما مرَّ من نقد على الإمامية في استدلالهم بالسنة على عاشوراء، وذلك في النقاط التالية:

١- أن التزام النعي كل سنة بدعوى أن هذا العمل سنة نبوية تحكم بلا مستند، وظن ذلك سنة نبوية تكررت في عهد النبوة وَهْـمٌ منشأه مجرد الهوى.

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا، راجع فقرة النعي من الباب الثاني ص٥٣١ من البحث.

(٢) البخاري، ح/ ١٣٣٧، ومسلم، ح/ ٩٥٦.

(٣) السيل الجرار (المتدفق على حدائق الأزهار)، ص ٢٠٥، محمد بن علي الشوكاني، ت/ ١٢٥٠هـ، ط١، ١٤١٦هـ، دار ابن حزم - بيروت؛ وانظر: تسلية أهل المصائب، ص٦١، والموسوعة الفقهية الكويتية،٤٠/ ٣٧٦،

الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، ط١، ط٢، ط: ١٤٠٤- ١٤٢٧هـ، دارالسلاسل – الكويت، دار الصفوة – مصر.

٢- على فرض صحة خبر النعي فهو من أحاديث العامة "أهل السنة"، فكيف يستدلون على شعائر دينهم من مرويات من يزعمون أنهم أعداء آل البيت.

٣- كثرة نعي الرسول ﷺ للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوحي بأن الناس استفاض عندهم خبره فخذلوه ولم يخرجوا معه، وهذا يوحي بتضليل جيل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكيف يحتجون بخبرهم.

٤- لم يثبتوا أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته التزم يوم عاشوراء للنياحة، وميزه بعمل.

٥- الأحاديث والأخبار التي رووها عن أهل السنة غايتها جواز أن ينعى الرجل إلى أهله وأصحابه ومحبيه، حيث إن الرسول ﷺ نعى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقظة أو مناماً، فيقال إن هذا صحيح، وقد وقع، ولكنه ليس خاصاً بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد نعى النبي ﷺ النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونعى جعفراً وزيداً وابن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ونعى عماراً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والنعي بذاته ليس منهياً عنه، إلا إذا صاحبه ما كان من جنس عمل الجاهلية، من إرسال من يطوف بالبلدان مخبراً ونادباً للميت، وهذا ما لم يفعله الرسول ﷺ مع وجود سببه.

٦- أنهم يحتجون بالضعيف من كتب السنة، فيحتجون عليهم بما ليس حجة عندهم، بل إنما أوردوه للتحذير منه.

٧- أن ما انفردوا به من الأخبار عن آل البيت فإنه لا عبرة به، لكذبهم على آل البيت، وهم يروون عن آل البيت شكواهم من هذا الجانب.

المطلب الثالث

عاشوراء في مرويات الأئمة

مرويات الإمامية كثيرة في هذا الباب، ويصعب حصرها، ولكثرة ما يضع الشيعة من الأحاديث والروايات التي ينسبونها إلى آل البيت أعرض عنها أهل الحديث من أهل السنة، وخاصة ما انفردوا بها من طرقهم ومروياتهم ووجاداتهم ورقاعهم، فكثير منها لا يوجد حتى في كتب الموضوعات فضلاً عن الضعيفة، حتى أصبحت كتب الشيعة الحديثية والروائية نمطاً جديداً من كتب الموضوعات، حتى إن المذهب يعتمد عليها مستغنياً عن كتب الحديث المشهورة عند المسلمين، وعدوا ما جاء فيها في باب شعائر عاشوراء في درجة الاستفاضة، فصارت الشعائر من ضروريات المذهب، ثم لذلك ــ أيضاً ــ صارت من شعائر الله[1]، وقد سبقت الإشارة إلى عدد منها[2]، لكن أشير هنا إلى أبرز موضوعاتها ونماذج منها، وذلك كما يلي:

١- **بكاء علي أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونعيه للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإقامته لذلك في كربلاء حين مر بها وهو في العراق، وإخباره عن بكاء عيسى وحواريه عند مرورهم بكربلاء، ومعرفته لها بعلامة بَعْر الظباء، ثم مرور علي بذلك البعر وشمه لها بعد خمسمائة عام، واحتفاظ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشيء من هذه البعر إلى حين تحولها دماً عبيطاً[3].

---

(١) سيرتنا وسنتنا، ص ١٥، وانظر: كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٣١-٥٣٢، الصدوق القمي، ويقول في ص١٠٣: (وأما الفصل بيننا وبين سائر الفرق فهو أن لنا نقلة أخبار، وحملة آثار قد طبقوا البلدان كثرة، ونقلوا عن جعفر بن محمد عليهما السلام من علم الحلال والحرام ما يعلم بالعادة الجارية والتجربة الصحيحة أن ذلك كله لا يجوز أن يكون كذبا مولدا).

(٢) راجع الباب الثاني.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص٥٣١ - ٥٣٢، ويقول: (ومن أعجب العجائب أن مخالفينا يروون أن عيسى بن مريم -عليه السلام- مر بأرض كربلاء، فرأى عدة من الظباء هناك مجتمعة، فأقبلت إليه وهي تبكي، وأنه جلس، وجلس الحواريون، فبكى وبكى الحواريون، وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى، فقالوا: يا روح الله وكلمته ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أي أرض هذه؟ قالوا: لا، قال: هذه أرض يقتل فيها =

٢- النعي[١]: وقد سبق أنهم ينسبون هذا العمل إلى الرسول ﷺ، كما أنهم ينسبونه إلى آل البيت كعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإلى ذريته من بعده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٢]، وما انفردوا به من الأخبار عن آل البيت فإنه لا يعتبر به لكذبهم على آل البيت، وهم يروون عنهم شكواهم من كذب رواتهم وشيعتهم، فقد رووا عن الصادق ــ رَحِمَهُ اللَّهُ ــ: (لو قام قائمنا بدأ بكذابي شيعتنا فقتلهم)، و(كان المختار يكذب على علي بن الحسين)، و(ما أنزل الله سبحانه آية في المنافقين إلا وهي فيمن ينتحل التشيع)[٣]، والإمامية الرافضة يستكثرون بأخبار الإمامية مع اعترافهم بكذب رواتهم وغلوهم.

٣- الحزن: فجعلوا آل البيت بيت الأحزان[٤]، ورسموا لذلك الأساطير، وكما أنهم

فرخ الرسول أحمد، وفرخ الحرة الطاهرة البتول شبيهة أمي، ويلحد فيها، هي أطيب من المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، وهذه الظباء تكلمني وتقول: إنها ترعى في هذه الأرض شوقا إلى تربة الفرخ المستشهد المبارك، وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض، ثم ضرب بيده إلى بعر تلك الظباء فشمها فقال: اللّهم أبقها أبدا حتى يشمها أبوه فيكون له عزاء و سلوة، وإنها بقيت إلى أيام أمير المؤمنين عليه السلام حتى شمها وبكى وأخبر بقصتها لما مر بكربلاء؛ فيصدقون بأن بعر تلك الظباء تبقى زيادة على خمسمائة سنة، لم تغيرها الأمطار والرياح ومرور الأيام والليالي والسنين عليه، ولا يصدقون بأن القائم من آل محمد عليهم السلام يبقى حتى يخرج بالسيف فيبير أعداء الله عز وجل ويظهر دين الله، مع الأخبار الواردة عن النبي والأئمة صلوات الله عليهم بالنص عليه باسمه ونسبه وغيبته المدة الطويلة، وجرى سنن الأولين فيه بالتعمير، هل هذا إلا عناد وجحود للحق؟ نعوذ بالله من الخذلان)، وانظر: بحار الأنوار، ٤٤/ ٢٥٣.

(١) راجع ص٥٣١ من البحث.

(٢) يرتبط بثبوت النعي مسألة العلم، فهل النبي والأئمة .عندهم .يعلمون بالمصائب قبل وقوعها علماً يرتبط بطبيعتهم المقدسة وعلمهم بالغيب؟ ففي هذه الحادثة بالخصوص: ما الفائدة من إخبار جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، ما دام أنه يعلم بالمصيبة من قبل؟ فليس الخبر بالمفاجئ لهم، وإلا فلماذا يتركون العمل بهذا العلم، بالبعد عن مواضع المصائب؟ ولماذا فاوض النبي ﷺ جبريل عليه السلام بالمقتل .كما في مرويات الإمامية؟ يحيل بعض رموز الإمامية هذه المسائل إلى أنها من أسرار الولاية والعصمة التي لا يعرف حقيقته إلا هم، انظر: سيرتنا وسنتنا، ص٤٤، ٥١.

(٣) سبق تخريجها ص٣٥٧، ٤٧٢ من البحث.

(٤) راجع ص٤٣٦- ٤٥٠ من البحث.

زعموا أن علي بن أبي طالب بنى لزوجته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بيت الأحزان، فكذلك تروي الإمامية أن من أسباب حزنها أنها تبكي على الحسين، يقول عبد الحسين الأميني في هذا الصدد: (ماذا تصنع فاطمة بالحياة وهي ترى أباها ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ طيلة حياته حليف الشجون؟.... يقيم لحسينه السبط المأتم من لدن ولادته وهلم جراً يوم كان رضيعاً وفطيماً وفتياً، وقد اتخذ الله بيوت نبيه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ دار حزن وبكاء منذ ولد ريحانة رسول الله الحسين العزيز، يأتي إليه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ملائكة ربه أفواجاً زرافات ووحداناً، حيناً بعد حين، مرة بعد أخرى، بين فينة وفينة، ينعون الحسين، ويأتون إليه ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ بتربته الحمراء ممثلين بذلك مصرعه ومقتله)[1]، ومثله ما يروونه: (ولو بكى الحسين عليه السلام لبكت الملائكة المقربون لبكائه)[2]، وإذا كان الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد بكى في أرض كربلاء[3]، وبكى له أهل السماء، فلا بد أن يتبعهم أهل الأرض، وهذا ـ عندهم ـ امتداد لنعيهم وتجديد لذكرهم؛ ويرون أن من أعظم المشابهة لهم أن تبنى الدور "الحسينيات" لتجديد أحزانهم وإعلانها، فأصبح الحزن والبكاء عبادة وشعيرة تبنى لها الدور، وتشيد لها البنيان.

٤- البكاء[4]: وهو أساس وجوهر شعائرهم ويستندون فيه إلى عمل زين العابدين علي بن

---

(١) سيرتنا وسنتنا، ص٤٨-٥١.

(٢) مدينة المعاجز، ٣/ ٥٣٠، هاشم البحراني، ت/ ١١٠٧هـ، ت. عزة الله المولائي الهمداني، ط١، ١٤١٣هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية – قم؛ وبحار الأنوار، ٤٣/ ٣١٣؛ والعوالم، ج١٧، (الإمام الحسين)، ص٤٥، عبد الله البحراني، ت/ ١١٣٠هـ، ت. محمد باقر الأبطحي، ط ١، ١٤٠٧هـ، مدرسة الإمام المهدي – قم؛ والثلاثة متعاصرون: (هاشم البحراني ت/ ١١٠٧هـ، وعبد الله البحراني ١١٣٠هـ، والمجلسي ١١١١هـ)، ولعل مرجعهم في الخبر المذكور من شيخهم الطريحي، ت/ ١٠٨٥هـ، والذي ذكره في المنتخب، ص٣٤، وعزاه إلى كتاب الروضة، وهذا الكتاب غير معروف عند محققي الكتب المذكورة، فقد يكون –كما ذكر– من كتب المناقب القديمة، أو من كتب المقاتل المتأخرة، كروضة الشهداء، للكاشفي، أو روضة الواعظين للفتال النيسابوري.

(٣) الخصائص الحسينية، التستري، ص٤٠، والأخلاق الحسينية، البياتي، ٢٤١، ٢٥٩، وموسوعة كلمات الإمام الحسين، ص٥٧١، ٥٨٩. ٥٩٠، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، ط٣، ١٤١٦هـ، دار المعروف – قم.

(٤) راجع ص٤٨١ من البحث.

الحسين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ، بل يزعمون أنه دائم البكاء على الحسين طوال العام، وهذا يلزمهم أنه لا دليل على تخصيص الشعائر بعاشوراء، ومما نسبوه إلى أحد الأئمة في فضل الجزع والبكاء على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو يخاطب شيعته: (رحم الله دمعتك، أما إنك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك،... ما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلا رَحِمَهُ اللَّهُ قبل أن تخرج الدمعة من عينه، فإذا سال دموعه على خده، فلو أن قطرة من دموعه سقطت في جهنم لأطفأت حرها، حتى لا يوجد لها حر)[1].

مما نسبوه للصادق وغيره ـــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـــ في هذا الباب قوله: (إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي ـ عليهما السلام ـ، فإنه فيه مأجور)، و(من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتن يوم القيامة، ومن ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)، و(من ذكرنا، أو ذكرنا عنده فخرج من عينه دمع مثل جناح بعوضة غفر الله له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر)[2]، ومما ينسبونه إلى مهديهم المنتظر من قوله في زيارة الناحية[3] مخاطباً جده الحسين الشهيد: (فلئن أخّرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً فلأندبنك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ لك بدل الدموع دماً)[4].

تأتي أهمية شعيرة البكاء عندهم لأنها هي المستند النقلي الوحيد للشعائر، فيتوسع علماء الإمامية الأصولية في التفريع عليها، وإذا ثبت مستندها نقلاً فلا إشكال عندهم في القول بعدم وجود نقل لبقية الشعائر، فيفرعون عليه مشروعية التباكي وتوليد البكاء بالقول والعمل،

---

(١) سبق تخريجها، وانظر: كامل الزيارات، ٢٠١، بحار الأنوار، ٤٤/ ٢٩١.

(٢) سبق تخريجها، وانظر: كامل الزيارات، ٢٠١، بحار الأنوار، ٤٤/ ٢٩١.

(٣) زيارة الناحية المقدسة منتشرة في كتب الزيارات، انظر: المزار، ص٥٠١، محمد بن المشهدي، ت/٦١٠هـ، ت. جواد القيومي الاصفهاني، ط١، ١٤١٩هـ، القيوم – قم، وبحار الأنوار، ٩٨/ ٢٣٠، ٣٢٠.

(٤) بحار الأنوار، ٩٨/ ٣٢١، وتضمن النص عبارة: (ولأبكين لك بدل الدموع دماً)، وقد حظيت العبارة بتعليقات نقدية من قبل بعض الباحثين الشيعة المعاصرين.

وهكذا البدع يجر بعضها بعضاً.

٥- الحداد[١]: من معالم الحداد ــ كما سبق ــ لبس السواد في المآتم، والذي أصبح اليوم شعاراً لهم في يوم عاشوراء وغيره، مع أنه لم يفت به من علماء الطائفة إلا البحراني المتأخر زماناً، مع اشتهار إنكار لبس السواد بين علماء الإمامية قبل ذلك[٢]، واعتمد البحراني في ذلك على رواية تذكر لبس نساء البيت للسواد بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣]، وعلى ما ورد في زيارة الناحية المقدسة التي يروونها عن المهدي المنتظر[٤].

٦- النوح والمأتم: ومما ينسبونه إلى آل البيت كذباً ما يروونه عن الصادق ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ أنه قال للفضيل: (بلغني أن قوماً يأتون قبر جدي الحسين (ع) من نواحي الكوفة وناساً من غيرهم... فقلت: نعم جعلت فداك... فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم يهددونهم ويقبحون ما يصنعون)[٥]، وقد سبق أنهم ينسبون المآتم والنوح والمراثي ـ أيضاً ــ إلى الكاظم والرضا: (روي أن الإمام محمد الباقر"ع" أوصى بـ ٨٠٠ درهم لإقامة المآتم ومجالس العزاء، وقال الإمام الصادق "ع" ما معناه: لقد قال لي أبي يا جعفر ليوقف من مالي ويؤجر به من يرثني عشر سنوات في منى، في مواسم الحج، ويبكي علي، ويجدد المآتم لإظهار مظلوميتي)[١]، وأن

---

(١) راجع ص٤٩٧ من البحث.

(٢) الحدائق الناضرة، ٧/ ١١٨، والبحراني من أظهر وأشهر من قال بلبس السواد في عاشوراء، وذكر أن مأتم الحسين مستثنى من الكراهة، لاستفاضة الأخبار بإظهار الحزن، وخالفه في هذا الهمداني في: مصباح الفقيه، ١٦٢/٢، وتعقبه –أيضاً– الميرزا جعفر الطباطبائي الحائري، ت/ ١٣٢٠هـ، انظر: إرشاد العباد إلى استحباب لبس السواد، ص٥١- ٥٢، ت، وصوم عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الأموية، نجم الدين الطبسي، ص١٤٨.

(٣) نقلها البحراني عن المجلسي في كتابه حق اليقين وهو مكتوب باللغة الفارسية، كما ذكر البحراني، والخبر موجود في: بحار الأنوار، ٧٩/ ٨٤.

(٤) بحار الأنوار، ٩٨/ ٣١٨.

(٥) كامل الزيارات، ص٥٣٩، ووسائل الشيعة، ١٤/ ٥٩٩، وبحار الأنوار، ٩٨/ ٧٤.

(١) سبق تخريجه ص٥١٢ من البحث.

الصادق ناح على ابنه سنة كاملة، وأن الرسول ﷺ أمر بالنياحة على حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]؛ وكل هذا من الباطل، بل سبق أنه استفاض لدى طائفة من الإمامية بطلانه، ويمثلهم محقق المذهب ابن مطهر الحلي[٢].

٧- الجزع[٣]: ومما روته الإمامية ووضعته: أن أمير المؤمنين عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سار إلى صفين نزل بكربلاء وقال لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا، قال: لو عرفتها لبكيت بكائي، ثم بكى بكاء شديداً، ثم قال: ما لي ولآل أبي سفيان؟ ثم التفت إلى الحسين، وقال: صبرا يا بني فقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى بعده)[٤].

مثله ما ينسبونه لزينب بنت علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصة المحمل، أو لغيرها من آل الحسين ونسائه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٥]، ومتقدمو الإمامية لم يعتبروا مثل هذه الروايات في أبواب الأحكام، بل نقل بعضهم الإجماع على خلافها، ويروي ما يؤيد هذا الإجماع، من ذلك قول الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يا أخية!، إني أقسم عليك فأبري قسمي، لا تشقي علي جيباً، ولا تخمشي علي وجهاً، ولا تدعي علي بالويل والثبور إذا أنا هلكت؛ ثم جاء بها حتى أجلسها عندي)، وثَمَّتَ روايات عندهم تخص أخته زينب بنت علي ـ رحمها الله ـ التي جعلوها دليلهم في النياحة زوراً وبهتاناً، هذه الروايات تذكر أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخصها بقوله: (ليس لك الويل يا أختاه اسكتي رحمك الله)[٦].

لما أوصى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نساءه يوم كربلاء بدأ بأم كلثوم فمما قال: (يا أختاه يا أم كلثوم،

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ٧٩/ ٨٤.

(٢) انظر: المعتبر في شرح المختصر، ص٩٤. ١/ ٣٤٤...

(٣) سبق ص٤٢١، ٤٦٣ من الباب الثاني معنى الجزع، وأنه لا تلازم بين الجزع والحزن.

(٤) سيرتنا وسنتنا، ص١٣٢، ١٣٦، وصحح الأميني هذه الرواية، ونقلها عن أبي علي السلامي البيهقي في تاريخه، فيما ينقله عن الحاكم الجشمي.

(٥) راجع ص٥٧٠ من البحث، وقصة زوجة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الرباب بنت امرئ القيس ذكرها ابن الأثير في تاريخه، وهذا لا يعنى التسليم بصحتها، بل يتجوز المؤرخون بذكر مثل هذه الروايات كثيراً.

(٦) أعيان الشيعة، ٧/ ١٣٧، ونقلها عن المفيد.

وأنت يا زينب، وأنت يا فاطمة، وأنت يا رباب: انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن علي جيباً، ولا تخمشن علي وجهاً، ولا تقلن هجراً)، ورووا ــ أيضاً ــ أنه لما جلس الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الطف وجون مولى أبي ذر يصلح سيفه والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: (يا دهر أف لك من خليل الأبيات)، جعلت أم كلثوم تنادي: وا محمداه، وا علياه، وا أماه، وا أخاه، وا حسيناه، وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله، فعزاها الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال لها: (يا أختاه تعزي بعزاء الله فان سكان السماوات يفنون، وأهل الأرض كلهم يموتون، وجميع البرية يهلكون)[1].

كما روت الإمامية عن الباقر ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ: (من صبر واسترجع وحمد الله عند المصيبة فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله، ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم، وأحبط الله أجره)[2].

هذا وإضافة إلى ما يضعونه من المرويات فإنهم يستدلون بما يضعونه على آل البيت من المنامات والمكاشفات، ويجعلوننها دليلاً على جواز النياحة، وهو باب واسع يصعب حصره عندهم في هذا الموضع، من هذا ما تتناقله كتب الشعائر الحسينية عن المرجع الشيعي محمد مهدي الطبطبائي، المشهور ببحر العلوم، ت/١٢١٢هـ، حيث ذكر أنه رأى في المنام أن المهدي يشارك في عزاء طويرج، يلطم[3].

٨- **فضل الزيارة**: لقبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كربلاء، ومروياتهم في هذا الباب مشهورة، وعنايتهم بزيارة وحج القبور والمشاهد أمر معروف ظاهر، حتى ظاهوا بها حج بيت الله الحرام، بل قرر بعضهم أن قبر الحسين هو بيت الله الحقيقي[4]، وأن زيارته تغني عن زيارة جده، وهذا الباب واسع يصعب حصره، والداعي إلى ذكره أن مرويات هذا الباب من أكبر دواعي إحياء الشعائر الأخرى، خاصة أنهم خصصوا يوم عاشوراء لزيارة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) سبق تخريج هذه المرويات، راجع ص٥٧٣ من البحث.

(٢) بحار الأنوار، ٦٨/ ٩٦.

(٣) مائة مسألة مهمة حول الشيعة، ص١٠٢، مهدي محمد السويج.

(٤) الخصائص الحسينية، ص١٤٣، وعنه: شجرة طوبى، ١/ ١٧، محمد مهدي الحائري، ت/ ١٣٦٩هـ، ط٥، ١٣٨٥هـ، المكتبة الحيدرية – النجف.

من مروياتهم ـ أيضاً ـ أن: (من زار الحسين كان كمن زار الله في عرشه)[1]، أو أنه (كمن استشهد بين يديه)[2]، وأن موسى طلب زيارة قبر الحسين فأذن له فزاره في سبعين ألفا من الملائكة[3]، ومن توابع هذه الزيارة زيارة الأربعين، ويروون فيها: (أن علامات المؤمن خمسة: التختم باليمين، وتعفير الجبين، وصلوات إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[4].

من مرويات الإمامية في مناسك الزيارة وآدابها: (ثم صل ركعتي الزيارة بمهما شئت وقل بعدهما... اللّهم وهاتان الركعتان هدية مني إلى سيدي ومولاي الحسين بن علي عليهما السلام)[5].

من أشهر الزيارات التي يعظمونها ويقدسونها ويستدلون بها ما وضعوه من زيارة مهديهم الغائب للناحية المقدسة مروية زيارة الناحية المقدسة، لإمامهم الغائب الثاني عشر، ويرمزون له بالناحية، وقد جعلوها وما فيها من ألفاظ مستنداً لكثير مما هم عليه من الأحزان والبكاء والنياحة، وهي زيارة مطولة يدعو بها الزائر، وانتظمت هذه الزيارة كثيراً من أحداث المعركة وشخصياتها المشاركة مع الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بالتسليم على من والى الحسين، ولعن قاتليهم، وعلى ما طرح عندهم من الشكوك حول هذه الزيارة إلا أنها من ضمن أدلة الأحكام التي ينسبونها إلى معصوم بعد أن اعتمدوها تاريخياً[6]، وكفى بهذا التلبيس تسويغاً لما هو منسوب إلى هو من دون

---

(١) كامل الزيارات، ص٢٧٩، ٢٨٢، وفي ص٥١٢، يرويها عن موسى الكاظم فيمن زار قبر ابنه علي الرضا، ومثله في الأمالي، ص١٨٢، الصدوق ابن بابويه،٣٨١هـ، ط ١٤١٧هـ، مؤسسة البعثة – قم. وتهذيب الأحكام، للطوسي، ٦/ ٨٥، وهو مكذوب على آل البيت.

(٢) مستدرك الوسائل، ١٠/ ٢٩١.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ٣١٥، يرويه عن مسند الفردوس، للديلمي، ١/ ٢٢٧، وانظر مدينة المعاجز، هاشم البحراني، ٤/ ٢١٣، وعده من كتب العامة: أي أهل السنة، والمعروف عند أهل السنة أنه من الكتب الضعيفة عند أهل الحديث، كما ذكره السيوطي في مقدمة جمع الجوامع.

(٤) سبق تخريجه ص٥٨٤ من البحث.

(٥) سبق تخريجه ص٦٠٢ من البحث.

(٦) أنصار الحسين، ص٢٨، ٤٧، ١٦٦، ١٧٢، محمد مهدي شمس الدين، ط٢، ١٤٠١هـ، الدار الإسلامية، =

المعصوم، وهذا مؤشر إلى حالة أضعف وأوهى من خيوط العنكبوت.

وبعد: فالإمامية في جانب الأحاديث والمرويات مختلفون، إذ غالبها أو كلها ليست من المتواتر عندهم كما يزعمون ويهولون، وهم يقفون في فهم القرآن والسنة على كلام الأئمة الذي لم يتحققوا منه، هنا يمكن أن أذكر بأهم ما مرَّ من نقد على الإمامية في استدلالهم بأخبار الأئمة ومروياتهم المكذوبة في عاشوراء، وذلك في النقاط التالية:

١- أن "البكاء" هو المستند الوحيد للشعائر ـ من حيث النقل ــ، فيتوسع علماء الإمامية الأصولية في التفريع عليه، ولا علاقة بالبكاء بإقامة المأتم وتوليد البكاء.

٢- أنهم يروون الكذب، ثم يلتزمون بمعرفة الأئمة به، ووجوب رضاهم عنه، لعدم إنكارهم، وهو من تناقضهم.

٣- أنهم يروون أن نساء آل البيت لما قتل المختار عبيد الله بن زياد وجاء برأسه إليهن وثأر لمقتل الحسين؛ تركن النياحة، والحداد، فعن (زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا زرارة إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحا بالدم، وإن الأرض بكت أربعين...، وما اختضب منا امرأة ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد لعنه الله، وما زلنا في عبرة بعده)[1]؛ ومن المعلوم أن هذا خبر رأس ابن زياد كان بعد خمس سنين[2]، فإذا كانت النياحة والمآتم ــ بزعمكم ــ ديناً ومذهباً لآل البيت فكيف يتركنه نساء آل البيت بعد هذه المدة؛ وإذا كان ليس ديناً فلماذا تحيونه، وقد تركوه!.

٤- اعتمادهم على كتب الزيارة والأدعية التي وضعوها على الأئمة، كزيارة الناحية، حتى

=

وكتاب إرشاد العباد استحباب لبس السواد، ص٥٨.

(١) كامل الزيارات، ص١٦٧، وعنه بحار الأنوار، ٤٥/ ٢٠٦ـ٢٠٧، وبقيته: (وإن الأرض بكت أربعين صباحا بالسواد، وإن الشمس بكت أربعين صباحا بالكسوف والحمرة، وإن الجبال تقطعت وانتثرت، وإن البحار تفجرت، وإن الملائكة بكت أربعين صباحا على الحسين).

(٢) إرشاد العباد إلى استحباب لبس السواد، ص٤٩.

إن بعضها أصبحت مرجعاً تاريخياً لقصة المقتل، كما أنها مستند فقهي لشعائرهم! ومما جاء فيها: (برزن من الخدود ناشرات الشعور على الخدود لاطمات وبالعويل نائحات)، ودعاء هذه الزيارة موضع إشكال واختلاف بين الإمامية، فمنهم من يقول بتواترها، ومنهم يشكك فيها، أوفي بعض ألفاظها، ــ هذا مع اعتبار قولهم بوجود المهدي ــ، وأغرب من هذا ما ذكره بعضهم من أن الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لبس السواد في مأتم أبيه علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1]، وبعضهم نسب ذلك إلى الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ــ أيضاً ـ[2]، وعلى ما طرح عندهم من الشكوك حول هذه الزيارة إلا أنها من ضمن أدلة الأحكام التي ينسبونها إلى معصوم بعد أن اعتمدوها تاريخياً!.

٥- متقدمو الإمامية لم يعتبروا مثل هذه الروايات في أبواب الأحكام، بل نقل بعضهم الإجماع على خلافها، بل تروي ما يؤيد هذا الإجماع، وهذا من تناقضهم.

٦- استدلالهم بما يضعونه على آل البيت من المنامات والمكاشفات على جواز النياحة، بل إنهم يصححون كتبهم من طريق المنامات التي ينسبونها إلى آل البيت، فحقيقة أدلتهم مع كونها كذباً إلا أنها مخلوطة، وتتراكم بالتأويل، ومن أشهر كتبهم المتقدمة المعتمد تصحيحها على الرؤيا والعرض على الإمام الغائب كتاب الكافي للكليني، ومثله في المتأخرين كتب الزيارة، ككتب عباس القمي، وكذلك زيارة الناحية المنسوبة لمعدوم!، وكذلك كتب الفلسفة، وكتب الغلاة، ككتب رأس الشيخية أحمد الأحسائي، وهلم جرا[3].

٧- أنهم يقوون ويضعفون الأدلة النقلية (الظاهرة/ الشريعة) بالقرائن الباطنية، وممن توسع وأصل هذا الباب المرجع الشيعي المعاصر محمد باقر الصدر، ويرى أنه إذا

---

(١) بحار الأنوار، ٩٨/ ٣١٨، والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، ص١٤٨، على خان المدنى، ت/ ١١٢٠هـ، ت. محمد صادق بحر العلوم، ط/ ١٣٩٧هـ، مكتبة بصيرتي– قم.

(٢) إرشاد العباد إلى استحباب السواد، ص٥٥.

(٣) انظر: مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم، ٢/ ١٨٥، ميرزا محمد تقي الأصفهاني، ١٣٤٨هـ، ت/ علي عاشور، ط١، ١٤٢١هـ، مؤسسة الأعلمي – بيروت.

تعارض الأمر الظاهري مع الأمر الباطني فإنه يقدم الباطني، لأنه أخص، مثل ما حصل من عدم مشاركة بعض من يرونهم مخلصين من شيعة الكوفة في القتال مع الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

٨- أن اضطرابهم في تصحيح أحاديثهم دليل على عدم اعتبارها، واعترافهم أن ما صح منها لا يفي بدينهم ومذهبهم، وهذا إقرار باختلال مورد النقل والنص عندهم، وهذا وصل إلى حد القطيعة بينهم، كما في النزاع المشهور بين الإخبارية والأصولية، ومن ذلك ما يقوله المحدث يوسف البحراني الإخباري في رده على مصطلح التصحيح والتضعيف في كتب الأحاديث عند المتقدمين، يقول: (وأنت خبير بأنا في عويل من أصل هذا الاصطلاح الذي هو إلى الفساد أقرب من الصلاح، حيث إن اللازم منه ــ ولو وقف عليه أصحابه ــ فساد الشريعة، ولربما انجر إلى البدع الفضيعة، فإنه متى كان الضعيف باصطلاحهم سيما على إضافة الموثق إليه، كما جرى عليه في المدارك ليس بدليل شرعي، بل هو كذب وبهتان، مع أن ما عداهما من الصحيح والحسن لا يفيان لهم إلا بالقليل من الأحكام، فإلى ما يرجعون في باقي الأحكام الشرعية، لا سيما أصولها وفضائل الأئمة وعصمتهم، وبيان فضائلهم وكراماتهم ونحو ذلك.

إذا نظرت أصول الكافي وأمثاله وجدت جله أو أكثره إنما هو من هذا القسم الذي اطرحوه، ولهذا ترى جملة منهم لضيق الخناق خرجوا من اصطلاحهم في مواضع عديدة، وتستروا بأعذار غير سديدة، وإذا كان الحال هذه في أصل هذا الاصطلاح، فكيف الحال في اصطلاح صاحب المنتقى وتخصيصه الصحيح بما ذكره، وما هذه إلا غفلة ظاهرة، والواجب: إما الأخذ بهذه الأخبار كما عليه متقدموا علمائنا الأبرار، أو دين غير هذا الدين، وشريعة أخرى غير هذه الشريعة، لنقصانها وعدم تمامها،

---

(١) شذرات من فلسفة تاريخ الحسين، ص٣٥، ١٠٧، محمد باقر الصدر، ت. أسعد الناصري، ط١٤٣٠هـ، هيئة تراث الصدر. النجف.

لعدم الدليل على جملة أحكامها، ولا أراهم يلتزمون شيئا من الأمرين، مع أنه لا ثالث لهما في البين)[1].

يقول الإمامي أبو الحسن الشعراني في تعليقه على شرح أصول الكافي: (فلذلك ترى أن أكثر أحاديث الأصول في الكافي غير صحيحة الإسناد، ومع ذلك أورده الكليني ـ رضي الله عنها ـ معتمداً عليها لاعتبار متونها وموافقتها للعقائد الحقة، ولا ينظر في مثلها إلى الإسناد)[2]، فهذا إقرار بأن شيخ محدثيهم قرر معتقده أولاً، ثم بحث في كتب الغلاة عن ما يؤيده، وأنه لا يهتم بالإسناد وصحته.

٩- اعتماد الإمامية في هذا الجانب وأمثاله على مروياتهم ومناماتهم المكذوبة، وأذكر هنا نموذجاً من طرقهم في تصحيح الأخبار والأحكام، بل والعقائد بالمنامات، في حين أنها قائمة على المنامات، ومن ذلك مثلاً ما رواه المشهدي في ذكر ما ورد (في فضل أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه وثواب زيارته والحث على ذلك، بالإسناد عن الأعمش، عن جاره الكوفي الذي رأى الرؤيا)[3]، وذكر قصة نقلها عنه المحدث النوري[4]، وقبله المجلسي في موضعين[5]، واليزدي الحائري[6]، ثم جاء خاتمة المحدثين النوري الطبرسي ـ وهو الشاهد هنا ـ، ونقل القصة وعضدها بإسناد جديد، يقوي طريقها الأول!، في مقدمة طويلة ومعاناة في تحصيل الإسناد، وعلو الرواية المنامية.

المحدث الطبرسي رفع من صحة الرؤيا التي ذكرها المشهدي في مزاره، من طريق إسناد

---

(١) لؤلؤة البحرين، ص٤٦-٤٧، نقلاً عن أعيان الشيعة، محسن الأمين، ٥/ ٩٤.

(٢) شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ت/ ١٠٨٦هـ، ت/ أبو الحسن الشعراني وعلي عاشور، ط١، ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت.

(٣) المزار، المشهدي، ص٣٢٥.

(٤) مستدرك الوسائل، ١٠/ ٢٩٦.

(٥) مع زيادة يسيرة وعدم تصريح بالمرجع في الموضع الأول، انظر: بحار الأوار، ٤٥/ ٤٠٢، ٩٨/ ٥٨.

(٦) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب،، ٢/ ٦٥-٧٠، علي اليزدي الحائري، ت/ ١٣٣٣هـ، ت. علي عاشور، المكتبة المرتضوية. طهران، وقد نقل جزءاً من القصة.

جديد للرؤيا، وهو طريق: تصحيح المهدي الغائب لها بالمسائلة مناماً من قبل رائي معاصر للنوري "مجهول"، وكانت الرؤيا مسألة ضمن مسائل كثيرة تحقق الرائي عنها في الحكاية، تصل إلى أربعين مسألة يطرحها بين يدي الإمام الحجة، وهو يقرره، ويقول: (صحيح)!، ومن ضمنها أسئلة عن قبول زيارات محددة، وعن حال الخمس، وعن عدد من الروايات والفضائل، منها هذه المسألة في زيارة الحسين، وهي من حكايات المحدث النوري في كتابه جنة المأوى، وجرت له عام ١٣٠٣هـ، يرويها عن الرائي مباشرة!.

ومما جاء في هذه الرؤيا ما يلي:

(... قال (عليه السلام): إي والله ليس له شئ، قلت له: سيدنا مسألة، قال: اسأل، قلت له: وكان يقول: روي أن سليمان الأعمش قال: كنت نازلا بالكوفة، وكان لي جار كثيراً ما كنت أقعد إليه، وكان ليلة الجمعة فقلت له: ما تقول في زيارة الحسين، فقال لي: بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، فقمت من بين يديه ـ وأنا ممتلئ غيظاً ـ وقلت: إذا كان السحر أتيته، فحدثته من فضائل أمير المؤمنين ما يشحن الله به عينيه، قال: فأتيته وقرعت عليه الباب، فإذا أنا بصوت من وراء الباب: إنه قد قصد الزيارة في أول الليل، فخرجت مسرعا فأتيت الحير[1]، فإذا أنا بالشيخ ساجد لا يمل من السجود والركوع، فقلت له: بالأمس تقول: لي بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، واليوم تزوره.

فقال لي: يا سليمان لا تلمني، فاني ما كنت أثبت لأهل هذا البيت إمامة حتى كانت ليلتي هذه فرأيت رؤيا أرعبتني، فقلت: ما رأيت أيها الشيخ.

قال: رأيت رجلاً لا بالطويل الشاهق، ولا بالقصير اللاصق، لا أحسن أصفه من حسنه وبهائه، معه أقوام يحفون به حفيفاً ويزفونه زفاً، بين يديه فارس على فرس له ذنوب، على رأسه تاج، للتاج أربعة أركان، في كل ركن جوهرة تضيء مسيرة ثلاثة أيام، فقلت: من هذا، فقالوا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وآله، فقلت: والآخر، فقالوا: وصيه علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم مددت عيني فإذا أنا بناقة من نور عليها هودج من نور تطير بين

(١) لعلها: الحائر، أي الضريح.

السماء والأرض، فقلت: لمن الناقة، قالوا: لخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، قلت: والغلام، قالوا: الحسن بن علي، قلت: فأين يريدون، قالوا: يمضون بأجمعهم إلى زيارة المقتول ظلماً الشهيد بكربلاء الحسين بن علي، ثم قصدت الهودج وإذا أنا برقاع تساقط من السماء أماناً من الله جل ذكره لزوار الحسين بن علي ليلة الجمعة، ثم هتف بنا هاتف: ألا إننا وشيعتنا في الدرجة العليا من الجنة.

هل هذا صحيح؟ قال "المهدي": صدق.

قلت له: سيدنا سمعته يقول: روي أنه من زار الحسين (عليه السلام) ليلة الجمعة...

والله يا سليمان لا أفارق هذا المكان حتى يفارق روحي جسدي)(١).

---

(١) جنة المأوى (فيمن فاز بلقاء الحجة عليه السلام في الغيبة الكبرى)، ص٢٧٧، حسين النوري الطبرسي، ت/ ١٣٢٠هـ، وهو ضمن بحار الأنوار، ٥٣/ ١٩٩.

المبحث الثاني

المنطلق العقلي لعاشوراء وشعائرها

وفيه :

المطلـــــــب الأول : أنواع المنطلق العقلي لعاشوراء وشعائرها .

المطلـــب الثـــاني : أثر المنطلق العقلي على عاشوراء ومكانتها ، ونقده .

المطلب الأول

أنواع المنطلق العقلي لعاشوراء وشعائرها

يتردد تعظيم الإمامية لعاشوراء بين عدد من الدعاوى العقلية، كثير منها يدور حول الإمامة وأدلتها العقلية، يجمعها أصل العدل واللطف، وبمقارنة يوم عاشوراء بغيره من أيام الإمامية ومواسمهم نجد أن عاشوراء استولى على مساحة أكبر من هذه الأيام، حتى طغى على اليوم الأول والاحتفال الأعظم لتنصيب الإمامة، وهو يوم غدير خم، في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، وهذا اليوم يغلب عليه الفرح والعيد، أما يوم عاشوراء فيغلب عليه الحزن والمظلومية، لكن انجر الحزن على يوم الغدير وعلى غيره من أيام الإمامية، وهذان اليومان الغدير وعاشوراء تشارك الإماميةَ فيهما طوائفُ أخرى من الشيعة، وبالأخص يوم الغدير، لكن لكثرة اهتمام الرافضة الإمامية الاثنا عشرية بعاشوراء أصبح وكأنه من خصائصهم.

لما كان من لوازم هذا كله التمسح بدعوى المظلومية، والانتصار لحقوق آل البيت في الإمامة والخلافة كان الاهتمام بعاشوراء أبرز، لأنه يجتمع فيه مع الإمامة مصيبة القتل في سبيل طلب هذا الحق ــ بزعمهم ــ، وفي أثناء السعي إليه، بينما في عهد من سبق الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو عهد أبيه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخيه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فالأمر أهون، فعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان قتله بعد استقرار الأمر له، وبعد تحصله على جزء من حقه، وكان قتله من طائفة ليس لها ولاية ظاهرة، أو وجود مستقر، حتى ينشغلوا بأخذ الثأر من هؤلاء القتلة، مع الاتفاق على وضوح القاتل!، وليس الأمر كما في حال الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي ما ولي ولاية ظاهرة، ولم يمكنه أنصاره منها، بل خذلوه وحضروا مقتله، ونقضوا البيعة التي قدموها لرسوله وسفيره، ولا أقل من كونهم كثروا سواد مقاتليه وخصومه ـ لا كثرهم الله ــ، وأما الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه تنازل عن الولاية الظاهرة لمنازعه بعد أن انعقدت له وتمكن منها، فالتنازل بعد التمكن أضعف دعوى المطالبة بالمظلومية؛ ولذا يرون أن مظلومية الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جهة منعه من الإمامة في هذه الحال أعلى من مظلومية أبيه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخيه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكثرة التعلق بهذا السبب

فلا عجب أن ترفع قضية المظلومية مقام إمامة الحسين فوق إمامة أبيه وأخيه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا جميعاً، وأن تجعل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرتكزاً للغلو الباطني في الإمامية في جانبيه التكويني والتشريعي، والذي أصبح أساس الوجود كله.

ارتبط الغلو التكويني عند الاثني عشرية بالغلو بالإمامة استدلالاً وأثراً، واشترك فيهما الاستدلال بالعدل الذي هو أصل من أصولهم، والذي مرَّ بثلاث مراحل كان لهل أثرها على واقع عاشوراء، وهنا أذكر بعض الأمور التي توضح هذا الجانب، وذلك كما يلي:

١- العدل الإلهي:

تعظيم عاشوراء يرتبط بالعدل والتعويض[١] الإلهي للحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وهو نوع من اللطف الواجب على الله، لأن خلافه ـ في نظرهم ـ قبيح، والقبيح منفي عن الله، والحسين ـ عندهم ـ هو الإمام الوحيد الذي حصل له هذا المصاب الجلل، والمقتل المخزي، بحضور ثلة من أهله، وهو الذي بكت له السماوات والأرض، وبكى له سائر الأئمة، ولأن مظلوميته أعلى مظلومية مرت على البشرية! أوجبوا مقابلها التعويض، وجعلوا ترك التعويض قبحاً لا يليق بالله؛ كل هذا بمحض عقولهم وأهوائهم، ولا ندري لو تبين لهم مظلومية أكبر منها هل سيتركون ما هم عليها حتى لا يقعوا في القبح، والغريب أنهم في عاشوراء خلطوا الغلو بالحسين بلعن مخالفيه والبراءة منهم، ولم يعدلوا في لعن شيعة الكوفة الذين خانوه، فهم يستحقون ذلك، لأن تسببهم في حصول الظلم وترك النصرة ظاهر، فضعف ميزان العدل هنا ظاهر، لأن منشأه الهوى والجهل.

زعموا ـ بناءً على ما سبق ـ أن هذا المصاب لا يليق إلا بمقام الحسين، فإن الله عوضه وعوض أهله بأن جعل الإمامة في التسعة من عقبه؛ ولذا فالاحتفاء بعاشوراء هو احتفاء بوجه جديد للتشيع، وطور ثان بعد التأسيس، وموعد للاحتفاء بتسعة من الأئمة، والإمامية وهي

---

(١) لعل بعض الشيعة الإمامية ربط بين التعويض الدنيوي وبين الرجعة، لأنها تعويض دنيوي، فأحيى عقيدة الغلاة بمبرر جديد، فمنهم من ينكر البعث الجسماني، كأحمد الأحسائي زعيم الشيخية، وبهذا يوجبون التعويض الدنيوي للحسين في الإمامة، كما أن في وجوب النياحة محبة وتعويض، وكذلك في الرجعة، وغيرها!

تسارع إلى هذه الخصوصية تستنصر.لقولها في عدد الأئمة في مقابل الأقوال الأخرى للشيعة القائلين بالإمامة ممن يقول بأقل من ذلك، أو من يقول بقبول إمامة من دونهم من أهل الفضل والصلاح والظهور.

لما التزمت الإمامية بهذا الأصل ظهر عندهم في عدد من الصور، منها أنها فسرت به كل ما وضعته من مرويات في فضل عاشوراء، حيث بالغوا في هذه ثواب هذه الشعائر حتى إذا ما أحسوا باستنكار ذوي العقول والفطر السليمة لموضوعاتهم، فحاولوا أن يربطوا ذلك بعظمة الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يقول أحدهم: (فدعوى أن الثواب المترتب على إقامة الشعائر الحسينية من البكاء إلى إنشاد الشعر كثير جداً، لا يتناسب مع الفعل، مدفوعة بأنه من باب التفضل الإلهي، ولا حد لفضله سبحانه)[1]، وهذا صحيح فيما ثبت من الخبر، أما ما بني على باطل فهو باطل، ولذا نجد بسبب العواطف نجد مسمى "الإلهي" سارياً على كل عمل يريدون تحسينه لأتباعهم، حتى أصبحت الإلهية والقداسة تفيض على ذواتهم، فترى وتسمع عبارات: الفقيه المقدس، والضريح المقدس، والشهيد المقدس، والتربة المقدسة.

مثله ــ أيضاً ــ ما يقوله الإمامي المعاصر علي الكوراني: (ولا نبي، من آدم عليه السلام بعلمه للأسماء، ونوح عليه السلام صاحب مقام العبد الشكور، وإبراهيم عليه السلام صاحب رتبة خليل الله، وموسى عليه السلام صاحب مقام كليم الله، وعيسى عليه السلام صاحب منصب روح الله؛ كلهم يطلبون في باب الله سائلين، أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام!، هذه ثمرة عمل الإمام الحسين عليه السلام! إن عملاً هذا جذره ودافعه، وهذه طبيعته، وتلك ثمرته! واجبكم تجاهه أن تعرفوه، وتعرفوه للناس كما هو على حقيقته)[2].

من صور التعويض في عاشوراء عند الاثني عشرية قولهم بوجوب القصاص في الدنيا، وأخذ الثأر للحسين، وأعظم ما يكون ذلك برجوعه إلى الدنيا قبل يوم القيامة، لأن الله وعد بالنصر، وإتمام وعد أوجبه على نفسه، فهو واجب شرعاً، كما أنه واجب عقلاً!، وإذا كان هذا

(١) الشعائر الحسينية المنصوصة، ص١٧٧، محمد حسين ترحيني العاملي.

(٢) الحق المبين في معرفة المعصومين، ص٣٨٤، علي الكوراني العاملي.

قولهم في حق الحسين، فماذا يقولون فيما وقع من شيعته من الخذلان، والمعصية العظمية، هل هذا من العدل؟! أو أن من عدل الله أن يعاقبهم، فبماذا عاقبهم؟ أم أنهم ارتدوا إلا نفراً يسيراً ممن لهم عذر عند الله؟ وهو ما سيأتي عند الحديث عن عقيدة الرجعة ـ بإذن الله ـ.

٢- العدل العرفاني:

العدل العرفاني[١] يتخذ من هذا اليوم وشعائره الحزينة والمؤلمة رياضات روحية للوصول إلى الكمال الإنساني والعشق الإلهي، وهو الإيمان العرفاني، الذي يتجلى أعلى صوره ــ عند العرفانيين الشيعة ــ في كربلاء يوم عاشوراء، فالحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هو الإنسان الكامل، وكما يعبر عنه الكاتب الإمامي بقوله عن هذا المقتل: (لأول مرة يخشع الكمال الإنساني على منظره بين الجد والسبط)[٢]، وخلال موسم عاشوراء شعائر ورياضات يتوصل السالك الموالي ـ بزعمهم ـ إلى معرفة الحقيقة وكشفها، كما جرى للحسين وأصحابه، فمقابلها جعلوا من العدل أن يكون هذا اليوم عظيماً، وتعلقوا به تعلق العشاق بمعشوقهم، ولمحاولة التقرب منه والتشبه به.

أصبح يوم عاشوراء بزمانه ومكانه منبعاً للقداسة والعصمة، فتمنح الإمامية من خلاله ما يعرف بالعصمة الصغرى لغير الأئمة، كمن شارك وقتل مع الحسين في كربلاء، ولمن يسيل دمعه، أو يريق دمه في ذكرى اليوم، فيتبرك بتلك الدموع والدماء لشفاء المرضى، ولأمان الموتى من فتنة القبر، وبالترقي في سلم المعارف، والتشرف بلقاء المهدي[٣]، فالعدل العرفاني فرصة للتعويض الروحي للشيعة، فبعد أن فقدوا ولاية الأئمة الظاهرة تعلقوا بولايتهم الباطنة "التكوينية"، وهذا تعويض لهم على محبتهم وعشقهم للأئمة، وخاصة الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

---

(١) سيأتي ـ بإذن الله ـ الحديث عن العرفان في الفصل القادم، انظر ص٧٧٧ من البحث.

(٢) مقدمة تاريخ الحسين: نقد وتحليل، ص١٨١، عبد الله العلايلي، ط٢، ١٩٩٤م، دار الجديد – بيروت.

(٣) سيأتي هذا في مبحث العرفان الشيعي في الفصل القادم، بإذن الله.

٣- لطف ولاية الفقيه:

ولاية الفقيه[١] جاءت ضمن مصلحة دفع الضرر عن الأتباع، ومما تقرر الإمامية حصوله لها من ذلك ضررها بطول زمن الغيبة الكبرى للإمام الحجة، فإنه لم يحق لها إقامة سلطان ولا دولة، ولا إعلان جهاد وثورة، فتبين للقوم عظم الضرر بهذا الحال، ولا سبيل لرفع هذا الضرر إلا بأن ينوب عن الإمام نائب يتولى مهامه وخصائصه في الجهاد والخروج والبيعة، ولا يتأتى ذلك إلا بمنحه شيء من قداسة الإمام وعصمته، وذلك تحت مبرر أنه مقدمة للظهور الأكبر، وتحضير لدولة المهدي؛ وتمخض هذا اللطف عن فكرة ولاية الفقيه[٢]، ونيابته عن الإمام، والذي تبناها عملياً مرشد الثورة المعاصرة الخميني، وإن كانت كتبهم ونصوصهم توحي بذم تعجل ظهور المهدي، وأن من مفاسده إنكار حكمة الغيبة، وعدل الله، ونسبة القبيح إلى الله، أو تأويل الأخبار على ما يشتهيه ذلك المتعجل[٣].

هذا مع كون الأخبار المتعلقة بظهور المهدي من الأخبار البدائية، أي التي يجري عليها البداء[٤]، وقد يعبرون عنه بمحو الكتاب، أي يكتب في لوح المقادير القابلة للمحو، فيمضي الله أمره خلاف ما كتب في هذا الكتاب، وثم هو البداء لله، والذي يظهر من كثرة مناماتهم وكشوفاتهم أنهم ينبئون أو يتنبئون بظهور المهدي كثيراً، لكنه يبدو له أمر جديد، فيبتلون بكثرة البدوات، وهكذا أصبح اللقاء بالمهدي أنيساً لهم، وهو نوع من كمالهم، حيث يكشفون شيئاً من الغيب، بيد أن بعضهم توسع من خلال العرفان الإشراقي، وقد جدوا أمر الغيبة خير معين لهم في ترويج باطلهم، فيا لله ما أعظم حيرة القوم، وما أصعب حيرتهم زمن الغيبة، وما أصعب مذهبهم وأعسره باعترافهم، وهم مبتلون بالعجز عن كتمانه إذا علموه، وعدم

---

(١) اللطف ليس أصلاً جديداً، بل هو من العدل، لكن لكثرة تعلقهم به أفردته، وخصصته للطف ولاية الفقيه.

(٢) من المواطن التي يتعرض فيها الفقهاء لولاية الفقية في مباحث التصرف في أموال الغير، كولي الصغير واليتيم، انظر: مصباح الفقاهة، الخوئي، ٣/ ٢٨٥، ٢٨٦- ٢٩٠، وسبق ذكره ص٣٠٠ من البحث.

(٣) مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم، الميرزا محمد تقي الأصفهاني الموسوي، ٢/ ١٨٢، وقد وصف مؤلف الكتاب كما في المقدمة، ١/ ٥: بأنه عاشق وصل إلى مرحلة الملاقاة مع الإمام!.

(٤) المرجع السابق، ٢/ ١٨٧.

الصبر على تحمله، ثم هم يدعون أنه لطف عام، بل ومن أهم الألطاف الواجبة على الله[1].

في النظر إلى الفترة فيما بين بداية الدولة الصفوية والثورة الخمينية نجد أن ولاية الفقيه جاءت تعبيراً جديداً للظهور، بعد ظهور البابية[2]، وهي انسلاخ من بعض حال التقية والانتظار، يحتاج معه إلى الخروج والثورة، قياساً على الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي انتقل من الصمت والموادعة إلى الجهر والمواجهة، وأثار الولي الفقيه دعوى الضرر من تأخر الظهور، وأنه لا بد من القيام بأعمال المهدي، ومنها الانتقام من الظالمين والطواغيت وأهل الباطل، وهو عمل من خصائص المهدي الغائب، إذ هو صاحب العدل والثأر، وهذا المعنى يتوافر في عاشوراء أكثر من يوم الغدير، فاحتاج الإمامية بنظر هذا الفقيه إلى نسخ هذا الاختصاص،

---

(١) مكيال المكارم، ٢/ ٣١٦-٣١٧، وفيه: (في حديث آخر عنه .عليه السلام. قال: إن حديثنا صعب مستصعب، شريف كريم، ذكوان زكي، وعر لا يحتمله ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا مؤمن ممتحن، قلت فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال .عليه السلام.: من شئنا يا أبا الصامت؛ قال أبو الصامت: فظننت أن لله عبادا هم أفضل من هؤلاء الثلاثة)؛ وفي الكافي (١/ ٤٠١ - ٤٠٢) عقد الكليني باباً اسمه (فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب)، ومما أورد فيه: (عن بعض أصحابنا، قال: كتبت إلى أبي الحسن صاحب العسكر .عليه السلام . جعلت فداك، ما معنى قول الصادق .عليه السلام . (حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان)، فجاء الجواب: إنما معنى قول الصادق .عليه السلام - أي: لا يحتمله ملك ولا نبي، ولا مؤمن- أن الملك لا يحتمله حتى يخرج إلى ملك غيره، والنبي لا يحتمله حتى يخرجه إلى نبي غيره، والمؤمن لا يحتمله حتى يخرجه إلى مؤمن غيره، فهذا معنى قول جدي عليه السلام...)؛ وفي الكافي (١/ ٣٦٩) -أيضاً-: (عن علي بن يقطين، عن أبي الحسن موسى .عليه السلام. قال: قال أبو الحسن .عليه السلام.: الشيعة تربى بالأماني منذ مأتي سنة، قال: وقال يقطين لابنه علي: ما بالنا قيل لنا فكان، وقيل لكم فلم يكن قال: فقال له علي: أن الذي قيل لنا ولكم كان من مخرج واحد غير أن أمركم حضر. فأعطيتم محضه، وكان كما قيل لكم، وإن أمرنا لم يحضر. فعللنا بالأماني فلو قيل لنا: إن هذا الأمر لا يكون إلى مأتي سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب، ولرجع عامة الناس عن الإسلام، ولكن قالوا ما أسرعه وما أقربه! تألفا لقلوب الناس، وتقريبا للفرج).

(٢) يلاحظ أن الإمامية قبلت مرحلة السفارة (الغيبة الصغرى) كمقدمة للغيبة الكبرى، لكنها أنكرت دعاوى البابية، فكفرت وتبرأت من البابية والبهائية، ومع إنكار طائفة منهم لولاية الفقيه إلا أنها مقرة في الظاهر عند كثير من مراجعه٤م، ولا ندري هل هي تقية مؤقتة من سلطة الفقيه وجبروته سينكرونها فيما بعد، ولا أظن ذلك، وخاصة الطائفة الأصولية.

أو ادعاء التفويض فيه[1]، وأنه من قبيح العقول أن يختص به الإمام الغائب، الذي لا يعلم موعد ظهوره، وهذا نوع من البداء في الإمامة جنساً أو وقتاً، فكما أن الإمامة ــ عندهم ــ حجبت وصرفت عن الابن الأكبر لجعفر الصادق ــ وهو إسماعيل ــ إلى الابن الصغر، وهو موسى، وذلك بسبب موت الأكبر في حياة أبيه، فكذلك تأخر الظهور، وطول الغيبة هو نوع من الموت يتصرف معه الفقيه في الإمامة ولو إلى حين ظهوره.

ما يعنينا مما سبق أن هذا التغيير واللطف المزعوم هل سيمنح مقام الفقيه وفتواه تأثيراً على عاشوراء وأعمالها؟ وهذا ما يتبين من خلال الاعتناء الظاهر من الخميني في عاشوراء، واعتبار أن ثورته هي امتداد لثورة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنها أول تطبيق عملي لخطى الحسين، وبذلك يختصر الخميني الزمن بين الحدثين، بل يخاطب جماهير الثورة بأنهم خير من الجماهير الأولى زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحجاز، ومن الجماهير زمن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الكوفة[2]، لأنهم أنجحوا ثورته، ولذا لا غرو أن تحمل ثورة الخميني في طياتها عنفاً وقلقاً واضطراباً، لأنها مبشرة بدولة المهدي؛ لكن فتاوى الخميني والخامئني من بعده في بعض الأعمال كالتطبير لم تلق الإجماع ولم تحظ بالقبول، مما يدل على الشك والريبة من ثورته وفكرة وحدود ولايته من قبل المراجع الإمامية، ومنها خوفهم من إلغاء تقليدهم في مسائل الاختلاف، وتخفيف مواضع التقليد، وقطع ولايتهم في تصريف الخمس، والذي كان يقبضه المراجع المقلدين من أتباعهم[3].

لذا أصبح الخلاف في الشعائر ميداناً للتلميح بعدم الخضوع لهذه الولاية، واستغلال العاطفة الدينية للجماهير لتأييد كل قول، والغريب أن يصل الحال ببعض الخلاف أن يوصف مرشد الثورة بأنه يزيدي وأموي، وهو وصف لقمة الظلم والطغيان، فالخلاف والانحراف

---

(١) الفقيه هنا ناب عن الإمام في ولاية أمر الناس الولاية التشريعية، وعندهم أن الإمام أولى بالناس من أنفسهم وأموالهم، وله التصرف فيهم، وهذا التصرف من الفقيه في تقدير الضرر نوع من نيابة الفقيه، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الجانب عن الحديث عن الولاية التكوينية والولاية التشؤيعية، راجع ص٢٧٥ من البحث.

(٢) راجع ٣٦٩، ٤٤٩- ٤٥٦ من البحث.

(٣) انظر: الخمس وسهم الإمام، ص١٧٨-١٨٣، فيصل نور، ١٤١٩هـ، سلسلة الحقائق الغائبة (٣)، طبعة شبكة المناصحة، من دون ذكر تاريخ ودار النشر.

المذهبي ـ إذن ـ سيصل إلى الكفر وأشد درجات الظلم تحت هذا العنوان!.

مع وجود الخلاف المذكور إلا أنه حصل شبه اتفاق بين الطرفين على وصف هذه البدع بأنها: (شعائر الله، وشعائر الحسين، والشعائر الحسينية، وشعائر عاشوراء)، وأنها من شعائر الله التي يجب تعظيمها، وإن كانت هذه اللفظة شاعت في الفترة المتأخرة، وخاصة بعد الضجة المشهورة التي أحدثها كتاب محسن الأمين العاملي، ت/ ١٣٧١هـ[1]: "التنزية لأعمال الشبيه"، وكانت يطلق فيها على أعمال عاشوراء عبارة: "شعائر الحزن"[2]، ولعل الردود على هذا الكتاب ساهمت في ترسيخ المشروعية والتسمية، وشاهدنا أن هذه التسمية لم تكن مشتهرة قبل قرنين في كتبهم[3]، مع وجود صور أخرى من الغلو قبل هذا الكتاب، من مثل تسمية أبنية مجالس العزاء بالحسينيات، على أنه خلال هذه الفترة حصل خلاف من بعض مشاهيرهم في مشروعية بعض الأعمال التي تستجد في كل حين، إلا أن هذا الإنكار لا أثر له، وذهب في طي النسيان، إلا أن أشهر من بقي من المخالفين في العصر. الحاضر هو المرجع اللبناني محمد حسين فضل الله وتلاميذه، والذي خالف في بعض الأعمال، كالتطبير وغيره، كما أنه خالف في أصل التسمية بشعيرة، فاستنكر إطلاق اسم الشعائر الحسينية على هذه الأعمال، لأن اسم الشعائر توقيفي[4]، لكن كلامه متجه على ما ينكره منها، لا على ما يقره من مجالس وبكاء وتشابيه.

أعمال عاشوراء تشتمل على بدع مشتهرة استقر تعظيمها منذ زمن قديم عند الإمامية وغيرهم، فليست محل اختصاص لهم، كحج المشاهد وزيارتها، كما تشتمل على بدع أخرى

---

(١) محسن بن عبد الكريم علي العلوي العاملي الشقرائي، محسن الأمين، (الزيدي الحسيني نسباً)، (١٢٨٤- ١٣٧١هـ)، ولد في جبل عامل، تتلمذ في بلده على موسى شرارة، ثم في النجف، وأجيز بالاجتهاد المطلق والمرجعية، واستقر في دمشق، له عناية بالشعر ودواوينه، من كتبه: أعيان الشيعة، وهو أشهرها، والدر الثمين (الرسالة العملية)، وكشف الارتياب، يدافع فيهما عن الشيعة، ويتهجم على حنابلة نجد، انظر: الأعلام، ٥/ ٢٨٥- ٢٨٧؛ وقد شنع عليه أبناء طائفته من الشيعة، واتهمه بعضهم بالزندقة بسبب إنكاره للتشابيه.

(٢) التنزيه لأعمال الشبيه، ص٤٣، محسن الأمين الحسيني العاملي، ط ١، ١٣٤٧هـ، مطبعة العرفان. صيدا.

(٣) أي بعد الدولة الصفوية.

(٤) حديث عاشوراء، ص٢٢٠، محمد حسين فضل الله، ت. جعفر فضل الله، ط٢، ١٩٩٨م، دار الملاك - بيروت.

ازداد اعتبارها، كالمواكب والتشابيه والمآتم والحداد والحسينيات، وترك الأعمال والمكاسب، والتطبير والزناجيل واللطم والغناء ونحوها، حتى نرى أنهم انشغلوا بيوم عاشوراء عن غيره من الأيام كأيام الفطر وعرفة والأضحى، وألفوا لآحاد هذه البدع الرسائل والكتب[1]، كما ألفوا لمجملها ومجموعها بحوثاً وكتباً على شكل استفتاءات[2]، وهذه البدع وإن كان يوجد جنسها عند غيرهم لكنهم اختصوا بجمعها في يوم عاشوراء، وهذا ما لم يحظ به يوم الغدير، فليس في عهود الشيعة الإمامية ما يعرف باسم شعائر الغدير، أو شعائر علي، أو العلويات، مع وجود بدع تختص بهذا اليوم، وهذا ـ أيضاً ـ مع قرب الغدير من شعائر الحج زماناً ومكاناً، حيث جاء بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع.

---

(١) منها في القرنين الماضيين ما يلي:
١- نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين، محمد حسن الاصطهباناتي.
٢- إرشاد العباد إلى استحباب لبس السواد، للميرزا جعفر الطبطبائي الجائري، ت/ ١٣٢١هـ.
٣- التطبير حقيقة لا بدعة، ناصر المنصور.
٤- تاريخ النياحة على الإمام الحسين بن علي، لصالح الشهرستاني.
٥- المآتم الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، لعبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي.
٦- السجود على التربة الحسينية، لعبد الحسين الأميني.

(٢) مثل كتب مشروعية الشعائر الحسينية، ومنها ما يلي:
١- نصرة المظلوم، لحسن المظفر.
٢- التنزية لأعمال الشبيه، لمحسن الأمين.
٣- الشعائر الحسينية في الميزان الفقهي، لعبد الحسين الحلي، أو النقد النزيه لرسالة التنزيه في الرد على السيد.
٤- الرسول المصطفى والشعائر الحسينية، لباسم حسون سماوي الحلي، معاصر.
٥- فتاوى علماء الدين في الشعائر الحسينية.
٦- قامعة أهل الباطل في الرد على محرمي الشعائر الحسينية، ط (منار الهدى. علي البحراني).
٧- الشعائر الحسينية، لمحمد حسين بن الشيخ محمد آل المظفر النجفي، ت/١٣٨١هـ.
٨- الشعائر الحسينية، حسن الشيرازي،
٩- الشعائر الحسينية، كيف ولماذا؟، الميرزا حامد حسن النواب.
١٠- مشروعية الشعائر الحسينية، مهدي معاش.
١١- أجوبة المسائل الحسينية، لصادق الحسيني الشيرازي، ت / ١٤٢٩هـ.

قد تكون الشعائر الحسينية ممهدة لترسيم الشعائر الفاطمية التي يلوح في الأفق كثرة التركيز عليها في الفترة القريبة والمقبلة، مما يوحي بأن المذهب الإمامي يعيش حالة من الاندفاع إلى هذا الاسم المسمى، وهو مرحلة تاريخية مشهورة من تاريخ الشيعة، وهذا التدرج ليس غريباً على أصول المذهب الباطني، وإن كان يتستر أحياناً بالتقية باسم الظهور[١]، أو عن طريق دخول الغلاة تحت مظلة التشيع الإمامي الاثني عشري، وقد سبق أن هؤلاء يتخذون هذا التشيع دهليزاً يلجون منه إلى غلوهم ومآربهم.

وبعد أن عرضت لثلاثة منطلقات، وهي العدل الإلهي، والعدل العرفاني، والبداء واللطف الإمامي في ولاية الفقيه، بقي أن أشير إلى استفهام حول المنطلقين الأخيرين: فأيهما أكثر أهمية واعتباراً وجذباً في موضوع الشعائر وأحكامها؟ هل هو منطلق العدل العرفاني أو المذهب الفقهي الإمامي، باعتبار الفقهاء حراس لشعائر المذهب الظاهرة، والتي تعد نوعاً من الظهور؟ وبمعنى آخر: أيهما أهم وأكثر حضوراً الشعائر العرفانية الباطنية أم الشعائر الفقهية الظاهرية؟

إن طبيعة غموض المذهب وصعوبته القديمة سيراعى معه طبيعة الجماهير البسيطة، وسيهتم بالشعائر الفقهية الظاهرة، على أنها رمز ومرحلة لما هو أعم وأعظم، إلا أنه مما يتعلق بالشعائر الفقهية أن الإمامية قامت من خلال حوزاتها ببحث مسائل الاجتهاد والتقليد، وتوسعت في دعوى فتح باب الاجتهاد، لكنها لا زالت تقول بأنه يلزم المقلد تقليد مرجع معتبر من الفقهاء الأحياء، وهو ما يعرف بالأعلم والأوثق، ويتعرف على ذلك من خلال دراسته بالحوزات، أو تزكية من نشأ بينهم لمرجع ما، هذا فيما يتعلق بالشعائر الظاهرة، أما فيما يتعلق بالشعائر الباطنة فهي من جنس طرق الصوفية والعرفاء، والذين لا يعتنون بالشعائر الظاهرة، وستتعرف في الفصل القادم على واقع المذهب من هذا الجانب، وأنه حصل في هذا الجانب صراع مشهور بين متصوفة الشيعة، وبين من يكفرون التصوف والصوفية، كما حصلت من البعض معارضة للعرفان الشيعي.

الأنواع الثلاثة المذكورة تعبر كل واحدة منها عن مرحلة من مراحل الإمامة عند

---

(١) انظر: الأسرار الفاطمية، المسعودي، ص١٤٩، فاطمة والعدل الهي، وولايتها التكوينية والتشريعية.

الاثني عشرية، فالمنطلق الأول وهو "العدل الإلهي" راجع إلى تأثر الإمامية بالمعتزلة، ولذا يسمون بالعدلية، وهو راجع إلى قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين، وهذه المرحلة وإن قلَّ وجودها فقد يوجد من يمثلها اليوم، ومن هؤلاء من مراجع المذهب المعاصرين هو المرجع اللبناني محمد حسين فضل الله، ت/ ١٤٣٢هـ، وهو ممن يتبنى الجانب العقلي في أطروحاته، وقد اعترض على بعض شعائر عاشوراء، كما له اعتراض على تسويغ الجانب الأسطوري في حياة الأئمة، كما يحذر من تقديس الأئمة من خلال الزيارات والمجالس، وهي ما يسميه "التصنيم"، وغيرها من الأطروحات التي قدمها في المجتمع الشيعي.

قد لاقت أطروحاته صدى لدى مجموعة من أبناء الشيعة ومثقفيهم، إلا أنها قوبلت بعنف شديد من الحوزات الرئيسة للشيعة في قم والنجف، وتبنت الرد عليه، وطالبته بالتراجع، ووصلت الحدة في الخلاف بينهم وبينه إلى درجة سحب الاعتبارية والدرجة العلمية التي منحها من قبل، والتي على ضوئها أصبح مرجعاً، وله وكلاؤه الذي يقبضون خمس الإمام، والذي يعنينا أن الطرح العلمي من هذه المدرسة لا زال تحت الاختبار والتجربة بعد وفاة زعيمها.

من المسائل المشتركة بين هذه المنطلقات الثلاث هي مسألة أصل العبادة، فما هو الأصل العقدي لعبادة الله من خلال هذه الشعائر أو غيرها، أي: ما الموجب للعبد أن يعبد الله: هل هو موجب عقلي، فتكون العبادة واجباً عقلياً؛ أو هو موجب شرعي، فتكون واجباً شرعياً؛ فالمنطلق العقلي يقتضي أنه واجب عقلي، وهم بعد أن أوجبوا على العبد عقلاً معرفة الله بالنظر، فبعده العبادة والتأله، وقد يعبرون عن العبادة والتأله بقولهم: المستحق للعبادة، كما هو قولهم في معنى الألوهية في كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"؛ وقد يكون هناك موجب آخر له تأثيراً وظهوراً في شعائر عاشوراء، هذا ما أتمنى أن يوضحه الحديث عن المنزع الأجنبي الخارج عن طبيعة التشيع المعروفة، وهو موضوع الفصل القادم.

ما سبق يحوجنا إلى التذكير بالعقائد المتعلقة بعاشوراء، كي نتعرف بعدها على مكانة عاشوراء في المذهب عند الإمامية، وهو موضوع المطلب القادم.

المطلب الثاني

أثر المنطلق العقلي على عاشوراء ومكانتها، ونقده

إذا عرفنا فيما سبق المنطلق العقلي لشعائر عاشوراء بواقعها التي وصلت عليه عند فرق الإمامية اليوم، فكذلك من المناسب أن أذكر أثر هذا المنطلق العقلي على عاشوراء من جانبين لهما أهمية لدى الطائفة، ولعل معرفة هذين الجانبين يكون معيناً في معرفة منطلقات وتفسيرات أخرى لبعض الشعائر التي لا زالت تتجدد لدى القوم، والتي يسوغها تحت مبررات فقهية، والحقيقة أنها مرتبطة بهذا الأصل، فالخلل الفقهي في فتاوى المراجع هو امتداد للأثر العقدي للمنطلق العقدي، ومعرفته يكفى عن الإطالة في تتبع الخلل الفقهي والأصولي في فتاوى مراجع الإمامية التي هي نوع من إبطال الشريعة والتلاعب بالمذهب، وهذا الجانبان هما:

١- أثره على العقائد الفرعية للإمامة.

٢- أثره على هوية المذهب وشعاره.

أولاً: العقائد الفرعية للإمامة:

العقائد المرتبطة بشعائر عاشوراء لا تنفك أن تكون مرتكزة على أصل واحد تتفرع منه، وهو أصل الإمامة، الذي هو أصل المذهب وعماده وشعاره، لكن بسط الكلام حول هذه العقائد يعين في فهم أسرار جديدة في عدد من الشعائر، إذ بعضها يحظى باهتمام واضح وجلي أكثر من غيرها، وذلك بحسب متعلقها من تلك العقائد، وأنا هنا ألخص ما سبق أن ذكرته في الباب الأول(١) مشيراً إلى ما يتعلق بعاشوراء وشعائرها، وذلك كما يلي:

١- الغيبة: أي غيبة الإمام الثاني عشر، وهي من أبرز الفروق التي تميز الإمامية عن فرق الشيعة الأخرى القائلة بالإمامة، وهذه الغيبة لطولها واختلاطها بالكذب والتصوف فإنها اتخذت من عاشوراء وشعائرها فرصة لتجديد الإمامة ورياضاتها، وهي إما أن تلجأ واقعاً إلى التنازل عن هذه العقيدة، أو التحايل عليها وتحويرها، وذلك باستبدالها بجنس ما عند فرق

---

(١) راجع ص٢٦٧- ٣٣٢ من البحث.

الباطنية التي تغلو في معظميها ورؤسائها، إما بظهور بعد استتار، أو بحضرة للأموات؛ وكما أن الصوفية تنطلق من يوم الغدير فتنتسب إلى صاحب الإمامة الباطنية فيه، وهو الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١)، فكذلك لها مسحة ظاهرة على شعائر عاشوراء بسبب الاتصال بين الطائفتين من وقت مبكر.

من آثار هذا الاتصال وجود شعائر البيعة، والحضرة المهدوية والفاطمية في مجالس العزاء، والرقص والغناء واللطم وضرب الأجساد، وكثرة دعاوى اللقاء بالمهدي وأخذ الأوامر منه يقظة ومناماً، كما سيأتي بإذن الله ــ، ودعاوى اللقاء بالمهدي إضافة إلى أنه يوسع هذه البدع التي سموها شعائر فإنه يزيدها مشروعية عندهم.

٢- التقية: يدعي جمع من الإمامية أن هذا الزمان المعاصر ليس بزمان تقية، ولذا فإنه يجب إظهار الشعائر، ولكن وجوب إظهارها ليس له علاقة بأصل مشروعيتها، ولا زالت التقية تشكل أعقد مسائل الشيعة وإن ادعوا زوالها، إذ هذه الشعائر مدينة بالانحراف على قدر انحراف هذه العقيدة، وإذا لاحظنا أن الإمامية تروي عن آل البيت تذمرهم من كثرة الكذب عليهم، وكثرة الكذابين حولهم، ومحاولات إخراجهم من تقيتهم، فهذا يعني أن باب التشريع مقترن بالوضع والتلبيس منذ زمان الأئمة، بل حتى هذا الزمان فإن باب التشريع مفتوح لوجود الإمام الغائب، الذي تقر الإمامية بالاستناد إلى ما ترويه عنه، وما يتلقاه الأتباع منه مباشرة، أو مناماً، وهذا يجعل باب المشروعية لم يكتمل بعد، إضافة أن فتاوى الفقهاء مدينة لرغبات العوام وأهوائهم، وأن يكتم الحق ويقر المنكر إرضاء لهم.

لذا شهدت القرون المتأخرة التأكيد على مشروعية هذه البدعة الكبرى، وتسميتها شعائر الله، والمطالبة بإظهارها لأنها أساس الدين، وهي ليست أول انحراف في باب البدع العملية إذ سبقت بتعظيم الإمامية للزيارات البدعية الشركية للقبور والأضرحة، وسموا ذلك حج المشاهد، لكن هذا الانحراف شاركهم فيه طوائف أخرى، فلم يعد مختصاً بهم، لكنهم أحيوها بشكل جديد من خلال عاشوراء، وبما ضموا إليها مما يعمل في مناسبات الموالد من مجالس

---

(١) انظر: شرح أصول الكافي، ٤/ ١٥٢.

وأفراح مختلطة بالبكاء والحزن؛ فاختلطت مشروعية بدع عاشوراء الجديدة بمشروعية تلك الزيارات، لكنهم حين يستشكل عليهم بكونها بدعاً محدثة يعارضون ذلك بالجزم بأن الذي منع منها زمن الأئمة هو التقية، ولو كانوا في غير تقية لفعلوها قطعاً!، وكيف يكون ما يمكن أن يفعلوه بدعة؟، ولا شك أن هذا من التلبيس المبني على افترائهم في الإمامة والعصمة أصلاً، ففرعوا عليهما ما أمكن أن يفعلوه، وتصوروا وروده منهم، ولكنهم منعوا منه للتقية، فإنه مشروع عند ارتفاعها[1].

إذا كان علماء المذهب هم من يقرر تلك البدع الأولى فلم يستطيعوا منع المستجدات في عاشوراء التي يصرح عدد من علمائهم بإنكارهم لعدد منها، كالتطبير والزناجيل والتشابيه وغيرها، إلا أن هذه المواقف تتهاوى أمام قبول العوام لها ومسارعة بعض علماء المذهب إلى إقرارها، خوفاً من سلطة العوام، فهؤلاء الفقهاء كما أنهم في تقية بسبب سلطة الحكام، فكذلك هم في تقية من سلطة العوام، وهذا مما ساعد في تضخم هذه البدع وتشعبها، حتى أصبحت شعاراً وشعيرة يصعب الانفكاك منها، كما صعب الانفكاك من تلك الزيارات الشركية، فكان العلماء كالمبرر لها بعد وقوعها، لا المقرر لها قبل أن تقع، فأصبحوا يسيرون خلفهم، بل وأصبح رضاهم علامة تزكية لأولئك الفقهاء المجتهدين، حتى أصبح الفقهاء يسارعون لمودتهم وكسب ثنائهم، ويقررون لهم في مواسم البدع خلاف ما أصلوه وقعدوهم في بحوثهم.

يصور الإمامي هبة الله الشهرستاني هذه الحال فيقول: (فصار العالم والفقيه يتكلم من خوفه بين الطلاب غير ما يتلفظ به بين العوام وبالعكس، ويختار في كتبه الاستدلالية غير ما يفتي به في الرسائل العملية، ويستعمل في بيان الفتوى فنوناً من السياسة والمجاملة خوفاً من هياج العوام)[2]، بل أصبح التحذلق في موافقة العوام مجالاً لإثبات الفقاهة والسعي إلى مراتب الاحتهاد والتقليد، يقول مرتضى مطهري في هذا الصدد:(إن حكومة العوام هي منشأ

(١) انظر فتوى الميرزا جواد التبريزي، في صراط النجاة، ٢/٥٦٢، سؤال (١٧٤١).

(٢) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص٢٣٢، د. علي الوردي.

رواج الريـاء والمجاملـة والتظـاهر وكـتمان الحقـائق، والاهـتمام بالمظـاهر وشـيوع الألقـاب والمقامات والتطلع إلى المراكز العليا في مجتمعنا الديني مما لا نظير له في العالم)[1]، وهم في كل هذا الانحراف على خطى الإمام الحسين! ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما أحقهم بما رووا في كتبهم:(لو قام قائمنا لبدأ بكذابي شيعتنا)[2].

مما يؤكد تنافس فقهائهم في إرضاء عوامهم ما اشتهر عندهم في الفترة المتأخرة أن التطبير من عمل العوام، وأنه لم يطبر مفت، أي مرجع مجتهد، وممن يتصدون للفتوى، إلا أنهم وفي صخب إصرار العوام على هذه العادة القبيحة وجد من يبادر إلى إرضاء العوام وموافقتهم، فبدأ أحد المراجع الشيرازيين[3] بالتطبير أمام الملأ في عاشوراء، مع امتناعهم فترة من الزمن عنه بدعوى أنه يوهن المذهب، وأنه لا يسوغ للأعيان والمجتهدين فعل ذلك، وهو مما رفع أسهم هذا المرجع أمام مقلديه وغيرهم، في مقابل الذين يحرمون هذا العمل ويمنعونه.

إذا كان قد جرى في القرون المتأخرة إنكار لبعض بدع عاشوراء التي حدثت، فقد تعدى الأمر ـ هذا الإنكار ـ إلى أن هذه البدع تميزت واختصت في القرن الأخير بنسبتها إلى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإطلاق اسم الشعائر عليها، وشعائر الله، والشعائر الحسينية، وهم مع عدم نشرهم لهذه الشعائر وعنايتهم بها من قبل فإنهم لم يحتاجوا إلى بث كلامهم فيها وتقريرهم لها، لكنهم لما جعلوها فرصة للدعوة إلى التشيع ولظهور المذهب احتاجوا إلى نشر تأصيلهم لهذه البدعة ومشروعيتها وتحسينها أمام أتباعهم، وأمام طوائف المسلمين، لكونها شعاراً لهم، إذ سيكون الاستفهام حولها من قبل المدعوين من أهم العوائق التي قد تمنع من اعتناق مذهبهم، فلا بد لهم من تقريرها بشكل موسع ومهول، مما يظنونه من أسباب القبول، ولا شك أنه سيصحبها طرح لعقائد المذهب عموماً، وهذا مما يعدونه نزعاً للتقية.

يتحدث الإمامية من خلال مواسمهم ــ كعاشوارء خاصة ــ عن ارتفاع التقية في هذا

---

(١) انظر: الخمس وسهم الإمام، ص٢١٨.

(٢) ينسبونه لجعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقد سبق.

(٣) وهو صادق الشيرازي، ومن المشهور ما بين تيار الشيرازيين وتيار المؤيدين لولاية الفقيه من النزاع والخلاف.

الزمن، حتى لو تعرض الشيعة لضرر القتل، ما دام الفقهاء يرون رفع التقية، فيقول الخوئي: (الواجب ترك العمل بالتقية، وتوطين النفس للقتل، لأن المفسدة الناشئة عن التقية أعظم وأشد من مفسدة قتله؛ نعم، ربما تكون المفسدة في قتله أعظم وأكثر، كما إذا كان العامل بالتقية ممن يترتب على حياته ترويج الحق بعد الاندراس، وإنجاء المؤمنين من المحن بعد الابتلاء، ونحو ذلك، ولكنه أمر آخر؛ والتقية بما هي تقية متصفة بالحرمة في تلك الصورة كما عرفت، ولعله من هنا أقدم الحسين سلام الله وصلواته عليه وأصحابه رضوان الله عليهم لقتال يزيد بن معاوية، وعرضوا أنفسهم للشهادة...)[1]؛ فالخوئي يجدد عقيدة السيف، ويمهد للثأر والخروج، ويقرر أمراً للطائفة في هذا الزمن في حد التقية، فيقول: (بل الظاهر بما ورد من أن التقية شرعت ليحقن بها الدم فإذا بلغت التقية الدم فلا تقية إن التقية جارية في كل شيء سوى القتل)[2]؛ وهذا يدل على أن عاشوراء هي نوع من التحريض على الثأر والقتال؛ كما أنه نوع من البداء.

٣- البداء: وأصل الكلام فيه حول مسألة الإمامة وانتقالها من شخص إلى آخر، ولكن الذي يعنينا هنا هل يرتبط البداء بأحكام هذه الشعائر ومشروعيتها؟ (فقرات) أي في جانب الحلال والحرام، فهل تكتسب هذه الأعمال مشروعية مع أن الفتوى فيها صادرة من غير معصومين، وهل ستكون عاشوراء وشعائرها من مقاييس الأعلمية للمراجع الفقهية، ومن فرص منح المراتب العليا بين الفقهاء، كمرتبة النيابة في الولاية عن الإمام الغائب، أو تكون مجالاً للاعتداء على خصائص الإمام التكوينية والتشريعية ومنحها للفقيه، أو فرصة لإعلان

---

(١) كتاب الطهارة، ٤/ ٢٤٦- ٣٢٧، والخوئي له تحرير مطول ومهم عن التقية، تحت عنوان: (إذا كانت الضرورة هي التقية)، وذكر هذا البحث المطول عند المسح على الخفين تقية، بدلاً من مسح الأقدام، ودخوله تحت تقية الضرورة، ومن أنواعه التقية المحرمة بالقتل: والتي ذكرها، ٤/ ٢٥٧، ويفهم من كلامه أنه يرى أن الأولى تنزيل بعض الأحوال -كهذا الزمن- على ترك التقية وجوباً، وبها يثني على الشهيدين من الإمامية، وهذا مما يعني تشجيع من يترك التقية ويلجأ للثأر، ولو عرض نفسه ومن معه للقتل، وهذا هو الخروج، والذي يقوله من يري السيف.

(٢) كتاب الطهارة، ٤/ ٢٥٩؛ ويقول في تعليله لأحد المسائل، ٤/ ٣١٨: (لا بد من حمل ما ورد من أنه ليس منا من لم يجعل التقية شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون سجية مع من يحذره على التقية بهذا المعنى الأخير).

موعد الظهور، وحقيقة المهدي، وكلا الأمرين يتعلق بما هو من موضوعات البداء، ولازالت الخلافات بين المراجع الفقهية توحي بأن هذه الشعائر تحتمل المزيد من المفاجات، خاصة مع وجود مجموعات أعلنت ظهور المهدي ونوابه، وخاصة في البلدان القريبة من مزارات الشيعة في كربلاء والنجف.

ثمت مسألة مهمة هي مما يتعلق بالبداء والتقية معاً، فيظهر من النصوص التي يروونها أن من أسباب البداء تركهم التقية، فإذا تركوها عوقبوا بالتأخير وزيادة الحيرة ـ عياذاً بالله ــ، ومما ترويه الشيعة أن الله يغضب على شيعته إذا كثرت معصيتهم، وأن الله حين ذاك يخير الإمام بين أن يموت، أو أن تعذب شيعته ويهلكون، فيختار الإمام أن يموت وتبقى شيعته! من ذلك ما أورده الكليني في الكافي: عن (علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن بعض أصحابنا، عن أبي الحسن موسى ــ عليه السلام ــ قال: إن الله عز وجل غضب على الشيعة، فخيرني نفسي، أو هم، فوقيتهم والله بنفسي)[(١)].

هل الإمام يعلم بمصيبته، وكذلك شيعته؟ وهل كونهم يعلمون يعني أنهم مجبورون لا اختيار لهم؟ الذي يظهر من صنيع الكليني أنهم يعلمون ذلك، ويكون باختيارهم[(٢)]، وقد سبق أن من اختيارهم أن يخيروا بين أمرين: أن يقبض الله شيعتهم بعذاب، أو أن يقبضهم فداء لشيعتهم[(٣)]، وإذا كان من الممكن أن نستثني الأئمة، فما حال شيعتهم، وإذا كان الله يعوضهم بعقوبة وأجر، فهل يلزم أن يعوضهم الأجر في الدنيا؟ حيث يظهر أنهم أوجبوا أن يرجع الحسين قبل يوم القيامة، وهذا نوع تعويض لهم.

---

(١) الكافي، للكليني، ١ / ٢٥٨ـ ٢٦٠، باب: أن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم، وشرح أصول الكافي، للمازندراني، ٦/ ٤٠، وحكى بعضهم أن الحديث ضعيف، وفي سنده إرسال، وأن المجلسي ضعفه في مرآة العقول، وكذلك السيستاني، في استفتاءات السيد السيستاني، ص١٨.

(٢) انظر: شرح أصول الكافي، ١/ ١٢، للمازندراني، والتعليق لأبي الحسن الشعراني، نقل الشعراني كلام الحلي، وذكر التعويض على المصائب (العدل الإلهي)، وأن الله يعوض العبد في الآخرة، أو في الدنيا بحيث يرضى المبتلى، وأن القدر علم الله بما سيقع، وأن علمه لا يوجب جبر العباد.

(٣) راجع ص٦٧٠ من هذا الفصل، وانظر قريباً فقرة الرجعة التالية.

لكن هناك معنى آخر للعقوبة كأن يزيد خذلانهم بسبب معاصيهم، وأن ترفع أئمتهم، ومنها أن يعاقبوا بذلك بسبب تركهم للتقية، فهم لما كاتبوا الحسين ودعوه للخروج، أخرجوه من التقية ونشروا سره فعاقبهم الله، وهذا يظهر منه أن الواجب عليهم ألا يخرجوه، وأن فعلهم كان معصية، فهم في عاشوراء يحتفلون بيوم معصيتهم عياذاً بالله، كما أنهم بذلك يتركون التقية التي أمروا بلزومها حتى يخرج الحجة القائم، فإذا احتفلوا تداعوا للتبشير به بين الناس ـ كما هو ملاحظ اليوم ـ، وهذا خروج عن التكليف، ومعصية، وظاهر نصوصهم أنهم سيعاقبون بها، ولو بأن يبدو لله في أمرهم أن يؤخرهم، كما أخروا بعد كربلاء، ثم أخروا في زمن موسى الكاظم، وغيرها، وكيف لو عوقبوا بأعظم مصيبة عليهم أن يعاقبوا بأن يموت الحجة قبل خروجه![1].

هذا مما يدل على عظيم ضلالهم وحيرتهم، نبرأ منهم، ونحمد الله على الهداية، وهم في هذا الباب فرق وأحزاب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[2]، ولهم حظ ممن الوصف الذي جعله الله لقوم معرضين عن الحق، مفرقين لدينهم، فرحين بتحزبهم، فقال سبحانه: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾[3].

٤- الرجعة: وهي مبنية على أصل العدل، والغرض من هذه العقيدة هو الانتقام من ظالمي آل البيت وقتلتهم ـ كما يزعمون ـ، ولا شك أن أنسب مواقيتها هو يوم عاشوراء، وفي شعائر الإمامية تحضير لهذه الرجعة، كشعيرة البيعة، وصيحات التلبية والثأر، وإحضار عدة الحرب ولباسها، ومن أبرز وأول من يرجع حسب معتقد الإمامية هو الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويرجع معه الخلص من شيعته والخلص من أعدائه ليقتلهم، ولعل انتهاك الإمامية لخصائص الإمام زمن الانتظار فتح مجالاً لأن تكون عاشوراء موضع التنفيس للمذهب مقابل دعوى

---

(١) سبق ص٣٨٥- ٣٩١ من البحث.

(٢) الأنعام: ١٥٩.

(٣) الروم: ٣٢.

الظلم والتقية اللذين عاشتهما الشيعة في تاريخها، وهذه الشجاعة العلمية المذهبية لدى الفقهاء يستوحونها من شجاعة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتضحيته في كربلاء، والتي نزع من خلالها التقية، إضافة إلى أن الحسين ــ من بين الأئمة ــ سيرجع في آخر الزمان، لينتقم لشيعته، وشجاعة الحسين ورجعته من دواعي الاعتناء بعاشوراء، ومن مسوغات قبول هذه البدع العاشورائية.

مما يقوي القول برجعته ما يروونه من أن الإمام لا بد أن يموت ميتة طبيعية، وأن من استشهد في المعركة سيرجع لتحصل له هذه الميتة، وقد يكون من لوازمه أن الشهيد لم يمت بعد، وأنه هو الذي يأخذ بالثأر، وأنه لا بد أن ينصر. ومثله ما أورد العياشي مرسلاً: (أفرأيت من قتل لم يذق الموت؟ قال: فقال: ليس من قُتِل بالسيف كمن مات على فراشه، إن من قتل لا بد من أن يرجع إلى الدنيا حتى يذوق الموت)[1].

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهذه العقيدة هي عقيدة نظرية خلال زمن التقية والانتظار، من أول الأئمة حتى آخرهم، وهي من خصائصهم، ولم تبرز ــ عندهم ــ عملياً تحت اسم الخروج على الظالم إلا في عمل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والشيعة في قرونها المتأخرة لم تعتمدها بشكل شرعي إلا من خلال ثورة الفقيه الجامع للشرائط الذي أعلن نيابته عن الإمام، ولا شك أن هذا الفقيه سيكون له موقفاً من عمل الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عاشوراء، ولذا نرى أن الخميني مرشد الثورة الإيرانية المعاصرة استغل موسم عاشوراء بشكل بارز، وقدم موقفه منه ومن شعائره، مما يعني أن إقراره لشعائر عاشوراء سيمنح ولايته مشروعية جديدة، وقداسة جديدة، كما سيجدد ربطها بأصل هذه العقيدة وهو أصل العدل واللطف، وسيجعل هذا الأصل من منطلقات تعظيم هذه الشعائر ووجوب إظهارها، كما أنه ـ قبل ذلك ـ من أدلة ثورة الفقيه نيابة عن الإمام الغائب.

تتكرر العبارات والشعارات التي ترفع في عاشوراء باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخروج على الظالم، وكل هذا يساهم في دفع زمن التقية، وما يعرف بالانتظار السلبي، ورفع الاختصاص للأئمة بهذا العمل، مما يجعل عاشوراء ميداناً لمزيد من الانحراف في أصول

---

(١) سبق تخريجه ص٦٧٢ من البحث.

المذهب، وقد سبق أنهم يتخذون عاشوراء موعداً لرفع التقية، والثورة على الحكام، والإنكار عليهم، إلا أن علماء المذهب ورموزه تعترف بعدم قدرتهم على إنكار المنكر الذي يقع فيه عوام الناس من الشيعة المتعلقين ببعض المنكرات المنسوبة إلى عاشوراء.

مع توسعهم في تنظير تقليد العامي للمجتهد، فهم لا زالوا في تقية معهم، بسبب تسلطهم على فتاويهم، فلم يستطع علماؤهم إزالة هذه المنكرات اليسيرة، وكما يروى عن المرجع المشهور البروجردي أنه حين أنكر على القائمين على مأتم عاشوراء بعض العادات المخلة بالعزاء في عاشوراء كان الرد عليه: (أننا نقلدك في "٣٦٤" يوماً من السنة، ولكننا في يوم عاشوراء لا نقلدك)[١]، وهم مع هذا العجز والحال يريدون رفع المنكر الأعظم، وهو ظلم الحكام، ولا شك أن هذا من الخذلان، ومن المداهنة في دين الله.

ثانياً: هوية المذهب وشعاره:

بما أن الإمامية جعلت الدين هو الإمامة فكل ما يرتبط بها سيكون من الدين، فإحياء أخبار الأئمة ومصائبهم وتجديد ذكرها من إحياء وتجديد الدين، وعاشوراء تأتي ضمن فضائل وخصائص أهل الكساء الخمسة، إلا أنها بتعلقها بآخر الخمسة، واختصاصها بغدر وخيانة شيعته له؛ تأتي هذه الشعائر بروح تأكيد المحبة وإبراز أفضلية إمامته، وبروح التوبة والاعتذار عن الظلم الذي وقع عليه، بعد ذلك الغدر الذي لم تتمكن شيعته من رفعه في حسنه، أو دفعه، ولذا مازج الشعائر مظاهر الفدائية والتحدي، ومن ذلك نرى أن الإمامية غلت من خلال عاشوراء في ميزان المحبة للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومقياس للولاء للإمامة والأئمة عموماً، فجاءت المحبة بارزة في مقابل الظلم، وكأنه تراكمت من خلال الزمن إلى أن أصبحت العبادة كلها في مفهوم الإمامية تنشأ وتنبعث من باب المحبة، وهي التي يسمونها "عبادة الأحرار"، وقد ساعد ذلك وفرة النصوص المغالية في حق الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنها:

١- أن الأئمة هم شعائر الله[١]، وأيامهم من أيام الله وعلائم معرفته، فكل ما تعلق بهم

---

(١) انظر: الخمس وسهم الإمام، ص٢١٨.

(١) ورد عبارة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نحن الشعائر والأصحاب)، وردت في نهج البلاغة، انظر:، وفي مكيال =

فهو من تعظيم لله وشعائره وأيامه، بل إن تعظيم شعائرهم من أجلى مصاديق تعظيم شعائر الله الواردة في قوله تعالى: من مصاديق شعائر الله في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾(١)، بل الإمام أولى من البدن في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾(٢))(٣).

يقول الميرزا محمد تقي الأصفهاني في تقرير ما سبق: (فتحصل مما ذكرناه أن كل ما كان له انتساب خاص إلى الله تعالى أوجب شرفاً له، وكان من جملة شعائر الله، وكان تعظيمه تعظيم شعائر الله، سواء كان انتسابه بلا واسطة، أو مع الواسطة، ومواقف الإمام ومشاهده من جملتها، فهي نظير المساجد التي تنتسب إلى الله تعالى، بسبب وضعها لعبادة الله عز وجل لكن هذا لا يستلزم المشاركة مع المساجد في جميع الأحكام، لأن الأحكام الخاصة التي وردت في الشرع لمكان خاص مخصوصة به لا يتعدى فيها إلى غيره إلا بدليل خاص)(٤).

لا شك ــ عندهم آخراً ــ أن أعظم أيامهم يوم عاشوراء، فهو من معالم عظمة الله، ومن أيام طاعته، وفيه مواساة لمصائب آل البيت؛ كما يلزمهم أن أهم أعمال هذا اليوم الاقتداء بنفس عمل الحسين، وهو الخروج والثورة، والجهاد "الابتدائي"، وهم حين يقتدون بالحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فهم يقلدونه فيما هو من خصائص المهدي الغائب، سواء كان ذلك بالثأر والانتقام، أو بإعلان الجهاد وابتدائه، وهو ما عطلوه قروناً عديدة.

٢- أن مجالس العزاء هي شعار الإسلام وقوام بقاءه عندهم، فالأئمة هم حماة الدين ومبلغوه، وإحياء أمرهم إحياء للدين وحفظ له، يقول المرجع الإمامي محمد الشيرازي:

=

المكارم، ٢/ ٢٩٤، نقلاً عن مرآة الأنوار: ١٩٨، ومستدرك سفينة بحار الأنوار، ٥/ ٤١٧، لكنها يتيمة، لم تحظ بتفعيل في الفترة الماضية.

(١) الحج: ٣٢.

(٢) الحج: ٣٦.

(٣) أجوبة المسائل الحسينية، صادق الشيرازي، ص٦٧.

(٤) مكيال المكارم، الأصفهاني، ٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤.

(مجالس العزاء من عوامل بقاء الإسلام واستمراريته)[1]، ويقول المرجع الشيعي كاشف الغطاء: (أما والله لولا تعظيم هذه الشعائر وقيام أعواد هذه المنابر لما اخضر.للإسلام عود، ولما قام له عمود)[2].

يقول الإمامي محمد مهدي الخرسان: (نذكر من ذلك مسألة "الشعائر الحسينية"، فلو لم يكن الاهتمام بها لزالت، ولسرى الشك في كل ما يرجع إليه حتى أصل وجود الإمام الحسين عليه السلام في قبال يزيد لعنه الله، وما جرى من المصيبة في كربلاء على يد هذا الفاجر، فإن الأعداء كانوا يرمون محو هذا الشعار الذي هو الركن في بقاء الإسلام)[3].

٣- أن عاشوراء موعد لإعلان الإمامة وحق الأئمة، وموعد لإنقاذ البشرية من الضلالة، فإحياء عاشوراء من العدل، وما كان كذلك كان مشروعاً وعظيماً، وكما يذكر أحدهم أن عاشوراء موعد أعلن فيه الحسين قدسية العبادة وقدسية الشهادة، وهما مهمان لبقاء الإسلام، وأن الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء[4]، وقد يترقى بعضهم في القول فيجعل الإسلام علوي والتشيع حسيني[5]، ويعبر آخر عن المآتم ومجالس العزاء بأنها الشعيرة الناطقة، وأنها خير وسيلة لتبليغ رسالة الحسين العالمية[6].

٤- أن الحزن يوم عاشوراء من أهل الأرض استجابة وموافقة لما يعمله أهل السماء، فالملائكة ـ بأمر الله ــ تقوم بنشر.ثوب ملطخ بالدم للحسين في السماء الدنيا "لبس المسوح"، فهو موعد لنياحة الملائكة، وندمهم على عدم مشاركته في الدفاع عن الحسين، روى نعمة الله

---

(١) ثقافة عاشوراء في فكر الإمام الشيرازي، ص٥٩، مركز الإمام الشيرازي للبحوث والدراسات، ط٢، ٢٠٠٢م، مركز الإمام الشيرازي - بيروت.

(٢) الآيات البينات، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ص٨.

(٣) اليقين، علي ابن طاووس، ت/ ٦٦٤هـ، (المقدمة: محمد مهدي الخرسان الموسوي)، ت. محمد باقر الأنصاري، محمد صادق الأنصاري، ط٢، ١٤١٠هـ، مؤسسة الثقلين - بيروت.

(٤) مشروعية الشعائر الحسينية، مهدي معاش، ص٢٧.

(٥) المصدر السابق، وهو من كلام المرجع الشيعي محمد حسين كاشف الغطاء.

(٦) مشروعية الشعائر الحسينية، مهدي معاش، ص٨٤. ٨٥.

الجزائري: (وشعارهم يا لثارات الحسين)[1].

٥- أن عاشوراء موعد لزيارة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وزيارة القبور من شعائر الله، حتى أصبحت مثل ركن الإسلام الحج، وكذلك بناؤها، فهي أماكن عبادة ![2]، فعاشوراء موعد للتذكير بالحسين وأهله وأنصاره ورسالته، وتكون زيارة الحسين في عاشوراء، وفي الأربعين من أعظم الشعائر عندهم وأظهرها[3]، بل عدوا من لم يزر الحسين فهو (منتقص الإيمان منقص الدين، إن أدخل الجنة كان دون المؤمنين فيها)[4]، ويروون: أن من لم يزر من غير علة فهو (من أهل النار)[5]، وكل ذلك من التعويض الإلهي للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والعدل الإلهي، حيث عوضه الله بالزوار هذا اليوم، روى الطوسي في أماليه عن الباقر والصادق: (عوض الله الحسين من قتله أن جعل الإمامة في ذريته،.. والشفاء بتربته)[6]، بل زعموا أن زوار قبر الحسين أعلى منزلة من حجاج بيت الله الحرام، والواقفين عشية عرفة، وأنهم أحب الله من هؤلاء، ومن أسباب التفضيل كما جاءت به رواياتهم المعتبرة عند فقهائهم: (لأن في أولئك أولاد زنا، وليس في هؤلاء أولاد زنا)[7].

يقول الشوشتري معلقاً على أخبار الزيارة: (بل يستفاد من بعض النصوص وجوب زيارة سائر الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين أيضا، كرواية الوشاء: (قال: سمعت الرضا عليه الصلاة والسلام يقول: إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وأن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا لما رغبوا فيه كان

---

(١) الأنوار النعمانية، ٣/ ٢٣٩.٢٤٠.

(٢) كشف الأسرار، الخميني، ص٧٩.

(٣) مشروعية الشعائر الحسينية، مهدي معاش، ص١٠٢.

(٤) كامل الزيارات، ص٥٦، وسائل الشيعة ١٤/ ٤٣٠.

(٥) كامل الزيارات، ص١٩٣، بحار الأنوار، ٩٨/ ٥، وسائل الشيعة، ١٤/ ٤٣٢.

(٦) بحار الأنوار، ٤٤/ ٢٢١ .

(٧) بحار الأنوار، ٩٨/ ٨٥، جامع أحاديث الشيعة، ١٢/ ٤٠٥، وعلق د. فلاح إسماعيل على هذه الرواية بتعليق يوافق فروع المذهب الإمامي، فقال: (فالشيعة ليس فيهم أولاد زنا، وذلك ببركة دينهم ومذهبهم الذي أباح الزنا واللواط باسم المتعة)، انظر: العلاقة بين التصوف والتشيع، ص٣٨٠.

أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة).

بل يفهم من هذه الرواية ونظائرها أن التمسك بحبل ولا يتهم والإيمان بإمامتهم لا يتم إلا بزيارتهم صلوات الله عليهم، فلا يكون أحد إماميا إلا بالاعتقاد الجناني بإمامتهم والإقرار اللساني بها والحضور بالبدن العنصري عند قبورهم، فالزيارة هي الجزء الأخير لسبب اتصاف المسلم بكونه إمامياً، وتركها كفقدان سابقيها، يوجب الرفض المبعد عن رحمته الواسعة أعاذنا الله تعالى منه، فالإمامة التي هي من أصول الدين يتوقف التدين بها على زيارتهم عليهم السلام، فلها دخل في تحقق هذا الأصل الأصيل الذي هو أساس الدين، فإذن يخرج وجوب الزيارة الذي قال به جماعة كالفقيه المقدم أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، والمحدث الكبير صاحب الوسائل، والعلامة المجلسي، وغيرهم قدس الله تعالى أسرارهم؛ عن الأحكام الفرعية التي تكون قاعدتا الضرر والحرج حاكمتين عليها، ويندرج في الأصول الاعتقادية التي لا مسرح لقاعدتي الضرر والحرج فيها)(١).

وبعد: فقد عرضت فيما سبق أثر المنطلق العقلي لعاشوراء وشعائرها من خلال فروع عقائدهم، ومن خلال هوية التشيع في مرحلته الأخيرة، ونقد الأدلة والأصول العقدية عند الإمامية يتبين من خلال مكانة عاشوراء العقدية؛ وتبين أن دعوى محبة آل البيت بعد أن كانت عندهم من العلامات المستحبة في الإيمان أصبحت من الأوصاف التي يرتبط بها أصل الإيمان، بل ويبنى عليها الجوانب العملية من خلال العقائد المرتبطة بها، من بداء وتقية ورجعة وظهور، ويمكن في هذا الجانب أن أذكر بما مر أثناء المطالب السابقة من نقد على الإمامية في أدلتهم النقلية على عاشوراء، مع شيء من الإضافة والإيضاح، وذلك في النقاط التالية:

١- تحولت المسائل العبادية إلى أصول عليها مدار الولاء والبراء.

٢- اضطرابهم في مسألة التقية، وكتمان أمر المهدي، فمع تواتر الأدلة والأخبار على وجوب ذلك إلا أن احتفالهم بعاشوراء، وترديدهم لأمره معصية توجب العقوبة! لأنه من البوح بسره، وهو تكليف بما لا يطيقونه من خلال تاريخهم، وهذا يعني أنهم

---

(١) منتهى الدراية، محمد جعفر الشوشتري، ٦/ ٦٣٧- ٦٣٨.

يقولون بالتكليف بما لا يطاق، وهو مخالف لأصولهم العقلية، وهو شاهد على ضلالهم.

٣- قولهم بالوجوب العقلي، والتحسين والتقبيح العقليين، كقبح ترك التعويض، وحسن وجوب التعويض، مما سبب لهم كثرة الخطأ في أقيستهم، وذلك لتقليدهم غيرهم في باب أصول الاعتقاد.

٤- أن نصوصهم تخالف أصولهم العقلية، إذ هي قائمة على الترغيب والترهيب، فالواحد من عامتهم يتنازعه الخوف الشديد من وجه، والرجاء الشديد من وجه، من غير اعتدال بين، ولذا أصبح الجمع بينهما مشكلة عويصة في معرفة حقيقة المذهب، وكثيراً ما يقفون متحيرين من مذهبهم، وأنه صعب مستصعب، فكيف يكون هذا هداية للناس، فالإسلام دين تقبله الفطر السليمة.

٥- أن قولهم في الغيبة متنفس للمذهب الباطني لديهم، وهم في هذا مثل الصوفية، وسيأتي الحديث عن تشابه الطائفتين في الفصل القادم بإذن الله.

٦- مذهب يقوم على الإنكار على الحكام، لوجود منكر الظلم، لكنهم يتركون هذا المنكر عند العوام، مع اعترافهم أن سلطة العوام أشد من سلطة الحكام في إفساد المذهب، وهذا قائم على سوء معتقدهم ومذهبهم في معرفة المنكر وتقديره.

٧- أنهم في عاشوراء يحتفلون بيوم معصيتهم وخذلانهم، فبسبب تلاعبهم بعقيدة البداء ينقلب الحزن إلى احتفال وفرح، وإذا كان اللطف العقلي له أثر في تسويغ عقيدة الإمامة فليس بمستغرب أن نجد من الإمامية من يتوجه إلى القول بوجوب أن يكون يوم عاشوراء موعد نهاية الغيبة وخروج المهدي في يوم عاشوراء، مع أنهم يحرمون في الظاهر التحدث عن اسمه وموعد خروجه، خشية من غضبه وطول استتاره وغيبته.

٨- الغلو في المحبة دخل عليهم بشكل تراكمي حتى أفسد المذهب الأول لهم، وهكذا تتداخل البدع، وتتجارى بأهلها.

٩- أنهم بهذه التكاليف المبتدعة، والانشغال بأدلتها المكذوبة والموهومة، أنهم أعرضوا

عن القرآن، فاستعاضوا بالبكاء عن دعوة القرآن وتلاوته وذكر أسراره وهداياته، وعن دعوة الناس إليه، وأشبعت نفوسهم من هذه البدعة حتى دعوا لتكرارها كل أسبوع وكل شهر، زعماً أن لها فوائد كثيرة، وأنها توجب سعادة الدنيا والآخرة[1]، فكيف أعرض القرآن عن ذكر هذا الطريق، واهتدوا له، ومن حججهم في تسويغه أن هذا العمل فيه ذكر لآل البيت، وهو خير من أن ينصرف إلى الملاهي.

١٠- انطلاقهم من مبدأ العاطفة، حتى جعلوها رهبانية.

١١- اضطرابهم في موضوع الضروريات، فهذا أحد الأصوليين ينقد لنا اضطراب أحد أعلامهم المشهورين، وهو المجلسي، فهذا أحد علمائهم المعاصرين يتعقب المجلسي ويبين اضطرابه في هذا الباب، وذلك في معرض حديثه عن علماء المذهب، وتأويلهم لألفاظ الصفات، كصفة البداء لله، وأنها من جنس تأويل صفة الغضب والرضا، ـــ كما عند المتكلمين ـــ، وأن تأويل أخبار القرآن من الضروري، فيقول أبو الحسن الشعراني: (وذكر العلماء أن إنكار الضروري دليل على إنكار الرسالة وعلامة للخروج عن ربقة الإسلام، ومعنى الضروري أن يكون ثبوته في دين الإسلام بديهياً، لا يقبل الشك كالصلاة والحج بحيث لا يمكن أن يعتقد أحد رسالة نبينا ــ صلى الله عليه وآله ــ، ولا يعتقد وجوب الحج في شرعه إلا أن يدعى شبهة ممكنة في حقه مثل أن يكون في بلاد بعيدة عن الإسلام أو يكون قريب العهد به بحيث يمكن أن يتصور جهله به)[2].

ثم يقول متعقباً المجلسي في هذا الجانب: (ولكن في اعتقادات المجلسي ـ رضي الله عنهما ـ في تعداد الضروريات ما يوهم التناقض، فإنه عَرَّف الضروري بما لا يخفى على أحد من المسلمين إلا ما شذ، ثم عَدَّ منه اشتمال الصلاة على تكبيرة الإحرام والقيام على الأظهر، وقوله: "على الأظهر" يدل على عدم كونه ضرورياً، وعدَّ من الضروري

---

(١) ثقافة عاشوراء في فكر الإمام الشيرازي، ص٥٩.

(٢) شرح أصول الكافي، المازندراني، ١/ ١٤– ١٥، المقدمة، لأبي الحسن الشعراني.

غسل النفاس على الأظهر، وكون الريح ناقضاً للوضوء على احتمال، يعني يحتمل كونه ضرورياً، وهذا تناقض ظاهر لأن الضروري ما لا يحتمل الخلاف.

قال: اشتمال الحج على الرمي ضروري على احتمال، والجمع بين الزوجة وأختها وأمها ضروري على الأظهر، وحرمة الربا في الجملة على احتمال، والعجب أنه عد حرمة الربا ضرورية على احتمال، مع أنه حرام من غير شبهة، يعرف ذلك غير المسلمين ـ أيضاً ـ من مذهب الإسلام، وعد من الضروريات رجحان السلام ورده على الأظهر، ورجحان صلة الأرحام على احتمال.

قال: وغير ذلك مما اشتهر بينهم، بحيث لا يشك فيه إلا من شذ منهم، وأقول: وهذا عجيب ولا يبعد أن تكون هذه الرسالة منحولة، وإذا كان الضروري ما لا يشك فيه كيف يوصف بالاحتمال والأظهر، ومعنى الاحتمال والأظهر أن فيه شكاً، وكلام المجلسي ـ رضي الله عنه ـ مثل أن يقول أحد: أظن أني عالم بمجيء زيد، ثم يجعل ذلك علماً)[1].

هذا الاضطراب إذا كان من مثل شيخ المذهب فما بالك بغيره، ويبين الشعراني مدخل الاضطراب عند المجلسي وغيره في هذا الباب، كاعتذار له، فيقول: (والعلامة المجلسي ـ رضي الله عنه ـ أيضا كان أبعد الناس في المتأخرين من التأويل بالقرينة العقلية، ومع ذلك أول جميع الروايات الواردة في تجسم الأعمال ووزنها في الآخرة على خلاف ظاهرها، بأن ذلك محال عقلاً، وقال: لا يتصور أن يتجسم العمل ويكون له وزن، ونسب جميع من حملها على ظاهرها إلى الضلال، ووافق العلماء في تأويل آيات الجبر والتفويض ورواياتها، ونسبة السهو والعصيان إلى الأنبياء: إذ علم استحالتها، ولم يوافقهم في إنكار البداء والحبط[2] وغير ذلك، وبالجملة الناس مختلفون في إدراك القرائن العقلية مع اتفاقهم على التأويل فيما

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الحبط: أي حبوط الأعمال.

يعتقدون استحالته، فبعضهم لم يعرف استحالة كون الله تعالى جسماً، وفي جهة، وعلى العرش، ولم يؤلها...)[١].

هذا الاضطراب انسحب على شعائر عاشوراء، لكن طغى تعظيمها، وهذا مما يؤكد زيادة انحراف المذهب بعد زمن المجلسي، وهو مع تورعه ـ الذي عرضه الشعراني ـ عن التأويل بسبب المنطلق الاعتزالي المستفيض بين علماء المذهب، فإن المذهب طغى عليه ما هو أدهى وأخطر، وهو المنطلق العرفاني الباطني.

١٢- أن باب الغلو مفتوح، لا ضابط له، وهذا خلاف وصية الرسول (**قولوا ببعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان**)[٢]، بينما عند القوم فالباب مشرع، وهذا عبد الحسين الأميني في غلوه بأهل البيت يقول: (فلما لم تك تعرف كل واحدة واحدة من تلكم الجهات المذكورة الخاصة بهم أهل البيت الطاهر وعشرات وعشرات أمثالها مما لم تذكر على حقيقتها ومقاييسها، ولم تبين بقدرها وخصوصياتها، فالقول بالغلو فيما يتبعها وينبعث منها من الحب تافه سرف جزاف من القول[٣]، لا مغزى له، وإنما الغلو كما مر آنفا هو التجاوز عن الحد، وذلك لا يتصور إلا بعد عرفان الحد والقياس، وأنى لنا بذلك: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾[٤]، على أن القول فيما توصف به العترة الطاهرة من العلم والإرادة والقدرة والتصرف والرضى والغضب والحلم والعفو والرحمة والتفضل والتكرم إلى ما سواها، وإن بلغ ما بلغ، وبالغ فيها الواصف ما بالغ، فإنما هو واقف لدى حدود الإمكان لا محالة، ولا مماثلة، ولا مشاكلة قط بينها وبين

(١) المرجع السابق.

(٢) سنن النسائي (الكبرى)، ح/ ١٠٠٠٧، أحمد، ح/ ١٣٥٢٩، ١٣٥٣٠، ١٢٥٥١، ١٣٥٩٦، وفي بعض أسانيده مؤمل بن إسماعيل، وهو ضعيف، ولكن له متابع.

(٣) أن من يتهم هذه الجوانب بالغلو فقوله إسراف، وقوله باطل وفيه مجازفة عن الصواب.

(٤) الأنعام: ١٥٠.

صفات الواجب تعالى، والسنخية بينهما منتفية من أصلها، فمتى ثم)[1].

هذا ومثله كثير، وهو كاف في بقاء المذهب بيئة ودهليزاً لطوائف الغلو والزندقة، وهذا سيتضح ــ أيضاً بإذن الله ــ في الحديث عن الصوفية والعرفان، وأثرهما على التشيع وعلى عاشوراء.

(١) سيرتنا وسنتنا، الأميني، ص٤٢.

الفَصْلُ الثَّانِي

علاقة الاتجاهات الباطنية بعاشوراء الإمامية الاثني عشرية

وفيه:

تمهيـــــــــــد.

المبحـــــث الأول: الاتجاه الصوفي، وأثره على عاشوراء الإمامية.

المبحـــث الثـــاني: الاتجاه العرفاني الفلسفي، وأثره على عاشوراء الإمامية.

التمهيد

هذا الفصل يحكي مرحلة الإمامة الباطنية التي اصطبغت بها الطائفة في القرون الوسطى، فكانت مقدمة لظهور مرحلة التشيع الصفوي، الجامع بين التشيع والتصوف، وهذه البيئة الباطنية كانت لها أثر واضح على مواسم الطائفة، ومما يعنينا منها عاشوراء، ولأن هذه المرحلة موضع للصراع المذهبي حول التصوف الشيعي فقد أبرزت هذا الجانب في تلك المرحلة؛ وقد كان من نتائج هذا الصراع ادعاء الشيعة ــ آخراً ــ أنها تختص في جانبها الباطني بنوع من التصوف، وهو العرفان النظري الفلسفي الإشراقي، وذلك في مقابل التصوف العام العملي؛ وإفراد الحديث عن هذا الجانب هو على سبيل التنزل معهم في هذه الدعوى، وإلا فالتصوف الخاص والعام متأثر بالفلسفة الإشراقية، كما أنه أثر من آثار انحرافات الأديان الكتابية، والنحل الوضعية، ولذا كان الحديث عن الاتجاهات الباطنية معبراً عنها، واكتفيت به عن الحديث عنها، خاصة وأن عاشوراء حادث جرى بعد الإسلام، وأنه متعلق بالطوائف المنتسبة إلى الإسلام.

المبحث الأول

الاتجاه الصـــــــوفي، وأثره على عاشوراء الإمامية

وفيه:

المطلـــــب الأول: مفهوم التصوف وعلاقته بالتشيع.

المطلـــب الثـــاني: عاشوراء بين الطرق الصوفية وشعائرها.

المطلـــب الثالـــث: أثر الصراع مع التصوف زمن الدولة الصفوية على عاشوراء.

المطلب الأول

مفهوم التصوف، وعلاقته بالتشيع

التصوف صعب تعريفه وماهيته على أهله، فاختلفوا في اشتقاق لفظه، ورسمه الذي ساروا عليه(١)، والتصوف في أصله تقلل من الدنيا وانقطاع عنها لأي سبب، ومنه الزهد في متاع الحياة الدنيا رغبة فيما عند الله، ومجاهدة النفس وتزكيتها لتستقيم على أمر الله وتجانب نهيه(٢)، وقيل هو مأخوذ من صفاء النفس، وهو غاية يسعى لها من انشغل بالتصوف وإن اختلف مفهوم الصفاء الذي يسعى له المنقطعون، وقيل إنه مأخوذ من حال أهل الصفة الفقراء المغتربين في عهد النبي ﷺ، وقيل من لبس ثياب الصوف، لأنها أقرب إلى الزهد، كما عند النصارى في رهبانيتهم(٣)، وقيل من الصف الأول وحرصهم على المسارعة في فعل الخيرات، ويقال نسبة إلى رجل من قريش يقال له صوفة، انقطع للعبادة وخدمة البيت الحرام(٤)؛ والنسبة إلى التصوف صوفي للواحد، وللطائفة صوفية، أو متصوف ومتصوفة، وهنالك من ذكر أن الأصل في التصوف الصفاء، فالنسبة صفوي(٥)، والذي يعنينا هنا أن التصوف ـ فيما بعد ـ أصبح علماً على طائفة من المسلمين ميزت نفسها بهذا الانتساب، وإن كان هذا الانتساب لم يكن ظاهراً إلا في القرن الثاني من الهجرة، حيث ينتشر اسم الزهد والزهاد(٦).

---

(١) انظر لاضطراب الصوفية في تعريف التصوف رسالة: العلاقة بين التشيع والتصوف، ص٧٠، د. فلاح بن إسماعيل، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة عام ١٤١١هـ، في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

(٢) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، عرض ونقد، ص٨٣، د. لطف الله عبد العظيم خوجه، ط١، ١٤٣٠هـ، دار الفضيلة. الرياض.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١١/ ٦.

(٤) تلبس إبليس، ابن الجوزي، ص١٦١.

(٥) انظر ص٧٦٢ من البحث، ففيه مزيد إيضاح. بإذن الله. في مطلب مستقل.

(٦) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص١٢، عبد الرحمن بن عبد الخالق، ط٣، ١٤٠٦هـ، مكتبة ابن تيمية – الكويت؛ والعلاقة بين التشيع والتصوف، د. فلاح إسماعيل، ص٦٤، والإنسان الكامل في الفكر =

تطور اسم التصوف فلحقته بعض المصطلحات المنتسبة لهذه الطائفة، وغلبت على اسمه، من مثل العشق والوجد والذوق والكشف والفيض، والولي والقطب والأبدال، والفناء والحلول والاتحاد، والخرقة، والركوة والبيعة، وهي توحي باستجلابها من غير الإسلام، حتى نبه عدد من العلماء والباحثين أن التصوف بهذا الحال لا يصح نسبته للإسلام، وأن مصطلح "صوفية" مصطلح يوناني، مأخوذ من لفظ "سوفيا"، وهي عندهم بمعنى الحكمة، فالصوفي الحكيم[(١)]، ومن أول من نبه إلى هذا من العلماء أبو الريحان البيروني، ت/ ٤٤٠هـ[(٢)]، في معرض حديثه عن تشابه معتقدات فلاسفة الهند بما لدى الإغريق واليونان، ويشير بعض العلماء إلى سبق الهند وأهل المشرق على الأوربيين في جانب التصوف والإشراق[(٣)]، وكان لديهم طائفة تعرف: جيميو صوفيا"، أي الحكماء الإلهيون[(٤)]، وقيل إنه اسم عند الغنوصية اليهودية، وهو بمعنى المرشد والمراقب[(٥)].

أصبح للصوفية بعد هذا التطور اختصاص، وظهرت لهم أحوال وطقوس وشعائر عرفت بهم، وانفردوا بمسالك وكتب ومصادر وطرق ينتسبون إليها، وفرقوا بين الشريعة والحقيقة، والظاهر والباطن، واستقر بها الحال إلى طرق مختلفة، لكل طريقة منهج ومسلك وانتساب، ومن أشهرها: الجيلانية، والقادرية والشاذلية، والرفاعية، والبدوية، والنقشبندية، وكل الطرق الصوفية تزعم أنه هي الجماعة الحق بين أهل الإسلام، وإمعاناً في إثبات هذا نجد

= الصوفي، ص٩٠.

(١) العلاقة بين التشيع والتصوف، ص٦٧، والفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص١١.

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص٢٧، أبو الريحان البيروني الخوارزمي، ت/٤٤٠هـ، ط٣، ١٤٠٣هـ، عالم الكتب – بيروت؛ وانظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، ٢/ ١٩٣، والإنسان الكامل في الفكر الصوفي، ص٩٢، ٩٦، والصوفية الوجه الآخر، ص٤٧، د.محمد جميل غازي، إعداد عبد المنعم الجدَّاوي، ط ١٤٠٠هـ، القاهرة.

(٣) انظر: التصوف المنشأ والمصادر، ص١٤٠، إحسان إلهي ظهير، ت/ ١٤٠٧هـ، ط ١٤٠٦هـ، إدارة ترجمان السنة – لاهور، باكستان.

(٤) انظر: نشأة الفكر الفلسفي، ص، د. علي سامي النشار، ط٩، ١٩٩٥م، دار المعارف – القاهرة.

(٥) الكشف عن حقيقة الصوفية، ٢/ ١٩٩. ٢٠١.

أن كل فرقة تضع لها سلسلة وسنداً لطريقتها، تتصل من خلالها بالرسول ﷺ، وذكر في طبقاتها الصحابة والتابعين[١]، فالتصوف بهذا هو منهج الأنبياء والرسل والصحابة والتابعون، ومنهم أهل الصفة والزهاد الفقراء، وذلك كي تروج باطلها باسم الإسلام.

لا شك أن توسع الفتوحات الإسلامية في بعض البلدان تجاوزها قبل استقرار الإسلام في نفوس أهل السابقين منها؛ هيأ ذلك لبعض المعتقدات التي كانت موجودة في بعض تلك البلدان أن تعلق، بسبب قلة فقههم في الدين، أو عدم تمكن الإسلام من قلوبهم، إضافة إلى من دخل في الإسلام واستبطن الكيد له، أو لحدوث بعض الفتن[٢]، ولانتشار التصوف في بلدان الإسلام من أزمنة متقدمة فقد اشتبه أمره وحقيقته على كثير من المسلمين، فكثر من يستحسن جوانب منه، ظناً أنه ميزة حميدة، قد توجد في الإسلام!، ولذا صار قد ينتسب إليه كثير من أهل العلم والفقه، ولذا نرى من قسم التصوف إلى محمود ومذموم، ولا شك أن المحمود منه نحن في غنية عنه بما في الإسلام الذي أتمه الله وأكمله منة لعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٣]، فجعلوا المذموم من التصوف ما كان مخالفاً للشرع، والمحمود منه ما كان موافقاً للشرع، لكن لا شك أن التصوف اتخذ مفهوماً ومصطلحاً غير مفهوم الزهد الذي يظن أنه بدأ منه، فانحرف التصوف إلى أن انتظم رموزه في الفلسفة، وأصبحوا رواداً لها، وخاصة الفلسفية الإشراقية العرفانية، وهي من أخطر مراحل التصوف، وبعدها اتجه التصوف إلى مدرستين:

---

(١) أبو نعيم في حلية الأولياء، والسراج الطوسي في كتابه اللمع، ذكرا في شرف التصوف والصوفية أن الصحابة كانوا من الصوفية، وأنهم لم يتسموا بهذا الاسم لشرف الصحبة، فاكتفوا بها، وهذا تلبيس الصوفية، ولعله حسداً ومنازعة أهل الفضل. انظر: حلية الأولياء، ١/ ٢٧- ٢٨، واللمع، ص٤٢، أبو نصر عبد الله بن علي بن يحيى السراج الطوسي، ت/٣٧٨هـ، تحقيق د. عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، ط ١٣٨٠هـ، نشر لجنة التراث الصوفي – دار الكتب الحديثة – مصر.

(٢) من هذه الفتن التي اعتزل فيها بعض الصحابة والتابعين فتنة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومثلها مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما بعدهما من المقاتل بين المسلمين، وانظر: الصوفية وطرقها، ص٣، ممدوح الحربي.

(٣) المائدة: ٣.

١- طريقة الغلو والقول بالاتحاد والحلول ووحدة الوجود: والتي تبناها غلاة الصوفية، مثل ابن عربي، ومن قبله الحلاج.

٢- طريقة البرهان: التي تبناها الغزالي، وحاول أن يصبغها بالإسلام، ومن بعده الشاذلي، ومال إليها كثير من المنتسبين إلى المذاهب الفقهية الأربعة.

طريقة البرهان الغزالية انتشرت في المشرق الإسلامي، وسحبت البساط من مدرسة ابن عربي فترة من الزمن، ولعل من دواعي ذلك تبنى الغزالي الرد على الفلاسفة والباطنية(١)، لكن البيئات التي نشأ فيها واستقى منها التشيع الصفوي قبل القرن العاشر تشير إلى شيوع عقيدة ابن عربي الوجودية، وخاصة في بلاد الهند، والتي لها أثر وتواصل ظاهر مع غيرها من البلدان، لوجود الممالك والدول فيها، ومما يدل على ذلك تواصل الإمامية في فاري معها، وهذا ظاهر من خلال التراجم، وهذا يدل على تقدم انتشارها عن هذه الفترة، وممن أشار إلى هذا العلامة أبو الحسن الندوي، حيث يقول: (وقد كانت هذه الصبغة الوجودية في القرن العاشر الهجري هي السائدة في بلاد الهند؛ حتى كان الشعراء المتذوقون لهذه المعاني يتغنون بهذه العقيدة، ويساوون بين الكفر والإيمان؛ بل قد يتعدون حدود ذلك إلى ترجيح الكفر على الإيمان، وكان الناس يرددون أبياتاً معناها:

الكفر والإيمان قرينان   فمن لم يتمتع بالكفر لم يتمتع بالإيمان)(٢)

يتضح المقصود بالعلاقة والتشابه بين التصوف والتشيع، وأثرها في باب شعائر عاشوراء؛ بمعرفة أوجه التشابه بينهما من حيث النشأة والشخصيات المؤسسة.

التشابه في النشأة والشخصيات:

من أوجه التشابه بين التصوف والتشيع الإمامي الاشتراك في سلسلة آل البيت، وفي الشخصيات المؤسسة للتصوف، وهذا يترتب عليه أن نلمح إلى كل جانب النشأة، وجانب الشخصيات، وذلك كما يلي:

---

(١) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٣٠٠، والصوفية وطرقها، الحربي، ص٢٥، وقد جعل الحربي بداية الطرق الصوفية بعد هاتين المدرستين ص٨.

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ٣/ ١٣٣٨.١٣٤٥، ١٣٦٦.

التشابه في النشأة:

من المتعارف عليه أن التصوف نشأ في الكوفة[1]، وهو موطن التشيع الأول، وأن التصوف ينتهي في سلسلته إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويرون الخرقة عنه من طريق الحسن البصري[2]، بل كثير من الطرق الصوفية تذكر في تسلسلها الأئمة الاثني عشر المعروفين عند الإمامية الاثني عشرية، فهم يقرون بمهديهم الغائب، ويخالفونهم في الانتظار.

اشتغلت الصوفية بالولاية والأولياء منذ زمن متقدم، وجعلتهم ينوبون عن الإمام والنبي، ولذلك كثر عندهم ما يعرف بالحقيقة المحمدية، التي يتصلون من خلالها بالنبي ﷺ مباشرة، ومن خلال رياضات الحضرة في الموالد والمجالس الصوفية التي ابتدعوها؛ والطرق الصوفية في غالبها تنتسب إلى الأئمة الاثني عشر المعروفين عند الإمامية، بل بعضها تجعل شيخ الطريقة هو الإمام الثالث عشر، كالطريقة الرفاعية[3]؛ بينما قلة من من الطرق الصوفية

---

(١) انظر: التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، ص١٤٠.

(٢) ممن انتصر لهذه الخرقة الصوفية محدث المغرب أحمد بن محمد بن الصديق الغماري المغربي، وهو من الطريقة الشاذلية، ورد على شيخ الإسلام ابن تيمية، وعلى ابن خلدون رحمهما الله، ورماهما بالنصب، وذكر الغماري في سند الخرقة في طريقته الشاذلية من طريقين: طريق التحكيم والإرادة المتصل بعد، من جهة ابنه الحسن - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وطريق الخرقة والتبرك من جهة الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ-، وذكر أن هناك الخرقة التي تلبس من طريق الخضر، وأشار إلى إسناد عند بعض الصوفية في الخرقة يرجع إلى الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلى النبي ﷺ، وذكر نقلاً عن ابن تيمية: أن الخرقتين، التي سبقت، والثانية خرقة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من طريق أويس القرني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو من طريق أبي مسلم الخولاني رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي ص: ذكر أن الخرقة ليست عند جميع الطرق الصوفية، فالشاذلية وخاصة شيوخ المغرب ليست عندها خرقة، ولا يشترطونها عتبة للمريد، بل عندهم: الصحبة الصالحة، وذكر أن الخرقة اشتهرت في القرن الخامس، وأول ظهورها كان في القرن الرابع، ثم أشار إلى إنكار أهل العلم والحديث لها، كابن الجوزي، والسخاوي، وابن الصلاح، انظر: في كتابه: علي بن أبي طالب إمام العارفين (أو البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي)، ص١، ٤٦، ٤٧، ٥١، ١١٥، أحمد بن محمد بن الصديق الغماري المغربي، ط١، ١٣٨٩هـ، مطبعة السعادة.

(٣) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٦٦، ٣٧٦، ونقل عن كتاب: "الطريقة الرفاعية، ص١٢٧ " أن الرفاعية تخصص الحادي عشر من محرم من كل عام لها، بعد أن تنتهي مشاعر الرافضة الخاصة، ليدخل مشاعر الرفاعية ولعل ذلك السبب في قولهم إن الرفاعي تأتي منزلته بعد الأئمة الاثني عشر مباشرة، وانظر: الصوفية وطرقها، ممدوح الحربي، ص١٧، تتفق الطريقة الرفاعية تشارك الشيعة في أمور منها: إيمانهم بكتاب الجفر، =

ترجع في انتسابها إلى أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كالنقشبندية[1]، والخوْفية[2]، أوالخفية: أتباعها لا يجهرون بأذكارهم، ومجالسهم من "الجالسة الصامتة"، منتشرة بين مسلمي الصين، وينسبونها هناك إلى أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ولعل مثلها الطريقة الصديقية الطيفورية في الهند والشام[3]، أو إلى عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كالعمرية، والجهرية[4]، ولم يعرف منها ما ينتسب إلى بني أمية إلا اليزيدية أتباع عدي بن مسافر، على خلاف في صحة نسبتها، وقد يسمون بالعدوية، وهي ما يعرف آخراً بعبدة الشيطان[5].

أما الفرق المشهورة فهي كما سبق تنتسب إلى آل البيت، وبالأخص إلى علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وإلى زين العابدين علي بن الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، والذي كثيراً ما تشترك الصوفية والشيعة في نسبة الأقوال إليه، ومما اشتهر عند الطائفتين نسبته إليه من عبارات التصوف ومصطلحاتهم الباطنية

=

ومشاركتهم الحزن في يوم عاشوراء.

(١) انظر: العلاقة بين التشيع والتصوف، ص٨٤.

(٢) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٣٥٥، والخوْفية، أو الخفية: منتشرة بين مسلمي الصين.

(٣) انظر: علي بن أبي طالب إمام العارفين، الغماري، ص١٠٥، وأذكر أن هناك في لكنو بالهند ينتسبون إلى الصديقي والفاروقي، ولا أدري هل مع هذا الانتساب أتباع لهذه الطريقة، وممن قابلتهم منهم الداعية الشيخ عبد الرحمن الفاروقي، وهو خلف والده وجده في الدفاع عن الصحابة، ويطوف بين المساجد لنشر فضائلهم، وترتيب ملتقيات ومسيرات لإعلان محبة الصحابة، رداً لكيد الرافضة الإمامية في تلك البلدان.

(٤) الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٣٤٣، ٣٥١ - ٣٥٢، وذكر المؤلف أن الجهرية: منتشرة بين مسلمي الصين، حيث يجعلون مؤسسها الأول عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وينسبونها في الوقت ذاته إلى (ماهولونج)، ولعله من أحياء أوائل القرن العشرين الميلادي، أما الطريقة العمرية: لعلها نسبة إلى عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأول من دخل بالخرقة العمرية إلى الشام هو عقيل المنبجي، وكان في العقود الوسطى من القرن السادس الهجري، ولعل منها الأيسية، نسبة إلى أويس القرني، الذي تزعم الصوفية أن عمر ألبسه الخرقة عند جبل الرحمة، انظر: علي بن أبي طالب إمام العارفين، الغماري، ص٤٧.

(٥) الكشف عن حقيقة الصوفية، ٢/ ٢٤٠، واليزيدية لا يسبون الشيطان، بل يعبدونه، وقيل أنهم يقدسون يزيد بن معاوية، ويقول مؤلف الكتاب في سبب إطلاق هذا الاسم عليهم: (ولعل النصيرية هم الذي أطلقوا عليهم اسم (اليزيدية) للتشنيع، بينما قبلوه هم لأنهم كانوا يرون فيه شرفاً لا تشنيعاً بسبب أموية شيوخهم، وهذا يعني أن هذا الاسم يجب أن يكون قد انتشر قبل هجرة النصيرية (وهو كذلك)، وانظر: عباد الشيطان، ص٤٥. ٤٩، يوسف البنعلي، ط٨، ١٤٢٥هـ، المكتب الإسلامي. بيروت.

المكذوبة أنه كان يقول:

يـا ربّ جـوهر علـمٍ لـو أبـوحُ بـه ... لقيـل لي أنـت ممّـن يعبـد الوثنـا
ولاسـتحلّ رجـالٌ مسـلمونَ دمـي ... يـروْن أقـبحَ مـا يأتونـهُ حسـنًا

قال الغزالي في المقصود بهذا العلم الذي أخفاه تقية، راداً على الشيعة القائلين بالإمامة: (والمراد بهذا العلم الذي يستحلون به دمه: هو العلم اللدني، الذي هو علم الأسرار، لا من يتولى من الخلفاء ومن يعزل، كما قاله بعضهم؛ لأن ذلك لا يستحل علماء الشريعة دم صاحبه، ولا يقولون له: أنت ممن يعبد الوثن)(١)، وهذا ظاهر في أن الغزالي يرى أن الإمامية لا دليل معتبر لهم على الخلافة "الإمامة الظاهرة الدنيوية" إلا طريق العلم اللدني، وأما مروياتهم فساقطة غير معتبرة.

ما سبق يوحي بارتباط وثيق بين التصوف والتشيع في آل البيت، وإن كنت لما أقف بعد على غلو للصوفية خاص بالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما هو الحال من الغلو عند الشيعة الإمامية؛ إلا ما قد يذكر من انتشار كتب المقتل التي قد تعده بعض الصوفية من الرياضات الروحية، التي توفر البكاء والخشية، فقد تتشارك الطائفتان في هذا العمل الذي منشأه في الأصل من جهة الشيعة.

التشابه في الشخصيات المؤسسة:

تتوافق الصوفية مع الإمامية الاثني عشرية في عدد من الشخصيات المؤسسة، ومنها من اختلفوا عليه، ومنهم الغلاة الذين تقر الإمامية بدخولهم على الأئمة، وكذبهم عليهم، ولعل هذا يوحي بأن التصوف هيأ مادة للتشيع، وكذلك التشيع ساهم في تهيئة مادة وأجواء ينتشر فيها التصوف تحت عباءته، ومن المهم أن نشير إلى أبرز الشخصيات التي ترد في الجانبين، وتنسب إليهما التنظير للتصوف والتشيع، من آل البيت، أو من التلاميذ المقربة إليهم، وذلك كما يلي:

---

(١) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ص١٤ - ١٩، عبد الوهاب الشعراني، ت/ ٩٧٣هـ، دار المعرفة - بيروت.

من آل البيت:

١- علي بن أبي طالب، وهو المؤسس للتشيع، وللتصوف عند غالب الطرق الصوفية، ويتفقان على أنه صاحب الولاية الباطنية.

٢- الحسن بن علي بن أبي طالب، ويرد ذكره عند المتصوفة كأحد طرق سلسلة التصوف، يرويها عن أبيه علي بن أبي طالب، كما أن الحسن ضمن سلسلة الإمامة عند الإمامية الاثني عشرية، وعند غيرهم من الشيعة الإمامية كالإسماعلية والنصيرية، مع أن الحسن لا يحضى بهالة عند تلك الفرق جميعاً، هذا فيما عدا الغلو والتقديس كأحد الخمسة أصحاب الكساء (الإلهي)، الذين تؤلهم عدد من الفرق الشيعة الغالية، بل تجمع هذه الفرق أن الإمامة لا تسري في ذريته بخلاف الحسين، وتصطلح الإسماعلية على تسميته بالإمام المستودع للإمامة، مقابل الإمام المستقر، والذي تستمر الإمامة في عقبه؛ كما أنه يمكن أن نجعل مصطلح أصحاب الكساء مقابل الخرقة الصوفية، وذلك في جانب العهد والوصية والنص والبيعة(١).

٣- علي بن الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتنسب إليه عدداً من الروايات عند الشيعة والصوفية، فالصوفية تتصل به من خلال سلسلة الخرقة، التي هي علامة الإرادة والبركة، وهي عمل مشهور عند المتصوفة يتصلون بسندها إلى آل البيت، كما أن الشيعة الإمامية يتصلون به من خلال الصحيفة السجادية، والتي يسمونها زبور آل محمد، ويروونه عنه بالإسناد، وبالمناولة من المهدي مناماً(٢).

٤- جعفر الصادق ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: وما أكثر ما ابتلي بالكذابين من الصوفية والشيعة، ولعل المذهب الجعفري المنسوب إليه مظلة يمكن أن تلتقي تحته فرق التشيع المختلفة، وتشاركها الصوفية في جوانب منه.

---

(١) انظر: علي بن أبي طالب إمام العارفين، ص١١٥، الغماري.

(٢) انظر: الصحيفة السجادية، (منسوبة لعلي بن الحسين)، ص٦٢٩، ٦٥١، ت. محمد باقر الأبطحي، ط١، ١٤١١هـ، مؤسسة الإمام المهدي، ومؤسسة الأنصاريان - قم.

هناك عدد من الشخصيات القريبة من الأئمة، ثم من بعدهم، والمختلف عليها بين الصوفية والشيعة، ما بين متنازع عليه، وما بين متفق على نسبته، ومنهم من أئمة السلف رحمهم الله، ودراسة مثل هذه الشخصيات، ومثلها الشخصية المعروفة بالقرب من الأئمة جدير بالتتبع لمعرفة حقيقتها والأقوال التي نسبت إليها، ومن هذه الشخصيات: أبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، والحسن البصري، وسفيان الثوري، ويضاف إليهم: أبو هاشم الكوفي، وجابر بن حيان، وعبدك الصوفي، وابن عربي، والحلاج "الزنديق الشهيد"(١).

الشيعة مرت من خلال دعوى الإمامة، بافتراق من بدايتها إلى آخرها، وهذه الفرق ـ التي سبق عرضها في الباب الأول ـ منها من خرج على الخليفة الراشد ورمز التشيع الأول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وناصبه العداء وكفره، ومنهم من زاد غلواً فادعى الوصية، أو النبوة، كالكيسانية، أو البابية، ومنها الإسماعيلية التي فارقت الإمامية بعد جعفر الصادق، وغيرهم كالممطورة والنصيرية (الطريقة الجنبلائية)(٢)، وبعضها باقية إلى الآن، وبعضها انقرض، ولكن لا شك أن انحرافها العقدي عن التشيع الاثني عشري لم يثبت بعده عودتها إلى السنة، بل كانت الأجواء مهيأة للعزلة ــ كما هي مهيأة للتشيع أيضاً تحت اسم التقية ــ، مما يرشح احتمال أن تكون عدد من تلك الفرق لجأت إلى التصوف، وبقيت قريباً من مظلة التشيع يؤثر فيها ويتأثر منها، ويحاول الانتساب إلى بعض الزهاد والعباد وإلى آل البيت، وقد يكون هذا ظاهراً في القرنين الثاني والثالث، وقد تكون الصوفية تستفيد من دعاوي الإمامة ومن الحركات العلوية في تلك الفترة، وتستفيد من سبق الشيعة في الأضرحة والقبور، مما اضطرها إلى المداهنة بالقول بالأئمة الاثني عشر، وبالغيبة، لكنها استغلته في مسألة العصمة والولاية، ونفذت منه إلى معتقداتها الباطلة.

إن ظهور دولة السنة، وعدم قيام دولة مبكرة وقوية للتصوف والتشيع من أسباب خفاء

---

(١) ثم دراسات تناولت هذه الشخصيات أو بعضها بالتحليل، مثل: نشأة الفكر الإسلامي، لعلي النشار.

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٣٣٦- ٣٤٢.

معالم الاتصال والافتراق بينهما في تلك الفترة، ولعل قرب مفهوم التصوف والزهد من السنة في باب التعلق بالآخرة، وعدم السعي في تفريق جماعة المسلمين، وفي عدم الانشغال بالمعارضة للحكام(١)، مما جعل التشيع مأوى للانعزال عن السنة، ومعنياً بالمخالفة أكثر من التصوف، كما أن انشغال الشيعة ــ حتى الزيدية ــ بالجدل والكلام والتأثر بالمعتزلة سابق على انشغال التصوف بذلك، وهذا مما يعني أن التصوف لم يدخلوا هذا المضمار، وإن كانوا استثمروه فيما بعد .وخاصة باب العصمة والولاية "الباطنية" التي ابتدأت من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلا أن مسالكهم لا تعنى بها أصلاً، لأنهم يرون العلوم العقلية حجاباً عن الله، والصوفي يعمل لرفع الحجب بينه وبين الله، ويسعى إلى العلم اللدني!، ولذلك أصبحت المنامات والرؤى والكرامات مادة لمذهبهم، وقد يكون هذه المادة أسعفت الشيعة في بلورة مفهوم الغيبة، فكان هذا برزخاً ودهليزاً يشتبه فيه تمييز الصوفي من الشيعي، مما يوحي بالتقارب الشديد لنشأة التصوف والتشيع، ولعل نهي السلف عن الجدل والتعمق في الأسئلة وذم أريت والرأي، ومثلها شبهة الخوارج يشير إلى اتفاقها في الاعتراض على الشرع جهلاً أو كيداً وهوى.

من كل ما سبق يحتمل أن دعوى العصمة السبأية بقيت كامنة من خلال الافتراقات والانشقاقات التي جرت في مسار التشيع، ورجعت جلية في آخر القرن الثالث والرابع، أثناء وبعد فترة الغيبة الصغرى، وكان من ضمن المعتقدات التي ضمرت خلال هذه الفترات عقيدة رفض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، خاصة الشيخين، والتي التصقت بالتشيع من وقت مبكر ــ كما في قصة زيد بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ، ولعل نفور آل البيت الذين خرجوا على الدولة العباسية عن هذه البيئات جعل هناك حذراً من هذا المعتقد عند المتصوفة، واستغنت عن تبنيه لما يجلب لها من مواجهات، وارتباط بالسياسات، ولعل مما يؤكد ما سبق قرب مواطن التصوف والتشيع، فمن مواطنهما الأولى الكوفة، كما سبق.

❁❁❁❁❁❁

---

(١) وهذا ليس على إطلاقه، كما سبق في قصة أبي ركوة، راجع ص٣٨٠ من البحث.

المطلب الثاني

عاشوراء بين الطرق الصوفية وشعائرها

هناك توافق بين التصوف والتشيع من خلال بعض الطرق، منها الغالية، وذلك في الجوانب القولية والعملية، وهذا مما هيأ لها أن تتبادل بعض الأعمال من خلال يوم عاشوراء، ومنها الفرق التي عرفت بتأليه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو تأليه مؤسسها، وأذكر نماذج لهذه الفرق وخاصة التي يغلب عليها التشيع، ومنها ما يلي:

١- **الطريقة البكتاشية**: ويذكرها بعضهم بالطاء "البكطاشية، وهي ممن يقول بتأليه علي بن أبي طالب ـ عياذاً بالله ـ، ومن أدعيتها الرئيسة والأساسية، دعاء السيف:

نادِ علياً مظهر العجائب تجده عوناً لك في النوائب

كل هم وغم سينجلي بولايتك يا علي يا علي

هذا الدعاء شعار للشيعة الإمامية، وخاصة في بلاد الهند مكتوب على أبواب حسينياتهم وشبيهاتهم، والبكتاشية لها شذوذ ظاهر عن الإسلام، وهي تميل إلى التثليث، فصارت الأقانيم عندهم ثلاثة: (الله، محمد، علي)، وهي قريبة في غلوها من النصيرية، ويسمون أنفسهم بالعلوية، وهي ممن يحيي النياحة في عاشوراء(١).

البكتاشية منتشرة في تركيا وشرق أوروبا، ويكثر أتباع البكتاشية في تركيا بشكل بارز، وكذلك انتشارها في مصر في تزايد مستمر، ومما يذكر -أيضاً- أن مؤسس الطريقة البكتاشي شيعي اثناعشري يسمي نفسه سنياً، وقد تكون انضوت مع الإمامية الإخبارية(٢)، وهي طريقة صوفية تشترط للدخول فيها مضي مدة التجربة، وهي ألف يوم ويوم، وأتباعها يرون أنها طريقة صوفية.

---

(١) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٢٤٢، ٣٥٠، وتاريخ النياحة على الحسين، ١/ ٦٤.٦٥.

(٢) كما أن الطريقة البكتاشية لهم حسينيات يلطمون بها... لطم على طريقة خاصة: (الله حي)، انظر: موقع: الإسماعيلي العظيم، وهو على الرابط التالي:
http://benyishmael.blogspot.com

٢- الطريقة القزلباشية: وهي منتشرة في تركيا، وقريبة في غلوها من النصيرية، ويتسمون بالعلوية، وهم امتداد للبكتاشية، وعندهم أن علياً تجسد فيه الإله، ويصومون اثني عشر يوماً من أول المحرم، ويندبون الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[١].

القزلباش مجموعة طرق صوفية شيعية غالية، وهم يتشكلون من سبع قبائل وأعراق: ومنها القاجار والأفشار، أو عدة فرق تدين بالطريقة البكتاشية[٢]، عرفوا بالفدائيين القزلباش، وهم في الأصل أتراك من أسرى حرب تيمورلنك مع العثمانيين، فعطف عليهم الصفويون، واستعانوا بهم في فترة إعداد قوتهم، وقبل ظهور دولتهم، حين تعاون تيمورلنك المغولي معهم، ثم أخلصوا للشاه الصفوي، حتى إن لهم فيه اعتقاد، حتى إنهم يلقبونه بالمرشد الكامل[٣]، وهو من بقايا التصوف لدى الصفويين، وتمكن الصفويون من الاستعانة بهم لإقامة دولتهم، في جيش خاص عرف بالقزلباش نسبة إلى العمامة، أو القلنسوة الحمراء التي يرتديها مريدو الطريقة الصوفية الصفوية، وهي تحتوي على اثني عشرة عقدة، رمزاً لاثني عشر إماماً، اعتمدها الشاه لجيشه، وإن كان أجري تصفية لهذا الجيش ورموزه فيما بعد، بسبب خلافات القزلباش مع الشاه[٤].

٣- الإبراهيمية: منتشرة في الأكراد شمال العراق، وهي الآن أقرب إلى أن تكون فرقة دينية، ومثلها: الشَّبَك، والماولية، والباجوان، وكلها منبثقة عن تفاعل بين البكتاشية

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٢٦٢، ومسألة ندب الحسين ظاهرة، أما ندب الحسن فلا أعرف مستندها عندهم إلا أن يكون من العدل بين الأخوين من أهل الكساء، أو أنه قتل مسموماً، وراجع ص٣٨٩ من البحث.

(٢) محسن الأمين العاملي يقول: (قزلباش لفظ تركي معناه ذو الرأس الأحمر، وأن ترجمته: اسم لطائفة من طوائف الترك والتركمان، وأصل هذه الطائفة يتفرع إلى خمس فرق: (شاملو)، و(استجلو)، و(تكلو)، و(تركمان)، و(ذو القدر)، وكل فرقة من هذه الفرق تنسب إلى عدة وجاقات، وهؤلاء التركمان غير طائفة التركمان المعروفة (بصاين خاني)، التي في نواحي جرجان، ودشت قبجاق، وخراسان، وأنهم سنيون، لأن أهل قزلباش شيعة إمامية اثنا عشرية)، أعيان الشيعة، ١/ ٢٠.

(٣) انظر: تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، ص٤٢، ٤٨، ٥١.

(٤) انظر ص٣٩٢ من البحث.

والقيزلباشية.

٤- **الطريقة الشبكية**: وهي ترجع إلى البكتاشية، ولها مراسيم خاصة، يدين بها أهل قرى في شرق الموصل، وكانهم يرثون بعض معتقدات الصابئة والمجوس التي كانت في أرض العراق[١].

٥- **الطريقة النعمتللاهية** (النعمة الإلهية): نسبة إلى نعمة الله الولي العلوي الحلبي، وكان مؤسسها سنياً حنفياً ميالاً إلى التشيع، تخرج بالطريقة الشاذلية، مات سنة ٨٣٤هـ، وانتشرت طريقته في إيران والهند، وهي أوسع الطرق انتشاراً في إيران، وقد ساعدت كثيراً على انتشار التشيع هناك، وآل بها الأمر إلى تأليه مؤسسها[٢]، ولها وجود في الموصل من العراق، ومن رموزها العارف الصوفي نور عليشاه محمد على بن عبد الحسين ابن المولى محمد على، و له كتاب في المقاتل: روضة الشهداء، وكتاب جامع الأسرار، ت/ ١٢١٢هـ، قال الطهراني: (وتصدر على الصوفية)[٣].

٦- **الطريقة الذهبية والخاكساوية**: منتشرة بين الشيعة في إيران والهند، وهي فرع من النعمتللاهية[٤].

٧- **الطريقة البريلوية**: وهي منتشرة في شبه القارة الهندية، والتشيع والانحراف واضحان فيها، ومؤسسها في الأصل من الطريقة القادرية، وهي تحتفل بعاشوراء بطريقة خاصة، وقد حضرت احتفالها بعاشوراء في لكنو في بلاد الهند، بطريقة يقل فيها جانب المأتم والحزن.

٨- **الطريقة النصيرية** (أو الإسحاقية)، المعروفة في بلاد الشام، وهي في أصلها من

---

(١) انظر: مجلة ميزوبوتاميا ـ بلاد النهرين، عدد: ١، مقال: (الشبك.. عراقيون أصيلون متنوعو المذاهب واللغات)، نصرت مردان، وهي على الرابط الإلكتروني التالي:
http://www.mesopot.com/old/adad1/faatalwatan.htm

(٢) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٢٤٥، ٢٦٢.

(٣) انظر: الذريعة، ٥/ ٣٩.

(٤) الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٣٥٣.

الطريقة الجنبلائية[1]، وقد تسمى "العلي إلهية"، أو العلوية، ولها انتشار في تركيا، وتقول بالتثليث بين: (الله ومحمد وعلي)[2]، ولها تأثير على طرق أخرى في غلوهم في التأليه وتكفير الصحابة، ويرى البعض أن ممن تأثر بها الطريقة الصفوية، فاستقبلوا فقهاءهم وعظموهم[3]؛ وبه يجعل متاولة جبل عامل منهم، وهو خلاف المشهور[4].

٩- الطريقة المولوية: أتباع جلال الدين الرومي[5]، وقد جمعت وعرفت بالحقيقتين: الحقيقة المحمدية، والحقيقة العلوية[6]، والشيعة الاثني عشرية تنسبها إليها، ومنهم من يقول بالحقيقتين، كما يصرح به إمامهم المعاصر الخميني[7].

١٠- الطريقة الصفوية: نسبة إلى صفي الدين، إسحاق الأردبيلي، أخذ التصوف عن إبراهيم الزاهد الكيلاني، على الطريقة القادرية، تشيع هو أو ابنه صدر الدين موسى، وتأثر به

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٢٣٦.

(٢) فرق معاصرة، د.غالب عواجي، ٣/ ٤٦.

(٣) انظر: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٣٣٨، والكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٢٣٦، ٢٤٢، وقال المؤلف عن الصفوية: (لذلك انقلب أتباع الطريقة الصفوية إلى النصيرية بكل ما فيها من عجر وبجر)، وقد يشير غيره. أيضاً. إلى قربهم من العلوية الغالية المشابهة للنصيرية، انظر: مجلة ميزوبوتاميا. بلاد النهرين، عدد: ١، مقال: (الشبك.. عراقيون أصيلون متنوعو المذاهب واللغات)، نصرت مردان.

(٤) الصفوية استقبلوا العامليين، كالبهائي والكركي وهم صوفية من شيعة جبل عامل المعروفين بالمتاولة، وليسوا من النصيرية، وذكر د.كامل الشيبي عن شيخ الصفوية الكركي أنه: (قد ألف رسالة في لعن الشيخين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - سماها "نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت"، ويقال: إنه هو الذي شرع السب في المساجد أيام الجمع)، انظر: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية (حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري)، ص٤١٣، ٤١٦، كامل مصطفى الشيبي، ط ١، ١٣٨٦هـ، مكتبة النهضة - بغداد؛ وعن شيعة جبل عامل المتاولة انظر: خطط الشام، ٦/٢٥٢، ٢٦٧، محمد كرد علي، ت/ ١٣٧٢هـ، ط٣، ١٤٠٣هـ، مكتبة النوري - دمشق؛ ونقل عن تاريخ العلويين لكاتب نصيري ما يفيد أن بلاد الشام فيها إسماعيلية، ومتاولة اثنا عشرية، وعلوية نصيرية، وهي التي فارقت بانتسابها إلى الطريقة الجنبلانية.

(٥) وهو من الشعراء الفرس المشهورين الذين تغنوا بالحب الإلهي، كما أشار إلى ذلك مرتضى مطهري في الإنسان الكامل، ص٦٧.

(٦) الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٢٧٣.

(٧) شرح دعاء السحر، الخميني، ص١١٠.

الملك تيمورلنك[1]، ومنحه إمرة أردبيل، في القرن الثامن، إضافة إلى مشيخة الطريقة، وكان أتباعه من السنة الذين انقلبوا إلى شيعة، ولما أقام دولته استعان بفقهاء جبل عامل من بلاد الشام (المتاولة)، وكانوا شيعة متصوفة[2].

١١- الطريقة الهمدانية: ولها علاقة بالقادرية.

١٢- الطريقة السنية السعدية: مؤسسها سعد الدين محمد بن المؤيد، ت/ ٦٥٠هـ، لقب بـ (يسعى العجم)، من تلاميذ ابن عربي (الشيخ الأكبر)، وله غلو مثله، فهو يزعم أنه يمثل العلم الإلهي المتسلسل، وأنه إنسان إلهي لا يختلف عن الله حتى في الخلود ـ عياذاً بالله ـ[3].

١٣- الطريقة الحروفية: وقد انقرضت لكن طريقتها في علم الحروف[4] والسحر بقيت في بقية الفرق الصوفية.

هذه الطرق الأربع الأخيرة (الصفوية، الهمدانية، السعدية، الحروفية) هي التي بدأت العمل على نشر التشيع في إيران، وفي أول أمرها كان أكثر أتباعها في من المتصوفة المنتسبة إلى المذاهب السنية الأربعة[5].

١٤- الطريقة النوربخشية: مؤسسها نور بخش، كان منتسباً إلى الطريقة الهمدانية، ثم انتسب إلى موسى الكاظم، وادعى المهدية، وكان يصرح علناً أن حركته ترمي إلى الجمع بين التصوف والتشيع، والطريقة الآن شيعية كلها، وقد نشرت التشيع في إيران، وفي الهند التي

---

(١) راجع ص٣٩٠- ٣٩١ من البحث، وقد سبق أن تيمورلنك يمثل العودة الثانية للمغول في البلاد الإسلامية، وذلك في القرن الثامن، وأول القرن التاسع، وكانت لهم علاقة حسنة مع الصفوية، وانظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٣٥٣، وذكر المؤلف أن تيمورلنك كان سنياً حنفياً تشيع فيها بعد، وأنه عند غزوه لدمشق أبادها إبادة كاملة بحجة أن أهلها شاركوا في مقتل علي والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأنهم من أتباع الأمويين!، والمشهور أن هذا كان في عهد غازان، أي في غزو المغول الأول، بينما تيمور في غزوهم الثاني، والله أعلم.

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٢٤٩- ٢٥٣، ٣٤٤- ٣٤٦.

(٣) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٢٠٨- ٢٠٩.

(٤) عن علم الحروف راجع ص٦٧١ من البحث.

(٥) الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٢٤٩- ٢٥٣، ٣٤٤- ٣٤٦.

استقر فيها شيخ النوربخشية(١).

١٥- الطريقة المشعشعية: مؤسسها محمد بن فلاح بن هبة الله، يسمي خوارقه (التشعشع)، تصوف وتفقه في مدينة الحلة بعلوم الشيعة الاثني عشرية على يد أحمد بن فهد الحلي، ت/ ٨٤١هـ، وتزوج ابنته، ثم ادعى المهدية، له دولة في الأهواز وبلاد خوزستان، مات سنة ٨٦٦هـ(٢).

١٦- الطريقة الكشفية: وهي من الفرقة الشيخية الإخبارية الإمامية الاثني عشرية، تنسب إلى مؤسس الشيخية الثاني، كاظم الرشتي، تلميذ أحمد الأحسائي، وقد غلا في دعاوى الكشف والإلهام، اعتمدت عليها فكرة الركنية والبابية(٣).

١٧- البابية: وهي من الفرقة الشيخية الإخبارية، مؤسسها علي محمد رضا الشيرازي، ادعى أنه الباب، ثم انقطع هو ونفر من أصحابه إلى الرياضة الصوفية أربعين يوماً، ورمز لأصحابه: (الله حي)، ثم خرج وهو يتكلم بالعلوم اللدنية، وبالكشف أوحي إليه كتاب البابية المقدس "البيان"، ومثلها البهائية: مؤسسها (بهاء الله) الميرزا حسين علي بن الميرزا عباس بزرك المازندراني النوري، والذي كان يعاشر الصوفية ويقرأ كتبهم، ويحضر مجالسهم(٤).

١٨- الطريقة الرفاعية: وهم أتباع أحمد الرفاعي، ت/ ٥٧٨هـ، ولهم وجود في مصر والعراق وشرق آسيا، وشهرة هذه الطريقة في التصوف، لكنها من أشهر فرق الصوفية تقارباً مع الاثني عشرية(٥).

١٩- الطريقة العزمية: ومؤسسها: محمد ماضي أبو العزائم، ومقرها الآن في مصر، وهي

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٢٤٩- ٢٥١، ٣٤٤- ٣٤٦.

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٣٤٤.٣٤٦.

(٣) سبق الحديث عنها ص٩٢ من البحث.

(٤) الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٢٦٦.٢٨٨، وراجع ص٩٣ من البحث.

(٥) انظر: الصوفية: نشأتها وتطورها، ص٩٨، ١١١، وذكر المؤلف مراحل وخلوات أخذ العهد في الطريقة الرفاعية، وتكون بخلوة سبعة أيام بعد عاشوراء، وزعموا أن خلوة السبعة سبب الفيض للسالك والمريد الصادق؛ وانظر: الطرق الصوفية (نشأتها وعقائدها وآثارها)، ص١٠٤، د. عبد الله بن دجين السهلي، ط١، ١٤٢٦هـ، دار كنوز إشبيليا – الرياض.

ــ في الوقت الراهن ــ من أشهر الطرق الصوفية اتصالاً بالإمامية في إيران، كما تحيي شعائر الإمامية عند مشهد الحسين في القاهرة، وتدعو لإحياء الثورة الحسينية، كما تقرر مصداقية مشهد رأس الحسين، وتحتفل بذكرى دفن العبيديين المزعوم للرأس بالقاهرة(١).

عاشوراء والتشابه في المعتقدات والمسالك والشعائر:

تتوافق الصوفية مع الإمامية الاثني عشرية في عدد من المعتقدات والشعائر، وتبرز في مواسم الطائفتين المشتركة وغير المشتركة، كموسم عاشوراء، والذي يظن أن الإمامية تحتفل به بالنياحة والحزن والثورة، وأما الصوفية فتحتفل به كهيئة الموالد، ولعل هذا التقارب والتشابه يوحي بوجود مواضع كثيرة للتأثر والتأثير بين الطائفتين في المعتقدات والمصطلحات، وفي المسالك والطقوس والشعائر، وفي الاتجاهات الباطنية، ومنها ـ على سبيل المثال ـ ما يلي:

١- الولاية والغلو الرموز: وتسمي الصوفية رموزها بالأقطاب والأولياء، وتجعل لهم الحفظ، وقد يذكرون ما يسمونه الأقطاب الصغرى(٢)، وتسميهم الشيعة بالأئمة، ويجعلون الإمام معصوماً، وهناك من يتوسع في منح العصمة الصغرى لبعض أصحاب الأئمة وذرياتهم ومحبيهم، من مثل العقيلة زينب المعصومة بنت علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومن قتلوا مع الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كالعباس والقاسم والرضيع وغيرهم رحمهم الله، ومن مثل ــ أيضاً ــ فقهائهم ومراجعهم، فقد يطلقون عليه المقدس، كالأردبيلي.

قد تخالف الإمامية بإعلانها لرمزها المنتظر من خلال عاشوراء، ورجعته للثأر والثورة والسيف، بخلاف الصوفية، فلم يعتد أنها تدعي لرمزها الروحي (الخضر) من ثورة وخروج في مواسمها.

---

(١) انظر: مجلة: الإسلام وطن، عدد: ٢٦٩، محرم ١٤٣٠هـ، مقال: (صواريخ مضادة)، عبد الحليم العزمي، والمجلة تصدر عن مشيخة الطريقة العزمية بمصر؛ وانظر: موقع الإسلام وطن (بوابة الطريقة العزمية)، على الرابط التالي:

/http://www.islamwattan.com

(٢) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، ص٨٠.

٢- التقية وكتمان الأسرار: وهي قائمة على أن علمهم خاص ولا تطيقه العامة!، فالصوفية تشدد في إفشاء الأسرار والحقائق، وهي تجعل العلوم على أربعة أقسام: الأخبار، والدراية، والجدل، والحقيقة، فعلم الحقيقة هو علم الباطن، وقالوا: (نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقتنا، وكذلك لا يجوز لأحد أن ينقل كلامنا إلا لمن يؤمن به، فمن نقله إلى من لا يؤمن به دخل هو والمنقول إليه جهنم الإنكار، وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤوس الأشهاد، وقالوا: من باح بالسرّ استحق القتل)[١].

مثلها الشيعة الإمامية، فكثيراً ما يعرضون بحيرتهم في مسائل مذهبهم، وأن كلام أئمتهم صعب مستصعب: (إن أمرنا صعب مستصعب، لا يحمله إلا عبد امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعي حديثنا إلا صدور أمينة، وأحلام رزينة)، و(لا يحتمله ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا مؤمن أمتحن الله قلبه للإيمان)[٢]، مع اعتقادهم بأن من أصول مذهبهم التقية، بل هي تسعة أعشار المذهب!، ومع ذلك يضطرب كلامهم في دعوى بقاء التقية اليوم، وأنه انتهى زمانها، وأن كثيراً من أصول مذهبهم صار من الضروريات، لأنهم أعلنوها، وهم قد أعلنوا الشعائر التي هي جزء من شريعتهم، أما الحقائق فلم يعلنوها.

حال الإمامية ليس بعيداً عن الصوفية، إلا أن الصوفية أدهى في التقية، إذ لا يعتبرونها بسبب الظلم، وإنما بسبب قصر أفهام الفقهاء والعوام عن فهم مذهبهم، فهم لا يلزمون أنفسهم بالظهور، ولذا عاتب بعضهم الحلاج الصوفي القائل بعقيدة الحلول حين قتله الخليفة العباسي بفتوى من الفقهاء وأكابر المتصوفة (أهل الظاهر وأهل الباطن!)؛ عاتبه بأنه لم يقتل إلا لإفشاء سرّه، كما يروون أن الخضر عَبَرَ على الحلاج وهو مصلوب، فقال له الحلاج: (هذا جزاء أولياء الله؟ فقال له الخضر: نحن كتمنا فسلمنا، وأنت بحت فمتّ)[٣]، ومثله طلب الخروج وترك التقية حتى في عاشوراء، يرون أنهم عوقبوا بكشف السر. وطلب الظهور زمن

---

(١) انظر: التصوف.. المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، ص٢٤٢.

(٢) الكافي، الكليني، ١/ ٤٠١، والأمالي، الصدوق، ص٥٢، وبحار الأنوار، ٢/ ١٨٢، ومكيال المكارم، ٢/ ٣١٦.

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون، ١/ ٤٧٥، والتصوف.. المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، ٢٤١، والكشف عن حقيقة الصوفية، ٢/ ١٩١.

الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنهم عصوا بذلك، أخرج العياشي في تفسيره: (عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[1]، إنما هي طاعة الإمام، فطلبوا القتال، فلما كتب عليهم مع الحسين ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾[2]، أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام)؛ فلعلهم عوقبوا، وإلا: (لو قاتل معه أهل الأرض لقتلوا كلهم)![3].

وهذا مما يدل على أن الطائفتين تنزع من مورد واحد، أو متقارب[4].

٣- تعظيم القبور والأضرحة التبرك والشفاعة: ومثلها إحياء الليالي والمواسم لهذه الأضرحة والمقامات عند الصوفية يكون عند الموالد، ولم أقف على أيام خاصة للمآتم، ومما يستأنس به الإمامية من كون صوفية مصر تحيي عاشوراء في القاهرة عند مقام رأس الحسين، أو غيره من الأضرحة، فهذا الإحياء لا يعرف أنه مأتم ونياحة، بل خلطوا معه الفرح وعمل الأطعمة، فاتخذوه عيداً، فالأصل أن الإمامية تشنع على هذا العمل لأنه من النصب، لا أن تستشهد به، ولكن الهوى يعمي ويصم[5]؛ والإمامية في هذا لها قدم السبق في تشييد القبور والأضرحة، وتعطيل المساجد، وقد شرعوا حج المشاهد، وذلك لما ظهرت دول إخوانهم من القرامطة، والعبيديين، وبني بويه، والحمدانيين[6].

٤- الحضرة: وهو اشتراك منهم في مفهوم الرجعة[1]، التي تشتهر بها الشيعة، فيجري في

---

(١) النساء: ٧٧.

(٢) إبراهيم: ٤٤.

(٣) سبق تخريجه ص٦٧٣ من البحث.

(٤) انظر: التصوف.. المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، ٢٤٣.

(٥) ممن ذكر هذه الأعمال: محسن الأمين في كتاب: كتاب: سيرة السيد محسن الامين، ص١٥٨-١٥٩، (مستخرج من أعيان الشيعة)، ت. هيثم الأمين، وصابرينا ميرفان، ط١، ٢٠٠٠م، شركة رياض الريس - بيروت، وكذلك د. علي الوردي في كتابه، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص٢٣٣.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٧/ ١٦٢، ومساجد مصر، د. سعاد ماهر فهمي، ١/ ٤٦.

(١) فرق معاصرة، د. غالب عواجي، ١/ ٤٨.

مجالس الصوفية تلاوات لأذكار وكرامات شيخ الطريقة، ورياضات تمارس، توصل إلى مرحلة الحضور لنبي، أو شيخ طريقة، أو ولي، أو إمام، وهي مشهورة في مناسبات الصوفية، كالموالد، وقد تكون الحضرة أسبوعية، أو أكثر، وهي بحضور الشيخ ومريديه، ومجالس الحضرة قد تكون صامتة، وتميل إلى الذكر والتأمل، كالنقشبندية والخوفية، وقد تكون صائتة وصاخبة لما فيها من السماع والرقص والطبول على هيئة فرق الغناء والرقص، يتقدمهم "البيشر"، أو "البيشروش"[1]، كالتيجانية والرفاعية والبكتاشية والنعمة الإلهية، والمولوية، ولكل فرقة أسماء تخصها، ومواعيد وتراتيب وما يدعونه من كرامات[2].

الشيعة الإمامية عندهم مثل هذا في مواسمهم، ففي عاشوراء يذكرون الحضرة في مجالسهم، وأنهم يرجون بركة حضور فاطمة الزهراء عند زيارة ابنها الحسين، والتي تتأكد في يوم عاشوراء، أو في الأربعين منه،كما يدعيه كثير من مراجعهم، ففي كامل الزيارة: (حكيم بن داود، عن سلمة، عن الوشا، عمن ذكره، عن داود بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله تحضر زوار قبر ابنها الحسين عليه السلام فتستغفر لهم)[3].

الحضرة تتكرر مع مهديهم الغائب، فيزعمون كذباً حضوره في مآتم العزاء المخلصة، كما يقرره محمد باقر الصدر[4]، بل أشد منه حضوره في مواكب التطبير والعزاء، كما ينقلونه قبل قرنين عن مرجعهم مهدي بحر العلوم، ت/ ١٢١٢هـ، عن حاله عندما مر عليه موكب

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٣٣٠، وذكر أن البيشر اصطلاح أورده شهاب الدين السهروردي في عوارف المعارف، ويعني به الشخص الذي يدير الحضرة، سواء كان الشيخ أو نائبه، ويستعملون الآن كلمة (البيشروش)، وقريب منه الرادود والرواديد في اللطميات الحسينية.

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية، ١/ ٣٣٠، وذكر المؤلف أن البيشر اصطلاح أورده شهاب الدين السهروردي في عوارف المعارف، ويعني به الشخص الذي يدير الحضرة، سواء كان الشيخ أو نائبه، ويستعملون الآن كلمة (البيشروش)، وهو قريب من الرادود عند الإمامية، والرواديد، هم الذين ينشدون اللطميات في المآتم.

(٣) كامل الزيارات، ص١٤٣، وعنه: بحار الأنوار، ٩٨/ ٥٥.

(٤) شذرات من فلسفة تاريخ الحسين، ص١٩١، محمد باقر الصدر، ت. أسعد الناصري، ط ١٤٣٠هـ، هيئة تراث الصدر - النجف.

الزائرين في عاشوراء، والمعروف بعزاء طويرج القريبة من كربلاء، وهو موكب عرف يخرج من هذه البلدة بحماس وركضة عرفت بهم، وكان معهم بحر العلوم، وهم يلطمون: فـ(تفاجأ الذين من حوله بقيامه فجأة بإلقاء عمامته وخلع قميصه، وقد انفجر من شدة البكاء وغاص في وسط الموكب بين الجماهير وهو يلطم بشدة وقوة وهو ينادي ويصيح "واحسيناه.. واحسيناه"... وطوال تلك الفترة رأى هؤلاء من السيد بحر العلوم ما زاد من تعجبهم ودهشتهم، إذ وجدوه في حالة لم يروها من قبل منه، فقد كان يضرب نفسه بقوة وشدة وجزع وهو يبكي ويصيح بأعلى صوته من دون أن يشعر بما حوله، وكان حقاً كالذي فقد عزيزا الساعة!، لا تلوموني، ولا ينبغي لكم أن تلوموا أحداً من العلماء إذا ما قام بذلك.. فإنني ما إن اقترب مني الموكب حتى رأيت مولاي صاحب الأمر ــ عجل الله فرجه الشريف ــ حاسر الرأس، حافي القدمين، وهو يلطم، ويبكي مع اللاطمين الباكين، فلم أحتمل المنظر، ودخلت في الموكب ألطم صدري مع الإمام سلام الله عليه)[(١)].

هذا في حال مراجعهم فحال كذب من دونه حينما يصلون إلى مرحلة الفناء والصحو والسكر ونحوهم من مراتب الصوفية ووجدهم، وبحر العلوم ممن عرف بتسلكه بطرائق التصوف[(٢)]، ومثله كثير ممن أثبت قصصهم ورياضاتهم وخرافاتهم مع المهدي، كمن يحافظ على دعاء العهد أربعين صباحاً يكون من أنصار المهدي، ومن أهل الرجعة الذين يحيون ليقاتلوا معه؛ حتى أصبح هذا الأمر شائعاً بينهم، وقد يكون من ضرورياتهم، فهذا أحدهم يقول: (إني كنت كثيرا ما أسمع من أهل المعرفة والديانة أن من لازم عمل الاستجارة في مسجد السهلة أربعين ليلة أربعاء متوالية، بنية رؤية الإمام المنتظر ــ عليه السلام ــ؛ وفق لرؤيته)[(١)]؛ وهذا الباب عند القوم واسع يصعب حصره وهو مما يؤكد أن أنهم في أمر الهدي

---

(١) مائة مسألة مهمة حول الشيعة، مهدي محمد السويج، ص٧٠، وانظر ص٥٣٧، ٦٤٥ من البحث، ولم يذكر في لطم المهدي المذكور إن كان صاحبه غناء أم لا؟!، فذلك الزمان اعتادت المواكب الغناء وضرب الطبول.

(٢) انظر: لب اللباب في سير وسلوك أولي الألباب، ص١٣٩، محمد حسين الطهراني، ت. عباس نور الدين، دار المحجة البيضاء. بيروت؛ وسيأتي -بإذن الله- نقل عن هذا الكتاب بخصوص بحر العلوم.

(١) مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم، ١/ ٢٤٢، وانظر: ١/ ٥١، ١٣٠، ١٦١، ٣٤٦، ٢/ ٤٦، ٢٥١- ٢٥٥.

كحال الصوفية في أحوالهم.

٥- قراءة الكتب والكرامات الصوفية في حضرة الشيخ، وهذا مثله عند الإمامية في عاشوراء، حيث تقرأ كتب مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بغية جلب الحزن وتوليد الدموع والبكاء، وهذا مما يشبه حال الصوفية، وهذا موضع لانتقال وتضخم بدع عاشوراء، وامتزاجها بالتشيع والتصوف.

٦- العناية بموالد الأولياء، فلكل طريق موعد تحتفل فيها بمولد شيخها، وقد تطول بعضها إلى ثلاثة أيام، أو سبعة، كما في مولد البدوي، ومولد في الهجويري بإقليم لاهور بالباكستان، وهذا الأمر موجود عند الإمامية، فنحتفل بموالد الأئمة الاثني عشر، فعندهم أكثر من اثني عشر مولداً في العام، إضافة إلى موالد غيرهم، كمولد النبي ﷺ، ومولد فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لكن عنايتهم بالمآتم، وخاصة عاشوراء طغى على غيره، لما يولونه من اهتمام واستعداد، ومن العجيب أن مكان احتفالهم بالموالد هو نفس مكان مأتم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث طغى اسم الحسين ومأتمه على مكان الاجتماع، وهو ما يعرف اليوم بالحسينية.

٧- مكان الشعائر والحضرة عند الطائفتين يكون في غير المساجد، حيث يتخذون أماكن خاصة، فعند الصوفية الزوايا والتكايا، وعند الإمامية الحسينيات، والتي انبثقت من نياحة عاشوراء عندهم، وقد سبق الحديث عنها، وعن ظروف نشأتها، وأنه كان في أجواء الصراع بين الإخباريين والأصوليين حول التصوف.

٨- البيعة: وهي عبارة عن ذكر وبيان يتلوه المريد بين يدي شيخه، ومثله قراء سيرة الشيخ وكراماته، والإمامية الأمر عندهم ظاهر في أدعية الزيارة والمناسبات، ومنه دعاء العهد، ومن أورادهم اليومية تتضمن تجديد البيعة للمهدي، والعهد بنصرته، وقراءة الموالد والمقاتل.

٩- التعذيب الجسدي: فالرفاعية، ومنها العيساوية والجزولية وغيرهما تستخدم الخوارق الجسدية والتعذيب، وتعتمد على الطبول وضرب الشيش[1]، والخناجر وأكل الزجاج

---

(١) انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، ١ / ٣٤٧، ٣٧١.

والحيات[1]، ومثلها الإمامية في عاشوراء، فمن شعائر التقوى عندهم التطبير والزناجيل "الحيدريات"، والمشي على الجمر، والزحف، والسير حافياً، والغناء واللطم، والتعري.

١٠- إذلال النفس وإهانتها بما ليس له جنس في الشرع طلباً لصفاء النفس وقهرها، كالسرقة والتسول، ولبس المرقع، ومن ذلك ما ذكره الغزالي في الإحياء عن الصوفي الكريبي شيخ الجنيد، يقول الغزالي: (ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها بإذلال النفس إلى منتهى الضعة والخسة، حتى روي أن ابن الكريبي - وهو أستاذ الجنيد - دعاه رجل إلى طعام ثلاث مرات، ثم كان يرده، ثم يستدعيه، فيرجع إليه بعد ذلك، حتى أدخله في المرة الرابعة، فسأله عن ذلك فقال: قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة، حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد، ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود، ولو رددتني خمسين مرة، ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت)[2].

مثل هذا موجود عند الإمامية، لما بينهما من التداخل، ومنه مسيرة الكلاب عند زيارة القبور، وتسمية أحدهم بكلب صادق، وكلب جواد، وكلب الحسين، استشهاداً بقوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[3]، كما هو معروف عن كبارهم وقادتهم وأعيانهم[4].

١١- الأربعينيات: وهي مجموعة رياضات جسدية، وصومية، وأذكار، واعتكاف أيام عند ضريح، أو سهر ليالي، أو ليلة جمعة، عددها أربعون، يتوصل بها عند الصوفية للكشف، شريطة الإخلاص، والكشف عندهم من أرقى العلوم[5]، ومن القبور المشهورة التي يرتاض عنجها الصوفية بالأربعينيات قبر الهجويري في الباكستان، (ولا يزال قبر الهجويري - في لاهور مطافاً لمئات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال، وموضعاً لعبادة الأولياء، وخلوة ورع النساك، يتجهون إليه، ليعتكفوا فيه فترة الأربعينية،... وقد اشتهر عن قبر الهجويري أنه

---

(١) انظر: الصوفية وطرقها، ممدوح الحربي، ص١٧.

(٢) إحياء علوم الدين، ٤/ ٣٥٨.

(٣) الكهف: ١٨.

(٤) راجع فقرة النياحة: الصياح والعويل، ص٥٥٨ من البحث.

(٥) انظر العلاقة بين التشيع والتصوف، ص ٤١٨، ٣٧٧.

يحقق حاجة كل ذي حاجة، إن هو طاف بروضته المنورة أربعين ليلة جمعة، أو أربعين يوماً على التوالي، ويحتفل أهل الباكستان حكومة وشعباً بمولد الهجويري كل عام، ويمتد الاحتفال بالعرس سبع ليال)[1].

من هذا الباب ـ أيضاً ـ أن تشارك بعض الطرق الصوفية في الاحتفال بعاشوراء، وتبدأ بعده بشعائرها الخاصة، بل يرون من الوسائل المرجوة عندهم: (أن يداوم بالدعاء للفرج أربعين يوما فإن للمداومة بكل عبادة أربعين يوما أثرا خاصا وفوائد مخصوصة)[2]، ومنه طلب الفرج والظهور واللقاء.

فيما سبق إشارة إلى التوافق بين الصوفية والشيعة الإمامية، ومن المشاعر الخاصة بالطريقة الرفاعية أيضاً الخلوة الأسبوعية السنوية، وتبدأ عندهم في اليوم الحادي عشر من المحرم كل عام، ومن شروطها أن لا يأكل المريد طعاماً أخذ من ذي روح، ويذكر المريد في اليوم الأول لا إله إلا الله بعدد معلوم، واليوم الثاني الله الله، والثالث وهاب وهاب، والرابع حي حي، والخامس مجيد مجيد، والسادس معطي معطي، والسابع قدوس قدوس، وكل ذلك بعدد معلوم، وكذلك أن يقول المريد بعد كل صلاة من صلوات هذا الأسبوع (اللّهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله وصحبه وسلم) يقول ذلك مائة مرة، وزعموا أن لهذه الخلوة فتوحات محمدية، وعنايات أحمدية لا تحصى، وأن من فعلها شاهد من البراهين العظيمة، وكان له شأن عظيم[3].

أما الإمامية فلها نصيب من هذا الجانب، ومن ذلك المعرفة النورانية، التي تكتسب من خلال ولاء المعصومين، كما يذكر أحد معاصريهم[1]، ومما يلحظ فيما يخص عاشوراء من

---

(١) كشف المحجوب، للهجويري، ١/ ٩٤، ت/ د. إسعاد قنديل، ط ١٩٨٠م، دار النهضة. بيروت، وانظر: بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية، ص ٧٨، محمد حامد الناصر.

(٢) مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم، ٢/ ٤٦، ٢٥١- ٢٥٥.

(٣) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٧٦- ٣٧٨، ويلحظ على الصلاة على النبي أنه أضيف إليها الآل والأصحاب، على غير عادة الرافضة الإمامية.

(١) الحق المبين في معرفة المعصومين، علي الكوراني، ص ٥٠٧.

وسائل هذه المعرفة الزيارة التي تسمى الأربعين، في العشرين من شهر صفر، وهي بعد مضي أربعين يوماً من عاشوراء المحرم، وقد يتخللها رياضات وخلوات روحية هذه المدة، وتلاوة ختمات تهدى لإمامهم الغائب[1]، ومنها دعاء الفرج، أو دعاء العهد والنور الذي يقرأونه رغبة في ظهور المهدي، والكشف عنه ومن قرأه: (من دعا إلى الله أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا عليه السلام)[2].

منها ــ أيضاً ــ ما أخرجه العياشي في تفسيره في مأساة بني إسرائيل وبكائهم: (عن الفضل بن أبي قرة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوحى الله إلى إبراهيم أنه سيولد لك فقال لسارة فقالت: «أألد وأنا عجوز»، فأوحى الله إليه أنها ستلد ويعذب أولادها أربعمائة سنة بردها الكلام علي، قال: فلما طال على بني إسرائيل العذاب ضجوا وبكوا إلى الله أربعين صباحا، فأوحى الله إلى موسى وهارون يخلصهم من فرعون، فحط عنهم سبعين ومائة سنة. قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: هكذا أنتم لو فعلتم لفرج الله عنا، فأما إذ لم تكونوا فان الأمر ينتهي إلى منتهاه)[3].

منها ما يروه المجلسي في بحاره في خبر ولادة فاطمة رضي الله عنها، أن أمها قبل أن تكون نطفة في أمها احتجب رسول الله عن أمها خديجة ــ رضي الله عنها ــ أربعين صباحاً، بأمر من الله، فاغتم لذلك، واشتغل بالصوم والصلاة أربعين يوماً، حتى أذن له بإتيان أهله،

(١) هذه ظاهرة تكثر في السنين الأخيرة في مواقع الانترنت، ومنتدياتها، بقراءة ختمات قرآنية جماعية، أو بالتناوب، رغبة في ظهور المهدي، انظر مثلاً موقع: المركز الإعلامي للسيد الصرخي الحسني، على الرابط التالي:
http://www.al-hasany.com/vb/showthread.php?s=e2496ec739f02faacadd5503695367e7&t=218138

(٢) المزار، لابن المشهدي، ص ٦٦٣: (روي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: من دعا إلى الله أربعين صباحا بهذا العهد كان من أنصار قائمنا عليه السلام، فإن مات قبله أخرجه الله تعالى من قبره، وأعطاه الله بكل كلمة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، وهو: (اللّهم رب النور العظيم، ورب الكرسي الرفيع، ورب البحر المسجور، ومنزل التوراة والإنجيل والزبور، ورب الظل والحرور، ومنزل الفرقان العظيم، ورب الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين...).

(٣) تفسير العياشي، ونقله المجلسي في بحار الأنوار، ٥٢ / ١٣١ – ١٣٢.

ونزل عليه جبريل بمنديل سندس فيه إفطاره، تأهباً لحمل فاطمة[1]، وهذه الأخبار المكذوبة كثيرة عندهم، وهي مما يرونه وسيلة للنور والكشف، ورياضة لحضرة الأئمة في المآتم والمواكب، يقظة أو مناماً.

١٢- سقوط التكليف عن المكلف في غلبة الروح وسكر النفس، فيأمرون السالك أن يحصل هذه الحالة، ثم يعذرونه عن مخالفة الشرع، وربما حسنوا له ذلك لأنه يحقق مقصداً أعظم، مع ما لديهم من المنكرات الظاهرة في مجالسهم وأذكارهم واحتفالاتهم، كالرقص والغناء الذي يسمونه السماع، والذي أنكر عليهم ـ حتى من الإمامية، كما سيأتي إن شاء الله ـ، ومثلهم الإمامية، يتركون الجمع والجماعات، ويجمعون الصلوات من غير عذر[2]، وفي عاشوراء يولدون الأحزان، ويهيجون النفوس، ويسكتون عن أفعال الشعوذة وأكل المسكرات، لأجل الإحماء والإبداع في التطبير والمشي على الجمر وغيرها من البهلوانيات، ثم ما حصل من جهالهم من منكر، أو تضييع واجب عذروهم فيه، بل قد يستحسنونه، لأنه في سبيل الحسين، ولإعلاء المذهب، وأعظم ما يقلقهم هو توهين المذهب أمام المخالفين، أما توهين الإسلام فالإسلام عندهم لا بواكي له، لكن ما استحسنته أهوائهم يبكون عليه بالدم، أو بالدمع، فهل هدمت الشرائع وأسقطت التكاليف إلا بمثل هذه الأهواء والزندقة.

إذا كان إسقاط التكاليف، والقول بالإباحية، وهدم الشريعة النبوية تهماً ارتبطت كثيراً ومباشرة بمقالات الغلو، كادعاء النبوة، أو الإلهية، أو إنكار الله، أو كمقالة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، مما جعل الناس تنفر منها نفرة ظاهرة، وجعل الاتهام بها مثار إزعاج لمن حام حولها، أو لبسها بلبوس جديد، لما علق في الأذهان من كفر قائلها، وشناعة أقوال قائليها، وأنه يحرم الحلال ويحل الحرام، وإذا كان نصيب المتصوفة أكثر وأسبق في شخصيات حام حولها الجدل، فإن الإمامية لم تخلو من ذلك، وإن كانت الإمامية ابتعدت عن الأنظار لاستقلالها بفقه وشرائع تخصها، وجعلت من ضمن قواعد الترجيح عندها مخالفة العامة،

---

(١) بحار الأنوار، ١٧ / ٧٨.

(٢) قد يستثنون هذا بإتمام الصلاة في مثل حرمي النجف وكربلاء ! لقربهما من الأئمة.

ولم تندرج في ضمن شرائع المسلمين الظاهرة إلا على سبيل التقية، وهو مما سبب لها عزلة عن عامة المسلمين وجمهورهم، ولعل طول العهد وإلفة العمل وكثرة المخالف، وتوسع الجدل والتأويل أنسى وحشة المفارقة، وحب الجماعة، وشناعة المقولة وشناعة لوازمها.

الإمامية تركت عدداً من التكاليف المشهورة بين المسلمين، كالجمعة، والصلاة على وقتها، وصلاة التراويح، والإفطار حين الغروب، وغسل القدمين في الوضوء، وتحريم المتعة، وغيرها من المسائل، فكثرة المخالفة هونت توسعها وتطورها، حتى وصل الحال باستقلالهم بمثل بدعة عاشوراء الكبرى، والتي يضاهون بها الركن الخامس من أركان الإسلام، حج بيت الله الحرام، ويتظاهرون به أيما تظاهر، ثم مع هذا يزعمون أنه عمل مشروع، باسم المحبة لآل البيت، فكم أسقطوا، وكم ابتدعوا، وإن زعموا أن فقههم ظاهر، وأنه لا تقية فيه في هذه الأزمان، فلا شك أن بدعهم وبدع غيرهم ظاهرة، لكن لا يعني ذلك مشروعيتها.

وبعد: فعرفنا بما سبق صور كثيرة للتشابه بين اللإمامية والصوفية في المسالك والشعائر، مما يتكرر كثير منه في عاشوراء، والعجب من حالهم لا ينتهي، فمع شهرة إنكار أعلامهم لبدع التصوف السابقة، وتفسيق وتضليل الصوفية بها؛ أصبحت شعائر التصوف من الشعائر الحسينية المقدسة في عاشوراء، فما استشنعه علماؤهم على الصوفية استحسنوه وقدسوه لأتباعهم، وهذا يشير إلى أن هذه البدع العملية ما وصلت إليهم إلا بعد تسرب بدع الصوفية القولية، والمشهورة عند غلاة الصوفية ـ كما أكده أعلامهم ـ، وأن أرضية اللقاء بين الطائفتين واسعة، ولا يحجزها إلا التعصب للأسماء دون الحقائق؛ ولأهمية تجلية مرحلة الدولة الصفوية في تجلية هذا الجانب، وحال الصراع فيها بين التشيع والتصوف وأثره على عاشوراء؛ كان هو حديث المطلب التالي.

المطلب الثالث

أثر الصراع مع التصوف زمن الدولة الصفوية على عاشوراء

من أشهر الصراعات التي جرت بين الإمامية والصوفية هي تلك التي جرت بعد تسلم الصفويين زمام الحكم، واعتمادهم المذهب الاثني عشري في الحكم، وقد سبق هذا الصراع بغيره، كمقدمة له، كما يظهر من ردود بعض الأشاعرة على الإمامية[1]، لكن الصراع العلمي والعملي الأهم والأكثر صدى هو ما جرى زمن الدولة الصفوية، إذ كان له معالم قطيعة بين الطائفتين، ولكن الذي يهمنا هو معرفة أثره على عاشوراء وشعائرها، وهل تسبب ذلك في انقطاع تدفق الشعائر الصوفية إلى عاشوراء؛ والذي يحتاج منا إلى شيء من البسط.

بين الصوفية والصفوية تقارب لفظي اشتقاقي، بل يشير كلام بعض الصوفية المتقدمين إلى تقارب اشتقاقي، فيذكر السهروردي ــ في القرنين السادس والسابع ــ أن الصوفية من الصفاء فهم صفوية، ثم قلبت إلى صوفية للاستثقال !، واسم مؤسس الطريقة صفي (صفي الدين)، وإليه تنتسب الأسرة التي سميت بها الدولة الصفوية، فهي أسرة صوفية؛ ولعل اسم صفي ومصطلح الصفاء كان دارجاً قبل تلك الفترة[2]، بل ربما وصف به الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ[3]؛ واستعان أحفاد صفي الدين بالطرق الصوفية الشيعية لإقامة دولتهم الصفوية،

---

(١) سبق ص٥٩٣ من البحث ذكر موقف الخواجه ملا فضل الله روزبهان الخنجي الشيرازي، الشافعي، في كتابه: إبطال نهج الباطل، والذي ألفه عام ٩٠٩هـ، ورد به على كتاب ابن مطهر الحلي: نهج الحق، وعلى شراح كتابه، وذلك قبيل قيام الدولة الصفوية التي فر منها.

(٢) انظر: عوارف المعارف، ص١/ ٦٠ـ ٦٥، عمر بن محمد السّهروردي، ت/ ٦٣٢هـ، ت. أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة، ط١، ١٤٢٧هـ، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة.

(٣) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، ص٢٦، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، ت/ ٣٨٠هـ، ت. أحمد شمس الدين، ط١، ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية – بيروت، وقد ذكر الكلاباذي عن الطبقة الأولى من الصوفية ـ وهم الصحابة ـ أنهم: (آذانهم واعية، وقلوبهم صافية، صفوية صوفية، نورية صفية، وودائع الله بين خلقه، وصفوته من بريته، ووصاياه لنبيه، وخباياه عند صفيه، هم في حياته أهل صفته، وبعد وفاته خيار أمته).

فالدولة الصفوية صوفية الأصل، وشيعية السلسلة، فما الذي غلب جانب التشيع عليها بعد قيام دولتها؟ وما موقفها من التصوف بعد ذلك؟

في الجواب على السؤال الأول يرد أكثر من احتمال لسبب اختيار الصفوية للمذهب الاثني عشري مذهباً رسمياً للدولة، وفرضه على المجتمع الإيراني السني المحسوب أكثره على الصوفية، وهي كما يلي:

أ- أن هذا هوى وسياسة ليكسب العوام باسم آل البيت، ولكسب المشروعية بأنهم من سلالتهم ليقيموا دولتهم، وليوحد شعبهم مقابل عدوهم السني "الدولة العثمانية"، لكن هذا يرد عليه أن الدولة العثمانية تنتسب إلى الصوفية ــ أيضاً ــ، فهي لا تتبنى معاداة آل البيت، فهو سبب فيه بعد وخفاء.

ب- أن الطريقة الصفوية شيعية تسترت تحت التصوف، فلما تمكنت أعلنت مذهبها، وقد يرد مع هذا أنها من بقايا الفرق الباطنية الإسماعيلية، لكن هذا لا يستند إلى ما يثبته إلا القول بأن الصوفية والإسماعيلية بمرتبة واحدة في الباطنية، وقد يؤيده ما سبق أن من ضمن جيش الصفويين "القزلباش" فرق مؤلهة كالنعمة الإلهية، والسنية السعدية التي مؤسسها من تلاميذ ابن عربي، وغيرها من الفرق التي تأثرت بعقيدة وحدة الوجود؛ إضافة إلى أن هذه الفرق لاقت اضطهاداً عرقية من الدولة العثمانية التركية، وربما أنهم وقعوا كأسرى حرب للدولة العثمانية مع تيمورلنك(١).

ت- أن الدولة الصفوية حين لاقت نجاحاً في بدايتها تشرفت للاستيلاء على العراق، وأن مما يسوغ هذا الطمع كونها تضم مراقد آل البيت والعتبات المقدسة عند الشيعة، فالامتداد والتوسع الجغرافي لحدود الدولة لا يؤيده إلا التشيع، إذ التصوف وجد له حماية من الدولة العثمانية، فالتشيع مسوغ للتعاطف الداخلي والخارجي أكثر من التصوف، وهو مكمن ــ ولا شك ــ استغل من الاستعمار الأجنبي ــ فيما بعد ــ لإسقاط الدولة العثمانية؛ ومما يوحي بذلك أن الصفوية بعد أن استعانت بالدولة

---

(١) انظر ص٧٤٨ من البحث.

التيمورية المغولية طمعت أن تحل محلها، وهو ملمح قد يقل ذكره، لكن يبقى أن اختيار التشيع بدلاً من التصوف لأسرة صوفية أمرٌ محيرٌ لم أجد له جواباً صحيحاً، وخاصة مع نفوذ الاتجاهات المتناقضة في منصب شيخ الدولة الصفوية، ما بين متصوف مشرع للعن الشيخين، وما بين مقر للعن الشيخين معاد للتصوف[1]، ولهذا لعل الفارق الأبرز بين التصوف والتشيع هو الموقف من الشيخين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الجواب الأول أظهر عند كثير ممن تكلم عن الدولة الصفوية، والموضع الذي يبدي غلوهم هو فرضهم سب الصحابة وخاصة الشيخين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على الناس، ومن أشهره الجهود الفكرية في ذلك ما قام به شيخ الدولة حين ألف كتابه: "نفحات اللاهوت في شتم الجبت والطاغوت"[2]، وهو ما عجزت عن فرضه الدول التي بعدهم كالقاجارية، وذلك لأن الفرق لا تقول كلها بهذا المذهب؛ وإن كنت أرجح الاحتمال الثالث، وهو قريب من الثاني، لأنهما سلما من النقد بخلاف؛ لكن يبقى السؤال: ما موقف الدولة الصفوية من التصوف والصوفية بعد أن اعتمدت التشيع الإمامي؟ وهل رضيت بالتقارب المشهور بين

---

(١) الغدير، الأميني، ١١/ ٢٥٢، ذكر في ترجمة شيخ الصفويين محمد بن الحسين البهائي، ٩٥٠-١٠٣٠هـ، ما قاله المعاصر للمجلسي: محمد أمين بن فضل الله المحبي الحموي الدمشقي الحنفي، ت/ ١١١١هـ، صاحب: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ص٤٤٠، ٤٤١، حيث يقول عن البهائي: (زار النبي عليه الصلاة والسلام، ثم أخذ في السياحة، فساح ثلاثين سنة، واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أهل الفضل، ثم عاد وقطن بأرض العجم،... وصل إلى أصفهان، فوصل خبره إلى سلطانها شاه عباس، فطلبه لرياسة علمائها، فوليها، وعظم قدره، وارتفع شأنه، إلا أنه لم يكن على مذهب الشاه في زندقته لانتشار صيته في سداد دينه، إلا إنه غالى في حب آل البيت)، قال الأميني تعليقاً: (ما أجرأ الرجل على الوقيعة في مؤمن يقول: ربي الله)، ثم استشنع ما ذكر، وشرع في الدفاع عن البهائي، والهجوم على صاحب الخلاصة، والشاهد مما ذكر هو وجود من يتهم الشاه الصفوي الصوفي بالزندقة، وهو إشارة إلى غلو الطريقة الصفوية في تصوفها، ومما قد يؤيدها وجود تقاطع بينهما، حتى أن البهائي اعتزل منصبه بحيلة الحج إلى مكة، وأشار الأميني إلى أن البهائي الصوفي هو شيخ للفيض الكاشاني، ومحمد تقي المجلسي، كما أشار إلى معركة بين البهائي والأردبيلي المشهور بحربه للصوفية، انظر الغدير، ١١/ ٢٨٤.

(٢) انظر الذريعة، الطهراني، ٢/ ٥٥، ١٨/ ٢٤٣، ٢٤/ ٢٥، وقد يسمى اللمع، أو أسرار اللاهوت؛ مع أن الكركي كان رافضياً، لكن يتقي، وقد درس في القاهرة مذاهب السنة حتى ظن سنياً، واختلف الناس فيه!، وقد سبقت ترجمته ص٣٩٥ من البحث.

التشيع والتصوف؟

اشتهر أن العلماء العامليين الذين استقدمتهم الدولة لمنصب المشيخة هم فقهاء شيعة متصوفة، كالبهائي، ت/ ١٠٣٠هـ[١]، وقبله والده حسين عبد المقصود العاملي، ت/ ٩٨٤هـ[٢]، وقبله الكركي، ت/ ٩٣٨هـ[٣]، الذي عرف عنه غلو في التصوف، ونسبت إليه بعض الغرائب، وهكذا غيرهم من علماء فارس الذين قربتهم الدولة الصفوية، ومنهم طائفة أخرى كالمازندراني، ت/ ١٠٨٦هـ، الذي شرح أصول الكافي للكليني[٤]، وصهره محمد تقي المجلسي، ت/ ١٠٧١هـ، على المشهور عنه عند الصوفية الإمامية.

من أشهر المواقف التي تبين هذا الموقف الرسمي للدولة الصفوية هو ما تبناه شيخ الدولة وعلامة المذهب، محمد باقر المجلسي الإخباري ــ صاحب بحار الأنوار: خاتمة كتب الرواية[٥] ــ، حيث تبنى القول بكفر الصوفية، وكان يتعقبهم في مواضع كثيرة من كتبه، ويبين كذبهم في مرويات آل البيت، وتبرأ منهم، ويمكن أن أشير إلى بعض الأمور التي تبناها

---

(١) محمد حسين البهائي الحارثي العاملي، ويلقب ببهاء الدين، ٩٥٣-١٠٣٠هـ، توفي في أصفهان، تتلمذ على والده وعلماء قزوين عاصمة الدولة الصفوية، وهو معظم عند الإمامية، انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ٢٣٤-٢٥٠.

(٢) حسين الحارثي العاملي، ويلقب ببهاء الدين، ٩١٨-٩٨٤هـ، توفي في البحرين، تتلمذ على يديه عدد من الإمامية في قزوين عاصمة الدولة الصفوية، وهو معظم عند الإمامية، انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ٢٣٤-٢٥٠.

(٣) الكركي، له فترتان: ١/ منصب صدر الدولة: (الأوقاف والشؤون الدينية)، ٢/ منصب شيخ الإسلام (القضاء).

(٤) شرح أصول الكافي، ١/ ٧-١٦، وقال أبو الحسن الشعراني في مقدمته للكتاب: (والذي يظهر من بعض عبارات الشارح أن علم الفروع عنده لم يكن بمثابة المعارف في الشرف والأهمية، ولذا لم ينظر إليه إلا بالقصد الثاني، وصرح بذلك في بعض كلامه قال: إن اسم الفقه في العصر الأول إنما كان يطلق على علم الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع في نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلب، ويدل عليه قوله تعالى: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)، فقد جعل العلة الغائية من الفقه الانذار والتخويف، ومعلوم أن ذلك لا يترتب إلا على هذه المعارف، لا على معرفة فروع الطلاق والمساقاة والسلم وأمثال ذلك).

(٥) كتب الرواية الأخيرة أربعة، إضافة إلى كتب الرواية القديمة، والمدرسة الأصولية تدعي أن كتب الرواية التي تبنتها الإخبارية أعاقت مسيرة البحث الأصولي، الذي تتبناه المدرسة الأصولية، وإن كانت دعمته في جانب الاجتهاد الفقهي، انظر: المعالم الجديدة للأصول، محمد باقر الصدر، ص٨٨.

المجلسي في هجومه على الصوفية، ذاكراً بعض من وافقه من الإمامية الاثني عشرية، ومن هذه الأمور ما يلي:

أ- تكذيبهم في نسبة أبيه تقي المجلسي إلى التصوف والرياضات الصوفية كالأربعينيات، يقول المجلسي الابن صاحب البحار: (وإياك أن تظن بالوالد العلامة نور الله ضريحه أنه كان من الصوفية، ويعتقد مسالكهم ومذاهبهم، حاشاه عن ذلك، وكيف يكون كذلك؟ وهو كان آنس أهل زمانه بأخبار أهل البيت ــ عليهم السلام ــ، وأعلمهم بها، بل كان سالكاً مسالك الزهد والورع، وكان في بدو أمره يتسمى باسم التصوف، ليرغب إليه هذه الطائفة، ولا يستوحشوا منه، فيردعهم عن تلك الأقاويل الفاسدة والأعمال المبتدعة، وقد هدى كثيراً منهم إلى الحق بهذه المجادلة الحسنة، ولما رأى في آخر عمره أن تلك المصلحة قد ضاعت، ورفعت أعلام الضلال والطغيان، وغلبت أحزاب الشيطان، وعلم أنهم أعداء الله صريحاً تبرأ منهم، وكان يكفرهم في عقائدهم الباطلة، وأنا أعرف بطريقته، وعندي خطوطه في ذلك)[1].

يستفاد مما ذكره المجلسي كثرة الشيعة المتصوفة في ذاك الزمن، وأن والده لما رأى عدم استجابتهم أعلن تكفيرهم، بسبب أعمالهم وعقائدهم الباطلة، والأغرب في هذا أن علماء الإمامية مع هذا يتسمون بالمتصوفة مدارة للصوفية، وطمعاً في جذبهم، وهذا يصدق على من كان منهم متشيعاً، وكذلك على من لم يكن متشيعاً بجلاء، على ما بين الطائفتين من التقاء.

ب- المضايقة العملية، وذلك من خلال طردهم من مناصب الدولة وتتبعهم في عاصمتها ومدنها الكبرى، وإغلاق زواياهم وتكاياهم، وطردهم منها![2]؛ ومن المحتمل أن هذه القسوة مع التصوف سوغ للتصوف أن يرجع من جديد، وبلبوس جديد ــ ولو بدعوى المظلومية ــ، فيعيد تكاياه باسم التشيع الحسيني، ويسميها حسينيات، علماً أن بعض البلدان

---

(١) رسالة الاعتقادات، نقلاً: عن مقدمة كتاب "الرسائل العشر"، ص٨، لابن فهد الحلي، ت/ مهدي الرجائي، وترجمة المجلسي ووالده وأسرته موجودة ضمن بحار الأنوار، ج/ ١٠٢.

(٢) ذكر في هذا الصدد كثير من المهارات الغريبة والظريفة، ومنها أنهم كانوا يطوفون على في الأسواق فإذا مروا بصانع فخار، ويخرج صوتاً يشبه ذكر الصوفية "ياهو" حطموه !.

تحاول إبقاءها على وظيفتها رسالتها، وهي الحزن والمأتم، فيكتفي لتلك البنايات باسم المأتم، وهذا لاحظته فيما يكتب عنها في البحرين(١)؛ ويبقى ما سبق واقعاً للتصوف العملي.

أما التصوف النظري فانضوت مدارسه تحت مسمى العرفان والعرفاء، وحمتها الحوزات الشيعية، والتي يسيطر على غالبها الاتجاه الأصولي، والذي لم يتبن الهجوم على التصوف بمثل الوضعية السابقة، بل قبوله لمثل الحسينيات، وما يجري فيها من طرائق وطقوس صوفية دليل على تبنيه لها أصلاً؛ كما أن العرفان الشيعي أهمل السلسلة الصوفية المعروفة بسبب الهجوم على الصوفية، واستعاض عنها بمسالك جديدة، وتعلق بشروح أدعية الأئمة، ومما برز في هذه الفترة شرح الزيارة الجامعة، لأحمد الأحسائي، ومثلها شروح الصحيفة السجادية، والتي أعادت من خلالها موروث الصوفية(٢).

ت- نشر المجلسي لكتب الأخبار التي ترويها الإمامية ــ ومنهم المجلسي ــ عن الأئمة، والتي اشتملت على ذم لباس المتصوفة، وذم الصوفية، ووجوب هجرهم، وألف جمع من الشيعة في ذم التصوف والصوفية(٣)، ومنهم من سبق المجلسي، كأبيه محمد تقي المجلسي

---

(١) راجع ص٣٤٠- ٣٤٢ من البحث، علماً أن البحرين تحتضن أشهر بقايا الإخباريين، ولعل ذلك من آثار الصراع بين الإخباريين والأصوليين.

(٢) انظر: لب اللباب في سير وسلوك أولي اللباب، الطهراني، ص ١٤٢، والعرفان الشيعي، الحيدري، ص٦٧.

(٣) هناك عدد من المؤلفات للإمامية في الرد على الصوفية، ذكر محقق كتاب: رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية (الاثنا عشرية)، للحر العاملي، ت/ ١١٠٤هـ، ت. مهدي اللازوردي، ومحمد درودي، ط ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية – قم، نقلها من الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للطهراني، ١٠/ ٢٠٤-٢١٠، وأنقل ما ذكره لمعرفة مدى مخالفة الإمامية للصوفية، وخاصة الإخبارية، وهي ما يلي:

١- الرد على الصوفية، للمحقق الميزرا أبو القاسم القمي، ت/ ١٢٣٣هـ.
٢- الرد على الصوفية، لأحمد بن محمد التوني.
٣- الرد على الصوفية، لإسماعيل بن محمد بن حسين المازندراني، المشهور بالخواجوئي.
٤- الرد على الصوفية، لأعظم علي البنكوري.
٥- الرد على الصوفية، مستخرجا عن كتاب حديقة الشيعة، للأردبيلي، استخرجه بعض معاصريه.
٦- الرد على الصوفية، لبعض أمراء عصر فتح علي شاه (فارسي).
٧- الرد على الصوفية، موجود في مكتبة العالم مهدي الحسيني اللازوردي (فارسي).
٨- الرد على الصوفية، للأمير محمد تقي الكشميري.

=

الذي كان يكفر الصوفية، كما ذكره عنه ابنه، ومنهم الحر العاملي المعاصر للمجلسي؛ ويرى المجلسي أن تعظيم كلام الأئمة عند الإمامية واجب، ولا يحتمل تأويلاً، ولا نسخاً، ولا حيلة للمخالف من الإمامية في التصوف إلا الهوى والجهل بخطر بدعة التصوف.

ث- بيان المجلسي أن الصوفية يعملون بأخبار لم تروها الإمامية عن الأئمة، فهم على هذا مبتدعة ضلال، ويوافق المجلسي على هذا المأخذ عدد من الإمامية ــ وخاصة الإخبارية ــ، ومنهم المرجع المعاصر وآيتهم العظمى محمد رضا الموسوي الكلبايكاني، ويعترض على سلسلة الصوفية "الخرقة"، وتفريقهم بين الشريعة والحقيقة، حيث يقول: (ولذا فيجب الاحتراز عما يخترعه أولئك كاختراع السلاسل، والأخذ عن غير الفقهاء، في الرياضة والتفريق بين الشريعة والطريقة، ولا يجوز اعتناق طريقتهم أو الركون إليهم، ولا نرى من علمائنا الإمامية أحدا قد سلك مسلكهم أو يرضى بعقيدتهم، عصم الله المسلمين من شرور المبدعين إن شاء الله العالم)[1].

ج- إنكاره لأحوالهم عند السماع من الوجد والجذب والسكر، وما يجرى في مجالس المتصوفة، وفي هذا ينقل عن الكراجي، فيقول في: (قال الكراجكي قدس الله روحه في كنز الفوائد: لقد اضطررت يوما إلى الحضور مع قوم من المتصوفين، فلما ضمنهم المجلس أخذوا

=

٩- الرد على الصوفية، للمولى حسن بن محمد علي اليزدي.

١٠- الرد على الصوفية، لدلدار.

١١- الرد على الصوفية، لمحمد رضى القزويني.

١٢- الرد على الصوفية، لمحمد طاهر بن حسين الشيرازي النجفي القمي.

١٣- الرد على الصوفية، لعلي بن الميرزا فضل الله المازندراني.

١٤- الرد على الصوفية، لمحمد علي بن محمد مؤمن طباطبائي.

١٥- الرد على الصوفية، فاضل ابن سيد قاضي الهاشمي (فارسي).

١٦- الرد على الصوفية وخرافاتهم، لمحمد بن عبد علي آل عبد الجبار القطيفي.

١٧- الرد على الصوفية، لمطهر بن محمد المقدادي (فارسي).

١٨- الرد على الصوفية، ففتح الله المتخلص (وفائي).

(١) إرشاد السائل، ص١٩٧، محمد رضا الموسوي الكلبايكاني، ط١، ١٤١٣هـ، دار الصفوة. بيروت.

فيما جرت به عادتهم من الغناء والرقص، فاعتزلتهم إلى إحدى الجهات، وانضاف إلي رجل من أهل الفضل والديانات، فتحادثنا ذم الصوفية على ما يصنعون، وفساد أغراضهم فيما يتناولون، وقبح ما يفعلون من الحركة والقيام، وما يدخلون على أنفسهم في الرقص من الآلام، فكان الرجل لقولي مصوبا، وللقوم في فعلهم مخطئا، ولم نزل كذلك إلى أن غنى مغني القوم هذه الأبيات:

وما أم مكحول المدامع ترتعي ... ترى الأنس وحشا وهي تأنس بالوحش

غدت فارتعت ثم انتشت لرضاعه ... فلم تلف شيئاً من قوائمه الخمش

فطافت بذاك القاع ولهاً فصادمت ... سباع الفلا ينهشنه أيما نهش

بأوجع مني يوم ظلت أنامل ... تودعني بالدر من شبك النقش

فلما سمع صاحبي ذلك نهض مسرعاً مبادراً، ففعل من القفز والرقص والبكاء واللطم ما يزيد على ما فعله من قبله ممن كان يخطئه ويستجهله، وأخذ يستعيد من الشعر ما لا يحسن استعادته، ولا جرت عادتهم بالطرب على مثله، وهو قوله:

فطافت بذاك القاع ولهاً فصادفت ... سباع الفلا ينهشنه أيما نهش

ويفعل بنفسه ما حكيت، ولا يستعيد غير هذا البيت، حتى بلغ من نفسه المجهود، ووقع كالمغشي عليه من الموت، فحيرني ما رأيت من حاله، وأخذت أفكر في أفعاله المضادة لما سمعت من أقواله، فلما أفاق من غشيته لم أملك الصبر دون سؤاله عن أمره، وسبب ما صنعه بنفسه مع تجهيله من قبل لفاعله، وعن وجه استعادته من الشعر ما لم تجر عادتهم باستعادة مثله، فقال لي: لست أجهل ما ذكرت، ولي عذر واضح فيما صنعت، أعلمك أن أبي كان كاتباً، وكان بي براً، وعلي شفيقا، فسخط السلطان عليه فقتله، فخرجت إلى الصحراء لشدة ما لحقني من الحزن عليه، فوجدته ملقى والكلاب ينهشون لحمه، فلما سمعت المغني يقول:

فطافت بذاك القاع ولهاً فصادفت ... سباع الفلا ينهشنه أيما نهش

ذكرت ما لحق أبي، وتصور شخصه بين عيني، وتجدد حزنه علي، ففعلت الذي رأيت

بنفسي، فندمت حينئذ على سوء ظني به، وتغممت له غماً لحقه واتعظت بقصته)[1].

إذا كان الأمر كذلك فماذا لو رأي المجلسي ما يفعله قومه في مواكب التطبير والعزاء، وما يجري من أحوال الموالين !، والذي أنكره غيره من بعده، ولكن «لا حياة لمن تنادي».

يوافق المجلسي على إنكار طرائق الصوفية آخرون من مثل محمد بن الحسن بن علي بن محمد، المعروف بالحر العاملي، ت/ ١١٠٤هـ، صاحب وسائل الشيعة، حيث ألف كتاباً سماه (الاثني عشرية)، رد فيه على الصوفية؛ والاثنان يطعنان على الصوفية، ويكفرانهما، ويصفونهم بالنواصب، ومن ذلك ما ذكره الحر العاملي عن أبي حامد الغزالي أنه رأس النواصب، بعد براءته من الحسن البصري وسفيان الثوري[2]، يقول إعجاز حسين في كتابه: كشف الحجب والأستار عن هذا الكتاب: (قد ذكر فيها اثني عشر فصلا ورد فيها على الصوفية، معرباً عن

---

(١) بحار الأنوار، ٦٧/ ١١٩.١٢٠.

(٢) انظر: رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية (الاثنا عشرية) ص١٥، وأعيان الشيعة، ٢٧٣/٦، وفي ١٦٨/٩، في ترجمة الحر العاملي، وذكر أن اسم الكتاب: "الرد على الصوفية"، كما تسمى: الاثنا عشرية.

ولأهمية كتاب الحر العاملي فإني أعرض أبوابه التي خصصت للرد على الصوفية، كما جاء في مقدمة مؤلفه، وهي كما يلي:

الأول: في إبطال هذه النسبة وذمها.

الثاني: في إبطال التصوف وذمه عموما.

الثالث: في إبطال اعتقاد الحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

الرابع: في إبطال الكشف الذي يدعونه وعدم اعتباره ونفي حجيته.

الخامس: في إبطال ما يعتقدونه من سقوط التكاليف الشرعية عندهم.

السادس: في إبطال ما يعتقدونه عبادة من الجلوس في الشتاء وما ابتدعوه من الرياضة.

السابع: في إبطال ما يعتقدونه من أفضل العبادات من القتل والسقوط على الأرض والاضطراب.

الثامن: في إبطال ما يعتقدونه كذلك من الرقص والصفق بالأيدي والصياح.

التاسع: في إثبات ما يبطلونه ويمنعون منه من السعي على الرزق وطلب المعاش والتجمل.

العاشر: في تحريم ما يستحلونه ويعدونه عبادة من الغناء.

الحادي عشر: في إبطال ما يفعلونه من الذكر الخفي والجلي على ما ابتدعوه.

الثاني عشر: في إبطال ما صار شعارا لهم من موالاة أعداء الله ومعاداة أولياء الله.

إضافة إلى اثنا عشر فصلاً في البدع عموماً، لكن ما سبق خاص بالصوفية، انظر: رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية (الاثنا عشرية)، ص٤ – ٥.

شنائعهم، وفظائعهم وبدعهم ومستحدثاتهم ومخازيهم ومعاصيهم، وقبح حالهم وقالهم، وتواجدهم وتراقصهم، وسائر طرقهم القبيحة وعاداتهم الفضيحة، وهي رسالة حسنة قلما يوجد مثلها...)[(١)].

مما يذكر في هذا الجانب أن الصراع مع التصوف في الدولة الصفوية هيأ مناخاً استغله السلاطين بعدهم، حيث شكلت هذه الموجة انشقاقاً بين رموز المذهب، وأصبحت تهمة التصوف، أو تأييده ورقة مؤثرة، وقد يتلاعب بها ملوك الدولة القاجارية، فقد توسع الشاه ناصر الدين القاجاري باهتمامه بالشعائر ومواليد الأئمة، مع ظهور انقسام العلماء في وقته[(٢)]، وأصبح مولد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومولد المهدي المنتظر، من الأعياد الرسمية للدولة[(٣)]، كما أنه في وقت الدولة القاجارية ظهرت حركة الشيخ أحمد الأحسائي: الشيخية، ومنها خرجت الركنية والبابية والبهائية، والشيخية عموماً اتهمت بالغلو بالتصوف، كما أنها نسبت إلى الإخبارية، وفي هذه النسبة تناقض، مع بيناه سابقاً من براءة الإخباريين من التصوف؛ وقد يكون من أسباب رواج ذلك اشتراكهما في نقد الأصوليين، في ركونهم إلى العقل في الاستدلال الشرعي.

هذا يدل على أن شعائر عاشوراء تطورت بعد المجلسي بشكل مشين، وأن التصوف هيأ

---

(١) كشف الحجب والأستار عن أسامي الكتب والأسفار، ص٦، إعجاز حسين النيسابوري، ت/ ١٢٨٦هـ، ط٢، ١٤٠٩هـ، مكتبة المرعشي. قم.

(٢) يوصف ناصر الدين بالرياء في هذا الباب، وأنه أراد استغلال الانقسامات بين العلماء لمصالحه السياسية، مع أنه مدح من قبل البعض، حتى سموه ناصر الدين، وسبقه الشاه محمد الذي اتهم من الأصوليين بميله للصوفية والمتصوفة، وتظاهره بمظاهرهم، حتى أنه تأثر بوزيره المتصوف: الميرزا آغاسي، ومنحه لقب: قطب عالم الشريعة والطريقة، وعد نفسه مريداً عنده، انظر: جدل ومواقف، مقال: (تاريخ المآتم الحسينية في العهد القاجاري)، د. محسن حسام ظاهري، ص٦٠. ٦٢.

(٣) جدل ومواقف، ص٦٢، ويشير هذا العمل إلى طغيان عاشوراء على التشيع العلوي، حيث جاء تخصيص يوم عطلة لإمامة علي بعد مراحل من تعطيل الأعمال في يوم عاشوراء، د. علي شريعتي ممن يركز على هذا الجانب، وهو يوحي بغياب نوعي للمأثور العلوي، وخاصة مع الخطاب العام، وكون يوم الغدير فرح يوحي بأن منشأ العطلة "لمؤسس التشيع" هو مضاهاة للدول الغربية التي اتصلت بها الدول الإيرانية وتأثرت بها.

لذلك مناخاً واسعاً ــ وهذا يعد انتصاراً للتصوف ــ، وكل ذلك باسم محبة الأئمة، بل إن محاربة التصوف ولد مزيداً من الفساد، ويظهر لي أن هذا الصراع زمن الدولة الصفوية أفرز أمرين مهمين[1]:

أ- رواج التصوف العقلاني، وهو ما يعرف بالعرفان الشيعي، هروباً من التصوف العملي، وزعيم هذه المدرسة ومنظرها صدر المتألهين الشيرازي، ونظريته "الحكمة المتعالية" هي المعتمدة في التدريس لدى الحوزات الشيعية إلى اليوم.

ب- اعتماد بناء الحسينيات، وهي بمثابة التكايا والزوايا عند الصوفية، وخصصت لموالد ووفيات الأئمة، وأعيان الطائفة، ومن أبرز مواسمها عاشوراء، فيقام فيها المأتم المعتاد، وتقرأ فيها المقاتل، وأصبح مقتل الحسين مادة لهذه الحسينيات، لا تقتصر على عاشوراء، بل لكثرة ما شققوا فيها من المناحات صبغوا بها جميع مواسمهم الخاصة والمذهبية، بل أصبح ذلك مجلس ذكر أسبوعي، وأصبح ذلك طريقة جديدة، كالطرق الصوفية، لها أورادها ومسالكها وشيوخها ومريدوها؛ وهيأت هذه الحسينيات لصبغة جديدة وعارمة في المذهب، هي الطريقة الحسينية الإمامية[2].

إذا كانت الإمامية تنكر على الصوفية بدعها فكيف تنسى أمر النياحة الفضيعة، والعادات الشنيعة، واللطميات القبيحة، حتى صارت الإمامية أرباب النياحة، وتضرب بهم الأمثال؛ وكل ما يقرروه في التشنيع على لبس الصوف والانتساب إليه يصح إيراده عليهم وأكثر، لأنهم جعلوا النياحة من ضروريات مذهبهم، والجزع في عاشوراء من أهم شعائرهم التي تقربهم إلى الله، يقول الحر العاملي: (ورابعها: إن هذا الأمر على قولهم من أعظم مهمات الدين، وأجل أركان الإيمان، ويزعمون أن سبب النجاة منحصر فيه، وليس على الحق أحد إلا من قال به،

---

(١) في البحث حديث مفصل عنهما، أما الأول فسيأتي –بإذن الله– قريباً في المبحث التالي: العرفان الشيعي، وأما الثاني فسبق الحديث عنه عن الحديث عند نشأة الشعائر ص٤٠١٢، وعند مظاهر عاشوراء، ص٥٢٠.

(٢) سبق في الباب الأول عند الحديث أسماء الإمامية ومراحلها: اسم الحسينية، وقد جاء هذا الاسم في مرحلة الإمامة الباطنية، راجع ص٣٢، ٤٣ من البحث.

ومثل ذلك لو كان حقا لظهر دليل قطعاً عادياً، وقد صرح باستلزام عدم الدليل لعدم المدلول في مثل هذه الصورة جماعة من العلماء، منهم المحقق في المعتبر، مع عدم علمهم به في غيرها.

وخامسها: إنه يمتنع عادة مع تمام شفقة النبي والأئمة عليهم السلام بالشيعة، وكمال اعتنائهم بتقرير الشريعة أن لا يتعرضوا لهذا الأمر العظيم، ويهملوه بغير دليل، ويذهبوا إلى بيان الآداب وأحكام البول والجماع وغيرهما من الجزئيات؛ هذا مما لا تقبله العقول، فعلم أنه ليس بمأمور به شرعاً، والأظهر: ذلك منهم عليهم السلام قطعاً لعدم المانع منه، وعدم وجود التقية في إظهاره)(١)، وقد نقل العاملي ـ مستنكراً ـ عن التلمساني أن الصوفية اثنا عشر فرقة، كلها على ضلال إلا واحدة، هي الصوفية المحقة.

قد سبق أيضاً أن صاحب المعتبر المحقق الحلي، نص على أنه لم ينقل عن الأئمة الجلوس للعزاء والمأتم(٢)، بل قبله شيخ الطائفة الطوسي في القرن الخامس ادعى الإجماع على حرمة النياحة(٣)، وهذا يدل على أنها في عصور الأئمة محرمة، فكيف ينسب إلى الأئمة ما يرون تحريمه، أو أنهم استثنوا مصاب الحسين، وليس ثم دليل قطعي على هذه الدعوى، مع أن الإمامية اليوم ترى أن شعائرها في عاشوراء من أعظم مهمات الدين، وأجل أركان الإيمان، ويزعمون أن سبب النجاة منحصر فيه!.

ممن عرف واشتهر عنه محاربة الصوفية وتكفيرهم العلامة الأردبيلي، الملقب بـ(المقدس)(٤)، يقول في حديقة الشيعة قال: (وبالسند الصحيح عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع، عن الرضا عليه السلام، أنه قال: من ذكر

---

(١) الرسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية، ص١٠.١١.

(٢) المعتبر في شرح المختصر، ص٩٤، وراجع ص٣٤٢ من البحث.

(٣) المبسوط، الطوسي، نقله عنه محمد بن مكي العاملي الملقب بالشهيد الأول: (والشيخ في المبسوط و ابن حمزة حرما النوح وادعى الشيخ الإجماع)، انظر: ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، محمد بن مكي العاملي، ط..، ص٧٢، منشورات مكتبة بصيرتي، وبحار الأنوار، ٨٢/ ١٠٧.

(٤) أحمد بن محمّد الأردبيلي، المحقّق، أو المقدّس الأردبيليّ، ت/ ٩٩٣هـ، من كتبه: مجمع الفائدة والبرهان: شرح (إرشاد الأذهان) للعلاّمة الحلّي، وزبدة البيان: شرح وتفسير آيات الأحكام، وحديقة الشيعة، وهو من أشهر كتب الردود على الصوفية عند الإمامية، انظر: أعيان الشيعة، ٣/ ٨٠- ٨٣.

عنده الصوفية ولم ينكرهم بلسانه وقلبه، فليس منا، ومن أنكرهم، فكأنما جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي الصحيح عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن الرضا عليه السلام، أنه قال: قال رجل من أصحابنا للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم: الصوفية، فما تقول فيهم؟ قال: إنهم أعداؤنا، فمن مال فيهم فهو منهم، ويحشر معهم، وسيكون أقوام يدعون حبنا، ويميلون إليهم، ويتشبهون بهم، ويلقبون أنفسهم، ويؤولون أقوالهم، ألا فمن مال إليهم فليس منا، وأنا منهم براء، ومن أنكرهم ورد عليهم، كان كمن جاهد الكافر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله)(١).

من أخطر ما أعلنه الإمامية المكفرين للصوفية والمتصوفة، هو تكفير للصوفية لقولهم بوحدة الوجود، والتي تبناها ابن عربي صاحب كتاب فصوص الحكم، والذي قد حظيت كتبه بقبول وتمجيد وعناية لدى جمع من مشاهير الإمامية قبل الدولة الصفوية وبعدها(٢)، بل استمر هذا القبول حتى عهد آخرهم ومرجعهم الأعلى الخميني(٣)، والذي يمجد ابن عربي وأقواله؛ وقد سبق أن الحر العاملي في رده على الصوفية عقد فصولاً لذلك، فقد عقد ثلاثة فصول، وهي الفصل الثالث: في إبطال اعتقاد الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، والفصل الرابع: في إبطال الكشف الذي يدعونه وعدم اعتباره ونفي حجيته، والفصل الخامس: في إبطال ما يعتقدونه من سقوط التكاليف الشرعية عنهم، وهي مسائل مترابطة؛ والتركيز عليها دليل على فشوها في المجتمعات الشيعية في ذلك الوقت.

كما أن هذه مقولة وحدة الوجود رمي بها بعض الفلاسفة العرفاء، كصدر المتألهين الشيرازي، الذي يعظم ابن عربي، وأن ذلك كان سبباً لعزلته(٤)، وكذلك تلميذه الفيض

---

(١) حديقة الشيعة، نقلاً عن مستدرك الوسائل، النوري، ١٢/ ٣٢٣.

(٢) من هؤلاء: حيدر الآملي، الصوفي، ت/ ٨٨٧هـ، وله "فص الفصوص" شرح لفصوص الحكم، وكتاب: جامع الأسرار ومنبع الأنوار، وسبقت ترجمته ص٨٤ من البحث.

(٣) انظر: العلاقة بين التشيع والتصوف، د. فلاح إسماعيل، ص١٥١.١٨١.

(٤) انظر ص٨٠٦ من البحث.

الكاشاني، وممن رماه بهذه المقولة الشيخ أحمد الأحسائي زعيم الشيخية، حيث يقول له متهكماً: (قل أنا الله، ولا تخف، فإنك بالتصريح تستريح وتريح)، علماً أن الأحسائي نسب إلى التصوف وشطحاته، وكفره معاصروه لغلوه في الأئمة، ومنه خرجت المهدويات الحديثة، لكثرة ما يبشر بخروج المهدي(١).

إذا كان ما قد سبق يكفينا في بيان شيء من شناعة هذه المقالة الكفرية، التي كفر بسببها أعيان منهم أعياناً آخرين، مجددين بذلك ــ أيضاً ــ تكفيرهم لابن عربي صاحب المقولة وناشرها، وقد سبق إلى بيان حال هذه المقولة عدد من علماء أهل السنة، فحكوا كفر هذه المقالة، وكفر قائلها، ولعل بسط هذه المسألة يكون عند الحديث عن العرفان الشيعي في المبحث القادم لاشتراكهما في النتيجة، ولعل هذا يتضح أكثر في المطلب القادم.

وبعد فيمكن أن أقيد بعض النتائج لهذا الصراع وأثره على عاشوراء، وذلك في النقاط التالية:

١- أن التشيع في عاشوراء مختلط بالبدع التي نهى وحذر منها أئمتهم، فيما ينسبونه إليهم.

٢- أن الشيعة الإمامية لا ينفكون من التشبه من المبتدعة الصوفية، في مثل الرقص والغناء، والتعبد بذلك، وأن موسم عاشوراء على اختصاصه بالإمامية إلا أنه جعل التشيع بلا هوية، ومطية لكل ضلالة، والأعجب أن رموزه يفاخرون بذلك، وكأنهم دعة إلى وحدة الأديان

٣- أن التشيع الصوفي من خلال عقيدة المهدي فتح أبواباً للدعاوى الكفرية من جديد داخل المذهب الشيعي، فهذه الشيخية بفرقها كالركنية، ومثلها البابية والبهائية؛ وهذا مما يؤكد على أن هذه العقيدة متهاوية وباطلة، بل هي مطية لكل مدع

---

(١) انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ٣٢٦، ومصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٩٤٦-٩٥٣، ومجلة المنهاج اللبنانية، عدد: ٣٣، ١٤٢٥ هـ .٢٠٠٤م، مقال: (حقيقة النبوة في الفكر الفلسفي والعرفاني)، محمد يحيى فهم الدين.

للضلالة.

٤- أن المذهب بسبب الغلو في الوعيد في الولاء للأئمة ومحبتهم أصبحت عاشوراء فرصة للهجوم على كل من أراد مهاجمة التصوف والبدع في المذهب، وما قصة الشعائر الحسينية إلا خير شاهد.

٥- أن التشيع بسبب ضعف أرضيته دخلت إليه المقولات الكفرية والفلسفية، والتي ورثت الشيعة الغلاة السابقين، وهي كثير ما تذكر في موسم عاشوراء، ومع تجدد الإنكار على بعض بدع عاشوراء ومحدثاتها الصوفية فلم يكن لهذا الإنكار أثر مع تغلل التصوف والعرفان في الاثني عشرية، وممن سبق أن ذكر إنكارهم: محسن الأمين في كتاب التنزيه، ومحمد جميل العاملي، في فتوى له، ذكر فيها فساد القائمين على بعض حسينياتهم، وسماهم: لصوص المعبد.

٦- أن العرفان الشيعي هو امتداد للتصوف ومقولات الغلو التي سبق ذكر الصراع حولها، كوحدة الوجود، وإبطال الشرائع، والعرفان هو حديث المبحث القادم.

المبحث الثاني

الاتجاه العرفاني الفلسفي، وأثره على عاشوراء الإمامية

وفيه:

مدخل

الفلسفة: كلمة مركبة من لفظين باليونانية: فل، وهي عندهم "فيلا"، وهي بمعنى محب، وسفة: وأصلها صوفيا: أي الحكمة، فالفلسفة، هي محب الحكمة، ويقصدون بها المعرفة، معرفة الموجودات والمبادئ الأولى من حيث هي، وحقيقتها[1]، وعلاقتها ببعض[2]، أو معرفة الأمور الإنسانية والإلهية[3]، ونظمها في قانون عام ينظم سائر الظواهر، ويتنبأ من خلاله بمستقبلها[4].

الفلسفة تجعل من الفكر والعقل وسيلة بين طرفين: أصل الوجود، والغاية منه، وقد يعرفونها بمعرفة النفس، لأنها الوسيط بين الطرفين السابقين، وطبيعة إرادته وعلاقتها بالكون، وفلسفة الإسلاميين والدينين تجعل موضوعها الله والإنسان والكون، وهي تتنوع وتتجزأ بحسب كل اتجاه معرفي، فتنوعها امتداد للطبيعة البشرية بحسب الموضوعات التي تعتني بها، فهنالك الفلسفة المشائية العقلية، وهناك الفلسفة الإشراقية الغنوصية، وهناك فلسفة الأخلاق وفلسفة الاجتماع، وفلسفة السياسة، وفلسفة الاقتصاد، حتى أصبح لكل من أبدع في موضوع فلسفي نسبت إليه فلسفته، وهي بعمومها تستجمع المبادئ الأولية والعامة في مجال الذي تعنى به.

تحدث العلماء عن علاقة المسلمين بالفلسفة، ودخولها إليهم، مشيرين إلى أثر حركة الترجمة في عهد المأمون العباسي، وقد يكون سبقها ما جرى من خالد بن يزيد الأموي، ولاختلاط المسلمين بعد عهد الفتوحات بأهل الفلسفة في تلك البلدان، كان ممن هرع إليها

---

(١) كما عند أرسطو والفلاسفة، وأرسطو اشتهر بالفلسفة الواقعية المشائية، بخلاف أفلاطون الذي عرف بفلسفته المثالية، انظر: موسوعة أعلام الفلسفة، ١/ ٧٢، ومدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، ص٦٨.

(٢) هذا من حيث موضوعاتها ومجالاتها، انظر: أصول البحث، ص١٧، د. عبد الهادي الفضلي، ط ١٩٩٠م، دار الكتاب الإسلامي – قم.

(٣) كما عند الفلاسفة المشائين، ومنهم الفارابي، انظر: المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص٤٦٨.

(٤) انظر: مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، ص٧، د. محمد علي أبو ريان، د. عباس محمد حسن سليمان، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، دار المعرفة الجامعية. مصر.

من طوائف الإسلام الشيعة، وهي قد احتضنت منذ بداية نشأتها طوائف الغلو، فكانت بيئتها متقبلة لمثل هذا الوارد، وممن أشاع الفلسفة في الإمامية نصير الدين الطوسي(١)، وزير هولاكو ملك التتار، وكتابه (تجريد الاعتقاد) من أقدم الكتب التي تدرس في الحوزات الشيعية، كما تتلمذت على يديه المدرسة الحلية في بغداد(٢)، وقد كان الطوسي، وقبله إخوان الصفا(٣)، وغيرهم، كانوا من الباطنيين، الذين اشتهروا بالقول بالحلول ووحدة الوجود.

مدار الكلام أن الفلسفة لم تكن من علوم الإسلام، بل جاء بها البعض في باب الخصومة مع غير المسلمين بدعوى البرهنة على الإسلام، وأنها تجمع بين العقل والدين، فهو من جنس علم الكلام(٤)، وتأثرت الفلسفة في العصور الإسلامية بما كانت عليه من قبل في علومها وعبادتها، فجاءت على اتجاهات مختلفة، أهمها:

١- عقلية نظرية.

٢- روحية نفسية.

الفلسفة العرفانية كما يزعم أربابها معرفة شمولية تنطلق من الاتجاه العقلي النظري، وتغلب عليه أكثر في البداية أكثر من الاتجاه العملي الروحي، والفلسفة العرفانية يندرج تحتها

---

(١) وانظر: مصادر التلقي وأصول الاستدلال عند الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٨٥٠، وفيه أن الطوسي يعتبر أول من اشتغل بالمنطق الأرسطي من الإمامية الاثني عشرية، وانظر: الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي (المقدمة)، حسن الأمين، ط٢، ١٤١٧هـ، مركز الغدير - بيروت؛ وذكر أن الحلي الإمامي أعجب وتعلق بالطوسي، وكان يسميه العقل الحادي عشر !، وأن الطوسي من الإسماعيلية، لا الإمامية.

(٢) انظر: الشيعة في الإسلام، ص١٨٨- ١٨٩، محمد حسين الطباطبائي، ت/ ١٤٠٢هـ، ت. جعفر بهاء الدين، ط١، ١٩٩٩م، بيروت، والطبطبائي فيلسوف، وصاحب تفسير الميزان، وفي كتابه كان يثني على الطوسي، ويذكر أن فلسفته قريبة من كلام أهل البيت، وانظر: مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، ص٣٢، وفيه إشارة إلى ميوله الإشراقية.

(٣) انظر: الفلسفة الإسلامية وأعلامها، د. يوسف فرحات، ص٦٧، ط١، ١٩٨٦م، تراد كسيم. جنيف.

(٤) انظر: مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، ص٧ـ ٢٧، وناقش المؤلفان استخدام قضية العنصرية في نفي الفلسفة الإسلامية عند العرب، لعدم قدرة العقل العربي، لأنهم جنس سامي، وأن نضجهم كان متأخراً، وأنه لم يكن لهم إلا الشعر، ومثله المنطقى الشعوبي الذي يرى أن الفرس فقط هم الأقدر على التفلسف من بين المسلمين.

العرفان الشيعي، الذي جاء على ضوء المذهب الشيعي بجميع تراكماته، فالفلسفة الشيعية العرفانية تصور عقلي عن الكون، وتقرير للتشبه بالله[1]، وتستحضر هذه الفلسفة الأفعال التي أوجبها العقل "الكلامي" الشيعي على الله، لتبرهن عليه كدين إلهي، وهي فلسفة بنمط إشراقي؛ والفلسفة الإشراقية: (هي التي احتلت مكان الصدارة في الفكر الإسلامي إلى وقت متأخر، وخصوصاً بعد أن التحمت بالتشيع)[2].

المبرر من التعرف على الفلسفة العرفانية والعرفان الشيعي مع أنه ليس من صميم البحث؛ كان ذلك لأمور منها:

١- أن الشعائر ـــ ومنها شعائرهم في عاشوراء ـــ لا تنفك من وجود مساحة فيها للعرفان، وبالأخص العملي، وذلك إذا اعتبرناها كمقدمات، أو رياضات لمواصة ثمرة الاجتهاد عند العرفاء.

٢- أنها لا بد لشعائر عاشوراء من تبرير مسبوق برؤية كونية شاملة على حد زعم الفلاسفة العرفاء، ومن خلالها يستطيعون البرهنة على كل ما ينسب إلى الدين والمذهب، والاستدلال له، وبهذا يصبح العرفان من أدلة مشروعية شعائرهم، يضاهون به أدلة النقل والعقل.

سنتعرف ــ بإذن الله ــ من خلال هذا المبحث على بعض معالم العرفان الشيعي ونشأته، وعلى المدرسة الأبرز في العرفان الشيعي من خلال الحوزات المعاصرة اليوم، مع ذكر جوانب من أثر العرفان على شعائر عاشوراء.

---

(١) انظر: مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين، ص٨٤، أشرف بن عبد الحميد بارقعان، ط ١، ١٤٢٦هـ، دار ابن الجوزي - الدمام.

(٢) مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، ص٣٢.

المطلب الأول

مفهوم العرفان الشيعي

العرفان: ينتمي إلى مدرسة من مدارس المعرفة، وهي المعرفة الحدسية المجردة الحاصلة من اتحاد العارف بموضوع المعرفة.

غاية العرفان: (الوصول إلى عرفان الله بكل ما في النفس من قوة حدس وعاطفة وخيال)[1]، والعرفان من جنس التصوف يوحي بأسرار متناقلة على وجه خفي مع القوى المؤثرة، وهو من المذاهب الغنوصية[2].

تعلقت الإمامية في قرونها المتأخر بالمنهج الإشراقي الذي تبناه السهروردي بعد ابن سينا، إضافة إلى المنهج العرفاني الكشفي الذي تبناه ابن عربي، والسهروردي في فلسفة الإشراق يجمع منهجين: بين المنهج العقلي النظري (المشائين)، وبين المنهج الذوقي الصوفي، الذي تبناه ابن سينا، والذي يقوم على الفيض، والإشراق عند العرفانيين، وهو بمعنى الكشف عند الصوفية؛ ومن الإمامية الذين اعتنوا بهذا الجانب حيدر العاملي، وكذلك ابن أبي جمهور الأحسائي، وبهاء الدين العاملي "البهائي"، والمير داماد، وتلميذاه: الملا صدرا الشيرازي، والمعروف بصدر المتألهين، والفيض الكاشاني، بعض أقرانه وتلاميذه، كسعيد القمي[3].

أبرز هؤلاء هو صدر المتألهين الشيرازي[4]، الذي اشتهر بكتابه المشهور "الأسفار

---

(١) انظر: مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، ص٧٨.

(٢) الغنوصية: معرفة، أو معرفة سرية روحانية، ظهرت في المسيحية، متأثرة باليهودية والبوذية والمجوسية، وهي كردة فعل للمواجهة التي حصلت لها، ومن الغنوصيين (سيمون) الساحر الذي كان في فلسطين، وقد قال: إن الكون يتكون من قوى إلهية لها تجليات تتسلل في الهبوط حتى تصل إلى القوى الإلهية التي يشرف على العالم السفلي،... وأن النفس الإنسانية في حالة تناسخ، ومن الغنوصيين المسيحيين في القرن الثاني: (باسيليوس وفالنتين ومرقيون)، انظر: المعجم الفلسفي، ص٤٤٩.

(٣) سبق الحديث عن هذا الجانب، وتراجم المذكورين ص٨٣- ٨٧ من البحث.

(٤) هو محمد بن إبراهيم الشيرازي، ت/ ١٠٥٠هـ، يلقب بالملا صدرا، أو صدر المتألهين، معظم عند الإمامية، فهو عندهم الوارث الأخير للفلسفة اليونانية والإسلامية، واعتمدوا كتابه في حوزاتهم، ومن بعده عيال عليه، =

الأربعة"، الذي أصبح عمدة للتدريس في الحوزات الشيعية، ومما يقوله الشيرازي حول معنى الفلسفة: (اعلم أن الفلسفة استكمال النفس الإنسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليها، والحكم بوجودها تحقيقا بالبراهين، لا أخذاً بالظن والتقليد، بقدر الوسع الإنساني، وإن شئت قلت: نظم العالم نظماً عقلياً على حسب الطاقة البشرية ليحصل التشبه بالباري تعالى)[1].

الشيرازي خلط بين ثلاثة عناصر في فلسفته: العنصر الأفلاطوني، والعنصر الإشراقي، والعنصر الصوفي، وأثنى كثيراً على منهج الإشراق عند السهروردي[2]؛ ومع هذا الخلل فمدرسة صدر المتألهين رغم ما وجه إليها من نقد إلا أنها هي التي سادت بين الإمامية، ويزعم المعجبون بها أن من أهم مميزات هذه المدرسة أنها وفقت بين القرآن والعرفان والبرهان[3]، ولكن واقعهم أنهم اشتغلوا بعرفانهم، وأهملوا القرآن؛ وسنة الله في خلقه ماضية، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[4].

=

وتلقوا كتابه بالتسلسل، يضاهى عندهم بابن سينا، والخواجه الطوسي، تتلمذ على محمد باقر الداماد، وكان يقول بوحدة الوجود، وألف فيها طرح الكونين، وقيل أنه ألفه في أول مراحله، وأنه اعتزل بعدها في الجبال خمسة عشرة سنة!، ومن تلاميذه: ابنه محمد، وصهره الفيض الكاشاني، وعبد الرزاق اللاهيجي، انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ٣٢١-٣٣٠.

(١) الحكمة المتعالية (في الأسفار العقلية الأربعة)، ٢/ ٢٠- ٢٢، صدر الدين محمد الشيرازي، وهي في تسع مجلدات، ط٣، ١٩٨١م، دار إحياء التراث العربي - بيروت؛ ويقول في بقية كلامه موضحا مراده بتشبه الإنسان بالله -عياذاً بالله -: (لما جاء الإنسان كالمعجون من خلطين: صوره معنوية أمرية، ومادة حسية خلقية، وكانت لنفسه أيضاً جهتا تعلق وتجرد، لا جرم افتنت الحكمة بحسب عمارة النشأتين بإصلاح القوتين إلى فنين: نظريه تجردية وعملية تعقلية)، و(افتنت) في السياق بمعنى انقسمت.

(٢) يقول الشيرازي عن كتاب حكمة الإشراق بأنه: (قرّة عيون أصحاب المعارف والأذواق)، انظر: المبدأ والمعاد، ص١٩١، تأليف صدر الدين محمّد بن إبراهيم الشيرازي، نقلاً عن كتاب: فلسفة صدر المتألهين، (قراءة في مرتكزات الحكمة المتعالية)، ص٧٤، كمال الحيدري، ت. خليل رزق، مؤسسة الإمام الجواد - قم.

(٣) انظر: العرفان الشيعي، ص١٤٥، كمال الحيدري؛ وفي ص١٥١، يذكر المؤلف كمال الحيدري أن صدر المتألهين في وحدة الوجود يخالف العرفاء، فإن حقيقة الوجود لها مراتب، أما عند العرفاء فهي واحدة.

(٤) طه: ١٢٤.

يضاف إلى ما سبق آثار الفلسفات الغريبة التي وردت إلى البلاد الإسلامية في فترة الاستعمار الحديث، وزمن الاستشراق، التي أثارت البحث لدى فلاسفة المسلمين من جديد، بدعوى البحث عن سبيل للنهضة والحضارة الإسلامية[1]، وقد تكون ساهمت إلى فتح مجال جديد سارعت إليه الإمامية.

يظهر مما سبق أن العرفان الشيعي امتداد للفلسفة الإشراقية، وأنه استقر على ما توصل إليه الشيرازي في الأسفار الأربعة، التي جمعت بين عرفان ابن عربي وإشراق السهروردي، فما هذه الأسفار؟ وما الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين الشيرازي؟

الحكمة المتعالية:

الحكمة المتعالية هي عنوان بارز في الحياة الحوزوية الإمامية، وفي الحركة العلمية المذهبية، فبعد أن تعرفنا على مفهوم ومسيرة العرفان الشيعي بوضعه الأخير، الذي أطبق على الحوزات الشيعية، ماذا عن هذه الفلسفة الإلهية، والنهائية، التي سماها صاحبها الملا صدرا "صدر المتألهين" الشيرازي الحكمة المتعالية في شرح الأسفار الأربعة (التي تعرف بالله وتوصل إليه)، والتي جاءت بعد عزلة عن الناس، قيل بلغت خمسة عشر عاماً !، بعد أن أشكل عليه قوله بوحدة الوجود.

جاءت هذه الحكمة الجديدة ـ في ظن الشيرازي ـ من العلم اللدني، بل (سمع من طيش دماغه خطاباً اعتقده من الله)[2]، يقول الشيرازي عن حكمته: (اشتعلت نفسي لطول المجاهدات، والتهب قلبي لكثرة الرياضات التهاباً قوياً، ففاضت عليها أنوار الملكوت، وحلت بها خبايا الجبروت، ولحقتها الأضواء الأحدية، وتداركتها الألطاف الإلهية، فاطلعت على أسرار لم أكن اطلعت عليها إلى الآن، وانكشفت لي رموز لم تكن منكشفة هذا الانكشاف

---

(١) ممن يضرب مثالاً لهذا جمال الدين الأفغاني، ومحمد إقبال، انظر: مقدمة كتاب: تطور الفكر الفلسفي، إسهام في تاريخ الفلسفة الإسلامية، د. محمد إقبال، ص٦، ترجمة وتقديم د. حسن محمود الشافعي، ومحمد السعيد جمال الدين، ط ١، ١٤٠٩هـ، الدار الفنية. القاهرة.

(٢) كلمة قالها الذهبي في مميت الدين ابن عربي، انظر: تاريخ الإسلام، ٤٦/ ٣٧٧.

من البرهان)[1]، فانكشف له السر، وهذا مرتبة تحقيق عند الإمامية والصوفية، ويقول عن ضعف أدلة ما توصل إليه سابقاً: (بل كل ما علمته من قبل بالبرهان عاينته مع زوائد بالشهود والأعيان)[2].

برهنة البداية المزعومة مسبوقة بعقيدة باطنية سابقة، سار فيها الشيرازي على قول شيخه ابن عربي الذي يجله ويبجله، ويستشهد بفهمه لكلام آل البيت، بخلاف ما ادعى من أنه بدأ من سفره من البرهنة العقلية المجردة، فالمعرفة عنده تقوم على النفس قبل العقل[3]، فالذوق والكشف عنده أعلم وأحكم[4]، وإن كان لا بد من جمعهما، وأن المبالغة في أحدهما مكمن الزلل، ويرى أنه لم يوفق أحد قبله إلى هذا الحل، لا من الفلاسفة، ويصفهم بالمعطلين؛ ولا من العرفاء الصوفية، ويصفهم بالمبتدعين، وأن الخلل الذي لديهم بسبب عدم الجمع بين الكشف والعقل، وأنه هو بهذا يجمع الشريعة النقلية والبراهين العقلية[5]، وقد جاءت عزلته وأسفاره بهذه المراتب الأربع، وكأنه سفر بين النفس والجسد، ذهاباً وإياباً، وهي كما يلي:

١- السفر من الخلق إلى الحق: يتعرف فيه على التوحيد "طبيعة الوجود"[6]، أي الفلسفة الكلية، ويتجاوز السالك فيه عالم الطبيعة، وبعض عوالم ما بعد الطبيعة، ليصل إلى ذات الحق، فلا حجاب بينهما، والمعرفة فيه على الفلسفة العقلية والذوقية.

---

(١) الحكمة المتعالية، الشيرازي، ٢/ ٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) العقل عند طائفة من الفلاسفة هو الإله، وهو .عندهم .الذي حرك المزاج الأول، الذي كان متساوياً غاية التساوي، لا يتميز فيه شيء عن شيء، فامتدت الحركة وتتابعت، ويسميه أفلاطون: الصانع، وهو عندهم جوهر مجرد عن المادة، ومقارن لها في الفعل، والمادة هي النفس الناطقة، وقيل غير ذلك، انظر: المعجم الفلسفي، ص٤٢٣.

(٤) هذان طريقان للمعرفة عند الفلاسفة، وثم طريق ثالث يهمله هؤلاء، وهو الفطرة، انظر: المعرفة (في الإسلام مصادرها ومجالاتها)، د. عبد الله بن محمد القرني، ص٨٦، دار عالم الفوائد – مكة.

(٥) مشروع الشيرازي هو امتداد وتطوير لمشروع نصير الدين الطوسي، الذي حاول أن يجمع بين علمي الكلام والفلسفة، بل فاقه جرأة ظاهرة في بيان مذهبه، كما قال محسن الأمين، انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ٣٢٤.

(٦) انظر ص٨٠٠ من البحث.

٢- السفر بالحق في الحق: سفر في كمالات الله وأسمائه تعالى، وهي مرحلة ترقية النفس من خلال هذه المعارف، واحتجاب عما سواها، إعداداً للسفر الثالث.

٣- السفر من الحق إلى الخلق بالحق: وهو رجوع إلى الخلق، لكنه لا يعني انفصاله وانقطاعه عن ذات الحق، لأنه يراه مع كل المخلوقات وفيها، وهذا عودة بعد تحمله الإيمان الحقيقي[(١)].

٤- السفر بالحق في الخلق: فالسالك العارف في هذا السفر مشغول بالناس وتوجيههم، وهو يعلمهم أن الحق معهم، فالخلق هم الحق[(٢)].

فما هي هذه الأسفار والمراحل؟ وما حقيقة هذه الحكمة؟ وهل موضوعها العقل من حيث إدراكه ومادته، أم أن علاقتها متصلة بالتشريع والنبوة؟

الفلسفة عند أهلها من جنس النبوة، والفيلسوف من جنس النبي، من جهة الإدراكات الكلية، وتكشف الحقائق، بل عند بعضهم من جنس الإلهية، من جهة التأثير[(٣)]؛ والفلسفة العرفانية تشارك صنوف الفلسفة في النظر إلى الوجود، والفلاسفة يجعلون للنبي ثلاث خصائص وقوى: (العقلية، والتخيلية، والحسية)، مما يكون له بالقوة الحسية تأثير وتغيير في الكون، وعلة له، وهي متوفرة لدى الفيلسوف، وإن كانوا يخصون النبي بالقوة التخييلية المقنعة والمفيدة، فالفيلسوف والنبي عندهم يتصل بالعقل الفعال[(٤)] اتصالاً مباشراً، وإن كان النبي في الفلسفة العرفانية أفضل، لجمعه القوة العقلية "الفلسفة"، والتخيلية "النبوة"، مع أن الثانية محتاجة للأولى، وكذلك لأن التشبيهات في النبوة موافقة للمعقولات، أما الفيلسوف

---

(١) هذه المرحلة هي أكثر ما يشكل على الناس، إذ يحكم من خلاله عليها، وقد ينظرون إلى ما يذكره قبل ذلك، أو بعده أنه من الأحوال والمقامات، لكنه عندهم مشتغل بالشرائع ولو ظاهراً.

(٢) انظر: الحكمة المتعالية، وهي في تسع مجلدات، ط٣، ١٩٨١ م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣) سبق ذكر ذلك قريباً.

(٤) العقل الفعال: عند أرسطو جاء من أن النفس فيها عقلان: فاعل ومنفعل، فعقل يماثل المادة، وعقل مماثل للعلة الفاعلة، والمقصود الثاني، وهو مفارق للمادة، وعند الغزالي هو قوة إدراك الكليات في الخيال، ويقابله العقل المنفعل وهو العقل الهيولي والخيال، كحال الطفل، انظر: المعجم الفلسفي، ص٤٢٥.٤٢٨.

فيبقى في درجة الخيال، وكلاهما يسعيان للتشبه بالإله الحق، فالفلسفة العرفانية فلسفة دينية من جهة أنها تصبغ قولها بالدين والنبوة، وتقر بأنها من المجربات النافعة، وتستشهد بالقرآن، وتجعل من إشاراته دليلاً في سفرها، إضافة إلى الخصائص الموجودة للفيلسوف "الحكيم"[1].

الوجود من أهم موضوعات الفلسفة والحكمة، وهو ينقسم في فلسفة الحكمة المتعالية إلى ثلاثة أقسام: حسي- "دنيوي أرضي"، ونفسي- "الملكوت الأدنى" قرب الأفلاك والنجوم، وروحي متعالي "الملكوت الأعلى"، وكمال الوجود لكل إنسان حسب ميله، ولما كان الإنسان مخلوط من خلطين: جسدية ونفسية، فإن النفس بحاجة إلى فنين: نظرية تجردية، وعقلية عملية.

بعد هذا لا غرو أن تكون الفلسفة ومنتجها مؤثراً في باب التشريع[2]، ولو من باب التشبه بالمشرع، لا عجباً وغروراً ! لأن ذلك تشبه بمن دون الإله، وهو النبي، وأعلى منه التشبه بالله ـ عياذاً بالله ـ، لأنه ثمرة الفلسفة، (ولعل العرفاء مضطرون لنفي النبوة التشريعية من قائمة وظائفهم العرفانية، لاعتبارات التقية، وذلك كي لا يتهموا باستحداث أديان جديدة، وإلا فمن حيث الاتساق فإن نبوة التشريع ليست بعزيزة عليهم، طالما أن مقامهم يفوق مقام هذه النبوة نظراً لولايتهم)[3].

أما عن مراتب التشبه بالله عند الفلسفة المتعالية، والتي يمر بها المسافر في مراحله الأربعة، لدى صدر المتألهين، (فالأمر يبدأ من الحقيقة المحمدية، التي تمثل العقل الأول، ثم بعدها الحقيقة العلوية المسماة في البداية "النفس الكلية الأولى، واللوح المحفوظ، وهو العقل

---

(١) انظر: مجلة المنهاج اللبنانية، عدد: ٣٣، ١٤٢٥هـ .٢٠٠٤م، مقال: (حقيقة النبوة في الفكر الفلسفي والعرفاني)، محمد يحيى فهم الدين، مجلة تصدر عن مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي .لبنان؛ ومجلة المنهاج اللبنانية، عدد: ٤٢، مقال: (نظرية الإنسان الكامل بين مذاهب علم النفس وآراء صدر المتألهين)، علي زينتي، ترجمة: محمد عبد الرزاق.

(٢) انظر: "إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النبوة"، هذا عنوان بحث نشره الباحث الفاضل عبد الملك الشافعي في مواقع متفرقة من شبكة الانترنت، وجاء على الأسلوب المناظرة والمحاجة بين شيعي وقادياني، وهي يحكي هذا الخلل عند الإمامية.

(٣) مجلة المنهاج، عدد: ٣٣، مقال: (حقيقة النبوة في الفكر الفلسفي والعرفاني)، محمد يحيى فهم الدين.

الفرقاني، وذلك عند وجودها التجددي"، وإن هذه الحقيقة تسمى في النهاية بعيسى ابن مريم، وذلك عند وجودها البشري الجسماني، ثم بعد ذلك تستمر السلسلة بالأقرب فالأقرب من العقول والنفوس الكلية بعد العقل الأول والنفس الأولى، الظاهرة في صور الأنبياء والمرسلين سابقاً، وصور الأولياء والأئمة المعصومين لاحقاً، ثم بعد ذلك في الحكماء والعلماء)(١).

النبي ـ عند صدر الدين الشيرازي ـ يعلم بالقوة العقلية كالملائكة، ويخبر بالقوة النفسية كالأفلاك، كما أنه يحكم بالقوة الحسية كالملوك، وإذا كانت مجتمعة فهي من خصائص النبي، وبها يقدر أن يتحكم في هيولى العالم، وأما آحاد هذه القوى فهي تتحقق لدى غيره، فالأولى "العقلية" تتحقق لدى الأولياء والحكماء، والثانية قد يحصلها أهل الكهانة والرهبنة، أما الثالثة فقد تكون في الملوك ذوي الهمة وشدة البأس(٢).

بعض العرفاء يصرح بأن أصحاب هذه المقامات السابقة، أنهم علة فاعلة للوجود والكون(٣)، وهو ما يذكرونه تحت الحقيقة المحمدية، والعلل التي يذكرونها أربع، ومنها علتا الوجود، وهي: إما علة فاعلة لا يقوم الوجود إلا بها، وإما علة غائية، وهي أن الخلق خلقوا لأجلها، وإليها إيابهم وحسابهم، ومن العلل العلة الصورية والعلة المادية أي أن المخلوقات من نورهم وهياكلهم !، ويطلق بعض الفلاسفة والعرفاء على الله العلة الأولى(٤)، وأن الإنسان خليفته، أي أن له حق النيابة عن الله في التكوين والإيجاد "التفويض"، وإذا جردوا الإله من تكرر الفعل، فستكون تلك النيابة واجبة!، كما أصبحت عندهم نيابة الفقيه عن الإمام واجبة، وممن يصرح بها من فلاسفة الإمامية حيدر الآملي، وهي من مفاهيم أن الإنسان خليفة الله، و مما سبق (يجعل التوحيد والنبوة و"الولاية، أو الإمامة"؛ جميعها تندمج في وحدة واحدة، هي الله في بعض تنزلاته ومراتبه)(١).

---

(١) مجلة المنهاج، عدد: ٣٣، مقال: (حقيقة النبوة في الفكر الفلسفي والعرفاني)، محمد يحيى فهم الدين.

(٢) انظر: مجلة المنهاج، عدد: ٣٣، مقال: (حقيقة النبوة في الفكر الفلسفي والعرفاني)، محمد يحيى فهم الدين.

(٣) انظر: مجلة المنهاج، عدد: ٣٣، مقال: (حقيقة النبوة في الفكر الفلسفي والعرفاني)، محمد يحيى فهم الدين.

(٤) انظر: المعجم الفلسفي، ٤٣٤.٤٣٦.

(١) انظر: فلسفة صدر المتألهين، الحيدري، ص٢٣٠.

العرفان الشيعي جعل العلل: "الفاعلية والغائية والصورية والمادية" هي معنى وسبب المحبة والعشق، فمن لم يحبهم فلم يوجد، ولذا فبعضهم جعل البكاء كله من بكاء العلل، ولعل هذا هو سر قول بعضهم أن كل بكاء هو من بكاء الحسين، حتى بكاء أعدائه من بكائه، وممن ذكر عنه هذا أحمد الأحسائي زعيم الشيخية[١].

إذا كان ابن عربي ادعى لنفسه أنه خاتم الأولياء، ونسب إليه القول بوحدة الوجود[٢]، فماذا عن صدر المتألهين؟ وهل هو يقول بقوله؟

صدر المتالهين بعد أسفاره الأربعة قيل أنه ذكر عن نفسه: أنه في مقام (قاب قوسين أو أدنى)!، ويرى أنه فارق من قبله ببعض الكشوفات[٣]، وأنه أنكر الحلول والاتحاد، لكن ما مقصوده بذلك الإنكار، والذي يتهم بخلافه من قبل؟

صدر المتألهين الشيرازي يريد بإنكار الحلول والحوادث إنكار وجود أمرين مختلفين، أما مع وجود حقيقة واحدة غير متعددة، فالمنكر هو وجود حقيقتين متحدتين متماثلتين، لأن الحقيقة بمقام الإله، وهذا يعنى الشرك، وهو ما لم يرد إلا على مثل قول الثنوية والمجوس الملاحدة؛ أما إذا كان ليس ثم إلا حقيقة واحدة، فالاتحاد عنده من الضرورات العرفانية؛ هذا مع قوله بعدم إثبات مقامات مختلفة، إلا لشيء واحد متميز عن بقية المخلوقات، وهو الإنسان الكامل، كما يوحي بذلك في كتب أخرى غير هذا الكتاب؛ لكن هذا يجرنا إلى معرفة معنى ومفهوم "الإنسان الكامل"، وهل هي تعبير جديد عن وحدة الوجود، أو هي دون ذلك؟

الإنسان الكامل:

الإنسان الكامل مصطلح شاع بعد ابن عربي، وممن قرره تلميذه الجيلاني[٤]، وهو اليوم منتشر في كتب الصوفية الشيعية، فما هذا المصطلح، وما أبعاده العقدية؟ وهل له علاقة بعقيدة

---

(١) انظر ص٣٣٥، ٣٢٥، ٨١٦ من البحث.

(٢) راجع مبحث التصوف ص٧٧٤ من البحث.

(٣) مثل قوله بدوام فيض الله، والحركة الجوهرية.

(٤) انظر: العلاقة بين التشيع والتصوف، د. فلاح إسماعيل، ص١٥٨.

الحلول والاتحاد التي أنكرها جمع من الإمامية، وهل وارد عند الإمامية التي زعمت أنها فارقت بعرفانها الشيعي العرفان الصوفي، كما مر معنا في المطلب الأول، ومصطلح "الإنسان الكامل" مركب من لفظين، وهما:

١- الإنسان: وهي ـ بحذف مزيدها "ان": الألف والنون ـ من الإنس ضد الجن والجان، والإنس مأنوس من مثيله بخلاف الجن فهم مستوحشون[١]، فالإنسان من الإنس والأنس[٢]، وقيل أصله إنسيان على وزن فعليان، ويصغر إنيسيان، وقيل من النسيان، لأنه ينسى، ونسيان زيد همزة فأصبح إنسان[٣]، والإنسان يطلق على الذكر والأنثى، وهو يطلق على الآدمي منذ كان مضغة وتخلق بنفخ الروح فيه، وينطبع عليه الاسم والمسمى بغض النظر عن أحوال الروح والجسد بعد ذلك[٤]، وهو إذ ذاك تعلقت به الأحكام الشرعية، فنفخ الروح يجعله حياً في الجسد، ومنه قول المتكلمين عنه حيوان ناطق، وإن كان النطق يتأخر عن وصف الحياة، لكنه وصف ملازم، فهو مفكر معبر[٥].

٢- الكامل: التام الذي لا نقص فيه، كمل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله، وقد يكون وارداً على الكمال النسبي، والكمال المطلق الذي لا يليق إلا بالله، أما النسبي فهو كمال الإنسان إلى بني جنسه عموماً، أو خصوصاً في جنس معين، أو زمان معين، أو طائفة معينة[٦]، وهو

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ١/ ١٤٥.

(٢) تهذيب اللغة، ١٣/ ٨٨.

(٣) لسان العرب، ١/ ٢٣٣.

(٤) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، ص٢٤.

(٥) عبر عنه الدكتور لطف الله خوجه بـ "مرئي عاقل"، انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، ص٢٤.

(٦) ورد ذكر لفظ (الكامل) في كلام أبي الحسن الأشعري، ت/ ٣٢٤هـ، قال في ثنائه على الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه -: (قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله ربنا عز و جل وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل -نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم)، الإبانة (عن أصول الديانة)، ١/ ٢٠ـ ٢١، أبو الحسن علي بن إسماعيل =

بمثل السيد في قومه.

مصطلح «**الإنسان الكامل**» هو الجامع لجميع العوالم: الإلهية والكونية، الكلية والجزئية[1]، وهو الولي، والقطب، والغوث[2]؛ والحقيقة المحمدية، والأوحد، والأوحدي[3] عند الصوفية، والحقيقة العلوية عند طوائف الباطنية، ويقابله الإمام عند الشيعة الاثني عشرية القائلين بالإمامة الإلهية، ومثلها الكلمة عند النصارى، ويعبر بالإنسان الكامل عن أول موجود، وعن جامع الحقائق، وهو الوسيط بين الخالق والمخلوقين، وأنه خليفة الله في الأرض[4]، ومن أول من عرف عنه هذا المصطلح ابن عربي، وقيل إخوان

=

الأشعري، ت/ ٣٢٤هـ، ت. د. فوقية حسين محمود، ط١، ١٣٩٧هـ، دار الأنصار – القاهرة؛ كما ورد لفظ (السيد الكامل) عند إخوان الصفا، انظر: الفكر الصوفي، ص١٤٣، ولم يشر للفظ الأول، وهما ليسا من جنس كلام الباطنية الذي هو محل البحث.

(١) التعريفات، ص٣٨، علي بن محمد الجرجاني، ت/ ٨١٦هـ، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية بيروت؛ وانظر: المعجم الفلسفي، ص١٠٤.١٠٧، وأشار إلى مصطلح الإنسانية، والإنسانية العلمانية.

(٢) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، ص ١٤١.

(٣) أشار د. عبد الرحمن بدوي إلى أن هذا المصطلح موجود أيضاً عند الوجودية، وخاصة عند كير كجور، انظر: الإنسانية والوجودية (في الفكر العربي)، ص٦٩، د. عبد الرحمن بدوي، ط ١٩٨٩م، وكالة المطبوعات بالكويت، دار القلم – دمشق.

(٤) انظر: روح المعاني، ١/ ٢٢٠ـ ٢٢١، ويقول الألوسي: (ولم تزل تلك الخلافة في الإنسان الكامل إلى قيام الساعة وساعة القيام، بل متى فارق هذا الإنسان العالم مات العالم، لأنه الروح الذي به قوامه، فهو العماد المعنوي للسماء، والدار الدنيا جارحة من جوارح جسد العالم الذي الإنسان روحه، ولما كان هذا الاسم الجامع قابل الحضرتين بذاته صحت له الخلافة وتدبير العالم، والله سبحانه الفعال لما يريد، ولا فاعل على الحقيقة سواه)؛ وتكرر ذكر الألوسي لهذ المسألة، وأثنى فيها على ابن عربي، مع إنكاره عليه بعض لوازمها، فمثلاً في تفسيره، ١٣/ ١٣٥، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، الرعد: ٢، ذكر عن ابن عربي بأنه فسرها بقوله: بأنها عمد غير مرئية، وعمادها الإنسان الكامل، ولم يتعقبه مباشرة، بل بعدها بأسطر، ١٣/ ١٣٦، عند قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، الرعد: ٥، قال الألوسي: (وأكثر الناس ينكرون على الأشعري قوله بتجدد الأعراض، والشيخ قدس سره زاد في الشطرنج جملا، ولا يكاد يدرك ما يقوله بالدليل، بل هو موقوف على الكشف والشهود، وقد اغتر كثير من الناس بظاهر كلامه فاعتقدوه من غير تدبر فضلوا وأضلوا).

كما انه تعقبه في تفسير العمد في موضع آخر، ٢١/ ٨١، حيث قال: (وكون عمادها في كل عصر الإنسان

=

الصفا، لكن ابن عربي اشتهر بها، وهي فكرته التي تتمحور حولها كتبه[1]، وابن عربي هو الذي يسمى الشيخ الأكبر، ومحيي الدين، ولكنه محيي دين الحلول والضلال ووحدة الوجود، بعد أن سعى في هدم دين الإسلام.

مما ذكره ابن عربي حول الحلول والظهور بين الله وخلقه، ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾[2]، يقول: (فأي حرج من ظهور بعض صفاته على مظهر بشري، بل لا مظهر لكمال علمه الباطن وحكمته إلا الإنسان الكامل)، وكان قال قبل ذلك: (ما عرفوه حق معرفته إذ بالغوا في تنزيهه حتى جعلوه بعيداً من عباده، بحيث لا يمكن أن يظهر من علمه وكلامه عليهم شيء، ولو عرفوه حق معرفته لعلموا أن لا وجود لعباده ولا لشيء آخر إلا به، والكل موجود بوجوده، لا وجود إلا له، جميع عالم الشهادة ظاهره وعالم الغيب باطنه، ولكل باطن ظاهر)[3]؛ فبعد أن جرد الرب ــ سبحانه ــ من صفات الكمال منحها لهذا الإنسان الكامل، واصماً من يصف الله بما وصف به نفسه بأنهم ما عرفوه حق معرفته، وهذا من الكفر بالله، وتأليه الإنسان عياذاً بالله، وهو هنا يعيب أهل التنزيه، والذين تعيرهم المبتدعة بالمجسمة، ويأتي هو بأشنع مما اتهمهم به، مما هو من جنس قول اليهود والنصارى ومن سبقهم ممن غلا بنبي أو ولي، فكيف بمن غلا بنفسه، وجعل وجوده ووجود الخالق واحداً، فلا فرق عنده بين موحد ومشرك، لأن كليهما عبد شيئاً واحداً، وحينئذ فلا عجب أن تصرف العبادة، والاستغاثة والنذور للأولياء والأقطاب، ونحوهم[1]،

=

الكامل في ذلك العصر، ولذا إذا انقطع الإنسان الكامل. وذلك عند انقطاع النوع الإنساني. تطوي السماوات كطي السجل للكتب، كلام لا عماد له من كتاب أو سنة فيما نعلم، وفوق كل ذي علم عليم).

(١) انظر: عودة الواصل (دراسات حول الإنسان الصوفي)، ص١٢٩-١٣٦، د. سعاد الحكيم، ط١، ١٤١٤هـ، مؤسسة دندرة للدراسات. بيروت.

(٢) الأنعام: ٩١.

(٣) تفسير ابن عربي، ١/ ٢٣٣.

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ٢/ ٣٦٤، وجهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ١٣٢٨/٣، عبد الله شمس الدين الأفغاني، ط١، ١٤١٦ هـ، دار الصميعي – الرياض.

بل عاتب النصارى بأنهم قيدوا الخالق في عيسى، خلافاً للذي عمم ووسع، فابن عربي كما قال الإمام الذهبي: (قدوة العالمين بوحدة الوجود)[1].

دخل هذا المصطلح "الإنسان الكامل" في كتب الإمامية الاثني عشرية، وخاصة في القرون المتأخرة، وإن كان هناك من ذكره عند فرق الغلاة القديمة، وهو بما يشبه الحلول اللاحق بعد حصول الكمال، والمؤدى واحد، فمن طوائف الغلاة المفوضة طائفة: اللايوبية أصحاب الجالوت القمي، يقول عنهم البرسي من الإمامية: (وعندهم أن الإمام هو الإنسان الكامل فإذا بلغ الغاية سكن الله فيه وتكلم منه)[2]، وقريب منهم طائفة الخمارية، فيقول البرسي: (والخمارية أصحاب محمد بن عمر الخماري البغدادي، وهم كالإمامية في الترتيب، إلا أن عندهم أن الإمام في الخلق كالعين المبصرة، واللسان الناطق، والشمس المشرقة، وهو مطل على كل شيء.

أقول: عجبا لمقسم هذه الفرق، كيف جعل هؤلاء من الغلاة، وقد ذكر أولاً أنهم من الإمامية، ثم قال: إلا إن عندهم أن الإمام كالعين المبصرة واللسان الناطق، فدل على أن هذا الرجل ليس بعارف بمرتبة الولي المطلق، وهو عين الله الناظرة في عباده، ولسانه الناطق في خلقه) اهـ.

يظهر مما ذكره البرسي أن فكرة التفويض والإنسان الكامل قديمتان في الشيعة، وأن الإمامية تبنتها فيما بعد، فهذا المؤلف في القرنين الثامن والتاسع لم ينكر ذلك، ولكنه أنكر كونه غلواً، ولعله لما كانت شائعة قبله، ومستقرة عند الإمامية استنكر كونها غلواً، فكيف بمن تأخر عنه، فإنه سيضم كل غلو سابق عند الغلاة الأولين إلى مذهبه، ولكن لن يعده غلواً، بل

---

(١) العبر في خبر من غبر، ٣/ ٢٣٣، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت/٧٤٨هـ، ت. أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) مشارق أنوار اليقين، ص٣٣٥، الحافظ رجب البرسي، ت/ ٨١٣هـ، ت. علي عاشور، ط١، ١٤١٩هـ، مؤسسة الأعلمي – بيروت؛ والكلام المذكور أورده المؤلف البرسي في فصل (هفوات العامة في الأنبياء عليهم السلام)، في نقل طويل لأحد كتب المقالات لم يذكر اسمه، وسبق النص المنقول مداخلة واعتراض من المؤلف بعد ذكر الخمارية من فرق المفوضة، وسيأتي قريباً بإذن الله.

كما قيل: سيصبح من ضروريات المذهب!؛ القول بالحلول قول منتشر بين فرق الشيعة القديمة[١]، كما أنه منتشر ـ مثلاً ـ في الهند في القرن العاشر الهجري[٢]، وهو كذلك في غيرها، كما أنه لا زال في عقائد عموم شيعة اليوم[٣].

الإنسان الكامل مصطلح موجود عند الإمامية المعاصرة هو الصراط المستقيم، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[٤] يقول مرشدهم الخميني: (ومن هنا يظهر أن تفسير الصراط المستقيم بالرسول ـــ كما في أحاديث العامة والخاصة ـــ وبالولي وبالأمير وبالإسلام وبغير ذلك، كل ذلك لأجل أنها الطرق إلى الله، والطرق إليه بعدد نفوس الخلائق، وما هو أحسن الطرق مختلف حسب آراء القراء، فيكون هو الإسلام، وهو الإيمان، وهو المؤمن، وغير ذلك، وحيث إن أحسن الطرق هو الرسول الأعظم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ والإنسان الكامل والولي المعظم، فكأنه قيل: اهدنا إلى الإنسان الكامل، المؤدي إلى أصل الوجود، ومنبع الخير والشهود، الذي لا يسأل الهداية، بل بهداه اهتدوا، ولا يأمل الثبات عليها، بل بحفظه حفظوا. والله العالم)[٥].

الإنسان الكامل تطلقه الإمامية على النبي، والإمام: علي، والحسين، والمهدي، وبقية

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص ١٠٨.

(٢) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ٣/ ١٣٣٨ـ١٣٤٥، ومما يذكره المؤلف أن هذه العقيدة الوجودية كانت منتشرة في القرن العاشر الهجري، وهي فترة تواصلت فيها الإمامية في فارس والعراق مع شيعة الهند، فقد نقل في (٣/ ١٣٦٦) عن أبي الحسن الندوي قوله: (وقد كانت هذه الصبغة الوجودية في القرن العاشر الهجري هي السائدة في بلاد الهند؛ حتى كان الشعراء المتذوقون لهذه المعاني [العقائد الوجودية] يتغنون بهذه العقيدة، ويساوون بين الكفر والإيمان؛ بل قد يتعدون حدود ذلك إلى ترجيح الكفر على الإيمان، وكان الناس يرددون أبياتاً معناها:

الكفـــر والإيمان قرينـــان   فمن لم يتمتع بالكفر لم يتمتع بالإيمان).

(٣) فرق معاصرة، د. غالب عواجي، ١/ ٢٤٠.

(٤) الفاتحة: ٦.

(٥) تفسير القرآن الكريم، ٢/ ٩٧، ١٨١، الخميني، ط١، ١٤١٨هـ، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني – قم.

الأئمة، ولا يمنع على هذا أن يكون ظهور المهدي مظهراً بشرياً لبعض الناس، وهذا هو معنى الغيبة، وهو مذهب الغلاة من الشيعة، الذين منهم من قال بأن الإمام لم يمت، وأنه سيرجع، أو يظهر(١)، فإذا كان هو الصراط المستقيم، فالإنسان الكامل قد ينوب عنه الولي الفقيه الذي يقوم بخصائصه، ولعل الخميني بهذه الجرأة يريد أن يقدم المبرر لدعوته بين أتباعه، الذين حيرتهم الغيبة، كما أنه سبق بمن يقول أن المهدي المذكور يتجلى ويظهر في كل مكان، في صورة رجل يكون هو المؤمن الكامل، وهو قول زعيم الشيخية أحمد الأحسائي الإخباري(٢).

الإمامية بغلوها بالأئمة ـ وكونهم يعلمون الغيب ـ تفسر قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾(٣)؛ فتفسر الإمام المبين بأئمتهم، كعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن عندهم خزائن العلم، وكتاب الجفر، وقد نبه الألوسي في تفسيره على أن هذا من أقوال غلاة الشيعة، وكأنه اعتذر لهم بعذر لم يقبله، مع كونه ممن أثنى على ابن عربي، فقال الألوسي مقرراً المقصود في مطلبنا:(ويمكن أن يقال: إنهم أرادوا بذلك نحو ما أراده المتصوفة في إطلاقهم الكتاب المبين على الإنسان الكامل اصطلاحاً منهم على ذلك فيهون أمر الجهل، وكمال علي كرم الله تعالى وجهه لا ينكره إلا ناقص العقل عديم الدين)(٤).

من المسائل المتعلقة بما سبق مسألة موقف الإنسان الكامل من التكاليف الشرعية، وهو يشبه ما هو معروف عند غلاة المتصوفة، وذلك بعد القول بكماله وتحققه، وكأن امتثال الإنسان الكامل التكاليف الشرعية جبراً، لا اختياراً، وأن الامتثال للأمر والنهي لا يزيده كمالاً!، وإنما امتثاله الظاهر مراعاة لمصالح المجتمع، ومنها قبول معارفه، وبشيء من التلميح لا التصريح يقول الإمامي المعاصر الطبطبائي في تفسيره: (ومن المعلوم أن تجويز ارتفاع التكليف عن

---

(١) أصول مذهب الشعية الإمامية الاثني عشرية، ٢/ ٤٠٧.
(٢) سبقت ترجمته ص٩١ من البحث.
(٣) يس: ١٢.
(٤) انظر تفسير الأوسي، ٢٢/ ٢٢٠، مع أن الألوسي يتكرر عنده مفهوم الإنسان الكامل في أكثر من موضع، وأثنى على ابن عربي كما سبق، وقد تعقبه ناصر مكارم الشيرازي بكلام يدل على غلوه، وموافقته لابن عربي وغيره من غلاة المتصوفة، انظر: تفسير الأمثل،، ١٤/ ١٤٧.

الإنسان الكامل ملازم لتجويز تخلفه عن الأحكام والقوانين، وهو فيما يرجع إلى المعاملات يوجب فساد المجتمع، والعناية الإلهية تأباه، وفيما يرجع إلى العبادات يوجب تخلف الملكات عن آثارها، فإن الأفعال مقدمات معدة لحصول الملكات ما لم تحصل، وإذا حصلت عادت تلك الأفعال آثارا لها تصدر عنها صدورا لا تخلف فيه، ومن هنا يظهر فساد ما ربما يتوهم أن الغرض من التكليف تكميل الإنسان، وإيصاله غاية وجوده، فإذا كمل لم يكن لبقاء التكليف معنى... نعم بين الإنسان الكامل وغيره فرق في صدور الأفعال، وهو أن الكامل مصون عن المخالفة لمكان الملكة الراسخة بخلاف غير الكامل، والله المستعان)[1].

وهو هنا يماثل مراد المتصوفة من قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[2].

ما مرَّ من الكلام في معنى الإنسان الكامل يطابق فلسفة الحكمة المتعالية، والتي سبق عرضها، والخلل الذي يتوقع أن يظهر أكثر في جانب القوة العملية، والتي تتفاعل مع مفهوم الشر والخير الذي تعانيه النفس في الواقع، ومرحلة التكامل الإنساني يأتي على عدة مراحل، وما ذكر في صفات الإنسان الكامل عند عرفاء الصوفية ذكر مثلها عند عرفاء الشيعة، من الأنس، وحب جميع العالم والرأفة بخلق الله، والعلم بالحقائق الإلهية، والاعتدال في الطقوس، والابتعاد عن الغضب والحقد والحسد، وامتلاك المكاشفة، والعشق الإلهي، والتخلي عن حب السلطة، وغيرها من الأخلاق[3].

وبعد: فهذه جولة عرضت من خلالها أقوال عدد من الإمامية في إثبات نظرية الإنسان الكامل التي قال بها ابن عربي، واتهم لأجلها بالزندقة ووحدة الوجود؛ ولكن يبقى السؤال قائماً: هل الإمامية بتفسيرها للإنسان الكامل بالإمام عندهم، هل يلزم منه قولهم بقول ابن عربي، وقد عرفنا موافقة جملة من مراجعهم وفلاسفتهم العرفانيين له، بل وإعجابهم به،

---

(١) تفسير الميزان ١٢/ ٩٩.

(٢) الحجر: ٩٩.

(٣) انظر: مجلة المنهاج، عدد: ٤٢، مقال: (نظرية الإنسان الكامل بين مذاهب علم النفس وآراء صدر المتألهين)، علي زينتي.

فهل لازم قول ابن عربي لازم لهم؟ أم أن لهم تأويلاً يخرجون به عن هذا اللازم؟ وهل ولاية الأئمة ولاية شاملة، أو قاصرة؟ وهل يقولون: إن الأئمة علة فاعلة، أو غائية للكون؟

أنوه هنا إلى أن فكرة الإنسان الكامل بهذا المفهوم كانت لدى طوائف الشيعة منذ بدايتها، وإن كانوا يسمونهم بالغلاة ـ كما سبق ـ[1]، ولكن تحرر هذا المصطلح عند الصوفية أشهر بعد ابن عربي، كما نوه على ذلك الدكتور لطف الله خوجه ــ وفقه الله ــ في دراسته حول الإنسان الكامل، إلا أن هذا لا ينسي أن الطائفتين تنبعان من مشكاة واحدة، وهي الإمامة الباطنية التي ادعيت لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأنهما يجتمعان في السلسلة المعروفة، ولعل انقطاع الاهتمام بالسلسلة الصوفية المعروفة قد يوهم أن لهم مذهباً آخر في الغلو، والحقيقة أنهم حذوا حذوهم، وإن كان خصوا أنفسهم ببعض الأدعية العرفانية، والتي يفسرونها تفسيراً غنوصياً باطنياً.

من أجلى صور الغلو لدى الإمامية الاثني عشرية المعاصرة هو مقولتهم: (الولاية التكوينية)، وقد سبق أن عرضتها، وجرى من جدال وصراع بين الإمامية في مفهوم التفويض الذي هو من عقائد الغلاة، وإقرار بعضهم بتجدده من خلال عقيدة: الولاية التكوينية[2].

يظهر أن من أصول الضلال في هذا الباب هو باب القدر، وأفعال الله، فهل ما يجري من الأقدار هي بعلم الله ومشيئته، ومن ذلك ما جرى للأئمة، ولغيرهم في أزمان ولايتهم، فهل هم على علم به، وهل هم سببه، وهذا المقام يختلط على العامة والخاصة، فمع إثبات الفضل لهم هل فعل الله هو فعلهم، وشرع الله هو شرعهم، لأن الإمامية تثبت لهم الولاية التشريعية والولاية التكوينية من هذا الجانب، بل جعلوا شعائر الحسين هي شعائر الله، لأن الأئمة شرعوها، فما دام أنهم معصومون ومفوضون فما شرعوه هو شرع الله، فشعائرهم شعائر الله، وكذلك جعلوا زيارتهم كزيارة الله، وحبهم كحب الله، فشبهة التفويض والولاية جعلتهم يصرفون ما هو من خصائص الله وحقوقه لهم، باسم المحبة والإجلال لهم، فكما أن المحبة باب للإيمان، فكذلك يكون باباً وطريقاً للكفر والشرك، وكما قال تعالى عن بغض المشركين

---

(١) راجع ص٧٨٢ من البحث.

(٢) راجع ص٣٠٣- ٣٢٤ من البحث.

مـع معبـوديهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[1]، وكما قال بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق[2]، وفساد هذا الطريق ظاهر تحت دعوى الانبساط مع المحبوب والمعشوق.

نقد العرفان (مجمل):

عند نقد العرفان الشيعي نحتاج إلى التذكير أن النقد يتوجه إليه من جانبيه: النظري والعملي، أما النظري فهو مستند إلى الفلسفة الإشراقية في وجوده، من حيث فهم الوجود وعلاقة العارف به، وأما العملي فهي قواعد ومراحل السير إلى غاية الوجود، والتي قامت على مفهوم الحب والعشق، وهي تزعم أنها امتداد للعرفان النظري.

العرفان الشيعي هو تعبير عن واقع المذهب الإمامي الاثني عشري الباطني، وإن كانت الدولة الصفوية أوجدت وحدة سياسية للمجتمعات الشيعية، فكذلك العرفان الشيعي أوجد وحدة مذهبية نوعية للمذهب، وإذا كانت فترة الصفوية ـ باعترافهم ـ تحمل نقاط سلبية على التشيع[3]، فكذلك العرفان؛ والإرهاب الفكري الذي تمارسه الجيوش تمارسه العقول بنفس الدرجة، أو أشد، ولعل نموذج الولي الفقيه أبرز تطبيق حي لهذه المدرسة، ومثله الحوزات الشيعية في قم والنجف.

سؤال قبل الدخول في نقد العرفان يحسن إيراده لمعرفة جوابه: هل العرفاء الشيعة زادوا

---

(١) البقرة: ١٦٥.

(٢) العبودية، ص١١٢، ومجموع الفتاوى، ٢١/ ١٥؛ ولم يعزها إلى مكحول، كما نقل السبكي عن الغزالي في الإحياء، انظر: فتاوى السبكي، ٢/ ٥٥٩، تقي الدين علي السبكي، ت/ ٧٥٦هـ، ط دار المعارف – القاهرة.

(٣) واختلفوا في نقدها على مذاهب وأهواء، وذلك لما يلي:

١- أنها ادعت المهدية.

٢- لأنها حكمت بالبطش، وأكثرت القتل.

٣- أنها اعتمدت النظام الملكي الوراثي.

٤- أحيت الطائفية والبدع.

٥- اعتمدت كتب الأخبار، التي عطلت الاجتهاد الأصولي.

٦- أنهت ذات نوايا توسعية.

في أخبار ومرويات المذهب في مجال العدل ومحبة الأئمة؟ أو أن ما عندهم هو مجرد تشقيق للروايات، ومزيد من التأويل؛ فهذه الروايات في نظر من يعرفها لا تحتاج إلى المزيد فقد جمعت أصول البدع والزندقة؛ ولعل فيما يأتي من النقد بيان لمكانة العرفان وخطورته، والنقد يتوجه على العرفان من أربعة محاور:

١- الخلل في التوحيد العلمي المعرفي.

٢- الخلل في التوحيد العملي العبادي.

٣- الخلل في النبوة والتشريع.

٤- تاريخ المعارضة الشيعية للعرفان الشيعي.

أولاً: الخلل في التوحيد العلمي المعرفي:

العرفان الشيعي الإشراقي جمع بين شبهة الإشراق في الحكمة المتعالية وبين نظرية ابن عربي في الإنسان الكامل، ويقرر أن الأئمة علة غائية، أو فاعلية، وأدنى ما يتحرج منه بعض عرفاء الشيعة دعوى الولاية التكوينية والتفويض، فينفي استقلال الأئمة بالخلق والتدبير؛ وهذا الأمر التبس على خاصتهم، فكيف بالعوام الذين لا يدركون مرامي أحاديث المقاتل والفضائل التي تقرأ عليهم في مجالس الحسينيات، ومآتم عاشوراء، وهي مشحونة بالغلو في فضائل الأئمة، ولأنهم يلقنونها تلقيناً وتقليداً فإنهم لا يردونها، خاصة تحت دعوى فرط المحبة المزعومة، كما قال شيخهم آل كاشف الغطاء النجفي: (وعوام الشيعة من فرط حبهم لآل البيت يقبلون كل ما يقال فيهم من دون تدقيق أو إعمال نظر)[1]؛ والحقيقة أن هذا من فرط جهلهم، وإعراضهم عن الحق، وطاعتهم كبرائهم طاعة عمياء، فهل طريق المحبة هي العمى، وإذا كانت العامة بهذا الحال وجب حمايتهم من الضلال على تقريبهم منه، وعدم السكوت على ضلالهم.

إذا صور للعوام أن الحسين أنه الإنسان الكامل، وأنه علة الوجود، وأنه سبب العشق الإلهي ومظهر من تجليات الإله؛ اضطروا للتعرف عليه بكل وجه، وقبول كل نسبة، فكيف

---

(١) انظر: العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، ص٦٧.

إذا ربط به نصرته لأنه مظلوم، مع قولهم بأنه يعلم الغيب، وله ولاية تكوينية، فالعوام لا تطيق هذه المباحث إلا بعسر، وتنصرف إلى هذا الكامل انصرافها للإله بمثل ما عند الأمم السالفة حول آلهتهم، في مثل الاستغاثة والاستنصار والاستغفار والاستشفاء، بل إنهم حتى فيما يصرفونه من قربان ونذور أدخلوا معها العبادة الصريحة كالصلاة والركوع والسجود والطواف، وقد كانت تؤدى إهداء للإمام، لكنها مع الزمن تصبح تقرباً إليه بذاته؛ مما قد تضعف معه في نفوسهم أوامر الشرع، لأن الدين صور لهم أنه في الحسين، فلولاه لما بقي، بل الكون كله لولاه لما بقي، وأرباب السير عندهم يقرون بأن السائر في هذا الدرب يمر بوحل الوحدة والحلول، ويسوغون ما يجري في عاشوراء من بدع على أنها من جنس الرياضات الروحية التي تسجلب معارفاً وبركات صحية ونفسية، وهذا ظاهر في تحسينهم للطم والبكاء وغيرها تحت عنوان التوسل بالحسين، وقد سبق أنهم يقررون أن من أنفع طرق الكشف والتأثير ورفع الحجب هو التوسل بأبي عبد الله الحسين، وهو منهم براء.

هذا الإحلال لصفات الله في الإنسان الكامل قريب من قول النصارى في المسيح ـ عليه السلام ـ أنه ابن الله وكلمته، بل جعل معنى الله هو صفات الكمال في الإنسان، يقول ابن كثير ـ رضي الله عنه ـ: (وليست "من" للتبعيض، كما تقوله النصارى ـ عليهم لعائن الله المتتابعة ـ، بل هي لابتداء الغاية، كما في الآية الأخرى)(1)، يقصد بها قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾(2)، والله سبحانه قد نهى أهل الكتاب عن الغلو في دينهم ونبيهم، بأن يجعلوه ولداً لله، أو بعضاً، أو أقنوماً، أو صورة ومثالاً، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(1)، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ

(1) تفسير ابن كثير، 2/ 479.

(2) الجاثية: 13.

(1) المائدة: 77.

أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[1].

من صور الخلل لدى العرفان الشيعي في التوحيد العلمي المعرفي هو موقفه من وحدة الوجود، وقد جعل معرفة حقيقة الوجود وطبيعته المرحلة الأولى من مراحل أسفاره الأربعة، والشيرازي في فلسفته المتعالية أتى بمخترع أنتجه يزعم أنه رفع الإشكال السابق حولها، وأنه أنكر الحلول والاتحاد، وأنه رسم بذلك منهجاً جديداً لمعرفة حقيقة الوجود والموجود، وذلك بفهم يجعل التوحيد والنبوة و"الولاية أو الإمامة"؛ جميعها تندمج في وحدة واحدة، هي الله في بعض تنزلاته ومراتبه، وهي علة فاعلة لا يقوم الوجود إلا بها، وقد تسمى الحقيقة المحمدية، مضافاً إليها الحقيقة العلوية، وهي بهذا تمثل العقل الأول عند الفلاسفة.

الشيرازي أتى بهذا المخترع بعد أن اتهم بالقول بوحدة الوجود، وبعد انعزاله عن الناس، فكأن هذا المخترع خروجاً من هذه الورطة، وهو يريد بإنكاره للحلول والاتحاد والحوادث إنكار وجود أمرين مختلفين، أما مع وجود حقيقة واحدة غير متعددة فلا إشكال، فالمنكر عنده هو وجود حقيقتين متحدتين متماثلتين، لأن الحقيقة بمقام الإله، وهذا يعنى الشرك؛ أما إذا كان ليس ثم إلا حقيقة واحدة، فالاتحاد عنده من الضرورات العرفانية؛ ويبين لنا الإمامي محسن الأمين موضع مقالة الشيرازي في حقيقة الوجود فيذكر أن مقالة الوجود: لا تخلو من ثلاثة أحوال:

١- تعدد الوجود والموجود، وهو الذي لدى عامة الناس.
٢- وحدة الوجود والموجود، وهو من زندقة الصوفية، كابن عربي.
٣- وحدة الوجود وتعدد الموجود، وهي مقالة الشيرازي[1].

في الحقيقة أن بين الثاني والثالث خيط رقيق، إذا وصفت رقته فهو من قبيل الخلاف اللفظي، وثَمَّ قسم رابع أحالوا وجوده، وهو وحدة الموجود وتعدد الوجود، مع أن الشيرازي

---

(١) النساء: ١٧١.

(١) انظر: أعيان الشيعة، ٩/ ٣٢٧.

يصحح القول بها كلها!، والأعجب من هذا كله افتتان الإمامية به، مع زندقته وغروره، وممن أنكر عليه أحمد الأحسائي، زعيم الشيخية الضالة، ثم تتابع البعض بالرد عليه ــ كما سيأتي قريبا؛ بإذن الله ـ إلى أن جاء الخميني المعاصر فأقر بها لدى ابن عربي والشيرازي من الزندقة، ومجدهما، وهذا ظاهر في حماسه لعقيدة الولاية التكوينية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثانياً: الخلل في التوحيد العملي:

الخلل لدى العرفان الشيعي في التوحيد العملي مبني على الخلل التوحيد العلمي، فقد شرع لسالكيه التشبه بالله في أسفاره الأربعة، والتشبه قائم على الخلل السابق في الربوبية، وقد حذر من هذا الخلل زعيم الإخبارية محمد أمين الاسترابادي في رده على الفلاسفة والعرفاء، وما ذكره الاسترابادي من ذم الفلسفة وأوهامها قد بينه أهل العلم من أهل السنة قبله، يقول الطوفي ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ: (وقد اعترف أكثر أئمة أهل الكلام والفلسفة من الأولين والآخرين أن الطرائق التي سلكوها في أمور الربوبية بالأقيسة التي ضربوها لا تفضي بهم إلى العلم واليقين في الأمور الإلهية، مثل تكلمهم بالجسم والعرض في دلائلهم ومسائلهم، ومقالة أساطين الفلسفة من الأوائل أنهم قالوا: العلم الإلهي لا سبيل فيه إلى اليقين، وإنما يتكلم فيه بالأولى والأحرى، قال: ولهذا اتفق كل من خبر مقالة هؤلاء المتفلسفة في العلم الإلهي أن غالبه ظنون كاذبة، وأقيسة فاسدة، وأن الذي فيه من العلم والحق قليل)[1].

ليس المقصود هنا بيان خللهم في الربوبية، إنما بيان أن أقيستهم الفاسدة في الربوبية أفسدت عليهم باب الألوهية والعبادة والمحبة التي أصبحت عندهم هي التشبه بالله في أفعاله، وخلصت من الذل والخضوع والاستلام والطاعة، بل وكأن العبادة نوع من منازعة ومنافسة في الربوبية والوجود، فانصرف توحيد الألوهية والعمل عندهم إلى الربوبية ووحدة الوجود، والتعبد بلوازمها، يقول ابن تيمية ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ: (فالإلهية عند القوم أمر مشترك بين الله وبين الملائكة، وبين المعلمين، ومن نقتدي به، لكن إلهية الله أفضل وأكمل، كما أن الوجود مشترك بين الموجودات، لكن الوجود الواجب أكمل؛ وهذا الشرك شر من شرك

---

(١) انظر: مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين، ١/ ٨٥.

مشركي العرب، فإن أولئك وإن أشركوا بالوسائط، وقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾(١)، وقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾(٢)، فلم يكن التأله عندهم بمعنى التشبه والاقتداء، بل بمعنى العبادة(٣)، والذل والمحبة، وهؤلاء مع عظيم شركهم بالله بمخلوقاته جعلوا التأله لنا هو التشبه بالإله، لا أنه يُحب ويُعبد ويُدعى ويُسأل، ولهذا لم تكن الآلهة مختصة بالله عندهم(٤)، لأن التشبه مبناه على أن الأدنى يتشبه بالذي فوقه، والذي فوقه يتشبه بمن فوقه، حتى ينتهي إلى الغاية، ولهذا سموه إله الآلهة، ولهذا يقولون: إن كل فلك يتحرك للتشبه بعقله، ففلك القمر يتحرك للتشبه بالعقل العاشر، والفلك التاسع يتحرك للتشبه بالعقل الثامن، وبهذا الطريق أثبت أرسطو وأتباعه وجوده، وقالوا إن الفلك يتحرك للتشبه به، وشبهوه بتحريك المعشوق لعاشقه، لكن العاشق يحب ذات المعشوق، والفلك عندهم إنما يحب التشبه بالله، وهو كتحريك الإمام للمصلين، والمتبوع للتابعين، فلم يثبتوا بهذا أن الله رب العالمين خلقه وأنشأه، ولا أنه إله العالم الذي يحبه العبد ويرجوه ويخشاه)(٥).

يقول ابن تيمية ــ أيضاً ــ في بيان دوام أفعال الله وكماله ومشيئته: (واعلم أن هذا كلام المتأخرين منهم، كابن سينا وأمثاله، وهو خير من كلام متقدميهم كأرسطوطاليس، فإن أرسطوطاليس في كتاب ما بعد الطبيعة ــ الذي هو غاية حكمتهم وعلمهم ــ إنما اعتمد في إثبات العلة الأولى على الحركة الشوقية، فإنه لما قرر أن حركة الفلك شوقية إرادية، وأن المتحرك بالشوق والإرادة لا بد أن يكون له مراد وهو محبوبه ومطلوبه، وجب أن يكون هناك

---

(١) يونس: ١٨.

(٢) الزمر: ٣.

(٣) لعل العبادة هنا بمعنى التنسك.

(٤) مثله غلو فلاسفة الإمامية في العلل الأربعة: الفاعلية والغائية والصورية والمادية، والعلل عندهم هي معنى وسبب المحبة والعشق، والأئمة عندهم هم العلل، فمن لم يحبهم فلم يوجد، وسبق ذكرها ص٣٢٤، ٧٨٧ من البحث.

(٥) الصفدية، ٢/ ٣٣٤- ٣٣٥، ابن تيمية، د. محمد رشاد سالم، ط٢، ١٤٠٦هـ، مكتبة ابن تيمية .مصر، وانظر: منهاج السنة النبوية، ٣/ ٢٨٥.

علة غائية هي المحبوب المعشوق المراد، وقالوا: أن الفلك يتحرك للتشبه بها كتحريك المؤتم بإمامه، ثم قد يقولون: إن الفلك يتشبه بالمبدأ الأول، وقد يقولون يتشبه بالعقل، والعقل يتشبه بالأزل، وهذا التقدير إنما يثبت وجود علة غائية، لا يثبت وجود علة فاعلية، فيقال: هب أن الحركة إرادية، وأن الحركة الإرادية لا بد لها من محبوب مراد، فما السبب المحدث الفاعل لتلك الحركة الإرادية الشوقية، فإن كان الفلك واجب الوجود بذاته لم يكن هذا قولهم، وكان باطلا من وجهين.

أحدهما: أن واجب الوجود بذاته لا يكون مفتقراً إلى غيره، لا إلى علة فاعلية، ولا غائية، فإذا جعلت له علة غائية يحتاج إليها في إرادته وحركته لم يكن مستغنيا بنفسه عنها، فلا يكون واجبا بذاته.

الثاني: أنه إذا جاز أن يكون الفلك واجباً بذاته أمكن أن يكون هو العلة الغائية لحركته، كما أنه هو العلة الفاعلة لحركته، وقد بسط الكلام على فساد قولهم في غير هذا الموضع)[(١)].

قال ـ رضي الله عنه ـ موضحاً سبب رواج هذه الفلسفة بين طوائف المسلمين: (وهؤلاء القوم من أسباب ظهور كلامهم، وظلال كثير من الناس به أنهم يحتجون على طوائف أهل القبلة بما يشاركونهم فيه من المقدمات الضعيفة المبتدعة، فلا يزالون يلزمون صاحب ذلك القول بلوازم قوله، حتى يخرجوه من الإسلام، كما تخرج الشعرة من العجين، فإن الحسنة تدعو إلى الحسنة، والسيئة تدعو إلى السيئة...، والإنسان قد يعتقد صحة قضية من القضايا، وهي فاسدة فيحتاج أن يعتقد لوازمها، فتكثر اعتقاداته الفاسدة، ومن هذا الباب دخلت القرامطة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم على طوائف المسلمين)[(١)].

على هذا فعبادتهم هؤلاء لله إنما هي تشبههم بالله، وبأفعاله، وهذا ما لم يقل به حتى مشركو العرب، فإنهم يعلمون أن الله فوق خلقه في ذاته وصفاته وقهره، وإنما كان شركهم في الوسائط، فهؤلاء المتفلسفة قد أزروا بمنزلة الربوبية في قلوبهم، وإن طالبوا أتباعهم بالإسرار

---

(١) الصفدية، ١/ ٨٥- ٨٦.

(١) الصفدية، ١/ ٨٨٥.

به وكتمانه؛ حتى صارت عقيدة الإلهية عند مشركي قريش خير من تصور الإله في أذهان هؤلاء الفلاسفة، فلم يشبهوا بذلك سوى الذي حاج إبراهيم في ربه حين قال له إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ ﴾(١).

الخلل في معرفة الوجود والتشبه بالخالق سيهدم مفهوم العبادة، لأن منطلقها لن يكون شرعياً، واتباعاً للرسل، بل سيكون التعبد بالتشبه بالوجود، وبعلله ومعلولاته، وسترتبط المحبة بهذا المفهوم للعبادة، فأصبح هذا الفهم الفلسفي للعبادة هو المعنى الذي تتبناه حوزات الإمامية الاثني عشرية ومراجعها، وتطرحه لطلابها ومقلديها في رسائلها وفتاويها.

ثالثاً: الخلل في النبوة والتشريع:

ما سبق في الفقرتين السابقتين هو خلل في جانب التوحيد العلمي والعملي، ويدور على عقيدة الولاية التكوينية، وهو يمتد إلى جانب الولاية التشريعية، وجانب النبوة، وإذا كان الفلاسفة يرون أن النبوة مكتسبة فإن عرفاء الشيعة حوروا هذا المعنى، اتقاء للتصريح بما عليه الفلاسفة، وإلا فهم يرون أن من وظائفهم النبوة التشريعية، ولكن يضطرون لإسقاطها ونفيها لاعتبارات التقية، لكي لا يتهموا بإبطال شرائع الأنبياء، وإحداث أديان جديدة(٢)؛ وكذلك امتثالهم الظاهر بالشرائع المذهبية إنما هو مراعاة لمصالح المجتمع، وربما كان انشغالهم بالفقه ودعوى الاجتهاد من هذا المنطلق، فأصبح الفقه والعرفان موضعاً مشتركاً لصناعة الأدلة، وقرائن التأويل، باسم الاجتهاد الفقهي الأصولي، وهذا لدى الطائفة الأصولية، وربما عدَّ بعضهم هذا حقاً للعرفاء من باب التعويض الإلهي للشيعة.

المنهج العرفاني النظري هو منظومة من آراء البشر. واجتهاداتهم وتخبطاتهم واضطراباتهم، يعرضونها في مقابل نور الشرع، وهي باعترافهم لا تسلم من الضعف والقصور والتناقض والصعوبة، حتى صارت كحديث أئمتهم (صعب مستصعب)، ويعني هذا أن ينظر الناس في

---

(١) البقرة: ٢٥٨.

(٢) انظر: مجلة المنهاج، عدد: ٣٣، مقال: (حقيقة النبوة في الفكر الفلسفي والعرفاني)، محمد يحيى فهم الدين، وسبق ص٧٨٧ من البحث.

أبرعهم وأجدلهم، فإذا من هو أجدل منه تركوه وذهبوا إلى غيره، كما قال الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ: (أكلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله)[1]، وهذا مما يدل على بطلان مذهبهم، إضافة إلى أن كثيراً من مباحثهم مما يشق على عامة الناس فهمها والإيمان بأدلتها، وعسر مقدماتها، وخبث مخرجاتها.

يكفينا ونحن في بيان أثره في ترسيخ هذه البدع الشنيعة في عاشوراء أن نأخذ وصفاً لرمز من رموز مؤسسي هذا العرفان والمتمثل في شخصية من المجتمع الشيعي الإمامي، ولها وزنها في خدمة المذهب والدعاية له والتلبيس على المسلمين، فقد حاول إصلاح بعض المنكرات في مأتم عاشوراء، وحماية المذهب من التوهين، كالتشابيه والتطبير، والذي قوبل بردود فعل عنيفة تفوق الوصف، وبقي هذا العنف إلى الآن، مما يدل على مدى مساحة الحرية المزعومة؛ يصف لنا محسن الأمين سبب انحراف صدر المتألهين في أفكاره، والتي يبرهن بها العرفاء، وغروره الذي يملأ به كتبه ومكاشفاته الفلسفية، فيقول الأمين: (وأكبر الظن أن فيلسوفنا كان مصابا بكبت عنيف نتيجة لحرمان قاس، وهو الذي دفعه فيما أظن إلى العزلة الطويلة في الجبال النائية خمسة عشر عاماً، كما تحدثنا عنه في الفصول السابقة، ودفعه إلى النفرة من الناس، والنظر إليهم بمنظار أسود قاتم، وإن كنت لم أستطع أن أقف على ظروفه الخاصة، لأحكم على مصدر ذلك الكبت ونوع ذلك الحرمان، ولعل ذلك الكبت قد رافقه منذ الصغر، وهذا الذي حدد له اتجاهه الفلسفي وطريقته العرفانية الصوفية، وإن كان قد يعتقد هو أن تفكيره وعقله الواعي هو الذي ساقه إلى اختيار هذا السبيل، وقد نجد ما يشير إلى ذلك الكبت والحرمان إعلانه للتذمر والنقمة والقسوة في النقد كلما وجد لذلك مجالا على الفقهاء على المتكلمين، على الحكماء، على الصوفية، وتكاد تكون أكثر تلك الاندفاعات لا شعورية، منبعثة من عقله

---

(١) شرف أصحاب الحديث، ص٥، الخطيب البغدادي، ت/ ٤٦٣هـ، ت. د. محمد سعيد خطي أوغلي، ط ١٩٧٢م، كلية الإلهيات بجامعة أنقرة، ودار إحياء السنة النبوية – أنقرة؛ ورسالة في الرد على من أنكر الحرف والصوت، أبو نصر. عبيد الله السجزي، ت/ ٤٤٤هـ، ت/ د. محمد كريم باعبد الله، ص، ط١، ١٤٠٤هـ دار الراية. الرياض، وسير أعلام النبلاء، ٨/ ٩٩.

الباطن)[1].

هذه الاندفاعات اللاشعورية أصبحت منهجاً وروحاً للعرفاء، وما يشير إليه محسن الأمين من تذمر فيلسوفهم الشيرازي من الفقهاء، لأنهم اتهموه قبل هذه العزلة، بسبب أقواله الغالية، ومنها قوله بالحلول ووحدة الوجود، فجاءت هذه العزلة ليكتشف تفسيراً لها مع التقرير والفذلكة، خلاصته: الوجود واحد، والموجود متعدد.

المذهب الإمامي مر بفترات وتقلبات، منها مرحلة العناية بكتب المذهب الروائية الأولى، رواية لا دراية، حيث كانت الدراية متأثرة بالمنحى الاعتزالي، الذي يسمونه الاجتهاد الأصولي، والفترة في القرون الثلاثة التي سبقت حركة الاسترابادي ت/ ١٠٣٦هـ الإخبارية، وهي القرون: الثامن والتاسع والعاشر، والدراسات حول الإخبارية في هذه الفترة فيها قصور وضعف، وقوبلت بمواجهة من قبل المدرسة الأصولية، والتي سيرتبط نقدها للشعائر في عاشوراء من خلال نقدها للفلسفة، والتصوف.

العرفانيون زادوا الروايات تحريفاً وتأويلاً، وفهمها لها هو ضمن شبهتهم في الإشراق، وهي شبهة باطلة، فتوسعوا في إعمال الكشف والإلهام والرؤى، في الحكم بضعف الرواة في كتب المذهب المتقدمة، التي تصر الإخبارية على القطع بثبوتها، وهذا الانحراف سيطال نصوص الكتاب والسنة، بل حتى أخبار التاريخ التي كانت تحظى بشيء من المرجعية بين الشيعة وخصومهم، فاعتماد الكشف والقرائن الباطنية في كتابة التاريخ سيزيد من الفساد ويؤصل للشبهة الفاسدة، وأغلبها تأتي امتداداً للمدرسة الأصولية، وهي في أصلها قائمة على مقولة كفرية، وهو أن النبوة مكتسبة، وإن لم يصرحوا بنبوة كاملة، وشريعة شاملة.

اشتغلت الإمامية الاثني عشرية بعد عرفان الشيرازي وفلسفته في الجمع بين الفقه الإخبارية والمكاشفات العرفانية، فكلما كان المكاشف فقيهاً مجادلاً فسيبرهن لمكاشفاته، ويجد لها مساغاً، وبهذا تضم المكاشفات إلى مجموع الأدلة على الأحكام ـ والعقائد الصغرى ـ، حتى

---

(١) أعيان الشيعة، ٩/ ٣٣٠.

لا تخسر الإمامية هذا الرصيد من المكاشفات، فتثبتها وترويها[1]، كي يصبح من مذهبها، إلى أن يصبح مع الزمن من ضروريات المذهب، وهذا ما يدعون التميز به، فهم أهل إتقان فلسفي وفقهي، بخلاف الصوفية[2]، وبذلك تميز عرفانهم عن عرفان الصوفية الذي منشأه العرفان العملي[3]، وربما رأوا أنه من جنس التعويض الإلهي للشيعة، ومن تشبههم بالنبوة في التشريع، كما تشبهوا بالله في التكوين، كما في أسفارهم الأربعة، وهو مثل ما ادعوه في الإمامة؛ فأصبحت الحوزات تضم مدرستين متشاركتين في الإنتاج: مدرسة الفقهاء، ومدرسة العرفاء الروحانيين.

قد بين أهل العلم خطورة هذا المزلق، وأن من ادعى اكتساب النبوة كفر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ حول هذه الشبهة عند الفلاسفة: (فرأوا أن لبعض النفوس قوة حدسية، وأنه قد يكون لها تأثير في بعض الأمور، وقد يتخيل إليها ما تعلمه، كما يتخيل إلى النائم ما يراه، فظنوا أن جميع ما يحصل للنفوس من الوحي ونزول الملائكة وسماع كلام الله هو من هذا الباب، وجعلوا خاصة النبوة هي هذه الثلاث فمن وجدت فيه كان نبياً، وقالوا النبوة مكتسبة، وصار فضلاؤهم تتعرض لأن يصيروا أنبياء، كما جرى للسهرودي المقتول،

---

(١) وهو رأي للطبطبائي المفسر، انظر: العرفان الشيعي، الحيدري، ص١٦٩، وراجع ص٨٩ من البحث.

(٢) انظر: العرفان الشيعي، الحيدري، ص٦٧، وينقله عن مرتضى مطهري، والطهراني في لب اللباب في سير وسلوك أولي اللباب، ص١٤٢، يشير إلى وجود سلاسل خاصة بأهل العرفان الشيعي، يروونها عن أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي أكثر من مائة طريق، أما التصوف فلا تتجاوز ٢٥ طريقة!، ولم أقف على أحد ذكر هذه السلاسل الخاصة، ولعله يقصد أسانيد مروياتهم في الأدعية والزيارات والمناجاة العرفانية، كدعاء عرفة، والصحيفة السجادية، الإنجيلية، والزيارة الجامعة، وزيارة الناحية المقدسة، ونحوها من موضوعاتهم التي شحنت بها كتبهم، ولعل هذا التسلسل ظهر تعويضاً عن سلسلة الصوفية بعد تبني الدولة الصفوية التشيع وحرب التصوف.

(٣) سبق ص١٦٨ من البحث أن الإمامي كمال الحيدري يذكر أن التصوف ظاهرة اجتماعية، لا نظرية، وإن كان مبنياً على الشرع، أما العرفان الشيعي فهو مبتني على الفكر والفلسفة المتعالية الإشراقية، والكشف والشهود، وأنه لا مزيد للعرفان على التصوف إلا بتحصيل الفلسفة، أما السلوك فواحد، وذكر ثلاث أوجه للتفريق بينهما.

ولابن سبعين وغيرهم)[1].

هذه المقولة مخالفة لكون الرسول ﷺ خاتم الأنبياء، كما في قول الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ﴾[3].

قد أجمع أهل العلم على هذا المعنى، بل عدوا القول بتلك المقولة من أقوال الزنادقة، يقول القاضي أبو يعلى الحنبلي: (ونبينا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء، ولا يبعث الله نبياً بعد نبينا، خلافاً لأهل التناسخ، والخرمية في قولهم: يجوز أن يبعث الله نبياً بعد نبينا، وأن الأنبياء لا ينقطعون عن الخلق أبداً، والدلالة عليه إجماع الأمة أن نبينا خاتم النبيين)[4]، ويقول أحمد الدردير المالكي في صور الردة: (أو جوز اكتساب النبوة، أي تحصيلها بسبب رياضة؛ لأنه يستلزم جواز وقوعها بعد النبي)[5]، ومثله قول الشربيني الشافعي[6]، وقول القاضي عياض، ونص على الفلاسفة وغلاة الصوفية[7]، ويقول ملا علي قاري الحنفي: (ودعوى النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم كفر بالإجماع)[1].

---

(١) الرد على المنطقيين، ص٣٠٢، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، ٧٢٨هـ، ط دار المعرفة – بيروت؛ والسهرودي هو الذي تبنى فكرة الإشراق، وعنه أخذها الملا صدر الشيرازي.

(٢) الأحزاب: ٤٠.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) المعتمد في أصول الدين، ص١٠٩، القاضي أبو يعلى الحنبلي، ت. وديع زيدان حداد، ط١، ١٩٨٦م، دار المشرق – بيروت.

(٥) حاشية الصاوي (على الشرح الصغير، للدردير)، ٤/ ٤٣٥، الصاوي المالكي، ت/ ١٢٤١هـ، ت. مصطفى كمال وصفي، ط ١٩٨٦م، دار المعارف – القاهرة.

(٦) مغني المحتاج، ٦/ ١٤٦، الخطيب الشربيني الشافعي، ت/٩٧٧هـ، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية.

(٧) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، ٢/ ١٠٧٠-١٠٧١، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ت/ ٥٤٤هـ، ت. أحمد بن محمد الشمنى، ت/ ٨٧٣هـ، ط ١٤٠٩هـ، دار الفكر – بيروت.

(١) شرح الفقه الأكبر، ص٢٤٤، ملا علي بن محمد سلطان قاري، ت/ ١٠١٤م، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

هذا الفساد يجري على مرويات الإمامية التي يعظمونها ــ مع بطلانها ــ، لكنها عند من يعظمها ستكون بمثابة امتداد للإمامة، وادعاء لها، وكم جرت هذه الفلسفة عليهم من دعاوي المهدية الصريحة، فضلاً عما هو أعظم منها من دعوى النبوة، والألوهية(١)، وكل من منع من شبه هؤلاء، ترد عليه بدعوى الإمامة.

رابعاً: تاريخ المعارضة الشيعية للعرفان الشيعي:

نقد العرفان الشيعي وبيان انحرافه ليس حصراً على أهل السنة، بل إن مفهوم العرفان الشيعي، والحكمة المتعالية التي طرحها الشيرازي واجهت معارضة من الاثني عشرية أنفسهم، وهذه المعارضة قد تمثل نوع من موافقة ما في كتب الأخبار من براءة الأئمة من الغلاة والمفوضة؛ وهذه المعارضة تتضح لدى الطائفة الإخبارية بدءاً من محمد أمين الاسترابادي المعاصر للملا صدرا الشيرازي؛ فمقولات الغلو قديمة في الإمامية وأسلافها، ومنها مقولتي: فكرة التفويض والإنسان الكامل، والتي أصبحتا من ضروريات المذهب!؛ وقد سبق عند الحديث عن الولاية التكوينية والتشريعية بيان مخالفة الإخبارية ــــ ومنهم المجلسي ـ في معنى التفويض المنسوب للأئمة، كما طائفة من الإخبارية عدوا من الغلو والكفر مقولة وحدة الوجود، التي نسبوها إلى زنادقة الصوفية، وتبرؤوا من طقوس الصوفية ومسالكهم، وانهم ممن حذر منهم الأئمة، وأنهم لا زالوا يكذبون على الأئمة، ويروون عن الأئمة أخباراً لا ترويها الإمامية، فهم مبتدعة في هذا وضلال(٢).

---

(١) انظر: إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النبوة، عبد الملك بن عبد الرحمن الشافعي، فقد أقام الرد عليهم على سبيل الحوار بين قادياني ينكر ختم النبوة، واثني عشري يقول بختم النبوة.

(٢) يوافق المجلسي على هذا المأخذ عدد من الإمامية -وخاصة الإخبارية-، ومنهم المرجع المعاصر وآيتهم العظمى محمد رضا الموسوي الكلبايكاني، ويعترض على سلسلة الصوفية "الخرقة"، وتفريقهم بين الشريعة والحقيقة، حيث يقول: (ولذا فيجب الاحتراز عما يخترعه، أولئك كاختراع السلاسل، والأخذ عن غير الفقهاء في الرياضة، والتفريق بين الشريعة والطريقة، ولا يجوز اعتناق طريقتهم، أو الركون إليهم، ولا نرى من علمائنا الإمامية أحدا قد سلك مسلكهم، أو يرضى بعقيدتهم، عصم الله المسلمين من شرور المبدعين، إن شاء الله العالم)؛ إرشاد السائل، ص١٩٧، محمد رضا الموسوي الكلبايكاني، ط١، ١٤١٣هـ، دار الصفوة . بيروت.

الملا صدر الشيرازي ت/ ١٠٥٠هـ أحدث خلافاً بين رموز الطائفة[١]، فمنهم من انتقده وحذر منه، كالاستربادي، ت/ ١٠٣٣هـ، ثم جمع من الطائفة الإخبارية منهم محمد تقي المجلسي، وابنه محمد باقر المجلسي، صاحب بحار الأنوار[٢]؛ وبعد الشيرازي بقرنين جاء امتداداً لموقف الاسترابادي أحمد الأحسائي مؤسس الشيخية، ت/١٢٤٣هـ، الذي حاول الرد على آراء الشيرازي وعلى تلامذته بشكل عنيف، حتى كفرهم[٣]، بدعوى أن الفلاسفة والمتكلمين لا يسلمون من الخطأ والالتباس، ويغفلون عن بعض الاحتمالات، وأن المعرفة التي تحكم مسائل الدين معرفة وهبية غير كسبية، لا علاقة للعقل فيها، وأن: (الله قد ألهم خلقه بدلالات واضحة على مثل هذه القضايا الأساسية، قبل بلوغ الخطاب الديني إليهم)[٤].

هذا وقد ذكر أن الاسترابادي صنف رسالة في الرد على الشيرازي ومدرسته، لكن يبقى أن هذا الجانب لم يبرز في الصراع، وأن أشهر خلاف الاسترابادي مع الأصوليين أبرز على أنه كان في باب الفروع والأحكام[٥]، لكن يظهر أن طائفة ممن وافقوا الاسترابادي على مذهبه الإخباري في أبواب الأحكام والشرائع؛ لم يوافقوه على مذهبه في أصول الدين والإلهيات، وذلك كالفيض الكاشاني، فمع كونه أخبارياً إلا أنه تتلمذ على صدر الدين الشيرازي في الفلسفة، وتأثر به[١].

يظهر أنه بسبب انتشار الفلسفة الإشراقية في مدارس الشيعة عموماً حصل لهم اضطراب في معارضتها، ولم يجرأ منهم في محاربتها إلا القليل، وإن كان هذا دعا بعضهم إلى البعد عنها،

---

(١) انظر: الفوائد المدنية، ص٢٦٦.

(٢) سبق ص٥٣ من البحث.

(٣) حول الصراع بينهما راجع ص١٧٠ من البحث.

(٤) موقع: محمد يحي فهم الدين، قسم نقد التراث العقلي، مقال: (موقف الإخبارية من الدليل العقلي)، د. محمد يحيى فهم الدين، على الرابط التالي:
http://www.fahmaldin.com/index.php?id=64

(٥) انظر: الفوائد المدنية، ص١٤، وسبق الحديث عن هذا في الباب الأول.

(١) سبقت الإشارة إلى المنحى العرفاني لدى الكاشاني في الباب الأول، راجع ص٨٦ من البحث.

لما يؤول إليه أمرها من مخالفة ظاهر الكتاب والسنة، وإلى القول بوحدة الوجود، والتي كفر رموز الإخبارية بها مقالة ابن عربي، وقائلها؛ بل نزع بعضهم إلى التحذير من الفلسفة العرفانية، ولو باسم التصوف(١)؛ ولكن لصعوبة خوض غمار هذه الهجوم العقدي كان النزاع حول مسائل الفروع أشد، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الجانب عند الحديث عن عقيدة الولاية التكوينية والتشريعية، وأن مرجعهم اللبناني فضل الله صرح أن هذه العقيدة انتشرت بسبب فلسفة الحكمة المتعالية للشيرازي(٢).

العرفان الشيعي هو مدرسة باطنية وامتداد للتصوف الغالي، وذلك بغض النظر عن الفرق بينهما، بل هو في حقيقته إحياء للغلو الصوفي بشكل منهجي رسمي، ويدرس في الحوزات الشيعية على مرحلتين: العرفان النظري، والعرفان العملي، وهذا لا يعني أن النتائج تتغير إذا تغيرت النتيجة، وهذا أعطاه روحاً جديدة بعد أن وجهت المدرسة الإخبارية وبعض الأصولية هجمة على التصوف، فأولت أن ذلك الهجوم هو ذم للتصوف العملي الذي يحوي على كثير من البدع والمنكرات، والذي كان ظاهرة اجتماعية غير مسبوقة بتنظير ـ بزعمهم ـ، بينما العرفان العملي الشيعي فإنه يسبق بعرفان نظري يعصمه من الانحراف، والواقع ومن خلال مواسم الأئمة كعاشوراء أن ما ينكرونه على الصوفية من السماع والرقص والشطح موجود في شعائر عاشوراء وزيادة، لكن تعمى أبصارهم عن الجذع في عيونهم، وترى القذى في عيون الآخرين.

الانحراف الخطير في جانب المرويات الحديثية الشيعية أعطى العرفان فرصة للتنفس من جديد، حيث تحوي مقالات الفرق الشيعية الغالية الأولى، وكانت بعض الإمامية تخرج من مغبتها بمخرج التقية العملية والعلمية، وأن الفقيه الشيعي يعرف مراد الأئمة بعرض ما اختلف على الكتاب والسنة، وكان لقرب المدرسة الشيعية من السنية أثر في عدم إبراز مواضع الغلو، وكذلك لسبق المدرسة السنية بحرب الانحراف الصوفي، والمتمثل بتكفير

---

(١) انظر: مستدرك سفينة البحار، الشاهروردي، ت/ ١٣٦٥هـ، ١/ ١٠.

(٢) راجع مطلب ولاية الحسين التكوينية، ص٣٢٥ من البحث.

القائلين بالحلول ووحدة الوجود، ولكن بعد أن استقلت فارس بالحكم الصفوي، وحصلت قطيعة بين المدرستين عاد الانحراف الغالي من جديد، وخاصة بعد اعتماد منهج الشيرازي في الحكمة المتعالية، الذي أعطى العرفان مذاقاً جديداً ممزوجاً بالفلسفة والمنطق والجدل وعلم الكلام.

يغلب الهجوم على التصوف من المدرسة الإخبارية لما تحويه أخبارهم من ذم للمتصوفة، وتكفيرهم، وهذا جار على المتقدمين، كالحلاج الذي قتل لقوله بالاتحاد، وإن كانت الشيعة تكفره من وجه آخر، وهو أنه ادعى السفارة في زمن الغيبة، وهذا قدح يوجب الكفر عندهم، ومثله تكفيرهم ابن عربي، بينما تدافع الإمامية ـــ وخاصة العرفانيين ـــ عن السهروردي، صاحب الإشراق، مع أنه قتل لمقولة كفرية، وكذلك جار على المتصوفة الآخرين الذين يقلدون ابن عربي في قوله بوحدة الوجود، وعلى أعمال المتصوفة وبدعهم من الرقص والسماع ونحوها، وقد قام المجلسي بمضايقة المتصوفة في إيران وتهجيرهم من العاصمة، لاعتقاده كفرهم، وهذا سبب ضمور اسم التصوف، وإن كانت مشابهة أعمالهم باقية لرسوخ العلاقة بين التشيع والتصوف، والعرفان الصوفي والعرفان الشيعي.

لضعف الطائفة الإخبارية اليوم وقلتهم يصعب تحرير قولهم في جانب العرفان النظري، إذ يختلط حالهم ما بين نقد للفلسفة عموماً وردهم على الحكمة المتعالية للشيرازي، وعلى ضعف أدلة الفلاسفة عموماً؛ وما بين قولهم بما يشبه العرفان والإلهام والكشف، وخاصة عند الشيخية من الإخبارية، والتي ظهر منها الغلاة، بينما طائفة أخرى من الإخبارية المتأخرة كالبحراني فهي تبع للأخبارية الأولى ـــ التي أسسها الاسترابادي ـــ، وأما في جانب العرفان العملي فيظهر أن الإخبارية لا زالوا يحملون حسكة في قلوبهم على التصوف، وإن كان يصعب عليهم الجهر بها، لقوة الأصولية التي لا ترى إحياء الهجوم على التصوف، وهم يعاملون الأصولية المنحرفة بالتقية فيسكتون، لأن قوتهم من جنس ولاية أهل السنة الظاهرة الباطلة.

المطلب الثاني

أثر العرفان الشيعي على عاشوراء

بعد أن استعرضنا فيما سبق مفهوم العرفان الشيعي، وفلسفته المعتمدة عند الإمامية، وأنها تمثل مفهوم الإنسان الكامل الذي تشترك فيه مع الصوفية في نفس النتيجة، وأن هذا الغلو والانحراف العقدي في العرفان خيمت آثاره على المذهب ومواسمه، إذ ارتبط الغلو الشيعي بوجه جديد من التأليه، فبعد أن كانت الشيعة تحتضن طوائف الغلو المؤلهة، وهي لا زالت تقر بذلك، لكن حيث إن الشهرة كانت للغلو في الإمام الأول علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بشكل واضح؛ فإنها الآن تجلت في الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وإن كان الغلو سارياً فيه، وفي كل من ادعيت إمامته منذ زمن قديم، لكن لوحظ على الإمامية إبراز شخصية الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فأصبح مفضلاً في الظاهر، كما أنه أقرب الطرق لتحصيل كمال النفس، والقرب والفناء، أو الوحدة والاتحاد، فعظمت شعائره عندهم، فأي يوم عندهم كعاشوراء، فهو يوم الله، وشعائره شعائر الله، بل إنه هو اليوم المشهود الذي أراد الله فيه أن يهدي الأجيال البشرية من خلال قتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ!(١).

في الحقيقة أن الفلسفة العرفانية ليست مستنداً لغلوهم، بل هي تبرير وإسقاط لعدد من المعاني، حيث أعطته معنى جديداً مستمداً منها، تضمنت فلسفة للحدث التاريخي بالدرجة الأولى، ثم لتسويغ الشعائر، كما أن منطلق التعبد والعبادة في هذه الفلسفة يقوم على الحب، ورؤية الكمال والجلال، وهذا الباب يفتح مصطلحات العشق والهيام والأنس والوجد والانبساط، وغيرها من المعاني التي يذكرها العرفاء في مراحل السير، وسأترك التعليق على هذا الانحراف الخطير على وجه الاستقلال، مكتفياً بما يرد عند عرض بعض صور آثاره في عاشوراء، ولاستيضاح أوجه هذه الآثار على الشعائر أشير إلى النقاط التالية بعناوين بارزة من غير ترتيب.

---

(١) شذرات من فلسفة تاريخ الحسين، محمد باقر الصدر، ص١٣١.

١- عاشوراء والمجربات الحسينية العرفانية.

٢- عاشوراء وعبادة الأحرار العرفانية.

٣- عاشوراء من الفلسفة العرفانية إلى العولمة والرسالية.

٤- العاطفة القلقة المضطربة.

أولاً: عاشوراء والمجربات الحسينية العرفانية:

العرفان صورة أو اسم ثان للتصوف، له مسالك يسمونها الطريقة، توصل إلى حقيقة لا يعلمها، أو لا ينشغل بها فقهاء الشريعة، وهي في حقيقتها نفس ما لدى الصوفية، وإن زعم عرفاء الشيعة اختصاصهم بعرفانه، ومن مسالكهم المجربات الروحية الكشفية، ومنها عند الإمامية في عاشوراء عدد من الصور، منها ما يلي:

١- الأربعينيات: وقد سبق الحديث عن تعظيمهم للأربعين في ضمن وسائل اللقاء بالمهدي، وحضورهم لمواسمهم ونواديهم[1].

٢- التربة الحسينية: فمن مجرباتهم ــ أيضاً ــ تربة الحسين، فقد ذكروا أنها ترفع الحجب السبعة، وكانت من أسرار الطريقة والعرفان، وتحت طي التقية والكتمان، لكنها بعد مرسوم الكركي شيخ الدولة الصفوية أصبحت شريعة ظاهرة في دين الإمامية، فصارت بهذا الوجه من الرسوم الظاهرة؛ ودربهم إلى الحسين في هذا الباب كثير، وقد بثوا هذا الضلال من خلال عاشوراء باسم الأسرار الحسينية، والخصائص الحسينية، والنداءات العاشورائية، ووحي كربلاء، وغيرها من الأسماء التي حسنوا باسم الحسين أبواب الشرك والضلال ـ عياذاً بالله ـ.

٣- دعاء عرفة: اعتنت به الإمامية في القرون المتأخرة، بعد انغماسها في العرفان، مع أنه ليس مشتهراً في كتبها المتقدمة، واول من وقفت عليه يذكره ابن طاووس في القرن السابع[2]،

---

(١) راجع ص٧٥٧ من البحث.

(٢) إقبال الأعمال، ابن طاووس، ت/ ٦٦٤هـ، ٢ / ٧٤، ٨٤، ٨٧، وذكره مرسلاً، وهو أول من ذكره في أعمال يوم عرفة فيما وقفت عليه، وعنه: البلد الأمين، الكفعمي، ت/ ٩٠٥هـ، ص٧٦٧، وبحار الأنوار، ٦٤/ ١٤٢، ٩٥/ ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٧؛ وانقد المجلسي بعض الزيادات، وقال إنها على مذهب الصوفية.

ولذا اشتهر شراحه في القرن العاشر وما بعده، ويذكر الكوراني حول بعض فقراته أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فاق فيه يونس عليه السلام في استغاثته: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(1)، فبلغ الحسين بدعاء عرفة المرحلة الثانية عشرة، بينما يونس في المرحلة الأولى، والمراحل بحساب عدة الشهور عند الله اثنا عشر، ويقول: (ولا وجود لرتبة الثالث عشر في نظام الكون.. وهذا يعني أن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة، قد قطع مراحل شهور المعرفة التي هي المعنى الباطن لهذه الآية، وقال ليونس: أنت قلت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وبقيت الكلمات الباقية لي فأنا أقولها!؛ إن كل واحدة من هذه الجمل بحر من المعرفة بلا قعر، يغرق فيه جبرئيل وميكائيل وإسرافيل...)(2)؛ وإذا كان هذا الدعاء في المرحلة الأخيرة فدعاء عاشوراء من باب أولى.

٤- دعاء عاشوراء: وقد يرد ضمن أدعية (زيارة عاشوراء)(3)، أو أدعية ليلة عاشوراء(4)، واعتنت به الإمامية كغيره من أدعيتها العرفانية، وإن كان سيحظى تسميته باسم عاشوراء ارتباطه بمعاني الثورة، وحادثة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما أنه يتضمن عند بعضهم لعن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ(5).

٥- خروج الحسين في حضرة الشهود: يوحي كلام العرفاء أن الحسين ـــ مع قولهم

---

(1) الأنبياء: ٨٧.

(2) الحق المبين في معرفة المعصومين، ص٣٨٢.

(3) طرائف المقال، البروجردي، ٢/ ٦٦٤، وذكر قصة لأبي جعفر الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، مع الخليفة العباسي بسبب شكوى حول دعاء عاشوراء في كتابه المصباح، وتضمنه للعن الصحابة، بعبارة: (اللّهم خص أنت أول ظالم باللعن مني وابدء به أولا ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، اللّهم العن يزيد بن معاوية خامسا)؛ وهذه العبارة من جنس ما جاء في زيارة عاشوراء.

(4) إقبال الأعمال، ابن طاووس، ٣/ ٤٦- ٥٠، في حديث يرفعه من طريق ابن عباس، نقله من كتاب: دستور المذكرين، محمد بن أبي بكر المديني الحافظ، وزعم أنه بإسناده المتصل، ومن كتاب الرياض، وفيه –أيضاً–: (من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشورا لقي الله يوم القيامة ملطخا بدمه وكأنما قتل معه في عرصة كربلاء)، وانظر: بحار الأنوار، ٩٥/ ٣٣٨.

(5) سبق الحديث عن دعاء عاشوراء، واللعن، ضمن مظاهر التنسك ص٦٠٩- ٦١٧ من البحث.

بعصمته وطهارته المسبقة ـ أنه في خروجه واستشهاده كان يترقى في مراتب الكمال، وأنه يعبر مراحل السير، ولذلك يعظمون دعاء عرفة، الذي ينسبونه إلى الحسين، وهو من كذبهم ووضعهم، وأوجب صدور هذا الدعاء من معصوم، لأن مضامينه ـ بزعمهم ـ لا تصدر إلا من مثله، حتى يذكر أحدهم أنه كان يدعوه وهو في مرحلة حضرة الشهود[1]، وهكذا أدعية أخرى ينسبونها زوراً وكذباً لآل البيت تشتمل على منازل المحبين ودرجات السائرين، وذلك مثل الصحيفة السجادية، والإنجيلية، والزيارة الجامعة، وغيرها، وهي مشحونة بالعرفان، كما زعموا، ولقلة التتبع لهذه الجوانب لدى الإمامية قد يظن البعض أن عمدتهم على كتب الأخبار الموضوعة، والأدعية وشروحها تدل على انحراف شديد، بينما الانحراف له مصدر آخر سواء تلك الأخبار، أو أتى عقبها، وهي عقيدتهم في الأئمة ومقاماتهم وولايتهم التكوينية والتشريعية[2]، وذلك ظاهر من خلال الاستحواذ العرفاني لشرحها ومعانيها.

٦- **التوسل بالحسين**: أي كوسيلة يستعان بها على نفي الخواطر؛ فهذا الطهراني الذي ينتسب إلى سلسلة الشوشتري العرفانية يذكر مسالك العرفان في كتابه رسالة لب اللباب في سير وسلوك أولي الألباب، في مرحلة نفي الخواطر، فيقول بعد أن ذكر طريقة بحر العلوم، وهو طي المرحلة بالذكر: (ومنهج الأستاذ القاضي مطابق لمنهج الأستاذ الكبير الملاّ حسين قلي، أي طريق معرفة النفس، فكانوا لنفي الخواطر يأمرون في المرحلة الأولى بالتوجّه إلى النفس، وأن يُعيِّنَ السالك كلّ ليلة مقدار نصف ساعة أو أكثر لنفي الخواطر، وفيها يتوجّه إلى نفسه، شيئاً فشيئاً، وعلى أثر التوجّه القوي تزول عنه الخواطر، وتحصل له معرفة النفس، ليصل إلى الوطن المقصود إن شاء الله.

وأكثر الذين وُفِّقُوا لنفي الخواطر، واستطاعوا أن يُطَهِّروا أنفسهم ويصفّوها حتّي ظهر فيها سلطان المعرفة، إنّما كان ذلك منهم في إحدى حالتين:

الأولى: حين تلاوة القرآن المجيد، والالتفات إلى القاري الحقيقيّ للقرآن، لينكشف لهم

(١) انظر: لب اللباب في سير وسلوك أولي الألباب، ص١٣٩.

(٢) سبق الحديث عن هذا الجانب في الباب الأول، ص٣٠٣ من البحث.

أنَّ قاري القرآن هو الله جلّ جلاله.

الثانية: عن طريق التوسّل بمقام أبي عبد الله عليه السلام، لأن له عليه السلام عنايات عظيمة في رفع الحجب والموانع عن طريق سالكي طريق الله)[1].

يقرر العرفاء في تدريسهم للعرفان العملي أن بعض المريدين قد يقع في طريقه العملي في وحل الشرك والحلول، لكنهم سينقذونه! فعليه بالوصال، أما المنقطعون فيقعون في الوحل، وهذا الكلام ينطبق ــ أيضاً ــ على التوعية العرفانية العامة، كما في موسم عاشوراء، فالجماهير العاشقة حين تلقن دروس العرفان العملية في عاشوراء فإنهم قد ينقطعون في الطريق، وملاذهم حينئذ هذا الوحل، حتى يأتي من ينقذهم قد يكون له نفس المزلق، يقول الطهراني في لب اللباب عند ذكره لمراحل السير "٢٣، ٢٤، ٢٥" وهي مراحل نفي الخواطر، والفكر، والذكر: (وهذه المراحل الثلاث من مهمّات الوصول إلى المقصد، وأكثر الذين انقطعوا في الطريق، ولم يتمكّنوا من الوصول إلى المقصد؛ كان توقّفهم عند إحدى هذه الثلاث، فتوقّفوا عندها أو أصبحوا عرضة للهلاك والبوار.

أخطار هذه المنازل عبارة عن عبادة الأصنام والأوثان والكواكب والنار والبقر، والزندقة والفرعونيّة وادّعاء الحلول والاتّحاد، ونفي التكليف والإباحة وأمثالها، وسوف يُشار إلى جميعها، ولكنّنا الآن نبيّن بشكل مجمل الحلول والاتّحاد اللذين هما من الأخطار المهمّة، التي تظهر للسالك من خلال تصفية الذهن بواسطة نفي الخواطر.

السالك لأنه ـ حسب ما ذكر ـ لم يكن قد خرج من وادي الاسم والرسم، لهذا ــ والعياذ بالله ــ من الممكن وعلى أثر التجلّي الصفاتيّ أو الأسمائيّ، يمكن أن يتخيّل أنَّ الله متّحد مع شخصيّته، وهذا هو معني الحلول والاتّحاد وهو كفر وشرك، والحال أنَّ معنى وحدة الوجود ينفي كلّيّاً معني التعدّد والتغاير، ويعدّ تمام الوجود المتصوّر مقابل الوجود المقدّس للحضرة الالهيّة من الوهميّات، ويعتبره ظلاًّ له، والسالك بواسطة الارتقاء إلى هذا المقام يفقد تمام وجوده، ويُضيّع ذاته، ويصير فانياً، ولا يدرك ذا وجود غير الذات المقدّسة في عالم الوجود،

---

(١) لب اللباب في سير وسلوك أولي الألباب، ص٦٥.

وَلَيْسَ فِي الدَّارِ غَيْرُهُ دَيَّارٌ، فأين هذا من الحلول والاتّحاد؟!)[١].

هذا الذي ذكره الطهراني هو حال الصوفية، وقد قالوا: (إن الاستغاثة بالأولياء محظورة إلا من عارف يميز بين الحدوث والقدم، فيستغيث بالولي لا من حيث نفسه؛ بل من حيث ظهور الحق فيه، فإن ذلك غير محظور؛ لأنه استغاث بالحق حينئذ)[٢].

إذا أردنا أن نعرف أول الطريق الذي سبب لهم هذا الحرج، ولماذا لم يهجروه، وهم في غنية وسعة من طريق أرباب العرفان الضالين عن الوصول، يقول الطهراني: (أمّا طريقة محقّقي الطريق والعرفاء الواصلين، فهي أنّهم يأمرون المبتدئين ــ أوّل الأمر حين تعليمهم وإرشادهم ـ بنفي الخواطر، ومن ثمّ الاشتغال بالذكر، ولهذا يأمرون السالك أوّلاً بالتوجّه إلى شيء من المحسوسات، كالحجر، أو الخشب، وتركيز النظر إليه مدّة، لا يزيل نظره عنه قدر الإمكان، ويتّجه إليه بجميع قواه الظاهريّة والباطنيّة، والأفضل أن يداوم على ذلك أربعين يوماً، وأثناء هذه المدّة يستفيد من الأذكار الثلاثة: الاستعاذة والاستغفار، وذكر يا فَعَّال، ويشتغل بها بعد فريضتي الصبح والعشاء، بعد هذه المدّة يتوجّه إلى قلبه الصنوبريّ، ويديم التوجّه إليه مدّة أُخري توجّهاً تامّاً، ولا يسمح لخيال آخر ــ غير هذا الخيال ــ أن يجد طريقاً إليه، وخلال هذا العمل لو هجم عليه خاطر، أو عَرَض له تشويش فإنَّه يستمدّ العون من كلمة «لاَ مَوجُودَ إلاَّ اللهُ»[٣]، وكلمة الله.

فيداوم على هذا العمل مدّة حتّي يحصل له الذهول عن النفس، ويكون الذكر خلال هذه المدّة "الاستغفار"، وذكر "يا فعَّال"، وتكرر اسم "يا باسِط"، وعندما يصل السالك إلى هذه المرحلة يُؤذَن له أن يتمّ بقيّة المرحلة بواسطة الذكر النفسيّ والخياليّ، حتى يندفع الخاطر مطلقاً،

---

(١) لب اللباب في سير وسلوك أولي الألباب، ص١٣٥-١٣٦.

(٢) انظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، ٣/ ١٣٢٠، في معرض كلامهم عن العلامتين: محمود الآلوسي، وحفيده شكري الآلوسي.

(٣) هذا هو تفسير كلمة التوحيد عندهم، فالله هو الوجود، ولا موجود ثان غيره، ويبقى: هل يكفرون بوجود المخلوقات؟ لا ولكنها هي من وجود الله، فيصح على ذلك أن يقال: لا وجود إلا لها! فهم في الحقيقة ينفون وجوداً مغايراً عن وجود هذه الموجودات، أو يثبتون وجوداً لا معنى له إلا في الأذهان.

لأن بقيّة الخواطر سوف تندفع بذاتها بالدخول في مراتب الذكر والفكر ــ إن شاء الله ــ. انتهي ملخّصه.

وليُعلم أنَّ طريقة نفي الخواطر هذه مأخوذة من الطريقة النقشبنديّة، والنقشبنديّة جماعة من الصوفيّة تقطن في بقاع مختلفة من تركيا وبعض المناطق الأُخري، وكان مرشدهم الخواجة محمّد النقشبند، فلذا عرفوا بالنقشبنديّة)(١).

طريقة العرفاء الشيعة هذه هي طريقة التصوف حذو القذة بالقذة، وإذا سبق وأن عرفنا موقف طائفة منهم من الصوفية والمتصوفة، وتضليلهم وتكفيرهم لها، واتهامهم إياها بالمقولات الكفرية، كمقولات الحلول، ووحدة الوجود، والاتحاد، كحال ابن عربي والسهروردي، وقبلهم الحلاج، وغيرهم، وإن كان بعض الشيعة يتحفظ على تهمة الحلاج، وأنه قتل بسبب ادعائه السفارة والباب للمهدي، وأنه صدر لعنه، والبراءة منه، وهذا خلاف ما ذكر عنه من مقولة الاتحاد، وهذا شاهد عليهم أن مقولتهم في الإمامة يتعلق بها الغلاة منذ بداية التشيع، إلى يومنا هذا، ودخلت البابية والبهائية من هذا المدخل، وقد كفرتهم الإمامية، وحكمت عليهم بالزندقة والمروق من الدين(٢)، فلعل الباب والبهاء ممن خاض الطريق وانقطع عن الوصول فوقع في الوحل، وما أكثر الساقطين، وما أوسع الوحل، بل الأدهى من ذلك إذا كان مدخلهم لهذا الوحل هو مفهوم العبادة، فما مفهوم العبادة في العرفان الشيعي.

ثانياً: عاشوراء وعبادة الأحرار العرفانية:

من صور الغلو التي يكثر الحديث عنها مقام الأئمة، فأصبحت مواسم الإمامية موعداً لنشر هذا الباطل، ويتسنمها عاشوراء الذي تحول من حزن ونياحة، إلى مدرسة لتلقين الغلو في الحسين والأئمة، وحضور شخصية الحسين بارزة عن غيره من الأئمة، لمبررات العشق الإلهي، ولمبررات العدل والتعويض، وان يكون عاشوراء فرصة للنصر، وإظهار الحق

---

(١) لب اللباب في سير وسلوك أولي الألباب، ص١٣٢، وهذا اعتراف من عرفانيي الشيعية بأخذهم عن الصوفية.

(٢) انظر: إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النبوة، عبد الملك الشافعي.

الشيعي، فحب الحسين عتبة الحب الإلهي، وهم بهذا كالنصارى حيث عبدوا الله بالحب "رهبانية"، وزعموا أنها عبادة الأحرار، وأن الحب هو سر اكتشاف الأسرار العاشورائية.

عظموا زيارة الحسين، حتى أن الزائر يحصل على أسرار عظيمة، حتى فاقت زيارة الحسين كلمة التوحيد، حتى ولو مع وجود جميع موانع القبول!، (فكلما حصل مانع من أحد تأثيراتها حصل مقتض آخر لتأثير آخر)[١].

محبة الحسين وعاشوراء قائمة في العرفان الشيعي على الكمال والجمال، وهو من العدل العرفاني للأصل النوراني للحسين، فهي من باب التعويض الذي اختصوا به، وعشق الحسين عندهم من عشق الله، كما أن شعائره من شعائر الله، والأصل في العرفان الشيعي والصوفي أن الإنسان حينما يبحث عن الكمال فإنه يعشق الله، بل إن المقصود بالعشق هو الله ــ تعالى الله عن أفكهم وقولهم ــ[٢]؛ وفلسفة الاتصال والعبادة بين العاشق والمعشوق ــ كما في الفلسفة العرفانية والحكمة المتعالية[٣] ـــ هو بالتشبه بالله[٤]، وهي رهبانية شاركوا فيها الصوفية والنصارى من قبل[٥].

بعض الإمامية الإخبارية كرهت هذا التبذل مع مقام الله، وأنه تقليد للمتصوفة الزنادقة، كما ذكر المجلسي[٦]، والنوري الطبرسي، بخلاف الإخباري نعمة الله الجزائري الذي أكثر من استخدام مصطلحي: (عشق الله، والإمام سيد العاشقين)[١]، وقد سبق أن المجلسي ـ له

---

(١) الأسرار الحسينية، ص١٠١.١١٩، المسعودي.

(٢) الإنسان الكامل، مرتضى مطهري، ص٨٩.

(٣) فلسفة صدر المتألهين، الحيدري، ص١٩١ـ ٢٧٠، وذكر المؤلف: (أنّ صدر المتألّهين يعتبر العشق هو سبب الوصول إلى الكمالات، والعرفاء أيضاً اعتبروا أنّ أساس الخلق قائم على أساس العشق، والحركة تقوم على أساس العشق والانجذاب).

(٤) الشعراء الفرس الذين تغنوا بالحب الإلهي ثلاثة: جلال الدين الرومي، سعدي الشيرازي، حافظ الشيرازي.

(٥) انظر: مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين، ١/ ١٣.

(٦) مرآة العقول، نقلاً عن الأسرار الحسينية، ص٨٧.

(١) نفس الرحمن، للمحدث النوري الطبرسي، ص٢٣٩، ونقل قوله المسعودي صاحب الأسرار الحسينية، ص٨٩، وناقشه وخالفه، كما فعل مع المجلسي، والمسعودي في أثناء نقله كلام النوري حذف من وسطه عبارة =

موقف مضاد للصوفية والتصوف[1].

من الأمور التي تحسن مفهوم العشق أنهم يعظمونه من جهة أن التعبد به هو عبادة الأحرار، والحرية شعار مقدس عرفانياً، وخاصة في مثل موسم عاشوراء، روى الكليني في الكافي عن (علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن جميل، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ قال: إن العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عز وجل حباً له، فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة)[2]، وفي بحار الأنوار: (وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة)[3]، ومثله في نهج البلاغة[4].

العشق الإلهي قد يستند عند العرفاء الشيعة إلى الحسن والقبح العقليين، كما عند المتكلمين، فالله يعبد لذاته، فعبادة الله واجب من الواجبات، وهي واجب دل على حسنه العقل أولاً! ثم يتبعونه بوجوب المحبة، وأكثر ما يوجبونه على المعشوق هو العدل، وذلك مما استلهموه بالكشف والإلهام، وإن كانوا يربطونها حيناً بالشكر على النعم، على رواية «عبدوا الله شكراً»، وهي هنا أصبحت عبادة مقابلة، وليست خالصة، لأن العقل لا يتصور عجز من يعبده عن ثوابه عليها، أو عقوبته لتركها، وإن كانت مقابلة في البداية، لكن لا يتوافق قولهم إلا بأن يعبد الله إعجاباً به، على رواية: «عبدوا الله حباً».

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لهذا الخبر: (فأما أصحابنا المتكلمون فيقولون: ينبغي أن يفعل الإنسان الواجب لوجه وجوبه، ويترك القبيح لوجه قبحه، وربما قالوا: يفعل

=

فيها خدش بأهل السنة، وتصرف في النقل.

(١) راجع ص٧٦٥ من البحث.

(٢) الكافي، ٢/ ٨٤.

(٣) الكافي، ٢/ ٨٤.، والإمامية تروي قريباً منه مرة بالحب، ومرة بالشكر، ولكن على سبيل المدح، لا الذم، وأن أولئك هم الأحرار، وأما لفظ الشكر فكما في: بحار الأنوار، ٩٥/ ٢١٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١٩/ ٦٨، ابن أبي الحديد، ت/ ٦٥٦هـ، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان – قم.

الواجب لأنه واجب، ويترك القبيح لأنه قبيح، والكلام في هذا الباب مشروح مبسوط في الكتب الكلامية)[١].

أما الإمامية فأوضحوا مرادهم بتعليقهم على رواية «عبدوه حباً»، فيقول الطبطبائي: (فيعبد الله لأنه الله، أي لأنه مستجمع لجميع صفات الجمال والجلال بذاته، فهو الجميل بذاته المحبوب لذاته، فليس الحب إلا الميل إلى الجمال والانجذاب نحوه)[٢]، ومثله كبار مراجعهم المعاصرين الخميني والخوئي لقولهم بوجوب الواجب لذاته وحسنه، ولأن العبادة استحقاق ذاتي، وقد يعبد لأنه أمر، ولو لم يأمره لما عبده![٣].

من هذا الباب عند الإمامية وجوب طاعة الأئمة، وقد أوجبوا هذه الطاعة عقلاً، لا شرعاً، يقول الخوئي: (وقد استدل عليه بدليل العقل، بدعوى أنهم من جملة المنعمين، وشكر المنعم واجب، فإطاعتهم واجبة، لكونها من جملة الشكر الواجب، أقول: لا شبهة في كونهم ــ عليهم السلام ــ منعماً، لكونهم واسطة في الإيجاد والإفاضة، بل من أقوى المنعمين، وأن شكرهم واجب، وأن إنعامهم من جملة إنعام الله، وإن كان ضعيفة بالنسبة إلى إنعام الله تعالى إنعامهم، ولكن هذا الوجوب ليس وجوبا شرعيا، بل وجوب عقلي، بمعنى أن العقل يدرك حسن ذلك وقبح تركه)[٤].

حق الأئمة عند عرفاء الإمامية وإن كان يأتي بعد حق الله فقد جعله الخوئي من باب الشكر، وجعله من الواجب العقلي، ولم يسلم من الغلو والقول بأنهم علة وواسطة الإيجاد والفيض، وأنهم من أقوى المنعمين، اتكاءً على دليل العقل، وهو دليل إقرارٍ من الإمامية على أن أصل العبادة من باب الحب، وذلك لأن النعمة من أجلى طرق الحب، وخاصة في حق أقوى المنعمين.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) تفسير الميزان، ١/ ٣٨.

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم، الخميني ٢/ ١٣، و تفسير الخوئي ص٤٧٨.

(٤) مصباح الفقاهة، ٣/ ٢٨١- ٢٨٢، وقد ينبه الخوئي في ثنايا كلامه بما يوحي باعتماده طريق الشرع (الآيات والأخبار) في هذا الجانب، وأن وجوب طاعته من طريق الشرع لا العقل.

يرتبط عشق الحسين عند الإمامية العرفانية بكماله أو جماله، أو لهول مصيبته، أو بركته، تبعاً لجمال الله وكماله، أو للعدل الذي خرج لأجله؛ فهم يعشقون العدل قبل ذلك، بل جعلوه قرين التوحيد، بل هو التوحيد الذي جاءت به الرسل، ومن في مقامهم، وخيرهم هؤلاء الحسين، فهو خاتم هذا التوحيد والنبوة؛ يعتنون بعشق الحسين لأنه خرج لشيعته وقتل "الفداء"، مع أن الفداء عندهم مظنة الغضب![١]، لكن للناس فيما يعشقون مذاهب، لكن هم يريدون أنهم يعشقون الإنسان الكامل[٢]، والكمال الإنساني ــ عندهم ــ لأول مرة يتجلى بصورة مثيرة في عاشوراء[٣].

إذا كان هذا الإشكال في أصل العبادة، فماذا عن مفرداتها، فالتعبد بالحزن والنياحة في عاشوراء هل هو واجب عقلاً؟ وهل هو واجب لذاته، (حباً ــ شكراً)، أو لرجاء المثوبة والخلاص وخروج الغائب، أم خوفاً من العقوبة والغضب الرباني بتجدد البداء وتأخر الظهور، وهذه المعاني وإن كانت موجودة حقيقة فلا يعني ذلك أنهم على سواء، ولكن غلبة العرفان، ومفهوم العشق أصبحت بارزة بشكل ظاهر في الكتب والمجالس العاشورائية، وفي اللافتات، الشعارات والألقاب، وإن كان جانب الخوف ينتاب طائفة منهم ممن تتعلق بالأخبار، ولذلك نرى مثل شيخ الإخبارية المجلسي- لم يتماد في تقرير هذه المسألة، بل أكد قبول عبادة الأجراء، وعبادة العبيد، مع فضل عبادة الأحرار[٤]؛ فهم في الحقيقة لا يسلمون في هذه الأعمال من خوف وقلق، ورغبة وطمع، خاصة إذا وافقناهم على أنه تعبير اجتماعي، وطلب الحرية هو حظ شخصي يؤرق الإنسان، لكنهم استهووه في عاشوراء من هذا المنطلق.

الأعجب مما سبق من حرجهم من عبادة العبيد، مع كونها عبودية لله الذي خلقهم ليعبدوه، فهم عباده وعبيده في طاعته كوناً وشرعاً، كما أنه تضمنت أخبارهم ما يناقض ذلك

---

(١) تروي الإمامية عن الإمام موسى الكاظم أنه قال:(إن الله عز وجل غضب على الشيعة، فخيرني نفسي، أو هم، فوقيتهم والله بنفسي)، وقد سبق ص٧١٤ من البحث.

(٢) الإنسان الكامل، مرتضى مطهري، ص٦٢.

(٣) تاريخ الحسين، عبد الله العلايلي، ص١٨١.

(٤) سبق ذكره عند الحديث عن الولاية التكوينية والتشريعية ص٣١٣- ٣٢٣ من البحث.

تماماً، وهو أنهم عبيد لأئمتهم، ولو عبودية الطاعة، فقد رووا عن الرضا: (يا إسحاق بلغني أن الناس يقولون: إنا نزعم أن الناس عبيد لنا، لا وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله، ما قلته قط، ولا سمعته من آبائي قاله، ولا بلغني عن أحد من آبائي قاله، ولكني أقول: الناس عبيد لنا في الطاعة، موال لنا في الدين، فليبلغ الشاهد الغائب)[1]؛ وهم بهذا كأنهم يقرون بوصف الطاعة لله من جهة الشرع، وينفون طاعتهم له من جهة الكون والقدر، وكأنهم مستقلون بأفعالهم وقدرتهم، وهو يرجع إلى أصلهم في باب القدر.

لا عجب من ذلك إذا عرفنا أن الغلو قد يبلغ ببعضهم إلى التصريح أو التلميح بأن طاعة الأئمة وعبادتهم هي طاعة الله، لأنه لا فرق عندهم بين الأئمة وبين الله ــ سبحانه ــ، ولذا صرفوا لهم الشعائر والنذور، والخوف والرجاء، والثناء والإطراء، ويرتفع الحاجز بين الأمرين حتى يكونا شيئاً واحداً، إلا ما كان من جهة مراعاة ما ورد في الأخبار أنهم عباد لله، وقد رووا في الأدعية الرجبية من طريق التوقيعات الخارجة عن صاحب السرداب، من طريق سفيره محمد بن عثمان بن سعيد العمري: (أنه لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك)[2].

لدى أهل العرفان عبارات كثيرة أوحت بها الشياطين للعاشقين، منها: كربلاء قبلة العاشقين، والحسين كعبة الثوار، وأرض الطف مسلخ العشاق، والمسلخ الأعظم، وكربلاء قبلة الإباء[3]، كما أنهم وقعوا كغيرهم من أهل البدع كالمتصوفة في مداخل الأنس، وقلة الحياء، كالذي يكون بين عشاق الدنيا، زعموا بذلك أنه من لوازم الحب، والمحب معذور، والمعشوق غيور!؛ يقول أحدهم في البعد العرفاني لكربلاء: (هل ترغب أن تتعرف على دروس العشق والوصل الإلهي؟ وهل تريد أن تشاهد أرضا مليئة بمحطات العشق والحب

---

(١) الكافي، ١/ ١٨٧، وانظر: شرح أصول الكافي، ٥/ ١٥٦، ومصباح الفقاهة، ٣/ ٢٨٣.

(٢) مصباح المجتهد، الطوسي،ص ٨٠٣، وفيه بلفظ: (لا فرق بينك وبينها)، وكلاهما يعودان إلى الأئمة، وإقبال الأعمال، لابن طاووس، ٣/ ٢١٤، وانظر: مشارق أنوار اليقين، البرسي، ص١٨، ٤٤، ١٠٠، ٢٠٤، وصراط النجاة (في أجوبة الاستفتاءات)، ٣/ ٣١٨، ٤٢٠، لأبي القاسم الخوئي، وتعليق جواد التبريزي.

(٣) موقع: قادتنا كيف نعرفهم، قسم المقالات، مقال: (البعد العرفاني لكربلاء الإمام الحسين)، حسن الهاشمي، بتاريخ: ١٨/ ١١/ ١٤٢٩هـ، على الرابط التالي: http://qadatona.org

الإلهي، وهل تتمنى أن تطوي رحلة مئة عام بليلة واحدة؟ وهل خطر ببالك فضاء تتنفس به الصعداء للقاء الحبيب؟

اذهب إلى كربلاء وتوجه إلى قبلة الإباء، وتجول بين مراقد الأولياء الصالحين من أهل بيته وأصحابه، ستقتبس منهم معاني الإباء والبطولة وتخطي المصاعب فداء للدين والفضيلة والكرامة الإنسانية، وترتشف من أولئك الأبطال الأفذاذ نسائم الهدى والاستقامة، مثلما شمها الحر بن يزيد الرياحي، التي أحدثت تلك الهزة العنيفة في نفسه في أقل من يوم واحد، فقرر أن ينعتق من كل مغريات الدنيا الفانية، ويذوب بالعشق الحسيني الذي هو امتداد للعشق الإلهي وهو أقصر الطرق المؤدية إليه)[1].

محبة العشق قائمة على عبادة الحب، والتي يسمونها عبادة الأحرار، فيرتفع معها رعاية الخوف من عقوبة المعشوق، أو الطمع في أفضاله، وهذا مع كل ما صنعوه من الترهيب والترغيب في شعائر عاشوراء، ثم زعموا بعد ذلك أنها تأتي تلقائياً بعد وجود منشأها، وهو العشق لذات العشق، وأن الكون كله يتحرك مع الحسين والأئمة، وكذلك قلب العاشق، يتحرك بحركة جوهرية، حركة تصاعدية تنجذب إلى الأعلى، إلى الله، وهذه الحركة هي أساس الإنسان، وروح الإنسان جوهر ليس فيها إلا هذه الحركة، ولأجل هذا المبدأ فالعرفان الشيعي يفضل الحب والسكر على العقل، ويتمادى الحال بآخرين إلى مرحلة عشق الكمال المطلق، وكما يقول الفيلسوف الإمامي مرتضى مطهري: (في هذه المدرسة يصبح الإنسان الكامل في النهاية هو الله)[2].

سبق ذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رضي الله عنه- في خطورة هذا النوع وأصله، وأنه من أقوال الفلاسفة، وأنه أخطر من شبهة التوسل عند مشركي العرب، لما يفتحه باسم التشبه بالمعشوق، ومنها حركة الأفلاك وعقولها العشرة[1].

---

(١) شرح أصول الكافي، المازندراني، ٨/ ٢٦٣.

(٢) الإنسان الكامل، مرتضى مطهري، ص٩٠.

(١) سبق ص٨٠١ من البحث.

يقوم مفهوم العبادة عند العرفاء على العشق، فالعبد الحر هو العاشق الحر، والعبادة الحرة هي العشق الحر، وهذا هو العدل العرفاني، فالله يُعبد عبادة الأحرار، لكن ما هو الله عندهم؟، وما صفاته؟ وهل هو مجرد معنى يعبرون عنه بـ(الكمال المطلق)، خاصة بعد أن جردوا الله من كل صفاته، وهذا لازم أقوالهم.

إذا عرفنا أنهم يُعْمُون هذا المفهوم حتى يجعلونه هو الوجود، ويجعلون أفضل الشيء في الوجود هو الإنسان الكامل، وانه هو المعبر عن الوجود، فأصبح معنى عبادة الله قريب من معنى عبادة مظاهر الله، وأصبحت شعائر الحسين هي شعائر الله، وهو بيت الله الحقيقي، والتعبد بالعشق يكون بالتشبه بهذا الإنسان الكامل، والعرفان الشيعي يدعي أنه ــ بناء على فلسفة الشيرازي ـ يفرق بين الوجود والموجود، فيقول بوحدة الوجود وتعدد الموجود، وهذا هو التوحيد عنده، ويدعي أنه لا يقول بوحدة الوجود والموجود، لأنها (شرك خفي)، كما لا يقول بتعدد الوجود وتعدد الموجود، لأنها (شرك جلي)![(١)]، وهو توحيد عامة المسلمين، فأصبحوا على هذا المفهوم مشركين، وهو يرمز للوجود المتحد الذي هو وحدة وجود الإنسان الكامل بوجود الله، فهو وجود واحد، أما بقية المخلوقات فليست متحدة في الوجود المطلق، فوجودها تعدد لتلك المظاهر.

سبق أن عرضت أن المتصوفة والعرفاء ينطلقون في تأليه الله وعبادتهم من منطلق الحب، وأنه هو عبادة الأحرار، وقد حذر سلف الأمة رحمهم الله من هذا المنطلق، لأنه يفتح أبواب الزندقة والإلحاد، فهو مرتبط بالإدلاء على الله، ومنه هجرت الشرائع، ومنه صدر القول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد، وتناقل أهل السنة مقولة في هذا لإمام من أئمتهم: مكحول الدمشقي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ حيث يقول: (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد)[(١)].

---

(١) راجع ص٧٨٨، ٨٠٠ من البحث.

(١) فتاوى السبكي، ٢/ ٥٥٩.

الغلو في المحبة يتصور في حال العمل وحال العلم، وذلك بعد بلاغ النبوة وخطاب الشرع، فيلزم المرء العابد الاعتدال بين المحبة والخوف والرجاء، وكما يتصور وجود هذا الاعتدال في المعرفة والعلم فإنه يتصور في العمل، وبعضهم يربط ذلك بالإرادة، فلعل الفطرة السليمة حين تعرفها على الله ينقدح فيها موجب الحب والتعظيم والخضوع والخوف والرجاء باعتدال، وهذه مرحلة العلم المعرفة، لكن لعل القوم ظنوا أنهم لما عرفوا الله بعقول مجردة، بل جعلوا هذه المعرفة هي أول واجب اشتبه عليهم ما الذي يلتصق بها مباشرة، هل هو الحب المجرد وحده؟ بينما لا يتصور من معرفة الضعيف للقوي العظيم المحسن إلا حضور أكثر من صفة، ولعل الإدلاء دخل عليهم من إعجابهم بعقولهم، وحبهم لما وصلوا إليه في هذا الباب، وزعمهم قدرتهم على الاتصال به، وبعلمه وقدرته وبكمالاته والتشبه به، وغفلوا أن الفطر مركوز فيها هذه الضرورة، والمؤمن لاعتدال محبته، ولما يعلمه من أنه لا يحصل له تمام الأنس بالله إلا برؤيته، وذلك لا يتم إلا يوم القيامة بعد الاستقامة على طاعته واتباع رسوله، تعلق بها، رجاء غايته من الحب، فالرجاء قربه من المحبة أكثر من الخوف، وترجح كفة المحبة من هذا الوجه لا يعني إهمال جانبي الخوف والرجاء، ولعله من هذا الوجه ــ أيضاً ــ يجتهد البعض في عبادة الشكر، ويراعيها، والعدل الجمع بين هذه الأبواب الثلاثة، ومن ذلك تغليب الرجاء زمن الشدة، وتغليب الخوف زمن الرخاء، وإن كان الحب هو شعار ظاهر فيها وغالب، والله أعلم(1).

الذي غلب جانب المحبة لزمه أن يتوسع فيما يهوى، وأن يوجب على الله ما يهواه، فقد ادعت اليهود والنصارى محبة الله، وهم قد عذبوا بكفرهم وضلالهم(2)، وترك ما أوجبه عليه، وما الظن إذا جعل هذا المحب غاية محبوباته أن يؤتى أمره كله بالعدل، فماذا عن البلاء هل يصبر عليه، وماذا عن زيادة النعمة هل سيرد ما كان زائداً عن حده، ولن ينظر إلى حدود

---

(1) انظر: ضوابط التكفير، ص٢٤ـ ٤١، د. عبد الله بن محمد القرني، ط٢، ١٤٢٠هـ، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة.

(2) انظر: التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ص٣٨، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، ت/ ٧٢٨هـ، ط٢، ١٣٩٩هـ، المطبعة السلفية – القاهرة.

ذلك إلا قدر ما رآه وعايشه، فكيف يوجد ميزاناً يقيس به عدل الله، يقول العلامة السبكي الشافعي: (وأما هذا الشخص الذي جرد وصف المحبة، وعبد الله بها وحدها فقد ربا بجهله على هذا، واعتقد أن له منزلة عند الله رفعته عن حضيض العبودية وضآلتها، وحقارة نفسه الخسيسة وذلتها إلى أوج المحبة، كأنه آمن على نفسه وآخذ عهداً من ربه أنه من المقربين، فضلا عن أصحاب اليمين، كلا بل هو في أسفل السافلين، فالواجب على العبد سلوك الأدب مع الله، وتضاؤله بين يديه، واحتقاره نفسه واستصغاره إياها، والخوف من عذاب الله، وعدم الأمن من مكر الله، ورجاء فضل الله، واستعانته به، واستعانته على نفسه، ويقول بعد اجتهاده في العبادة ما عبدناك حق عبادتك، ويعترف بالتقصير)[1].

كما أن المدَّعين للحب المجرد لا بد أنهم يخرجون جزءاً مهمّاً جدّاً مِن أعمال القلوب مِن تعبداتهم، وهي عبودية الرجاء، وعبودية الخوف، فيسقطونها ويضعفونها بالحب[2]، وإذا كان هناك من الطوائف من تأثر في هذا الباب بالسابقين، فهذه الأمة في محبة الله أكمل الأمم[3]، ومن ضل من هذه الأمة في هذا الباب فلا يخلو من خلل في جانب من هذه الجوانب الثلاثة.

إذا كان التقسيم السابق للعبادة هو بحسب رواية الشيعة والمعتزلة، فإن أهل السنة ذكروا الرابع وهو القسم الذي يجمع بين الأقسام الثلاثة، وغاب هذا عن الشيعة والمعتزلة لتأثرهم بأصل العدل العقلي؛ والشيعة يزيدون عليهم بما عندهم من عقيدة الإمامة، التي اضطربوا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ١٠/ ٨١، والتخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ١/ ٢٩، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت/ ٧٩٥هـ، ت. بشير محمد عيون، ط٢، ١٤٠٩هـ، مكتبة المؤيد - الطائف، دار البيان - دمشق؛ ولم يصرح ابن تيمية، ولا ابن رجب بنسبة الأثر إلى مكحول، وفي فتاوى السبكي، ٢/ ٥٥٩، ما تقول السادة العلماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيما قاله أبو حامد الغزالي في كتاب الخوف والرجاء من كتاب المنجيات من إحياء علوم الدين نقلا عن مكحول الدمشقي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عبد الله تعالى بالخوف فهو حروري ومن عبد الله تعالى بالرجاء فهو مرجئ ومن عبد الله تعالى بالمحبة فهو زنديق؛ ما معنى هذا الكلام مفسراً؟، أثابكم الله تعالى).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ص١/ ١٤٦، قال عن العجاردة من الخوارج: (وحكي لنا عنهم ما لم نتحققه: أنهم يزعمون أن سورة يوسف ليست من القرآن)، وقيل أن ذلك منهم لذكر العشق فيها.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ٥/ ١٩٦.

فيها، فبعض نصوصها تغلب الرجاء، وبعضها تغلب الخوف، وبعضها تغلب جانب الحب، والذي يظهر أن العرفانيين تعلقوا بجانب الحب، فتوسعوا في العشق حتى تداخل مع معنى العدل والظلم، وتوهموا أن الله لا يعشق من هذا الجانب.

كما أن الصوفية لهم نفس الحال في التعلق بالحب، هذا رغم تداخلهم مع الأشاعرة في التعامل مع مسائل الاعتقاد في الربوبية وفي الأسماء والصفات؛ فإنه لا يلزم من قولهم هذا انتقال جميع لوازم الأقوال، ولعل من أسباب عدم انجرار بعض الصوفية وراء الرافضة تقليدهم للأشاعرة في الأصول الكلامية، وانطلاقهم من قولهم في باب الظلم، وأنه لا يعرف قبحه إلا من طريق الشرع؛ بينما الرافضة بنوه على أن معرفة قبح الظلم عقلي، وتابعوا فيه المعتزلة، إلا أنهم غلوا في هذا الجانب حتى ربطوه بالمحبة، فمن لا يقبح الظلم لا محبة عنده عقلاً.

الخلاف هنا عائد إلى الخلاف في أصل التقبيح والتحسين، هل هما عقليين أم شرعيين؟ وعائد ــ أيضاً ــ إلى ما سبق في تقرير مسألة العشق، حيث إنهم بنوه على أن أصل العبادة هي المحبة، وهو قول العرفانيين من الشيعة والصوفية، ولا أدري هل الأشاعرة والمعتزلة يقولون بمثل هذا أو لا يقولون؟ مع أن المعتزلة قالوا يعبد لذاته ولأمره، والأشاعرة قالوا في تفسير الإله: المستحق للعبادة، ولعلهم جعلوها من صفات الربوبية، كما أنهم يغلبون جانب الأمر؛ ولذا فالأقرب والأظهر أنهم لا يقولون بقول أهل العرفان من هذا الوجه، وإن كان غلب عليهم ـ وخاصة جمهور الأشاعرة ـ التسامح في باب المرويات الضعيفة والمنامات، فأصبحوا في حال قريبة من أهل الغلو[1].

---

(١) انظر: منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، خالد بن عبد اللطيف نور، ط١، ١٤١٦هـ، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، وأوصى الباحث في الخاتمة (بدراسة تفصيلية عن صلة الأشعرية بالصوفية، تشتمل على تطور الصلة مع بيان مراحل التصوف مع ذكر الشبهات التفصيلية، ويُركز كذلك على الجفوة الأولى وتدرج العلاقة حتى حصول الاندماج).

ثالثاً: عاشوراء من الفلسفة العرفانية إلى العولمة والرسالية:

يغالي عرفاء الشيعة الإمامية الاثني عشرية في أبعاد عاشوراء العاشورائية الغنوصية، فيقول الإمامي الكوراني: (إنها قضية بلغت من أهميتها وعظمتها أن الإنسان مهما زاد تبحره في المعقول والمنقول، لم يرجع من الغور فيها إلا بالإكبار والحيرة والذهول)![1]؛ وبهذا تخرج حادثة عاشوراء من المنطق العقلي المفهوم إلى أسرار العرفان الشيعي الصعبة والمستصعبة، ويعرض الكوراني طريقة البحث العرفاني لفهم عاشوراء، وتفسير حادثة الحسين بما يتوافق مع العرفان الشيعي، فيقول: (ونحتاج إلى الاستعانة بقواعد الحكمة التي تنظر في كل عمل إلى ثلاث نقاط: جذره الذي هو مبدؤه ودافعه، وثمرته أو منتهاه، وأن ننظر ثالثا إلى نفس العمل، لذلك ينبغي أن ننظر إلى عمل سيد الشهداء عليه السلام من هذه الزوايا الثلاث، إلى بعضه بنظرة الدليل، وبعضه بنظرة البرهان، وبعضه عن طريق الاستدلال بإن، وبعضه عن طريق الإستدلال بلم، وبعضه بالطريقين.. وبعد ذلك ننظر إلى نفس العمل، وعندما ننظر إلى عاشوراء من هذه الجهات يتضح لنا وللعالم أنه لا يستطيع أحد أن يفهم عمق شخصية الإمام الحسين عليه السلام، أو يستوعب عظمة عمله!؛ أولاً: ما هو مبدأ عمله ودافعه إليه؟ إن عمل الإنسان ودافعه ينبع من مقامه وعالمه الذي يعيشه مع الله تعالى، ومقام الإمام الحسين عليه السلام يفهمه الكاملون من أهل العرفان من دعائه في عرفات بالمقايسة مع مقام نبي الله يونس عليه السلام)![2].

من ديدن الإمامية التهويل من قضية عاشوراء، وأن خروج الحسين مقدس، بل وراءه أسرار لم تكتشف بعد!، وإن ما بني على باطل فهو باطل، والحسين غني عن كذب القوم، فقد وعد بالمنزلة العالية في الجنة، ومرتبة السيادة، لكن الأنبياء والأئمة ــ عند العرفاء ــ مجرد تجليات لتطبيق العدل الإلهي، وهذه التجليات تتجدد، وأعظم مظاهرها ظهرت في الحسين يوم كربلاء، يقول عبد الله العلايلي: (لأول مرة يخشع الكمال الإنساني على منظره الجد

(١) الحق المبين في معرفة المعصومين، ص٣٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص٣٨٤.

والسبط)[1]، فالحسين من صور الكمال الإلهي، ولكن هل رسالته من جنس رسالة الأنبياء، وهل تحققت؟

هذا رأسهم ومرشدهم الخميني يبين مهام الأنبياء:

١- نشر التوحيد، وهو: معرفة الناس بالعالم، ورؤيته كما هو، لا بالشكل الذي ندركه.

٢- دك عروش الظالمين والحكام[2].

يرجع هذا التقسيم إلى عقيدة الرجل في التوحيد والعدل، والتوحيد الذي يعنيه هو توحيد الربوبية، أما توحيد القصد والعبادة فقد عفت رسومه عنده، وحج المشاهد، وعقائد الغلو خير شاهد، وأما الثاني فمع التسليم به في واقع الأنبياء والمكذبين لهم، فإن التنصيص عليه أغفل جانب دعوة هؤلاء بالحكمة والموعظة الحسنة، فغايتهم أن يهتدوا، لا أن يعذبوا، كما في وصية رسول الله ﷺ يوم خيبر لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي يحب الله ورسوله حقيقة المحبة: **«فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»**[3]، وغفل عن همهم في نبذ الشرك، والتخويف من عقوبات الله، فهم لم يبعثوا ملوكاً جبارين، ولذلك كم هم الأنبياء الذين ملكوا، وهل كان خاتمهم ملكاً جباراً، أو نبياً هادياً، سمحاً عفواً، خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة.

أصبح لعاشوراء في مفهوم العرفان الشيعي فلسفة خاصة أبرزتها الثقافة الشيعية المعاصرة، ويتردد في كتاباتها، ومن معالم هذه الفلسفة التي تستند عليها أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استثناء كوني وتشريعي، مما يجسد فيه الإنسان الكامل، ويجعله واسطة للفيض والكشف والإلهام، وجعلوا عرفانهم وفلسفتهم امتداد لها، لاستنادها لفلسفة متكاملة للحياة، والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيلسوف بهذا المعنى، وعندهم الفيلسوف إنسان كامل، والحسين إنسان كامل، فعاشوراء العرفانية، أو عرفان عاشوراء باب الأسرار، وعاشوراء منطلق للفيض؛ ولم يكفهم

---

(١) تاريخ الحسين، عبد الله العلايلي، ص١٨١.

(٢) نهضة عاشوراء، الخميني، ص٩٣، وعاشوراء في فكر الإمام الخميني، ص٢٤.

(٣) البخاري، ح/ ٣٤٩٨، ومسلم، ح/ ٢٤٠٦.

أن يقول بهذه الضلالة، بل نسبوا إلى الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "المعرفة الحسينية"، وقد يسمونها المعرفة المكتومة[1]، وهي الوجود الباطني الروحي، الذي هو مظهر للإنسان في باطن الغيب، وهو منهم براء، والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ عندهم ــ لم يبق في الأرض، لا جسده، ولا دمه، بل صعد من معراج كربلاء إلى منبعه وأصله، لأن الأرض لا تتحمله، وهو قد عرف نفسه وعرف ربه، وهكذا العارف يكون.

فلسفة عاشوراء كغيرها من الفلسفات الدينية العرفانية لها شعائرها وطقوسها، وكما يقول أحد الراصدين لهذه الفلسفات: (تعد العرفانية مريديها بكشف الأسرار الإلهية وتحقيق النجاة، ولهذا تَعَلَّقَ العامةُ بطقوسها، وأصبحت من المذاهب السائدة، والديانات الشائعة في هذا العصر، وتناول المثقفون مبادئها مدعين تحويلها إلى معاني أعمق، وما لبثت أن تفاعلت على هذا النحو مع الوثنية واليهودية والمسيحية)[2]؛ فهذه الشعائر وسيلة لحفظ أصل المنهج باستثناء ماذا تكون هذه الشعائر في الواقع.

تقوم هذه الفلسفة على نورانية الحسين ــ وهي حقيقة الأئمة والأنبياء عندهم ــ، فالأئمة أنوار قديمة مرتبطة بنور الله، "فالحسين مني وأنا منه"، فنور الحسين أول المخلوقات[3]، فهم لما اعتنوا بهذه البدعة منذ زمن قديم، وزادوها عناية أوجبوا على الله ذلك، وهذا عدلهم العرفاني (فإن العلة في الأشرفية وكثرة الاعتناء والأحبية إلى الله تعالى تستوجب أن وتقضي التقدمية في الخلقة بالنسبة لهذه الأشرفية)[1].

إن العرفاء من الإمامية يقطعوا الطريق على من عرف من نفسه رشداً وعقلاً، ويقولون إن هذه الفلسفة لا تأتي من طريق العقول، فالعقل يحجب عن كثير من المعارف الحقيقية، والتي لا بد من تلقيها من الكشف الروحي، وبطريق التهويل تجد أحدهم يقول: (وإن فلسفة مجالس

---

(١) الأسرار الحسينية (في المقامات الملكوتية والمعاني الروحانية للإمام الحسين)، ص٥٣، ٩٢-٩٤، ١٠١-١١٩، محمد فاضل المسعودي، ط٢، ١٤٢٨هـ، دار الإرشاد. بيروت.

(٢) مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، ص ٧٨- ٧٨.

(٣) الأسرار الحسينية، ٣٨.

(١) الأسرار الحسينية، ص٣٩.

العزاء الحسيني بحدّ ذاتها مقولة ومبدأ بحاجة لدراسات مستقلّة، ونظرة فاحصة، أما ما تطرّقنا له هنا فكان إثبات هذه المقولة في النصوص الدينية والردّ على منكريها)[1]، فنفسهم في الباطل طويل، ولما أعرضوا عن الحق فتنوا بالهوى عياذاً بالله، وما جاء الخبر أنه من أعمال الجاهلية أصبح من منطلق هذه الفلسفة، ولكي يحسنوه نسبوه إلى الحسين، وهكذا نجد أن الفترة في أكثر بدع عاشوراء، فلما اعترض بعض فقهائهم على ما زاده من البدع إضافة إلى ما فيها شنعوا عليه تشنيعاً مشهوراً، ثم صاروا كل ما يزيدونه من باطل ينسبونه للحسين، وإلى عاشوراء، حتى قالوا: كل ما عندنا من عاشوراء.

ما يستنكر من غلو المجتمعات وخروج عن الحد ـ بعد هذا الشحن العاطفي والوجداني والضلال الفكري ـ فإنما هو تعبير اجتماعي، لا ينظر إليه بإطار عقلي محض كل ما أمكن إيجاد تفسير لهذا التعاطي الاجتماعي، لأنها وليدة البيئة والثقافة، لا العقل والمنطق، فعلى هذا فالمفهوم الاجتماعي لآثار هذه الفلسفة كما يلي:

١- لا يمكن إيجاد تفسير عقلي، إذ هي شعور روحاني نفساني، لا يقارن بالمعقول المحسوس.

٢- أن كل تصحيح لها ومعارضة هو أيضاً غير عقلاني، لأنه نابع من شعور روحاني مضاد.

٣- أن عاشوراء خارج منطق العقل؟ وأما الشرع فشريعتها العاطفة العاشقة، وهذه هي العدل العرفاني.

أما في النطاق السياسي، والتسويق الجماهيري فيعرضها مرشد الثورة بمفهوم آخر، فحول لماذا نبكي ونحتفل بالبكاء في عاشوراء، (نبكي لأنه عظيم، وهكذا الآخرون يفعلون مع عظمائهم)[1]، ولا بد لكل حزب وثورة: (لا بد أن نفعل مثل الأحزاب السياسية، فإذا مات

(١) جدل ومواقف، ص١٤٧، مقال: (مجالس العزاء الحسيني.. بدعة أم سنّة؟)، رضا بابائي.

(١) نهضة عاشوراء، الخميني، ص٩٢، ٩٣.

أو قتل عضو منهم احتجوا وهتفوا وبكوا وعقدوا الاجتماعات)[(١)].

كل مضادة للظلم الاجتماعي والسياسي والمالي فهو واجب، والسعي في رفع الظلم هو التوحيد، ومن سعى فيه فقد تجلى فيه الوجود كما تجلى في الحسين الذي خرج لإبطال الظلم، فعاشوراء عندهم تجلي من تجليات توحيد الله، بل هو تجلي الله ذاته، وهكذا كل من يريد التشبه، وأن مظهراً للتجلي فليفعل هذا الفعل، ولا شك أن هذا غلو في فعل الإنسان، وأنه يخلق فعله، بل لا فعل في الوجود إلا فعله، وهذه صورة من عبادة الذات، أي الاعتراف بوجودها عندهم.

انتقل الحال بالإمامية من كون عاشوراء خاصة بالإمامية إلى تعميمها، فيرى بعض الإمامية المعاصرين أن عاشوراء تملك مقومات تصلح للتقدم بها إلى العالم، وطرحها كثقافة عالمية للبشرية، وهذا المفهوم يطرح باسم الرسالية[(٢)]، ورسالية الحسين، والإمامية في هذا الطرح بين فكي عقدة الغيبة، ونهاية الانتظار، فتكون عاشوراء على هذه الرؤية هي الخلاص الذي يتنافس في التبشير به أهل الأديان والنحل والفلسفات، عاشوراء انتقلت من العزلة والهروب إلى الحضور والتصدير، بعد أن وجه لها النقد، لكنها ــ كغيرها من الرؤى ــ لا بد أن تأخذ حيزاً من النقد الذاتي.

لعل هذا المشروع الذي يطرحه البعض هي من باب السبق والرهان مع الخصوم، من داخل المذهب وخارجه، وإلا فيعرف أنه لا بد له من التنازل عن بعض ما يدعيه حقاً، وهذا ليس منطلقاً صحيحاً لاعتماد رؤيته، لأنه مختل الثقة بها، ولذلك تدور في أروقة الحوزات وفتاويهم موضوع توهين المذهب، وأنه لا بد من مراعاته في أحكام عاشوراء، لكن عاشوراء

---

(١) نهضة عاشوراء، الخميني، ص٩٢، ٩٣.

(٢) الرسالية: مصطلح يكثر في الآونة الأخيرة في الكتابات الشيعية الدعوية، ومن مفرداته الرسالي، والمرأة الرسالية، والإنسان الرسالي، ويظهر أنه تحمل معنى فضافضاً كل يحمله على مراده، لكنه يشير إلى حركة تصدير ودعوة إلى التشيع، وتشير إلى من يحملون هم هذا النشر والدعوة،و يظهر أن هذا المصطلح شبيه بمصطلحات الجماعات الحركية، وكأن أكثر من يتداوله هم المتأثرون بمحمد حسن الشيرازي، الذي يسمونه (الإمام الشيرازي)، وهناك عدد من الكتب والنشرات التي تحمل هذا العنوان، وانظر ص٨٦١ من البحث.

تتجاذبها الأطراف من العوام والبسطاء الذين يحبون آل البيت، مع أن العرفاء يذكرون أن من مراتب الكمال الابتعاد عن الحقوق الذاتية، لكنهم قبل هذا المشروع قاموا بتأميم دينهم على العوام بشكل عاطفي في عاشوراء، فليس غريباً أن يعولموه من هذا الباب، وهذا مدخلهم ــ أيضاً ـ إلى وحدة الأديان.

لا بد أن يتبع هذه العولمة ترتيب للداخل المذهبي، وإعداد نصوصه ومروياته لهذا الغرض، ومثله موقفهم من القرآن، لكنهم لا زالوا مجذوبين إلى منطق الحزن والنياحة، فهذا أحدهم يطرح اكتشاف ومخترع في زمن العولمة، وهو عولمة للقرآن من خلال فلسفة عاشوراء، فالقرآن ـ بزعمه ـ منظومة عاطفية، فهو كتاب رثاء وندبة![1].

عاشوراء بحالتها الراهنة في نظر بعض مفكري الشيعة حرفت التشيع عن أصوله فأصبحت كما يذكر المفكر الشيعي د.علي شريعتي[2] رمزاً للطائفية والخرافة والأسطورة[1]، لكن مع ذلك هي مقدمة للثورة الكبرى العالمية، وشريعتي قد كان يؤمن بأن مذهب الانتظار فلسفة إيجابية للتاريخ، وحتمية تاريخية.

بعد سني التخفي والتقية جاءت عاشوراء، جاءت فرصة لإعلان المخالفة، على قاعدة "خالف تعرف"، فأصبح البديل: عندنا عاشوراء، وكل ما عندنا من عاشوراء: تقول الباحثة

---

(١) عاشوراء ومفهوم العولمة، محمد المسند، ص١٩٧، محاضرات ألقيت في مأتم السّماكين في المنامة عام ١٤٢٥هـ، منشورة في كتاب إلكتروني، على الرابط التالي:
http://www.almustafa.dk/BOOKS/almaktaba%20al3a8aadia/book/99/bhsmasr3_01.html

(٢) هو علي محمد تقي شريعتي مزيناني، ١٩٣٣ـ ١٩٧٧م، ولد قرب مدينة سبزوار، وتخرج من كلية الآداب بها عام١٩٥٥م، ثم ابتعث إلى فرنسا عام١٩٥٩م، لدراسة علم الأديان وعلم الاجتماع، وهو عضو في حركة مصدِّق، وفي عام١٩٦٩م، وفي حسينية الإرشاد لتربية الشباب، وعند إغلاقها عام١٩٧٣ اعتقل هو ووالده لمدة عام ونصف، ثم سافر إلى لندن، واغتيل قبيل الثورة الإيرانية، ١٩٧٧م، ومن المتهمين في قتله الخميني مرشد الثورة الإيرانية، وقد كانت له شعبية عارمة في أوساط طلاب الجامعات، ومن كتبه: التشيع العلوي والتشيع الصفوي، والحسين وارث آدم، انظر: التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص٥.

(١) انظر: التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص٣٥.

د.سلوى العمد: (لقد أعطت أسطورة الإمام الشهيد للطائفة الإمامية العنصر العقائدي اللازم لبلورة شخصيتها كطائفة في إطار الدين الإسلامي، ويبين تكرار الشعائر في كل عام كيف توظف الرموز الدينية للتعبير عن مشاغل دنيوية، فكان التكرار الطقسي لكربلاء عبر أداء شعائر التعزية هو الجسر الذي يصل الأسطورة بالتاريخ، والمقدس بالدنيوي، ومع مرور الزمن غدت شعائر التعزية وعاء أيديولوجيا لإمامة الشهيد، وصارت الشهادة هي الوسيط الرمزي لتفسير علاقات السلطة السائدة، فالشهيد في حال الجماعات المهمشة سياسياً، ليس إلا مقولة عقائدية تعكس الموقع السياسي الهامشي لتلك الجماعات، بذا تُرَسِّمُ إمامة الشهيد عند الشيعة الحد الأيديولوجي، الذي به ومن خلاله تميز الطائفة الإمامية نفسها عن أهل السنة والجماعة في مجتمعها الأوسع)[1].

إذن عاشوراء ــ في اللغة الإعلامية ــ عرض وتبرير لصحة المذهب، لارتباطه بالشهادة، والشهادة رمز الظلم في مصطلح الشعوب المقهورة، والشهادة في مفهوم العدل الشيعي يقابلها التعويض؛ فكأن العناية بهذا العنوان "الشهيد" له تأكيد على الخصوصية، خاصة مع امتداد الزمن، فإتقان الشكوى لمزيد من الاستجداء، والله غالب على أمره.

رابعاً: عاشوراء بين العقل و طوفان العاطفة المقدسة:

الحب عاطفة وشوق وعشق، تنازع وتصارع مع العقل في عاشوراء العرفانية، حتى انتصر الحب وهزم العقل، فلا تسأل عن حاله، وكما قال العشاق: أهل العقول في راحة، والعرفاء من الشيعة والصوفية، يرجحون الحب، ويقولون: العقل وسيلة، والحب هو عالم الروح؛ فهو غاية، ولذلك يستهينون بالعقل إلى حد الإفراط، وسموه ــ تلطفاً ــ بالحجاب الأصغر، ولذا فالشيعي والمتصوف يهين نفسه مع رفعه لشعار "هيهات منا الذلة"، ففي عاشوراء يذل العارف والسالك ذل خضوع وهوى، وترى في عاشوراء وغيرها صوراً كثيرة من هذا الجانب، كتلطيخ الرؤوس والأجساد، ومن اللطم والنوح، بل من غياب العقل، حتى إن زائري ضريح الحسين في كربلاء يزحفون، وقد ينبحون كالكلاب، وذلك شوقاً، لا عقلاً!.

---

(١) الإمام الشهيد في التاريخ والأيدلوجيا، شهيد الشيعة مقابل بطل السنة، ص٨٧.

البكاء في عاشوراء نوع من التقديس، تذعن النفس فيه للخيال، ويطغى على العقل، والأصل في البكاء أن يكون من سبب معتاد، كفقد عزيز، أو حصول مصاب، كما قد يكون حسداً وكذباً، وقد يكون فرحاً، والبكاء في العرفان الشيعي إحدى جوانب الهداية الربانية، والهداية عند الإمامية متصورة في بكاء عاشوراء، كما يقررها المرجع الإمامي محمد باقر الصدر، فيذكر أن الهداية تتوقف على جانبين وجهتين: عقلية ونفسية، والجهة العقلية تولاها بعد كربلاء الإمام السجاد من خلال خطبه؛ وما ذكره الصدر لا يتناسب مع ما اشتهر عن السجاد، حيث يعدونه من البكائين الخمسة عندهم، كما أن الخطبة في مثل هذه المواطن تراعي العاطفة، لكن لعل هذا المرجع في حال عشق فلم يفرق بين الحالين، إلا أن قدرنا جانب العصمة في الإمام، والمعصوم ليس له عاطفة، حتى ولو بكى!.

أما الجهة الثانية للهداية فهي الجهة النفسية، وهي تكليف المجتمع بالبكاء، ورهبانية كتبوها على أنفسهم، واختاروا أعنف البكاء وأقساه على النفس، بل في تقدسرهم أن (العواطف الصعبة أكثر تأثيراً في التربية من العواطف السهلة أو المفرحة)[1]؛ إذن فتوليد البكاء مهمة شريفة في نظر الصدر، وعلامة صدق، ولولا بكاء السجاد لما اهتدى الناس، ولانمحى الدين!.

فالبكاء غايته تحصيل غاية كمالية، بشرط أن يكون مبنياً على معلومة حقانية، وبعض الإمامية قد أعوزته الأدلة فلجأ إلى كلام علماء النفس، لأنهم يحبذون استئجار نائح![1]، وهم يعرضون عن طبيب النفوس نبي الهدي الذي حذر من هذا العمل، ولعن عامله، فقال ﷺ: **«النياحة من أمر الجاهلية، وإن النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثياباً من قطران ودرعا من لهب النار»**[2]، ولفظ مسلم: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سِرْبَالٌ مِنْ**

---

(١) شذرات من فلسفة تاريخ الحسين، ص١٣٠-١٣٢، وفيه: أن هذا العمل -أي البكاء- ليس للنساء، لأنه بنظر الناس مُتَدَنِّي، بل اختار الله له رجلاً عظيماً، إنه إمام معصوم، قبحه الله من أفاك على الله وعلى رسوله وآل بيته.

(١) انظر: كتاب الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، ص٢٨٠، ٣٠٨.

(٢) سنن ابن ماجه، ح/ ١٥٨١، وعن أبي سعيد الخدري قال: "لعن رسول ﷺ النائحة والمستمعة"، أبو داود، =

قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[1]؛ فعجباً لقوم يبحثون عن أسباب السعادة في مواطن العطب، وهكذا النتائج تسقط، وتبطل الدعوى إذا كانت المقدمات مغلوطة، فأخبارهم كاذبة، وأدويتهم ضارة، لإعراضها عن هدي الله وهدي رسوله ﷺ.

من غلوهم في البكاء أن جعلوه كالعشق، فتنجذب معه الأفلاك وتتأثر به، بل قالوا كل بكاء في الكون هو من بكاء الحسين، حتى بكاء أعدائه، وأن من لا يبكي عليه فلا علاقة له به، فكل بكاء في الكون وخضوع بسبب الحسين[2]، وهذا من جنس الشرك في الربوبية، وتأثير بعض الأفلاك، كما عند المنجمين والعرافين.

على كثرة ما اعترض بعض الشيعة على هذه الشعيرة القبيحة الشنيعة، إلا أن الاعتراض عليها يزيدها قداسة وحساسية، والمعترض محسوب من جيش يزيد الأموي؛ ومثلها شعيرة التطبير، وهو في شريعة العرفاء من أهمّ مراسم عاشوراء لِمَا لها من أبعاد عرفانيّة وإعلاميّة!، يسبق عادة بعدد من المهيجات والتحضيرات ــ لتحصيل غياب العقل الحاجب ــ، فهو ينتج نوعاً من العشق المتصاعد، هذا العشق الّذي قد يصل إلى حالة الربط مع المحبوب بحيث لا يمكن فصله عنه، (وما التطبير إلاّ نفثة تجعل العاشق في خيال عشقه قريباً من الواقعة التي يتضوّر قلبه حين يمرُّ خاطرها، وتبقى القلوب المخلصة في طواف مع الإمام الحسين وحوله عليه السلام، مضافاً إلى أنّ مواكب التطبير تصبغ المشاركين والحشود الجماهيريّة الكبيرة بالعاطفة الجياشة وبالتواصل القلبي والعقيدي مع الهدف الّذي عُقدت لأجله مواكب التطبير التي لا تبتغي حملة إعلاميّة انتخابيّة لتيار سياسي أو تنظيم إجتماعي أو طمعاً بالوصول إلى سلطة معينة، لأنّ كل ذلك يتنافى مع مواكب التطبير ويتعارض مع توجهاتها ومبادئها).

عاشوراء تتعرض لانقلاب في حقيقته من هيئة المأتم إلى ظاهرة العيد، ثم من ظاهرة العيد إلى الثورة والسيف والدم، إذن فالبكاء غير البكاء، والجزع ليس هلعاً، وإنما صبر

=

ح/٣١٢٨، وانظر: أحمد، ح/ ١١٦٢٢، ٢٢٩٠٣.

(١) مسلم، ح/ ٩٣٤.

(٢) الخصائص الحسينية، ص١٦٦.١٦٧.

ومصابرة لأخذ الثأر ونصرة المظلوم، وإقامة العدل، فالعرفان يجمع بين التناقضات الظاهرية، ويصوغها في ظهور جديد لو بدا للمهدي صاحب الزمان أن يتأخر، فبعض الإمامية جعل بدع عاشور من الجهاد، فلا يشملها قاعدة الضرر، فليست من إلقاء التهلكة، وإذا لم يوجد من يتبرع لها فإنه يصرف لها من بيت المال[1]، مع أن عاشوراء بالنسبة للشيعة كان هروباً من الجهاد، وخذلاناً للحسين، وإن أولوه بأنهم أخذوا بالتقية، أو جرى لهم بداء دون الإمام، ومن أسباب هروبهم عدم نضجهم وقدرتهم، ولكن الزمان اختلف، فالجهاد والسيف ماضيان، خرج المهدي أم بقي في غيبته، ولعل في هذا رد على من يتهم العرفان بأنه نوع من الهروب من الواقع، فقد جاءت فتوى الولي الفقيه أن عاشوراء حدث يتخطى حدود الزمان والمكان[2].

مع كل هذا التهويل يتساءل أي مسلم غرٍّ: لماذا لم يرد في القرآن ما يرفع هذه الحيرة حول عاشوراء، ولو بإشارات يسيرة؟ فالقرآن جاء لسعادة البشر وبيان أهم الطرق الموصلة إلى الله، فإذا كانت عاشوراء منها، فلماذا يتعداها القرآن ويقص قصص الغابرين، والأنبياء السابقين، ولم يقص لنا من شأنها شيئاً، هل هو لنقص في بيان القرآن أن يوضح هذه الأسرار التي يوضحها لنا الكوراني، أم أنه غير كاف ولا بد من استبداله بأكمل منه، وهكذا يشغل الإمامية أنفسهم بتقرير هذا الجانب، ويعد بعضهم مظلمة عاشوراء أعظم مظلمة كونية، ويستكثرون بكل رواية، ويشبثون بكل خبر، ولو كان من رواية مخالفيهم، فهذا عبد الحسين الأميني يزعم أن الرسول أقام قرابة عشرين مأتماً على الحسين، وقد سبق الإشارة إلى ذلك[1].

---

(١) انظر: كتاب الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، ص ٣٧٩.

(٢) انظر: عاشوراء في فكر الإمام الخميني، ص٢١.

(١) انظر: كتاب الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، ص٤٠٦.

الباب الرابع

آثار عاشوراء

وفيه:

تمهيد.

الفصل الأول: آثار عاشوراء الخاصة بالإمامية الاثني عشرية وتحولاتها.

الفصل الثاني: آثار عاشوراء المشتركة بين الإمامية الاثني عشرية وغيرها.

تمهيد

بعد أن عرضت في الأبواب السابقة مظاهر بدع عاشوراء عند الاثني عشرية، وواقعها المذهبي بين الشريعة والطريقة؛ فأعرض هنا في الباب الرابع آثار هذه البدع، وهي ما بين الآثار العملية والعقدية، والآثار العملية، الخاصة منها بالإمامية، والآثار المشتركة بين السنة والشيعة، والأخيرة مثلت صورة من صور الصراع الطائفي، كما سيتسنى ــ بإذن الله ــ من خلال هذه الآثار المشتركة والخاصة معرفة مدى تعلق وغلو كل من السنة والشيعة بيوم عاشوراء، وأسباب هذا التعلق، والذي غلب أنه كان من أهل السنة على سبيل المقابلة للرافضة الإمامية في بدعتهم الكبرى يوم عاشوراء، وما تبعه من تهمة النصب التي يراد إلصاقه بجمهور أهل السنة؛ بينما قد تكون دعوى المقابلة في أصل البدعة ليس على إطلاقه.

تحقيق هذا الجانب يلزم منه التأمل في أحوال رواة أحاديث عاشوراء، والتي لم تسلم من تعلق الإشكال بها، حتى رواة أحاديث الصوم، علماً أن أشهر مسائل الصوم مروية عن آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل إن المشكل منها مروي عنهم ــ أيضاً ــ، فالطعن فيها ممن ينتسب إلى البيت ـ كالإمامية ــ هو في آل البيت قبل غيرهم؛ ومن أعظم الطعن على آل البيت أن يفترى عليهم بأعمال في يوم عاشوراء تنسب إليهم، بل وتوجب عليهم وجوباً عقلياً، بدعوى اللطف التي قامت عليها، وألصقت بهم.

يتبع ذلك معرفة موقف السلف من الحسين، ومن يوم مقتله؛ وإن من دواعي بسط الحديث في هذا الباب أن قضية النصب والتستر ورائها تنبعث وتتجدد من خلال حادثة عاشوراء بين المنتسبين إلى الإسلام، بل ومن أحاديثها وأخبارها، بل وبين أهل السنة أنفسهم، فرأيت أنه لا بد من تجلية هذا الجانب، وأسأل الله التوفيق والسداد.

❀❀❀❀❀

الفَصْلُ الأَوَّلُ

آثار عاشوراء الخاصة بالإمامية

وفيه :

المبحـــــث الأول : المفارقة العقدية ومشابهة الأمم الهالكة .

المبحــث الثـــاني : التحول من النياحة إلى المهرجان والأساطير.

المبحــث الثالــث : التحول من الانتظار إلى الخروج والثأر.

المبحث الأول

المفارقة العقدية لأهل القبلة ومشابهة الأمم الهالكة

وفيه:

المطلـــــب الأول: المفارقة العقدية لأهل القبلة.

المطلـــب الثــــاني: التشبه بأهل الكتاب وبالمجوس.

المطلب الأول

المفارقة العقدية لأهل القبلة

الإمامية تعلقت بالإمامة كأصل تدعي ثبوته بالنص والوصية، وهي بفرقها وأسلافها مدار البحث، وعنوان البحث ــ في الأصل ــ خاص بالاثني عشرية، لكنه لم ينفك من ذكر أحوال فرق شيعية أخرى، لكثرة ما تستدل بها الاثنا عشرية على أنها من أسلافها، علماً أنها بقيت تستأثر ببدع النياحة والاحتفال بها بشكل بارز، بل وترى أنه من خصائصها دون غيرها؛ إلا أني وجدت الإمامية الاثني عشرية من خلال تقريرها لأعمال عاشوراء لا تستطيع أن تقتصر على أسلافها دون عموم أسلاف عموم الشيعة، وذلك إما أنها غير مختصة بهذه البدعة، وإما لجزمها بكون تشيع أسلافها ليس اثني عشرياً، وإنما هو أمر محدث ألصق بهم، وتشيع عام تكثرت به الاثنا عشرية؛ وبهذا رضوا بأن يكون المذهب مآبة لكل مقالات التشيع، فيبطل الاختصاص المزعوم.

ما اصطلح عليه بعض المعاصرين بأسلاف الإمامية يتأتى به الاستكثار من كل المرويات الشيعية، علماً أن كثيراً من أصحابها قد يتبرؤون من مذهب الاثني عشرية، وقد يعدونه خذلاناً لمن خرج من آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كالحسين وزيد وغيرهما؛ كما يتضح بهذا المخرج حدة التكفير في المذهب الاثني عشرية، لأن من شملوهم بالتكفير هم من مواضع الاستدلال ورواة الأخبار، بل بعضهم من الملعونين على لسان الأئمة، وهذا طعن على المذهب، وتخفيف آثاره لا يكون إلا بنوع من الإرجاء، وهو أمر مذموم في الأخبار المروية عن الأئمة في مصادر الاثني عشرية، لأنه من صفات المخالفين.

الذي يعنينا في هذا المطلب هو معرفة سبب غلو القائلين بالنص، ومفارقتهم العقدية في خصوص يوم عاشوراء، وهل غلوهم فيه هو لمجرد الحزن؟ أو لتعلقه بأمر الإمامة وأهم واجباتها، وهو إقامة العدل، والذي لا يكون إلا بخروج، وهل الإمامية ـ غير الاثني عشرية ــ التي أقامت لها دولاً، وطبقت الخروج في ظهورها هل تتحمس لإحياء عاشوراء كحماس الإمامية الاثني عشرية، وهل كان لديها مظاهر في يوم عاشوراء؛ والقصد من هذا المطلب هو

الإشارة إلى أصل الافتراق عند الإمامية، وكيف استقر عاشوراء عند الإمامية المعاصرة على فسخ شعار المذهب، وهو الانتظار، والانتقال إلى مبدأ الخروج، مع محاولة ربطه بمفهوم الجماعة والخروج.

المفارقة العقدية للإمامية الاثني عشرية من خلال عاشوراء وشعائرها تطورت حسب مراحل الإمامية وتقلباتها، ويتضح أثر هذه المفارقة في جانبين:

١- مفارقة بقية طوائف الإمامية بخصوص الإمامة ولوازمها.

٢- مفارقة الإمامية لجمهور المسلمين ــ وهذا هو الأهم ــ، والتزام الإمامية رمي من يخالفهم بتهمة النصب والعداوة لآل البيت.

تهمة النصب تشمل جمهور المسلمين، وجمهور المخالفين لهم في الإمامة الاثني عشرية، بل وحتى لمن يتوافقون فيها جرت بينهم تهم النصب بسبب الاختلاف حول بعض شعائرهم وطقوسهم فيها، وحضرت التهمة بين المختلفين بشكل ظاهر، وربما تبعها مواقف عملية من القتل والاضطهاد وتسليط العوام.

المفارقة لعموم الشيعة:

سبق في الباب الأول دراسة مدى التقارب بين طوائف الشيعة الإمامية من جهة أصول العقائد المتعلقة بعاشوراء، كالعدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما سبق حال الإمامة المنصوصة وتسلسلها قبل عاشوراء وبعدها، والانشقاقات التي حصلت في صفوف الشيعة بسببها، ويمكن هنا أن أُذكر بأهم تلك النتائج، وذلك كما يلي:

أ ــ أن عاشوراء لم تكن ذا أثرٍ بَيِّنٍ إلا من جهة قولهم بالتعويض والعدل، وهذا مذهب نزل على أقوال أسلافهم ومتقدميهم، وإلا فلم يكن من مقولات أولئك.

ب ـــ يظهر أن فكرة إمامة الأعقاب دون الأخوة، وفكرة حفظ الإمامة واستيداعها، وإمامة الصغار والأطفال؛ أن هذه الأفكار لم تكن موجودة عند متقدمي الشيعة، وإنما ألحق بهم، ونسبت إليهم متأخراً، وذلك بعد الانشطار الذي جرى للشيعة الجعفرية، وانقسامهم إلى

فرعين مشهورين، موسوي قطعي وإسماعيلي(١).

ت ـ تأخر ظهور الغلو بالحسين إلى آخر القرن الثالث، ومما يؤكد ذلك كثرة الانشقاقات بين الشيعة بعد وفاة كل إمام، ومن ذلك ما وقع بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)، وما وقع بعد وفاة جعفر بن محمد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، ثم ما وقع بعد وفاة ابنه موسى ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ؛ وعليه فالأصل أن طائفة عريضة من أولئك الشيعة بقيت مشتهرة، ومقاتلة ومعلنة بولائها لذريتهما جميعاً، وأن ما يهول من أنه بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابتدأ عصر جديد للشيعة وللإمامة، بسبب مقتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما يروج له من خلال أفهام بعض المستشرقين(٣)؛ أنه ليس مسلماً على إطلاقه؛ وقد سبق أن الغلو مر بخمس مراحل ومنعطفات تاريخية تراكم من خلالها الغلو والحزن والمحبة(٤)، وكلها لم تسلم من الافتراق، ومن ظهور وتجدد عقائد الغلو، كالرجعة، والبداء، والتأليه، والحلول، وإسقاط الشرائع، وانتهاك محارمها، وغيرها، وهذه المراحل كما يلي:

١- غلو السبئية زمن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما تبعه من غلو الكيسانية، ثم المغيرية.

٣- حركات الغلو زمن جعفر الصادق ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، كالخطابية.

٤- اشتداد الحيرة والتوقف والاضطراب في الإمامة المنسوب إلى زمن علي الرضا ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، وبعده.

٥- الحيرة زمن الحسن بن علي (العسكري) ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ.

مقتل الحسين طغى على مفهوم التشيع فيما بعد، حتى قال المظفر من الإمامية المعاصرين:

---

(١) راجع ص٤٠ من البحث.

(٢) انظر: المقالات والفرق، القمي، ص٢٥، وفرق الشيعة، النوبختي، ص٢٥- ٢٦. وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ٢/ ٧٩٦، وقد سبق تفصيل ذلك ص٢٤٩-٢٦٦ من البحث.

(٣) انظر: الخوارج والشيعة، ص١٨٩، وتاريخ الإمامية، ص٤٩- ٥٠، وهذا محل نظر، لأن أعظم شبهة هي الكساء والوصية، والأظهر أن ذلك مرتبط بفكرة الخروج، وموقفهم منها قبل مقتل الحسين، لا بعده.

(٤) راجع ص٢٦٥ من البحث.

(إن الإسلام علوي، والتشيع حسيني)[1]، وهذا خاصة عند الاثني عشرية الذين عظموا وحصروا الإمامة في السلالة الحسينية، والتي لم يعرف أحد منها بالظهور، بينما بقية فرق الشيعة الإمامية يكثر نسبتها وانتسابها إلى التشيع العلوي، فكأن الإمامية الاثني عشرية أرادت أن تستكثر بالحسينية على بقية الإمامية بهذه النسبة من التشيع، حيث ورثت من هذه السلالة تسعة من الأعقاب، آخرهم المنتظر؛ حتى وصل بها الحال أن تقرر من خلال عاشوراء أن للحسين استثناءً تشريعياً واستثناءً تكوينياً، يفوق به كل استثناء، وتحت هذا المعنى تبرز شعارات، ومنها: (لا يوم كيومك، يا حسين)؛ وهذا هو المفهوم الحسيني الجديد هو ما يعبر عنه في الصراع الفكري الشيعي بالتشيع الصفوي، والذي يأتي في مقابل التشيع القديم: التشيع العلوي، وهو مرحلة من مراحل الإمامية الاثني عشرية، وهو ما عَبَّرْتُ عنها بمرحلة: (الإمامية الحسينية)[2].

ث ــ اعتراف رموز المذهب ومراجعه بعدم وجود مظاهر النياحة زمن الأئمة، وأنها حدثت بعدهم، وهذا مما يؤكد أن النياحة كشعيرة ليست مدار البحث، وإنما يتعلق الأمر بالخروج والإمامة على اختلاف مفهوم الإمامة عند المنتسبين إليها، لكن أحرج المذاهب موقفاً من هذا المفهوم هم الإمامية الاثني عشرية.

ج ـ الدول الإمامية ـ غير الاثني عشرية ــ التي قامت اتخذت عاشوراء وأمثالها من مظالم أهل البيت سلماً لدولهم وأهوائهم، وتعلقت بها في مرحلة الدعوة، أما بعد ذلك فيضعف التعلق بها، وتصبح كغيرها من الشعائر التي تنتهك، كما انتهكت شعائر الشريعة الثابتة، وهي

---

(١) تاريخ الشيعة، محمد حسين المظفر، ص٣٦.

(٢) المراحل التي مرت بها الإمامية الاثني عشرية:

١- الإمامية المفضلة.
٢- الإمامية السبابة "رافضة".
٣- الإمامية الإلهية.
٤- الإمامية العرفانية الباطنية "المهدوية".
٥- الإمامية الحسينية.

راجع من الباب الأول ص١٦ - ٣٣.

تتفاوت في ذلك، ومنها من قد يراعي التذكير بهذه المظالم حفاظاً على ملكه إذا رأى شوكة السنة؛ فالتعلق بمظالم البيت من وسائل إقامة الدول والثورات عند الباطنية، وهو واقع ظاهر للشيعة الاثني عشرية اليوم.

يقول أبو بكر الباقلاني ـ فيما نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ في تصوير مراتب الدعوة عند الباطنية، وأن الداعي منهم يوافق الناس فيما يبين: (وما يظهر له من أحوالهم ومذاهبهم، وقالوا لكل داع لهم إلى ضلالتهم ما أنا حاكٍ لألفاظهم وصيغة قولهم بغير زيادة ولا نقصان، ليعلم بذلك كفرهم وعنادهم لسائر الرسل والملل، فقالوا للداعي: "يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً: أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل عليه من جهة ظلم السلف وقتلهم الحسين، وسبيهم نساءه وذريته، والتبري من تيم وعدي، ومن بني أمية، وبني العباس،...)[1]؛ ويترقى به الحال إلى أن يطعن في آل البيت، وفي النبوة والإسلام؛ وهذه حال القرامطة وغيرهم، كما أنها حالة ظاهرة لدى الاثني عشرية في عاشوراء.

ح ـ بروز الغلو الجديد تحت مفهوم المحبة، ومن ذلك مفهوم محبة الحسين، حتى يلتزم له البعض أنه من لوازم حصول الشفاعة في الدنيا والآخرة، بل إن الغلاة الملعونين على لسان الأئمة ربما غفرت لهم الإمامية بسبب أصلهم هذا، وهو المحبة، ومن ذلك المختار من الكيسانية[2].

شعائر عاشوراء عند أسلاف الإمامية وفرقها:

يظهر أن الطوائف الإمامية غير الاثني عشرية تشارك في تعظيم يوم عاشوراء، والعشر الأولى من المحرم، بالحزن والمأتم، ومثلها الطرق الصوفية التي تشاركها في الباطنية، ولكن لم أقف على مدى مكانة هذه الشعائر عنده الفرق بالنسبة لغيرها من الشعائر والأيام، كما أنه قد

---

(١) منهاج السنة، ٨/ ٤٧٩- ٤٨٠، وانظر: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ١/ ٤٨٨، ٢/ ٤٧٨، وذكر من دعاتهم علي بن الفضل الإسماعيلي القرمطي باليمن، والذي أظهر أنه كان اثني عشرياً؛ والموسوعة الميسرة (في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة)، ١/ ٢٨٠.

(٢) سبق نقل كلام الخوئي عن المجلسي، معجم رجال الحديث، ١٩/ ١٠٣-١١٠، وراجع ص٤٤، ٣٠٠، ٣٨١ من البحث.

تنسب إليهم بعض الأفعال التي هي من جنس الفرح أكثر من نسبتها إلى الإمامية، لكن لا شك أن هذه المجتمعات ـ مع قلة كل طائفة منها وتفرقها ـ إلا أنها تشكل بمجموعها ثقل تحتاج الإمامية إلى أن تراعي عاداتها ومذاهبها، وأن تتستر على ما تنفرد به، أو تدخله إلى يوم عاشوراء، لأنها تحتاج أن تستكثر بهم، كما استكثرت بأسلافهم، وقد سبق ذكر مظاهر عاشوراء عند بعضهم، خاصة من كانت له دولة، وهي كما يلي:

١ ـ القرامطة: وهم من الإسماعيلية، ولم أقف على شيء من أعمالهم في عاشوراء إلا ما قد ينسب إليهم من المتعة الجماعية في ليلة عاشوراء، بناء على عموم قولهم في شيوعية النساء والأموال، وهو من ضمن فساد مذهبهم في الشرائع[(١)].

٢ ـ العبيديون: وهم من الإسماعيلية، وذلك بعد دخولهم مصر سنة ٣٦٢هـ وقد كانت لهم مشاركة مشهورة في النياحة يوم عاشوراء، ومن ذلك ما جرى عند بعض المشاهد، سنة ٣٦٣هـ، كما أنهم أحدثوا مشهداً لرأس الحسين في القاهرة عام ٥٤٨هـ، بقيت آثاره في عاشوراء وغيرها إلى اليوم، وإن كانت أعمالهم خالطها الفرح والأطعمة ونحو ذلك[(٢)].

٣ ـ البهرة: الإسماعيلية[(٣)]، ذكر أنهم يقدسون مأساة كربلاء لمدة عشرة أيام، وفي يوم عاشوراء يرتدون الملابس السوداء، حزناً على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويكثرون من الصدقات،

---

(١) راجع ص٩١٤ من البحث.

(٢) راجع ص٣٦٢- ٣٦٦ من البحث، وفي هذا العام أحيوا المولد النبوي، وهم أول من أحياه، وكذلك مولد علي، كما أن البويهيين أول من أحيا النياحة في عاشوراء، والفرح والعيد يوم الغدير سنة ٣٥٢هـ، بينما العبيديين سبقوا في الموالد.

(٣) البهرة: باللغة الهندية بمعنى التاجر، والبهرة إسماعيلية مستعلية، يعترفون بالإمام المستعلي ومن بعده الآمر ثم ابنه الطيب ولذا يسمون بالطيبية، نسبة إلى الإمام الطيب، الذي دخل الستر سنة ٥٢٥هـ، والأئمة المستورون من نسله؛ والبهرة هم إسماعيلية الهند واليمن، وانقسمت إلى فرقتين: بهرة داوودية: نسبة إلى قطب شاه داوود: وينتشرون في الهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجري وداعيتهم يقيم في بومباي؛ وبهرة سليمانية: نسبة إلى سليمان بن حسن، وهؤلاء مركزهم في اليمن حتى اليوم، ومنهم امكارمة، وافترقوا عن البهرة في الداعي (٢٧)، انظر: الموسوعة الميسرة، ١/ ٣٨٦، والموسوعة الشاملة، أسامة شحادة، وهيثم الكسواني، ص١٤٥.

ويقضون ليلتهم في البكاء والنحيب بصوت مرتفع؛ كما أنهم يحتفلون بيوم غدير خم، كغيرهم من الشيعة، ويصومون فيه، ويُجدِّدون العهد للداعي المطلق في بومباي، أو الدعاة المبايعين، وهم نوابه في الأقاليم، ويوجبون الصلاة في الأيام العشر من محرم، كما لهم عناية بدعم مشاهد الحسين في كربلاء والقاهرة، ولهم في كربلاء وكيل وحسينية[1].

٤ ـ **الأغاخانية**: الإسماعيلية[2]، وذكر عنهم عدة احتفالات منها عيد الغدير، ويسمونه: يوم الإمام، كما ذكر أن لهم ليلة تسمى ليلة الإمام، لكن لم يذكر أنها في عاشوراء، كما هو مشهور، وهي من جنس الإباحية والمتعة الجماعية[3].

٥ ـ **النصيرية**[4]: وهي إحدى الفرق العلوية الغالية، وليست من الإسماعيلية، بل هي من الإمامية القطعية، لكن لغلوها تلحق بالفرق الباطنية، وعلى ضعف عنايتها بالشعائر فقد ذكر عنها الغلو بالحسين، كأحد أهل الكساء، والنصيرية ذكر عنهم أنهم يحتفلون بعاشوراء[5]، وذكر أن لهم ليلة (يختلط فيهم الحابل بالنابل، كشأن بعض الفرق الباطنية)[1]، ومن غلوهم

---

(١) انظر: الموسوعة الشاملة، أسامة شحادة، وهيثم الكسواني، ص١٢٢ - ١٢٤، ١٣١.

(٢) الأغاخانية: وهي من الإسماعيلية النزارية، نسبة إلى الأغا خان الذي ظهر في زمن الدولة القاجارية، وظهرت هذه الفرقة في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، مؤسسها حسن علي شاه: وهو الأغاخان الأول: الذي استعمله الإنجليز لقيادة ثورة تكون ذريعة لتدخلهم، فدعا إلى الإسماعيلية النزارية، ونفي إلى أفغانستان، ومنها إلى بومباي، وقد خلع عليه الإنجليز لقب آغاخان، مات سنة١٨٨١م، وأغا علي شاه وهو الأغاخان الثاني:١٨٨١ـ ١٨٨٥م، ثم ابنه محمد الحسيني: وهو الآغاخان الثالث:١٨٨٥م .١٩٥٧م، ولهم بقية، ولهم حفاوة في البلاد الأوربية، ومن الإسماعيلية الأغاخانية جماعة يطلق عليها "الهونزا" موجودة في شمال باكستان ويبلغ تعدادهم ما يقارب ثلاثون ألفاً يحتفلون بعيد ميلاد الإمام "آغا خان" ويحتفلون بذكرى زيارته للهونزا وجلجيت في ٢٠ أكتوبر ١٩٦٠م، وهذان العيدان من جملة الأعياد التي يعتقدونها ويحتفلون بها، وأعيادهم تبلغ ثمانية أعياد، انظر: الموسوعة الميسرة (في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة)، ١/ ٣٨٦.

(٣) الإسماعيلية المعاصرة، ص١٣٦، د. محمد بن أحمد الجوير، ط١، ١٤٢٤هـ، مكتبة الرشد – الرياض.

(٤) النصيرية: وقد تسمى العلوية، والجنبلائية، أو الإسحاقية، سبق الحديث عنها ص٧٤٧ من البحث.

(٥) مجمل عقائد الشيعة، ممدوح الحربي، ص١٠٩.

(١) الموسوعة الميسرة، ١/ ٣٩٢.

أنهم يرون أن الحسين لم يمت، بل اختفى مثل عيسى، ومنهم من يقول بأن علياً هو الله، وأنه يظهر في الحسين، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً؛ وربما فرط طائفة أخرى منهم وأغربت، فزعمت أن الحسن والحسين من أولاد سلمان الفارسي(١).

الشاهد مما سبق أنه لم ترد تفصيلات لعناية هذه الطوائف بعاشوراء مثل ما هو حال الإمامية الاثني عشرية، هذا عدا ما سبق عن الدولة العبيدية، والتي زامنت الدولة البويهية، ونافستها في البدع والمحدثات؛ بل إن مما اشتهر عن طوائف الإمامية غير الاثني عشرية هو من قبيل الفرح والعيد، وخاصة المتعة الجماعية في ليلة عاشوراء، وهي ما قد تسمى بأسماء مختلفة: ليلة الطفية، وليلة الإمام، يجتمع فيها رجال ونساء، (ثم يطفئون الأنوار، ثم يمسك كل واحد بيد من بجواره، حتى ولو كانت من محارمه)(٢)؛ وتسميتها بليلة الإمام يوحي بأنه تابعة ليوم الإمام، الذي هو يوم الغدير، وهذا لا يمنع أن تنتقل إلى يوم عاشوراء، الأصل في البيئة المشتركة أن يظهر في عاشوراء الحزن والنياحة والجزع.

فروع عقدية:

يتبع أصول الافتراق العقدي في عاشوراء فروع عقدية أخرى، مرتبطة بمقتل الحسين، وتتعلق بمحبته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند المنتسبين إلى آل البيت، وربما كانت عندهم من لوازمها، وذلك بناء على أصل العدل العقلي عندهم، لكنها تكثر عند القائلين بإمامة النص، منها:

أ- اعتقاد وجوب عذاب قتلة الحسين في الدنيا والآخرة، كما في خبر جبل الكمد، الذي يعذب فيه النواصب، وفيه: (قاتل فاطمة ومحسن، وقاتل الحسن والحسين ــ عليهما السلام ــ، فأما معاوية وعمر فما يطمعان في الخلاص، ومعهم كل من نصب لنا العداوة، وأعان علينا بلسانه ويده وماله)(٣)؛ واعتقادهم وجوب التعويض

---

(١) سبق الحديث عنها ص٤٣ من البحث.

(٢) الإسماعيلية المعاصرة، محمد بن أحمد الجوير، ص١٣٦.

(٣) أنهم يعذبون في جبل يسمى جبل الكمد، وهو جبل بين مكة والمدينة، أو هو واد من أودية جهنم، فيه قتلة الحسين يعذبون، كامل الزيارات، ص٥٣٩- ٥٤٤، والاختصاص، للمفيد، وفيه: (عمرو بن العاص)، ص٣٤٣- ٣٤٥، وبحار الأنوار، ٢٥/ ٣٧٣، ٣١/ ٢٢٨- ٢٢٩، بلفظ: (معاوية وعمر)، وهو الصواب =

للحسين وشيعته، واعتقاد وجوب الثأر، ولو من ورثتهم ـ إضافة إلى مشروع الثأر من الشيخين ـــ، واعتقادهم في المهدي، وأن ذلك من التعويض للحسين على مصيبته، وغير ذلك مما سبق الحديث عنه في الباب الأول؛ ومثله مثل أدعية اللعن في الزيارات والأوراد، كدعاء صنمي قريش؛ ومثله (قاتل الحسين في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل الدنيا)[1].

ب- تحريم الفرح بمرور يوم المقتل شماتة بالحسين، وأن ذلك علامة النصب، وربما يرمونه على من فرح ـ من أهل السنة ـ بعاشوراء ولو لم يكن شامتاً، فلا بد من التشاؤم وعدم الفرح، والغريب أن الإمامية تروي استحياء الملائكة من إبلاغها النبي ﷺ بنعي الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومقتله، وأنها ترددت حياء[2]، والإمامية لا تتشبه بالملائكة في الحياء، بل تفرح بشهر محرم لتنشر خبر النعي والمقتل، وتذيعه في كل محفل ونادي، وكأنه أمر مفرح، عياذاً بالله.

ت- ربط محبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بوجوب استذكار مقتله، وهذا ظاهر في العناية بكتب المقتل، فمن خصائص الاثني عشرية العناية بكتب المقاتل، وإن كان يشاركهم عملياً غيرهم من الشيعة الإمامية، وسيأتي الكلام عنها في مطلب مستقل، بإذن الله.

ث- أن المهدي سيكون ظهوره يوم عاشوراء يوم سبت، بين الركن والمقام، وقد يكون ذلك وقت رجعة الحسين عندهم، أو أن المهدي يسير بجيش من مكة إلى الكوفة، وقد رووا في أخبارهم: (لكأني به في اليوم العاشر من المحرم قائماً بين الركن والمقام، جبريل عن يمينه ينادي: البيعة لله، فتسير إليه الشيعة من أطراف الأرض تطوى لهم

=

بدلالة ذكر مقتل فاطمة ومحسن، ويظهر أن الخبر ينسب إلى جعفر الصادق، وما أكثر ما يفترون عليه.

(١) بحار الأنوار، ٤٥/ ٣١٥ – ٣٢٢، وفيها: (أقول: وروى ابن شيرويه في الفردوس، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: قال لي جبرئيل: قال الله عز وجل: قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفا وإني أقتل بدم ابنك الحسين بن علي سبعين ألفا وسبعين ألفا، وعن علي عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله قال: قاتل الحسين في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل الدنيا).

(٢) راجع ص٦٩٠ من البحث.

طياً حتى يبايعوه، وقد جاء في الأثر: إنه يسير من مكة حتى يأتي الكوفة، فينزل على نجفنا، ثم يفرق الجنود منها في الأمصار)[1].

ج- رمي مخالفيهم من أهل القبلة بالنصب، والذي من لوازمه تكفيرهم واستحلال قتالهم وأموالهم ودمائهم، وإن كانوا يصانعونهم بالتقية، والموافقة في الشعائر الظاهرة، كصوم عاشوراء.

المفارقة لعموم المسلمين.

إذا كانت الاثني عشرية فارقت طوائف الشيعة من خلال عاشوراء فإن مفارقتها لجمهور المسلمين أشد، خاصة وأنها اتخذت النياحة والأحزان دليلها على صحة انتسابها لآل البيت، ومستنداً لاتهام خصومهم بالنصب والعداوة لآل البيت، ومن الأهمية بمكان أن يعرف وجه ارتباط النياحة بأصول مذهب الإمامية، وخاصة أن شدة العناية بهذه الشعائر ونشرها مما يؤكد انطلاقها من معتقد يركنون إليه، بل هم اليوم يحتفلون به، فالشبهة عندهم كامنة، منع من ظهورها دعوى الإمامة التي لم تكن عند الزيدية، ويمكن أن نشير في موقف الإمامية عموماً من عاشوراء الحسين إلى اتجاهين رئيسين، وهما:

١- من يرى منهم أن العبرة بخروج الحسين، مع التسليم بموته وعظم المصاب مقتله، وأن القصد لدى محبيه هو تعظيم خروجه وقتله سوياً، لأن خروجه واجب، ولأن قتله فيه أشد الوعيد، وأن قتلته معذبون بأشد أنواع العذاب، وفي هؤلاء ميل للقدرية.

٢- من يرى أن العبرة بمقتله، وأنه سيرجع وأن هذا لا يقدح بإمامته، مع القول بالرجعة، وأن من وسائل ذلك الاشتغال بالتنسك والدعاء، مع واجب النياحة والحزن، وقد يكون في هؤلاء وراثة الغلو.

من صور مفارقة الإمامية لأهل القبلة أن أهل القبلة بمن فيهم جمهور الإمامية مجمعون على صوم النبي ﷺ ليوم عاشوراء، وأن ذلك جرى منه ولو مرة واحدة في حياته، وهذا

---

(١) سبق تخريجه ص٢٩٠ من البحث.

الإجماع من غرائب المسائل التي عقدت المسألة في وجوه الإمامية[1].

الاثنا عشرية من خلال عاشوراء تحولت من الشيعة إلى الخوارج، فمذهب الخوارج تتجدد وانبعث في الاثني عشرية بعد أن كان كامناً بسبب عقيدة الانتظار، فجمعت من خلال عاشوراء بدعتين: الرفض والخروج، وإلا فالمذهبان يشتركان في أصل الوعيد، ويمكن هنا أن أذكر بما يجلي هذا الجانب، وذلك كما يلي:

أ- أن أصل مقالة الإمامية متعلقة بالخروج، ومن أقوى ما تستمسك به خروج الحسين، وهي وإن خالفت الخوارج في عداوة الحسين لكنها شابهتها في مفردات الخروج، كالتقية، وتكفير المخالفين، والتركيز على معسكر السلطان، كما أنها فارقتها بدس المرويات الموضوعة لجذب العوام إليها، بخلاف الخوارج الذين تعلقوا بالقرآن، ولم يشتهر عنهم الإكثار من وضع ما يوافق بدعتهم، بل إنهم اعتزلوا مجتمعاتهم، مما يبعد معه سعيهم لترويج أحاديث من جنس بدعتهم.

ب- أصبح الولاء لعاشوراء ـ بل وللحسين ـ بهذا المفهوم ـ الخروج ـ غالباً عند كثيرين، بل إنه أصبح مقياساً للإيمان والإسلام، حتى أن حسن الشيرازي يقول: (وكما أن كيان الإسلام كان يحتاج إلى جهود "محمد وعلي والحسين" حتى يستقيم، كذلك الإسلام لا يكمل في قلب ليس فيه محمد وعلي والحسين معاً، لأن تعاليم محمد إنشائية، وتعاليم علي تربوية، وتعاليم الحسين إمدادية، وإذا لم تتفاعل هذه العناصر الثلاثة لا يبرز الإسلام إلى الوجود)[2].

ت- وجود التشابه بين القائلين بالإمامة وبين الخوارج بسبب البيئة المشتركة التي خرجت منها الطائفتان، ومن ذلك نستطيع أن نقرر وجود طائفة تعرف بخوارج الشيعة[1]، ومن أهم منطلقاتها في الخروج هو ابتغاء العدل، وتطبيق القرآن

---

(١) راجع ص١٠١٠ - ١٠١٤ من البحث.

(٢) الشعائر الحسينية، ص١٣، وراجع ص٤٥ من البحث.

(١) حول هذا المسمى انظر ص٩٤٦ من البحث.

والشرع، وإن كان هؤلاء يظهرون التعلق بفهم آل البيت ومحبتهم[1]، كما أن مقالة أولئك في الوعد والوعيد لا يمنع أن تنتقل إلى الإمامية، كغيرها من العقائد، بل وتصبح من ضروريات مذهبها[2]؛ كما أنه تتكرر في كلا الفريقين انتكاسات غريبة من المنتسبين إليهما، بميلهم إلى الانحلال من الشريعة، وانتهاك المحرمات واستحلالها، وهذا اشتهر في غلاة الشيعة أكثر، كالقرامطة، ومثل هذا مجموعة من الفرق القديمة الغالية التي حصرت الإيمان في معرفة الله، أو معرفة الإمام، ونسب إليها الزندقة والحلول.

ث- التزام أكثر القائلين بالإمامة بلوازمها، وهي تكفير جمهور المسلمين عند بداية إمامة كل إمام، بدءاً من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، وظاهرة التكفير اشتهرت كمقولة من مقولات الخوارج؛ والإمامية لديها من التكفير في عاشوراء نصيب وافر، فزعموا أن المسلمين ارتدوا بعد مقتل الحسين إلا قلة، كما أن ردتهم الشاملة جرت ـ قبل ذلك ـ بالبغي زمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأنهم جحدوا إمامته[3]، وكذلك الحال في الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فيحكمون على المسلمين بعد مقتل الحسين بالردة والكفر، فيروون عن جعفر أبي عبد الله أنه قال: (ارتد الناس بعد الحسين عليه السلام إلا ثلاثة:

---

(١) سبق أن البعض من الإمامية يريد أن يؤسس ويقرر أن الإمامة التفضيلية العقلية هي التي كانت منتشرة عند من يسمون أسلاف الإمامية، فهم متكلمون، لا أخباريون؛ وفي هذا إقرار بضعف النص؛ وأن المفيد في زمانه حاول أن يؤسس منهجاً جديداً للجمع بينهما؛ راجع ص٢٧- ٣١، ٦١ من البحث.

(٢) انظر: تنقيح المقال، المامقاني، ٣/ ٢٣، والواقع العملي الحالي للشعائر يقطع بأنها من ضروريات المذهب، وإذا كان المذهب المنسوب للأئمة معصوماً -وعصمته من ضروريات المذهب، وجوهره؛ فالمخالف يستحق الوعيد، ولا شك، وخاصة إذا كان من غير الإمامية، أما إذا كان منهم وخالف فربما يعامل بالإرجاء؛ راجع ص٢٢- ٢٧، ٣١ من البحث.

(٣) قد صرح شيخ الإمامية الطوسي بأن الباغي ليس مؤمناً، بل هو منافق، ولا يغسل، ولا يصلى عليه، وأن البغي كفر، وأنهم لا يقاتلون إلا خلف إمام عادل معصوم، كما أنهم يجوزون أن يستعين الإمام في قتال أهل الحرب بالمشركين، كما يعدون أهل المذاهب الفقهية السنية أهل بغي، بل فسق ونفاق، راجع ص٢٤ من البحث.

أبو خالد الكابلي، ويحيى بن أم الطويل، وجبير بن مطعم، ثم إن الناس لحقوا وكثروا)[1]؛ ولكن يبقى الإشكال في أنه هل أصل هذا التلازم له علاقة بمسمى الرفض، وظهور سب الشيخين ملازماً لمقولة الإمامة، وهذا يظهر عند تعريف الإمامية، وأرى أن هذا يحتاج إلى مزيد من البحث والتثبت[2].

الخروج والنياحة:

مبرر النياحة عند الإمامية الاثني عشرية إحياء الدين، وحفظه، ومحبة الأئمة، لكن هذا المأخذ يرد على غير مصيبة الحسين، كمصائب علي وفاطمة والحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لكن النياحة على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ متعلقة بمن خرج من الأئمة، وهذا هو المحك، أما من تنازل عن حقه، أو سكت فإنهم لا يعظمون أمره.

يشكل على الاحتفال بالنياحة في عاشوراء ما يتبعها من المواكب والرايات والسلاح؛ فهو نوع من الخروج والاستعداد له، والأصل أن الإمامية تقول بالانتظار، كما هو قول متقدميهم؛ لكنها يظهر من حالهم فيما بعد أنها جوزت ذلك، ولو مع غير الأئمة، بتأويلات يذكرون منها: أنه قيام وتأييد لمن هو أقرب إلى العدل، ولو كان خارجاً بين يدي الأئمة، ومن ذلك قيامهم مع مؤسسي الدول الشيعية، ومن آخرها الصفوية وما بعدها، ومن ذلك ـ أيضاً ـ القيام مع

---

(١) الاختصاص، للمفيد، ص٦٤، ٢٠٤، ورجال الكشي، ص ٨٢، وبحار الأنوار، ٤٦/ ١٤٤، وفي رواية أخرى: (وكان يحيى بن أم الطويل يدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ويقول: كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء)، وهؤلاء الثلاثة قد يزيدون عليهم رابعاً: سعيد بن المسيب، وخامساً: جابر بن عبد الله، أو القاسم بن محمد بن أبي بكر، أو حكيم ابن حبير، ويزعمون أن هؤلاء الخمسة هم خواص علي بن الحسين، انظر الكافي، ٢/ ٣٨٠، حاشية (١)، وروضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص٢٨٢-٢٨٣؛ ونبه الكاتب الشيعي صائب عبد الحميد: أن هذه الرواية المنسوبة إلى جعفر الصادق لم تنقل إلا في موضعين: كتاب الاختصاص، وشكك في نسبة الكتاب إلى المفيد؛ وفي كتاب رجال الكشي، وأن في إسنادها مجهول، وفيها اضطراب، انظر: مجلة تراثنا، عدد: ٤٣- ٤٤، السنة: ١١، رجب – ذي الحجة، ١٤١٦هـ، مقال: (أساس نظام الحكم في الإسلام بين الواقع والتشريع، رؤية في التراث الفكري، ٢/٢)، ص٢١٢، صائب عبد الحميد، مجلة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – قم.

(٢) سبق في الباب الأول أن مقالة الرفض ليست هي أساس قول الغلاة، وأن تعريف الإمامية قد يكون يرتبط بعقيدة الخروج والعدل، أكثر من ارتباطه بالرفض، راجع ص٢٢- ٢٧ من البحث.

من يأخذ الثأر من القتلة، كالمختار، وأمثاله، ولو كان كافراً ملعوناً في مروياتهم؛ إلى أن وصل اللطف أن يقوم نواب الإمام بالخروج والثورة والاستيلاء على مقاليد الحكم نيابة عن المهدي.

هذه التأويلات لم تكن لها حاجة في فرق الإمامية الأخرى، لعدم التزامهم بمبدأ الانتظار، ولا مهدي الغيبة والسرداب، لاجتماع اللطف في القائم عن الإمام، وهذا ما يجعل الانتظار ليس أصلاً من أصولهم، ويؤكد أن الخروج أشبه بالمسائل الاجتهادية عندهم، والتي لا يكفر، أو يغلظ من خالفه بالخروج، وإن تظاهر بعضهم ــ تقية ــ بمنعه والتشديد فيه؛ وما جرى من صراع حوله يشير إلى بروز الإمامة الحسينية كمرحلة من مراحل المذهب، لشدة النزاع حول الانتظار والخروج، واكبه الغلو العرفاني، وتجدد التفويض للأئمة، والذي ظهر في الولاية التكوينية والتشريعية، والتي أثمرها العرفان الشيعي.

برز من حماس الإمامية الاثني عشرية لتقرير النياحة عدة أمور، أشير إلى بعضها على شكل نقاط متفرقة، وذلك كما يلي:

أ- بعض الإمامية الاثني عشرية في محاولته لتضعيف ما يروى عن الأنبياء في عاشوراء، ولازمها من الاجتهاد في العبادة والتوبة والشكر، ومحاولة تخصيصه بمقتل الحسين، وحشد الكثير من الروايات الموضوعة؛ كل ذلك ليتوصل به إلى وجوب الحزن، واستذكار المصيبة في ذلك اليوم، وأن خلاف ذلك هو من النصب، وأنهم يعتذرون عن هذا اللازم، وعذرهم أن كون أخبار الأنبياء المذكورة في عاشوراء كذب، وإلا لو صحت عن معصوم فإنهم لا يكذبون قوله؛ وجواب المخالفين من أهل السنة وغيرهم أن هذا هو عذرهم في خلافهم في عصمة الإمام والنص عليه، وأما في خصوص مقتل الحسين فإن الأخبار فيها كذب، ولو ثبت عن النبي المعصوم لم نكذب قوله، لكن لوازمها ظاهرة البطلان لكل ذي لب وعقل؟ بل لوازمها هدم لنصوص الشريعة، فهؤلاء أحظى بالعذر من أولئك الإمامية، وأقرب لظاهر حال أهل البيت.

ب- الاحتفال بيوم عاشوراء والنياحة فيه لم يظهر بشكل بارز ومعتمد إلا في القرن الرابع زمن الدولة البويهية في بغداد، ويصور بعض المعاصرين أسباب العناية بهذا اليوم لدى المتأخرين من الاثني عشرية، أن منها: القلق من نسيان عاشوراء، كما نسي يوم

الغدير، (حيث طمرت هذه الحادثة عواملُ النسيان في بعض الأزمنة، بفعل أيادي بني أمية؛ لذا خافوا من الشيء نفسه في عاشوراء)[1]؛ بينما يقرر آخر أنه بسبب عدم فهم حقيقية موقف الأئمة التسعة بعد المقتل، وأنهم كانوا على أتم الاستعداد لإقامة كل عمل يمكنهم، سواء كان مسلحاً، أو غيره[2]؛ وعلى كل فهذا مما يؤكد ما سبق أن العناية بالنياحة مرتبط بالخروج، لا بذات القتل والمصيبة، بل إن التدرج في نشر هذه النياحة، وتمكنه من ذلك سبب لهم فرحاً ربما أبطل كثيراً من الحزن المزعوم؛ مما يعني أن الحزن مرتبط بعدم الخروج، وأن النوح لأجله، وسلم إليه.

ت- قرب عاشوراء من موعد الاحتفال بإمامة علي يوم الغدير، في الثامن عشر من شهر ذي الحجة؛ مما يعني أن بينهما قرابة العشرين يوماً، أولها فرح، وآخرها نياحة؛ وربما كان القرب هذا مما سوغ انتقال بعض مظاهر الفرح إلى موسم عاشوراء الحزين.

ث- لم ينسب إلى البويهيين قبل قدومهم إلى بغداد من مواقع تلك الدول الزيدية التي ورثوها، لم يذكر عنهم قبل مجيئهم أنهم كانوا يحيون الاحتفال بيوم عاشوراء في تلك البلدان، وعدم اشتهار هذا عنهم يدل على أن تلك الدول العلوية لم تربط بين فكرة الخروج وبين يوم عاشوراء أصلاً، وتصالح البويهيين مع الاثني عشرية في إحياء النياحة وسب الصحابة في عاشوراء لا يلزم منه اتحادهما في المذهب، كما قد يكون من أغراضه تواطؤ الطرفين على تثبيت ولاية البويهيين، خاصة وأن تلك الفترة زامنت اهتزاز وضع البويهيين بسبب كثرة حروبهم، ففي إرضاء البويهيين لهؤلاء جذب واستعانة بسوادهم ومشاركتهم في حروبهم.

---

(١) انظر: جدل ومواقف، ص٦٥، مقال: (التحريف في السيرة الحسينية، دراسة في المظاهر والأشكال)، محمد صحّتي سردرودي.

(٢) انظر: بحث حول الولاية، الصدر، ص٨٩- ٩٣، محمد باقر الصدر، ت/ ١٤٠٢هـ، ط٢، ١٣٩٩هـ، دار التعارف – بيروت، وذكر أن الأئمة التسعة بعد كربلاء لم يعتزلوا الإمامة السياسية، ولا الروحية، وقال: (ولدينا نصوص عديدة عن الأئمة (ع) توضح أن إمام الوقت دائما كان مستعداً لخوض عمل مسلح، إذا وجدت لديه القناعة بوجود الأنصار، والقدرة على تحقيق الأهداف الإسلامية من وراء ذلك العمل المسلح).

ج- يلاحظ أنه في عاشوراء قد تشترك الطوائف من جهة الطعن على بني أمية، والطعن مأخذ يشاركهم فيه بعض السنة، وعموم الخوارج، فتروج به بدعتهم، ومع ذلك لم يعرف مسارعتهم إلى عمل الإمامية، وخاصة بعد زوال دولة بني أمية، وطعنهم في الدولة الأموية بعد زوالها لا يلزم منه أن استذكار للحسين، فقد يكون نشأ للطعن في الدولة العباسية التي قامت بعدهم، وهكذا كل دولة يراد الطعن عليها؛ كما أنه ربما كان من أسباب اختصاص الإمامية الاثني عشرية بإحياء كره بني أمية هو أنها تبنت عدم تجويز إمامة أي أحد، وخاصة ما كان شبيهاً بنظام التوارث والملك، هذا بخلاف الدول الشيعية التي قامت، ولم تخل من التوريث، كالعبيدية، والتي استدعى لها نظام التوريث إلى الانشغال بأحوال الملوك واحتفالاتهم، والتي زاحمت مواسم الإمامية.

ح- الإشكال الذي سبب الافتراق بعد عاشوراء ليس بسبب المقتل، بل بسبب الخروج ومبرراته وظروفه، وإلا فقد خرج من قبل الحسين من خرج، وقتل في خروجه، ولكن اختلفت الظروف والمبررات فاختلفت النتائج، والتعلق بالمقتل يجري من أصحاب المطامع، وقائدي الثورات والدول، وذلك لتحقيق مآربهم، وشحن عواطف الناس إليهم، وهجران السلف وأهل السنة للمآتم والنوح فيها دليل على أنها من جنس أعمال الزنادقة، ومن البدع المغلظة، وأن هذا شبه إجماع منهم، وخير شاهد على ذلك ما تبع هذه النياحة من توسع في البدع، كبناء دور خاصة للبكاء والحزن.

خ- ما سبق يناسب في تصوير موقف من تأثر بالمنهج العقلي من الإمامية، وهم الأصوليون، أما الإخباريون فهم ينكرون القياس والاجتهاد، ويلتزمون بأخبار الأئمة المنسوبة إليهم، إلا أنهم يشاركون الأصوليين في إحياء موسم عاشوراء، مع أن هذا الاشتراك لا يلزم منه أنهم في المنطلق والواقع سواء، في رؤيتهم لعاشوراء، ومن ذلك نظرتهم إلى مفهوم العبادة والشكر، وهل هما من جهة العقل،

أو الشرع[1]، لما يرونه ويروونه من مقامات الأئمة، ولما يرجونه من شفاعتهم وبركاتهم، ولما فيه من الإغاظة لأعدائهم، لكنهم مع ذلك يفسرها بعضهم بالمنهج العرفاني الصوفي، فجعلوا من تراث الأئمة ومصائبهم طريقاً لمعرفة الله والقرب منه، وهو معراج الوصول للحقيقة[2].

الكوفة من جديد (لبيك يا حسين):

تبقى الكوفة بأرضها وأهلها نموذجاً للصراع الواقعي سابقاً، وللمعنوي لاحقاً، فالكوفة من جهة أرضها وقع فيها غلو كالغلو في الأئمة، وربما أنس البعض به أشد من الغلو بالأئمة، لما أكسبها عند البعض من أهمية جديدة، فأصبحت الكوفة ذات قداسة ورمزية، وموضع مهدوية مستقبلية، وسبق في خبر ظهور المهدي أنه يبايع عند الكعبة بين الركن والمقام، ثم ينطلق إلى الكوفة.

الكوفة بلد مُصِّرَ في عهد الفتوحات الإسلامية زمن أمير المؤمنين عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فكانت مقراً ومجمعاً للجيوش الغازية من جهة المشرق، وسكنها الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وانتشر فيها علمهم وفقههم، ومنهم أمير المؤمنين علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ زمن خلافته، فأصبحت عاصمة له، وموضع شيعته، ومنطلقاً لحروبه وقتاله المشهور مع مخالفيه من المسلمين، والتي كان الحق والصواب فيها معه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكذلك حروبه مع من كفروه من أهل النهروان؛ ثم ما تبع ذلك من كراهة أهلها لصلح الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم دعوتهم للحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وبيعتهم له، والتي ختمت بفاجعة من فواجع الإسلام، اكتسى بها أهل هذه البلدة، وأصبحت عباءة عار عندما تذكر هذه المصيبة، تتجدد عندما تحيى ذكراها كل عام، ومهما أغمظ الشيعة من ذكراها في محافلهم العاشورائية فإنها تبقى في مخيلتهم، لأنها تجربة شيعية صرفة بمفهومهم.

الإماميون المعاصرون وإن اضطروا إلى إظهار الذم وكيل اللعائن، وتعميم التهم لأهل الكوفة، ومن ذلك رميهم بالنصب الذين يتوصلون به إلى كفرهم وردتهم، وقد سبق أن من

---

(١) راجع مسائل الخلاف بين الطائفتين، ص٦٥-٨٠ من البحث.

(٢) سبق في الباب الأول ص٧٧، ٨٤٨ من البحث.

غلو أسلاف الإمامية حكمهم على جمهور المسلمين ــ ومنهم أهل الكوفة ــ بالردة بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وهو إشكالية في تحمس كل شيعي أنه في حماسه وخروجه هو على حد الردة والكفر ـ أيضاً ــ لو تخاذل وعجز، وأهل الإسلام والسنة لم يلتزموا هذا المنهج، وعلى الرغم ما ورد من ذمهم، أو لعنهم بعد مقتل الحسين فإن هذا لا يعني أنهم يكفرونهم، أو يحكمون بردة جمهورهم: فأهل السنة أولى بالعدل حتى مع هؤلاء، ورأس أهل السنة في هذا هو الخليفة الراشد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو لم يكفر من قاتلوه أو كفروه، فكيف يكفر من خذلوه، ما دام كلاهما بتأويل، بل ظاهر حاله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ترك سبهم وذمهم.

الإماميون المعاصرون لن ينفكوا أن يتعلقوا بالباعث الذي كان لدى أهل الكوفة، ويزعمون أنهم سيتقنون الولاء من جديد، ويتهيئون له؛ بل صرح مرشدهم الإيراني زعيم الثورة الخمينية أن أتباعه في ثورته خير من مجتمع الكوفة زمن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذا فضلاً عن أنهم خير من مجتمع الرسول ﷺ في الحجاز[1]؛ وهذا مما يؤكد أن ذكرى الكوفة حاضرة في خيالهم، ولا شك أن نجاح الثورة الخمينية بعث فكرة تعميم الثورة، وتكويف المجتمعات الإسلامية امتداداً لهذا الثورة الخمينية الإيرانية، وقامت بهذه المهمة والرسالة طلائع من الشيعة ينظم كثير منهم تحت راية الولي الفقيه الحاكم في إيران، وقد تتسمى هذه الطلائع بالرسالية والرساليين، وواحدهم الرسالي والرسالية، تعلن هذه الطلائع عدداً من الشعارات.

يشير كثير من الباحثين من الإمامية أن هذا الحال هو بسبب تسرب تراث الزيدية والإسماعيلية إلى الإمامية، وهذا مما يؤكد أن هذا الصنيع لا يمكن أن ينسب للإمامية من وجهين: إما لأن مذهبهم لم يكتمل بعد، وكل ما يدعى فهو عرضة للنسخ، وإما أنهم يأخذونه من طريق الجهلة والعوام، أو الغلاة والزنادقة، أو المخالفين والنواصب، ثم ينسبونه إلى الأئمة، أو أن هؤلاء جميعاً من أسلاف الإمامية، فمذهبهم هو مباءة لكل مدع للمحبة، ولو كان ممن أشهر الخيانة، وخذل الحسين، كحال أهل الكوفة؛ وهذا المعنى يمكن ملاحظته وتبريره من خلاله النزاع داخل الذهب بعد امتزاجه بالمذهب الصوفي العرفاني، وما دار فيه

---

(١) راجع ص٤٩٣ من البحث.

من جدل وتكفير بين الإخبارية والأصولية، مما هيأ لعاشوراء أن تتسم بمفهوم الخروج من جديد، تحت لبوس محبة آل البيت، وإذا كان هذا في الصراع الداخلي فليس غريباً أن يكون حاضراً وبقوة في الصراع مع جمهور المسلمين، مستفيداً من عقيدته في التقية، وفي البداء، وتقلب المذهب هو نمط من التلون والسعة يجد له مدخلاً من خلال هاتين العقيدتين، وكل ذلك بدعوى اللطف وحفظ الدين.

في الفترة المتأخرة، لكثرة ما يطرون الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وينتسبون إليه؛ أصبح اسم الحسين والحسينية شعاراً لهم، ومن ذلك انتشار معابد ودور البكاء والحزن والمأتم، التي يسمونها الحسينيات، وكذلك لعبارات وشعارات التزكية والتلبية، كشعار "الحسينيون"، و"لبيك يا حسين"، و"لا يوم كيومك"، و"كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء" وكالشعائر الحسينية، حتى غدت كربلاء قبلة حديثهم، وعاشوراء مشهداً زمانياً، كما كربلاء قبلها غدت مشهداً وحزناً مكانياً؛ ولتفضيلهم كربلاء على الكعبة، وتخصيصهم لتربتها بالسجود؛ فأصبحت الحسينية هي الصبغة البارزة للإمامة الإلهية(١).

(لبيك يا حسين) هو أهم شعار يقيم من خلال مشروع الصلح الحسني، التي تتبناه مؤسسات التقارب والوحدة الإسلامية، ولكنه بالنسبة لحال أهل الكوفة جاء منكوساً من حيث المنطوق والمفهوم، وهذا يتضح بما يلي:

١- أن المنادي في هذه العبارة هو الحسين، فيستغيث بشيعته لإنقاذه من الظلم والجور، فيأتيه الجواب بصوت عال، مصحوب بتجارب الاستعداد في عاشوراء وغيرها؛ بينما المنادي في مقتل الحسين هم أهل الكوفة، يستغيثون به وينادونه، ويقدمونه كنموذج للعدالة التي يريدونها، ويرسلون إليه ببيعتهم، فحاله هو مجيباً لهم: لبيكم يا أهل الكوفة؛ وتبقى الحيرة فيما لو تكررت الفواجع.

٢- أن هذه النداء لن يقبل بالصلح إلا بوضع مشروط قد يصعب تحقيقه، أو ربما بعد تجربة طويلة من الدماء بين المسلمين، ورفع هذا الشعار قد يكون لقطع الطريق على

---

(١) انظر حول عقيدة البداء ص٢٨٠- ٢٨٤ من البحث.

بعض الشيعة الذين يسعون للصلح الجاد بين المسلمين؛ وبه يعرف أن دعاوى التقارب إذا خرجت من نفس الجهة التي ترفع وتخدم هذا الشعار؛ فإنما هي مكايدة وخدعة لاستدراج عوام المسلمين، من خلال الدعايات العاطفية.

إذا ضم هذا الشعار إلى شعارات الدم والثأر، وشعار (كل يوم عاشوراء وكلّ أرض كربلاء)[1]، وإلى أدعية اللعن صباحاً ومساءً عرف مدى الصدق في هذه الدعاوى، وليست المشكلة في التراث فقط، بل هو في تأويل التراث ــ أيضاً ــ، وأن كل ازدياد من هذه النداءات هو مرحلة من مراحل الخروج، تحت اسم المحبة، ومقابل النصب والنواصب؛ وإن كان ثم من يرفع البراءة منها، وأنها لا تنسجم مع العدل العلوي، وكأن العدل عدلان: عدل علوي، وعدل حسيني، ولا يبعد أن يكون عدلاً زيدياً، وعدلاً جعفرياً، وهذا من حيث التطبيق، أما من حيث الاعتقاد فهو عدل واحد.

❁❁❁❁❁❁❁

---

(١) قد يتهرب مجموعة من ناقدي الشيعة من تبعات هذه العبارة، وكونها أجنبية عن المذهب، وأنها من تسرب الفكر الزيدي، لكن لا شك أن المذهب الإمامي يحمل أشد من المذهب الزيدي من حيث اللوازم والنتائج، يقول سردرودي معلقاً على العبارة: (هذا الكلام لا أساس له، ولا مستند، حتى على نحو الحديث المرسل، أو المقطوع، أو الضعيف الهزيل، والذي يبدو أنّ هذه الجملة إنما هي شعار أو شعر من شاعر ينتمي إلى حزبٍ ينادي بالحرب؛ إنّ معنى هذا الشعار ومضمونه ينسجم مع فرقة الزيدية، أو الكيسانية، أو الإسماعيلية، أكثر من انسجامه مع مذهب العدل العلوي، أو مع التشيّع الحسني والحسيني والسجادي الأخضر. إننا نرى أنّ هذه الجملة لا تنسجم مع الشيعة الإثني عشرية والمذهب الجعفري، فرئيس مذهبنا وهو الإمام الصادق(ع). كوالده الباقر(ع) . من أهم معالمه وميزاته البحث والدرس، بل إن الإمامة في المذهب الجعفري والإمامي تعني الهداية أكثر، والإمام يُعرف أكثر ما يُعرف بالعلم والمعرفة، على خلاف الفرقة الزيدية التي يتميّز الإمام فيها بالدم والسيف، فهم يعتقدون أن الشرط الأول والامتياز الأهم في الإمامة والإمام هو الثورة المسلّحة، وقيام الإمام بالسيف؛ ولهذا بدا لنا أن الجملة التي نتحدّث حولها منبثقة من التفكير الزيدي)؛ انظر: جدل ومواقف، ص١٧٨، مقال: (التحريف في السيرة الحسينية دراسة في المظاهر والأشكال).

المطلب الثاني

مشابهة الأمم السابقة وأساطيرها

التشبه بأهل الضلال في العقائد والأعمال يعني الانتساب إليهم، وعدم مجانبتهم، وكما أن التشبه بأهل الضلال من السابقين ــ كاليهود مثلاً ــ اشتهر عن الشيعة في العقائد، كالوصية والعصمة والرجعة والبداء ونحوها من العقائد؛ فإن الجانب العملي لم يسلم من التشبه، وهو الذي يعنينا في بدع عاشوراء العملية، فلم تسلم من التشبه في منطلقاتها العقدية، وفي واقعها العملي من مشابهة الأمم السالفة، وبين الأمرين تلازم وتداع؛ وتقرير هذا الجانب يؤكد مدى الانحراف في شعائر الإمامية في عاشوراء؛ فالتشبه بمجمله خلل عقدي، لتعلقه بمفارقة الأمر الرباني، والوصية النبوية بمفارقة الهالكين المعرضين عن نبوة سيد المرسلين ﷺ؛ من مثل قوله ﷺ: **«لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**، وقوله ﷺ: **«قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**، وقوله ﷺ: **«ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»**[(١)]؛ وقد اشتهرت الإمامية بمفارقتها لهذه الوصية، وأرادت أن تتخذ لها بذلك ميزة على غيرها؛ ومثل ذلك المخالفة بإحياء النوح والبكاء.

تطورت المخالفة في النياحة من منكر من منكرات الجاهلية -كما هو ظاهر في أخبارها- إلى عمل تفاخر به الإمامية الأمم، بل وتدعوها إليه؛ وهو في حقيقته لا يخلو من محاكاة الأمم السابقة، من أهل الكتاب ومن سبقهم، فالبكاء بصورته العبادية ندم على ما اقترفه الشيعة الأوائل مع مخلصهم يشبه ما عند النصارى، وما عند اليهود، وقد تمتد إلى الأمم التي قبلهم، كما عند الأغريق الرومان، وقد اشتهر أرسطو الإغريقي بفلسفة المأساة، من خلال كتابه: المأساة، ومن ذلك ما عرف بالمسرح الديني؟ والذي يعني منه هو الجانب التراجيدي، والذي تفاخر به الشيعة من خلال مسارح التشابيه المعروفة[(٢)].

---

(١) البخاري، ح / ٤٣٥، ٤٣٧، ومسلم، ح / ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢.

(٢) راجع ص٤٩٤ من البحث.

مشابهة الأمم الهالكة الضالة من أجلى صور الانحراف العقدي والعملي، وهنا أشير إلى ما وقعت فيه الإمامية الاثنا عشرية من مشابهة للأمم السابقة في غلوها في معتقدها وطقوسها مما له علاقة بعاشوراء، وذلك في مشابهتهم لليهود والنصارى، وفي مشابهتهم للمجوس والصابئة وأهل النحل الفاسدة، وذلك في النقاط التالية.

اليهـــود:

إذا كانت الإمامية الاثنا عشرية شابهت اليهود في الوصية والرجعة فقد شابهتهم في أمور متعددة لها علاقة بعاشوراء، وقد مر كثير منها في ثنايا البحث، مما يوحي بتأصل المشابهة والاتصال بين الفريقين، أذكر ما تيسر منها باختصار، إبرازاً لهذا الجانب، فمنها ما يلي:

١- القول بالرجعة ووجوبها عقلاً، وهي منسوبة إلى ابن سبأ اليهودي حين قال برجعة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقالوا: إن الرجعة من باب التعويض للأئمة، بل وأهم من ذلك التعويض لشيعتهم، والثأر من أعدائهم، واليهود أوجبوا على الله كثيراً من أهوائهم بدعوى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، فجاء الجواب: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[١]، وقد توسعت الإمامية في مثل هذه الدعاوى، حتى أصبحوا وعيدية على من خالفهم، مرجئة مع من وافقهم[٢].

٢- مشابهتهم لليهود في العرفان والغنوصية، وكان لديهم طائفة تعرف: "جيميو صوفيا"، أي الحكماء الإلهيون، وهو بمعنى المرشد والمراقب، وتأثير هذا الجانب على طقوسهم وشعائرهم، وكذلك الإمامية لديها عرفاؤها المتصوفة، الذي زادوا بدع عاشوراء انحرافاً، ومن ذلك تقريرهم لعقائد الغلو من خلال هذه المواسم، كالإنسان الكامل، وعلة الوجود الفاعلة، وأصبحت هذه الباطنية هي المعبرة عن

---

(١) المائدة: ١٨.

(٢) راجع ص٢٨٥، ٧٥٦ من البحث.

المهدوية التي ينتظرونها؛ وكلا الفريقين مسبوقان في هذا الباب[١].

٣- النوح والبكاء: فاليهود اتخذت لها شعيرة البكاء عند حائط في بيت المقدس يعرف بحائط المبكى، وهو مثل بيت الأحزان عند النصارى، وحائك المبكى، يرتاد اليهود في مواسم متكررة، ليثبتوا دعواهم ومكرهم، والإمامية اعتنت بالبكاء، واعتبرته شعيرة مقدسة، وأبرزت مجالس المآتم، بل وخصصت في العصور المتأخرة باسمها بنايات نسبتها إلى الحسين، للبكاء والحزن؛ ولا يمنع أن يشترك الفريقان في فلسفة البكاء ومسوغاته، وأن البكاء موافقة للكون، ومؤثر فيه، وأنه من التشبه بالإله، أو بالكون والطبيعة في باب القدر والقدرة والتأثير[٢].

٤- تعظيم اليهود أيام مصائبهم واستذكارها، ومن ذلك أن يوم العاشر من شهرهم الرابع في سنتهم المدنية، العاشر في سنتهم الدينية، وهو شهر طيبث؛ في اليوم العاشر منه يصوم اليهود، استذكاراً لليوم الذي ورد عليهم بختنصر، وحاصر بيت المقدس؛ ومثله صومهم صوم ذكرى التابوت الذي أخذ من بني إسرائيل، وهو يوافق العاشر من آيار؛ واليهود تتخذ من أيام مقاتل الأئمة مواسم للنياحة والاستذكار، ومن ذلك صوم التحزن في عاشوراء، وهو صوم مخصوص، وامتناع عن الملذات، وهو قريب من صنيع اليهود والنصارى[٣]؛ وكذلك تعلقهم بمواضع الأضرحة والمراقد حجة للاستيلاء على الدول والأقاليم، فترفع من خلال الأزمنة والأمكنة دعوى المظلومية.

٥- مشابهة الإمامية لليهود في الاستهانة بمقاتل الأنبياء، وتركهم عند اشتداد القتال، ثم تهويل مقاتلهم، وطلب الفداء والتوبة والخروج من مغبتها، ولو بقتل النفس توبة، ومن ذلك تشبيه مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمقتل زكريا عليه السلام[٤].

---

(١) راجع ص٧٣٥، ٧٩١، ٨٣٢ من البحث.

(٢) راجع ص٦٥٠ من البحث.

(٣) راجع ص١٠٧٣ من البحث.

(٤) راجع ص١٠٥٢ من البحث.

٦- موافقة الإمامية لليهود في احتقار من يشاركونهم في مواسم العبادة، ووصفهم لهم بالعامة، ومحاولة محو آثارهم في التاريخ، فاليهود لا يمكن أن يهتموا بتاريخ (الحقبة العامة)، وهم النصارى وكتابهم الإنجيل، استئثاراً من اليهود بالحق، وإنكاراً لنبوة عيسى عليه السلام[1]؛ وهذا الصنيع من اليهود يذكر بما يصنعه متأخرو الإمامية الاستئثار بأخبار الإسلام، ومن عدم الاعتراف بكل تاريخ مشتهر بين المسلمين، ومن تسميتهم لجمهور المسلمين بـ(العامة)، والتي يبدأ تاريخها من خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

٧- موافقة الإمامية لليهود في تعظيم يوم السبت، فالإمامية لم تتحرج من هذه الموافقة التي تنكر مثلها على المسلمين، فقد رووا: (يقوم القائم يوم عاشوراء)، وبل وفي بعضها أنه يخرج يوم سبت[3]، فعاشوراء المهدي سيوافق يوماً معظماً عند اليهود.

٨- تبرئة الاثني عشرية لليهود من هذا التحريف والضلال، وارتضوا أن يرموا به أهل الإسلام الأوائل[4]، مع أن نصوص التوراة تحدثت عن عاشوراء لدى اليهود[5]، وسبق أن فصلت المراد بأي شهر يوافق عاشوراء عندهم.

٩- اتخذ اليهود لهم تذكاراً يحملونه معهم، وهو الخيوط الزرق في أكسيتهم، ليستذكروا بها إله السماء، والإمامية تروي أن السبحات الشيعية كانت خيوطها زرقاء!، وهم يحرصون على أمر الاستذكار وإحياء الذكرى بدعوى المحبة، وهذا مما يدل على أن بعض أعمال غلاة الشيعة قد تكون مأخوذة من اليهود[1].

---

(١) راجع ص١٠٣٦ من البحث.

(٢) راجع ص١٠٣٥- ١٠٣٧ من البحث.

(٣) راجع ص١٠٢١- ١٠٢٥من البحث.

(٤) راجع ص١٠٣٤ من البحث.

(٥) راجع ص١٠٩ من البحث.

(١) راجع ص٦٥٠ من البحث.

١٠- استحقاق أبناء الأنبياء للتعظيم والعبادة عند اليهود، واستئناس الإمامية بهذا المعتقد، فقد روى ابن أعثم في مقتله قول حبر يهودي عند يزيد بن معاوية عن الحسين: (لو كان لموسى ابن كذلك لعبدوه من دون الله...)[١].

١١- تعظيم اليهود لمن يأخذ لهم بالثأر، واتخاذ يوم ثأره تذكاراً[٢]، أشار البيروني إلى أن اليهود يصومون اليوم الثامن من شهر مراحشون، وسببه استذكار إحراق يهويائيم القراطيس المسماة قنيوث، وفيها أحلامهم المستقبلية، وتفسيره النياح، كما أنهم يصومون ثمانية أيام آخر الشهر، أولها عيد الحنكة، ويستذكرون في صوم أحد هذه الأيام قصة رجل له عدة أبناء وبنات، ولاحظ الأبناء عند تزويج أخواتهم قلق أبيهم من ملكهم، ومما يصنعه من انتهاك أعراض النساء قبل أن تزف إلى أزواجهن، ولما بلغ الأمر إلى أصغر الأبناء تزي بزي النساء، وأدخل على الملك كعروس حتى قتل هذا الملك، فعظموا هذا اليوم، ويشبه هذا عند الإمامية تعظيمهم لمن قام بالثأر للحسين، وإن كان من الزنادقة الغلاة، واتخاذ بعضهم له يوماً ومزاراً، كما سيأتي ـ بإذن الله ــ من خبر المختار وغيره؛ هذا في مقابل لعنهم وتكفيرهم لأصحاب رسول الله ﷺ وزوجاته وأصهاره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

١٢- التكلف والتنطع: فاليهود يتكلفون في تحري مواقيت أيامهم ومواسمهم، وذلك بعد أن أضاعوها وحرفوها، ثم تكلفوا بالاحتياط قبلها وبعدها، ولا غرابة فقد ضلوا من قبل عن يوم الجمعة، وتعلقوا بيوم السبت، تعظيماً وغلواً[٣]، مع وجود طائفة منهم تتحرى الحق[١]؛ وكذلك الإمامية لهم تنطع وتكلف في تحري الأهلة والتواريخ[٢]،

(١) راجع ص٨٨١ من البحث.

(٢) انظر: الآثار الباقية، ص٢٧٨.

(٣) راجع ص١١٩- ١٢٦ من البحث.

(١) راجع ص٩٨٤ من البحث.

(٢) ممن تعقب الإمامية في ذلك العلامة المؤرخ والفلكي أبو الريحان البيروني الخوارزمي في مواضع متفرقة من كتابه البديع: الآثار الباقية، وسيأتي -بإذن الله- الاستشهاد بكلامه.

مع مخالفتهم لجمهور المسلمين في حسابهم، ومن ذلك ما أظهروه آخراً من بداية السنة الهجرية، وأنه ليس في محرم، وإنما في ربيع الأول، مع أن هذا يفسد عليهم تعظيمهم لعاشوراء وحساب مقتل الحسين، والتي أثبتتها رواياتهم قبل روايات غيرهم[١]، ومنه ترك بعضهم لصيام يوم عاشوراء، ووترك بعضهم ـ أيضاً ـ صوم عرفة احتياطاً[٢].

حرص الشيعة الإمامية الاثنا عشرية على مخالفة المسلمين ومناسباتهم ومواقيتهم جرى بما لا يعقل لا حساباً، ولا لغة، وإذا كان هذا ظهر وسيظهر من خلال عاشوراء وأحاديثها فقد كان لهم ولأسلافهم مساغ في ذلك، وسيبين من خلال موقفهم من صوم عاشوراء، ومن صوم الأئمة الاثني عشر له، وثبوته في كتبهم[٣]، وقد نبه الأوائل على ظاهرة المخالفة لدى غلاة الشيعة، وتلاعبهم بالنصوص والتواريخ، وممن نبه على هذا العلامة أبو الريحان البيروني، ومع أن البيروني كان يظهر التشيع، ويجل أئمة الزيدية في بلاد الديلم وخوارزم، وصنف لهم التواريخ والتقاويم، لخبرته ومهارته في الفلك والحساب؛ مع ذلك فقد نبه على غلط وتلبيس غلاة الشيعة ـ ممن ينتسبون إلى الجعفرية ـ في هذا الباب، هذا على الرغم من أن المعاصرين من الإمامية يستندون إلى كلامه في نقد بين أمية في عاشوراء؛ لكنهم لم ينتفعوا من تحقيقه في هذا الباب، ويستفاد من نقده لتجاربهم السابقة أنهم حاولوا تثبيت دخول الشهور بالحساب، ونسبوه إلى آل البيت.

الغريب في هذا أن عمل الإمامية شبيه بعمل اليهود في حساباتهم، وتحريهم ألا يوافق السبت بعض مناسباتهم، أو اليوم المجاور له، لئلا تجتمع عطلتان، أو تحريهم لأن توافق مناسباتهم يوماً محدداً، مما فتحوا على أنفسهم باب التحريف والتبديل، وهو ما يعرف عندهم بالدحي، ومثله الكبس في الأشهر القمرية، والتلاعب بمواقع العبادات ومواقيتها، بل منهم طائفة تعرف بالألفانية تمتنع من إقامة جميع الأيام والأعياد الموسمية، بحجة أنها لا تقام إلا مع

---

(١) ينظر ص١٠٢٦، ١٠٧٣، ٢١٢، ٢١٦ من البحث.

(٢) راجع ص١٠٢٦ من البحث.

(٣) انظر حول صوم عاشوراء عند الإمامية الاثني عشرية ص١٠١٤ – ١٠٣٩ من البحث.

نبي، وبهذا أبطلوا شرائعهم[1].

الإمامية تشابه اليهود من هذا الوجه، كما تشابهم في جنس الاستكثار من استذكار أيامهم، والحزن على ماضيهم، وأيام من ثأر لهم، وهم في عاشوراء يطعنون على أهل السنة بدعوى أنهم بقبولهم لروايات عاشوراء يركنون إلى اليهود وأخبارهم؛ وأعجب منه أنهم يركن بعضهم إلى روايات عاشوراء، ويجعل بداية السنة الهجرة من ربيع الأول، وينسبه إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

البيروني كما أنه يثني على أئمة الزيدية ــ كالناصر الأطروش، وشمس المعالي ــ ويذكر محاولتهم لرفع وتخفيف بعض العادات في الأعياد والأيام الموروثة من المجوس والصابئة ونحوهم، كالنيروز والمهرجان[3]؛ فهو غير متهم في الدفاع عن كيد غلاة الشيعة فيما ينسبونه إلى آل البيت، وهو خبير بهذا الجانب، فهو شجى في حلوقهم.

النصارى:

الإمامية الاثنا عشرية حفلت بالنصارى في تشبيههم لغلوهم في الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بغلو النصارى بعيسى عليه السلام، كما شابهتهم في أمور عملية لها علاقة بعاشوراء، وقد مر كثير منها في ثنايا البحث، مما يوحي بتأصل المشابهة والاتصال بين الفريقين، أذكر ما تيسر منها باختصار، إبرازاً لهذا الجانب، فمنها ما يلي:

١- القول بالرجعة، كما سبق عند اليهود.

٢- الغلو في الإطراء للحسين، كما تغلو النصارى في إطراء المسيح ابن مريم، وقد روت الإمامية أنها حذرت من طريقة الضالين، فعن الرضا أنه قال: (إن من تجاوز بأمير المؤمنين عليه السلام العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين، وقال أمير

(١) انظر: الآثار الباقية، ص٢٨٣- ٢٨٤.

(٢) انظر: العروة الوثقى، ٣/ ٦٦٩، كاظم اليزدي، ت/ ١٣٣٧هـ، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي – قم؛ ومن المعاصرين الإمامي جعفر العامي.

(٣) انظر: الآثار الباقية، ص٣، ٦٧، ٢٣٤..٢٩٨، ٣٢٥.

المؤمنين عليه السلام: لا تتجاوزوا بنا العبودية، ثم قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا، وإياكم والغلو كغلو النصارى، فإني بريء من الغالين...)، و(لا تقولوا فينا ربًا، وقولوا ما شئتم، ولن تبلغوا)[1].

٣- عقيدة الإمامية في الولاية التكوينية والتشريعية للأئمة هي حذو القذة بالقذة لعقيدة النصارى في المسيح، وأنه كلمة الله، وكلام الإمامية حول عاشوراء مشحون بالغلو بولاية الأئمة، في زيارات قبورهم، والاستغاثة بهم ودعائهم، وهو عين ما وقعت فيه النصارى، بل أقوال طائفة منهم تنضح بنوع من الحلول والاتحاد والفناء، وإن كانوا يعقبونها بعدم دعوى الربوبية[2].

٤- أن النصارى يشاركون اليهود في الضلال عن ميقات عاشوراء، ولأنهم يشاركونهم في تعظيم عاشوراء الفصح، وعاشوراء يوم الزينة، وفي اتباع ما لم يغير من شريعة موسى، ولكن اليهود يتعمدون إضلالهم فيما سألوهم عنه[3].

٥- مشابهة الإمامية للنصارى في اتخاذ بيت الأحزان، وقد سبق أن النصارى في القرن السادس الهجري ــ زمن الحروب الصليبية ــ سموا بلداً لهم في الشام بهذا الاسم (بيت الأحزان)، بلد بين دمشق والساحل، وهو موضع بيت يعقوب عليه السلام، أو قريباً منه، وذكر المؤرخون أن الإفرنج في الحروب الصليبية عمروا هذا البلد، واتخذوا فيها حصناً، ثم هدمها الملك الناصر يوسف ابن أيوب، سنة ٥٧٥هـ؛ ويشترك الإمامية في مفهوم الأحزان، من خلال بيت الأحزان لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ومن خلال بناء بيوت الحزن والنوح، التي يسمونها المآتم والحسينيات، كما أنهم شاركوا مع النصارى في جعل هذه الدور رصداً للمسلمين من بينهم، خاصة فيما ينشئونه منها باسم نشر التشيع ومحبة آل البيت؛ وقد سبق الحديث عن مشابهتهم

---

(١) راجع ص٣١٦ من البحث.

(٢) راجع ص٣١٤، ٣٢٣، ٧٩١، ٧٩٩ من البحث.

(٣) راجع ص١١٩، ١٢٣ من البحث.

لبني إسرائيل عموماً في مفهوم البكاء، ودعوى المحبة والاصطفاء، كما لا يمنع أن اتصال الإمامية بالنصارى في القرون المتأخرة أثار التوسع في مفهوم الحزن والبكاء والتشابيه والمهرجانات(١).

٦- من صور المشابهة بين الإمامية والنصارى في عاشوراء هي الغلو في الحب والعشق للإمام بما يشبه حال النصارى، ومما يجمع الفريقين الرهبانية التي يتظاهرون بها مما لم يشرع الله لهم، والميل إلى الغنوصية والباطنية والعرفان، والتي أثمرت لهم عبادة الحب والزندقة(٢).

٧- اتخاذ الحسين شفيعاً لمحبيه، كما أن النصارى اتخذت المسيح شفيعاً لأتباعه، وتوسع الفريقان في مفهوم الشفاعة، وأنهما تعرضا للقتل فداء لأتباعهما، وتكفيراً لذنوبهم، وهذا ظاهر في التبرك بالتربة الحسينية وبالصليب، واتخاذ الفريقين لهما حرزاً للأموات في قبورهم؛ ومثله تعميد أتباعهم بالطين ودم التطبير في عاشوراء كما تعمد النصارى أطفالهم بالماء(٣)؛ والغريب أن كتب المقاتل في الأصل لا تخدم نظرية في الشهادة والشفاعة، بل هذه النظرية (عبارة عن تحليل مسيحي النزعة للثورة الحسينية، فكما أنهم يرون في صلب المسيح فديةً لخطايا البشر، كذلك عدّوا الحسين واستشهاده بغرض الشفاعة وغفران الذنوب، ومما يؤسف عليه تغلغل الوعي النصراني في ديننا وليست الإسرائيليات وحدها)(١).

٨- مشابهة الإمامية للنصارى في ظاهرة الزناجيل والتطبير في الاحتفالات الدينية، ومثلها عدد من صور تعذيب النفس وجرح الجسد وتعريته، أو ربط الأقفال عليه، وغيرها من الأفعال التي أخذها الإمامية في إيران من النصارى الأرثوذكس، وكانوا

---

(١) راجع ص٤٣٧ من البحث.

(٢) راجع ٧٩٩، ٨١٩ من البحث.

(٣) راجع ص٥٩٠، ٦٤٠ من البحث.

(١) جدل ومواقف، ص٢٣٤، مقال: (عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة.. تعدّد الأهداف والوسائل)، محمد إسفندياري.

يفعلون هذا التطبير في ذكرى مصائب المسيح عليه السلام، وفيما يعرف بالجمعة العظيمة؛ ومثلها التمثيل لدى نصارى أذربيجان القريبين من إيران، وكانوا يقيمون مسرحيات مصائب المسيح، كغيرهم من النصارى؛ وقد نقله الإمامية إلى عاشوراء بما يعرف بالتشابيه؛ ومثله ما انتشر بين النصارى في أوربا من أيام العشق، كما يجري في منطقة اللورد من مدينة باريس من تعليق أقفال الحب بين العشاق رمزًا للإخلاص الأبدي[1].

٩- مشابهة الإمامية للنصارى في تعظيم أيام مصائبهم واستذكارها بالصوم والحرمان من الملذات، وقد سبق مثل ذلك عند اليهود.

المجوس وأهل الأوثان:

الإمامية الاثنا عشرية لما وقعت في مشابهة أهل الكتاب انفتح لها باب التسامح في المشابهة، حتى شابهوا أهل النحل، كالمجوس عباد النار، والصابئة والهندوس وغيرهم، فلم تسلم شعائر الاثني عشرية من تقليد للمجوس وتأثر بأفعالهم، ومن نقل لثقافات وأساطير الفرس والهندوس إلى موسم عاشوراء، وأذكر بعض ما يبرز هذا الجانب، فمنها ما يلي:

١- تصنيم الحسين، وكأنه رمز وتمثال للحرية والثورة، وكأنه إله الخير في مقابل بني أمية إله الشر، وهذا التقابل بين الخير يظهر في عاشوراء بدرجة بارزة، مما يذكر بها لدى المجوس والثنوية من اتخاذ آلهة للخير، وآلهة للشر، وبناء أساطيرهم وطقوسهم على هذا الاعتقاد الباطل[1]، ومنه كثرة صور الحسين في الحسينيات والمواكب، وكذلك مجسمات الأضرحة والنعوش والكفوف، وبناء شبيهات كربلاء في المناطق البعيدة، كالهند[2].

---

(١) راجع ص٥٦٩، ٥٨٨ من البحث.

(١) راجع ص٣١، ٥٩٩ من البحث.

(٢) راجع ص٩٠٧، من البحث.

٢- زعم الإمامية أنها في مبالغتها في تعظيم التربة الحسينية، والسجود عليها، وأنه من السجود على الأرض، والتي هي أصل الإنسان، كما ذكر مرجعهم آل كاشف الغطاء، وتلميذه عبد الحسين الأميني؛ أن ذلك خلافاً للمجوس الذي يعظمون النار، وأنهم امتازوا ببدعتهم عن المجوس[١]؛ لكنهم غفلوا عن أنهم ابتدعوا ذلك من عند أنفسهم، وضاهوا به شرع نبيهم، كما أنهم لم يسلموا من مشابهة المجوس في إيقاد النيران والشموع، كما يفعل في عيد النيروز وغيره من أعياد المجوس والفرس[٢].

٣- مشابهة الإمامية للبوذيين والزرادشت والصابئة، وقبلهم الأغريق الرومان في المسرح الديني في جانب المأساة، وقد اشتهر أرسطو الإغريقي بفلسفة المأساة، من خلال كتابه: المأساة، والذي يعني منه هو الجانب التراجيدي، والذي تفاخر به الشيعة من خلال مسارح التشابيه المعروفة[٣]؛ ومن الأساطير الزرادشتية التي انتقلت إلى عاشوراء الملحمة الفارسية التي نظمها الشاعر الإيراني الفردوسي، كما في الأفستا ـ الكتاب المقدس لدى الزرادشتية ـ؛ (فكل طقوس العزاء الحسيني مأخوذة بشكل كلي من طقوس عزاء سياوش، كما يتزامن ذلك مع احتفالات أعياد الربيع، أي تشابه التوقيت مع احتفالات دموزي)[١].

ويتضح هذا الجانب بالحديث عن الجانب الأسطوري في حادثة عاشوراء، وآثاره على واقع عاشوراء في مخيلات عوام الشيعة.

---

(١) راجع ص٦٤٥ من البحث.

(٢) راجع ص٩١١ من البحث.

(٣) راجع ص٦٩٧، ٩٠٤- ٩٠٦ من البحث.

(١) انظر: كربلاء بين الأسطورة والتاريخ، ص١٦٥، أحمد لاشين، وتاريخ المسرح في إيران، ص١٦٥، ٢٢١.

المبحث الثاني

التحول من النياحة إلى المهرجان والأساطير

وفيه :

المطلب الأول

كتب المقاتل والأساطير

كتب المقاتل تختص برواية أخبار المقاتل التي جرت في القرون الأولى، ومنها مقاتل آل البيت التي كان للشيعة مزيد حرص على إبرازها، ومن أهم هذه المقاتل أثراً هي كتب مقتل الحسين، وكتب المقتل ــ كغيرها ــ كانت في أولها من جنس الجزء الحديثي، وهو عبارة عن مجموعة روايات يسندها من يحدث بها ويلقيها ويقيدها من روايته هو، فيسندها إلى آل البيت، ثم تكاثرت فيما بعد، فجمعها المتأخرون على شكل مصنف، ثم تطورت إلى فن توزع فيه الروايات وتعليقاتها التي يستحسنها الوعاظ على مجالس أيام عشر محرم، وبهذا تكونت كتب المقاتل ما بين مستقل منها ومستكثر.

من كتب المقاتل تكونت عاشوراء الحسين عند الإمامية بما يشبه الأسطورة، التي قامت عليها كثير من بدع النياحة والحزن في يوم عاشوراء، وعلى مثلها تنزل وتحول الأصول العقدية إلى وقائع عملية ثأرية، وبدع تعبدية ثورية، من أدعية اللعن، وتربة للسجود، واحتفال وفرح بعاشوراء، واستحلاب لقدر المهدي وموعد خروجه؛ وسيكون رصد هذا الأثر السيئ على الإسلام والمسلمين من خلال فقرتين، كتب المقاتل، والجانب الأسطوري للحادثة.

قد يكون كثير من الكتب المتقدمة في مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يثبت نسبته إلى أصحابها، كما أن منها ما لم يفرد بمصنف، ولكن جرى هذه التخصيص بالاسم والإفراد فيما بعد، وهي كثيرة جداً، وبعناوين مختلفة[1]، حرصت أن أعرض منها خمسين كتاباً، في غالبها من كتب

---

(١) آقا بزرك الطهراني الشيعي المعاصر عدَّ كتباً كثيرة في مقتل الحسين، انظر: الذريعة (إلى تصانيف الشيعة)، ٢٢/ ٢٢ـ٣٢، وهي في المصنفات ما بين: ٥٨٢٩ـ ٥٨٨٠= ٥٢، وما بين: ٥٨٩٩ـ ٥٩٠١= ٣، أي أكثر من خمسين كتاباً، ومنها مكرر، ذكرت طائفة منها، هذا ما كان منها بلفظ "المقتل"، كما هي تعبيرات المتقدمين من الإخباريين والمؤرخين، علماً أن هناك ألفاظاً أخرى يرد تحتها المقتل، كالفاجعة، والفواجع، والفوادح، والمصيبة والمصائب، والمأتم، ومقاتل الطالبيين، والروضة، والتحفة، والمجالس، وبحر الدموع، وبحر البكاء، وباب الأحزان، وغيرها، وانظر لهذا .أيضاً -: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٧٢ـ٨٥، ٣٧١ـ٣٨٢، ومواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص١٧٤ـ٣٤٦.

الإمامية الاثني عشرية، أو مما تنقل عنه، وتستكثر به، علماً أن ما صنف منها قبل الغيبة الصغرى فإن نسبته منها إلى الاثني عشرية تجوزاً، والأولى أن يقال من تصنيف أسلاف الإمامية، لأن هذا المصطلح يشمل الزيدية، وخوارج الشيعة، والإسماعيلية، والغلاة من الكيسانية وغيرهم؛ أذكر هذه الكتب حسب ما توفر لي، مع تعليق يسير، إلا ما رأيت أهمية الإطالة حوله، وذلك كما يلي:

١- مقتل الحسين: لأبي القاسم أصبغ بن نباته المجاشعي التميمي الحنظلي، (ت/ ١١٠هـ)، وهو أول كتب في المقتل، كما ذكر الطهراني؛ وأبو جعفر الطوسي يرويه عنه من طريق أبي الجارود الزيدي[١].

٢- مقتل الحسين: لجابر بن يزيد الجعفي (ت/ ١٢٨هـ)[٢]، وذكر أن جابراً كان يؤمن بالرجعة، وأنه كذاب رافضي يروي عنه أبو مخنف، وضعفه ابن حجر[٣]، وله رواية عند الطبري في تاريخه، حول قصة عطش الحسين، وهي من طريق هشام بن السائب الكلبي: حدثني عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي[٤].

٣- مقتل الحسين: لأبي مخنف، لوط بن يحيى الأزدي (ت/ ١٥٧هـ)[٥].

٤- مقتل الحسين: لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت/ ٢٠٤هـ)[٦].

---

(١) انظر: الفهرست، الطوسي، ص٣٨، والذريعة، ٢٢/ ٢٣-٢٤، وأثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٧٢، وأشار إلى أن الأصفهاني في مقاتل الطالبيين لم ينقل عنه، مما يشكك في أصل الكتاب، وفي المعجم الكبير،٣/ ٩٢، رواية توحي بلقاء أصبغ بن نباته لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: الذريعة، ٢٢/ ٢٤، ٤/ ٢٥٠، ٥/ ١٤١، ورجال النجاشي، ص١٢٨-١٢٩، وقد سبقت ترجمته ص٩٥٢ من البحث.

(٣) تهذيب التهذيب، ٢/ ٤١.

(٤) تاريخ الطبري، ٣/ ٣٣٢، وانظر: مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص٦٥، وسيأتي -بإذن الله قريباً- التنويه إلى تعلق الإمامية بها ص٨٩٦، ٩٥٢، ١٠٢٠، ١٠٢٩ من البحث.

(٥) سبق الحديث عنه ص١٥٨ من البحث، وانظر: الذريعة، ٢٢/ ٢٦.

(٦) أبو المنذر الإخباري النسابة، وهشام شيعي رافضي غال كأبيه، متروك، وبعضهم يفضله على أبيه، ووالد هشام هو محمد بن السائب الكلبي الكوفي، وهو إخباري شيعي يقول بالرجعة، وممن حضر دير الجماجم مع ابن الأشعث، انظر: لسان الميزان، ٦/ ١٩٦.

٥- مقتل الحسين: لمحمد بن عمر الواقدي (ت/ ٢٠٧هـ)[١].

٦- مقتل الحسين: لنصر بن مزاحم المنقري الكوفي (ت/ ٢١٢هـ)، ونصر شيعي غال[٢].

٧- مقتل الحسين: لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الأحمري النهاوندي، كان حياً سنة ٢٦٩هـ[٣].

٨- مقتل الحسين: لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي الكوفي، (ت٢٨٣هـ)، قيل بأنه زيدي، ثم أصبح إمامياً[٤].

٩- مقاتل الطالبيين: لمحمد بن علي بن علي ابن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس العلوي، بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ت/ ٢٨٦هـ[٥]، وله اعتبار عند الإمامية، يقول الطهراني: (وكفى في جلالة المؤلف أن في داره حصلت أم الحجة المنتظر بعد وفاة الإمام أبي محمد الحسن العسكري)[٦].

١٠- مقتل أبي عبد الله الحسين: لليعقوبي، ابن واضح (ت/٢٩٢هـ)[٧]، واليعقوبي مؤرخ شيعي غال، وانفرد بذكر قصة أم سلمة: الدم العبيط، وعلمها بمقتل الحسين في حينه وهي في المدينة، وأنها أول صارخة فيها، وإن كان غيره ذكر القصة وفيها: ذكر ملك

---

(١) سبق في مصادر الروايات ص٢١ من البحث.

(٢) انظر: لسان الميزان، ٦/ ١٥٧، ورجال النجاشي، ص٤٢٨، وأثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٩٦، وانظر مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص١٧٠، وذكر أنه لم يصلنا من روايته شيء.

(٣) انظر: الذريعة، ٢٢/ ٢٣.

(٤) الثقفي من ولد عم المختار، انظر: الذريعة، ٢٢/ ٢٣، ورجال النجاشي، ص١٦ـ١٨، والطوسي في الفهرست، ص٣٦.٣٨.

(٥) وهو من مصادر أبي الفرج الأصفهاني في كتابه مقاتل الطالبيين، انظر: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٢١٥.٢١٧.

(٦) الذريعة، ٢١/ ٣٧٧.

(٧) انظر: الذريعة، ٢٢/ ٢٣.

القطر، والصرة بدل القارورة[١].

١١- مقتل الحسين: لمحمد بن زكريا بن دينار الغلابي الجوهري، البصري، الإخباري الشيعي (ت/ ٢٩٨هـ)[٢].

١٢- مقاتل الطالبين: لابن عمار الثقفي (ت/ ٣١٤هـ).

١٣- مقتل الحسين: لابن أعثم الأزدي الكوفي (ت/ بعد ٣٢٠هـ)[٣]، وهو مؤرخ رمي بالتشيع، ومما يؤيد تشيعه ما أورده عند مقتل الحسين، ومنه قول حبر يهودي عند يزيد بن معاوية عن الحسين: (لو كان لموسى ابن كذلك لعبدوه من دون الله...)[٤].

١٤- مقتل الحسين: للجلودي الأزدي البصري، ولعل اسمه عبد العزيز، (ت/ ٣٣٤هـ)[٥].

١٥- مقاتل الطالبيين: لأبي الفرج الأصفهاني (ت/ ٣٥٦هـ)[٦].

---

(١) انظر: تاريخ اليعقوبي، ص٢٠٦-٢٠٩، وأثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٢٣١، ٢٤٠.

(٢) انظر: وهو من شيوخ الجوهري صاحب: السقيفة وفدك (المقدمة)، ص١٦، لأبي بكر، أحمد بن عبد العزيز الجوهري البصري، ت/ ٣٢٣هـ، ت. محمد هادي الأميني، ت/١٤١٣هـ، شركة الكتبي - بيروت، وأثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٩٦، ومواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص١٧١.

(٣) راجع ما سبق عن عوانة بن الحكم، ص١٦٠ من البحث.

(٤) من كتبه: التاريخ والفتوح، انظر: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٢٦٣، ٢٧٩-٢٨١، ولم يذكر له هذا الكتاب على استقلال، ولعله منتزع من أحد الكتابين المذكورين، وأطال الباحث في النقل عن كتاب الفتوح، وهناك رسالة ماجستير غير منشورة، من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بعنوان: (ابن أعثم الكوفي منهجه وموارده في خلافة أبي بكر الصديق)، عبد العزيز بن عمر البيتي، وانظر: مقتل الحسين (مقتل الحسين وقيام المختار وقيام التوابين)، لابن أعثم الأزدي الكوفي، ت/٣٢٠هـ، دار الهدى- إيران.

(٥) انظر: الذريعة، ٢٢/ ٢٥-٢٦؛ وربما يكون صاحب: السقيفة وفدك، لقرب الوفاة وقد سبق ذكره بالحواشي القريبة.

(٦) وهو أموي نسباً، زيدي مذهباً، وكان شرطه في كتابه ألا يذكر مقتل طالبي إلا إذا كان (على منهج أسلافه دون من حاد عنه، أو كان خروجه على سبيل الفساد والعبث)، انظر: الذريعة، ٢١/ ٣٧٥، وأثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص٢٨٢-٢٨٧، وناقش الباحث استغراب العلماء من تشيع أبي الفرج مع كونه ينتسب إلى بني أمية.

١٦- مقتل الحسين: لابن بابويه القمي، الصدوق[(١)]، (ت٣٨١هـ)[(٢)].

١٧- مقتل الحسين: لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، ت/ ٤٦٠ هـ[(٣)].

١٨- مقتل الحسين: لعبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا، وهو مفقود إلى الآن، ونقل عنه ابن الجوزي، وابن تيمية، وابن كثير[(٤)].

١٩- مقتل الحسين: لأبي القاسم الحسين بن مسعود البغوي (ت/٥١٦هـ)، وأشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية[(٥)].

٢٠- مقتل الحسين: لأبي القاسم محمود بن المبارك بن الحسين البقرة، المعروف بالمحبر (ت/٥٩٢هـ)[(٦)].

٢١- استشهاد الحسين، للإمام الطبري، وهو ما نقله الطبري من رواية المقتل لأبي مخنف، وطبع معه رأس الحسين، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٢٢- مقتل الحسين: لعلي بن محمد المدائني، وربما أنه من السنة، فقد ذكر الطوسي عنه: (عامي المذهب)[(٧)].

٢٣- مقتل الحسين: لسلمة بن الخطاب البراوستاني.

---

(١) ابن بابويه القمي "الصدوق" محدث وأخباري إمامي مشهور، والأرقام من (٧، ١٢، ١٤، ١٦) ذكرت ضمن الإخباريين الغاليين في التشييع، انظر: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، ص١١٦، ١٢٠، ١٢٢.

(٢) قال أحد الباحثين من الشيعة: (هناك من يذكر في آثار الصدوق كتاباً باسم مقتل الحسين، إلا أنّه لا وجود له مستقلاً حالاً، ولا يُستبعد أن تكون تلك الأمالي التي دوّنها طلابُه تعبيراً عن قسم من الكتاب المفقود)، انظر: جدل ومواقف، ص٢٣٣، مقال: (تاريخية تدوين المقتل الحسيني.. من التدوين إلى العاطفة إلى التوثيق)، محمد جواد صاحبي.

(٣) انظر: الذريعة، ٢٢/ ٢٧.

(٤) أشار إليهما شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة، ١/ ٣٣١، ورأس الحسين، ص١٧٣،لا بن تيمية، ٦٦١-٧٢٨هـ، ت. د. السيد الجميلي، دار الريان .مصر، وانظر: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص١٧٠-١٧٢.

(٥) المرجع السابق.

(٦) انظر: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص١٧٢.

(٧) الفهرست، الطوسي، ص١٦٥.

٢٤- مقتل الحسين: لأبي زيد الخيواني الهمداني.

٢٥- مقتل الحسين: لأبي جعفر محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري القمي.

٢٦- مقتل الحسين: لضياء الدين، أبو المؤيد موفق الدين أحمد، أخطب الخطباء، الخوارزمي، وهو في مجلدين(١)، وينقل عنه المجلسي في بحار الأنوار باسم مناقب الخوارزمي، وهو من أهل السنة، ومن الأخبار التي سبق ذكرها خبر تسحر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلة مقتله، ورؤياه النبي ﷺ يقول له: (**فليكن إفطارك عندي الليلة**)(٢).

٢٧- مقتل الحسين: لمحمد بن يحيى العطار القمي.

٢٨- مقتل سلطان العاشقين (الحسين): لحيدر الحسيني، نشر مؤسسة الأسفار، بيروت.

٢٩- مقتل الحسين: لمرتضى عباد.

٣٠- مقتل الحسين: لعبد الرزاق المقرَّم (١٣١٦.١٣٩١هـ)(٣).

٣١- من قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لعبد الله بن عبد العزيز، معاصر، وهو للرد على الرافضة في المقتل وغيره، وهو مطبوع عدة طبعات، ومنها ما هو منشور على شبكة الانترنت.

شاعت في الأزمنة المتأخرة قراءة بعض الكتب في مجالس العزاء لما تحتويه من نثر مسترسل، وكلام عاطفي، يستحسنها الجهال، لكن يغلب على هذه الكتب العاطفة، والحزن والتباكي والمراثي، ويقل التذكير فيها الاسترجاع والتصبر، وذكر الفضائل والغلو، ولعن الأعداء، أكثر من السرد التاريخي، وهذا مما سوغ كثرة الكذب في كتب المقاتل، والتوسع فيها، وهذا منتشر في كتب مشاهيرهم، فضلاً عن غيرهم، إذ كانت تتعرض للزيادة والتحريف، تحرياً

---

(١) انظر: العواصم والقواصم، لابن الوزير، ٨/ ٤٩، ٩٩، وقال عنه: الحافظ، موفق الدين بن أحمد، وذكر أن مقتله عنده في مجلدين، والأعلام، للزركلي، ١/ ٢١٥، ٨٧/٧، ٧/ ٣٣٣، وذكر في الأول والثالث الموفق أحمد، أو ابن أحمد الخوارزمي، وأنه يشتهر بابن المكِّي (٤٨٤- ٥٦٨ هـ)، وذكر أن له: مناقب أبي حنيفة، وفي الموضع الثاني: محمد بن محمود (٥٩٣- ٦٥٥ هـ)، وأنه ينعت بالخطيب، وأن له: مسانيد أبي حنيفة، فكلاهما حنفيان، وانظر: مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص١٧٢.

(٢) انظر: بحار الأنوار، ٤٥/ ٣، ٥٨/ ١٨٣؛ وراجع ص١٠٣٣ من البحث.

(٣) انظر: الذريعة، ٢٢/ ٣٢، ومقتل الحسين، عبد الرزاق المقرم، ت/ ١٣٩١هـ، ط٥، ١٣٩٩هـ، دار الكتاب الإسلامي. بيروت.

لاستحسان القارئ والسامع، وتستوحي معاناة الحاضرين، ورموزهم قبل الإسلام، حتى ولو كان فيها ثناء على الغلاة والزنادقة زمن الأئمة؛ مع وجود محاولات لتخفيف هذا الجانب، ولكنها كالقطرة في البحر، يقول علامتهم المعاصر الطهراني حول كتاب مقتل الفجيعة، لمؤلف فارسي: (المقاتل الفارسية كلها مشتمل على نقايص، حتى أن الفاضل المعاصر جناب المرحوم المولى مهدي النراقي مع شدة اهتمامه في تهذيب كتابه "محرق القلوب"، المنتشر نسخه بين الناس، لم يخل من جملة مما لا يجوز قراءتها، ولذا ألف هذا الكتاب المنزه عن تلك النقائص وهو في غاية المتانة، ولذا لم يذكر مصائب سائر الاثني عشر، لعدم ثبوت قتلهم وقاتلهم)[1].

كتب المقاتل كثيرة، تتجاوز المئات، اختلط فيها السرد التاريخي والجانب العاطفي، كسوق الأشعار والأمثال، أو التنبيه على بعض الأعمال والدعوة إليها، ومثلها ما تضمن الحديث عن الزيارات للقبور، وآدابها، وسأذكر بعض هذه الكتب مكملاً التسلسل السابق، ومن هذه الكتب ما يلي:

٣٢- مقتل الحسين، لمحمد بن أبي طالب بن أحمد الحسيني الحائري، وتضمن روايات شاذة، ولم يرد اسم الكتاب في المصادر المتقدّمة، وهو ضمن بحار الأنوار[2].

٣٣- مثير الأحزان ومنير سبل الأشجان، لجعفر بن محمد بن جعفر بن أبي البقاء، ابن نما الحلي (ت/٦٤٥هـ)[3]، وقد ذكره المجلسي من مصادره في بحار الأنوار[4]، ولابن نما:

(١) الذريعة، ٢١ / ٣٥٩.

(٢) انظر: بحار الأنوار، ٤٤ / ٣١٠.

(٣) سبق الحديث عنه ص٣٨١ من البحث، وابن نما من تلاميذ ابن إدريس، وشيخ للمحقق الحلي، ولابن طاووس الحلي، علماً أن (ابن نما) قد يطلق على غيره، وقد يتكرر في ذريته وأحفاده. وقد يذكر أن وفاته سنة ٦٨٠هـ، وسبق أن وفاته كما ذكر الطهراني في: الذريعة، ١٩/ ٣٤٩، عام ٦٤٥هـ، ولعله سبق يدل عليه قوله: (عدة قرون)، ولعله وهم على أحد ذريته فهناك من حمل اسمه ثلاثياً، منهم حفيده: جعفر بن محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر، في القرن الثامن، أو التاسع، ولعله الذي ذكره مقدم كتاب ذوب النضار، لابن نما الحلي، ت/ ٦٤٥هـ، صاحب المقتل المشهور: مثير الأحزان، انظر: ذوب النضار، ص٣٥.

(٤) طبع الكتاب مع كتاب: نور العين بمشهد الحسين، للأستاذ الاسفراييني، محمد بن إبراهيم الشافعي، ت/ =

شرح الثار على أحوال المختار، اسمه: ذوب النضار شرح الثأر، يثني على المختار، ويذكر صلاحه!، ودافع عنه[1]، مع أنه من الغلاة، ونسبته إلى الكيسانية، وهذا يشير إلى أن طرق مسألة الثأر قديم، ويوحي بتداخل الإمامية مع فكر الغلاة، والذين تأثر بهم بعض الإمامية، كالإخبارية، حيث ممن ألف في المقاتل بعض الزيدية المتقدمين وغيرهم ممن يقول بالرجعة، وقد ضمنها المجلسي في بحاره[2].

٣٤- درر السمط في خبر السبط، ابن الأبار، القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي الأندلسي، ت/ ٦٥٨هـ[3].

٣٥- اللهوف على قتلى الطفوف، لأبي القاسم، علي بن موسى بن طاووس الحلي[4]، ت/ ٦٦٤هـ، وهو كتاب مشهور، وطبع مراراً[5].

٣٦- مقتل الشهداء: لأبي المفاخر الرازي، وهو من مراجع روضة الشهداء[6].

٣٧- روضة الشهداء، للملا حسين على الكاشفي البيهقي، (ت/ ٩١٠هـ)، وهو ممن اختلف في تشيعه، ولعله ممن جمع التصوف والتشيع[7]، ولكن كتابه لقي رواجاً وانتشاراً، ويحتمل أنه أول مقتل فارسي، حتى أصبحت مجالس العزاء تسمى به، مجلس الروضة،

= ٤١٨هـ، وطبع أيضاً طبعة أخرى قديمة مع مقتل: قرة العين في اخذ ثأر الحسين، انظر: الذريعة، ١٧/ ٧٣، ١٩/ ٣٤٩، وبحار الأنوار، ١/ ١٧، ٤٤/ ٢٠٢، ٤٥/ ١٠٧.

(١) انظر: بحار الأنوار، ٤٥/ ٣٤٦.٣٨٧.

(٢) انظر: بحار الأنوار، ٤٤/ ٣١٠.

(٣) انظر: الذريعة، ٨/ ١٢٤، ومواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، ص١٧٣.

(٤) سبقت ترجمته ص٤٩ من البحث، والاستشهاد بكتبه في الأدعية واللعن، والتعليق على انفراده بمسائل كثيرة في الطعن والتحريف، ومنها كتابه الطرائف الذي كتبه على لسان رجل ذمي يطعن على المسلمين.

(٥) انظر: الذريعة، ١٨/ ٣٨٩.

(٦) انظر: الذريعة، ١١/ ٢٩٥، ٢٢/ ٣٢.

(٧) انظر: جدل ومواقف، ص٢٣٤، مقال: (تاريخية تدوين المقتل الحسيني.. من التدوين إلى العاطفة إلى التوثيق).

وقارئها يسمى: قارئ الروضة، وعند العجم: روضة خان، ويتضمن سير وتراجم آل البيت، وهو من جنس ما يقرأ في الموالد، من الفضائل والكرامات[1]، واعتنت الإمامية بهذا الكتاب، ما بين مختصر وناظم، ومن ذلك: نظم كتاب روضة الشهداء على نظام ملحمة، لحسين فدائي النيسابوري.

٣٨- منتخب الطريحي، أو المجالس الطريحية "المنتخب في جمع المراثي والخطب"، لفخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن طريح النجفي، ت/ ١٠٨٥هـ، والذي رتبه بنسق جديد غير معهود، فخصص لكل ليلة من محرم مجلساً خاصاً، وقسمه إلى أبواب يبدؤها ويضمنها فضائل ومراثي أهل البيت، ورتبها بشكل متناسق من حيث الموضع[2]، وما زال الخطباء يرجعون إليه، ورسخ فيه إشغال أيام عشر محرم الأولى بالمآتم، وتقدمها على يوم عاشوراء، وقد سبقه إلى تقرير هذا ابن طاووس[3]، وقد طبع هذا الكتاب مراراً؛ ومن غرائبه ومناكيره التي تنقل عنه قصة زينب بنت علي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، حين كانت راكبة على المحمل، فضربت رأسها بطرفه فأدمته، وهي حجتهم في مشروعية التطبير، وتناقلها عنه من بعده، مثل المجلسي، في بحار الأنوار[4].

٣٩- بحار الأنوار، لشيخ الدولة الصفوية، محمد باقر المجلسي، ت/ ١١١١هـ، وقد تضمن عدداً من كتب المقاتل، واتخذ بعضها من مصادر الكتاب[5].

---

(١) اشتهر من يقرأ مصيبة المقتل بـ(الروضة خوان)، أي قارىء الروضة، انظر: الذريعة، ١١/ ٢٩٥، وانظر: موقع الشيعي: حسين الراضي، على الرابط التالي:
http://www.alradhy.com/hadeth/alahadeth26/12-2.htm

(٢) انظر: منتخب الطريحي (في جمع المراثي والخطب)، فخر الدين الطريحي، ت/ ١٠٨٥هـ، ط ٢٠٠٣م، مؤسسة الأعلمي – بيروت.

(٣) الذريعة، ٢/ ٢٧٩، ١٩/ ٣٦١، ٢٢/ ٤٢٠، وانظر: جدل ومواقف، (تاريخ المآتم الحسينية في العهد القاجاري)، ص٧٢.٧٤.

(٤) بحار الأنوار، ٤٥/ ١١٤، وراجع ص٥٧٠ من البحث.

(٥) انظر: بحار الأنوار، ١/ ١٧.

٤٠- مقتل العوالم، للأخباري عبد الله البحراني الإصفهاني، ت/ ١١٣٠هـ، تلميذ المجلسي، وكتاب العوالم موسوم بـجامع العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والاخبار والأقوال، أو عوالم العلوم والمعارف، وهو كتاب موسوعي كبير، يزيد على بحار شيخه المجلسي، قيل: إنه يبلغ مئة مجلد، والمقتل هو الجزء السابع عشر منه[(١)].

٤١- محرق القلوب، للملا مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني، ت/ ١٢٠٩هـ[(٢)]، بالفارسي، ظريف الأسلوب متداول مطبوع، وفيه أخبار ضعاف وغرائب، وهي تكثر في المقاتل الفارسية[(٣)]، وهو مرتب على مقدمة وعشرين مجلسا، وقال الطهراني في نقد الكتاب: (ومما فيه أن المروي عن الإمام الصادق "ع" أن ما عوض عن شهادته أربعة: رابعها عدم احتساب أيام الزيارة من عمر زائره)[(٤)].

كما وجه للكتاب نقد من الدراسات الشيعية المعاصرة، حيث رسخ الكتاب لفكرة أن استشهاد الحسين في مقابل الحصول على مرتبة الشفاعة الكبرى!، (وهذه درجة لا ينالها إلا باستشهاده؛ لأنّ محو معاصي الأمة والشفاعة لها متوقّف على مسيل الدم وبروز الألم)، وهذه النظرية في أنّ الحسين استشهد من أجل نيل الشفاعة، فصار شهيداً لكي يكون شفيعاً؛ مع أن كتب المقاتل لا تخدم هذه الفكرة في الأصل، وأن هذا (عبارة عن تحليل مسيحي النزعة للثورة الحسينية، فكما أنهم يرون في صلب المسيح فديةً لخطايا البشر، كذلك عدّوا الحسين واستشهاده بغرض الشفاعة وغفران الذنوب، ومما يؤسف عليه تغلغل الوعي النصراني في ديننا وليست الإسرائيليات وحدها)[(٥)].

---

(١) انظر: الذريعة، ١٥/ ٣٥٦، والعوالم، ج ١٧: "الإمام الحسين"، عبد الله البحراني، ت/ ١١٣٠هـ، بإشراف محمد باقر الأبطحي الاصفهاني، ط١، ١٤٠٧هـ، مدرسة الإمام المهدي – قم؛ والعوالم طبع المقتل منه على استقلال.

(٢) انظر: جدل ومواقف، تاريخ المآتم الحسينية في العهد القاجاري، ص٧٢. ٧٤.

(٣) انظر: الذريعة، ٢١/ ٣٥٩، ومما جاء فيه: (المولى مهدي النراقي مع شدة اهتمامه في تهذيب كتابه "محرق القلوب" المنتشر نسخه بين الناس لم يخل من جملة مما لا يجوز قرائتها).

(٤) الذريعة، ٢٠/ ١٤٩.

(٥) جدل ومواقف، ص٢٣٤، مقال: (عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة.. تعدّد الأهداف والوسائل)، محمد =

هذا النقد هو نقد عقلاني في مقابل الاستغلال للرمزية الباطنية والتصوف، والذي طغى على المذهب الإمامي، الذي أوصل عاشوراء إلى هذه الحال، فانقلب فكرة الانتظار إلى الخروج والثورة، والذي هو من خصائص عصر الظهور.

٤٢- الفوادح الحسينية والقوادح البينية (مقتل آل عصفور)، لحسين بن محمد ابن أحمد، الدرازي آل عصفور البحراني، ت/ ١٢١٦هـ، عمه الإمامي الإخباري المشهور يوسف البحراني، والفوادح على نهج منتخب الطريحي، رتبه على عشرين مصيبة "فادحة"، يقرأ في عشر محرم كل يوم فادحتين![1].

٤٣- طوفان البكاء، في مقاتل الشهداء، للميرزا إبراهيم بن محمد باقر الجوهري، الهروي القزويني الأصفهاني، ت/ ١٢٥٢هـ، وكان ماهراً في نظم المراثي بالفارسية[2].

٤٤- مفتاح البكاء في مصيبة خامس آل العباء، فارسي، في مقتل الشهداء، للحاج مولى محمد صالح بن الآغا محمد البرغاني القزويني، ت/١٢٨٣هـ[3].

٤٥- إكسير العبادات في أسرار الشهادات، للملا آغا بن عابد بن رمضان الشيرواني، المعروف بالفاضل الدربندي، ت/ ١٢٨٦هـ، وهو مشحون بالمؤثرات العاطفية، والروايات الخرافية المستهجنة، ويقول الطهراني مزكياً غفلة مؤلفه: (ومن شدة خلوصه وصفاء نفسه نقل في هذا الكتاب أموراً لا توجد في الكتب المعتبرة، وإنما أخذها عن بعض المجاميع المجهولة، اتكالاً على قاعدة التسامح في أدلة السنن، مع أنه لا يصدق البلوغ عنه بمجرد الوجادة بخط مجهول)[4]، وهذه القاعدة وتصوف أهلها واستحسانهم لأهوائهم قام عليها المذهب، وخاصة قي الشعائر البدعية عند القبور وفي المواسم.

=

إسفندياري.

(١) انظر: الذريعة، ٢١/ ٣٢١.

(٢) انظر: الذريعة، ٩/ ٢١١، ١٥/ ١٨٢، وجدل ومواقف، ص٧٢-٧٤، مقال: (تاريخ المآتم الحسينية في العهد القاجاري.

(٣) انظر: الذريعة، ٢١/ ٣٢١.

(٤) الذريعة، ٢٢/ ٤٢٠.

٤٦- القمقام الزخار والصمصام البتار، فرهاد بن عباس الميرزا، حفيد الملك القاجاري فتح علي شاه، ت/ ١٣٠٥هـ[١].

٤٧- مفتاح الجنة، الذي هو عن النار جنة، في المناقب والمصائب، فارسي، للمولى محمد، الشهير بالمقدس الزنجاني، ت / ١٣١٢هـ، رتبه على مقدمة، و ٥٥ مجلساً، وخاتمة، وله كنز الغرائب في المعجزات[٢].

٤٨- مثير الأحزان في أمناء الرحمان، مرتب على عشرة مجالس لأيام العاشوراء، لشريف بن عبد الحسين بن محمد حسن، صاحب الجواهر، النجفي، ت/ ١٣١٤هـ[٣].

٤٩- نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم، للمحدّث عباس القمي، ت/ ١٣٥٠هـ، وهو من أشهر هذه الكتب، وأكثرها انتشاراً، ومنح المؤلف مكانة لدى الطائفة، إضافة إلى كتبه القبورية، وكتب الأذكار، كمفاتيح الجنان، وجاء كتاب نفس المهموم أكثر دقّةً وتنقيحاً من غيره، وإن كان يواجه نقداً واضحاً، خاصة مع توسع مشروع مراجعة مرويات عاشوراء عند الباحثين المعاصرين، ومع ظهور الحركات السياسيّة والفكرية والاجتماعية المتأثرة بالمناهج والدراسات الغربية المعاصرة[٤].

٥٠- المجالس الفاخرة، في مآتم العترة الطاهرة، للمرجع اللبناني عبد الحسين بن يوسف بن جواد الموسوي العاملي، وهو عبد الحسين شرف الدين، ت/١٣٧٧هـ صاحب كتاب المراجعات[٥]، وفي مقدمة المجالس ذكر فضل البكاء وأسرار شهادته وفلسفتها، وقد طبع منه المقدمة[٦]، وهو ممن شنع على محسن الأمين في إنكاره لبدع عاشوراء.

---

(١) انظر: الذريعة، ١٧/ ١٧١، وفرهاد من تلامذة الميرزا عيسى قائم مقام فراهاني (الصدر الأعظم).

(٢) انظر: الذريعة، ٢١/ ٣٢٥.

(٣) انظر: الذريعة، ١٩/ ٣٥٠.

(٤) جدل ومواقف، ص٢٣٤، مقال: (تاريخية تدوين المقتل الحسيني.. من التدوين إلى العاطفة إلى التوثيق).

(٥) عبد الحسين بن يوسف، شرف الدين العاملي الموسوي (١٢٩٠- ١٣٧٧هـ)، صاحب كتاب المراجعات، تعلم بالنجف، وعاد مرجعاً لجبل عامل، من كتبه المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، ومؤلفو الشيعة في صدر الإسلام، انظر: الأعلام، الزركلي، ٣/٢٧٩.

(٦) انظر: الذريعة، ١٩/ ٣٦٢.

بعد هذا العرض أنقل جزءاً من دراسة شيعية معاصرة عرضت لكتب المقاتل التي تقرأ في مجالس العزاء أيام عاشوراء، وهي تصور وضع تلك الكتب في العصرين الصفوي والقاجاري، منوهاً بما قبلهما، وما بعدهما، ليتضح من خلالها مدى الانحراف كلما تباعد الزمن، ومدى التزيد في التاريخ، يقول محمد جواد صاحبي في مقال له مطول، بعنوان: "تاريخية تدوين المقتل الحسيني.. من التدوين إلى العاطفة إلى التوثيق"، يقول: (وكانت خاتمة هذا النوع من المقاتل الروائية كتاب: مثير الأحزان، لنجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر بن هبة الدين ابن نما الحلي (٨٤١هـ)[1]، ثم هجرت هذه الطريقة لعدّة قرون، وفي القرن العاشر ظهر نمطٌ جديد من المقاتل أقحمت في نصوصها بعض الأهواء والميول والأهداف السياسية، مع إشراك خاصّ للعاطفة والأحاسيس الدينية؛ فاستُبدلت الروايات التاريخية بالمقاتل السردية، ولعلّ الريادة في هذا المجال تعود لكتاب "روضة الشهداء"، للملا حسين واعظ الكاشفي (ت/ ٩١٠هـ)، وقد تباينت أقوال أرباب السير في حقيقة مذهب هذا الرجل وانتمائه)[2].

يشير هذا الكاتب إلى أن بعض روايات المقتل مما لا نظير له في الكتب والمصادر المتقدّمة؛ وأنه من اسم الكتاب اشتقّ مصطلح الروضة على مجالس العزاء الحسيني، فقد حظي بشهرة وانتشار واسعين؛ وإليه تعزى بعض الأساطير والخرافات المقحمة في نصوص عاشوراء، فشقّت طريقها إلى بعض كتب الرواية والتاريخ، واعتمدتها بعض المراجع !، وهذا من غرائب القوم.

أما عن العصر الصفوي فيذكر مصدرين تحدّثا عن مقتل الحسين، أحدهما: مقتل العوالم، لعبد الله البحراني الإصفهاني، تلميذ المجلسي، والآخر: ما جاء ضمن موسوعة كتاب بحار الأنوار، للمجلسي، وجاءت نصوصهما على غرار الأسلوب السابق، فأسندت بعض الروايات لمصادرها القديمة، وترك بعضها الآخر دون إسناد، وتتضمن روايات شاذة.

أما في العصر القاجاري فيقول الكاتب: (ونطالع في عهد القاجاريين اسم الملا آغا الشيرواني المعروف بالفاضل الدربندي (١٢٨٦هـ)، وهو من تلامذة شريف العلماء

---

(١) سبق ذكره قريبا، راجع ص٨٨٢.

(٢) جدل ومواقف، ص٢٣٤، مقال: (تاريخية تدوين المقتل الحسيني.. من التدوين إلى العاطفة إلى التوثيق).

المازندراني، حيث كان له كتاب ذكر فيه أخبار مقتل الحسين عنوانه: "إكسير العبادات في أسرار الشهادات"، وقد نهج فيه الدربندي أسلوباً مؤثراً في تحريك العاطفة واستمالة الأحاسيس، بغية إبكاء القارئ على مصاب الحسين، وهو السبّاق في هذا المجال، على أنّ الكتاب لا يخلو من هزالة في بعض جوانبه....

في القرن الثالث عشر الهجري جاء دور فرهاد بن عباس الميرزا حفيد الملك القاجاري فتح علي شاه، وكان من تلامذة الميرزا عيسى قائم مقام فراهاني (الصدر الأعظم)، فكتب بين الأعوام: ١٣٠٣ ـ ١٣٠٤هـ كتاباً بعنوان: "القمقام الزخار والصمصام البتار"، معلّلاً مبادرته هذه بظهور الخلاف في الروايات وامتزاجها بتعليقات الرواة والشعراء والخطباء في مواضيع عاشوراء؛ وكان يرى في قوّة انتشارها ما لا يمكن تمييزه إلا على العالم الخبير، ولهذا صار بصدد إصدار كتاب منقّح خالٍ من الحشو، يتناول حياة الحسين من الولادة وحتى الشهادة...)(١).

أما في القرنين الأخيرين، فيقول: (في القرن الرابع عشر كتب الشيخ المحدّث عباس القمي كتابه "نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم" بالأسلوب نفسه وللغاية ذاتها، وجاء الكتاب أكثر دقّةً وتنقيحاً من سابقه.

أما في القرن الخامس عشر فقد حظيت قضية الحسين باهتمام واسع؛ لظهور الحركات السياسيّة الاجتماعية على الساحة الإسلامية، فبات من الضروري التحقيق في أخبار عاشوراء ومقتل الحسين؛ فصدر العديد من المؤلّفات بأساليب التحقيق المنهجي الحديث، وبلغة معاصرة وأدبيات حيّة بما يفي ـ إلى حدّ ما ـ بتطلّعات المرحلة...)(٢).

لكن لعل الحركات السياسية زادت الطين بلة، فلم نشهد حتى الآن موقفاً علمياً جاداً في منع الأباطيل والبدع، وما سبق من تصوير حال كتب مقتل الحسين هو الذي أنتج منها نمطاً جديداً تراكمياً، وهو النمط الأسطوري، وهو حديث المطلب القادم.

---

(١) جدل ومواقف، ص٢٣٤، مقال: (تاريخية تدوين المقتل الحسيني.. من التدوين إلى العاطفة إلى التوثيق).

(٢) جدل ومواقف، ص٢٣٤، مقال: (تاريخية تدوين المقتل الحسيني.. من التدوين إلى العاطفة إلى التوثيق).

المطلب الثاني

المقتل من الواقعة إلى الأسطورة

يضاف إلى ما سبق من الخلل في كتب التاريخ التي حكت حادثة مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أن العناية المتكررة من جانب بعض طوائف الشيعة أوصلها إلى ما يشبه الأسطورة، والكتاب المعاصرون منهم ما بين معجب بهذه الإضافة، وما بين كاره لها، خاصة إذا تصورنا أن حادثة المقتل أصبحت مادة الدعوة إلى الدين الحق، الذي يدعون تقديمه لإسعاد البشرية، فبينما يعجب البعض بالجانب الأسطوري للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، باعتباره رمزاً لطائفة، أو فرقة، أو بلد، يرفض آخرون هذا الجانب، ويرون أنه ظلم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي خرج ليدفع الظلم؛ والذي يعنينا هنا هو الواقع الأسطوري المعاصر كما يروى في مجالس العزاء، وهو وإن كان نتيجة للخلل في كتب الروايات والمقاتل والتاريخ والعقائد، إلا أننا لسنا معنيين بمحاسبة السابقين، بل بتوصيف موقف المعاصرين من الإمامية الاثني عشرية، مع أنهم يعانون موقفاً مزدوجاً تجاه هذا الجانب، كما سيتضح ــ بإذن الله ــ؛ فالتراث السابق ليس حصراً عليهم، أو من نتاج أسلاف طائفتهم، فإذا كانت الإمامية المعاصرة تتبرأ من الفرق الغالية السابقة واللاحقة فإنها مدينة لتراث تلك الفرق.

مما يبرز من عناصر الجانب الأسطوري في الحادثة، وفي عموم العقائد الشيعية المرتبطة بعاشوراء، والذي يشير إلى جانبها الرمزي، يبرز عنصران كما تشير إليه الباحثة د. سلوى العمد، حيث تقول: (على أن عنصرين من عناصر أسطورة الحسين يغلبان على العقائد الإمامية المعاصرة، وهما: الاستذكار السنوي لعاشوراء في مجالس العزاء، والطابع الأيديولوجي السياسي، الذي يتسم به هذا الاستذكار في مضامين الخطب والأشعار المواكبة للذكرى، والأيديولوجيا والطقوس هما في الواقع وجهان لعقيدة واحدة متكاملة، هي الأيديولوجيا السياسية الدينية المعارضة، فشعار الثورة تغذيه الطقوس التي تسهم في تعبئة المشايعين

وتأطيرهم، ومن ثم تعزيز التضامن الداخلي للطائفة)[1].

تصنف الدكتورة سلوى العمد المؤلفات الشيعية حول مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ثلاثة أصناف، هي كما يلي:

١- أسطوري: وهي تلك المؤلفات التي ظهرت في الفترة ما بين القرنين ٤ ـ ٧، وهذا النوع من المؤلفات مسبوق ـ ولو لعدة عقود ـ بممارسات طقسية شفوية، إلا أنهما جميعاً سابقين لما يعرف بأدب المراثي الذي يعتبر حديثاً نسبياً، ولهذا المنحى امتداد في مؤلفات الإمامية المعاصرة.

٢- طقسي: وهي التي تمتزج بمضمون تعبوي للجمهور، وهي التي تغذيه كتب أدب المراثي، ويتضح حضور هذا المنحى في فترة الظروف السياسية الضاغطة على المجتمعات الشيعية.

٣- تاريخي: وهي تلك المؤلفات التي تكتفي بتصوير الحسين بأنه شخصية استثنائية في التاريخ[2].

يزيد الأستاذ أحمد لاشين الجانب الأسطوري في حادثة عاشوراء إيضاحاً فيذكر أنه يمر بناؤه الملحمي في بداية تدوين الحادثة بثلاثة مراحل وعناصر، هي:

١- الثبات: (المرحلة الأولى).

٢- الرحلة: (كربلاء ومقتله).

٣- العودة: (فكرة الرجعة)[3].

هذا التصنيف من الباحثين لواقع الأسطورة في حادثة عاشوراء مما يظهر أثر العاطفة

---

(١) الإمام الشهيد في التاريخ والأيدلوجيا، فصل: (الحسين في التراث الشيعي)، د. سلوى العمد، ص١٦٦، وهذا الفصل منشور على الانترنت في عدة مواقع.

(٢) بتصرف عن: الإمام الشهيد في التاريخ والأيدلوجيا، فصل: (الحسين في التراث الشيعي)، ص١٦٧.

(٣) انظر: كربلاء بين الأسطورة والتاريخ، (دراسة في الوعي الشعبي الإيراني)، ص١٣٤، أحمد لاشين، رؤية للنشر. القاهرة؛ وهو منشور في عدة مواقع على شبكة الانترنت، في مقال للكاتب بعنوان: (مقتل الحسين: البطل الديني بين ملحمة التشيع والطقوس الإيرانية).

الجامحة المستثارة لدى العوام الشيعة في المأتم السنوي، في القديم والحديث، مما جعل للأسطورة أهمية في ترسيخ هذه المواسم، وخاصة في جانبين: النعي وقراءة المراثي[1]، ومواكب العزاء، وهؤلاء الجماهير هم ممن يتأثر بالجانب الأسطوري، كما أنهم يؤثرون في بنائه؛ ونجد في هذا المقام عدداً من الباحثين الشيعة المعاصرين ينتقدون هذا الوضع المذهبي في موسم عاشوراء، فيقول أحدهم: (لا ينبغي تخطّي حقيقة مرّة، وهي أن الكثير من تحريفات عاشوراء إنما نتجت وتنتج عن نزعةٍ عوامية متأثرة بعوام الناس، يعيشها بعض القراء المذهبيين، وقد يبلغ هذا الوضع الفاجعة حداً من الفساد أن نرى أن هؤلاء يفكّرون قبل كلّ شيء بما يريده العوام، وأيّ قصّة أو أسطورة تُسعدهم ويرتاحون لنقلها؛ لذا نراهم يعيشون دائماً في هذه الدائرة الضيقة المظلمة، وهي أن يأخذوا من الأفواه، ويعطوا أسماع الناس، فيظلّون دوماً في تكرارية هذا الدور والتسلسل، دون أن يتعبوا أو يملّوا، وما أكثر الكتب التي ألّفت في المقاتل والمجالس على هذا النحو، وليس لها من مستند ومدرك لما تقوله غير لسان الواعظين وأسماع السامعين، فبدايةً قالوا ما قالوه بلا تفكير، ثم وعلى المنوال ذاته كتبوا قولهم بعد أن رأوا أن ما قالوه قد لاقى استحسان طبع عوام الناس)[2].

هذه الحال المعاصر للشيعة يذكر بوصف سابق نقل عن أحد السلف، وهو حماد ابن سلمة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ، حيث يقول: (حدثني شيخ لهم ـ يعني الرافضة ـ فقال: كنا إذا اجتمعنا استحسنا شيئاً جعلناه حديثاً)[3]، وكما يقول... معترضاً على فسح المجال للعوام في ترسيخ: (حتى لو سلّمنا بوجود طبقة من العوام تُيّمت ببعض الخرافات الدينية فتمسّكت بدينها، لكننا لا ننسى في المقابل أنّ هناك من فرّ من الدين بسبب تلك الخرافات ذاتها، وهي التي قد شوّهت صورة الإسلام في نظر البعض).

(١) جدل ومواقف، ص٤٠٩، مقال: (عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة.. تعدّد الأهداف والوسائل).

(٢) جدل ومواقف، ص٥٩، مقال: (التحريف في السيرة الحسينية. دراسة في المظاهر والأشكال).

(٣) الموضوعات، لابن الجوزي، ١/ ٣٩، والموضوعات في الآثار والأخبار، عرض ودراسة، ص١٩٨، هاشم معروف الحسني، ط١، ١٤٠٧هـ، دار التعارف – بيروت.

إذا كنت سبق إن أشرت إلى ارتباط كثير من شعائر عاشوراء بالاستحسان عند فقهاء المذهب، وعليه فأي عمل يظهر فيه تذكير بحق الأئمة أباحوه على الأصل، وكذلك كانت الرواية التاريخية في منهج نقلة الحادثة ومؤرخوها، وبهذا يجتمع أثر العامة وتبرير الخاصة في إضفاء الشرعية على الجانب الأسطوري على الحادثة، وهو مما يشكل في الوقت المعاصر على بعض دعاة التصحيح والإصلاح في المذهب الإمامي النقد الغربي الفلسفي المعاصر، والتي تصنف المعتقدات والروايات الشيعية ضمن الأساطير والخرافات الدينية.

في سياق تبرير العلماء والمراجع للأخذ بالأخبار والروايات الضعيفة[1]، يقول الباحث محمد إسفندياري في معرض حديثه عن تبرير المرجع الشيعي النراقي، وتقريره للمشهور في مذهب الإمامية من جواز الأخذ بالأخبار الضعيفة فيما يتعلّق بالمستحبات والمكروهات والمواعظ والحكايات؛ يقول الباحث: (وما تطرّق له النراقي هنا ليس إلاّ ما عُرف بقاعدة التسامح في أدلّة السنن المستندة لجملة من الأحاديث، لكنّ هذه القاعدة:

أولاً: مختصّة بالمستحبات والمكروهات فقط، ولا يجري حكمها على القصص والحكايات، وهو ما دعا ابنه أحمد النراقي في كتاب: عوائد الأيام، إلى نقده ورفض الفكرة برمّتها.

ثانياً: لو فرضنا صدق هذه القاعدة على الأخبار والقصص، نسأل هنا عن هدف التأليف في الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ: هل هو تدوين التاريخ أم المصائب؟ فإن كان المؤلَّف كتاباً علمياً في أمور التاريخ امتنع درج الروايات الضعيفة فيه، وإن كان كتاباً في المصائب وما يُتلى على المنابر فالموضوع مختلف تماماً.

ثالثاً: حتى لو كان من نمط كتب المنابر والمصائب، فلماذا ندوّن من المصائب ضعيفَها؟ فكربلاء حزينةٌ بما فيه الكفاية، ورواياتها المعتبرة في ذلك تفي بهذا الغرض)[2].

---

(١) ليس الإشكال في هذا، إنما الإشكال أن تبنى العقائد القطعية اليقينية على أدلة ضعيفة، فتتكون تلك الروايات والأخبار مستنداً للعقائد والشعائر.

(٢) جدل ومواقف، ص٤٠٩، مقال: (عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة.. تعدّد الأهداف والوسائل)، محمد إسفندياري.

أما عن معالم الجانب الأسطوري فكثيرة ومنها ما يلي:

١- الترابط بين الحادثة وبين ذكر الخوارق المفتعلة، وذلك كمبرر لما يتبعها من تقديس واعتقاد، وقد كان هذا الجانب مثار نقاش في الأوساط الشيعية، ويشير الباحث صباح الموسوي[(١)] في تصوير الجدال الدائر بين الكتاب الإصلاحيين والمراجع من الفقهاء، فتذكر عدداً من الشخصيات التي برزت في ساحة الإصلاح الشيعي في إيران، والتي نقدت العقائد الخرافية، ومن تلك الشخصيات: الأستاذ حيدر علي بن إسماعيل قلمداران القمي (ت/ ١٤٠٩هـ)، والذي من كتبه: "زيارة القبور بين الحقيقة والخرافة"، و د. علي شريعتي، والذي يعول في بداية تحريف المفاهيم إلى حكم الأسرة الصفوية لإيران، ويمانع من تحول التشيع إلى شعائرية تحتكرها مؤسسة دينية رسمية، ذات طابع بيروقراطي، تعزل التشيع عن المسائل السياسية والاجتماعية، كما دعا إلى تطهير التشيع مما سمّاه الخرافات التي تناقض الحقائق العلمية الحديثة، وقد واجهت المراجع الشيعية هذا التوجه، حتى إن من التهم التي توجه ضدها تهمة الوهابية، بدعوى اشتراكها في نبذ الخرافات، وهذا شرف وإن قصدوا به التشنيع والمسبة، ويكتمل الشرف إذا وفق المرء للتعلق بصحيح المنقول عن النبي المعصوم ﷺ[(٢)]، والعض على هديه وسنته، والبعد عن محدثات الأمور.

٢- أن يوم عاشوراء يوم مبارك منذ الأزل، وذلك لبركة الحسين، (فيبدأ تاريخ الحسين في القصص المسطورة عنه، من نقطة يصعب تحديدها، فهو فيها أصل النبوة لا سليلها، وهو أزلي الحضور تجلى على هيئة نور انتقل في أصلاب الأنبياء منذ آدم

(١) منتديات السرداب الإسلامية، العامة، الحوار الإسلامي، مقال: صباح الموسوي، مقال بتاريخ: ١٨/٠١/٢٠٠٧م، (محاولات أولية لإصلاح الفكر الشيعي)، على الرابط التالي:
http://www.alsrdaab.com/vb/showthread.php?t=50482

(٢) انظر: جدل ومواقف، ص٥٩، مقال: (التحريف في السيرة الحسينية .دراسة في المظاهر والأشكال)؛ وفيه أن البعض يعلل سبب وضع الإمامية للأكاذيب أن ذلك حصل في مقابل الأكاذيب التي اختلقت لتمجيد بني أمية، فحصل هذا الكذب من الشيعة كردة فعل!.

وصولاً إلى النبي محمد)[1].

٣- نموذج طلب الشفاعة بتشبيه المصيبة واستحضار الفاجعة، وأن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقبل الشهادة إلا لتغفر ذنوب من يبكي عليه، تشبيهاً لحاله بحال المسيح ــ عليه السلام ــ، يقول محمد إسفندياري في معرض نقده لكلام الطباطبائي، والنراقي في كتاب محرق القلوب، الذي يقرر هذا المعنى، يقول الباحث: (إن هذه النظرية عبارة عن تحليل مسيحي النزعة للثورة الحسينية، فكما أنهم يرون في صلب المسيح فديةً لخطايا البشر، كذلك عدّوا الحسين واستشهاده بغرض الشفاعة وغفران الذنوب، ومما يؤسف عليه تغلغل الوعي النصراني في ديننا وليست الإسرائيليات وحدها)[2].

٤- توسعت القداسة من ذات الحسين إلى المحتفلين به، حيث التبرك بآثار المشاركين بالمآتم، وهذا المعلم مرتبط بما قبله، ونتيجة له، وكأنه حكم بالقبول العاجل لكل من مارس هذه الطقوس.

أما عن آثار الجانب الأسطوري على المذهب، وعلى الحادثة، وشعائرها فكثيرة، وقد تكون هذه الآثار من الأسباب في نفس الوقت، ومنها ما يلي:

١- تطبيع الحادثة على واقع المجتمع الذي تلقى فيه، وذلك أن طبيعة المجتمع الذي تقرأ فيه كتب المقاتل فإنه يؤثر في مسارها، فيستهوي البعض تنزيل أحوال الأئمة على أحوال السلاطين، بل قد يتوهم السامع أن الأئمة على خلاف ما يقرره المذهب من عصمتهم وقداستهم، ومن ذلك دعوى توارث الإمامة في مقابل توارث الملك والخلافة التي يشنع بها الشيعة على أعدائهم، فمثلاً في تصوير الجانب الأسطوري لموكب الحسين بعد خروجه من المدينة، يقول محمد صحّتي سردرودي: (كتب

---

(١) الحسين في التراث الشيعي، د. سلوى العمد، ص٧٥.

(٢) جدل ومواقف، ص٤٠٩، مقال: (عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة.. تعدّد الأهداف والوسائل)، محمد إسفندياري.

العزاء والمقاتل والنياحة والمجالس في العصرين: الصفوي والقاجاري وغيرهما قد مُلئت بتشبيه الأئمة بالسلاطين، وأولادهم بأولياء عهد السلاطين ومن يخلفهم من أبنائهم، فثمة تراكيب ومفردات كثيرة ظهرت، مثل: ملك الدين...، وملك خراسان، وملك المظلومين، والملك حسين، والأكبر والقاسم أولاد الملك، وعشرات التشبيهات والتراكيب الأخرى...، فمؤلِّف كتاب «معالم السبطين» يصوّر خروج الإمام الحسين "ع" من المدينة وكأنه موكب ملكي يصيح بالهيبة والسلطنة، وكذا الحال في مؤلِّف كتاب «روضة الشهداء»؛ حيث يضع في أسطورة «شيرين شهربانو»[1] أهل بيت العصمة والنبوة والعدالة في موضع حريم الملوك الصفويين!)[2].

٢- ظهور شعارات وعبارات مختلقة غريبة، وأصبحت تنسب إلى الأئمة ــ كالحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو منه بريء، ولا زال الباحثون والعلماء يكشفون عن نماذج لمثل تلك العبارات التي أصبحت في كثير من المجتمعات شعارات وشعائر مهمة، وهذا ما يعني أن أولئك القائمين بتلك المهمة سيواجهون عنتاً، لا علمياً، بل اجتماعياً، لأن هذا النوع من العمل يعني المساس بالهوية، ومن الأمثلة على العبارات ما يلي: (كل أرض كربلاء؛ وكل يوم عاشوراء؛ إن الحياة عقيدة وجهاد؛ ثأر الله؛ اسقوني شربةً من الماء)[3]، وقصة العطش التي أصبحت حاضرة في عاشوراء، بل هي شعيرة من شعائره المؤثرة، مع أنها: (لم ترد في أيّ كتاب معتبر، أو شبه معتبر، وإنما وجدناها في بعض الكتب القليلة التي لا تزيد عن أصابع اليد، والمليئة بتحريفات عاشوراء والطافحة بالكذب والاختلاق)[4].

---

(١) هي زوجة الحسين وأم زين العابدين علي بن الحسين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) جدل ومواقف، ص٤٠٩، مقال: (عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة.. تعدّد الأهداف والوسائل)، محمد إسفندياري.

(٣) جدل ومواقف، ص٤٠٩، مقال: (التحريف في السيرة الحسينية. دراسة في المظاهر والأشكال).

(٤) جدل ومواقف، ص٤٠٩، مقال: (التحريف في السيرة الحسينية. دراسة في المظاهر والأشكال).

٣- الاقتباس من الحوادث المشابهة لدى الأمم السابقة، التي تعظم رموزها على نوع الاعتذار لهم، كما في البابلية والسومرية القديمة، في اعتذارها لإله الربيع تموز، أو إله آخر قُتل غدراً كذلك، أو العريس الذبيح[١]، يقول أحمد لاشين معلقاً على هذا الجانب: (ولكن الأهم من النموذجين السابقين الطقوس التي كانت تُقام في إيران في الألف الثاني قبل الميلاد واستمرت لما بعد الإسلام كذلك في بعض المناطق في إيران، وهي طقوس الحزن على سياوش، هو (سياوش بن كيكاوس) أحد الأبطال الإيرانيين الأسطوريين القدماء، قُتل غدراً على يد أحد أعداء الدولة الإيرانية وهو البطل (أفراسياب) التركي، بعد أن هرب من والده في إيران بعد اتهامه في زوجة أبيه، ولدى علم أبيه ما حدث لولده قرر إقامة العزاء عليه، كما أن لسياوش قيمة مقدسة تفوق قيمة كونه بطلاً مذكوراً في الشاهنامه (الملحمة الفارسية التي نظمها الشاعر الإيراني الفردوسي)، ففي الأفستا "الكتاب المقدس لدى الزرادشتية"، ورد: (نعبد الملك المقدس سياوش)، أي أنه متشابه مع الحسين في بناءه الملحمي الأسطوري المقدس، أي أن كلاهما بطل تم قتله فصار مقدساً، فكل طقوس العزاء الحسيني مأخوذة بشكل كلي من طقوس عزاء سياوش، كما يتزامن ذلك مع احتفالات أعياد الربيع أي تشابه التوقيت مع احتفالات دموزي.

قد أشار العديد من الباحثين إلى الأصل الإيراني لاحتفالات العزاء، منهم (يان ريشار ــ الباحث الفرنسي) في كتابه (الإسلام الشيعي)، كما أكد على تلك السمة العديد من الباحثين الإيرانيين أمثال (د. مهرداد بهار ـــ الأستاذ الإيراني المتخصص في الميثولوجي) في كتابيه: (از أسطوره تا تاريخ: من الأسطورة إلى التاريخ)، وكذلك (بژوهشي در أساطير إيران ـــ البحث في أساطير إيران)[٢].

---

(١) إشارة إلى القاسم بن الحسن، وسيأتي خبره في مسرحية (عرس القاسم) ص٩٠٦ من البحث.

(٢) كربلاء بين الأسطورة والتاريخ، أحمد لاشين، ص١٣٤، وهو في: موقع: الحوار المتمدن، عدد: ٢٨٢٥، ٢٠٠٩/١١/١٠م، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات ، مقال: (مقتل الحسين: البطل الديني بين =

في ختام هذا المبحث أشير إلى ثلاثة جوانب حول حادثة مقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بشكلها الأسطوري، وهي:

١- جاءت حادثة مقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ضمن منظومة أعلى وهي منظومة الغلو في والده الخليفة الراشد علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والغريب أنه مع شهرة الغلو والتأليه لعلي، وأنه هو الأصل والأساس لغلو الشيعة، إلا أنه لم ينل مثل ابنه في جانب المقتل، مع معاناته في حياته وفي مقتله، وقد غلت فيه طوائف غالية في السابق واللاحق، كالإسماعيلية والنصيرية[1]، وإذا كانت الإمامية تتبرأ من ذلك الغلو فإنها قد وقعت في مثله في جانب الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فالعاشورائية الحسينية هي الباطنية، أو الإسماعيلية الجديدة.

٢- أن مؤلفات الشيعة المعاصرين في خصوص الحادثة تتأرجح بين الثورة والتقية، وإن كانت لغة الثورة أكثر غلواً، ومؤلفات الثورة قد لا تتناسب مع الجانب الأسطوري للحادثة، لكنها مع ذلك لا تهتم بمناقشته كنوع من الظلم لرسالة الحسين، بل قد تستعين بنصوصه لتحقيق مطلبها، ولكنها في إطار دعوى عدم غلوها بالأئمة عموماً، وعن الغلو بالحسين خصوصاً فإنها تركز على كربلاء كعنوان على الثورة ضد الظلم؛ إلا أنها مع ذلك تشارك في ترسيخ الجانب الأسطوري، ومن أسباب هذا التناقض والازدواجية أنها ـــ هي وغيرها ـــ لم ترتكز وتنطلق من تفسير نهائي لأسباب مقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وخروجه: هل كان لأجل السلطة؟ أو لأجل مجرد الشهادة؟ أو لأجل إنقاذ الدين؟ وهل كان الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يعلم بموته؟

٣- كانت الإجابة على هذه الأسئلة ميدان سجال طويل بين الشيعة المعاصرين، حتى وصل الحال ببعضهم أن ينعي عاشوراء كلها، فهي الأخرى قد ظلمت وقهرت بعد

=

ملحمة التشيع والطقوس الإيرانية)، على الرابط التالي:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=191134

(١) راجع ص٤٣، وانظر ص٨٤٥- ٨٥١ من البحث.

أن نالت الشهادة على مسرح التاريخ أمام المفاهيم الجائرة المتسلطة، (ففي كل عاشوراء شهيدان يجب رثاؤهما، ولو أنّ الإنسان أدرك كُنه عاشوراء وأبعادها، لنسي مصاب الحسين المحزن ولانقطع عن نصب المآتم عليه؛ تأسيساً على ذلك ثمّت ظلم في حقّ الحسين ظهيرة عاشوراء، وظلمٌ في حقّ عاشوراء على مرّ التاريخ، فلابد من بكاء الأول بعين، والثاني بالعين الأخرى...، إذاً فهناك حسينٌ استشهد في حادثة التاريخ، وحسين ظلّ يستشهد على مرّ التاريخ، وبعد دهس جسده الشريف دُهست أهدافه، فهذا من عدوّ مجرم، وذاك من صديق جاهل)[١].

وبعد هذا العرض المنبئ عن تأثر الاثني عشرية في خصوص عاشوراء بأهل الضلال من اليهود والنصارى، وبأهل النحل الفاسدة وعبدة النار؛ فإن ذلك بسبب الإعراض عن المنهج الصحيح للتعامل مع مثل هذه الحوادث، والذي يطمع به أن يكون صمام أمان لأمة الإسلام في زمن الفتنة، وحتى لا تحتاج الأمة إلى التقية والتلبيس والحرج في موقفها من الخرافات التي تنسب إلى دينها، ولا يكون حالها حال من نسبوا إلى التصحيح من الإمامية، فهذا موسى الموسوي يقول:(وعندما تمتزج الأسطورة بالعقيدة، والأوهام بالعقائد تظهر البدع التي تضحك وتبكي في آن واحد)[٢]؛ ولعل هذا يقودنا إلى معرفة التفسير الصحيح لأسباب المقتل والخروج، كما عند سلف الأمة ــ رحمهم الله ــ، وهو ما سيتضح آخر البحث، بإذن الله[٣].

❁❁❁❁❁❁❁

(١) جدل ومواقف، ص٤٠٩، مقال: (عاشوراء الحسين وعاشوراء الشيعة.. تعدّد الأهداف والوسائل).

(٢) الشيعة والتصحيح، ١٤٣– ١٤٤، الموسوي.

(٣) انظر ص١٩٠ من البحث.

المطلب الثالث

التشابيه

التشابيه من التشبه والمشابهة، أي المحاكاة والتقليد، وهي التمثيليات والمسرحيات، سبق الحديث عن مظاهر كثيرة تشعر بالنياحة والحزن، أو بالتعبد والنسك، لكن ثم وجه آخر يكشف عن حقيقة من حقائق عاشوراء المهمة، وهو جانب الاحتفال والفرح والخصوصية، وجانب الأمل والفرج، وهي جوانب من خصائص المذهب الاثني عشري، وذلك أن عاشوراء أصبح موعداً للتنفيس عن عقدة الانتظار، وهو يحتوي مظاهر يشاركها فيها غيرها من الإمامية وأسلافها، لكن لشدة اعتناء الاثني عشرية بهذا اليوم، ومحاولة استئثارها به أصبح كل ما أحدث فيه منسوباً إليها، ولو لم يكن موافقاً لأصولها الفقهية، لكن لما غلبت الحقيقة العرفانية على الشريعة المذهبية الإمامية في هذا اليوم أصبح فقهاء المذهب عاجزين عن التصريح بمخالفة ما يعرف بـ(الشعائر الحسينية) لأصول المذهب، وتبقى محاولة محسن الأمين العاملي وأمثاله في رد بدع التشابيه التي انتشرت في منتصف القرن الرابع عشر مثالاً لهذا العجز؛ ورغم أن هذا العجز ظاهر في كثير من الجوانب، ولكنه في عاشوراء عجز صارخ في يوم عزة، قام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل وعلى الشهادة المقدسة في مفهوم الإمامية.

تعتمد مظاهر هذا المطلب على الاستذكار الدائم والمكثف والمتعدد للحدث، وللحزن ولوازمه، والذي يربطون به الولاء للأئمة، وإحياء أمرهم، وفي مقدمة ذلك موضوع الثأر والمظلومية، والذي استغلوه كدرع ووقاية، يتقون به تقبيح زندقتهم وبدعهم، وراية يرفعونها لتتقوى بها شوكتهم، ويمررون من خلالها ثوراتهم، ومناسبة يدعمون بها مقالتهم وغيبتهم، وإن كانوا يتسللون إلى هذا النمط ــ أولاً ــ من جهة التنسك والتعبد، من جنس ما يقوم به بعض المتصوفة، فأحدهم في تعليمه لكيفية زيارة القبر عن بعد، وكان يتحدث عن زيارة قبر النبي ﷺ، فيقول: (فإذا أردت زيارته من البعد فمثل بين يديك شبه القبر، واكتب عليه اسمه، وتكون على غسل، ثم قم قائماً، وأنت متخيل مواجهته ـ عليه السلام ـ، وقل: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنه سيد الأولين

والآخرين...)[(١)]؛ فهذه مقدمة تخيلية للزيارة عن بعد[(٢)]، وهذه الطريقة أصبحت من آداب المجالس الحسينية وغيرها من مجالس الموالد والمآتم، فاستحضار حضور آل البيت لهذه المجالس هي غاية الحاضرين والعاشقين، وعلى قدر الحب يكون الكره والبغضاء[(٣)].

مظاهر هذا المطلب تكشف مدى ما يحتويه المذهب من غلو، وما جرى له من اختراق خلال إحياء هذه المناسبة، واتضح تأويلهم لها، وفلسفتهم فيها، فإني هنا أؤكد ما سبق ذكره في نشأة مظاهر عاشوراء، وتدرجها حتى وصلت إلى الغلو الذي هي عليه اليوم؛ وأن أحد أسباب ذلك هو تأثر الشيعة عموماً، والإمامية خصوصاً بالتصوف والباطنية منذ زمن بعيد[(٤)].

إذا كانت غلت في باب النياحة لتحقيق مقصد الاستذكار فإنها لم تتوقف عند النياحة، والتي أنتجت فناً مستقلاً اسمه كتب المقاتل[(٥)]، ومثله مرويات وموسوعات كتب الحديث عند الإمامية، كبحار الأنوار[(٦)]، وغيرها من كتب القصص والتي يتمثل بها الخطيب الحسيني بشكل فردي؛ فواقع عاشوراء اليوم هو مزيد من الاستغراق في الاستذكار، حتى كأنه رياضة روحية تهيئ الشيعي العاشق ــ إذا كان مخلصاً ــ للقاء بالمهدي، ولذا يجب التألم من خلال الاستذكار للدرجة التي عليها المهدي حين يستذكر مصيبة جده وآبائه، ويعيش بعض عباد

---

(١) المزار، ص١٠، الشهيد الأول: محمد بن مكي.

(٢) هذا يشبه مصطلح (الرابطة، أو الصورة) بين المريد وشيخه عند الصوفية، ليحصل له الجذب في غيبته، حتى بعد موته، وهي نوع من الفيض والاستنساخ الروحي، انظر: المنهاج القويم في التزكية، (الطريقة العمرية)، ص١١٨، عبد الغني العمري، وهو ضمن موقع: الطريقة العمرية، قسم الكتب، على الرابط التالي:
http://www.alomariya.org/koutoub1.php

(٣) انظر: الدمعة الساكبة، ص٢٧، ٤٥.

(٤) راجع نشأة المظاهر الباب الأول، وكذلك العرفان في الباب الثالث.

(٥) في المطلب السابق عرض لإنتاج كتب المقاتل عند الإمامية وآثارها.

(٦) أسلوب المجلسي أثار عدداً ممن أتى بعده في سرد المرويات والغرائب، وإحياء غير الكتب المشهورة، مما سوغ لبعض الروايات التي كادت تختفي، لكنه وفرها في بحاره، انظر: المواكب الحسينية، ص٤٥، عبد الله المامقاني، ت/١٣٥١هـ، ط ١٣٤٥هـ، المطبعة المرتضوية – النجف.

الشيعة حالة من (رهبانية جديدة)، لتجديد الأحزان، فالحزن ليس لذات الفقد ـ كما يظهر ـ، وإنما لطلب العدل، وإقصاء الظلم، والذي جسدوه في استذكار أشخاص، بحال يشبه اتخاد إلهين للخير والشر[1].

يجب الاحتفال بعاشوراء ـ عندهم ـ لأنها تمثل حالة الانحطاط الذي مرت به البشرية، والاحتفال به لكيلا تتكرر مأساته في التجربة الثانية، والظن أن مأساته لا تتكرر إلا عندما يظهر مهديهم ويفشل، فما ذكروه من القلق هو قلق على عقيدتهم الموهومة، ويجعلون هذا الاحتفال والفرح هو تأويل الانتظار، وهو انتظار للخروج والقتال، وهو تأويل قول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[2]، فيروي القمي: عن أبي عبد الله (الصادق) قال: (إن العامة يقولون: نزلت في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لما أخرجته قريش من مكة، وإنما هو القائم إذا خرج يطلب بدم الحسين)[3]، ولذا يغلون في يوم المقتل في كربلاء، ويوم الظهور، ويعدونها من أيام الله التي يجب أن تستذكر امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ﴾[4]، ويذكر القمي رواية فيها: (أيام الله ثلاثة: يوم القائم، ويوم الموت، ويوم القيامة)[5]؛ والمهدي بحسب مروياتهم يخرج في وضع قلق أشد مما هم فيه، ومما فروا منه، لأنهم يلزمهم أن يهيئوا للفساد الذي يخرج فيه، والخراب للبلدان الذي يسبق خروجه بالمشاركة فيه، أو الإذن له، أو السكوت عليه، كما سيرد قريباً؛ فهم ــ في الحقيقة ــ إنما يحتفلون بفشل الإسلام وفشل النبوة، والطعن عليهما، شعروا

---

(١) فرق الغلو: منها فرق جعلت الفرائض أسماء أشخاص صالحين، والمعاصي والفواحش أسماء رجال، (العدل: الحسين، الظلم: يزيد) انظر: المؤامرة الكبرى على مدرسة آل البيت (قراءة من الداخل: الوضع والتزوير، أبعاده، أسبابه، نتائجه وعلاجه، ص٨١، حسين الراضي العبد الله (الأحسائي)، ط١، ٢٠٠٧م، دار المحجة البيضاء – بيروت.

(٢) الحج: ٣٩.

(٣) تفسير القمي، ص٢٧٤.

(٤) إبراهيم: ٥.

(٥) تفسير القمي، ص٢٢١، وانظر: الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء .والتطبير)، جواد العاملي، ص١٦٩.

أو لم يشعروا، وبفشل الإمامة التي اخترعوها.

انتشر في القرنين الماضيين التوسع في تمثيل أحداث عاشوراء، من خلال تخصيص مواقع وميادين في المدن، تجتمع وفود المشاركين فيها، ويقوم فيها مجموعة منهم بتمثيل ومحاكاة أحداث مقتل الحسين في عاشوراء، واشتهرت عدد من الأحداث التي شكلت مسرحية درامية مستقلة، تمثل فعلاً، أو قولاً، أو حملاً لأمر ذكر في خبر مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يندرج تحته كثير من المظاهر والأعمال، كالتحارب بين فريقين، وحمل القتلى، وركوب الخيل، والخطب، وإحراق الخيام، وتسمى في كتب الإمامية الاثني عشرية بالتشابيه، أو الدائرة، أو التشبيه، أو تشبيه واقعة الطف[1]: كربلاء، أو موكب السبايا، ومنه جعل بعض المجسمات رمزاً لقتلة الحسين، ونحوهم، واتخاذها غرضاً لرمي السهام، أو طعن الرماح، تشفياً ممن ترمز إليهم هذه الصور.

ظهرت بداية ارتباط هذا العمل (التشابيه) بعاشوراء زمن الصفويين، كما في عادة اصطحاب الرؤوس المقطوعة في المحافل والمواكب، والتشبه بشخصيات القصة بصورة مفردة بدائية، واقتبسوا هذا العمل من النصارى في بلاد القرم خلال احتفالهم بذكرى آلام المسيح[2]، وتطور هذا الجانب في الطور الرابع زمن الدولة القاجارية، التي تطور في زمانها العناية بالمسارح خاصة أمام الملوك، فاقترنت التشابيه بشعائر وطقوس عاشوراء بشكل منظم وفلكوري، ومن ذلك تمثيل مقتل العباس، وعرس القاسم، ومصرع الرضيع[3]، ودفن القتلى، وعودة السبايا[4]، وغيرها من أحداث المعركة التي تضخمها كتب المقاتل، وقصائد

---

(١) الطف: سبق التعريف به ص١٤٩ من البحث.

(٢) موقع: فيصل نور (الحقائق الغائبة)، بحوث ومقالات، مقال: (الطقوس العنفية على مسرح عاشوراء)، سلوى فاضل، على الرابط التالي:
http://www.fnoor.com/main/articles.aspx?article_no=6408#.UTNvHTA9P2A

(٣) يأتي قريباً، بإذن الله.

(٤) المقصودة بها عودة نساء الحسين وآله من الشام إلى الكوفة، والتي وافقت زيارة الأربعين، وخبرها مكذوب، فموكب النساء عاد إلى المدينة.

الشعراء.

فكرة استذكار ليوم عاشوراء بالنياحة والحزن والمآتم، أو بالفرح، كلها محاكاة لواقع متصور بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لغرض تهييج النفوس على استذكار الحدث والتفاعل معه، وتنافست المجموعات الشيعية في التحضير والإعداد لهذه التشابيه والتمثيليات، وخصصت لها المسارح والتقنيات، ومنحت لها الأعطيات، ووضع بينها المسابقات، وحظيت بتنافس الوجهاء على رعايتها، والتسلق إلى العوام من خلال دعمها، بمثل حال المهرجانات الشعبية المعروفة.

ظاهرة التشبيه والتمثيل تمثل نمطاً من النوح المستأجر، وكما يقال: **«ليست النائحة الثكلى كالمستأجرة»**[1]، فهي تذكر بظاهرة النائحات والنائحين الذين يريدون استدرار ما عند أهل المصيبة بإتقان النياحة، ولكن لا شك أنها هذه التشابيه وفرت رابطاً مذهبياً يعيش فيه المتباعدون حالة التوحد في المشاعر والعواطف، وكأنه يوحي بالتطهير الجماعي عن خطيئة مشتركة[2].

بعض الدارسين يشير إلى أن مما ساعد على رواج هذه التشابيه أنها اشتهرت في بلاد ــ كإيران ــ تحمل في ذاكرة حضارتها السابقة ملحمة تاريخية، اختلطت بها كتب الأدب والثقافة وكتب الأقليات غير المسلمة، مما جدد استحضارها لمقتل الحسين، منها (الملحمة الفارسية التي نظمها الشاعر الإيراني الفردوسي، كما في الأفستا ــ الكتاب المقدس لدى الزرادشتية ــ ورد: (نعبد الملك المقدس سياوش)،أي أنه متشابه مع الحسين في بناءه الملحمي الأسطوري المقدس، أي أن كلاهما بطل تم قتله، فصار مقدساً؛ فكل طقوس العزاء الحسيني مأخوذة بشكل كلي من طقوس عزاء سياوش، كما يتزامن ذلك مع احتفالات أعياد الربيع، أي تشابه

---

(١) انظر: الزهد، ص٢٨٨، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت/ ٢٤١هـ، ت. محمد عبد السلام شاهين، ط١، ١٤٢٠ هـ، دار الكتب العلمية - بيروت، وحلية الأولياء، ٥/ ١١٠، ونسبت لعُمَرَ بن ذَرٍّ، وبعضهم يجعله من أمثال العرب في الجاهلية.

(٢) انظر: كربلاء بين الأسطورة والتاريخ، ص١٦٥، أحمد لاشين، وذكر أن الشخصيات التي تمثل دور الشر.تحتاج أن تؤمن على نفسها بعد عاشوراء، لشدة التعاطف مع هذه التشابيه.

التوقيت مع احتفالات دموزي)[١].

من أعظم ما رسخ هذه الممارسات دينياً مع قبحها هو اعتبارها هوية للمذهب، وخير دليل الصراع العنيف الذي لقيه من استنكرها من أعيان المذهب، كمحسن الأمين العاملي، صاحب كتاب أعيان الشيعة، حتى شنت عليه حملات مغرضة من أقرانه ومعاصريه لإسقاطه، من أشهرها معارضة عبد الحسين شرف الدين العاملي، صاحب كتاب الغدير، وكلا الرجلين من المراجع المعتبرة، ظهر في الصراع بينهما وعلى نسقهما كتب للردود، فألف الأول كتاب التنزيه عن أعمال الشبيه، وهو كتاب يحظر ـ اجتماعياً ـ تداوله، وألف الثاني كتاب: المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، كان هذا الصراع الذي سقط وأسقط فيه الطرف الأول، واسمه محسن، حتى شبهوه بولد يزعمونه لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أسقطتها في قصة مشهورة بينهم، فهم يسقطون محسناً كما أسقطت فاطمة محسناً، وأصبح هذا التشبيه من أهازيج العامة التي يتندر بها العامة من هذا المرجع؛ وصاحب هذا النوع من الردود فتاوى متضاربة بين التحليل والتحريم لمثل هذه الممارسات التي أصبحت فيها بعد شعائر حسينية مقدسة؛ فبرغم صدور الفتاوى التي حرمت التشابيه في بدايتها إلا أنها الآن تنتشر في الدول التي ينشط فيها الشيعة.

دولة الخميني ورثت هذا الجدل، ولم تحسم الصراع، ولعل من خالفوا الخميني في نظرية ولاية الفقيه جعلوا هذه الأعمال والتشابيه من صور الاعتراض على ولاية الفقيه، حيث تبنت الدولة الإيرانية محاولة التخفيف من التوسع في التشبيه، وبعض الشعائر، كالتطبير، فأصدرت منعاً لها، وأيدت من أفتى بالمنع، تحت دعوى التحذير من انحراف الشعائر، من ذلك أن الخميني أيد فتوى شيخه عبد الكريم الحائري بتحريم تمثيل وقائع عاشوراء[٢]، بدعوى عدم توهين المذهب، وهذا التوهين لم يأت إلا بسبب اعتماد المفتين من قبل لهذه الأعمال، ومن ذلك المفتي القمي زمن الدولة القاجارية[٣]؛ وربما كان من دواعي الفتوى بالتحريم أن هذه الأعمال تسببت

---

(١) انظر: كربلاء بين الأسطورة والتاريخ، ص١٦٥، أحمد لاشين، وتاريخ المسرح في إيران، ص١٦٥، ٢٢١.

(٢) نهضة عاشوراء، الخميني، ص١١١.

(٣) انظر: صراط النجاة، الميرزا جواد التبريزي، ٣/ ٤٠٥، وممن أفتى بحلية التشابيه الميرزا القمي المقرب من =

في مزاحمة مجالس الرثاء، وقراءة المقاتل التي يجيدها الوعاظ، وانحسارها، والتي يرون أنها هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الحزن، وأن المسرحيات أقرب إلى الرياء[1]، وسقط العمل بهذه الفتاوى لرغبة أهواء الملوك في ذلك الوقت، أو لتراجع البعض من أولئك المراجع، أو لتبين أن الأمر ليس فيه توهين للمذهب، كما أن هنالك من مراجع الشيعة المعاصرين من ينتقد هذه المظاهر، لكون الإغراق فيها يؤدي إلى تأليه الحسين؛ فالأمر لم يستقر بعد.

الأعمال التي تجري محاكاتها في أيام عاشوراء منها ما هو رمز ثابت كصورة، ومنها ما هو عمل متحرك، ينفذ إما بعرض تقليدي مبسط، وإما من خلال درامي مسرح متكلف، وتشمل عدداً من الأعمال والرموز، منها ما يلي:

١- مسرحية (عرس القاسم): وهي تقوم على رواية تاريخية خيالية، وهي أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ليلة عاشوراء عقد القرآن لابن أخيه الشاب القاسم بن الحسن على ابنته سكينة بنت الحسين، وهما في ريعان الشباب، وقمة الجمال، وهكذا الشبيه، فيتم القرآن، وعرس المأساة، وبعدها رأت هذه البنت زوجها مضرجاً بالدماء من الغد، وهي قصة تحكي أسطورة فارسية، أو بابلية قديمة، رموزها محاكاة لأسطورة بابلية قديمة، هي أسطورة (تموز وعشتار)، تموز الذي يقتل، فيما عشتار تظل تبحث عنه وتحزن العمر على فراقه؛ نزلت هذه الأسطورة على حادثة عاشوراء[2]، وتمثل في عاشوراء على هيئة زفاف وفرح، تختضب فيه النساء المشاركات بالحناء الأحمر القاني[3]، فأين الحزن!؛ لذا فشخصية القاسم تدرج من ضمن الشخصيات الجمالية العاطفية المثيرة للفتيان والفتيات.

الشاه القاجاري، انظر: جدل ومواقف، ص٥٩.

(١) جدل ومواقف، ص٦٥.

(٢) يقال أن هذه المسرحية مأخوذة من قصة فارسية قديمة، من ضمن روايات الأدب الفارسي، ومثلها مسرحية زفاف القرشية، انظر: تاريخ المسرح في إيران، ص١٦٥، ٢٢١.

(٣) انظر: الإمام الشهيد في التاريخ والأيدلوجيا (شهيد الشيعة مقابل بطل السنة)، د. سلوى العمد، ص٦٧.

٢- صور القبر، والمشاهد، والشبيهات[١]، وسبق أن من الطرق لتكثيف الاستذكار تخيل القبر، وكتابة الاسم في الخيال، والذي أصبح من آداب الزيارة.

٣- صور الحسين (المرسومة)، وهي تعبر عن حال الظلم والمصيبة ــ أحيانا ــ، كما قد تعبر عن وصف الجمال والبهاء، متأثرةً من المنطلق التي انبعث منه التصوير، ومثل صورة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صور من قتل معه من آله وأنصاره، كعلي والعباس والقاسم، والطفل الرضيع ــ رحمهم الله ــ، يتم تعليقها في الحسينيات والمجالس وعلى الخرق في الطرقات؛ وتسوق هذه الصور وغيرها من صور الأئمة، تسوق بيعاً في الطرقات والحسينيات والأسواق الموسمية، وعند المزارات والمشاهد، حيث تنشط هذه التجارة كهدايا وتحف للزائرين.

التصوير والصور والرسم والمجسمات هي عادة عند النصارى والمجوس ونحوهم، وانتقلت إلى موسم عاشوراء زمن الدولة الصفوية، التي تأثرت في هذا الباب بملوك الهند، الذين يكثر في بلاطهم هذا الفن، وتوسع هذا الجانب في زمن القاجاريين[٢]، فأصبحت تزين بها الحسينيات والشبيهات، حتى أصبحت مبتذلة مع كثرة أجهزة التصوير الحديثة.

٤- صور ومجسمات الأعداء ــ بزعمهم ــ، فإنها كتصوير مجسمات للخلفاء الراشدين الثلاثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو أمهات المؤمنين، أو غيرهم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وذلك لغرض الإهانة والانتقام[٣]؛ ويلحق بذلك تصوير مجسمات، ورسم صور لقتلة الحسين، كابن زياد، ويزيد، وغيرهما، بغرض إهانتها بشكل جماعي بالإحراق والركل ونحو ذلك، في المواكب والطرقات والميادين، والتشابيه[٤]؛ وهذه

---

(١) الشبيهات: سبق التعريف بها ص٤٠٥ من البحث، وانظر: أزمة العقل الشيعي، ص١٤٩، مختار الأسدي.

(٢) وخاصة في عهد الشاه ناصر الدين، الذي كان يحتفظ بلوحة كبيرة، لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جدل ومواقف، ص٧٨.

(٣) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ٢٤٨/١.

(٤) تخصص ساحات ومواقع تتخذ غرضاً لسهام الحقد والظغينة.

لا تختص بعاشوراء، بل هي تتكرر في عدد من المناسبات، وقد تكون شخصيات بني أمية أكثر حضوراً في عاشوراء، فتصور وتتخذ غرضاً، كمعاوية ويزيد وابن زياد(١).

٥- الكفوف: جمع مفرده كف، وهي طرف اليد من عند الرسغ، تظهر فيه الأصابع متجهة إلى الأعلى، وهي كف نحاسية قد تسمى (پنجه) عند بعض الأعاجم، وترمز إلى يد العباس بن علي الذي قطعت يداه حينما ذهب لجلب الماء من نهر الفرات(٢)؛ وهناك الضريح وهو حجرة صغيرة لها قبة مدورة، وترمز إلى القاسم بن الحسن، أو عبد الله الرضيع، وهي ترفع في المسيرات مع الرايات، وتنصب في المزارات والحسينيات ليعلق عليها الزهور والنذور والقلائد، ثم تحمل يوم عاشوراء في الطرقات.

---

(١) يتوسع الشيعة في تصنيف أعداء الحسين وآل البيت، فكل من خالف مذهبهم جعلوه عدواً لآل البيت، فجعلوا الخلفاء والسابقين الأولين، بل جعلوا بعض آل البيت كزيد بن علي، وذرية الحسن بن علي .رضي الله عن الجميع .جعلوهم أعداءً للأئمة، وهم من مذهبهم براء، ومن صنيعهم أن يعينوا مواقع قريبة من مواقع الاحتفال لتتخذ فيها تشابيه بني أمية، أو أبي بكر وعمر، وغيرهما من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وتسمى باسم من جعلوهم أعداءً، كساحة معاوية، فيرمونها بالسهام والسلاح، ومثله ما يصنع الحوثيون في بلاد اليمن، حيث يخرجون إلى جبل معاوية في يوم عاشوراء، ويجعلونه غرضاً لرميهم، ثأراً وانتقاماً من معاوية بن أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومثل ذلك أن يعمدوا إلى حيوان كبهيمة، فيسمونها باسم أبي بكر، أو عمر، أو عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فيرموها بالسهام حتى الموت؛ وقد وقفت في مدينة دلهي على جبل صغير يتخذونه موضعاً لهذه الأعمال، وانظر: الموسوعة الشاملة، أسامة شحادة، وهيثم الكسواني، ص٢٠٠، وبحث: الحوثيون: النشأة، العقيدة، الأهداف، ص١٠، هدى المالكي، إشراف د. عبد الله بن عمر الدميجي، وهو منشور على موقع مكتبة صيد الفوائد، على الرابط التالي: http://www.saaid.net/book/list.php?cat=89

(٢) العباس بن علي بن أبي طالب -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا-: (ويلقب بقمر بني هاشم، لما ذكر عن وسامته وعلو همته، إذ تروي كتابات الشيعة، عن العباس أنه لم يحتمل رؤية الحسين والعيال عطشى أثناء المعركة، فخرج لإحضار الماء، فإذا بسهام الخصم تنال منه فتقطع كفيه، فيحتوي إناء الماء بذراعيه، ثم يقتل وهو في طريق العودة إلى الخيمة قبل أن يتمكن من إيصال الماء للعطشى، في شبيه العباس؛ البحرين تلعب كفه المقطوعة دوراً في الإشارة إلى حمية الشهيد، وقصة العباس -كما تحكيها السيرة- هي مقاربة لما ذكر في التاريخ عن جعفر بن أبي طالب، أحد أبناء عمومة النبي وابن عم الإمام علي، وأحد أوائل شهداء الإسلام في معركة مؤتة)، انظر: الإمام الشهيد في التاريخ والأيدلوجيا، د. سلوى العمد، ص٧٣.

٦- مصرع الرضيع، وهي تحكي قتل ابن اسمه عبد الله بن الحسين أصابه السهم، وهو في حجر أبيه، حسب روايات كتب المقتل، ولأجل تسويق مصرع الرضيع يحتفل به قبيل عاشوراء، كاليوم التاسع[١]، وتطور الحال في الدولة الإيرانية الخمينية المعاصرة إلى أن تتبنى في هذه المناسبة يوم الطفل العالمي، يصاحبه مهرجان، وتستهدف فيه المرأة، كأمٍ، هذا فضلاً عن الأطفال الصغار[٢].

٧- الضريح المتنقل: أو الضريح المحمول، وهو ضريح أو نعش، أو تابوت ينسب إلى أحد شهداء كربلاء، يعرض في الطرقات ليبرك به الجهلة، ويقدمون إليه النذور[٣].

٨- إحراق الخيام: وذلك بعد أن يكون المحتفلون قد نصبوها من قبل، تشبهاً بقتلة الحسين الذين تشير مصادر الشيعة بأنهم أحرقوا خيام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نهاية يوم عاشوراء، وقامت نساء الحسين بالجري بين تلك الخيام المحترقة، ويخصون منهن زينب بنت علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعقيلة بني هاشم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وتخصص لذلك ميادين بارزة في بعض البلدان لإقامتها ضمن أعمال التشابيه.

٩- إحراق ودفن التعزية، أو التعازي[٤]: وهي الهدايا المصنوعة لهذه المناسبة، والتي يجهزونها، ويحلونها بالقلائد والورود والنذور قبل عاشوراء، ثم يحملونها يوم عاشوراء في مواكب متعددة، يصحبها الناس بالغناء والاستعراض والزينة من منتصف النهار، ثم يبلغون بها عند المغرب إلى مقبرة يسمونها مقبرة كربلاء،

---

(١) انظر: جدل ومواقف، ص٤٠٩، مقال: (الثورة الحسيني: قراءات نهضوية وتحليلية معاصرة)، أ. محمد إسفند يتري.

(٢) مصرع الرضيع يحتفل به قبيل عاشوراء، كاليوم التاسع، وتطور الحال في الدولة الإيرانية الخمينية المعاصرة أن تتبنى في هذه المناسبة يوم الطفل العالمي.

(٣) شبكة الدفاع عن السنة، مقال: (مفاجأة كبرى ضريح متنقل)، خبر عن مدينة أراك الإيرانية، على الرابط التالي: http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=115820

(٤) التعازي: مجسمات وبنايات من ورق مقوى محبوك ومزركش تعلق عليه الهدايا والنذور، وسبقت ص٦٠٠ من البحث.

فيحرقون تلك المجسمات في الحفرة قبل أن يدفنوها[1]، وقد رأيته وعاينته من عمل الجهلة من المنتسبين إلى السنة في بلاد الهند لكنو، وأغلبهم من البريلوية، يعملونه معارضة، أو مضاهاة لموكب الشيعة الإمامية.

❀❀❀❀❀

(١) وقفت عليها في لكنو من بلاد الهند عام ١٤٣١هـ.

المطلب الرابع

المهرجان والعيد

تحول يوم عاشوراء من نمط النياحة إلى نمط المهرجان المتعدد المناشط، الذي يعبر عن ما هو أشبه بالعيد والهوية القومية أو الدينية لمجتمع من المجتمعات، وأصبح عاشوراء بمنظومته المخلوطة والمتناقضة نمطاً غريباً، حتى عبر عنه أحد أبنائه بالكرنفال الأسود(١)؛ ومن الأعمال التي تمثل أعمال المهرجان والعيد ما يلي:

١- حمل الشموع والشعلة، وإيقادهما، وقد تكثر في المواكب الليلية، وفي الحسينيات، والشبيهات، والمزارات على سبيل النذور(٢)؛ وقد يتكرر هذا العمل في ليلة الغربة والوحشة: ليلة الثاني عشر؛ كما فيه تشبه بأهل الأضرحة والقبور، والمشركين، وبالنصارى، وبالمجوس الذين يوقدون النيران في النيروز، ويصبون الماء على الرؤوس، وهو تشبه يتجدد منذ أزمان قديمة(٣).

٢- إرسال وإطلاق مجموعة من الحمام، عددها اثنتا عشرة حمامة، بعدد الأئمة الاثني عشر، وهي من أبهة الملوك، وقد ظهر هذا العمل زمن الدولة الصفوية(٤).

---

(١) انظر: شبكة إشارة الإخبارية، مقال: (قريباً... كرنفالات التشيع الأسود)، علي جعفر الشريمي، بتاريخ: ٢٠٠٩/١٢/١١م، على الرابط التالي:
http://www.esharh.net/?act=artc&id=2566

(٢) انظر: أزمة العقل الشيعي (مقالات ممنوعة)، ص١٤٩، مختار الأسدي.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام، ٢١/ ٨، ويقول الذهبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. عن سنة ٢٨٢هـ: (وفيها أبطل المعتضد ما يفعل في النيروز من وقيد النيران، وصب الماء على الناس، وأزال سنة المجوس)؛ وهو عادة موجودة بالمغرب اليوم عند جهلة أهل السنة، الذين يتوسعون في يوم عاشوراء باللهو واللعب، وربما أخذوها عن اليهود، انظر ص١١٠٣ من البحث.

(٤) انظر: جدل ومواقف، ص٥٦، وراجع ص٣٨٩ من البحث، ولا أعلم عن بقاء هذا المظهر، لكن يلاحظ حضور الحمام في مواقع إنتاج البرامج المرئية "الاستديو" في القنوات الفضائية.

٣- رفع وتعليق الرايات ـــ غير رايات الحداد السوداء ـــ، التي ترفع في المواكب والميادين، وفوق البيوت والحسينيات في بداية الاحتفال بعاشوراء، وفي المواكب قد يحرص على أن تكون ١٢ راية، مع كل وفد راية، كما قد يكون شهر محرم موعداً لتجديد الأعلام التي يرفعونها فوق منارات وقبب المشاهد والمزارات، وخاصة الحائر الحسيني، وما حوله[(١)]؛ ومثل ذلك تعليق الخرق واللوحات والرايات التي هي شعارات يكثر فيها اسم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصورته، وكلماته، وأسماء من كان معه في كربلاء، وعبارات الثأر والانتقام، ورسم الدم، ومثلها تجليل المباني بالسواد.

انتشرت هذه الرايات زمن الدولة الصفوية، وزادت بعدها على أن هناك مظهراً مشابهاً لها زمن الدولة البويهية، وهو تعليق جلود الضأن (المسوح)[(٢)] في الطرقات، وعلى الدكاكين[(٣)].

هذا العمل من باب التعظيم للحسين، ومن إهداء القرب والنذور، ومن التهيئة لظهور المهدي مع هذه الرايات، فكثرة الرايات وظهورها ـــ خاصة من جهة خراسان ـــ من مظان ظهور المهدي، ويجعل الفتنة بمزاعم ظهوره هناك أشد[(٤)]؛

---

(١) هذا الإجراء ظاهر من خلال متابعة ما تنقله القنوات الفضائية الشيعية.

(٢) المسوح: جمع كثرة، واحدها مسح بكسر الميم وسكون السين المهملة، وهو الكساء من الشعر، وهو غليظ، لأن المسح والمسوح هي جلود الضأن بعد سلخها وذبحها ودبغها يكتسى بها، وانظر: لسان العرب، ٢ / ٢٩٧، ولم أقف على الغرض والمعنى من تعليقها، وقد تكون نوعاً من الرهبانية، كما عند المتبتلين والمتصوفة، ومنه القعود على الرماد، وقد يكون فيها الإشارة إلى الذبح والثأر، ومنه التوبة والتضرع والأخذ بالثأر، كفعل التوابين بعد كربلاء، وفعل قوم يونس لما فقدوه فلبسوا المسوح، ونثروا الرماد على رؤوسهم، عند تل الرماد، وانظر: تفسير الطبري، ١٢/ ٢٩٣، وتفسير ابن كثير، ٣/ ١٥٤، في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾، المائدة: ٨٧، وقد يكون تعليق المسوح علامة على الاجتماع لأمر مفزع ومهم، كالحرب، كما في قصة عبادة بن الصامت عندما بعثه أبو بكر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ إلى الشام، انظر: دلائل النبوة، ٥/ ٣٨٦، أبو بكر البيهقي، ت/ ٤٥٨هـ، ط١، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، وكنز العمال، ١٢/٤٦٦.

(٣) انظر: البداية والنهاية، ٨/ ٥٧٣.٥٧٤.

(٤) يفسرها العباسيون بأنصارهم من عساكر خراسان، ويفسرها العبيديون بأنها رايات غير منصورة من =

فيستعد للظهور معها، (ولو حبواً على الثلج)[1]؛ وقد سبق زعمهم أن عاشوراء موعدٌ لظهور مهديهم[2].

٤- تعطيل الأسواق والأعمال، وقد سبق في الحداد[3].

٥- الإنشاد والأهازيج والهتافات والغناء، وتطور إلى ما يشبه العمل المسرحي، وما يعرف بـ(الأويريت)، وهو من مواضع الفرح، لا النياحة، ولا العبادة![4]؛ وأوله إلقاء القصائد بصوت مطرب كالحداء، واشتهر في الفترة الأخيرة تسمية المنشد رادوداً وروادید، ويسمى بالفارسي الروزة خون، ويسمى عند الرفاعية الصوفية بالقوال، وهي تحتفل بعاشوراء[5]؛ ويغلب على من يقرأ شعراً يبكي

=

خراسان، زمان أبي مسلم الخراساني، وأما رايات مهديهم فهي التي جاءت من المغرب، انظر: شرح الأخبار، ٣/ ٣٦٤، القاضي أبو حنيفة النعمان الشيعي، ت/ ٣٦٣هـ، ت. محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي – قم؛ والغيبة، للنعماني، ص٢٠٣، والغيبة، للطوسي، ص٤٥٢، والملاحم والفتن، لابن طاووس، ص٨٧، ١١٩، وبحار الأنوار، ٥١/ ٨٢.

(١) بحار الأنوار، ٥١/ ٨٤.

(٢) راجع ص٧٢٠ من البحث، وانظر: مجلة جنة الحسين، مقال: (عند الظهور المقدس لماذا شعار يا لثارات الحسين).

(٣) راجع ص٤٩٨ من البحث، لكن إغلاق الأسواق كان في زمن الدولة البويهية، وأما عطلة الزيارة الشعبانية فأقرتها الدولة القاجارية.

(٤) أقرب ما يكون الإنشاد إلى جانب المهرجان والاحتفال، إذ لا يتناسب مع جانب التعبد والعبادة، فمثلاً يذكر الإمامية كراهية الإنشاد للصائم، فمن صام عاشوراء مثلاً يكره له الإنشاد، وأولى منه الغناء، ولو كان في باب رثاء الأئمة، وهذا مما يؤكد أن مظاهر عاشوراء عند الإمامية شعارات، لا عبادات وشعائر، وقد روى الكليني عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال: (لا ينشد الشعر بليل، ولا ينشد في شهر رمضان بليل ولا نهار، فقال له إسماعيل: يا أبتاه فإنه فينا؟ قال: وإن كان فينا)، انظر: الكافي، ٤/ ٨٨، وتعليق السيستاني على كتاب العروة الوثقى، ٢/ ٤٣٧، ولعل ما سبق يتوافق مع مذهب الإمامية الأصولية، أما بعض الإمامية الإخبارية فهي قريبة من طريقة أهل التصوف، الذين يرون السماع عبادة، لأنه يورد القلب إلى محبة الله، وقد تختلط الرؤية في كلام بعض الإمامية على قدر تأثره وانجذابه إلى أي المذهبين.

(٥) انظر: كشف النور، عبد الغني إسماعيل النابلسي.(ت/ ١١٤٣هـ)، ص٢١-٢٢، ط ١٤٠٦هـ، مكتبة الحقيقة . إستانبول، والصوفية: نشأتها وتطورها، ص٩٨، ١١١، ومما جاء في الكتاب الأخير عن مراحل وخلوات أخذ

=

الحاضرين في المجلس، وقد يصاحبه ترجيع من السامعين، ولطم على إيقاعات ومقاطع المنشد الصوتية؛ ومن المتوقع أن تكون نشأته متأثرة بالسماع عند الصوفية، وذلك في فترة متقدمة، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أن السماع ظهر في آخر القرن الثاني الهجري، وهو ما أشار إليه الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا باسم التغبير(١).

٦- متعة عاشوراء: والمتعة إحدى رخص الاستمتاع عند الإمامية عموماً، والاثني عشري خصوصاً، وهي مقررة في كتب فقههم، كما هو مشهور، وتجري بصورة انفرادية بين رجل وامرأة من غير عقد الزوجية المعروف، ولكنه عقد بين طرفين له صيغته وهيئته، وليس القصد هنا عرضها من هذا الوجه، فهم مقرون بها، وإن كان سياق كلام الإمامية المشهور هو كراهية الملذات والنكاح في عاشوراء، لأنه يوم شؤم، لا بركة؛ والقصد هنا الحديث عن متعة جماعية، في أماكن مختلطة من

=

العهد في الطريقة الرفاعية: (وكل من أخذ العهد أن يقوم بخلوة سبعة أيام ابتداء من اليوم التالي من عاشوراء، وشروطها صياح السبعة أيام المذكورة، ولا ينام في تلك الأيام السبعة مع عياله بفراش قطعاً، ولا يأكل من ذي روح، وقد قال الرفاعي: إن خلوة السبعة سبب الفيض للسالك والمريد الصادق)، وهذا يدل على التشابه والتجاذب بين التشيع والتصوف، ومن صوره إظهار الحزن الشديد والصراخ على الحسين، انظر: الطرق الصوفية (نشأتها وعقائدها وآثارها)، ص١٠٤، د. عبد الله بن دجين السهلي، ط١، ١٤٢٦هـ، دار كنوز إشبيليا. الرياض.

(١) انظر: الاستقامة، ١/ ٢٩٧، ابن تيمية؛ وقد أطال شيخ الإسلام في مناقشة الصوفية في جواز السماع، ١/ ٢١٦ -٤٢١، وانظر: إغاثة اللهفان (من مصائد الشيطان)، ١/ ٢٢٩، ابن قيم الجوزية، ت/ ٧٥١هـ، ت. محمد حامد الفقي، بدون تاريخ الطبع، مكتبة المعارف. الرياض؛ وهذه الأعمال ومثلها الرقص عند الأضرحة والمشاهد، يقول الشيخ محمد رشيد رضا عن بدع احتفالات القبورية الصوفية في بلاد الصومال، أيام موالد أصحاب الأضرحة: (وكذلك تأسست من مدة قريبة زيارات جديدة للسيد أحمد الرفاعي بمقدشوه، وغيرها وهي من أكبر المنكرات، وليلة زيارة السيد المذكور ترخص الدولة جميع اللعوبات والملاهي، كاليوم يعمل بها الطبول والمزامير والرقص والطنبرة السودانية، ولعب الزار، ورقص في الخدم، وغيرها من أصناف لعب الأرض حول المسجد الذي تقام فيه بدع الطريقة الرفاعية، مدة أربع ليال، وشيخ الطريقة ومريدوه وأنصاره، الناشرون للخرافات داخل المسجد يتلون مناقب السيد أحمد الرفاعي، والغوغاء والطبول والمزامير حولهم، ولا ينكرون عليهم شيئًا سوى أنهم يهنئ بعضهم بعضًا...)، مجلة المنار، ٢٩/ ١٤٧، عدد: شوال - ١٣٤٦هـ، أبريل - ١٩٢٨م، مجلد: ١٩/ ١٤٧- ١٥١، مقال: (عباد القبور في الصومال)، محمد رشيد رضا.

الرجال والنساء، يستمع فيها رجل بامرأة من غير تعيين ومعرفة، وإنما يقع عليها باختيار عشوائي، يفهم منها إما الإباحية المطلقة الدائمة، كما عند القرامطة، أو نذر الفروج في هذه الليلة خاصة، فهي عند غلاة الشيعة[1].

الفرح والسرور والتوسعة هنا تستلزم –على ثبوتها– اختلاط الرجال والنساء من المحارم وغيرهم، في ليلة مظلمة إباحية تطفأ فيها الأنوار، وقد تكون في مواسم الأئمة الأخرى، ولها مسميات، منها: ليلة الطفية، وليلة الإفاضة[2]، والليلة الظلماء، والليلة السوداء، وليلة الماشوش[3]، وليلة الإمام[4]، وليلة الهفت، وليلة (شختك بختك)، وليلة السيد، وليلة الحنان[5].

الإمامية ـ كما هو مشهور ـ تنسب تجويز المتعة إلى آل البيت[6]؛ ولكن لم أقف على تجويز الإمامية الاثني عشرية لمتعة عاشوراء في كتبهم، كما أن يوم عاشوراء وشهري محرم وصفر ــ

---

(١) راجع ص٨٤٥ من البحث.

(٢) وهي منسوبة إلى أعمال القرامطة، انظر: أعلام التصحيح والاعتدال (مناهجهم وآراؤهم)، ص٥، خالد بن محمد البديوي، ط١، ١٤٢٧هـ، بدون ذكر دار النشر وبلده، وقد نفى الباحث خالد البديوي ما ذكر عن هذه الإباحية، وهو من أهالي الأحساء، فاستنكر ما استقر عند بعض الناس واشتهر من وجود هذه الليلة في المنطقة الشرقية، ووجدت ذكر هذه الليلة في مذكرة أو كتاب منشور عبر الانترنت، واسمه: الدليل العلمي والسياحي لواحتي القطيف والأحساء، ص٣٩، لكاتبه عبد الله الأثري، ويظهر أن الاسم مستعار، وأشار الكاتب إلى وجود شيء من بقايا القرامطة في بلاد الأحساء والقطيف، مستنداً إلى قصة مهندس مصري، ويفهم أن هذه الليلة من هذه البقايا الموجود، ومن بقاياها موضع في القطيف يقع بين الجش وسيهات، وفيه موضع عين تسمى عين الكعبة، وقربها مواضع تسمى: المشعر، وعرفات، ومنى، وعلى كل فوجود هذه الليلة مما يتداوله عوام السنة، ويتندرون به على الشيعة، ولا شك أن وجودها –لو كان– سيكون في وضع مستور، مما يصعب معه القطع، لكن مدار ذلك لو أقر بها من اهتدى منهم إلى مذهب السنة؛ وكتاب الدليل العلمي منشور على الانترنت، في موقع: دار المعرفة، على الرابط التالي:
http://www.kl28.net/knol5/?page=1&p=view&post=133047

(٣) انظر: الآثار الباقية، للبيروني، ص١٤٣.

(٤) هذا الاسم عند الأغاخانية: وهم من الإسماعيلية النزارية، راجع ص٨٥٠ من البحث.

(٥) انظر: الانتصار، العاملي، ٩/ ٨١– ٨٢، وهو ينقل تهم خصوم ا الشيعة من خلال مواقع الانترنت.

(٦) انظر: أصل الشيعة وأصولها، كاشف الغطاء، ص٢٥٤، ص٢٧٠، وذكر أنها من مفردات الإمامية.

عندهم ــ موسم نياحة، وشؤم في النكاح والملذات[1]، فما ينسب إليهم إما هو مما يخفى، ومما يسكت عنه المراجع والفقهاء إرضاء لبعض العامة، أو أن وجوده قليل، أو أنه ـ ولا بد ـ تدركه البركة المترسخة في أذهان الشيعة، ومنها بركة التعرف على المخطوبة في يوم الحسين.

المتعة في مواسم الأئمة لها وجود عند غلاة الشيعة، وطوائف أخرى من حلولية غير الشيعة كاليزيدية[2]، ومثلهم بعض الكيسانية من غلاة الشيعة، الذين يرون أن الدين معرفة الإمام[3]، أما القرامطة فهم من أقدم من اشتهر عنهم هذا العمل القبيح، وقد عرفوا بشيوعية المال والنساء، تأثراً بالمزدكية والزرادشتية[4]، وقد تكون هذه الليلة في مواسم الموالد والأفراح أكثر، لكنها انتقلت إلى عاشوراء، ومنها نذر المرأة للزيارة، أو للمشايخ، فإن كان المقصود بذلك نذر فرجها للزائرين، أو لسدنة الضريح والمشهد ـ عياذاً بالله ـ فهي من هذا النوع[5]، ومنها ما يعرف بمتعة المزار، أو المتعة فوق رأس السيد[6]، وهي متعة مكانية خاصة بالمشاهد، والتي يجري عندها من اختلاط الرجال بالنساء، ويصحبه فساد عريض، بينما يقل فصل مواقع خاصة بالنساء في مثل هذه التجمعات، وإن كانت وجدت زمن العبيديين[7].

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ٩٨/ ٢٩٠– ٢٩١، وجدل ومواقف، ص٦٦.

(٢) اليزيدية هم عبدة الشيطان، وتسمى عندهم بالليلة السوداء (شفرشك)، انظر: الموسوعة الميسرة (في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة)، ١/ ٣٧٥.

(٣) النوبختي ذكر عن حمزة بن عمار من الكيسانية أنه نكح ابنته، وأحل جميع المحارم، وقوله: من عرف الإمام فليصنع ما شاء، انظر: الصراع بين الإسلام والوثنية، القصيمي، ٢/ ٥– ٦.

(٤) انظر: القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، ٢/ ٥٠٦– ٥١٢، وربما يفهم من كلام الباحث أنه يرى هذه الفعلة محصورة في الطبقات المتقدمة من القرامطة، وهذا خلاف ما يشتهر أنها عامة، لكن بعض العامة يتناقلون أن الشيعة يعتقدون بركة المولود في هذه الليلة، وقد يسود في قومه فيما بعد، وهي من حكايا العوام، ولا أعلم مصدرها، ولا يؤيدها إلا تعظيم بركة هذا اليوم عند أولئك الإباحيين.

(٥) انظر: العلويون بين الغلو والفلسفة والتصوف والتشيع، ص٦– ٩.

(٦) انتشرت هذه الظاهرة في أماكن كثيرة، منها مدينة مشهد (طوس)، عند مشهد الرضا، وقد يعتبرونها متعة خاصة، أو متعة غير جنسية!، انظر: المتعة (الزواج المؤقت عند الشيعة/ حالة إيران ١٩٧٨– ١٩٨٢م)، ص٣٧، د. شهلا الحائري، ت. فادي حمود، ط٦، ١٩٩٦م، شركة المطبوعات – بيروت.

(٧) حول عاشوراء النسائية، والحسينيات النسائية، وموكب الزينبيات، ومشاركة النساء في تطبير الأطفال، راجع =

رغم عدم ثبوت هذه المتعة لدي بشكل قطعي، ولنفي البعض لها فإن هذا ليس جزماً بعدم وقوعها، فثم ما يسوغ قبول القول بوجودها، ومن مسوغات وجود هذه المتعة في يوم عاشوراء، أو مواسم الفرح لدى الشيعة الإمامية الاثني عشرية؛ أمور منها ما يلي:

أ- اختفاء معالم المذهب الاثني عشري، مع كثرة الطوائف الغالية، والتي تستكثر بها في القديم والحديث، ومن أمثلتها البابية والبهائية التي خرجت من الشيخية.

ب- عدم بيان حرمتها بشكل ظاهر في كتب الشعائر الحسينية الحديثة، وإن كانت في عمومها مثار جدل على مذهب الإمامية، لأنه ليس بين أنواع المتعة وبين الزنا إلا خيط رقيق، وإن كان بعض مراجعهم يستنكر ويرد على ما يضاف من أنواع المتعة إلى مذهب الشيعة، كالمتعة الجماعية بامرأة واحدة، أو ما يعرف بالمتعة الدورية[(١)]، وإن كان بعض أصحاب البحث والفقه والاجتهاد في قم وجد ـ آخراً ـ لها مخرجًا مناسباً، يرد به على الشباب المستغرب الذي يطعن على الإسلام بأنه يسمح للرجل بأربعة نساء، ولا يسمح للمرأة بمثل ذلك[(٢)]؛ ولكن الحماس حول نفي المتعة الدورية يوحي بحرمة المتعة بليلة الطفية، وتشنيعهم عليها.

ت- جواز واستحباب المتعة بوجه عام عند الإمامية، وأنه وإن زعم البعض تعفف كثير من الشيعة وفقهائهم عنها[(٣)]؛ إلا أن المرويات تفيد أن هذه الدعوى تستر وتقية، وإلا فهي تحرج الشيعي من ألا يتمتع ولو مرة واحدة، بل أصبح أحرص الناس من

=

ص٣٩٣، ٣٦٢، ٣٧٠، ٥١١، ٥١٨، ٥٦٦ من البحث، وانظر: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص٢٨٧.

(١) انظر: الغدير، ٣/ ٢٨٧.

(٢) انظر: المتعة، د. شهلا الحائري، ص١٤٦ – ١٤٧، وذكرت أن من الشيعة من يرخص للممثلين السينمائيين أن يعقد زواج متعة مع الممثلة لتسويغ تمثيل أدوار زوجية!؛ وهناك من نقد الكاتبة في عدم إرجاع المتعة إلى أصولها الفارسية والزرادشتية، انظر: موقع: حمدان العساف، مقالات اجتماعية، مقال: (زواج المتعة إحياء لطقوس فارسية قديمة)، علي الكاش – العراق، على الرابط التالي:
http://www.h-assaf.com/assaf/index.php

(٣) انظر: أصل الشيعة وأصولها، ص٢٧٤.

الشيعة على ممارستها هم رجال المذهب[1].

ث- بعض المرويات التي تفيد مغفرة جميع الذنوب حتى الزنا، مادام عند العاصي حب الحسين والأئمة، وتجري منه دمعة على الحسين، ومن وضع المجاهيل المعاصرين مما ينسب إلى جعفر الصادق ــ برأه الله من إفكهم وكذبهم ــ قوله: (إن المرأة لتزني تسعين زنية، ثم توقد على قِدْر الحسين بخوصة واحدة يغفر لها ما تقدم من ذنبها وما تأخر)[2]، وهذا لم أقف عليه بنصه في المرويات المعتمدة، لكن واقع مرويات الإمامية أن من فعل ذلك اعتماد على مظنة بلوغه فإنه يكتب له ما نوى.

ج- أن باب التجاوزات في تحليل المحرمات والكبائر الشنيعة قد قررته فتاوى المراجع ومرويات الإمامية، وعلى رأسها النياحة، واختلاط مواكب الرجال بالنائحات، ونشرهن شعورهن، وباب التساهل في فتاوى الشعائر الحسينية ظاهر، حتى لم يبق عمل محرم، أو مكروه من وجه ظاهر (عنوان أولي) إلا له ما يحسنه من وجه آخر خفي (عنوان ثانوي)، حتى نقضت كثير من الشرائع، وإن كان المراجع يلقون بلافتة لا عبرة بها في فتاويهم (إلا أن يكون فيه توهين للمذهب)؛ بل صرح بعضهم أن مقلديه لا يتبعونه في يوم عاشوراء، بل إنه هو الذي يتبعهم، وأنهم يقلدونه في أيام العام كله إلا يوماً واحداً، وهذا ظاهر في تسلط العوام على المراجع في عدد من المسائل، فيفتون بما لا يرون، حتى اشتكى بعضهم من فساد عاشوراء، وأنه يحتاج إلى منقذ، وهذا يدل على اتساع الخرق على الراقع؛ هذا علماً أن الخلل لا يتوقف على هذه المتعة، لكنها لما كانت نموذجاً ظاهراً للتحلل من الشرائع عظم الحرج منها، وإلا فالخلل في العقائد أطم وأنكى.

---

(١) انظر: المتعة، د. شهلا الحائري، ص٣٧، ٢٣٢، ٢٣٤، وأشارت إلى انتشاره في المعاهد الدينية ذات الأقسام النسائية.

(٢) الدليل العلمي والسياحي لواحتي القطيف والأحساء، ١/ ٧٠، ينقله مرسلاً، عن أحد شيعة الأحساء، في أحد مآتم عاشوراء، وأن الحاضرين أنكروا عليه، لكن لم أقف على هذه الرواية عند متقدميهم.

ح- تقرير فقهاء الشيعة وعرفائها قاعدة فاسدة، وهي أن يوم الحسين يوم استثنائي، وهو من فروع ولاية الحسين التشريعية، وهو ما جعل هذا اليوم أقرب إلى الانفلات والتوسعة والفرح والعيد؛ هذا إضافة على حرصهم على استقطاب جميع الشرائح والفئات، وما التوسع في تمثيل الأساطير إلا خير شاهد، كمسرحية عرس القاسم، مما يجعل يوم عاشوراء يوماً للدعاية المذهبية أمراً ظاهراً حتى في مثل هذه المسائل، التي أصبحت موضع تندر على الطائفة.

المواكب والاستعراض:

تتنوع المواكب وطرق الاستعراض باختلاف ما تعبر عنه، ما بين موكب حزين، وموكب عنيف لاستعراض القوة والفتوة والشجاعة، ومظاهر الاستعراض، وهي شبيهة باستعراض الجيوش بين يدي الأمراء والقادة، وتعزز هذا العمل زمن ملوك الدولتين الصفوية والقاجارية، لكنها ممزوجة بالنياحة والدم، وألحق الجانب الاحتفالي والمهرجاني بعاشوراء، وهو ما عارضه بعض أعيان المذهب ونقدوه، واستقر الحال فيما بعد على أن يكون عند عوام وبعض رموز المذهب من ضروريات المذهب وشعائره، وأن من يحاول نقده من علماء المذهب فهو من أتباع بني أمية، ومن أعداء آل البيت.

الاستجابة الاجتماعية لهذه المواكب أعطت رموز المذهب نشوة ظاهرة، وحماساً لها، حتى إن أحد أبرز المراجع الشيعة، وهو كاشف الغطاء يقول: (لولا خروج المواكب في الطرقات لبطلت الغاية، وفقدت الثمرة، وانتفى الغرض من التذكار الحسيني، بل ومن الشهادة الحسينية،... التمثيل والتشابيه،... ولعمر الله إن تعطيل تلك المظاهرات لا يلبث رويداً حتى يعود ذريعة إلى سد إقامة المآتم الحسينية، وعندها لا يبقى للشيعة أثر ولا عين، ولتذهبن الشيعة ذهاب أمس الدابر)[1]؛ ويؤكد غيره أن موكب التطبير بما فيه من دماء حمراء، ورايات وطبول وأكفان هي الأقدر على إعادة ثورة الحسين، ولا يقدر على دورها لا خطيب، ولا تمثيل، فمواكب التطبير ـ مثلاً ـ غنية بالواقعية،

---

(١) الآيات البينات، آل كاشف الغطاء، ص٣٦، وللرد عليه انظر: الصراع بين الإسلام والوثنية، القصيمي، ٢/ ٤٦.٤٧.

ومشاهد التطبير تسيل الدمعة معها مباشرة![1]؛ وما أعجلهم إلى هذه الدمعة؛ ومما يؤكد هذه الاستجابة قبول المجتمعات الشيعية للتنظيم المتبع في المواكب، وتصدر مراجع المذهب ـ وخاصة السادة ـ وفقهاؤه للنيابة في استقبال العزاء[2].

أما أنواع المواكب والوفود في عاشوراء فهي كثيرة بحسب وظيفتها، وفكرتها، ومنها ما يلي:

١- موكب العزاء (الموكب العام)، ويحظى بترتيب طبقي اجتماعي وديني.

٢- وفود التعزية التي تتشكل من مختلف المواقع والطبقات، وتتجه إلى رموز المذهب ومزاراته وحسينياته ومراجعه، لتقديم التعزية والنذور.

٣- موكب المطبرين.

٤- موكب الزنجيل، الزناجيل.

٥- موكب عزاء طويرج (قبيلة من بني أسد)، وهو تمثيل لحال هذه القبيلة بعد قتل الحسين، ولطمها ونوحها[3].

٦- موكب النساء.

مما يبرز من أعمال هذه المواكب والوفود ما يلي:

١- ضرب الصدور.

٢- رفع السيوف والسكاكين، وجرح النواصي والظهور بها.

٣- حمل الأسلحة وآلات الحرب.

٤- لبس الأكفان البيضاء.

٥- الجري.

٦- ركوب الخيل.

---

(١) كتاب الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء والتطبير)، جواد العاملي، ص١٨١.

(٢) انظر: إرشاد العباد إلى استحباب لبس السواد، جعفر الطباطبائي الحائري، هامش ص٤٢– ٤٤.

(٣) عزاء طويريج: يبدأ بالمسير انطلاقا من مدينة طويريج الواقعة على بعد ٢٠ كيلومتراً عن كربلاء، حيث يتوجه المشاركون فيه إلى هذه المدينة سيراً على الأقدام، ليصلوا قبل الظهر على مشارف المدينة، حيث تقام صلاة الظهر هناك، ويشتمل هذا الموكب على ركضة طويريج، وراجع ص٥٢٨، ٥٨٢، ٧٥٤ من البحث.

المبحث الثالث

التحول من الانتظار إلى الخروج والثأر

وفيه:

تمهيـــــــــد.

المطلـــــب الأول: الثأر.

المطلـــب الثـــاني: الثورة.

المطلـــب الثالـــث: الظهور.

المطلـــب الرابـــع: خروج الشيعة وخوارجها، وعلاقتهما بعاشوراء.

تمهيد

الحديث في هذا المطلب هو زبدة الآثار بالنسبة للإمامية، لتعلقه برفع الانتظار، وهو واقعها اليوم، والذي وصلت إليه عبر مراحلها الزمنية التي مرت بها، وتطورت خلالها؛ فهو حديث عن موعد الفرج والظهور والخروج، وقد سبق الحديث عن الرجعة والظهور، وأن جمعاً من الشيعة تحينوا أن تقعان في يوم عاشوراء.

الاحتفال والمهرجان الذي تحدثت عنه في المبحث السابق كما أنه خقف من مفهوم النياحة والحزن إلا أنه يقوم على التستر على أمور ثلاثة: الثأر، والثورة (الخروج والظهور)، والفرح بارتفاع التقية، ونهاية الانتظار، وهو ما يعني إلى المبدأ الأول للمذهب وهو الخروج والعدل؛ فهذا المبحث يكمل بيان حقيقة هذه البدع الكبرى التي ابتدأت بالقبور والمراقد والنوح عندها وباسمها، ثم انتقل إلى الاحتفال بالنوح في الطرقات، ثم باتخاذه عيداً ومتنفساً، حتى أصبح الاسم الجامع لكل شعائر عاشوراء هو الكرنفال الأسود، وهو اسم أطلق من أحد أبناء الطائفة، لا من مخالفيهم، ويكفي ما يستوعبه لفظ الأسود من معانٍ تلخص الحدث، وتختصر مفهوم التشيع الحسيني الجديد.

سيكون الحديث في هذا المبحث -أيضاً- لإيضاح حالة الخروج والخوارج من الشيعة، وعلاقتهما بالخروج في مذهب الإمامية وأسلافهم وعقيدتي الانتظار والرجعة، وعلاقتهما بعاشوراء الإمامية الاثني عشرية، وأحاديثها؛ وسيكون الحديث في هذا المبحث من خلال المطالب الأربعة التالية، وهي:

المطلب الأول: الثأر.

المطلب الثاني: الثورة.

المطلب الثالث: الظهور.

المطلب الرابع: خروج الشيعة وخوارجها، وعلاقتهما بعاشوراء (تهمة الرواة بالنصب).

المطلب الأول

الثـــــــــأر

الثأر في اللغة: فيه معنى الغضب والهيجان والانتشار، والحركة المتفرقة المتباعدة عن محلها، والثائر: الطالب والمطلوب، وثارات فلان قتلته[1]، وفلان هو ثأْرُه، أي قاتل حميمه، والثائر: الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأْرَه ودمه[2]؛ والمراد بها هنا أن يقوم الشيعة بأخذ الثأر من قتلة الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والمطالبة بدمه من ورثة أولئك القتلة ومؤيديهم، وهم كل من يخالف بدعتهم ومذهبهم من الذين يسمونهم العامة والمرجئة، فالحدث قد وقع في ساحة أهل الإسلام؛ ويرتبط الطلب بالثأر مع البكاء واكتمال الدين، فلا يتوقف البكاء، ولا يكتمل الدين إلا بأخذ الثأر، بظهور المهدي.

مفردات الثأر والثورة والثائر مفردات منتشرة لدى الاثني عشرية في عاشوراء، مما يؤكد أنها تشغل حيزاً من عقائدها التي تبوح بها، فالمهدي يخرج ثائراً يطلب دم جده، فهو ثأر الله، أو ثائر الله[3]، وكذلك يكون أتباعه وشيعته، فيوجبون على أنفسهم الثأر والانتقام، وهكذا المؤمن الرسالي!، والإشكال في حال الرسالي هو زمن الانتظار، لكن كثر تحفزهم للثأر بشكل ظاهر، فهذا محمد جميل العاملي بعد أن ذكر أهمية البكاء، وأنه يعين على الثورة على الظالم، وأن الانتقام يكون حسب المشروع، قال: (بل يجب أن يكون ــ أي الانتقام ــ طبقاً لموازين الشرع المبين، كما لا بد أن يكون بالكلمة الطيبة أولاً، بحيث يوضح المؤمن الرسالي فضائل أهل البيت، ومثالب أعدائهم؛ ثم باليد ثانياً، عندما لا يكون للكلمة موقع يمكن من خلاله دفع الظلم عن شيعتهم)[4].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، ١٥/ ٨٠-٨٢، ولسان العرب، ٤/ ١٠٨-١١٠، والقاموس المحيط، ص٣٥٨.

(٢) انظر: الصحاح، ٢/ ٦٠٣، والقاموس المحيط، ص٣٥٨.

(٣) انظر: الملاحم والفتن، ابن طاووس، ص١٧- ٤١، وبحار الأنوار، ٩٨ / ١٥٤ .١٥٥، وفي بعض نسخ الكافي: ثائر الله، وابن ثائره، وانظر: الأنوار البهية، ص٣٥١- ٣٥٣، عباس القمي، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

(٤) الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (البكاء.والتطبير)، جواد العاملي، ص١٢٩، ١٣١.

أصبح مصطلح الثأر مصطلحاً مقدسًا لدى الإمامية، تضاهي به الأمم، حتى غدا في الفترة المعاصرة، أبرز شعاراتهم ومحاور مواسمهم، والأدعية والأوراد في كتبهم ترسخ عبارات الثأر بشكل مستفيض، ومن نصوصها: (السلام عليك يا ثأر الله وابن ثأره، والوتر الموتور)[1]، والوتر والموتور هو الذي أصيب بنقص وجناية في أهله أو ماله، والذي يطالب بثأره[2]، وثأر الله عندهم هو الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو وراث آدم[3]، وكذلك أبوه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والمطالب بمظلوميتهم وثأرهم هو قائمهم المهدي إذا ظهر؟ وكذلك كل إمام ــ من خلال مروياتهم ــ هو ثأر الله، لأن الإمام إما مات مسجونا، أو مسموما، وارتبط موسم عاشوراء بالثأر في شعاراته وخطبه وأدعيته وقصصه وكتاباته وهتافاته وطقوسه وآماله، بشكل بارز ومنتشر وظاهر للعيان، لا تقية معها، وليس هذا فيما يدرج على ألسنة العوام، بل هو عقيدة معتمدة يتبناها رموز المذهب، ويصبغونه بها من جديد، ويصفون عاشوراء بأنها أم الثورات؛ فنجد رموز الإمامية المعاصرة لهم كتب مستقلة، أو مقالات حول الثأر، باسم الثورة، أو ثورة عاشوراء[4]، وأصبح من أبرز شعارات عاشوراء وغيرها من مواسم الإمامية (يا لثارات الحسين)، وهو مما لم يكن في أسلافهم بعد الغيبة؛ مما يؤكد أهمية وخطورة هذا المظهر، وهو مما اصطبغ به المذهب، فغلبت عليه صفة الحسينية بدلا من العلوية، أو الشيعية، أو الجعفرية، حتى قالوا: الدين علوي، والتشيع حسيني، بعد أن كان يقال: الدين محمدي، والتشيع علوي[5].

---

(١) ذكرها المجلسي في بعض صيغ الزيارات، وأولها: (السلام عليك يا وارث آدم)، انظر: بحار الأنوار، ٩٨/٢٢٣، والمزار، الشهيد الأول، ت/ ٧٨٦هـ، ص١٢٤، ت/ مدرسة الإمام المهدي، ط١، ١٤١٠هـ، أمير – قم، والمصباح، الكفعمي، ص٤٨٢.

(٢) يقول ابن منظور: (وكلُّ من أَدركته بِمكروه فقد وَترتَه، والمَوْتُورُ: الذي قُتِل له قتيل فلمْ يدركْ بدمه)، انظر: لسان العرب، ٥/ ٢٧٤.

(٣) انظر مثلاً كتاب: الحسين وارث آدم، ص١٧، د. علي شريعتي، ت. د. إبراهيم دسوقي شتا، ط٢، ١٤٢٨هـ، دار الأمير- بيروت، وقد ذكر شريعتي حادثة كربلاء في نسق التسلسل المنطقي والحتمية التاريخية للعدالة الاجتماعية، وأن الحسين ويزيد هما بمكانة ابني آدم هابيل وقابيل، وإبراهيم والنمرود.

(٤) يأتي ذلك قريباً –بإذن الله– عند ذكر أسماء بعض الكتب المعاصرة باسم الثورة.

(٥) راجع ص٤١٤ من البحث.

المطالبة بدم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدأت من بعد مقتله، وأولها حركة التوابين، ثم حركة المختار الثقفي[(١)]، ولا يعنى الظهور والمطالبة بدم الحسين أنه من شيعته، فالمختار ممن تكفره كثير من طوائف الشيعة، لكيسانيته وغلوه؛ لكن المختار وأمثاله قد يطالب بدم، أو برفع ظلم للتوصل إلى مآرب أخرى؛ لكن لأجل الثار فإن المختار أصبح رمزا يستحق مشهدا وزيارة، وبعد أن كان يستحق شفاعة الحسين لجرمه وغلوه فقد أصبح شفيعا يتبرك به ويزار[(٢)]، وتقرأ له الفاتحة في مسجد الكوفة، كما ذكر عن مرجعهم بحر العلوم[(٣)]، بل وأحدث له مقام وضريح منذ عام ١٢٨٥هـ، بل وربما اتخذا له يوم ذكرى، ولقب بالثائر الكبير[(٤)]؛ وأما زعيم الحوزة الشيعية أبو القاسم الخوئي فيقول: (ويكفي في حسن حال المختار إدخاله السرور في قلوب أهل البيت ـ سلام الله عليهم ـ بقتله قتلة الحسين ـ عليه السلام ـ، وهذه خدمة عظيمة لأهل البيت ـ عليهم السلام ــ يستحق بها الجزاء من قبلهم، أفهل يحتمل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت "ع" يغضون النظر عن ذلك)[(٥)].

---

(١) سبق الحديث عن حركة المختار ص٨٥٢، ٨٥٥ من البحث، وانظر: توابع الفتنة الكبرى: ثورة المختار الثقفي، ثأراً لمقتل الحسين، ص٤٥، د. أبو النصر محمد الخالدي، ط١، ٢٠٠٩م، دار العين. القاهرة.

(٢) بحار الأنوار، ٤٥/ ٤٩، باب أحوال المختار: يشفع له الحسين فيخرج من النار.

(٣) انظر: الثائر من أجل الحسين عليه السلام المختار الثقفي، (سلسلة المعارف الإسلامية: ٥٧)، ص٦، ١١٦، عباس غيلان الفياض، مركز الرسالة –، وهو منشورر ضمن موقع: شبكة رافد للتنمية الثقافية، على الرابط التالي:

http://rafed.net/booklib/view.php?type=c_fbook&b_id=804

(٤) هناك من يحدد اليوم الرابع عشر، موعداً لذكرى قيام المختار بالثأر، ولم أقف بهذا الخصوص على عمل معتمد لطائفة معتبرة من الإمامية، مع أن بعضهم يحتفل بذكر مقتل عمر بن سعد.

(٥) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٢/ ٧٨، ١٩/ ١٠٢، وبينما الخوئي يضعف على كل رواية تتهم المختار وتذمه؛ فإنه يشتد على كل رواية أو عبارة وردت في حق القتلة، بل ويلزم من صنيعه أن القتلة لم يسلموا أصلاً، وهذا صنيع الإمامية الاثني عشرية في مسائل الإمامة والصحابة، فمثلاً استنكر الخوئي على الطوسي عده عبيد الله بن زياد من رجال علي؛ وقال الخوئي: (أقول: ما نسبه ابن داود إلى الكشي، لم نجده في اختيار الكشي، ولعل نسخة أصل الكشي كان عنده، وكان هذا مذكورا فيه، وقد ذكرنا أنه مضافا إلى ضعف إسناد الروايات الذامة، يمكن حملها على صدورها عن المعصوم تقية).

تحولت قضية الثأر فيما بعد إلى رمز للطائفية بين السنة والشيعة، حتى مع تطاول الأزمان ينطلي الكذب والباطل، ويروج بين الناس، ومن أعجب الأمر أن مطالبة الإمامية لشيعة الكوفة الخاذلين للحسين تحت بارقة السيف والمال، أن مطالبتهم إياهم بالدم تحوز مساحة أقل في كتب الشيعة وحديثهم من مطالبتهم بمن يصمونهم بالرضى والسكوت، أو الإرجاء، ممن اعتزل الفتنة من الصحابة، أو التابعين؛ ولكنهم في نظر الإمامية خدموا النظام القائم خدمة كبرى، وعطلوا الطاقات الثورية في المجتمع تحت شعار الورع والبعد عن الفتنة[1]؛ هذا بعيدا عن المشاركين في القتل ممن كانوا يوالون ويشاركون جيش بني أمية في الحادثة.

المشاركة تحت راية الثأر تغفر كل ذنب حتى الشرك بالله، ودعوى النبوة، والزندقة والفجور، وخير دليل موقف بعض الإمامية من مثل المختار الثقفي، والذي يتخذ له البعض زيارة خاصة؛ وذكروا أن المختار ــ وهو في النار ــ يستشفع بالرسول وعلي والحسين، فيخرج بعد أن يعذب، وعبد الله البحراني تلميذ المجلسي. الإخباري ذكر أنه عذب بما أظهر من حب الشيخين!، وأخرج بما أظهر من حب الحسين، وثأره له[2]؛ ولا غرابة في ذلك ففي أدعيتهم وتعزيتهم التي ينسوبونها إلى أئمتهم: (وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره مع وليه الإمام المهدي)[3].

اغتفار ذنب الخروج باسم الأئمة دليل على أهمية الخروج على المسلمين، ودعوى وجوب الانتظار تذوب أمام هذه الغاية، ولذلك حتى خروج الإمام جعلوه مرتبطا بفقههم لهذه المسألة، فهذا شيخ الطائفة الطوسي يناقش هذه المسألة ــ في خروج الحسين ــ فيقول: (إن

---

(١) انظر: ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، ص١٧-٢٠، محمد مهدي شمس الدين، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، الدار الإسلامية – بيروت؛ والمؤلف بعد أن قسم مواقف الناس إلى ثلاثة أقسام: الشيعة ومعهم بعض زعماء القبائل في الكوفة، وموقف الهاشميين المؤيدين لمبدا الثورة، مع تخوفهم من نتائجها، وذكر في القسم الثالث: (موقف عبد الله بن عمر، وأمثاله من الورعين!!؟)، الذين اعتزلوا الفتنة، وهو هنا يحاول أن يفرق بين مواقف الصحابة فجعلهم قسمين: الثاني والثالث.

(٢) انظر: العوالم (الحسين)، عبد الله البحراني، ص٦٥٤، وانظر: تهذيب الأحكام، ١/ ٤٦٦، وبحار الأنوار، ٤٥/ ٣٣٩؛ وسبق الحديث عن زيارة المختار ص٣٥١، ٦١٧، ٦٢٤ من البحث.

(٣) وسائل الشيعة، ١٤/ ٥٠٩.

الإمام متى غلب على ظنه أنه يصل إلى حقه، والقيام بما فوض إليه بضرب من الفعل وجب عليه ذلك، وإن كان فيه ضرب من المشقة يحتمل مثلما تحملها أبو عبد الله)[١].

هذه المعاني والمصطلحات على أهميتها عندهم لم ترد في القرآن، بل مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإمامته لم يذكرا في القرآن؛ والثأر لم تعمل به أئمتهم، وحالهم ــ وهم ورثة الحسين الثمانية، رضي الله عن الجميع ـ الذين اتخذتهم الاثني عشرية أئمة لم يظهر منهم أحد ثائرا، مطالبا بدم أبيه؛ فالتشيع من خلال هذه الرؤية ليس قائما على صورة سلام وهداية لأتباعه، ولغيرهم من سائر البشر، بل يتبنى فكرة الانتقام والثأر، فهو مصطلح متكرر في رسالة التشيع، وإن كنا نجد لها تسويغا وتحويرا وتجميلا في لغة التبليغ والتبشير الشيعي المعاصر، لكنها تبقى مفردة مصطنعة ملبسة باسم آل البيت، ولم ترد في كلام الله سبحانه على نحو هذا المنحى التي صرفت إليه.

الإمامية حصرت الثأر كله في التاسع من أئمتهم، والذي ادعوا ولادته، وأنه اختبأ في سرداب سامراء، (الناحية المقدسة)، فهو صاحب الثأر[٢]، وإذا كان الأمر كذلك فالمطالبة به قبل خروجه افتيات عليه، وتدخل في حقه، حتى ولو كان المطالب من آل البيت أنفسهم، بل قد يصل الحال بالشيعة إلى تكفير بعض آل البيت الذين خرجوا، بدعوى أن عملهم تقدم بين يدي الأئمة، وأن دعوى الإمامة والظهور بين أيديهم كفر[٣]؛ لكن بدعوى اللطف الواسع،

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ٤٥/ ٩٦.

(٢) ظهر في الفترة المعاصرة مزيد من العناية بمولد المهدي، وموعد ظهوره، وهما مرتبطان بعاشوراء، فالمولد عنوان الثورة الناجحة، وعاشوراء روحها وموعد ظهورها، وبينهما غابت –عندهم– الحقيقة التي فشل النبي والأئمة في إظهاره.

(٣) مع اختلاف موقف الإمامية من الحسنيين من آل البيت وتفسيرهم لمواقفهم إلا أن عقيدتهم في الإمامة يلزم منها عدة أمور في تقييم حركات الحسنيين، ومثل ذلك موقفهم من حركات الحسينيين من غير السلالة الاثني عشرية، ومن هذه المواقف: أنهم لم يتمثلوا رسالة الحسين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه كان لهم مطلب دنيوي في ثوراتهم، مع ملاحظة أن هؤلاء الذين ذكروا أقام بعضهم دولاً، أما الإمامية فلم تقم لهم دولة على ضوء عقيدتهم إلا على شكل محرف، فمثلاً الصفوية التي تبنت المذهب الاثني عشري يتبرأ منها بعض الإمامية المعاصرين، أما الدولة الحالية (دولة الولي الفقيه) فمع وجود المعترضين عليها إلا أنه ولا شك =

وضرورة المذهب التي يتحكم بها النواب الظاهرون؛ أصبح وارث الدم ليس المهدي المنتظر وحده، فالولي الفقيه يقوم بهذا العمل، وذلك لطول زمن الانتظار، وهذا يبين لنا مدى ما سترسخه نظرية ولاية الفقيه التي تبناها الخميني من قدر زيادة الانحراف في مسار المذهب، بل وليس من الغريب أن تصدر منه العبارات التي لا تصدر من بعض غلاة الشيعة، ومن ذلك قوله مقررا لأعمال المهدي: (إننا لا نعبد إلها يقيم بناء شامخا للعبادة والعدالة والتدين، ثم يقوم بهدمه بنفسه، ويجلس يزيدا ومعاوية وعثمان، وسواهم من العتاة في مواقع الإمارة على الناس، ولا يقوم بتقرير مصير الأمة بعد وفاة نبيه)[(١)].

إن عدم الثقة بالخبر أول من يبتلى به الكاذب نفسه، فقد هل ثم تخوف عند الإمامية أن مهديهم إذا ظهر يبدو له، أو يبدو لله في شأنه، والبداء من عقيدتهم، فيأخذ بالعفو عن ثأره وعدوه، وهذا من نهج أهل البيت، فهذا الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ترك الإمامة (الخلافة) مع قوة جيشه، وصالح معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ والجزم بخلاف هذا ادعاء للغيب، وتقدم بين يدي الأئمة، وتلاعب بمذهب التقية، فهم يحملون ويخرجون اضطراب النقل في فتوى الأئمة في مسألة واحدة أنه من باب التقية، وأن مذهب الأئمة صعب مستصعب، فما المانع أن يكون نهاية الأمر بعد ظهور مهديهم هو الصلح والعفو؟ وذلك حفاظا على وحدة المسلمين وصفوفهم، وهم أولى الناس بجمع أمة جدهم ﷺ، اقتداء بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وابنه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعلى مذهبهم الأمر محتمل، وعلى مقاييسهم العقلية قد يكون وقوعه هو الراجح أو الواجب ضرورة؛ فلماذا يوجبون على إمامهم أمرا واحدا، ما دام مذهبهم بهذه الصعوبة؟ وما دام أنهم

=

قد يتبين التبرؤ منها بشكل أظهر بعد زوالها، وذلك لما يتخوفه المعارضون من سطوتها وأذاها حين يعلنون موقفهم ورأيهم.

(١) كشف الأسرار، ص١٢٣، وهذه الكلمة القبيحة تذكر بكلمة نعمة الله الجزائري الإخباري حين قال في كتابه الأنوار النعمانية، ص٢٧٨، بعد أن ناقش الأشاعرة: (وحاصله أنا لم نجتمع (الروافض) معهم (أهل السنة) على إله ولا على نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولوا أن ربهم هو الذي كان محمد عليه الصلاة والسلام نبيه وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا).

وجدوا لمروياتهم المظطربة مخرجا، فموضوع الثأر أولى أن يجدوا له مخرجا، خاصة مع دعوى التقريب والوحدة؛ فما المانع إذن أن يستدلوا له بالضرورة والعدل الإلهي، وأنه ــ مع عظيم المأساة ـ لا يلزم ولا يجب أن يتكرر مفهوم الثورة، وكما أوجبوا على الحسين التضحية بوحدة المسلمين في ذلك الوقت، فلا يلزم أن يوجبوه في آخر الزمان الذي ضعفت فيه أديان الناس عموما، ولا مانع أن يكلوا حفظ الدين إلى الله سبحانه، وما يجريه من ألطافه وكرمه، فالدين دينه، والأمر أمره، وذلك كله تحت مستند نقض الغرض، ونقض العزائم (البداء)[1]؛ ومما يحسن التذكير به هنا أن دعاوى التقريب السياسية بين الشيعة والسنة تدخل وتندس تحت هذا المعنى من التأويل الباطني.

إذا كان التاريخ يبين ويثبت أن ثورة عاشوراء لم تظهر ثمرتها الإصلاحية مباشرة، وأنها ثورة مقدسة لها طبيعة الديمومة، فهل كان هذا بسبب أن الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يستطع أن ينجح في تربية شيعته، مع أن إمكانية النجاح في شخصيته ــ وفي زمان الأئمة ــ أظهر من إمكانية نجاح غيره ممن يتبنى الثورة في الزمن المعاصر؛ لكن لماذا يروج ويراهن على نجاحها المعاصر؟ وإذا كانت الشيعة ــ من خلال رمز ثورتها المعاصر ــ أوحت وحكمت على النبوة بأنها فاشلة، لولا علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم حكمت على فترة خلافة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وابنه الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالفشل لولا ثورة الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم أوحت بفشل ثورة الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في مقابل نجاح الثورة الشيعية الخمينية المعاصرة، هل هذا تقرير للتحول العقلاني الواعي لدى الجماهير الشيعية المعاصرة، بخلاف حال الجماهير في زمن الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؟!

هذا نوع من الإسقاط والاجتذاب العاطفي للجماهير، فمثلا يقول المرجع الشيعي اللبناني محمد حسين فضل الله عن مأساة الحب الأعمى: (ولعل مأساة الإمام الحسين "ع"

---

(١) اللطف عندهم أمر زائد بدليل العقل والنقل، أما دليل العقل: نقض العزائم، انظر: موقع: الشيرازي نت، (موقع المرجع الشيعي صادق الشيرازي)، الصفحة العقائدية، مقال: (هل يجب اللطف على الله؟)، على الرابط التالي:
http://www.alshirazi.net/aqaed/016.htm

كانت في الجماهير)[(١)]، وقد سبق إلى قريب من هذا المعنى مرشد الإمامية الأكبر الخميني حين فضل جماهير ثورته في إيران على مجتمع النبوة في الحجاز، وعلى مجتمع الأئمة في الكوفة والعراق، فيقول: (إنني أقولها بجرأة: إن شعب إيران بجماهيره المليونية في العصر الحاضر هو أفضل من شعب الحجاز، في عهد رسول الله ﷺ، وشعب الكوفة والعراق على عهد أمير المؤمنين والحسين بن علي...)[(٢)]، ولا شك أن هذا ليس من صميم التشيع الإمامي، بل هو اختراق تحت مسمى التشيع، كما هي عادة طوائف الباطنية من الإسماعيلية والقرامطة وغيرها، فهذه الحسينية الجديدة تلبس مسوح التشيع الإمامي، تحت دعوى جديدة ووكالة عن الأئمة، وبابية جديدة، ومهدية معاصرة تحت مسمى الولي الفقيه: المرجع الأكبر، أو المرشد الأعلى.

❀❀❀❀❀❀

---

(١) موقع بينات، فكر وثقافة، محاضرة بتاريخ: ١٠/١/ ١٤٢١هـ، على الرابط التالي:
http://arabic.bayynat.org/feker_w_sakafa/fikr166.htm

(٢) نص الوصية الإلهية السياسية، ص١٦، زلزال ما قبل الظهور، ص٤٤٥، نقلاً عن: نهضة عاشوراء، ص٣٤.

المطلب الثاني

الثـــــــــــورة

الثورة في اللغة: فيه معنى الغضب والهيجان والانتشار، والحركة المتفرقة المتباعدة عن محلها، كالثأر، والتقليب والظهور والقيام[١]، والثورة بالمفهوم العقدي الشيعي هي ضد التقية، فهي فسخ للبوس التقية، يجري بسلاسة أحيانا، وبفجاءة أحيانا أخرى، وعاشوراء من ضمن مشروع ومواسم فسخ التقية، ومن توصيفاته ـ كما يرى بعض الباحثين والمستشرقين ـ هذا التغير الذي طرأ على مضمون عاشوراء عند بعض عوام الشيعة؛ حيث تحول الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من شفيع ترجى شفاعته عند وقوع مرض أو حلول مصيبة، إلى نموذج أعلى للثائر الشهيد، وبه استقطب واستهدف هذا الطرح طبقات ومجتمعات غير شيعية، تعيش بكنف أو جوار المجتمعات الشيعية، لإنجاح الثورة الداخلية، هذا فضلا عن تصدير المصطلح للمجتمعات السنية، فحلت الثورة بذلك محل التقية، التي لجأ لها الشيعة طويلا[٢].

مصطلح الثورة مصطلح شائع في دهليز الإمامية الاثني عشرية المعاصرة، ولأجله اسم الرافضة أصبح محببا معلنا، بعد أن كان مسبة، ويقول أحدهم معبرا عن واقع موسم عاشوراء، ومصطلح الثورة: (فمحرم ربيع الثورات التحريرية، ومراسم الأربعين ذروة هذا الربيع،... وإذا كان الإسلام يعلم كيف يجب أن يعيش الإنسان، الإمام الحسين يعلم كيف يجب أن يموت الإنسان)[٣].

مصطلح الثورة له رواج وترويج في الخطاب الشيعي المعاصر أكثر من ذي قبل[٤]،

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، ١٥/ ٨٠-٨٢، ولسان العرب، ٤/ ١٠٨-١١٠، والقاموس المحيط، ص٣٥٨.

(٢) انظر: الإمام الشهيد في التاريخ والأيدلوجيا، د. سلوى العمد، ص١٥٤، وهو في فصل من الكتاب، بعنوان: (الحسين في التراث الشيعي)، وهو منشور في موقع فيصل نور.

(٣) بتصرف عن: علم اجتماع الثورة الحسينية والمجتمع الكوفي، ص١٢٤، عماد الدين باقي، تعريب عبد الرحمن العلوي، ط١، ١٤٢٨هـ، دار الهادي. بيروت.

(٤) صدرت عدة كتب في هذا الجانب، منها على سبيل المثال ما يلي:

=

ولا شك أن ثورة ولاية الفقيه على النظام السياسي الملكي الشيعي الحاكم في إيران؛ هي ثورة على عقيدة الانتظار(١)، والتي كانت لها السيادة عند مراجع المذهب، فاحتاج الخميني لترويج مصطلح الثورة، لإنجاح مخططه في الجانب السياسي والعقدي المذهبي على حد سواء، مع كونه مدينا لانتشار هذا المصطلح قبل هذه الفترة، من خلال الثورات العالمية المعاصرة، ومن أشهرها الثورة الفرنسية، والثورة الشيوعية، وغيرها من الفلسفات والنظريات المعاصرة، والتي ألقت بروح هذا المصطلح من جديد في البلاد الإسلامية إلى يومنا هذا، بل وصل الحال من استئثار بعض الإمامية دعوى بعضهم أن الثورات المعاصرة استوحت واستفادت من التراث والتجربة والثورة الخمينية الشيعية المعاصرة(٢).

=

١- منهجية الثورة الإسلامية، الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني.
٢- نهضة عاشوراء، الخميني، إعداد ونشر- جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، دار الوسيلة .بيروت، ط١٩٩٦م.
٣- ثورة عاشوراء شمس الشهادة: رؤية جدية لثقافة ثورة الحسين، لـ (الولي الفقيه الإيراني، مرشد الثورة الإيرانية) علي الخامنئي.
٤- الثورة: مظهر لتحرك الدين بوجه الطواغيت، علي الخامنئي، ت. علي عاشور، ط١، ١٤٢٨هـ، مؤسسة التاريخ العربي. بيروت.
٥- الشهيد والثورة، هادي المدرسي، ط٢، ١٤٠٢هـ، مؤسسة الأعلمي. بيروت.
٦- ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، محمد مهدي شمس الدين، ط١، ١٤٠٠هـ، الدار الإسلامية بيروت.
٧- ثورة الحسين: ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية، محمد مهدي شمس الدين، ط٤، ١٣٩٧هـ، بيروت، وللمؤلف اهتمام بمفهوم الثورة، وتقديس له.
٨- الإمام الحسين: مسيرة ثورية، وهدف مقدس، محمد تقي المدرسي.
٩- الحسين وارث آدم، د. علي شريعتي.
١٠- حديث عاشوراء، محمد حسين فضل الله، ط ١٤١٨هـ، دار الملاك.
١١- علم اجتماع الثورة الحسينية والمجتمع الكوفي، عماد الدين باقي.
١٢- عوامل خلود الثورة الحسينية، محمد الهنداوي، معاصر، ١٤١٧هـ، بدون طبعة ودار نشر، دمشق.
١٣- كربلاء الثورة والمأساة، أحمد حسين يعقوب، معاصر، ط١، ١٤١٨هـ، الغدير- بيروت.

(١) ومثله نيابة الفقيه وتفويضه للسياسي الملكي، كما في الدولة الصفوية إلى البهلوية.
(٢) لذلك أمثلة كثيرة تروج من خلال كتب مجالس عاشوراء، مثل ما يذكرونه عن الزعيم الهندي غاندي، وغيره، ومن صوره المعاصرة ما صرح به مرشد الثورة في إيران في خطبة الجمعة، حول ثورات ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م =

الثورة بأشكالها نوع من رفع السيف والقيام في وجه الحكومات والأنظمة القائمة، وتورد تحت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك يكثر الربط بين الثورة وبين مسوغ خروج الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى العراق، وأنه جاء من قبيل إنكار المنكر ورفع الظلم وحفظ الدين.

انطلقت الإمامية في تقديس مصطلح الثورة من عقيدتهم في عصمة الإمام، وعلمه بالغيب، وتقديس ثورته، هذا حتى وإن اختلفوا في تفسير أفعال الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وخروجه إلى الكوفة، وهل كان هدفه مجرد الموت، أو السعي لإقامة حكومة العدل مقابل حكومة الجور، مع الجزم بقيامه بالاحتياطات والتدابير الأولية لحماية حركته؛ ومن هنا ظهرت توسيع ميادين الثورة زمانا ومكانا ومجالا، فكل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء، وهذا يعني ديمومة الثورة[1]، وأن كل ثائر حسين جديد، وكل مظلوم شيعي، ونحوها من الشعارات التي تتضمن الاستقطاب الشيعي العام، ولو على حساب الإذابة المذهبية مقابل العالمية.

إذا كان الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ــ على قول الغلاة ــ يعلم من عدم تمكنه من إقامة هدفه، بل لم ولن يتحقق لأتباعه ما يصبون إليه إلا بعد أزمان طويلة، وأن الكوفة وأهلها ليسوا أهلا لنجاح ثورته، ولا محلا لحكومة العدل، وأن مأساة عاشوراء الحزينة والمفجعة ستبقى شعارا لشيعته؛ فما هو تفسير قيام الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: هل هو لتولي الحكم؟ أو للمحافظة على الدين؟ وفيما لو انتصر الحسين هل سيفوض من يقوم بالحكم، ويبقى قريبا؟ أي: سيقوم بدور الفقيه؟ أم السياسي؟ أو هو استثناء ومعصوم يجمع بين الأمرين؟

الإجابة على هذه التساؤلات يمكن أن تقرأ في الموقف الشيعي من ولاية الفقيه القائمة في

العربية، في تونس ومصر وغيرهما، والتي سقط فيها رؤساء تلك البلدان، وقد ألقى الخامئني هذه الخطبة باللغة العربية، موجهة إلى العرب، على غير عادته، فمن المشهور عنه وعن المراجع الشيعية أنهم لا يتحدثون رسميًا إلى العرب، وإلى الوفود العربية إلا باللغة الفارسية، حتى ولو كان العرب من شيعتهم ومذهبهم، مع إتقانهم للغة العربية، ودعواهم محبتها، لأنها لغة أهل البيت!؛ لكن استعطاف الجماهير العربية السنية، ودغدغة مشاعرها مصلحة تهتز لها المبادئ.

(١) انظر: نهضة عاشوراء، الخميني، ص٧٠.

إيران![1]؛ وعلى كل فاستحضار معنى الثورة في لغة المعاصرين سيصرف شعائر عاشوراء ــ ولا بد ــ إلى منحى يوافق مفاهيم وقيم أصحاب الثورات المعاصرة؛ وخطاب الثورة الخمينية الإيرانية جسد هذا الجانب، وأحيى مصطلحاته، مما جدد روح العنف والتمزق داخل صفوف العاشورائية الإمامية، بسبب شدة الحيرة في فهم وتفسير مواقف الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وكيفية استخلاص النظام السياسي لحركته، هل يكون: من طريق مرجعية ولاية الفقيه؟ أو من خلال شورى الفقهاء؟ أو من خلال الديمقراطية الحديثة التي يطالب بها بعض أبناء الإمامية.

الثورات الشيعية سوغت قبول وصف الرفض، والذي كانوا لا يرضونه، ويرونه من باب النقيصة والمسبة، فقبلوا الوصف، وقلبوا مراده من رفض الحق والصحابة إلى رفض الظلم والطاغوت، كشعار للثورة، وقلبوا حال التقية والانتظار إلى حال الظهور والثورة، والذي كانوا يحرمونه من قبل، ويرونه ظلما وطغيانا، لكنه أصبح بدعوى الضرورة عدلا وفقها ومعروفا، وهذا النموذج يدل على هشاشة المذهب، وأنه دهليز يتلاعب فيه الباطنية الغلاة باسم التشيع المعتدل، وصولا إلى مآربهم في هدم الدين وإفساده، وحال المجتمعات الشيعية

---

(١) ممن يتبنى هذه النظرية مراجع المدرسة الشيرازية المعارضين لسياسة الولي الفقيه (مرشد الثورة السابق واللاحق)، بينما تراهن ثورة الخميني على ديمومة الثورة، وتفرح بالأحداث الدولية الخارجية التي تشغل الداخل عن التفرغ لاستبدال هذه النظرية وديمومتها، وقد صدر بحث دكتوراه في جامعة عين شمس مصر، وذكرت الباحثة الشيماء الدمرداش زكي، المواقف السياسة الداخلية في إيران، المعارضة لهذا المفهوم، وأنها تنقسم إلى ثلاثة فرق، كما يلي:

١- فريق يؤيد أن يكون دور الفقيه رقابيا، وليس حاكما فعليا، وأن يكون أساس الحكم هو الشورى، وأن يُختار الفقيه من قبل الشعب، ومثل هذا الاتجاه (مرتضى مطهري، ومنتظري).

٢- فريق يرى أن تكون ولاية الفقيه في الفتوى والحسبة والخروج إلى الجهاد، أما الزعامة السياسية فتجوز للفقيه أو غيره ممن هو أهل لها، ويمثل هذا الاتجاه (الخوئي والكلبيكاني).

٣- المعارضون لولاية الفقيه، فيرون وظيفة الفقيه هي النصح والإرشاد والقضاء بين الناس، مجيزين له القيادة السياسية مؤقتا في حالة الضرورة والأزمات، ولا يصلح الفقيه عندهم زعيما دائما، ويمثل هذا الاتجاه (طباطبائي قمي، وشريعتمداري).

انظر: نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها في جمهورية ايران الاسلامية، (دكتوراه من جامعة عين شمس في مصر)، د. الشيماء الدمرداش العقالي، ط١، ٢٠١١م، نشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الانساني – بيروت.

إلا كما عبر عنها الخبير بها، من خلال تقييمه للثورة البائسة المعاصرة: (إنها قصة إيران الثورة منذ بدايتها حتى نهايتها وان شئت قل إنها قصة شعب قدر له البؤس والشقاء في ظل التيجان والعمائم على السواء)[1].

على ما سبق فمجالس عاشوراء وخطبها ليست إلا مجالس ثورية[2]، وأن الحسينيات ليست محلا للعبادة والشعائر العبادية، وإنما هي للشعائر الثورية، التي هي روح الحدث، والتي تسوق الجماهير بسياط العاطفة البكائية إلى قناعة الموت المبكر[3]؛ كما تنافس هذه المجالس مسارح عاشوراء الدرامية، لتحقيق نفس الهدف، وهي ترسخ المأساة كأسطورة ملحمية لمجتمع خاص، يفاخر بها منظروها المسارح الدولية، فجعلت مصيبة بيت النبوة ميدانا للنشر والدعاية، فاللهم لا تشمت بنا عدوا ولا حاسدا؛ ولذا نرى أن الثورات الشيعية المعاصرة استمدت لها قداسة بدعوى أنها امتداد لثورة المعصوم، واعتنت بالحسينيات لتثبيت هذه الشعيرة المقدسة، وإلا فلم تكن هذه الحسينيات موجودة من قبل، مما يدل على تلازمها مع مفهوم الثورة، وتسييسها للتشيع بصورة بارزة، إضافة إلى ما فعلته الدولة الصفوية، وعلى قدر تكثيف مفهوم إقامة العدل ورفع الظلم ينزاح معنى العبادة والشعيرة عن هذه الأماكن والمواسم، وإن تسترت بشعيرة البكاء والحزن، فتتخلص للشعائر السياسية، كما يشير إليه الخميني مرشد الثورة الإيرانية[4]، ومن هنا استسيغت عبارة: (كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء)، وكذلك مفهوم البكاء السياسي، لا العبادي، والبكاء الفعال العملي الذي تسقط به الحكومات والدول، لا بكاء المأساة والمصيبة فقط؛ إذ لا معنى لمجرد كون الشيعة شعبا

---

(١) الثورة البائسة، ص٤، د. موسى الموسوي، ط ١٤٢٨هـ.

(٢) عاشوراء في فكر الإمام الخميني، ص٢١، ونهضة سيد الشهداء، ص١٨. ٢١.

(٣) انظر: عاشوراء: النصّ والوظيفة وإمكانية التعبير، مقال: طقوس عاشورائيّة وإعادة تأويل شخصيّة الحسين، ورقة قدمها جواد الأسدي، عام ٢٠٠٩م، دار الملاك. بيروت، وهو بحوث وأوراق مؤتمر (عاشوراء: النصّ والوظيفة وإمكانية التعبير)، والذي نظمته مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر، والصورة العاطفية المذكورة ترسخ كون الطائفة لا عقلانية، وهو المدخل التي قد يسوغ وصم الإسلام عموماً بالتخلف والخرافة، كثرة ما ألصق به من البدع والخرافات.

(٤) عاشوراء في فكر الإمام الخميني، ص١٨، ٢٠.

بكاء[١]، بل لا بد من توحيد البكاء ليكون بكاء تعبويا.

من أهم وسائل الثورة الشيعية هو شعار (البراءة من الظالمين)[٢]، وهذا في مقابل العدل الإلهي، ومعنى هذا الشعار هو القيام بالبراءة من عموم الظالمين لآل البيت، وأخصهم قتلة الحسين: جيش الكوفة وأميره، وابن زياد، ويزيد وسائر بني أمية، والمرجئة، والناكثين، والقاسطين[٣]، والخلفاء، ومن ارتد من الصحابة بعد الرسول ــ وهم الجميع إلا قلة ــ، ومن ارتد من الناس بعد قتل الحسين، وهم ثلاثة، كما في رواياتهم[٤]، والبراءة من كل خارج بين يدي الأئمة، والحكومات القائمة المعاصرة، ويلحق بالبراءة لعن من سبق[٥].

بقاء الظلم في حق آل البيت أمر متيقن عند الإمامية ــ حتى بين أتباعهم ــ، وعليه فلا بد من تحرير الظلم هنا، وإلا عدت كل مخالفة لهم ظلما وكفرا، ومن المسلم به وجود الاختلاف بين الإمامية، وهذا يلزم منه أن هذا البعض يقع في مخالفة وظلم آل البيت يتبرأ منه الآخر، لكفره وظلمه بمخالفة آل البيت، أو أن يجزم بأن الواحد منهم يخالف في حال، ويوافق في

---

(١) نهضة عاشوراء، ص ٨٢.٨٣، ٨٦.

(٢) البراءة من الظالمين، ومثلها البراءة من المشركين، دعوات تتكرر مع الدول الشيعية، ومنها مسيرات البراءة التي يرفعها حجاج إيران من الشيعة في سنوات مضت، وآخرها ما جرى في عام ١٤٠٧هـ قبيل أيام الحج، ولتجلية حقيقة هذه الشعارات انظر كتاب: البراءة من المشركين بين المعنى الشرعي والتأويل الشيعي (الباطني)، عبد الرحمن بن عبد الله آل علي، بدون تاريخ الطبع، دار أصداء المجتمع، ولعل التعلق بمصطلح الظالمين أخطر من المشركين، لأن لفظ الظالمين يلتبس على السامعين في إطلاقه أكثر من المشركين، وإذا كانت الدعوة الأولى كادت أن تسوغ على عوام المسلمين، فالثانية أحرى أن يغفل عن حقيقته عوام المسلمين، هذا ما لم تبرز الجهود جلية لبيان حقيقة هذه الدعوات.

(٣) الناكثين والقاسطين والمارقين، يرمز بها إلى المخالفين لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في وقعتي الجمل (الناكثون)، وصفين (القاسطون)، وإلى الخوارج الذين قاتلهم في النهروين (المارقون)، والتزموا لقتال علي لهم أنهم كفار، لقوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ ...﴾ الآية، التوبة: ١٢، فالمسألة – عندهم– إما أئمة حق، أو أئمة كفر، ويرون أنهم أعظم جرماً من المشركين الذين قاتلوا رسول الله من المشركين أهل الجاهلية، انظر: مستدرك الوسائل، النوري، ١١/ ٦٢.٦٣.

(٤) راجع ص٨٥٤٩من البحث.

(٥) سبق الحديث عن اللعن ص٦٠٩– ٦١٧ من البحث.

حال، فقد اجتمع فيه ما يوجب الولاء وما يوجب البراء (الظلم)، فيجب على المرء أن يتبرأ من نفسه، إلا أننا نرى الإمامية في هذا الباب إما أن تكون مرجئة فيما بينها، ووعيدية على من خالفها؛ أو تكون أمة يلعن بعضها بعضا، ويتبرأ آخرها من أولها، هذا فضلا عن برائتهم ولعنهم السابقين الأولين من أمة محمد، الذين تتبرأ منهم، وتصفهم الأدعية بأنهم حزب الشيطان، وأنهم أول من أسس الظلم.

المطلب الثالث

الفَــــرَج والظهــــور

كثيرا ما تعلق الشيعة أتباعها بهذا الموعد، حيث اللقاء بالمهدي الحجة، فزمانه زمان الثأر، ويومه اليوم الأسود، وهذه الأيام تتجدد دعاوى الظهور، بل صرح أحد مراجعهم الكبار أن هذه الأيام هي وقت الظهور، وأن أنصاره على أتم الاستعداد لظهوره، ومن أشهر المهتمين بترقب المهدي هي (جمعية الحجتية)(١)، والتي من أعضائها رئيس مجلس الوزراء الحالي في

---

(١) الحجتية: اسمها الرسمي (الجمعية الخيّرية الحجتيّة المهدوية)، نسبة للحجة، أسسها محمود ذاكر زادة تولايي، الذي يشار اليه بـ (محمود الحلبي)، عام ١٩٥٣م، في مشهد بإيران، بعد انقلاب زاهدي على حكومة مصدق الوطنية، وهي بالاصل جماعة سياسية عقدية، اجتذبت الكثير من الشباب فترة الكبت الديني التي استمرت حتى عام ١٩٧٩م، وفي تقرير لموقع البينة السني أشار إلى عدد من الأمور حول أعمال هذه الجمعية، ومنها ما يلي:

أ- الرئيس أحمدي نجاد وأعضاء حكومته وقعوا ميثاقًا مع إمام الزمان.

ب- في أول جلسة لمجلس الوزراء قام السيد صفار هرندي بإلقاء هذا الميثاق في (بئر جمكران) في مدينة قم القريبة من طهران.

ت- الرئيس أحمدي جاد أنفق (١٠ مليار تومان) على احتفالات النصف من شعبان (يوم ميلاد المهدي المنتظر)، بذريعة أن علي خامنئي أوصى بتنفيذ مشروع تعجيل ظهور إمام الزمان.

ث- أحمدي نجاد من المؤمنين بأن دعاء التعجيل في بئر جمكران يؤدي إلى تعجيل ظهور المهدي الموعود.

ج- أن الإمام سوف يظهر خلال السنوت القليلة القادمة، لهذا يجب أن يكونوا على أهبة الاستعداد دائمًا، ولهذا السبب أقاموا في مبان تجاور ثكنات الجيش والمؤسسات الأخرى، حتى يتمكنوا من العثور على أفراد يكون لديهم صلاحية خدمة إمام الزمان وقت ظهوره؛ وبناء عليه أعدوا خرائط خاصة بالطرق، من أجل اللحاق بالمهدي عندما يظهر، والانضمام إليه؛ وقالوا: إن لديهم دليلين على قرب موعد ظهوره:

١- مجيء «سيد» من خراسان، وقد تحقق هذا بمجيء سيد علي خامنئي من خراسان.

٢- تقارن يوم عاشورا (١٠ محرم) مع يوم جمعة، وهذا حدث بالفعل منذ عدة سنوات.

انظر: موقع البينة، مقالات، شخصيات ومنظمات، مقال: (أحمدي نجاد وجمعية الحجتية)، أ.د. يحيى داود عباس، على الرابط التالي:

=

إيران: أحمدي نجاد[١]، والذي يقولون أنه من علامات الظهور، وأنه شعيب بن صالح![٢]، والذي حصل على تزكية ومباركة بعض المراجع، وأن انتخابه لكرسي الرئاسة كان باختيار المهدي، ولا شك أن أول المنتفعين من هذه الدعايات المضللة هي ثورة الخميني، لتكسب بها مزيدا من الوقت أمام المعارضة الداخلية، وتستخف بها الأقليات الشيعية خارج إيران؛ وبغير هذه السياسات تتهاوى شرعية الثورة الموهومة.

تتسلى جهلة الشيعة بما يعرف بلقاء المهدي، وما يرويه وضاعوهم ووعاظهم من أخبار اللقاء، وهي تراث متراكم على امتداد القرون، ومما يرجونه سببا من أسباب اللقاء، والظهور معه ما يلي:

١- زيارة (الناحية المقدسة) بسامراء، قرب مرقد العسكريين.

٢- الاحتفال بمولد المهدي في شهر شعبان، وهو مما زاد الارتباط بين عاشوراء والمهدي، واتخذ النصف من شعبان عيدا وعطلة رسمية أيام الدولة القاجارية، وهو موعد الاحتفال بمولد المهدي: وارث دم الحسين، وهذا مما ساعد على توسيع الاحتفال بالمواسم، وارتباطها بعاشوراء من جهتين: زيارة الحسين في شعبان موافقا لمولد المهدي، وأن ظهور المهدي يكون في يوم عاشوراء موافقا لمقتل الحسين.

٣- زيارة آل يسين: وهي من زيارات المهدي في سرداب سامراء، وهي عبارة عن تلاوة دعاء الزيارة بعد صلاة اثنتي عشرة ركعة، يشتاق بعدها الزائر لرؤية المهدي، وفي

=

http://www.albainah.net/index.aspx?function=item&id=10007&lang

(١) في تقرير لموقع الرشيد الالكتروني جاء فيه أن هذه الجمعية كانت تتبع مرجعية الخوئي، وأنها كانت معارضة لمفهوم ولاية الفقيه، لكن الخميني احتواها واستثمرها لصالح دولته؛ انظر: موقع: موسوعة الرشيد، هيئات، مقال: (جماعة الحجتية)، على الرابط التالي:

http://www.alrashead.net/index.php?partd=18&derid=680

(٢) يكثر حديث الشيعة عن الظهور المقدس وعلاماته، وأنه يكون في ليلة تاسوعاء، أو ليلة عاشوراء (جمعة)، وسبق أن عاشوراء المهدي في زعمهم يوم سبت، وكثرت تكهناتهم: (العلامات الكبرى لظهور الإمام المهدي)، وذكروا فيه عشرون علامة تدل على أن هذا الزمان زمان المهدي، ومن هذه العلامات تولي أحمدي نجاد.

سؤال وجه لأحد أهل العرفان والتصوف من الإمامية: ماذا نعمل لكي نكون قريبين من بقية الله عليه السلام؟ فجاء الجواب: (الخلوة معه ـ عليه السلام ـ ساعة واحدة يوميا، تقرأ زيارة (سلام على آل ياسين) في مكان خال، والإكثار من قول: (المستغاث بك يا بن الحسن)، و(المستعان بك يا بن الحسن)، وقول: (يا صاحب الزمان أدركني، يا صاحب الزمان أغثني)، وينبغي أن تجد طريقك في التوسل به، لتزداد رفاقتك معه عليه السلام)[1]، ويكون تكرار الاستغاثة بالمهدي (١١٠) مرة[2]؛ وأدعية الإمامية وغيرهم من الرافضة مليئة من الاستغاثة بالأئمة، أو بالمعدومين، من دون الله، عياذا بالله[3].

٤- الخلوة الروحية: وهذه تكون في الزيارات اليومية من خلال الأوراد اليومية، ولهم فيها أهوال وغرائب، مما يدل على إغراقهم في العرفان والتصوف، وهذا أحد دعاتهم في هذا المضمار، وهو علي الكوراني، يقول: (أخبرني أحد الأشخاص الكبار الذين أثق بهم، أنه سمع أنه توجد رياضة خاصة من يفعلها يستطيع أن يرى واقعة كربلاء

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ٩٩/ ٩٢.

(٢) هذا العدد من مجربات العارف عبد الكريم الكشميري، ت/ ١٤١٩هـ، انظر: قبسات من كتاب لسان الصدق (قراءة في حياة وأفكار وإرشادات العارف الكبير)، الفصل الثاني، أجوبة المسائل العرفانية، عادل الكعبي، على الرابط التالي:
http://www.alseraj.net/alseraj1/books/kachmeri/4.htm

(٣) زيارة آل ياسين مثبتة في كتب الزيارات والأدعية، ككتاب مفاتيح الجنان، للقمي، ومنها الاستغاثة المشهورة بعلي رضي الله عنه، وهي -بزعمهم- من مجرباتهم في رد الضائع:

نادي عليا مظهر العجائب   تجده عونا لك في النوائب
كل هم وغم سينجلي   بولايتك يا علي يا علي يا علي

انظر: مستدرك الوسائل، ١٥/ ٤٨٣، والمصباح، للكفعمي، ص١٨٢، وبحار الأنوار، ٢٠/ ٧٣، وعلق المحقق أن الجملة الأخيرة (بولايتك يا علي...) من زيادات جهلة الصوفية، لكنه لم يستنكر إقرار المجلسي لها، وتروى (بنبوتك يا محمد، وبولايتك يا علي)، وهي أيضاً من أكاذيب الشيعة ومفترياتهم، انظر: كشف الخفاء (ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس)، ٢/ ٣٦٣، إسماعيل بن محمد العجلوني، ت/ ١١٦٢هـ، ط ١٣٥١هـ، مكتبة القدسي - القاهرة.

كما هي في يومها! وهذا أمر يتفق مع الكشوف العلمية التي تؤكد أن الأحداث والوقائع في الأرض محفوظة في عالم أثيري خاص، وأنه يمكن للروح أن تتصل بها وتراها! قال: لكنه لم يمكنه مشاهدة جميع وقائع عاشوراء، فهناك مقطع نحو ثلاث ساعات غير قابل للمشاهدة لأحد، من حين هوى الإمام الحسين عليه السلام من على ظهر جواده، إلى أن جمع النبي صلى الله عليه وآله دمه، فصعد به، وجعله على أسطوانة العرش، فهو يهتز إلى يوم القيامة! هذا المقطع غير قابل للرؤية! هذا هو الصبر الذي نتجت عنه الإمامة الكبرى، وهو نفسه صبر صاحب الزمان أرواحنا فداه، الذي يرى هذا المشهد كل يوم صباحا ومساء)[1].

٥- ليلة الحضرة: وهي ليلة تطفأ فيها الأنوار، غير ليلة المتعة (ليلية الطفية)، وغير ليلة عرس القاسم، فتطفأ الأنوار ليعم الظلام، وذلك انتظارا لمجيء وحضور المهدي، كما تفعله الصوفية في الحضرة النبوية[2]، في ذكرى مولد النبي ﷺ، ومن ذلك أن بعض الجماعات يطفئون النور ليلا حتى يدخل المهدي صاحب الزمان، ثم يضربون رؤوسهم بالأحذية تواضعا وترحيبا به، وربما أعدت لاستقباله المجالس الفاخرة، والمساكن الكبيرة، وإطفاء الأنوار في حضرة المهدي يكثر في اعتقاد الإمامية أن يوافق خروجه يوم عاشوراء؛ ومثل في هذا العمل ما يجرى في تشابيه عرس القاسم، والذي يسبق أو يعقب ـ عادة ـ يوم عاشوراء، أو ما يعرف بليلة الطفية، وهي متعة عاشوراء، وتطفأ فيهما الأنوار، ويكتفى بشموع يسيرة؛ مع أن هيئة الظلمة تخالف ما يرونه من خروج المهدي في جلاء بين الركن والمقام، وكونه يخرج في قرن الشمس، فهي روايات ينقض بعضها بعضا.

حضور المهدي ومشاركته للشيعة يكون في المجامع العامة ـ بزعمهم ـ، وفي الغرف الخاصة داخل البيوت، وقد يكون في المواكب في الطرقات، وفي احتفال النصف من

(١) الحق المبين في معرفة المعصومين، ص٥٣٠.

(٢) انظر: الصوفية نشاتها وتطورها، ص٨٩. ٩٠.

شعبان "مولد المهدي"، والذي تتجدد فيه شعائر عاشوراء، كالزيارة الحسينية، كما قد تتكرر زيارة المهدي في عاشوراء، الذي هو عندهم مظنة الكشف، وميدان الرياضات الباطنية، ومثله وسيلة زيارة المهدي في قراءة زيارة آل ياسين.

٦- تعزية المهدي يوم عاشوراء: ومثلها تعزيته في سائر المآتم، وتكون بصيغة تفهم حضوره، وأنه وارث مصائب آبائه وشيعته.

٧- مبايعة المهدي يوم عاشوراء، وكل يوم، على الشوق والسمع والطاعة عند الخروج، وعدم التخلف والنكوص، كما حصل من خذلان شيعة جده الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى لا تتكر المأساة!، وتكون البيعة من خلال الأوراد اليومية، أو الأدعية الموسمية، وتكون على الإقرار بالإمامة له، و(لا دين لمن لا عهد له)[١]، فالزمان لا يخلو من إمام، وإلا لساخت الأرض[٢].

تجديد العهد بالمهدي، والبيعة له، يكون بالزيارة لقبور الأئمة والتحدث إليهم، أو من خلال الزيارة عن بعد بالتوجه إليهم بالبروز إلى الصعدات، والإيماء إلى جهتهم، وقراءة أدعية الزيارة، والتي تتضمن السلام عليهم، واللعن والبراءة من أعدائهم، والإقرار بالانتظار للمهدي، ورجعة الأئمة ـ ومنهم الحسين ـ خلال دعاء الزيارة، وعدم الإبلاغ عنه، أو تسميته للسلطات القائمة، لأنه يظهر وليس في عنقه بيعة لأحد من الناس![٣].

البيعة تعني الارتباط بإمام إلهي، لذا تجدد كل صباح، وبعد كل صلاة، وكل جمعة، وفي مواسم الزيارات، كالزيارة الشعبانية، كما أنها تمنح الارتباط بالفقهاء والمراجع،

---

(١) بحار الأنوار، ٧٢/ ٩٦، ٨١/ ٢٥٢، والمجلسي ينقله من نوادر الراوندي.

(٢) الكافي، ١/ ٢٠٣.

(٣) انظر: كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ص٤٧٩، وفي علة الغيبة ذكر: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صاحب هذا الأمر تعمى ولادته على هذا الخلق، لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج)، و(يبعث القائم وليس في عنقه بيعة لأحد)، ص٤٨٢: (خرج في توقيعات صاحب الزمان: ملعون ملعون من سماني في محفل من الناس).

وتعطي الولي الفقيه بعدا عقديا، لكون الفقيه ينوب عن الإمام، ويؤكد على عدم الركون إلى الظالمين، ولزوم البراءة منهم(١).

بيعة المهدي تصاحب تقديم العزاء للمهدي في مجالس العزاء والخطب، وفي قراءة الأدعية، كدعاء العهد والبيعة، ودعاء زيارة شعبان، والذي هو امتداد لموسم عاشوراء، وتستحب فيه عند الإمامية زيارة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتلاوة ختمات تهدى لإمامهم الغائب(٢)، ومنها دعاء الفرج، أو دعاء العهد والنور الذي يقرؤونه رغبة في ظهور المهدي.

٨- دعاء العهد البيعة: وذلك من خلال دعاء الأربعين كل صباح، ومن يقرؤه أربعين صباحا فيرجى له لقاء المهدي، (من دعا إلى الله أربعين صباحا بهذا العهد كان من أنصار قائمنا ـ عليه السلام ـ، فإن مات قبله أخرجه الله تعالى من قبره، وأعطاه الله بكل كلمة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة)(٣)، وفيه: (اللّهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي، عهدا وعقدا وبيعة له في عنقي، لا أحول عنها، ولا أزول أبدا، اللّهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابين عنه)، وجاء في آخره: (ثم تضرب على فخذك الأيمن بيدك ثلاث مرات، وتقول: العجل يا مولاي يا صاحب الزمان، ثلاثا)، وذكر المجلسي أن الداعي بعد دعاء المهدي: يصفق بيده

---

(١) انظر: آداب عصر الغيبة، حسين الكوراني، ص٣٩.٤٣، بدون تاريخ الطبع، دار التعارف - بيروت.

(٢) وهذه ظاهرة تكثر في السنين الأخيرة في مواقع الانترنت، ومنتدياتها، من خلال قراءة ختمات قرآنية جماعية، أو بالتناوب، رغبة في ظهور المهدي، انظر على سبيل المثال: موقع: المركز الإعلامي للسيد الصرخي الحسني، الأدعية والمناجاة والزيارات، موضوع بعنوان: (حملة "الحسن المجتبى عليه السلام" القرآنية لتعجيل الفرج)، على الرابط التالي:
http://www.al-hasany.com/vb/showthread.php?s=e2496ec739f02faacadd5503695367e7&t=218138

(٣) المزار، لابن المشهدي، ص٦٦٣، وبحار الأنوار، ٥٣/ ٩٧، ٩٩/ ١١١، والمصباح، الكفعمي، ص٧٢٩، ومفاتيح الجنان، ص٦٦٠.

اليمنى على اليسرى، كتصفيق البيعة[1].

٩- تحري ظهوره وخروجه في يوم عاشوراء: وقد سبق أن يوم الظهور ويوم الرجعة يكون في عاشوراء، يوم سبت، وقد يقدمونه يوم الجمعة، وأنهم يتحرونه ذلك في السنة التي تكون وترا، وبعد فساد الناس[2].

كل ما سبق من التشابيه، ومن المهرجان، ومن شعائر الظهور وبيعة المهدي؛ كله مبني على تسويغ استذكار مصيبة الحسين خصوصا، وآل البيت عموما، وترتبط جميع الطقوس والبدع المتعلقة بزيارات أضرحة الأئمة ومقامات الشيعة؛ ترتبط بهذا الاستذكار، وهذا ظاهر في كتب الزيارة المعاصرة[3]، وإن كان قد ارتفع دعوات داخل المذهب تدعو إلى محاربة الغلو المنتشر في المذهب في استذكار قضية مصيبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلى درجة أنه أصبح ثم تأليه للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما قد أله من قبل عند الغلاة، ومبتدأ هذا الغلو من جنس العشق الصوفي، وهذا هو ما كانت تنكره الشيعة الأولى، فقد كانت تلعن وتكفر فرق الغلو السابقة، ولكنها انجرت ـ كما هي عليه في الواقع المعاصر ـ إلى نفس حال تلك الفرق الغالية، كما أنه تظهر بين حين وآخر دعوات للتبرؤ من هذا الغلو، وأنه من مخلفات الدولة الصفوية، التي كرست الاهتمام بالجانب المأساوي الإنساني لتلك المصيبة، وتؤكد هذه الدعوات أنه ــ مع الإبقاء لصور الاستذكار الرمزية ـ لا بد من الاهتمام برسالة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الإصلاح، وأن هذه الطقوس كما أنها ليست حراما، فليست أمرا ضروريا وواجبا!

مصائب الأئمة مستثناة عند الإمامية من النهي عن تجديد الحزن، ومن الصبر على ما يستذكر منها، ومن التسخط والجزع، لأن ذلك عماد بقاء المذهب![4]، إضافة إلى أنه أساس

(١) بحار الأنوار، ٩٩/ ١١١، وعنه: عباس القمي في مفاتيح الجنان، ص٦٦٠، وانظر: البراءة من المشركين بين المعنى الشرعي والتأويل الشيعي، ص١٥٣.

(٢) راجع الحديث عن الرجعة في الباب الأول ص٢٨٥-٢٩١ من البحث.

(٣) انظر: كامل الزيارات، لابن قولويه، ت/ ٣٦٧هـ، ونور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين، ص٣٤٥، محمد حسن الاصطهباناتي، ط٢، ١٤٣٠هـ، مؤسسة الأعلمي. بيروت.

(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة، محمد علي الأنصاري، ٤/ ١٠٩، وقد سبق في الباب الثاني الرد على كثير من مظاهر =

للثأر، والتباكي على المظلومية، والاستئثار بولاء آل البيت والمتاجرة باسمهم، أو إلى ما أوجبته عقولهم من الضرورات والألطاف.

إن الاستذكار هو استسلام للمصيبة، وتعمده هو مما يخالف الصبر، وقد أمر العبد بالاسترجاع والصبر، كما قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[1]، وهذا العمل مخالفة لكلام أئمة آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن قبلهم سيدهم نبي الأمة محمد ﷺ، وقد رووا عن الباقر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أنه قال:(من صبر واسترجع وحمد الله عند المصيبة فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله، ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم، وأحبط الله أجره)[2].

إضافة إلى ما سبق فإن الواقع يشهد إنكار بعض رموز الطائفة المعاصرين حال عوامهم في تمثيل هذه القضية، وإهمالهم لرسالة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعده تصنيما، أي كأن قضية الحسين صنما جديدا يؤله، وأن هذا تخلف[3]، وقد يوصف جيل المتذمرين من المبلغة الموجودة في الأساطير المذهبية؛ قد يسمون بالمستغربين، وربما كان هذه التوسع في الخرافة نفر طائفة من شباب هذا الجيل، وقد صرح الخميني بأن (هنالك من رواد مجالس العزاء من يستمعون إلى التوجيه الاجتماعي للخطيب، فإذا وصل إلى ذكر المصيبة وقراءة المقتل خرجوا)![4]؛ وكيف يريدون أن يقدموا هذه الخرافات في دعوة الكفار إلى الإسلام.

يتداعي الإمامية اليوم إلى إصلاح عاشوراء، وأرى أنه لا يعني، ولا يلزم منه الرجوع عن هذا الطقوس والشعائر المذهبية، والتمسك بالحق، بل قد يكون نقدها قنطرة للوصول إلى

=

الجزع والحزن، وأن طريقة الاثني عشرية مفتراة على آل البيت، بل ومخالفة لنصوصهم التي يرونها عنهم.

(١) البقرة: ١٥٦- ١٥٧.

(٢) بحار الأنوار، ٦٨/ ٩٦.

(٣) انظر: مجلة الموسم، عدد: ٢١، ٢٢، ص٣٠٩، ٣١٠، وانظر: مأساة الزهراء، جعفر مرتضى العاملي، ٢/ ١٧٣، ط٥، دار السيرة - بيروت، وهو رد على المرجع الشيعي اللبناني محمد حسين فضل الله، في طرحه حول مأساة الزهراء، وتكذيبها، في كتابه: من وحي القرآن.

(٤) نهضة عاشوراء، ص٨٦.

باطل آخر، فلا يلزم من الإنس به الأمن من عواقبه ومآلاته.

المطلب الرابع

خروج الشيعة وخوارجها، وعلاقتهما بعاشوراء

الخوارج علم لطائفة استقلت عن جماعة المسلمين، يقول ابن حزم في تعريفهم: (ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم، وتكفير أصحاب الكبائر، والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش؛ فهو خارجي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك فيما اختلف فيه المسلمون، خالفهم فيما ذكرنا، فليس خارجيا)[(١)]؛ وأول فئة منها خصت بذم هي أهل النهروان، لأنهم جمعوا إلى مرادهم جهلا، وإن كان ظاهرهم العبادة، وقد أكرم الله علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ببيان أمرهم، وإنفاذ أمر رسول الله ﷺ فيهم، وارتبطت بهم مع الزمن مقالات عقدية بسبب بدعتهم في التحكيم؛ وقد ابتلي هؤلاء بأن كان هؤلاء في صفوف شيعته، وربما شارك بعضهم في الخروج على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتله قبل ذلك، وذلك بشبهة هي من جنس شبه الخوارج، كما أن الإمامية تفرح بصنيعهم، بل وتتبناه ولو على سبيل الثأر لآل البيت، كما أن الخوارج استمروا في الخروج بعد ذلك زمن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تجدد شأن الخوارج قبيل وفاة يزيد بن معاوية، لاضطراب البلدان عليه، وشاركوا عامي ٦٣ ـــ ٦٤هـ ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قتاله بني أمية، ثم جرت مفارقتهم له، وامتحانهم له في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما امتحنت الرافضة زيد بن علي ـــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـــ في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان من هؤلاء الخوارج نافع بن الأزرق، وعبد الله بن إباض، يقول الحافظ ابن كثير ـــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـــ: (ولما استقر أمره في الخلافة قالوا فيما بينهم: إنكم قد أخطأتم، لأنكم

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١١٣/٢، وانظر: عقيدة أهل السنة في الصحابة، ٣/ ١١٣٣- ١١٥٨، وفيه إشارة إلى أن الخروج من جهة منابذة الوالي على مواضع الاجتهاد، ومعاملة الرعية، أو لأجل إنكار المنكر، حدث في آخر عهد عثمان، وقد جادلهم بالقرآن، وأما الخروج من جهة التكفير نشأ في عهد علي، لتكفيرهم طرفي التحكيم، مع بقائهم على المطالبة بسيرة أبي بكر وعمر، وأول عهد عثمان، وعهد علي قبل التحكيم، مع اشتراكهم في تكفير عثمان، للتلازم بين القتل والكفر.

قاتلتم مع هذا الرجل، ولم تعلموا رأيه في عثمان بن عفان، ــ وكانوا ينتقصون عثمان ــ، فاجتمعوا إليه فسألوه عن عثمان، فأجابهم فيه بما يسوؤهم، وذكر لهم ما كان متصفا به من الإيمان والتصديق، والعدل والإحسان والسيرة الحسنة، والرجوع إلى الحق إذا تبين له، فعند ذلك نفروا عنه، وفارقوه، وقصدوا بلاد العراق وخراسان، فتفرقوا فيها بأبدانهم وأديانهم ومذاهبهم ومسالكهم المختلفة المنتشرة...)[1].

المعروف أن حدوث الخوارج ونصبهم لعدواة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآله ـ ومنهم الحسين ــ سابقة لمقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن موقفهم لن يزيد أو يتغير[2]؛ ولكن الذي يظهر أنه إذا روعي أن شعار بدعتهم هو الخروج، فإن المتوقع أنه بسبب هذا الوصف تتجدد طوائفهم ونشأتها ومواقفها، بسبب موافقتهم للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مواجهة بني أمية؛ فيبقى الخروج رمزاً لمن ينتمي إلى طوائف أخرى كالشيعة، لكن بسبب المفارقة المسبقة قد يجزم بعدم وجود موقف لهم من مقتل الحسين؛ كما أن موقف الناس منهم ومن خروجهم هو مظنة ــ أيضا ــ أن يكون سببا لإحداث بعض الأعمال والبدع في عاشوراء، لخصوص إشكالية الخروج الذي ارتبطت بها عاشوراء ـ عند البعض، وخاصة في العراق ــ بعد مقتل الحسين؛ فيتعلق من يرى رأي الخوارج بعد ذلك بتعظيم عاشوراء، لا لخصوص الحسين، وإنما للطعن على الدولة القائمة، لمواقفها من عموم الخارجين، كما يأتي بمحاذاتهم طوائف ممن يحسن التنبيه على أحوالهم ومواقفهم، لما لها من علاقة بعاشوراء وتهمة النصب التي تلقيها الإمامية على أهل السنة من خلال أحاديث عاشوراء التي يرويها هؤلاء، وحيث إن الموضوع لا يتسق في إطار واحد فيحسن بي أن أجعل الحديث فيه في نقاط، ولو كانت غير مترابطة، لكن يجمعها المفهوم الذي ذكرته، مما يصور حال بعض الطوائف، وخاصة لمن كان لها موقف من الخروج، وذلك كما يلي:

---

(١) البداية والنهاية، ٨/ ٢٦٣.

(٢) انظر: منهاج السنة، ٧/ ٢٩٧، وذكر ابن تيمية أن الخوارج تكفر علي والحسنين، وانظر: النصب والنواصب، ص٨٢١، وفيه مواقف النواصب المكفرة من الحسين، وكذلك ذكر أن خوارج المغرب يبغضون الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١ - أن طوائف الخوارج تمثل قسما من النواصب[١]، ولكنها نواصب مكفرة، وأن أكثر تلك الطوائف بادت، ومن أشهر من بقي ممن ينتسب إليه فرقة الإباضية، الموجودة اليوم في عمان، وفي بلاد المغرب، وزنجبار، وإن كان حالهم في الخروج متعلق بأصولهم في الوعيد والإمامة، وإن كانوا في التطبيق العملي ـ كغيرهم ـ قد يعجزون عنه[٢].

٢- وصف الخروج قد ترمي به كل طائفة من تخالفها على سبيل الذم والمشاقة، بينما تجعله من أصولها من جهة النهي عن المنكر، والقيام على أهل الجور، وإن كان المصطلح في الغالب استقر على ما هو مشهور عند أهل السنة، لكونهم جمهور الأمة؛ فالزيدية مثلا تروي عن الإمام زيد بن علي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أنه قال: (الرافضة حربي، وحرب أبي في الدنيا والآخرة، مرقوا علينا كما مرقت الخوارج على علي رضي الله عنه)[٣]؛ علما أن الطوائف عموما تنشط إلى الخروج في مقابل مخالفيهم، وتضطر إلى نوع من الإرجاء فيما بينها، ولو وجد مبرر الخروج الذي تلتزمه، وتقول به، فهم كما قيل مرجئة فيما بينهم، يراعون مضرة الفتنة والبغي في داخل مذهبهم، وإذا طلب منهم مراعاته في المنتسبين إلى الإسلام هرعوا إلى نصوص الوعيد؛ لبروز التعلق بالأصول العقلية في هذا الوضع، دون مراعاة الأصول الشرعية المنقولة.

٣- أن هناك من يرجع من أهل العلم في تعريف الخوارج إلى مقتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأنهم الذين خرجوا يطلبون بدمه، كما ذكره الرافعي الشافعي، ت/ ٦٢٣هـ، في الشرح الكبير، وهذا المعنى وإن كان يخالف المشهور عند أهل العلم ــ كما نبه عليه الحافظ ابن حجر ــ[٤]، لكنه وصف مفقود في أهل النهروان، وطائفة ممن يقاربونهم، ممن شاركوا قبل سنتين، أو ثلاث في الخروج على عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ علما أن روايات الإخباريين لا تفيد إجماع من خرج على عثمان

---

(١) النواصب من النصب، وهو عداوة آل البيت، وانظر حولهم ص١٠٣٤، ١١٠٩ من البحث.

(٢) الخوارج، رسالة دكتوراه، د. غالب عواجي، ص٥٨٤: وذكر أن من علماء الإباضية من يقول إن الخروج على الجورة جائز، لا واجب، ما لم يؤد إلى فتنة.

(٣) تاريخ الإسلام، ٣/ ٤١٦.

(٤) انظر: فتح الباري، الخوارج، د. غالب عواجي، ص٤٢٦، ٥٣٩: موقف الخوارج قائم على البراءة من عثمان، والبراءة ممن خرج يطالب بدمه: الزبير وطلحة وعائشة، وأهل الشام، مع كونهم وافقوهم في صفة الخروج.

على تجويز قتله، بل قصدوا خلعه أو استصلاحه، وأنه لما حصل القتل اضطربوا، والغريب أن ينسب إلى الخوارج من لم يلتحق بصفوف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل التحق بأهل الشام[1]، وكان يظهر من حالهم الصلاح والعبادة، وهذا مما يشير أن إشكالية الخروج لم تكن فيها رأي مستقر، وخف فيها كثير ممن يظهر عليهم التنسك، وإن اضطراب هؤلاء في أقوالهم موافق لما جاء في وصفهم في كلام الرسول: (يمرقون)[2]، ولعل هذا يتضح بالتالي.

٤- أن هناك من الخوارج من لم يكن مغاليا في عدائه لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأنه لم يكن ممن انحاز إلى النهروان، وربما يكون ممن رجع في مناظرة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو ممن انتظر، إلى أن خرج فيما بعد على قريب من قول من سبقه، وظهور خروج هؤلاء من جديد هو من جنس خروج من سبقوهم؛ لكن الملفت في خبرهم أن مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زاد لديهم من الطعن في إمرة قريش، فإذا كان هذا صنيعها فيما بينها ـ كما في مقتل الحسين ـ فإنها ليست أهلا للإمرة، وهي أبعد عن إقامة العدل، وهذا المعنى مما أكثر أتباعهم؛ ومن هؤلاء الخوارج الذين حضروا مقتل الحسين في الكوفة عبيد الله بن الحر الجعفي[3]، ت/ ٦٨هـ، فقد قال ابن كثير عنه: (وكان من خبره أنه كان رجلا شجاعا تتقلب به الأحوال والأيام والآراء)[1]؛ وكان من أمره

---

(١) من هؤلاء مصقلة بن هبيرة، الشيباني، قاتل الخوارج مع علي، ثم لحق بمعاوية، انظر: تاريخ الطبري، ٥/ ١٢٦- ١٣٠.

(٢) في الحديث المشهور: «**يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**»، البخاري، ح/ ٣١٦٦، ٣٤١٤، ٤٠٩٤، ٤٣٩٠، ٤٧٧١، ٥٨١١، ٦٥٣١، ٦٥٣٢، ٦٥٣٤، ٧١٢٣، ومسلم، ح/ ١٠٦٤، ١٠٦٦، ١٠٦٨.

(٣) ترتيب الأمالي الخميسية، للشجري، ١/ ٢٣٨، ح/ ٨٣٣، (عن يونس، قال: " لما غدر أهل الكوفة بالحسين بن علي، عليهما السلام جاء عبد الله بن الحر الجعفي وقد نزل الحسين عليه السلام قريبا من عبد الله، فلما دخل عليه قال له ابن الحر: والله ما خرجت من الكوفة إلا من أجلك، قال الحسين عليه السلام فكن معي، قال له بن الحر: ما أرى نفسي.تسخو بالقتل وأهل الكوفة ليسوا معك، فإنهم سيخذلونك وفرسي هذه ما طلبت عليها شيئا إلا أدركته، ولا هربت عليها من شيء إلا فته، فاركبها حتى تلقى يزيد فتضع يدك في يده فيؤمنك، فأبى عليه، فقال: أعتزلك فلا أكون عليك أبدا، فلما قتل الحسين عليه السلام، قال: عبيد الله بن زياد لابن الحر: أكنت مع الحسين؟ فقال: لو كنت معه لم يخف مكاني، ثم فارقه فلم يزل مفارقا له حتى كان من أمره ما كان).

(١) البداية والنهاية، ٨/ ٣٢٤.

أنه حين اضطر ابن زياد أهل الكوفة إلى جيش عمر بن سعد ادعى العذر والمرض، وكره أن يحضر مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفر من ابن زياد، ومر بقبر الحسين، واستغفر له، ورثاه، كما روي أنه سأل الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أعهد إليك رسول الله ﷺ في مسيرك هذا شيئا؟ قال: لا)[1].

عبيد الله بن الحر بهذا الحال يمثل نوعا من الخوارج ظهر بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يشارك في ثأره، مع إجلاله للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورثاؤه إياه، بل إنه شارك مع مصعب في قتال المختار والسبئية، ومن آرائه نقض شرط القرشية في الإمامة[2]، وهو رأي عند الخوارج زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3]، ومما قاله الجعفي زمن ولاية عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ما أرى قريشا تنصف، أين أبناء الحرائر؟)[4].

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، ٣/ ١٣٣، ومجمع الزوائد، ٩/ ١٩٢، وقال الهيثمي: (وفيه جَابِرٌ الجُعْفِيُّ، وهو ضعيفٌ).

(٢) حول اشتراط القرشية في الإمامة انظر: المحلى (بالآثار)، ٨/ ٤٢٦، ابن حزم الظاهري، ت/ ٤٥٦هـ، بدون الطبعة وتاريخها، دار الفكر - بيروت؛ أحكام القرآن، ٤/ ١٥٣، أبو بكر بن العربي المالكي، ت/ ٥٤٣هـ، ت. محمد عبد القادر عطا، ط٣، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) يذكر ابن خلدون أن الطعن على القرشية ظهر في زمن عثمان بن عفان، وأن من أسبابه بقايا الجاهلية وعصبيتها في بعض من دخل في الإسلام من قبائل العرب، انظر: تاريخ ابن خلدون، ١/ ٢٦٨- ٢٦٩، وفتح الباري، ١٢/ ٣٠١، والإمامة العظمى، ص٢٧٤؛ وأول من قال بعدم اشتراط القرشية في الإمامة هم الخوارج الذين خرجوا على علي، وهم يستعينون بذلك على كثرة الخروج، لشبهة اشتداد الأثرة وظهورها، وهي شبهة ذي الخويصرة زمن النبوة، حين قسمة الأموال والغنائم،؛ وهذا الأمر وإن جرى في كثير من البلدان إذ هو من طبيعة النفوس البشرية، وله حظ في الشرع، كما في خبر إرسال علي إلى اليمن، فهو في الكوفة ظهر من وقت مبكر، فشكواهم على الولاة من هذا الوجه كثير ومشهور، ومنه قولهم في شكواهم أميرهم: (ولا يقسم بالسوية).

(٤) انظر: الكامل في التاريخ، ٣/ ٣٤٦-، وانظر: الطبقات الكبرى- متمم الصحابة، طبقة ٥، ١/ ٥١٨، وتاريخ الطبري، ٥/ ٢٧١، ٤٠٧، ٥٦٤- ٥٦٧، ٦/ ١٠٦- ١١٤، ١٢٨، والبداية والنهاية، ٨/ ٢٨٦، ٣٢٤، وقد ذكر ابن جرير وابن الأثير أن عبيد الله بن الحر الجعفي، وأنه كان من خيار قومه صلاحا وفضلا واجتهادا، وأنه لم يكن ممن يكفر الحسين، كحال بعض الخوارج الذين كفروه إلحاقا له بأبيه، ولمن رضي بالتحكيم، واعتزل حتى مات يزيد، وتجددت الفتنة.

الشاهد في أمر هؤلاء الخوارج أنهم لم يكن منهم سعي في الثأر لمقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم أضعف الناس إلى ذلك، لسابقته في عداوة علي وتكفير من معه، وقد رتعوا في أجواء الفتن بعد مقتل الحسين، بل ظهر أن منهم من شارك مصعب بن الزبير في قتال من ثأر لمقتل الحسين، كالمختار ومن معه، ولم أعرف باعثهم على ذلك؛ وذلك أن الخوارج يخالفون في أمر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لذلك يعاديهما شيعتهما جميعا، وإن كان منهم من اختلط أمره واضطرب قبل أن يقول بقولهم، ويذهب مذهبهم، ومخالطتهم لصفوف ابن الزبير مما زاد من الفتن والاقتتال[1]، وكره معها بعض الصحابة التعجل في البيعة له، بل روي أن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاب على مصعب بن الزبير توسعه وإسرافه في القتل، مما يعني أن صفوفهم تكاثرت واختلطت ولم تتميز، والأصل في تلك الحال الانتساب إلى أهل القبلة، ولم يعاملوا بمثل ما كان عليه فقه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البغي، وذلك لكثرة الهرج والمرج، والفتن يجر بعضها بعضا.

٥- أن هناك من الشيعة من يشير إلى وصف مهم في خروج أهل النهروان على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد ذكر أبو حنيفة النعمان الشيعي أن من شبه الخوارج في خروجهم أن عليا في تحكيم الحكمين ارتضى رجلا لا تقبل شهادته، فضلا عن حكمه، وهو عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن تحكيمه شك في أمره وظلمه، وكيف ــ إذن ــ وقع القتال السابق على أمر مشكوك فيه، أو أنه يلزم: أن التحكيم في المشكوك فيه غير لازم، ولو من غير الرجوع إلى من توقف من رعيته، إلى غيرها من الإلزامات والاعتراضات على إمامة المشكوك في عدله، وحينئذ فلا تحكيم[2]؛ وبهذا يصح أن تعتبر شبهة الخروج والاعتراض مستمرة في الشيعة عموما من جهة اشتراط استدامة وصف العدل في الإمام والوالي، وعدم قبول انتقاص هذا الوصف، ولو بالشك، ومن هذا الوجه يصح أن نقول إن شبهتهم متصلة بشبهة الخارجين على

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٩.

(٢) انظر: شرح الأخبار، ٢/ ١٢٩، ٥١١، القاضي النعمان المغربي، ت/ ٣٦٣هـ، ت. محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعلى من بعده.

٦- أنه يشارك هؤلاء خارجون من (الشيعة أسلاف الإمامية)[١]، وذلك حين لم يستقر أمرهم على الانتظار، بل كان الخروج حاضرا في أيامهم، ولم يسلم طائفة من هؤلاء الأسلاف من اعتقاد رجعة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أو الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وبعضهم يعد من غلاة الشيعية في مرحلتها الثالثة[٢]، وهم الغلاة زمن جعفر الصادق ــ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ــ، وورث طائفة منهم السبئية من خلال الرجعة، وكان بعضهم يخالط أهل الحديث، ويحدثهم بما تلقاه، أو وضعه، والإشكال في بعض أحاديث عاشوراء ــ في التوسعة وغيرها ــ جاء من طريقهم، وهم ممن روى وحدث بأخبار عاشوراء، بل ونسبوها إلى آل البيت، كما يروى عنهن عموم الغلو في التشيع والخروج؛ وبعد تتبعي لهؤلاء فإني أرى لمروياتهم أثرا في الإشكال الدائر حول أحاديث عاشوراء، خاصة وأن بعض السلف تساهل في مروياتهم في هذا الجانب، ومنها دخل الخلل والإشكال بالغلو في التعبد يوم عاشوراء ــ كما سيأتي بإذن الله في الفصل الثاني ــ، ومن بيئة هؤلاء ــ خوارج الشيعة ــ أو قريب منها خرجت كتب المقاتل المتقدمة ورواياتها في الكوفة، مما يعني أن لهم أثرا مهما على واقع عاشوراء، ومن هؤلاء من نستطيع أن نضربه مثلا للمراد، وذلك كما يلي:

أ- جابر بن يزيد الجعفي (ت/ ١٢٨هـ)[٣]، ينسب له كتاب: مقتل الحسين، وذكر أنه

---

(١) ابن الوزير -رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا- تتبع بعض الرواة الذين حكم عليهم بالتشيع، وتتبع مناهج المحدثين ومنطلقاتهم في التشيع، وهي إضافة أرى أنها جيدة، ولو تستكمل لأبانت عن مزيد من مفهوم التشيع، وعلاقته بالخروج، ومن ذلك معرفة أسباب قبول الشيعة والزيدية لرواية الغلاة، أو من يخالفونه في سب الشيخين، مع كثرتهم، انظر: العواصم والقواصم، ٨/ ١٩- ٧٤.

(٢) سبق ص٦٦ من البحث أن الغلو يمكن تقسيم مراحله في تاريخ تأسيس الإمامية إلى خمسة مراحل: (السبئية، الكيسانية: بعد مقتل الحسين، الخطابية، إمامة الصغار زمن الرضا والجواد والهادي، وحيرة انقطاع السلسة، والولاية عن الإمام المختفي).

(٣) جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث الجعفي أبو عبد الله ويقال أبو يزيد الكوفي، وذكر له: كتاب التفسير، والجمل، ويزعم أنه من تلاميذ الباقر والصادق، وتنسب إليه كتب منحولة، ويؤمن بالرجعة، انظر: تهذيب التهذيب، ٢/ ٤٦- ٤٧، وميزان الاعتدال، ١/ ٣٧٩، ورجال النجاشي، ص١٢٨-١٢٩، والذريعة، =

كان يؤمن بالرجعة، وانتسب إلى أبي جعفر الباقر، وإلى ابنه جعفر الصادق ــ رحمها الله ــ، بل وعده بعضهم بابا للباقر، ومن خواصه[1]، قال سفيان عن جابر: كذب، الرافضة تقول: إن عليا في السماء، لا يخرج من ولده حتى ينادي من السماء: اخرجوا مع فلان، يتأول بها القرآن، ويروي عنه أبو مخنف، وهو ضعيف، بل نسب جابر إلى الكذب والرفض والسبئية[2]، ولجابر رواية عند الطبري في تاريخه، حول قصة عطش الحسين، وهي من طريق هشام بن السائب الكلبي[3]؛ وله رواية لأحاديث في عاشوراء، كخبر صوم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم عاشوراء، وخبر عكرمة في الأمر بالصوم[4]، وربما تساهل الناس في أخباره، ولكن يتوقفون في روايته في الأحكام ونحوها، قال الأثرم: قلت لأحمد: كيف هو عندك؟ قال: ليس له حكم يضطر إليه[5]؛ وهذا يدل على أنه لا تقبل روايته؛ كما أن الإمامية اختلفوا في أمره، وجزم كثير منهم بضعف مروياته، مع توثيقه في نفسه[6].

=

٢٢/ ٢٤، ٤/ ٢٥٠، ٥/ ١٤١.

(١) أما الصادق فبابه المفضل بن عمر، كما ذكر الخصيبي زعيم النصيرية، مع اضطرابه في ترتيب الأسانيد، انظر: الهداية الكبرى، ص٤١، ٧٧، ١٢٤، الحسين بن حمدان الخصيبي، ت/ ٣٣٤هـ، ط٤، ١٤١١هـ، مؤسسة البلاغ – بيروت، وقد يفهم من أخبار الشيعة أن جابر مقرب للباقر، لكن منافسه المغيرة بن سعيد ملعون، وانظر: الاختصاص، للمفيد، ص٨، ودلائل الإمامة، للطبري الشيعي، ص٢١٧، ٢٨١.

(٢) انظر: تهذيب التهذيب، ٢/ ٤١.

(٣) انظر ص٨٧٧ من البحث.

(٤) انظر ص٩٩٨ من البحث.

(٥) انظر: تهذيب التهذيب، ٢/ ٥١.

(٦) اختلفت أقوال الإمامية في جابر الجعفي، فبعضهم –كالغضائري- يوثقه في نفسه، ولكن جل من روى عنه ضعيف، والنجاشي يتوقف فيه، وينقل عن شيخه المفيد ابن النعمان أنه يرى أنه مختلط؛ والمتأخرون من الإمامية قرروا التوقف فيه، وتضعيف الكثير من روايته، وهذا ظاهر عند الأصوليين من الإمامية، وعلى رأس هؤلاء ابن مطهر، مستدلاً بالخلاف حوله عند علماء الرجال، وعلى ذلك فشخصية جابر مختلف فيها عند الإمامية، وطعن الأصوليين عليه ظاهر، انظر: رجال النجاشي، ص١٢٨-١٢٩، والاختصاص، للمفيد، ص٨، وخلاصة الأقوال، ص٩٤- ٩٥، ابن مطهر الحلي، ت/ ٧٢٦هـ، ت. جواد القيومي، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة نشر الفقاهة – قم.

من أعظم ما يشكل في أمر جابر الجعفي هنا هو رواية الإمام سفيان بن عيينة عنه، وهي ما لم يتابعه فيها الأئمة، ولم يحدثوا بما يرويه عنه، وجابر ربما روى فضائل الصحابة(١)، فليس كل ما يرويه مؤيدا لتشيعه، لكن لغلظ بدعته، ولكذبه عابوا على سفيان روايته لحديثه، ولذلك ربما دلس سفيان فيه، وفي أمثاله ـ كجويبر ـ، وروي عن سفيان أنه يوثقه، وري خلاف ذلك، وأنه قال: (تركت جابرا الجعفي وما سمعت منه، قال: دعا رسول الله ﷺ عليا فعلمه مما تعلم، ثم دعا علي الحسن، فعلمه مما تعلم، ثم دعا الحسن الحسين، فعلمه مما تعلم)(٢).

هذا الاضطراب والخلل في رواية سفيان عن جابر وأمثاله مما يسوغ أن يدخل بعض الرواة الوضاعين والضعفاء في حديث سفيان بسببه، كما ذكر عن إسماعيل بن أبان الكوفي الخياط، ت/ ٢١٠هـ؛ فبعض روايته ربما أدخلها على سفيان، وهي من طريق الجعفي وأمثاله(٣)، وقد ذكر ابن معين أن إسماعيل بن أبان: (وضع أحاديث على سفيان لم تكن)(٤).

كما روي عن سفيان ـ رضي الله عنهما ـ غير هذا من غلو جابر الجعفي، لكن لعل حاله كحال غيره من المحدثين معه، فقد سئل شعبة: (تركت رجالا ورويت عن جابر الجعفي؟ قال: روى أشياء لم أصبر عنها)(٥)؛ وكذلك حال بعض الفقهاء، كأبي حنيفة، رضي الله عنهما(٦).

حال جمع من المحدثين يدل على أنه خفي عليهم أمر الجعفي في أول أمره، حتى وثقه

---

(١) ميزان الاعتدال، ١/ ٣٧٩.

(٢) ميزان الاعتدال، ١/ ٣٨٢.

(٣) ميزان الاعتدال، ١/ ٢١١- ٢١٢، وإسماعيل راو متروك الحديث، يروي عن جابر الجعفي من طريق عمر بن زياد الالهاني؛ وربما لأجل هذا يسند بعض ما يرويه إلى سفيان ليروج حديثه وكذبه، ومن مروياته بإسناده عن أبي جعفر، عن أم سلمة - مرفوعاً - قال: (يقتل حسين بن علي على رأس ستين من مهاجري)، قال ابن حبان: (كان يضع الحديث على الثقات، وهو صاحب حديث: السابع من ولد العباس يلبس الخضرة).

(٤) ميزان الاعتدال، ١/ ٢١١- ٢١٢.

(٥) ميزان الاعتدال، ١/ ٣٨٠.

(٦) ذكر أبو عبد الله الحاكم أن الإمام أبا حنيفة -إمام أهل الكوفة- روى عن جابر بن يزيد الجعفي، انظر المدخل إلى كتاب الإكليل، ص٣١، ذكره الحاكم تحت مسألة: أن جرح الرواة مختلف فيه بين الأئمة، فمنهم من روى عن المجروحين.

بعضهم، فلما تأكدوا من كذبه هجروه، يقول سلام بن أبي مطيع: قال لي جابر الجعفي: عندي خمسون ألف باب من العلم، ما حدثت به أحدا؛ فأتيت أيوب فذكرت هذا له، فقال: أما الآن فهو كذاب)؛ وقال ابن مهدي: (ألا تعجبون من سفيان بن عيينة، لقد تركت جابر الجعفي لقوله: لما حكى عنه أكثر من ألف حديث، ثم هو يحدث عنه)[1]؛ وحاصل ما سبق وجوب التوثق والتوقف في رواية سفيان عن هؤلاء وأمثالهم، وأن أحاديث عاشوراء من طريق سفيان لم تخلوا منهم، ومن تأثر سفيان بروايتهم، ومن ذلك روايته جعفر الأحمر الآتية؛ وربما تكون من طريق جابر أيضا.

ب- جويبر بن سعيد البلخي، المفسر (ت/ ١٤٠ ــــ ١٥٠)[2]، وهو راوي حديث الاكتحال، وقد تبرأ الحاكم من عهدته، وجويبر هو صاحب الضحاك بن مزاحم[3]، وجل روايته عنه[4]، وكلاهما متروك الحديث، وكثيرا ما يحدث عنه، حتى عند من فيهم تشيع من المحدثين، كالحاكم، وسبق أن الأشبه عند الأئمة أن الضحاك في حكم الإخباريين الشيعة، لكن تساهل البعض في الرواية عنه في التفسير، حتى قال يحيى القطان: (تساهلوا في أخذ التفسير عن القوم، لا تولعوهم في الحديث)[5]؛ ويشبه في هذا بابن السائب الكلبي، وجابر الجعفي، وغيرهما من أخباريي الشيعة؛ لكن لم أقف على من يجزم بمذهبه؛ وممن اتهم في الرواية عنه سفيان بن عيينة، وذكر عن الإمام أحمد أن سفيان يحدث عنه، ويخفي اسمه، هذا فيما يرويه عنه وكيع[1].

---

(١) ميزان الاعتدال، ١/ ٣٨١.

(٢) انظر: ترجمته ص١٠٦٩، ١١٢١ من البحث.

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، المفسر، ت/ ١٠٦هـ، انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، ٢/ ٥٤١، وفيه: (حدثنا عبد الرحمن نا محمد بن حمويه بن الحسن قال سمعت أبا طالب قال قال أحمد بن حنبل: جويبر ما كان عن الضحاك فهو على ذاك أيسر وما كان يسند عن النبي ﷺ فهي منكرة)؛ وتهذيب التهذيب، ٤/ ٤٥٣، وقيل لم يثبت له سماع من أحد من الصحابة.

(٤) انظر: تهذيب الكمال، ٥/ ١٧٦.

(٥) في: الآثار المرفوعة، للكنوي، ص٩٨، (لَا تُوثِّقُوهُمْ فِي الْحَدِيثِ).

(١) انظر: ميزان الاعتدال، ١/ ٤٢٧، والضعفاء الكبير، للعقيلي، ١/ ٢٠٥، رقم: ٢٥٣، وفي تنزيه الشريعة =

ت- جعفر بن زياد (جعفر الأحمر)[1]: وهو الراوي لخبر ابن المنتشر في التوسعة في عاشوراء، وأنها مجربة، والمشهور أن الرواي عنه سفيان بن عيينة، وأن سفيان لم يسمعه من ابن المنتشر، يعني أن سفيان دلس في هذا الموضع؛ وعليه يدور الكلام في هذا الحديث على جعفر الأحمر، والبيهقي قد ضعف حديث جعفر عن ابن المنتشر، وذكر أن أئمة الجرح والتعديل اتفقوا على تشيع جعفر بن الأحمر، بل وأنه من رؤوس الشيعة، وأن الشك منه لا من ابن المنتشر[2].

الأعجب في حال جعفر الأحمر أنه مع تشيعه فإنه كان يترك الجمعة، قال العقيلي: (ويقال: إن جعفرا الأحمر هو الذي حمل الحسن بن صالح على ترك الجمعة، فقال الحسن: إني أعيد، فقال: لعل إنسانا يراك فيقتدي بك)[3]؛ فجمع مع التشيع الخروج.

ث- عباد بن يعقوب الأسدي الرواجنى الكوفي، ت/ ٢٥٠هـ، من غلاة الشيعة، وممن يرى الخروج، وكان يشتم السلف، وقال الذهبي: (وكان مكفوفا فرأيت سيفا، فقلت: لمن هذا؟ قال: أعددته لأقاتل به مع المهدي..)، لكنه صادق في الحديث، ونقل الحاكم أبو عبد الله عن ابن خزيمة قوله عن عباد: (حدثنا الصدوق في روايته المتهم في دينه عباد بن يعقوب)[4]، وقد روى عنه ابن خزيمة، كما روى عنه البخاري، والترمذي، وابن ماجة، وقيل: (لولا رجلان من الشيعة

=

المرفوعة، لابن عراق، ١/ ٤٦، فائدة منقولة عن ابن حجر أنه لم يتهم بكذب لا هو ولا شيخه الضحاك، وهذا غريب، وكأنه نقد على ابن الجوزي أنه يتهمه كثيراً في كتابه في الموضوعات، وتتبع كلام ابن الجوزي عنه فينقل فيه كلام الإمام أحمد: أنه لا يشتغل بحديثه، ولكنه في حديث الاكتحال زاد نقل كلام الحاكم، وخاصة العبارة الثانية.

(١) انظر ترجمته ص ١١٣٣ من البحث.

(٢) انظر ص١١٣٢ من البحث.

(٣) انظر ص١١٣٤من البحث.

(٤) عباد بن يعقوب الأسدي الرواجنى الكوفي، ت/ ٢٥٠هـ، شيعي غالي، ويقول: (من لم يتبرأ في صلاته كل يوم من أعداء آل محمد حشر معهم)، نقل الحاكم أن ابن خزيمة وثقه، وروى عنه، وقال أبو حاتم شيخ ثقة، وقال صالح بن محمد كان يشتم عثمان، قال وسمعته يقول الله أعدل من أن يدخل طلحة والزبير الجنة، لأنهما بايعا عليا ثم قاتلاه، ونقل عنه الرفض وسب الشيخين، ولهذا تركه بعضهم، وقال الدارقطني شيعي صدوق، انظر: ميزان الاعتدال، ٢/ ٣٧٩- ٣٨٠، وتهذيب التهذيب، ٥/ ١١٠.

ما صح لهم حديث: عباد بن يعقوب، وإبراهيم بن محمد بن ميمون[(١)])[(٢)].

عباد مع هذا فإن له غلوا في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في فضائلهما، ومعجزاتهما، ويمتحن فيها الناس، ومنها قوله: أن الذي حفر البحر علي، وأن الذي أجرى مائه الحسين، ويروي حديث: (**إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه**)[(٣)]؛ وله مرويات حول مقتل الحسين، كرواية نوح الجن[(٤)]؛ وهذا النوع من الرواة الشيعية غريب، وليس ببعيد في مثل بيئته أن يعظم عاشوراء تعظيما للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتعظيما لخروجه؛ أو أن يدخل على حديثه من قبل غلاة الشيعة، وعباد يشبه بحاله أن يكون قدريا ورعا عابدا، رأى الخروج مع مهدي من آل البيت، لكثرة أخباره فيمن نشأ فيهم وبينهم؛ وقد كانت وفاته سنة ٢٥٠هـ، أي قبيل الغيبة الصغرى ببضع سنوات، ولم يشتهر عنه تعظيم إمامة الحسن العسكري، الإمام الحادي عشر.عند الإمامية الاثني عشرية، مما يدل على أنه ليس ممن يرى رأيهم، وقد يقال فيه ما قيل في أحد القدرية المتأخرين: (هو ممن يتسنن به الشيعي، ويتشيع به السني)[(٥)].

عباد بن يعقوب الرواجني يظهر ــ من خلال ما وقفت عليه ــ من آخر محدثي الشيعة الثقات، الذين وثق أهل الحديث برواياتهم في مصنفاتهم العوالي، كالكتب الستة[(١)]، فأول

---

(١) محمد بن إبراهيم بن ميمون (الكندي)، وله روايات عند الطبراني والبيهقي وأبي نعيم وغيرهم، منها في فضائل آل البيت، وغيرها، وله غرائب، وذكرت له رواية تحذر من القدرية والإرجاء، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، ٣/ ٢٧١، ح/ ٥٦٣٩، وله منكرات منها حديث: القدرية والمرجئة والحرورية، الذرية الطاهرة، للدولابي، ح/١٥٦، عد من أجلاد الشيعة، وقال عنه الذهبي: (شيعي جلد)، المغني في الضعفاء، ١/ ٢٥، الذهبي، ت. د. نور الدين عتر، ط١، إحياء التراث الإسلامي – قطر؛ ولعل وفاته قبل عباد بن يعقوب بمدة، فروى عنه ابن أبي شيبة، ت/ ٢٣٥هـ، فيكون عاصر الاثنين، وانظر: لسان الميزان، ١/ ١٠٧، وذكر ابن حجر أن الطوسي الإمامي عده من رجال الشيعة، ورواية التحذير له بقية (بني أمية)، وهي مروية عن جابر الجعفي، انظر: شرح الأخبار، لأبي حنيفة الشيعي، ٢/ ٥١١.

(٢) تهذيب التهذيب، ٥/ ١١٠، ولسان الميزان، ١/ ١٠٧، عن أبي بكر بن أبي شيبة، فيكون عاصر الاثنين، وذكر ابن حجر أن الطوسي الإمامي عده من رجال الشيعة.

(٣) المدخل إلى كتاب الإكليل، الحاكم، ص٤٩.

(٤) انظر: ترتيب الأمالي الخميسية، للشجري، ٢/ ١١٧، رقم: ١٨٠٩.

(٥) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥/ ١٤٨، وانظر ص٩٦٦، ١١٢٧من البحث.

(١) الكتب الستة تاريخ وفيات أصحابها، كالتالي: البخاري، ت/ ٢٥٦هـ؛ مسلم، ت/ ٢٦١هـ؛ سنن أبي داود،
=

هؤلاء وفاة الإمام البخاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ت/ ٢٥٦هـ وآخر هؤلاء الأئمة هو الإمام النسائي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ت/ ٣٠٣هـ، ويظهر أنه بعد منتصف القرن الثالث الهجري ضعف تتبع رواية الرواة الشيعة، لاشتغال أهل السنة بما شاع من مصنفات الأئمة؛ ويمكن أن نطرح شخصية عباد بن يعقوب الرواجني، ت/ ٢٥٠هـ كآخر شخصية اختلف فيها، وأن الأئمة اغتفروا بدعته في الرواية عنه، لوثوقهم بصدقه؛ ومما دعاني إلى ذلك أنه آخر من مر معي في أحاديث عاشوراء من الرواة الشيعة وفاة.

بناء على ما سبق فيظهر أن ضابط الرواية عند أهل الحديث هو الصدق ما أمكن، لا مجرد التهمة ببدعة، ولذلك يعتنون في تقليب مرويات الراوي وتمحيصها من هذا الوجه، وإلا لو هجر الراوي لمجرد ذلك لسقطت كثير من السنن[١]، كما هو مشهور، وهذا الضابط هو ما يطبق على الخوارج، وأرى أنه قد يلحق بهم من يمكن أن نصفهم بخوارج الشيعة أو الخارجين من الشيعة، والذين لم يثبت عنهم ـ بالاتفاق ـ زندقة، ولا غلو إلا ما كان من جنس الخروج، ولو مع دعوى الرجعة؛ فدعوى الرجعة ــ كما تبين لي ــ إما أنها ليست قدحا مطلقا، وليست لازما للغلو، وإما أن بعض عقائد الغلو الشيعية لا تمنع من قبول الرواة إذا عرف صدق الراوي زمن الرواية لدى المحدثين مما لم يكن موافقا لبدعته؛ وأن هذا مما يفسر به صنيع المحدثين في تخريج رواية مثل هؤلاء، وإلا لما قبلوا روايتهم وهذا خلاف لما استقر من عدم قبول رواية صاحب البدعة المفكرة، وذكر بعض الفضلاء في توجيه ذلك أن المحدثين لهم أعذار في روايتهم عن هؤلاء، من مثل أنهم لم تثبت عندهم تهمة الراوي، أو أنهم يرون أن هذه البدعة لا يكفر مرتكبها إلا بشروط مع كون العمل كفرًا بذاته[٢].

ت/ ٢٧٥هـ؛ سنن النسائي، ت/ ٣٠٣هـ؛ سنن الترمذي، ت/ ٢٧٩هـ؛ سنن ابن ماجه، ت/ ٢٧٣هـ؛ وإذا أضفنا الثلاثة، لتصبح تسعة (الكتب التسعة)، فهي موطأ مالك، ت/ ١٧٩هـ ومسند أحمد، ت/ ٢٤١هـ، وسنن الدارمي، ت/ ٢٥٥هـ.

(١) مر هذا المعنى من كلام العراقي، وسيأتي من كلام الذهبي وابن الوزير، انظر ص١٥٤، ١٨٩، ١٩٤ من البحث.

(٢) أخذت هذا من اتصالين هاتفيين بالأستاذ الدكتور الشيخ سعدي الهاشمي، وله بحث منشور حول الرواة المتأثرين بابن سبأ، وبفضيلة الدكتور الشيخ إبراهيم بن عبد الله اللاحم، جزاهما الله خيراً؛ وكان هذا الاتصال عام ١٤٣٤هـ.

تكتمل هذه الفكرة ـ وهو الشاهد منها ـ بتتبع هؤلاء الرواة المختلف فيهم، الذين أخرج لهم الأئمة، ومثلهم الإخباريين الشيعة الذين سبق ذكرهم، كأبي مخنف[1]، والتعرف على الرواة عنهم، وما دسوه باسمهم من العقائد والأحكام المكذوبة، والتاريخ والأخبار، ومنها المقاتل، كمقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما فيه من المرويات الواهية، والتي يزكونها بنسبتها لمثل هؤلاء، والذي يمكن أن نعد من آثارها كثير من الفتن التي حصلت في ذكرى عاشوراء ــ مع أنهم ليسوا من الإمامية ــ، كما يتجدد بها تهمة النصب والغلو بين الفريقين.

يستفاد من تتبع هؤلاء الرواة التوصل إلى دراسة تاريخ عقائد الإمامية وبدعها عموما، وكيف استقرت عند متأخريهم، وهذا يساعد في معرفة تاريخ وضع العقائد والبدع ــ حتى ــ في غير مذهبهم، والرد على دعوى اختصاص انتسابهم للعترة دون أهل السنة، وهو أمر يلبسون من خلاله على كثير من أهل السنة؛ وقد ذكر من هؤلاء الرواة قرابة العشرة، وهم ممن ترجم لهم في تهذيب التهذيب[2]؛ ومن الملاحظ أن بعضهم من الشخصيات المشتركة المشهورة بين السنة والشيعة، وهي تشكل بابا ومدخلا لنقد مرويات الشيعة، ولدراسة فرقها وافتراقها[1].

---

(١) راجع ص١٥٦ من البحث؛ الذي يظن أن مثله مزكى عند الإمامية، لاعتمادهم على خبره في المقتل، وهذا محل نظر، لأنه من بيئة ترى الخروج، وخرجت من قبل، كما لا يلزم أنهم من الغلاة، لكنهم يستكثرون به، ولا يحتجون به، والذي يظهر أنهم أقرب إلى الزيدية؛ وعلى كل فتحرير علاقة عقائدهم ومدى أثرها على مروياتهم من الأهمية بمكان؛ وبيان أن كثيراً من تعاطف ومواقف أهل السنة مع الحسين، وكرههم ليزيد قائم على قبولهم لمروياتهم؛ هو بسبب تأثرهم بمروياتهم مع تشيعهم، وهذا بخلاف من يتهم أهل السنة برد رواية الشيعة عموماً.

(٢) لبعض هؤلاء رواية في أبواب الأحكام، ومنها –ولو رواية واحدة– في الكتب الستة، مع أن أهل الحديث ذكروا أنهم يقولون بالرجعة، وأذكر من وقفت عليه غير من سبق منهم، وهم: أصبغ بن نباتة، وثابت بن أبي صفية دينار، مولى المهلب، والحارث بن حصيرة الأزدي، وزياد بن المنذر الهمداني، أبو الجارود الأعمى، وعبد الله بن الحسين الأزدي أبو حريز البصري، وعثمان بن عمير البجلي أبو اليقظان الكوفي الأعمى، ومسلم بن نذير؛ انظر: تهذيب التهذيب، ١/ ٣٦٢، ٢/ ٧، ٤٦، ١٤٠، ٣/ ٣٨٦، ٥/ ١٨٧، ٧/ ١٤٥، ١٠/ ١٣٩.

(١) أرى أنه لو خصصت دراسة حولهم، وعن شبهة الخروج عندهم، أن ذلك يثري البحث العلمي، كما أنه يوفر مادة علمية مهمة، ليقطع بها الطريق على بعض الملبسين من الشيعة، وعلى سبيل المثال انظر: الطرائف في =

يظهر أن الرجعة بعد هذه المدة أخذت منحى جديدا، انفصلت فيه الإمامية الاثني عشرية عن بقية أسلافها، خاصة في فترة الغيبة الصغرى(٢٦٠ ـ ٣٢٩هـ)، وهي فترة سفراء المهدي، والتي تشكلت الرجعة فيها بمعنى يختلف عما كانت عليه من قبل، واقتصرت على معناها الأول عند غلاة السبئية، وصاحبها ازدياد مظاهر النياحة، وإظهار الرفض وسب الصحابة، وهي مرحلة أقر فيها الانتظار بدلا من الخروج، واستقر على وجوبه، فبقي الأمر دائرا بين الصبر وبين تجويز الاستعانة بمن يحارب أهل الجور من مخالفيهم(العامة)، والذي ظهر أن الإمامية مالت إليه في زمن شيخها ابن النعمان، وبرز ذلك في إعلان النياحة بعدها بقليل زمن البويهيين؛ وقد يرى البعض أن هذا الاتجاه تحرر من خلاله يوم عاشوراء، وتمحض للإمامية الاثني عشرية[1]، فهو خروج جزئي، لا كلي.

ج- محمد بن السائب الكلبي، الكوفي الإخباري المفسر، ت/ ١٤٦هـ[2]، وهو من مصادر روايات مقتل الحسين، ويروي عنه سفيان الثوري، وابن عيينة، وابن جريج، ونقل معاوية بن صالح عن يحيى أن الكلبي: ضعيف، وقال أبو موسى: ما سمعت يحيى، ولا عبد الرحمن، يحدثان عن سفيان عنه بشيء، أي سفيان بن عيينة، لتساهله في مروياته، وقال الحاكم والدارقطني: متروك؛ وابن السائب ممن يرى الخروج والرجعة، وهو ممن خرج

=

معرفة مذاهب الطوائف، ص٣- ١١، ٥٥٤- ٥٥٥، ابن طاووس الحلي (عبد المحمود بن داود)، ت/ ٦٦٤هـ، ط١، ١٣٩٩هـ، الخيام – قم.

(١) سبق ص٧٧ من البحث.

(٢) محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث الكلبي، أبو النضر الكوفي، النسابة المفسر، روى عن الأصبغ بن نباتة، وروى عنه ابنه هشام والسفيانان، وابن جريج، وقال معاوية بن صالح عن يحيى ضعيف وقال أبو موسي ما سمعت يحيى ولا عبد الرحمن يحدثان عن سفيان عنه بشيء وقال أبو عمرو بن العلاء، فقال: أشهد أن الكلبي كافر قال فحدثت بذلك يزيد بن زريع فقال سمعته يقول أشهد أنه كافر قال فماذا زعم قال سمعته يقول كان جبريل يوحي إلى النبي ﷺ فقام النبي لحاجته، وجلس علي، فأوحى إلي علي، فقال يزيد: أنا لم أسمعه يقول هذا، ولكنني رأيته يضرب صدره، ويقول أنا سبائي، أنا سبائي، قال العقيلي هم صنف من الرافضة أصحاب عبد الله بن سبأ؛ انظر: تهذيب التهذيب، ٩/ ١٧٨.

على الحجاج[1].

ح- الرواة الوضاعون في عموم أحاديث عاشوراء، فأحاديث التعبد الموجودة من رواية هؤلاء في مرويات أهل السنة ليس فيها دليل واحد صحيح في التعبد بغير الصوم، لا بصلاة، ولا بدعاء، ولا بمبالغة في صومه وتهويل؛ بل صرح جمع من أهل السنة والحديث أن أحاديث هذا الباب عمدتها الوضاعون، وأمثالهم من الضعفاء، أو ممن لا يؤمن تركيب الحديث عليهم، وظهر أن أولئك الرواة كانوا في آخر القرن الثاني وبداية الثالث الهجري، مما يدل على أن تلك الفترة هي بداية الغلو بالتعبد والتنسك في يوم عاشوراء، وسيأتي تفصيل أخبارهم في الفصل القادم ـ بإذن الله ـ، ومن أشهرهم من يلي:

١- عبد الرحمن بن أبي الزناد بن عبد الله بن ذكوان (١٠٠ ــ ١٧٤هـ)، وهو الذي يروى من طريقه الحديث الطويل المركب في عاشوراء.

٢- الحسين بن إبراهيم الهمذاني الجوزقاني، صاحب كتاب: الأباطيل والمناكير، وهو ممن عرف بالتشيع والغلو، وروى حديثا فيه صلاة عاشوراء.

٣- عبد الله بن معاوية بن موسى ابن أبي غليظ الجمحي، روى خبر الصرد.

٤- إسماعيل بن إسحاق بن الحصين ابن بنت معمر المعمري الرقي، روى خبر الصرد.

٥- حبيب بن أبي حبيب الخرططي المروزي، ت/ ٢١٨هـ، روى فضل تفطير الصائم يوم عاشورء.

هؤلاء الرواة هم ما بين وضاع، أو متهم، أو ممن جمع كتب الموضوعات والأباطيل، وما جاء من طريقهم فليس حجة، وغير مقبول، وأكثر ما يشكل فيه في عاشوراء هو رواية الأئمة ـ كسفيان أمثال هؤلاء الوضاعين الكذابين، ومثلهم الإخباريين الذين غذت رواياتهم خبر المقتل، والكثير مما يسندونه إما عن كذاب، أو عن مجهول، وأما ما يرسلونه فظلمات بعضها فوق بعض، هؤلاء الإخباريون منهم؛ وأما أهل الأهواء ونحوهم (فيعتمدون على نقل لا يعرف له قائل أصلا، لا ثقة، ولا معتمد؛ وأهون شيء عندهم الكذب المختلق، وأعلم من

---

(١) انظر: تهذيب التهذيب، ٩/ ١٧٨.

فيهم لا يرجع فيما ينقله إلى عمدة بل إلى سماعات عن الجاهلين والكذابين وروايات عن أهل الإفك المبين)[1].

الشاهد من ذكر هؤلاء الوضاعين أنهم روجوا روايات خوارج الشيعة الذين سبق ذكرهم، وخاصة في أحاديث عاشوراء، وأنه في بيئة التشيع والتنسك التي عاشها الفريقان آخر القرن الثاني خرجت فضائل عاشوراء، إما للطعن على الدولة العباسية من غلاة الشيعة، للخروج عليهم، أو ممن أراد أن يقابلهم بنقيض قصدهم في الخروج، فيدعو إلى الاشتغال بالعبادة، وترك الخروج.

٧- أن مسمى الخوارج مع كونه يراد به أهل النهروان الذين خرجوا على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعد أن كفروه في أمر التحكيم؛ أنه قد اشتهر مع ذلك قبول روايتهم وحديثهم، لكونهم لم يجرب عليهم الكذب في الرواية، بخلاف الرافضة، وقبول رواية الخوارج مذهب لآل البيت، كما ذكره ابن الوزير من الزيدية[2]، وهو معروف عند أهل السنة في رواية المبتدع إذا لم يعرف بالكذب، وفيما لم يكن مما يؤيد بدعته، كما أشار إليه الحاكم عند ذكر: من يضع الحديث موافقا لهواه، فقد نقل بإسناده أن بعض الخوارج كان يضع لهذا الغرض؛ فنقل بإسناده إلى أبي نعيم الحلبي قال: (حدثنا عبد الله بن لهيعة، قال: سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع وهو يقول: إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا)[3]؛ وقد يصعب تصور الغلو في عاشوراء من الخوارج الأولين، لكن إذا عرفنا أن من الشيعة خوارج، بل إن طائفة ممن التحقوا بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هم ممن خرج عليه، ويظهر أن هذا الخروج بقي ملازما لشيعته من بعده، ومنهم من خرجوا على زيد، وقعدوا عنه وامتحنوه، بل وكفروه؛ وهذا يظهر فيمن سبق ذكرهم، وهو مما يجعل اسم الخوارج مما يحتاج إلى مزيد تحرير إذا أطلق على رواة وأخباري تلك الفترة.

(١) بتصرف عن: مجموع الفتاوى، ٢٧/ ٤٧٨- ٤٧٩.

(٢) انظر: العواصم والقواصم، ٨/ ٣٢، ٣٤.

(٣) المدخل إلى كتاب الإكليل، الحاكم، ص٥٣.

٨- طائفة من العباد والصلحاء في تلك الفترة يشاركون غيرهم في كراهية المنكر والجور، ويحبون العدل، لكنهم يعظمون الدماء، ويجلون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعلى رأسهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد صحبوه واستعملهم، كما استعملهم بنو أمية، لكنهم لا يرون قتال أهل القبلة، بل مالوا إلى التوقف، مع الاجتهاد في العبادة، والغزو في الثغور، ومنهم من لم يصبر عن الخروج، وهم غير متهمين بنصب، ومع ذلك هم ممن روى أحاديث عاشوراء، واتهامهم دليل على عدم الإنصاف، وهؤلاء مثل سعيد بن جبير (الكوفي)، الذي قتله عام ٩٤هـ الحجاج والي بني أمية على العراق، بل إن مرويات سعيد حول عاشوراء انتشرت بعده، ولم تستطع بنو أمية أن تحجبها، أو تفتري عليه، إذ نقلت رواياته بعد زوال دولتهم؛ كما يمكن أن أشير إلى وجود اتجاهات في الكوفة وما حولها، قد تصلح أن تكون محلا للانشغال بالعبادة في مقابل الخروج والبغي بين المسلمين، أذكر منها ما يلي:

أ- مسروق بن الأجدع الهمداني، ت/ ٦٢هـ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ[(١)]، وهو أخو المنتشر. وهو عم محمد بن المنشر، ومسروق ممن يحتمل الحافظ العراقي أن حديث التوسعة روي عنه[(٢)]، ومسروق ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ من شيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويروي عنه، ولكنه ممن توقف في القتال معه[(٣)]، وكذلك لم يشارك مع الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكون مسروق ممن توقف لا يسوغ اتهامه، أو اتهام أمثاله بالنصب والعداوة، وهو من أفضل أهل الكوفة في زمانه، وقد قال سعيد بن جبير: قال

---

(١) مسروق بن الأجدع: إمام تابع مشهور، من أضبط الرواة عن عائشة -رضي لله عنها-، ويروي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الشعبي: لما قدم عبيد الله بن زياد الكوفة، قال: من أفضل الناس؟ قالوا له: مسروق، انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/ ٦٦ -٦٧.

(٢) سبق ص١١٣٦ من البحث.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/ ٦٧، قال الذهبي: (قال وكيع: تخلف عن علي: مسروق، والأسود، والربيع بن خثيم، وأبو عبد الرحمن السلمي، ويقال: شهد صفين، فوعظ، وخوف، ولم يقاتل؛ وقيل: شهد قتال الحرورية مع علي، واستغفر الله من تأخره عن علي؛ وكان مسروق إذا قيل له: أبطأت عن علي وعن مشاهده، فيقول: أرأيتم لو أنه حين صف بعضكم لبعض، فنزل بينكم ملك فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، [النساء: ٢٩]، أكان ذلك حاجزا لكم؟ قالوا: نعم. قال: فوالله لقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم، وإنها لمحكمة ما نسخها شيء).

لي مسروق: (ما بقي شيء يرغب فيه، إلا أن نعفر وجوهنا في التراب، وما آسى على شيء إلا السجود لله تعالى)[1]؛ وقد كان سعيد بن جبير ـ رضي الله عنهما ـ يجل مسروقا، ويجل أمثال مسروق، كزبيد ابن الحارث[2] ـ رحمهم الله ـ، ولم يرمهم بنصب، وإن كان ابن جبير ابتلي بالحجاج.

مع ما عرف عن مسروق من الورع والعبادة، وأمره مشهور حتى عند الشيعة، وكان ممن يعظم العدل، ويبغض الجور، وروى عنه الشعبي: (لأن أفتي يوما بعدل وحق، أحب إلي من أن أغزو سنة)[3]؛ لكنه قد لا يسلم أن يدخل الرواة الوضاعون في حديثه، ومثله ابن أخيه محمد بن المنتشر، والذي يروي عنه جعفر الأحمر.

ب- عكرمة ــ رضي الله عنهما ــ مولى ابن عباس، وهو ممن اتهم بالخوارج[4]، وهو ممن يروي أحاديث صوم عاشوراء، وفي بعض ما روي عنه ما يفيد نسخ فرض عاشوراء، وتعلق أهل الجاهلية به، كما في خبر دلهم بن صالح، ومثله ربط عاشوراء بما قبل الجاهلية، كما فيما يرويه ابن جريج، عن رجل (مجهول)، عن عكرمة في أن عاشوراء يوم تاب الله على آدم[5]، وهذا يسوغ اتخاذ عاشوراء يوما للتنسك والتوبة[6]؛ وهذه الروايات تخالف بعض ما روي عن عكرمة، وعن شيخه ابن عباس، كما سيأتي ـ بإذن الله ــ؛ والشاهد أن في بعضها ما يروى عن عكرمة من طريق جابر الجعفي، وبما أن جابرا هذا شيعي يقول بالرجعة، وهذا مما يبين حرصه أن يروي عن عكرمة، ولكن عكرمة ممن يتهم بالخروج مع غير آل البيت، وهو ما يخالف مذهب الشيعة في النص[1]، ولعل هذا مظنة أن يكون مما يؤيد فيه بدعة جابر، كما أن ما رواه

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/ ٦٧.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/ ٢٩٦- ٢٩٨، وفيه: (كان منصور بن المعتمر يأتي زبيد بن الحارث، فكان يذكر له أهل البيت، ويعصر عينيه؛ يريده على الخروج أيام زيد بن علي، فقال زبيد: ما أنا بخارج إلا مع نبي، وما أنا بواجده).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/ ٦٨.

(٤) سبقت ترجمته ص٢٠٠ من البحث.

(٥) لتخريج الأثرين ص١٠٠٥- ١٠٠٦ من البحث.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة، ٢/ ٣١٢، برقم: ٩٣٧٤.

(١) الخواج، د. غالب عواجي، ص٤٩٧- ٤٩٩، وأشار إلى بعض التابعين وتابعيهم وموقفهم من قتال الظلمة مع الخوارج، أو قتال الخوارج مع الظلمة.

عنه لم يصح عن عكرمة، لكنه بسبب تساهل بعض الأئمة في الرواية عن جابر الجعفي فإن من بعدهم يتلقف المروي، ويأنس به، وينسى مصدره؛ هذا فضلا عن أن قول عكرمة بذاته لو ثبت عنه ليس حجة لذاته، لكن الإشكال في صحة نسبة القول إليه، ومعرفة باعثه عن القائل والراوي، وخاصة في أحاديث عاشوراء.

ت- قتادة بن دعامة السدوسي، ت/ ١١٧هـ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ[(١)]، وهو ممن روى حديث أبي قتادة في تكفير صوم عاشوراء لسنة، وعرفة لسنتين، وحديث عبد الرحمن ابن سلمة في الأمر بالصوم[(٢)]، وقتادة ـ أيضا ـ نقل عن: (سعيد بن المسيب، والحسن، وعكرمة، قالوا: عاشوراء يوم العاشر)[(٣)]؛ وهو ممن روى عنه الحاكم بإسناده تأريخ مقتل الحسين بعاشوراء عام ٦١هـ، وقد يكون قتادة من أقدم من نقل عنه مقتل الحسين[(٤)]، وكذلك خبر هبوط سفينة نوح في عاشوراء[(٥)]، كما أن قتادة ممن ولد عام مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ممن رمي بالقدر، وروى له الجماعة، ولم يرم بنصب[(١)]، ولا عثمانية[(٢)].

---

(١) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، (٦١- ١١٧هـ)، المحدث الثقة المفسر، بحفظه يضرب المثل، وذكر عنه الحاكم أنه لم يسمع من صحابي غير أنس، وهو من أعلم أصحاب الحسن، وروى عن عكرمة وابن المسيب وعطاء، ولد أكمه ضريرا، ورمي بالقدر، ومن قوله: كل شيء بقدر إلا المعاصي، وأنكر حديث المحاجة؛ مع أنه كره الرأي، ولم يفت إلا بنقل، واعتذر له الذهبي، ورمي بالتدليس، وعرف بالعبادة، لا يروي الحديث إلا على طهارة،؛ ومن قوله: إنما حدث هذا الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث، انظر سير أعلام النبلاء، ٥/ ٢٦٩- ٢٨٣، وتهذيب التهذيب، ٨/ ٣٥١- ٣٥٦، ٧/ ١٩٩- ٢٠٣.

(٢) أبو داود، ح/ ٢٤٤٧، والسنن الكبرى، للنسائي، ح/ ٢٨٦٣، ٢٨٦٤، ٢٨٦٥، وأحمد، ح/ ٢٠٣٢٩، ٢٣٤٧٥، والسنن الكبرى، للبيهقي، ٤/٣٧٣، ح/ ٨٠٣٦.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ٢/ ٣١٣، رقم: ٩٣٨٥.

(٤) انظر: مستدرك الحاكم، ٣/ ١٩٤، ١٩٨، ح/ ٤٨١٩،٤٨٣٠، وعنه البيهقي، السنن الكبرى، ٣/ ٤٦٨، ح/ ٦٣٥١.

(٥) مصنف عبد الرزاق، ح/ ٧٨٤٩، يرويه عنه من طريق معمر بن راشد.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/ ٢٧٢، وقال الذهبي: (وقال عفان: قال لنا قيس بن الربيع:قدم قتادة الكوفة، فأردنا أن نأتيه، فقيل لنا: إنه يبغض عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فلم نأته، ثم قيل لنا بعد: إنه أبعد الناس من هذا، فأخذنا عن رجل، عنه).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/ ٢٧٨، وقال الذهبي: (وقال يحيى: أخرج قتادة حيان الأعرج من الحجرة، قلت: =

مع كون قتادة روى في عاشوراء ما روى فهذا مما يدل على أنهم لم يكونوا يربطون ما يفعل بعاشوراء بمحبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو كرهه، بل صنيعهم مما يدل على أن موافقة الحسين لعاشوراء من فضائله التي تفرح من يحبه، لأنه وافق يوما عظيما، ولم يكونوا يعلقون ذلك بخروجه، وإلا لكان طعنا على من لم يره منهم، وقتادة من تلاميذ ابن المسيب، وابن المسيب هو ممن تمنى عدم خروج الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخالفه ــ إن صح خبره ــ[1]؛ فالأشبه أنه يجل ويحب الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وقد يصح فيه وفي أشباهه: (هو ممن يتسنن به الشيعي، ويتشيع به السني)[2].

ث- متقدموا المعتزلة الذين كان فيهم توقف في علي وعثمان[3]، ولم أقف على من حرر موقفهم العقدي والعملي من الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن عاشوراء خصوصا، وربما كان موقفهم التوقف انطلاقا من غلوهم في الوعيد والإمامة، أما موقفهم وتوقفهم عن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد يعدون لأجله من طوائف النواصب[4]، ووجدت ابن الوزير ألمح إلى شيء من موقفهم وتوقفهم وباعثهم على ذلك[5]، ومن غريب ما يذكر في غلوهم في العدل والخروج أنهم يفضلون من يوافقهم في مذهبهم، ومن ذلك تفضيلهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك[1]،

=

لِمَ أخرجه؟ قال: لأنه ذكر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقلت ليحيى: من أخبرك؟ قال أصحابنا).

(١) سبق ص١٩٨ من البحث.

(٢) سبقت في ص٩٥٨، ١١٢٦ من البحث، وهي مقولة نقلها ابن حجر عن ابن تيمية في الدمشقي السكاكيني، وقد رمي بالقدر، والمناظرة عليه، ونسب إليه الرفض.

(٣) سبق في الباب الأول ذكر مواطن العلاقة بين الإمامية والمعتزلة، وأن ابن أبي الحديد المعتزلي يصلح كنموذج للتجاذب بين الطائفتين في الفترة المتأخرة؛ كما أن كتبه لم تتضمن بدع النياحة الموجودة عند الإمامية، والمعتزلة ليس لها وجود وقت المقتل، بل وجدت بعده، وشوكتها زمن محنة الإمام أحمد، ولكن ثم طائفة مهمة في تلك الفترة محل البحث، وهي متقدمو المعتزلة، الذين نوهت ببعضهم في المتن.

(٤) انظر: النصب والنواصب، ص٦٣٦.

(٥) انظر: الروض الباسم، ٢/ ٣٥٤، فيقول -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: (والمعتزلة تدّعي أنّها الفرقة النّاجية: دعوى ممزوجة بعجب كثير، واستحقار لكلّ من خالفهم من صغير وكبير!، وهم مع ذلك مختلفون غاية الاختلاف، مفترقون عشر- فرق في مسائل عقلية قطعية، لا يمكن عندهم فيها تصويب الجميع ولا رفع الإثم عن المخطىء، ولا القطع بانتفاء الفسق بإجماعهم!).

(١) يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي الخليفة، أبو خالد القرشي، الأموي، الدمشقي، الملقب:
=

الذي خرج على الوليد بن يزيد، لفسقه وجوره، وهو عند المعتزلة أفضل من عمر بن عبد العزيز ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ؛ لأنه لما ولي يزيد دعا الناس إلى القدر، وحملهم عليه، وقرب غيلان القدري ـ أو قال: أصحاب غيلان ـ؛ وغيلان قد صلبه هشام بن عبد الملك، فرأوا ذلك ثأرا له؛ ومما قيل في خبره أنه أول من خرج بالسلاح في العيد، وربما هذا الصنيع أغرب ما ذكر مما يمكن أن يظن أن بني أمية نقلوه إلى عاشوراء، لكنه كان في آخر دولة بني أمية، وممن كان منهم يرى القدر والوعيد، ففيه قرب من الخوارج والشيعة أسلاف الإمامية.

قد يعاكسه مثال آخر من فعل بعض أئمة الزيدية ودعاتهم في بلاد المشرق، والمنسوب إلى الاعتزال المتأخر، وهو من ذرية الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن زين العابدين علي بن الحسين، كان خروجه في الطالقان، وذكر ابن حزم أنه كان فاضلا في دينه، (فلما رأى الأمر لا يتم له إلا بسفك الدماء، هرب واستتر إلى أن مات).

قال ابن الوزير اليماني: (ولولا أنه يستحل ذلك لم يحل له ترك الإمامة، بل قد ذكر المؤيد بالله أن هذا هو رأي الحسن بن علي بن أبي طالب كما تقدم، وقد اشتهر عنه)(١)؛ وترك هؤلاء للإمامة والخروج، وانشغالهم بما يقدرون عليه من العبادة، التي يسلم معها من سفك الدماء؛ أن ذلك لا يلزم معه تنقص لمن رأى ذلك، وكذلك الانشغال بالعبادة في عاشوراء لا يلزم منها القدح في رأي من رأى الخروج وعدم الصبر، ولا يلزمهم لأجل ذلك قطع العبادة في ذلك اليوم، والانقطاع إلى الحزن على مصيبة سابقة، ولو رأوا لذلك باعثا لكانوا أسرع إليه من دهور طويلة، فهم وارثوا المذهب والدم سويا، وقد تمكنوا في مواضع بعيدة عمن ينازعهم في رأيهم.

صنيع الزيدية في بلاد المشرق ـ ومنها بلاد الديلم ــ حجة على البويهيين الذين قدموا من

=

بالناقص؛ لكونه نقص عطاء الأجناد، وقيل: إن لقبه الشاكر لله، ويقال في المثل الأشج والناقص أعدلا خلفاء بني مروان، ولد سنة ثمانين، ومات سنة ١٢٦هـ، وهي نفس السنة التي تولى فيها، انظر: سير أعلام النبلاء، ٥/ ٣٧٤- ٣٧٦، والبداية والنهاية، ١٠/ ١٣.

(١) انظر: العواصم والقواصم، ٨/ ١٦٧.

تلك البلاد التي عاشت حكمهم، فإنه لم يشتهر عن تلك الدول الزيدية وأئمتها بدع النياحة والغلو يوم عاشوراء، بل إن أول من أحدثه هم البويهيون في بغداد، وكانت زمن ضعف وصراع، فمال إلى الرفض وسب الصحابة.

حاصل ما تقدم: التلازم بين أسلاف الإمامية وبين الخروج، إضافة إلى عقيدة الرجعة وغيرها من رفض وتكفير للمسلمين، مما يعني أن أسلاف الإمامية هم نوع من أنواع الخوارج، كما عرفنا الأجواء التي انفصلت فيها طوائف من الخوارج عن لبوس التشيع قبل الحسين وبعده، كما عرفنا أثر من بقي يجمع بين التشيع الغالي والخروج على مرويات عاشوراء، وأنهم مظنة الوضع والزيادة في الروايات الواردة في عاشوراء في غير الصوم، وأن ذلك لأهواء مختلفة، وربما متقابلة، وأن ذلك أوجد أجواء عائمة لأن يرمى بآثار تلك الروايات على أهل السنة أنها من وضعهم، وأنه علامة نصبهم لآل البيت، كما عرفنا البيئة التي تقاربهم من المنتسبين إلى السلف مقالة أو موضعا، يجتمع فيها التشيع والتنسك من خلال أحاديث عاشوراء، وعرفنا بعض الرواة الضعفاء والوضاعين الذين روجوا روايات خوارج الشيعة؛ مما جعل ذلك بيئة لتسلل رواياتهم إلى أهل السنة، وذلك يقودنا إلى نتيجتين مهمتين:

١) علاقة الشيعة بوضع أحاديث عاشوراء ـ غير الصوم ـ أكثر من علاقة أهل السنة بها، وهذا ما اتضح لي من خلال تتبع الروايات، وإن كنت لم أقف من نص على ذلك، إلا ما ألمح إليه محسن الأمين العاملي من كلام رجل يظهر منه الانتساب إلى السنة(١)، وهو أحمد بن محمد بن سوركتي الأنصاري السوداني، في مقال له حول الأحاديث الواهية، في العدد الأول من مجلته: (الذخيرة الإسلامية)، حيث قال العاملي في معرض رده عليه: (وأما ما سود به السوداني صحيفته فنقول في نقضه: "أما" جعله حديث: «من وسع على عياله يوم عاشوراء...» الخ من الموضوعات فقد أصاب فيه، وكنه أخطأ في تخصيص الوضع

---

(١) إقناع اللائم على إقامة المآتم، ص٢٧١، ٢٤٢، محسن الأمين العاملي، ت. جواد الصافي، ط١، ١٤٣٠هـ، دار الصفوة – بيروت.

بالخوارج...)(١).

لكي نتعرف على حقيقة كلام الأنصاري فإني أنقل نصه ــ كما سلقه، فيقول الأنصاري: (ولم يثبت في يوم عاشوراء شيء إلا الصوم، وأما ما يروى فيه من الاكتحال والتطيب وإظهار الزينة والتوسعة، ونحو ذلك مما يفعل في الأعياد، فمن وضع الخوارج، كانوا يفعلون ذلك في مقابلة ما يتظاهر به الرافضة من إظهار الحزن، وضرب الصدور،...، وتبعهم الرافضة أخيرا مع طول الزمان بغير شعور منهم، فصاروا يجمعون البدعتين، بدعة التظاهر بالتظاهر بالزينة والإطعام، وبدعة التظاهر بالحزن، وطفقوا يروون الأكاذيب لتأييدها، كعادتهم...)(٢).

لم يخف العاملي في رده السابق استغرابه ــ أيضا ــ من حال بعض الخوارج المعاصرين ــ كإباضية زنجبار ــ، فذكر عنهم ــ والعهدة عليه ــ أنهم يحزنون في عاشوراء، وفيه موافقة لما سبق من حال بعض الخوارج المتقدمين؛ فقال: (وأنه بقدر بغضهم لعلي وولده الحسن ـ عليهم السلام ـ فإنهم يحبون الحسين ـ عليه السلام ــ، لقيامه بالسيف، ومقاومته للظلم، كما نبه عليه الميو مارين الألماني فيما مر من كلامه في القصل السابع؛ فما ندري من أين أتى السوداني بأن وضع ذلك الحديث من الخوارج)(٣).

لعل ما سبق في هذا المطلب يرفع هذا الاستغراب، إذ وجد من الخوارج من ترحم واستغفر للحسين، مع كونه توقف عن الخروج معه، كما في حال عبيد الله ابن الحر الجعفي، ت/ ٦٨هـ؛ كما أن ما سبق ـ أيضا ــ تضمن استدلالا لقريب مما ذكره الأنصاري عن الخوارج وأثرهم في وضع أحاديث عاشوراء، في التوسعة والاكتحال، وغيرهما، وإني وإن كنت لم أعرف مستنده في نسبته الوضع للخوارج، وظاهر كلامه أنه أنس إلى ظاهر كلام بعض أهل العلم من السنة، لكنني أوافقه في هذه الخلاصة، وأجزم بأن أثبات أهل السنة لم يضعوا

---

(١) إقناع اللائم على إقامة المآتم، ص٣٢- ٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧١، ٢٤٢.

(٣) إقناع اللائم على إقامة المآتم، ص٢٧١، ٢٤٢، محسن الأمين العاملي، ت. جواد الصافي، ط١، ١٤٣٠هـ، دار الصفوة – بيروت.

أحاديث عاشوراء، وإنما ذلك في غالبه من وضع خوارج الشيعة، وقد تلقفه عنه وروجه الوضاعون والضعفاء من الرواة، وأكثر ما يشكل منه ما روي عن سفيان، وسيأتي الجواب عنه بإذن الله.

٢) أن واقع الشيعة الاثني عشرية اليوم هو واقع أسلافهم من خوارج الشيعة، هذا فضلا عما جره إليهم العرفان والتصوف من إقرار عقائد الغلاة والمفوضة، وإبطال كثير من الشريعة من طريق التلاعب بين حبلي الشريعة والحقيقة، إلى أن وصل بهم الحال إلى سلخ أهم شعار لهم طيلة القرون السابقة، وهو الانتظار، ورجوعهم إلى أصل مقالتهم في الخروج، ولذا التزموا في العصور الحالية وجوب الثورة والثأر، باسم الثأر من قتلة الحسين، والحقيقة أنها حجة باردة، وإنما هو أثر من آثار أسلافهم لجئوا إليه، وأوجبوا على أنفسهم ترك التقية؛ وهذا الحال نوع من تقلب المذهب الاثني عشري، وكونه دهليزا تتجدد من خلاله مقالة الغلو والغلاة.

إذا عرفنا هذا فقد سبق أن من الخوارج من كذبوا لخصوص بدعتهم، مع ما اشتهر من قبول رواياتهم في غير مواضع بدعتهم، وهذا في الخوارج الأولين، فالكذب في المتأخرين، وممن جمعوا مع هذه البدع غلو الرفض والتفويض أحرى، ومن صور الكذب الدس والتلبيس في الكتابة والاستنباط، والتهويل حول أحوال التاريخ.

وبعد: فهذا المطلب رغم طوله رأيت أهميته، وكونه تمهيدا لما بعده من الآثار المشتركة بين الإمامية، وغيرهم، ولما التزمه، وهو حديث الفصل القادم.

الفصل الثاني

آثار عاشوراء المشتركة بين الإمامية الاثني عشرية وغيرها

وفيه:

تمهيــــــــــد.

المبحــــــث الأول: التعبد بالصوم وغيره في عاشوراء.

المبحـــث الثــــاني: الفرح والحزن في عاشوراء (التقابل الطائفي).

المبحـــث الثالـــث: الموقف من آثار عاشوراء.

تمهيد

بعد أن عرضت آثار عاشوراء الخاصة بالإمامية يحسن بنا أن ننظر إلى آثار عاشوراء المشتركة بين الإمامية وغيرهم، في الجانب العملي والواقعي، مع تلمس المخرج من هذه الآثار على الإمامية وعلى المسلمين عموما، بعد أن عرفنا منطلقاتها العقدية.

الخلل من جهة حدوث بعض البدع في يوم عاشوراء، ورواية أحاديث في فضلها؛ ليس مخصوصا بهذا اليوم، فهو خلل يتكرر في كثير من أيام العام وشهوره، كيوم المولد النبوي، والنصف من شعبان، وليلة السابع والعشرين من رجب، وغيرها، وفي بعض هذه الأيام تكون بدعها المختلف عليها هي أصل تخصيصها بعمل، وهذا بخلاف يوم عاشوراء فإن أصل العمل فيه ــ وهو الصوم ــ متفق عليه بين المسلمين، وبإجماع فرقهم، ويروونه عن الرسول ﷺ من طريق الصحب والآل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لذا فإن مطلق التعبد والتنسك في عاشوراء ليس هو أصل الخلل في هذا الجانب، ولكن فيما أضيف إلى المشروع، فبقي الإشكال في هذه الإضافة والزيادة: هل قصد بها محبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو بغضه؟ وهل لا بد من أحدهما في قسمة حدية، كما تقوله الشيعة؟

التوسع في أعمال العبادة ومفهومها هو أصل الخلل في هذا الباب وأمثاله، والتساهل في الروايات في الفضائل موجود عند كثير من السنة، وهو في الشيعة أشد، ووصل الحال في عاشوراء أن توافقت طوائف منهما على وضع كثير من الروايات في خصوص عاشوراء، مما منح عاشوراء أهمية زائدة أصبحت محل إشكال واستئثار؛ والتساهل في الرواية في هذا الجانب يشابهه ما يدرج ضمن أعمال هذا اليوم تحت باب المجربات، ومنها باب التوسعة على الأهل والعيال عند بعض السنة، وباب الحزن والجزع عند الشيعة.

كلا الأمرين المذكورين ينبغي أن يحاكما بذاتها على استقلال، ولا يحاكما بالنظر إلى أصل مذهب كل فريق في الإمامة، إذ الإمامة في هذا الموضع لا علاقة لها بالمحبة، فمن يتشيع بمودة ومحبة الآل ـ وهم جمهور المسلمين ـ لا يلتزمون بالإمامة، فجاءت دعوى المحبة هنا للتوصل

إلى الامتحان بالإمامة[1]، وجاءت النياحة هنا على وجه التناقض والإحراج، وأنه لا تقبل دعوى محبة تامة إلا بحزن، وأنه لا يعبر عنها إلا الحزن؛ وهذا التعنت والتكلف وقع في مغبته مدعوه، إذ مع طول العهد تحول حزنهم إلى فرح بهذا اليوم، وهو فرح باختصاصهم به من جهة ما يعظمونه من أمر الإمامة، وأصبح شعارا لمذهبهم يفاخرون به، ويسارعون من خلاله إلى الاستئثار باسم الإسلام، وغلوا في فرحهم هذا حتى بطلت دعواهم في وجوب الحزن، وتحريم السرور بهذا اليوم، والعبرة لما غلب، حتى أصبح تشنيعهم على أهل السنة من باب الفرح ضعيفا وقلقا، فمبالغتهم في الفرح أظهر من أهل السنة، لوجود من يدفع هذا الجانب في السنة، ويحذر من الابتداع في هذا اليوم، بخلاف الشيعة الذي فتحوا باب المحبة على مصراعيه.

دعوى المحبة لا علاقة لها بأصل محبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والاستئثار بها، بقدر ما هي محبة كل طائفة لما استحسنته وجربته، واتخذته دينا لها تمتحن الناس عليه، والتعبد ـــ أيضا ـــ لا علاقة له بالنياحة والحزن على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالبعض يتكلف في ذلك اليوم أعمالاً ينذرها ويهديها للحسين من دون إظهار علامات البغض والكره، من النياحة والجزع، التي

---

(١) اتخذ يوم عاشوراء موعداً لامتحان الناس في مثل هذه المحبة، وخاصة من خلال سب معاوية وسب يزيد، وللوقائع المشتركة بين السنة والشيعة في عاشوراء انظر المبحث الثاني من هذا الفصل، وليس كل من ادعى المحبة وتعلق بها يختم له بخاتمة حسنة، ومن ذلك قصة السيد الحميري الشاعر، ت/ ١٧٨هـ، وكان كيسانياً يقول بإمامة ابن الحنفية، وهو ممن يروى عنه قصة محاجة الحجر الأسود، وأن محمدًا يقول لعلي بن الحسين: يا سيدي، بعد أن غلبه، فلما بلغ ذلك السيد الحميري رجع عن الكيسانة وصار إماميا، قال ابن حجر: (قلت: وهذه القصة من تكاذيب الرافضة وكذا ما ذكروه أنه قيل لجعفر: كيف تدعو للسيد الحميري وهو يشرب المسكر ويشتم أبا بكر وعمر ويؤمن بالرجعة؟! فقال: حدثني أبي، عَن أبيه أن محبي آل محمد لا يموتون إلا تائبين)، وأورد له قصة خاتمة حسنة له عند الموت، (جزائي في حب آل محمد)، وقال بعدها: (قلت: هذه حكاية مختلقة والمتهم بها هذا الرافضي. وحفيده إسحاق لا أعرف حاله،... وأصح من هذا ما قرأت بخط الصفدي قال: قال أبو ريحانة، وكان من أهل الورع: حدثني جار السيد الحميري قال: جاءنا رجل فقال: إن هذا وإن كان مخلِّطًا فهو من أهل التوحيد، وجاركم، فادخلوا لقِّنُوه، وكان في الموت ففعلنا، فقلنا له وهو يجود بنفسه: قل لا إله إلا الله، فاسود وجهه، وفتح عينيه، وقال لنا: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾(سبأ: ٥٤)، ومات من ساعته)، وقال: وكان أبواه ناصبيين فهجاهما. لسان الميزان، ٢/ ١٧٣.

هي مخالفة لظاهر الشريعة بخصوصها، إذ هي من سنن الجاهلية، فكيف إذا جعلت هي شعار العبادة في يوم مثل عاشوراء، فالتعبد بها لا مستند له بدليل، ولا بشبهة عمل بمشروع، إلا شبهة التعلق بنصوص المحرمات والمنهيات الصريحة.

الخلاف حول هذا الجانب متأصل حتى بين طوائف الإمامية أنفسهم، من الإخبارية والأصولية، منع من بروزها طغيان الأصولية وظلمها للأخبارية، واستئثارها بمواقع التشيع وتغلبها عليها منذ أكثر من قرن، والصراع حول التصوف ومظاهره في الحسينيات والمآتم خير شاهد على هذا، وقد سبق بيانه مفصلا؛ والشاهد من ذلك أن حدود محبة عاشوراء وضوابطها أمر مختلف فيه بين مدارس ومذاهب الإمامية نفسها، فضلا عن الاختلاف بين الإمامية وغيرها؛ وعليه فلا حجة لهم في أصل محبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لا في طريقة وموسم إظهارها، ولا حجة للتعلق به على من خالف في هذا الجانب، والذي كثر بسببه الانتساب إلى الحسين، والتسمي به، ذاتا وقولا وعملا وطائفة.

مثل ما سبق وسم المخالف بـ(يزيدي)، والذي يأتي في مقابل (حسيني)، واستحسن هذا التنابز ليعود البغي والظلم بين المختلفين في تصحيح مذاهبهم في المحبة، مع اعتراف الجميع بوجود أصلها، مما زاد من شحن النفوس بالعدواة والبغضاء، لا لأجل محبة الحسين، بل محبة الذات والرأي والطائفة والبلد ونحو ذلك، مما سوغ أن يشتهر الحزن على هذا الحال بين يدي الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبرر كل طائفة بأنها يستغيث بالحسين من جديد، لا لتثأر للحسين نفسه، وتستعيد حقه المسلوب الذي هو مدار النزاع، والذي أوجبوه على أنفسهم، وعلى كل منتسب إليهم؛ بل يستغاث بالحسين من جديد ليلبي نداء الطائفة التي تناديه، ويظهر حقها وصوابها، فآل الأمر بالحسين وكأنه مصلح بين المتخاصمين والمتقاتلين، ولكن لعقدة الأثرة، وشبهة الوعيد ظن كثير بالحسين أنه لن يستطيع أن يفصل بينهم، كما أنه لم يفصل الأمر في أوله، ولكن حقيقة الحال أن ذلك بسببهم، ولأنهم هم لم يفصلوا الأمر ويحسموه في مبدأه وصغره، وتركوه حتى طار شرره كل مطار، لاختلاف أهوائهم.

التدرج والتقابل في الانحراف داخل مذهب الإمامية، الذي ابتدأ من آثار الفتنة الأولى زمن الصحابة، وهو تدرج يقل معه التراجع والاستقرار، بخلاف من نازع في أمر الفتنة ممن

لم يقل بإمامة نص إلهي لأحد، فهم أقرب إلى الحق في ولاية علي ومحبته، وهم في ذلك ما بين: دفع لنقيصة، أو قدر فضل، أو تفضيل ولازمه، والخلاف وإن طال زمنه فقد استقر، ولو مع شيء من العذر للمخالف، ومن ذلك استقرار الخلاف بين السنة في التربيع، ولم يحصل ذلك دفعة واحدة، ومثله الخلاف حول عاشوراء، ولن يرتفع الخلاف بعمومه فيه إلا مع طول وقت، وأهم منه البيان والحجة، ولعل هذا الفصل يعين على رفع آثار ذلك الخلاف، وذلك من خلال مطالبه حول أعمال يوم عاشوراء، وسيتناول الحديث فيه المأثور منها وغير المأثور، التعبدية منها، وغير التعبدية، مما هو على سبيل الفرح والسرور، أو الحزن؛ ما كان منها ابتداء، أو على سبيل المقابلة، وذلك من خلال حصر لواقع هذا اليوم عبر التاريخ، وهو يفيد التمثيل، لا الحصر؛ مع التنبيه على ما أطلق من التهم بسبب هذا النزاع حول عاشوراء، من دعوى التشبه باليهود، أو العمل بمنسوخ وموضوع، والتي سوغت الإمامية تهمة النصب ــ بل والردة ـ من خلالها؛ ثم أعقب بعد ذلك بذكر المخرج من الآثار العملية التي أحدثتها البدع عاشوراء، وبيان موقف السلف من الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن يوم مقتله.

المبحث الأول

التعبد بالصوم وغيره في عاشوراء

وفيه:

المطلب الأول: صوم عاشوراء: أحاديثه، ومراحله، ومذاهب الصحابة فيه.

المطلب الثاني: صوم عاشوراء بين الإمامية الاثني عشرية وغيرهم.

المطلب الثالث: التعبد بغير الصوم في عاشوراء.

المطلب الأول

صوم عاشوراء: أحاديثه، ومراحله، ومذاهب الصحابة فيه

أصل مشروعية صوم عاشوراء مجمع عليه بين أهل الإسلام، واستحبابه بعد نسخه بصوم رمضان، ولو مع الاختلاف في توجيه ذلك، ولم يعرف إنكار ذلك إلا من متأخري الإمامية، الذين يشككون في أصل مشروعيته، يقابله قول انقرض أصحابه، وهو أن فرضية صوم عاشوراء باقية لم تنسخ، ويسقط اعتبار هذا القول بما انعقد الإجماع عليه من نسخ الأمر به إلى الاستحباب المطلق(١)؛ وبين هذين الشذوذين فإن جماهير المنتسبين إلى الإسلام يقرون بما سبق، والإشكال الذي يحتاج إلى كشف هو أن بعض الإمامية يطعن في صوم هذا اليوم من جهة أنه بدعة، أو أنه تشبه باليهود، واستناد إلى خبرهم، أو أن الاجتهاد في صومه من النصب، واجتهد بعض المعاصرين منهم في إبراز هذا الجانب أكثر من سابقيهم، ليتوصلوا بذلك إلى وصم جماهير المسلمين بالنصب والعداوة للنبي ﷺ وآله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

لتجلية حقيقة صوم عاشوراء، وبُعْدِهِ عن هذين المأخذين فإني أعرض نبذة عن أشهر أحاديث عاشوراء في الصوم، لتكون مدخلا للحديث عن مراحل تشريعه، ومذاهب الصحابة فيه، ومدخلاً ــ كذلك ــ لبيان سبب تعظيم عاشوراء بالتعبد، أو بالفرح، لأن الصوم هو المدخل إليهما؛ وذلك في النقاط التالية.

١. أحاديث صوم عاشوراء.
٢. مراحل تشريع صوم عاشوراء.
٣. صوم عاشوراء زمن الخلفاء وبني أمية.
٤. مذاهب الصحابة في صوم عاشوراء.

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم، ٥/ ٨، وفتح الباري، ٤/ ٢٦٤، وهو منقول عن القاضي عياض، لكنه لم يحدد قائليه، وبهذا فالقول مبهم، وربما يكون فهماً عرض لبعض السابقين في حين، لكنه لم يستقر كقول ومذهب لهم، ومثله ما ينسب لابن عباس من القول بأن عاشوراء هو يوم التاسع، فربما كان فهماً عرض له، أو عرض لتلاميذه فنسبوه إليه على سبيل الظن، ثم رجعوا عن ذلك.

أولاً: أحاديث صوم عاشوراء:

أحاديث عاشوراء كثيرة، وقد اعتنى بها أهل الحديث[1]، ومنها حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المسلسل، وهو حديث في أن صوم عاشوراء يكفر سنة[2]، والأحاديث في بمجملها متواترة، يقول ابن جرير ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ : (وأما صوم يوم عاشوراء فإن الأخبار فيه عن رسول الله ﷺ متتابعة بأنه كان يصومه ويحث على صومه قبل أن يفرض شهر رمضان)[3]؛ ويقول ابن الأثرم عن صوم عاشوراء: (وروي من أكثر من عشرين وجهاً)[4]؛والشاهد أن أحاديث صوم عاشوراء بمجملها من قبيل المتواتر اللفظي أو المعنوي، ومما يحسن ذكره هنا أن بعض العلماء ضمن مصنفه الاستدلال باستشهاد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على فضل عاشوراء[5].

---

(١) مما صنف في عاشوراء على الأجزاء: ابن أبي الدنيا القرشي، ت/ ٢٨١هـ، له جزء عاشوراء، وابن شاهين، ت/ ٣٨٥هـ، في جزء كبير، والحافظ ابن عساكر، ت/ ٥٧١هـ: فضائل عاشوراء: ثلاثة أجزاء، ابن قدامة، ٦٢٠هـ، له جزء: فضل عاشوراء، وجزء عاشوراء للمنذري، ت/ ٦٥٦هـ؛ والعراقي قام بجمع طرق حديث التوسعة في جزء، وابن ناصر الدّين الدمشقي له جزء في: فضل يوم عاشوراء (اللفظ المكرم)، والحديث المسلسل بيوم عاشوراء، محمد بن علان المكي الصديقي، ١٠٥٧هـ، له (رسالة في فضائل عاشوراء)؛ انظر: تاريخ الإسلام، ١٢/ ٤٩٣، ١٣/ ٦٠٣، وشذرات الذهب، ٩/ ٣٥٤، ومعجم المؤلفين، ١٢/ ٢١٢، وتنزيه الشريعة المرفوعة، ابن عراق، ٢/ ١٥٧، جنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب، الحويني، ٢/ ٢٤٦- ٣٤٧، وفهرس الفهارس والأثبات، ١/ ٢٦٣، ٢/ ٨٩٨، محمد عبد الحي الكتاني، ت/ ١٣٨٢هـ، ت. إحسان عباس، ط٢، ١٩٨٢م، دار الغرب الإسلامي – بيروت.

(٢) وهو ما يتلقاه كل راو عن شيخه يوم عاشوراء، لمناسبة يومه وفضله، من آخر من أثبته ويرويه أبو الفيض المكي، وبدأ المسلسل فيه بعد الحافظ المنذري، ت/٦٥٦هـ، أي في القرن الثامن تقريباً، من مسلسلات أبي الفرج ابن الشحنة، انظر: العجالة في الأحاديث المسلسلة، ص٣٢- ٣٣، أبو الفيض، محمد ياسين الفاداني المكي، ١٤١١هـ، ط٢، ١٩٨٥م، دار البصائر – دمشق.

(٣) تهذيب الآثار، الطبري، ١/ ٣٦٩.

(٤) انظر: ناسخ الحديث ومنسوخه، ص١٨٦- ١٨٨، أبو بكر أحمد بن محمد الأثرم، ت/ ٢٧٣هـ، ت. عبد الله بن حمد المنصور، ط١، ١٤٢٠ هـ.

(٥) هذا ظاهر في صنيع المحدثين حيث يذكر بعضهم خبر الحسين ضمن باب عاشوراء، مع أنه حدث بعد فترة التشريع، لكن استدلال بالتوافق الكوني لحدث عظيم في مثل عاشوراء، ومن آخر المصنفات التي جمعت ورتبت طائفة من الراويات في عاشوراء كتاب: اللفظ المكرم بفضل عاشوراء المحرم، الحافظ ابن ناصر الدين =

يقول الترمذي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ : (وفي الباب عن علي، ومحمد بن صيفي، وسلمة بن الأكوع، وهند بن أسماء، وابن عباس، والربيع بنت معوذ ابن عفراء، وعبد الرحمن بن سلمة الخزاعي، عن عمه، وعبد الله بن الزبير... أبي قتادة)[1]؛ ويقول العلامة عبدالحي اللكنوي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ : (وبهذه الأحاديث القولية والفعلية اتفق العلماء على استحباب صيام يوم عاشوراء، بل سنيته لثبوت المواظبة النبوية عليه،...)[2]؛ والأحاديث البارزة في عاشوراء من أهمها ما يلي:

١. حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تحري يوم عاشوراء وصومه: قال: «ما رأيت النبي ﷺ يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم، يوم عاشوراء، وهذا الشهر يعني شهر رمضان»[3]؛ ويقول ابن حجر ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ تعليقاً على خبر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (لكن ابن عباس أسند ذلك إلى علمه، فليس فيه ما يرد علم غيره)[4]، أي أن ابن عباس لم يحضر هذا التحري والتعاهد مباشرة.

٢. أحاديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : في صوم اليهود وعلاقته بالشكر، وفي مخالفتهم، ومنها قوله: (حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؟ فقال رسول الله ﷺ : «**فإذا كان العام القابل ــ إن شاء الله ــ صمنا اليوم التاسع**»، قال: فلم يأت العام المقبل، حتى توفي رسول الله ﷺ)[5]، وسيأتي لها

=

الدمشقي، ت/٨٤٢هـ، ت. مشعل المطيري، ط١، ١٤٢٢هـ، دار ابن حزم.

(١) الترمذي، ح/ ٧٥٢.

(٢) الآثار المرفوعة، اللكنوي، ص٩١، ٩٤.

(٣) البخاري، ح/ ١٩٠٢، ومسلم، ح/ ١١٣٢.

(٤) فتح الباري، ٤/ ٢٤٩؛ وانظر: تهذيب التهذيب، ٥/ ٢٧٦- ٢٧٩؛ وإن كان يرد على كلام ابن حجر التصريح بـ(رأيت)، لكن ذكر ابن حجر أنه قيل عن ابن عباس: لم يسمع إلا تسعة أحاديث، أو عشرة من النبي ﷺ؛ وأحاديث عاشوراء لم يصرح فيها بسماع، ولم يسند الخبر إلى غيره؛ فهذا يعني أنه حدث بما رأى وعلم، لا مما روى من أحاديث الأنصار وغيرهم من كبار الصحابة، وأنه اجتهاد من ابن عباس بحمل روايات السنة الثانية التي سمعها على عموم حال النبي ﷺ.

(٥) مسلم، ح/ ١١٣٤، وأبو داود، ح/ ٢٤٤٥، وأحمد، ح/ ٣٢١٣، والمعجم الكبير، ح/ ١٠٧٨٥، ١٠٨١٧، ١٠٨٩١.

ولشواهدها مزيد بسط، وخاصة ما يتعلق منها باليهود والنصارى[1].

٣. حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: دخل النبي ﷺ المدينة وإذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء ويصومونه، فقال النبي ﷺ: «**نحن أحق بصومه، فأمر بصومه**»[2]، وفي خبره أن أهل يثرب أو خيبر يتخذونه عيدا، ومثله أحاديث أبي هريرة، وجابر، وسعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وستأتي ـ بإذن الله ـ ذكرها مع حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث مفرد.

٤. حديث عائشة ـــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـــ: قالت: (كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان، وكان يوما تستر فيه الكعبة، فلما فرض الله رمضان، قال رسول الله ﷺ: «**من شاء أن يصومه فليصمه، ومن شاء أن يتركه فليتركه**»[3]، وفي لفظ قالت: (كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما هاجر...)، الحديث[4]، قال الترمذي: (والعمل عند أهل العلم على حديث عائشة)[5].

٥. حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: في أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأن الرسول ﷺ صامه، والمسلمون قبل أن يفترض رمضان، فلما افترض رمضان قال ﷺ: «**إن عاشوراء يوم من أيام الله، فمن شاء صامه ومن شاء تركه**»[6]؛ وفي لفظ: (فلما نزل رمضان، سئل عنه رسول الله ﷺ قال: «**هو يوم من أيام الله تعالى، من شاء صامه ومن شاء تركه**»)[7]؛ وفي لفظ: (ذكر عند رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، فقال: «**ذاك يوم كان يصومه أهل الجاهلية، فمن شاء صامه ومن شاء تركه**»)[8]؛ وهذا فيه تصريح بأن الرسول ﷺ هو

---

(١) انظر ص١١٤٢ – ١١٥١ من البحث.

(٢) البخاري، خ/ ٣٧٢٦ وبلفظ قريب منه عند مسلم، ح/ ١١٣١.

(٣) البخاري، ح/ ١٥١٥، ١٧٩٤، ١٨٩٧، ٤٢٣٢، ومسلم، ح/ ١١٢٥.

(٤) البخاري، ح/ ١٨٩٨، ٣٦١٩، ٤٢٣٤، ومسلم، ح/ ١١٢٥.

(٥) الترمذي، ح/ ٧٥٣.

(٦) مسلم، ح/ ١١٢٦.

(٧) أحمد، ح/ ٥٢٠٣، ٥٢٠٤، ٦٢٩٢، ٤٤٨٣، وأبو داود، ح/٢٤٤٣، وابن خزيمة، ح/٢٠٨٢، وأبي عوانة، ح/ ٢٩٧٢.

(٨) مسلم، ح/ ١١٢٦، وابن ماجه، ١٧٣٧.

من أخبر بحال أهل الجاهلية، وبعض العلماء خص فترة الجاهلية بفترة بين مولد النبي ﷺ ومبعثه، وإن كان الأصل أنه عام فيما قبل البعثة[(١)].

٦. حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ومنه أنه: (دخل الأشعث بن قيس على عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو يتغدى فقال: يا أبا محمد ادن إلى الغداء، فقال: أوليس اليوم يوم عاشوراء؟ قال: وهل تدري ما يوم عاشوراء؟ قال: وما هو؟ قال: إنما هو يوم كان رسول الله ﷺ يصومه قبل أن ينزل شهر رمضان، فلما نزل شهر رمضان ترك)؛ وفي لفظ: (تركه)[(٢)]، أي النبي ﷺ، وفيه تصريح واضح بما يوافق مذهب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الترك، وهو ما خولف فيه[(٣)].

٧. حديث أبي قتادة الأنصاري: فعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله**»[(٤)]، وله قصة، حيث جاء بعد غضب الرسول ﷺ على من سأله: (كيف تصوم؟) فغضب ﷺ، وكره سؤاله خشية المشقة على

---

(١) انظر فتح الباري، ٧/ ١٤٩، وابن حجر تعقب النووي في تعميمه أن الجاهلية - حتى في هذا الموضع - تشمل ما قبل البعثة، واستثنى ابن حجر هذا الموضع، ولا أدري ما دليله على ذلك، ولكنه راعى فيه ترجمة الرواة من الصحابة، وجعل من أسلم قبل فتح مكة من المخضرمين، أي أنه أدرك الإسلام زمن الجاهلية، ولكن هذا لا علاقة له بصوم قريش.

(٢) مسلم، ح/ ١١٢٧، مختصراً، والنسائي،؛ ٢٨٥٨، وأحمد، ح/ ٤٠٢٤، ٤٣٤٩.

(٣) انظر: الترمذي، ح/ ٧٥٣، والمعجم الكبير، ١٨/ ١٩، ح/ ٣١.

(٤) مسلم، ح/ ١١٦٢، وأبو داود، ح/ ٢٤٢٥، والترمذي، ح/ ٧٤٩، وابن ماجة، وأحمد، ح/ ٢٢٥٣٥، (مطولاً في مسند أبي قتادة، وفي غيره مجزئاً مختصراً)، ح/ ١٧٣٨، وأحمد، ح/ ٢٢٥٣٠، ٢٢٥٣٧، ٢٢٥٨٨، ٢٢٦١٦، ٢٢٦٢١، ٢٢٦٥٠؛ أشهر طرق الحديث عن أبي قتادة هو برواية عبدالله بن معبد الزماني البصري، والبخاري لم يثبت عنده سماعه من أبي قتادة، ولهذا لم يخرج حديثه، ووثقه غيره، كمسلم وابن حبان، انظر: تهذيب التهذيب، ٦/ ٤٠، ولم يروه عن أبي قتادة إلا قلة، لا شهرة لروايتهم مع رواية ابن معبد، ويروي عنه: غيلان بن جرير، وهو أشهرهم، وقتادة، والأظهر أنه يرويه عن غيلان، لكن يسقطه أحيانا، وممن رواه غير ابن معبد: مولى لأبي قتادة، وعبد الله بن أبي قتادة، وعباد بن رباح الأنصاري، وحرملة بن إياس الشيباني، وممن أخرج لحرملة أحمد في مسنده، ح/ ٢٢٦١٦، وفيه: (حدثنا همام قال: سئل عطاء بن أبي رباح وأنا شاهد عن الفضل في صوم يوم عرفة فقال: جاء هذا من قبلكم يا أهل العراق، حدثنيه أبو الخليل، عن حرملة بن إياس، عن أبي قتادة، وفي: ترتيب الأمالي الخميسية، للشجري، ٢/ ١١٩، أخرجه مرفوعا من غير أبي قتادة، فأخرجه عن عبد الله بن جراد مرفوعاً، ولم أقف على هذه الرواية عند غيره.

أمته، فعرف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غضبه مراده، ومنهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فجعل عمر رضي الله عنه يردد هذا الكلام، ويعرض السؤال مفصلاً، عمن يصوم الدهر كله، ومن يصوم يوما، أو يومين، ويفطر يوما، إلى أن قال ﷺ: «**ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله**»، وفيما ورد من أخبار يوم عرفة ـ كهذا الحديث ـ ما يوحي بتأخر مشروعية صومه إلى آخر حياة النبي ﷺ[1].

وقال الترمذي: (لا نعلم في شيء من الروايات أنه قال: «**صيام يوم عاشوراء كفارة سنة**»، إلا في حديث أبي قتادة، وبحديث أبي قتادة، يقول أحمد، وإسحاق)[2]، وقال النسائي: (هذا أجود حديث عندي في هذا الباب، والله أعلم)[3].

٨. أحاديث الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[4]: وهي أحاديث اشتملت على وصف مشروعية صوم عاشوراء، ومنها حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أمر النبي ﷺ رجلاً من أسلم: «**أن أذن في الناس: أن من كان أكل فليصم بقية يومه، ومن لم يكن أكل فليصم، فإن اليوم يوم عاشوراء**»[5]، وحديث الربيع بنت معوذ ـــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: (أرسل النبي ﷺ غداة

---

(١) مسلم، ح/ ١١٦٢، وقال النووي تعليقا على الحديث: (قال العلماء سبب غضبه ﷺ أنه كره مسألته لأنه يحتاج إلى أن يجيبه، ويخشى من جوابه مفسدة، وهي أنه ربما اعتقد السائل وجوبه، أو استقله، أو اقتصر عليه، وكان يقتضي حاله أكثر منه...، وكان حق السائل أن يقول: كم أصوم؟ أو كيف أصوم؟ فيخص السؤال بنفسه ليجيبه بما تقتضيه حاله، كما أجاب غيره بمقتضى أحوالهم، والله أعلم)، شرح النووي على مسلم، ٨/ ٥٠.

(٢) الترمذي، ح/ ٧٥٢.

(٣) السنن الكبرى، ح/ ٢٨٢٦، وسيأتي أن هناك أحاديث صنفت في الموضوعات فيها المبالغة في أجور الصوم، ولم أقف على البخاري أخرج حديث أبي قتادة، ولا أخرج شيئا فيه ما يشبهه، وكذلك الإمام مالك في الموطأ.

(٤) ومن هؤلاء: عبد الرحمن بن سلمة الخزاعي، عن عمه، أو عبد الرحمن بن المنهال الخزاعي، عن عمه، ومحمد بن صيفي الأنصاري، وأبو هريرة، وجابر بن عبدالله، وجابر بن سمرة، وقيس بن سعد بن عبادة، وهند بن أسماء الأسلمي، وأسماء بن حارثة، وبعجة بن عبد الله، عن أبيه عبدالله بن بدر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٥) البخاري، ح/ ٢٠٠٧، ومسلم، ح/ ١١٣٥، وقوله: (فإن اليوم يوم عاشوراء) قد يصلح -كما سبق ص٢٥- أن يكون هذا القول تاريخاً لتسمية اليوم باسم عاشوراء.

عاشوراء إلى قرى الأنصار: «**من أصبح مفطرا، فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائما، فليصم**»؛ قالت: فكنا نصومه بعد، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار)[١]، وظاهر حديث الربيع يحتمل أن من الناس من بلغه خبر الصوم قبل الفجر، أو أنه كان ممن صامه قبل الهجرة تطوعا، لذا أصبح صائما، وهذا قد يكون في المهاجرين أظهر منه في الأنصار.

ثانياً: مراحل تشريع صوم عاشوراء:

مرت تشريع صوم عاشوراء بمراحل أربعة، أذكرها لأهميتها في معرفة موضع الإشكال الذي يورده الإمامية على جمهور المسلمين، واجتهدت أن أعرض هذه المراحل الأربعة على ضوء ما يذكره بعض أهل العلم، وعلى ما فهمته من الجمع بين الروايات وتاريخ من رواه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وما طرحه العلماء من أوجه للجمع.

تشريع صوم عاشوراء مسبوق بصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وهو من صوم السابقين[٢]، ومشابهتهم في هذه العبادة لم تكن موضع إشكال، ومثلها المشابهة في صوم رمضان، بل إن المشابهة ظهرت كأنها باعث على الأمر بالصوم من باب التسلية، وكذلك في عاشوراء فإن الأمر به جاء في فترة أحب النبي ﷺ موافقة السابقين من أهل الكتاب، وهذا

---

(١) البخاري، ح/ ١٩٦٠، ومسلم، ح/ ١١٣٦.

(٢) انظر: تفسير السمعاني، ١/ ١٧٨، أبو المظفر، منصور بن محمد المروزى السمعاني التميمي، ت/ ٤٨٩هـ، ت. ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، ١٤١٨هـ، دار الوطن - الرياض؛ ويفهم من كلام السمعاني أن آيات فرض صيام رمضان نزلت في شهر ربيع الأول من السنة الثانية، ولكني لم أجد من يصرح بشهر نزول الآيات، ولكني فهمت هذا من كلام السمعاني، وقد فسر. حديث معاذ بأن الرسول فرض عليه صوم ثلاثة أيام من كل شهر من حين وصوله في ربيع من السنة الأولى إلى ربيع من السنة الثانية، ومعها عاشر المحرم، فيكون اقترن نسخ عاشوراء في الشهر الذي يوافق يومهم فيه، ونسخ معه وجوب صيام ثلاثة أيام، على قول من يقول بوجوبها، وعلى القول بأن اليهود كان عاشوراؤهم متنقلاً، وأنه كان في ربيع الأول، فيكون الرسول صام من الأشهر ما بين يوميهم الذي يحسبون عاشوراء فيهما، أي اثنا عشر. شهراً، وهي تعدل صيام الدهر، ولما نسخت احتسب أيام التطوع بمقامها، وخاصة صوم يوم عاشوراء، وهذا وإن كان اقتصر. اليهود عليه عجزاً فإن الله أكرم به هذه الأمة تطوعاً، وكأن هذا اليوم يغني عن صيامهم الذي كان مفروضاً عليهم، والذي أحصاه السمعاني بست وثلاثين يوماً، سوى عاشوراء، والله أعلم.

أمر مسلم به، ولكن لاشتداد تلبيس الإمامية المعاصرين حول هذا الجانب فإني رأيت أهمية بسط الحديث عن مراحل تشريع عاشوراء، وهذه المراحل هي كما يلي:

١. السنة الأولى من الهجرة وما قبلها (مرحلة الاستحباب الأولى):

كان النبي ﷺ يتطوع بصوم العاشر من محرم في مكة، كقريش، كما لم يعرف ولم يرو عن الرسول ﷺ تعاهده للصحابة بصومه في مكة، ولم يظهر حينها موافقته وقريشاً لليهود، وهل كان عاشوراء اليهود يوافق عاشر محرم أم لا؟ والحال يحتمل أمرين، هما:

أ- أن يوم عاشوراء قبل الهجرة كان غير متنقل، وأن قريشاً والرسول ﷺ يصومونه في العاشر من محرم، وهو الموضع الذي كان عليه زمن موسى ﷺ؛ وقد يكون هذا الوجه هو المتبادر للأذهان، لكن ذلك لا يستند إلى نظر مستقل، بل لم يكن ثمَّ حاجة في البحث حوله، لاستقرار الأمر على ما أقره الرسول ﷺ؛ وأهل السنة ـ بالإجماع، أو قريب منه ــ يجزمون أن الرسول ﷺ صام عاشوراء في اليوم الذي يرتضيه الله له، فيبقى الإشكال: هل هذا اليوم الذي ارتضاه الله له هو اليوم الذي ارتضى لموسى ﷺ صومه، ولأتباعه من بعده؟ وهل هو الذي وافقهم الرسول ﷺ يصومونه عند دخوله المدينة بعد الهجرة؟ ولا يترتب على تحقيق هذه المسألة أهمية لذاتها إلا من جهة توجيه ظاهر الأحاديث التي أخبرت عن سؤال الرسول ﷺ لليهود بعد الهجرة عن سبب صومهم ليوم عاشوراء، وعن زمان هذا السؤال، وهو ما لم تتوجه جهود أكثر العلماء في تحرير الكلام عليه، ومثله في هذا مثل صوم الأمم السابقة لشهر رمضان.

ب- أن يوم عاشوراء قبل الهجرة كان متنقلاً، وتنقله مرتبط بعادة أهل الجاهلية في النسيئة، والتي أحد صورها أن يزاد في السنة القمرية شهراً كل ثلاث سنوات تقريباً، لتوافق السنة الشمسية وفصولها الأربعة، فتصبح تلك السنة ثلاثة عشر شهراً، مما يعني أن يوم عاشوراء يقع على الحقيقة في غير محرم؛ ومن لوازمه على القائلين بتأخر نسيئة الجاهلية إلى زمن عام حجة الوداع ؛ من لوازمه أن الرسول ﷺ صامه قبل الهجرة في غير ميقاته؛ ومن دواعي هذا القول أن قريشاً تتبع اليهود في النسيئة، وفي صوم عاشوراء قبل الهجرة.

هذا القول لم تثبت للقول به أدلة كافية؛ كما أن يلزم عليه أن هذه العادة لم ترتفع في السنة

الأولى من الهجرة، وإنما من المحتمل أن ارتفاعها كان في السنة الثانية من الهجرة، وعلى التنزل على ما قيل في سبب تأخر فرض الحج فإن من المحتمل ـ أيضاً ـ أن يوم عاشوراء لم يوافق محرماً إلا في السنة الحادية عشرة، أي بعد حجة الوداع، التي فيها استدار الزمان على ما كان عليه.

هذا المسألة بحثها بعض شراح الحديث عند شرح أحاديث عاشوراء، ومن أشهر من تعرض لها وناقشها اثنان من أهل العلم، وأضافا حولها مناقشة كلام المؤرخين وأهل الحساب والفلك: أن يوم دخول الرسول يوم دخوله المدينة في ربيع الأول وافق يوماً عاشراً يصومه اليهود، أذكر كلامهما، والراجح منهما، وذلك كما يلي:

١)ابن القيم: وقد توسع ـ رضي الله عنه ـ في تحرير الإشكالات حول أحاديث عاشوراء، وأجاب عنها[١]، وذكر أن اليهود يحسبون عاشوراء على التقويم الشمسي. ولكن يظهر من كلامه أيضاً ـ عدم القول بتنقل يوم عاشوراء عند قريش والرسول ﷺ، وأن الرسول صامه كما تصومه قريش، وأدركه في السنة الأولى بمكة؛ كما جوز القول باحتمال تنقل عاشوراء عند اليهود في السنة الأولى، ومال إلى القول به، وأنه لم يوافقوا فيها صوم العاشر من شهر محرم، بسبب حسابهم وكبسهم[٢]؛ ورجح أن يكون سؤال الرسول ﷺ لليهود عن صومهم في

---

(١) ابن القيم في زاد المعاد، ٢/ ٦٣ - ٧٣، سرد عدداً من الإشكالات ثم أجاب عليها، منها ما يلي:

١- أن الرسول ﷺ قدم المدينة واليهود صياماً في ربيع الأول، وأن حديث ابن عباس يحمل على حساب اليهود بالحساب الشمسي، وبه يرتفع الإشكال بالكلية، وهذا الموضع تعقبه عليه ابن حجر، كما سبق.

٢- حديث عائشة في صوم الرسول ﷺ في مكة.

٣- إفطار ابن مسعود والجمع بينه وبين حديث معاوية في عدم فرض عاشوراء، وبين أحاديث الفرض المشهورة.

٤- صوم التاسع.. وابن عباس جعله هو السنة، وأنه هكذا كان صوم الرسول، والشاهد منه: إنكار من فهم منه صوم التاسع وحده، ثم بين أن مراتب الصوم وأيامه ثلاثة: إما ثلاثة أيام، وإما يومان، وهو الموافق لخبر ابن عباس، وإما العاشر وحده، وأما إفراد التاسع وحده فهو بعيد ومنكر.

(٢) انظر: زاد المعاد، ٢/ ٦٦؛ وانظر: فتح الباري، ٧/ ٢٦٧.

السنة الثانية، وأنه في السنة الأولى لم يأمر الناس بشيء، وإنما كان ذلك في السنة الثانية[1]، وبين ابن القيم أن النصوص ليست صريحة في أن يوم قدوم الرسول ﷺ المدينة هو اليوم الذي كانوا فيه صياما، فقال: (أما الإشكال الأول، وهو أنه لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوم عاشوراء، فليس فيه أن يوم قدومه وجدهم يصومونه)[2].

٢)ابن حجر[3]: وقد تعقب ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومال إلى أن قريش تتبع في عاشوراء شرعاً سابقاً، والأغلب أنها تتحراه على حساب اليهود، وتُنَقِّلُه في الأشهر القمرية، ولم يجزم بذلك؛ واستدل على تنقله بما جاء في خبر غير مشهور حسَّنَ سنده، عن زيد بن ثابت، قال: (ليس يوم عاشوراء باليوم الذي يقوله الناس، إنما كان يوم تستر فيه الكعبة، وكان يدور في السنة، وكانوا يأتون فلانا اليهودي، يعني ليحسب لهم، فلما مات أتوا زيد بن ثابت فسألوه)[4]؛ وحمله الحافظ بما يوافق كلام المؤرخين، كالبيروني[5]، عن جهلة اليهود، واعتمادهم في صيامهم وأعيادهم حساب النجوم، فالسنة عندهم شمسية، لا هلالية[6]؛ ثم قال: (قلت: فمن ثَمَّ احتاجوا إلى من يعرف الحساب ليعتمدوا عليه في ذلك)[7].

ابن حجر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ذكر عدداً من الاستشكالات حول هذه المسألة، ولكنه لم يخرج منها بنسق واحد، لصعوبة الجمع بينها؛ فلم يجزم بأن اليهود صاموه في محرم، أم في ربيع الأول، والسر أنه تتبع يهود زمانه فلم يجدهم يتبعون الحساب الشمسي، بل إن صيامهم وعباداتهم على

---

(١) سيأتي -بإذن الله- في المرحلة الثانية (السنة الثانية)، وأنه موافق لفهم جمهور العلماء.

(٢) انظر: زاد المعاد، ٢/ ٦٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ٤/ ٢٤٧- ٢٤٨، ٧/ ٢٦٧، وتابعه القسطلاني في إرشاد الساري، ٦/ ١٧٤.

(٤) المعجم الكبير، للطبراني، ٥/ ١٣٨، ح/ ٤٨٧٦، ومجمع الزوائد، للهيثمي، ٣/ ١٨٧- ١٨٨، ح/ ٥١٢٩، وقال: (رواه الطبراني في الكبير ولا أدري ما معناه، وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد، وفيه كلام كثير، وَقَدْ وُثِّقَ)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر، فتح الباري، ٤/ ٢٤٨.

(٥) انظر: الآثار الباقية، ص١١، ٢٧٥- ٢٨٧،

(٦) فتح الباري، ٤/ ٢٤٧- ٢٤٨، وانظر: ٧/ ٢٧٦.

(٧) فتح الباري، ٤/ ٢٤٧- ٢٤٨.

الأهلة، وهذا من تبحره ودقته ـ رضي الله عنها ـ[1]، ولأجله استنكر على من ذكر ــ من أهل العلم، كابن القيم ــ دعوى أن اليهود يبنون عباداتهم على الحساب الشمسي.، واستدرك عليه فقال: (لكن في الذي ادعاه أن أهل الكتاب يبنون صومهم على حساب الشمس نظر، فإن اليهود لا يعتبرون في صومهم إلا بالأهلة، هذا الذي شاهدناه منهم، فيحتمل أن يكون فيهم من كان يعتبر الشهور بحساب الشمس، لكن لا وجود له الآن، كما انقرض الذين أخبر الله عنهم أنهم يقولون: عزير بن الله، تعالى الله عن ذلك)[2].

ابن حجر تعقب ابن القيم بأمرين، هما محل نظر، وذلك كما يلي:

١. حال يهود زمانه، وأنهم يتبعون الحساب القمري، وحال يهود زمانه لا يلزم منه أنه هو حال الذين قبلهم، وهو ما نص عليه ابن حجر نفسه، كما أن ابن حجر لم يطلع على أحوال سائر اليهود في زمانه، والأظهر أن أكثرهم يجمعون بين الحساب الشمسي. في السنة، والحساب القمري في بداية الشهر، على الكبس المشهور عنهم[3]، خاصة وأن البيروني الذي استشهد بكلامه يقرر أنهم يتبعون حساباً يجمعون فيه بين الشمسي والقمري.

٢. خبر زيد بن ثابت، والاستدلال به معارض بعدم صحته، وعدم صراحته، أما عدم صحته فلوجود ابن أبي الزناد، ت/ ١٧٤هـ، وهو مردود الرواية، قال أحمد: هو مضطرب الحديث، وقال يحيى: لا يحتج به، وقال ابن المديني: ما حدث بالمدينة فهو صحيح، وما حدث ببغداد أفسده البغداديون[4]؛ فروايته ضعيفة، وقد انفرد بها، ولم أقف على متابع له

---

(١) انظر: فتح الباري، ٤/ ٢٤٧– ٢٤٨، ٧/ ٢٦٧، وتابعه القسطلاني في إرشاد الساري، ٦/ ١٧٤.

(٢) فتح الباري، ٧/ ٢٧٦، والعجيب أن ابن حجر هنا لم يسترسل في حال يهود زمانه هل كانوا باقين على صوم يوم عاشوراء، ومتى يوافق من السنة الهجرية، ويا ليته فعل، لأنه أوثق من غيره في تتبع هذا الباب.

(٣) توافق السنة العبرية مع الميلادية في البداية أو النهاية لا يحصل إلا في كل تسعة عشر. سنة ميلادية، محصلها تسعة عشر. سنة يهودية (قمرية شمسية)، تساوي في السنة الهجرية تسعة عشر. سنة وسبعة أشهر، أي بمعدل زحف سبع مرات كل دورة (تسعة عشرة سنة عبرية شمسية)، والزيادة في أرقام السنوات التالية من كل دورة: (٣– ٦– ٨– ١١– ١٤– ١٧– ١٩)، وسبق في التمهيد ص١١٠، ١١٦ من البحث.

(٤) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد بن عبد الله بن ذكوان، القرشي مولاهم، المدني (١٠٠ – ١٧٤هـ)، مجروح الرواية، انظر: تهذيب التهذيب، ٦/ ١٧٢.

وشاهد، ولم يبين ابن حجر ما يقوي إسناده، فالأصل ضعف روايته، وخاصة في مثل هذا الباب، إذ سيأتي أنه ربما أدخل في حديثه، وهذا يتوقع في عاشوراء، فهو ممن روى حديثاً موضوعاً فيه[1]، كما سيأتي بإذن الله.

أما عدم صراحة خبر زيد فإنه لم يحدد فيه متى هجر التنقل، وهل كان ذلك قبل الهجرة، أو بعدها؛ كما أن ابن حجر يحتمل أنه فهم من قول الراوي: (وكانوا يأتون فلاناً اليهودي يعني ليحسب لهم، فلما مات أتوا زيداً...)، أي أن اليهود كذلك احتاجوا لزيد بن ثابت، وأنه فقد فيهم من يحسب، ويشير إلى ذلك تعقيبه الأخير: (قلت: فمن ثَمَّ احتاجوا إلى من يعرف الحساب ليعتمدوا عليه في ذلك)[2]، وهذا لا شك في غرابته؛ كما أن محك الإشكال ينحصر زمن الهجرة، وفيهم من يعرف الحساب، بل وربما فيهم من ينكر نسيئتهم وحسابهم، ويعتبر الشهور بالأهلة على عدتها التي شرعها لأنبيائها، لكن لم ينقل من ذلك شيء، والأصل أن يكتفى بما ذكره ابن حجر نفسه بقوله: (فعلى هذا فطريق الجمع أن تقول: كان الأصل فيه ذلك، فلما أمر النبي ﷺ بصيام عاشوراء رده إلى حكم شرعه، وهو الاعتبار بالأهلة، فأخذ أهل الإسلام بذلك)[3]؛ وبهذا لم يبق ثمرة لخبر زيد المذكور.

٣)القول الراجح: أن عاشوراء كان متنقلاً عند اليهود دون قريش، وأن اليهود كانوا يحسبون بالحساب الشمسي في سنتهم، بالأشهر القمرية، وهو ما مال إليه ابن القيم[4]، وإكمالاً لما ذكر فإني أذكر بأن ابن القيم - رضي الله عنه - لم يحرر وقت سؤال النبي لليهود عن صوم عاشوراء في السنة الثانية، وهل كان في شهر محرم منها؟ أو على ما يوافق حساب اليهود له فيها؛ وما ذكره ابن القيم من جمع اليهود بين حسابي اليهود الشمسي والقمري قد يورد عليه: أن السؤال لم يقع من السنة الثانية في محرم، بل في ربيع الأول، وفقاً لحساب اليهود الشمسي،

---

(١) انظر: الموضوعات، لابن الجوزي، ٢/ ١٢٢، ٢٠١، وانظر ص١٠٤١، ١٠٤٨ من البحث.

(٢) فتح الباري، ٤/ ٢٤٧- ٢٤٨.

(٣) فتح الباري، ٧/ ٢٧٦، وابن حجر لم يبين هنا لماذا لم يبين الرسول ﷺ هذا الخلل وعلاجه، مع أنه ﷺ بين أنه (أولى بموسى) وأحق به من اليهود المنتسبين إليه.

(٤) انظر: زاد المعاد، ٢/ ٦٦.

وهذا ما أطمع الرسول ﷺ بأولوية صومه وأحقيته به من اليهود، لضلالهم عنه، وأن ذلك كان منه على سبيل المنازعة، لا الموافقة والتأليف لهم؛ وظاهر النصوص لا تمنع منه، فيظهر منها ـ كما سيأتي بإذن الله ـ أن الصحابة لم يعلقوا مشروعية الصوم بسؤال اليهود، بل منهم من علم بالأمر بالصوم قبل الفجر، ومنهم من علم به أثناء النهار؛ وعليه فلا يتصور أن يقع السؤال في نفس اليوم من السنة الثانية، ثم يؤمر الناس بالصوم، فلا علاقة للسؤال بأمر الرسول للناس بالصوم، سواء وقع السؤال في الأولى، أم في الثانية.

القول بتنقل عاشوراء عند قريش قبل الهجرة يجعلهم كاليهود، وذلك مما يفوت معنى من معاني الأولوية التي اختص الله بها نبينا محمد ﷺ، فاليهود قد أضلوا كثيراً من الحق، وأيام الله، كيوم الجمعة، كما يرى ابن القيم، وابن حجر[1]، ولأن الركون إلى القول بموافقة قريش والرسول لليهود في تنقل عاشوراء يورث إشكالا أعظم، ويتضح في جانبين:

أ- أن الرسول ﷺ كيف يوافق الطرفين على ما ضلوا فيه جميعا، ويكون ذلك بوحي من الله وإقرار، بل ومع أحقية وأولوية؛ مع أنه ﷺ لم يبين ذلك في حينه في شأن قريش، وفي شأن اليهود، وإذا كان أهل العلم كابن حجر وغيره جزموا بأن تصديق الرسول ﷺ لهم في خبرهم كان بوحي من الله في حينه، أو خبر موثوق ممن أسلم منهم، لا اعتمادا عليهم؛ فإن هذا الوحي والتصديق: إما أن يكون استقر معه استمرار تنقل هذا اليوم عند الرسول ﷺ، حتى فيما قبل عام حجة الوداع، وهذا أمر لم يُقَلْ من قبل فيما أعلم؛ وإما أن يكون جاء بعدم تنقل هذا اليوم، وأنه وافق ميقاته الحق، وهذا يبطل ما نقل عن زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ وعليه فلا أرى مخرجا من هذا الإشكال إلا بالقول بأن النصوص ـ كما سبق ـ لا يلزم من ظاهرها أن اليهود كانوا صائمين عاشوراء المحرم من السنة الثانية للهجرة، بل إنهم حين سئلوا كانوا يصومون يوما يظنونه يوم ظهور موسى على فرعون، وكانوا يصومونه، ولم يوافق محرما في السنة الأولى، ولا التي تليها، وأنه ربما لم تكن الموافقة إلا في السنة الحادية عشرة من الهجرة.

---
(١) فتح الباري، ٤/ ٢٤٧، وانظر: زاد المعاد، ٢/ ٦٦.

ب- أن تسويغ دعوى تنقل يوم عاشوراء عند قريش والمسلمين يسوغ دعوى تنقل ما هو أهم منه من الأيام والشهور، مما ترتبط به عبادات المسلمين، كرمضان والحج، فينبني عليه أنها كانت في غير ميقاتها الحقيقي، وأن الرسول ﷺ تابع قريشا واليهود في توقيتها، وإذا كان هذا اتضح في عاشوراء فإن الحج أورد عليه أنه لم يوافق شهره إلا في حجة الوداع، وأن هذا هو سبب تأخر الرسول ﷺ عن الحج بعد فتح مكة؛ والذي يظهر أن ما ذكر من تنقل يوم عاشوراء والحج قبيل الهجرة أن هذا لا يدل عليه دليل صحيح، وقد رجح أحد الفلكيين المعاصرين بأن العرب وخاصة قريش تركت طريقة الكبس الذي عند اليهود قبل ولادة الرسول ﷺ، وأنه بعد ولادة الرسول ﷺ فإن تواريخهم مستقرة، عدا تبديل حرمة الأشهر الحرم، وقد توصل إلى هذا الفلكي المصري محمود باشا، ت/ ١٣٠٢هـ[١]، وقد توصل إلى ذلك بطريقة الحساب[٢].

انفصال البحثين حول تنقل عاشوراء والحج سببه أن أمر الحج وأمر عاشوراء لم يبحثا مجتمعين، بل بحثا على استقلال، فينظر إلى كل واحد على حدة؛ وإتماما لما سبق فالأصل أن موعد صوم عاشوراء عند موسى هو في أول شهر سنة قمرية مكونة من اثنا عشر شهرا، وهذه هي السنة الشرعية لنبينا ﷺ، ولجميع الأنبياء، منذ خلق الله السماوات والأرض، ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[٣]؛ لكنهم زادوا فيها شهرا فضاع موعده، ومع طول العهد قد يكونوا جمعوا إليه أعمال يوم آخر، عاشرا أو غيره، وجمعوا فيهما بين الشكر والزينة والتوبة، وقد يكون هذا مع وجود طائفة منهم تتحراه على ميعاده الحقيقي، وهم وإن كانوا قلة في النصارى، أو اليهود فإنهم هم من قد جاء النبي

---

(١) محمود أحمد حمدي باشا، ويقال له محمود حمدي الفلكي(١٢٣٠ - ١٣٠٢ هـ = ١٨١٥ - ١٨٨٥م)، مهندس رياضي فلكي مصري، تعين أستاذا للعلوم الرياضية والفلكية بمدرسة المهندسين ببولاق. وأرسلته الحكومة إلى أوربة سنة ١٢٦٦هـ للتخصص في العلوم الرياضية والفلكية، وعاد سنة ١٢٧٥هـ، له مشاركات في الأعمال الحكومية، وصل إلى وكيل وزارة المعارف، من آثاره: نتائج الإفهام في تقويم العرب قبل الإسلام، وترجم إلى العربية كتباً فرنسية في الرياضيات، في حساب التفاضل والتكامل، وله رسالة في (التقاويم الإسلامية والإسرائيلية)، وغيرها؛ انظر: الأعلام، للزركلي، ٧/ ١٦٤- ١٦٥.

(٢) انظر: نتائج الإفهام في تقويم العرب قبل الإسلام، ص٦٥.

(٣) التوبة: ٣٦.

ﷺ بموافقتهم، وتأليفهم والاحتجاج لهم، ليقروا بصدقه، وإلا فغيرهم أهل كذب وبهتان، وربما عن اختلاف هؤلاء صدرت أفهام الصحابة، أو من روى عنهم، وبسببها تباينت، لا أن ذلك وقع فيما نقلوه عن النبي ﷺ، والله أعلم.

٢. السنة الثانية: مرحلة: (الاستحباب المؤكد، أو الوجوب):

ففي هذه السنة أمر الناس بصوم عاشوراء، على خلاف بين العلماء في الأمر: هل للوجوب، أو للاستحباب المؤكد؛ وهو خلاف لا يؤثر على مراد البحث، فغاية القولين القول بالنسخ، وبقاء مطلق الاستحباب، بإجماع أهل العلم، والأمر محصور في السنة الثانية فقط، كما نص عليه ابن حبان، وغيره[١]، خلافا لمن شذ وادعى بقاء الفرضية وعدم نسخها[٢]؛ والشاهد هنا أنه لم يثبت نقل مباشر لارتباط فرضه بموافقة اليهود، أو بمخالفتهم، كما أن ظاهر النصوص تدل على أن الأمر بالصوم علمه أكثر الناس بعد صلاة الفجر من نفس اليوم، ولا يتخيل معه أن يكون عند صلاة الفجر قابل الرسول ﷺ اليهود، أو مر بهم، ووجدهم صياما، أو ذكروا له فأمر بسؤالهم، فاكتفى بخبرهم، وهم لا يوثق بهم، ثم أمر الناس بعد ذلك بالصوم؛ وما روي آخرا من مثل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مما يفهم منه وقوع سؤال اليهود في نفس اليوم فإنه يخرج بأحد أمرين:

أ- أن السؤال جاء لمجرد سؤالهم وتقريرهم بعد أن شرع صومه، ولتبرير موافقتهم وتأليفهم، لا لكونه باعث الصوم، وهذا قد يأتي تبعا أثناء النهار، كما أنه لم تتداعى الهمم لنقله، ولا لنقل الاستشكال من مشابهتهم مع أهميته، مع كونه مظنة لحب مخالفتهم لليهود، هذا على القول بحصول الموافقة بينهما في الصيام.

ب- أما على القول بعدم الموافقة في ذلك اليوم بين صوم المسلمين وصوم اليهود، لاختلاف التاريخ، فإن الأمر يحتمل: إما أن السؤال جرى وتم في السنة الأولى في غير شهر

---

(١) انظر: الثقات، لابن حبان، ١/١٤٥، ومجموع الفتاوى، ٢٥/ ٣١١، وهو قول ابن القيم -كما سبق-، بل وكثير من أهل العلم.

(٢) سبق ص٩٧٧ من البحث.

محرم، كربيع الأول مثلا ــ كما هو ظاهر النصوص ــ، وتقرر به أن الرسول ﷺ سيصومه، ولكن من غير أن يعينه في محرم، وظن البعض أنه سيصام في مثل تاريخه وتنقله عند اليهود، فلما جاء الأمر به في محرم على ما يوافقه في الموعد الحق الذي جرى لموسى ﷺ، أذن النبي ﷺ بخبره في نفس اليوم، وحصل استنكاره من وسط النهار عند من لا يعرف إلا توقيت اليهود، إذ محرم ـ حينها ـ يسبق ربيعا بشهرين، وهذا بخلاف من كان يعهد صومه في مكة في محرم.

وإما أن هذا السؤال جرى بعد ما صام الناس عاشوراء محرم من السنة الثانية، أي فيما بين عاشوراء ورمضان من السنة الثانية، بما يوافق تقويمهم، كيوم العاشر من ربيع الأول، فلما فرض رمضان بقي عاشوراء يوما من أيام الله، وهذا يتضح بما استقر عليه الأمر في السنة الثالثة عند البعض من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وعليه فالسؤال لا يشكل من جهة كونه هو باعث الصوم، لأن الصوم شرع قبله، وإنما أضاف له مزيد اعتبار وتأكيد، لكن لم تتعلق النفوس به أصلا، لتعلقها بالتشريع أولا؛ لكن أشكل على البعض ما تجدد من طلب المخالفة في العام العاشر، والتزموا له أن التشريع في أوله قائم على موافقة اليهود، وبعد سؤالهم.

خلاصة الأمر:

أن هذه المسألة من أعظم ما استشكل في أحاديث يوم عاشوراء، وأشار إليها ابن القيم، وابن حجر، كما سبق، وتطلبوا لها المخارج، ولعلي ألخص ما سبق بثلاثة أمور:

١) الاكتفاء بحال الصحابة الذين حضروا زمن تشريع الصوم في السنة الثانية، والاكتفاء باستغنائهم عن مثل هذه الإيرادات، وتعلقهم بتشريع النبي ﷺ، واعتباره هو المستند، وأمر النبي ﷺ ثبت عندهم بجلاء وحضور وتثبت واستفصال، فلم يشك أحد في علمه به، أو أنه يتلقى من أهل الكتاب، ولو كان وقع لهم شبهة لنقلت، لتداعي الهمم إلى نقل مثل ذلك، كما نقلوا أمره في الإمساك لمن طعم، وكما تداعت همم بعضهم بعرض المخالفة عليه حين صام عاشوراء في العام العاشر؛ الاكتفاء بحال هؤلاء هو الأسلم، وهو بمجموعه يدل على أن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ اعتمدوا في باعث الصوم على أنه من شرع الله، وإقرار الله لنبيه محمد ﷺ عليه ابتداء، لا موافقة، أو شكرا.

٢) إذا كان ثبت أن من الصحابة من علم بالصوم قبل الفجر، فإن ذلك يدل على أن سؤال اليهود

لا علاقة له بالاعتماد على خبرهم؛ هذا على القول بأنهم صاموا في نفس اليوم.

٣) أما على القول بأن عاشوراء اليهود متنقل فقط، وهو الذي أراه راجحا، جمعا بين النصوص ومذاهب أهل العلم؛ أن صومهم وسؤالهم لم يكن في محرم من السنة الأولى، ولا يوم عاشوراء من السنة الثانية، بل إنه سؤال حدث ما بين شهري ربيع الأول في الأولى والثانية؛ وعليه فيعظم الظن ـ حينئذٍ ـ ألا يتعلق النبي ﷺ بخبر اليهود، ويعتمد عليه، ومثله أولئك الصحابة الذين حضروه، لأن الوحي كان ينزل تباعاً.

٣. **السنة الثالثة وما بعدها: (نسخ الوجوب، أو الاستحباب المؤكد إلى الاستحباب المطلق).**

بعد فرض رمضان في السنة الثانية أصبح عاشوراء في السنة الثالثة على التخيير، كما في حديثي عائشة وابن عمر رضي الله عنهم[١]، وظاهر حديث ابن عمر أن عاشوراء في السنة الثالثة أصبح يوما من أيام الله، كغيره من الأيام الفاضلة، وأن هناك من ترك صومه، إما كرها لموافقة قريش في صومه، وإما لما ظهر بعد من تعظيم اليهود له، ولم يظهر له مزية بعد ذلك حتى وفاة الرسول ﷺ، وكأن من قال بهذا يعارضون حديث الكفارة أو صوم التاسع، وهذا غريب مع مذهب ابن عمر رضي الله عنه في تعظيم آثار النبي ﷺ وسننه، فقد اشتهر عنه بتتبع هدي النبي ﷺ، ولكن يظهر أنه هنا كره هنا التتبع لنسخه أولا، ولأنه ليس من خصائص الإسلام ونبيه ﷺ، ولكونه من عادات أهل الجاهلية.

يشهد للحديثين السابقين حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، حيث قال: (كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام يوم عاشوراء، ويحثنا عليه، ويتعاهدنا عنده، فلما فرض رمضان، لم يأمرنا، ولم ينهنا، ولم يتعاهدنا عنده)[٢]، والشاهد منه قوله: (ولم يتعاهدنا عنده)؛ ولكن بعض الأنصار ـ مع هذا ـ استمروا على صومه، ففي خبر أبي عمار أنه سأل قيس بن سعد بن عبادة

(١) سبق ذكرهما أول المطلب ص٩٨٠ من البحث.

(٢) مسلم، ح/ ١١٢٨، مسند أحمد، ح/ ٢٠٩٠٨، ٢١٠٠٨، وصحيح ابن خزيمة، ٣/ ٢٨٤.

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفيه قوله: (ثم نزل رمضان فلم نؤمر به، ولم ننه عنه، ونحن نفعله)[(١)].

٤. السنة الحادية عاشرة: (الاستحباب مع المخالفة).

ينسب إليها استحباب صوم عاشوراء مع المخالفة بزيادة يوم معه، وأن صومه يكفر سنة، وأشهر وأكثر ما روي في فضله خبر أبي قتادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، الذي قرن فيه صوم عاشوراء بصوم عرفة الذي يكفر سنتين، وبه يظهر أن هذا بعد فتح مكة، وقد عزم الرسول ﷺ في العام الحادي عشر أن يصوم التاسع مع العاشر، لمخالفة اليهود، لكنه توفي بعده عزمه بشهرين، ولم يدرك العام الذي يليه، وكان هذا العزم ـ بحسب رواية ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ـ بعد أن أمر بصومه، وبعد أن ذكر له أنه يوم تعظمه اليهود والنصارى[(٢)].

تأمل هذا الخبر يوحي بأن هذه المخالفة لم ترد في السنة الثانية وما بعدها، وهذا مما يرجح أن السؤال في أول الأمر لم يعلق في أذهان الناس، ولم يورد بتلك الصيغة، لأن الرسول ﷺ يحب موافقتهم في تلك الفترة؛ ومما اشتهر عن هذه المرحلة أن البعض فهم من رواية ابن عباس أنه يبالغ في المخالفة إلى حد أن ينقل صوم عاشوراء إلى التاسع[(٣)]، وبل حتى اسم عاشوراء نفسه زعم بعضهم أنه أصبح عند ابن عباس علما لليوم التاسع[(٤)]، ومثله أن يهجر صوم العاشر حتى لا تحصل موافقة لليهود؛ والأشبه أن الموافقة يشتد توقعها في السنة الحادية

---

(١) مسند أحمد، ح/ ١٥٤٧٨، ٢٣٨٤٠،، والسنن الكبرى، ح/ ٢٨٥٤، ٢٨٥٥، والراوي عن قيس هو أبو عمار، وهو عَرِيب بن حُمَيْد الهَمْدَاني الدُّهْني، ومنهم من وثقه، وبقية رجال إسناد أحمد ثقات، وعند النسائي يرويه عمرو بن شرحبيل.

(٢) من حديث أبي غطفان عن ابن عباس، والترمذي، ح/ ٧٥٥، قال: (وروي عن ابن عباس أنه قال: «صوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود»؛ وبهذا الحديث يقول الشافعي، وأحمد، وإسحاق)، وانظر: مسند أحمد، ح/ ٢١٥٤، وأبو غطفان هو سعد بن طريف بن مالك المري المدني، وهو ثقة، انظر: تهذيب التهذيب، ١٢/ ١٩٩.

(٣) هذا أحد القولين المنسوبين إلى ابن عباس، وترك لأنه مناقض لقوله المشهور عنه، ولقول جمهور الصحابة،

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم، ٨/ ١٢، وسبق في التمهيد الحديث أن هذا أخذاً من أظماء الإبل، وقد نسبه البعض إلى ابن عباس؛ وبينت أن هذه الأظماء لا يستقيم التعويل عليها، ولا حمل قول ابن عباس عليها، راجع ص١١٧ من البحث.

عشرة، أكثر من السنة الأولى والثانية، وذلك لاكتمال دورة الكبس عند اليهود في العام العاشر، وتوافق التقويم اليهودي والهجري في بداية العام مدة سنتين أو ثلاث، على حساب المؤرخين والفلكيين، وأنه في ذلك الوقت تداعت الهمم أكثر لمعرفة أيام النصارى، بعد قدوم الوفود، وإسلام من أسلم خاصة من الأقباط الذين تنصروا، ومن عاداتهم الدينية أو القومية تعظيمهم ليوم عاشوراء[(١)].

ثالثاً: صوم عاشوراء زمن الخلفاء، وبني أمية:

الحديث عن حال يوم عاشوراء زمن الخلفاء الراشدين وما بعدهم يتضح به فهم الصحابة لما سبق من أحاديث الرسول، والحديث في هذا الجانب يتضح بالنقاط التالية:

١. أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لم يثبت عنه، ولا عن عهده شيء في صوم يوم عاشوراء.

٢. عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذكر الإمام مالك في موطئه أنه بلغه: (أن عمر بن الخطاب أرسل إلى الحارث بن هشام: أن غداً يوم عاشوراء، فصم، وأمر أهلك أن يصوموا)[(٢)]؛ وظاهر الخبر أن عمر والناس في زمانه لم يستقر عندهم المخالفة بصوم التاسع، فكونه يرسل إليهم في اليوم التاسع ليذكرهم بصوم الغد دليل على أنهم لا يذكرون بصوم التاسع.

كما ورد أن عمر يعلم خبر تكفير صوم عاشوراء لسنة، المروي عن أبي قتادة، ففي قصة الحديث أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شاهد ذلك الحديث[(٣)]، مع أن هذا الفضل لم ينسب ويرو على استقلال عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لا في عاشوراء، ولا في صوم عرفة إلا عند أبي يعلى بسند

---

(١) قد يشابه الأقباط الأحباش، ويغلب عليهم أنهم نصارى، وقد كانوا يتخذونه يوماً للهو، كما في خبر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، موطأ مالك، ح/ ٩٠٦، ومثله خبر الربيع بنت معوذ، عند ابن ماجه، ح/ ١٧٩٨، وابن حجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى أحد الجانبين، وهو الجانب الديني فتح الباري، ٤/ ٢٤٨، وأن شريعة فيها من شريعة موسى، بل أكثرها، عدا ما أحل من بعض ما حرم على اليهود، فالنصارى يرجعون إلى التوراة في أحكامهم؛ وهذا تنبيه ظريف.

(٢) موطأ مالك، ١/ ٣٢٥، ح/ ٨٤٤، وهو موصول في مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ٤/ ٢٨٧، ح/ ٧٨٣٨، (عن ابن جريج قال: أخبرني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث).

(٣) مسلم، ح/ ١١٦٢، وراجع ص٩٧١ من البحث.

ضعيف[١]، ويغني عنه ما في الصحيح؛ ومثله ما يروى عنه موقوفاً: (إن الله عز وجل لا يشكر يوم القيامة إلا عن صيام رمضان، ويوم الزينة، يعني يوم عاشوراء)، وفيه ابن لهيعة[٢]؛ فالأخبار عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليست بالعالية والحسنة في ثبوتها، خاصة أن الأخير اشتمل على زيادة، وهي: (الشكر، وتحديد عاشوراء بيوم الزينة)، وهي مظنة أن تكون من اجتهاد بعض الرواة ووضعهم؛ إذ لم تثبت عن الرسول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأسانيد صحيحة مشهورة.

٣.عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لم أقف على رواية عنه في خصوص صوم عاشوراء والأمر به، إلا أن أبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من عماله على الكوفة، وكان يأمر فيها بصوم عاشوراء، كما هو مشهور من خبره[١].

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي، ١/ ١٣٣، ح/ ١٤٤، ومثله حنبل بن إسحاق، جزء حنبل(التاسع من فوائد ابن السماك)، ص٧٨، ح/ ٣٠، أبو علي، حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال الشيباني، ت/ ٢٧٣هـ، ت. هشام بن محمد، ط٢، ١٤١٩هـ، مكتبة الرشد – الرياض، ولكنه جعله عن أبي قتادة عن عمر، وهنالك من نسب إلى عمر في فضائل عمر ما هو من جنس الموضوعات، وهي بغير إسناد، فلعها ركبت عليه، انظر: الجزء من فوائد حديث: أبي ذر الهروي، ١/ ٧١، عبيد بن أحمد الأنصاري الهروي، ت/ ٤٣٤هـ، ت. سمير بن حسين القرشي الحسني، ط١، ١٤١٨هـ، مكتبة الرشد – الرياض، والحافظ العراقي في التوسعة على العيال، نسب إلى عمر خبراً موقوفاً في التوسعة على العيال يوم عاشوراء، ذكره بإسناد إلى سعيد بن المسيب (لعله عن الاستذكار، لابن عبدالبر)، وكأن العراقي يعتمده، بل قال: سنده جيد، والخلاف في التوسعة مشهور، ومن العلماء من جزم بأنه لا يصح فيها حديث، وكتاب التوسعة للعراقي مخطوط، ولم أقف عليه مطبوعاً.

(٢) ابن مردويه في تفسيره، نقلاً عن: جامع الأحاديث، للسيوطي، ٢٠/ ٤٥٣، ح/ ٢٢٥٩٧، ٢٦/ ٣٣٣، ح/ ٢٩٢١٥؛ وهو من طريق: عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن كريب بن سعد، فالحديث ضعيف، ومثله ما روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص: (من صام يوم الزينة..)، ومدار الحديثين على : ابن لهيعة عنن ابن أبي حبيب (مفتي مصر، ٥٣- ١٢٨هـ)، وهو ثقة، وابن لهيعة ضعيف، وربما بين الحديثين اشتباه على ابن لهيعة، أو أن شيخه حدث برأيه، فتلاميذه مصريون، وكذلك في شيوخه: كعبدالله بن عمرو، وأبو الخير: مرثد بن عبدالله اليزني المصري، وهو ثقة، كعلقمة عند الكوفيين؛ وأما كريب بن سعد، ولعل صوابه: حسان بن كريب، أبو كريب المصري، لأنه هو الذي يروي عن عمر، وربما ارتبط عندهم بالاحتفال بعيد قديم في مصر، بمثل خبر الغرق المروي في بعض طرق ابن عباس، وخاصة أيوب، مع عدم لزوم التوافق الدائم في التأريخين: الهجري والشمسي، وانظر: تهذيب التهذيب، ٢/ ٢٥٢،١٠/ ٨٢، ١١/ ٣١٨٠- ٣١٩.

(١) خبر أبي موسى في مسلم، ح/ ١١٣١، أما كونه زمن عثمان فصرح به مزيدة بن جابر، عن أمه، مسند أحمد، =

٤. علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أشهر من ورد وثبت عنه الأمر بصوم عاشوراء فقد ورد عنه أنه كان يأمر بالصوم، قال أبو ماوية: (سمعت علياً رحمة الله عليه يقول يوم عاشوراء: يا أيها الناس، من أكل منكم فليصم بقية يومه، ومن لم يكن أكل فليتم صومه)[١]، ويقول الأسود بن يزيد: (ما رأيت أحدا آمر بصوم عاشوراء من علي بن أبي طالب، وأبي موسى، يعني الأشعري رضي الله تعالى عنهما)[٢]، وروي عن أم المؤمنين عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قيل لها: (إن عليا أمر بصيام يوم عاشوراء، قالت: هو أعلم من بقي بالسنة)[٣].

نسب إلى علي فضل تكفير صوم عاشوراء لسنة، وأن يحتاط له بصوم التاسع والعاشر، وهو ما أورده الشجري من الزيدية[٤]، بإسناد فيه خمسة رواة متسلسلين من آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم: موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد، قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده، عن جعفر، عن أبيه، قال: كان علي...، وفيه: (صوموا يوم عاشوراء التاسع والعاشر احتياطا)[٥]، وفيه انقطاع بين الباقر وجده علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وصنيع الشجري في إخراجه يظهر منه أن فقه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صوم عاشوراء باق في ذريته، ومنهم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وروى

٣٢/ ٤٩٥، ح/ ١٩٧٢١، والطحاوي في شرح معاني الآثار، ٢/ ٧٦، ح/ ٣٢٩٠، والمعجم الأوسط، ٢٦٢٢، والهيثمي في مجمع الزوائد، ٣/١٨٦، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مزيدة بن جابر، وهو ضعيف، لكن خبر أبي موسى في الصحيح.

(١) تهذيب الآثار، الطبري، ١/ ٣٨٩، ح/ ٦٥٣.

(٢) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ٤/ ٢٨٧، ح/ ٧٨٣٦، ومصنف ابن أبي شيبة، ٢/ ٣١١، ح/ ٩٣٦٢، ومسند أبي داود الطيالسي، ٢/ ٥٣٧، ح/ ١٣٠٨، تهذيب الآثار، الطبري، ١/ ٣٨٩، ح/ ٦٥٤، والسنن الكبرى، للبيهقي، ٤/ ٤٧٤، ح/ ٨٤٠٠، وأما في شعب الإيمان، للبيهقي، ٥/ ٣٢٧، ح/٣٥٠٥، وفوائد أبي ذر الهروي، ص٨٣، فجاء بلفظ: (ما رأيت أحدا ممن كان بالكوفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم آمر بصوم عاشوراء من علي وأبي موسى).

(٣) تهذيب الآثار، الطبري، ١/ ٣٩٠، ح/ ٦٥٦، بإسناده إلى جَسْرَةَ بِنْتِ دَجَاجَةَ.

(٤) الشجري (٤١٢ – ٤٩٩ هـ) هو يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني: من أئمة الزيدية في بلاد الديلم.

(٥) ترتيب الأمالي الخميسية، للشجري، ٢/ ١١٤، ح/ ١٧٩٦.

البيهقي من طريق الشافعي ــ رحمهما الله ــ : (أن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج يستسقي يوم عاشوراء، فقال: من كان منكم أصبح صائما فليتم صومه، ومن كان مفطرا فلا يأكل)(١).

ما ورد عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عاشوراء لا يخلو كل واحد منها من ضعف، لكن بمجملها تتعاضد لتفيد صومه لعاشوراء، بل أمره بذلك، وأهم من ذلك أنه لم يثبت عنه نهي عنه، مما يصبح ذلك حجة على الإمامية، خاصة إذا عرفنا أن الكوفة اشتهر فيها الصوم قبل قدوم علي إليها، ولو كان ينهى عنه لتداعت الهمم إليه، كما تداعت الهمم إلى نقل خبر ابن مسعود، كما في الصحيح.

بعض طرقها جابر الجعفي(٢)، وهو متهم بالغلو في تشيعه، وهذا من الغرائب أن يشنع متأخرو الإمامية على ما يرويه متقدموا الشيعة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجمع من شيعته، كابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيرهما من الصحابة والتابعين؛ بل يظهر أن أحاديث صوم عاشوراء في العراق ـــ وخاصة الكوفة ـــ أظهر منها في غيره، وأنها أظهر في شيعة علي؛ وأحاديث صوم عاشوراء في العراق أظهر منها في الحجاز(٣).

٥. معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فعن حميد بن عبدالرحمن بن عوف، يذكر أن معاوية خطب به على منبر المدينة فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ، يقول:

---

(١) معرفة السنن والآثار، ٦/ ٣٥٧، ح/ ٨٩٩١، والخبر فيه مجهول يروي عنه الشافعي، وقال البيهقي بعده: (قال أحمد: ويشبه أن يكون أمره: من أصبح مفطرا بأن لا يأكل تشبها بمن يصوم، وتحريا للفضل الذي فيه، ويشبه أن يكون أمر النبي ﷺ بذلك كان على هذا الوجه).

(٢) له رواية في مسند أحمد، ح/ ١٠٦٩، وهي من زوائد المسند، وعند البزار، وشرح معاني الآثار، الطحاوي، ٢/ ٧٦، ح/٣٢٨٨، وحمل خبر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على ما ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من تحري النبي ﷺ لصوم عاشوراء، والهيثمي في: مجمع الزوائد، ٣/ ١٨٤، ح/ ٥١٠٧، قال: (وعن علي أن رسول الله ﷺ كان يصوم عاشوراء ويأمر به)، رواه عبد الله بن أحمد والبزار، وفيه جابر الجعفي، وثقه شعبة والثوري، وفيه كلام كثير، اهـ؛ والراوي عن جابر هنا هو سفيان الثوري، فتوثيقه هنا محل نظر، لأنه أمر متوقع، والعبرة بمن فحص هذه الرواية من غيره.

(٣) من ذلك ما صرح به مفتي مكة والحجاز عطاء بن أبي رباح في تحديثه لحديث قتادة في كفارة سنة لصوم عاشوراء، قال همام قال: سئل عطاء بن أبي رباح وأنا شاهد عن الفضل في صوم يوم عرفة فقال: جاء هذا من قبلكم يا أهل العراق حدثنيه أبو الخليل، عن حرملة بن إياس، عن أبي قتادة، مسند أحمد، ح/ ٢٢٦١٦.

«**هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب الله عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء، فليصم ومن شاء، فليفطر**»)[1]، وفي لفظ: «**إني صائم، فمن شاء أن يصوم فليصم**»[2].

على كثرة ما ذكر عن وضع بني أمية لأحاديث عاشوراء، وإلزامهم الناس بصومه بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فإن أشهر أخبارهم فيه هو التخيير لا الإلزام، وأشهرها خبر معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولم أقف على من خالف معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ممن أتى بعده من بني أمية، حتى زمان عمر بن عبدالعزيز ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ، والذي أزال كثيرا مما يراه باطلا قبله من المظالم والبدع، ومع ذلك فقد روى للناس خبر معاوية، من طريق إبراهيم بن عبد الله بن قارظ[3].

لم يصح عن عمر بن عبدالعزيز غير صنيع معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كما أنهما لم يتخذا يوم عاشوراء عيدا، ومن ظريف ما ذكر عنه أن مولد عمر كان قريبا من عاشوراء أيام مقتل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة ٦١هـ[4]، ولو كان حاله كالعبيديين لاتخذه ذكرى لمولده، ليصرف الناس عن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لو كان يبغض الحسين، وحاشاه من ذلك، وهذا كاف في النظر إلى الرواة من أهل الحديث في زمانه، كالزهري وغيره، وما يتهمهم به الشيعة، بل العجب أن أهل العراق هم من يروي أحاديث عاشوراء على اختلافها، ومنهم من عرفوا بتشيعه لعلي

---

(١) الحديث مشهور من طريق الزهري، ويرويه عنه الأئمة: مالك ومعمر، وسفيان، والحديث أخرجه مالك، ح/ ٣٤، والبخاري، ح/ ١٨٩٩، ومسلم، ح/ ١١٢٩.

(٢) النسائي، ح/ ٢٣٧١، وفي السنن الكبرى زيادات وتنبيهات، ح/ ٢٨٥٨- ٢٨٧٠، وأحمد، ح/ ١٦٨٦٧، ١٦٨٦٨، وشذ أحد الرواة فزاد: (إن يوم عاشوراء يوم عيد، فمن صامه فقد كان يصام، ومن تركه فلا حرج)، ومصنف عبد الرزاق، ٤/ ٢٩٠، ح/ ٧٨٥٠؛ والأزرقي في أخبار مكة، ١/ ٢٥٢، وفي المعجم الأوسط، للطبراني، ح/ ١١٩٣، ٣٩٢٤، ٤٩٧٣، ٦٩٩٥، من غير طريق الزهري عن حميد، بل عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وعبدالله بن يسار، وفيهما أن خطبة معاوية كانت في مكة، وأن معاوية هو الذي نسب الخطبة إلى الرسول ﷺ، ولكن الصحيح والمشهور أن سماع معاوية مطلق من غير تحديد، لأنه لم ينقل أن الرسول ﷺ خطب يوم عاشوراء، وأشهر من ورد عنه ذلك هو معاوية، ولفظ الحديث المذكور تعددت طرقه، فهو صحيح، وأصله في الصحيح، والله أعلم.

(٣) المعجم الكبير، للطبراني، ١٩/ ٣٤٧، ح/ ٨٠٦، من طريق الزهري، وأشهر طرق الزهري عند الأئمة ما يروونه عنه من طريق حميد بن عبدالرحمن بن عوف، والحديث أصله في الصحيح كما تقدم.

(٤) تاريخ بغداد، ٩/ ٦.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل وبسخطهم على ولاة بني أمية، كالحجاج، وذلك كسعيد بن جبير ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، وغيره.

٦. ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تمكن فترة من الزمن في الحجاز وغيرها، وكادت تتم إمارته، وقد عرف عنه تحريه للسنة، وورد عنه الأمر بصوم عاشوراء، فقد قال وهو على المنبر (هذا يوم عاشوراء، فصوموه فإن رسول الله ﷺ أمر بصومه)[١]، كما عرف عنه عنايته بالكعبة وبنائها وكسوتها، وأخباره أكثرها عن طريق المؤرخين، وقد روى عنه الأزرقي، ت/ ٢٥٠هـ، أنه كان يكسو الكعبة الديباج في عاشوراء، وقيل: إنه أول من كسا الكعبة الديباج، وقيل كساها في عاشوراء قبله معاوية، وقيل يزيد[٢]، وهذا موافقة لكسوتها أيام الجاهلية، وهو ما لم يرو زمن النبوة والخلافة.

ثبوت كسوة الكعبة يوم عاشوراء عن ابن الزبير، أهم لأن مكة كانت عاصمة إمارته، ومظنة أن يقبل من راويه، بينما معاوية ويزيد ففي الشام، ومع ذلك لم يتناقل المحدثون مع روايتهم أمر معاوية وابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالصيام أنهما كان يكسوان الكعبة في عاشوراء، أو يتخذان عندها عيداً، وإلا لاعتبر مذهبا لهما، ولكنه لم يثبت عنهما، وإن كان ابن حجر اعتمد على ما رواه الإخباريون، كالواقدي،: (عن أبي جعفر الباقر: أن الأمر استمر على ذلك في زمانهم، وقد تغير ذلك بعد)[٣]؛ وهذا يفيد أنه في منتصف القرن الثاني تركت كسوة

---

(١) أحمد، ح/ ١٦١٣٢، وشرح معاني الآثار، ٢/ ٧٦، ح/ ٣٢٨٩، ومسند البزار، ح/ ٢٢٢٣، والمعجم الكبير للطبراني، ١٣، ١٤/ ٢٤٥، ح/ ١٤٨٧٦، وحلية الأولياء، ٨/ ٧٣، ويرويه عن ابن الزبير ثوير بن أبي فاختة، والحديث ضعيف لضعف ثوير، وتفرده عن ابن الزبير، وانظر: الترمذي، ح/ ٧٥٢.

(٢) أخبار مكة، للأزرقي، ١/ ٢٥٢- ٢٥٤، وذكر الأزرقي أن معاوية -أيضاً- كساها في يوم عاشوراء الديباج، وفي رمضان تكسى كسوة عمر: القباطي، وقيل تكسى في رمضان القباطي فإذا جاء يوم التروية البست رداء من ديباج، فإذا ذهب آخر الحاج قبيل عاشوراء ألبست إزارها في عاشوراء؛ وانظر: أخبار مكة، للفاكهي، ٣/ ٢٠٦، رقم: ٢٠٣٠.

(٣) فتح الباري، ٣/ ٤٥٤- ٤٥٦، ٤٥٩، وانظر: أخبار مكة، للأزرقي، ١/ ٢٥٤؛ وابن حجر تكلم عن كسوة الكعبة عند شرح تبويب البخاري: (بَابُ كِسْوَةِ الْكَعْبَةِ)؛ وأطال حولها.

الكعبة في عاشوراء، فلم يبق بها متعلق سوى ما ورد عن سفيان بن عيينة[١]، من دخوله الكعبة يوم عاشوراء[٢]؛ ويظهر لي من عموم ما ذكر أن بني هاشم أحيوا سنة تبع وغيره، وزادوا من تعظيم الكعبة، مما قد يكون ذلك مقدمة لظهور النبوة فيهم، ومن فضائلهم، كما أنه حجة عليهم، والله أعلم.

رابعاً: مذاهب الصحابة في صوم عاشوراء:

إذا كان رسول الله ﷺ أدرك في صومه لرمضان (تسع رمضانات)[٣]؛ فإنه أدرك عشر عاشوراوات، لكن مع ذلك فقد أشكل على جمع من أهل العلم تصنيف مذاهب الصحابة وتوجيه أقوالهم في صومها؛ مما قد يترتب عليه عند بعض أهل الأهواء الطعن في أصل المشروعية، فمن الأهمية التنويه بمذاهب الصحابة، وبما استقر عليه العمل منها، وابن جرير الطبري عند بيانه لمذاهبهم في الاعتذار لمن كره صومه من الصحابة يقول ـ رضي الله عنهما ـ : (فإن

---

(١) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي، إمام علم مشهور، من طبقة الإمام مالك، وتلاميذه حفاظ السنة المشهورون: علي بن المديني، وأحمد، وابن معين، وابن مهدي، والشافعي، ونسب إليه تشيع، انظر: تهذيب التهذيب، ٤/ ١١٧ – ١٢٢. وسير أعلام النبلاء، ٨/ ٤٥٤ – ٤٧٥، ٧/ ٢٤٢، وقال: (وكان سفيان بن عيينة مدلسا، لكن ما عرف له تدليس عن ضعيف).

(٢) أخبار مكة (في قديم الدهر وحديثه)، ٣/ ٢٠٦، رقم: ٢٠٣٠، محمد بن إسحاق الفاكهي، ت/ ٢٧٢هـ، ت. د. عبد الملك عبد الله بن دهيش، ط٤، ١٤١٤هـ، دار خضر– بيروت؛ والغريب أن يروي أخباريو مكة: أن جنس العيد عند الكعبة في عاشوراء لم يفعل إلا بعد ابن الزبير بقرن تقريبا، فقد نقل الفاكهي، ت/ ٢٧٢هـ، عن سليمان التيمي، أن سفيان بن عيينة الكوفي المكي، ت/ ١٩٧هـ، أنه أول من فعل ذلك، (قال سليمان: العرش بيوت مكة، وأول من جعل لأهل مكة سنة العيد: سفيان بن عيينة، وكان يدخل الكعبة من عاشوراء إلى عاشوراء)، وهذا يوافق ما اشتهر من مذهب سفيان –رضي الله عنهما– من التوسعة والتبرك بهذا اليوم؛ وهو ما كان يخالف فيه أهل زمانه، كمالك والليث بن سعد، وغيرهم، رحمهم الله، وسيأتي بإذن الله في التوسعة في عاشوراء.

(٣) زاد المعاد، ٢/ ٦٣– ٧٣؛ وهذا الإحصاء لم يرد مثله في صوم عاشوراء، فالرسول ﷺ في المدينة وبعد الهجرة حضر عشر أيام عاشوراء، (عشر عاشوراوات)، لم أقف على من صرح أن الرسول ﷺ صام عاشوراء عشر مرات؛ وإنما المشهور الخلاف على صوم عاشوراء السنة الثانية، هل صامه فرضاً، أو على سبيل الاستحباب، ومثله من أحصى كم شهر صام منه ثلاثة أيام، فقيل أدرك منها تسعة عشر شهر قبل رمضان – كما هو مروي عن معاذ بن جبل–، وقيل عشرة أشهر، راجع ص٩٨٣ من البحث.

قال لنا قائل: فما وجه كراهة من كره صومه من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم؟ قيل: وجه كراهتهم ذلك نظير كراهة من كره صوم رجب؛ إذ كان شهرا كانت الجاهلية تعظمه، فكره من كره صومه أن يعظمه في الإسلام بصومه تعظيم أهل الجاهلية إياه في الشرك، فأراد بإفطاره وضع منار الكفر، وهدم أعلام الشرك. وكذلك عاشوراء)[1].

أما الطحاوي ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ فإنه يجعل حديث قيس بن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نسخ الأمر بصوم عاشوراء مثل أحاديث عائشة وابن عمر وجابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ وهي في مقابل حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ في تخريج هذا التقابل: (قال أبو جعفر: ففي هذا دليل أنهم كانوا يصومونه للشكر، لا لفرض، وقد يحتمل أن يكون كانوا يصومونه للشكر، لا على ما في حديث ابن عباس هذا، ثم فرض عليهم صومه، فكانوا يصومونه للفرض، على ما في أحاديث ابن مسعود وعائشة وجابر بن سمرة، وقد روي في توكيد وجوب صومه كان ــ أيضا ــ مما قد دل على أنه كان للفرض، لا للشكر)[2]؛ وهذا المعنى الذي علق في الأذهان من حديث ابن عباس سيأتي حوله مزيد بسط في مطلب قادم، بإذن الله.

ممن تحدث عن هذا الجانب ــ أيضاً ــ ابن خزيمة ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ــ كما في تراجمه لأبواب مصنفه[3]، ومثله أبو عوانة[4]، وابن القيم[5]، وكذلك ابن رجب ــ رحمهم الله ــ؛ وبعد أن ذكر ابن رجب حديث قيس بن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأحاديث عائشة وابن عمر

---

(١) تهذيب الآثار، ١/ ٣٩٧، ٣٦٩.

(٢) شرح مشكل الآثار، الطحاوي، ٦/ ٤٤، وممن أشار إلى منهج الطحاوي ابن رشد في شرحه على المسائل المستخرجه على العتبية (البيان والتحصيل، ١٧/ ٣٢٤)، لابن رشد الجد، ت/ ٥٢٠هـ، وكأنه تعقب الطحاوي.

(٣) انظر: صحيح ابن خزيمة، ٣/ ٢٨٤.

(٤) انظر: مستخرج أبي عوانة، ٢/ ٢٣٣، ٢٣٩.

(٥) انظر: زاد المعاد، ٢/ ٦٣- ٧٣؛ فقال –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: (فتوفي رسول الله ﷺ وقد صام تسع رمضانات)، وقال عن أحاديث صوم عاشوراء: (فمن شهد الأمر بصيامه شهده قبل نزول فرض رمضان، ومن شهد الإخبار عن عدم فرضه شهده في آخر الأمر بعد فرض رمضان، وإن لم يسلك هذا المسلك تناقضت أحاديث الباب واضطربت).

وجابر بن سمرة؛ قال: (فهذه الأحاديث كلها تدل على أن النبي ﷺ لم يجدد أمر الناس بصيامه بعد فرض صيام شهر رمضان، بل تركهم على ما كانوا عليه من غير نهي عن صيامه،... وقال سعيد بن المسيب: (لم يصم رسول الله ﷺ عاشوراء)، روي عنه، عن سعد بن أبي وقاص، والمرسل أصح[1]، قال الدارقطني: وأكثر العلماء على استحباب صيامه من غير تأكيد، وممن روي عنه صيامه من الصحابة عمر، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو موسى، وقيس بن سعد، وابن عباس، وغيرهم)[2].

من أغرب أقوال الصحابة في صوم عاشوراء قول ابن مسعود، ومع قربه من قول ابن عمر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في التخيير إلا أنه يوحي بأن ترك النبي ﷺ صوم عاشوراء أكثر من صومه له، وما نقل عن ابن مسعود من صومه له يظهر أنه مخالف لهذا المشهور عنه، أو غلط من راويه[3]، وممن شابه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله عائذ بن عمرو المزني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4]، فقد روى ابن جرير الطبري أنه دخل عليه جماعة فسألهم، وتبين أنهم كلهم

---

(١) انظر تخريجه ص٩٩٩، حاشية (١).

(٢) لطائف المعارف (فيما لمواسم العام من الوظائف)، ص٤٩، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت/ ٧٩٥هـ، ط١، ١٤٢٤هـ، دار ابن حزم- الرياض؛ وانظر: الآثار المرفوعة، اللكنوي، ص٩١، ٩٤؛ وذكر ابن رجب أن صيام النبي ﷺ لعاشوراء له أربعة حالات ومراحل، وكان كلامه المذكور عن الحالة الثالثة، وهي ما بعد فرض رمضان، واستطرد الحافظ ابن رجب حول أحاديث عاشوراء، وما وضع فيها من الاكتحال والخضاب والاغتسال، وتوقف في التوسعة، وأطال فيما قيل عنه من فضائل وأخبار الأنبياء، وخاصة خبر توبة آدم، وأعقبه بمواعظ عن التوبة وتوبة آدم، وكأنه بصنيعه يرى أن عاشوراء يوماً وموضعاً للتوبة، انظر: لطائف المعارف، ص٤٨- ٦٠.

(٣) السنن الكبرى، للنسائي، ح/ ٢٨٦٠، عن الشعبي، عن علقمة، قال: (أتيت ابن مسعود فيما بين رمضان إلى رمضان، ما من يوم إلا آتيه فيه؛ فما رأيته في يوم صائما إلا يوم عاشوراء)، ولم أقف على من خرج هذه الرواية عند غير النسائي، وربما يكون هذا في حال دون حال، لأنه الأقرب إلى السنة، وأنه خشي أن يتخذ بمنزلة الصوم الواجب، والله أعلم.

(٤) عائذ بن عمرو بن هلال المزني البصري، شهد بيعة الرضوان، أخوه رافع، مات عائذ في ولاية ابن زياد على البصرة والكوفة، سنة مقتل الحسين، ٦١هـ، وروي أنه ممن أنكر على ابن زياد، فروي عن الحسن، أنه قال لابن زياد: كان يقال لنا: «شر الرعاء الحطمة، وإياك أن تكون منهم» فقال له ابن زياد: إنك من نخالة أصحاب محمد ﷺ، فقال له عائذ: وكانت فيهم نخالة؟ أنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم، المعجم =

صيام، فاستنكر من حالهم وحال الناس أنهم جعلوا صوم عاشوراء بمنزلة رمضان، ولفظه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أكلكم صوام!، يوشك أن تتخذوا هذا اليوم بمنزلة رمضان، إنما كنا نصوم هذا اليوم قبل أن يفرض علينا رمضان، فلما فرض علينا رمضان، نسخ صوم رمضان صوم هذا اليوم، وهذا اليوم تطوع، ليس بفريضة، فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر؛ فلما سمع القوم ذلك منه أفطروا جميعا)[١].

لم أقف على أحد من الأئمة كان يرى رأي ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أئمة التابعين ومن بعدهم، ليستوضح من خلاله توجيه قول ابن مسعود[٢]، إلا ما يفهم من قول بعض أهل المدينة، كسعيد بن المسيب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ[٣]، ومثله الإمامين مالك والليث ــ رحمهم

=

الكبير، ١٨/ ١٧-١٨، ح/ ٢٧، ٢٨، وتهذيب التهذيب، ٥/ ٨٩.

(١) تهذيب الآثار، الطبري، ١/ ٣٩٧.

(٢) إلا ما كان من ظاهر حال طلابه وتلاميذه في الكوفة، الذين رووا خبره ووافقوه على الإفطار، كالأشعث بن قيس الذي سأله، ومثله علقمة، الذي نقل الحادثة، على المشهور من روايات وأسانيد القصة الكثيرة، وفي بعضها أن علقمة هو السائل، كما عند الطبراني في المعجم الصغير، ح/ ١٠٨٦، وفي المعجم الكبير، ح/ ٩٩٨٩، وفيه: (ثم قال: اقعد، فقعدت وأكلت)، كما أن علقمة ممن أسند إليه حديث التوسعة في عاشوراء عن ابن مسعود، كما في: المعجم الكبير، ح/ ١٠٠٠٧، وفضائل الأوقات، للبيهقي، ص٤٥٢، ح/ ٢٤٤، ١/ ٢٣٧، وترتيب الأمالي الخميسية، للشجري، ١/ ٢٣٧، وفيه علتان، وهو بحكم الموضوع عند جمع من المحدثين، وابن عساكر في جزء عاشوراء ذكره عن ابن مسعود من طريق الربيع بن خيثم، وقال ابن عساكر: (غريب جدا)، واستظهر العراقي في -التوسعة على العيال- أنه (منكر)، وأن علته من رواته المتأخرين، وعلى هذا فربما من وضع حديث التوسعة، وساغ عنده نسبته إلى ابن مسعود لأنه رأى أنه يوافق مذهبه في منع الصوم، وأنه يشبه التوسعة والعيد، ومثله ما ينسب إلى ابن المسيب، من عدم الصوم، ومن نحو التوسعة؛ والذي يظهر أن هذا كله لم يثبت عنهما، لكن ربما فهم بعض الرواة أن ترك الصوم في عاشوراء لأجل التفرغ لغيره من عبادة ودعاء، أو للتوسع فيه بطعام ونحوه، والله أعلم.

(٣) ظاهر روايات ابن مسعود أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يصم عاشوراء بعد نسخه برمضان، ولعله لم يبلغه ما بلغ غيره، ووجدت ابن رجب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- نسب هذا القول لسعيد بن المسيب، وأنه يرويه عن سعد بن أبي وقاص، وصوب نسبته لسعيد، قال ابن رجب: (وقال سعيد بن المسيب: لم يصم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاشوراء؛ وروي عنه عن سعد بن أبي وقاص والمرسل أصح)، لطائف المعارف، ص٥٠؛ ولم يذكر ابن رجب من أخرج خبر سعيد، ولم أقف على من ذكره، ثم وقفت في كتاب: إقبال الأعمال، لابن طاووس الإمامي، ٣/ ٥١، ينسبه إلى تاريخ نيسابور، للحاكم، فقال: (أقول: ورأيت من طريقهم في المجلد الثالث من

=

الله ـــ[1])، هذا رغم ما ذكره الطبري من وجود طائفة من غير الصحابة قالوا به[2]، فعند اعتذاره لبعض الصحابة أشار إلى غيرهم، ولم يسمهم، فقال: (فما وجه كراهة من كره صومه من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم؟)، وقرنهم بمن كره صوم رجب، كما سبق؛ وصنيعه يوحي بأن هؤلاء يرون أن النبي ﷺ إما أنه لم يصمه في مكة، أو أن الله لم يأذن له فيه، ولم يشرعه له، وكأن الأمر يعود إلى ما كان عليه، من أنه من عادات الجاهلية.

مما يؤكد كونه من عمل أهل الجاهلية روايات أخرى، كالرواية المنسوبة إلى عكرمة مولى

=

تاريخ النيشابوري، للحاكم، في ترجمة نصر. بن عبد الله النيشابوري، باسناده إلى سعيد بن المسيب عن سعد أن النبي صلى الله عليه وآله: لم يصم عاشوراء)، وابن رجب لعله يضعف هذا الإسناد عند الحاكم؛ والطبراني أخرج من روايته حديث معاوية المشهور، في المعجم الأوسط، ٧/ ١٠٨، ح/ ٦٩٩٥، وقال بعده: (لم يرو هذا الحديث عن عبد الكريم إلا عبيد الله بن عمرو، تفرد به: عبيد بن هشام)؛ والحافظ العراقي في جزء: التوسعة على العيال، رقم: ١٣، نقل إسنادا إلى ابن وضاح، قال: (ثنا أبو محمد العابد، عن بهلول بن راشد، عن الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: قال عمر بن الخطاب: (من وسع على أهله ليلة عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة)، وسيأتي تخريجه –بإذن الله–، قال العراقي : (وإسناده جيد)، والمشهور ضعفه، ومخالفته لرأي الليث، أما رأي سعيد فيظهر أنه كذلك مخالف لهذا لقول المذكور، ومخالف لقول أهل الحديث في المدينة، والله أعلم؛ وابن ناصر الدمشقي: ذكر عن سعيد بن المسيب ما يفهم منه أن عاشوراء يوم عيد، انظر: اللفظ المكرم بفضل عاشوراء المحرم، ص٢٥، ولكن إن صح عنه هذا فهل يعني هذا أنه يرى أنه لا يصام، الله أعلم.

ابن طاووس الإمامي هو الذي وثق رواية سعيد بن المسيب المرفوعة، مستنداً لرواية الحاكم في تاريخ نيسابور، وهو كتاب مفقود أغلبه، فمع غرابته عند ابن رجب فالأصل التوقف في نسبته حتى يثبت؛ أما الاستناد إلى نقل ابن طاووس فمحل نظر، خاصة أن هذه الرواية توافق مذهبه من بين الشيعة، فهو يميل –كما سيأتي– إلى تكذيب أحاديث الصوم، وأنها مخترعة زمن بني أمية، ولم تكن تعرف قبل ذلك، بل عرفت بعد مقتل الحسين، وان ما ورد في أخبار آل البيت من صومهم لعاشوراء بعد مقتل الحسين فإنما كان تقية للعامة، وإظهاراً لموافقتهم في بدعتهم خشية من أذاهم، ويوافقه على ذلك من طائفة الإخبارية، كالمجلسي، والبحراني، ولذلك لا ينشطون لرواية أخبار الصوم في كتبهم؛ وهذا بخلاف جمهور الإمامية، من الأصولية وغيرهم.

(١) سيأتي بإذن الله نقل ابن وضاح عنهما في عدم تحري ليلة عاشوراء بعمل وتوسعة، ومثله تركهم تتبع آثار المدينة، وكرههم لذلك، والغريب مع هذا أن ينسب إلى الليث خبر التوسعة عن عمر.

(٢) مثله شيخ الإسلام ابن تيمية، ذكرهم ولم يصرح بأسمائهم، انظر: مجموع الفتاوى، ٢٥/ ٣١١.

ابن عباس، وفيها نسخ فرضية عاشوراء، وتعلق أهل الجاهلية به؛ فقد روى دلهم بن صالح قال: (قلت لعكرمة: عاشوراء،غ ما أمره؟ قال: أذنبت قريش في الجاهلية ذنبا فتعاظم في صدورهم، فسألوا ما توبتهم؟ قيل: صوم عاشوراء يوم عشر من المحرم " فقلت لعكرمة: فحق صومه على الناس؟ قال: (لا ، محا رمضان كل صوم كان قبله)[(١)]؛ ومثلها ما ربط فيها عاشوراء بما قبل الجاهلية، فقد روي (عن ابن جريج، عن رجل، عن عكرمة قال: هو يوم تاب الله على آدم، يوم عاشوراء)[(٢)]؛ كما روى أنه قال: (لا يصلح لرجل يصوم يوما يرى أنه عليه واجب إلا رمضان)[(٣)]؛ وهذه الروايات والتعليلات لم تشتهر عند أهل الحديث، كالترمذي والطبري، كما أنهم لم يستشكلوا معها فضل الكفارة، ومشابهة أهل الجاهلية أكثر من أهل الكتاب، والذين عاشوراء يوم ظفر ونصر وشكر عندهم؛ وهذا مما يدل على ضعف الخبر، كما أنه يخالف بعض ما روي عن عكرمة، ويخالف مذهب مولاه ابن عباس، كما رواه بعض أهل الأجزاء، وإن كان استغرب من حديثه[(٤)]؛ وأشهر منه رواية ضعيفة لعكرمة عن ابن عباس في تبليغ أمر الصوم[(٥)]؛ وحاصل ما سبق أني لم أقف له على قول ثابت في هجر صوم عاشوراء.

مما سبق يتبين أن قول ابن مسعود ومن وافقه إما أنه هجر، أو أنه حمل على عدم التحري،

---

(١) أمالي الباغندي، ص٤٥، برقم: ٢٧؛ وعنه: أمالي ابن بشران، ١/ ١٩٩، برقم: ٤٥٦، وذكره ابن رجب مرسلاً: في: لطائف المعارف، ص٤٨، وعن الباغندي نقل ابن حجر مختصراً، انظر: فتح الباري، ٤/ ٢٤٦.

(٢) مصنف عبدالرزاق الصنعاني، ٤/ ٢٩١، رقم: ٧٨٥٢، وانظر: لطائف المعارف، ص٥٥- ٦٠، ونقل ابن رجب عن أبو موسى المديني من حديث أبي موسى مرفوعا، بمعناه، وقال: حسن غريب، وليس كما قال، ومثله عن علي موقوفاً، وصنيع ابن رجب يوحي بالقبول والتساهل، ولكن هذه الآثار أقرب إلى الضعف، وانظر ص١٠١٢- ١٠٦٧ من البحث.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ٢/ ٣١٢، برقم: ٩٣٧٤.

(٤) انظر: سلسلة مجاميع الأجزاء الحديثية: (٤)، ومنها: مصنفات أبي الحسن ابن الحمامي، ت. نبيل سعد الدين جرار، ط١، ١٤٢٥هـ، أضواء السلف – الرياض.

(٥) انظر: مسند أحمد، ح/ ٢٠٥٨؛ وسيأتي –بإذن الله– أن فيها جابر الجعفي، وهو متهم وضعيف،، والغريب أن جابرا هذا رافضي يروي عن عكرمة، وعكرمة ممن يتهم بقول الخوارج.

وأن الأشهر هو استحباب صوم عاشوراء، على الإطلاق، من دون تفصيل أقوال القائلين به، وأنه هو الذي استقر عليه عمل أهل الإسلام، وأنه آخر الأمر زمن النبوة، كما تقدم، حتى يكاد يعد إجماعاً، ويقول شيخ الإسلام ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : (وكان من الصحابة والعلماء من لا يصومه، ولا يستحب صومه، بل يكره إفراده بالصوم، كما نقل ذلك عن طائفة من الكوفيين، ومن العلماء من يستحب صومه، والصحيح أنه يستحب لمن صامه أن يصوم معه التاسع ؛ لأن هذا آخر أمر النبي ﷺ)[1].

خلاصة.

يمكن تلخيص مذاهب الصحابة وأقوالهم من خلال مروياتهم، التي تضمنت فقههم ومذاهبهم، وهي تتضح في مراحل التشريع السابقة، فكل مرحلة تعبر عن قول، واتجاه مما عليه الصحابة، وأكتفي بالتركيز على عرض مواقفهم حول عاشوراء، دون غيرها من أيام الصوم، وذلك كما يلي:

١. أنه شرع قبل الهجرة من غير عزيمة، وأن الرسول ﷺ أقر على موافقة قريش في صومه، فصامه قبل البعثة وبعدها، وأنه أثبته على تأريخهم، فلما فرض رمضان ترك صومه، وبقي على التخيير، فبقي يوما استقل الإسلام بفضله من غير نظر إلى موافقة قريش.

٢. أنه أمر بصومه موافقة لليهود، ومنازعة لهم، ثم نسخ الأمر إلى الاستحباب مع تحري صيامه، مع تأكد مخالفتهم: بزيادة يوم قبله، وبعدم اتخاذه عيدا.

٣. أنه يوم استقل الإسلام بفضله من غير نظر إلى موافقة قريش أو اليهود، أو غيرهم، وأن فضله مما اختص به الرسول ﷺ، وهو تكفير سنة، وقد احتسبه الرسول ﷺ عند ربه لأمته، وأن هذا الفضل لا ينسخ.

٤. أنه لم يستقر بين أهل الإسلام استقلاله بفضل، فالبعض فضل ترك صومه بعد أن نسخ، مع عدم الجزم بكراهته، لكن لعلل مختلفة، أظهرها أنه ليس مما اختص به أهل الإسلام ونبيهم، وأقرب إلى عادات الجاهلية، وممن اعتذر لهؤلاء ابن جرير الطبري ـــ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـــ،

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢٥/ ٣١١.

وصنيعه يوحي بأنه يرى أن هؤلاء يرون أن النبي ﷺ إما أنه لم يصمه في مكة، أو أن الله لم يأذن له فيه، ولم يشرعه له، وكأن الأمر ـ عندهم ـ يعود إلى ما كان عليه من أنه من عادات الجاهلية[1].

من خلال ما تبين لي من تتبع الروايات والأحاديث في عاشوراء فإنه ربما يلحق بمذهب جمهور الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أمران، وإلحاقهما بمذهب الصحابة أرى أنه محل نظر، ويحتاج إلى مزيد تأمل، وأذكرهما للتنبيه عليهما، وهما كما يلي:

١. أن يوم عاشوراء يوم كفارة ومغفرة لهذه الأمة، إضافة إلى أنه يوم استقل الإسلام فيه بفضل وهيئة[2]، وأما اليهود فيوم شكر وعيد؛ وأن المسلمين فارقوا بهذا باعث الصوم عند اليهود، لكن ــ المراد من ذلك ــ أنه طلب منهم مخالفتهم في صورته وهيئته، وأن صومه على هذا الوجه والمعنى وإن لم يكن ظاهراً زمن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فهو الذي استقر عند جمهور التابعين ومن بعدهم، فتحروا هذا اليوم وحرصوا على صيامه.

هذا المعنى مع شهرته إلى اليوم فإنه ــ هذا الفهم ــ تَكَوَّنَ في الأذهان مع طول العهد، وتراكم بسببه التعلق بأمثال عاشوراء من الأيام والآثار، حتى أصبح عاشوراء هو مستنده من حيث النقل؛ ولكن جمهور الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يثبت عنهم فيه غير الصوم من دون عزم عليه، ولا تعلق به.

٢. استحباب صوم التاسع والعاشر على وجه التأكيد، مع كونه غير مروي عن جمهور الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين رووا خبر عاشوراء، ولكن جعله البعض من مذهب الصحابة عموماً، وذلك خروجا من خلاف ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المخالفة بصوم يوم آخر، دون متابعته فيما نسب إليه: في أي اليومين عاشوراء، اليوم التاسع، أم اليوم العاشر، بل إنهم ضعفوا نسبته إليه، وهجروه[3]، ومنهم من يفسر تحري ابن عباس لصوم عاشوراء في السفر بذلك،

---

(١) تهذيب الآثار، ١/ ٣٩٧.

(٢) سبق هذا في خبر عكرمة عن في قريش.

(٣) اللفظ المكرم بفضل عاشوراء المحرم، ص٣٦، وفيه: (واستحباب صيامهما معاً لفوائد، منها: الخروج من =

ولكن هذا التحري أوسع منه من يصوم يوم الحادي عشر، وقد يحتاط له بصوم أربعة أيام، كما هو مشتهر في مثل هذا الزمن، ومثله اعتبارها مكان ثلاثة أيام من كل شهر؛ وكل هذا عند جمهور الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لا اعتبار له، إذ عاشوراء ترك تعاهده بفرض رمضان، من غير نظر إلى المخالفة لمن أراد صومه.

على ما سبق يبقى أن الأشهر من مذهب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو التخيير في صوم عاشوراء وحده، من دون عزم، ولا إضافة يوم قبله، وأن هذه الشهرة لا يعارضها إلا ما روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومذهبه في التحري الاجتهاد في صومه والإضافة هو الذي اشتهر متأخراً، وهو من سادات آل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن فقهاء الكوفة؛ فأصبح طعن الإمامية الرافضة على مثل هذه المرويات طعن على القول المشهور من طريق آل البيت.

❁❁❁❁❁❁

=

الخلاف فعند ابن عباس والضحاك بن مزاحم أن عاشوراء هو التاسع).

المطلب الثاني

صوم عاشوراء بين الإمامية الاثني عشرية وغيرهم

إذا كان تبين لنا حال صوم عاشوراء زمن التشريع، ومذاهب صحابة رسول الله ﷺ وآل بيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورواياتهم لأحاديث الصوم؛ فيحسن بي أن أبين حال جمهور أهل الإسلام بعدهم، والفرق المنتسبة إليهم، وحال الإمامية الاثني عشرية فيه أيضاً ـ، وذلك كما يلي:

أولاً: مذهب أهل الإسلام والفرق المنتسبة إليهم:

يجمع أهل الإسلام وفرقهم المنتسبة إليهم ــ عدا بعض الإمامية ــ على استحباب صوم عاشوراء، ويؤمنون باحتساب رسول الله عند ربه أن يكون صومه كفارة لسنة ماضية، ويستحبون لذلك صوم ذلك اليوم تحرياً لفضله، واتباعاً للرسول، ويتضح هذا الإجماع بعرض أطرافه، وبه يتضح مدى وقبح مخالفة الإمامية ومذهبهم، وذلك كما يلي:

١. **الآل والصحب**: وقد سبق عرض مذاهبهم ورواياتهم، واتفاقهم على أصل مشروعيته، وبقاء صومه، وإن خالف بعضهم في درجة استحباب الصوم، واستقر من بعدهم على الأخذ بالاستحباب، وهو مذهب أئمة الإسلام، وفقهائه المشهورين، من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، وكتب الحديث وشروحها مليئة بتقرير صوم عاشوراء.

٢. **الزيدية**: وهي تنتمي إلى آل البيت، فمراجعها الحديثية والفقهية تروي أخبار صوم عاشوراء مرفوعة إلى النبي ﷺ، ومنها ما يروونه عن علي يرفعه، أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (استسقى، وأمر الناس بصوم يوم عاشوراء)[(١)]، ومنه ما هو من تقرير أئمتهم من السادة وغيرهم، ومما ينسبونه إلى أئمتهم من الحسنيين، أو الحسينيين، كالقاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ١٦٩ ــ ٢٤٦هـ، ومن ذلك قوله: (وصومه حسن جميل، وجاء فيه فضل كثير ولا حرج على من ترك صومه)، وكالحسن بن

---

(١) رأب الصدع (أمالي أحمد بن عيسى)، ١ / ٣٢٦، أحمد بن عيسى بن زيد بن علي، ت/ ٢٤٧هـ، ت. علي بن إسماعيل المؤيد الصنعاني، ط١، ١٤١٠هـ، دار النفائس – بيروت.

يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ت/ ٢٤٧هـ، والمؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني ت/٤١١هـ، والذي قال: (وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ص قال: (ليس ليوم على يوم فضل في الصيام، إلا شهر رمضان، ويوم عاشوراء)، وذهب بعض الإمامية إلى كراهة الصوم فيه، لأنه يوم حزن، لقتل الحسين بن علي ــ عليهما السلام ــ، وذلك لا معنى له، لأن الحزن لا يمنع من الصوم، على أن الحادثة كانت بعد النبي ص، ولا يجوز أن يتغير بعده حكم الشرع)؛ ويقول المتوكل على الله أحمد بن سليمان، ت/٥٥٦هـ، (وذهب بعض الإمامية إلى أنه يكره صيامه لأن الحسين بن علي "ع" قتل يوم عاشوراء ولا اعتماد بذلك، لأن الصيام لا يمنع الحزن، والإفطار أقرب إلى السرور من الصيام، على أن قتله كان بعد النبي "ص"، ولا يجوز أن يتغير بعده حكم الشرع)[1].

ما سبق صريح في مذهبهم من الصوم، وعدم النسخ بعد موت النبي؛ كما أن مصنفي الشيعة الزيدية في الحديث والروايات ملئوا كتبهم من أخبار صوم عاشوراء، ومن هؤلاء الشجري (٤١٢ ـ ٤٩٩ هـ)، هو يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني، من أئمة الزيدية في بلاد الديلم في القرن الخامس[2]، والذي صنف ترتيب الأمالي الخميسية، ونقل فيه كثيراً من أحاديث عاشوراء المشهورة، وصنيع الشجري في مصنفه يوحي بأن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يصوم يوم عاشوراء، حيث إنه ذكر خبر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تحري الصوم ضمن فضل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومقتله وفقهه؛ كما نقل الأمر بالصوم عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مما يدل على أن الشيعة كان مشتهراً بينها نسبة ذلك إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأخرج من طريق الباقر ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ : (صوموا يوم عاشوراء التاسع والعاشر

---

(١) ذكرت هذه النصوص في مراجع الزيدية المشهورة، ككتاب: الجامع الكافي في فقه الزيدية، محمد بن علي بن الحسن العلوي، ٣٦٧ – ٤٤٥هـ، ط١، ٢٠٠١م، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية – عمان؛ وشرح التجريد (في فقه الإمامين القاسم بن إبراهيم، والهادي يحيى بن الحسين)، أحمد بن الحُسين الهاروني، ت/٤١١هـ، ط ١٤٠٥هـ، دار أسامة – دمشق (مخطوط مصور).

(٢) انظر مقدمة كتاب: ترتيب الأمالي الخميسية، للشجري، والأعلام، للزركلي، ٨/ ١٤١.

احتياطاً، فإنه كفارة السنة التي قبله، فإن لم يعلم به أحدكم حتى يأكل فليتم صومه)[١].

٣.**الإباضية**: فتروي في مسند الربيع ـ المعتمد عندها ــ فضل صوم عاشوراء، ففي مسند الربيع: (سئل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن صيام يوم عاشوراء، فقال عليه الصلاة والسلام: «**يكفر السنة الماضية**»)[٢]، ويقول مفتيهم المعاصر الخليلي: (فمما ينبغي للناس: أن يصوموا اليوم التاسع والعاشر من المحرم، فإن النبي ﷺ صام يوم عاشوراء وحض عليه صيامه وقال: «**لئن بقيت لأصومن التاسع والعاشر إن شاء الله**»؛ فتطبيق ما كان حريصا عليه ـ صلوات الله وسلامه عليه ــ مما ينبغي أن لا يفوت المسلم)[٣]؛ ووجود فضل عاشوراء في كتب الخوارج مناقض لدعوى أن صوم عاشوراء بدعة أموية، إذ الخوارج أعداء لبني أمية، فكيف يتبنون بدعتهم، وهم يكفرونهم؟.

٤.**الإسماعيلية**: تروى في كتبها أن عظمة عاشوراء منذ زمن قديم، ففي دعائم الإسلام ذكر عاشوراء عند نوح، فيروي النعمان أبو حنيفة الشيعي عن جعفر الصادق ــ رضي الله عنه ــ مرسلاً أنه قال: (استوت السفينة يوم عاشوراء على الجودي، فأمر نوح من معه من الجن والإنس بصومه، وهو اليوم الذي تاب الله فيه على آدم، وهو اليوم الذي يقوم فيه قائمنا، أهل البيت)[٤]، وذكر خبر صوم نوح تحت قسم صوم التطوع، فالصوم أنواع، فمنه: (سنة مستعملة، لا ينبغي أن يرغب عنها، كان رسول الله (صلع) وأهل بيته يلزمونها أنفسهم، والشيعة كذلك تلزمها أنفسها، وهي أيضا مثل الفريضة، ومن الصوم أيضا نافلة، وهو تطوع

---

(١) ترتيب الأمالي الخميسية، ٢/ ١١٤، ح/ ١٧٩٦؛ كما أخرج الشجري نحوه عن عبدالله بن جراد مرفوعا، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**صيام عاشوراء يعادل صيام سنة، وهو صيام يوم الصبر**»؛ ترتيب الأمالي الخميسية، ٢/ ١١٩، ح/ ١٨١٧.

(٢) مسند الربيع بن حبيب، ت/ ١٥٠هـ، ص٥٧، ترتيب: يوسف بن إبراهيم الوارجلاني الاباضي، ت/ ٥٧٠هـ، ط ١٣٨٨هـ، مكتبة الاستقامة – سلطنة عمان، دار الفتح – بيروت؛ باب (٥٠): صوم يوم عاشوراء والنوافل ويوم عرفة؛ وذكر حديثي عائشة، وحديث معاوية.

(٣) انظر: المعتمد في فقه الزكاة الصيام (من آراء الشيخين: أحمد الخليلي، وسعيد القنوبي)، المعتصم بن سعيد المعولي، ت، ط ٢٠١١م، مكتبة الهلال الإسلامية – الرستاق، عمان.

(٤) دعائم الإسلام، للقاضي أبو حنيفة النعمان الشيعي، ١/ ٢٨٤،

كما ذكرنا في الصلاة، يتطوع من شاء بما شاء منه)[١]، وصنيعه يوحي بأن آل البيت يصومون عاشوراء، ولم يذكر خلاف ذلك.

تروي الإسماعيلية السليمانية المعاصرة أن تعظيم يوم عاشوراء كان زمن الأنبياء، وربما نظمته في مفهوم الأدوار: السابقة واللاحقة، فيقول أحد أئمتهم:)يومكم هذا يوم شريف، عزز الله أمره، وعظم وشرف قدره وكرم، وهو يوم عاشور محرم، وشرفه لم يكن في هذا الدور وحده، بل إنه قد سبق له شرفه، وتقدم من الزمان السابق المقدم)[٢]؛ كما أنها توافق الإمامية الاثني عشرية في أنه ميقات ظهور وخروج الداعي والمهدي من آل البيت، وربما كانت الإسماعيلية أسبق إلى هذا الميقات من الاثني عشرية، ولكن من دون نوح، وبذلك قد تكون أقامت دولها؛ وقد سبق أن أسلاف الطائفتين (خوارج الشيعة) تعلقوا بعاشوراء واتخذوه موعداً للرجعة[٣]، ويتضح بالتالي.

٥. **رواة الشيعة الأوائل**: وهم على اختلاف تشيعهم نقلوا خبر الصوم، ومنهم جابر الجعفي، وبعضهم يجعله من خواص الأئمة، وله مرويات لمقتل الحسين، وروى خبر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أن رسول الله ﷺ كان يصوم عاشوراء ويأمر به)[٤]؛ بل إن كثيراً من الأخبار المشهورة في عاشوراء مروية عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن شيعته، ومنها المروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقيه آل البيت، والذي تدور عليه أغلب الإشكالات في صوم عاشوراء.

---

(١) دعائم الإسلام، للقاضي أبو حنيفة النعمان الشيعي، ١/ ٢٨٣- ٢٨٥.

(٢) يظهر أن منهم من يصومه على سبيل التحزن، وهو صوم إمساك فقط من غير اعتقاد أن له فضيلة، على التخيير، وعندهم له دعاء خاص، وانظر كتاب: المنح الشاملة، لجعفر بن سليمان، من أئمة الإسماعيلية السليمانية، نقلاً عن: شبكة منتديات أساتذة نجران ومثقفوها، مقال بعنوان: (يوم عاشوراء عند الإسماعيلية السليمانية)، وهي على الرابط التالي:
http://www.najran999.com/vb/showthread.php?t=32194

(٣) في صفحات سابقة: ٩٤٦- ٩٧٠ من البحث، قدمت دراسة موسعة عن خوارج الشيعة وأثرهم في مرويات عاشوراء، وأن جمعهم بين القول بالرجعة وتعظيم عاشوراء بقي له أثر في بدع الإمامية الاثني عشرية، وفي مرويات غيرهم بسبب ترويجها من قبل الضعفاء والوضاعين.

(٤) مجمع الزوائد، ٣/ ١٨٤، ح/ ٥١٠٧، وسبق تخريجه ص٩٩٨ من البحث، حاشية (١).

وبعد: فهذا مذهب جمهور المسلمين والطوائف المنتسبة إليهم من غير الاثني عشرية، فهم لا يقولون بنسخ استحباب صوم عاشوراء، ولا يقولون بكراهته، بل ولا يتهمون أهل السنة عموماً بأنهم أحدثوا حكماً جديداً في خصوص الصوم بعد زمن النبوة، ولا بني أمية، ورغم عداوة طوائف منهم لبني أمية فإنهم لم يتهموهم في تغيير حكم الصوم.

ثانياً: مذهب الاثني عشرية في صوم عاشوراء:

اضطربت الإمامية الاثنا عشرية في مروياته ومذهبها في صوم عاشوراء اضطراباً ظاهراً، وشذت به عن غيرها، ومن أسباب ذلك قولها في التقية، وحرصها الشديد على مفارقة جمهور المسلمين، لاتهامهم لهم بالكفر والزندقة والنصب من خلال حادثة عاشوراء، وسيكون الحديث حول هذا الجانب من خلال النقاط التالية:

- أخبار الأمر بصوم عاشوراء.
- أخبار النهي عن صوم عاشوراء.
- مذاهب الاثني عشرية في الجمع بينهما.
- تاريخ وضع الروايات الإمامية حول صوم عاشوراء.
- صوم التحزن.
- هل كان عاشوراء عند اليهود متنقل، وعند قريش
- الحسين هل كان صائماً حين مقتله.
- صوم عاشوراء وتهمة النصب.
- خلاصة

أخبار الأمر بصوم عاشوراء:

كتب الشيعة أثبتت أن الرسول ﷺ وآل البيت رضي الله عنهم كانوا يصومون عاشوراء، فاستفاضة أخبار صوم عاشوراء عندهم أمر لا ينكره عاقل، واعترفوا بتواتر هذه الأحاديث والأخبار في كتبهم[1]، ولم يرووا عن النبي ﷺ، وكذلك الحسين رضي الله عنه ومن قبله

---

(١) انظر: صيام عاشوراء، ص١٣، جمال الدين بن عبدالله، ط١، ١٤١٨هـ، دار المحجة البيضاء – لبنان.

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أنهم نهوا عن صوم عاشوراء، وإنما كان ذلك عن أئمة ما بعد المقتل، ومما رووا في صوم عاشوراء من الأخبار، منها ما يلي:

١. عن يعقوب بن يزيد عن أبي همام (عن أبي الحسن عليه السلام قال: صام رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عاشوراء)[1]؛ وروى الكليني: (ثم نزل الصوم فكان رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ إذا كان يوم عاشوراء بعث إلى ما حوله من القرى، فصاموا ذلك اليوم فنزل صوم شهر رمضان بين شعبان وشوال)[2].

٢. عن سعد بن عبد الله، عن أبي جعفر، عن جعفر بن محمد بن عبيد الله، عن عبد الله بن ميمون القداح، (عن أبي جعفر، عن أبيه ــ عليهما السلام ــ، قال: صيام يوم عاشورا كفارة سنة)[3]، وهذا المروي عندهم عن علي بن الحسين ــ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ــ مثل ما جاء في حديث أبي قتادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ ومثله ما يروونه مرفوعاً إلى علي، فعن علي بن الحسن بن فضال عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة (عن أبي عبد الله ــ عليه السلام ــ، عن أبيه: أن علياً ــ عليهما السلام ــ قال: صوموا العاشوراء التاسع والعاشر فإنه يكفر ذنوب سنة)[4].

٣. رووا في خبر طويل عن علي بن الحسين، من طريق الزهري أن الصوم الذي صاحبه فيه بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر صوم عاشوراء[5].

٤. رووا أن زين العابدين بكى على أبيه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: (أربعين سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله)[6].

---

(١) الاستبصار، ٢/ ١٣٤، ووسائل الشيعة، ٧/٣٣٧، ١٠/ ٤٥٧.

(٢) الكافي، ١/ ٢٩٠.

(٣) الاستبصار، ٢/ ١٣٤، وتهذيب الأحكام، ٤/ ٢٩٣- ٣٠٠، ووسائل الشيعة، ١٠/ ٤٥٧.

(٤) الاستبصار، ٢/ ١٣٤، وتهذيب الأحكام، الطوسي، ٤/٢٩٩، ووسائل الشيعة، ٧/٣٣٧، ١٠/ ٤٥٧، وسبق قريباً ص٩٩٧ من البحث أن الشجري من الزيدية يرويه -أيضاً- عن علي من طريق الباقر، وفيه زيادة: (احتياطا).

(٥) وسائل الشيعة، ١٠/ ٤٥٧- ٤٦٣.

(٦) وسائل الشيعة، ١٠/ ٥٢٦، ينقله عن: الملهوف، لابن طاووس.

٥. عن جعفر الصادق ــ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ــ قال: (وكانت الوحش تصوم يوم عاشوراء على عهد داود عليه السلام)(١).

أخبار النهي عن صوم عاشوراء:

كتب الشيعة الاثنا عشرية روت عدداً من الأخبار التي تنسبها إلى أئمتهم من ذرية الحسين، وعلة المنع الواردة فيها تدور على مفارقة من يصومه، لأنهم لزوماً شامتين بالحسين وآل البيت رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وذلك إما بدعوى النسخ، أو أن أخبار الصوم صدرت من الأئمة على سبيل التقية، خوفاً من مخالفة المخالفين، ومن هذه الأخبار ما يلي:

١. عن زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم، أنهما: (سألا أبا جعفر الباقر ـ عليه السلام ــ عن صوم يوم عاشوراء، فقال: كان صومه قبل شهر رمضان، فلما نزل شهر رمضان ترك)(٢)، ويرى الخوئي أن هذه الرواية أصح شيء عندهم في هذا الجانب، لكنها ليست صريحة في النهي فضلاً عن الحرمة، بل غايته الإخبار عن نسخ(٣).

٢. عن نجية بن الحارث العطار، قال: (سألت أبا جعفر ــ عليه السلام ــ عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: صوم متروك بنزول شهر رمضان، والمتروك بدعة، قال نجية: فسألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ــ من بعد أبيه ــ عليه السلام ــ عن ذلك، فأجابني بمثل جواب أبيه، ثم قال: أما إنه صوم يوم ما نزل به كتاب، ولا جرت به سنة، إلا سنة آل زياد بقتل الحسين بن علي عليهما السلام)(٤).

٣. يروون عن الحسين بن أبي غندر، عن أبيه، (عن أبي عبد الله ــ عليه السلام ــ قال: سألته عن صوم يوم عرفة؟ فقال: عيد من أعياد المسلمين، ويوم دعاء ومسألة، قلت: فصوم يوم عاشوراء؟ قال: ذاك يوم قتل فيه الحسين ـ عليه السلام ــ، فإن كنت شامتاً فصم، ثم قال:

---

(١) وسائل الشيعة، ١٠/ ٤٥٧.

(٢) وسائل الشيعة، ١٠/ ٤٥٩.

(٣) كتاب الصوم، الخوئي، ٢/ ٣٠٤.

(٤) الكافي، ٤/ ١٤٥، ووسائل الشيعة، ١٠/ ٤٦١، والاستبصار، ٢/ ١٣٤.

إن آل أمية نذروا نذراً إن قتل الحسين ـــ عليه السلام ـــ أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً لهم يصومون فيه شكراً، ويفرحون أولادهم، فصارت في آل أبي سفيان سنة إلى اليوم، فلذلك يصومونه، ويدخلون على أهاليهم وعيالاتهم الفرح ذلك اليوم، ثم قال: إن الصوم لا يكون للمصيبة، ولا يكون إلا شكراً للسلامة، وإن الحسين ــ عليه السلام ــ أصيب يوم عاشوراء إن كنت فيمن أصيب به فلا تصم، وإن كنت شامتاً ممن سره سلامة بني أمية فصم شكراً لله تعالى)[1].

٤. عدم الصوم في بعض البلدان من باب العزيمة: فروى الكليني: (عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ قال: أهل الشام شر من أهل الروم، وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة)[2]، وفي الاستبصار للطوسي: (عن زرارة عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قالا: لا تصم يوم عاشوراء ولا عرفة بمكة، ولا بالمدينة، ولا في وطنك، ولا في مصر من الأمصار)[3]؛ قال علي أكبر الغفاري تعليقاً على ما يظهر من كثير من الأخبار من التفاوت بين أهل تلك البلدان[4]، أن ذلك: (باعتبار اختلاف رسوخهم في مذهبهم الباطل، أو على أن أكثر المخالفين في تلك الأزمنة كانوا نواصب منحرفين عن أهل البيت ـــ عليهم السلام ـــ، لا سيما أهل تلك البلدان الثلاثة، واختلافهم في الشقاوة باعتبار اختلافهم في شدة النصب وضعفه، ولا ريب في أن النواصب أخبث الكفار، وكفر أهل مكة جهرة هو إظهارهم عداوة أهل البيت ـ عليهم السلام ــ في ذلك الزمن، وقد بقي طائفة منهم إلى الآن يعدون يوم عاشوراء عيداً لهم، بل من أعظم أعيادهم، لعنة الله عليهم، وعلى

---

(١) وسائل الشيعة، ١٠/ ٤٦٣.

(٢) الكافي، ٢/ ٤٠٩، وفي لفظ: (وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفاً).

(٣) الاستبصار، ٢/ ١٣٤، ينقله عن الكليني.

(٤) من أشدها مكة موطن الظهور، ومما أورده الحر العاملي: (بإسناده عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن ابن أبي حمزة قال: يحج القائم (عليه السلام) يوم السبت يوم عاشوراء اليوم الذي قتل فيه الحسين -عليه السلام-، ويقطع أيدي بني شيبة ويعلقها في الكعبة)، وسائل الشيعة، ١٣/ ٢٤٨.

أسلافهم الذين أسسوا ذلك لهم)[١].

٥. أورد الكليني خبراً غير مفهوم المعنى، لكنه يوحي بالمخالفة لجمهور المسلمين، فعن الحسين بن مسلم، (عن أبي الحسن ــ عليه السلام ــ قال: يوم الأضحى في اليوم الذي يصام فيه؛ ويوم العاشوراء في اليوم الذي يفطر فيه)[٢].

مذاهب الاثني عشرية في الجمع بينهما:

يمكن أن أشير إلى أن مذاهب الإمامية الاثني عشرية في صوم عاشوراء تدور وتردد بين اتجاهين أساسين[٣]، هما:

١. الإخبارية: وهي تميل إلى حرمة صوم عاشوراء.

٢. الأصولية: وهي تميل إلى إباحته.

---

(١) الكافي، ٢/ ٤٠٩، من كلام المحقق حاشية (٣)؛ وما ذكره عن أهل مكة لم يذكر له صوراً اتخاذه عيداً، وأظنه من تهويل الغفاري، وقد سألت عن هذا الكتور بدر ناضرين ــوفقه الله-، وهو الباحثين في التصوف في الحجاز، فلم يذكر اشتهار ذلك عن أهل مكة في الفترة المتأخرة، وربما كان في قرون قديمة، انظر ص٩٩٤- ٩٩٥ من البحث، حاشية (٦).

(٢) الكافي، ٤/ ٥٤٧، وقال الغفاري في حاشيته، رقم (٥): (أي يوافق يوم عاشوراء اليوم الذي كان أول يوم من شهر رمضان؛ وكذا يوم الأضحى اليوم الذي كان أول يوم شوال؛ وهذا يستقيم بعد شهر تاما، وآخر ناقصا، لكن في غير السنة الكبيسة، ولعل العمل به في صورة اشتباه، أو هو لبيان الغالب، والله أعلم)؛ وما ذكره عن عاشوراء لا يستقيم، لأنه ليس أول الشهر، وكذلك الأضحى فكلاهما يوم عاشر من الشهر؛ أما الحر العاملي في وسائل الشيعة، ١٠/ ٢٨٥، فزاده غموضاً حيث يقول: (أقول : أورده الصدوق في باب صوم يوم الشك بناء على أن معناه أن يوم الأضحى يوافق أول يوم من شهر رمضان، ويوم عاشوراء يوافق أول شوال وهذا أغلبي لا كلي، ولا يمكن الحكم به لما مر، وله احتمال آخر يأتي في الصوم المندوب)، لكن الحر العاملي في وسائله، ١٠/ ٢٨٢، ذكر نوعاً من تعنت الإمامية في صومهم، مما قد يفسر ما سبق، وأنهم يتجرون اليوم الذي وافقه قبل سنة، أو سنتين، أو أكثر، أو بالحساب الشمسي، فتحت باب: (باب أنه يستحب الصوم يوم الخامس من هلال السنة الماضية، ويوم الستين من هلال رجب، ونظير يوم الأضحى من الماضية ولا يجب)، وذكر تحته: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال : صم في العام المستقبل اليوم الخامس من يوم صمت فيه عام أول).

(٣) وهي من مسائل الخلاف بين الأصوليين والإخباريين، وقد سبق التنويه بها ص٧٨ من البحث، وراجع ص٥٠١- ٥٠٥ أيضاً.

تـرددت أقـوال الإماميـة في صـوم يـوم عاشـوراء بـين هـذين الاتجـاهين، وبـين تطـرفهما وطرفيهما ظهرت عدة أقوال، قد يكون من أبرزها ما يلي:

١)أن صوم يوم عاشوراء محرم، وأن ما ورد من الأخبار في صومه محمول على التقية، وأن الرسول ﷺ لم يصمه أصلاً، ولم يكن معروفاً عند اليهود، ولا عند العرب، وإنما لفق زمن بني أمية، فصومه محرم؛ وانتصر لهذا القول ابن طاووس والمجلسي من الإخبارية، ومن المعاصرين جعفر العاملي من أغرب فجزم بأن عاشوراء لم يطلق إلا بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يعرف زمن النبوة[(١)].

٢)أن صومه بدعة، لأنه شرع صومه ثم ترك بصوم رمضان، أن الرسول ﷺ صامه، ثم نسخ في زمن النبوة، وأعادته بنو أمية، فصوم المتروك المهجور بدعة؛ وصوم المتروك بدعة، كما رووه عن الأئمة، كالصادق، أو الرضا، رحمهما الله[(٢)]، واشتهر بتقرير هذا القول يوسف البحراني من الإخبارية[(٣)]، وقرر أن صومه مثل صوم يوم العيد، وبهذا يرجع قول البحراني إلى القول الأول بالتحريم[(٤)]، ولعل مقصوده بالعيد أن عاشوراء أصبح عيداً عندهم، لأنه موعد الظهور والفرح بالثأر.

٣)أن الرسول ﷺ لم يصم عاشوراء إلا لنعي الحسين، ولا يكون صومه تاماً إلا على سبيل التحزن والتأسي؛ والأولى تركه، لأن صومه تاماً نسخ بمقتل الحسين، فيصام أوله فقط، وصومه على سبيل التحزن والتأسي، وهو المشهور في المذهب، والمعروف بـ(صوم التحزن).

---

(١) انظر الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ٤/ ٣٠٦؛ وسيأتي -بإذن الله- عرض بقية آرائه ص١٠٦٧- ١٠٦٩ من البحث.

(٢) الكافي، الكليني، ٤ / ١٤٥.

(٣) انظر: الحدائق الناضرة، ١٣/ ٣٧٥، وخلاصة قوله: (أن صومه إنما كان في صدر الإسلام، ثم نسخ بنزول صوم شهر رمضان، وعلى هذا يحمل خبر صوم رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وأما خبر القداح، وخبر مسعدة بن صدقة، الدال كل منهما على أن صومه كفارة سنة، والأمر بصومه كما في ثانيهما، فسبيلها الحمل على التقية، لا على ما ذكروه من استحباب صومه على سبيل الحزن والجزع)؛ وسيأتي -بإذن الله- رد وتعقب الخوئي عليه.

(٤) كتاب الصوم، الخوئي، ٢/ ٣٠٢- ٣٠٣.

٤)أن صومه مهجور ومفضول مرجوح، ولم يكن له فضل، ووضعت له الفضائل فيما بعد، وهو مكروه، لمعارضته لما هو أولى، وكون صومه ناقص الثواب، ولمزاحمته لعبادات أولى منه، والسؤال هنا: كيف بعد هذا يبقي له فضل يروونه عن أئمتهم.

٥)أنه مكروه، لأنه يوم شؤم على آل البيت وشيعتهم، ومثله صيام يوم الاثنين، الذي يعد من صامه ناصبي، كما في رواياتهم(١)، وقد يربطه البعض بكراهة صوم عرفة، بدعوى أنه مفضول ـ أيضاً ـ، لإشغاله عن التفرغ عن الدعاء!، أو خشية الشك في هلال الشهر، فيكون صام يوم الأضحى(٢).

٦)أنه مستحب على الإطلاق، وأن كل ما ورد في الأخبار من نهي عن صومه فهو ضعيف مردود، وانتصر لهذا القول الخوئي، وقال: (وأما نفس الصوم في هذا اليوم إما قضاء، أو ندباً، ولا سيما حزناً، فلا ينبغي التأمل في جوازه من غير كراهة، فضلاً عن الحرمة حسب ما عرفت)(٣)، وأشار الخوئي إلى أن المحقق الحلي قد قرر هذا من قبل، بل وأشار إلى ما يشبه الإجماع، وإن كان قيده بالحزن؛ والخوئي يرى الاستحباب بلا قيد(٤)، هذا مع تحريمه لصوم الشماتة.

٧)أنه صوم مخصوص مشروع، مخالف للصوم المفروض كرمضان، وللمستحب كصوم النوافل، ويمكن أن يوصف بـ(صوم التحزن)، وهو من مفردات الإمامية الاثني عشرية، وشذوذاتهم؛ وهذا القول تجتمع فيه أغلب الأقوال السابقة، وهو الذي أصبح شعاراً للطائفة؛

---

(١) يرويه عن الرضا الطوسي في تهذيب الأحكام، ٤/ ٣٠١، ومما جاء فيه: (واليوم المتشائم به الإسلام وأهله لا يصام، ولا يتبرك به، ويوم الإثنين يوم نحس قبض الله فيه نبيه صلى الله عليه وآله، وما أصيب آل محمد – عليهم السلام– إلا في يوم الإثنين، فتشاءمنا به، وتبرك به أعداؤنا، ويوم عاشوراء قتل الحسين عليه السلام، وتبرك به ابن مرجانة، وتشاءم به آل محمد –عليه وعليهم السلام–، فمن صامهما، وتبرك بهما لقي الله .عز وجل. ممسوح القلب، وكان محشره مع الذين سنوا صومهما وتبركوا بهما).

(٢) الكافي، ٤/ ١٤٥، حاشية (٣): (واعلم أن المشهور بين الأصحاب أن استحباب صوم عرفه مشروط بشرطين عدم الضعف عن الدعاء وعدم الاشتباه في الهلال ومع الاشتباه يكره).

(٣) كتاب الصوم، الخوئي، ٢/ ٣٠٨.

(٤) كتاب الصوم، الخوئي، ٢/ ٣٠٢.

وقد سبق أن حقيقته ليس صوماً شرعياً، لأنهم لا يتمونه، بل يقطعونه في العصر، ولا ينوون به صوماً لخصوص اليوم، بل هو تشبه ومواساة، أخذاً من قصة عطش الحسين.

الاثنا عشرية في كتبها الأربعة المتقدمة: الكافي[1]، وتهذيب الأحكام، والاستبصار[2]، ومن لا يحضره الفقيه[3]، والأربعة المتأخرة: الوافي، ووسائل الشيعة[4]، ومستدرك الوسائل[5]، وبحار الأنوار[6]، كلها ذكرت الأخبار المتناقضة في صوم عاشوراء، وإن كان المجلسي من الإخباريين المتأخرين في موسوعته البحار لم أره يجتهد في جمعها، وكذلك كتب فضائل الأعمال، وعلى رأسها كتب ابن طاووس الحلي، ٦٦٤هـ، والتي شحنها ببدع تعبدية ورافضية، وتهييج للضغائن والبغضاء والسباب واللعن، وأهمل ذكر المشهور من أخبار الصوم، كما صنعه أسلافه، ولم يذكر إلا خبرا أو خبرين، ثم قال في خصوص الصوم: (اعلم أن الروايات وردت متظافرات في تحريم صوم يوم عاشوراء على وجه المشاتات[7]، وذلك معلوم من أهل الديانات، فان الشماتة يكسر حرمة الله جل جلاله ورد مراسمه، وهتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهدم معالمه، وعكس أحكام الإسلام وإبطال مواسمه، ما يشمت بها ويفرح لها، إلا من يكون عقله وقلبه ونفسه ودينه قد ماتت بالعمى والضلالة، وشهدت عليه بالكفر والجهالة، ووردت أخبار كثيرة بالحث على صيامه)[1]؛ وهنا أصبح

---

(١) الكافي، ٤/ ١٤٥- ١٤٧.

(٢) تهذيب الأحكام، ٤/ ٢٩٩- ٣٠٢، والاستبصار، ٢/ ١٣٤- ١٣٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه، ٢/ ٨٥.

(٤) وسائل الشيعة، ١٠/ ٤٥٠- ٤٦٣؛ والحر العاملي بوب باباً عنونه بقوله: (باب استحباب صوم يوم التاسع والعاشر من المحرم حزنا، وقراءة الإخلاص يوم العاشر ألف مرة، والإفطار بعد العصر بساعة)، وذكر فيه ثمانية أخبار؛ وأتبعه بباب بعنوان: (باب عدم جواز صوم التاسع والعاشر من المحرم على وجه التبرك بهما)، وذكره فيه سبعة أخبار.

(٥) مستدرك الوسائل (وسائل الشيعة)، ٦/ ٢٧٩، استحباب صلاة عاشوراء، ٧/ ٥٠٧، الصوم المندوب المخير في صومه، ٧/ ٥٢٢- ٥٢٦.

(٦) بحار الأنوار، ١٤/ ٢١٥.

(٧) لعل صواب الكلمة: الشماتات.

(١) انظر: إقبال الأعمال، ٣/ ٢٧- ٤٩، ٥٠- ٩٢، وقد جعل ابن طاووس عاشوراء وما قبلها موسماً لإحياء =

الصوم متواتراً، والنهي عن صوم الشماتة متواترا، وإذا زال عن الناس الشماتة بالحسين بقي أن الأصل إعمال نصوص الصوم، وهذا ما يحاول أن يتهرب منه ابن طاووس.

المجلسي مثل ابن طاووس في موقفه من أخبار الصوم، فالمجلسي يصل بالتقية إلى أخبار الأنبياء، فيذكر أنه لم يعرف عندهم عاشوراء، وأن ما ذكرته أخبار الإمامية من ذلك أنه على سبيل التقية، فالمجلسي بعد أن ذكر ما لدى الشيعة من أن عيسى ولد في يوم عاشوراء، قال: (بيان: لعل الخبر الأول الدال على كون ولادته في يوم عاشوراء محمول على التقية، كما يشهد به بعض الأخبار، وكذا الأخبار المختلفة الواردة في زمان الحمل وموضع الولادة، لعل بعضها محمولة على التقية، لاشتهارها بين المخالفين، والله يعلم)[(١)]، وقد يوافقه كثير من الإخبارية، وهم وإن أنفوا من الاستدلال ـ تكثراً ـ بمرويات أهل السنة إلا أنه يفرحون بما منها بما يوافق شذوذهم[(٢)]؛ وهو خلاف ما اشتهر عند الأصولية، وخاتمتهم الخوئي، ١٤١١هـ.

الإمامية يتخذون أيام النصر أيام تطوع بالصوم، شكرا لله لكنه على سبيل النوح والحزن،

=

العبادة، وفي ٣/٢٢٧: ذكر أنه وجد أن في كل عاشر شهر من الأشهر الحرم أمراً لله عظيم: يوم النحر، ويوم عاشوراء، ويوم القدر في رجب، ويوم مولد الإمام الجواد في ذي القعدة، وقد سبقت ترجمة ابن طاووس، والحديث عن كتبه؛ وفي كتابه: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص٢٠٥، يقول في سبب ظهور اسم السنة: (ما ذكره الكرابيسي وهو من أهل الظاهر، فقال: إنما سمى هذا الاسم يزيد بن معاوية لما دخل رأس الحسين عليه السلام، وكان كل من دخل من ذلك الباب سمي سنياً)، وابن طاووس لا ينقل في نقله عن أهل السنة، لكثرة انفراده بغرائب من بين الإمامية فيما ينقله عن أهل السنة، لشدة حقده وحنقه؛ وممن وقفت على أنه نبه على بعض غلو المتقدمين من رواة الإمامية في نفي الصوم، مبالغة منهم في عداوة أهل السنة؛ ممن نبه على هذا أبو الحسن الشعراني من الإمامية الأصولية، وقد نبه على ذلك في تحقيقه لكتاب الوافي، للفيض الكاشاني، ٢٢/ ٥٠٦، ورأيته في مصورة لهذا الكتاب في الانترنت، ولم أقف عليه في تمام سياقه، والشعراني له بعض الاستدركات على مشاهير المذهب، وكلامه موافق لما سبق ذكره، وموافق لكلام الخوئي.

(١) بحار الأنوار، ١٤/ ٢١٥، ولم يجتهد في سرد أحاديث الصوم، ولعله يميل إلى رأي ابن طاووس الحلي.

(٢) بحار الأنوار، ٩٥/ ٣٤١، باب: الأعمال المتعلقة بليلة عاشورا ويوم عاشورا وما يناسب، وقال المجلسي: (أقول: ورأيت من طريقهم في المجلد الثالث من تاريخ النيشابوري للحاكم في ترجمة نصر بن عبد الله النيشابوري بإسناده إلى سعيد بن المسيب عن سعد أن النبي صلى الله عليه وآله لم يصم عاشوراء)، ولعله نقله عن ابن طاووس.

وهم بهذا يشابهون اليهود والنصارى في استذكارهم لمصائب معظميهم بالصوم والحرمان من الملذات في ذلك اليوم، كما أنهم قد يظهرون التعلق ببعض العبادات التي يختصون بهيئتها بدعوى الشكر، وهو نفس الباعث في صوم عاشوراء وغيره، ومن ذلك: قول الحر العاملي: (باب استحباب صوم يوم الغدير، وهو ثامن عشر ذي الحجة، واتخاذه عيدا، وكثرة العبادة فيه، وخصوصا الإطعام والصدقة والصلة ولبس الجديد)[1]، ومثله صوم يوم المولد النبوي، وأنه يعدل صوم سنة[2]، ومثله يوم المبعث النبوي في رجب، ويوم النيروز[3]، ونحوها من الأيام التي تجددت فيها نعمة[4]، ولعل باعث صومها الشكر، كعاشوراء في شريعة موسى، ولكنهم أخفوا ذلك، وربما كان وضعهم لها بعد اشتهار الأحاديث الموضوعة والواهية في عاشوراء، وإن كانوا يروون أن: (الصوم لا يكون للمصيبة، ولا يكون إلا شكرا للسلامة، وإن الحسين عليه السلام أصيب يوم عاشوراء إن كنت فيمن أصيب به فلا تصم، وإن كنت شامتا ممن سره سلامة بني أمية فصم شكرا لله تعالى)[5].

باعث الشكر هو المأخذ الذي ورد في نصوص السنة[6]، وتوسع من خلالها البعض بغير الصوم، ولكن لا يلزم من الأخذ بمنطلق الشكر بغض الحسين وعداوته؛ وربما تزامن مفهوم الشكر في عاشوراء بالصوم، ومفهوم الصوم يوم الغدير شكراً، وقد يكون الثاني تأخر عنه قليلاً، وجاء على سبيل المقابلة له؛ والشاهد فيما سبق إقرار الصوم على سبيل الشكر.

المأخذ المذكور هو وجه النقد الذي وجهته الزيدية للإمامية في خصوص التوسع في التعبد في عاشوراء، وينطبق مثله على المنتسبين للسنة، وكل ذلك ردا منهم للأحاديث التي

---

(١) وسائل الشيعة، ١٠/ ٤٤١، وينقل عن الكافي، وغيره، وتابعه النوري في مستدرك الوسائل، ٧/ ٥١٧- ٥١٨.

(٢) وسائل الشيعة، ١٠/ ٤٥٥- ٤٥٧، ويروون أنه السابع عشر من ربيع الأول.

(٣) العروة الوثقى، ٣/ ٦٦٩، كاظم اليزدي.

(٤) انظر: تذكرة الفقهاء، ٦/ ١٩٠.

(٥) وسائل الشيعة، ١٠/ ٤٦٣.

(٦) حول منطلق الشكر وعلاقته بعاشوراء انظر ص: ٩٩٢، ١٠٠٧، ١٠٢٧، ١١٤٢- ١١٥٢ من البحث.

فيها خبر سؤال النبي ﷺ لليهود عن عاشوراء، وسيتبين مزيد من هذا في المبحث القادم ــ إن شاء الله ــ، ولا أدري هل هذا الموقف ينسحب عند الزيدية على غير عاشوراء من الأيام الفاضلة أم لا؟ وأظنهم لا ينفكون عن رواية الأحاديث الضعيفة في باب الفضائل، لكن شاهدنا هنا أنهم يخالفون الإمامية بخصوص الصوم، وأنه لا يلزم منه بغض الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولو من وجه خفي، وأن التزام ذلك تكلف غير مقبول.

الإمامية قد تحتج على طوائف الشيعة بما يوافقونها فيه من صوم يوم الغدير على سبيل الشكر، ومن مروياتهم في ذلك، ما يروونه عن عمارة بن جوين العبدي، قال: (دخلت على أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، فوجدته صائماً، فقال: إن هذا اليوم يوم عظم الله حرمته على المؤمنين، إذ أكمل الله لهم الدين)، إلى أن قال: فقلت له: (جعلت فداك، فما ثواب صوم هذا اليوم؟ فقال: إنه يوم عيد وفرح وسرور، وصوم شكرا لله عز وجل، فإن صومه يعدل ستين شهرا من الأشهر الحرم)[(١)].

بالغت طائفة من الإمامية الاثني عشرية في التشاؤم من يوم عاشوراء، ويوم الاثنين، فكرهوا صومهما، وخرجوا ما ورد في فضلهما على: التقية، أو الضرورة المؤقتة، أو النسخ، وإن كان منهم من جزم بالاستحباب مطلقا، ومن أشهرهم من المتأخرين المرجع الخوئي، والذي قرر أنه: (لم تثبت كراهة صوم يوم عاشوراء فضلا عن الحرمة...)[(٢)]، وأن روايات النهي ضعيفة وباطلة لا تعلق بها تقية تنسب إلى أحد الأئمة[(٣)]، خلافا للبحراني الإخباري الذي أوجب التقية[(٤)]، لصحة أحاديث النهي عن الصوم، وإذا صحت حمل ما يخالفه على التقية، خاصة إذا كان مذهب العامة عليه (النواصب).

الخوئي صرح بثبوت الأحاديث الآمرة بالصوم فقال: (وأما الروايات المتضمنة للأمر

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة، ٧/ ٥١٧- ٥١٨.

(٢) كتاب الصوم، أبو القاسم الخوئي، ٢/ ٣٠٥.

(٣) المرجع الخوئي المعاصر، ت/ ١٤١١هـ، من أشهر من فند قول البحراني، واعتمد استحباب الصوم مطلقاً، وقدح في مرويات النهي التي يعتمد عليها البحراني وغيره.

(٤) انظر: الحدائق الناضرة، ١٣/ ٣٧٥؛ وسبق عرض كلامه قريباً.

واستحباب الصوم في هذا اليوم فكثيرة، مثل صحيحة القداح: (صيام يوم عاشوراء كفار سنة)، وموثقة مسعدة بن صدقة: (صوموا للعاشوراء التاسع والعاشر فانه يكفر ذنوب سنة)، ونحوها غيرها...؛ فالأقوى استحباب الصوم في هذا اليوم من حيث هو، كما ذكره في الجواهر أخذا بهذه النصوص السليمة عن المعارض)[1]؛ والخوئي تعقب العروة الوثقى، اليزدي، الذي جعل صوم عاشوراء من جنس المكروه، بمعنى قليل الثواب؛ فذكر أن المتقدمين من أعيان المذهب يكاد الاستحباب أن يكون شبه إجماع بينهم، ونقل عن بعضهم: (قائلا بلا خلاف أجده فيه، بل في ظاهر الغنية الإجماع عليه...)[2]، وأن من قيد النصوص فإنه تبع الطوسي، وإلا فالنصوص لا تحتمل هذا القيد؛ كما تعقب البحراني بتحرير إسنادي حديثي للأدلة التي استند عليها، ورد تصحيحه لها، وحملها على التقية، وقال: (وكيفما كان فالروايات الناهية غير نقية السند برمتها، بل هي ضعيفة بأجمعها، فليست لدينا رواية معتبرة يعتمد عليها ليحمل المعارض على التقية، كما صنعه صاحب الحدائق)[3].

أما شيخ الإخبارية المجلسي فسلك مسلكا آخر، هذا مع القول بالتقية، فسلك إلى تغليب الشؤم، فيقول عن صوم الاثنين[4]: (وهو أنحس أيام الأسبوع، ولا يصلح لشيء من الأعمال، وما ورد في مدحه فمحمول على التقية، لتبرك المخالفين به، اقتفاء ببني أمية ــ لعنهم الله ــ، وأكثر مصائب أهل البيت عليهم السلام وقع فيه، ولذا وضعوا الأخبار للتبرك به، كما وضعوها للتبرك بيوم عاشوراء، ويمكن حمل بعض الأخبار على الضرورة، ويمكن حمل بعضها على النسخ أيضا، بأن يكون في الأول مباركا، حيث لم يقع بعد فيه ما يصير سببا لنحوسته، فلما فات[5] فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ــ، وجرت المصائب فيه على أهل البيت ـ عليهم السلام ــ، وتبرك المخالفون به صار أنحس الأيام، ويكون ذلك أيضا بإخباره ــ

---

(١) كتاب الصوم، أبو القاسم الخوئي، ٢/ ٣٠٥.

(٢) العروة الوثقى، لكاظم اليزدي، ٣/ ٦٦٩.

(٣) كتاب الصوم، الخوئي، ٢/ ٣٠٥.

(٤) انظر: صيام عاشوراء، ص٥٠، مع أن يوم الاثنين هو يوم قدوم النبي ﷺ في الهجرة، ويوم مولده.

(٥) لعل صوابها: (مات).

صلى الله عليه وآله ــ، لئلا يلزم النسخ بعده ــ صلى الله عليه وآله ــ، ويمكن القول بمثله في يوم عاشوراء، وهذا وجه قريب للجمع بين الأخبار، وإن كان الأول أقرب)[١]، ويحكي هو وأمثاله أكل تربة الحسين بعد العصر، والإفطار عليها، مع أنها أقرب للاشتباه بأن تختلط بدماء المشؤومين من قتلة الحسين، ولكن تشآموا بالزمان أكثر من المكان.

تاريخ وضع الإمامية لروايات صوم عاشوراء:

يمكن أن نتبين تاريخ وضع روايات المنع من الصوم بملاحظة أن أغلبها منسوبة للباقر والصادق ـ رحمهما الله ـ ولمن بعدهما، مما يعني أنه بعد وفاة الصادق بدأت وضع الأسانيد إليه وإلى أبيه، وليس ثم دليل واضح يؤكد ابتداء وضع هذه الروايات، كما أن أهل السنة لم أقف عندهم على فشو هذه البدعة، وتاريخ اشتهاره نسبتها إلى الشيعة لديهم، كاشتهار المسح على القدمين، واشتهار الرجعة؛ عدا ما يفيده نقد مثل ابن الجوزي للموضوعات في عاشوراء، وأنها أدرجت من المتأخرين في أحاديث الثقاة، وقالها في حكمه على حديث ابن أبي الزناد، ت/ ١٧٤، وهو ضعيف مردود الرواية[٢]، أي أنها أدرجت في أحاديث أمثاله بعد موته، أي في آخر القرن الثاني؛ مما يعني أن الشائع خلال القرن الثاني لدى الشيعة عموماً هو صوم عاشوراء، وهو مشهور عند محدثي الكوفة؛ مما يظهر أن وضع الروايات في النهي عن الصوم ابتدأ في النصف الثاني من القرن الثاني، وربما لم يكن لها تداول ظاهر إلا بعد بداية القرن الثالث، وممن لهم دور في ذلك خوارج الشيعة أسلاف الإمامية، وحول هذا الجانب أطرح بعض معالم وأجواء تلك الفترة، وذلك كما يلي:

١ . خوارج الشيعة لهم أثر في تعظيم عاشوراء، ومن أسباب ذلك جمعهم بين الخروج والرجعة، وقد سبق بسط الحديث عن دورهم، والذي اتضح في النصف الثاني من القرن الثاني.

٢ . أنه تزامنت هذه الفترة مع ظهور رواية التبرؤ من (قوم انتحلوا مودتنا)، وهذا ينطبق على من يرون الخروج من الشيعة، ومنهم من سبق: خوارج الشيعة، وأن لديهم تعظيم

---

(١) بحار الأنوار، ٥٦/ ٥٢، ٢٠٨، وبمثله تعامل المجلسي مع أحاديث فضل مصر والشام.

(٢) الموضوعات، ٢/ ٢٠١، ١٢٢، وسيأتي ـ بإذن الله ـ ص١٠٤١ من البحث.

عاشوراء لأجل الرجعة، وربما كان قصدهم بالرجعة ووضع أحاديث في عاشوراء هو إبراز قولهم في نفي مقتل الحسين، وأنه باقٍ سيرجع؛ فقابلتهم طائفة أخرى (القطعية) تثبت المقتل، وتمنع الناس من الصوم منعاً للخروج باسم الرجعة، وأنها مثل قول النصارى في رجعة عيسى[1]، واضطر الغلاة لتسويغ موقفهم باتهام بني أمية، (نهاية القرن الثاني)، وذلك حين انتشر التوسع في عاشوراء، وزاد بعد موقف العباسيين من بدع مشهد الحسين.

٣. أن باعث الشكر بصوم عاشوراء في مرويات أهل السنة ربما توسع من خلالها البعض بغير الصوم، وخاصة الدعاء والزيارة عند الشيعة، وتزامن ذلك مع مفهوم الصوم يوم الغدير شكراً، وقد يكون الثاني تأخر عنه قليلاً، وجاء على سبيل المقابلة له، ولكن الإمامية أخفوا ذلك، وخاصة في القرنين الثالث والرابع.

٤. لا نجد معاصري الإمامية من أهل السنة يذكرون عنهم هذا الشذوذ في صوم عاشوراء، ولا من معاصريهم من الزيدية، وهم يشاركونهم في مرويات الصوم، وبما كان هذه الفترة من مراحل المفارقة بين الفريقين، وقد يعبرون عن الزيدية بـ(قوم انتحلوا مودتنا)، لوجود التشابه من جهة التعلق بآل البيت.

٥. أن هذه الفترة جرى فيها ظهور وضع فضائل عاشوراء عند الأنبياء، وقابلها وضع روايات تكذبها عند الإمامية، ومن ذلك الحديث المنكر، الذي يروونه عن جبلة المكية، عن ميثم التمار: وفيها تكذيب لفضائل عاشوراء المحدثة، وفيها تنبؤ قبل مقتل الحسين بأن الناس سيضعون حديثاً في يوم عاشوراء، (ويزعمون أنه اليوم الذي فلق الله تعالى فيه البحر لبني إسرائيل وإنما كان ذلك في ربيع الأول...)[2]؛ ولكن لم أقف في مصادرهم المشهورة على من أوضح المراد بهذا الخبر، ولا بيان حال اليهود في ربيع الأول، وهل كانوا صياماً حين دخول النبي ﷺ، وهو ما أثبته أهل الفلك والحساب؛ ولعل عدم وجود تعلق من الإمامية المتقدمين بهذه القصة لظهور كذبها، وكونها في غير الكتب الأربعة؛ والنبوءة المذكورة في رواية

(١) علل الشرائع، ١/ ٢٢٧، (باب ١٦٢: العلة التي من أجلها صار يوم عاشوراء أعظم الأيام مصيبة).

(٢) علل الشرائع، ١/ ٢٢٨.

جبلة هي في مقابل من يعظم عاشوراء، والأشبه أن بني أمية ومن نحا نحوهم أبعد عن التعظيم، وإنما هي هذا كان في فترة نزاع على الخروج والرجعة بين الشيعة أنفسهم؛ وهذا بخلاف تعلق المعاصرين بها(١).

٦. قد تكون عقيدة المهدي مخاض للرجعة عند أسلافهم من خوارج الشيعة، فلما لم يخرج اضطروا للقول بمهدي معلق الخروج، فتكون عاشوراء منطلقاً وسبباً لعقيدة المهدية الغائبة.

صوم (التحزن):

يوم عاشوراء عند الإمامية الاثني عشرية هو أهم يوم من أيام السنة، بل من أيام الدهر كله، وهو من أسباب علو مكانة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندهم، ومن أسباب غلوهم فيه، واتجاه المذهب إلى الانتماء إليه، ومن المهم أن يعرف موقف الأئمة من الصوم، لأن اليوم يومه، وكما تقول الإمامية: (ولا يوم كيومك، يا أبا عبدالله)، وأصبحت تسميه باسمه: (عاشوراء الحسين)، وتربط وجود الدين والحق به، وتبدأ أهميته ـ عندهم ـ منه، وتجتهد لتغفل ما جرى فيه لغيره، أو تشترط أن ينظم في سلكه وحبكه، وإلا عدوا ذلك عداوة للحسين وأصله وفرعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ونظموه في قائمة المظالم والأحزان.

خلاصة ما تقدم أن الإمامية عبر القرون أقرت بنوع غريب من الصوم، اشتهر بينها، وهو من مفرداتها التي لم تسبق إليها، ألا وهو: صوم التحزن والجزع، وممن قرره من متقدميها شيخها المفيد، حيث يقول: (من صام يوم عاشوراء على ما يعتقد فيه الناصبة من الفضل في صيامه لبركته وسعادته فقد أثم، ومن صامه للحزن بمصاب رسول الله صلى الله عليه وآله، والجزع لما حل بعترته ـ عليهم السلام ـ، فقد أصاب وأجر)(٢)، ومثله تلميذه شيخ الطائفة الطوسي، ويقول: (فالوجه في الجمع بين هذه الأخبار ما كان يقول شيخنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أن من

---

(١) هذا يكثر عند المعاصرين، وسيأتي ذكر شيء من ذلك، وانظر ص٨٢٤، ١٠١٤ من البحث، انظر مثلاً: موقع: مؤسسة آية الله العظمى علي الميلاني، المقالات، مقال: (صوم يوم عاشوراء)، على الرابط التالي:
http://almilani.org/%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA/462

(٢) المقنعة، ص٣٧٧- ٣٧٨.

صام يوم عاشوراء على طريق الحزن بمصاب آل محمد (عل) والجزع لما حل بعترته فقد أصاب، ومن صامه على ما يعتقد فيه مخالفونا من الفضل في صومه، والتبرك به، والاعتقاد لبركته وسعادته، فقد أثم وأخطأ)[1].

إقرار مفهوم صوم التحزن والجزع كما أنه اشتهر آخر القرن الرابع، من خلال المفيد، ثم تلميذه الطوسي، فقد تأكد من خلال تقرير ابن مطهر الحلي له في القرن الثامن، حيث يقول: (يستحب صوم يوم عاشوراء حزناً)[2]؛ وذكر الحلي هيئة المواساة، لا الصوم، وأن: (قول الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ : (لا تصم يوم عاشوراء)، محمول على التبرك به؛ إذا عرفت هذا فإنه ينبغي أن لا يتم صوم ذلك اليوم، بل يفطر بعد العصر)[3]؛ ويصرح كثير من الإمامية أن صوم عاشوراء عمل مفضول، وثوابه منقوص، ومكروه؛ وكيف يكون منقوص الثواب وهو عند بعضهم لا فضل له، وبهذا يعلم أن الإمامية تورطت في صومه حتى أتت بالمتناقضات، ومع أنه يوم الخروج إلا أنها اضطرت أن تطبق فيه صوراً من التقية، وأبعدهم عنها الإخبارية، حيث صرحوا بحرمة الصوم.

في مسألة صوم التحزن عند الإمامية أذكر بمسألتين يمكن من خلالهما نقد وتقييم الخلاف الحاصل من الإمامية وبينهم، وذلك كما يلي:

١. أن رواية عطش الحسين التي بني عليها صوم التحزن ليست الرواية الثابتة أصلا، بل هي من الغرائب والمفردات في كتب المقاتل، انفرد بها راويها[4]، هذا على ضعف كتب المقاتل أصلا، وربما كان أصلها من رواية المخالفين لهم؛ لكن هذا التخريج استحضر لها بعد اضطرارهم لقبول كل ما يهيج من أخبار المقتل ومروياته، وبسببه وبسبب منطلق التقية التي تتمذهب به الطائفة جاءت هذه التخريجات، وأشد الإمامية غلوا في تطبيقها بخصوص صوم

---

(١) انظر: تهذيب الأحكام، ٤/ ٢٩٩- ٣٠٢، والاستبصار، ٢/ ١٣٤- ١٣٥، كلاهما للطوسي.

(٢) تذكرة الفقهاء، ٦/ ١٩٢.

(٣) تذكرة الفقهاء، ٦/ ١٩٣.

(٤) وهي من طريق محمد بن السائب الكلبي، عن جابر الجعفي، وسبقت الإشارة إليها في مصادر روايات المقتل، وفي غيره، راجع ص٨٧٧ من البحث.

عاشوراء هم الإخبارية، فعدد منهم صرح بتحريم الصوم.

٢. أن كون الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صائما حين قتل فهو بناء على الجزم بأنه قتل يوم العاشر من محرم، وأن من المحتمل أن يكون قريبا من هذا اليوم، وكان صائما ــ أيضا ــ، وخاصة أنه قد يكون وافق صوما يعتاده، أو صوم الأيام البيض، وهي قريبة من هذا الموعد، بفارق يومين أو ثلاثة.

هل كان عاشوراء عند اليهود متنقل، وعند قريش؟

على القول بأن صوم عاشوراء مشروع زمن النبوة، وأن مشروعيته لا علاقة لها بمقتل الحسين، بل هو شرع أقر ثم نسخ على سبيل التدرج في فرض صوم رمضان، لكن يرد تساؤل عن موقف الإمامية من باعث صوم عاشوراء في أول الأمر زمن النبوة، والذي دعاني إلى التنويه بها أن لم أرى كتبهم الإخبارية تحفل بنقل بعض أحاديث عاشوراء، كحديث سؤال الرسول ﷺ لليهود عن صومهم حين قدم المدينة، أو أحاديث صوم قريش لعاشوراء في الجاهلية، كما لم أقف على تعليق لمتقدميهم حول هذه المسألة[1]، لانشغالهم ببدع الحزن والنوح والزيارة والمشاهد، ولكن هذا الإهمال تطرق إليه المتأخرون، ووجدوا في فراغ كتبهم من ذكره فرصة لفتح الطعن على أهل السنة، وأنهم يتلقون من اليهود، وأنهم يتهمون الرسول ﷺ بالتلقي منهم، وهولوا من هذا الجانب، بل وتقحموا تكذيب أن عاشوراء كان معروفاً عند اليهود، أو قريشاً؛ لكن هذا يرد على احتمال موافقتهم على ما عند السنة من خبر اليهود وقريش وصومهم لعاشوراء زمن البعثة؛ فهل يرون أن عاشوراء متنقل عند الفريقين؟

أبو الحسن الشعراني، ت/ ١٣٩٣هـ، وهو من كبار مراجعهم أقر بخلاف ما أحدثه من بعده من الإنكار، بل أقر بما ينقض كلام هؤلاء، فيقول: (اعلم أن يوم عاشوراء كان يوم صوم اليهود، ولا يزالون يصومون إلى الآن، وهو الصوم الكبير، ووقته اليوم العاشر من الشهر

---

(١) هذا عدا رواية ذكرها الصدوق في علل الشرائع، ١/ ٢٢٨، عن جبلة المكية، وفيه أن اليوم الذي فلق فيه البحر لموسى هو في ربيع الأول، لا محرم، وسبق التعليق عليها، انظر ص١٠٢٧، ١٠٦٧ من البحث.

الأول من السنة، ولما قدم رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ المدينة كان أول سنة اليهود مطابقاً لأول المحرم، وكذلك كان بعده إلى أن حرم النسيء، وترك في الإسلام، وبقى عليه اليهود إلى زماننا هذا، فتخلف أول سنة المسلمين عن أول سنتهم وافترق يوم عاشوراء عن يوم صومهم، وذلك لأنهم ينسئون إلى زماننا، فيجعلون في كل ثلاث سنين سنة واحدة ثلاثة عشر شهراً، كما كان يفعله العرب في الجاهلية، فصام رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ والمسلمون يوم عاشوراء كما كان يصومون، وقال: (نحن أولى بموسى منهم)، إلى أن نسخ وجوب صومه بصوم رمضان وبقى الجواز)[(١)].

الشعراني بهذا يقر بالموافقة بين توقيت اليهود وقريش حين المشروعية، ويقر بتنقل عاشوراء حين ذاك، وأنه استمر إلى السنة التي حرمت فيها النسيئة، ومعلوم أن ذلك قطعاً حصل في حجة الوداع، أي أن الموافقة استمرت عشر سنين، وهذا محل نظر، وهو محمول على أن النسيئة عند قريش استمرت بمثل ما كان عند اليهود، وبهذا لا تستقيم كثير من حسابات السيرة النبوية، بل وهذا يناقض ما أثبته الفلكيون من أن توافق عاشوراء اليهود مع قدوم النبي بعد الهجرة ودخوله المدينة، وقد سبق أن الراجح أن قريش قبيل البعثة تركت تتبع عاشوراء موافقة لليهود، كما أن من العلماء من قال أن الرسول ﷺ هو الذي أثبته في السنة الثانية، وهو ما يمكن أن يستفاد من ألفاظ بعض النصوص[(٢)]، وبذلك انقطع النسأ، وعليه فالنسيئة زمن حجة الوداع إنما هي في تلاعب المشركين في الحرمة دون زيادة شهر في السنة.

من المهم قبل أنتقل بالحديث إلى عن قول الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صوم عاشوراء في الفقرة التالية؛ من المهم أن أذكر بما سبق، فقد سبق التنويه إلى مقدمتين، وهما:

أ- أن أهل السنة ومثلهم من وافقهم من المنتسبين إلى الإسلام مجمعون أن الرسول ﷺ صام عاشوراء، كما يرتضيه الله له، وأمر بصومه، ولو لمرة واحدة، وهذا الإجماع من غرائب

---

(١) نقله من كلام هوامش الشعراني على الوافي على أكبر الغفاري في تحقيقه لمن لا يحضره الفقيه، ٢/ ٨٥، حاشية (٦).

(٢) راجع ص١٠٧، ١٠٩، ١٢٧ من البحث.

المسائل التي عقدت المسألة عند الإمامية الاثني عشرية.

ب- هل هذا اليوم الذي ارتضاه الله لنبينا ﷺ هو اليوم الذي ارتضى لنبيه موسى ﷺ صومه، ولأتباعه من بعده؟ أم أنه لا علاقة له به؟ وإنما هو يوم مستقل وخاص بالنبي ﷺ في توقيته وفضله.

إن كانت الإجابة بنعم فلا إشكال، لأنه صوم من جنس صوم الذين كانوا من قبلنا، وسلوانا فيه كسلوانا في صوم شهر رمضان، الذي كتب على الذين من قبلنا؛ وإن كانت الإجابة بلا، فنسأل: ما الباعث ـ إذن ـ عند النبي ﷺ على صومه في محرم؟ وما الباعث عند الأئمة على صومه؟

قبل الخلوص إلى نتيجة يأنس إليها القلب فإنه لا بد من فحص هاتين المقدمتين، وخاصة المقدمة الثانية، والتي يدور عليها كثير من الإشكالات التي ذكرها أهل العلم، بل بسبب الشك فيها توصل البعض ــ ومنهم الإمامية المعاصرة خاصة ــ إلى الطعن في المقدمة الأولى، والتي هي بمثابة الإجماع بين المنتسبين إلى الإسلام كلهم، حتى جمهور الإمامية، فالطعن في هذه المقدمة طعن في أعيان المذهب كلهم، لأن القول بصومه هو القول المشهور عندهم منذ عدة قرون، بغض النظر على اختلافهم الفقهي في توجيهه.

إذا سلم لهؤلاء طعنهم فلا تسأل عن النتيجة، أما المقدمة الأولى المجمع عليها فأصبحت عندهم كالتالي: (الرسول ﷺ لم يصم عاشوراء إطلاقاً)، وهم بهذا يخالفون المشهور عند الإمامية؛ ويلزمهم أن مهدييهم المستتر لا يصوم عاشوراء، ولو على سبيل التحزن، وربما أنه سيصومه عند خروجه لحاجة التقية ـ أول الأمر ـ.

الحسين هل كان صائما يوم مقتله؟

يسترعي انتباه الناظر للخلاف أن يعرف موقف الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هل صام يومه من قبل؟ وهل صامه في تلك السنة: ٦١هـ؟ والمتوقع أن تنال هذه المسألة نقلاً وروايةً وبحثاً اهتمام كتب الفقه الإمامي، لأن هذا اليوم سيكون ناسخاً لما قبله من الشرع، إذا ثبت إقرار الأئمة بما نسب إليه، وإن كان الأهم أن يعرف مذهب بقية الحسين المزعوم، وهو آخر حجة على

المذهب وأتباعه، وما هو مذهبه القولي والعملي، وما هي فتواه لمن التقى به من أعيان المذهب، وهل تضمنت (توقيعات الناحية المقدسة[1]) بياناً عن حكم صوم عاشوراء.

أما عن صوم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلم أقف لأهل السنة اعتناء بتحريره، إلا ما كان وارداً عرضاً في خبر الرواية، وتناقلوها عن أهل الكوفة وغيرهم على سبيل الأخبار، والتي يتساهلون فيها، لا على سبيل تحرير الأحكام، والتي اعتادوا فيها التحري والتمحيص، ومما يفيد صوم الحسين إن ثبت أن مقتله كان في عاشوراء ما يروونه من قصة العطش، وهي وإن كانت ضعيفة لكنها حجة على من رواها، لا له.

تروي بعض كتب المقاتل ـ على التنزل بقبول مروياتها ـ ما يفيد صوم الحسين يوم مقتله، يستفاد ذلك من خبر الرؤيا التي رآها الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ليلة عاشوراء وقت السحر، ففي رواية مشهورة: (فلما كان وقت السحر خفق الحسين ـــ عليه السلام ـــ برأسه خفقة، ثم استيقظ، فقال: أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟ قالوا: فما رأيت، يابن رسول الله؟! قال: رأيت كلابا قد شدت علي لتنهشني، وفيها كلب أبقع رأيته كأشدها علي، وأظن الذي يتولى قتلي رجلا أبرص من بين هؤلاء القوم، ثم إني رأيت بعد ذلك جدي رسول الله ـــ صلى الله عليه وآله ـ، ومعه جماعة من أصحابه، وهو يقول لي: يا بني، أنت شهيد آل محمد ـــ صلى الله عليه وآله ـــ، وقد استبشر بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلى، فليكن إفطارك عندي الليلة، عجل يا بني، لا تؤخر، فهذا ملك نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء، فهذا ما رأيت وقد أنف الأمر، واقترب الرحيل من هذه الدنيا، لا شك في ذلك)[2].

مذهب الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صوم عاشوراء من المتوقع أن يكون بين مذهب ابنه وأبيه قد يستنتج أنه يرى الصوم، وقد سبق ذكر قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صوم عاشوراء، وأمر به زمن

---

(١) التوقيعات: هي الفتاوى والأحكام والأخبار التي تصدر منسوبة إلى المهدي المزعوم في السرداب (الناحية المقدسة)، فترة الغيبة الصغرى، والتي تصل بواسطة أحد السفراء الأربعة، راجع ص٢٦٢ من البحث.

(٢) تنسب هذه الرواية إلى مقتل الخوارزمي، -وأظنه من أهل السنة-، والمجلسي ينسبها إلى مناقب الخوارزمي، انظر: بحار الأنوار، ٤٥/ ٣، ٥٨/ ١٨٣.

خلافته بالكوفة، كما أنه مذهب حبر الأمة وفقيه آل البيت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما علي بن الحسين ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ فنقل عنه أبو نعيم خبرا فيه سؤال الزهري له عن الصوم الواجب وغيره، فأجاب إجابة طويلة مفصلة، وذكر أن الصوم أربعين وجها، وأن عاشوراء على التخيير، ومما قال: (وأما الذي صاحبه بالخيار فصوم الاثنين والخميس، وستة أيام من شوال بعد رمضان، وصوم عرفة ويوم عاشوراء، كل ذلك صاحبه بالخيار)(١).

كتب الإمامية مليئة بأخبار صوم الأئمة من آل البيت ليوم عاشوراء، وإن اختلفوا في الموقف منها، وبخصوص الحسين فإن حالهم أنهم يتأسون به في صوم التحزن، وهذا شبه إجماع منهم أنه كان صائماً، ومنهم من صرح بأن الحسين كان صائماً حين قتل، ومنه جاءت بدعة التعطش عندهم في عاشوراء، ويجعلون صومهم على هذا المعنى مواساة للحسين، مع أنه صوم مخصوص.

صوم عاشوراء وتهمة النصب:

تتعلق الإمامية بوصف السنة وغيرهم بالنصب والعداوة لآل البيت بسبب قولهم بمشروعية صوم يوم عاشوراء، وتتجه تهمة النصب عندهم على صوم عاشوراء من جانبين، هما:

١. أنهم يصومون اتباعاً لبني أمية، وأنه من بدعهم، وموافقتهم عليها شماتة بالحسين وآل البيت، ومشاركة ورضى بالمقتل الذي جرى، فلا شك أنه شماتة.

٢. أنهم يصومونه ويعتقدون بركته، لا للشماتة، ولكن لأحاديث يروونها، ولكن أشغلتهم عن مصيبة الحسين، والحزن عليه، ومثله دعواهم أنهم يصومنه تقليداً لليهود،

---

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ٣/ ١٤١، ووجدته في بعض نسخ البداية والنهاية، ٩/ ١٣٤، وهو مضاف من غير ابن كثير، كما يظهر من خلال مقارنة النسخ، وهو مذكور في الطبعة المصرية، ولم أعرف من أضافه، ولا مصدره، ولم يبين درجة الأثر، وفيه غرابة، وبحثت عنه فوجدته في كتاب: وهو مشتهر في كتب الإمامية، كالكافي، للكليني، ٤/ ٨٣- ٨٤، وتفسير القمي، ١/ ١٨٥، وأعيان الشيعة، ١/ ٦٣١، وقد نقله عن حلية الأولياء؛ وابن ناصر الدمشقي في اللفظ المكرم بفضل عاشوراء المحرم، نسب لعلي بن الحسين صوم عاشوراء، وعزاه إلى تاريخ ابن أبي خيثمة.

وينسبونه كذباً لليهود، وهذه الدعوى بدأت تظهر في الأزمنة القريبة.

تغليب جانب النظر إلى بني أمية غلب على صرف الحكم، مع أنه سبق أن هذا غير مسلم به، خاصة إذا عرفنا أن الشيعة كالزيدية رووا الصوم، وهم من أشد المعارضين لبني أمية، والغريب في ضعف مطعن الإمامية، بل إن الأولى ببني أمية أن يمنعوا حتى الصوم، بل ـ كما سبق ـ إنه لم يثبت عمل ظاهر لبني أمية في فرض الصوم بخصوصه، بل إن أبرز ما روي عنهم هو ما روي عن معاوية، ونقله عنه عمر بن عبدالعزيز، وحديث معاوية مشهور مستفيض، ليس فيه إلا التخيير، بل فهم منه أن عاشوراء لم يفرض حتى في السنة الثانية؛ بل الأشبه أن الشيعة الأوائل هم الأقرب إلى تعظيم يوم عاشوراء، للطعن على بني أمية، لأن الدعوة إليه دعوة إلى التمسك بالدين، وفرصة لتعظيم ما يجري فيه من السابقين واللاحقين، ولذلك رأى جمع من الشيعة من الإمامية ومن الزيدية فساد رواية النهي عن الصوم، وأنها ضعيفة باطلة، لا تستقيم لمناهضة المجمع عليه بين المسلمين، ولا شك أن هذا الموضع من مواضع شذوذ الإمامية، وأنها كلما تمسكت به للطعن افتضحت، وإن كان هذا الحال ألجأها إلى مزيد من الطعن على مرويات المسلمين.

نشط عدد من المؤلفين من الإمامية إلى إصدار كتب تختص بالطعن على مرويات عاشوراء، وبالأخص ما يتعلق منها باليهود، ومن خلالها طعنوا في عموم مرويات عاشوراء، علما أن موقفهم من الرواة كاف في ردها، إذ كثير منهم مرتدون، كفروا بعد إسلامهم، ولا مانع حينئذ من الركون إلى اليهود وكتبهم المحرفة، للاستنصار بها على تأكيد هذا المنطلق، ولو كان معه تزكية لليهود وكتبهم، والتي هي محل النزاع في الأصل، ومن أبرز من تعلق بهذا الجانب: جمال الدين بن عبد الله، في كتابه: صيام عاشوراء، مستندا ومنطلقا من كلام مرجعهم وفقيههم المعاصر محمد حسن الشيرازي، والذي يعتبر حجة عند كثير منهم، ويسمونه الإمام[1]، والمجدد، وهو موسوعي من حيث التأليف، وهو في نظريته (شورى الفقهاء) منافس للمرجع الأعلى الخميني في نظريته: ولاية الفقيه، والشيرازي طعن فيما اشتهر

---

(١) انظر: صيام عاشوراء، ص١١ - ١٢٤.

عند الإمامية من صوم عاشوراء، وما استقر عليه أمرهم، فهو يخالف الخوئي، والشيرازي وإن كان مسبوقا ببعض الإخبارية المتأخرين ـ كالبحراني ـ، لكن الشيرازي جدد الطعن وقرره على طريقة الأصوليين وبحثهم ومناظرتهم وأصولهم؛ كما أحال الكاتب حول فقه الإمامية إلى كتابي: جواهر الكلام، شرح شرائع الإسلام، للمحقق الحلي، ت/٦٧٦هـ، والجواهر لمحمد حسن النجفي، ت/ ١٢٦٦هـ، وهو من تلاميذ كاشف الغطاء النجفي، وإقبال الأعمال، لابن طاووس الحلي، ت/ ٦٦٤هـ(١).

الكتاب يحتاج إلى جهد خاص للرد عليه، لما فيه من كثير من التلبيس والتدليس تحت لبوس الورع المقلوب، وعباءة النقد المتجرد، والتي لو نقد بها أصول مذهبه، وسلطها عليها لاعتذر له، إن كان رام من الحق والصدق بابا، لكنه لجأ بنفس طويل وتحقيق وتتبع إلى نقد مسألة هي من النوافل، بدعوى أنه يلزم منها (والعياذ بالله!) اتهام الرسول ﷺ بالتلقي عن اليهود، فجاء أسلوبه في الطرح بلغة الشفقة، مذكرا بأخطر ما يتعلق بهذه المسألة، فيقول: (وعلينا أن لا ننسى الهجمات الشرسة على الإسلام من قبل بعض المستشرقين)(٢)، ولكن المستشرقين كثيرا ما يأنسون بمثل هذه الطعون ـ أيضا ـ، لأنها صادرة بهذه الروح.

الغريب في منهج النقد لدى المؤلف أنه بنى أساس نقده لروايات السنة وشراحها بالتلقي عن اليهود المتأخرين والمعاصرين، ونسي المؤلف رجوعه واستناده إلى النقل عن نسخهم المحرفة للتوراة، ومن فهم شراح نصوصها التلموديين، فوقع في أشد مما اتهم به غيره، وكما قيل: رأى القذاة في عين غيره، وغفل عن جذع الشجرة في عينه، بل إنه اعتذر لليهود بما قد يلصقه بهم مخالفوهم من النصارى، ومن المسلمين ـ من أهل السنة، ــ ويؤكد اعتذاره لهم بأن اليهود لا يمكن أن يهتموا بتاريخ (الحقبة العامة)، استئثار منهم بالحق، مبينا أنهم لم يذكروا ما يذكره غيرهم (العامة) من الذين انتسبوا للأديان السماوية الإبراهمية، مما يروونه من أن

(١) انظر: صيام عاشوراء، ص١١ – ١٢٤.

(٢) انظر: صيام عاشوراء، ص٦٧.

الأنبياء كانوا يصومون ويعظمون يوم عاشوراء[1]؛ وهذا الصنيع من اليهود يذكر بما يصنعه الكاتب وأمثاله من الاستئثار بأخبار الإسلام، ومن عدم الاعتراف بكل تاريخ مشتهر بين المسلمين، ومن تسميته وأهل طائفته لجمهور المسلمين بـ(العامة)، كصنيع اليهود مع غيرهم.

استغنيت عن التطويل برد مفصل عليه بتقرير ما رأيته كافيا في الرد عليه، وعلى غيره[2]، وبها يرفع الإشكال الذي حصل بين أهل السنة، بسبب ما يلزم على مسالك الجمع المطروحة، وقد سبق أن خلصت إلى موضع الاتفاق بين النصوص[3]، والذي يصلح أن يكون هو المحكم الذي لا يقبل الطعن فيه، هذا فضلا أن الإقرار بالنسخ يجعل أصل الخلاف كغيره من مسائل الأحكام، لكن لارتباطه بمقولة الإمامة والخروج تعلقت بها الطوائف في موضع واحد، والغريب أن يتنازع معهم أهل الكتاب؛ كما أني قد أنبه في مواضع على بعض ما ذكر

---

(١) انظر: صيام عاشوراء، ص٢٢٢، والحقبة العامة تبدأ عندهم ابتداء من ميلاد المسيح، لأنهم لا يعترفون بنبوته؛ وأما الحقبة في المفهوم الإمامي فتبدأ من خلافة أبي بكر؛ وفي ص٢٢٣: ذكر عن اليهود في المنفى (خارج فلسطين) أنهم يعتمدون الاحتفال بأيامهم اليوم بيومين، ليحصلوا على اليوم الصحيح، (الاحتياط)، مما يدل على أنهم يحسبون مواقيتهم بالأهلة، وفي ص٢٣٢- ٢٣٣: ذكر عيد الفصح (العبور)، وهو يوم التاسع من آب: يوم مخصص للبكاء والحزن، وهو أهم الأيام بعد يوم الغفران (الكيبور: عاشر الشهر السابع تشري)، والمؤلف ذكر معلومات مثيرة ومهمة، لكن ليته وظفها في الطعن على اليهود؛ والغريب أن المؤلف لم ينبه على بعض ما عند الإمامية وفي مروياتهم من مشابهة لليهود، ومن ذلك أن منهم من لا يصوم عرفة احتياطاً، وخشية أن يكون يوم العيد والنحر، وهذا فيه عدم الأخذ بما يعتمد المسلمون، وعليه يحجون، وهو من جنس استشكالاهم في انعقاد الإجماع، انظر: المقنعة، المفيد، ص٣٧٧.

(٢) ينتشر في عدد من المؤلفات والمقالات ومواقع الانترنت طرح شبه وإشكالات حول إثبات عدم صحة صوم اليهود ليوم عاشوراء، والحقيقة أن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة وافية متخصصة، لأنه يرتبط به عدد من المسائل، ولكن اكتفيت بما أراه يدفع شبهة التشبه، والتي يدخل منها الإمامية لوصف أهل السنة بالنصب، هذا فضلاً عن طعنهم في الصحابة، والتي يجدون في عاشوراء فرصة للطعن عليهم؛ وممن قام من أهل السنة بمبادرة لجمع الشبهة التي يطرحها الرافضة والرد عليها في بحث بعنوان: (عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الرافضية)، الأشبيلي المعافري الصنعاني، وهو في موقع: مشكاة (شبكة مشكاة الإسلامية)، المكتبة، مختارات من مكتبة المشكاة، على الرابط التالي:

http://www.almeshkat.net/books/open.php?cat=18&book=4470

(٣) راجع ص١٠٠٦- ١٠٠٩ من البحث.

المؤلف، وكذلك في خاتمة هذا المبحث، وهذا على قدر ما فهمته واجتهدت فيه؛ رغم ما اشتمل عليه الكتاب من أخطاء مقصودة، أو غير مقصودة[١].

---

(١) من الملحوظات على الكتاب ما يلي:

أ- نسبة حديث لأبي ذر في عاشوراء، نقلاً عن:، إرشاد الساري، ٦/ ١٧٤؛ وفي نسخة القسطلاني التي وقفت عليها عبارة توهم وجود رواية مستقلة للصحابي لأبي ذر في عاشوراء، وليست كذلك، فشراح صحيح البخاري -كالعسقلاني- يريدون بأبي ذر: الحافظ أبو ذر الهروي، وهو من رواة كتاب صحيح البخاري، وقد اغتر بهذه العبارة مؤلف كتاب صيام عاشوراء، ص٧٩، وهو ما لم أقف عليه عند غيره فأردت التنبيه، والله أعلم.

ب- عند فقرة: لماذا نحب الحسين؟ في ص١٢٩- ١٤٢؛ قرر أنه: (يجوز الإفراط في حب الله)، ومن ذلك حب الحسين؟ وعليه بنى هو وغيره هذا الطعن على أهل السنة، لأنهم يفقدون هذا الضابط في المحبة، وبعده يسأل: فما حكم من قتل الحسين؟ والساكت عليه؟

ت- تحت عنوان كلمة الحسين: (كونوا أحراراً في دنياكم)، ص١٦٥، يخلص إلى أن الحرية هي في عقيدة الرفض، وهي ميزان المحبة السابق.

ث- تخليطه واضطرابه في النقل عن الأئمة الأربعة الفقهاء وأتباعهم في صوم عاشوراء.

ج- تمريره دعوى أن يزيد من الصحابة، ص١٢٧، وهذه لا تخفى على أمثاله.

ح- أنه ينسب إلى أهل السنة -كابن تيمية- أقوال خصومه، والتي يذكرها في معرض الرد عليهم، فينسب تلك الأقوال لمن ينكرها؛ وانظر: ص١٣٧، ص٦٢.

خ- أنه عند تعنت في رد ما نسبه من عرفوا بالتبحر والمعرفة بأحوال العرب واليهود، بل وهم من الشيعة، لا من السنة، وذلك في مثل استدراكه وتعجبه من البيروني، وهو بهذا قطع كل صلة له بأهل الإسلام، حتى عباقرة الإسلام الذين عرفوا كتب اليهود ولغاتهم؛ ومثله ص٧٨، في نقده للمؤرخ الشيعي جواد علي(صاحب المفصل) في زعمه أن اليهود كانوا يصومون يوم عاشوراء كفارة واستغفاراً (كيبور)، وقال به قبله البيروني، والمؤلف أراد أن ينفي عن اليهود ما اشتهر عنهم، ويصف أهل الإسلام الأوائل بما يوصف به اليهود من الغدر والتحريف.

د- أنه ربما يهم أحياناً في دورة اليهود وكبسهم، وهي تسعة عشر.سنة يهودية (قمرية شمسية)، تساوي في السنة الهجرية تسعة عشر سنة، سبعة أشهر، أي بمعدل زحف سبع؛ فيذكر ستة أشهر، أي بمعدل ست مرات زحف، مع أنه عندما عدد سنين الزحف ذكرها سبعاً، وهو الصواب.

ذ- أنه أراد أن يصل لنتيجة ذكرها غيره من طائفته، ولكن مع ادعائه أن الرسول ﷺ هو من أطلق على العاشر من محرم عاشوراء، وأنه أطلقها لينبه على مصيبة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكنه لم يستند إلى نص في التسمية غير نصوص الصوم، أو ما شابهها، والتي يطعن بها، فيقال له ولأمثاله: أين الدليل المنفرد على خصوص التسمية غير ما طعنتم فيه.

خلاصة:

أخلص من كل ما سبق إلى أنه مع ما ذكر من إشكالات حول أحاديث عاشوراء فإنه بالإجماع والضرورة يعلم أن عاشوراء شرع صومه قبل مقتل الحسين، وأن هذا متفق عليه بين أهل البيت وغيرهم زمن الصحابة ومن بعدهم، بل إن مذهبهم أكثر تمسكا بصومه، بل إن ما استقر عليه أهل السنة أكثره مروي عن آل البيت، وخاصة ما روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو من آل البيت، ومن شيعة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وخاصته؛ فمن رحم مسألة الصوم جاءت إشكالية الفضل والعناية، والتي أصبحت منطلقا للخلاف حول ما يجري من أعمال تعبدية أخرى، مقارنة للصوم، وتحريا لفضل هذا اليوم الوارد عن النبي ﷺ، لا عن بني أمية، كما تزعم الإمامية، ولو كان ثم اتهام يلصق بهم من جهة صوم عاشوراء لاتهمهم به بنو العباس، لأنهم في زمن قيام دولتهم أولى باستغلال مقتل الحسين ويومه للتشريب على بني أمية.

متعلق روايات ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ التي حصل حولها وبسببها الإشكال كانت من جهة الشكر والتعظيم، وهو مأخذ موجود عند الإمامية في أيامهم ومواضعهم ومشاهدهم، وهو ما يعرف بقاعدة الإضافة والاعتبار، والرواة الوضاعين من الشيعة هم ممن شارك في رواية هذه الأحاديث والأخبار، التي التزمت لها الإمامية هذه القاعدة، ولكنه في عاشوراء تبرؤا من مروياتهم، مع أنه حتى هؤلاء عندما وضعوا فضائل عاشوراء وأخبار الأنبياء فيها لا يلزم أنهم قصدوا الإزراء من الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، بل ربما قصدوا إبراز أمره وفضله ورأيه، ولكن من بعدهم أراد أن يخص عاشوراء بالحسين، فكذب كل ما عداه، وافترى من عنده ما يهواه، فقابل الوهم بكذب متيقن؛ وأصل التوسع في الفضائل ضلوا هم فيه أكثر، وهم فيه أسبق من غيرهم، ثم شددوا على غيرهم ممن انطلق من نفس منطلقهم في عاشوراء، أو غيرها، لأنه لم يوافقهم في أصل معتقدهم في الإمامة؛ والجوانب العملية التعبدية لهذا الأمر هو حديث المطلب القادم.

المطلب الثالث

التطوع بغير الصوم في عاشوراء

بدع التعبد والتنسك المنسوبة إلى النصب والتشيع من خلال عاشوراء كثيرة[1]، والشاهد فيها كونها في غير الصوم المستحب، إذ هو في أصله وعمومه محل إجماع بين أهل الإسلام، وقد اجتهد ابن الجوزي (ت/ ٥٩٧هـ) في تتبع أسانيد هذه الأعمال من شيوخ زمانه، ونقل كلام نقاد الحديث حول رواتها، واعتمدت عرض كلامه أولا لتقدم عنايته وشهرته في هذا الجانب[2]، وتبعه على صنيعه الذهبي (ت/ ٧٤٨هـ) في تلخيصه، والسيوطي (ت/ ٩١١هـ) في لآلئه، ومن بعدهم ممن صنف في الأحاديث الموضوعة، وذكروها غالبا تحت الموضوعات في أبواب الصيام، أو الصلاة، ونحوهما، وبينوا علل هذه المرويات، وما دخل إليها بسبب الوضاعين من الرافضة وأمثالهم، ودسوها في مرويات أهل السنة.

أما ما اختصت الإمامية به في كتبهم فلم ينشغلوا في التنبيه على وضعها وكذبها، إذ اختصاصهم بها كاف في الحكم، لوجود علته من دون لزوم كونه في كتب أهل السنة، ولأن الانشغال بذلك إظهار لهذا النوع من الأحاديث التي لا يجوز روايتها إلا لقصد التحذير منها، ومن عموم مرويات واضعها، فيكون القدح فيه قدحا مفسرا؛ وكتبها لمن أراد الاحتجاج

---

(١) من صور التعبد التي يطول تتبعها: الصدقة، وتقديم الزكاة أو تأخيرها عن وقتها لتقع في يوم عاشوراء، وقراءة سورة فيها ذكر موسى فجر يوم عاشوراء، وهناك من اجتهد في تصنيف بدع عاشوراء، وعلى سبيل المثال انظر: مجلة البيان، المنتدى الإسلامي – لندن، عدد: ١٤٩، ص٨، مقال: يوم عاشوراء.. أحكام وفوائد، عبد اللطيف بن محمد الحسن، وقسم بدع عاشوراء إلى ثلاثة أقسام: ما كان منها في باب العبادات، ثم ما كان من باب العادات التي تمارس في عاشوراء تشبيهاً له بالعيد، وبعض ما ذكر هنا يصلح أن يدخل تحت التعبد من اغتسال، ونحوه، ثم مآتم الشيعة.

(٢) هذا الفن من التصنيف مادته كتب العلل والسؤالات والتاريخ والضعفاء والمجروحين، لكنه تخصيص وتهذيب لما جزم العلماء بوضعه من خلال تلك المصادر، وهذا ظاهر من خلال الاطلاع على مقدمات كتب الموضوعات المعروفة، والتي اعتمد المتأخرون فيها على ابن الجوزي، وصنيعه في مصنفه، وزاده تهذيباً واستدراكاً وتعقباً.

عليهم بضعفها موجودة بينهم، وميسرة لمن قصدها، ولا مانع من تصنيف عناوين الوضع ليحذر أهل السنة منها، خاصة مع كثرة كتب الدعوة والتلبيس إلى التشيع، ككتاب المراجعات، وكتاب: ثم اهتديت.

أغلب هذه الموضوعات قام على تعظيم هذا اليوم عند الأنبياء، وعلى بركته وأجوره، وأطول حديث روي في هذا هو حديث ينسب إلى أبي هريرة، وهو شامل لما ينسب إلى غيره مفردا، وقد ساقه ابن الجوزي بإسناده، وفيه: (... حدثنا سريح بن النعمان حدثنا ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن الأعرج عن أبي هريرة)، وذكر ابن الجوزي أن مداره على ابن أبي الزناد، ت/ ١٧٤هـ[١]، وأن هذا الحديث وأمثاله دس في أحاديث الثقات، وقال: (هذا حديث لا يشك عاقل في وضعه، ولقد أبدع من وضعه، وكشف القناع ولم يستحيي، وأتى فيه المستحيل، وهو قوله: وأول يوم خلق الله يوم عاشوراء، وهذا تغفيل من واضعه لأنه إنما يسمى يوم عاشوراء إذا سبقه تسعة...، وما أظنه إلا دس في أحاديث الثقاة، وكان مع الذي رواه نوع تغفل ولا أحسب ذلك إلا في المتأخرين، وإن كان يحيى بن معين قد قال في ابن أبى الزناد: ليس بشيء، ولا يحتج بحديثه، واسم أبي الزناد عبد الله بن ذكوان،... فلعل بعض أهل الهوى قد أدخله في حديثه)[٢].

السيوطي أكد ما ذكره ابن الجوزي، حيث قال: (ورجاله ثقات والظاهر أن بعض المتأخرين وضعه وركبه على هذا الإسناد)[٣]، وقبله الذهبي نبه على وضعه، وأن أحد رواته: (حدث به بسلامة باطن)[٤]؛ وعليه فيظن أن رواج مثل هذا كان في آخر القرن الثاني، وأنه مما

---

(١) عبد الرحمن بن أَبِي الزِّنَادِ بن عبد الله بن ذكوان، القرشي مولاهم، المدني (١٠٠- ١٧٤هـ)، مجروح الرواية، انظر: تهذيب التهذيب، ٦/ ١٧٢، والموضوعات، لابن الجوزي، ٢/ ١٢٢، ٢٠١ وقال: (وقد أدخل على بعض المتأخرين من أهل الغفلة)، ويفهم من ابن الجوزي ن اسمه عبدالله بن ذكوان، وابن حجر جعله اسم أبيه؛ وانظر كلام المحدثين عنه ص١٠٥٦ من البحث.

(٢) الموضوعات، ٢/ ٢٠١، ١٢٢، وسيأتي - بإذن الله - أن هناك من نقل العبارة بلفظ (الزيغ والزنادقة).

(٣) اللآلىء المصنوعة (في الأحاديث الموضوعة)، ٢/ ٩٣، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت/ ٩١١هـ، ت. أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط١، ١٤١٧ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤) الآثار المرفوعة (في الأخبار الموضوعة)، ص٩٧، محمد عبد الحي اللكنوي، ت/ ١٣٠٤هـ.

أفسد من حديث ابن أبي الزناد حين كان ببغداد.

أصل تعظيم التعبد بغير الصوم يقوم على مثل حديث ابن أبي الزناد، وما فيه من تعظيم الأنبياء لهذا اليوم، يقول محدث أهل الهند عبد الحي اللكنوي ـ رضي الله عنهما ـ : (وأما هذه الأحاديث الطوال التي ذكر فيها كثير من الوقائع العظيمة الماضية والمستقبلة؛ أنها في يوم عاشوراء فلا أصل لها، وإن ذكرها كثير من أرباب السلوك والتاريخ في تواليفهم، ومنهم الفقيه أبو الليث، ذكر في تنبيه الغافلين حديثا طويلا في ذلك، وكذا ذكر في بستانه، فلا تغتر بذكر هؤلاء، فإن العبرة في هذا الباب لنقد الرجال، لا لمجرد ذكر الرجال)[(١)].

سيكون الحديث في هذا المطلب على نماذج مما أفرد من الأعمال والاعتقادات بطريق آخر غيره، ونماذج مما روي فيه، توضح المراد، وليس القصد تتبع جميعها، ثم التنبيه على علاقة ذلك بما يجري من التعبد في هذا اليوم عند المشاهد، ثم في سبب ارتباط ذلك بهذا اليوم، وذلك في فقرتين، وهي كما يلي:

أولا: أعمال التعبد:

١ - إحياء ليلة عاشوراء بالصلاة:

يروى فيه حديث موضوع: «من أحيى ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله تعالى بمثل عبادة أهل السموات، ومن صلى أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة الحمد مرة، وخمس مرات: قل هو الله أحد، غفر الله له ذنوب خمسين عاما ماض، وخمسين عاما مستقبل، وبنى له في المثل الأعلى ألف ألف منبر من نور»[(٢)]، وخبر صلاة ليلة عاشوراء وإحياؤها لم يرد إلا في حديث أبي هريرة السابق، وهذا قطعة منه، وعلتها علته، وهو منكر عند جميع أهل الحديث الذين صنفوا في الموضوعات.

الإمامية تروى في أخبارها عن آل البيت إحياء عدة ليالي من ليالي السنة، منها ليلة عاشوراء، فنقل المجلسي عن الطوسي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (إن استطعت أن تحافظ على ليلة

---

(١) الآثار المرفوعة (في الأخبار الموضوعة)، ص٩٦.

(٢) الموضوعات، ٢/ ١٢٢، واللآلىء المصنوعة، للسيوطي، ٢/ ٩٣، والآثار المرفوعة، للكنوي، ص٩٧.

الفطر، وليلة النحر، وأول ليلة من المحرم، وليلة عاشوراء، وأول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، فافعل، وأكثر فيهن من الدعاء والصلاة وتلاوة القرآن)[١]، كما نقل عن ابن طاووس الحلي أن إحياء هذه الليلة مواساة للحسين، قوله: (اعلم أن هذه الليلة أحياها مولانا الحسين صلوات الله عليه وأصحابه بالصلوات والدعوات، وقد أحاط بهم زنادقة الإسلام ليستبيحوا منهم النفوس المعظمات، وينتهكوا منهم الحرمات، ويسبوا نساءهم المصونات، فينبغي لمن أدرك هذه الليلة أن يكون مواسيا لبقايا أهل آية المباهلة، وآية التطهير، فيما كانوا عليه في ذلك المقام الكبير...)[٢].

٢- صلاة يوم عاشوراء:

يروى فيه ابن الجوزي بإسناده حديثا موضوعا، فقال: (أنبأنا إبراهيم بن محمد الطيبي أنبأنا الحسين بن إبراهيم... حدثنا محمد بن عبد الله النهرواني حدثنا محمد بن سهل عن أبيه عن أبي هريرة)، وفيه: «من صلى يوم عاشوراء ما بين الظهر والعصر أربعين ركعة، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي عشر مرات، وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة، والمعوذتين خمس مرات، فإذا سلم استغفر سبعين مرة، أعطاه الله في الفردوس قبة بيضاء فيها بيت من زمردة خضراء، سعة ذلك البيت مثل الدنيا ثلاث مرات، وفي ذلك البيت سرير من نور، قوائم السرير من العنبر الأشهب، على ذلك السرير ألفا فراش من الزعفران»[٣].

قال ابن الجوزي: (هذا حديث موضوع، وكلمات الرسول عليه السلام منزهة عن مثل

---

(١) بحار الأنوار، ٨٨/ ١٢٣.

(٢) بحار الأنوار، ٩٥/ ٣٣٦، باب: الأعمال المتعلقة بليلة عاشورا ويوم عاشورا وما يناسب.

(٣) الموضوعات، ٢/ ١٢٢- ١٢٣، ص١٨٤، وانظر: الأسرار المرفوعة، ص٤١٤، وفي بعض الكتب أو الروايات: أربع ركعات بدل أربعين ركعة، انظر: الفوائد المجموعة (في الأحاديث الموضوعة)، ص٤٧، محمد بن علي الشوكاني، ت/ ١٢٥٠هـ، ت. عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، بدون رقم الطبعة وتاريخها، دار الكتب العلمية – بيروت؛ ولفظ الأربعين يتكرر في أحديث عاشوراء في أجر الصوم، وأنه كفارة أربعين سنة، ونحوه.

هذا التخليط، والرواة مجاهيل، والمتهم به الحسين)[١]، أي الحسين بن إبراهيم[٢]، صاحب كتاب الموضوعات: (الأباطيل والمناكير)[٣]، وقال الملا علي القاري: (وكذا صلاة عاشوراء وصلاة الرغائب موضوع بالاتفاق)[٤]، ومثله المحدث عبدالحي اللكنوي[٥].

٣- أن أول من صام عاشوراء الصرد من الطير:

أورد ابن الجوزي فيه حديثا بإسناديه إلى (...إسماعيل بن محمد بن حسين قال سمعت عبد الله بن معاوية الجمحي قال سمعت أبي يحدث عن أبيه عن جده عن أبي عليط بن أمية ابن خلف الجمحي قال: "رآني رسول الله ﷺ وعلى يدي صرد فقال: هذا أول طير صام

---

(١) الموضوعات، ٢/ ١٢٢- ١٢٣، والذهبي في تلخيصه لكتاب الموضوعات، أقر ما ذكره ابن الجوزي، وقال: (سنده مظلم، والمتهم بوضعه الحسين بن إبراهيم، متأخر)، تلخيص كتاب الموضوعات، ص١٨٤.

(٢) الذهبي ذكر رجلين بهذا الاسم كلاهما وضاع، أحدهما البابي، وله حديث في كتابة إمامة علي على ساق العرش وابن الجوزي أورد له حديثا آخر موضوعا، يرفعه عن أنس: " تختموا بالعقيق فإنه ينفي الفقر"، وفهم منه البعض أي: من واد بالمدينة، الموضوعات، ٣/ ٥٨، والآخر: دجال، ويروي عن الحافظ محمد بن طاهر، وطبقته متأخر عن الأول، وضع حديث صلاة الأيام بإسناد كالشمس إلى مالك، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه - مرفوعا، وفيه: من صلى يوم الاثنين أربع ركعات أعطاه الله قصرا فيه ألف ألف حوراء، وله في الموضوعات روايات عمن صلى يوم السبت أربع ركعات كتب الله له بكل يهودي ويهودية عبادة سنة، يرويها عن: (محمد بن أبي بكر المفسر)، انظر: ميزان الاعتدال، ١/ ٥٣٠، ولسان الميزان، ٣/ ١٤٢.

(٣) ذكر ابن الجوزي له رواية في صلاة يوم الاثنين، وقال ابن الجوزي بعدها: (وقد كنت أتهم الحسين بن إبراهيم، والآن فقد زال الشك لأن الإسناد كلهم ثقاة، وإنما هو الذي قد وضع هذا وعمل هذه الصلوات كلها)، وقد تعقب ابن حجر ابن الجوزي متعجبا من صنيعه مع هذا المحدث من أكثر من وجه، وقال تعليقا على ما سبق: (وأشار بهذا الوصف إلى أن الحسين بن إبراهيم المذكور هو الحافظ المعروف بالجوزقاني، وقد ارتضاه هو، ونسخ كتابه الذي سماه: الأباطيل والمناكير، بخطه، وذكر كثيرا من كلامه فيه في كتاب الموضوعات، ولا ينسبه إليه، كما بينت ذلك في عدة مواضع)، واسمه بتمامه: الحسين بن إبراهيم بن الحسين بن جعفر الهمذاني الجوزقاني، وانظر: الموضوعات، لابن الجوزي، ١/ ٣٠٢، ٢/ ١٣٣، ١١٤، ٢١٧، ٢١٨، وميزان الاعتدال، ١/ ٥٣٠، و لسان الميزان، ٣/ ١٤٢.

(٤) الأسرار المرفوعة (في الأخبار الموضوعة: المعروف بالموضوعات الكبرى)، ص٤١٤، علي بن سلطان محمد، الملا الهروي القاري، ت/ ١٠١٤هـ، ت. محمد الصباغ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٥) انظر: الآثار المرفوعة، اللكنوي، ص٨.

عاشوراء"؛ وذكر ابن الجوزي أن علة الحديث عبد الله بن معاوية الجمحي، وأنه منكر الحديث، كما ذكر البخاري والعقيلي، وله عنه طريقان آخران يرويهما إسماعيل بن إسحاق الرقي، وهو وضاع[1]، وقال ابن الجوزي: (هذا حديث لا يصح، ولا يعرف في الصحابة عنبسة، ولا أبو غليظ، ولا أبوعليط، ومما يرد هذا أن الطير لا يوصف بصوم)[2].

هذا الحكم من ابن الجوزي تعقب في علته، وبأن الحديث له طرق وشاهد يقويه، ومثله حديث صوم الوحوش يوم عاشوراء[3]، لكن اختلف في هذه الطرق الشواهد لقوة ضعفها، وأن ذلك مما يزيدها وهنا وضعفا حتى مع الاختلاف في العلة التي ذكرها وبنى عليها ابن الجوزي، وهي: عبد الله بن معاوية، وهل هو الجمحي، أو غيره[4].

---

(١) إسماعيل بن إسحاق بن الحصين ابن بنت معمر المعمري الرقي، والذهبي قال عن الخبر: (رواه أبو بكر الخطيب بثلاث طرق إليه في تاريخه، والجمحي ثقة)، والخطيب في ترجمة إسماعيل ذكر أنه يروي عن ابن معاوية من طريقين، وذكر أنه يحدث عن عبيدالله بن معاوية، بدلا من عبدالله، ولا أدري لعله سبق، والطريق الثالث عن معمري آخر هو: إسماعيل بن محمد بن حصين (بدلا من حسين، خلافا للمثبت في موضوعات ابن الجوزي)، ويفهم منه أن إسماعيل في طبقة تلاميذ الواقدي صاحب المغازي؛ ولعل إسماعيل بن إسحاق يلقب بالجرجاني كما يفهم من كلام ابن حجر، وقد نقل عن أبي زرعة أنه يضع الحديث، انظر: تاريخ بغداد، ٧/ ٢٩٠، والموضوعات، ٢/ ٢٠٤، وتلخيص كتاب الموضوعات، ص٢٠٨، ولسان الميزان، ٨/ ١٠٣، ٢/ ١٠٥، وتنزيه الشريعة المرفوعة، ٢/ ١٥٦، والفوائد المجموعة، ص٩٧، للشوكاني، ت. المعلمي.

(٢) الموضوعات، ٢/ ٢٠٤.

(٣) منها ما ذكره قوام السنة : (عن قيس بن عباد قال: بلغني أن الوحش كانت تصوم عاشوراء)، الترغيب والترهيب، ٢/ ٤٠٣، ح/ ١٨٧٦، قوام السنة، أبو القاسم، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، ت/ ٥٣٥هـ، ت. أيمن بن صالح بن شعبان، ط١، ١٤١٤هـ، دار الحديث – القاهرة؛ وابن ناصر الدمشقي ذكره بأسانيده، وقيس هو المنقري، ونبه إلى أن هناك من وهم فنسبه إلى قيس بن سعد بن عبادة، كما في رواية عبدالرحمن بن مهدي، انظر: اللفظ المكرم بفضل عاشوراء المحرم، ابن ناصر الدمشقي، ونقل غرائب رواها أبو موسى المديني، ص٣٢.

(٤) عبد الله بن معاوية بن موسى ابن أبي غليظ الجمحي، انظر: الموضوعات، ٢/ ٢٠٤، وتلخيص كتاب الموضوعات، ص٢٠٨، وكأن صنيع الذهبي يفهم أن الخلل فيمن روى عن ابن معاوية، ولم يحدد أي الجمحيين الثقة، لأن أقدمهم مختلف في اسمه، وهو بهذه الرواية صحابي، وابن الجوزي لا يعرف اسمه، وآخرهم: عبد الله بن معاوية منكر عند البخاري وغيره، والعلامة عبد الرحمن المعلمي تعقب ابن الجوزي =

بعض الإمامية يكذب مثل هذه الأحاديث، ويعدها من صور النصب، وهذا ظاهر في الإخباريين منهم، كالمجلسي، فقد ذكر أن حديث الصرد موضوع، ونقل عن الحاكم أنه: (من الأحاديث التي وضعها قتلة الحسين)[1].

٤- فضائل وأجور عظيمة للصوم:

يروى في هذا الباب ـ ومنه فضل تفطير الصائم ـ حديث ساقه ابن الجوزي بإسناده عن ابن عباس، وقال: (هذا حديث موضوع بلا شك)، وأن علته: حبيب بن أبي حبيب، وكان حبيب من أهل مرو[2]، يضع الحديث على الثقاة، ويكذب، ويدخل عليه الأحاديث، وأنه لا يحل كتب حديثه إلا على سبيل القدح فيه، وهذا حديثه باطل، لا أصل له، كما قال أبو حبان[3]، وحبيب الموزي هو غير حبيب بن أبي حبيب الوراق، كاتب مالك، وكلاهما

=

في ابن معاوية، وأنه وهم فيه، وأن الجمحي هو: عبدالله بن معاوية بن موسى ابن أبي غليظ الجمحي ثقة عندهم، وأن منكر الحديث ليس الجمحي، وإنما عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام الأسدي، وذكر المعلمي أن البلاء في هذا الحديث من غير الجمحي، وأن هذا الغير يوهن بهذا الحديث لغرابته؛ ولم يذكر المعلمي من هو الغير، وهل لديه إضافة على ما ذكره الذهبي، وابن أبي غليظ (أو عليط) هو كما ذكر ابن حجر: (نشيط بن مسعود).

ابن الجوزي تعقبه ـ أيضا ـ ابن عراق، وذكر بأن الحديث أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة، وسمي أبا غليظ سلمة، وبأن له شاهداً أخرجه الحكيم الترمذي، والخطيب ذكره من ثلاث طرق، طريقان عن: إسماعيل بن إسحاق الرقي المعمري، والطريق الثالث عن معمري آخر هو: إسماعيل بن محمد بن حصين (بدلا من حسين، خلافا للمثبت)، كلاهما عن ابن معاوية، ويفهم منه ابن معاوية من طبقة الواقدي صاحب المغازي، وانظر: تاريخ بغداد، ٧/ ٢٩٠، ولسان الميزان، ٨/ ١٠٣، ٢/ ١٠٥، وتنزيه الشريعة المرفوعة، ٢/ ١٥٦، والفوائد المجموعة، ص٩٧، للشوكاني، ت. المعلمي، وجنة المرتاب، للحويني، ١٠- ١٢.

(١) بحار الأنوار، ٦١/ ٢٩١، ينقله عن الدميري، وانظر: صيام عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الأموية، الطبسي، ص٧٩، وانظر: حياة الحيوان الكبرى، الدميري (ت/ ٨٠٨هـ)، ٢/ ٨٢، وعنه: الفوائد المجموعة، الشوكاني، ص٩٨، وحول عبارة الحاكم راجع ١١١٣ من البحث.

(٢) حبيب بن أبي حبيب محمد الخرططي المروزي، ت/ ٢١٨هـ، وضاع كذاب، وحديثه من مرويات محمد بن عبد الله ابن قهزاد، وأنكره الذهبي، وابن حجر، انظر: ميزان الاعتدال، ١/ ٤٥١، ولسان الميزان، ٢/ ١٦٩، ١٧٢، ٥٤٦، ٧/ ١٩٣، والآثار المرفوعة، للكنوي، ص٩٥.

(٣) الموضوعات، ١/ ١٠٠، ٢/ ٢٠٢- ٢٠٣، والآثار المرفوعة، للكنوي، ص٩٥.

متهم بالوضع ويدخل على الثقات[1]، أي يدخل على الثقات ما ليس من حديثهم؛ والشاهد منه أن ما زاد على أبي قتادة في تكفير صوم عاشوراء لسنة فإنه إما ضعيف، أو موضوع، وينسب في ذلك أحاديث إلى الصحابة، كجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتادة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

٥- دعاء عاشوراء:

يروى فيه حديث موضوع، أو من المجربات، كما في قصة الكرماني الذي دعا بدعاء مستجاب، ويأتيه طير كل يوم عاشوراء[2]، ومن مواطنه الصلاة والصيام، ومنه الاستغفار سبعين مرة، الوارد في حديث صلاة عاشوراء السابق، ومنه تحري عموم الدعاء لخصوص فضله في يوم عاشوراء، وقد يفرد بدعاء كما في كتب الأوراد والأدعية[3]، ومنها ما يكون على

---

(١) حبيب الوراق حبيب بن زريق، وقيل: مرزوق، أبو محمد المصري، والمدني، كاتب مالك، قال فيه ابن حبان: (امتحن جماعة من أهل المدينة بحبيب بن أبي حبيب الوراق، كان يدخل عليهم)، واتهم بالوضع والكذب، انظر: ميزان الاعتدال، ١/٤٥٢، والموضوعات، ١/ ١٠٠، ٢/ ٢٠٢- ٢٠٣، واللآلىء المصنوعة، للسيوطي، ١/ ٢١، وتنزيه الشريعة المرفوعة، لابن عراق، ١/ ٤٧، وقد نبها إلى من يشابه اسم المذكور، ويشتبه به، أحدهما مصري كاتب مالك، وهو الذي عناه ابن حبان هنا، والآخر مروزي وضاع، ولعله هو المراد عند ابن الجوزي، وربما لبس الحديث بين الاثنين، في غير هذا كما نبه إليه المعلمي، وتعقب في ذلك السيوطي في توهيمه لابن الجوزي، وهو -هنا- في حديث عاشوراء يرويه عن: عن إبراهيم الصائغ عن ميمون بن مهران عن ابن عباس، انظر: الفوائد المجموعة، للشوكاني، ص٤٤٢، وتهذيب التهذيب، ٢/ ١٨١، وهما من الطبقة الثانية عشرة، والإمام مالك ت/ ١٧٩هـ، وهذا مما يوحي أنه لم يعرف مثل هذه الأحاديث، وأنها أحدثت بعد زمانه، وفي غير بلده؛ والغريب أن الخطيب البغدادي في تاريخه أورد حديث التوسعة من طريق الإمام مالك في غير الموطأ، ولكنه بين أنه لا يثبت عن مالك، وفيه مجاهيل، وذكره السيوطي، انظر: اللآلئ المصنوعة، ٢/ ٩٦.

(٢) تاريخ دمشق، ٧/ ٢٤٠- ٢٤١.

(٣) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، ص١٣٤، محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي، ت/ بعد ١٣٥٢هـ، ت. محمد خليل هراس، دار الفكر، وله: رسالة بدع عاشوراء، ومن البدع التي ذكرها: صلاة عاشوراء، ودعاء عاشوراء، وبخور عاشوراء، وخزانة التراث - فهرس مخطوطات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات بالرياض، وفيها كتب باسم: دعاء يوم عاشوراء.

سبيل الرقية[1].

الإمامية تشارك في التعبد في الدعاء، وتروى الغرائب والمنكرات، وكتبها مليئة بأدعية وزيارات عاشوراء، والتي امتازوا فيها بإضافة اللعن والسب لأهل الإسلام، ولهم ضابط موضوع: (من بلغ)، ينسبونه إلى الصادق فيما يقبلونه من تلك الأخبار، يقول المجلسي: (اعتمادنا في مثل هذه الأحاديث على ما رويناه عن الصادق ـ عليه السلام ـ : أنه من بلغه شيء من الخير فعمل كان له ذلك، وإن لم يكن الأمر كما بلغه)[2].

على ما سبق فأحاديث التعبد الموجودة في مرويات أهل السنة ليس فيها دليل واحد صحيح في التعبد بغير الصوم، لا بصلاة، ولا بدعاء، ولا بمبالغة في صومه وتهويل، وأن أحاديث هذا الباب عمدتها الوضاعون، وأمثالهم من الضعفاء، أو ممن لا يؤمن تركيب الحديث عليهم، وظهر أن أولئك الرواة كانوا في آخر القرن الثاني وبداية الثالث الهجري، مما يدل على أن تلك الفترة هي بداية الغلو بالتعبد والتنسك في يوم عاشوراء، ومن أشهرهم من يلي:

١. عبد الرحمن بن أبي الزناد بن عبد الله بن ذكوان، القرشي مولاهم، المدني (١٠٠ ـــ ١٧٤هـ).

٢. عبد الله بن معاوية بن موسى ابن أبي غليظ الجمحي.

٣. إسماعيل بن إسحاق بن الحصين ابن بنت معمر المعمري الرقي.

٤. حبيب بن أبي حبيب الخرططي المروزي، ت/ ٢١٨هـ.

هؤلاء المذكورين ما بين وضاع، أو متهم، أو ممن جمع كتب الموضوعات والأباطيل، وما جاء من طريقهم فليس حجة، وغير مقبول؛ وإذا كان هذا هو حال مرويات أهل السنة، فمرويات الإمامية أحظى بالضعف والوضع[3]، كما عرف عند الأئمة قبل هذه الفترة، من

---

(١) انظر: مجلة البيان،، عدد: ١٤٩، ص٨، مقال: (يوم عاشوراء.. أحكام وفوائد)، عبد اللطيف بن محمد الحسن، المنتدى الإسلامي – لندن.

(٢) بحار الأنوار، ٩٥/ ٣٣٨، باب: الأعمال المتعلقة بليلة عاشورا ويوم عاشورا وما يناسب.

(٣) الوضع هنا يقابله الوضع في ذم يزيد وبني أمية، ولعنه، كلفظ : (الطعان اللعان) وفيه خبر نعي الحسين، من ضمن حديث طويل، وأنها من وضع عمر بن علي الأشناني، في حديث نسبه لعبدالله بن عمرو بن العاص، =

مثل الإمام الشافعي الذي أخبر أن الرافضة أكذب الناس، لكن ظهر كذبهم في خصوص عاشوراء بعده بجلاء؛ وكتب الرافضة بهذا تعد صنفاً من كتب الموضوعات.

سبق أن عرضت موقف الإمامية من الصوم، وأن المشهور من مذهبهم هو صوم التحزن؛ لكن هذا الصوم صوم شاذ، ومخصوص، وناقص، يفطرون في نهاره، فهو من مفردات الإمامية المنكرة، وجمهورهم يرون أن فضله ناقص، أو لا فضل له، ومع ذلك يسمون عملهم صوما، ويرون أن تحري الناس له، أو لصومه تاما بدعة، لأنه متروك ومنسوخ، ويعدونه نصبا، لأن بني أمية أتموه؛ والغريب أن مذهبهم في صوم التحزن صوم منكوس، معاكس لأول مرة شرع صومه في عهد النبي ﷺ، والذي أمر بصومه، ولو من آخره وأثنائه، ولو بعد الفطر في أوله، فيمسك من حين علم به؛ وبهذا ازداد شذوذ قولهم وغرابته؛ فكيف سيكون حالهم واضطرابهم في غير الصوم، سنجدهم أنهم يحرمون في عاشوراء ما يوجبونه على أنفسهم باسم محبة الحسين، بل ويجعلون من غير ذلك بابا للتكفير والتبديع والتفسيق والثأر.

كما أن الإخبارية من الإمامية ترى أن صوم عاشوراء، وأخبار فضله عند الأنبياء أكثرها باطلة، وأن ما نسب منها إلى الأئمة فإنما حدثوا به تقية، لظهورها بين العامة، وممن يصرح بذلك ابن طاووس والمجلسي[(١)].

ثانياً: بدع المشاهد:

ما سبق من الأعمال التعبدية في يوم عاشوراء التي ألحقت به قد صاحبت زيارة مقابر الأنبياء وآل البيت والصحابة والصالحين ومقاماتهم، والتعبد عندها، ومقامات الأنبياء والصالحين هي الأمكنة التي قاموا فيها، أو أقاموا، أو عبدوا الله سبحانه، لكنهم لم يتخذوها مساجد؛ فظهر تحري تلك الأعمال ــ وخاصة الدعاء عندها ــ، واستحسان زيارتها وتذاكر أحوالها، واستحسان

=

والأشناني ممن روى من طريقه الحافظ محمد بن ناصر، وانفرد بهذه الزيادة عن غيره من الرواة انظر ص٢٠٤- ٢٠٦ من البحث.

(١) انظر: بحار الأنوار، ٩٣/ ٢٦٨.

زيارتها وزيارة المقابر في هذا اليوم، ومثله عيادة المرضى، وإخراج الزكاة وسائر الصدقات، وأذكر في هذا الصدد ببعض الأعمال والبدع التي تجري عند المشاهد عند الفريقين، وذلك كما يلي:

١. الوقائع التي تدل على شيوع تلك الأعمال التعبدية عند المشاهد بين أهل السنة كثيرة، وقد صاحبها عناية بتلك المشاهد في يوم عاشوراء على وجه الخصوص، ومثله الأيام الفاضلة في السنة، التي اتخذت موعدا لزيارتها عموما، وصور هذه العناية متعددة، منها ما يحصل اتفاقا، ومنها ما يدل على التحري، واجتهد المؤرخون في تقييدها، ومنها:

أ- بيان أعمال أهل التراجم وأخبارهم، ومنها كون المترجم له قيما لمشهد، ومنهم عبد الرحمن بن سليمان بن طرخان، نفيس الدين، قيم مشهد السيدة نفيسة، ت/ ٦٩٨هـ، ذكر عنه الذهبي أنه مات يوم عاشوراء بالمشهد[1].

ب- أن أهل الوعظ توسعوا بعد ذلك، فصاروا يقصدون عقد مجالس الوعظ عند هذه المشاهد، من ذلك ما ذكره ابن الجوزي أن الواعظ المحدث رزق الله بن عبد الوهاب الحنبلي، ت/ ٤٥٨هـ كان يمضي في السنة أربع دفعات في رجب، وشعبان، وعرفة، وعاشوراء، إلى مقبرة الإمام أحمد ويعقد هناك مجلسا للوعظ[2]، ومن ذلك ما يذكره ابن الجوزي عن نفسه من مجالس مخصصة في بعض الجوامع المشهورة يوم عاشوراء.

ت- أن المشاهد منطلق الفتن التي تقع بين الشيعة والسنة، وأكثر ما يهيج على ذلك مآل النياحة إلى الطعن في الصحابة والسنة، بل قد يكون ذلك منشأها، فقد ذكر ابن الجوزي في حوادث ٤٢٣هـ، أنه: (في يوم الثلاثاء: كان عاشوراء، وعلقت المسوح في الأسواق، وأقيم النوح في المشاهد، وتولى ذلك العيارون[3])[1]؛ وأما المقريزي فقد ذكر في حوادث سنة

---

(١) تاريخ الإسلام، ١٥/ ٨٧٥.

(٢) المنتظم، ١٧/ ١٩-٢٠.

(٣) العيارون: طائفة من القصابين وأهل المهن، ممن يتلقون بأخلاق السفلة، كما ذكر السمعاني، ويظهر أنهم من الأعاجم، كانوا لهم صولة في بغداد بالإفساد والقتل، ومن رؤوسهم: ينتويه، ودونل، ودمحال، لهم ذكر في ٢٥١هـ، كما لهم سطوة بداية القرن الخامس، انظر: الطبري، ٩/ ٣٠٩، والأنساب، ١١/ ٥١، ولا أدري هل قيامهم بالنوح لتشيعهم، أم هم مستأجرون؟ وأخبارهم تذكر بالصعاليك المفسدين، وابن مسكويه وصفهم =

٣٦٣هـ بمصر، أنه: (في يوم عاشوراء انصرف خلق من الشيعة وأتباعهم من المشاهد، من قبر كلثم بنت محمد بن جعفر بن محمد الصادق، ونفيسة، ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين، وكسروا أواني السقائين في الأسواق، وشققوا الروايا، وسبوا من...)[٢]، وفي حوادث سنة ٤٩٠هـ قال: (وفيها تجمع الرعاع والعامة في يوم عاشوراء بمشهد السيدة نفيسة وجهروا بسب الصحابة، وهدموا عدة قبور؛ فسير الأفضل إليهم، ومنعهم من ذلك؛ وأدب ذخيرة الملك ابن علوان، والي القاهرة، جماعة وضربهم)[٣].

٢. أن ما سبق اضطر أصحاب الولايات من الخلفاء إلى منع النوح عند المشاهد، خاصة أن النزاع صار متبادلا حول ما يحدثه كل طرف من بدع، فأحدث مقابل عاشوراء الحسين المقاتل القريبة منها، كيوم مقتل مصعب بن الزبير، وقد يضطر بعضهم إلى الإذن بها بعد ذلك، وهذا ظهر في القرن الرابع وما بعده، ففي حوادث سنة ٣٩٣هـ ذكر أن: (عميد الجيوش منع أهل الكرخ وباب الطاق في عاشوراء من النوح في المشاهد، وتعليق المسوح في الأسواق فامتنعوا، ومنع أهل باب البصرة وباب الشعير من مثل ذلك فيما نسبوه إلى مقتل مصعب بن الزبير بن العوام)[٤]، وفي حوادث سنة ٤٠٢هـ ذكروا أن: (أن فخر الملك أذن لأهل الكرخ وباب الطاق في عمل عاشوراء، فعلقوا المسوح، وأقاموا النياحة في المشاهد)[٥].

٣. تكثر الفتن بين السنة والشيعة، وتعظم الفتنة بين الطرفين فتتعطل المشاهد، ويكثر القتل، وقد تتعطل معها الصلوات والجمع، ومن ذلك ما جرى في مشهد الرضا بطوس، يقول

= بقوله: (العلويين العيّارين)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ٧/ ٥٠٤، فيظهر أنهم يتشكلون مع مصالحهم.

(١) المنتظم، ١٥/ ٢٢٢.

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ١/ ١٤٥، أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، المقريزي، ت/ ٨٤٥هـ، ت. د. جمال الدين الشيال، د. محمد حلمي محمد أحمد، ط١، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة.

(٣) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ٣/ ٢٠.

(٤) المنتظم، ١٥/ ٣٥، والبداية والنهاية، ١١/ ٣٧٣، في حوادث سنة ٣٨٩هـ.

(٥) المنتظم، ١٥/ ٨٢.

ابن كثير في حوادث سنة ٥١٠هـ: (وفي يوم عاشوراء وقعت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة بمشهد علي بن موسى الرضا بمدينة طوس، فقتل فيها خلق كثير)[١]، ويفصل قبله ابن الأثير فيقول: (في هذه السنة، في عاشوراء، كانت فتنة عظيمة بطوس، في مشهد علي بن موسى الرضا عليه السلام، وسببها: أن علويا خاصم في المشهد، يوم عاشوراء، بعض فقهاء طوس، فأدى ذلك إلى مضاربة، وانقطعت الفتنة، ثم استعان كل منهما بحزبه، فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طوس، وأحاطوا بالمشهد وخربوه، وقتلوا من وجدوا، فقتل بينهم جماعة ونهبت أموال جمة، وافترقوا؛ وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه، فبنى عليه عضد الدين فرامرز بن علي سورا منيعا يحتمي به من بالمشهد على من يريده بسوء، وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة)[٢].

٤. توسع الأمر في القرون المتأخرة زمن الدولة العثمانية، فدخل فيه التبرك بالأحياء في يوم عاشوراء، ومن ذلك: (المولى محيي الدين درويش محمد بن خضر شاه وكان من عادته أن يحلق رأسه في السنة مرة، واختار لذلك يوم عاشوراء وكان الناس يجتمعون في ذلك اليوم على بابه ويأخذون من شعره ويداوون به المرضى)[٣].

٥. أن هذا الأمر استقر في بعض النواحي على جعل يوم عاشوراء مشهودا عند الأضرحة والقبور، وخاصة قبور آل البيت، ولعل أبرزها ما نسب إلى الحسين، كقبره في كربلاء، ورأسه في القاهرة، والحال هذه تتضح في استفحال هذه الأعمال في الفترة المعاصرة، حتى عند غير الشيعة، ويتضح هذا في مثل الأسئلة الموجهة للعلماء ولجان الفتوى، ومنها ما جاء في هذا السؤال: (هناك أضرحة للأولياء تذبح فيها كل سنة في عاشوراء أكثر من ٤٠ رأسا من الغنم تقريبا، وأكثر من ١٠ أبقار تقريبا، يجتمع فيها بعض المسلمين المخرفين، يقرءون القرآن باسم الدعاء للأموات، ثم يأكلون هذه الذبائح، المطلوب من فضيلتكم أن تفتونا في هذه المشكلة

---

(١) البداية والنهاية، ١٢/ ٢٢١، وقال: (وفيها قتل صاحب مراغة في مجلس السلطان محمد، قتله الباطنية).

(٢) الكامل. ٨/ ٦١٧.

(٣) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص١٠٣، أحمد بن مصطفى بن خليل، عصام الدين طاشْكُبْري زاده، ت/ ٩٦٨هـ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، دار الكتاب العربي – بيروت.

مع الدليل؟)[1].

إذا كان ما سبق أغلبه في حال المنتسبين إلى السنة فإن حال المنتسبين إلى الشيعة أشد، وهم إلى الغلو في ذلك أسبق، وهو ما أنسوا منه وبه ومعه وجها لمشروعية أعمالهم، وعليه فقد تهيأ في هذا اليوم أن يكون شعارا لهم من جهة التعبد والتنسك عند مشاهد أئمتهم، وخاصة قبر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولما كان كثير من الطرفين يحيي ذكر أصحاب هذه المشاهد في اليوم الذي يوافق تاريخ ولادتهم برز مشهد الحسين على غير هذا النمط، فاحتفل فيه بيوم مقتله، وظهر في مناطق الصراع الطائفي، وهو في العراق أشد منه في القاهرة، لقلتهم فيها بعد سقوط دولة العبيديين، وقد يشرك يوم عاشوراء مع زيارة مشهد الحسين زيارة غيره من المشاهد، وشبيهاتها، ومن ذلك ــ أيضا ــ زيارة الحسينيات في هذا اليوم، وخاصة الكبير منها والقديم، وإشعال الشموع فيها، وتقديم النذور والعزاء، وهي وإن كانت في أصلها موضعا لإقامة العزاء والنوح إلا أنه أصبحت مع الزمن، ومع شيء من التخصيص، أصبحت مثل المقامات، بل مثل المشاهد أحيانا؛ وقد عرضت في الباب الثاني ما له علاقة مستقلة بعاشوراء في مبحث مستقل، ومنه التربة الحسينية الكربلائية التي أصبحوا يحملونها معهم للتعبد عليها، فأصبح ذلك وكأنه تأويل قولهم: (كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء)، فصار الأمر عندهم كله يوم عاشوراء.

أما الدعاء في هذه المشاهد ونحوها عند الإمامية فمنه دعاء عاشوراء، فأوردوه بصيغ متعددة، وسبق أنه يشتمل على سب الشيخين واللعن وعقائد الغلو، وباب الأدعية عموما لهم به عناية ظاهرة، توضح عنايتهم بزيارة القبور وأدعيتها، ومنها أدعية السجاد الذي شهد كربلاء، وهي صحيفة تشمل أربعة وخمسين دعاء جمعت باسم الصحيفة السجادية، ويسمونها زبور آل محمد[2]، وادعى بعضهم أن الأدعية نوع من عدم التقية، وهي متنفس آل البيت

---

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، عدد: ٢٨، ص٨٢، فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالرياض، فتوى برقم ٦٢٠٨.

(٢) سبق الحديث عنها ص٦٠٦ من البحث، وللدكتور ناصر القفاري حولها كتاب بعنوان: حقيقة ما يسمى بزبور آل محمد.

وشيعتهم، ومنها: دعاء عرفة، ودعاء الندبة، ودعاء العهد، ودعاء الناحية المقدسة، ومنها ـ أيضا ما يعرف بدعاء عاشوراء، وهو عبارة عن أدعية متكررة، وهذه الأدعية يكثر فيها الحزن والنوح، وهي مكذوبة، استحسنتها الأهواء فنسبوها إلى آل البيت، وهذه الأدعية بألفاظها هي صورة من صور كتب المقاتل، معدة بمقاطع مسجوعة يترسخ من خلالها للداعي عقائد الإمامية في حوادث أئمتهم ومصائبهم، وقد سبقت الإشارة إليها في مبحث بدع التعبد والتنسك عندهم، وأذكر تلخيصا لما جاء منها اختصارا، وذلك كما يلي:

١. أن كتب الزيارة، ومنها زيارة عاشوراء، ودعاؤها، وهي نموذج لبدع المشاهد في عاشوراء، وقد تكون أساساً لمناسك حج المشاهد والقبور.

٢. أن مسألة الدعاء ترتبط بمسألة القدر، والتي ضل فيها كثير من الخلق، ما بين مفرط ومفرط، والتبس عليهم المخرج منها، والذي يظهر لي من حال بعض نساكهم ومن له عناية بالأوراد والأدعية منهم، كابن طاووس وأمثالهم ممن لهم ميل إلى الطائفة الإخبارية، وتعظيم للنص الإمامي، ولكنهم مرتهنين بما استقر من مناهج متكلميهم العقلية في العدل والوعيد.

٣. أن حال هؤلاء أنهم يرون أن الأدعية في الزيارات والمواسم من جنس النياحة والجزع، ومن جنس قراءة قصة المقتل، والتي يقرؤونها من باب عرضها على عدل الله، ليثأر للحسين(١).

٤. أنه لا يتم حب آل البيت عندهم إلا بلعن الخلفاء والبراءة منهم، ومن أكبر شواهد ذلك دعاء صنمي قريش، الذي ينسبونه إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥. محاولة بعض المعاصرين حذف فقرة لعن الشيخين من دعاء عاشوراء، وإبطالها من كتب ونصوص: زيارة عاشوراء، وهذا النموذج المعترف به من التحريف كاف على أنها كلها محرفة، بل موضوعة، نسبوها إلى آل البيت طهرهم الله من كل إفك وباطل؛ ومع إقرار متأخريهم بهذا إلا أنهم فرحوا بها، وهي ـ ومثلها لقاءات المهدي ـ نالت مثل الأحاديث الموضوعة، التي تعلقت النفوس بها مع الزمن، وأصبحت من أصول مروياتهم.

---

(١) ينظر ص٥٣٢ من البحث.

٦. أنهم استحقوا بأدعيتهم وصف اللعانين والطعانين، لكثرة ما فيها من اللعن والطعن، وهو الوصف الممقوت في الشرع، كما أنه هو الوصف الذي مقتوا غيرهم لأجله.

٧. أنهم جمعوا بذلك بين زيارتين: الزيارة المشتملة على الشرك، والزيارة المشتملة على الجزع والنياحة، وهذا من خصائصهم.

بدع المشاهد والنياحة يراها بعض الإمامية وسيلة مهمة، لها غاية قد تمنع منها التقية، والغاية هي الخروج والظهور والثورة، والإمامية المعاصرة تفسر كل أحوال أسلافها وعبادتها حتى زيارة القبور بهذا المعنى، وأضرب لهذا مثلاً قد يعتبره البعض من دعاة التصحيح والاعتدال، وفي الحقيقة إنما يذكرنا بخوارج الشيعة الأوائل؛ فهذا موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح حين حديثه عن التقية، وحالها بعد عاشوراء، وعدم فهم الشيعة لحال الأئمة، ومنهم علي بن الحسين، وذكر أنهم لم يفهموا صلح الحسن ــ وهو الإمام الثاني للشيعة ــ، وقال: (كان أبعد الناس من التقية ومخادعة الناس، وصلحه مع معاوية يشهد بذلك، فصلح الحسن عمل ثوريّ، وخروج على الرأي العام المحيط بالإمام في عصره)(١).

يأتي بعد ذلك (دور الإمام الحسين، الذي ثار ضد يزيد بن معاوية، ولم يقبل بنصح أولئك الذين نصحوه بالبقاء في مدينة الرسول، ومنعوه من السير إلى العراق، وكل من يتابع الثورة الحسينية يعلم بوضوح أن شهادة الإمام الحسين وأولاده وأصحابه، وسبي أهل بيته؛ كانت كلها تتجسد أمام الحسين قبل المعركة، وكان يعلم بها علم اليقين، فَالحسين جمع أصحابه في ليلة العاشر من محرم، وقال لهم بأن غداً سيكون القتال، من شاء منهم...، فهل في مثل هذه الثورة تجد الشيعة أثراً للتقية، أو كل ما يمت إلى التقية بصلة؟)(٢).

ثم يأتي ـ عند الموسوي ـ دور الإمام علي بن الحسين، الملقب بالسجاد، وهو الذي عاصر ملحمة كربلاء، ولم يشترك بالقتال، وهو شاهدنا في بدع المشاهد وأثرها، فقال عن أدعيته: (إن من يقرأ هذه الأدعية يعلم علم اليقين كيف أن التقية كانت أبعد شيء إلى قلب السجاد،

---

(١) انظر: الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي، ص٥٤- ٥٦.

(٢) انظر: الشيعة والتصحيح، الموسوي، ص٥٤- ٥٦، والموسوي هنا يوافق طائفته على دعوى السبي المكذوبة.

فقد نسف الإمام في أدعيته تلك الخلافة الأموية الحاكمة، نصاً ومضموناً، إنها حقاً أدعية ثورية، صدرت من إمام شاهد أضخم الثورات الإسلامية حجماً، وأقلها زماناً، فإذا لم يستطع أن يشترك فيها بدمه فهاهو اشترك فيها بلسانه كالسيف البتار)[1].

الموسوي أراد أن يقرر نسبة تلك الأدعية المكذوبة إلى السجاد، وأن مراد السجاد بها الحث على الخروج، وأن ذلك لا يعد تقية منه، بخلاف ما فهم عنه في القرن الرابع وما بعده، ويطالب الموسوي العودة إلى مفهوم الخروج على الأمة من خلال هذه الرؤية والرسالية، ومن تلك الأدعية؛ ومع كل ذلك فنجد الموسوي ــ المعتدل! ــ يصف أهل السنة من سكان مدينة أصفهان، قبل تشييع الصفويين لها، بأنهم كانوا من الخوارج![2]، ومبرر وصفهم بذلك أنهم كانوا لا يسبون الشيخين؛ والغريب مع ذلك أن يظن كثيرون بمثل كتابات الموسوي تصحيحاً، وأن يظن أنه أخف من غيره، وأن يضرب نموذجاً للاعتدال والتصحيح[3].

المشاهد والمراقد ــ وخاصة مشاهد الحسين ــ تحظى بأهمية إعلامية، أبان كثير من كتاب الإمامية عن أهمية دورها السياسي، والتعبوي الجماهيري[4]، وهذا ما يجعل عاشوراء وشعائرها الإمامية تحظى بأهمية من جهة الدعاية للمذهب، هذا فضلاً عن كون بدع المشاهد تحظى الشيعة فيها بقدم سبق.

❁❁❁❁❁❁

---

(١) انظر: الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي، ص٥٤- ٥٦.

(٢) انظر: الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي، ص٧١.

(٣) على سبيل المثال انظر: مجلة البيان، عدد: ٩٤، ص٩٠، مقال: (خطر.. على أرض الكنانة!)، أحمد العويمر، المنتدى الإسلامي – لندن؛ وفكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة، ص٧٤، د. علي بن محمد الصلابي، ط١، ١٤٢٩هـ، دار الأندلس- القاهرة.

(٤) انظر: تاريخ المراقد، ١/ ٢٢- ٢٣، محمد صادق محمد الكرباسي، ط١، ١٤١٩هـ، المركز الحسيني للدراسات – لندن؛ وهو ضمن دائرة المعارف الحسينية.

المبحث الثاني

الفرح والحزن في عاشوراء (التقابل الطائفي)

وفيه:

مـــــــــدخل.

المطلـــــب الأول: أحاديث التوسعة والسرور في عاشوراء.

المطلـــب الثـــاني: وقائع مشتركة لتحري عاشوراء بالفرح والحزن.

المطلـــب الثالـــث: واقع الفرح في عاشوراء عند بعض جهلة أهل السنة.

مدخــل

بعـد أن عرضـت بعـض الآثـار المشـتركة مـن خـلال مرويـات عاشـوراء في جوانـب التعبد بالصوم والصلاة والدعاء وغيرهما من أعمال عاشوراء؛ فإني أعرض هنا لجانب آخر من هذه الآثار، وقد يكون أهم مما سبق، لتعلقه بتهمة النصب، وكونه شعاراً لمن التزام فعله، وقد يؤول عند البعض إلى التعبد به، كشعار العيد المشروع، ولأن هذه الآثار ليس للتعبد بها مستند صحيح أفردتها بحديث يخصها، بذكر مروياتها، وواقعها العملي عبر التاريخ، والذي يصور صور التقابل بين الإمامية ومخالفيهم من السنة والمنتسبين إليها، والتي هي صور تتجدد في عاشوراء وغيره من أيام الشيعة مواسمهم، كيوم الغدير مثلاً، والذي هو تعبير عن فرح وسرور لهم بعقيدتهم وبدعتهم الكبرى، التي يعتقدون أنه في ذلك اليوم اكتمل الدين، ويصومونه شكراً، كما يصلون فيه صلوات وأدعية وزيارات خاصة، ويصحبها أنواع من الفرح والسرور والتوسعة؛ كما أن هذا الجهل والابتداع قوبل من جهلة أهل السنة في مقابلة، وفيما يناسب مواقيتها، والذي يعنينا منها ما كان في يوم عاشوراء، وهذا الجانب يبرز أثر الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والتي تجاوزها الجهلة إلى التشبه والابتداع، وقد رصدت ثلاثة مظاهر لأهل السنة في بيئات مختلفة، لكي تتضح أن الجهل سبب من أسباب البدع.

المطلب الأول

أحاديث التوسعة والسرور في عاشوراء

بدع الفرح والتوسعة والسرور في عاشوراء مرتبطة من وجه بأعمال التعبد المحدثة، إذ هي تشاركها في الباعث على تعظيم اليوم، ولكنه تعظيم من جنس تعظيم اليهود لهذا اليوم، واتخاذه عيدا، ولكن مدار الأمر: هل نهينا عن الفرح والتوسعة في خصوص عاشوراء، أو أمرنا بشيء منه، أو هو مسكوت عنه، ولا يتحرج في شيء منه إلا من جهة عموم المشابهة لأهل الكتاب ـ إن ثبت أنهم اتخذوه عيدا، ويوم فرح وسرور ـ؛ وهذا يدعوني إلى الحديث عن الأحاديث التي يعتمد عليه من يرى التوسعة في هذا اليوم، وأهم ما أشكل منها هما أحاديث التوسعة، وأحاديث الاكتحال، والتي كان عليهما مدار وصف رواتها وأهل السنة ــ كذلك ــ بالنصب والعداوة لآل البيت.

١. التوسعة على العيال:

التوسعة في عاشوراء روي فيه أحاديث مرفوعة وموقوفة(١)، نسبت إلى عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مرفوعة، فرويت عن:

أ- ابن مسعود(٢).

---

(١) انظر: الأمالي المطلقة، لابن حجر، ص٢٩، وذكر قول العقيلي: (لا يثبت عن النبي ﷺ في هذا الباب حديث مسند وإنما هو في حديث مرسل من رواية إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن النبي ﷺ).

(٢) المعجم الكبير، للطبراني،، ح/٥١٣٧، وشعب الإيمان، ٥/ ٣٣١، ح/ ٣٥١٣، وفضائل الأوقات، للبيهقي، ص٤٥٢، ح/ ٢٤٤، وأبو الشيخ، كما ذكره الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية، ١١/ ٢٨٠، مرفوعا، ونبه الهيثمي إلى تفرد هيصم عن الأعمش، وقال الهيثمي: (وفيه الهيصم بن الشداخ، وهو ضعيف جدا)، مجمع الزوائد، ٣/ ١٨٩؛ وقال ابن حجر: (حديث ابن مسعود: غريب)، الأمالي المطلقة، ص٢٩، وهذا سيرد في كلام ابن الجوزي التالي؛ كما أن في علة أخرى، وأن الهيصم يرويه عنه علي بن مهاجر البصري، وهو مجهول، وحكم الذهبي على حديثه بأنه موضوع، أما الذهبي فرفع جهالة الراوي، وذكر أنه هو علي بن مهاجر (أبي طالب) البزار البصري، وأنه مختلف فيه، وأكثرهم يذكره في الضعفاء، وكأن ابن حجر مال إلى عدم ضعفه، خاصة في هذا الموضع، لتقويه بشواهد أخرى على التوسعة، ولكن هذا لا يسلم، لوجود تفرد =

ب- أبي سعيد الخدري[١].

ت- أبي هريرة[٢].

ث- جابر[٣].

=

الهيصم، وللضعف الشديد في الشواهد، انظر: ميزان الاعتدال، ٣/ ١٥٨.

(١) المعجم الأوسط، للطبراني،، ح/٥١٣٦، وشعب الإيمان، ٥/ ٣٣١، ح/ ٣٥١٣، ٣٥١٤، وفضائل الأوقات، للبيهقي، ص٤٥٣، ح/ ٢٤٥، قال الهيثمي: (وفيه محمد بن إسماعيل الجعفري قال أبو حاتم: منكر الحديث)، مجمع الزوائد، ٣/ ١٨٩، وابن حجر في: الأمالي المطلقة، ص٢٨، نص على تفرد الجعفري، وذكر له طريقا عند ابن أبي الدنيا عن أبي سعيد، وإذا كان ابن حجر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- نص على تفرد الجعفري فإنه تفرد به عن متروك، وهو: عبد الله بن سلمة الربعي، وذكر ابن حجر أن أبا زرعه ضعفه (متروك)، وكأن ابن حجر لا يوافقه، حيث النكارة في قوله: (والحصر المذكور مردود)، أي أن حديث أبي سعيد فيه: (وسع الله عليه سنته كلها)، وكأن ابن حجر يقتصر على الإطلاق: (وسع الله عليه)؛ ثم ذكر أنه وقع الحديث من طريق آخر، ويظهر أنه من دون الحصر، وهو من طريق ابن أبي الدنيا، وفيه رجل مبهم، وأنه به أعل الزيادة في الطريق الأول، ولكن يتوافقان في الإطلاق، وتقويان على هذا الوجه، وأرى أن هذا تساهل في القبول من ابن حجر؛ وانظر: ميزان الاعتدال، ٢/ ٤٣١، ولسان الميزان، ٥/ ٧٨، وذكر أن الجعفري من نسل ابن الحنفية.

(٢) شعب الإيمان، ٥/ ٣٣١، ح/ ٣٥١٢، وفضائل الأوقات، للبيهقي، ص٤٥٣، ح/ ٢٤٥، وهو أطولها، ومن أشدها نكارة، وغرابة، ورد عليه ابن الجوزي بنقض عقلي، وأنكره -أيضاً- ابن تيمية، ووافقهما العراقي، لشدة نكارته، رغم أن العراقي يستقوي ببعض أجزائه.

(٣) شعب الإيمان، ٥/ ٣٣١، ح/ ٣٥١٢، وضعف إسناده، وفضائل الأوقات، للبيهقي، ص٤٥٣، ح/ ٢٤٥، والاستذكار، لابن عبدالبر، ٣/ ٣٣١، وقال: (قال جابر جربناه فوجدناه)، ويرويه الفضل بن الحباب، ويرويه عنه ابن الأحمر محمد بن معاوية، والكلام فيهما، قال الحافظ ابن حجر: (منكر جدا، ورجاله موثوقون، والظاهر أن الغلط فيه من أبي خليفة الفضل بن الحباب، فلعل ابن الأحمر سمعه منه بعد احتراق كتبه، والله أعلم)، والترغيب والترهيب، لقوام السنة، ٢/ ٤٠٣، ح/ ١٨٧٤، والأمالي المطلقة، لابن حجر، ص٢٨، ولسان الميزان، ٤/ ٤٣٩- ٤٤٠، و التوسعة على العيال لأبي زرعة، وقال: (هذا ما وقع لنا من الأحاديث المرفوعة في الباب، وأصحها حديث جابر من الطريق الأول)؛ كما أن فيه عنعنة أبي الزبير(محمد بن مسلم المكي) عن جابر، وفيها خلاف، ردها ابن حزم، وتعقبه الحافظ العراقي؛ فيرى الحافظ العراقي أن إسناد حديث جابر هو أقوى أسانيد أحاديث التوسعة المرفوعة، وأنه فات البيهقي، ولو وقف عليه لقواه أكثر مما قواه؛ والفضل بن الحباب الجمحي قاضي البصرة، المعمر (٢٠٦- ٣٠٥هـ) من شيوخ ابن حبان في صحيحه، والطبراني في معاجمه، وروى عنه لعن أم سلمة لأهل العراق حين قتل الحسين، وهو مختلف فيه، =

ج- ابن عمر[1].

ح- عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، موقوفا[2].

كل هذه الأحاديث ضعيفة متهالكة الأسانيد؛ ومثلها المقطوع، وهو ما روي بلاغا، عن محمد بن المنتشر[3]، وهو أشهرها وأصحها؛ فما روي مقطوعا عن ابن المنتشر عليه مدار الكلام في هذه المسألة عند بعض أهل العلم.

أورد ابن الجوزي في الموضوعات بإسناده إلى أن قال: (...حدثنا هيصم بن شداخ عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته**»)[4]، وذكر ابن الجوزي أن علته: هيصم ابن شداخ، وهو مجهول، وحديثه غير محفوظ، وأنه ــ كما قال ابن حبان ــ: (يروي الطامات، لا يجوز الاحتجاج به)[5]، وفيه رواة غير من ذكر اختلف فيهم؛ كما أن للحديث الشواهد المذكورة،

=

انظر: سير أعلام النبلاء، ١٤/٧- ١١، وقال عنه: (الإمام، العلامة، المحدث، الأديب الإخباري، شيخ الوقت)، وذكر أنه أخطئ فيه فقيل رافضي بدل ناصبي، فهو بصري، ولانتخابه شعر عبدالرحمن بن ملجم.

(١) أطراف الغرائب والأفراد، للدارقطني، ت/ ٣٨٥هـ، ٣/ ٣٧٠، ح/ ٢٩٤٨، ترتيب: محمد بن طاهر المقدسي، ابن القيسراني، ت/ ٥٠٧هـ، ت. محمود محمد نصار، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية – بيروت؛ وضعفه الدارقطني بقوله: (غريب من حديث سالم عن أبيه، وإنما يروى هذا عن (الركين) بن عيينة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر من قوله، ويعقوب بن جبر الدباغ، رواه عن ابن عيينة عن الزهري عن سالم وهو ضعيف الحديث)، والكلام يظهر منه أن الدباغ قلب أسانيده، وفي اسمه ذكر: (يعقوب بن خرة) وهو شيخ من فارس، وانظر: العلل المتناهية، لابن الجوزي، ٢/ ٦٢- ٦٣، ونقل عن الدارقطني أنه حديث منكر، والعراقي ذكر أن حديث ابن عمر له طريق آخر، ولكن فيه مجاهيل، وهو من طريق الإمام مالك بن أنس، ولا يصح عنه، وأشار إليه السيوطي، اللآلي المصنوعة، ٢/ ٩٦.

(٢) الاستذكار، لابن عبدالبر، ٣/ ٣٣١، وقال: رجاله ثقات إلا أنه من رواية ابن المسيب عن عمر وقد اختلف في سماعه منه.

(٣) شعب الإيمان، ٥/ ٣٣٤، ح/ ٣٥١٦، عن ابنه إبراهيم.

(٤) الموضوعات، ٢/ ٢٠٣، تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢/ ١٥٧.

(٥) الموضوعات، ٢/ ٢٠٣، تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢/ ١٥٧.

عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومثله حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وغيره؛ وهي واهية وضعيفة كذلك[1]؛ بل طعن العلماء في المنسوب إلى أبي هريرة بما يشبه أنها من وضع الزنادقة، وأنها في مدخل في حديث من يروي عنه من مشاهير الرواة المجروحين، أو المختلف فيهم، كابن أبي الزناد، عبدالله بن ذكوان، حتى عن ابن أبي حاتم أنه قال: (فلعل بعض أهل الزيغ والإلحاد قد أدخله في حديثه)[2].

أما الخبر الذي يروى بلاغاً ـ كما يروى مرفوعا فمثل حديث ابن مسعود، ولفظه: «**من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته**»، كما يروى معه أن قول: (جربناه من ستين سنة فوجدناه صحيحا)[3]، يرويه سفيان بن عيينة وغيره عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، أو عن أبيه[4]، وهو حديث موضوع باطل، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وأنه

---

(١) انظر: العلل المتناهية (في الأحاديث الواهية)، ٢/ ٦٢، أبو الفرج ابن الجوزي، ت/ ٥٩٧هـ، ت. إرشاد الحق الأثري، ط٢، ١٤٠١هـ، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد – باكستان؛ والموضوعات، ٢/ ٢٠٠- ٢٠١، وقال ابن الجوزي عن حديث أبي هريرة: (هذا حديث لا يشك عاقل في وضعه، ولقد أبدع من وضعه، وكشف القناع، ولم يستح، وأتى فيه المستحيل، وهو قوله: وأول يوم خلق الله يوم عاشوراء، وهذا تغفيل من واضعه، لأنه إنما يسمى يوم عاشوراء إذا سبقه تسعة،...، وهذا مخالف لأصول الشرع، ولو ناقشناه على شيء بعد شيء لطال، وما أظنه إلا دس في أحاديث الثقاة، وكان مع الذي رواه نوع تغفل، ولا أحسب ذلك إلا في المتأخرين)، ووافقه ابن تيمية والعراقي على هذا النقد.

(٢) التوسعة على العيال، لأبي زرعة، (مخطوط)، ولفظه في الموضوعات: (فلعل بعض أهل الهوى)، وهي أخف من العبارة المذكورة: (فلعل بعض أهل الزيغ والإلحاد)، انظر: العلل المتناهية، لابن الجوزي، ٢/ ٦٢، والموضوعات، ٢/ ٢٠٢.

(٣) الاستذكار، لابن عبدالبر، ٣/ ٣٣١، من حديث شعبة عن أبي الزبير عن جابر، فذكره ثم قال: (قال جابر جربناه فوجدناه كذلك)، وقال أبو الزبير مثله، وقال شعبة مثله، وكذلك يحيى بن سعيد، وسفيان بن عيينة.

(٤) انظر: تاريخ أصبهان، ٢/١٣٢، رقم: ١٣٠٢، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ٤٣٠هـ، ت. سيد كسروي حسن، ط١، ١٤١٠ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت؛ أورده أبو نعيم من إسناد أبي العباس (القاسم بن عبد الوهاب الباطرقاني، ثنا عقيل بن يحيى، ثنا سفيان بن عيينة، حدثني جعفر الأحمر الكوفي، عن إبراهيم بن محمد)، والبيهقي أوده من طريق الحاكم عن شاذان عن جعفر الأحمر، من دون سفيان، فقال: (أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا شاذان، أخبرنا =

من صنع القصاصين[١]، وقد (سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث، فقال: لا أصل له)[٢]؛ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قلت: ومحمد بن المنتشر هذا من فضلاء الكوفيين، لكن لم يكن يذكر ممن سمعه ولا عمن بلغه؛ ولا ريب أن هذا أظهره بعض المتعصبين على الحسين، ليتخذ يوم قتله عيدا، فشاع هذا عند الجهال المنتسبين إلى السنة، حتى روي في حديث: أن يوم عاشوراء جرى كذا وجرى كذا، حتى جعلوا أكثر حوادث الأنبياء كانت يوم عاشوراء، مثل مجيء قميص يوسف إلى يعقوب، ورد بصره، وعافية أيوب، وفداء الذبيح، وأمثال هذا...، وإلا فالحديث مخالف للشرع والعقل، لم يروه أحد من أهل العلم المعروفين في شيء من الكتب، وإنما دلس على بعض الشيوخ المتأخرين)[٣].

علماء أهل الحديث لهم حول حديث التوسعة على العيال في يوم عاشوراء ثلاثة اتجاهات، وهي كما يلي:

أ- من حسنه أو قواه بمجموع طرقه: فمن الرواة سفيان بن عيينة، وأبي الزبير، وشعبة، ويحيى بن سعيد، ومحمد بن المنتشر، فنقل عنهم أنه أمر مجرب[٤]، وقبلهم نسب إلى جابر

=

جعفر الأحمر، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، قال: "كان يقال: من وسع على عياله يوم عاشوراء لم يزالوا في سعة من رزقهم سائر سنتهم"، "وأما الاكتحال يوم عاشوراء فإنما روي في ذلك بإسناد ضعيف بمرة")؛ شعب الإيمان (٥/ ٣٣٤، ح/ ٣٥١٦.

(١) الموضوعات، ١/ ٤٤.

(٢) منهاج السنة، ٨/ ١٤٧.

(٣) منهاج السنة، ٨/ ١٤٩- ١٥٠، وفي مخطوط التوسعة على العيال، ينقل الحافظ العراقي كلاماً لابن تيمية من فتوى له لم أقف عليه بنصها في كتب ابن تيمية المطبوعة، ولا أعرف هل استدركها أحد على كتبه، وهي تشبه سائر كلامه حول هذا الحديث، وموافق لرأي ابن الجوزي، وفتواه حول حديث أبي هريرة الطويل، ووافق العراقي ابن تيمية وابن الجوزي على طعنهما فيها، وأن الرواية موضوعة.

(٤) انظر: الاستذكار، لابن عبدالبر، ٣/ ٣٣١، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ١١/ ٢٨٠، محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي، ت/ ١١٢٢هـ، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية – بيروت؛ ويفهم من كلام الزرقاني أن ابن حجر يقويه، وقال: (وذلك أن الله سبحانه أغرق الدنيا بالطوفان فلم يبق إلا سفينة نوح بمن فيها، فرد عليهم دنياهم يوم عاشوراء، وأمروا بالهبوط للتأهب للعيال في أمر معاشهم، بسلام =

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، ومن أئمة الجرح والمصنفين: ابن حبان[٢]، والبيهقي[٣]، والحافظ محمد بن ناصر في جزء عاشوراء، والحافظ العراقي[٤]، وابن حجر[٥]، والسيوطي[٦]، وابن ناصر الدمشقي[٧]، والزرقاني[٨].

ب- ممن أنكره وحكم عليه وعلى أحد رواته بالوضع: أحمد، والحاكم[٩]، =

=

وبركات عليهم وعلى من في أصلابهم، فكان ذلك يوم التوسعة، والزيادة في وظائف المعاش، فيسن زيادة ذلك في كل عام ذكره الحكيم الترمذي، وذلك مجرب للبركة والتوسعة).

(١) سبق تخريجه قريباً ص١٠٦٠ من البحث.

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة، ابن عراق، ٢/ ١٥٧، ونقل عن ابن حبان في الثقات أنه حسن بعض رواته.

(٣) شعب الإيمان، ٥/ ٣٣١، ٣٣٣ ح/ ٣٥١٢، ٣٥١٥، وفضائل الأوقات، للبيهقي، ص٤٥٣، ح/ ٢٤٥، والبيهقي أخرجه من حديث أبي هريرة وجابر وقال: (أسانيده كلها ضعيفة، ولكن إذا ضم بعضها إلى بعض أفاد قوة، والله أعلم)، وانظر: الأمالي المطلقة، لا بن حجر، ص٣٠.

(٤) تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢/ ١٥٧، وذكر ابن عراق أن الحافظ العراقي يقويه،، وأنه في أماليه: قواه، لأنه ورد من طرق صحح بعضها الحافظ ابن ناصر، ولأن الحديث حسن على رأي ابن حبان، ولأن الحديث له طرق إذا ضم بعضها إلى بعض تقوت، كما استنكر واستعجب العراقي قول ابن تيمية: (إن حديث التوسعة ما رواه أحد من الأئمة، وإن أعلى ما بلغه فيه قول ابن المنتشر)، ولذا قام بجمع طرقه في جزء.

(٥) انظر: اللآلىء المصنوعة، ٢/ ٩٥.

(٦) انظر: اللآلىء المصنوعة، ٢/ ٩٣- ٩٥، ونقل كلام العراقي كالمقر له، وقال بعد أن نقل ما يستحضر من كلامه: (وقد وقفت على هذا الجزء قديما من أكثر من ثلاثين سنة وليس هو الآن حاضرا عندي فأتتبع طرقه).

(٧) انظر: اللفظ المكرم، ص٤٣.

(٨) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ١١/ ٢٨٠.

(٩) المشهور أن الحاكم يضعف غير حديث الصوم، ونصه في الاكتحال، ويظن أنه يضعف حديث التوسعة، ولكن الزبيدي صاحب تاج العروس يقول: (وقد روي في كل ذلك أحاديث لكي نقل المجد اللغوي عن الحاكم أن سائر الأحاديث الواردة في يوم عاشوراء سوى التوسعة والصوم باطلة موضوعة)، وهذا في نسخة عن مخطوطة منشورة غير محققه من جزءه: الأمالي، لمرتضى الزبيدي، ص١٤؛ وابن الجوزي في العلل المتناهية؛ أما في الموضوعات، ٢/ ٢٠٥، عند ذكر حديث التوسعة نص على طعن الحاكم على حديث الاكتحال، وأنه موضوع، ولم يطلق العبارة في التوسعة وغيرها، وابن الجوزي لم ينقل عن الحاكم كلاماً حول التوسعة، فما أدري من أين نقل عن الحاكم في التوسعة؟ ومثله ما نقله الدميري في حياة الحيوان، ٢/ ٨٥، قال عند حديث الصرد: (وكذلك أخرجه الحافظ أبو موسى، والحديث مثل اسمه غليظ، قال الحاكم: وهو من الأحاديث =

وابن الجوزي(١)، وابن تيمية(٢)، وابن القيم(٣)، والذهبي، والمجد اللغوي، وعبدالحي اللكنوي(٤)، والمعلمي(٥)، والألباني(٦).

ت- من ضعفه من دون الجزم بوضعه، أو سكت عنه ــ وربما مع تجويز الحديث الضعيف في هذا الباب: كالسخاوي(٧)، والفتني الهندي(٨)، والملا علي قاري، وقال: (فينبغي لمن

التي وضعها قتلة الحسين رضي الله عنه، رواه عبد الله بن معاوية بن موسى عن أبي غليظ)، ونقله الشوكاني من غير تعقيب، الفوائد المجموعة، ص٩٨، فلعل عبارة الحاكم في حديث الاكتحال حملت على غيره توسعاً، خلافاً لما ذكره المجد اللغوي.

(١) الموضوعات، ٢/ ٢٠٣، ١/ ٤٤، وتنزيه الشريعة المرفوعة، ٢/ ١٥٧.

(٢) انظر: منهاج السنة، ٨/ ١٤٩- ١٥٠، ومجموع الفتاوى، ٢٥/ ٣٠٠، ٣١٢.

(٣) انظر: المنار المنيف (في الصحيح والضعيف)، ص١١١، ابن قيم الجوزية، ت/ ٧٥١هـ، ت. عبد الفتاح أبو غدة، ط١، ١٣٩٠هـ، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، وابن القيم حكم على عموم أحاديث الصوم بالوضع، وذكر أن أمثلها حديث التوسعة، واختار رده.

(٤) انظر: الآثار المرفوعة، ص٩٧، وإن كانت عبارة صريحة في عدم الصحة والثبوت، لا الوضع، لكنه ذكره ضمن كتابه في الموضوعات، ونص أنه لم يصح إلا حديث الصيام، وما سواه فباطل، ولكنه عند التفصيل يذكر عن بعض الأحاديث حكماً دون الوضع.

(٥) الفوائد المجموعة، ص١٠٠، علق المعلمي على تقوية الطرق بعضها لبعض، فقال: (بل يوهن بعضها بعضاً).

(٦) الألباني، وقد تتبع طرقها، وقال: (هذا؛ وإن مما يؤكد قول الذهبي هذا وغيره ممن قال بنكارته ووضعه أنه - مع شدة ضعف أسانيده - لم يكن العمل به معروفاً عند السلف، ولا تعرض لذكره أحد من الأئمة المجتهدين، أو قال باستحباب التوسعة المذكورة فيه، بل قد جزم بوضعه شيخ الإسلام ابن تيمية في "فتاويه"، وهو من هو في المعرفة بأقوالهم ومذاهبهم، وأن العمل به بدعة - كاتخاذه يوم حزن عند الرافضة -؛ بل إنه نقل عن الإمام أحمد أنه سئل عن هذا الحديث؟ فلم يره شيئاً...)، انظر: السلسلة الضعيفة والموضوعة، ١٤/ ٧٣٨، رقم: ٦٨٢٤، وتمام المنة (في التعليق على فقه السنة)، ص٤١٢، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ت/ ١٤٢٠هـ، ط٥، دار الراية- الرياض.

(٧) المقاصد الحسنة (في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة)، ص٦٧٤، ح/ ١١٩٣، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت/ ٩٠٢هـ، ت. محمد عثمان الخشت، ط١، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي – بيروت؛ ويفهم من صنيع الفتني في تذكرة الموضوعات، ١/ ١٠٤، أن السخاوي، يحسن الحديث.

(٨) تذكرة الموضوعات، ١/ ١٠٤.

يكتحل يوم عاشوراء أن يكون تبعا للحديث، لا لإظهار الفرح والحزن، كما هو طريق الخوارج المضادة للروافض)[1]، وممن يشبه هذا الصنيع: القسطلاني[2]، والشوكاني[3].

هذا حال أحاديث التوسعة عند أهل السنة؛ أما الإمامية فإنها تجزم بضعف هذه الأحاديث وبطلانها، بل يظهر أنها بادرت إلى محاربة هذه الأحاديث بطريقتين:

الطريقة الأولى: وضع أحاديث مشابهة لها، لكن لقصد التفرغ للحزن والحداد، وأنه يعوض عن كل بركة ترجى، ومن ذلك ما ينسبونه لعلي بن موسى الرضا ـ رضي الله عنهما ـ: (من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبة وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرت بنا في الجنان عينه، ومن سمى يوم عاشوراء يوم بركة، وادخر فيه لمنزله شيئا لم يبارك له فيما ادخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد ــ لعنهم الله ــ إلى أسفل درك من النار)[4].

ربما كان المقصد من ذلك عند أسلاف الإمامية هو التفرغ عن الانشغال بالرزق، أو بالعبادة، ومنع الادخار، والدعوة إلى جمع الأموال عند الإمام ودعاته، والتفرغ لذلك، للتقوي بها على الخروج إن صدر الأمر به في ذلك اليوم، لأنه مظنة ظهور الإمام، وتركه التقية، أو انتظار رجعة أحد الأئمة السابقين[5]، كعلي رضي الله عنه، أو الحسين رضي الله عنه؛ ونسبة الخبر

---

(١) انظر: الأسرار المرفوعة، ص٤٧٤- ٤٧٥، وقوله: (كما هو طريق الخوارج)، لعله يقصد النواصب.

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ٣/ ٤٣٦، أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني، ت/ ٩٢٣هـ، المكتبة التوفيقية. القاهرة.

(٣) انظر: الفوائد المجموعة، ص٩٨- ١٠٠، ولم يجزم بحكم، وفي السياق ما يوهم بميله لصنيع السيوطي.

(٤) أمالي الصدوق، ص١٩١، لابن بابويه القمي الصدوق، ت/ ٣٨١هـ، ١٤١٧هـ، مؤسسة البعثة – قم؛ وانظر: علل الشرائع، ٢/ ٢٢٧، وعيون أخبار الرضا، ٢/ ٢٦٧، وإقبال الأعمال، ٣/ ٨٢، وبحار الأنوار، ٤٤/ ٢٨٣- ٢٨٤، ٩٨/ ١٠٢، ٣٤٣.

(٥) القول بالرجعة تتجد عند الشيعة، وقد سبق ص٩٤٨- ٩٦٥ من البحث أن جمعاً من الإخباريين والمحدثين الشيعة، والذي رووا أحاديث عاشوراء، في الصوم وغيره، كالتوسعة؛ أنهم يعتقدون بالرجعة، وأنهم قد خالطهم أهل السنة، ورووا أحاديثهم وأخبارهم، بل ربما بعضهم من وثقوه في حديثه وروايته، حتى في =

إلى الرضا يشير إلى المنتسبين إليه من الغلاة ربما رأوا في زمنه، أو بعده ضعف همة الشيعة عن الخروج وجمع المال، فوضعوا هذا الخبر؛ وهذا مما يشير إلى أن الإشكال من الشيعة حول عاشوراء يؤرخ ظهوره وانتشاره بما بعد الرضا، أي في بداية القرن.

أما الطريقة الثانية، وهي من غرائب الإمامية، أنها تنبأت بوضع الأحاديث قبل وضعها!، فوضعت أثرا يخبر بأن أهل السنة في مستقبل الأيام سيضعون حديثا في التوسعة يوم عاشوراء، وتضمنت هذه الرواية ذكر ما سيذكره أهل السنة، ذكر هذه الرواية ابن بابويه القمي، وفيها عن ميثم التمار قال: (والله لتقتلن هذه الأمة ابن نبيها في المحرم، لعشر مضين منه، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وأن ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم بذلك بعهد عهده إلي مولاي أمير المؤمنين "ع"، قالت جبلة: فقلت: يا ميثم، وكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي يقتل فيه الحسين بن علي "ع" يوم بركة؟ فبكى ميثم، ثم قال: سيزعمون بحديث يضعونه أنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم "ع"، وإنما تاب الله على آدم في ذي الحجة...)(١).

من أعاجيب هذه الرواية التي أحييت متأخراً أنه ذكر فيها أن (يوم فلق البحر كان في شهر ربيع الأول)؛ وعلى مثل هذا اتكأ جعفر العاملي في أن السنة الهجرية تبتدئ من شهر ربيع الأول(٢)، خلافا لسنة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في محرم؛ وإذا ثبت أن اليهود كانوا صائمين يوم قدوم

=

الأحكام، كعباد بن يعقوب الرواجني، وأخرج له المحدثون، مع قوله بالرجعة، وسبه لمعاوية، وكان أعمى، ويدخر سيفاً ليقاتل مع المهدي، وهذا مما يدل على القول بالرجعة، أو ترقب الظهور ليس من خصائص غلاة الشيعة، ومثل عباد محمد بن إبراهيم بن ميمون، وسبق ذكره في الموضع الذكور.

(١) أمالي الصدوق، ص١٨٩- ١٩٠، وأتى القمي في هذا الخبر على ذكر: سفينة نوح، واليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل، وتوبة داود، وإخراج يونس من بطن الحوت، وإنما أخرجه الله من بطن الحوت في ذي القعدة.

(٢) انتصر لهذا القول في كتابه: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ٤/ ١٧٤- ٢٠٧، جعفر مرتضى العاملي، ط٤، ١٤١٥هـ، دار الهادي، دار السيرة - بيروت؛ كما أنه في ٤/ ١٨٠- ١٨١، جزم بأن من أول من أرخ بالهجرة علي، وأنه كان يرى أن تبتدئ السنة بربيع الأول، لا بمحرم -كما كان عند أهل الجاهلية!، ولكن السؤال: هل =

الرسول ﷺ المدينة في ربيع الأول؛ فيلزم على هذا أن الإمامية ستوافق اليهود في صنيعهم، وليس ـ عندهم ـ في ذلك حرج وعيب؛ لكنها حين تتلمس شيئا من ذلك عند المنتسبين للسنة فإنها ترفع اسم النصب شعاراً لهم، بل تلزمهم بالتبعية ليزيد وبني أمية، ويستعينون بكل ما يقفون عليه من كلام غيرهم من الشيعة، كالمقريزي العبيدي[1]، أو ممن لمسوا منه تشيعا وميلاً، كأبي الريحان البيروني المؤرخ[2]، وهذا هو متعلق وصفهم للوضاعين بالنواصب.

بعض الإمامية المعاصرة لم يخف استغرابه وتعجبه مع كل هذا أن يجد عدوهم اللدود من أهل السنة ـ وهو ابن تيمية ـ يهاجم هذه الأحاديث الموضوعة، بل ويتصدى لأقسى الأحكام

=

لهم دولة معتبرة؟!؛ ومما قال العاملي: (وسيأتي قوله: "ص" "يقتل الحسين على رأس ستين من مهاجري"، وثمة روايات أخرى قريبة من هذا المضمون تدل على أن رأس السنة الهجرية قد كان شهر ربيع الأول، لأن الحسين إنما قتل سنة إحدى وستين، على تقدير كون أول السنة هو محرم، وهو في أواخر سنة ستين على تقدير كون أول السنة هو ربيع الأول،...، ولا يفوتنا أخيرا التنبيه: على أن جعل علي "ع" اليوم الذي ولج فيه النبي "ص" المدينة مبدأ للتاريخ، ربما يؤيد قول من قال: إنه "ص" دخلها في أول يوم من ربيع الأول...، فإن ما يهمنا هنا: هو البحث عن أول من أرخ بالسنة الهجرية، وقد قلنا: إننا نعتقد: أن النبي "ص" كان أول من أرخ بالهجرة، الموافقون على هذا الرأي،... وقال الصاحب بن عباد: " ودخل المدينة يوم الاثنين لاثني عشرة خلت من ربيع الأول، وكان التاريخ من ذلك، ثم رد إلى المحرم "،...)؛ وهذا التلبيس من العاملي موجود عند غيره من المعاصرين، مما يعني أنه يحتاج إلى عناية وضبط حتى ينتشر تلبيسهم بين المسلمين؛ وراجع ص٨٦٨- ٣٦٩، ١٠٣٠- ١٠٣٩ من البحث.

(١) خطط المقريزي، ٢/ ٤٣٧، وقال: (فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء، يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، ويتبسطون في المطاعم، ويصنعون الحلاوات، ويتخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون، ويدخلون الحمام جريا على عادة أهل الشام التي سنّها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان، ليرغموا بذلك آناف شيعة عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وجهه، الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء، وحزن فيه على الحسين بن عليّ، لأنه قتل فيه، وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء، يوم سرور، وتبسط وكلا الفعلين غير جيد، والصواب ترك ذلك، والاقتداء بفعل السلف فقط).

(٢) الآثار الباقية، ص٢٨٣،، والبيروني على ميله وتشيعه لآل البيت، وللزيدية خصوصاُ إلا أنه فضح الرافضة الذين وضعوا تقاويم وحسابات للأيام والنجوم، ونسبوها إلى آل البيت، وسبق التنبيه على ذلك، انظر ص٨٦٩ من البحث.

عليها، وهذا خلاف ما يعرفونه عنه، ويصفونه به من النصب، حتى قال جعفر العاملي: (ولكن الذي يهون الخطب: أن العلماء والنقاد، حتى المنحرفين عن أهل البيت ـ عليهم السلام ــ كابن تيمية وأضرابه[1]، قد حكموا على هذه الأحاديث ــ إلا ما شذ منها ــ بالوضع والاختلاق من قبل الكذابين أخزاهم الله تعالى، لكن الجرح الذي لا يندمل، والخزي الذي لا يمحى: تلك الفتاوى التي طلع البعض بها علينا، والتي تقول بحرمة لعن يزيد)[2]؛ لكن ليت خطبهم هان بعد هذا، واستراح الناس من وضع الطائفتين.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رضي الله عنه ــ فموقفه من هذه الأحاديث وأمثالها من أحاديث الفضائل الواهية فهو الرد والاقتصار على الثابت منها؛ فيقول عن أحاديث التوسعة: (ولكن روى بعض المتأخرين في ذلك أحاديث، ثم قال: ورواية هذا كله عن النبي ﷺ كذب ولكنه معروف من رواية سفيان بن عيينة،...)، ثم قال رضي الله عنه: (وأما قول ابن عيينة: "جربناه منذ ستين عاماً فوجدناه صحيحا" ــ يعنى بذلك من وسع على أهله؛ فإنه لا حجة فيه فإن الله سبحانه أنعم عليه برزقه، وليس في إنعام الله بذلك ما يدل على أن سبب ذلك كان التوسيع يوم عاشوراء وقد وسع الله على من هم أفضل الخلق من المهاجرين والأنصار ولم يكونوا يقصدون أن يوسعوا على أهليهم يوم عاشوراء بخصوصه، وهذا كما أن كثيرا من الناس ينذرون نذرا لحاجة يطلبها فيقضي الله حاجته فيظن أن النذر كان السبب)[3].

٢. الاكتحال بالإثمد:

ورد في الاكتحال يوم عاشوراء حديث موضوع، ساقه ابن الجوزي بإسناده عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: حدثنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا: «**من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا**»؛ وفي لفظ: «**من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد ذلك العام**»، وذكر

---

(١) هذه دعوى باطلة من العاملي، قامت على غلوه في آل البيت، فمن لم يوافقه أصبح منحرفاً عنهم، وقد قدمت عدد من الدراسات في بيان موقف شيخ الإسلام وأهل السنة عموماً من آل البيت، واعتدالهم في هذا الباب.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ٤/ ٣٠٩- ٣١٠.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٣/ ١٥٩- ١٦٠.

أن علته جويبر، وأن الأئمة أنكروه، كأحمد، ويحيى بن معين، والنسائي، وأن الحاكم علق عليه بقوله: (أنا أبرأ إلى الله من عهدة جويبر)، و(قال: والاكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن رسول الله ﷺ فيه أثر، وهو بدعة ابتدعها قتلة الحسين عليه السلام)[(١)].

قد نص على وضع حديث الاكتحال، أو شدة ضعفه جمع من أهل العلم والحديث: كالحاكم، ونسب إليه ــ كما سبق ــ أن من وضعه هم النواصب، وكالبيهقي، وقد أخرجه من طريق الحاكم، ولم ينقل مقولة الحاكم، وقال: وقال: (وأما الاكتحال يوم عاشوراء فإنما روي في ذلك بإسناد ضعيف بمرة).[(٢)]، وابن الجوزي، وابن تيمية[(٣)]، وحكى الملا علي القاري عن السيوطي القول بضعفه، وكأنه يوافقه[(٤)].

مسألة الاكتحال أصبحت في بعض الأزمنة هي علامة النصب، حتى إن بعض المؤرخين ذكر في حوادث سنة ٥٦١هـ، أن أهل الكرخ الرافضة ببغداد في أيام الفتنة عاشوراء الفتنة، (حتى سبوا الصحابة، وكانوا في الكرخ إذا رأوا مكحلا ضربوه)[(٥)].

٣. فروع التوسعة:

---

(١) الموضوعات، ٢/ ٢٠٣- ٢٠٤، والذهبي في تلخيصه لكتاب الموضوعات، اقتصر على ما نقله ابن الجوزي عن الحاكم وغيره من قول الحاكم: (أنا أبرأ إلى الله من عهدة جويبر)، ولم يذكر العبارة الثانية، تلخيص كتاب الموضوعات، ص١٨٤، ومثله السيوطي، اللآلىء المصنوعة، ٢/ ٩٤، وسبق أن من العلماء من يعمم عبارة الحاكم الثانية على التوسعة وغيرها، والعبارة الثانية من أشهر من نقلها عن الحاكم ابن الجوزي، وليست في المستدرك، ولم أقف على من نبه على مصدرها إلا أحد ابن طاووس من الرافضة الإمامية، وعزاها إلى تاريخ نيسابور، للحاكم، وحول كلام الحاكم انظر ص١٠٨٤ من البحث؛ والأصل التوقف في التوسع في نسبة هذا القول إلى الحاكم في غير حديث الاكتحال، خاصة العبارة الثانية، حتى تثبت عنه بنقل صحيح؛ وانظر: تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢/ ١٥٧، وقال: (وفي بعض كتب الحنفية ما نصه يكره الكحل يوم عاشوراء لأن يزيد أو ابن زياد اكتحل بدم الحسين، وقيل بالأثمد لتقر عينه بقتله، انتهى، والله أعلم).

(٢) شعب الإيمان، ٥/ ٣٣٤، ح/ ٣٥١٦، ٣٥١٧، وللتوسع حول مقولة الحاكم انظر ص١١٠٧ من البحث.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٥/ ٣٠٠، ومنهاج السنة، ٤/ ٥٥٥؛ وحكم شيخ الإسلام حكم مجمل لعدد من المرويات، وأنها من فروع التوسعة، والتي اشتد فيها حكمه بالوضع، وأنكر على من حسنها ووضعها.

(٤) انظر: الأسرار المرفوعة، ص٣٣٣، وقال الملا علي القاري معقبا: (الحديث غير موضوع عنده، وغاية الأمر أنه ضعيف)، يعني السيوطي، خلافا لابن الجوزي.

(٥) تاريخ الإسلام، ١٢/ ٢١٣.

ثمت فروع للتوسعة تفعل في عاشوراء، كالزينة والاغتسال والتطيب، والبخور، وإحداث أطعمة غير معتادة، من الدجاج، والحبوب، والحلوى، ونحوها، والتي عرفت باسم: عاشورى[1]، وبعض صنائع من النساء من الخضاب بالحناء، واجتماعهن في المساجد والمشاهد[2]؛ والزينة من أسماء يوم عاشوراء، فيسمى ـ عند البعض ـ يوم الزينة، كما ذكر أهل التفسير، وأصله يوم السحرة عند الفراعنة الأقباط[3].

أحاديث فروع التوسعة أحاديث مرفوعة وموقوفة، تروى عن عمر، وعبدالله بن عمرو، وابن عباس، وأبي موسى، وعمر، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد سبق عرضها[4]، وأغلبها شديدة الضعف، أو موضوعة، ما عدا حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيح[5]، ولكنه في وصف حال يهود خيبر، وأنهم يتخذونه عيداً، ويلبسون فيه نسائهم حليهن وكسوة العيد؛ فلا شاهد فيه، بل هو أقرب إلى المنع لعلة التشبه.

الكلام عن هذه الأحاديث إذا ضم إلى ما سبق من سبب الغلو في التعبد في عاشوراء وغيره من الأيام الفاضلة تبين أنه لا تلازم بين التعلق بمثل هذه الأحاديث وبين النصب، ومن أكبر دلائل ذلك أن من يتهمون بذلك هم من شيعة آل البيت، ومن محبيهم، بل كثير منهم يفسق يزيد بن معاوية، أو يكفره، لما ارتكبه من قتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبهذا يجزم أن تحريهم لعاشوراء هو من جهة أحاديث الفضائل وحدها، ومن جهة ما فيها من معنى الشكر، وهو ما سيأتي التنبيه عليه في المبحث القادم، إن شاء الله.

---

(١) المعجم الوسيط، ٢/ ٦٠٢، وقال: (العاشور والعاشوراء نوع من الحلوى يتخذ من مقشور القمح وقد يضاف إليه اللبن والزبيب النقل).

(٢) انظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ٢/ ٤٠٤، ومما قال: (فلم يكن السلف يتعرضون في هذه المواسم ولا يعرفون تعظيمها إلا بكثرة العبادة والصدقة والخير لا في المأكول،... وهذا أمر خطر؛ لأنه يحتاج إلى توقيف من صاحب الشريعة، فلم يبق إلا أنه أمر باطل فعلنه من تلقاء أنفسهن).

(٣) انظر ص١١٤- ١١٥، ٨٧١، ١٢٠٨من البحث.

(٤) سبقت ص١٠٥٩، وانظر: ص١١٢٩ من البحث.

(٥) سبق تخريجه ص٩٨٠ من البحث.

المطلب الثاني

وقائع مشتركة لتحري عاشوراء بالفرح والحزن

إذا كان ما سبق حول أحاديث التوسعة هو لبيان الموقف العلمي النظري فإني أعرض في هذا المطلب مواقف متنوعة، مبنية في غالبها على عدم التلازم بين تحري يوم عاشوراء، والموقف من الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما عند أهل السنة، هذا فضلا عن أن كثيراً من الشيعة هم ممن روى هذه الأحاديث؛ كما أن منها مواقف وأعمال يتحرى بها الإمامية يوم عاشوراء؛ ومن خلال هذه المواقف العملية المختلفة يمكن قياس الخلل في الجانب النظري، ومعرفة أي الفريقين أبلغ في الخلل، هذا مع أن منطلق الخلل عند الفريقين تنتقل آثاره إلى غير يوم عاشوراء، لكن الذي يعنينا هنا ما أورده أهل التاريخ فيه، أو فيما يلحق به، مما له علاقة في النزاع بين السنة والشيعة، وهذه الأعمال والمواقف كثيرة، بغض النظر عن ثبوت خبرها، أعرضها مع بعض التعليق والتوضيح، وذلك في النقاط التالية.

١. **أن يتحرى بعاشوراء مواقيت الأنبياء الزمانية والمكانية**، أما الزمانية كموالدهم، كمولد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)]، أو مولد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ[(٢)]، ويوم توبة آدم، وخلقه، ويوم استواء سفينة نوح على الجودي، ويوم هبوطها، ويوم ذبح إبراهيم لولده، وفلق البحر لموسى، ونحوها[(٣)]؛ لقصد تعظيم اليوم؛ وأما المواقيت المكانية فمن ذلك تحري موافقة موضع قتل الحسين لمشاهد الأنبياء ومقاماتهم وسبلهم ومعابرهم، وخاصة في العراق، كنبي الله يونس في نينوى، وهذا

---

(١) تاريخ الإسلام، ١/ ٤٨٤،: (حُمِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَاشُورَاءَ الْمُحَرَّمِ)، قال الذهبي: حديث ساقط، وقيل: إن مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بعاشوراء، انظر: تفسير القرطبي، ٢٠/ ١٩٤.

(٢) انظر: بحار الأنوار، ١٤/ ٢١٤، وعلق المجلسي-عليه بأنه محمول على التقية، لاشتهارها عند المخالفين!، وذكر تاريخاً آخر يخالفه، كما في أخبارهم؛ وهذا هروباً من موافقة بعض ما عند السنة من الضعيفة؛ ومثله تشاؤمه من يوم الاثنين.

(٣) سبق ذكر قريباً مستنداتها في أحاديث التوسعة ص١٠٦٧، كحديث أبي هريرة.

ظاهر في النجف أكثر[١].

٢. **أن يكون عاشوراء موعداً لاستذكار أيام مشهودة ومعظمة قبل الإسلام**، ومنها ما يلي:

أ- تعظيم الكعبة بكسوتها، وهذا ثابت في الصحيح، كما سبق، ومثله ربط التواريخ المشهورة بها، كأن تكون بيعة المهدي في آخر الزمان عندها، يوم عاشوراء، بين الركنين اليمانيين.

ب- أسواق العرب في الجاهلية، كسوق حجر باليمامة، وسوق نطاة بخيبر[٢]، والتي تأتي في فترة الأشهر الحرم، وتستقطب قوافل الحجيج.

ت- موافقة أيام شمسية معظمة عند غير المسلمين، كالنيروز والمهرجان عند الفرس وغيرهم، ويوم الزينة عند الأقباط، ورأس السنة الشمسية، ونحوها من الأيام، وقد تتسبب هذه الموافقة إما باندماج وتناقل بعض العادات والتقاليد بين اليومين الهجري القمري والشمسي، وإما بنزاع وتقاتل، لأسباب وصراعات مختلفة[٣].

ث- تحري موافقة عاشوراء يوم السبت، بدعوى أن حادثة المقتل وقعت يوم السبت، أو أن قتلة الحسين هم كاليهود في اختيارهم اليوم، وفي قتل الأنبياء كزكريا، وذلك تشنيعا عليهم[٤]، وأهم من ذلك وأعجب منه تحري بعض الإمامية لأن يكون اليوم والسنة التي يخرج ـ يظهر ـ

---

(١) سبق الحديث عن هذا الجانب ص٦١٨ من البحث.

(٢) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٤/ ٦٥، وذكر أن هذين السوقين يستمران من عاشوراء إلى آخر المحرم.

(٣) انظر: مجلة البيان، عدد: ١٧٤، ص٣، مقال بعنوان: الزلزال القادم، احتفالات: (النيروز عاشوراء)، لإدارة تحرير المجلة، الصادرة من المنتدى الإسلامي –لندن.

(٤) في هذا أخبار مذكورة في بعض كتب السنة، وهي في الإمامية أكثر، انظر: البداية والنهاية، ٨/ ١٨٣، ٢١٩، وفيه: (قال الحسين: والله لتعتدن علي كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت)، وفي تاريخ بغداد، ١/ ٤٧٢، نقل الخطيب البغدادي بإسناده، عن ابن عباس،قال: (أوحى الله تعالى إلى محمد: إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا، وأنا قاتل بابن بنتك سبعين ألفا وسبعين ألفا)، وقال ابن كثير: (هذا حديث غريب جدا، وقد رواه الحاكم في مستدركه، وقد ذكر الطبراني هٰهنا آثارا غريبة جدا، ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا فاحشا).

فيها المهدي، ويقوم بالثأر، حيث ثبت في نصوصهم أنه يقوم يوم السبت[1]، وربما تأثرت الإمامية وأسلافها بأخبار اليهود ومهدييهم، والذي سيخرج ـ أيضا ـ في آخر الزمان.

ج- موافقة أو مشابهة أيام الجاهلية في النياحة، ومن ذلك استحضار ما في أساطير الفرس، أو الفراعنة، أو الهند، أو غيرهم، من قصصهم القديمة المؤلمة، وتنزيلها على مصيبة الحسين ومصائب آل البيت، وفي قصص مختلفة قد تعمل اليوم عند الإمامية، كما في قصة زواج القاسم وليلة الطفية، والتي تنسب مرة إلى القرامطة، ومرة إلى الأساطير القديمة[2].

٣. **تحري وقوع معجزات، ونبوءات، وأهوال في عاشوراء يوم مقتل الحسين**، ومن ذلك ما يلي:

أ- ما جرى للأنبياء من نصر، وفلق البحر، وخروج من بطن الحوت، ونحو ذلك، والتي قد يميل بعض الشيعة إلى تكذيبها، ليبقى عاشوراء مختصا بالحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لم يهتد إليها أحد غيره.

ب- مقتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وما وافقه من أهوال كثيرة، وأخبار غريبة، أغلبها من جنس الكذب والأساطير، وإن بعضها لا يليق بمن هو من عوام المسلمين، فكيف بصاحب رسول الله ﷺ، وابنه وحبيبه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كاستحالة الورس رمادا، والدم عبيطة، واللحم علقما، والزعم بابتداء الشفق الأحمر من حينه، وقد يكون منه صوم الوحوش ذلك اليوم، وكذلك هوام الأرض، وتلطخ الأبنية، وكسوف الشمس[3]، وهذا كله إن ثبت إن قتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وافق يوم العاشر من محرم، لكن تكاثر مثل هذه الأخبار جعلته كاليقين.

ت- من ذلك ما نسب لغير يوم مقتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو مستنكر في توقيته فضلا عن إسناده، ومثله لو نسب إلى الحسين، وذلك ككسوف الشمس في اليوم العاشر من الشهر، وهذا خلاف المعتاد، والذي يحصل عادة أن كسوف الشمس يكون في أيام إسرار القمر آخر أيام الشهر، أو غرته، وقد ادعى أو روى البعض ـــ كالواقدي وابن سعد ـــ أن الشمس حين

---

(١) حول هذا الجانب ص٢٨٥- ٢٩١، ٩٣٩ من البحث.

(٢) انظر: ص٨٩٠- ٩١٠ من البحث.

(٣) البداية والنهاية، ٦/ ٢٥٩، قال: (إلى غير ذلك مما في بعضها نكارة، وفي بعضها احتمال، والله أعلم).

كسفت يوم موت إبراهيم ابن النبي ﷺ، كان ذلك يوم العاشر من الشهر[1]، وهذا خلاف العادة، ولو صح لتداعت الهمم لنقله، ولكن هذا من غلط الرواة[2]، وربما من هذا استحسن أن يكون الكسوف وافق ـ أيضا ـ مقتل حفيد النبي ﷺ بعد ذلك.

ث- أن يكون عاشوراء موعداً لسقوط الدول، ومن ذلك جعلهم سقوط ملك بني أمية في يوم عاشوراء، وذلك في نبوءة نسبتها الإمامية إلى الصادق، حين دخلت رايات بني العباس (المسودة) الكوفة، مبتدئين بحرب بني أمية؛ استنتجها من حساب أبجد هوز لأحرف القرآن المقطعة، ويظهر أن الرواية وضعت زمن بني العباس، بعد كثرة التبؤات والتكهنات، لتخويف المتعلقين بهم وتخذيلهم، وتحري ظهور ــ أو رجعة ــ مهدي آل محمد (الرضا من آل محمد)، والذي طالت وتكررت الدعوات باسمه في تلك الفترة؛ ويروي الصدوق بإسناده: قال: (أبو جمعة رحمة بن صدقة، قال: أتى رجل من بني أمية ــ وكان زنديقاً ــ جعفر بن محمد ــ عليهما السلام ـ، فقال: قول الله ـ عز وجل ـ في كتابه: ﴿الٓمٓصٓ﴾[3]، أي شيء أراد بهذا؟ وأي شيء فيه من الحلال والحرام؟ وأي شيء فيه مما ينتفع به الناس؟ قال: فاغتاظ من ذلك جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ــ، فقال: أمسك ويحك، الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون[4]، كم معك فقال الرجل: أحد وثلاثون ومائة، فقال له جعفر بن محمد ـ عليهما السلام ــ: إذا انقضت سنة إحدى وثلاثين ومائة انقضى. ملك أصحابك؛ قال: فنظرنا فلما انقضت سنة إحدى وثلاثين ومائة، يوم عاشوراء، دخل المسودة الكوفة وذهب

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٤/ ٢٥٧.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، ١/ ١١٥، ومات يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر)، ولم أقف على ذلك في مغازي الواقدي، في النسخة التي رجعت إليها، وابن سعد تلميذ للواقدي، وممن نسب هذا للواقدي شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر: مجموع الفتاوى، ٢٤/ ٢٥٧.

(٣) الأعراف: ١.

(٤) ذكر المجلسي أن صوابها (سنون)، انظر: بحار الأنوار، ١٠/ ١٦٤.

ملكهم)[١]، والمشهور أن هذه الحادثة وقعت عام ١٣٢هـ[٢].

ج- ما يروى عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة من تعظيم البكاء على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن من أغرب مروياتهم ما أظهره بعضهم في القرن السابع تقريبا من حديث طويل يرويه رجل مجهول يزعم أنه من الصحابة، وأنه بقي ورؤي بعد المائة السابعة في بلاد الهند، اسمه رتن بن نصر بن كربال الهندي، وقد قال الذهبي: (وقد ألفت في أمره جزءا)[٣]، وفي حديث رتن الموضوع قوله: (ما من عبد يبكي يوم قتل الحسين إلا كان يوم القيامة مع أولي العزم من الرسل، وقال البكاء في يوم عاشوراء نور تام يوم القيامة)[٤]، وقد أنكر العلماء هذا الحديث، وبينوا وضعه بطلانه، كالذهبي، وابن حجر[٥]، وابن عراق، ت/ ٩٣٤هـ[٦]، والشوكاني، ت/ ١٢٥٠هـ، وقال: (موضوع، وضعته الرافضة)[٧]، وأما الذهبي فقد أنكره، وقال: (إن هذه الخرافات وضعها موسى هذا الجاهل، أو من اختلق ذكر رتن الهندي، وهو إما مني لم يخلق، وأما شيطان بدا في صورة بشر، وإما شيخ ضال كذاب...، ولو نسبت هذه الأخبار لبعض السلف لكان ينبغي أن ينزه عنها، فضلا عن سيد البشر، وما يصدق رتن الهندي إلا من

---

(١) معاني الأخبار، ص٢٨، وعنه: بحار الأنوار، ١٠/ ١٦٣، وعلق عليه مستشكلاً ظاهره؛ وانظر: تاريخ الإسلام،، ٣/ ٥٨٥، وانظر ص١٩٦من البحث، حول ما ذكر عن بيئة روايات المقتل وما بعده.

(٢) انظر: تاريخ الإسلام، ٨/ ٣٣٤، والبداية والنهاية، ١٠/ ٤٢، في حوادث ١٣٢هـ، وقال: (فسار نحو الكوفة، وقد خرج بها محمد بن خالد بن عبد الله القسري ودعا إلى بني العباس وسود، وكان خروجه ليلة عاشوراء المحرم من هذه السنة).

(٣) ميزان الاعتدال، ٢/ ٤٥.

(٤) تذكرة الموضوعات، ص: ١٠٤، ١١٩، باب: من ادعى الصحابة كذباً من المعمرين، وفيه خبر ملك عمر في الهند اسمه سرباتك، يزعم أنه أرسل إليه النبي ﷺ عدداً من أصحابه، ثم أسلم، ورأى النبي مرتين في مكة والمدينة، ومنه خبر وقع للناصر الأطروش، وأما رتن فيروى عنه (الثمانينيات الرتنيات).

(٥) الإصابة، ٢/ ٤٣٧.

(٦) تنزيه الشريعة، ٢/ ٣٩.

(٧) الفوائد المجموعة، ص٤٤٠.

يؤمن برجعة علي، أو بوجود محمد بن الحسن في السرداب)[1].

ح- ما يجري في يوم عاشوراء وليلته من رؤى ومنامات، منها ما حكي في خبر مقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كخبر أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ الذي سبق في النعي، وخبر ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وفيه يقول: (رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائل، أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا؟ قال: «**دم الحسين وأصحابه، لم أزل ألتقطه منذ اليوم**»، قال: فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قتل في ذلك اليوم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ)[2]؛ وليس في هذا الخبر تسمية هذا اليوم بعاشوراء، ولكنه وافق يوم الرؤيا يوم القتل بعد الحساب.

من الرؤى ما وقع متأخرا، كبعض الرؤى التي جرت لمن وقع عليه قتل، فقد ذكر ابن الجوزي والذهبي في حوادث سنة ٥٠٠هـ، أن أبا المظفر فخر الملك علي بن نظام الملك الطوسي قتل في يوم عاشوراء، وفخر الملك هو وزير السلطان سنجر بنيسابور[3]، وقتل وهو صائم ذلك اليوم، قتله أحد الإسماعيلية الباطنية، وظهر حينها في زي متظلم يشكو حاله

---

(١) تذكرة الموضوعات، ص١٠٤، ١١٩، محمد طاهر الصديقي الهندي الفَتَّنِي، ت/ ٩٨٦هـ، ط١، ١٣٤٣هـ، المطبعة المنيرية.

(٢) أحمد، ح/ ٢١٦٥، ٢٥٥٣، وانظر: المعجم الكبير، للطبراني، ح/٢٨٢٢، ١٢٨٣٧، والحاكم، ٤/ ٤٣٩، ح/ ٨٢٠١، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وترتيب الأمالي الخميسية، للشجري، ١/ ٢١٠، ح/ ٧٧٣، ومجمع الزوائد، ٩/ ١٩٤، ح/١٥١٤٢، وقال الهيثمي: (ورجال أحمد رجال الصحيح)، وعمار بن أبي عمار مولى بني هاشم هو الراوي عن ابن عباس، ومدار الخبر على حماد بن سلمة عن عمار، وعمار صدوق يخطئ، أخرج له مسلم والأربعة، وتكلم فيه شعبة، ووثقه غيره، ولم أقف على متابع له عن ابن عباس؛ ويرويه عنه حماد بن سلمة، وللإمام إليه طريقان، عن عبدالرحمن (لعله ابن مهدي)، وعن عفان بن مسلم، وثقهما الأئمة، والطبراني له عن حماد طريقان: حجاج بن المنهال، وسليمان بن حرب، والحاكم رواه عن حماد من طريق الْحَسَنُ بن مُوسَى الْأَشْيَبُ، والشجري قال: (غَسَّانُ بن مَالِكٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بن عَمَّارِ بن أبي عَمَّارٍ)، وأظن فيه وهماً، والحديث على ما يظهر من إسناده لا ينزل عن درجة الحسن، والأئمة جعله على شرط مسلم، وأظنه أصح شيء في هذا الباب.

(٣) تاريخ الإسلام، ١٠/ ٦٩٥، ينقل القصة عن ابن الأثير، وقال: (ونقل ابن الأثير أنه كان أكبر أولاد النظام، وأنه وزر للسلطان بركياروق، ثم انفصل عنه، وقصد نيسابور، فأقام عند السلطان سنجر).

وفقره، (وكان فخر الملك قد رأى في ليلة عاشوراء التي قتل فيها الحسين ــ عليه السلام ــ، وهو يقول له: عجل إلينا، والليلة أفطر عندنا)[١]، وقد أصبح صائما ومتعجبا مما رأى، والتزم ما نصح به من عدم الخروج، وبالعبادة والصدقة، ولكنه آخر النهار أنس من أمره، ثم خرج وقت العصر يريد دار النساء، فسمع صوت صياح متظلم، شديد الحرقة، وهو يقول: ذهب المسلمون، فلم يبق من يكشف كربة، ولا يأخذ بيد ملهوف، فطلبه رحمة له؛ فإذا هو لقي قاتله؛ ويقو ابن كثير: (فأخذ الباطني فرفع إلى السلطان، فقرره فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروه بذلك، وكان كاذبا، فقتل، وقتلوا أيضا)[٢].

كان أبوه نظام الملك[٣] ممن منع النياحة التي تجددت عام ٤٥٨هـ، وسعى عند الخليفة بذلك، كما أنه بعد تفويضه معتمدا عند ملكشاه ابن أرسلان السلجوقي عام ٤٦٥هـ بنى المدرسة النظامية المشهورة ببغداد للشافعية، والتي أدركها أبو حامد الغزالي الطوسي، ودرس بها، وحرص على جمع فقهاء المذاهب السنية فيها ــ خاصة الشافعية ــ، والإصلاح بينهم، وقد حصلت للحنابلة في زمنه فتن مشهورة[٤]؛ وكان نظام الملك ممن يزور مشاهد آل البيت، ومنها حائر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يكن يسلم من الكيد، فقد ذكر أنه سنة ٤٧٤هـ كاد له رجل صوفي فسلمه الله من القتل، ثم قتل بمكيدة شبيهة لها عام ٤٨٥هـ[٥].

خ- أن يكون فيه نهاية الزمان، وذلك بخروج المهدي.

---

(١) المنتظم، ١٧/ ٩٩، وتاريخ الإسلام، ١٠/ ٦٩٥، والبداية والنهاية، ١٢/ ٢٠٦.

(٢) البداية والنهاية، ١٢/ ٢٠٦.

(٣) نظام الملك: صاحب المدرسة النظامية ببغداد، كان وزيرا لألب أرسلان السلجوقي التركي، ت/ ٤٦٥هـ، والذي تولى بعد طغرلبك، ثم معتمدا لابنه ملكشاه بن أرسلان، وكان نظام الملك يكرم العلماء، والزهاد والفقراء، ويستنصر بهم، واجتهد في تعظيم الحرمين، وكسوة الكعبة، ترجم له ابن الجوزي ونقل ثناء شيخه ابن عقيل (٤٣١- ٥١٣هـ) عليه؛ انظر: المنتظم، ١٦/ ٨٦، ٢٥٩، ٢٦٧، ٢٩٢، ٣٠٢- ٣٠٧، والبداية والنهاية، ١٢/ ١١١، ١٣٠.

(٤) انظر: المنتظم، ١٦/ ٢٢٤، ٢٩٥.

(٥) انظر: المنتظم، ١٦/ ٢١٦، ٣٠٣.

٤. **ما يجري في عاشوراء من سرور بسبب موافقته لعمل سار**، ومن ذلك:

أ- موافقة فرح، كزواج، أو تلعيب صبية لتصبيرهم على الصوم، ومنه ما روته الربيع بنت معوذ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ[1]، أو لغير المسلمين بخصوص عاشوراء، أو غيره، ومنه ما روته عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ من لعب الحبشة في مسجد النبي ﷺ[2].

ب- سكنى قصر، أو بلوغ بشرى، أو إخراج من سجن وعفو، ونحوها، وقد ذكر الذهبي حوادث سنة ٢٤٦هـ، أيام الخليفة العباسي، فقال: (ويوم عاشوراء تحول المتوكل إلى الماحوزة،

---

(١) سنن ابن ماجه، ح/ ١٨٩٧، عن أبي الحسين اسمه المدني، قال: كنا بالمدينة يوم عاشوراء، والجواري يضربن بالدف، ويتغنين، فدخلنا على الربيع بنت معوذ، فذكرنا ذلك لها، فقالت: دخل علي رسول الله ﷺ صبيحة عرسي، وعندي جاريتان يتغنيان، وتندبان آبائي الذين قتلوا يوم بدر، وتقولان، فيما تقولان: وفينا نبي يعلم ما في غد، فقال: «**أما هذا فلا تقولوه، ما يعلم ما في غد إلا الله**»؛ والراوي عن الربيع هو خالد بن ذكوان، أبو الحسين، ويقال أبو الحسن المدني، انظر: تهذيب التهذيب، ٣/ ٨٩، وعن حديث خالد قال ابن خزيمة: حسن الحديث وفي القلب منه)، صحيح ابن خزيمة، ٣/ ٢٨٨، وعلق عليه الألباني بقوله: (هذا جرح مبهم فلا يقبل، لا سيما وقد وثقه جمع، وحسبه أن الشيخين قد احتجا به) والألباني صحح الحديث، كما في صحيح ابن ماحة، ٤/ ٣٩٧؛ وفي الإسناد: حماد، ويروي عنه: يزيد بن هارون، وعبدالصمد بن عبدالوارث (اسحاق بن راهويه، وأحمد)، ومهنا بن عبد الحميد أبو شبل (عند أحمد/ وهو غير ثقة)، والحسن بن موسى(عند عبد بن حميد)، وموسى بن إسماعيل (ابن سعد)، وأشكل ما في اللفظ السابق تحديد يوم عاشوراء.

ومما يشكل فيه زيادة: (كنا بالمدينة يوم عاشوراء)، ويظهر شذوذها، فإنها لم تذكر عند آخرين ممن رووا خبر الربيع، كالبخاري، ح/ ٣٧٧٩، ٤٨٥٢، وأحمد، ح/ ٢٧٠٢١، وابن راهوية في مسنده، ح/ ٢٢٦٦، والمنتخب من مسند عبد بن حميد، ٢/ ٤٢٢، ح/ ١٥٨٧، بلفظ: (كانت النساء يضربن بالدفوف فذكرت ذلك للربيع)، والطبقات الكبرى، ٨/ ٣٢٩، وابن حجر في الفتح أشار إلى الزيادة عند ابن ماجه، ولكنه لم يعلق عليها، وذكر أن أبا الحسين من صغار التابعين.

أما خبر الربيع بنت معوذ عن تلعيب الصبية حتى غروب الشمس، فهو في حديثها المشهور، من طريق بشر بن المفضل عن أبي الحسين خالد بن ذكوان، مسلم، ح/ ١١٣٦، والترمذي، ح/ ١٠٩٠، وأبو داود، ح/ ٤٩٢٢.

(٢) موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني، دون رواية غيره، ص٣٢١، ح/ ٩٠٦، عن من: (سمع عائشة، تقول: سمعت صوت أناس يلعبون من الحبش، وغيرهم يوم عاشوراء، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**أتحبين أن تري لعبهم؟**» قالت: قلت: نعم)، الحديث.

مدينته التي أمر ببنائها، وفرق في الصناع والعمال عليها يومئذ مبلغا عظيما)[1]، ومنه أن ابن تيمية أخرج من السجن بسبب فتواه بعدم وقع الطلاق الثلاث، وذلك سنة ٧٢٠هـ[2]، ومثله اعتماد وظيفة لمشهد زكريا في يوم عاشوراء، أو موافقته لحساب عيد يهود أو نصارى، وهم يحسبونه بالدورة الشمسية.

ت- زمن الدولة العبيدية بمصر، ظهرت عادات واحتفالات، منها أول السنة الهجرية العبيديين، وهو مقدمة عاشوراء، ومثله ما يحتفله بعض خلفائهم ممن كان توليه قرب عاشوراء، ففي دور يوم ولايته يحتفل بذلك، أو يوم مولده، كالمولد الآمري، وتتخذ فيهما الزينة والتوسعة[3]، وهذا ولا شك ينجر إلى يوم عاشوراء مع الزمن.

ث- في سنة ٥٦٧هـ جرت موافقة موت العاضد العبيدي يوم عاشوراء، أو في الليلة التي تليه، ومات العاضد مريضا، وموته هو وقت دخول صلاح الدين قصر الخليفة العبيدي، وتمكنه منه، ثم أذن بأن يقام له العزاء في قصره وبين أهله، وجلس صلاح الدين للعزاء في قصره، وفيه عدم تشفيه من هذا الخليفة العبيدي، وإحسانه إلى أيتامه وحرمه، وامتنع من إهانته بعد موته، على خلاف ما يشوش به عليه الإمامية، وقد اعترف بهذا المقريزي، والذهبي[4]، وربما كان ذلك من تعظيمه ليوم عاشوراء، وبذلك أسقط الخطبة للعاضد يوم الجمعة من مصر، وخطب بها للخليفة العباسي ببغداد، بعد انقطاع قارب القرنين.

ج- في عام ٥٨٩هـ توفي صلاح الدين الأيوبي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ، وفي يوم عاشوراء من عام ٥٩٢هـ نقلت جنازته من مدفنه في دمشق إلى مكان آخر قد أوصى به، بعد أن جهز، وهي ما يعرف بالتربة[5]؛ وهي من العوائد التي استحسنت في قديم الأزمان، ولم تكن عند سلف

---

(١) تاريخ الإسلام، ٥/ ٩٨٨؛ ومما ذكر في تلك السنة من غرائب: (وفيها مُطِرَت بناحية بلْخ مطرا دما عبيطا).

(٢) البداية والنهاية، ١٤/ ١١١، ١١٣.

(٣) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ٣/ ٧٨، ٩٥.

(٤) انظر: تاريخ الإسلام، ١٢/ ٢٢٥، وقال الذهبي: (وجلس السّلطان صلاح الدّين للعزاء، وأغرب فِي الحُزْن والبكاء)، واتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ٣/ ٣٢٧.

(٥) انظر: البداية والنهاية، ١٣/ ٦، وصلي عليه، وأقيم له مأتم، ودفن معه سيفه رجاء، وانظر: تاريخ الإسلام، =

الأمة الأول.

ح- التحديث المسند بحديث عاشوراء في يوم عاشوراء، وهو حديث أبي قتادة المشهور في أن صوم عاشوراء يكفر سنة، ومن هنا سمي هذا المروي عن عاشوراء في يوم عاشوراء بمسلسل عاشوراء، حيث يروي كل متلقي هذا الحديث كما سمعه في يوم عاشوراء، وينص على هذا التوقيت، ويظهر أن هذا التسلسل لم يلحق إسناد حديث أبي قتادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلا في القرن الثامن، أي بعد الحافظ المنذري ــ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ــ، ت/٦٥٦هـ، وقد كان صاحب جزء في أحاديث عاشوراء، منها هذا الحديث المسلسل[(١)].

مثل حديث عاشوراء المسلسل ــ وقد يكون من مقدماته ــ تحري مجالس التدريس في عاشوراء، ومن ذلك ما حكاه ابن الجوزي عن نفسه، ونقله عنه الذهبي، في أنه يجلس للتدريس بجامع المنصور، سنة: ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٧٤هـ[(٢)].

٥ . **ما يجري في عاشوراء من موافقة قتال، أو خروج شخصية مشهورة عند المسلمين، أو تقصد قتل رمز لإحدى الطائفتين**، وقد تكون مقتلة بين السنة فيما بينهم، أو الشيعة فيما بينهم، في يوم عاشوراء ومن صور ذلك ما يلي:

أ- مقتل الحسين عام ٦١هـ، وقد جرى بسبب الثأر من قتلته مقاتل، والإشكال فيمن كان من أهل الكوفة نفسها، والذين دعوا الحسين ثم قتلوه، أو أسلموه لمن يقتله، وعليها بنيت كثير من مقاتل الطائفتين فيما بينهم إلى هذا اليوم، حتى إن بعض الزنادقة والغلاة ــ من شيعة الحسين، أو من غيرهم ـ قتلوا باسم هذه الدعوى.

ب- مقاتل آل الحسين، كمقتل زيد بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فقيل كان في عاشوراء سنة، على غير المشهور[(٣)]، أو خصومهم، كابن زياد الذي قيل وقع قتله في وقعة الخزر يوم عاشوراء سنة

=

١٢/ ٨٩٠، وقال الذهبي: (وجلس هناك للعزاء ثلاثة أيام، وذلك خلاف العادة، وخلاف السُّنَّة).

(١) انظر: العجالة في الأحاديث المسلسلة، ص٣٢- ٣٣، وسبقت الإشارة إليه ص٩٧٨ من البحث.

(٢) تاريخ الإسلام، ١٢/ ٢٣٢، ٤٥٩، ٤٦٩.

(٣) تاريخ الإسلام، ٣/ ٤١٥ وزيد بن علي قيل مقتله في صفر ١٢٠هـ، وقيل في عاشوراء ١٢٢هـ، ذكره أبو نعيم،
=

٦٥هـ[١].

ت- أن يكون موعد ثورة أو خروج، ومن ذلك خروج الحسن بن قحطبة بن شبيب، بعد مقتلة أبيه عام ١٣٢هـ، آخر زمن بني أمية، وواجه دعاة بني العباس عند الكوفة في عاشوراء[٢]، كما سبق.

ث- قتل الإسماعيلية لفخر الملك بن نظام الملك عام ٥٠٠هـ، وسبق ذكره قريبا، وفي زمنه ـ أيضا ـ جرت مقتلة لأحد وزراء خوارزم شاه ملك خراسان في يوم عاشوراء، وهو أبو الفتح بن أبي الليث، ويذكر أن عدد من تلك المقاتل يكون على يد الباطنية[٣].

ج- مقتل فقيه الشافعية في طبرستان عبد الواحد بن إسماعيل، أبو المحاسن الروياني، قتل سنة ٥٠٢هـ يوم الجمعة يوم عاشوراء، في جامع طبرستان[٤].

ح- فتنة مشهد الرضا بطوس بسبب جدال وخصومة، سنة ٥١٠هـ، وسبقت في بدع المشاهد[٥].

خ- مقتل ابن أبي يعلى الحنبلي، صاحب الطبقات، قتل يوم عاشوراء، ٥٢٦هـ، وكان يتكلم في الأشاعرة[٦].

د- فاجعة بغداد الكبرى، وربما يعد البعض فرح الشيعة بسقوط بغداد، عام ٦٥٦هـ، ثأرا للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومما يؤيد هذا ابتداؤها في عاشوراء، وإن كانت الشوكة بيد التتار، ومما يؤيد

=

كما عند ابن سعد في الطبقات.

(١) تاريخ الإسلام،، ٢/ ٦٠٨، ٦٧٤.

(٢) تاريخ الإسلام،، ٣/ ٥٨٥، وراجع ص١٠٧٥ من البحث.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٦/ ٣٩١، أحمد بن عبد الوهاب البكري، شهاب الدين النويري، ت/ ٧٣٣هـ، ط١، ١٤٢٣هـ، دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة.

(٤) البداية والنهاية، ١٢/ ٢١٠؛ والروياني (٤١٥- ٥٠٢هـ)، صاحب كتاب: البحر في الفروع، الذي قيل فيه: "حدث عن البحر ولا حرج ".

(٥) انظر: تاريخ الإسلام، ١١/ ٢٠، وراجع ص١٠٥١ من البحث.

(٦) تاريخ الإسلام، ١١/ ٤٥٣.

دور الشيعة فيها بهذا الخصوص تجدد فرحهم بهذا الحدث عبر القرون، واستيزارهم عند التتار، وهذا ظاهر في المنتسبين إلى الحلة، والذين منهم الوزير ابن العلقمي، الذي نكب بخيانته العباسيين، ومن أهل الحلة الذين عملوا عند التتار ابن طاووس، ت/ ٦٦٤هـ، والخواجه نصير الدين الطوسي وزير هولاكو، وشيخ هؤلاء المحقق الحلي، ت/ ٦٧٦هـ، ثم بعدهم تلميذهم ابن مطهر الحلي، ت/٧٢٦هـ زمن خدا بنده المغولي الشيعي[١]؛ يقول الذهبي: (وكانت كسرة عسكر الخليفة يوم عاشوراء، ونزل هولاكو بظاهر بغداد في الرابع عشر من المحرم، وبقي السيف يعمل فيها أربعة وثلاثين يوما)[٢].

ذ- ما حصل زمن الناصر ابن قلاوون سنة ٦٩٤هـ من ثورة في قصر الخلافة[٣].

ر- فاجعة الشام، سنة ٧٠٢هـ أي بعد قرابة خمس وثلاثين سنة من فاجعة بغداد، في موقعة شقحب، والتي اتضحت فيها العداوة، والتعلق بتهمة النصب، والثأر باسم قتل الحسين، وحب يزيد، ولابن تيمية موقف مع قازان المغولي حين عزا بلاد الشام، فقدم عليه شيخ الإسلام في معسكره وأوضح له حقيقة المسألة.

الإمامية الرافضة استوزروا للتتار، وأسلم بعض التتار على مذهبهم[٤]، واستقووا بهم، واستعانوا بهم للثأر من السنة، كما في سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ، وظهر أثرهم مرة أخرى في حماس قازان التتري لغزو بلاد الشام عام ٦٩٩هـ، وهو زعيم التتار زمن شيخ الإسلام، فعزم أن يغزو بلاد الشام، ويفتك بأهله، فقدم عليه ابن تيمية وثناه عن عزمه، ثم تكرر حماسه للغزو عام ٧٠٢هـ، وحصلت المعركة المشهورة شقحب.

في هذه المعركة قرر شيخ الإسلام لأهل الشام وأفتاهم بمشروعية قتال هؤلاء، لأنهم من

---

(١) سبق ذكر ذلك في تراجم عدد من الحليين في هذا البحث، فتراجع.

(٢) تاريخ الإسلام، ١٤/ ٦٧٣.

(٣) البداية والنهاية، ١٣ / ٣٩٩.

(٤) البداية والنهاية، ١٤/ ٢٧ – ٣١، ١٣/ ٤١٥، وذكر أن قازان أسلم على يدي الأمير نوروز، ولكنه قتله سنة ٦٩٦هـ.

جنس الخوارج، وحمس الناس على الصمود، في قصة مشهورة محفوظة[(١)]، واستيقن النصر، وبشر به، حتى إنه روجع في المشيئة فقالها تحقيقا، ويقول ابن كثير: (وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى (ومن بغي عليه لينصرنه الله)[(٢)].

ز- مقتل الميرزا شفيع التبريزي، من الطائفة الشيخية[(٣)]، قتل في عاشوراء عام ١٣٣٠هـ، ولا أدري هل كان مقتله بسبب نزاع شيخي داخلي، أو مذهبي مع الأصولية، أو غيرهم؟ حيث كان النزاع محتدما في القرن الذي قبله.

٦. **اتخاذ عاشوراء موعدا لامتحان الناس بلعن الصحابة**، وتمثيل صورهم بمجسمات، أو حيوان يتخذونه غرضا لرميهم، وهذا مما استمر إلى اليوم، وقد يكون مقابلة له من أهل السنة، ومن صوره التي ذكرها المؤرخون ما يلي:

أ- سنة ٣٥٢هـ هي أول سنة أظهرت فيه بدعة النياحة، وقد سبقت هذه الحادثة بمقدمات كان يدافعها أهل السنة في السنوات الماضية، من هذه المقدمات فتنة سب الصحابة، ويتضح ذلك بالتالي.

ب- سنة ٣٦٣هـ تسلط وحكم العبيديون فيها مصر، وفيها ابتداؤهم بدعة عاشوراء هناك، وقد سبقهم إليها البويهيين في بغداد عام ٣٥٢هـ، وفيما بين (٣٣٤ ــ ٣٥١هـ)، جرت عدد من الفتن والمقاتل بين السنة والشيعة، بسبب سب الصحابة علنا، وكتابته على جدران المساجد، والغريب في ذلك أن يتدرج الرافضة إلى مرادهم أن يسترضوا بني العباس ليوافقهم، ففي عام ٣٥١هـ يسبون عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدعوى أنه أخرج العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الشورى[(١)]، هذا الحال استمر إلى صدر أمر معز الدولة ابن بويه بالنياحة العلنية عام ٣٥٢هـ؛ أما في سنة ٣٦٣هـ فقال

---

(١) انظر مقدمة: شرح العقيدة الأصفهانية، ص١٤، ومجموع الفتاوى، ٤/ ٤٨٧، والبداية والنهاية، ١٤/ ١٠-١١، ٢٧- ٣١.

(٢) البداية والنهاية، ١٤/ ٢٧ – ٣١، ١٠- ١١، ١٣/ ٤١٥، وذكر أن ابن تيمية احتسب في الإنكار، وفي الخروج بشوكة وقوة إلى مواضع لتأديبهم بسبب تعلقهم بالتتر، حتى استتابهم، وحرض الناس على الاستعداد للقتال.

(٣) من شيخية تبريز على وجه الخصوص، واستقل بطائفة منهم تنسب إليه: الشفيعية، راجع ص٩٢ من البحث.

(١) انظر: البداية والنهاية،١١/ ٢٧٢، ٢٧٤.

ابن كثير: (وفيها في عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والرافضة، وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه، بعيد عن السداد، وذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة وسموها عائشة، وتسمى بعضهم بطلحة، وبعضهم بالزبير، وقالوا: نقاتل أصحاب علي، فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير، وعاث العيارون في البلد فسادا، ونهبت الأموال، ثم أخذ جماعة منهم فقتلوا وصلبوا فسكنت الفتنة)[1].

هذا السب والتقابل توافق مع ابتداء بدعة النياحة في مصر.عام ٣٦٣هـ، ولكن لم يحدثوه في ذلك التاريخ، بل سبق ظهوره في غير عاشوراء، وقبل بدء الاحتفال بها بعد تولي البويهيين في بغداد، ومما يدل على ذلك ما ذكر من هجر بعض العلماء والفقهاء لبغداد، وخروجهم منها، كالخرقي الحنبلي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ[2]، وذلك بسبب كثرة وانتشار سب السلف (الصحابة) في بغداد.

ت- سنة ٣٨٩هـ، قال ابن كثير: (ولما كانت الشيعة يصنعون في يوم عاشوراء مأتما يظهرون فيه الحزن على الحسين بن علي، قابلتهم طائفة أخرى من جهلة أهل السنة فادعوا أن في اليوم الثاني عشر من المحرم قتل مصعب بن الزبير، فعملوا له مأتما، كما تعمل الشيعة للحسين، وزاروا قبره، كما زاروا قبر الحسين، وهذا من باب مقابلة البدعة ببدعة مثلها، ولا يرفع البدعة إلا السنة الصحيحة)[3].

ث- سنة ٥٨٢هـ: أعلن فيها برفع التقية، وتراكم التقابل والتدافع، يقول الذهبي: (قال ابن البزوري: وفي يوم عاشوراء سنة اثنتين قال محمد بن القادسي: فرش الرماد في الأسواق ببغداد، وعلقت المسوح، وناح أهل الكرخ والمختارة، وخرج النساء حاسرات يلطمن وينحن من باب البدرية إلى باب حجرة الخليفة، والخلع تفاض عليهن وعلى المنشدين من الرجال، وتعدى الأمر إلى سب الصحابة، وكان أهل الكرخ يصيحون: ما بقي كتمان، وأقاموا ابنة

---

(١) البداية والنهاية، ١١/ ٣١٢.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٧/ ٤٦٧.
(٣) البداية والنهاية،١١/ ٣٧٣.

قرايا، وكان الظهير ابن العطار قد كبس دار أبيها، وأخرج منها كتبا في سب الصحابة، فقطع يديه ورجليه، ورجمته العوام حتى مات، فقامت هذه المرأة تحت منظرة الخليفة وحولها خلائق وهي تنشد أشعار العوني وتقول: العنوا راكبة الجمل، وتذكر حديث الإفك، قال: وكل ذلك منسوب إلى أستاذ الدار، وهو مجد الدين ابن الصاحب، ثم قتل بعد)[1].

٧. **اتخاذ عاشوراء موعدا لامتحان الناس بخصوص محبة عثمان أو علي أو الزبير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

وذلك بدعوى ارتفاع التقية، وذلك يظهر في قصة زيارة قبر مصعب بن الزبير؛ ومثله أن يقابل بعض أهل السنة موسم عاشوراء عند الإمامية بمواسم أخرى قد يكون بعضها في يوم عاشوارء، أو قريبة منه، مثل أن يخصص موسم للترضي عن الصحابة، من خلال مواكب ورايات ومسيرات، ومجالس مخصصة لذكر فضائلهم، ومنه ما يقيمه الشيخ عبدالرحمن الفاروقي في بلاد لكنو بالهند، وهو جهد اجتهدت فيه أسرته من قبل، فوالده وجده كانا يدعوان الناس إلى التذكير بفضل الصحابة، رداً على تلبيس الشيعة على عوام المسلمين، ويشارك في هذا جمع من العلماء والدعاة، منهم من علماء ندوة العلماء بلكنو في الهند، من خلال ندوات وكلمات تلقى في المساجد والمحافل في عاشوراء، وأوسع منها ما يقع في شهر ربيع الأول[2].

٨. **اتخاذ عاشوراء موعدا لامتحان الناس بلعن يزيد على المنابر**: وذلك بدعوى ارتفاع التقية، أو أن ذلك يقع على الصلح بين الفئتين، ومثله الصلح بين الفريقين، ومن ذلك ما يلي:

أ- سنة ٥٩٠هـ: ذكر الذهبي عن زمن الواعظ رضي الدين، أحمد بن إسماعيل الشافعي، الواعظ، رضي الدين، وأنه ابتلي بظهور الرافضة، قال الذهبي عنه: (ولما ظهر التشيع في زمان

---

(١) تاريخ الإسلام، ١٢/ ٦٧٠.

(٢) تعرفت على هذا من خلال زيارة قمت بها للهند عام ١٤٣١هـ، وقابلت فيها الداعية الشيخ الفاروقي مشكوراً، وقد تجشم اللقاء مع كبر سنه، متعه الله بالصحة والثبات على السنة، وشكر الله لمن تسبب في اللقاء، كما قابلت عدداً من مشايخ الندوة، ومسؤوليها، وقد تعرفت على عدد من جهودهم في الرد على الرافضة.

ابن الصاحب التمس العامة منه يوم عاشوراء على المنبر أن يلعن يزيد فامتنع، ووثبوا عليه بالقتل مرات، فلم يرع، ولا زل له لسان، ولا قدم، وخلص سليما، وسافر إلى قزوين)؛ وذكر الذهبي عن شدة تلك الفتنة (أن جماعة من الحنابلة تشيعوا، حتى صار ابن الجوزي يسجع ويلغز!، إلا رضي الدين القزويني، فإنه تصلب في دينه وتشدد)[1]؛ ولعله يريد أنهم يظهرون موافقة الشيعة خوفا من أذاهم وتسلطهم.

ب- سبط ابن الجوزي الحنفي، ت/ ٦٥٤هـ، صاحب مرآة الزمان[2]، ففي زمن الملك الناصر صاحب حلب طلب منه ذكر مقتل الحسين يوم عاشوراء: (فصعد المنبر وجلس طويلاً لا يتكلم، ثم وضع المنديل على وجهه، وبكى شديداً، ثم أنشأ يقول وهو يبكي:

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ... والصور في نشر الخلائق ينفخ
لا بد أن ترد القيامة فاطم ... وقميصها بدم الحسين ملطخ

ثم نزل عن المنبر وهو يبكي وصعد إلى الصالحية وهو كذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)[3].

ت- موقف مشهود لابن تيمية عام ٧٠٢هـ حول يزيد، مع قائد المغول مع قازان المغولي حين عزا بلاد الشام، وكاد أن يفتك بأهلها بحجة أنهم نواصب يبغضون آل البيت، وأنهم يحبون يزيد الذي قتل الحسين، فقدم عليه شيخ الإسلام في معسكره وأوضح له حقيقة المسألة، وهو الشاهد في هذا الموضع، وقد سبق التنويه بالقصة قريباً.

ساق ابن تيمية خبره مع التتر في رسالة كتبها عن حكم يزيد بن معاوية وأقوال الناس فيه، ولأهميتها أسوقها من كلامه، فمما قال ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ: (وبذلك أجبت مقدم المغل بولاي؛ لما قدموا دمشق في الفتنة الكبيرة وجرت بيني وبينه وبين غيره مخاطبات؛ فسألني فيما سألني: ما تقولون في يزيد؟ فقلت: لا نسبه ولا نحبه، فإنه لم يكن رجلاً صالحاً فنحبه، ونحن

---

(١) تاريخ الإسلام، ١٢/ ٩٠٤، وانظر: البداية والنهاية، ١٣/ ١٣.

(٢) وهو بغدادي دمشقي، له مجلس وعظ عند مشهد علي بن الحسين، وعند قبة يزيد، انظر: البداية والنهاية، ١٣/ ٢٢٧.

(٣) البداية والنهاية، ١٣/ ٢٢٧.

لا نسب أحداً من المسلمين بعينه؛ فقال: أفلا تلعنونه؟ أما كان ظالما؟ أما قتل الحسين؟؛ فقلت له: نحن إذا ذكر الظالمون كالحجاج بن يوسف وأمثاله: نقول كما قال الله في القرآن: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، ولا نحب أن نلعن أحدا بعينه، وقد لعنه قوم من العلماء؛ وهذا مذهب يسوغ فيه الاجتهاد؛ لكن ذلك القول أحب إلينا، وأحسن، وأما من قتل الحسين، أو أعان على قتله، أو رضي بذلك؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؛ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

قال: فما تحبون أهل البيت؟ قلت: محبتهم عندنا فرض واجب يؤجر عليه، فإنه قد ثبت عندنا في صحيح مسلم، عن زيد بن أرقم، قال: (خطبنا رسول الله ﷺ بغدير يدعى خما بين مكة والمدينة، فقال: «**أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله**»، فذكر كتاب الله، وحض عليه، ثم قال: «**وعترتي أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**»[2].

قلت لمقدم: ونحن نقول في صلاتنا كل يوم: (اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد).

قال مقدم: فمن يبغض أهل البيت؟ قلت: من أبغضهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

ثم قلت للوزير المغولي: لأي شيء قال عن يزيد، وهذا تتري؟ قال: قد قالوا له: إن أهل دمشق نواصب.

قلت بصوت عال: يكذب الذي قال هنا، ومن قال هذا: فعليه لعنة الله، والله ما في أهل دمشق نواصب، وما علمت فيهم ناصبيا، ولو تنقص أحد عليا بدمشق لقام المسلمون عليه؛ لكن كان قديماً ــ لما كان بنو أمية ولاة البلاد ــ بعض بني أمية ينصب العداوة لعلي، ويسبه،

---

(١) هود: ١٨.

(٢) مسلم، ح/ ٢٤٠٨.

وأما اليوم فما بقي من أولئك أحد)[1].

هذه القصة كافية في عرض أثر ترويج التهمة بلا بينة، أو بتعسف، وأشد منه أن يرى الشيعي أن محبة آل البيت لا تنجي إلا إذا كانت على ما يهوى؛ وربما يؤرخ بهذه القصة على تاريخ انقطاع النصب من الشام، وعدم وجود من يوالي يزيد فيها؛ وأن يعتبر ما يقال زيادة على ما ذكره ابن تيمية فهو من النصب؛ علماً أن اتخاذ عاشوراء غرضاً للطعن في يزيد ليس شعارا للسنة، وبل ولا لطوائف من الزيدية، وليست البراءة من يزيد مع طول الزمن متحتمة في يوم عاشوراء؟ فلا معنى للترابط بينهما؛ كما لا يعني ذلك اعتقاد أن مذهب السلف أن يزيد كافر، لكن لا يحب، ولا يسب، فيعرض عنه كما يعرض عن غيره من الأحياء، كيف وقد تباعد زمانه[2].

من ينشغل بسببه ربما يكون لغرض، وربما كذلك الدفاع عنه، وفي الروايات الشيعية ما يدعم هذا الميل، فيرون عن جعفر الصادق ـ رضي الله عنهما ـ: (ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت ـ عليهم السلام ـ لأنك لا تجد رجلاً يقول: أنا أبغض محمداً، وآل محمد صلى الله عليه وآله؛ ولكن الناصب من نصب لكم، وهو يعلم أنكم تتولونا، وأنكم من شيعتنا)[3]؛ وهذا واقع الشيعة، فغرضهم في امتحان الناس هو امتحانهم في الشيعة ومحبتهم، لا في محبة آل البيت، فاتخذ يزيد وبني أمية غرضاً لهذا؛ كما أنهم يصلون إلى غرضهم بمشاركة من قد يستحسن، أو يستسيغ بعض أمرهم لهوى، وقد سبق زمن الدولة العباسية يسبون عمر رضي الله عنه بدعوى أنه أخرج العباس رضي الله عنه من الشورى[1].

٩. **اتخاذ عاشوراء موعدا لامتحان الناس في بني أمية عموما**: وهذا الذي استقر عليه الأمر في

---

(١) مجموع الفتاوى، ٤/ ٤٨٧- ٤٨٨.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٤/ ٤٩٨- ٥٢٦، ٥١٤، وجامع المسائل، ٥/ ١٤١- ١٥٨، ومنهاج السنة، ٤/٥١٧- ٥٤٩.

(٣) بحار الأنوار، ٨/ ٣٦٩، ٢٩/ ٤٠.

(١) سبق قريباً ص١٠٨٤ من البحث.

الأزمنة المتأخرة، حتى أصبح هو روح عاشوراء وغيرها من أيام الإمامية، وأصبح طعنهم على بني أمية كالدهليز إلى الرفض الصريح، والطعن على الشيخين وعموم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ ومثل ما يكون في خارج عاشوراء، ولكنه متعلق به وبمقتل الحسين، كزيارة الأربعين المشهورة، في العشرين من صفر.

من ذلك ـ أيضا ـ الاحتفال بيوم مقتل قتلة الحسين، شماتة بهم، ومن ذلك ما قد يقام ـ أحيانا ـ في يوم التاسع من ربيع الأول، فإنهم يحتفلون به زعما منهم أنه مقتل عمر بن سعد، قائد جيش الكوفة، ويسمون هذا اليوم بـ(عيد الزهراء)، أو فرحة الزهراء، يعزون فاطمة بابنها، ويحتفل فيه عوام الشيعة بالعراق بيوم مقتل قاتل ابنها، ويلبسون زينتهم، ويقيم أطفالهم وجهالهم فيه المهرجانات والأفراح[1]؛ والغريب أنه مع عادة الإمامية الرافضة في تمثيل مخالفيهم بمجسمات وحيوانات يهينونها انتقاما وتشفيا بزعمهم، وأيام يتخذونها فرحين بموافقتها لمقتل مخالفيهم، مع ذلك لم أقف على صنيع لهم مع قتلة الحسين في غير عاشوراء إلا في هذا اليوم.

لم أعرف زمن نشأة هذا الاحتفال، وهل هو قديم، أو أحدث متأخرا، ويظهر أن مشهور في بعض المجتمعات الإيرانية، ومنها انتقل إلى بعض المجتمعات العراقية وغيرها، كما أنه من توابع عاشوراء، ويفهم من بعض فتاوى المعاصرين رجوع وتجدد الاحتفال به في إيران والعراق، ونحوها، ومن هذه الفتاوى فتوى للمرجع الإمامي ناصر مكارم الشيرازي في قم، يحذر فيها من هذا الاحتفال، وأنه من خرافات العوام؛ ولكن مثل هذا التحذير يتكرر كثيراً، ولا يؤبه به، لأنه لو عممت فتواه لبطلت كل بدع الشيعة، فهي قائمة على الخرافات، هذا فضلا أن منطلق التعبد بمثل هذه الأعمال لا يقوم على كون الرواية خرافة أصلا، بل هي راجعة إلى أصل الاستحسان والمحبة لآل البيت، ولكن قد يجتهد بعضهم في تخفيف كثرة

---

(١) يذكر أنها عادة جاءت إلى العراق من الإيرانيين، انظر: مجلة لغة العرب العراقية، عدد: ٥٥، السنة السادسة، مقال: (أوابد الشهور)، أحمد حامد الصراف، والمجلة تصدر من وزارة الأعلام العراقية، وتطبع بمطبعة الآداب – بغداد.

الاحتفالات والبدع حفظا لصورة المذهب، لا مراعاة لضوابط العبادة، أو لأنه قد يوافق يوما مشهورا عند عوام المسلمين بالفرح، كيوم المولد في التاسع، أو الثاني عشر من ربيع الأول[1]؛ إضافة إلى أن هذا الاحتفال لقربه فإنه يدخل تحت منظومة الفاطميات في شهري جمادى الأولى والثانية، والذي يظهر من حال الإمامية المعاصرة قوة التوجه إلى إحيائه في السنوات الأخيرة.

١٠ . **اتخاذ عاشوراء موعدا للنوح على الحسين خصوصا**: وهذا الشعار الأول الذي استقر عليه الأمر منذ قرون، مع شعار الطعن على بني أمية، وشعار الجاهلية (النياحة) هو روح عاشوراء عند الإمامية في الظاهر؛ وأول من ناح على الحسين واتخذه شعارا لدولته وطائفته هو معز الدولة بن بويه، وذلك سنة ٣٥٢هـ، وذلك ببغداد، وقيل أنه هو أول من أظهرها عموماً، وأقيم فيها الحداد على الحسين؛ وهذه السنة المذكورة هي أول سنة أظهرت فيه بدعة النياحة مدعومة بالأمر السلطاني، ومحمية بالقوة، قال ابن كثير: (في عاشر المحرم من هذه السنة أمر معز الدولة بن بويه قبحه الله أن تغلق الأسواق وأن يلبس النساء المسوح من الشعر وأن يخرجن في الأسواق حاسرات عن وجوههن، ناشرات شعورهن يلطمن وجوههن ينحن على الحسين بن علي بن أبي طالب، ولم يمكن أهل السنة منع ذلك لكثرة الشيعة وظهورهم، وكون السلطان معهم)[2]؛ وسبق أن هذه الخطوة مسبوقة بتجارب غير رسمية، وبسب للصحابة في غير عاشوراء، وهو مما يدل على أن البدع يجر بعضها بعضاً، وأن الرافضة الإمامية يتعلقون بالأدنى لتحصيل مراد أعلى، فأصبحت عاشوراء موعداً رسمياً لسب الصحابة.

استمرت هذه النياحة في السنوات التالية: (٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨،

---

(١) موقع: نصوص معاصرة، مقالات، مقال: (المرجع الديني الشيخ مكارم الشيرازي يحذر من خرافة فرحة الزهراء)، وهو على الرابط التالي:

http://www.nosos.net/main/pages/news.php?nid=171

(٢) البداية والنهاية، ١١/ ٢٧٦؛ وفي بقية كلامه السابق أشار إلى يوم الثامن عشر من ذي الحجة وفيه قال: (أمر معز الدولة بن بويه بإظهار الزينة في بغداد وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد، وأن تضرب الدبادب والبوقات، وأن تشعل النيران في أبواب الأمراء وعند الشرط، فرحا بعيد الغدير -غدير خم-؛ فكان وقتا عجيبا مشهودا، وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة).

٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١هـ)؛ وتواصلت حتى سنة ٣٨١هـ[١]؛ إلى أن منعت النياحة سنة ٣٨٢هـ، أي بعد إقامتها ثلاثين سنة موالية[٢].

تجددت النياحة في فترات مختلفة، ولكن استقر معها أمور يحسن التنبيه عليها، وهي كما يلي:

أ- تجدد الإذن بالنياحة، ثم منعها بشكل متكرر، كما جرى في سني: ٣٩٣، ٤٠١، ٤٠٦، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٤١هـ، بسبب تجدد الفتن بين السنة والشيعة؛ إلى أن تم إصدار مرسوم يحضر هذه البدعة عام ٤٥٨هـ، وهي من مساعي نظام الملك الطوسي، كما سبق[٣].

ب- تجدد النياحة وسب الصحابة سنة ٥٥٦هـ[٤].

ت- إحضار النساء النائحات، لتلهيب المشاعر، واستشعار الحدث[٥]، وربما يكون ذلك للتترس بهن من العدوان، أو لينحن على من هلك في الفتن القريبة، طلبا للثأر، وتهييجا عليه، كما يرى اليوم في الفتن التي تحدث بين الشيعة والسنة، كفتنة البقيع.

ث- إحضار جنازة ميت يوم عاشوراء، وتقصد المرور بها في طرق المخالفين(السنة)، كما ذكر في حوادث سنة ٣٥٨هـ، ببغداد[١]، وتطور الأمر إلى إحضار جنازة موهومة، وتوابيت مصنوعة، ثم تمثيلها بقتلى كربلاء.

ج- تطور الأمر إلى تخصيص مواقع وساحات بارزة، تجتمع فيها المواكب، وتسير إليها من نواحي متفرقة، مرورا بمساكن السنة، إظهارا النوح، وإغاظة للسنة، كما حصل في سنة

---

(١) تاريخ الإسلام، ٨/ ١١، ١٣، ١٤، ١٧، ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ١٧٩.

(٢) تاريخ الإسلام، ٨/ ٥٠٩.

(٣) المنتظم، ١٥/ ١١١، ٢٠٤، قال: (وأنكر الخليفة على الطاهر أبي الغنائم المعمر بن عبيد الله نقيب الطالبيين تمكينه من ذلك، فذكر أنه لم يعلم به إلا بعد فعله، وأنه لما علم أنكره وأزاله)، وتاريخ الإسلام، ٨/ ٦٨٦، ٩/ ٧، ٩/ ١٠، ١٧، ٣٤١، ٣٤٤، ٦٠٧، ١٠/ ١٢، والبداية والنهاية، ١٢/ ١١٤.

(٤) تاريخ الإسلام، ١٢/ ٢٠.

(٥) المنتظم، ١٦/ ٩٤.

(١) المنتظم، ١٦/ ٩٤.

٤٠٦هـ[١].

ح- أن يكون مشهد الحسين موضعا للتقاتل في غير عاشوراء، وإظهار الإفساد والمنكرات، ومن ذلك ما ذكر في حوادث سنة ٤٨٩هـ، بين خفاجة وسيف الدولة صدقة بن دبيس[٢].

١١. **ظهور التقابل في النوح في عاشوراء بين السنة والشيعة:** وهذا التقابل ظهر بشكل بارز في المشاهد والمزارات، حيث تحدث فتنة بسبب مواكب الشيعة، ومرورها في طرق السنة ومشاهدها، مما أحيا وجود مواكب وجماعات لحماية مواقع كل طائفة، حتى مهد ذلك لأن تحتفل كل طائفة بعاشوراء على طريقتها، وعلى حدة، ومن ذلك[٣]، أن جهلة أهل السنة اعتادوا التقابل زمنا طويلا، فيحتفلون بالغار، لإظهر فضل أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويزورون قبر مصعب بن الزبير، لبيان قرابة آل الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من النبي ﷺ؛ فالسنة بعد ثمانية أيام من الغدير احتفلت بالغار لأبي بكر، وبعد عاشوراء بثمانية زارت قبر مصعب بمسكن بالعراق[٤].

١٢. **فروع الفرح واللهو،** وهذا يقع عند السنة والشيعة، ابتداء ومقابلة، أما من جهة الشيعة فمنه طبخ اللحوم، وتوزيع الحلوى، ولعل عاشوراء انتقل لها الفرح واللهو من مظاهر الغدير الليلية، من الفرح، وإشعال النيران، والتوسعة والسرور، والتي ابتدأت بالظهور سنة ٣٨٩هـ، كما ذكر ابن الجوزي ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ـ[١]؛ ولأهمية هذا الجانب من حيث تعلق الإمامية به في النصب أفردت له المطلب لتالي.

---

(١) المنتظم، ١٥/ ١١١.

(٢) المنتظم، ١٥/ ١١١، والبداية والنهاية، ١٢/ ١٨٧.

(٣) المنتظم، ١٥/ ١١١.

(٤) مجموع الفتاوى، ٤/ ٥١٣، وتاريخ الإسلام، ٨/ ٥١٤.

(١) المنتظم، ١٥/ ١٤.

المطلب الثالث

واقع الفرح في عاشوراء عند بعض جهلة أهل السنة

تتوسع الإمامية في اتهام المسلمين بالنصب من خلال عاشوراء حتى تشمل طوائف متنوعة من المسلمين، وقد يعبرون ـ أحياناً ـ عن كثير منهم بالسنة تشنيعاً، وتتعلق الإمامية في ذلك ببقاء مظاهر التوسعة يوم عاشوراء، التي سبقت الإشارة إليها، وتجزم بأنها تعبير عن بغض السنة وعداوتهم للحسين، وتتوصل من خلالها ــ ومن خلال غيرها ــ إلى تكفير جمهور المسلمين، والبغي عليهم متى كان باستطاعتهم ذلك، وإن كانوا يضطرون إلى التعايش معهم تقية، فهذا المجلسي يقول: (ويظهر من بعض الأخبار بل من كثير منها أنهم في الدنيا أيضا في حكم الكفار، لكن لما علم الله أن أئمة الجور وأتباعهم يستولون على الشيعة، وهم يبتلون بمعاشرتهم، ولا يمكنهم الاجتناب عنهم، وترك معاشرتهم ومخالطتهم ومناكحتهم؛ أجرى الله عليهم حكم الإسلام توسعة، فإذا ظهر القائم ــ عليه السلام ــ يجري عليهم حكم سائر الكفار في جميع الأمور، وفي الآخرة يدخلون النار ماكثين فيها أبدا مع الكفار، وبه يجمع بين الأخبار، كما أشار إليه المفيد والشهيد)[1].

إذا كان تقرر من قبل فرح الاثني عشرية وسرورها بعاشوراء، واتخاذه موسما للفرح والمهرجان، وموعدا منتظرا للثأر والثورة والانتقام؛ فلا غرابة أن يُقَابَلُوا برد باطلهم، وأن يكون هذا التقابل موضعاً للزيادة غير المشروعة من بعض المسلمين، جهلا، أو خطأ، فالمنتسبين للسنة لم يخل حال بعض جهلتهم وعوامهم من الفرح واللهو، وربما يغتر بعضهم بما روى من أحاديث عاشوراء الباطلة، وفهم منها أن ذلك لمقابلة بدعة الرافضة، حتى اتخذوا عملهم شعارا ضد الرافضة الإمامية، الذين يظهرون الحزن والنوح، يقول شيخ الإسلام: (وقوم من المتسننة رووا، ورويت لهم أحاديث موضوعة بنوا عليها ما جعلوه شعاراً في هذا اليوم يعارضون به شعار ذلك القوم، فقابلوا باطلا بباطل، وردوا بدعة ببدعة، وإن كانت

---

(١) بحار الأنوار، ٨/ ٣٦٩، ٢٩/ ٤٠.

إحداهما أعظم في الفساد، وأعون لأهل الإلحاد، مثل الحديث الطويل الذي روي فيه: "من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام، ومن اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد ذلك العام"، وأمثال ذلك)[١].

سبق عرض صور من هذا التقابل الخاطئ، وما جرى بسببه من الفتن العظيمة، حتى قال ابن كثير: (وكلا الفريقين قليل عقل، أو عديمه، بعيد عن السداد)[٢]، وقال ــ أيضاً ــ في حوادث سنة ٣٨٩هـ: (ولما كانت الشيعة يصنعون في يوم عاشوراء مأتما يظهرون فيه الحزن على الحسين بن علي، قابلتهم طائفة أخرى من جهلة أهل السنة فادعوا أن في اليوم الثاني عشر من المحرم قتل مصعب بن الزبير، فعملوا له مأتما، كما تعمل الشيعة للحسين، وزاروا قبره، كما زاروا قبر الحسين، وهذا من باب مقابلة البدعة ببدعة مثلها، ولا يرفع البدعة إلا السنة الصحيحة)[٣].

أما حال طائفة من العلماء والعباد المنتسبين للسنة في عاشوراء فلم يخل من زيادة على المشروع، ولكن لا على سبيل التنقص من آل البيت كما تزعم الإمامية، بل بسبب توسعهم في مفهوم الشكر الوارد في نصوص صوم عاشوراء، وقبولهم لأحاديث فضائل عاشوراء؛ وهؤلاء يظهر منهم الميل إلى التعبد والتنسك، والوعظ والتوبة، ولعل التوسع من العباد في ذلك أظهر، كما جرى منهم ميل إلى تعظيم الموالد والمشاهد عموماً، والذي يصاحبه الفرح والصخب والعوائد السيئة؛ لعل ذلك جر جهلتهم ــ أحياناً ــ إلى محاكاة الشيعة في مواسمهم، وتضمين أعمالهم ذكر الحسين والثناء عليه؛ كما ينجرون في أحيان أخرى إلى مقابلة مواكب الشيعة يوم عاشوراء بمواكب خاصة بهم في مجامعهم وطرقاتهم ومشاهدهم.

مع طول الزمن تمتزج البدع ببعضها، ومن ذلك تجمع الصغار، أو النساء، مع شيء من اللهو واللعب والأهازيج، وربما احتوت على ذكر الحسن والحسين، والثناء عليهما،

---

(١) مجموع الفتاوى، ٤/ ٥١٣.
(٢) البداية والنهاية، ١١/ ٣١٢.
(٣) البداية والنهاية، ١١/ ٣٧٣.

أو استذكار مصاب الحسين ـ خاصة في أهازيج النساء ـ؛ مما يخفى ـ مع طول الزمن واعتياده ــ معرفة الباعث عليه، بل قد يتشارك بعض الطائفتين ــ السنة والشيعة ــ فيه، كما قد يشارك فيه غير المسلمين، من النصارى أو من الهندوس، وغيرهم، وهذا مع طول التعايش في منطقة متقاربة فإنه يقع؛ مما يفرح ويأنس به بعض الجهلة، وقد ذكر لي بعض من قابلتهم من كبار المشايخ والدعاة في حيدر أباد من بلاد الهند أن الهندوس يحتفلون بعد بعاشوراء، في اليوم التالي، بعدما يحتفل به الشيعة هناك، وقد يرددون في احتفالهم اسم: (هسو هسين)، أي حسن وحسين[1].

ظاهرة الاحتفال والبدع التي توجد عند أهل السنة في يوم عاشوراء تستحق أن تفرد بدراسة مستقلة، وهي إن كانت خارج موضع الدراسة، لكن لأهمية ربط واقع الإمامية بواقع السنة، وتجاذبهما في الآثار، وأثر هذا التجاذب على واقع الطائفتين قديماً وحديثاً فإني أذكر بثلاثة نماذج من واقع السنة تدل بمجموعها على أن مجتمع السنة قابل لإحياء البدع بحجة المقابلة، ومن دونها، بسبب انتشار الجهل والتساهل في الأحاديث الضعيفة، وبسبب انتشار التصوف في بلاد المسلمين؛ وعاشوراء تحمل في أحاديثها وأخبارها بعض الشبهة التي يتوسع من خلالها في تحري عاشوراء، كما سبق، وأكثر ما يشكل منها هو اتخاذ عاشوراء يوم عيد وتوسعة، وهذا وإن ظهر وكثر في صنيع بعض النساء والصغار فإن هذا لا يخرجه من حيز البدعة والمحظور، ولا يخرجه من شبهة النصب التي يطعن من خلالها الشيعة في أهل السنة، وهذه النماذج الثلاث تحكي مواضع متفرقة من بلاد المسلمين، أشدها غرابة ما بقي إلى اليوم في بلاد المغرب الأقصى؛ ولأهمية بيان هذا الجانب فأذكره مع التعليق عليه في النقاط التالية:

أ- عمل ينتشر في عدد من بلدان العالم الإسلامي التي تتخذ يوماً عاشوراء يوم فاضلا، تعمره بالعبادات المحدثة، كدعاء عاشوراء، وصلاته، وإحياء ليلته، وزيارة المشاهد والمقابر، وقد يصاحب ذلك بعض السماع الصوفي، وقراءة الموالد، وابتداء الخلوات والأوراد الخاصة بالطرق الصوفية، وسبق أنها والإمامية تتشابهان في هذا الباب، بل من الصوفية من يحيي النوح

(١) سبقت الإشارة إلى هذا العمل وتخريجه ص٣٨٩ من البحث.

على الحسين تأثرا بالشيعة، ومنهم يبدأ خلوته السنوية ـ كالأربعينية ـ في اليوم الحادي عشر من محرم[1]؛ ومنهم من يعتاد زيارة مشاهد آل البيت، وأن من الإمامية من يتهم الصوفية بسبب أفعالهم هذه بالحلولية، وإبطال الشرائع[2]، كما سبق الحديث قريبا ذكر أثر من آثار التشيع زمن الحلي، ودفعه لسلاطين المغول لغزو الشام عام ٧٠٢هـ، تحت دعوى النصب لآل البيت، ثم نشرهم لكتبهم التي يروجون بها اتهام الصحابة بذلك، وسبق ـــ أيضاً ـــ ذكر موقف ابن تيمية في رد هذه التهمة، وبيان الحق فيها[3].

تتبع هذا الجانب على استقلال يحتاج إلى جهد مستقل يطول عرضها هنا، وأرى أهم منه ما في الفقرتين القادمتين من إيضاح لبدع عاشوراء وتعلق العوام بها في بيئتين متباينتين في موقفهما من التصوف وآثاره العملية؛ مما جعل المسألة تأخذ إطاراً مستقلاً عن شبهة التعبد والتصوف، وتلتحق بالعادات الخاصة ببعض البلدان، وذلك بسبب تطاول الزمن وطول العهد، بل ويخفى معه مظنة النصب وعداوة آل البيت، بل ويجزم بانعدام ذلك خاصة في فترات الجهل، وعدم ظهور التقابل والفتن بين السنة والشيعة.

ب- عادة في بعض أو كثير من بلاد نجد انقرضت منذ فترة قريبة، من أسمائها ما يلي:

١. (المباقى/ المباقا)، والمباقاة مفاعلة من يباقي، ويباقون، أي البقاء والإبقاء بالمكان على سبيل المعارضة، حتى يعطى الباقي في المكان حاجته[4]، ومنه الدوام والدعاء بطول العمر، وفي أهازيج الصبيان: (باقي باقي بين النخل والساقي)، ولعلها تعني أن الصبية يبقون منتظرين حتى يعطوا من الثمار الرطبة، أو الجافة، أو الحلوى.

---

(١) راجع ص٧٥٣ من البحث.

(٢) راجع ص٥٩٠- ٥٩٨، ٧٦٢- ٧٧٦ من البحث.

(٣) راجع ص١٠٨١ من البحث، وانظر كتاب: شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن ناصبياً، الخراشي، ص٣٠- ٣٨. سليمان بن صالح الخراشي، ط١، ١٤١٩هـ، دار الوطن – الرياض.

(٤) انظر: لسان العرب، ١٣/ ٣٩٩، مادة: متن، وقال ابن منظور: (ويقال: ماتن فلان فلانا إذا عارضه في جدل أو خصومة. قال ابن بري: والمماتنة والمتان هو أن تباقيه في الجري والعطية)، وقال المحقق في الحاشية ح (قوله: تباقيه؛ هكذا في الأصل، ولم نجد فعل باقى في المعاجم التي بين أيدينا).

٢. (التعمر)[(١)]: أي أنها عادة في شهر العمر، و"العمر" من أسماء شهر محرم[(٢)]، فيسمي البعض ــ خاصة من العوام وكبار السن ــ شهر محرم شهر العمر، ويسمون يوم عاشوراء: عيد العمر[(٣)]، وبعضهم عندما يعد الأشهر يقول: (شهر الضحية، والعمر، وصفر)[(٤)]، وذلك إما أخذاً من أنه بداية جواز العمرة والاعتمار بعد شهر الحج، كما في الحديث: عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض، ويجعلون المحرم صفرا، ويقولون: إذا برا الدبر، وعفا الأثر، وانسلخ صفر، حلت العمرة لمن اعتمر)[(٥)].

على ما سبق فتسمية شهر محرم بشهر العمر لهذا المعنى مناقضة لأهل الجاهلية الذي يجعلون ـ بسبب النسيئة ــ شهر صفر (الثاني بعد ذي الحجة) هو شهر العمر، وقد يكون هذا المعنى بعيداً، لأنه من أحوال الجاهلية التي نسخت بالإسلام فيكتفى به[(٦)]، فالعمرة في كل

---

(١) ضبطها بالشكل كما سمعتها: (التِّعِمِّر) بالتاء المضعفة الممالة، والعين المكسورة، والميم المضعفة المكسورة، وأظن أن أصلها (التَّعَمُّر) بفتح بالتاء المضعفة، والعين المضمومة، والميم المضعفة المضمومة.

(٢) لم أقف على تاريخ هذه التسمية، ويظهر أنها ليست قديمة، إذ ثم اسم آخر يعرف قديماً لمحرم، وهو (المُؤْتَمِر)، انظر: الأيام والليالي والشهور، ص٤٩، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت/ ٢٠٧هـ، ت. إبراهيم الأنباري، ط٢، ١٤٠٠هـ، دار الكتاب المصري – القاهرة، ودار الكتاب اللبناني – بيروت.

(٣) انظر: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (بن عبد اللطيف آل الشيخ)، ٤/ ٢٠٣.

(٤) وهذا لا يزال محفوظاً ودارجا على ألسنة العجائز خاصة، أفادني بذلك زميلي الفاضل عبدالعزيز الحمادي، المدرس بمعهد الغاط العلمي، وهو من سكان محافظة الزلفي، وسمعته كذلك من غيره.

(٥) البخاري، ح/ ١٤٨٩، ٣٦٢٠، ومسلم، ح/ ١٢٤٠، وأكثر ألفاظ الحديث: (وانسلخ صفر)، والمقصود أن هذا لا يكون إلا بعد يوم النحر بخمسين يوماً، والعرب بسبب النسيئة تقلب الشهرين بعد شهر الحج فتسمي الأول صفر، والثاني محرما، وأغرب ألفاظ الحديث:عن فإن هذا الحي من قريش ومن دان دينهم كانوا يقولون: إذا عفا الوبر، وبرا الدبر، ودخل صفر، فقد حَلَّتِ الْعُمْرَةُ لِمَنِ اعْتَمَرَ)، كما في: صحيح ابن حبان، ح/ ٣٧٦٥، وكذلك سنن أبي داود، ح/ ١٩٨٧، والنسائي في سننه (ح/٢٨١٣) جمع بين اللفظين: (دخل وانسلخ)، وهذا اللفظ يفيد أن هذا الحال عند قريش ومن يوافقهم من المجاورين لهم، وهم لا يحتاجون إلى المدة الطويلة ليرجعوا آمنين إلى ديارهم، أما الأباعد عن مكة وقريش فإنهم قد يخالفونهم في التأريخ والأشهر الحرم.

(٦) السيوطي في المزهر، ٢٣٩/١، نقل عن ابن دريد في جمهرة اللغة أن العرب لم تكن تسمي محرماً بهذا الاسم، بل تسميه مع ما بعده بالصفرين، وأن الرسول ﷺ هو الذي قرر حرمته، وأنه شهر الله بعد أن كانوا يتلاعبون بحرمته فيؤخرونها أحياناً، وذكر السيوطي أن هذا وجه تسميته بشهر الله.

شهر، ولا حاجة لتخصيصها بشهر محرم، بل تشرع حتى في أشهر الحج، ولأنه يلزم منه أن الشهر الذي تحل فيه العمر هو في شهر صفر على الحقيقة، لا المنسأ الذي هو المحرم، فاسم العمر لمحرم هو اسم له حال الجاهلية، حين كانوا ينسأونه[(١)]؛ وربما كانوا يرون في صنيعهم هذا دفعا لشؤوم صفر، الذي تصفر في رحالهم من المكاسب بسبب تتابع الأشهر الحرم، وتركهم الغزو والسلب، فبقطعهم التتابع، ومتابعة التحريم في صفر رجوا بركته، وأمنوا فيه زائر البيت العتيق ومعتمره.

أظهر مما ذكر أن إطلاق اسم العمر لشهر محرم لأن البعض يعتقدون بركة شهر محرم، وأنه يعمر بطاعة الله، وأن من بورك له فيه فهو مظنة أن يبارك له في سنته كلها، وهذا أمر مشترك بين السنة والشيعة، ومنه استحباب العمرة في هذا الشهر، وهي الزيارة عموما، ومنها زيارة المشاهد، ومثلها أي زيارة، وكذلك أي تعمير لمكان يجتمع فيه للعبادة، وإتيان لموضع عامر؛ فيسمى هذا المكان العمرة والعمر، كالبِيَـع[(٢)]، وتطلق العمر على معان متفرقة يمكن أن يستأنس بمجموعها على ما أحدث في عاشوراء[(٣)]، وهو أمر مشترك بين بعض المنتسبين إلى

---

(١) انظر: فتح الباري، ١/ ١١٥.

(٢) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٢/ ٢٣١.

(٣) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٢/ ٢٣١، ١٤/ ٣٢٢، ولسان العرب، ٤/ ١٠٦- ١١٠، مادة: عمر،، وتاج العروس، ١٣/ ١٢٣- ١٤٦، مادة: عمر، ومن هذه المعاني: نوع من المكاييل، كالصاع، والعمر عشر. (الأيفة)، وهي كلمة مأخوذة من اللغة المصرية، وتستعمل لقياس المواد الجافة فقط، وهي مجزأة إلى عشرة أجزاء، يقال للجزء الواحد: "العمر"، "عومير"، "أومير"، أو الكومة، ويقال له عشر، والعمارة، بالفتح: أصغر من القبيلة، يلتف بعضها على بعض، ومنها العمارة: ما يوضع على الرأس وجاهة، كالعمامة، والعمر: محركة: المنديل أو الخمار ونحوه، تغطى به الحرة رأسها، والعمار الرجل يجمع أهل بيته، والرجل يثبت على الطاعة والإيمان، والعمارة التحية، وقيل: هي رفع صوته بالتعمير، أي الدعاء، والعومرة: الاختلاط والجلبة ومجمع الناس، وإيقافهم على الأبواب، ومنها العمرة، أي العبادة، وإشغال العمر بها، والعمر: الشجر الطوال، واحدتها عمرة. وفي التكملة: العمر، بالفتح، والعمر، بضمتين: ضرب من النخل، وقد يراد به نخل السكر، وفي بعض النسخ: محل السكر وهو غلط. والسكر: ضرب من التمر جيد، قال: العمر: ضرب من النخيل، وهو معروف عند أهل البحرين، وتمره من أجود التمور؛ وأبو عمرة: كنية الإفلاس، والجوع، وقيل نسبة لرجل اسمه عمرة، وهو رسول المختار بن أبي عبيد، وكان إذا حل نزل بقوم حل بهم البلاء من القتل والحرب، وكان يتشاءم به.

السنة والشيعة الإمامية، كما أن بعض الإمامية قد يسمون شهر محرم بشهر عاشوراء[١].

٣.(البطاط): أي النثر، نثر الحلوى والهدايا على مجمع الصبية والشباب، ويكون نثرها بإلقائها من شرفة، أو من فوق سور، ويظهر أنه مصطلح عامي[٢]، ولعل أصله من البطة، وهو وعاء من زجاج، كالقارورة، وقد يسمى الدبة[٣]، ومن يصنعها يسمى البطاط[٤]، والبطة جمعها بطاط، وربما سميت بذلك لكثرة ما يوزع من الحلوى فكأن كل واحد أعطي وعاء من الحلوى، أو أنه أخذ من الجلد يشق (ويبط)[٥]، فينتثر ما فيه، وعند عامة بعض نجد يبطبط علينا: يوزع ما معه شيئا فشيئا، ببطء وعسر، كأنه بخيل، ومنه المبط مبضع الجراحة[٦]، والتبطيط تجارة البط، وذكر له معانى منها: الشق والبعد والتأخر والإعياء والدهاء والعجب والحمق والعاطل والكذب[٧].

أدركت آخر هذه العادة قبل أن تنقطع بتحذير أهل العلم عنها، وهي خاصة ـ فيما أذكر ـ بالصغار والشبيبة[٨]، حيث يتجمعون في الطرقات يوم عاشوراء بعد المغرب، وقد يبتدئون قبله بيوم، أو من أول المحرم، ويجوبون الطرقات، وبين البيوت يسألون العطاء والهدايا، وغالبا تكون من الحلوى والمكسرات ونحوهما، ويشعرون باستعداد بعض أهالي البيوت لاستقبالهم، فيتجهون إليها، ويصدحون بهتافات ودعوات، منها قولهم: (باقي باقي بين النخل

---

(١) انظر: بحار الأنوار، ١٠٥/ ١٠٦، ١١٥،

(٢) وربما منه بطاط النخل، وهو ما يتساقط من تمرها، لعلوها.

(٣) بلغة أهل مكة، انظر: لسان العرب، ٧/ ٢٦١، مادة: بطط، وتاج العروس، ١٩/ ١٥٤، مادة: بطط.

(٤) المعجم الوسيط، ١/ ٦١، وقال: (البطاط) صانع بطة الدّهن والمتجر فِيهَا.

(٥) انظر: لسان العرب، ٧/ ٢٦١، مادة: بطط.

(٦) المعجم الوسيط، ١/ ٦١.

(٧) انظر: المحيط في اللغة، ٢/ ٣١٤، مادة: بط، ولسان العرب، ٧/ ٢٦١، مادة: بطط، وتاج العروس (١٩/ ١٥٤- ١٦٠، مادة: بطط، وفيه: (وَتقول: صِبْيانُ العَرَب فِي أحاجيهم: مَا حَطائِطٌ بُطائِطٌ، تَمِيسُ تَحْتَ الحائِط يَعْنونَ الذَّرَّةَ)، وقيل أصل الكلمة فارسي.

(٨) أفادني فضيلة الشيخ سليمان بن عبد الله العمرو وفقه الله أن عادات الفرح توجد أيضاً في ليالي العيد، فيطوف الصغار على البيوت لطلب الهدايا، في عادة كانت تعرف بالتشرط. ومثل هذا أيضاً عادة التقريش ليلة دخول رمضان. وانظر جريدة الرياض، عدد: ١٦١٢٩، بتاريخ ١٤٣٣/١٠/٣هـ، فقال: (الحقاق والحومة والقرقيعان والتشرط مظاهر فرح الطفولة).

والساقي)[1]، و(عطونا عيدنا عادت عليكم، ولا حزن ولا رزن يرجد عليكم)؛ و(عمرونا عمر الله بيوتكم وكثر الله عيالكم)، وقد يزيد بعضهم عبارة: (من الحسا إلى الحسين)[2]، ولعله مأخوذة من أهازيج شيعة الأحساء، كما أن بعض العبارات تفيد أن الصبية قد يأتون أهل المزارع، ويوافون موسم الحصاد والثمار، أو إخراج زكاتها فيعطون منها؛ وهي تتوافق مع عاشوراء بعد حين، لأنها على دورة الشمس.

بعد هذه الأهازيج والجلبة في الطرقات والأحياء تلقى إلى هؤلاء المتعمرين العطايا من أعلى سور البيت، وتنثر بينهم (البطاط)، ويتنافسون في تلقيها والاستكثار منها، ويتخذون لذلك ثيابهم وحجورهم، أو صناديق يرفعونها لتملأ لهم، فإن رضوا صاحوا شاكرين داعين، ومن ذلك قولهم: (فلان يكبر، ويحج بأمه)، وإن لم يرضوا سبوا أهل ذلك البيت، وربما آذوهم، وربما فوجئوا ببعض الأهالي يستبدل العطايا والهدايا برشق الماء عليهم، ويظهر أنها درجت إلى الناس ممن وفد عليهم من غيرهم.

لم أقف على تاريخ لهذه العادة في بلاد نجد، ولم أعرف مدى انتشارها، مع الظن أن وجود دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خففت ومنعت كثيراً من البدع في بلاد نجد، وإن كان بعض الفقهاء قد يتساهل فيها، لأنها من جنس أحاديث الفضائل، وقد يكون تأثر بذلك بعض الحنابلة المتأخرين، بينما لم يظهر في كتب متقدمي الحنابلة ذكر حديث التوسعة على العيال مع صوم عاشوراء[3]، بل إن الدعوة النجدية الأشبه بحالها التشديد في هذه الأعمال، لأنها من

---

(١) انظر: الرس عبر التاريخ، ص٢٧١، عبدالله بن صالح العقيل، ط١، ١٤٢٥هـ، بدون ذكر دار النشر.

(٢) أفادني بهذه الزيادات الشيخ الدكتور صالح بن محمد الرشيد عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين –سابقاً–، بمحافظة الرس.

(٣) فمثلاً لم يشر ابن قدامة في كتبه المشهورة إلى التوسعة على العيال، وإنما وجدت عند المتأخرين من شراح الحنابلة، ومن هؤلاء ابن مفلح في القرن التاسع الهجري، وهو متأخر عن ابن مفلح صاحب الفروع، انظر: المبدع (في شرح المقنع)، ٢، ٣٣، ٣/ ٤٩، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، ت/ ٨٨٤هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، وابن مفلح خولف من البهوتي والسيوطي الحنبلي وغيرهما، انظر: الإقناع، للحجاوي، ت/ ٩٦٨هـ، ١/ ٣١٨، وكشاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور البهوتي، ت/ ١٠٥١هـ، ٣٣٩/٢، والروض المربع شرح زاد المستقنع، للبهوتي –أيضاً–، ص٢٣٩، وحاشية الروض المربع، =

بدع النواصب المحدثة، كما هو حال شيخ الإسلام ابن تيمية، التي تعتمد الدعوة النجدية كثيراً من أقواله، وأعجب من هذا أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب نص على أن التوسع في العبادة من مسائل الجاهلية، ومن البدع، فقال: (التاسعة والستون: الزيادة في العبادة، كفعلهم يوم عاشوراء)[1]، وسار على هذا غالب أئمة الدعوة ـ فيما يظهر ـ[2]، متعقبين ما يرخص فيه بعض الفقهاء، ومن آخر أئمة الدعوة مفتي الديار الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ[3]، والشيخ عبدالعزيز بن باز[1]، وتلميذه الشيخ محمد بن عثيمين[2]، وأعضاء اللجنة الدائمة

=

لابن قاسم، ت/ ١٣٩٢هـ، ٣/ ٤٥١، وشرح منتهى الإرادات (دقائق أولي النهى/ الأصل لابن النجار، ت/ ٩٧٢هـ)، للبهوتي -أيضاً-، ١/ ٤٩٣، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي الرحيباني، ٢/ ٢١٨؛ وهؤلاء كتبهم معتمدهم عند فقهاد نجد، وقد خالفوا ابن مفلح في ذكره التوسعة على العيال يوم عاشوراء.

(١) مسائل الجاهلية، ص٥٦، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ٣/ ٥٢، رسالة: آداب المشي إلى الصلاة،

(٢) يظهر أن عامة تقريرات أئمة الدعوة وفتاويهم متسقة في هذا الباب، ولم يغرب منها إلا فتوى لحفيد إمام الدعوة، مجددها الثاني الشيخ عبدالرحمن بن حسن، فبعد أن بين -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- بدعية كثيراً من أعمال عاشوراء، كنحر بهيمة الأنعام، وأن هناك من يسمّيه نافلة، ويفعلونه في المولد ورجب، ونحوهما، وبعد ذلك كأن الشيخ عبد الرحمن رخص بيسير التوسعة، فقال: (وأمّا حديث التّوسعة على العيال يوم عاشوراء فضعّفه شيخ الإسلام ابن تيمية، لكن تحصل التّوسعة بدون اتّخاذه عيداً. والله أعلم)؛ انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ٥/ ٣٦٠- ٣٦١، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ١/ ٣٥٧- ٣٥٨؛ ولعل الشيخ رام الجمع بين ما اشتهر لدى الفقهاء في كتبهم وبين بعض أحاديث الصوم، وتعويد الصبية عليه، وتشجيعهم بشيء من اللعب، وقد ورد مثله في أحاديث الأنصار، كحديث الربيع بنت معوذ، وفيه: (قالت: فكنا نصومه بعد، ونصوم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك، حتى يكون عند الإفطار)، وسبق ذكره ص٩٣٣ من البحث؛ ومثله أن تخص التوسعة بالنفقة على العيال دون غيرها، والله أعلم.

(٣) انظر: فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، ٤/ ٢٠٣.

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن باز، ٢٦/ ٢٥٢، وبين ابن باز أن جميع أحاديث عاشوراء موضوعة، ما عدا الصيام، وأن التوسعة بدعة.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ٢/ ٢٩٦، ٢٠/ ٥٠.

للإفتاء[1]، رحم الله الجميع وغفر لهم.

ت- عادة في بلاد المغرب حيث يسمون يوم عاشوراء، بيوم (زمزم)، يحييونه بعدد من الأعمال الغريبة، والمختلفة في مواردها، فبعضها متأثر بالنصارى، وبعضها باليهود، وبعضهم من الثقافة المحلية، وهي وإن كانت بدعة متراكمة يجب تركها، وربما كانت تفعل منذ زمن قديم، لكن ليس للنصب وعداوة الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ موضع ظاهر فيها، على خلاف ما يُرْمَونَ به من إحيائهم لعادات بني أمية[2]، وهي تتضمن عدداً من المظاهر، يجمعها أن يوم عاشوراء يوم يتحلل فيه الصغار والنساء من حكم الرجال وآدابهم، حتى أصبح هذا اليوم عند بعض النساء يوم خاص بهن، بمقابل يوم المولد الخاص بالرجال!؛ وهذا مما يدل على مخالطة هذا اليوم لعوائد الصوفية وعوائد البلدان وأساطيرها الشعبية[3]؛ وتستغرق هذه العادة عدة أيام

---

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، ١٠/ ٤٠٠، ٤٣٦، ١٣/ ٩١، ١٦/ ١٧٦، وفيها أنه ليس ليوم عاشوراء زكاة فطر، ولا تتحرى فيه الهدايا.

(٢) ممن نقدها من متقدمي الإمامية الكراجي، ت/ ٤٤٩هـ، صاحب كنز الفوائد، في حاشية بحار الأنوار، ١٠٢/ ٢٦٣، حاشية (٥)، نقل عنه من كتاب له اسمه: التعجب، وهو في الرد على أهل السنة (العامة)، وأغلاطهم في الإمامة، ومما اتهم به أهل المغرب من النصب أن قال: (ومن عجيب أمرهم ما سمعته أنهم في المغرب بمدينة قرطبه يأخذون في ليلة عاشوراء رأس بقرة ميتة، ويجعلونه على عصا، ويحمل ويطاف به الشوارع والأسواق، وقد اجتمع حوله الصبيان، ويصفقون، ويلعبون، ويقفون به على أبواب البيوت، ويقولون ياستى المروسنة، أطعمينا المطنفسة، يعنون الفطائف، وأنها تعد لهم، ويكرمون ويتبركون بما يفعلون، وحدثنا شيخ بالقاهرة من أهل المغرب كان يخدم القاضي أبا سعيد بن العارفي، أنه كان ممن يحمل هذا الرأس في المغرب، وهو صبي، في ليلة عاشوراء، الخ)، وهذ من العادات الموروثة التي لم يذكر فيها عداوة الحسين، فإلزام أهل السنة بالعداوة والنصب تعنت وتكلف، إذ لم يتنقصوا أهل البيت، ولا أدري كيف فهم الكراجي هذا من القصة، لكنها ولا شك بدعة منكرة.

(٣) من البلدان التي ذكر عنها قديماً الاحتفال بعاشوراء بلدة (مُنَسْتِير: بضم أوله، وفتح ثانيه، وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة من فوقها، وياء، وراء: وهو موضع بين المهدية وسوسة بإفريقية)، وهي بلدة بناها هرثمة بن أعين أحد قواد وولاة الدولة العباسة زمن هارون الرشيد، وذلك سنة ١٨٠هـ، وذكر ياقوت الحموي، ت/ ٦٢٦هـ أنه يقام فيها موسم عظيم ومجمع كبير في عاشوراء، ويجتمع في مسجدها العباد المرابطون، وفيه مزار للنساء المرابطات، ويظهر أن العمل أقيم متأخراً، وتلك الجهات قد تكون ورثت مزيجاً من آثار الدول الرافضية الشيعية، والدول الخارجية الأباضية، ومن التصوف؛ مما جعل مثل هذه الأعمال فيها =

قد يتكون بداياتها من أول شهر محرم، ومن أعمال وبدع هذا اليوم والموسم ما يلي:

١. رش الماء، حيث يقوم الصغار برش الماء على بعضهم البعض، ويقوم الرجال والنساء برش الماء على مقتنياتهم وبيوتهم ومدخراتهم تبركا[١]، وربما من هذا جاء اسم زمزم، ورغم أن زمزم هو اسم بئر في مكة[٢]، ولا ترابط بينهما اللّهم إلا إن كان من جهة أن العرب تعظم الكعبة يوم عاشوراء، ففي المغرب يوصف يوم عاشوراء بهذا الاسم، والذي تكون فيه للأطفال حرية كاملة لرش المياه على أصدقائهم وجيرانهم في الشارع؛ بل توسع الأمر إلى التراشق ببيض الدجاج، وربما نسب رشق المياه إلى اليهود المغاربة الذين أخذوها من يهود ليبيا[١]، أخذا من أنه يوم عبور البحر، وإن كان مع مرور الزمن لا يرون إلا أنه موروث إسلامي لآبائهم.

٢. تسويق البضائع، فيحاول التجار بيع كل بضائعهم ــ وخاصة المناسبة للأفراح ــ قبل

=

قديمة، وممن أشار إلى مذاهب أهل المغرب وانتشار المذهب المالكي بعد انتشار المذهب الحنفي المعتمد في القضاء زمن العباسيين، وذلك قبيل عصر الحموي، وهو أقدم من وقفت عليه يذكر ذلك، وممن أشار إلى ذلك أحمد بن خالد الناصري، وأشار أن انتشار مذهب مالك كان على يد الْمعز بن باديس الصنهاجي الْمُتوفَّى فِي أواسط الْمِائَة الْخَامِسَة، بعد مذهب الرفض العبيدي، ولكن على محاربة المالكية للبدع إلا أن بلاد المغرب من تطور آثار الصوفية في القرن السابع زمن الحموي، وازدادت في القرن العاشر، حتى غلا المريدون بأشياخهم الأحياء وتعصبوا لهم، واستغاثوا بهم، كما ذكر الناصري، انظر: معجم البلدان، ٥/ ٢٠٩، وعنه تاج العروس، ١٤/ ٢١٣، وغيره، وظاهر النقل عن الحموي قد يوحي أن هذه الأعمال منذ هرثمة، ولعل الصواب أنه أحدث بعد ذلك، وانظر: الاستقصى لأخبار دول المغرب الأقصى، ١/ ١٩٢ – ٢٠٢، أحمد بن خالد بن محمد الناصري، السلاوي، ت/ ١٣١٥هـ، ت. جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب – الدار البيضاء.

(١) سبق ص٥٨١ من البحث أن هذه العادة قد كانت توجد في العراق تأثراً بالمجوس، ففعلت تشبهاً بهم من بعض المبتدعة الجهلة، يقول الذهبي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ في حوادث سنة ٢٨٢هـ: (وفيها أبطل المعتضد ما يفعل في النيروز من وقيد النيران، وصب الماء على الناس، وأزال سنة المجوس)؛ تاريخ الإسلام، ٢١/ ٨.

(٢) ربما كان ذلك من تشبيه بلد من بلدان المغرب بمكة، وذلك أيام الفتوح الإسلامية.

(١) انظر: موقع مغرس، مقال: (المغاربة وعاشوراء: حدود الاتباع والابتداع)، المصطفى الناصري، بتاريخ: ٢١/ ٣/ ٢٠٠٢م، وفيه تحذير من هذه البدع، وهو على الرابط التالي:

http://www.maghress.com/attajdid/6218

عاشوراء، كما قد يشارك التجار والمزارعون بتوزيع زكاتهم وصدقاتهم في يوم عاشوراء، واتخاذه حولا للزكاة، وقد يسمونه يوم الهبا والربا[١].

٣. الزيارات، أي زيارة الأقارب والمرضى، وزيارة القبور، والصدقة عن الموتى، وتقديم النذور للمشاهد، واعتقاد أن هذا اليوم مرجو الإجابة والشفاعة[٢].

٤. "ليلة الشعالة"، وتكون قبل عاشوراء، أو بعده، حيث يجتمعون حول نار كبيرة يشعلونها وهم يرددون أهازيج، مع الدوران حولها، وقفزها، وبعض أهازيجهم قد تحكي قصة الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، دون أن يشير إليهما بالاسم، (بل يسميهما في كل المقاطع باسم "عاشور"، وتتخللها نياحة وأهازيج أخرى، وتقدم الأسر الزكاة، أو عشر أموالها التي دار عليها الحول للفقراء)[٣]، ويصحب هذه الأهازيج ضرب الدفوف والموسيقى.

٥. تبخير البيوت: وهي عادة يتفنن فيها النساء، فيتخذون له أصنافا مختلفة، وبعضهن تعتقد أن له أثر على الزوج، وتصحب هذا العمل بعض عوائد السحرة التي تتعلق بهم النساء بشكل أكثر[١].

---

(١) موقع: قناة العربية، مقال: (عاشوراء المغربية)، السبت ١٠ محرم ١٤٢٦هـ - ١٩ فبراير ٢٠٠٥م، وهو على الرابط التالي:

http://www.alarabiya.net/articles/2005/02/19/10499.html

(٢) انظر: موقع: آسفي نيوز(جريدة مغربية إلكترونية)، مقال: (الاحتفال بذكرى عاشوراء)، لمروى سالم، وهو على الرابط التالي:

http://www.safinews.com/index.php?op=suite&art=94

(٣) موقع: صحيفة المغاربة، وهو على الرابط التالي:

http://www.magharebia.com/cocoon/awi/xhtml1/ar/features/awi/features/2008/01/18/feature-01

(١) انظر: موقع: آسفي نيوز(جريدة مغربية إلكترونية)، مقال: (الاحتفال بذكرى عاشوراء)، وفيه إشارة إلى أنواع من السحر: الأسود، والأبيض، والدفاعي؛ وفي بعض أهازيج الفتيات والنساء في عاشوراء قولهن: (هذا عاشور ما علينا الحكام، عيد المولد كيحكمو الرجال).

٦. الزينة في اللباس والبيوت، ومنه الاغتسال والاكتحال والخضاب، وقد سبق ذكر ما فيها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وبعضهم قد يظهر ما يدل على النوح، بلبس الثياب مقلوبة، ومثله تعطيل الأعمال، واجتناب الأخذ من الشعر، وخاصة عند المنتسبين إلى آل البيت.

٧. التنقل في الطرقات وبين البيوت وطرق أبوابها، فيحتفل الأطفال هناك بعاشوراء في الشوارع، حيث يرتقبون هذه المناسبة الكبيرة التي تتبع (زم زم).

٨. بابا عيشور: وهو رجل كبير بزي خاص يصحب الأطفال في تنقلهم وأهازيجهم، ويمنحهم الهدايا، وحاله يذكر بشخصية بابا نويل عند أطفال النصارى، ومن الأهازيج التي يرد ذكر عيشور فيها قول الفتيان والفتيات: (عيشوري عيشوري عليك دليت شعوري) أي: بمناسبة عاشوراء أطلقت شعري، و(كديدة كديدة منشورة على العواد هذا بابا عيشور جا ي يصيلي وداه الواد)[١].

٩. ذبح الدجاج والبط وغيرها من الطيور، أو طبخ المدخر من لحوم الأضاحي، وقد يخصون منها مؤخرة الكبش الذي يسميه البعض بالديالة، وتحضر مع إحدى الوجبات الشعبية المغربية، ومثله الفواكه المجففة المدخرة لمثل هذا اليوم[٢].

هذه البدع مع وجود من يحذر منها من أهل العلم إلا أنها تلاقي رواجاً وانبعاثاً عند بعض العوام هذه الأيام، وهو ما ظهر لي من خلال تتبع شبكة الانترنت المقروءة والمسموعة، وعاشوراء في المغرب من أبرز ما غطته هذه الشبكة، مما يدل على قدم هذه الأعمال في بلاد المغرب؛ وهي نموذج مما يحتج به الإمامية على فرح أهل السنة بيوم عاشوراء واتخاذه عيدا، وأن هذا من معاني نصبهم.

---

(١) انظر: موقع آسفي نيوز(جريدة مغربية إلكترونية)، مقال: (الاحتفال بذكرى عاشوراء)، ومنتديات الأستاذ التعليمية التربوية المغربية، مقال: (عاشوراء بيت الحاضر والماضي كما ترويها الجدة).

(٢) انظر: موقع آسفي نيوز(جريدة مغربية إلكترونية)، مقال: (الاحتفال بذكرى عاشوراء).

المبحث الثالث

الموقـــف من آثار عاشوراء

وفيه:

تمهيـــــــــــــد.

المطلـــــب الأول: قتلة الحسين وأثرهم في أحاديث عاشوراء.

المطلـــب الثـــاني: علاقة مفهوم الشكر بالتعبد في عاشوراء.

تمهيد

بعد أن عرضت آثار عاشوراء الخاصة بالإمامية، والآثار المشتركة بين الإمامية وغيرها، وخاصة أهل السنة؛ فسيكون الحديث في هذا المبحث عن الموقف من هذه الآثار، وبيان منشأها، وعلاقة ذلك بواقع عاشوراء العلمي النقلي، الذي تراكمت عليه كتب الطائفتين، وأصبح عنواناً بارزاً لاتهام أهل السنة بالنصب والعداوة لآل البيت، وكيف راجت هذه التهمة بين أهل السنة أنفسهم، وأسباب ذلك، وقد ضربت لذلك بنموذجين لعلمين بارزين، جليل القدر عند أهل السنة والحديث، أحدهما ممن نسب إليه شيء من التشيع، والثاني ممن نسبه البعض إلى النصب ومجافاة آل البيت؛ كما أنه تبع هذا المبحث الحديث عن امتداد أثر أحاديث عاشوراء إلى أيام السنة الفاضلة، والتي توسع الناس فيها بنوع من الاحتفال، أو تخصيصها بأعمال منوعة، كالصلاة والدعاء وزيارة المشاهد، والصدقة عندها، والاغتسال والزينة ونحوها.

أطمع في هذا المبحث تحقيق بعض الأهداف والنتائج، منها ما يلي:

١. بيان حقيقة ما راج بين أهل السنة ــ قبل الإمامية ــ من أن قتلة الحسين هم من وضع أحاديث عاشوراء، وبيان أن بيئة وضع هذه الأحاديث هي بيئة شيعية، وهي الكوفة، وليست الشام ــ كما هو متوقع ومدعى ــ، وأن ممن لهم حضور في أسانيدها رواة شيعة، وبعضهم من خوارج الشيعة، وأن من دواعي الوضع انتظارهم لرجعة الحسين في عاشوراء، والحض على الخروج فيه؛ وأن زمن الوضع بعد زوال الدولة الأموية، وفي آخر القرن الثاني.

٢. بيان موضع الخلل الذي أتي منه بعض أهل السنة في أحاديث عاشوراء، وهو إضافة إلى ضعف كثير منها اشتمالها على معنى الشكر، مما فتح باب تحري عاشوراء بالتوبة والقربة، وربما فهم منها التوسعة والفرح ــ أيضاً ــ، ومنه تعلق البعض بباب المجربات، كما أن هذا المعنى في عاشوراء نقل إلى الأيام الفاضلة، كيوم المولد، وليلة النصف من رجب، ونحوهما، فخصتا بأعمال محدثة، لم تكن عند سلف الأمة الأولين.

المطلب الأول

قتلة الحسين وأثرهم في أحاديث عاشوراء

قتلة الحسين هم عنوان النصب في عاشوراء، والنصب كمصطلح استقر تداوله في القرن الثالث، ويراد به مجافاة أهل البيت في المعاملة والاعتقاد، ويغلب على المجافاة والتفريط في مقام علي وولايته، وهو في أوله من جنس النزاع الدنيوي لولايته، والخلاف في الاجتهاد في موقف زمن خلافته، لكن النصب آل إلى أذية ظاهرة بارزة، وذلك بسبب تعلقه بولاية بني أمية في أول الأمر، إلى أن صنف كمذهب مستقل، وهو في أصله من جنس المعاصي والعدوان بغير حق، لكن مما يذكر أن عليا والحسين هما أكثر من نالته سهام النواصب في طعنهم على آل البيت[1]، وهذا مع مراعاة أن الطعن عليهم هو في الصحبة عموماً.

النصب بين السنة والشيعة مساران واتجاهان، متعاكسان طرداً وعكساً، يتوافقان في قتلة الحسين: من شيعته في الكوفة، ومن التابعين لولاية بني أمية، ممن يتهمون بالقتل والتحريض عليه، أما عموم الأمة من السنة، وكذلك عموم الشيعة، وابتداء من زمن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين شهدوا المقتل، ومن بعدهم، فإنهم لا يرد عليهم الوصف بالنصب لآل البيت من جهة خصوص الموقف من الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخروجه ومقتله؛ وقد أصبح النصب تهمة متبادلة في الجانب العملي بسبب العبادة في يوم عاشوراء: الصوم وغيره، وهذه التهمة تطال كثيراً من السنة، وكثيراً من الشيعة، حتى ولو تمادينا ــ تنزلاً ــ وبحثنا عن من يسلم منها فلن نجد، لأن

---

(١) انظر: النصب والنواصب، العواد، ص ٧٢٠، وقد خصص المؤلف مبحثاً خاصاً لآراء النواصب في علي والحسين، في الصفحات: ٧٢٠- ٨٢٢،، تناول آراءهم في علي بشكل مفصل ومطول في الصفحات: ٧٢٠- ٨٠٤، وتناول آراءهم في الحسين في الصفحات: ٨٠٥- ٨٢٢؛ وانظر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة، ٣/ ١١٩٣- ١٢١٣، د. ناصر بن علي الشيخ، ط٣، ١٤٢١هـ، مكتبة الرشد - الرياض، وقد عقد مبحثاً للرد على معتقد النواصب في الصحابة، وخاصة علي والحسين، ٣/ ١١٩٣- ١٢٠٢/ ١٢٠٢، والعقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ١/ ٤١٥- ٤٣٣، د. سليمان بن سالم السحيمي، ط١، ١٤٢٥هـ، أضواء السلف - الرياض.

الصوم وضع من علامات النصب، وبهذا لن يسلم من التهمة حتى آل البيت أنفسهم، لأنه من مذاهبهم المشهورة، لا الخفية، بل أكثر ما يشكل من أحاديث عاشوراء هو من روايتهم، بانفرادهم، أو بالاشتراك مع غيرهم، ولم يعرف ترك صوم يوم عاشوراء إلا عن قلة من الصحابة من غير آل البيت، والغرابة أن تروج التهمة بين أهل السنة أنفسهم؛ ويقو ابن كثير ـ رضي الله عنها ـ مستنكرا: (فإذا ذمت طائفة من الجبارين تذم الأمة كلها بكمالها، وتتهم على نبيها صلى الله عليه وسلم ؟!، فليس الأمر كما ذهبوا إليه، ولا كما سلكوه، بل أكثر الأئمة قديما وحديثا كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه، سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة قبحهم الله)[١].

ما سبق ليس المقصود منه تبرئة الأمويين من النصب، لكن القصد هو التحقق من تهمتهم وتهمة زمانهم بخصوص النصب في أحاديث عاشوراء، إذ كثير منها حادثة بعدهم، لكن يعول الكثير على حدوثه بسبب التقابل بين من يشايعهم ـ حتى بعد زوال دولتهم ـ، وبين من يشايع آل البيت، وقد يكون هذا مستبعداً بعد زوال سلطانهم، لكن الإشكال فيه تعلق كلام العلماء بالوصف (قتلة الحسين)، وأغلب الظن أنه يتجه إلى من قتل الحسين في زمنه، وهم بنو أمية.

على ما سبق فإن التقابل في وضع الأحداث جرى بين من كان موجوداً من الطائفتين بالعراق، فمن أهل الكوفة من روى هذه الأحاديث، ومن المحتمل أن يكون سبب وضعها هو أن بعض شيعة بني أمية في العراق قامت بمقابلة ما أحدثه شيعة علي في الكوفة من الطعن على مخالفيهم من شيعة الشام، فمن أهل الكوفة والعراق من يوالون بني أمية[٢]، فقام هؤلاء بمقابلتهم بوضع ما يغيظهم؛ والغريب أنه مع اجتهاد أهل الحديث في تتبع مثل هؤلاء فإنهم لم يذكروا أحداً منهم بهذا الوصف في أسانيد عاشوراء، بل الأغرب أن يكثر في أحاديث

---

(١) البداية والنهاية، ٨/ ٢٢٠- ٢٢١، وربما يستنتج من الكلام السابق أن هذه الشرذمة تصلح محلا لتهمة وضع أحاديث عاشوراء، ولو من وجه خفي، وقد قال ابن كثير قبل كلامه السابق: (وقد تأول عليه من قتله أنه جاء ليفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها، وليخلع من بايعه من الناس واجتمعوا عليه، وقد ورد في صحيح مسلم الحديث بالزجر عن ذلك، والتحذير منه، والتوعد عليه وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة قد تأولوا عليه وقتلوه ولم يكن لهم قتله، بل كان يجب عليهم إجابته إلى ما سأل من تلك الخصال الثلاثة المتقدم ذكره).

(٢) منهاج السنة، ٨/ ١٤٨، وقال: (وكان بالعراق -أيضا- طائفة ناصبة من شيعة عثمان تبغض عليا والحسين).

عاشوراء رواة الشيعة، كما سيتبين قريباً، بإذن الله.

هذا التقابل يتصور مثله زمن المتوكل من خلفاء العباسيين، حين استراب من كثرة التردد والزيارة لقبر الحسين، وهو في كربلاء قرب الكوفة، وشدد في تتبع الزوار، ويروى عنه أنه حاول تعمية مكان القبر(١)، ومن المحتمل أن هذا التقابل امتداد للذي قبله، وأن ذكرى الحسين من خلال قرب مقتله من يوم عاشوراء، ثم تخصيص زيارة قبره فيه أنه غلب أن تأريخ مقتله فيه، واتخذ هذا التأريخ والزيارة موضعاً للبغي بين الطائفتين، مما راج معه وضع كل طائفة أحاديث لنصرة مذهبها.

والذي يعنينا في هذا المطلب هو تحقيق وصف النصب على من وضع أحاديث عاشوراء، وخاصة أحاديث:

١. الاكتحال والزينة.

٢. التوسعة.

فهل وضع هذه الأحاديث بدأ من السنة أو من الشيعة؟ وأين البيئة التي نشأ فيها؟ وهل للتقابل دور في هذا الجانب؟ وثبوت إحداثها بسبب باعث التقابل يؤكد بطلانها، ويؤكد وجوب تركها، ويرد ــ أيضاً ــ: هل يقبل التقابل لأولئك الوضاعين؟ وهل وصف النصب يستمر في حق من يروج هذه الأحاديث، أو يصححها ويستحسنها؟ وهذا كثير في المنتسبين إلى السنة(٢)؛ مما يفتح باباً للطعن والثأر للحسين من هذا الوجه عند الإمامية.

هذا التقابل ليس عذراً في عدم وصفهم بالنصب؛ لكن مدار الكلام هل التقابل هو الباعث أصلاً على الوضع؟ أم أن الباعث هو أحاديث الصوم الثابتة الصحيحة، فكان لها دور أهم في التوسع في بقية أعمال عاشوراء، بسبب انفتاح باب القياس على ألفاظ الشكر، والحقيقة

---

(١) هذا الموقف اتهم من خلال الخليفة العباسي بالنصب، وللتعليق على هذا الجانب انظر: النصب والنواصب، ص٤٠٧- ٤٢٢.

(٢) وهذا يشكل مع حال الأئمة الذين صححوا هذه الروايات، وهم من العراق والشام ومصر وغيرها من البلدان، من المتقدمين والمتأخرين.

أن كلا الأمرين محتمل، لكن مسألة أحاديث الصوم سبق أنه لا حجة لمن أراد الطعن بالنصب على أهل السنة من خلالها، لأن الصوم جرى عليه إجماع المسلمين في أصله، عدا شذاذ من الشيعة أنكروه لا عبرة بهم حتى عند جمهور الإمامية، هذا عدا الاضطراب الذي طغى بين متأخريهم.

الذي اشتهر هو الوجه الأول، وهو أن النواصب هم من وضع أحاديث عاشوراء ــ ابتداءً أو مقابلة ــ، والغريب أن أشهر من انتصر لهذا القول هو شيخ الإسلام ابن تيمية؛ ومع شدة وقع قوله على جمع من المنتسبين للسنة والحديث إلا أنه يصدر من شخص يصنفه بعض خصومه بأنه رأس النواصب، فكيف مع هذا ينتصر في هذا الموضع للشيعة، ويدافع عن يوم الحسين بهذه الجرأة التي أثارت عليه الجدل؛ والغريب معه أن يبقى معه بعد ذلك ــ في المقابل من يبالغ في تهمة شيخ الإسلام في خصوص الحسين، حتى يصل به القول إلى دعوى أنه يكفر الحسين[(١)].

صرح جمع من أهل العلم بأن ما روي من أحاديث عاشوراء ــ عدا الصوم ــ فإنها أحاديث ضعيفة أو موضوعة، ونص بعضهم على أن واضعها هم قتلة الحسين، ويشتهر من مواقفهم في هذا الباب موقفان، أحدهما تلقفه الناس من غير تحرير، مع أن صاحبه يتهم بالتشيع، والثاني لقي معارضة من بعض المحدثين والفقهاء، مع أنه أصرح في رد التهمة عن أهل السنة، وصاحبه يتهم بشيء من النصب؛ أعرض لهذين الموقفين حول أحاديث عاشوراء، وما تبع هذه الأحاديث من توسع في التعبد في الأيام الفاضلة من السنة، استناداً لمفهوم الشكر في عاشوراء، والذي له أثر في ترسيخ مفهوم النصب، واتخذته الإمامية مستنداً لها في رمي السنة به، حتى في غير عاشوراء، وذلك في النقاط التالية.

---

(١) وهي تهمة غير مشهورة حتى عند عموم الشيعة، وللتوسع حولها انظر: النصب والنواصب، ص٥٢٧، وقد تحدث المؤلف عن عموم اتهام ابن تيمية بالنصب، في بحث مفصل، ص٤٩٩- ٥٣٠، وأشار إلى أسباب اتهامه بالنصب، وذكر لذلك أربعة أسباب، منها: أسلوبه الجدلي في مناظرة خصومه الذي تقوم عليه أغلب كتبه، والذي يعنينا منها هنا هو منهاج السنة، وكذلك الجزء ٢٥ من مجموع الفتاوى.

ممن نص على أنها من وضع قتلة الحسين: الحاكم، ت/ ٤٠٥هـ ــ وهو أول من نسبت إليه هذه العبارة، وابن الجوزي، ت/ ٥٩٧هـ، وابن تيمية، ت/٧٢٨هـ، وظاهر كلام ابن كثير، ت/ ٧٧٤، ــ رحم الله الجميع ــ؛ هذا مع ميل إلى التشيع لدى أبي عبدالله الحاكم صاحب المستدرك، والذي عليه المدار في هذه العبارة، ومما ذكروا ـ جميعاً ـ في وصف هؤلاء الوضاعين أنهم: نواصب، أو أهل هوى وغفلة، أو أنهم من جهلة أهل السنة، وإن كان الوصف الأخير لا يلزم منه تبادل التهمة حول قتل الحسين، وإنما قد تكون من النصب الذي هو بمعنى العثمانية في مقابل العلوية، وهو أوسع دائرة[١]، ولأهمية هذا الجانب فإني سأعرض نشأة هذه المقولة وظروفها وصداها وما يشكل عليها، ليتضح المقصود منها، والرد عليها، وذلك من خلال العناوين التالية

الحاكم النيسابوري:

الحاكم هو صاحب المستدرك على الصحيحين ــ رضي الله عنهما ــ[٢]، ورد له كلام في حديث

---

(١) قد يظن أن مصطلح العثمانية انتهى باستقرار أهل السنة على القول بالتربيع في الخلافة، والعذر في الترتيب في الفضل، وان هذا كان في زمن الإمام أحمد، والذي يظهر أنه ربما تأخر عدة قرون، وإن كان مفهوم ومصطلح النصب زاحمه قبل هذه الفترة، وربما الحديث عن وجود النصب من عدمه –في الشام وغيرها– ظهر من ابن تيمية وتلميذيه: الذهبي وابن كثير، وبينوا اختفاء النصب من الشام في زمانهم، وإن كان الأمر لا بد فيه من مراعاة تحديد المراد بالنصب، وسيأتي ما يوضح ظروف قول شيخ الإسلام التي صدر فيها قوله –رضي الله عنهما– ، وانظر: ميزان الاعتدال، ١/ ٧٦، وسير أعلام النبلاء، ٥/ ٣٧٤.

(٢) أبو عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، ابن البيِّع، الضّبي، النيسابوري، الشافعي، الحافظ، الناقد، العلامة، شيخ المحدثين، صاحب التصانيف، (٣٢١ – ٤٠٥هـ)، وكان سفيرًا لملوك بني بويه، وقد أحسن السفارة بينهم وبين السامانيين، واشتهر تشيعه، وقال الذهبي عن حديثه: إمام صدوق، وأن صددقه في نفسه أمر مجمع عليه، ونقل من طريق ابن طاهر عن أبي إسماعيل عبدالله الأنصاري أنه قال فيه: (إمام في الحديث، رافضي خبيث)، وأن ذلك بما رآه البعض من تصحيحه في المستدرك لأحاديث ساقطة يتعلق الرافضة بها، (ومن متأخريهم الحر العاملي ت/ ١١٠٤هـ)، ورد ذلك الذهبي، وأن الإنصاف فيه انه: شيعي، لا رافضي، ومن تصانيفه: المستدرك على الصحيحين، وتاريخ نيسابور، ومعرفة علوم الحديث، والمدخل، والإكليل؛ انظر: تاريخ الإسلام، ١٠/ ٤٦١– ٤٦٢، وميزان الاعتدال، ٣/ ٦٠٨؛ والذريعة، للطهراني، ٢/ ١٩٩.

الاكتحال بالإثمد في عاشوراء المنسوب إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: حدثنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا: «**من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا**»؛ وفي لفظ: «**من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد ذلك العام**»[1]؛ وللحاكم حول هذا الحديث عبارتان، هما:

أ- (أنا أبرأ إلى الله من عهدة جويبر)، وجويبر عليه مدار الحديث[2].

ب- (قال: والاكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن رسول الله ﷺ فيه أثر، وهو بدعة ابتدعها قتلة الحسين عليه السلام)[3].

كلا العبارتين نقلهما عن الحاكم ابن الجوزي في كتابه الموضوعات، والذهبي في تلخيصه لكتاب الموضوعات، اقتصر على ما نقله ابن الجوزي عن الحاكم وغيره من قول الحاكم: (أنا أبرأ إلى الله من عهدة جويبر)، ولم يذكر العبارة الثانية[4]، ويمكن أن يقسم نقل العلماء لعبارتي الحاكم إلى أربعة أقسام، والعبرة بمن أتى بعده، وقد توفي الحاكم في أول القرن الخامس الهجري، وذلك كما يلي:

أ- من نقل العبارتين: الأولى والثانية: كابن الجوزي (ت/ ٥٩٧هـ) في كتابه الموضوعات، وهو أول من نقلهما جميعاً ـ فيما وقفت عليه ــ، والسخاوي (ت/ ٩٠٢هـ) في المقاصد الحسنة، وإن كان نقل العبارة الأولى بما يشبه المعنى، فقال: (وقال الحاكم: إنه منكر، قلت: بل موضوع أورده ابن الجوزي في الموضوعات من هذا الوجه)[5]، والسخاوي يوحي تعقبه للحاكم بأنه

---

(١) شعب الإيمان، ٥/ ٣٣٤، ح/ ٣٥١٧، وقبله ح/ ٣٥١٦، روى فيه عن الحاكم خبر ابن المنتشر.

(٢) سبق ترجمته، راجع ص١٠٦٩- ١٠٧٠ من البحث.

(٣) الموضوعات، ٢/ ٢٠٣- ٢٠٤،؛ وانظر: تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢/ ١٥٧، وقال: (وفي بعض كتب الحنفية ما نصه يكره الكحل يوم عاشوراء لأن يزيد أو ابن زياد اكتحل بدم الحسين، وقيل بالأثمد لتقر عينه بقتله، انتهى، والله أعلم).

(٤) انظر: تلخيص كتاب الموضوعات، ص١٨٤، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت/ ٧٤٨هـ، ت. أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، ط١، ١٤١٩ هـ، مكتبة الرشد – الرياض.

(٥) انظر: المقاصد الحسنة (في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة)، ص٦٣٢- ٦٣٣، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت/ ٩٠٢هـ، ت. محمد عثمان الخشت، ط١، ١٤٠٥ هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

يرى أن الحاكم متساهل في حكمه (منكر[١]: أي شديد الضعف، كما هو حكم البيهقي: ضعيف بمرة)، وكذلك توحي مخالفته له في الحكم بأنه لم يطلع العبارة الأولى، مع أن الثانية كافية في الحكم ــ أيضاً ــ، كما أن السخاوي لم يذكر مصدره الذي نقل منه كلام الحاكم؛ وأما ابن عراق فقد نقل العبارتين، ولكنه نقل الثانية عن ابن بدر المصلي، معاصر ابن الجوزي.

ب- من نقل العبارة الأولى دون الثانية: الذهبي (ت/ ٧٤٨هـ) في تلخيصه لموضوعات ابن الجوزي، ولا في ملخصه لمستدرك الحاكم[٢]، وابن حجر (ت/ ٨٥٢هـ) في تهذيب التهذيب، والسيوطي (ت/ ٩١١هـ) في اللالئ المصنوعة[٣]، مع كونه من أشهر المتعقبين لابن الجوزي في الموضوعات[٤]؛ وابن عراق (٩٦٣هـ) في تنزيه الشريعة، والشوكاني (ت/ ١٢٥٠هـ) في الفوائد المجموعة[٥]، واللكنوي (ت/ ١٣٠٤هـ) في الآثار الموضوعة؛ وعمدة هؤلاء على نقل ابن الجوزي فيما يظهر، ولم يذكروا مصدراً لنقلهم، وهو أقدم من عرف عنه

(١) المنكر: ما خالف فيه الضعيف الثقة، وقسيمه الشاذ: وهو مخالفة الثقة من هو أوثق منه، وقال السخاوي: (والمنكر الحديث الفرد، وهو الذي لا يعرف متنه من غير جهة راويه، فلا متابع له فيه، بل ولا شاهد)، فتح المغيث (بشرح ألفية الحديث للعراقي)، ١/ ٢٤٩، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ٩٠٢هـ، ت. علي حسين علي، ط١، ١٤٢٤هـ، مكتبة السنة – مصر.

(٢) المستدرك، ٣/ ١٩٤، في فضائل الحسين، وساق فيه أحاديث النعي، ومنها خبر قتادة في تاريخ مولد الحسين ومقتله، وأحال الحكم إلى كتابه مقتل الحسين، والذهبي في: تلخيصه للمستدرك لم يذكر قول قتادة لضعفه – كما قال محقق المستدرك–، ولم يذكر كتاب مقتل الحسين للحاكم.

(٣) انظر: اللآلىء المصنوعة، ٢/ ٩٤.

(٤) الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة، ٢/ ٩٤، لم يذكر العبارة الثانية، مع أنه هذا مظنة لمثل هذه العبارة، وعبارة الزرقاني توهم نسبة السيوطي عبارة مثلها، وربما هي ليست من كلامه، وإنما من كلام الزرقاني (الشارح)، ففي شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ١١/ ٢٨١، قال بعد أن ذكر أبيات عبدالملك بن حبيب في التوسعة: (قال الحافظ السيوطي: هذا من هذا الإمام الجليل يدل على أن للحديث أصلا، / وما يذكر من فضيلة الاغتسال فيه والخطاب والإدهان والاكتحال ونحو ذلك، فبدعة ابتدعها قتلة الحسين كما صرح به غير واحد)؛ والسيوطي اكتفى بالقسم الأول، وكذلك صاحب متن المواهب اللدنية العسقلاني، وقال: (والله أعلم)، فتبين أنها من كلام الزرقاني (الشارح).

(٥) انظر: الفوائد المجموعة، ص٩٨.

نقل هذه العبارة عن الحاكم.

ت- من نقل عبارة مختلفة عنهما، وهي أقرب إلى الأولى وفي معناها، كالفتني الهندي (٩٨٦هـ) في تذكرة الموضوعات، فقد نقل عبارة للحاكم مختلفة[1]، ومثله الملا علي قاري (١٠١٤هـ)، في الأسرار المرفوعة، وهما نقلا عبارة السخاوي[2]؛ وعكسهما الزيلعي، فقد غير في العبارة الثانية، كما سيأتي قريباً، بإذن الله.

ومثل هؤلاء من نقل عبارة الحاكم من حديث الاكتحال إلى: حديث (صوم الصرد)، كالدميري (ت/ ٨٠٨هـ)، في حياة الحيوان، ونقلها عنه الشوكاني[3]، كما نقلها الملا علي قاري (١٠١٤هـ)، في الأسرار المرفوعة[4]؛ والمجلسي في بحار الأنوار، من الإمامية[5]؛ أو من ينقلها إلى غيره من دون أن ينسبها إلى الحاكم، وسيأتي أن ابن تيمية (ت/٧٢٨هـ) يعمم معناها على أكثر أحاديث عاشوراء، التوسعة ونحوها، من دون أن يستند إلى عبارة الحاكم، ومثله كذلك ابن القيم (ت/٧٥١هـ) في المنار المنيف فقد أورد أحاديث الاكتحال والادهان والتطيب، وحكم عليها بأنها موضوع، وقال بأنها (من وضع الكذابين؛ وقابلهم آخرون فاتخذوه يوم تألم وحزن والطائفتان مبتدعتان خارجتان عن السنة)[6]، وكلامه بمعنى عبارة الحاكم؛ علماً أن ابن الجوزي لم يذكرها عند حديث الصرد، أو غيره، وإنما وردت عنده في حديث الاكتحال.

---

(١) تذكرة الموضوعات، ص١١٨، ولم ينسبها للسخاوي.

(٢) الأسرار المرفوعة، ص٣٣٣، والملا قاري تعقب هذه العبارة، والعبارة الثانية بصنيع البيهقي، ويأتي قريباً، بإذن الله.

(٣) انظر: حياة الحيوان الكبرى، الدميري (ت/ ٨٠٨هـ)، ٢/ ٨٢، وعنه: الفوائد المجموعة، الشوكاني، ص٩٨؛ والغريب عن الدميري ساقها بقرب كلام له نقلها عن ابن الجوزي في المدهش، ولكني لم أقف عليه في المطبوع الذي وقفت عليه.

(٤) الأسرار المرفوعة، ص٤١٥.

(٥) بحار الأنوار، ٦١/ ٢٩١، وراجع ص١٠٤٦ من البحث.

(٦) انظر: المنار المنيف، ص١١١- ١١٣.

ث- من لم ينقل عن الحاكم جرح في هذا الراوي: كالبيهقي (ت/٤٥٨هـ) في شعب الإيمان، وقد أخرج الحديث من طريق الحاكم، والخطيب البغدادي، (ت/٤٦٣هـ) في تاريخ بغداد، والجوزقاني (ت/٥٤٣هـ) في الأباطيل والمناكير، وقيل إن ابن الجوزي اعتمد عليه في الموضوعات[1]، والمزي (ت/٧٤٢هـ) في تهذيب الكمال، والذهبي (ت/ ٧٤٨هـ) في تاريخ الإسلام، وفي ميزان الاعتدال، مع أنه أورد حديث الاكتحال، ومثله ما ذكره ابن عراق عن ابن حجر من نوع تزكية، خلافاً لابن الجوزي[2].

الشاهد في موضوعنا هي العبارة الثانية، والتي تناقلها الناس عن الحاكم، وممن ذكرها إضافة إلى من سبق:

١)الحافظ ابن بدر، عمر بن بدر الموصلي الحنفي، ت/٦٢٣هـ (لم يرو عن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيه أثر، وهي بدعة ابتدعها قتلة الحسين)[3].

---

(١) كتاب الجوزقاني المذكور هو من أول الكتب في الموضوعات، وقيل إن ابن الجوزي اعتمد عليه في الموضاعات، لكنه لم يذكر حديثاً موضوعاً في عاشوراء، ولكنه ذكر عدداً منها من رواية جويبر ونص أنه مجروح نتروك، وممن يشاركه في مروياته الحسين بن القاسم، وإسماعيل بن زياد، كما أنه يرويها عن الضحاك، وهي سلسلة مجروحين، ولم ينقل فيه عبارة الحاكم، أو قريباً منها، انظر: الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير، ١/ ١٧٠، ٢٠٧، ٢٨٠، ٢/ ١٦، ٥٤، الحسين بن إبراهيم الهمذاني الجورقاني، ت/ ٥٤٣هـ، ت. د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، ط٤، ١٤٢٢هـ، دار الصميعي – الرياض.

(٢) انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة، لابن عراق، ١/ ٤٦، قال: (قلت: رَأَيْت بِخَط الْحَافِظ ابن حجر فِي فَوَائِد مُتَفَرِّقَة على ظهر تَلْخِيص الموضوعات لِابْنِ درباس مَا نَصه: جُوَيْبِر وَالضَّحَّاك وَإِن كَانَا مجروحين لم يتهما بكذب وَالله أعلم)، ولكنه في حديث الاكتحال زاد نقل كلام الحاكم، وخاصة العبارة الثانية؛ مع أنه في لسان الميزان، ١/ ٤٩٥، ٤/ ١٠٤، ٤١٦، قال: (وجويبرمتروك)، و(ساقط)، (وجويبر وإن كان متروك الحديث عندهم ما أظنه يحتمل مثل هذا).

(٣) انظر: جنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب، ٢/ ٣٤٧، المغني للعلامة أبي حفص عمر الموصلي الحنفي، وجنة المرتاب، لأبي إسحاق الحويني، ط٢، ١٤١٤هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، واسم كتاب الموصلي: (المغني عن الحفظ والكتاب: بقولهم: لم يصحَّ شيءٌ في هذا الباب)، والعبارة نقلها عن الموصلي ابن عراق، انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢/ ١٥٧؛ وأبو إسحاق الحويني –وفقه الله– تعقب الموصلي، فقال: (قلت: أغرب المصنف –رضي الله عنهما تعالى– جداً في عزو هذا الكلام للحاكم، فإنه لم يقله قط)، ورأى أنه =

٢)الزيلعي الحنفي (ت/ ٧٦٢هـ) في نصب الراية، وقال(ومن طريق البيهقي رواه ابن الجوزي في "الموضوعات"، ونقل عن الحاكم أنه قال فيه: حديث موضوع، وضعه قتلة الحسين رضي الله عنه)[١].

٣)المجد اللغوي (شيخ السخاوي)[٢].

٤)السخاوي (ت/ ٩٠٢هـ) في المقاصد الحسنة[٣].

٥)الملا علي قاري (١٠١٤هـ)، في الأسرار المرفوعة[٤]، وكأنه لم يرتض العبارة، وتعقبها بصنيع البيهقي الذي روى حديث الاكتحال عن الحاكم، وحكم بضعفه، لا وضعه.

٦)الزرقاني (ت/ ١١٢٢هـ) في شرحه للمواهب اللدنية[٥].

=

نقله من ابن الجوزي، واستشكل عليه إنقاصه لعبارة: (يوم عاشوراء)، وبه يصبح كل الاكتحال ليس من السنة، وبين أن الحاكم أراد يوم عاشوراء، ثم بين أدلة الاكتحال عموماً، لكن الحويني لم يناقش مصدرها عند ابن الجوزي، وكأنه يقر ويسلم بأنها من كلام الحاكم؛ انظر: جنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب، ٢/ ٢٤٦- ٣٤٧، ولعل الموصلي لم يرد عموم الاكتحال، ويعتذر له بأنه ذكر باب الاكتحال بعد باب فضل عاشوراء، وقد نبه فيه أنه لا يصح فيه شيء غير الصوم، وإلا فلماذا يتبع الاكتحال بأبواب الصوم، فمظانه في غير هذا الموضع؛ ولذا نجد الموصلي قال: (قد صنف ابن شاهين جزءاً كبيراً، وفيه من الصلوات والإنفاق، والخضاب، والإدهان، والاكتحال، والحبوب، وغير ذلك)، وفي ٢/ ٢٩٧، ذكر المؤلف عنواناً طويلاً قد يفهم منه شيء مما سبق، وفيه ذكر (وبر الوالدين يوم عاشوراء، وغير ذلك)؛ كما أن ابن عراق يفيد أن الموصلي ذكر يوم عاشوراء، تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢/ ١٥٧، والله أعلم.

(١) انظر: نصب الراية (لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي)، ٢/ ٤٥٥، أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي، ت/٧٦٢هـ، ت. محمد عوامة، ط١، ١٤١٨هـ مؤسسة الريان – بيروت، دار القبلة – جدة.

(٢) انظر: فيض القدير، ٦/ ٢٣٦، ونقل عن المجد اللغوي (ق٨، ٩هـ، شيخ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٠/ ٧٩) أن (ما يروى في فضل صوم يوم عاشوراء والصلاة فيه والإنفاق والخضاب والادهان والاكتحال بدعة ابتدعها قتلة الحسين رضي الله عنه،... وفي القنية للحنفية الاكتحال يوم عاشوراء لما صار علامة لبغض أهل البيت وجب تركه).

(٣) انظر: المقاصد الحسنة، ص٦٣٢- ٦٣٣.

(٤) الأسرار المرفوعة، ص٣٣٣.

(٥) انظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ١١/ ٢٨١.

٧)الألباني، ت/١٤٢١هـ في تمام المنة[١].

حديث الاكتحال لم يخرجه الحاكم في المستدرك، لأنه عن متروك[٢]، ويظن أن الحاكم النيسابوري أخرجه في مقتل الحسين، والذي يشير إليه الحاكم في المستدرك، لكنه غير موجود[٣]؛ أو في مسانيد النيسابوريين الذين تتبعهم في تاريخ نيسابور، ففي إسناد الحديث نيسابوريون من بلد الحاكم، وفيها كثير من الحنفية، ومن أشهرهم الحسين بن بشر. بن القاسم، يروي عن جويبر، الذي هو موضع النزاع، ولكني لم أقف على أحد من أهل السنة ذكر موضع عبارة الحاكم؛ بينما تعلق بها ونص على موضعها من الاثني عشرية في القرن السابع ابن طاووس الحلي، ت/ ٦٦٤هـ؛ وذكر أنها موجودة في تاريخ نيسابور، للحاكم، ونقل عنه في أكثر من موضع[٤]، والذي يعنينا هنا أنه يقول: (أقول: ورأيت في الجزء الثاني من تاريخ نيشابور للحاكم، في ترجمة الحسين بن بشير بن القاسم[٥]، قال الحاكم: إن الاكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن النبي صلى الله عليه وآله فيه أثر، وهي بدعة ابتدعها قتلة الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام)[٦]؛ كما أشار الطهراني في الذريعة إلى عناية الشيعة بكتب

---

(١) انظر: تمام المنة في التعليق على فقه السنة، ص٤١٢، يقول الألباني: (الممكن أن يكونوا من أعداء الحسين رضي الله عنه الذين وضعوا الأحاديث في فضل الإطعام والاكتحال وغير ذلك يوم عاشوراء، معارضة منهم للشيعة الذين جعلوا هذا اليوم يوم حزن على الحسين).

(٢) لعل ما في الآثار المرفوعة، للكنوي، ص٩٧، من نسبته إلى المستدرك وهم، وجويبر متروك، لا يروي عنه الحاكم في مستدركه.

(٣) إقبال الأعمال، ٣/ ٣٠.

(٤) إقبال الأعمال، ١/ ٦٩، ٢٤٥، ٣/ ٣٠، ٥١، والموضع الأخير في خبر سعيد بن المسيب في أن الرسول لم يصم عاشوراء، والذي وجدته عند ابن رجب في لطائف المعارف، ولم أقف على مصدر له إلا تاريخ نيسابور، للحاكم، كما يذكره ابن طاووس، وانظر ص١٠٠٢ من البحث.

(٥) لعل صوابه (بن بشر.)، وهو نيسابوري، ومن رواة حديث الاكتحال، المروي عن جويبر، وتأتي ترجمته، بإذن الله.

(٦) إقبال الأعمال، ٣/ ٣٠.

الحاكم، وبالأخص كتابه: تاريخ نيسابور، فقال: (صاحب تاريخ نيسابور، الذي عده الشيخ الحر في خاتمة الوسائل من الكتب المعتمدة للشيعة، التي ينقل عنها بالواسطة)، (ونسخة منه توجد في مكتبة السلطان محمد الفاتح في الآستانة، كما في فهرسها)[1].

وبعد ما سبق: فإن في النفس من هذه العبارة ونسبتها تردد استغراب، خاصة أنني لم أقف على من عزاها إلى موضعها، فالأصل التوقف في مثلها حتى تثبت بيقين، وهي بحاجة إلى مزيد من التحري، وحول هذا الجانب أقيد الملحوظات التالية:

١. يعد الحاكم ــ بهذا ــ أول من نسبت إليه هذه العبارة، وأول من عبر بهذا اللفظ (قتلة الحسين)، وعنه يتناقل الناس، وخاصة المتأخرون، الحاكم ربما بناها على ما بلغه من أخبار المقتل، كما يفهم من نقل ابن عراق عن بعض الحنفية حيث قال: وقال: (وفي بعض كتب الحنفية ما نصه: يكره الكحل يوم عاشوراء، لأن يزيد، أو ابن زياد اكتحل بدم الْحُسَيْن، وَقيل بالإثمد، لتقر عينه بقتْله، انْتهى، وَالله أعلم)[2]؛ فالأشبه بالحنفية في نيسابور ــــ ومنهم الحسين بن بشير أحد الرواة عن جويبر ــ أنهم يقرون بصحة الحديث مرفوعاً، ويحذرون من مقصد أحدث بعده، لا علاقة له به، وهذا ظاهر عند الأحناف المتأخرين ــ أيضاً ــ، كما سيأتي عن الملا علي قاري؛ علماً أن الحاكم ليس حنفياً، بل هو شافعي؛ كما أن مسألة الاكتحال أصبحت في بعض الأزمنة هي علامة النصب، فذكر في حوادث سنة ٥٦١هـ أنهم (كانوا في الكرخ إذا رأوا مكحلا ضربوه)[3].

٢. راوي حديث الاكتحال هو جويبر بن سعيد، أبو القاسم الأزدي البلخي (ت ١٤٠ – ١٥٠)[4]،

---

(١) الذريعة، ٢/ ١٩٩، ٣/ ٢٩٣، ٤/ ٣١٩، ٢٦/ ١٣٠، وكأنه يذكر أن لهذا التاريخ ذيل اسمه: السياق، كما أن التاريخ قد يسمى وهماً بتاريخ خراسان.

(٢) انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة، ٢/ ١٥٧.

(٣) تاريخ الإسلام، ١٢/ ٢١٣.

(٤) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، ٢/ ٣٣٩، رقم: ٣٢٩، ويحكى أن اسم جويبر جابر، انظر: تهذيب الكمال، ٥/ ١٧٦.

الكوفي[1]، البصري[2]، المفسر، ومع كونه متروكاً وبصرياً فهو يروي عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وجويبر هو صاحب الضحاك متروك الحديث، ومطروحه[3]، وجل روايته عنه، وروايته عن الضحاك يأتي فيها بالمناكير.

جويبر هو موضع التهمة في عبارة الحاكم وغيره لم يذكر أنه من النواصب، أو من قتلة الحسين، أو ممن دافع عنهم، مع تأخره زمناً، بل الأشبه في خبره أنه مثل الإخباريين الشيعة كالجعفي والكلبي[4]، وجويبر متروك، ولم يخرج له الحاكم حديثاً، لا في المستدرك، ولا في معرفة علوم الحديث.

٣. الحاكم النيسابوري رغم ما يفهم من العبارة المنسوبة إليه من تشديد في رواية أحد أحاديث عاشوراء إلا أنه يروي هذه غيره من أحاديث عاشوراء، فقد روى في مستدركه

---

(١) جويبر بن سعيد، أبو القاسم الأزدي البلخي، (ت/ ١٤٠- ١٥٠) يقال اسمه جابر، وجويبر لقب، وهو في عداد الكوفيين، وقيل فيه بصري، وسكن بغداد، ترك الأئمة حديثه، ولم يشتغلوا به، وروايته عن الضحاك يأتي فيها بالمناكير، ويشبه بجابر الجعفي، ومحمد بن السائب الكلبي، ولم يخرج له إلا ابن ماجه في سننه، ح/ ٢٠٤٩، عن الضحاك، عن النزال بن سبرة، عن علي بن أبي طالب، عن النبي ﷺ، قال: "لا طلاق قبل النكاح"؛ انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، ٢/ ٣٣٩- ٣٤٢، رقم: ٣٢٩، وتاريخ بغداد، ٧/ ٢٥٨- ٢٦٠، رقم: ٣٧٤٢، انظر: تهذيب الكمال، ٥/ ١٧٦؛ وميزان الاعتدال، ١/ ٤٢٧، ولسان الميزان، ٧/ ١٩١، وتهذيب التهذيب، ٢/ ١٢٣- ١٢٤، (وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث، وقال الحاكم أبو عبد الله: أنا أبرأ إلى الله من عهدته).

(٢) وصف البصري ذكره ابن حجر، انظر: لسان الميزان، ٧/ ١٩١، ولا أدري هل كونه بصريا كاف في تهمته بالنصب؟ اللّهم إلا أن يكون مراد الحاكم من هذا الوجه، وفي الكامل في الضعفاء، لابن عدي، ٢/ ٣٤٠، قال: (وفي موضع آخر جويبر بن سَعِيد الخراساني قلت ليحيى أين سمع مِنْهُ الكوفيون قَالَ لعله مر بهم).

(٣) المطروح: هو بين الموضوع والضعيف عند الذهبي -كما ذكر السخاوي-، ومثل له بحديث جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، فكله حديث مطروح، انظر: فتح المغيث (بشرح ألفية الحديث)، ١/ ٣٣٥، شمس الدين أبو الخير، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي، ت/ ٩٠٢هـ، ت. علي حسين علي، ط١، ١٤٢٤هـ، مكتبة السنة – مصر.

(٤) انظر: ميزان الاعتدال، ١/ ٤٢٧، الضعفاء الكبير، للعقيلي، ١/ ٢٠٥، رقم: ٢٥٣، وذكر عن الإمام أحمد أن سفيان يحدث عنه، ويخفي اسمه، هذا فيما يرويه عنه وكيع.

أحدها مصححاً له، وهو خبر مولد عيسى في يوم عاشوراء، وخالفه الذهبي[1]، كما أخرج البيهقي من طريقه ما يلي:

أ- حديث الاكتحال (موضع النزاع عند الحاكم)، وخبر ابن المنتشر في التوسعة (موضع النزاع عند ابن تيمية)، كما في شعب الإيمان للبيهقي.

ب- حديث أبي موسى الأشعري في أن اليهود يتخذون عاشوراء عيداً، كما في السنن الكبرى[2].

البيهقي ممن تتجهم إليهم الأنظار في نقل هذه العبارة عن الحاكم، فهو روى عن الحاكم هذا الإسناد، وفيه الحسين بن بشير بن القاسم النيسابوري[3]، واستدرك البيهقي على شيخه رواية ابن أخيه بِشْرُ بن حَمْدَانَ بن بِشْرٍ النَّيْسَابُورِي، ولم يذكر هذه العبارة بعد هذا الاستدراك، بل إن البيهقي يميل بهذا الاستدراك إلى نوع من تقوية الإسناد الأول[4]؛ وإن مما يستغرب أن

---

(١) المستدرك، ٢/ ٦٤٨، ح/ ٤١٥٥، قال الذهبي: (سنده واه).

(٢) السنن الكبرى، للبيهقي، ٤/ ٤٧٨، ح/ ٨٤١٤؛ وحديث أبي موسى مروي في الصحيحين.

(٣) لعل صوابه (بن بشر)، وهو الحسين بن بشر بن القاسم بن حماد بن عبدربه، أبو محمد السلمي النيسابوري الفقيه، مفتي نيسابور، ت/ ٢٤٢هـ، ذكره ابن أبي حاتم، وسكت عنه، وروى من طريقهما، وأبيهما، إبراهيم بن سفيان في مستخرجه على صحيح مسلم، فهما من شيوخه، وهو أخو الحسن بن بشر النيسابوري، الفقيه أبو علي القاضي الحنفي، ت/ ٢٤٤هـ، من تلاميذ سفيان بن عيينة، ووكيع، وسمع من تلاميذ الليث بن سعد، بمصر، كعبدالله بن صالح، كان معاصراً لأحمد بن حنبل، وقال الحسن في أحمد: لقد أعجبني مذهبه وحيّرني قوله للحديث، ومن إخوانهما: سهل وحمدان: والد بشر بن حمدان، انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ١/ ١٩٠، ٢٠٨، رقم: ٤٣٩، ٥١٦، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم،٣/ ٤٨، وشعب الإيمان، ٥/ ٣٣٤، ح/ ٣٥١٧،، وتلخيص تاريخ نيسابور، ص٢٠، ٢١، ترجمة: ٢٠٥، ٢٢٦،، و تاريخ الإسلام، ١٨/ ٢٢١، ٢٣٦، ومجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد: ١١١، ١٤٢١هـ، سنة: ٣٣، بحث: (إبراهيم بن محمد بن سفيان رواياته وزياداته وتعليقاته على صحيح مسلم)، ص١٦٨، عبد الله بن محمد حسن دمفو؛ ولا أدري هل الحكيم الترمذي الحنفي صاحب نوادر الأصول، ت/ ٣٢٠هـ، هل يرجع نسبه إلى هذه الأسرة النيسابورية، فاسمه محمد بن علي بن الحسن بن بشر، انظر سير أعلام النبلاء، ١٣/ ٤٣٩، و لسان الميزان، ٥/ ٣٠٨.

(٤) شعب الإيمان، ٥/ ٣٣٤، ح/ ٣٥١٧، قال البيهقي: (أخبرناه أبو عبد الله الحافظ، قال: أخبرني =

تفوت هذه العبارة على تلميذ الحاكم، مع حرصه وتعقبه لشيخه، واستدركه على أسانيده؛ ومثله الديلمي، ت/ ٥٠٩هـ في الفردوس[1].

بل الأعجب من هذا أن البيهقي أخرج في نفس الموضع عن شيخه أبي عبدالله الحافظ (الحاكم) خبر التوسعة المشهور، والموقوف على إبراهيم بن محمد بن المنتشر الكوفي، أو على أبيه، ولم ينقل عن الحاكم تعقبه بمثل تلك العبارة، والحاكم لم يخرج هذا الحديث في مستدركه، لأنه لم يره على شرط الشيخين الذي بنى عليه مستدركه، لكنه روى في المستدرك عن ابن المنتشر[2]، مما يعني احتمال قبوله لروايته هذا الحديث، وكون الحاكم لا ينكر التوسعة في عاشوراء مما يجعل ما نسب إليه في خصوص الاكتحال مستغرباً، إذ الاكتحال نوع من التوسعة والزينة، وأن ما يظن من سبب يبعثه على التشديد هو اعتقاده أن يزيد اكتحل في ذلك اليوم، ولكن هذا الأمر لم يذكر في كتبه المشهورة، ولا يظن وجوده إلا في كتابه المفقود: مقتل الحسين، وخفاء هذا الكتاب، ومثله تاريخ نيسابور مما يزيد في الشك، ويغلب تضعيف نسبة هذه العبارة إليه، أو التوقف فيها.

الشاهد مما سبق أن صنيع الحاكم في روايته أخبار عاشوراء السابقة ــ غير الصوم ــ مما يستغرب معه شدة عبارته (قتلة الحسين)، إذ كيف يحدث بمرويات عاشوراء، وهي بهذه الحال، وإن كان قد يدفع هذا الاستغراب ما اشتهر عن الحاكم من تشيع، وأن هذه العبارة توافق مذهبه، لكني أرى حول هذا التعليل ألا يتوسع فيه هنا، وأن الأصل أن الحاكم مجلٌ

=

عبد العزيز بن محمد بن إسحاق، حدثنا علي بن محمد الوراق، حدثنا الحسين بن بشر، حدثنا محمد بن الصلت، حدثنا جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا». وكذلك رواه بشر بن حمدان بن بشر النيسابوري، عن عمه الحسين بن بشر، ولم أر ذلك في رواية غيره، عن جويبر، وجويبر ضعيف، والضحاك لم يلق ابن عباس).

(١) الفردوس، ١/ ٥، ح/ ٥٨٩٧، مسند: الحُسَيْن بن عَليّ، (من اكتحل بكحل فِيهِ طيب ومسك يَوْم عَاشُورَاء لم يرمد عينه تِلْكَ السّنة)، ولم يذكر العبارة؛ الفردوس (بمأثور الخطاب)، أبو شجاع الديلميّ، ت/ ٥٠٩هـ، السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) المستدرك على الصحيحين،١/ ٤٢٥، ح/ ١٠٦٢، من طريقين: أحدهما يروي عنه سفيان بن عيينة.

للحديث والإسناد، بل إنه من أئمة الجرح والتعديل، حتى مع كونه متهماً بالتساهل وبالتشيع[١]، فربما يقبل مثل هذه الأحاديث، كما هو حاله في غير حديث الاكتحال، ويتأكد هذا إذا عرفنا أن من مذاهب آل البيت ــ كما يذكر العلامة ابن الوزير ــ الرواية عن الخوارج، وغاية قتلة الحسين أن يكونوا منهم[٢]؛ كما أن الحاكم قد تكون العبارة أدرجت في كلامه من خصومه، وقد يفرح بمثلها من يتهمه بالرفض من خصومه، وممن ذكر له خصومة مع الحاكم الكرامية، فقد آذوه، وكسروا منبره، وخالفوه في تصحح حديث الطير[٣]؛ ولكن إن صحت هذه العبارة عن الحاكم فهي تتناول فترة بعد ظهور الرفض، والذي يعلق كثيراً بسب الشيخين، والطعن فيهما، والحاكم النيسابوري لم ينقل عنه ذلك أصلاً، كما أن مدار هذه العبارة في كتاب له مفقود، وهي محل النزاع، فالأصل التوقف في ذلك حتى تثبت هذه العبارة.

٤. صنيع الحاكم في كتابه: المدخل إلى الإكليل[٤] يستغرب معه هذه العبارة ـ أيضاً ـ، فقد أشار في المدخل إلى أسباب الوضع والجرح عند الرواة، ولم يذكر منها هذا النوع، بل لم يذكر النصب كمثال للجرح عند المحدثين إلا في موضع واحد[٥]، وموضع النصب في حديث

---

(١) يأنس بهذا من يتعلق به من الرافضة، وربما من يتهمه بالرفض من السنة، كما سبق قريباً في ترجمته،، انظر: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، د. عبدالعزيز محمد نور ولي، ٢٢٥.٢٢٨،

(٢) انظر: ميزان الاعتدال، ١/ ٥- ٦، ولابن الوزير -رضي الله عنها- كلام طويل حول رواية المبتدع، وعلاقتها بقضية النصب وعداوة آل البيت، انظر: العواصم والقواصم، ج٨، ولخصه في الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم.

(٣) انظر: أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، د. عبدالعزيز محمد نور ولي، ٢٢٥- ٢٢٨.

(٤) كتاب في الجرح والتأويل دبجه بذكر الأمير الذي استكفاه، وهو (الأمير أبو علي محمد بن محمد بن إبراهيم)، وأشار فيه إلى روايات المبتدعة، انظر: المدخل إلى كتاب الإكليل، ص٣٠، ٤٩.

(٥) انظر: المدخل إلى كتاب الإكليل، ص٤٩، قال: (وقد احتج البخاري أيضا في الصحيح بمحمد بن زياد الالهاني، وحريز بن عثمان الرحبى، وهما مما اشتهر عنهما النصب، واتفق البخاري ومسلم على الاحتجاج بأبي معاوية محمد بن خازم، وعبيد الله بن موسى، وقد اشتهر عنهما الغلو)، ورمي الحاكم للالهاني بالنصب استنكر، ومما تفرد به، أما حريز بن عثمان فالكلام فيه مشهور، والخلاف حوله قائم، واحتمل ابن حجر أن البخاري لم يخرج لحريز إلا لما ثبت عنده أنه رجع عنه، انظر: تهذيب التهذيب، ٢/٢٠٩، ٩/ ١٧٠، والنصب =

الاكتحال أهم منه، وكان أولى أن يمثل به، وخاصة أن في أسانيده رواة نيسابوريين، وهو نيسابوري، وقد أثنى عليهم في خدمة الحديث النبوي، ولا يخفى عليه مثل مروياتهم.

أغرب من صنيع الحاكم ما عرف عن النسائي من تشيع، وخبره مشهور، ومع ذلك فإنه انفرد من بين الكتب الستة بالرواية عن أحد المشهورين المتهمين بقتل الحسين، وهو عمر بن سعد قائد جيش الكوفة[(١)]، وهو بهذا إما أنه لا يتهمه، وإما أنه يجيز الرواية عن أمثاله، وإما أمر غير ذلك؛ وهذا مما يعني أن تشيع بعض أهل الحديث ـ كأمثال من ذكر ـ يحتاج إلى تحر وتحرير، لكيلا يتكأ عليه في خلاف ما يذهبون إليه؛ ولعل ما في هذه الأسطر نوع من هذا التحري، لأن في إقرار بعض ما ينسب إليهم تسويغ للتقابل في إحياء البدع، ورمي مشاهير أهل السنة به.

٥. تاريخ نيسابور من الكتب المشهورة للحاكم، ولم أقف على هذا الكتاب، لأنه أغلبه في عداد المفقود، وليس في الموجود منه هذه العبارة[(٢)]، والذهبي ينقل عنه في تاريخ الإسلام، فهو أحد مصادره، ولم ينوه بهذه العبارة عند حديثه عن مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)]، وبعد التحري عنه عرفت أن هذا التاريخ يقع في ستة مجلدات، وأنه مفقود، ويشير البعض أنه كان موجوداً إلى فترة متأخرة، كالسخاوي، بدلالة نقل عدد من العلماء عنه، كما يوجد تلخيص له يسير، وليس فيه هذه العبارة، كما ظهر جهد حديث أبرز قسماً من هذا التاريخ، وهو طبقة شيوخ الحاكم، والغريب الطريف أن يذكر عن المحدث الشيخ حماد الأنصاري ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أن

=

والنواصب، ص٣٥٦- ٣٦٩، ٣٩١.

(١) النسائي، ح/ ٤١٠٤، وفيه: عن عمر بن سعد قال: حدثنا سعد بن أبي وقاص، أن رسول الله ﷺ قال: «**قتال المسلم كفر، وسبابه فسوق**»، وهو في مسند أحمد، ح/ ١٥١٩، والحديث له طرق وشواهد.

(٢) انظر: تلخيص تاريخ نيسابور، ص٢٠، ٢١، ترجمة: ٢٠٥، ٢٢٦، أبو عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، ابن البيع، ت/ ٤٠٥هـ، تلخيص: أحمد بن محمد، الخليفة النيسابوري، كتابخانة ابن سينا – طهران؛ ورجعت إلى ترجمة الحسين بن بشر بن القاسم، وهو من سلسلة إسناد جويبر، فلم أقف على هذه العبارة، كما ذكر ابن طاووس، لكن هذا مختصر، وما يشير إليه ابن طاووس هو الأصل، فالله أعلم بحاله.

(٣) تاريخ الإسلام، ١/ ٨.

الكتاب موجود في إيران، وأن الشيعة يخفون هذا الكتاب لأمر في نفوسهم[1]؛ وكأنه وقع بكلامه هذا على ما استشكل لدي من هذه العبارة المنسوبة إليه.

٦. الأصعب مما سبق في رد هذه العبارة ــ مع تشيع صاحبها ــ أن يكون سرى هذا الإشكال إلى كتاب الموضوعات لابن الجوزي، وربما أدرجت في كتبه، ويتناقلها الناس بعده؛ إذ الأصل عدم الجزم بنسبتها عن الحاكم ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ، والإمامي المذكور (ابن طاووس) موضع تهمة وكيد وطعن على كتب أهل السنة، وهذا ظاهر في كتبه، ومن ذلك كتاب ينسب إليه باسم: الطرائف في معرفة الطوائف، قيده على لسان ذمي يهودي اسمه عبدالمحمود، كأن تلميذاً بين يدي شيخه، ونسب وضعه إلى الرافضي ـ ابن طاووس، ت/ ٦٦٤هـ[2]، وأما التلميذ فهو مُحَمَّد بن أبي بكر بن أبي الْقَاسِم الهمذاني، ثـمَّ الدِّمَشْقِي السكاكيني، ولد سنة ٦٣٥هـ، اشتغل بالحديث بدمشق، وحدث، ثم مال إلى القدر، وناظر عليه، لكن اختلف في رفضه بسبب هذا الكتاب؛ والذي قد اشتهر عنه متأخراً في سنة ٧٥٠هـ، لمشابهة الخط، كما نبه عليه ابن حجر العسقلاني، ت/ ٨٥٢هـ، ونقل فيه قول شيخ الإسلام ابن تيمية: (هُوَ مِمَّن يتسنن بِهِ الشيعي، ويتشيع بِهِ السّني)[3].

---

(١) وجدت عناية عدد من طلاب الحديث بموضوع هذا التاريخ، وتداعي لتتبع أطرافه من الناقلين عنه من المحدثين، كالديلمي، وابن حجر في الفردوس وزهره، وغيره من مظان هذا الكتاب، وأنا اضيف إليهم هذا النقل عن ابن طاووس الحلي الإمامي في القرن السابع، ومن المواقع التي الإلكترونية التي تحدثت عن هذا الجانب موقع الألوكة: مجلس السيرة النبوية والتاريخ والتراجم، موضوع: (دعوة لتجميع ما تناثر من "تاريخ نيسابور"، لأبي عبد الله الحاكم)، محمود الجيزي، على الرابط التالي:
http://majles.alukah.net/showthread.php?56846

(٢) سبق ترجمته ص٤٩ من البحث، وتكرر في البحث ذكر أقواله وغلوه في الرفض، واجتهاده في إحياء لعنهم في كتب الأدعية والزيارات، وهي معتمدة بعده إلى اليوم؛ وهذا ما يجعل الركون إلى نقله بمفرده عن الحاكم محل توقف ونظر.

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ٥/ ١٤٨، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت/ ٨٥٢هـ، ت. محمد عبد المعيد ضان، ط٢، ١٣٩٢هـ، دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد، وهذا المذكور كتتلمذ شيخ الأزهر البشري عند المرجع الإمامي عبدالحسين العاملي في كتابه المراجعات؛ =

لا أدري من أين نقلها ابن الجوزي إن كان هو من أثبتها في كتاب الموضوعات، لأنها تخالف صنيعه في غير هذا الكتاب، كما نبه عليه ابن تيمية[(١)]، وانتقده عليه الذهبي ــ هو وجماعة من الحنابلة ــ بسبب مداهنته للرافضة، ولعل من ذلك مذهبه في لعن يزيد[(٢)]، وإن كان المشهور من صنيع ابن الجوزي يوافق تشديد العبارة، فقد ذكر السخاوي أن ابن الجوزي على نقيض الحاكم في تساهله، فقال: (وهو والحاكم في مستدركه على الصحيحين طرفا نقيض، يعني فإنه أدرج فيه الحسن، بل والضعيف، وربما كان فيه الموضوع)[(٣)]، كما أن الاحتمال والإشكال قد يرد عمن من نقلوا عن ابن الجوزي، أو نسخوا كتابه: هل هم اعتمدوا على إحدى النسخ المشهورة لكتابه الموضوعات، أو على أول ملخص له، وهو كتاب الموصلي الحنفي، ت/٦٢٣هـ[(٤)]، والتي انتشرت في بعض البلدان، وربما حرفت منذ زمن مبكر، والذي

=

وانظر: المسالك، ص٢٥١- ٢٥٥، يحيى بن الحسين بن القاسم، ت/ ١٠٩٩هـ، وقد نبه المحقق أن الكتاب طبع باسم في إيران باسم ابن طاووس الحلي.

(١) منهاج السنة، ٨/ ١٤٩، ١٥٠، ومثله السخاوي في: فتح المغيث، ١/ ٣١٣- ٣١٤.

(٢) تاريخ الإسلام، ١٢/ ٩٠٤، وانظر: البداية والنهاية، ١٣/ ١٣، وجنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب، للحويني، ص١٠ - ١٢؛ وما ذكره الذهبي من تشيع الحنابلة لعله المراد به أنهم يظهرون موافقة الشيعة خوفاً من أذاهم وتسلطهم، وربما أنهم قد فتنوا بمذهبهم، وهذا في حق بعضهم، كما أن منهم في بغداد من كان على النقيض من ذلك، كالشيخ عبدالمغيث زهير بن الحربي الحنبلي البغدادي (٥٠٠- ٥٨٣هـ)،، والذي رمي بالنصب، فقد ألف كتاباً يمنع فيه من سب يزيد، يرد فيه على ابن الجوزي، وهذا مما يدل على وجود الصراع بين الحنابلة أنفسهم حول هذه المسائل؛ قال الذهبي: (وقد ألف (جزءا) في فضائل يزيد، أتى فيه بعجائب وأوابد، لو لم يؤلفه لكان خيرا، وعمله ردا على ابن الجوزي، ووقع بينهما عداوة)، سير أعلام النبلاء، ٢١/ ١٥٩- ١٦٠، وانظر: منهاج السنة، ٤/ ٥٧٤، والبداية والنهاية ١٢/٣٢٨.

(٣) فتح المغيث، ١/ ٣١٤.

(٤) انظر: فتح المغيث، ١/ ٣١٥، وقال: (وَعَلَيْهِ فِيهِ مُؤَاخِذَاتٌ كَثِيرَةٌ)، والسنة قبل التدوين، ص ٢٨٨، وكتاب المغني عن الحفظ والكتاب أظهره وتعقبه بالنقد من المعاصرين المحدث أبو إسحاق الحويني المصري، بجهدين: أحدهما فصل الخطاب، وآخرهما: جنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب، وقد قدم بنقد إجمالي للكتاب، وذكر أنه تابع في كثير منه ابن الجوزي، مع أن الموصلي لم يشر في مقدمته إلى شيء من هذا، بل فيه ما يوحي أنه ابتكره، ولم يسبق إليه، انظر: ص٢٣، كما لم يتعقبه الحويني في نفس الموضع، بل في المقدمة،
=

فتح المجال لهذا الإيراد هو عدم ذكر الذهبي لها، وكذلك السيوطي[1]؛ ففي النفس شيء من نسبة هذه العبارة إلى الحاكم، وكذلك نسبتها إلى ابن الجوزي، رحمهما الله؛ خاصة مع فقدان المرجع الأصلي المنسوب إليه.

الحال التي وصفها الذهبي قد تفسر.لنا موقف ابن الجوزي في تشديده في الموضوعات، كما قد يفسر أن من المحتمل أن الرافضة تسلطوا على كتبه ــ أيضاً ــ فدسوا فيها، كما أنه يفسر. لنا وجهاً آخر لموقف ابن الجوزي، وهو ما كان بسبب موقفه المشهور في تجويز لعن يزيد، وأن ذلك قد يكون منه لقطع الفتنة التي تحصل بين الطائفتين؛ وكأن الذهبي يعيب هذا الصنيع عليه، وذلك في مقابل ثنائه على رضي الدين القزويني الواعظ، الذي تصلب في موقفه ضد الرافضة، حتى إنهم قتلوه.

وبعد هذه الجولة حول قتلة الحسين وأثرهم في حديث الاكتحال فيبقي الأمر متعلقاً بجويبر، والذي لم يثبت أنه من النواصب، بل هو إلى التشيع أقرب ـ كما سبق ــ، وهذا إشكال أصعب، كما أنه ربما قد يكون معه الفرج، وقد سبق أن خوارج الشيعة محل تهمة في أحاديث عاشوراء؛ وأياً كان الأمر فهي عبارة اجتهادية، لكنها كانت متعلق البعض في الحكم على بعض أحاديث عاشوراء، ومحسنيها، وربما كانت متعلقهم في رمي أهل السنة والحديث بالنصب

=

١/ ١٠، كما نقل –أيضاً– كلام أهل العلم ونقدهم لابن الجوزي، وكثرة أوهامه واستعجاله، ١/ ١٠– ١٣، وتعقب الكوثري في نقده للموصلي في تعويله على أحمد والعقيلي في الجرح، وزعم أنهم يشددان، وخاصة فيمن فيه تشيع، كما أن المؤلف الحويني ذكر أنه جمع جزءاً سماه: (كشف الخفاء عما ورد في فضل عاشوراء)، واختار فيه أن حديث التوسعة ضعيف واه، لا يصلح للاحتجاج، ولا يتقوى بالشواهد، وتعقب العراقي والسيوطي في تقويته، انظر: جنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب، ٢/ ٣٤٦، المغني للعلامة أبي حفص عمر الموصلي الحنفي، وجنة المرتاب، لأبي اسحاق الحويني، ط٢، ١٤١٤هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

(١) وقد سبق ذكر ذلك، والسيوطي من أحرص الناس على جمع كتب الحديث، وتعقب ابن الجوزي، فلم يشر. إلى ما ذكره الحاكم، فهو إما لم يقف على مصدرها من كتب الحاكم، أو أن نسخته من كتاب الموضوعات لم تحتو هذه العبارة.

والعداوة لآل البيت، وهذا ــ وإن ادعته الشيعة فهو ــ أمر عسير، وأصعب منه أن يروج هذا بين أهل السنة أنفسهم، وفيه اتهام لبعضهم لما يقدح في دينهم، خاصة مع تطاول الزمن، وتكرر التقابل بين الطائفتين؛ ولكن ربما انقلب السحر على الساحر، فقد يكون من وضع حديث الاكتحال أراد غيظاً لخصمه فرجع عليه.

ابن تيمية:

ابن تيمية تعرض لهذه التهمة في عدة مواضع، لكنه اختلف موضعها عنده عما نسب إلى الحاكم، فالحاكم خصص تهمة النصب وعداوة الحسين على من وضع حديث الاكتحال، أما ابن تيمية فيخصصها في أكثر الأحيان في خبر التوسعة، وفي بعضها يعممها على عموم أحاديث الزينة وما كان من جنس العيد؛ كما اجتهد ابن تيمية في بيان موضع آخر للخلل غير الموضع الذي ذكره الحاكم، وهو جويبر بن سعيد، فذكر موضعاً قد أخرجه الحاكم بإسناده ــ كما عند البيهقي في الشعب ــ، من غير أن يذكر الحاكم أن أحد رواته محلاً للتهمة؛ وربما أنه خفي عليه حاله، أو أنه لم ير أنه موضع تهمة، أما شيخ الإسلام فانفرد بالتركيز على هذا الموضع، وأن الخلل جاء من جهته، وحيث كون هذا الراوي أرسل العبارة فيرجح شيخ الإسلام أن هذا المرسل عنه الذي لم يصرح باسمه هو موضع التهمة؛ والحقيقة أنه اجتهد وإن كان لم يجزم، إلا أننا نريد أن نعرف: هل قارب الصواب؟ أم لا؟ هذا ورغم ما انتقد عليه من قبل من خالفه في تضعيف، وخاصة من قبل الحافظ العراقي؛ إلا أن المسألة موضع إشكال ومطعن على بعض أهل السنة يحسن التبصر فيها، ولو بالاستغناء عن كثير من ما أحدث بعد القرون الأولى، والتمسك بالمحكم الثابت من حالها، وهذا أقوى ما استند إليه شيخ الإسلام في رأيه في هذه المسألة، ولأهمية استيضاح رأيه قبل توجيهه والحكم عليه فإني أنقل أهم أقواله في الفقرات التالية:

أ- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك حديث عاشوراء، والذي صح في فضله هو صومه، وأنه يكفر سنة، وأن الله نجى فيه موسى من الغرق، وقد بسطنا الكلام عليه في موضع آخر، وبينا أن كل ما يفعل فيه سوى الصوم بدعة مكروهة، لم يستحبها أحد من الأئمة، مثل الاكتحال، والخضاب، وطبخ الحبوب، وأكل لحم الأضحية، والتوسيع في النفقة، وغير ذلك،

وأصل هذا من ابتداع قتلة الحسين ونحوهم)[١]؛ وشيخ الإسلام عمم هذه التهمة في الأحاديث، ولكنه خص نصيب قتلة الحسين من الوضع في أصل البدعة، ولم يوضح في هذا الموضع أي الأنواع المذكورة هي الأصل؛ علما أن المروي عن الحاكم هو في الاكتحال فقط، لكن شيخ الإسلام أشرك معه غيره، كما أشرك بقوله: (ونحوهم) غير القتلة في احتمال الوضع، فدل على أن عبارته تقريبية اجتهادية، وليست عن جزم وتحر دقيق، كما أنه لم يشر إلى مقولة الحاكم المشهورة، مع أنها تشهد لقوله، وذلك قد يدل على عدم اشتهار العبارة عن الحاكم في زمنه؛ ومثله قوله التالي.

ب- يقول ابن تيمية ـ أيضا ـ: (وما أحدثه من يقابل بالبدعة البدعة، وينسب إلى السنة، هو أيضا منكر مبتدع، والسنة ما سنه رسول الله ﷺ، وهي برية من كل بدعة، فما يفعل يوم عاشوراء من اتخاذه عيداً بدعة أصلها من بدع النواصب، وما يفعل من اتخاذه مأتما بدعة أشنع منها، وهي من البدع المعروفة في الروافض)[٢]، وابن تيمية حدد العمل هنا بما يؤدي إلى العيد من أحاديث عاشوراء، من الاكتحال والزينة واللهو والتوسعة ونحوها، مما يعني أنه يخرج منها أحاديث العبادة والتوبة والتنسك من هذا الحكم، كما أنه هنا ربط وضع الأحاديث بمقابلة بدع الرافضة ووضعهم، ويؤكد هذا المعنى بالتالي.

ت- يقول ابن تيمية ــ أيضاً ــ: (والأشبه أن هذا وضع لما ظهرت العصبية بين الناصبة والرافضة فإن هؤلاء اتخذوا يوم عاشوراء مأتمًا فوضع أولئك فيه آثارًا تقتضي التوسع فيه، واتخاذه عيدًا، وكلاهما باطل...، وقد يكون سبب الغلو في تعظيمه من بعض المنتسبة لمقابلة الروافض، فإن الشيطان قصده أن يحرف الخلق عن الصراط المستقيم، ولا يبالي إلى أي الشقين صاروا)[٣]؛ وبقوله: (والأشبه) يظهر الاحتمال، لا الجزم.

ث- ذكر شيخ الإسلام أن النواصب في العراق هم من أظهر السرور في يوم عاشوراء،

---

(١) منهاج السنة، ٨/ ١٥١.

(٢) منهاج السنة، ٨/ ١٥٣.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/ ١٣٢، ١٣٤.

وقدم لذلك بأن في العراق طائفة نواصب، منهم الحجاج بن يوسف، وذلك أظهر النصب تنكيلاً بالشيعة[1]؛ ولم يشر شيخ الإسلام ابن تيمية إلى خصوص إظهار الحجاج للسرور والعيد يوم عاشوراء في بلاد العراق، كما لم يكن في دمشق عاصمة الدولة زمن بني أمية؛ فرمي التهمة على الحجاج ــ مثلاً ــ غير كاف في معرفة من وضع من الرواة أحاديث التوسعة ونحوها، كما أن من المحتمل أن مثل الحجاج يميل إلى طمس كل ما يذكر بعاشوراء، لا أن يحييه، ولذا فربما أراد مخالفوه إغاظته من هذا الوجه، فظن أنه من صنيعه هو.

أظهر مما ذكر تعظيم عاشوراء من جهة خروج المهدي والرضا من آل محمد، والذي يظهر لي أن هذا لم يتضح إلا في منتصف القرن الثاني، بعد مرحلة الغلاة الثانية زمن جعفر الصادق رضي الله عنهما، لكن ربما اشتبه على ابن تيمية عموم نصب الحجاج، وموقفه من علي وآله رضي الله عنهم، فالتزم هذه التهمة إلى عهده وزمانه، مع أن بعض الأخبار المروية عنه توحي بتشنيع الحجاج على قتلة الحسين من أهل الكوفة، وشتمه لأحدهم[2]، وهذا يخالف الفرح، والله أعلم.

ابن تيمية يشير في هذه الفترة إلى شخصية أخرى من أهل الكوفة روي عنها حديث التوسعة، ويرى أنها أشهر وأصح من ثبت ونقل عنه خبر التوسعة في عاشوراء، وهو من فضلاء الكوفيين، ولم يتهمه بنصب، ولكنه يرمي إلى أن النصب قد يكون فيمن سمعه منه، أو فيمن دسه في كلامه، وهذا الراوي هو محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني، فيما ينقله عنه ابنه إبراهيم، وإبراهيم بن محمد بن المنتشر أخرج له أصحاب الكتب الستة جميعا، ووثقه الأئمة[3]، وهو يروي عن أبيه، وأبوه يروي عن عمه الإمام مسروق بن الأجدع من كبار

(١) انظر: منهاج السنة، ٤/ ٥٥٥، ٨/ ١٤٨، ومجموع الفتاوى، ٢٥/ ٣٠١.

(٢) روى الطبراني عن أسلم المنقري، قال: (دخلت على الحجاج، فدخل سنان بن أنس قاتل الحسين، فإذا شيخ آدم فيه حناء، طويل الأنف في وجهه برش، فأوقف بحيال الحجاج، فنظر إليه الحجاج، فقال: أنت قتلت الحسين؟ قال: نعم. قال: «وكيف صنعت به؟» قال: دعمته بالرمح، وهبرته بالسيف هبرا. فقال له الحجاج: أما إنكما لن تجتمعا في دار)، المعجم الكبير، ٣/ ١١١، مجمع الزوائد، ٩/ ١٩٤، ح/ ١٥١٤٦، وقال الهيثمي: (ورجاله ثقات) وانظر: منهاج السنة، ٨/ ١٠٤– ١٠٥.

(٣) إبراهيم بن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني، الكوفي، أحد أئمة الدين، ومن ثبت العلم، أحاديثه يسيرة، =

التابعين، وكلاهما أخرج له الحاكم في مستدركه[1]، علما أن أشهر من يروي عنه خبر التوسعة هو سفيان بن عيينة[2].

حديث التوسعة المذكور يروى بلاغا: «من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته»، ويروى معه أن ابن عيينة قال: جربناه من ستين سنة فوجدناه صحيحا[3]، يرويه سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، أو عن أبيه[4]، وهو حديث موضوع وباطل، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وأنه من صنع القصاصين[5]، وقد (سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث، فقال: لا أصل له)؛ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (قلت: ومحمد بن المنتشر هذا من فضلاء الكوفيين، لكن لم يكن يذكر ممن سمعه، ولا عمن بلغه[6]؛ ولا ريب أن هذا أظهره بعض المتعصبين على الحسين، ليتخذ يوم قتله عيدا، فشاع هذا عند الجهال المنتسبين إلى السنة، حتى روي في حديث: أن يوم عاشوراء جرى كذا، وجرى كذا، حتى جعلوا أكثر حوادث الأنبياء كانت يوم عاشوراء، مثل مجيء قميص يوسف إلى يعقوب، ورد بصره، وعافية أيوب، وفداء الذبيح، وأمثال هذا...، وإلا فالحديث مخالف للشرع والعقل، لم يروه أحد من أهل العلم

=

قيل: (كان من أفضل من رأيناه بالكوفة في زمانه)، قال الذهبي: كان ذا تأله، ودين، وثقة، وتزهد، روى له الجماعة)، سير أعلام النبلاء، ٧/ ٥٥- ٥٦.

(١) مستدرك الحاكم، ح/ ١١٥٥، (عن محمد بن المنتشر)، ح/ ٨٧٣، ١٠٦٢، (عن ابنه إبراهيم).

(٢) سفيان قرين مالك، كما قال الشافعي، ونسبه ابن عدي إلى شيء من التشيع، انظر: تهذيب التهذيب، ٤/ ١١٧.

(٣) الاستذكار، لابن عبدالبر، ٣/ ٣٣١، من حديث شعبة عن أبي الزبير عن جابر فذكره ثم قال قال جابر جربناه فوجدناه كذلك، وقال أبو الزبير مثله، وقال شعبة مثله، وكذلك يحيى بن سعيد، وسفيان بن عيينة، وتاريخ أصبهان، أبو نعيم الأصبهاني، ٢/ ١٣٢.

(٤) شعب الإيمان، ٥/ ٣٣٤، ح/ ٣٥١٦.

(٥) الموضوعات، ١/ ٤٤.

(٦) الحافظ العراقي في جزء نقل عبارة ابن تيمية مع اختلاف يسير، وفيه فائدة، ففي استعراضه لكلام ابن تيمية قال: (ثم قال: وإذا كان من أهل الكوفة، فلعل هذا قد سمعه من شيعة قتلة الحسين أتباع عبيد الله بن زياد)، انظر: التوسعة على العيال، لأبي زرعة العراقي، ولم أقف إلا على نسخة منسوخة عن مخطوط لهذا الكتاب.

المعروفين في شيء من الكتب، وإنما دلس على بعض الشيوخ المتأخرين)[١].

ما حام حوله شيخ الإسلام ليس بعيداً، فربما أن الخلل فيمن روى عن ابن المنتشر، وأنه نسب إليه وإلى أبيه ما ليس من كلامهما، ثم تلقي كلاهما عن هذا الراوي، والمشهور أنه سفيان بن عيينة، وكون سفيان يرويه عن جعفر الأحمر جاء صريحاً عند الشجري الزيدي، وعند الحافظ العراقي؛ وعليه فيدور الأمر في هذا الحديث على جعفر الأحمر[٢].

الحديث مداره على جعفر، من غير طريق سفيان، عند يحيى بن معين من طريقين: شاذان عن جعفر، وعن أبي أسامة حماد بن أسامة عن جعفر، وعند البيهقي من طريق الحاكم، عن شاذان عن جعفر؛ والبيهقي حكم عليه بالضعف الشديد ـ كما سبق ـ، لضعف جعفر الأحمر، وخاصة فيما يتفرد به عن الثقات، وقد سبق أن البيهقي قد ضعف حديثه عن ابن المنتشر؛ أما ابن معين فصرح بتدليس سفيان في هذا الموضع، وأن سفيان لم يسمعه من ابن المنتشر، فقال: (قلت ليحيى: قد رواه سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن محمد، قال يحيى: إنما دلسه سفيان عن أبي أسامة، فقلت ليحيى: فلم يسمع سفيان من إبراهيم بن محمد بن المنتشر؟ فقال: بلى، قد سمع منه، ولكن لم يسمع هذا سفيان بن عيينة من إبراهيم بن محمد بن المنتشر)[٣]؛ هذا التدليس لم يقع من سفيان في رواية المديني عنه، عند العراقي[٤]، ولا في رواية عبد الجبار بن العلاء عنه، عند الشجري[٥]؛ ففيهما صرح سفيان بسماعه عن جعفر عن ابن المنتشر.

أهم من ذلك أنه اتفق فيه أئمة الجرح والتعديل على تشيع جعفر بن الأحمر، بل وأنه من

---

(١) منهاج السنة، ٨/ ١٤٩– ١٥٠.

(٢) جعفر بن زياد الأحمر، ت/ ١٦٧هـ، توقف فيه ابن معين، وقال أحمد: (صالح الحديث، وكان يتشيع)، انظر: تاريخ بغداد، ٧/١٦٣، وتهذيب الكمال، ٥/ ٣٨– ٤١، ونقل عنه: (كان جدي من رؤساء الشيعة بخراسان، فكتب فيه أبو جعفر الى هراة فأشخص إليه في ساجور مع جماعة من الشيعة، فحبسوا في المطبق دهرا طويلا ثم أطلقوا)، وتهذيب التهذيب، ٢/ ٩٢، وفيه: (وإذا روى عن الثقات تفرد عنهم بأشياء في القلب منها شيء).

(٣) انظر: تاريخ ابن معين – رواية الدوري، ٣/ ٤٥٢– ٤٥٣، رقم: ٢٢٢٢، ٢٢٢٣.

(٤) التوسعة على العيال للعراقي، رقم: ١٥، (مخطوط).

(٥) ترتيب الأمالي الخميسية، ٢/ ١٢٢، ح/ ١٨٣٢.

رؤوس الشيعة، وهذا يناقض اتهامه بالنصب، بل ويبعد عن النواصب تهمة وضع مثل هذه الأحاديث، وقد أثنى جعفر على ابن المنتشر، وهذا يعني عدم الشك في ابن المنتشر من قبله، بل الأعجب من هذا أنه مع تشيعه فإنه كان يترك حضور الجمعة، قال العقيلي: (ويقال: إن جعفرا الأحمر هو الذي حمل الحسن بن صالح[1] على ترك الجمعة، فقال الحسن: إني أعيد، فقال: لعل إنسانا يراك فيقتدي بك)[2]؛ فجمع مع التشيع الخروج.

ما سبق من موقف شيخ الإسلام ابن تيمية في اتهام قتلة الحسين بالوضع لقي صدى أكثر من عبارة الحاكم، مع أن العكس هو المتوقع، وهو ما استغربه الإمامية المعاصرون[3]، ففي ظنهم أن ابن تيمية يفرح ببدع التوسعة والاكتحال، فإذا به أشد أهل السنة تشنيعاً عليها؛ والذي يعنينا أن أهل السنة اختلفوا في موقفهم من تقرير ابن تيمية على اتجاهين:

١. موقف المؤيدين: وهم كثيرون، وإن كانوا لم ينقلوا تفصيل تقريره إلا أنهم وافقوه على كون الوضع من جهة النواصب على سبيل المقابلة؛ وذلك كابن القيم (ت/٧٥١هـ)، وكلامه يجمع بين عبارة الحاكم، وتعميم ابن تيمية[4]، وكابن كثير (٧٧٤هـ) في تاريخه، وإن كان ينسب إحداث المقابلة إلى جهلة السنة[5]، ويوحي بأنه من أهل الشام[6]؛ لكن ما ذكره ابن كثير هو في آخر القرن الرابع، سنة ٣٨٩هـ، ٣٩٣هـ؛ وبه يخرج تشخصيه ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عن الموضع المراد تحقيقه، وهي الفترة التي تلت مقتل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وكابن حجر الهيتمي

---

(١) الحسن بن صالح بن حي، ت/ ١٦٩هـ، انظر: تهذيب التهذيب، ٢/٢٥٠، وأن ابن حجر ذكر عنه أنه يرى السيف، وهذا مذهب للسلف قديم، انظر: ص١٦٠، ٩٦١ من البحث. واتبعته طائفة من الزيدية يقال لها الصالحية، وهي من فرقها التي انقرضت، وهناك من لا يعد الحسن من الزيدية. وانظر: المسالك (في ذكر الناجي من الفرق والهالك)، ص٣٥١.

(٢) الضعفاء الكبير، للعقيلي، ١/ ١٨٦.

(٣) انظر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ٤/ ٣٠٩- ٣١٠، وسبق عرضه ص١٠٦٨ من البحث.

(٤) انظر: المنار المنيف، ص١١١- ١١٣.

(٥) البداية والنهاية، ١١/ ٣٧٣، ٣٨١.

(٦) البداية والنهاية، ٨/ ٢٢٠.

المكي (ت/ ٩٧٤هـ)، واتهم النواصب والجهلة من غير تحديد[١].

٢. موقف المخالفين: وفيهم طائفة من المنتسبين إلى أهل الحديث، ويأتي في مقدمتهم الحافظ العراقي، وهو أشهر من تعقب ابن تيمية، بل ربما استند إليه جميع المخالفين، وتقووا بكلامه، خاصة وأن كثيراً منهم له خصومة، أو مخالفة مع ابن تيمية في مسائل متفرقة، وأكتفي بعرض كلامه، والذي تناقله موافقوه، كالسيوطي[٢]، عن جزء له في التوسعة على العيال، ظهر منه قبول أحاديث عاشوراء في التوسعة ونحوها، وأن بعضها يقوي بعض.

يقول الحافظ العراقي: (وبعد... فقد تكرر السؤال من جماعة من العوام في عدة من الأعوام، عن أكل الدجاج والحبوب يوم عاشوراء، هل هو مباح أم محرم عند العلماء؟ فأجبت: بأنه من جملة المباحات، وإن اقترن بنية صالحة فهو الطاعات.

فذكر لي أن بعض العصريين أفتى بتحريم ذلك في هذا اليوم، وأنه لا يستحب فيه شيء غير الصوم؛ فسألت عنه، فإذا هو ممن ينتحل فتاوى الشيخ تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتعلقة بهذا المعنى المسئول عنه على التعيين، فوجدته قد سئل عن أشياء تتعلق بيوم عاشوراء، ومن المسئول عنه: ذبح الدجاج، وطبخ الحبوب في هذا اليوم؟ فأجاب[٣]: (ليس شيء من ذلك سنة في هذا اليوم بل هو بدعة، لم يشرع عنها رسول الله ﷺ ولا فعله هو ولا أصحابه،... وأعلى ما بلغني في ذلك ما ذكره سفيان بن عيينة، عن إبراهيم بن المنتشر، عن أبيه،...، ولم يكن في مدائن الإسلام مدينة أكثر كذبا من الكوفة، وفيها الطائفتان المتقدمتان...)[٤]، يعني الرافضة والناصبة.

---

(١) الصواعق المحرقة (على أهل الرفض والضلال والزندقة)، ٢/ ٥٣٤، أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي، ت/ ٩٧٤هـ، ت. عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة – لبنان.

(٢) انظر: اللآلئ المصنوعة، السيوطي، ٢/ ٩٥.

(٣) يعني ابن تيمية، وما نقله العراقي عنه لم أقف عليه بنفس لفظه، وهو قريب منه، ولم لا أدري عمن استدرك على كتب ابن تيمية هل أشاروا إلى هذا الجواب الذي ذكره العراقي أم لا؟

(٤) التوسعة على العيال، لأبي زرعة العراقي، وكتاب التوسعة للعراقي لا زال مخطوطاً، وينقل عنه من بعده، لم أقف عليه مطبوعاً، وهو منشور في المكتبة الشاملة الإلكترونية.

يقول العراقي: (ولقد تعجبت من وقوع هذا الكلام من هذا الإمام الذي يقول أصحابه أنه أحاط بالسنة علما وخبرة؛ فأما قوله: "أنه لم يستحب أحد من أئمة الإسلام توسيع النفقة على الأهل يوم عاشوراء"، فليس كذلك؛ فقد قال بذلك: عمر بن الخطاب، وجابر بن عبد الله، ومحمد بن المنتشر، وابنه إبراهيم، وأبو الزبير، وشعبة، ويحيى بن سعيد، وسفيان بن عيينة، وغيرهم من المتأخرين)[1].

عرض العراقي أسانيد هؤلاء، وبين أنه بمجموعها تصحح وتحسن طرق الحديث وأسانيده، ويرى العراقي أن أصح أسانيد حديث التوسعة هو ما وري عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وعليه فيرد على ابن تيمية دعوى أن الموقوف أعلى ما بلغه في التوسعة، كما أن العراقي نوه بعلة أخرى لم يذكرها، أو غفل عنها شيخ الإسلام، وهي تدليس سفيان عن جعفر الأحمر، مع ضعفه[2]، كما أنه اعترض على خصوص تهمة أهل الكوفة، (لأن فيها ــ أيضا ــ الفقهاء المرضيون أصحاب علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود: كإبراهيم النخعي، والأسود، والأعمش، وغيرهم؛وأنه لو ترك حديث أهل الكوفة لسقط كثير من السنن الصحيحة)[3].

مما قال العراقي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في خصوص التهمة بالنصب: (وقوله: «فلعله سمعه من شيعة قتلة الحسين»، فهذا هو الذي هو قول بلا علم، وظن مخطئ، وليس هذا بأولى من قولنا، لعله سمعه من الثقات المأمونين الذين سمع منهم بالكوفة: كمسروق بن الأجدع، وعمرو بن شرحبيل، أو سمعه ممن سمع منهم من الصحابة: كعائشة، وابن عمر، وروايته عنها في الصحيح، وهو ثقة احتج به الأئمة الستة، وتبعه أحمد بن حنبل، وابن حبان وغيرهما)[4].

ما اعترض به العراقي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ يفتح لنا مجالاً للبحث عن الموضع الآخر الذي قد يكون

---

(١) التوسعة على العيال، العراقي، وسبق عرض ستة طرق لحديث التوسعة، ص١٠٥٩- ١٠٦٦ من البحث.

(٢) سبق أن العراقي ساق بإسناده تصريح سفيان بجعفر، ومثله الشجري، وقبلهما ابن معين في تاريخه، لكن العراقي لم يشر إلى كلام ابن معين، الذي صرح فيه بتدليس سفيان، ولعله لم يطلع عليه.

(٣) التوسعة على العيال، للعراقي، ص٢٧٨.

(٤) التوسعة على العيال، للعراقي، ص٢٥.

محلاً للتحديث والرواية، أو الوضع، والذي يغلب الحافظ العراقي أنه مظنة الوضع والتوهين؛ ويجعلنا نخلص إلى أن الرواة الذين كان يحتمل اتهامهم بوضع أحاديث التوسعة أو الاكتحال؛ أنهم ليسوا من أعداء وقتلة الحسين (النواصب)، بل إنهم من الشيعة، بل ومنهم من يرى ويتحين الخروج، وهذا ما يجعلني أطرح احتمالاً معاكساً للمشهور، وهو أن الوضع في أحاديث عاشوراء ابتدأ من خوارج الشيعة، وأن معنى الخروج له علاقة بتعظيم عاشوراء، وأنه قد يكون باعثاً على الوضع، وأن المقابلة في وضعه كان مقابل آخرين من الشيعة، لا من السنة، وخاصة من قعدة الشيعة، فجاء تعظيم يوم مقتل الحسين حتى لا ينسى مع الزمن، ويرون في استذكاره تأييداً لمذهبهم، كما هو مراد الشيعة اليوم؛ وسبق أن بسط الكلام حول خوارج الشيعة في مطلب سابق فليراجع.

مما سبق يظهر ـ أيضاً ـ أن موضع النصب وآثاره في خصوص عاشوراء ينحصر.أكثره في العراق، وشيء منه في الشام، أو في بلاد فارس وغيرها، حول مشاهد آل البيت، وإن كان ابن تيمية يرجح أنه في العراق، ولم يذكر منه شيئاً في بلاد الشام، وهذا بخلاف ما قد يظهر من كلام ابن كثير، وإن كان لم يحدد زمنه، وأما ابن الجوزي والذهبي وابن كثير فيروون ما جرى في عاشوراء ببغداد عاصمة الخلافة، من شيعة الكرخ وغيرهم، وما يقابلهم أهل السنة به من إنكار، أو ما يقابلهم به جهلة من أهل السنة من مقابلة بدعتهم ببدعة أخرى، وهي غالباً تتعلق بمن يقصدون من تعظيمه إغاظة الشيعة، والذي يظهر أنه لما انتقلت الدولة إلى بغداد صار صولتهم تتجدد هناك في بعض الأحيان، لأهواء بعض الولاة ونوابهم ومعتمديهم، إلى أن تمكنت في آخر القرن الثاني، وهذا ما لم يكن متوفراً زمن بني أمية لإحكامهم أمر العراق بالجبارين، كابن زياد، والحجاج، وأما عاصمتهم فلم تكن مظنة للتقابل أصلاً.

❀❀❀❀❀

المطلب الثاني

علاقة مفهوم الشكر بالتعبد في عاشوراء

تعدد صور التعبد والتنسك في يوم عاشوراء يرتبط بأحاديث الصوم بحبل وثيق، لارتباطه بأصل مشروعية الصوم، وتعلق به مفهوم له علاقة بالتوسع والتساهل في التعبد زيادة على المشروع، وانجر هذا التوسع إلى غير يوم عاشوراء، عند السنة والشيعة، ومن أسباب ذلك التساهل في جانب الروايات الموضوعة، وما يشبهها ويداخلها من استحسان المجربات التي يتناقلونها على سبيل كرامة خاصة، أو اجتهاد استحسن، أو تتبع لمواضع عبادة النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في المدينة؛ والذي يهمنا معرفة ما له علاقة بعاشوراء، فمعرفته على حقيقته مما يرفع وهم من يرمي مثل هؤلاء بالنصب، وبغضهم للحسين وآل البيت.

يتضح هذا باستكشاف علة التشريع في صوم عاشوراء، وعلاقته بالشكر، وذلك من خلال أحاديث صوم عاشوراء التي حوت هذا المعنى، وقبل ذلك أذكر أن الكلام هنا يتجه إلى قولين من أقوال أهل العلم في حكم صوم عاشوراء في السنة الثانية(١)، وهي تدور على قولين متقابلين:

١. أنه كان صوماً واجباً لسنة واحدة، وفيها نسخ بصوم عاشوراء، وذلك بدلالة ظاهر النصوص التي تضمنت أمر الرسول لصحابته بالإمساك على أي حال كانوا، طعموا أول النهار، أم لم يطعموا؛ وهذا القول يعتمد على أن عاشوراء أمر به الرسول على استقلال من غير مراعاة لحصول موافقة الأنبياء السابقين؛ ويبقى فضل عاشوراء عند الإسلام من جهة أنه يوم قد فرض صومه عليهم، فهم يذكرونه كيوم من أيامهم؛ وحينئذٍ فلا مدخل لمخالفة أهل الكتاب فيه أصلا، كرمضان، بل ربما أنهم استعاضوا عن صوم رمضان بصوم عاشوراء، وهذا من تحريفهم(٢)؛ ولذا فالإشكال يبقى واردا على من قال إن صوم عاشوراء لم يكن واجباً، بل

---

(١) راجع ص٩٨٤ من البحث.

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ٣/ ٢٥٢، أبو حفص، عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، ت/ ٧٧٥هـ، =

مستحباً، فإن قيل إن استحبابه بسبب أمر من الله ووحي خاص؛ زال الإشكال، ولم ينظر إلى سؤال اليهود ولوازمه، وإن قيل إن استحباب الصوم كان على سبيل الشكر ووجب موافقتهم بعد سؤالهم ـ كما في خبر ابن عباس ـ؛ بقي الإشكال.

٢. أنه كان صوما مستحباً مؤكداً، ومن أسباب القول بعدم الوجوب تجويز صومه من أثناء النهار، ولعل هذا قياساً على ما استقر عليه صوم رمضان ووجوب تبين نية صومه من الليل، وكذلك كل صوم واجب؛ وعلى هذا فيميل طائفة من القائلين بهذا القول إلى أن صوم الرسول له كان على سبيل التطوع والشكر، أخذاً من الروايات التي تضمنت هذا المعنى، وأنه يلزم عليه جواز مثل هذا الشكر في أمثاله من الأيام إن عرف فضلها عند نبينا، أو عند الأنبياء السابقين، وهو محل النزاع؛ وهذا القول هو الذي يتعلق به حديث هذا المطلب.

ممن ظهرت عنايته بهذه المسألة وتنزيلها على مرويات الصحابة في أحاديث عاشوراء الإمام الطحاوي –رحمه الله–، فيقول مثلاً: (وقد أخبر ابن عباس[1] في حديثه بالعلة التي من أجلها كانت اليهود تصومه، أنها على الشكر منهم لله تعالى في إظهاره موسى على فرعون، وأن رسول الله ﷺ أيضا صامه، كذلك، والصوم للشكر اختيار، لا فرض)[2]، وهذا من الطحاوي في معرض تبريره لقول من قال إن الصوم لم يكن مفروضاً، بل هو على سبيل

=

ت. عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١،، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت؛ وذكر ابن عادل أن رمضان كان واجباً على اليهود، فتركوه إلى صوم يوم عاشوراء، فأنقصوه وجعلوه متنقلاً مع دورة الشمس، وفي الربيع، وربما كان ميقاته عندهم في العاشر من رمضان من السنة الأولى، إذ هو يوافق أول شهر من سنتهم الشمسية في تلك السنة، ويكون الرسول حينها شرع له صيام ثلاثة أيام، في اثنا عشر. شهرا، وفيها صوم يوم عاشوراء، فمجموعها سبعة وثلاثين يوماً؛ كما يلحظ أن عدة هذه الأيام من دون عاشوراء تساوي عدة رمضان ثلاثين، وستاً من شوال، وكلاهما كفارة سنة، ومثل اليهود النصارى، ولكنهم زادوا فيه حتى بلغوا به الخمسين يوماً، وعليه فيكون عاشوراء سلماً لفرض رمضان، من غير النظر إلى صنيع اليهود والنصارى.

(١) سبق في ص٩٧٩ ذكر خبر ابن عباس في الصحيحين، ولكن العلة ليست من كلامه، بل هو من خبر اليهود.

(٢) شرح معاني الآثار، ٢/ ٧٦، ح/ ٣٢٩٢، ٣٢٩٠، ٣٢٨٨؛ وفي: ٢/ ٧٤: ذكر أن آثاراً أخرى تفيد أن الصوم كان فرضاً.

الاستحباب المؤكد؛ وفي تعليقه على حديث أبي قتادة في كفارة عاشوراء قال ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ: (ففي هذا الحديث أنه أمرهم بصومه احتساباً لما ذكر فيه من الكفارة، وليس هذا بمخالف عندنا لحديث ابن عباس، لأنه قد يجوز أن يكون كان يصومه شكراً لله، لما أظهر موسى على فرعون، فيشكر الله به، ما شكره به من ذلك، فيكفر به عن السنة الماضية)[1].

الطحاوي فيما سبق يقرر أن لفظ الشكر هو باعث القول بالاستحباب، بل هو باعث إبقائه بعد نسخه برمضان، إذ لا يصلح ـ عنده ـ أن يكون لفظ الشكر دليلاً على الفرض، فخصه بالتطوع؛ وهذا الاتجاه في التقسيم والاستدلال قائم على ثبوت هذا الوصف أولاً، وفي ارتباطه بالنسخ ثانياً، ثم في تطبيقه على الأحاديث ثالثاً.

خلاصة.

سبق أن الأرجح أنه لا علاقة لخبر اليهود وسؤالهم بأصل تشريع الصوم وابتدائه، وأن ما ذكره اليهود ليس مؤثراً في الصوم ابتداء، ولا فيما بعد نسخه برمضان، وأنه كان لبيان ضلالهم في أمر دينهم، وتبديلهم وتحريفهم، ومن ذلك تركهم إتباع نبوة نبينا محمد ﷺ؛ وبهذا يزول كثير من الإشكال الذي أظن أن مبناه هو الجزم بالعلاقة بين الأمر بالصوم وسؤال اليهود، وتوافق ذلك مع صوم الرسول ﷺ واليهود في نفس اليوم حين السؤال.

استظهر من النصوص الواردة أن الأصل أن الباعث على صيام عاشوراء في شريعة موسى عليه السلام هو الشكر لله، فهذا اليوم «صامه موسى شكراً»، كما يظهر في حديث ابن عباس وغيره، وكذلك صامته اليهود اقتداء وشكراً لله، ورسولنا أحب موافقتهم أول الأمر بالمدينة في هذا العمل، فصامه موافقة، ثم عزم على إبقائه مع شيء من المخالفة لليهود، بالزيادة عليه، وكأنه اجتمع بهذا العمل شريعتان، وهو بخلاف استقبال بيت المقدس، حيث خلص إلى شريعة واحدة، وهجر الأخرى؛ لكن ما استظهر محل نظر وتأمل.

يرد الإشكال في ثبوت معنى الشكر زمن النبي ﷺ، وفي كلام ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناقل عنه؛ فالشكر قد يأتي مقارنا للظفر والظهور، وقد يأتي مقارنا للغرق، كما تأتي الأخبار

---

(١) شرح معاني الآثار، ٢/ ٧٧، ح/ ٣٢٩٧.

بلفظ التعظيم دون الشكر؛ والذي يظهر أن لفظ الشكر ليس متفقا عليه بين الرواة من كلام ابن عباس ونقله، وربما يكون هذا من قبيل المدرج، أو التفسير للخبر، أو وقع فيه تصرف في رواية أيوب، أو الرواة عنه، وعارضت رواية أخرى في الصحيحين -أيضا-؛ هذا فضلاً عن أنه من كلام اليهود أنفسهم، والذي يغلب على الظن أنهم حرفوه عن موضعه.

الإدراج ونحوه من الأوجه المذكورة تتضح بتتبع الروايات الواردة عن ابن عباس وعن غيره، كأحاديث أبي هريرة، وسعيد بن زيد، وجابر بن عبد الله، وأبي موسى الأشعري، فأذكرها مبتدئا بها، لأنها تتخذ شواهد لحديث ابن عباس، وذلك كما يلي:

١. حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وفيه من قول اليهود: (وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى، فصامه نوح وموسى شكرا لله تعالى، فقال النبي ﷺ: «**أنا أحق بموسى، وأحق بصوم هذا اليوم**»)[١]، وفي هذا الحديث ذكر الشكر والغرق، وفي لفظ: «**من كان أصبح منكم صائما فليتم...**»[٢]، وكلاهما فيه ضعف ولا يصح شاهداً لغيره.

---

(١) مسند أحمد، ح/ ٨٧١٧، وغاية المقصد فى زوائد المسند، ح/١٥٢٩، حدثنا أبو جعفر، حدثنا عبد الصمد، عن أبيه، عن شبيل، عن أبى هريرة، وانظر: مسند الفردوس، للديلمي، ٥/ ٥٣٠، رقم: ٨٩٨٩ بلفظ آخر: (يوم عاشوراء عيد نبى كان قبلكم فصوموه أنتم)، نقلا عن: جامع الأحاديث، للسيوطي، ٢٤/ ٣٠٢، ح/ ٢٧٢٠٤، وهو عند السيوطي ضعيف، وقال الهيثمي: (رواه أحمد، وفيه حبيب بن عبد الله الأزدي لم يرو عنه غير ابنه) وقال -أيضا-: (رواه البزار، وفيه إبراهيم الهجري وثقه ابن عدي، وضعفه الأئمة)، مجمع الزوائد، ٣/ ١٨٤، ١٨٥، ح/ ٥١٠٥، ٥١١٥.

(٢) مسند أحمد، ح/ ٨٧١٦، وألفاظ الأمر بعاشوراء صباحا مشهورة من أحاديث الأنصار في السنة الثانية، أما بعدها وبعد فرض رمضان فلم أقف أن الرسول أمرهم بصيام عاشوراء بعد الفجر إلا ما جاء في خبر أبي غطفان عن ابن عباس، وفيه إشكال، وعليه فتلك الأحاديث المتواترة لا تصح شاهدا لحديث أبي هريرة، لأنه لم يسلم إلا متأخرا، خلافا لما ذكره الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، ولعل الرواة قلبوا في الأحاديث، وقد حكم على الحديث بأنه: صحيح لغيره لهذه الشواهد، مع حكمه بضعف إسناده، وتفرد الإمام أحمد به، انظر: مسند أحمد، ح/ ٨٧١٦، ٨٧١٧، ومثله حديث ابن عباس الذي أسنده إليه وكيع مرة عن طاووس، ومرة عن عكرمة، مسند أحمد، ح/ ٢٠٥٧، ٢٠٥٨، والشاهد فيه ما ذكره عكرمة، وفيه أن الرسول بعث إلى قرية على فرسخين أو أربع فراسخ من المدينة، يأمرهم بصوم عاشوراء، وفي إسناده جابر بن يزيد الجعفي الكوفي، ت/ ١٢٨هـ، وهو ضعيف، ونسب إلى الكذب والرفض والسبئية، وممن كذبه سعيد بن جبير، واختلف فيه =

٢. حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا، وفيه ذكر الغرق، من دون ذكر الشكر في شأن بني إسرائيل لفلق البحر، وفي شأن نوح، وأنه صام ومن معه والوحش شكراً لله عز وجل، وفي يوم عاشوراء "، يرويه عن زيد ابنه، ثم حفيده: عبدالغفور بن عبدالعزيز، وهو متروك[1]؛ فلا يصح حديثه شاهداً.

٣. حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**هو يوم كانت اليهود تصومه**»[2]، من دون ذكر الشكر والغرق، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، فلا يصح هذا الحديث شاهداً.

٤. حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في الصحيحين، وفيه أن اليهود يصومون عاشوراء، ويتخذونه عيدا، ويعظمونه، والأمر بصيامه، من دون ذكر الشكر[3].

٥. أحاديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وهي أشهرها، وعليه مدار الكلام فيها، وقد جاءت بعدة طرق، في الصحيحين وغيرهما، وفيها الطويل الغريب، وجمعتها لأن نسبتها إلى ابن عباس يجعل بعضها يشهد لبعض في بعض مفرداتها التي وردت من طرق ضعيفة، وهي كما يلي:

=

كثيرا، انظر: تهذيب التهذيب، ٢/ ٤٤٦- ٤٥١، وهو ممن روى صوم عاشوراء عن علي، وهو من الإخباريين الشيعة، وينسب له كتاب في مقتل الحسين، انظر ص٨٢٨، ٨٩٩، ٩٤٣ من البحث؛ ورواية جابر هذه لا تصلح -أيضا- شاهدا لحديث أبي هريرة؛ ومثله الزيادة في خبر معاوية في تخيير الرسول بالصوم وأنه أرسل إلى أهل العوالي، فقال: (من أكل فلا يأكل، ومن لم يكن أكل فليتم صومه)؛ أنكرها النسائي، السنن الكبرى، ٣/ ٢٣٦، ح/ ٢٨٦٦.

(١) المعجم الكبير، للطبراني، ٦/ ٦٩، ح/ ٥٥٣٨، وأبو الشيخ في الثواب عن عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن أبيه عن جده، ومسند الفردوس، للديلمي، ٢٨٩/٤، رقم: ٦٨٥٤، كلاهما نقلا عن: جامع الأحاديث، للسيوطي،٩/ ٣٦٥، ح/٨٦٠١، قال الهيثمي: (وفيه عبد الغفور، وهو متروك)، مجمع الزوائد، ٣/ ١٨٨، ح/ ٥١٣٢.

(٢) مسند أحمد، ح/ ١٤٦٦٣، ١٤٧٥٨، والمعجم الأوسط، للطبراني، ح/٢٥٠١، وقال الهيثمي: (وفيه ابن لهيعة، وهو حسن الحديث، وفيه كلام)، مجمع الزوائد، ٣/ ١٨٥، ح/ ٥١١٤.

(٣) البخاري، ح/ ٣٧٢٦، وفيه: (أناس من اليهود يعظمون عاشوراء)، ومسلم، ح/ ١١٣١، وفيه -أيضا- خبر أبي موسى عن أهل خيبر، واتخاذهم له عيدا، والسنن الكبرى للنسائي، ح/ ٢٨٦١، ٢٨٦٢، وفيه عن: أهل يثرب، وشرح معاني الآثار، ٢/ ٧٦، ح/ ٣٢٩٢، ٣٢٩٠، ٣٢٨٨.

أ- من طريق أبي غطفان بن طريف المري، يقول: سمعت عبد الله بن عباس، وفيه: (قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى)(١)، من دون ذكر الشكر، وفيه غرابة ذكر النصارى؛ ومثله عند أبي موسى: (أن أناساً من اليهود)(٢)، مما قد يوحي باختلاف أحوال اليهود في هذا اليوم، كما يوحي بتجدد الأمر بصوم عاشوراء بعد فرض رمضان(٣).

ب- من طريق القاسم بن أبي أيوب(٤)، عن سعيد ابن جبير، في حديث طويل، وفيه أن يوم الزينة هو (اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة، هو يوم عاشوراء)(٥)، وفيه غرابة أنه جعله يوم السحرة(٦)، مع أنه الأشبه بيوم عاشوراء هو معنى الظهور، لا كونه يوم العذاب؛ والخبر المذكور أعرض عنه أهل الصحاح، وانفرد به من أهل السنن النسائي،

---

(١) مسلم، ح/ ١١٣٤، والمسند المستخرج على صحيح مسلم، لأبي نعيم، ح/ ٢٥٨٠، وأبو داود، ح/ ٢٤٤٥.

(٢) البخاري، ح/ ٣٧٢٦، عن أبي موسى، وسبق.

(٣) راجع ص٩٩١- ٩٩٤ من البحث.

(٤) القاسم بن أبي أيوب الواسطي الأعرج مختلف فيه، ويروي عجائب، وكذلك الراوي عنه: أصبغ بن زيد، انظر: وتهذيب التهذيب، ١/ ٣٦١، ٨/ ٣٠٩، وفي الإسناد يزيد بن هارون، وهو من حفاظ العراق.

(٥) السنن الكبرى للنسائي، ح/ ١١٢٦٣، ومسند أبي يعلى الموصلي، ٥/ ١٠، ح/ ٢٦١٨، من حديث طويل، وفيه اعتراض معاوية على بعض رواية ابن عباس، وقال ابن ناصر الدمشقي: (خرجه ابن شاهين)، وذكر أنه نقل مثل هذا عن ابن زيد والأعمش ومقاتل، ونقل -أيضاً- عن سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وذكر أنه يوم عيد وافق عندهم يوم سبت، وذكر أنه وافق يوم اثنين، وقيل هو يوم النيروز، أو يوم سوق، أو يوم يخرجون فيه إلى النيل وفاء، وابن زيد لعله حديث سعيد بن زيد، يرويه عبدالغفور بن عبدالعزيز بن سعيد بن زيد، وهو ضعيف لضعف عبدالغفور، وهو متروك، فلا يصلح شاهداً، وسبق قريباً، وذكر ابن الجوزي أن لهم فيه أربعة أقوال، انظر: اللفظ المكرم، ص١٤، وتفسير البغوي، ٣/ ٢٦٥، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤/ ٤٩، لا بن عطية، وزاد المسير، ٣/ ١٦٣، وتفسير القرطبي، ١١/ ٢١٣، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٥/ ٥٨٤، وذكر السيوطي أن الحديث أخرجه: سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأن حديث ابن عمرو أخرجه ابن المنذر.

(٦) ومنه الحديث الذي نسب لعبد الله بن عمرو: (من صام يوم الزينة أدرك ما فاته من صيام سنة...)، وقد عزاه السيوطي إلى مسند الفردوس، للديلمي، وأحاديثه ضعيفة، ومثله -أيضاً- ما نسب إلى عمر بن الخطاب، كما عند ابن مردويه في تفسيره، نقلاً عن: جامع الأحاديث، للسيوطي، ٢٠/ ٤٥٣، ح/ ٢٢٥٩٧، ٢٦/ ٣٣٣، ح/ ٢٩٢١٥؛ وقد سبق الحديث عنهما، وبيان ضعفهما، راجع ص٩٩٥ من البحث، حاشية (٤)، وانظر ص٢٠٦.

وظاهره معارض لخبر ابن عباس المشهور، إضافة إلى الضعف والاختلاف في بعض رواته، فلا يصلح شاهدا له حينئذ، والغريب فيه أنه مروي عن أهل العراق وحفاظهم.

ت- من طريق حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير[1]، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يرويه عن حكيم سفيان الثوري، وفيه صلاة النبي ﷺ فجر يوم عاشوراء، وأمره الناس بصومه، ومن لم يكن نواه فليمسك، وفيه ذكر الشكر والنصر، دون الغرق، وقوله ﷺ: «**فصامه اليهود شكرا، فنحن أحق بالشكر**»[2]، وهذه العبارة من أغرب العبارات في أسانيد ابن عباس، حيث جعل لفظ الشكر من كلام النبي ﷺ؛ وانفراد هذه الرواية بهذا مما يدل على ضعفها، إضافة إلى علة في الرواوي عن سعيد، وهو حكيم، وهو مختلف فيه وضعيف لاضطرابه وانفراده[3]، وهذا كاف في عدم الاستشهاد بروايته، كما فيه أن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نقل أمر النبي ﷺ بالصوم بعد صلاة الفجر، وهو أمر لم يحضره ابن عباس[4].

---

(١) من ظريف المسائل أن سعيد بن جبير من أهل الكوفة، ويروي أخبار عاشوراء، ولا يتهم مثله بجفاء آل البيت، وهو يروي أحاديث شيخ من شيوخهم، كما أنه لا يتهم بالنصب والميل إلى بني أمية، فقد قتله الحجاج ت/ ٩٤هـ؛ بل أعجب من ذلك أن شيخ الإمامية المفيد النعمان ابن المعلم ينقل عن الكشي- أن سعيد بن جبير من خاصة علي بن الحسين، ولذلك قتله الحجاج، وأقحم في قصته السؤال عن أبي بكر وعمر، فألغز سعيد بن جبير في الجواب !، فأصبح سعيد بن جبير قضية مشتركة، انظر: الاختصاص، المفيد، ص٢٠٥.

(٢) المعجم الكبير، ح/ ١٢٤٢٥، وبسند نازل عنه قوام السنة: الترغيب والترهيب، ٢/ ٤٠٠، كلاهما عن الثوري.

(٣) حكيم بن جبير الكوفي، الأسدي، أو الثقفي ولاء، قال الهيثمي: (قال أبو زرعة: محله الصدق إن شاء الله، وفيه كلام كثير، وقد نسب إلى الكذب)، وقال ابن حجر: (له رأي غير محمود، نسأل الله السلامة، غال في التشيع) وقال أحمد: ضعيف الحديث مضطرب، كما ليس من مشاهير تلاميذ سعيد بن جبير، انظر: مجمع الزوائد، ٣/ ١٨٧، وتهذيب التهذيب ٢/ ٤٤٥- ٤٤٦، ٤/ ١١- ١٤؛ أما الإمامية فيجعلونه من خواص الأئمة، فلكل إمام خواص، فهو من خواص علي بن الحسين، ومثله سعيد بن المسيب، كما أن جابر الجعفي من خواص الباقر، انظر: الاختصاص، للمفيد، ص٨.

(٤) قد يشكل عليه ما ورد عنه من تحري الرسول ﷺ ليوم عاشوراء، وأن هذا كان آخر الأمر، وقد يخرج من هذا بأنه اجتهاد من ابن عباس بحمل ذلك على روايات السنة الثانية التي سمعها عن كبار الصحابة، وخاصة من =

ث- من طريق روح وهشيم، كلاهما عن شعبة عن أبي بشر: جعفر بن أبي إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس[1]، كما جاء من طريق هشيم عن أبي بشر، من دون ذكر شعبة[2]؛ وفيهما أن ذلك اليوم يوم أظهر أو أظفر الله فيه موسى على فرعون، من دون لفظ الشكر والغرق، وإنما ورد بلفظ التعظيم، وقولهم: (ونحن نصومه تعظيماً له)، والحديث بهذه الرواية لا يشكل مع بقية أحاديث الصحابة، وموافق لكونه يوم من أيام الله، ويحتمل معه معنى الموافقة والتألف بسؤالهم، لا أن يكون هو سبب الصوم وباعثه، أو أنه مانع من القول بوجوب صومه في السنة الثانية، والذي هو ظاهر النصوص.

ج- من طريق أيوب عن سعيد بن جبير، وهو عمدة من يروي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سؤال الرسول ﷺ لليهود حين قدم المدينة، والخبر يروى عن سعيد إما مباشرة، وإما بواسطة ابنه عبدالله، يرويه أيوب السختياني، وهو أشهر طرق الحديث، وعمدة ألفاظ

=

الأنصار، ويشابه ابن عباس في هذه الحال أبو هريرة وأبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم الذين لم يكونوا موجودين في المدينة حين فرض الصوم في المدينة.

(١) البخاري، ح/ ٣٧٢٧، ٤٤٠٣، ٤٤٦٠، وشرح معاني الآثار، ٢/ ٧٥ح/ ٣٢٨٤، والمستخرج على صحيح مسلم، لأبي نعيم، ح/ ٢٥٧٢، وذكر ثلاث طرق أخرى عن شعبة: أبو داود، وعمرو بن مرزوق، ومحمد بن جعفر، كلها بدون لفظ الشكر، والدارمي، ح/ ١٨٠٠، ومستخرج أبي عوانة، (٢/ ٢٣٣)، ح/ ٢٩٦٠، وعن هشيم: ح/ ٢٩٦١؛ وهو مروي موقوفاً، ومنه قول سفيان: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى صلى الله عليه وأغرق آل فرعون فصام موسى شكرا لله.

(٢) البخاري، ح/ ٣٧٢٧، ومسلم، ح/ ١١٣٠، والسنن الكبرى، ح/ ٢٨٤٧، ١١١٧٣، وأبو داود، ح/٢٤٤٤، وبإسناد هشيم المذكور، من أربع طرق عن شعبة: أبو داود، وروح، وعمرو بن مرزوق، ومحمد بن جعفر، لفظها: (فنحن نعظمه) في المستخرج على صحيح مسلم، لأبي نعيم، ح/ ٢٥٧٢؛ ولفظ التعظيم ورد في بعض طرق حديث ابن عباس، من طريق سفيان عن أيوب، قالوا: (هذا يوم عظيم)، مسلم، ح/ ١١٣٠، ومستخرج أبي عوانة، (٢/ ٢٣٣)، ح/ ٢٩٦٢، كلاهما مع الشكر والغرق، وعن عبدالوارث، عن أيوب، في البخاري، ح/ ١٩٠٠، ومسند أحمد، ح/ ٢٦٤٤، ٢٨٣١، (يوم صالح)، ثلاثة المواضع: من دون الشكر، وانظر: الجمع بين الصحيحين، للحميدي، ٢/ ٥٠، ح/ ١٠٣٥، والسنن الكبرى، ح/٢٨٤٨، بالشكر دون التعظيم، ومسند أحمد، ح/ ٥٢٠٣، ٦٢٩٢، والمستخرج على صحيح مسلم، لأبي نعيم، ح/ ٢٥٥٨، كلاهما: عن ابن عمر، بلفظ: (يوم من أيام الله)، ح/ ٢٥٧١.

(الشكر والغرق)، وهو من حيث مضمونه كما يلي:

١)عن أيوب: سفيان، وشعبة، ومعمر، ووهيب، وهو يروى مرة بالشكر، والتعظيم من كلام ابن عباس أو نقله، ومنه: (أن النبي ﷺ لما قدم المدينة، وجدهم يصومون يوماً، يعني عاشوراء، فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى، وأغرق آل فرعون، فصام موسى شكرا لله، فقال: «**أنا أولى بموسى منهم**»، فصامه وأمر بصيامه)[1]، فجمعت مرويات أيوب فيه بين التعظيم والغرق والشكر، بخلاف رواية عبدالوارث عن أيوب عن سعيد، وبخلاف رواية أبي بشر عن سعيد السابقة.

٢)أيوب: يروي عنه عبدالوارث (بن سعيد العنبري): وفيه: (يوم صالح) أظفر الله فيه موسى على فرعون، أو يوم نجاة، من دون ذكر الشكر والغرق[2]، وهي شبيهة برواية أبي بشر عن سعيد السابقة.

خلاصة.

القصد من هذا التتبع لروايات خبر ابن عباس وشواهده بيان أن لفظ الشكر ولازمه من المخالفة لم يكن متفقا عليه بين الرواة عن ابن عباس، كما أن أخذها على ظاهرها يتسبب في الإشكال على ما هو أولى وأشهر منها، من جهة باعث الأمر بالصوم، وعلاقته بسؤال اليهود، كما أنها صارت أقوى متعلق لمن يعظم هذا اليوم وغيره من طريق الشكر، وكما سيتبين أن تعظيم يوم المولد النبوي استدل له من هذه الروايات؛ مما يعني أهمية تحريرها، وكذلك أهمية العذر لمن تعلق بها، لإشكالها على الرواة والفقهاء، بل حتى أصبح الاختلاف على ابن عباس نفسه مشهوراً في بقية أخباره حول عاشوراء، ومن أشهرها صومه للتاسع وحده قصدا

---

(١) البخاري، ح/ ٣٢١٦، ومسلم، ح/ ١١٣٠، وكلاهما من طريقين يروينه عن: سُفْيَانُ، وفي مستخرج أبي عوانة، (٢/ ٢٣٣)، ح/ ٢٩٦٤، ومسند أحمد،ح/ ٣١١٢، عن معمر، والمستخرج على صحيح مسلم، لأبي نعيم، ح/ ٢٥٧٣، يرويه عن أيوب: سفيان، ومعمر، ووهيب، وفيه الشكر والتعظيم والغرق، وفي مستخرج أبي عوانة، (٢/ ٢٣٣)، ح/ ٢٩٦٢، عن وهيب عن أيوب بذكر الغرق، من دون الشكر والتعظيم، وهو أغربها.

(٢) البخاري، ح/ ١٩٠٠، ومسند أحمد، ح/ ٢٦٤٤، ٢٨٣١.

للمخالفة، التي مبناها على أن أصل التشريع جاء من جهتها، كما انفرد ابن عباس بروايته على الأشهر، ومن ذلك ما فهمه البعض أنه يرى أن عاشوراء هو اليوم التاسع؛ وهذا مما يؤكد أن الرواة أشكل عليهم بيان فهم ابن عباس لما روى.

يتبين المراد مما سبق بتلخيص الروايات السابقة، وببيان أن المتفق عليه بين تلك الروايات: (هو أن الرسول ﷺ وجد يهود المدينة أو بعضهم يصومون يوما ما من الأيام، لا يجزم بموعده، ولا باسمه عندهم، ولا سبب صومهم له، وأن صومهم نوع تعظيم له، وأن صوم الرسول ﷺ لا معنى مباشر للشكر من قبله، بل الأصل أنه وقع اتباعاً لما شرع له من ربه، وأذن فيه، وأنه جرى فيه موافقة لموسى ﷺ فيما شرع له من الصوم، ومثله مثل رمضان فإنه جرت فيه موافقة من كان قبلنا)[1].

---

(١) ما بين القوسين هذا هو المتفق عليه بين الروايات، وتواترت عليه، وأما المختلف فيه في تلك الروايات السابقة فيتضح من جانبين:

أحدهما: جانب ذكر الشكر وعدمه، والروايات في ذلك كما يلي:

١) روايات الشكر: وهي حديث أبي هريرة، وسعيد بن زيد (التي اقتصرت على شكر نوح)، رواية حكيم بن جبير عن ابن عباس، رواية أيوب(بطرقها الأربع) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

٢) روايات بدون الشكر، وفيها: (عيد، معظم، صالح): وهي في حديث جابر، وحديث أبي موسى، ورواية أبي غطفان عن ابن عباس، ورواية أبي القاسم بن أيوب عن سعيد عن ابن عباس، ورواية عن أيوب(عبدالوارث) عن ابن عباس، وروايات خبر أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس.

ثانيهما: من جهة عدم تحديد اليوم الذي صامت اليهود لأجله، وكونه مطلقا، أو من جهة كونه محددا، وأي يوم هو على هذا القول، والروايات في تحديده وإطلاقه، وهي كما يلي:

١) يوم غير محدد: فهو يوم أظهر الله فيه موسى على فرعون، ويحتمل أنهم أضلوا موعده، إما لأنهم مختلفون فيه، وهذا يظهر من مجموع مطلق عدة أحاديث، منها: حديث جابر، وروايات أبي طريف، وحكيم، وأبي بشر. عن سعيد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي الأكثر، ومنها ما، كما لها شواهد أخرى جاءت بذكر التعظيم، كرواية عبدالوارث عن أيوب، وحديث ابن عمر، وهي بمجموعها روايات مطلقة، والتعلق بها لا يشكل من جهة باعث الصوم، أو من جهة التزام المخالفة التي لم تعرف من غير طريق ابن عباس، ولذا بقي جمع من الفقهاء على الأخذ بها، وبعدم القول بكراهة إفراد عاشوراء بالصوم.

٢) يوم محدد (شكر): وهو يوم فلق الله لموسى البحر، فنجا وغرق فرعون، وهو الذي اختصت به الروايات الأربع لخبر أيوب عن سعيد عن ابن عباس، وهي رواية: سفيان وشعبة ومعمر ووهيب، عن أيوب، =

بعد هذا التوضيح فإنه لا يتعلق بما ورد من ألفاظ الشكر في أحاديث عاشوراء، لا في أحاديث ابن عباس، ولا غيرها، لأنه ــ أولاً ــ لم يثبت نسبتها إلى نبينا ﷺ، ولا إلى موسى ﷺ، وأن الأغلب أنها من فهم اليهود أو استحسانهم، مع اختلافهم فيه، وأن الأنبياء ــ وخاصة نبينا ﷺ ــ لم يتخذوه، ولم يتخذوا مثله مستنداً، ولا باعثاً للصوم، وأن هذا يتضح بأن الصحيح أن سؤالهم لم يوافق اليوم الذي صامه رسول الله ﷺ، أو أنه أمر بصومه قبل أن يسألهم، وقد سبق بسط هذا، وبناء عليه فلا معنى للتعلق به أصلا في صوم عاشوراء، وإذا تبين هذا فإنه لا معنى للقياس عليه في غير عاشوراء ــ أيضا ــ، ولو على سبيل المعارضة لليهود، بجعله يوما للتوبة والعبادة، لأنه إذا كانت المقدمة مشكوك فيها فكذلك النتيجة، وإذا صحت المقدمات وسلمت صحت النتائج، وإلا فلا، كما قيل.

خلاصة الأمر فيه أن تفسير اليوم بفلق البحر لم يصرح به النبي ﷺ، كما أنه لا ينظر إليه في معرفة الباعث، وأن الاكتفاء بأولوية النبي ﷺ وبشرعه كافية لعدم التعلق بمأخذ الشكر، والاكتفاء بما ورد في هذا اليوم من عمل؛ ومثله تفسير عاشوراء بيوم الزينة، وهو ما لم يجر ذكره إلا في آخر حياة النبي ﷺ، وأعرض عنه جمع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فكيف يفرح به؟، وكيف يستند عليه في أصل الشكر؟ ثم يفرع عليه صنوف من العبادات والأعمال،

=

ولم يشهد لها إلا حديثي أبي هريرة، وسعيد بن زيد، وسبق أنهما ضعيفان، ولا يصلح الاستشهاد بهما، وإن كانت الروايات الأربعة لا تحتاج إليها، لأن الرواة عن أيوب أئمة ثقات، لكن هذا يفتح احتمال أن التصرف في الرواية قد يكون من أيوب، الذي تعارض روايته عن سعيد رواية أبي بشر، وكلاهما في الصحيحين؛ أو من تصرف غيره، أو أنه من اجتهاد اليهود أنفسهم، أصابوا، أم أخطئوا، وراجع ص١١٣٧ – ١١٣٨ من البحث.

٣) يوم محدد (عيد): وهو يوم الزينة والسحرة، كما في حديث ابن عباس، وهو أصرحها، وأبو موسى، أبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، وعمر بن الخطاب؛ وعيد يوم الزينة في أصله يوم عيد للأقباط، لا لليهود، ولا للنصارى، والغالب أنه روعي فيه السنة الشمسية، كما عند الفراعنة وغيرهم، ولذا فالتعلق به من هذا الوجه اتهام لليهود والنصارى، كما أنه من جهة أخرى مثار إشكال، لتعليق صوم نبينا به –أيضاً–، إضافة إلى ما سبق من الاضطراب، وهو ما لم يجر ذكره إلا في آخر حياة النبي ﷺ، وأعرض عنه جمع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

أو يعارض بأن يتخذ يوما للتوبة، توسعا بما نسب للأنبياء عموما[1]؛ ولا شك أن كل هذا لو كان ظاهراً جلياً في زمن النبوة لكان الصحابة أولى به وأحرى.

على كل الاحتمالات السابقة فإن الباعث على الشكر أظهر في امتثال موسى ﷺ منه في امتثال نبينا محمد ﷺ، والذي صاحبه حرص منه ﷺ على اختصاص هذه الأمة بما يميزها عن اليهود الذين حرفوا دينهم وبدلوه، ومن ذلك ألا يتخذ هذا اليوم عيداً؛ ولكن هذا المحذور وقعت فيه الأمة أولا: من جهة التنسك، وثانيا: من جهة الفرح به لهذا المعنى، أي العبادة والتنسك، وذلك بما يشبه قصد جعله عيداً، وهو ما جعله موضعا للتوسع في العبادة، ثم في التوسعة على العيال، ونوع من الفرح والزينة والسرور، كما أن الإمامية مع حزنهم فيه إلا أن لهم فيه نوع فرح، من حيث دعوى اختصاصهم به من جهة الحسين والإمامة؛ فهم لا ينفكون من موضع طعنهم على أهل السنة، وسبق أن مروياتهم بخصوص معنى الشكر: (قال: ذاك يوم قتل فيه الحسين ــ عليه السلام ــ، فإن كنت شامتاً فصم، ثم قال: إن آل أمية نذروا نذراً إن قتل الحسين ــ عليه السلام ــ أن يتخذوا ذلك اليوم عيداً لهم يصومون فيه شكراً،...، إن الصوم لا يكون للمصيبة، ولا يكون إلا شكراً للسلامة،...وإن كنت شامتاً ممن سره سلامة بني أمية فصم شكراً لله تعالى)[2]؛ وهذا المعنى (الصوم شكراً) هو منطلق صوم الإمامية ليوم الغدير، فيصومونه شكراً، فعن عمارة بن جوين العبدي، قال: (دخلت على

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذين المعنيين، فمن يغلب التوبة يغلب سبب كسوة قريش للكعبة، وأنه بسبب ذنب أذنبوه، وأنه يوم توبة عند الأنبياء السابقين، أما من يغلب العبادة –في غير الصوم– يغلب عموم فضل اليوم وما فيه من التكفير والتعويض، وأنه من أيام الله المرجوة للقبول والمضاعفة، وهذا إن كان عند اليهود متكرراً في أيامهم الأخرى، فلا مانع أنهم أضافوه إلى عاشوراء، وقد سبق أنه فيه توبة ومغفرة لبعضهم، وهم السحرة؛ لكن هل كانت العناية بهذين الجانبين لدى المسلمين يقصد بها معارضة مفهوم الشكر عند اليهود، والذي آل بهم إلى اتخاذه عيداً؛ هذا لا يظهر خاصة مع كثرة التوسع بمثلهما في عموم الأيام الفاضلة، وقد يكون نسي، لكنه من المشتركات بين أتباع الأنبياء فيما يستحسنونه، وممن استحسن أبواب العبادة في عاشوراء ابن رجب الحنبلي –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–؛ انظر: لطائف المعارف، ص٤٨– ٦٠.وانظر: الآثار المرفوعة، اللكنوي، ص٩١، ٩٤.

(٢) وسائل الشيعة، ١٠/ ٤٦٣.

أبي عبد الله ــ عليه السلام ــ في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، فوجدته صائماً، فقال: إن هذا اليوم يوم عظم الله حرمته على المؤمنين، إذ أكمل الله لهم الدين)، إلى أن قال: فقلت له: (جعلت فداك، فما ثواب صوم هذا اليوم؟ فقال: إنه يوم عيد وفرح وسرور، وصوم شكرا لله عز وجل، فإن صومه يعدل ستين شهرا من الأشهر الحرم)[1].

الإشكال أن تسوغ لدى أهل السنة دعوى النصب بسبب هذا الخلل، وأن يظن أن سببه من جهة النصب، وعداوة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن ذلك هو باعث الوضع في أحاديث عاشوراء، وقد سبق أن هذا يحتاج إلى تفصيل، وأن أكثره لا ينطبق على واقع الروايات، وأن ما يصح منه فسببه حدث اشتهر آخر القرن الثاني، وبعده، وأن الأولى أن ينظر إليه كما ينظر إلى غيره من النقص والتباعد عن أزمان النبوة وآثارها، وبسبب ما يزاحمها من الاجتهادات والآراء المستحسنة.

تختلط البدع في هذا اليوم وغيره من جهة تنازعها في باعث الشكر وباعث المحبة، فما بين أصل الشكر السابق، واستحسانات بعض العباد والصالحين، إلى أصل المحبة التي تراكمت مع الزمن، وهذان الأمران للناس من جهة التعلق بأحدهما مذهبان، قد يصل البعض في أحدهما إلى الزندقة والحلول، وإبطال الشرائع، وقد كان لاتجاهات التصوف والعرفان وعلوم الباطن أسبابا لتوسع الغلو، وقارب هذه الاتجاهات طوائف أقل غلوا، وأحرص على إجلال ظاهر الشريعة، ونصوص النبوة، وإن ابتلوا بالتعلق بالأخبار الضعيفة؛ لكن ذلك الافتراق رجع على أصل العبادة عند الطرفين بالخلل، وذلك على قولين، الأول: قول من رأى أن العبادة تقوم على الحب، وأن وجوبها عقلي، والثاني: قول من رأى أن أصل العبادة الشكر، وأن وجوبها سمعي؛ وهذا القولان موجودان في السنة، وموجودان في الإمامية، وقد سبق بيان ذلك عند الحديث عن العرفان[2]، وأنه من خلالهما وصلت طوائف إلى التحلل من الشرائع

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة، ٧/ ٥١٧- ٥١٨، وراجع ص١٠٢٤ من البحث.

(٢) قد سبقت الإشارة إلى هذا المفهوم العرفاني لدى الإمامية في الباب الثالث، وقبله في الباب الأول عند الحديث عن ولاية الحسين التكوينية والتشريعية، وإذا كان جانب الشكر أقرب من المحبة من جهة تعظيم النصوص =

والقول بالوحدة والاتحاد.

لا شك أن كثيراً من أهل السنة وقع في حيرة بسبب أحاديث عاشوراء، حيث اضطروا عند رعايتهم لجانب الشكر في عاشوراء أن يتوسعوا فيه بما لم يرد عن الرسول ﷺ، ولا عن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بل توسعوا في القرون المتأخرة بنقل هذا التعبد من عاشوراء إلى يوم المولد النبوي، في شهر ربيع الأول، بجامع الشكر على النعمة، فكما شكر موسى ربه على نعمة النجاة والنصر بالصوم، فكذلك يشكر المسلمون نعمة الله عليهم بظهور النبي ﷺ، فاليوم الذي تحدث أو تتجدد فيه نعمة مظنة للشكر فيه، بالصوم وغيره[١].

من النماذج التي توضح ما جرى لبعض أهل السنة والحديث من الإشكال والحيرة ما ذكره أحد علماء الحديث في الهند، العلامة الهندي عبدالحي اللكنوي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، وذلك في كلام له أجاب من سأله (عن صلاة يوم عاشوراء وكميتها وكيفيتها، وما يترتب عليها من ثوابها)[٢]؛ فحاول أن يجد مخرجاً لهذا الخلل في العبادة من خلال يوم عاشوراء، مع أن هذا المحدث أقر بأن آخر كلامه يهدم أوله، لأنه قد عرضه على سبيل المناظرة، وقدم له ببيان آراء الفريقين، وقول كل فريق ومذاهبهم في قولهم، وأوجه الرد على كل مذهب وقول، ولكنه آخر الأمر يرى أنه لا مخرج من هذه الحال إلا بتضييق جانب التوسع والتكثر من العبادة ـــ في عاشوراء ونحوها ـــ إذا كان من غير مستند واضح وصريح، وعدم الاغترار بما عليه أهل التصوف والعبادة والمشيخة، والذين ـــ بسبب توسعهم ـــ أصبحت صلواتهم أكثر من المفروضات والتطوعات الواردة في الأحاديث النبوية[٣]؛ وهو بهذا يصور حال وموقف

=

فإن عبادة الخوف تميل إلى الإفراط في نصوص الوعيد، وهذا وإن كان حال بعض الصالحين فإنه يشتبه بحال الوعيدية من المبتدعة.

(١) سيأتي –بإذن الله– في آخر المطلب بيان هذا الجانب، وكيف تعلق به أهل السنة.

(٢) الآثار المرفوعة، اللكنوي، ص٨، ٩٠، وقد حكم على حديث صلاة عاشوراء بأنه موضوع، وأن رُوَاته مَجَاهِيل.

(٣) قال اللكنوي – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– مصوراً هذا الخلل: (فمن منكرات هؤلاء التزام أمثال هذه الصلوات المأثورة عن الصوفية أكثر من التزام التطوعات الثابتة بالنصوص الشرعية، فإني رأيت كثيرا منهم لا يلتزمون أداء صلوات =

بعض المنتسبين إلى الحديث، وفي مقابلهم من أسماهم المشيخة من الصوفية، وقصده بذلك أن يوصل مراده[1]، بلطف وحسن عرض، يأمل منه أن تقوم الحجة، وتظهر المحجة، وأن كثيرا من النزاع والخلل هو بسبب (عدم الامتياز بين مراتب الصوفية وبين مراتب نقاد ظاهر الشريعة)[2].

خلص العلامة اللكنوي إلى ثمانية قيود وشروط لقبول تلك الصلوات المحدثة عند مشيخة الصوفية وكبرائها، يجوز ــ عند اللكنوي ــ بعد توفرها قبول تلك الصلوات والتعبد بها، والعلامة اللكنوي بعد كل ذلك مال ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ إلى المنع من هذا الباب كله، وإلى المنع من رواية الأحاديث الموضوعة، أو الاستئناس بها، بل رجح أن هجر الأحاديث الموضوعة أهم من هجر المجربات المنسوبة إلى أهل الزهد والتصوف، من الأوراد والصلوات وغيرها، وأوجب أن يكون العناية بما جاء من طرق الموضوعات أقل من العناية من بما جاء

=

الإشراق والضحى، وصلاة الزوال، وصلاة الأوابين، والسنن، والغير الراتبة قبل العصر، وبعد العشاء، وبعد الظهر، وصلاة التهجد، وغيرها مما وردت بفضلها الأخبار النبوية، ويهتمون بأداء الرغائب، وصلاة عاشوراء، وصلاة ليلة الرغائب، وصلاة حفظ الإيمان وقهر النفس، وغيرها مما ذكرها الصوفية...)، وذكر تعلقهم بها أكثر من الفرائض، وتركهم لأجلها الجمع والجماعات، الآثار المرفوعة، ص١٢٠.

(١) كتاب الآثار الموضوعة، وفي بعض عباراته ضعف من جهة فصاحتها، وذكر أن له رسالة أو كتابا بعنوان: (إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة)، والدافع لتأليفها يظهر من قوله: (ومنهم من قال: إن أداء هذه الصلوات في الساعات الليلية والنهارية حسبما ذكروه ورتبوه منجر إلى المشقة والكلفة، ومثل ذلك يمنع عنه في الشريعة، بل كثرة العبادة على خلاف ما ثبت عن حضرة صاحب الرسالة بدعة وضلالة؛ وفيه: أن هذا القول بإطلاقه لا يقوله إلا من لا تحصل له لذة في العبادة، ولا يشتغل بالعبادة إلا بكره وجبر من محتسبي الشريعة، وليس له نصيب من اللطائف الروحانية، ولا له حظ وذوق من الأسرار الربانية، والقول بكون كثرة العبادة مطلقا بدعة ليس إلا من تلبيسات إبليس الخفية...)، وهذا في معرض ذكره لقول بعض الفرقة الأولى من الفرقتين، وهو يحكي الرد على لسان المخالفين من الفرقة الثانية، بقوله: (وفيه...)، لكن عنوان المؤلف يوحي بنوع انتصار لهذا القول، ولو مع وضع شروط كثيرة لضبطه، انظر: الآثار الموضوعة، ص١١٨- ١١٩.

(٢) الآثار المرفوعة، ص١٢١.

من طرقات المشيخة ومجرباتهم(١).

باعث الشكر في حديث صوم عاشوراء من المستندات النقلية لكثير من المعتنين بالحديث من المنتسبين إلى السنة، من أهل المذاهب الفقهية، ومن المتأثرين بعلم الكلام في أصولهم، من الأشاعرة ونحوهم، ومن هذا الوجه انسحب هذا الباعث عندهم إلى الاحتفال بالمولد النبوي، ورأوا أنه أولى بالعناية من يوم عاشوراء وغيره، وهم مع حرصهم على عدم الابتداع عموما إلا أنهم رأوا استحسان ذلك، ومن هؤلاء أجلة من العلماء من شراح كتب السنة، كابن حجر، والسيوطي، وغيرهما من أهل العلم، رحمهم الله.

يقول السيوطي حول الشكر في صوم عاشوراء: (فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة، أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم ببروز هذا النبي، نبي الرحمة في ذلك اليوم، وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء)(٢).

جمع من أهل السنة لم يغفلوا موافقة يوم عاشوراء لذكرى مقتل الحسين، والحزن عليه، وما يشرع من الاسترجاع لمن تجددت له ذكر مصيبته، بل إن جمعاً منهم يذكر من أسباب تعظيمه لعاشوراء أنه موافق استشهاد الحسين فيه، فيرونه كرامة له، ومن أسباب التعظيم والفرح، لا الحزن والشؤم، ويسوقون أخباره في مسانيدهم ضمن حديثهم عن عاشوراء، فيرون التوافق كرامة للحسين تزيد اليوم تشريفا، وغالب هؤلاء أو كلهم يحبون الحسين، بل ويبغضون قتلته، ولكنهم رأوا أن الحزن لا يصح جعله في الأيام الفاضلة، ولو وافقها.

---

(١) انظر: الآثار المرفوعة، ص١٢٢- ١٢٣.

(٢) الحاوي للفتاوي، ١/ ٢٢٤- ٢٢٩، جلال الدين السيوطي، ت/ ٩١١هـ، ١٤٢٤هـ، دار الفكر - بيروت، وقال السيوطي: (وقد استخرج له- أي المولد -إمام الحفاظ أبو الفضل أحمد بن حجر- العسقلاني- أصلاً من السنة، واستخرجت له أنا أصلاً ثانياً.... فقد سُئل شيخ الإسلام حافظ العصر.أبو الفضل أحمد بن حجر - العسقلاني - عن عمل المولد، فأجاب بما نصه:...)؛ وانظر: البدع الحولية، ص١٥٩، عبد الله بن عبد العزيز التويجري، ط١، ١٤٢١هـ، دار الفضيلة - الرياض.

هؤلاء ــ أيضا ــ لا يُنَازِعُون من جهة المحبة، بل ينازعون من جهة التوسع بالشكر والتكفير، وعليه فلا معنى لوصفهم بالنصب، حتى ولو وضعوا الحديث في تحقيق مرادهم، إذ هم لا ينازعون في محبة الحسين، لكن إن كان من طعن فيهم لأنهم قصدوا منازعة ومقابلة من يغلو في الحسين من الرافضة ونحوهم؛ فنعم، وإن كان ذلك لم يكن صريحاً في كلامهم، كما أن منازعة هؤلاء ــ من هذا الوجه ــ ليس نصباً، فالنصب في عاشوراء محصور فيمن يعادي الحسين نفسه؛ وإلا فالأمر سينجر إلى متابعتهم في بدعتهم، بل إلى ترك الصوم، وأنه يلزم لمحبة الحسين نسخ صوم عاشوراء، وهذا من معاني ولاية الحسين التشريعية عندهم، ولا شك أن هذا فيه موافقة لبدعتهم الكبرى في الإمامة؛ كل هذا يؤكد أنه لا تلازم بين وضع الأحاديث وبين عداوة الحسين في عاشوراء، وأن تجويز معنى التقابل بين السنة والشيعة في هذا الجانب لا يسوغ إطلاق النصب على الوضاعين، ولا على أنهم قتلة الحسين، إذ هذا يسوغ بقاء مفهوم الثأر لذرية وعقب القتلة الأوائل، ولا شك أن هذا تحميل لهم أوزار غيرهم.

في هذا الصدد أذكر أن جمعاً من الأئمة لم يحدث شيئاً مما سبق في خصوص عاشوراء، وكذلك في غيره من الأيام التي أتبعت بالعبادة والاجتهاد بالنسك، فيروي لنا ابن وضاح ـ رضي الله عنهما ـ، فيقول: (وقال سعيد بن حسان[1]: كنت أقرأ على ابن نافع[2] كتبه، فلما مررت بحديث التوسعة ليلة عاشوراء قال لي: حَوِّقْ[3] عليه، قلت: ولم ذلك يا أبا محمد؟ قال: خوفاً من أن يتخذ سنة؛ قال يحيى بن يحيى[4]: لقد كنت بالمدينة أيام مالك ودريه، وبمصر أيام

---

(١) سعيد بن حسان: لعله المخزومي، المكي قاص أهل مكة، انظر: تهذيب التهذيب، ٤/ ١٦.

(٢) ابن نافع: عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الزبيري، أبو بكر المدني، وهو ابن عم والد مصعب الزبيري، وابن عم جد الزبير بن بكار، انظر: تهذيب التهذيب، ٦/ ٥٠.

(٣) حوق: من حاقه يحوقه حوقاً، إذا دلكه وملسه وكنسه، حَوَّقَ عَلَيْهِ تَحْوِيقاً: إذا عَوَّجَ عليه الكلام وخَلَّطَه عليه، ومعناه: جعله كالحُواقَة في اختلاطه،انظر: جمهرة اللغة، ١/ ٥٦٢، مادة: حوق، وتاج العروس، ٢٥/ ٢١١، مادة: حوق.

(٤) يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمي الحنظلي، أبو زكريا النيسابوري، ت/ ٢٢٦هـ، من أشهر وأوثق تلاميذ مالك والليث، وشيوخ أحمد والبخاري ومسلم، وغيرهم من الأئمة، أثنى =

الليث وابن القاسم وابن وهب، وأدركتني تلك الليلة معهم، فما سمعت لها عند واحد منهم ذكراً، ولو ثبت عندهم لأجروا من ذكرها ما أجروا من سائر ما ثبت عندهم)[1]، وهذا يدل على أن الإمام مالك أميل إلى مذهب ابن عمر وابن مسعود في صوم عاشوراء[2]، بل إنه اشتهر عنه ترك صيام الست من شوال، لكي لا يتخذ سنة يزاحم بها الواجب؛ وهذا خلاف ما عليه بعض فقهاء المالكية[3].

من مناهج أهل السنة القريبة إلى قول الإمامين مالك والليث منهج الإمام أحمد بن حنبل

=

الأئمة –ومنهم أحمد– عليه كثيراً، واعتبروه حجة في السنة، وقارنوه بعبدالله بن المبارك، انظر: تهذيب التهذيب، ١١/ ٢٩٦.

(١) البدع (والنهي عنها)، ٢/ ٩١، رقم: ١٠٧.

(٢) مالك في الموطأ روى أحاديث عاشوراء عن: عائشة، ح/ ٣٣، ومعاوية، ح/ ٣٤، وعمر، ح/ ٣٥، فمذهبه في صوم عاشوراء أشبه بما روى، من الصوم والتخيير فيه، وعدم التعلق بفضائل، كما لم يرو خبر ابن عباس، وأبي موسى ونحوهما في العيد والشكر، وعرف عنه كراهة صوم بعض الأيام الفاضلة كالست من شوال خشية مزاحمة الفرض.

(٣) كتب المالكية منها ما حذرت من بدع عاشوراء، ومنها ما قبلتها، وخاصة التوسعة، على خلاف ما ذكر عن مالك، ويعتمدون فيه على فضائل ابن حبيب، وفي الذخيرة، للقرافي، ت/ ٦٨٤هـ، ٢/ ٥٢٩،: (صوم عاشوراء عند مالك مستحب وعند الشافعي سنة،...ويستحب فيه التوسعة على العيال)، وفي التاج والإكليل لمختصر خليل، للموق الغرناطي الملكي، ت/ ٨٩٧هـ، ٣/٣١٣، قال: (وفيه تكسى الكعبة كل عام...، وإن أهل مكة والمدينة يتحرون ذلك حتى كأنه يوم عيد. انتهى نص ابن يونس)، وفي مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للطرابلسي، ٩٥٤هـ، ٢/ ٤٠٤، (وكان بعض العلماء يتركون النفقة فيه قصداً، لينبهوا على أنها ليست بواجبة، وأما ما يفعلونه اليوم من أن عاشوراء يختص بذبح الدجاج وغيرها وطبخ الحبوب وغيره، فلم يكن السلف يتعرضون في هذه المواسم، ولا يعرفون تعظيمها إلا بكثرة العبادة والصدقة والخير، لا في المأكول، ثم قال: ومما أحدثوه فيه من البدع زيارة القبور، وزيارة القبور في هذا اليوم المعلوم بدعة مطلقا للرجال والنساء، ومن البدع التي أحدثها النساء فيه دخول الجامع العتيق بمصر، واستعمالهن الحناء...، ومن ذلك محرهن الكتان فيه وتسريحه وغزله وتبييضه ويشلنه ليخطن به الكفن...، البخور...، وأنه يبرئ من العين والنظرة، والمصاب والموعوك، وهذا أمر خطر؛ لأنه يحتاج إلى توقيف من صاحب الشريعة، فلم يبق إلا أنه أمر باطل فعلنه من تلقاء أنفسهن).

ـ رحمهم الله جميعا ـ، وقد كره التوسعة، وأنكر حديثها[(١)]، كما أنه أنكر ما يحدث عند القبور في الأيام الفاضلة، كعاشوراء وغيرها، ومن ذلك كرهه لما يجري عند قبر الحسين، من كثرة الزيارة، والمكث والدعاء، ونحو ذلك، مما يظن أنه لم يصل إلى الغلو والاستغاثة والنوح، هذا بداية القرن الثالث، وهي فترة انتشرت فيها الأحاديث السابقة للتعبد؛ أما أواخر هذا القرن فإنه استحكم فيه هذا الجانب من التعبد في عموم الأيام الفاضلة، وصار ـ كما يقول شيخ الإسلام: (يوجد متفرقاً في كلام بعض الناس: فلان ترجى الإجابة عند قبره، وفلان يدعى عند قبره، ونحو ذلك)[(٢)]، وهو ما يعرف بالمجربات، (حتى إن بعض القبور يجتمع عندها في يوم من السنة ويسافر إليها إما في المحرم، أو رجب، أو شعبان، أو ذي الحجة، أو غيرها، وبعضها يجتمع عنده في يوم عاشوراء!، وبعضها في يوم عرفة)[(٣)].

النهي عن تعظيم القبور واتخاذها عيدا هو المستقر عند الأمة من قول نبيها ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدا**»[(٤)]، فإن اعتياد قصد المكان المعين، وفي وقت معين، عائد بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع، هو بعينه معنى العيد، ولكنه زوحم بمثل ما سبق، وممن أنكر ذلك الإمام أحمد في تلك الفترة المذكورة، ومن ذلك إنكاره لما يجري عند القبور، وخاصة عند قبر الحسين، كما نقل عنه الخلال وغيره، وأن ذلك كان بعد أن رخص باليسير، مثل صنيع ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكنه كره حين: (أفرط الناس في هذا جدا، وأكثروا في هذا المعنى، وذكر ما يفعل عند قبر الحسين)[(٥)].

التعبد بالصيام وغيره في يوم عاشوراء يشتبه بكونه من اتخاذه عيدا، خاصة مع ما صاحبه من الفرح به، والتحري له، والتجمل له، وحمل البخور فيه، ومنه ما عرف ببخور

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢٥/ ٣٠٠، ٣١٢، وانظر: منهاج السنة، ٤/ ٥٥٥.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/ ٢٤٦.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/ ٢٥٧.

(٤) أحمد، ح/ ٨٨٠٤، أبو داود، ح/ ٢٠٤٢.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/ ٢٥٧- ٢٥٨، ٢٧٢، ونقله عن الخلال في كتاب الأدب.

عاشوراء[(١)]، وهو من جنس عمل أهل الكتاب، الذي جمعوا فيه بين العبادة والعيد، وفي عاشوراء لم يؤذن بما هو فيه من جنس العيد والتعظيم، لأن ذلك يحكم المشابهة، وقد شرع النبي ﷺ المخالفة لأهل الكتاب بخصوص عاشوراء، فكان الأحرى أن يجتنب فيها غير الصوم، كما شرعت المخالفة في القبلة، وفي إفراد صيام السبت، ونحو ذلك، ويجتمع في بدع عاشوراء وصف البدعة والإحداث، وترك المخالفة المأمور بها في عاشوراء، وكلاهما علة للمنع على استقلال فكيف إذا اجتمعتا[(٢)].

كل الأيام الفاضلة كانت عرضة لمثل هذا الصراع، لوجود المبالغة والغلو في التنسك والتعبد فيها، وقد أوصلها أبو حامد الغزالي إلى تسعة عشر يوما في السنة، وأنه يستحب مواصلة الأوراد فيها، ومنها ليلة عاشوراء، ويومها[(٣)]، وهي عند الشيعة أكثر، فللإمامية الاثني عشرية اثنا عشر إمام، وهم مع النبي وفاطمة أربعة عشر ـــ صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، وعلى أهل بيته وأزواجه أجمعين ــ، ولكل واحد مولد وعزاء، ويخص بعضهم بعيد، فهذه وحدها قاربت الثلاثين، حتى ثقلت شريعة البدعة على أصحابها، ولكن ظهر النزاع في عاشوراء لموافقته أو قربه من مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولاجتماع الطرفان على إجلاله من جهة أصل الشرع، ومن جهة ما أحدثه الطرفان من تعبد وتنسك في الأيام الفاضلة؛ وكأن النزاع اشتد من جهة استئثار طائفة منهما ألا تتهم بسببه في محبة الحسين، ولكونها عظمت هذا الجانب من المحبة، ولظهور وحساسية الاجتماع فيه تحت شعار الصوم، وكونه يوم يذكر فيه نصر الله لنبي من أنبيائه، ولما يكتب في ظاهر الأمر أن الله نصر سبط نبيه؛ فكأن النفوس أرادت أن تحقق النصر له من جهة تعظيم مقتله فيه، خاصة ممن تغلب عليهم التهمة في خذلانه؛ وهذا مع بعد الزمان يخفى على أتباع كل طائفة، فيظن من يعظمون عاشوراء لأجل

---

(١) انظر: السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، ص١٣٤، محمد بن أحمد عبد السلام الشقيري الحوامدي، ت/ بعد ١٣٥٢هـ، ت. محمد خليل هراس، دار الفكر – بيروت.

(٢) بتصرف عن: اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/ ٢٧٥- ٢٧٧.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين، ١/ ٣٦١، ٢٣٧، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت/ ٥٠٥هـ، دار المعرفة – بيروت.

الحسين أن من لم يوافقهم فيه فهو مبغض للحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأنه ليس عنده أدنى درجات المحبة له.

الشاهد مما سبق ــ أيضا ــ أن البيئة التي ظهر فيها هذا الوضع كانت محصورة في المناطق التي يجتمع فيها كثرة أعداد السنة والشيعة، ومظنة للتنازع الطائفي، وخاصة في مشاهد آل البيت الكبرى، وخاصة التي يستذكر الحدث فيها زمانا ومكانا، ككربلاء، ولا شك أن هذا نوع ابتلاء لأهلها المحبين للحق، والصادقين في البحث عنه، وأما في غير هذه المواطن فيعرض الإشكال في زمن، وينمحي في زمن آخر؛ والصوم بخصوصه لم يعتره هذا الإشكال، بل إنه حتى رواة الشيعة ومحدثيها من الزيدية وأسلاف الإمامية يروون الأحاديث في استحباب صيامه، قبل مقتل الحسين، وبعده، وأنهم كانوا يصومونه، وكذلك بقية المسلمين، من الصحابة وغيرهم؛ ولكن مع طول الزمن، ولاستحسان الاثني عشرية مفارقة جماعة المسلمين وجمهورهم، الذين تصفهم بالنواصب، واتخاذها جماعة لها دونهم، ولقاعدتهم في أن الرشاد في مخالفة العامة؛ لذا فإنهم حرصوا على التشكيك في صيام عاشوراء قبل مقتل الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأولوا ما نسب إلى البيت بأنه صيام مخصوص.

الخاتـمـة

- النتائج.
- التوصيات.

الخاتمة

في ختام هذا البحث أحمد الله وأشكره شكراً جزيلاً على تمامه، وعلى ما وفقني فيه، وأستغفره من الزلل والخطأ؛ ويحسن بي هنا أن أذكر ما توصلت إليه من نتائج وأتبعها بما رأيته من توصيات، وأهمها ما يلي:

أولاً: النتائج:

١- التعرف على مسمى الإمامية (الاثني عشرية) ومراحلها وفرقها، وأنها مرت بخمس مراحل: (المفضلة، والسبابة "الرافضة"، والإلهية، والعرفانية "المهدوية"، والحسينية)؛ كما أن للإمامية الاثني عشرية عدة أسماء، منها الشيعة، والرافضة، والقطعية، وفي حالتها المعاصرة يمكن إطلاق اسم الإمامية الحسينية (الباطنية) عليها، لغلوها في التشيع للحسين.

٢- أن اسم القطعية يصلح أن يكون تاريخاً لبداية مفهوم الإمامة والإمامية الاثني عشرية بفروعها القديمة، وفروعها الباقية المشهورة: الأصولية والإخبارية؛ وبانفصال القطعية عن جمهور الشيعة السابقة برز اتجاهان للشيعة: الأول: خوارج الشيعة، وفيهم الزيدية؛ والثاني: قعدة الشيعة، من الإمامية القطعية الذين قالوا بالانتظار، ثم بالغيبتين: الصغرى والكبرى.

٣- أن بعض الكتاب المعاصرين من الشيعة يستخدم مصطلح "أسلاف الإمامية"، ولهذا المصطلح مرامٍ، منها توسيع دائرة الإمامية المعاصرة لاستقطاب عوام فرق الشيعة الأخرى.

٤- التعرف على فرقتي الاثني عشرية: الإخبارية والأصولية، ومراحلهما ومنهجهما والخلاف بينهما، وأعلامهما وفرقهما، والصراع بينهما، وأثر ذلك على واقع عاشوراء.

٥- معرفة افتراق الإمامية في الظاهر والباطن، وأن من أهم الفرق التى لها استقلال وغلو في هذا الجانب هي فرقة الشيخية التي خرجت منها البابية والبهائية، والشيخية وإن كانت تنتسب إلى الإخبارية لكنها استقلت عنها، فنسبتها إلى الإخبارية محل نظر.

٦- عاشوراء من حيث المعنى والوقت معروف عند العرب قبل الإسلام، وأنه هو اليوم العاشر من محرم، لا التاسع، وأن ما ذكر من حساب أظماء الإبل في (العِشْر) لا يستقيم لترجيح ما ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن الخلاف الذي ذكره أهل اللغة حول لفظ عاشوراء هو خلاف على معناه الشرعي، لا اللغوي.

٧- الصحيح أن عاشوراء اشتقاقه ووزنه على نسق لغة العرب وأوزانهم، وأن من مظان هذا اللفظ عند العرب لغة قريش خاصة، وقبيل البعثة بقليل، أو عند عرب اليهود، كيهود يثرب ـ وإن هجروه بعد ذلك ـ.

٨- وجود عاشوراء عند اليهود خلافاً لما يدعيه بعض الإمامية الاثني عشرية المتأخرين.

٩- بطلان دعوى الإمامية الاثني عشرية أن الرسول ﷺ لم يصم عاشوراء إلا لأجل نعي الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو أنه لم يصمه ﷺ مطلقاً، وهو من شذوذهم عن جمهور المسلمين.

١٠- التحذير من بعض المصطلحات التي تحكي واقع الطائفة الاثني عشرية، كأسلاف الإمامية، والإمامية الحسينية، والشعائر الحسينية.

١١- مكانة الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند أهل السنة وعموم المسلمين، وإقرارهم بفضله ومكانته، من غير غلو ولا جفاء، وحزنهم على مقتله الذي جرى عام ٦١هـ.

١٢- التعرف على أهم مصادر أخبار المقتل، وأنها لا تخلو من ضعف، وأقربها إلى الصواب رواية عوانة بن الحكم؛ مع تأخر أهل السنة في النقد التفصيلي لهذه المصادر.

١٣- دراسة واقع الإمامة قبل حادثة عاشوراء (مقتل الحسين) وبعدها، وظهر أن مفهوم الإمامية الاثني عشرية لم يظهر ولم تكتمل إلا آخر القرن الثالث.

١٤- التعرف على علاقة الغلو بعاشوراء بالغلو في عقائد الإمامية، كما أن عاشوراء هو ميزان لاختبار التقية المذهبية، وأن يوم عاشوراء من مظان رجعة الحسين، وأن من أسباب غلوهم فيه قاعدة التعويض والعوض، المرتبطة بأصل اللطف، ومثلها عقيدة الولاية التكوينية.

١٥- من ضروريات مذهب الإمامية: أن مشاهد الأئمة خير وأفضل من المساجد، وأن هذا ـ عندهم ـ أمر لا يحتاج إلى دليل خاص، لأن المشاهد مضافة إلى الأئمة، وهم مضافون إلى الله، وهذه إضافة تكوينية لا يحتاج معها إلى الأدلة التشريعية؛ وهذا منطلق عند السابقين واللاحقين من الإمامية القبورية، وهو من آثار قولهم في الولاية التكوينية والتشريعية للأئمة.

١٦- مرت بدع الإمامية في عاشوراء بأطوار المذهب الأربعة: (ما قبل الغيبة، ما قبل قيام الدولة الصفوية، الدولة الصفوية، ما بعد الدولة الصفوية)، وأنه الغلو بدأ في مرحلة الدولة الصفوية. وأن أسلاف الاثني عشرية لم يتعلقوا بعاشوراء ويغلوا فيه في المرحلة الثانية، وأن هذه المرحلة لم يلحقها الغلو إلا مع الدولة الصفوية.

١٧- رصد أكثر من مائة عمل ومظهر من مظاهر بدع الإمامية في موسم عاشوراء.

١٨- بداية هذه الشعائر بالنياحة عند القبور والمشاهد، وهذا ظاهر في بدايات القرن الثالث، ثم في منتصف القرن الرابع، زمن البويهيين، على شكل مواكب النياحة في الطرقات.

١٩- أن مصطلح (الشعائر الحسينية) لم يكن معروفاً حتى بداية القرن الرابع عشر الهجري، وإنما شاع في الفترة المتأخرة، وخاصة بعد الضجة المشهورة التي أحدثها كتاب محسن الأمين العاملي، ت/ ١٣٧١هـ: "التنزية لأعمال الشبيه"، فهو مصطلح جاء رد فعل على إنكار العاملي لهذه البدع، فلإقرار هذه البدع قدست نسبتها إلى الحسين.

٢٠- إقامة المآتم قد تتخذ لإثارة النفوس للثورة والخروج، لا لمظنة العبادة.

٢١- بطلان دعوى الإمامية الإجماع على إقامة آل البيت لأعمال الجاهلية، كالنياحة بعد مقتل الحسين، وبطلان هذه الدعوى هو بإقرار أعلامهم، كالمحقق الحلي، وبه يعلم أن ما ادعوه من أفراد المسائل المكذوبة، أو الإجماع الموهوم؛ أنه من نسج أهوائهم واستحسانهم، وقد بينت بطلان دعواهم من عدة أوجه، وأن الأشبه بالحق هو الإجماع على عكس ما ادعوه.

٢٢- الحزن هو موضع شبهتهم وتلبيسهم، بدعوى ملازمة الجزع له، والإمامية المعاصرة استأثرت بالربط بين الحزن والمحبة تنظيراً وتطبيقاً أكثر من غيرها من طوائف الشيعة.

٢٣- بطلان دعواهم في الاقتداء بنبي الله يعقوب ﷺ، أو بفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكذبهم فيما اختلقوه لهما من (بيت الحزن)؛ كما أنه مخالف لمواكب النياحة العلنية في الطرقات.

٢٤- الحزن من مداخل الشيطان على المؤمن، ومن منغصات الحياة، فاستجلابه مناقض للفطرة والدين، ويجر إلى سوء الظن بالله، وسوء الأدب معه سبحانه.

٢٥- تناقض الإمامية واضطرابهم وكثرة حيلهم، فبينما يعدون الجزع أمراً يفاخرون به يعتذرون عن آثار فرط حبهم، الذي يجرهم إلى مناقضة الشريعة؛ وما جَرَّ إلى محرم فهو منهي عنه؛ ومن ذلك استنادهم إلى كتب المقاتل وروايات الإخباريين، وهم يقرون بأنها من استحسان عوامهم وجهلتهم.

٢٦- أصبحت النياحة اليوم من ضرورات المذهب، بل عدها بعضهم واجبة وجوباً عينياً.

٢٧- تتكرر هذه البدعة في مظاهر النسك وزيارة المشاهد، وما تحويه أدعية الزيارة من النوح والغلو والرفض واللعن والتكفير، وكل طائفة تغلوا في بدعة فإنه ولا بد سيؤثر ذلك على أصول مذهبها.

٢٨- بيان غلو الإمامية المعاصرة في أمر البكاء، وكذبهم على آل البيت في شأنه، واستغلاله في ترويج المذهب والدعاية له، وفي ثوراتهم المعاصرة، فالبكاء بزعمهم وسيلة فعالة لإسقاط الحكومات والأنظمة، ويزعمون أنه أول شعيرة ظهرت بعد مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ومثله دعواهم الباطلة أن أساس دعوة الرسل تقوم على العاطفة؛ وهي ما تشكل هوية الطائفة اليوم، وعلى هذا شيدت المباني المعروفة بالحسينيات، على غرار بيت الأحزان، طغت في الأهمية على المساجد عند الإمامية، بل قد تنافس ـ في القداسة ـ المشاهد والمقامات.

٢٩- الحسينيات ظهرت في فترة الصراع المذهبي زمن الدولة القاجارية، ومنه الصراع بين متصوفة الإمامية وبعض الإخبارية؛ مع أن بدايتها لا يزال غامضاً عند بعض الإمامية.

٣٠- أن لبس السواد في موسم عاشوراء لم يشتهر بين الإمامية إلا بعد فتوى يوسف البحراني، ت/ ١١٨٦هـ.

٣١- من الشخصيات التي لها بروز ظاهر في كتب زيارات عاشوراء وإحيائها بما فيها من الغلو شخصية ابن طاووس الحلي في القرن السابع، وقد أبرز البحث عدداً من مواقفه العدائية لأهل السنة عموماً، وللصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خصوصاً.

٣٢- من الصور العملية العقدية للاستثناءات الفقهية والاضطراب المذهبي استثناؤهم للتربة الحسينية في عدد من الأحكام، والتي تبين جوانب من الغلو والتقديس؛ حتى أصبح حمل التربة المشوية بعد الكركي شعاراً يفاخر به بعد أن كان هذا العمل محرماً، أو مكروهاً، أو مسكوتاً عنه، وهي محرمة الأكل، لكونها مختلطة بدماء الأعداء، وهي مظنة النجاسة والأمراض، واستحقاق اللعنة والنفاق عندهم، فَنَقَلَ الكركي المسألة من نمط الطريقة الخاصة إلى نمط الشريعة الظاهرة.

٣٣- مشابهة الإمامية في بدع عاشوراء ونياحتها بأهل الكتاب، في عدد من الصور.

٣٤- أن مظان شعائر عاشوراء ليس كتب الفقه، فلم تحز على باب مستقل فيها، رغم أهميتها، بينما أفردت منذ قرن تقريباً بمؤلفات أشبه بكتب الفتاوى، باسم الشعائر الحسينية.

٣٥- بطلان استدلالهم بالقرآن على شعائرهم في عاشوراء ، ومن أعظم ما يفضح غلوهم أن القرآن لم يذكرها، ولم يذكر فضل كربلاء، كما يتبين مدى التفسير الباطني الحروفي في تفاسيرهم حول مقتل الحسين.

٣٦- بطلان استدلالهم بالسنة النبوية وبأخبار آل البيت على شعائرهم في عاشوراء، وأن الإمامية يستكثرون في أخبار النعي بمرويات أهل السنة، ويهولون في الاستدلال بها، وهو تلبيس من وجه، كما أن طرقه ضعيفة، ومن أشهر ما يعتمدون عليه خبر أم سلمة، وهو ـ مع الشك في ثبوته ـ غير كاف على إقامة النعي كل سنة بدعوى أنه سنة نبوية، بل هو منهم تحكم بلا مستند، ووَهْـمٌ منشأه مجرد الهوى؛ ومثله دعواهم التواتر والإجماع على شعائرهم، والتي يلجون إليها بسبب قاعدة التساهل في السنن.

٣٧- أشهر ما يعتمدون فيه على النقل والأخبار هو البكاء، وعليه يفرعون بقية أعمالهم.

٣٨- أن غلو عاشوراء عندهم مرتبط بالغلو في الولاية التكوينية للحسين، القائمة على التعويض للأئمة وشيعتهم، وأن ذلك مستند إلى دليل العدل العقلي، وله في عاشوراء ثلاث مظاهر: العدل الإلهي، العدل العرفاني، لطف ولاية الفقيه، ومن ثمار هذا الغلو جواز أخذ الثأر للحسين من قتلته وذريتهم، من دون إمام، وكذلك كون أصل العبادة هو الحب، لأن العبادة دليها عقلي عندهم؛ وأن لهذا المستند العقلي أثر على فرع العقائد المرتبط بعاشوراء، كالرجعة والبداء، وغيرهما.

٣٩- أن نصوصهم تخالف أصولهم العقلية، ولهذا كثر اضطرابهم في الضروريات، وكثيراً ما يقفون متحيرين من مذهبهم، وأنه صعب مستصعب، فكيف يكون هذا هداية للناس.

٤٠- أن فقهاء الإمامية يحرضون على رفع التقية مع الحكام، ولكنهم في تقية من سلطة العوام.

٤١- التقارب والتشابه الشديدين بين الإمامية الاثني عشرية والصوفية في النشأة والموطن، والشخصيات المؤسسة، والطرق الشيعية المتصوفة، والطقوس والشعائر والمسالك، كالحضرة والولاية والبيعة والأربعينيات والمنامات، وهذا ظاهر في شعائر عاشوراء، واشتراكهما فيها، وتبرز شخصية المهدي الشيعية مقابلة لشخصية الخضر-الصوفية؛ وهذا كله مع شهرة إنكار أعلامهم لبدع التصوف السابقة، وتفسيق وتضليل الصوفية بها.

٤٢- أن من الأرجح في تشيع الدولة الصفوية بعد تصوفها هو أنها حين لاقت نجاحاً في بدايتها تطلعت للاستيلاء على العراق، ومما يسوغ هذا الطمع كونها تضم المراقد والعتبات المقدسة عند الشيعة، فالتماهي الجغرافي لحدود الدولة لا يؤيده إلا التشيع، إذ التصوف وجد له حماية من الدولة العثمانية، فالتشيع مسوغ للتعاطف الداخلي والخارجي أكثر من التصوف.

٤٣- العرفان الشيعي امتداد للفلسفة الإشراقية، وهو يجمع الحقيقتين: المحمدية والعلوية، والتي هي علة فاعلة في الوجود والكون، وأن هذه العلة هي تجليات الله ومظاهره وحقيقته؛ فقد جعل الإمام هو الإنسان الكامل، وهذا هو العرفان الصوفي عند

ابن عربي؛ كما أصبحت الضرورات العرفانية هي من ضروريات المذهب؛ ومعتمدة عند جمهور الطائفة الأصولية الإمامية، على ما توصل إليه الشيرازي في كتابه الأسفار الأربعة (الحكمة العالية)، وأن الإمامية العرفانية تعتبر الدين والمذهب (الظاهريين) من المجربات النافعة.

٤٤- من آثار العرفان الشيعي على عاشوراء ما يعرف بالمجربات الحسينية، والتي صبغت المذهب بصور جديدة من الغلو، كالحسينيات (بيت الحزن)، والتربة الحسينية، وعبادة الأحرار: عبادة الحب والعشق، والأدعية الثورية، والأسرار الإلهية، والشعائر الحسينية، والمفهوم الرسالي الإنساني زمن العولمة (وحدة الأديان).

٤٥- من صور انحراف العرفان الشيعي قيامه على التشبه بالله (الوجود والتكوين)، والتشبه بالنبي (التشريع)، وهذا معنى الإمام، أو الولي (الإنسان الكامل)؛ والتشبه هو غاية العبودية عندهم، وغاية المحبة والعشق؛ ولا شك أن هذا طعن في آل البيت، لانتسابه إليهم.

٤٦- مفارقة الإمامية الاثني عشرية لأهل القبلة من خلال عاشوراء أمر ظاهر، ويتبين في عدة أمور: إحياء سنة الجاهلية النياحة، التشبه باليهود في البكاء والغنوصية والعرفان، وتعظيم يوم السبت، واستذكار أيام المصائب والثأر، والتنطع في تحري الأهلة والتواريخ؛ والتشبه بالنصارى في الغلو والإطراء والفداء والرهبانية، وبيت الأحزان (الحسينيات)؛ والتشبه بالمجوس الفرس في أيامهم واحتفالاتهم وأساطيرهم، وجعلهم معظميهم تمثالاً للحرية والثورة، وجعل المواسم الدينية كنوع من الاعتذار لهذه التماثيل والرموز.

٤٧- تحول عاشوراء عند الإمامية الاثني عشرية من حادثة مقتل إلى أسطورة، ساهم في هذا التحول: كتب المقاتل، والتشابيه، والاحتفالات والمهرجانات (الكرنفال الأسود).

٤٨- تحول المذهب الاثني عشري من الانتظار إلى الخروج، وانبعاث وتجدد صور الخروج

والثورة من خلال عاشوراء، وهو امتداد للخارجين من الشيعة أسلاف الشيعة، في مفردات تتكرر، كتكفير المخالفين، والتركيز على معسكر السلطان، وكالثأر والثورة، وقرب الظهور وبيعة المهدي، واستذكار الثائرين.

٤٩- أن عقيدة الرجعة التي كان يوصف بها بعض الرواة (الخارجين من الشيعة) ـ كما تبين لي ـ إما في حكم أنها ليست قدحا مطلقا، فربما ليس المراد بها الرجعة السبئية، وإما أنها عقائد الخوارج التي لا تؤثر في قبول الرواة إذا عرف صدق الراوي مما لم يكن موافقا لبدعته وإما أن أئمة الحديث لم تثبت عندهم هذه التهم، وأن هذا مما يفسر به صنيع المحدثين في تخريج رواية مثل هؤلاء، وإلا لما قبلوا روايتهم؛ كما أن لهؤلاء الرواة علاقة بالوضع في أحاديث عاشوراء عموماً، ومنها روايات النهي عن الصوم، والتي من المحتمل أن تكون صدرت من قعدة الشيعة في مقابل هؤلاء الخارجين من الشيعة الذين يقولون بالرجعة، والتي ربما من لوازمها عدم مقتل الحسين، وأنه باق سيرجع، فقابلهم قعدة الشيعة بالتوسع في تكذيب أخبار عاشوراء، ومن ذلك تكذيب أخبار الصوم المشهور، من خلال وضع روايات تنهى عنه.

٥٠- أن صوم يوم عاشوراء ثابت بالتواتر، مستحب عند جمهور المسلمين، وقد مرَّ تشريعه بأربعة مراحل، واستقر على الاستحباب زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الآل والصحب والتابعين لهم بإحسان، وإن كان من الصحابة من لم يداوم عليه خشية مشابهته للفرض، ولأنه ليس من خصائص الإسلام، وجمهور الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لم يثبت عنهم في عاشوراء غير الصوم، وبالأخص صوم يوم العاشر.

٥١- لم يشذ من أهل القبلة عن القول باستحباب صوم عاشوراء إلا بعض الاثني عشرية، والذي استقر المذهب على قولهم في صوم التحزن، فضلاً عمن قال بتحريم الصوم من الإخبارية، أو بدعيته، أو كراهيته، وكتبهم تحفل بالتناقض، لجمعها بين روايات الأمر بالصوم، النهي عنه، والتي يخرجونها ـ كعادتهم ـ على التقية.

٥٢- تفسير موافقة النبي لليهود في صوم عاشوراء بعد الهجرة من أبرز الإشكالات في أحاديث عاشوراء، والتي تسلل من خلالها الإمامية، وخاصة المعاصرون منهم للطعن فيها؛ والقول الراجح منها: أن عاشوراء كان متنقلاً عند اليهود دون قريش، وأن اليهود كانوا يحسبون بالحساب الشمسي في سنتهم، بالأشهر القمرية، وهو ما مال إليه ابن القيم، وأن اليهود كانوا، ولا زالوا يصومون يوم عاشوراء، وإن حرفوا مسماه وموضعه.

٥٣- أن سؤال النبي ﷺ اليهود عن صومهم عاشوراء كان منه على سبيل المنازعة، لا الموافقة والتأليف لهم، لا أنه باعث الصوم ومستنده؛ وظاهر النصوص لا تمنع منه، والذي أراه راجحا، جمعاً بين النصوص ومذاهب أهل العلم؛ أن صومهم وسؤالهم لم يكن في محرم من السنة الأولى، ولا في يوم عاشوراء من السنة الثانية، بل إنه سؤال حدث ما بين شهري ربيع الأول في الأولى والثانية.

٥٤- تكذيب الإمامية بأحاديث صوم النبي ﷺ، وصوم الأنبياء قبله ليوم عاشوراء، ، علماً أن نسبتها إلى آل البيت أشهر من غيرهم حتى عندهم، وتدعي الإمامية أن صوم عاشوراء من موضوعات بني أمية، ولأجله يرمون من يصومون عاشوراء بالنصب واتباع بني أمية، ويخرجون ما يروى عن آل البيت أنه كان تقية منهم.

٥٥- أحاديث عاشوراء في غير الصوم أكثرها موضوعة وواهية شديدة الضعف، تجمعها أحاديث طويلة مليئة بالغرائب، ولا أصل لها؛ ويشترك في رواياتها المنتسبون إلى السنة والمنتسبون إلى الشيعة أسلاف الإمامية، والإمامية مع إنكارها على أهل السنة من خلالها، ورميها إياهم بالنصب؛ إلا أنهم يروونها، ويروون أمثالها، وما هو أظهر في الوضع، كما في كتب الزيارات والأدعية والمقاتل، ولكنهم لا يشنعون على وضاعيهم، كما يشنعون على الوضاعين المنتسبين للسنة، والمندسين بين أهلها.

٥٦- بيان موضع الخلل الذي أتي منه بعض أهل السنة في أحاديث عاشوراء، وهو إضافة إلى

ضعف كثير منها اشتمالها على معنى الشكر، مما فتح باب تحري يوم عاشوراء بالتوبة والقربة، وربما فهم منها التوسعة والفرح ـ أيضاً ـ، ومنه تعلق البعض بباب المجربات الذي ورد عن بعض السلف، كما أن هذا المعنى في عاشوراء نقل إلى الأيام الفاضلة، كيوم المولد، وليلة النصف من رجب، ونحوهما، فخصت بأعمال محدثة، لم تكن عند سلف الأمة الأولين، واتخذ ما ورد في عاشوراء هو المنطلق النقلي لهذه المحدثات.

٥٧- بيان حقيقة ما راج بين أهل السنة ــ قبل الإمامية ـ من أن قتلة الحسين هم من وضع أحاديث عاشوراء، وبيان أن بيئة وضع هذه الأحاديث هي بيئة شيعية، وهي الكوفة، وليست الشام ـ كما هو متوقع ومدعى ـ، وأن ممن لهم حضور في أسانيدها رواة شيعة، وبعضهم من الخارجين من الشيعة.

ثانياً: التوصيات:

١- كتب المقاتل تحتاج إلى مزيدٍ من الدراسة، وأرى أن يخصص لها بحث قي أقسام التاريخ، لتكشف مزيداً من خفايا هذه الكتب، مع ربطها بتاريخ الافتراق العقدي للفرق والمقالات.

٢- أهمية تنقيح حادثة المقتل بما يتوافق مع مسلمات التاريخ ومعتقد أهل السنة ومنهجهم، وعدم التساهل فيما يطعن منها بذلك، لأن ذلك –مع الزمن- يصبح مطعناً على أهل السنة، وأهمية أن تنال هذه الحادثة من التحقيق ما نالته الفتنة الأولى بين الصحابة، وأهمية تجلية موقف الصحابة من هذه الفتنة ومن المقتل، حتى يقطع الطريق على تلبيس الرافضة من خلال عاشوراء.

٣- أن اسم القطعية يصلح أن يكون تاريخاً لبداية مفهوم الإمامة والإمامية الاثني عشرية بفروعها القديمة، وفروعها الباقية؛ وأن دراسة الإمامية وفرقها على هذا النحو يصلح أن يكون مجالاً للدراسة والبحث؛ ومن دواعي الاهتمام بهذا المصطلح (القطعية) أنه لم يُبْرَزْ في كتب الجرح والتعديل، وبعض رواة الحديث من خوارج الشيعة، ممن لهم

رواية في الكتب الستة، أدرك آخر مرحلة القطعية، والتي تستغرق النصف الأول من القرن الثالث، (٢٠١- ٢٥٠هـ)، ويظهر أن رؤية أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل من السنة إلى صفة الصدق والكذب في الرواية، وخاصة في غير ما يتهمون فيه، مما يؤيد بدعتهم؛ وإبراز هذا الجانب مما يقطع تلبيس الشيعة، ولذا أرى أنه لو خصصت دراسة حولهم، وعن شبهة الخروج عند هؤلاء؛ أن ذلك يثري البحث العلمي.

٤- أوصي بدراسة تطبيقات عقيدة البداء الإمامية على مسيرة الشيعة في افتراقهم وانقسامهم بعد موت كل إمام، وأثرها على مصطلحي الإمامة والإمامية، وتكونهما، ويتضح ذلك بالمقارنة بين التشيع العلوي التأسيسي، والتشيع الجعفري، الذي أدخل الإمامة مفهوماً جديداً، اتسع لأجله الافتراق والمفارقة، خاصة من مثل فرق الشيعة الزيدية، ويمكن أن تكون (إمامة جعفر الصادق) -رحمه الله- عنواناً لهذه الدراسة.

٥- يتبع للدراسة السابقة دراسة (إمامة الحسن) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتطبيق مفهوم البداء على هذه الإمامة، وما جرى بسبب البداء من ضعف الاعتراف بإمامته، خلافاً لغيره من الأئمة الاثني عشر، أو السبعة، حسب العدد عند كل فرقة من فرق الشيعة، والبداء حول هذه الإمامة هو أول تطبيقات البداء في مفهوم الإمامية؛ والتركيز على هذا الجانب نوع من الهدم لأصل الإمامة التي بنيت عليه بدعة الرفض والغلو عند الإمامية.

٦- أوصي بدراسة جهود ابن الوزير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في تتبعه لمناهج المحدثين ومنطلقاتهم في الحكم على الرواة بالتشيع، وهي إضافة أرى أنها لو تستكمل لأبانت عن مزيد من مفهوم التشيع، وعلاقته بالخروج، ومن ذلك معرفة أسباب قبول الشيعة والزيدية لرواية الغلاة، أو من يخالفونه في سب الشيخين، مع كثرتهم.

٧- مسألة علم الإمام عند الشيعة لها علاقة بعقيدة البداء، ولهم فيها اضطراب، وعلم الإمام مسألة جديرة بالتحرير، لما يتبعها من بيان بطلان المذهب برمته، فعليه تقوم عقيدة العصمة التي هي جوهر الإمامة، كما أنها سلم ومعراج إلى دعوى النص.

٨- شخصية ابن طاووس من الشخصيات الملفتة الجديرة بالدراسة، وقد تكرر ذكرها في هذا البحث لشدة ما وقفت عليه من مسائل تخص شعائر عاشوراء، وغلوه في الرفض، ومن ذلك دعاء صنمي قريش، ومن كثرة دعوته للمذهب، وتلبيسه على أهل السنة وكتبها، بعد معرفة دقيقة بها، ومن الكتب التي تنبئ عن ذلك، كتاب الطرائف في معرفة الطوائف.

٩- شخصية المجلسي ومشروعه الروائي، بل ومشروع كتب الرواية في عهد الدولة الصفوية؛ أنها بحاجة إلى مزيد من الدراسة، وتقصي الظروف التي أنتجتها في هذه الفترة المتأخرة من الزمن.

١٠- أوصي بدراسة البدع العملية عند الشيعة الإمامية، كبدع القبور، وبدع يوم الغدير.

١١- طريقة ومدرسة الروحانيين والحكماء ومدرستهم ذات أهمية بارزة في الفترة المعاصرة، حيث أصبحت تعيش بجانب المراجع الفقهية، وتغذي إنتاجهم، ومؤثرة في تحصيل طلاب الحوزات، فهي مدرسة جديرة بالتأمل، تستحق العناية من الدراسات الأكاديمية.

١٢- العرفان الشيعي هو تعبير عن واقع المذهب الإمامي الاثني عشري الباطني، وإذا كانت الدولة الصفوية أوجدت وحدة سياسية للمجتمعات الشيعية، فكذلك العرفان الشيعي أوجد وحدة مذهبية نوعية للمذهب، كما شكل دهليزاً تلتقي فيه فرق الشيعة، وبعض الطرق الصوفية؛ مما يعني أهمية دراسة أثره الواقعي على المجتمعات الشيعية.

١٣- أهمية دراسة موضوع النياحة دراسة مستقلة وشاملة: عقدية وحديثية، بين أهل السنة وغيرهم، حيث لم أقف على دراسة وافية حول الموضوع، كما أن بحثي في عاشوراء أشعرني بأهمية تحرير هذا الجانب.

١٤- أهمية دراسة عاشوراء دراسة حديثية موضوعية شاملة، حيث لم أقف على دراسة أكاديمية متخصصة في أقسام السنة حولها، وأرى أنها مجال للدراسة.

١٥- امتداداً لتوصية من الباحث خالد بن عبداللطيف نور (بدراسة تفصيلية عن صلة الأشعرية بالصوفية)؛ أرى أن مما يلحق بها هو موقف الأشعرية الصوفية (متصوفة الأشاعرة) من الإمامية، ومن المواضع التي يمكن أن تتناولها الدراسة موقف الخواجه ملا فضل الله روزبهان الخنجي الشيرازي، الشافعي، وذلك في كتابه: "إبطال نهج الباطل"، الذي صنفه عام ٩٠٩هـ، رداً على كتاب "نهج الحق وكشف الصدق"، للحلي، وقابله انتصاراً للحلي من الإمامية نور الله التستري الهندي (٩٥٦- ١٠١٩هـ)، فرد على الخواجه ملا "فضل الله روزبهان" في كتاب سماه: "إحقاق الحق وإزهاق الباطل"؛ كما أن للتستري رد على ابن حجر الهيتمي، اسمه: إلقام الحجر في الرد على ابن حجر؛ ويمكن أن يقارن بين هذه الجهود وجهود شيخ الإسلام في منهاج السنة.

١٦- الرسالية: مصطلح يكثر في الآونة الأخيرة في الكتابات الشيعية الدعوية، ومن مفرداته الرسالي، والمرأة الرسالية، والإنسان الرسالي، ويظهر أنها تحمل معنى فضفاضاً كل يحمله على مراده، لكنه يشير إلى حركة تصدير التشيع، وعالمية وعولمة التشيع، وهو مدخل للدعوة إلى وحدة الأديان؛ وتشير إلى من يحملون هم هذا النشر.والدعوة،و يظهر أن هذا المصطلح شبيه بمصطلحات الجماعات الحركية، وكمصطلح الرسالي والرسولي عند النصارى، وكأن أكثر من يتداوله هم المتأثرون بمحمد حسن الشيرازي، الذي يسمونه (الإمام الشيرازي)، وهناك عدد من الكتب والنشرات التي تحمل هذا العنوان، ويحسن أن تتبعه دراسة لرصد هذه المصطلحات، ومعرفة خفاياها ومراميها.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية وتخريجها	الصفحة

طرف الآية وتخريجها	الصفحة
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢]	٢٤٧
﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨]	٤٦٩
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ [النساء: ١٧١]	٨٠٠
﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ ﴾ [المائدة: ٣]	٧٩٩
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣]	٢٣٢، ٧٣٧
﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ [المائدة: ١٨]	٨٦٥
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ [المائدة: ٧٧]	٧٩٩
﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ [المائدة: ٨٣]	٤٨١
﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾ [المائدة: ٨٧]	٩١٢
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]	٧٩١
﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩]	٢٠٢
﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ [الأنعام: ١٣٦]	٦٠٢
﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ﴾ [الأنعام: ١٥٠]	٧٢١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩]	٧١٩
﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]	١٢٣
﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف: ١]	١٠٧٥
﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩]	٦٢٠
﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف: ١٤٢]	١٢٣
﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال: ٣٥]	٥٩٤

طرف الآية وتخريجها	الصفحة

طرف الآية وتخريجها **الصفحـــــة**

طرف الآية وتخريجها	الصفحة

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

فهرس الآثار

فهرس آثار الإمامية

طـرف الأثر	الصفحة

طـرف الأثر	الصفحة

طـرف الأثر	الصفحة

طـرف الأثر	الصفحة

طـرف الأثر	الصفحة

طـرف الأثر	الصفحة

طـرف الأثر	الصفحة

طـرف الأثر	الصفحة

طـرف الأثر	الصفحة

طـرف الأثر	الصفحة

طـرف الأثر	الصفحة

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأعلام المترجم لهم

العَــلَم	الصفحة

العَــلَم	الصفحة
الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٣٤
حسين علي بن عباس بزرك النوري المازندراني	٩٧
الحسين بن بشر بن القاسم	١١٢٢
الحسين بن روح النوبختي	٢٦٢
الحصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفي	١٦١
حيدر بن علي بن حيدر الآملي المازندراني	١٨٧
خدابنده غياث الدين محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاكو	٥٩٧
دعبل الخزاعي	٣٤٩
روح الله الخميني الموسوي	٤٠٨
زيد بن أَرقم بن زيد بن قيس الأنصاري	١٩٤
زين الدين بن علي بن أحمد الجعبي العاملي	٦٢
سعيد القمي	٩٩
سعيد بن المسيب	١٩٨
سعيد بن حسان	١١٥٧
سفيان بن عيينة	١١٣٢
سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي	١٠٠٠
سليمان بن يسار (حرد) بن الجون بن أبي الجون	١٧٠
السهروردي شهاب الدين بن يحيى بن حبش	٩٠
السيدة أم كلثوم	٣٦٣
الشاهروردي الإخباري	٨٨
شمر بن ذي الجوشن الضبابي الكلبي	١٨٣
الضحاك بن مزاحم الهلالي	٩٥٥

العَـــلَم	الصفحة

العَــلَم	الصفحة
علي بن موسى(الرضا	٥٥٩
علي بن بن الحسين بن عبد العالي العاملي الكركي	٣٩٥
عمر بن سعد بن أبي وقاص	١٨٥
عمر بن عبد الرحمن بن الحارث	١٩٨
عمرة بنت عبدالرحمن	١٩٧
عمرو بن سعيد بن العاص	٢٠١
عوانة بن الحكم الكلبي	١٦٠
فضل الله روزبهان الخنجي الشيرازي	٥٩٣
الفيض الكاشاني	٩١
القاسم بن أبي أيوب الواسطي	١١٤٦
قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري	٩٦٥
كاظم الرشتي	٩٣
محسن الأمين العاملي	٧١٠
المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي	٣٦٨
محمد الإخباري	٥٥
محمد المحسن الرازي (آقابرزك الطهراني)	١٥٧
محمد أمين الاسترابادي	٥١
محمد باقر بن المير شمس الدين الحسيني، المير داماد الاسترابادي	١١٧
محمد باقر بن محمد أكمل بن محمد صالح (الوحيد البهبائي)	٦٢
محمد حسين البهائي الحارثي العاملي	٧٦٥
محمد حسين النائيني	٤١٥
محمد حسين فضل الله	٣١

العَـــلَم	الصفحة
مسروق بن الأجدع	٩٦٣
المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ بن نَوْفَلٍ القرشي الزهري	١٩٥
معقل بن يسار	١٢٦
موسى بن جعفر(الكاظم	٢٥٨
موفق الدين أحمد الخوارزمي (أخطب الخطباء)	٨٨١
الناشئ الصغير	٣٦٧
نجم الدين أبو القاسم جعفر بن الحسن، (المحقق الحلي)	٣٤٢
نظام الملك	١٠٧٨
نعمة الله الجزائري	٦٠
نفيسة بنت الحسن	٣٦٣
هشام بن محمد بن السائب الكلبي	٨٧٧
همام بن غالب بن صعصعة	١٩٩
يحيى بن يحيى بن بكير	١١٥٧
يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي الخليفة	٩٦٦
يزيد بن عمرو (الأصم)	١٩٩
يوسف البحراني	٥٣

فهرس الغريب والمصطلحات

الكلمة أو المصطلح	الصفحة
الانثربولوجيا	٩
الإنسان الكامل	٨٢٦- ٨٢٨
البدَاء	٢٤٢
البراءة من الظالمين	٩٣٦
البطاطا	١١٠٠
البكاء	٤٣٠، ٤٨١
الترب	٤٢٢
التشابيه	٤٢٢، ٩٠٠
التطبير	٥٦٥
التعزية والتعازي	٦٠٠
التعمر	١٠٩٨
التعميد	٥٨٤
التقية	٢٧٢
التوقيعات	١٠٣٣
التوليد	٤٣٣
الثورة	٩٣١
الجزع	٤٦٧
الحائر	٦٠٢
الحجب السبعة	٤٢٢
الحداد	٤٩٧

الكلمة أو المصطلح	الصفحة

الكلمة أو المصطلح	الصفحة

الكلمة أو المصطلح	الصفحة

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المذاهب والفرق والدول والطرق

فهرس المراجع والمصادر

أولاً: الكتب المطبوعة:

(أ)

١- الآثار، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، ت/١٨٢هـ، ت. أبو الوفا، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢- الآثار الباقية (عن القرون الخالية)، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، بدون رقم الطبعة وتاريخها، دار صادر – بيروت.

٣- الآثار المرفوعة (في الأخبار الموضوعة)، محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي، ت/ ١٣٠٤هـ، ت. محمد السعيد، بسيوني زغلول، مكتبة الشرق الجديد – بغداد.

٤- آداب عصر الغيبة، حسين الكوراني، بدون تاريخ الطبع، دار التعارف - بيروت.

٥- الآيات البينات (في قمع البدع والضلالات)، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ت/ ١٣٧٣هـ، دار المرتضى – بيروت.

٦- الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير، الحسين بن إبراهيم بن الحسين الهمذاني الجورقاني، ت/ ٥٤٣هـ، ت. د. عبد الرحمن الفريوائي، ط٤، ١٤٢٢هـ، دار الصميعي – الرياض.

٧- الإبانة (عن أصول الديانة)، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ت/ ٣٢٤هـ، ت. د. فوقية حسين محمود، ط١، ١٣٩٧هـ، دار الأنصار – القاهرة.

٨- الإبانة الكبرى، ج:٧، ابن بَطَّة العكبري، ت/ ٣٨٧هـ، ت. الوليد بن سيف النصر – الرياض.

٩- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، المقريزي، ت/ ٨٤٥هـ، ت. د. جمال الدين الشيال، د. محمد حلمي محمد أحمد، ط١، نشر. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة.

١٠- أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، د. عبدالعزيز محمد نور ولي،

ط١، ١٤١٧هـ، دار الخضيري - المدينة النبوية.

١١- إجازات الحديث، محمد باقر المجلسي، ت/١١١١هـ، ت. أحمد الحسيني، ط١، ١٤١٠هـ، مكتبة المرعشي – قم.

١٢- أجوبة المسائل الحسينية، صادق الحسيني الشيرازي، ط١، ١٤٢٩ه، دار العلوم – بيروت.

١٣- الأحاديث الواردة بشأن السبطين (الحسن والحسين، جمعاً وتخريجاً ودراسة وحكماً)، عثمان بن محمد الخميس، ط١، ١٤٣٠هـ، مؤسسة دار الآل والأصحاب. الرياض.

١٤- الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، ت/ ٥٤٨هـ، ت. محمد باقر الخرسان، ط ١٣٨٦هـ، دار النعمان – النجف.

١٥- أحكام الجنائز، محمد ناصر الدين الألباني، ت/ ١٤٢٠هـ، ط٤، ١٤٠٦هـ، المكتب الاسلامي - بيروت.

١٦- أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي المالكي، ت/ ٥٤٣هـ، ت. محمد عبد القادر عطا، ط٣، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٧- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت/ ٥٠٥هـ، دار المعرفة – بيروت.

١٨- أخبار الشيعة وأحوال رواتها، محمود شكري الألوسي، محمد مال الله، ط ١٤٢٢هـ، والكتاب مستل من مختصر. التحفة الاثني عشرية، للألوسي، بتعليق وحواشي مطولة من محمد مال الله –رحمهما الله-.

١٩- الأخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري، ت/ ٢٨٢هـ، ت. عبد المنعم عامر، ط١، ١٩٧٠م، دار إحياء الكتب العربي - القاهرة.

٢٠- أخبار مكة (في قديم الدهر وحديثه)، محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي، ت/ ٢٧٢هـ، ت. د. عبد الملك عبد الله بن دهيش، ط٤، ١٤١٤هـ، دار خضر – بيروت.

٢١- الاختصاص، محمد بن محمد بن النعمان، المفيد، ت/ ٤١٣هـ، ت. علي أكبر الغفاري، ومحمود الزرندي، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد - بيروت.

٢٢- اختيار معرفة الرجال، أبو جعفر الطوسي، ت/٤٦٠هـ، ت-مير داماد الأسترابادي، ومهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت - قم.

٢٣- الأذكار، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت/ ٦٧٦هـ، ت. عبد القادر

الأرنؤوط، ط١، ١٤١٤هـ، دار الفكر - بيروت.

٢٤- الأربعين (في فضل الرحمة والراحمين)، محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي، ت/ ٩٥٣هـ، ت. محمد خير رمضان يوسف، ط١، ١٤١٦هـ، دار ابن حزم - بيروت.

٢٥- الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان، المفيد، ٤١٣هـ، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد - بيروت.

٢٦- إرشاد السائل، محمد رضا الموسوي الكلبايكاني، ط١، ١٤١٣هـ، دار الصفوة. بيروت.

٢٧- إرشاد الساري (شرح صحيح البخاري)، أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني، ت/ ٩٢٣هـ، ط٧، ١٣٢٣هـ، المطبعة الأميرية - مصر.

٢٨- إرشاد العباد إلى استحباب لبس السواد، ميرزا جعفر الطباطبائي الحائري، ت/ ١٣٢١هـ، ت. محمد رضا الحسيني الأعرجي الفحام، بدون ذكر الطبعة ودار وبلد النشر.

٢٩- الأرض والتربة الحسينية، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ط ١٣٦٩هـ، المطبعة الحيدرية - النجف.

٣٠- إرواء الغليل (في تخريج أحاديث منار السبيل)، محمد ناصر الدين الألباني، ت/ ١٤٢٠هـ، إشراف/ زهير الشاويش، ط٢، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٣١- أزمة العقل الشيعي (مقالات ممنوعة)، مختار الأسدي، ط١، ٢٠٠٩م، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت.

٣٢- الاستبصار، أبو جعفر الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، ت. حسن الموسوي الخرسان، بدون الطبعة وتاريخها، دار الكتب الإسلامية - طهران.

٣٣- الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، النمري القرطبي، ت/ ٤٦٣هـ، ت. سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ط١، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٤- الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي، ت/ ٧٢٨هـ، ت. د. محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٣هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة.

٣٥- الاستقصى لأخبار دول المغرب الأقصى، شهاب الدين، أحمد بن خالد بن محمد الناصري، الدرعي الجعفري السلاوي، ت/ ١٣١٥هـ، ت. جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار

الكتاب – الدار البيضاء.

٣٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم، النمري القرطبي، ت/ ٤٦٣هـ، ت. علي محمد البجاوي، ط١، ١٤١٢هـ، دار الجيل – بيروت.

٣٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم، الشيباني الجزري، ابن الأثير، ت/ ٦٣٠هـ، ت. علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٨- الأسرار الحسينية (في المقامات الملكوتية والمعاني الروحانية للإمام الحسين)، محمد فاضل المسعودي، ط٢، ١٤٢٨هـ، دار الإرشاد – بيروت.

٣٩- الأسرار الفاطمية، محمد فاضل المسعودي، ت. عادل العلوي، ط٢، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الزائر – قم.

٤٠- الأسرار المرفوعة (في الأخبار الموضوعة)، علي بن سلطان محمد، الملا الهروي القاري، ت/ ١٠١٤هـ، ت. محمد الصباغ، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤١- إسعاف المبطأ برجال الموطأ، جلال الدين السيوطي، ت/ ٩١١هـ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

٤٢- أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عَلي محمد الصَّلاَّبي، ط١٤٢٥هـ، مكتبة الصحابة – الشارقة.

٤٣- الإسماعيلية المعاصرة، د. محمد بن أحمد الجوير، ط١، ١٤٢٤هـ، مكتبة الرشد – الرياض.

٤٤- الإسماعيليون بين الاعتزال والتشيع، ص١٦١، محمد أمين أبو جوهر، ط٢، ٢٠٠٦م، التكوين – دمشق.

٤٥- الإسماعيايون والمغول ونصير الدين الطوسي، حسن الأمين، ط٢، ١٤١٧هـ، مركز الغدير – بيروت

٤٦- الإصابة (في تمييز الصحابة)، أحمد بن علي بن محمد، ابن حجر العسقلاني، ٨٥٢هـ، ت. عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٧- الأصفى في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ت/١٠٩١هـ، ط١، ١٤١٨هـ، مكتب الإعلام الإسلامي – قم.

٤٨- أصل الشيعة وأصولها، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ت/ ١٣٧٣ه، ط٥، ١٤٢٩هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

٤٩- أصول الإسماعيلية (دراسة، تحليل، نقد)، د. سليمان عبدالله السلومي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الفضيلة – الرياض.

٥٠- أصول البحث، د. عبدالهادي الفضلي، ط ١٩٩٠م، دار الكتاب الإسلامي – قم.

٥١- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد، د. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، ط١، ١٤١٤هـ، بدون ذكر دار النشر وبلده.

٥٢- أطراف الغرائب والأفراد (من حديث رسول الله ﷺ)، للدارقطني، ت/ ٣٨٥هـ، ترتيب: محمد بن طاهر المقدسي، ابن القيسراني، ت/ ٥٠٧هـ، ت. محمود محمد نصار، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٣- إظهار الحق، محمد رحمة الله الهندي الحنفي، ت/ ١٣٠٨هـ، ت. د. محمد أحمد ملكاوي، ط١، ١٤١٠هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء. الرياض.

٥٤- الاعتقادات في دين الإمامية (عقائد الصّدوق)، القمي الصدوق، ٣٨١هـ، ت. عصام عبد السيد، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد – بيروت.

٥٥- الأعلام، خير الدين بن محمود، الزركلي، الدمشقي، ت/١٣٩٦هـ، ط١٥، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين.

٥٦- أعلام التصحيح والاعتدال (مناهجهم وآراؤهم)، خالد بن محمد البديوي، ط١، ١٤٢٧هـ، بدون ذكر دار النشر وبلده.

٥٧- أعمال الحرمين، على بن منصور المرهون، معاصر، ط٢، ١٤٢٢هـ، دار الهدى، بدون ذكر البلد.

٥٨- أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملي، ت/ ١٣٧١هـ، ت. حسن الأمين، ط ٥، دار التعارف – بيروت.

٥٩- إغاثة اللهفان (من مصائد الشيطان)، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، ت/

٧٥١هـ، ت. محمد حامد الفقي، بدون تاريخ الطبع، مكتبة المعارف - الرياض.
٦٠- إقبال الأعمال، علي بن موسى، ابن طاووس الحلي، ت/ ٦٦٤هـ، ت. جواد القيومي الاصفهاني، ط١، ١٤١٤هـ، مكتب الإعلام الإسلامي - قم.
٦١- اقتضاء الصراط المستقيم (مخالفة أصحاب الجحيم)، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية الحراني، ت/ ٧٢٨هـ، ت. د. ناصر عبد الكريم العقل، ط٧، ١٤١٩هـ، دار عالم الكتب - بيروت.
٦٢- الإقناع (في فقه الإمام أحمد بن حنبل)، موسى بن أحمد الحجاوي، أبو النجا، ت/٩٦٨هـ، ت. عبد اللطيف محمد السبكي، دار المعرفة – بيروت.
٦٣- إقناع اللائم على إقامة المآتم، محسن الأمين العاملي، ت. جواد الصافي، ط١، ١٤٣٠هـ، دار الصفوة – بيروت.
٦٤- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، القاضي عياض اليحصبي، أبو الفضل، ت/ ٥٤٤هـ، ط١، ١٤١٩هـ، دار الوفاء – مصر.
٦٥- إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، علي اليزدي الحائري، ت/ ١٣٣٣هـ، ت. علي عاشور، المكتبة المرتضوية - طهران.
٦٦- الألفين، جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر الحلي "العلامة الحلي"، ت/ ٧٢٦هـ، ط ١٤٠٥هـ، مكتبة الألفين– الكويت.
٦٧- الأمالي، المفيد، ت/ ٤١٣هـ، حسين الأستاد ولي، وعلي أكبر الغفاري، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد – بيروت.
٦٨- أمالي الصدوق، لابن بابويه القمي الصدوق، ت/ ٣٨١هـ، ١٤١٧هـ، مؤسسة البعثة – قم.
٦٩- الأمالي المطلقة، أبو الفضل، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت/ ٨٥٢هـ، ت. حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط١، ١٤١٦هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.
٧٠- الإمام الحسين عظمة إلهية وعطاء بلا حدود، محمد رضا الحسيني الشيرازي، ط١، ١٤١٣هـ، هيئة أنصار الحجة النسوية - الكويت، دار العلوم – بيروت.
٧١- الإمام زيد المفترى عليه، شريف الشيخ صالح بن أحمد الخطيب، ط ١٤٠٤هـ، المكتبة

الفيصلية – مكة.

٧٢- الإمام الشهيد في التاريخ والأيدلوجيا (شهيد الشيعة مقابل بطل السنة)، د. سلوى العمد، ط ٢٠٠٠م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت.

٧٣- الإمامة العظمى (عند أهل السنة والجماعة)، أ. د. عبدالله بن عمر الدميجي، ط٢، ١٤٠٩هـ، دار طيبة – الرياض.

٧٤- إمتاع الأسماع (بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع)، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي المقريزي، ت/ ٨٤٥هـ، ت. محمد عبد الحميد النميسي، ط١، ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ط ١٤٠٤ – ١٤٠٧هـ، قم.

٧٦- أمل الآمل، محمد بن الحسن، الحر العاملي، ت/ ١١٠٤هـ، ت. أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس – بغداد.

٧٧- الإنباء في تاريخ الخلفاء، محمد بن علي بن محمد، ابن العمراني، ت/ ٥٨٠هـ، ت. قاسم السامرائي، ط١، ١٤٢١هـ، دار الآفاق العربية – القاهرة.

٧٨- الانتصار (أرشيف مناظرات بين الشيعة والسنة على شبكة الانترنت)، العاملي، ط١، ١٤٢٢هـ دار السيرة – بيروت.

٧٩- الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، ت/ ٥٦٢هـ، ت. عبد الله عمر البارودي، ط ١، ١٤٠٨هـ، دار الجنان – بيروت.

٨٠- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، ت/ ٢٧٩هـ، ت. سهيل زكار، ورياض الزركلي، ط١، ١٤١٧هـ دار الفكر – بيروت.

٨١- الإنسان الكامل، مرتضى مطهري، ت. جعفر صادق الخليلي، ط٢، ١٤١٢هـ، مؤسسة البعثة – بيروت.

٨٢- الإنسان الكامل في الفكر الصوفي، عرض ونقد، د. لطف الله عبدالعظيم خوجه، ط١، ١٤٣٠هـ، دار الفضيلة – الرياض.

٨٣- الإنسانية والوجودية (في الفكر العربي)، د. عبدالرحمن بدوي، ط ١٩٨٩م، وكالة المطبوعات بالكويت، دار القلم – دمشق.

٨٤- أنصار الحسين، محمد مهدي شمس الدين، ط٢، ١٤٠١هـ، الدار الإسلامية.

٨٥- الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، جابر بن موسى، أبو بكر الجزائري، ط١، ١٤٠٥هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

٨٦- أنوار البدرين (في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين)، علي البحراني، ت/ ١٣٤٠هـ، ت. محمد علي محمد رضا الطبسي، ط ١٤٠٧هـ، ١٣٧٧ش، مكتبة المرعشي – قم.

٨٧- الأنوار البهية، عباس القمي، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

٨٨- الأنوار النعمانية، نعمة الله الجزائري، ت/ ١١١٢هـ، ط٤، ١٤٠٤هـ، مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٨٩- أوائل المقالات، المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم، ت/ ٤١٣هـ، ت. إبراهيم الأنصاري، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد – بيروت.

٩٠- الأيام والليالي والشهور، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت/ ٢٠٧هـ، ت. إبراهيم الأنباري، ط٢، ١٤٠٠هـ، دار الكتاب المصري – القاهرة، ودار الكتاب اللبناني – بيروت.

٩١- الإيقاظ من الهجعة (بالبرهان على الرجعة)، الحر العاملي، ت/ ١١٠٤هـ، ت. مشتاق المظفر، ط١، ١٤٢٢هـ، دليل ما – قم.

(ب)

٩٢- الباب الحادي عشر (بشرحيه)، الحسن بن يوسف المطهر الحلي، ت/ ٧٢٦هـ، الباب الحادي عشر، للحلي، بشرحيه: النافع يوم الحشر، للمقداد السبوري ؛ ومفتاح الباب، لأبي الفتح ابن مخدوم الحسيني، ت. مهدي محقق، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الأضواء – بيروت.

٩٣- بدائع الدرر في قاعدة نفي الضرر، الخميني، ١٤١٠هـ، ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني – قم.

٩٤- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ت / ١١١١هـ، ت. إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، ط٣، ١٤٠٣هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٩٥- بحث حول الولاية، محمد باقر الصدر، ت/ ١٤٠٢هـ، ط٢، ١٣٩٩هـ، دار التعارف – بيروت.

٩٦- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت/ ٧٧٤هـ، ت. علي

شيري، ط١، ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩٧- البدر الطالع (بمحاسن من بعد القرن السابع)، محمد بن علي الشوكاني، ت/ ١٢٥٠هـ، دار المعرفة - بيروت.

٩٨- البدع الحولية، عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، ط١، ١٤٢١هـ، دار الفضيلة = الرياض.

٩٩- البراءة من المشركين بين المعنى الشرعي والتأويل الشيعي (الباطني)، عبدالرحمن بن عبدالله آل علي، بدون رقم الطبعة وتاريخها، دار أصداء المجتمع.

١٠٠- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، ت/ ٢٩٠هـ، ميرزا حسن كوچه باغي، ط ١٤٠٤هـ، منشورات الأعلمي – طهران.

١٠١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت/ ٨١٧هـ، محمد علي النجار، طبعات متفاوتة للأجزاء: (١٣٩٣، ١٤١٢، ١٤١٦هـ)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة.

١٠٢- بطلان عقائد الشيعة، محمد عبد الستار التونسوي، ط ١، ١٤٢٩هـ، المكتبة الإمدادية - مكة المكرمة، دار النشر الإسلامية العالمية - باكستان.

١٠٣- بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي، ابن العديم، ت/ ٦٦٠هـ، د. سهيل زكار، دار الفكر – بيروت.

١٠٤- بنور فاطمة اهتديت، عبد المنعم حسن، ط١، ١٤١٩هـ، دار المعروف – بيروت.

١٠٥- بيت الأحزان (في مصائب سيدة النسوان)، عباس القمي، ت/١٣٥٩هـ، ط١، ١٤١٢هـ، دار الحكمة – قم.

(ت)

١٠٦- تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة، عبداللطيف عبدالقادر الحفظي، ط١، ١٤٢١هـ، دار الأندلس الخضراء – جدة.

١٠٧- تاج العروس (من جواهر القاموس)، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، ت/ ١٢٠٥هـ، ت. مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٠٨- التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي،

ت/ ٨٩٧هـ، ط١، ١٤١٦هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠٩- تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، الحضرمي الإشبيلي، ت/ ٨٠٨هـ، ت.خليل شحادة، ط٢، ١٤٠٨هـ، دار الفكر – بيروت.

١١٠- تاريخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، ت/ ٧٤٨هـ، د. بشار عوّاد معروف، ط ٢٠٠٣م، دار الغرب الإسلامي – بيروت.

١١١- تاريخ أصبهان، أبو نعيم الأصبهاني، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت/٤٣٠هـ، ت. سيد كسروي حسن، ط١، ١٤١٠ ه، دار الكتب العلمية – بيروت.

١١٢- تاريخ الإمامية (تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة)، د. عبدالله فياض، ت. محمد باقر الصدر، ط٣، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

١١٣- تاريخ إيران بين ثورتين: ١٩٠٦-١٩٧٩م، د آمال كامل السبكي، ط ١٩٩٩م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، والكتاب رقمه: ٢٥٠، ضمن سلسلة بدأ صدورها عام ١٩٧٨م.

١١٤- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي، ت/ ٤٦٣هـ، ت. د. بشار عواد معروف، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الغرب الإسلامي – بيروت.

١١٥- تاريخ الحسين: نقد وتحليل، عبدالله العلايلي، ط٢، ١٩٩٤م، دار الجديد – بيروت.

١١٦- تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، ٢٤٠هـ، ت. د. أكرم ضياء العمري، ط٢، ١٣٩٧هـ، دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت.

١١٧- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد الدِّيار بَكْري، ت/ ٩٦٦هـ، دار صادر – بيروت.

١١٨- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن، ابن عساكر، ت/ ٥٧١هـ، ت. عمرو بن غرامة العمروي، ١٤١٥ هـ، دار الفكر- بيروت.

١١٩- تاريخ الدولة الصفوية (في إيران)، ٩٠٧- ١١٤٨هـ، د. محمد سهيل طقوش، ط١، ١٤٣٠هـ، دار النفائس - بيروت.

١٢٠- تاريخ الشيعة، محمد حسين المظفر، ط٢، ١٤٠٨هـ، دار الزهراء – بيروت.

١٢١- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، ت / ٣١٠هـ، وصلة تاريخ الطبري، لعريب بن سعد القرطبي، ت/ ٣٦٩هـ، ط٢، ١٣٨٧هـ، دار التراث – بيروت.

١٢٢- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، ت/ ٢٥٦هـ، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد.

١٢٣- تاريخ المسرح في إيران من البداية إلى اليوم، فاطمة برجكاني، ط ١، ٢٠٠٨م، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - بيروت.

١٢٤- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، ابن واضح اليعقوبي، ت/ ٢٨٤هـ، بدون ذكر الطبعة وتاريخها، دار صادر – بيروت.

١٢٥- تأويل الآيات، شرف الدين الحسيني، ت/ ٩٦٥هـ، ط١، ١٤٠٧هـ، مدرسة الإمام المهدي – قم.

١٢٦- التبيان، أبو جعفر الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، ت. أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، ١٤٠٩هـ، مكتب الإعلام الإسلامي – قم.

١٢٧- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، ابن عساكر، ت/ ٥٧١هـ، ط٣، ١٤٠٤هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

١٢٨- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، ت/ ٤٢١هـ، ت. أبو القاسم إمامي، ط٢، ٢٠٠٠م، سروش- طهران.

١٢٩- التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، ت/ ٧٢٨هـ، ط٢، ١٣٩٩هـ، المطبعة السلفية – القاهرة.

١٣٠- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت/ ٩٠٢هـ، ط١، ١٤١٤هـ، دار الكتب العلميه – بيروت.

١٣١- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان، محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، ت/ ٤٤٠هـ، ط٣، ١٤٠٣هـ، عالم الكتب – بيروت.

١٣٢- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي،

ت/ ٧٩٥هـ، ت. بشير محمد عيون، ط٢، ١٤٠٩هـ، مكتبة المؤيد – الطائف، دار البيان – دمشق.

١٣٣- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، ت/ ٦٧١هـ، ت. د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط١، ١٤٢٥هـ، مكتبة دار المنهاج – الرياض.

١٣٤- تذكرة الفقهاء، ابن مطهر الحلي، ت/ ٧٢٦هـ، ط١، ١٤١٦هـ، مؤسسة آل البيت – قم.

١٣٥- الموضوعات، ص١٠٤، ١١٩، محمد طاهر الصديقي الهندي الفَتَّنِي، ت/ ٩٨٦هـ، ط١، ١٣٤٣هـ، المطبعة المنيرية.

١٣٦- تراجم الرجال، لأحمد الحسيني، ط ١٤١٤هـ، مكتبة المرعشي – قم.

١٣٧- تراجيديا كربلاء: سوسيولوجيا الخطاب الشيعي (دراسات حول كربلاء)، د. إبراهيم الحيدري، ط١، ١٩٩٩م، دار الساقي – بيروت.

١٣٨- ترتيب الأمالي الخميسية، يحيى المرشد بالله بن الحسين الموفق الحسني الشجري الجرجاني، ت/ ٤٩٩ ه، ترتيب: محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي، ت/ ٦١٠هـ، ت. محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٣٩- الترغيب والترهيب، قوام السنة، أبو القاسم، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، ت/ ٥٣٥هـ، ت. أيمن بن صالح بن شعبان، ط١، ١٤١٤هـ، دار الحديث – القاهرة.

١٤٠- تسلية أهل المصائب، محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي، ت/ ٧٨٥هـ، ط٢، ١٤٢٦هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٤١- التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، محمد البنداري، ط١، ١٤٠٨هـ دار عمار – الأردن.

١٤٢- التشيع السياسي والتشيع الديني، أحمد الكاتب، ط١، ٢٠٠٩م، الانتشار العربي – بيروت.

١٤٣- التشيع العلوي والتشيع الصفوي، د. علي شريعتي، ط٢، ١٤٢٨ه، دار الأمير – بيروت.

١٤٤- التشيع نشأته ومراحل تكوينه، أ. د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ت/ ١٤٣٤هـ، ط٢، ١٤٣٢هـ، دار الدراسات العلمية – مكة، مكتبة ابن رجب – القاهرة.

١٤٥- التشيّع نشوؤه، مراحله، مقوماته، عبد الله الغريفي، ط٢، ١٤١٢هـ، دار المواسم –

بيروت.

١٤٦- تصحيح اعتقادات الإمامية، المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم، ٤١٣هـ، ت. حسين دركاهي، ط٢ ١٤١٤هـ، دار المفيد - بيروت.

١٤٧- التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، ت/ ١٤٠٧هـ، ط ١٤٠٦هـ، إدارة ترجمان السنة – لاهور، باكستان.

١٤٨- التطبير والإشكالية المزمنة، باقر الرستم، ط١، ١٤٣١هـ، دار المحجة البيضاء - بيروت.

١٤٩- تطور الفكر الفلسفي، إسهام في تاريخ الفلسفة الإسلامية، د. محمد إقبال، ترجمة وتقديم د. حسن محمود الشافعي، ومحمد السعيد جمال الدين، ط ١، ١٤٠٩هـ، الدار الفنية - القاهرة.

١٥٠- التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد القرطبي الباجي الأندلسي، ت/ ٤٧٤هـ، ت. د. أبو لبابة حسين، ط١، ١٤٠٦هـ، دار اللواء – الرياض.

١٥١- التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم الكلاباذي البخاري الحنفي، ت/ ٣٨٠هـ، ت. أحمد شمس الدين، ط١، ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٥٢- تعرفوا على الشيعة، محمد علي الحسيني، ط١، ١٤٢٨ه، مؤسسة الأعلمي – بيروت.

١٥٣- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ت/ ٨١٦هـ، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٥٤- تفسير الألوسي (روح البيان)، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي الألوسي، ت/ ١١٢٧هـ، بدون ذكر الطبعة وتاريخها، دار الفكر – بيروت.

١٥٥- تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، ت/ ٥١٠هـ، ت. عبد الرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥٦- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت/ ٧٧٤هـ، ت. سامي بن محمد السلامة، ط٢، ١٤٢٠هـ، دار طيبة.

١٥٧- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي،

ت/ ٦٨٥هـ، ت. محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط، ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥٨- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، ت/ ٤٢٧هـ، ت. أبي محمد بن عاشور، نظير الساعدي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٥٩- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن الرازي، ت/ ٦٠٦هـ، ط٣، ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٦٠- تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد السمعاني التميمي، ت/٤٨٩هـ، ت. ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، ١٤١٨هـ، دار الوطن – الرياض.

١٦١- تفسير الصافي، للفيض الكاشاني، ت/ ١٠٩١هـ، ط٢، ١٤١٦هـ، مكتبة الصدر – طهران.

١٦٢- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، ت/ ٣١٠هـ، ت. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار هجر – القاهرة.

١٦٣- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ت/ ٣٢٠هـ، ت هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية– طهران.

١٦٤- تفسير القرآن الكريم، مصطفى الخميني، ط١، ١٤١٨هـ، مؤسسة تنظيم ونشر.آثار الإمام الخميني – قم.

١٦٥- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، ت/ ٦٧١هـ، ت. أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، ١٣٨٤هـ، دار الكتب المصرية – القاهرة.

١٦٦- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ت/ ٣٢٩هـ، ت. طيب الجزائري، ط٣، ١٤٠٤هـ، دار الكتاب - قم.

١٦٧- تفسير مجمع البيان، أحمد بن علي الطبرسي، ت/ ٥٤٨هـ، ط١، ١٤١٥هـ، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

١٦٨- تفسير الواحدي (الوسيط في تفسير القرآن المجيد)، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري،

ت/ ٤٦٨هـ، ت. عادل أحمد عبد الموجود، ومجموعة، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٩- تفسير الميزان، محمد بن حسين الطباطبائي، ت/ ١٤١٢هـ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية- قم.

١٧٠- تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت/ ٨٥٢هـ، ت. محمد عوامة، ط١، ١٤٠٦هـ، دار الرشيد – سوريا.

١٧١- تقرير المنتدى الديمقراطي الأول للمرأة العربية: (التمكين السياسي للنساء خطوة ضرورية نحو الإصلاح السياسي في الوطن العربي)، ص١٧٤، ط١، ٢٠٠٥م، منتدى الشقائق العربي لحقوق الإنسان – صنعاء.

١٧٢- التقية، مرتضى الأنصاري، ت/ ١٢٨١هـ، ت. فارس الحسون، ط١، ١٤١٢هـ، مؤسسة قائم آل محمد – قم.

١٧٣- تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت/ ٥٩٧هـ، ط١، ١٤٢١هـ، دار الفكر - بيروت.

١٧٤- تلخيص تاريخ نيسابور، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله ابن البيع، ت/٤٠٥هـ، تلخيص: أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد، الخليفة النيسابوري، كتابخانة ابن سينا – طهران.

١٧٥- تلخيص كتاب الموضوعات، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت/ ٧٤٨هـ، ت. أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، ط١، ١٤١٩هـ، مكتبة الرشد – الرياض.

١٧٦- تمام المنة (في التعليق على فقه السنة)، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ت/ ١٤٢٠هـ، ط٥، دار الراية- الرياض.

١٧٧- التمهيد (لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، ٤٦٣هـ، ت. مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، ط١٣٨٧هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب.

١٧٨- التنبيه والإشراف، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي، ت/ ٣٤٦هـ، ت. عبد الله إسماعيل الصاوي، بدون رقم الطبعة وتاريخها، دار الصاوي – القاهرة.

١٧٩- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي

العسقلاني، ت/ ٣٧٧هـ، ت. محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية – مصر.

١٨٠- تنزيه الشريعة المرفوعة (عن الأخبار الشنيعة الموضوعة)، علي بن محمد ابن عراق الكناني، ت/ ٩٦٣هـ، ت. عبد الوهاب عبد اللطيف، وعبد الله محمد الصديق الغماري، ط١، ١٣٩٩هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٨١- التنزيه لأعمال الشبيه، محسن الأمين الحسيني العاملي، ط١، ١٣٤٧هـ، مطبعة العرفان – صيدا.

١٨٢- تنقيح المقال، عبدالله المامقاني، ط ١٣٤٨هـ، المطبعة المرتضوية – النجف.

١٨٣- توابع الفتنة الكبرى: ثورة المختار الثقفي، ثأراً لمقتل الحسين، د. أبو النصر. محمد الخالدي، ط١، ٢٠٠٩م، دار العين – القاهرة.

١٨٤- تهذيب الأحكام، أبو جعفر الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، ط٤، ١٣٦٥ش، ت. حسن الموسوي الخرسان، بدون تاريخ، دار الكتب الإسلامية – طهران.

١٨٥- تهذيب التهذيب، أبو الفضل، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت/ ٨٥٢هـ، ط١، ١٤٢٦هـ، دائرة المعارف النظامية – حيدر أباد.

١٨٦- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، المزي، ت/ ٧٤٢هـ، ت. د. بشار عواد معروف، ط١، ١٤٠٠هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٨٧- تهذيب اللغة، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ت/ ٣٧٠هـ، ت. محمد عوض مرعب، ط١، ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٨٨- تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال، للنجاشي، محمد علي الموحد الأبطحي، ط ٢، ١٤١٧ هـ، الأبطحي – قم.

١٨٩- تيسير العزيز الحميد (في شرح كتاب التوحيد)، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ت/ ١٢٣٣هـ، ت. زهير الشاويش، ط١، ١٤٢٣هـ، المكتب الاسلامي – بيروت.

١٩٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت/ ١٣٧٦هـ، ت. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

(ث)

١٩١- الثقات (تاريخ الثقات)، أبو الحسن، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفى، ت/ ٢٦١هـ، ط١، ١٤٠٥هـ، دار الباز – مكة.

١٩٢- الثقات، محمد بن حبان البُستي، ت/ ٣٥٤هـ، ط١، ١٣٩٣هـ، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد.

١٩٣- ثقافة عاشوراء في فكر الإمام الشيرازي، مركز الإمام الشيرازي للبحوث والدراسات، ط٢، ٢٠٠٢م، مركز الإمام الشيرازي - بيروت.

١٩٤- ثمرات الأعواد (مجالس عاشوراء)، علي بن الحسين الهاشمي النجفي، ط١، ١٣٧٠هـ، انتشارات الرضي - قم.

١٩٥- الثورة البائسة، د. موسى الموسوي، ط ١٤٢٨هـ، بدون دار النشر وبلده.

١٩٦- ثورة الحسين في الوجدان الشعبي، محمد مهدي شمس الدين، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، الدار الإسلامية – بيروت.

١٩٧- ثورة عاشوراء (شمس الشهادة)، علي الخامئني، ط١، ١٤٢٩ه، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت.

(ج)

١٩٨- جامع الأحاديث، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت/ ٩١١ه، ت. ط١٤١٤ه، دار الفكر – بيروت.

١٩٩- جامع الرسائل، تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني،– ت. محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٢٢ه، دار العطاء – الرياض.

٢٠٠- جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ت/ ١٢٠٩هـ، ت. محمد كلانتر، محمد رضا المظفر، دار النعمان – النجف.

٢٠١- الجامع الكافي في فقه الزيدية، محمد بن علي بن الحسن العلوي، ت/ ٤٤٥هـ، ط١، ٢٠٠١م، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية – عمان.

٢٠٢- جدل ومواقف، (مجموعة مقالات)، ط١، ١٤٣٠ه، دار الهادي - بيروت.

٢٠٣- جزء حنبل(التاسع من فؤائد ابن السماك)، أبو علي، حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال

الشيباني، ت/ ٢٧٣هـ، ت. هشام بن محمد، ط٢، ١٤١٩هـ، مكتبة الرشد – الرياض.

٢٠٤- الجزء من فوائد حديث: أبي ذر الهروي، عبيد بن أحمد الأنصاري الهروي، ت/ ٤٣٤هـ، ت. سمير بن حسين القرشي الحسني، ط١، ١٤١٨هـ، مكتبة الرشد – الرياض.

٢٠٥- الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي، ط١، ١٣٧١هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٠٦- الجمع بين الصحيحين (البخاري ومسلم)، محمد بن فتوح الأزدي الميورقي الحَمِيدي، ت/ ٤٨٨هـ، ت. د. علي حسين البواب، ط٢، ١٤٢٣هـ، دار ابن حزم - بيروت.

٢٠٧- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ٣٢١هـ، ت. رمزي منير بعلبكي، ط١، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين – بيروت.

٢٠٨- جنة المأوى (فيمن فاز بلقاء الحجة عليه السلام في الغيبة الكبرى)، حسين النوري الطبرسي، ت/١٣٢٠هـ، طبعة ١٣٠٥ه، طهران، وهو ضمن بحار الأنوار، ج٥٣.

٢٠٩- جنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب، المغني للعلامة أبي حفص عمر الموصلي الحنفي، وجنة المرتاب، لأبي إسحاق الحويني، ط٢، ١٤١٤هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

٢١٠- جواهر التاريخ، علي الكوراني العاملي، معاصر، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الهدى – قم.

الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر.الله القرشي الحنفي، ت/ ٧٧٥هـ، نشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي.

٢١١- الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التِّلمساني المعروف بالبُرِّي، ت/ بعد ٦٤٥هـ، ت. د. محمد التونجي، ط٣، ١٤٠٣هـ، دار الرفاعي – الرياض.

٢١٢- جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، عبد الله شمس الدين الأفغاني، ط١، ١٤١٦ هـ، دار الصميعي - الرياض.

(ح)

٢١٣- حاشية الروض المربع (شرح زاد المستقنع)، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي، ت/١٣٩٢هـ، ط١، ١٣٩٧هـ، بدون دار نشر.

٢١٤- حاشية الصاوي (على الشرح الصغير، للدرير)، الصاوي المالكي، ت/ ١٢٤١هـ، ت. مصطفى كمال وصفي، ط ١٩٨٦م، دار المعارف – القاهرة.

٢١٥- الحاوي للفتاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت/ ٩١١هـ، ١٤٢٤هـ، دار الفكر – بيروت.

٢١٦- الحدائق الناضرة (في أحكام العترة الطاهرة)، يوسف البحراني، ت/ ١١٨٦هـ، ط ١٣٦٣ ش، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٢١٧- حراسة العقيدة، د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط١، ١٤٢٥هـ، كنوز اشبيليا – الرياض.

٢١٨- الحسين بن علي في الشعر العربي الحديث، د. إبراهيم محمد عبدالرحمن، ط١، ١٤٣٠هـ، دار اليقين. المنصورة.

٢١٩- الحسين وارث آدم، د. علي شريعتي، ت. د. إبراهيم دسوقي شتا، ط٢، ١٤٢٨هـ، دار الأمير. بيروت.

٢٢٠- حصر الاجتهاد، آقا الطهراني، ت/ ١٣٨٩هـ، ت. محمد علي الأنصاري، ط ١٤٠١هـ، مطبعة الخيام – قم.

٢٢١- الحق المبين (في تحقيق كيفية التفقه)، محمد بن مرتضى، المعروف بالفيض الكاشاني، ت/ ١٠٩١هـ، ت. مير جلال الدين الحسيني الأرموي، بدون تاريخ الطبعة ومصدرها.

٢٢٢- حق اليقين في معرفة أصول الدين، عبدالله شبر، ط١، ١٤٠٤هـ، دار الأضواء - بيروت.

٢٢٣- الحق المبين في معرفة المعصومين (مستخرجة من دروس الوحيد الخرساني)، علي الكوراني العاملي، ط٢، ١٤٢٣هـ، دار الهادي – قم.

٢٢٤- حقوق آل البيت (ع) في الكتاب والسنة باتفاق الأمة، محمد حسين الحاج، ط ١، ١٤١٥هـ، مهر – قم.

٢٢٥- حقيقة ما يسمى بزبور آل محمد، د. ناصر بن عبد الله القفاري، ط١، ١٤١٩هـ، دار الفضيلة – الرياض.

٢٢٦- حقيقة الشيعة، أحمد راسم النفيس، ط١، ١٤٢٩ه، دار الحجة البيضاء – بيروت.

٢٢٧- الحكمة المتعالية (في الأسفار العقلية الأربعة)، صدر الدين محمد الشيرازي، وهي في تسع مجلدات، ط٣، ١٩٨١ م، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٢٨- الحكومة الإسلامية، روح الله الموسوي الخميني، ط ١٤١١هـ، دار التعارف – بيروت.

٢٢٩- حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت/ ٤٣٠هـ، ط ١٤٠٩هـ، دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٣٠- حوار مع فضل الله حول الزهراء، هاشم الهاشمي، ط٢، ١٤٢٢هـ، دار الهدى – قم.

٢٣١- حياة الإمام الحسين، باقر شريف القرشي، ط١، ١٣٩٤هـ، مطبعة الآداب - النجف.

٢٣٢- حياة الإمام المهدي، باقر شريف القرشي، ط١، ١٤١٧هـ، مطبعة أمير، نشر ابن المؤلف.

٢٣٣- حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدميري، أبو البقاء الشافعي، ت/ ٨٠٨هـ، ط٢، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

(خ)

٢٣٤- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، ت/ ٥٧٣هـ، ت. محمد باقر الموحد الأبطحي، ط١، ١٤٠٩هـ، مؤسسة الإمام المهدي – قم.

٢٣٥- الخصائص الحسينية، جعفر التستري، ت. جعفر الحسيني، بدون تاريخ الطبع، دار الحوراء - بيروت.

٢٣٦- الخصائص الفاطمية، محمد باقر الكجوري، ت/ ١٢٥٥هـ، ت. سيد علي جمال أشرف، ط١، ١٣٨٠ ش، مكتبة الرضي -قم.

٢٣٧- الخصال، الصدوق ابن بابويه القمي، ت/ ٣٨١هـ، علي أكبر الغفاري، ١٤٠٣هـ، جماعة المدرسين - قم.

٢٣٨- خطط الشام، محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كرد علي، ت/ ١٣٧٢هـ، ط٣، ١٤٠٣هـ، مكتبة النوري – دمشق.

٢٣٩- خلاصة الأقوال، ابن مطهر الحلي، ت/ ٧٢٦هـ، ت. جواد القيومي، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة نشر الفقاهة - قم.

٢٤٠- الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، د. وفاء محمد علي، ط ١٤١١هـ، المكتب العربي - القاهرة.

٢٤١- خلفيات كتاب مأساة الزهراء، جعفر مرتضى، ط٥، ١٤٢٢هـ، دار السيرة – بيروت.

٢٤٢- الخمس وسهم الإمام، فيصل نور، ط ١٤١٩هـ، سلسلة الحقائق الغائبة (٣)، طبعة شبكة المناصحة، من دون ذكر تاريخ ودار النشر.

٢٤٣- الخوارج والشيعة، يوليوس فلهوزن، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات – الكويت.

(د)

٢٤٤- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف، ط٤، ١٤٢٥هـ، مكتبة أضواء السلف – الرياض.

٢٤٥- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج الشيعة"، د. محمد أحمد محمد جلي، ط٢، ١٤٠٨هـ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات – الرياض.

٢٤٦- دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د. علي الوردي، ط١، ٢٠٠٧م، دار الوراق – بيروت.

٢٤٧- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، على خان المدنى، ت/ ١١٢٠هـ، ت. محمد صادق بحر العلوم، ط/ ١٣٩٧هـ، مكتبة بصيرتي– قم.

٢٤٨- درر السمط في خبر السبط، لأبي عبد الله، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ابن الأبار، ت/ ٦٥٨هـ، ت. د. عز الدين عمر موسى، ط١، ١٤٠٧هـ، دار الغرب الإسلامي – بيروت.

٢٤٩- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٦، ١٤١٧هـ،

٢٥٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت/ ٨٥٢هـ، ت. محمد عبد المعيد ضان، ط٢، ١٣٩٢هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد.

٢٥١- دروس في أصول فقه الإمامية، عبدالهادي الفضلي، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة أم القرى – قم.

٢٥٢- دعائم الإسلام (وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت)، القاضي أبو حنيفة النعمان المغربي، ت/ ٣٦٣هـ، ت. آصف بن علي أصغر فيضي، ط ١٣٨٣هـ، دار المعارف – القاهرة.

٢٥٣- الدعوات، قطب الدين الراوندي، ت/ ٥٧٣هـ، ط١، ١٤٠٧هـ، مدرسة الإمام المهدي – قم.

٢٥٤- الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية، أبو الحسن علي الخنيزي، ط ١٣٧٦هـ، بيروت.

٢٥٥- دلائل الإمامة، محمد بن جرير بن رستم الطبري (الشيعي)، ق ٤ هـ، ط١، ١٤١٣هـ، مؤسسة البعثة – قم.

٢٥٦- دلائل النبوة، أبو بكر البيهقي، ت/ ٤٥٨هـ، ط١، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٥٧- دلائل النبوة، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ٤٣٠هـ، ت. د. محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، ط٢، ١٤٠٦هـ، دار النفائس – بيروت.

٢٥٨- دليل الإصدارات الإيرانية لعام٢٠٠٧م، تحت الرقم التسلسلي٥٩٤، (بيلوغرافيا الكتب الإسلامية الصادرة في إيران عام٢٠٠٧م .الصادرة بنك المعلومات الإسلامية (بارسا) ومؤسسة دار الكتاب ومؤسسة (المراجع) المعلومائية الإسلامية عام٢٠٠٨م).

٢٥٩- الدمعة الساكبة (مجالس عزاء)، ليلى محمد الدهيني، ط٢، ١٤٢٨هـ، دار الحواء - بيروت

٢٦٠- الدولة الأموية عوامل الازدهار وَتداعيات الانهيار، د. علي محمد الصَّلاَّبي، ط٢، ١٤٢٩هـ، دار المعرفة – بيروت.

٢٦١- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت/ ٩١١هـ، ت. أبو اسحق الحويني الأثري، ط١، ١٤١٦ هـ، دار ابن عفان – الخبر.

٢٦٢- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون اليعمري، ت/ ٧٩٩هـ، ت. د. محمد الأحمدي أبو النور، بدون تاريخ الطبع، دار التراث - القاهرة.

(ذ)

٢٦٣- ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، ت/ ٦٩٤هـ، ط ١٣٥٦هـ، مكتبة القدسي – القاهرة.

٢٦٤- الذخيرة، أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي المالكي، ت/ ٦٨٤هـ، محمد حجي، وسعيد

أعراب، ومحمد بو خبزة، ط١، ١٩٩٤م، دار الغرب الإسلامي- بيروت.

٢٦٥- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني، ت / ١٣٨٩هـ، ط٢، ١٤٠٣هـ، دار الأضواء - بيروت.

٢٦٦- الذرية الطاهرة النبوية، أبو بِشْر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الدولابي الرازي، ت/ ٣١٠هـ، ت. سعد المبارك الحسن، ط١، ١٤١٧هـ، الدار السلفية – الكويت.

٢٦٧- ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، محمد بن مكي العاملي، الشهيد الأول، ت / ٧٨٦هـ، ط١، ١٤١٩هـ، مؤسسة آل البيت - قم.

٢٦٨- ذوب النضار، ابن نما الحلي، ت/ ٦٤٥هـ، ت. فارس حسون كريم، ط١، ١٤١٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

(ر)

٢٦٩- رأب الصدع (أمالي أحمد بن عيسى)، أحمد بن عيسى بن زيد بن علي، ت/ ٢٤٧هـ، ت. علي بن إسماعيل المؤيد الصنعاني، ط١، ١٤١٠هـ، دار النفائس – بيروت.

٢٧٠- رأس الحسين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، ت/ ٧٢٨هـ، ت. د. السيد الجميلي، دار الريان. مصر.

٢٧١- رجال ابن داود، ابن داوود الحلي، ت/٧٤٠هـ، ت. محمد صادق آل بحر العلوم، ط ١٣٩٢هـ، الحيدرية - النجف / الرضي – قم.

٢٧٢- رجال صحيح البخاري (الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد)، أحمد بن محمد بن الحسين، أبو نصر البخاري الكلاباذي، ت/ ٣٩٨هـ، ت. عبد الله الليثي، ط١، ١٤٠٧هـ، دار المعرفة – بيروت.

٢٧٣- رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن مَنْجُويَه، ت/ ٤٢٨هـ، ت. عبد الله الليثي، ط١، ١٤٠٧هـ، دار المعرفة – بيروت.

٢٧٤- رجال الطوسي، أبو جعفر الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، ت. جواد القيومي الإصفهاني، ط١، ١٤١٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٢٧٥- رجال الكشي، أبو عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، مؤسسة الأعلمي - كربلاء.

٢٧٦- رجال النجاشي، أحمد بن علي النجاشي، ت/ ٤٥٠هـ، ت. موسى الشبيري الزنجاني، ط٥،

١٤١٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٢٧٧- الرد على المنطقيين، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، ٧٢٨هـ، ط دار المعرفة – بيروت.

٢٧٨- الرس عبر التاريخ، عبدالله بن صالح العقيل، ط١، ١٤٢٥هـ، بدون ذكر دار النشر.

٢٧٩- الرسائل السعدية، لابن مطهر الحلي، ت/٧٢٦هـ، ت. محمود المرعشي، عبد الحسين محمد علي بقال، ط١، ١٤١٠هـ، مكتبة المرعشي – قم.

٢٨٠- الرسائل العشر، أبو جعفر الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، بدون ذكر تاريخ الطبعة ورقمها، مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

٢٨١- الرسائل العشر، ابن فهد الحلي، ت/ ٨٤١هـ، ت. مهدي الرجائي، ومحمود المرعشي، ط١، ١٤٠٩هـ، مكتبة المرعشي - قم.

٢٨٢- رسائل الكركي، علي بن الحسين بن عبدالعالي الكركي، ٩٤٠هـ، ت. محمد الحسون، ط١، ١٤٠٩هـ، مكتبة المرعشي – قم.

٢٨٣- رسائل في الأديان، محمد إبراهيم الحمد، ط١، ١٤٢٧هـ، دار ابن خريمة – الرياض.

٢٨٤- رسائل المرتضى، الشريف المرتضى، ت/ ٤٣٦هـ، ت. مهدي رجائي، ط ١٤٠٥هـ، دار القرآن – قم.

٢٨٥- رسالة الاثني عشرية في الرد على الصوفية (الاثنا عشرية)، للحر العاملي، ت/ ١١٠٤هـ، ت. مهدي اللازوردي، ومحمد درودي، ط ١٤٠٠هـ، دار الكتب العلمية – قم.

٢٨٦- رسالة في الرد على من أنكر الحرف والصوت، أبو نصر عبيد الله السجزي، ت/ ٤٤٤هـ، ت. د.محمد كريم باعبدالله، ط١، ١٤٠٤هـ، دار الراية - الرياض.

٢٨٧- الرسول المصطفى والشعائر الحسينية، باسم الحلي، ط١، ١٤٣٠هـ، دار الأثر – بيروت.

٢٨٨- روح المعاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت/١٢٧٠هـ، ت. علي عبد الباري عطية، ط ١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٨٩- الروض الباسم (في الذب عن سنة أبي القاسم)، محمد بن إبراهيم، ابن الوزير، ت/ ٨٤٠هـ، ت. علي بن محمد العمران، ط١، ١٤١٩هـ، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة.

٢٩٠- الروض المربع (شرح زاد المستقنع)، منصور بن يونس البهوتي الحنبلي، ت/١٠٥١هـ، ت. عبد القدوس محمد نذير، ط ١٤١٧هـ، دار المؤيد - الرياض، مؤسسة الرسالة -

بيروت.
٢٩١- روضة الواعظين، محمد بن الحسن ابن الفتال النيسابوري، ٥٠٨هـ، ت. محمد مهدي حسن الخرسان، ط ١٣٨٦هـ، منشورات الرضي – قم.
٢٩٢- رياض المسائل، علي الطباطبائي، ت/ ١٢٣١هـ، ط١، ١٤١٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي – قم.
٢٩٣- ريحانة النبي ﷺ الحسين بن علي، د. حامد محمد الخليفة، ط١، ١٤٢٩هـ، دار القطوف – الأردن.

(ز)

٢٩٤- زاد المعاد (في هدي خير العباد)، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، ت/ ٧٥١هـ، ط٢٧، ١٤١٥هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية – الكويت.
٢٩٥- زاد المسير (في علم التفسير)، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ، ت. عبد الرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.
٢٩٦- الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت/ ٢٤١هـ، ت. محمد عبد السلام شاهين، ط١، ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٩٧- زيارة عاشوراء في الميزان، (دراسة لزيارة عاشوراء سنداً ومتناً، وما طرأ عليها من تزوير وتحريف)، حسين الراضي العبدالله، ط١، ١٤٢٩هـ، دار المحجة البيضاء – بيروت.

(س)

٢٩٨- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت/ ٩٤٢هـ، ت. عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط١، ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٩٩- السجود على التربة الحسينية، عبدالحسين أحمد الأميني الموسوي، ت/ ١٣٩٢هـ،(المقدمة)، محمد عبدالحكيم الموسوي الصافي، بدون بيانات الطبع.
٣٠٠- السجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية، إعداد: مركز الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، مركز الرسالة – قم.
٣٠١- السرائر (السرائر الحاوي لتحري الفتاوي)، ابن إدريس الحلي، ت/ ٥٩٨هـ، ط٢،

١٤١٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٣٠٢- السقيفة وفدك، لأبي بكر، أحمد بن عبد العزيز الجوهري البصري، ت/ ٣٢٣هـ، ت. محمد هادي الأميني، ت/١٤١٣هـ، شركة الكتبي – بيروت.

٣٠٣- السلسلة الصحيحة (سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها)، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني، ت/ ١٤٢٠هـ، ط١، ١٤١٥هـ، مكتبة المعارف – الرياض.

٣٠٤- السلسلة الضعيفة (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة)، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني، ت/ ١٤٢٠هـ، ط١، ١٤١٢هـ، مكتبة المعارف – الرياض.

٣٠٥- سلسلة مجاميع الأجزاء الحديثية: (٤)، ومنها: مصنفات أبي الحسن ابن الحمامي، ت/ نبيل سعد الدين جرار، ط١، ١٤٢٥هـ، أضواء السلف – الرياض.

٣٠٦- السماع والقياس، أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، ت/ ١٣٤٨هـ، ط١، ١٤٢١هـ، دار الآفاق العربية – القاهرة.

٣٠٧- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، ت/ ١١١١هـ، ت. عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٠٨- السنة، أبو بكر بن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، ٢٨٧هـ، ت. محمد ناصر الدين الألباني (ظلال الجنة)، ط١، ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

٣٠٩- السنة، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت/٢٩٠هـ، ت. د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، ط١، ١٤٠٦هـ، دار ابن القيم – الدمام.

٣١٠- السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخَلَّال الحنبلي، ٣١١هـ، ت. د. عطية الزهراني، ط١، ١٤١٠هـ، دار الراية – الرياض.

٣١١- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت/ ٢٧٣هـ، ت. محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٣١٢- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، ت/ ٢٧٥هـ، ت. محمد محيي

الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

٣١٣- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ت/ ٢٧٩هـ، ت. أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)، ط٢، ١٣٩٧هـ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي – مصر.

٣١٤- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ت/ ٤٥٨هـ، ت. محمد عبد القادر عطا، ط٣، ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١٥- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، ت/ ٣٠٣هـ، ت. حسن عبد المنعم شلبي، شعيب الأرناؤوط، ط١، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣١٦- سنن النسائي (المجتبى/ السنن الصغرى)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، ت/ ٣٠٣هـ، ت. عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، ١٤٠٦هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.

٣١٧- السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي، ت/ بعد ١٣٥٢هـ، ت. محمد خليل هراس، دار الفكر.

٣١٨- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت/ ٧٤٨هـ، ت. شعيب الأرناؤوط، ط٣، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣١٩- السيل الجرار (المتدفق على حدائق الأزهار)، محمد بن علي الشوكاني، ت/ ١٢٥٠هـ، ط١، ١٤١٦هـ، دار ابن حزم – بيروت.

٣٢٠- سيرة السيد محسن الامين، (مستخرج من أعيان الشيعة)، ت. هيثم الأمين، وصابرينا ميرفان، ط١، ٢٠٠٠م، شركة رياض الريس – بيروت.

٣٢١- سيرتنا وسنتنا، عبدالحسين أحمد الأميني، ت/ ١٣٩٢هـ، ط٢، ١٤١٢هـ، دار الغدير / دار الكتاب الإسلامي – بيروت.

(ش)

٣٢٢- شجرة طوبى، محمد مهدي الحائري، ت/ ١٣٦٩هـ، ط٥، ١٣٨٥هـ، المكتبة الحيدرية – النجف.

٣٢٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري

الحنبلي، ت/ ١٠٨٩هـ، ت. محمود الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، ط١، ١٤٠٦هـ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت.

٣٢٤- شذرات من فلسفة تاريخ الحسين، محمد باقر الصدر، ت. أسعد الناصري، ط ١٤٣٠هـ، هيئة تراث الصدر – النجف.

٣٢٥- شرائع الإسلام، المحقق الحلي، ت/ ٦٧٦هـ، ط٢، ١٤١٩هـ، ت. صادق الشيرازي، اتنشارات استقلال – طهران.

٣٢٦- شرح إحقاق الحق، شهاب الدين المرعشي.النجفي، ت/ ١٤١١هـ، ت. إبراهيم الميانجي، مكتبة المرعشي – قم.

٣٢٧- شرح الأخبار، القاضي أبو حنيفة النعمان المغربي الشيعي العبيدي، ت/ ٣٦٣هـ، ت. محمد الحسيني الجلالي، مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

٣٢٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي اللالكائي، ت/ ٤١٨هـ، ت. د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، ١٤٢٣هـ، دار طيبة – السعودية.

٣٢٩- شرح الأصول الخمسة، عبدالجبار الجبائي المعتزلي، ت. عبدالكريم عثمان، ط١، ١٣٨٤هـ، مكتبة وهبة – القاهرة.

٣٣٠- شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ت/ ١٠٨١هـ، ت. أبو الحسن الشعراني، علي عاشور، ط١، ١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٣١- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي، ت/ ١١٢٢هـ، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٣٢- شرح العروة الوثقى، محمد باقر الصدر، ت/ ١٤٠٢هـ، ط١، ١٣٩١هـ، مطبعة الآداب – النجف.

٣٣٣- شرح الفقه الأكبر، ملا علي بن محمد سلطان قاري، ت/ ١٠١٤هـ، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٣٤- شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين، ت/ ٦٧٢هـ، ت. عبد المنعم أحمد هريدي، ط١، مركز البحث العلمي بجامعة أم

القرى – مكة.

٣٣٥- شرح منتهى الإرادات (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى / الأصل لابن النجار، ت/ ٩٧٢ه)، المؤلف: منصور بن يونس البهوتى الحنبلي، ت/ ١٠٥١ه، ط١، ١٤١٤ه، عالم الكتب – بيروت.

٣٣٦- شرح منهاج الكرامة، علي الميلاني، ط١، ١٤١٨ه، دار الهجرة – قم.

٣٣٧- شرح النووي على مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت/ ٦٧٦هـ، ط٢، ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٣٨- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ت/ ٦٥٦ه، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر- مؤسسة إسماعيليان – قم.

٣٣٩- شرف أصحاب الحديث، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي، ت/ ٤٦٣ه، ت. د. محمد سعيد خطي أوغلي، ط ١٩٧٢م، كلية الإلهيات بجامعة أنقرة، ودار إحياء السنة النبوية – أنقرة.

٣٤٠- شرف المصطفى، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، ت/ ٤٠٧هـ، ط١، ١٤٢٤هـ، دار البشائر الإسلامية – مكة.

٣٤١- الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ، ت/ ٣٦٠هـ، ت. د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، ط٢، ١٤٢٠ه، دار الوطن – الرياض.

٣٤٢- الشعائر الحسينية، حسن الشيرازي، ط ١٤١٩ه، دار الصادق - بيروت.

٣٤٣- الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، محمد السند، إعداد: رياض الموسوي، ط١، ١٤٢٧ه، دار الولاء - بيروت.

٣٤٤- الشعائر الحسينية كيف ولماذا؟، الميرزا حامد حسن النواب، ط١، ١٤٣٠ه، دار العلوم – بيروت.

٣٤٥- الشعائر الحسينية المنصوصة، محمد حسين ترحيني العاملي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الهادي . بيروت.

٣٤٦- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ٤٥٨ه، ت. د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ومختار أحمد الندوي، ط١، ١٤٢٣ه، مكتبة الرشد –

الرياض.

٣٤٧- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ت/ ٥٤٤هـ، ت. أحمد بن محمد الشمنى، ت/ ٨٧٣هـ، ط ١٤٠٩هـ، دار الفكر – بيروت.

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، محمد بن أحمد، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، ٨٣٢هـ، ط١، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٤٨- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، أحمد بن مصطفى بن خليل، عصام الدين طاشْكُبْري زاده، ت/ ٩٦٨هـ، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، دار الكتاب العربي – بيروت.

٣٤٩- شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن ناصبياً، سليمان بن صالح الخراشي، ط١، ١٤١٩هـ، دار الوطن – الرياض.

٣٥٠- الشيخية (نشأتها وتطورها ومصادر دراستها)، محمد حسن آل الطالقاني، ط١، ١٤٢٨هـ، مكتبة المعارف - النجف، دار الكتاب العربي - بغداد.

٣٥١- الشيعة الاثنا عشرية: النشأة والعقائد، د. حافظ موسى عامر، ط١، ١٩٩٩م، دار الاعتصام - مصر.

٣٥٢- الشيعة الإمامية ونشأة العلوم، د. علاء القزويني، ط دار النهضة العربية – لبنان.

٣٥٣- الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، هاشم معروف الحسيني، ط١، ١٩٧٨م، دار القلم – بيروت.

٣٥٤- الشيعة في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي، ت/ ١٤٠٢هـ، ت. جعفر بهاء الدين، ط١، ١٩٩٩م، بيروت.

٣٥٥- الشيعة في التاريخ، عبدالرسول الموسوي، ط٢، ٢٠٠٤م، مكتبة مدبولي - القاهرة.

٣٥٦- الشيعة في العصر المغولي، محمد سعيد الطريحي، ط١، ١٤٢٧هـ - هولندا، والمؤلف هو رئيس تحرير مجلة الموسم الصادرة من أكاديمية الكوفة.

٣٥٧- الشيعة والتشيع (النشأة - التاريخ - العقيدة - التوزع الجغرافي)، سعد رستم، ص٨٤، ط١، ٢٠٠٨م، الأوائل. بيروت.

٣٥٨- الشيعة والتصحيح (الصراع بين الشيعة والتشيع)، موسى الموسوي، ط ١٤٠٨هـ، بدون درا النشر وبلده.

(ص)

٣٥٩- الصحاح: (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت/ ٣٩٣هـ، ت. أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، ١٤٠٧هـ، دار العلم للملايين - بيروت.

٣٦٠- صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان)، محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البُستي، ت/ ٣٥٤هـ، ت. شعيب الأرنؤوط، ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٣٦١- صحيح البخاري، ت. مصطفى ديب البغا، ط ٥، ١٤١٤هـ، دار ابن كثير –بيروت، دار اليمامة – دمشق.

٣٦٢- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني، ت/ ١٤٢٠هـ، ط٢، ١٤٠٦ه المكتب الإسلامي – بيروت.

٣٦٣- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ت/ ١٤٢٠هـ، ط١، ١٤٢٣هـ، مؤسسة غراس - الكويت.

٣٦٤- صحيح مسلم، ت. محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٦٥- الصحيح من سيرة النبي الأعظم، جعفر مرتضى العاملي، ط٤، ١٤١٥هـ، دار الهادي، دار السيرة – بيروت.

٣٦٦- الصحيفة السجادية، (منسوبة لعلي بن الحسين)، ت. محمد باقر الموحد الأبطحي الإصفهاني، ط١، ١٤١١هـ، مؤسسة الإمام المهدي، ومؤسسة الأنصاريان - قم.

٣٦٧- صراط النجاة (في أجوبة الاستفتاءات)، أبو القاسم الخوئي الموسوي، ت/ ١٤١١هـ، (مع تعليقات جواد التبريزي)، ط ١٤١٧هـ، دفتر نشر بركزيده - إيران.

٣٦٨- الصراع بين الإسلام والوثنية، عبدالله بن علي القصيمي، ط٢، ١٤٠٢هـ، القاهرة.

٣٦٩- الصفدية، تقي الدين أبو العَباس، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، ت/ ٧٢٨هـ، ت. محمد رشاد سالم، ط٢، ١٤٠٦هـ، مكتبة ابن تيمية - مصر.

٣٧٠- الصفوية: التاريخ والصراع والرواسب، محمد المعموري، ط١، ٢٠١٠م، مركز المسبار للدراسات والبحوث.

٣٧١- الصواعق المحرقة (على أهل الرفض والضلال والزندقة)، أحمد بن محمد بن علي بن حجر

الهيتمي، ت/ ٩٧٤هـ، ت. عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة الرسالة – لبنان.

٣٧٢- صورتان متضادتان (أهل السنة والشيعة الإمامية)، أبو الحسن الندوي الحسني، ط١، ١٤١٠هـ، دار البشير – جدة.

٣٧٣- الصوفية نشأتها وتطورها، محمد العبدة، وطارق عبدالحليم، ط١، ١٤٠٦هـ، دار الأرقم – الكويت.

٣٧٤- الصوفية الوجه الآخر، د.محمد جميل غازي، إعداد عبد المنعم الجدَّاوي، ط ١٤٠٠هـ، القاهرة.

٣٧٥- صوم عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الأموية، نجم الدين الطبسي، ط١، ١٤٢٢هـ، منشورات العهد - إيران.

٣٧٦- صيام عاشوراء، جمال الدين بن عبدالله، ط١، ١٤١٨هـ، دار المحجة البيضاء – بيروت.

(ض)

٣٧٧- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت/ ٩٠٢هـ، دار مكتبة الحياة – بيروت.

٣٧٨- ضوابط التكفير، د. عبدالله بن محمد القرني، ط٢، ١٤٢٠هـ، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة.

٣٧٩- ضياء الصالحين، في الأدعية والأعمال والصلوات والزيارات، محمد صالح الجوهري، ط١، ٢٠٠٥م، اعتماد الكاظمي - طهران.

(ط)

٣٨٠- طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى الحنبلي، ت/ ٥٢٦هـ، ت. محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت.

٣٨١- طبقات الشافعية (الكبرى)، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت/ ٧٧١هـ، ت. د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، ١٤١٣هـ، دار هجر – مصر.

٣٨٢- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، ابن سعد، ت/

٢٣٠هـ، ت. محمد عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٨٣- الطبقات الكبرى - متمم الصحابة، طبقة ٥، أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، ابن سعد، ت/ ٢٣٠هـ، ت. محمد بن صامل السلمي، ط١، ١٤١٤هـ، مكتبة الصديق – الطائف.

٣٨٤- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ابن طاووس الحلي (عبدالمحمود بن داود)، ت/ ٦٦٤هـ، ط١، ١٣٩٩هـ، الخيام – قم.

٣٨٥- طرائف المقال، علي البروجردي، ت/ ١٣١٣هـ، ت. مهدي الرجائي، ط١، ١٤١٠هـ، مكتبة المرعشي – قم.

٣٨٦- الطرق الصوفية (نشأتها وعقائدها وآثارها)، د. عبدالله بن دجين السهلي، ط١، ١٤٢٦هـ، دار كنوز إشبيليا. الرياض.

٣٨٧- الطيوريات، ٢/ ٥٣٣- ٥٣٤، أبو الحسين، المبارك بن عبد الجبار الصيرفي الطيوري الحنبلي، ت/ ٥٠٠هـ، انتخبه من الأصل: صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني، ت/ ٥٧٦هـ، ت. دسمان يحيى معالي، وعباس صخر الحسن، ط١، ١٤٢٥هـ، مكتبة أضواء السلف، الرياض.

(ع)

٣٨٨- عاشوراء في الأدب العاملي، حسن نور الدين، ط ١٤٠٨هـ، الدار الإسلامية - بيروت.

٣٨٩- عاشوراء في فكر الإمام الخميني، إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة، ط٣، ١٤٢٨/ ٢٠٠٧م، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

٣٩٠- عاشوراء: النصّ والوظيفة وإمكانية التعبير، (مجموعة/ مقال: طقوس عاشورائيّة وإعادة تأويل شخصيّة الحسين، جواد الأسدي)، عام ٢٠٠٩م، دار الملاك – بيروت.

٣٩١- عباد الشيطان، أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي، ط٢، ١٤٢٥هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٣٩٢- العبر في خبر من غبر، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت/٧٤٨هـ، ت. أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٩٣- العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية (تاريخ المرجعية الدينية)، ص٦٧، محمد حسين آل

كاشف الغطاء، ت/ ١٣٧٣هـ، ت. جودت القزويني، ط١، ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال - بيروت.

٣٩٤- العبودية، ابن تيمية، ت/ ٧٢٨هـ، ت/ محمد زهير الشاويش، ط٧، ١٤٢٦هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

٣٩٥- العجالة في الأحاديث المسلسلة، أبو الفيض، محمد ياسين الفاداني المكي، ١٤١١هـ، ط٢، ١٩٨٥م، دار البصائر – دمشق.

٣٩٦- العدد القوية (لدفع المخاوف اليومية)، علي بن يوسف بن مطهر الحلي، ت/٧٠٥هـ، ت. مهدي الرجائي، ط١، ١٤٠٨هـ، مكتبة المرعشي – قم.

٣٩٧- عدة الأصول (العدة)، أبو جعفر الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، ت. محمد رضا الأنصاري القمي، ط١، ١٤١٧هـ، مطبعة ستارة – قم.

٣٩٨- عدة الداعي ونجاح الساعي، ابن فهد الحلي، ت/ ٨٤١هـ، ت. أحمد الموحدي القمي، بدون تاريخ الطبع، مكتبة وجداني – قم.

٣٩٩- العرفان الشيعي (رؤى في مرتكزاته النظرية، ومسالكه العملية)، كمال الحيدري، ١٣٨- ١٤٠، ت. خليل رزق، ط ١٤٢٩هـ، مؤسسة الإمام الجواد – قم.

٤٠٠- العروة الوثقى، محمد كاظم الطبطبائي اليزدي، ت/ ١٣٣٧هـ، وعليه تعليقات لفقهاء ومراجع آخرين، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

٤٠١- عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، ت/ ١٣٨١هـ، ت. د. حامد حفني داود، انتشارات أنصاريان – قم.

٤٠٢- العقدة والعقيدة (قصة الشيعة في العراق)، سيف الخياط، ط ٢٠٠٦م، دار مدبولي – القاهرة.

٤٠٣- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة، د. ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، ط٣، ١٤٢١هـ، مكتبة الرشد – الرياض.

٤٠٤- العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د. سليمان بن سالم السحيمي، ط١، ١٤٢٥هـ، أضواء السلف - الرياض.

٤٠٥- العلاقة بين التشيع والتصوف، د. فلاح بن إسماعيل بن أحمد، رسالة دكتوراه، غير

منشورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

٤٠٦- العلاقة بين الصوفية والإمامية: جذورها، واقعها، أثرها على الأمة، د. زياد بن عبد الله الحمام، ط١، ١٤٣٢هـ، مكتب البحوث والدراسات التابع لمجلة البيان. الرياض.

٤٠٧- علل الشرائع، الصدوق ابن بابويه القمي، ت/ ٣٨١هـ، ت. محمد صادق بحر العلوم، ط ١٣٨٦هـ، المكتبة الحيدرية - النجف.

٤٠٨- العلل المتناهية (في الأحاديث الواهية)، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت/ ٥٩٧هـ، ت. إرشاد الحق الأثري، ط٢، ١٤٠١هـ، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد – باكستان.

٤٠٩- علم اجتماع الثورة الحسينية والمجتمع الكوفي، عماد الدين باقي، تعريب عبدالرحمن العلوي، ط١، ١٤٢٨هـ، دار الهادي. بيروت.

٤١٠- العلويون بين الغلو والفلسفة والتصوف والتشيع، علي عزيز إبراهيم، ط١، ١٤١٥ه، مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٤١١- علي بن أبي طالب إمام العارفين (أو البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي)، أحمد بن محمد بن الصديق الغماري المغربي، ط١، ١٣٨٩هـ، مطبعة السعادة.

٤١٢- عمدة القاري (شرح صحيح البخاري)، أبو محمد محمود بن أحمد الغيتابى الحنفي، بدر الدين العيني، ت/ ٨٥٥هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤١٣- عوارف المعارف، عمر بن محمد السّهروردي، ت/ ٦٣٢هـ، ت. أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة، ط١، ١٤٢٧هـ، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة.

٤١٤- العواصم والقواصم (في الذب عن سنة أبي القاسم)، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم الحسني القاسمي، ت/ ٨٤٠هـ، ت. شعيب الأرنؤوط، ط٣، ١٤١٥هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٤١٥- العوالم، ج١٧، (الإمام الحسين)، عبدالله البحراني، ت/ ١١٣٠هـ، ت. محمد باقر الموحد الأبطحي الاصفهاني، ط١، ١٤٠٧هـ، مدرسة الإمام المهدي – قم.

٤١٦- عودة الواصل (دراسات حول الإنسان الصوفي)، د. سعاد الحكيم، ط١، ١٤١٤هـ، مؤسسة دندرة للدراسات - بيروت.

٤١٧- عيون أخبار الرضا، الصدوق ابن بابويه القمي، ت/ ٣٨١هـ، ت. حسين الأعلمي، ١٤٠٤هـ، مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٤١٨- العين، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ت/ ١٧٠هـ، ت. د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال - بيروت.

(غ)

٤١٩- غاية الأماني في الرد على النبهاني، أبو المعالي، محمود شكري بن أبي الثناء الألوسي، ت/ ١٣٤٢هـ، ت. أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، ط١، ١٤٢٢هـ، مكتبة الرشد - الرياض.

٤٢٠- غاية المقصد فى زوائد المسند، أبو الحسن، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت/ ٨٠٧هـ، ت. خلاف محمود عبد السميع، ط١، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٢١- الغدير، عبدالحسين بن أحمد الأميني النجفي، ت/ ١٣٩٢هـ، ط٣، ١٣٨٧هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

٤٢٢- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ت/ ١١٨٨هـ، ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة قرطبة – مصر.

٤٢٣- غريب الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي، ت/ ٣٨٨هـ، ت. عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وعبد القيوم عبد رب النبي، ط ١٤٠٢هـ، دار الفكر – بيروت.

٤٢٤- الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني، المعروف بابن أبي زينب، ت/ ٣٦٠هـ، ت. فارس حسون كريم، ط١، ١٤٢٢هـ، أنوار الهدى – قم.

٤٢٥- الغيبة، أبو جعفر الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، ت. عباد الله الطهراني، علي أحمد ناصح، ط١، ١٤١١هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية – قم.

٤٢٦- الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة، فاضل المالكي، ط١، ١٤٢٠هـ، مركز الأبحاث العقائدية – قم.

(ف)

٤٢٧- فتاوى السبكي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، ت/ ٧٥٦هـ، ط دار

المعارف – القاهرة.

٤٢٨- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ت. أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

٤٢٩- فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (بن عبد اللطيف آل الشيخ)، ت/ ١٣٨٩هـ، جمع: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٣٩٩هـ، مطبعة الحكومة - مكة المكرمة.

٤٣٠- فتح الباري (شرح صحيح البخاري)، أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت. محب الدين الخطيب، وعبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط ١٣٧٩هـ، دار المعرفة – بيروت.

٤٣١- فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، ابن الهمام الحنفي، ت/ ٨٦١هـ، بدون الطبعة وتاريخها وبلدها، دار الفكر.

٤٣٢- فتح المجيد (شرح كتاب التوحيد)، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي، ت/ ١٢٨٥هـ، ت. محمد حامد الفقي، ط٧، ١٣٧٧هـ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة.

٤٣٣- فتح المغيث (بشرح ألفية الحديث للعراقي)، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ٩٠٢هـ، ت. علي حسين علي، ط١، ١٤٢٤هـ، مكتبة السنة – مصر.

٤٣٤- فرحة الغري، عبدالكريم ابن طاووس، ت/ ٦٩٣هـ، ت. تحسين آل شبيب الموسوي، ط١، ١٤١٩هـ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية - بيروت.

٤٣٥- الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، ت / ٤٢٩هـ، ت. محمد محيي الدين عبدالحميد، ط ١٤١١هـ، المكتبة العصرية - بيروت.

٤٣٦- فرق الشيعة، الحسن بن موسى النوبختي، ت. محمد صادق بحر العلوم، ط ١٣٥٥هـ، المكتبة المرتضوية النجف.

٤٣٧- فرق معاصرة، د. غالب عواجي، ط٣، ١٤١٨هـ، دار لينة – مصر.

٤٣٨- الفصل (في الملل والأهواء والنحل)، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، ٤٥٦هـ، مكتبة الخانجي – القاهرة.

٤٣٩- فضائل الأعمال، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، ت/ ٦٤٣هـ، الجامعة

الإسلامية - المدينة المنورة.

٤٤٠- فضائل الأوقات، أبو بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، ت/ ٤٥٨هـ، ت. عدنان عبد الرحمن مجيد القيسي، ط١، ١٤١٠هـ، مكتبة المنارة - مكة المكرمة

٤٤١- فضائل أمير المؤمنين، ابن عقدة الكوفي، ٣٣٣هـ، ت.عبد الرزاق محمد حسين فيض الدين، ط١٤٢١هـ، بدون ذكر دار النشر.

٤٤٢- فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ٢٤١هـ، ت. د. وصي الله محمد عباس، ط١، ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤٤٣- فقه الشيعة الإمامية (ومواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة)، د. علي أحمد السالوس، ط١، ١٣٩٨هـ، مكتبة ابن تيمية – الكويت.

٤٤٤- فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة، د. علي بن محمد الصلابي، ط١، ١٤٢٩هـ، دار الأندلس- القاهرة.

٤٤٥- الفكر السلفي عند الشيعة الاثني عشرية، د. علي حسين الجابري، ط١، ١٤٢٨هـ، دار مجدلاوي – عمان.

٤٤٦- الفكر الشيعي والنزعات الصوفية (حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري)، كامل مصطفى الشيبي، ط ١، ١٣٨٦هـ، مكتبة النهضة – بغداد.

٤٤٧- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن بن عبد الخالق، ط٣، ١٤٠٦هـ، مكتبة ابن تيمية – الكويت.

٤٤٨- الفلسفة الإسلامية وأعلامها، د. يوسف فرحات، ط١، ١٩٨٦م، تراد كسيم. جنيف.

٤٤٩- فلسفة صدر المتألهين، (قراءة في مرتكزات الحكمة المتعالية)، كمال الحيدري، ت. خليل رزق، مؤسسة الإمام الجواد - قم.

٤٥٠- الفوائد المجموعة (في الأحاديث الموضوعة)، محمد بن علي الشوكاني، ت/ ١٢٥٠هـ، ت. عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، بدون رقم الطبعة وتاريخها، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٥١- الفوائد المدنية والشواهد المكية، ص٩٧- ٩٨، الفوائد المدنية لمحمد أمين الاسترآبادي، ت / ١٠٣٣هـ، والشواهد لنور الدين العاملي، ت/ ١١١٩هـ، ت. رحمة الله الرحمتي

الأراكي، ط١، ١٤٢٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

٤٥٢- الفوائد الحائرية، الوحيد البهبهاني، ١٢٠٦هـ، ط١، ١٤١٥هـ، مجمع الفكر الإسلامي- قم.

٤٥٣- فهرس الفهارس والأثبات، محمد عبد الحي الكتاني، ت/ ١٣٨٢هـ، ت. إحسان عباس، ط٢، ١٩٨٢م، دار الغرب الإسلامي – بيروت.

٤٥٤- الفهرست، أبو جعفر الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، ت. جواد القيومي، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة نشر الفقاهة.

٤٥٥- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي، المعروف بابن النديم، ت/ ٤٣٨هـ، ت. إبراهيم رمضان، ط٢، ١٤١٧هـ، دار المعرفة بيروت.

٤٥٦- في التاريخ العباسي والفاطمي، د. أحمد مختار العبادي، دار النهضة العربية.بيروت.

٤٥٧- فيض القدير (شرح الجامع الصغير)، عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي القاهري، ١٠٣١هـ، ط١، ١٣٥٦هـ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

(ق)

٤٥٨- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت/ ٨١٧هـ، ط ٨، ١٤٢٦هـ، ت. محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٤٥٩- قاموس الرجال، محمد تقي التستري، ط١،١٤٢٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٤٦٠- القبورية في اليمن، نشأتها، آثارها، موقف العلماء منها، أحمد بن حسن المعلم، ط٢، ١٤٢٦هـ، دار ابن الجوزي – الدمام.

(ك)

٤٦١- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، شمس الدين، محمد بن أحمد بن الذهبي، ت/ ٧٤٨هـ، وحاشيته لبرهان الدين إبراهيم بن محمد، سبط ابن العجمي الحلبي، ت/ ٨٤١ ه، ت. محمد عوامة أحمد، ومحمد نمر الخطيب، ط١، ١٤١٣هـ، دار القبلة - جدة.

٤٦٢- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ت. علي أكبر الغفاري، ط٥، ١٣٦٣ ش، طبع دار الكتب الإسلامية - طهران.

٤٦٣- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ت/ ٣٦٧هـ، ت. جواد القيومي، ط١، ١٤١٧هـ، مؤسسة نشر الفقاهة – قم.

٤٦٤- الكامل في التاريخ، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، ت/ ٦٣٠هـ، ت. عمر عبد السلام تدمري، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

٤٦٥- الكبائر، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت/ ٧٤٨هـ، بدون ذكر الطبعة وتاريخها، دار الندوة الجديدة – بيروت.

٤٦٦- الكتاب، ٤/ ٢٤٩، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، ت/ ١٨٠هـ، ت. عبد السلام محمد هارون، ط٣، ١٤٠٨هـ، مكتبة الخانجي – القاهرة.

٤٦٧- كتاب الطهارة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، ت/ ١٤١١هـ، ط٣، ١٤١٠هـ، دار الهادي – قم.

٤٦٨- كتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، ت/ ٣١٤هـ، ت. علي شيري، ط١، ١٤١١هـ، دار الأضواء – بيروت.

٤٦٩- كربلاء بين الأسطورة والتاريخ (دراسة في الوعي الشعبي الإيراني)، أحمد لاشين، ط١، ٢٠٠٩م، رؤية – القاهرة.

٤٧٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري)، أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ت/ ٥٣٨هـ، ط٣، ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي – بيروت.

٤٧١- كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتى الحنبلي، ت/ ١٠٥١هـ، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٧٢- كشف الحجب والأستار عن أسامي الكتب والأسفار، إعجاز حسين النيسابوري، ت/ ١٢٨٦هـ، ط٢، ١٤٠٩هـ، مكتبة المرعشي - قم.

٤٧٣- كشف الخفاء (ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس)، إسماعيل بن محمد العجلوني، ت/ ١١٦٢هـ، ط ١٣٥١هـ، مكتبة القدسي - القاهرة.

٤٧٤- كشف الغطاء (عن مبهمات شريعة الغراء)، جعفر كاشف الغطاء، ت/ ١٢٢٨هـ، بدون

ذكر تاريخ الطبعة ورقمها، انتشارات مهدوي – أصفهان.

٤٧٥- الكشف عن حقيقة الصوفية، محمود عبد الرؤوف القاسم، ط٢، ١٤١٣ه، المكتبة الإسلامية – عمان، دار طيبة – الرياض.

٤٧٦- كشف المحجة لثمرة المهجة، علي بن موسى ابن طاووس الحلي، ٦٦٤ه، ط ١٣٧٠ه، المطبعة الحيدرية – النجف.

٤٧٧- كشف المراد (شرح تجريد الاعتقاد لنصير الدين الطوسي)، الشرح لابن مطهر الحلي، ت. إبراهيم الزنجاني، ط ٤، إسماعيليان- قم.

٤٧٨- كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت/ ٥٩٧هـ، ت. علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض.

٤٧٩- كشف النور، عبدالغني إسماعيل النابلسي.(ت/ ١١٤٣ه)، ط ١٤٠٦ه، مكتبة الحقيقة – إستانبول.

٤٨٠- كل الحلول عند آل الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد التيجاني، ط١، ١٤١٦ه، دار المجتبى – بيروت.

٤٨١- كليات علم الرجال، جعفر السبحاني، ط٣، ١٤١٤ه، مؤسسة النشر الإسلامي – قم.

٤٨٢- كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي ابن بابويه القمي الصدوق، ت/ ٣٨١هـ، علي أكبر الغفاري، ط ١٤٠٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٤٨٣- الكنى والألقاب، عباس القمي، ت/ ١٣٥٩هـ، ت. محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر – طهران.

٤٨٤- كنز العمال (في سنن الأقوال والأفعال)، علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري، المتقي الهندي، ت/ ٩٧٥هـ، ت/ بكري حياني، وصفوة السقا، ط٥، ١٤٠١ه، مؤسسة الرسالة –بيروت.

٤٨٥- كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكي، ت/ ٤٤٩هـ، ط٢، ١٣٦٩ ش، مكتبة المصطفوي – قم.

٤٨٦- الكواكب النيرات، ابن الكيال: محمد بن أحمد بن يوسف، أبو البركات الذهبي، ٨٨٩هـ، حمدي عبد المجيد السلفي، دار العلم – الكويت.

(ل)

٤٨٧- اللآلىء المصنوعة (في الأحاديث الموضوعة)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت/ ٩١١هـ، ت. أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط١، ١٤١٧ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٨٨- لب اللباب في سير وسلوك أولي الألباب، محمد حسين الطهراني، ت. عباس نور الدين، دار المحجة البيضاء. بيروت.

٤٨٩- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص، عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، ت/ ٧٧٥هـ، ت. عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١،، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٩٠- لباب المحصل في أصول الدين، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، الحضرمي الإشبيلي، ت/ ٨٠٨هـ، ت. رفيق العجم، ط ١٩٩٥م، دار المشرق، بيروت.

٤٩١- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ت / ٧١١هـ، ط ٣، ١٤١٤هـ، دار صادر -بيروت.

٤٩٢- لسان الميزان، الحافظ ابن حجر، ت. دائرة المعارف النظامية بالهند، ط٣، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٤٩٣- لطائف المعارف (فيما لمواسم العام من الوظائف)، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت/ ٧٩٥هـ، ط١، ١٤٢٤هـ، دار ابن حزم- الرياض.

٤٩٤- اللفظ المكرم (بفضل عاشوراء المحرم)، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر عبد الله القيسي، المعروف بالحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، ت/ ٨٤٢هـ، ت. مشعل المطيري، ط١، ١٤٢٢هـ، دار ابن حزم.

٤٩٥- اللمع، أبو نصر عبد الله بن علي بن يحيى السراج الطوسي، ت/٣٧٨هـ، تحقيق د. عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، ط١٣٨٠هـ، نشر. لجنة التراث الصوفي – دار الكتب الحديثة – مصر.

٤٩٦- اللمعة البيضاء، محمد بن علي التبريزي الأنصاري، ت/ ١٣١٠هـ، ت. هاشم الميلاني، ط١، ١٤١٨هـ، مؤسسة الهادي – قم.

٤٩٧- لهذا كانت المواجهة، جلال الصغير، ط١، ١٤٢١هـ، بينات الهدى – بيروت.

٤٩٨- اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى، ابن طاووس الحلي، ت/ ٦٦٤هـ، ط١، ١٤١٧هـ، أنوار الهدى – قم.

(م)

٤٩٩- مائة مسألة مهمة حول الشيعة، مهدي محمد السويج، ط٣، ١٩٩٦م، مكتبة العرفان – الكويت.

٥٠٠- المآتم في البحرين (دراسة وثائقية)، عبدالله السيف، ط١٩٩٥م، البحرين.

٥٠١- المؤامرة الكبرى على مدرسة آل البيت (قراءة من الداخل: الوضع والتزوير، أبعاده، أسبابه، نتائجه وعلاجه، حسين الراضي العبدالله، ط١، ٢٠٠٧م، دار المحجة البيضاء - بيروت.

٥٠٢- مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ج٣، (آداب المشي إلى الصلاة)، محمد بن عبد الوهاب التميمي، ت/ ١٢٠٦هـ، ت. عبد الكريم بن محمد اللاحم، ومجموعة، جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض.

٥٠٣- مأساة الزهراء، جعفر مرتضى العاملي، ط٥، دار السيرة – بيروت.

٥٠٤- المبدع (في شرح المقنع)، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، ت/ ٨٨٤هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٠٥- المبسوط في فقه الإمامية، أبو جعفر الطوسي، ت /٤٦٠هـ، ت. محمد تقي الكشفي، ١٣٨٧هـ، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفري. طهران.

٥٠٦- المتعة (الزواج المؤقت عند الشيعة/ حالة إيران ١٩٧٨ - ١٩٨٢م)، د. شهلا الحائري، ت. فادي حمود، ط٦، ١٩٩٦م، شركة المطبوعات – بيروت.

٥٠٧- المتفق والمفترق، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي، ت/ ٤٦٣هـ، ت. د. محمد صادق آيدن الحامدي، ط١، ١٤١٧هـ، دار القادري - دمشق.

٥٠٨- المجالس الفاخرة (في مآتم العترة الطاهرة)، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، ط٢، ١٤٠١ه، دار الزهراء – بيروت.

٥٠٩- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، ت/ ٥١٨هـ،

ت. محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت.

٥١٠- مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش بن محمد نجيب، ط١٩٧٩م، دمشق.

٥١١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت/ ٨٠٧هـ، ت. حسام الدين القدسي، ط ١٤١٤هـ، مكتبة القدسي – القاهرة.

٥١٢- المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين، يحيى بن شرف النووي، ت/ ٦٧٦هـ، ط. دار الفكر -بيروت.

٥١٣- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت/ ٧٢٨هـ، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وابنه محمد، ط ١، ١٣٨٢هـ، مطابع الرياض.

٥١٤- مجموع فتاوى ومقالات (ابن باز، ت/ ١٤٢٠ه) محمد بن سعد الشويعر، ط ١٤٢١هـ، دار القاسم – الرياض.

٥١٥- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، علماء نجد الأعلام، ط٣، ١٤١٢هـ، دار العاصمة – الرياض.

٥١٦- محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرءوف محمد عثمان، ط١، ١٤١٤هـ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض.

٥١٧- المحتضر. (في إثبات حضور النبي والأئمة عند المحتضر.)، حسن بن سليمان الحلي، ق ٨، ت. سيد علي أشرف، ط ١٤٢٤هـ، المكتبة الحيدرية -النجف.

٥١٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي- المحاربي، ت/ ٥٤٢هـ، ت. عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥١٩- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت/ ٤٥٨هـ، ت. عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٢٠- المحلى (بالآثار)، ابن حزم الظاهري، ت/ ٤٥٦هـ، بدون الطبعة وتاريخها، دار الفكر – بيروت.

٥٢١- المحن، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العرب، ت/ ٣٣٣هـ، ت. د.

عمر سليمان العقيلي، ط١، ١٤١٤هـ، دار العلوم – الرياض.

٥٢٢- المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، الصاحب بن عباد، ت/ ٣٨٥هـ، ت. محمد حسن آل ياسين، ط١، ١٤١٤هـ، عالم الكتب – بيروت.

٥٢٣- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت/ ٤٥٨هـ، ت. خليل إبراهيم جفال، ط١، ١٤١٧هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٢٤- المدخل إلى كتاب الإكليل، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، ابن البيع، ت/ ٤٠٥هـ، ت. د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة – الإسكندرية.

٥٢٥- مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، د. محمد علي أبو ريان، د. عباس محمد حسن سليمان، بدون تاريخ الطبعة ورقمها، دار المعرفة الجامعية. مصر.

٥٢٦- المدرسة الشيخية، محمد زكي إبراهيم، ط١، ٢٠٠٤م، دار المحجة البيضاء – بيروت.

٥٢٧- مدينة المعاجز، هاشم البحراني، ت/ ١١٠٧هـ، ت. عزة الله المولائي الهمداني، ط١، ١٤١٣هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية – قم.

٥٢٨- مرآة الجنان وعبرة اليقظان (في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان)، أبو محمد عفيف الدين، عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، ت/٧٦٨هـ، ت. خليل المنصور، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٢٩- مراتب الإجماع (في العبادات والمعاملات والاعتقادات)، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، ت/ ٤٥٦هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٣٠- المراجعات، عبدالحسين شرف الدين، ط٤، ١٤٢٧هـ، مكتبة الألفين – الكويت.

٥٣١- المراسيل، ابن أبي حاتم الرازي، ت/ ٣٢٧هـ، ت. شكر الله نعمة الله قوجاني، ط١، ١٣٩٧هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥٣٢- مروج الذهب (ومعادن الجواهر)، علي بن الحسين بن علي المسعودي، ت/ ٣٤٦هـ، ت. أسعد داغر، ط ١٤٠٩هـ، دار الهجرة - قم.

٥٣٣- مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، (عصر الخلافة الراشدة، دراسة نقدية)، د. يحيى بن إبراهيم اليحيى، ط١، ١٤١٠هـ، دار العاصمة. الرياض.

٥٣٤- مرويات عوانة بن الحكم الكلبي في تاريخ الطبري، مقارنة ونقد، دراسة علمية

"ماجستير"، غير منشورة، من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، نوقشت عام ١٤١٠هـ، د. عبدالعزيز بن سليمان السلومي.

٥٣٥- المزار، المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، ت/ ٤١٣هـ، ت. محمد باقر الأبطحي، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد – بيروت.

٥٣٦- المزار، محمد بن المشهدي، ت/٦١٠هـ، ت. جواد القيومي الاصفهاني، ط١، ١٤١٩هـ، القيوم – قم.

٥٣٧- المزار، الشهيد الأول: محمد بن مكي العاملي الجزيني، ت/ ٧٨٦هـ، ط١، ١٤١٠هـ، مؤسسة الإمام المهدي – قم.

٥٣٨- المزهر (في علوم اللغة وأنواعها)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت/ ٩١١هـ، ت. فؤاد علي منصور، ط١، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٣٩- المسائل السروية، المفيد، ت/ ٤١٣هـ، ت. صائب عبد الحميد، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد – بيروت.

٥٤٠- المسائل المنتخبة، علي الحسيني السيستاني، ط٣، ١٤١٤هـ، مكتب السيستاني – قم ؛ وهي في أصلها الرسالة العملية للخوئي.

٥٤١- مسار الشيعة، المفيد، ت/ ٤١٣هـ، ت. مهدي نجف، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد - بيروت.

٥٤٢- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، ت/ ٧٤٩هـ، ط١، ١٤٢٣هـ، المجمع الثقافي - أبو ظبي.

٥٤٣- المسالك (في ذكر الناجي من الفرق والهالك)، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد، ت/ ١٠٩٩هـ، ت. د. إبراهيم يحيى محمد قيس، ط١، ١٤٣٣هـ، مؤسسة الريان – بيروت.

٥٤٤- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د. ناصر بن عبدالله القاري، ط١، ١٤١٢هـ، دار طيبة – الرياض.

٥٤٥- مستخرج أبي عوانة، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق النيسابوري الإسفراييني، ت/ ٣١٦هـ، ت. أيمن بن عارف الدمشقي، ط١، ١٤١٩هـ، دار المعرفة – بيروت.

٥٤٦- مستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي، ١٤٠٥هـ، ت. حسن بن علي النمازي،

ط ١٤١٨هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٥٤٧- المستدرك على الصحيحين (مستدرك الحاكم)، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، المعروف بابن البيع، ت/ ٤٠٥هـ، ت. مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٤٨- مستدرك الوسائل (مستدرك وسائل الشيعة)، حسين النوري الطبرسي، ت/ ١٣٢٠هـ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - بيروت.

٥٤٩- مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين، ت/ ١٣٦٨هـ، ط٢، ١٤١٨هـ، دار التعارف – بيروت.

٥٥٠- مستمسك العروة الوثقى، محسن الطبطبائي الحكيم، ت/ ١٣٩٠هـ، ط٣، ١٤٠٤هـ، مكتبة المرعشي – قم.

٥٥١- مسند إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي، ابن راهويه، ت/ ٢٣٨هـ، ت. د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، ط١، ١٤١٢هـ، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة.

٥٥٢- مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي، ت/ ٢٣٥هـ، ت. عادل بن يوسف العزازي، وأحمد بن فريد المزيدي، ط١، ١٩٩٧م، دار الوطن – الرياض.

٥٥٣- مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي، ت/ ٣٠٧هـ، ت. حسين سليم أسد، ط١، ١٤٠٤هـ، دار المأمون – دمشق.

٥٥٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت/ ٢٤١هـ، ت. شعيب الأرنؤوط، ط١، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥٥٥- مسند الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس المطلبي القرشي المكي، ت/ ٢٠٤هـ، ت. يوسف علي الزواوي الحسني، وعزت العطار الحسيني، ط ١٣٧٠هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٥٦- مسند الربيع بن حبيب، ت/ ١٥٠هـ، ترتيب: يوسف بن إبراهيم الوارجلاني الاباضي، ت/ ٥٧٠هـ، ط ١٣٨٨هـ، مكتبة الاستقامة - سلطنة عمان، دار الفتح – بيروت.

٥٥٧- مسند الفردوس (الفردوس بمأثور الخطاب)، شيرويه بن شهردار، أبو شجاع الديلميّ، ت/ ٥٠٩هـ، السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٥٨- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت/ ٤٣٠هـ، ت. محمد حسن الشافعي، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٥٩- مشارق أنوار اليقين، الحافظ رجب البرسي، ت/ ٨١٣هـ، ت. علي عاشور، ط١، ١٤١٩هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت

٥٦٠- مشروعية الشعائر الحسينية، مهدي معاش، ط١، ١٤٣٠ه، دار العلوم – بيروت.

٥٦١- مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية - عرض ونقد، إيمان بنت صالح العلواني، ط١/ ١٤٢٩هـ، دار التدمرية – الرياض.

٥٦٢- المصباح (في الأدعية والصلوات والزيارات والأحراز والعوذات)، إبراهيم بن علي الكفعمي العاملي، ت/ ٩٠٥هـ، ط ٣، ١٤٠٣هـ، مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٥٦٣- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الكناني، ت/ ٨٤٠هـ، ت. محمد المنتقى الكشناوي، ط٢، ١٤٠٣هـ، دار العربية – بيروت.

٥٦٤- مصباح الفقاهة، أبو القاسم الموسوي الخوئي، ١٤١١هـ، ت. جواد القيومي الأصفهاني، ط١، مكتبة الداوري – قم.

٥٦٥- مصباح الفقيه، آقا رضا الهمداني، ت/ ١٣٢٢هـ، طبعة حجرية عام ١٣٥١هـ، مكتبة الصدر – طهران.

٥٦٦- مصباح المتهجد، أبو جعفر الطوسي، ت/ ٤٦٠هـ، ط١، ١٤١١هـ، مؤسسة فقه الشيعة – بيروت.

٥٦٧- مصنف ابن أبي شيبة (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار)، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي، ت/ ٢٣٥هـ، ت. كمال يوسف الحوت، ط١، ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد – الرياض.

٥٦٨- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي، الرحيبانى الحنبلي، ت/ ١٢٤٣هـ، ط٢، ١٤١٥هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

٥٦٩- مظاهر التشبه بالكفار في العصر الحديث وأثرها على المسلمين، أشرف بن

عبد الحميد بارقعان، ط ١، ١٤٢٦هـ، دار ابن الجوزي - الدمام.

٥٧٠- مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع، د. علي السالوس، دار التقوى - مصر، ودار الريان - بيروت، ودار الفضيلة – الرياض.

٥٧١- المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت/ ٢٧٦هـ، ت. ثروت عكاشة، ط٢، ١٩٩٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة.

٥٧٢- المعالم الجديدة في الأصول، محمد باقر الصدر، ط٢، ١٣٩٥هـ، مكتبة النجاح. النجف.

٥٧٣- معاني الأخبار، الصدوق ابن بابويه القمي، ت/ ٣٨١هـ، ت. علي أكبر الغفاري، ١٣٧٩هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٥٧٤- المعتبر (في شرح المختصر)، نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن الحلي "المحقق"، ت / ٦٧٦هـ،، ت. ناصر مكارم الشيرازي، ط ١٣٦٤ش، مؤسسة سيد الشهداء. قم.

٥٧٥- المعتمد في أصول الدين، القاضي أبو يعلى الحنبلي، ت. وديع زيدان حداد، ط١، ١٩٨٦م، دار المشرق – بيروت.

٥٧٦- المعتمد في فقه الزكاة الصيام، المعتصم بن سعيد المعولي، ت. سعيد بن مبروك القنوبي، ط ٢٠١١م، مكتبة الهلال الإسلامية – الرستاق.

٥٧٧- معتقدات الشيعة، علي حسين يوسف مكي، ط١، ١٤٢٨هـ، بدون دار النشر وبلده.

٥٧٨- معجم الأدباء، شهاب الدين أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت/ ٦٢٦هـ، ت. إحسان عباس، ط١، ١٤١٤هـ، دار الغرب الإسلامي – بيروت.

٥٧٩- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني، ت/ ٣٦٠هـ، ت. طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

٥٨٠- معجم البلدان، المؤلف، شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت/ ٦٢٦هـ، ط٢، ١٩٩٥م، دار صادر. بيروت.

٥٨١- معجم رجال الحديث، أبو القاسم الخوئي الموسوي، ت/١٤١١هـ، ط٥، ١٤١٣هـ، مركز نشر الثقافة الإسلامية - قم.

٥٨٢- المعجم الصغير، (الروض الداني)، سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني، ت/ ٣٦٠هـ،

ت. محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط١، ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان.

٥٨٣- معجم الفرق الإسلامية، شريف يحيى الأمين، ط ١٤٠٦هـ، دار الأضواء. بيروت.

٥٨٤- المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ط٥، ٢٠٠٧م، دار قباء – القاهرة.

٥٨٥- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني، ت/ ٣٦٠هـ، ت. حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية – القاهرة؛ وبقيته حقق بإشراف د. سعد الحميد، ط١، ١٤٢٧هـ.

٥٨٦- معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة الدمشقي، ت/ ١٤٠٨هـ، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٥٨٧- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، ت/ ٣٩٥هـ، ت. عبد السلام محمد هارون، ط ١٣٩٩هـ، دار الفكر - بيروت.

٥٨٨- معرفة أخبار الرجال، الكشي، ط ١٣١٧هـ، بمباي - الهند.

٥٨٩- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت/ ٤٣٠هـ، ت. عادل بن يوسف العزازي، ط١، ١٤١٩هـ، دار الوطن - الرياض.

٥٩٠- المغازي، محمد بن عمر بن واقد، أبو عبد الله الواقدي، ت/ ٢٠٧هـ، ت. مارسدن جونس، ط٣، ١٤٠٩هـ، دار الأعلمي – بيروت.

٥٩١- المغني في الضعفاء، الذهبي، ت. د. نور الدين عتر، ط١، إحياء التراث الإسلامي – قطر.

٥٩٢- مغني المحتاج (إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج)، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، ت/٩٧٧هـ، ط١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية.

٥٩٣- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ت/ ١٤٠٨هـ، ط٤، ١٤٢٢هـ، دار الساقي.

٥٩٤- مقاتل الطالبيين، علي بن الحسين، أبو الفرج الأصبهاني، ت/ ٣٥٦هـ، ت. أحمد صقر، دار المعرفة - بيروت.

٥٩٥- المقاصد الحسنة (في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة)، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت/ ٩٠٢هـ، ت. محمد عثمان الخشت، ط١، ١٤٠٥هـ، دار

الكتاب العربي – بيروت.

٥٩٦- المقالات، سعد بن عبدالله القمي، ت. محمد جواد مشكور، ط ١٩٦٣م، حيدري – طهران.

٥٩٧- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ت/ ٣٣٠هـ، ت. محمد محيي الدين عبدالحميد، ط ١٤١١هـ، المكتبة العصرية - بيروت.

٥٩٨- مقتل الحسين (مقتل الحسين وقيام المختار وقيام التوابين)، لابن أعثم الأزدي الكوفي، ت/ ٣٢٠هـ، دار الهدى- إيران.

٥٩٩- مقتل الحسين، عبدالرزاق المقرم، ت/ ١٣٩١هـ، ط٥، ١٣٩٩هـ، دار الكتاب الإسلامي - بيروت.

٦٠٠- المقنعة الأنيسة والمغنية النفيسة، مهذب الدين أحمد بن عبد الرضا البصري، ت/ بعد ١٠٨٥هـ، ت. علي رضا هزار، ضمن رسائل في دراية الحديث، ٢/ ٧- ٦٦، ترتيب أبو الفضل حافظيان البابلي، ط١، ١٤٢٥هـ، دار الحديث. قم.

٦٠١- المكاسب، مرتضى الأنصاري، ت/ ١٢٨١هـ، ت. لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، ط ١، ١٤١٥هـ، مطبعة باقري – قم.

٦٠٢- مكيال المكارم، ميرزا محمد تقي الأصفهاني، ت/ ١٣٤٨هـ، ت. علي عاشور، ط١، ١٤٢١هـ، مؤسسة الأعلمي –بيروت.

٦٠٣- الملاحم والفتن، ابن طاووس، ٦٦٤هـ، ط١، ١٤١٦هـ، مؤسسة صاحب الأمر- أصبهان.

٦٠٤- الملل والنحل، أبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، ت/ ٥٤٨هـ، ت. أمير علي مهنا، وعلي حسن فاعور، ط٢، ١٤١٢هـ، دار المعرفة - بيروت.

٦٠٥- من قتل الحسين، عبد الله بن عبد العزيز، ط٢، دار الأمل – القاهرة.

٦٠٦- من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ابن بابويه القمي، ت / ٣٨١هـ، ت. علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٦٠٧- المنار المنيف (في الصحيح والضعيف)، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، ت/ ٧٥١هـ، ت. عبد الفتاح أبو غدة، ط١، ١٣٩٠هـ، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب.

٦٠٨- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ت/ ٥٨٨هـ، ط ١٣٧٦هـ، مطبعة الحيدرية – النجف.

٦٠٩- المنامات، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، البغدادي الأموي القرشي، ابن أبي الدنيا، ٢٨١هـ، ت. عبد القادر أحمد عطا، ط١، ١٤١٣هـ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.

٦١٠- منتخب الطريحي (في جمع المراثي والخطب)، فخر الدين الطريحي، ت/ ١٠٨٥هـ، ط ٢٠٠٣م، مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٦١١- المنتخب من مسند عبد بن حميد، أبو محمد، عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي، ت/ ٢٤٩هـ، ت. مصطفى العدوي، ١٤٢٣هـ، دار بلنسية – الرياض.

٦١٢- المنتظم (في تاريخ الأمم والملوك)، جمال الدين أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت / ٥٩٧هـ، ت. محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٢هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦١٣- منتهى الدراية، محمد جعفر الشوشتري، ط٦، ١٤١٥هـ، دار الكتاب الجزائري – قم.

٦١٤- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر، ت/ ١٢٤٤هـ، ت. محمد بن عبد الله السكاكر، أمانة احتفال المئوية ١٤١٩هـ، ومكتبة الرشد -الرياض.

٦١٥- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ٧٢٨هـ، ط١، ١٤٠٦هـ، ت. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض.

٦١٦- منهاج الصالحين، أبو القاسم الخوئي، ت/ ١٤١٣هـ، ط٢٨، ١٤١٠هـ، مهر - قم.

٦١٧- منهاج الكرامة (في معرفة الإمامة)، الحسن بن يوسف ابن مطهر الحلي، ت/ ٧٢٦هـ، ت. عبد الرحيم مبارك، ط١، ١٣٧٩ ش، انتشارات تاسوعاء – مشهد.

٦١٨- منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، خالد بن عبداللطيف نور، ط١، ١٤١٦هـ، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة.

٦١٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (خطط المقريزي)، أحمد بن علي بن عبدالقادر، أبو العباس الحسيني العبيدي المقريزي، ت/ ٨٤٥هـ، ط١، ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية –

بيروت.

٦٢٠- مواقف المعارضة في خلافة يزيد بن معاوية، د. محمد بن عبدالهادي الشيباني، ط١، ١٤١٧هـ، المكتبة المكية – مكة.

٦٢١- الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله الجلعود، ط١، ١٤٠٧هـ، دار اليقين.

٦٢٢- المواكب الحسينية، عبد الله المامقاني، ت/ ١٣٥١هـ، ط ١٣٤٥هـ، المطبعة المرتضوية – النجف.

٦٢٣- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي، الحطاب الرُّعيني المالكي، ٩٥٤هـ، ط٣، ١٤١٢هـ، دار الفكر – بيروت.

٦٢٤- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك، القسطلاني القتيبي المصري، ت/ ٩٢٣هـ، المكتبة التوفيقية. القاهرة.

٦٢٥- موسوعة أحاديث أهل البيت، هادي النجفي، ١٤٢٣هـ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦٢٦- موسوعة أعلام الفلسفة، روني إيلي ألفا، ط١، ١٤١٢هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦٢٧- موسوعة تاريخ إيران السياسي، د. حسن كريم الجاف، ط١، ١٤٢٨هـ، الدار العربية للموسوعات. بيروت.

٦٢٨- الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة، أسامة شحادة، وهيثم الكسواني، ط١، ٢٠٠٧م، مكتبة مدبولي – القاهرة.

٦٢٩- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، ط١، ط٢، ط: ١٤٠٤- ١٤٢٧هـ، دارالسلاسل – الكويت، دار الصفوة – مصر.

٦٣٠- الموسوعة الفقهية الميسرة، محمد علي الأنصاري، ط١، ١٤٢٢هـ، مجمع الفكر الإسلامي – قم.

٦٣١- موسوعة كلمات الإمام الحسين، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، ط٣، ١٤١٦هـ، دار المعروف – قم.

٦٣٢- الموسوعة الميسرة (في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة)، الندوة العالمية للشباب

الإسلامي، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، ط٤،١٤٢٠هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر - الرياض.

٦٣٣- الموضوعات، جمال الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت/ ٥٩٧هـ، ت. عبد الرحمن محمد عثمان، ط١، ١٣٨٦ - ١٣٨٨هـ، المكتبة السلفية - المدينة المنورة.

٦٣٤- الموضوعات في الآثار والأخبار، عرض ودراسة، ص١٩٨، هاشم معروف الحسني، ط١، ١٤٠٧هـ، دار التعارف – بيروت.

٦٣٥- موطأ مالك (برواية محمد بن الحسن الشيباني)، مالك بن أنس المدني، ت/ ١٧٩هـ، ت. عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢، المكتبة العلمية – المدينة المنورة.

٦٣٦- موقف الأئمة الأربعة، وأعلام مذاهبهم من الرافضة، عبدالرازق عبدالمجيد الأدو، ط ١، ١٤٢٦هـ، دار السلف - الرياض.

٦٣٧- المهذب البارع، ابن فهد الحلي، ت/ ٨٤١هـ، ت. مجتبى العراقي، ط ١٤١١هـ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٦٣٨- ميزان الاعتدال (في نقد الرجال)، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت/ ٧٤٨هـ، ت. علي محمد البجاوي، ط١، ١٣٨٢ه دار المعرفة – بيروت.

(ن)

٦٣٩- الناجون من الغزو المغولي، ص١٣٧، ناديا إيبو جمال، ط١، ٢٠٠٤م، دار الساقي – بيروت.

٦٤٠- ناسخ الحديث ومنسوخه، أبو بكر أحمد بن محمد الأثرم، ت/ ٢٧٣هـ، ت. عبد الله بن حمد المنصور، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٦٤١- النافع يوم الحشر، شرح الباب الحادي عشر للعلامة الحلي، شرح: المقداد السيوري، ت/ ٨٢٦هـ، ط٢، ١٤١٧هـ، دار الأضواء – بيروت.

٦٤٢- نتائج الإفهام في تقويم العرب قبل الإسلام، ص١٢ - ١٥، محمود باشا الفلكي، ت/ ١٣٠٢هـ، ت. محمد الحسيني، ط ١٣٠٥هـ، دار بولاق – مصر.

٦٤٣- الندوة (سلسلة حوارات)، محمد حسين فضل الله، ت. عادل قاضي، ط١، ١٩٩٧- ٢٠٠٨م، دار الملاك – بيروت

٦٤٤- نسب قريش، مصعب بن عبد الله بن مصعب، أبو عبد الله الزبيري، ت/ ٢٣٦هـ، ت. ليفي بروفنسال، ط٣، دار المعارف - القاهرة.

٦٤٥- نشأة الشيعة الإمامية، نبيلة عبدالمنعم داود، ط ١، ١٤١٥هـ، دار المؤرخ العربي – بيروت.

٦٤٦- نشأة الفكر الفلسفي، د. علي سامي النشار، ط٩، ١٩٩٥م، دار المعارف – القاهرة.

٦٤٧- نشوء المذاهب والفرق الإسلامية، حسين الشاكري، ط١، ١٤١٨هـ، بدون ذكر دار النشر.

٦٤٨- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، المحسن بن علي بن محمد التنوخي البصري، ت/ ٣٨٤هـ، ط ١٣٩١هـ.

٦٤٩- النص والاجتهاد، عبد الحسين شرف الدين الموسوي، ١٣٧٧هـ، ت. أبو مجتبى، ط١، ١٤٠٤هـ، سيد الشهداء- قم.

٦٥٠- نصب الراية (لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي)، أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي، ت/٧٦٢هـ، ت. محمد عوامة، ط١، ١٤١٨هـ مؤسسة الريان – بيروت، دار القبلة – جدة.

٦٥١- النصب والنواصب (دراسة تاريخية عقدية)، بدر بن ناصر العواد، ط١، ١٤٣٣هـ، دار المنهاج – الرياض.

٦٥٢- نظرات حول الإعداد الروحي، حسن معن، تقديم: محمد مهدي الآصفي، ط ١٤٠٥هـ، بدون دار النشر.

٦٥٣- نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها في جمهورية ايران الاسلامية، (دكتوراه من جامعة عين شمس في مصر)، د. الشيماء الدمرداش العقالي، ط١، ٢٠١١م، نشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الانساني - بيروت.

٦٥٤- نفس الرحمن في فضائل سلمان، ميرزا حسين النوري الطبرسي، ت/ ١٣٢٠هـ، ت. جواد القيومي، ط١، ١٤١١هـ، مؤسسة الآفاق.

٦٥٥- نقد الرجال، مصطفى بن الحسين التفرشي، ت/ ق ١١هـ، ١٤١٨هـ، مؤسسة آل البيت – قم.

٦٥٦- النقض، القزويني، ط ١٩٧٩م، مجمع الآثار الوطنية - طهران.

٦٥٧- نور البراهين، نعمة الله الجزائري، ت/ ١١١٢هـ، ت. مهدي الرجائي، ط١، ١٤١٧هـ،

مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

٦٥٨- نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، ت/ ١١١٢هـ، ت. هاشم الرسولي المحلاتي، ط٤، ١٤١٢هـ، مؤسسة إسماعيليان- قم.

٦٥٩- نور العين في المشي-إلى زيارة قبر الحسين، محمد حسن الاصطهباناتي، ط٢، ١٤٣٠هـ، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

٦٦٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، ت/ ٧٣٣هـ، ط١، ١٤٢٣هـ، دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة.

٦٦١- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات، المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري، ابن الأثير، ت/ ٦٠٦هـ، ت. طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، ط ١٣٩٩هـ، المكتبة العلمية – بيروت.

٦٦٢- نهج الحق (وكشف الصدق)، ابن مطهر الحلي، ت/ ٧٢٦هـ، ت. رضا الصدر، وعين الله الحسني الأرموي، ط ١٤٢١هـ، دار الهجرة – قم.

٦٦٣- نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، ت/ ١٢٥٠هـ، ت. عصام الدين الصبابطي، ط١، ١٤١٣هـ، دار الحديث - مصر.

(هـ)

٦٦٤- هداية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٦٦٥- الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي، ت/ ٣٣٤هـ، ط٤، ١٤١١هـ، مؤسسة البلاغ – بيروت.

٦٦٦- هداية المسترشدين، محمد تقي الرازي، ت/ ١٢٤٨هـ، بدون ذكر الطبعة، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.

(و)

٦٦٧- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ت/ ٧٦٤هـ، ت. أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط ١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث. بيروت.

٦٦٨- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، ت/ ١١٠٤هـ، ت. عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط٥، ١٤٠٣هـ، دار إحياء التراث العربي. بيروت.

٦٦٩- الوشيعة (في نقد عقائد الشيعة)، موسى جار الله، ت/ ١٣٦٩هـ، ط١، ١٤٣٠هـ، دار البصائر – القاهرة.

٦٧٠- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي، ٩١١هـ، ط١، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦٧١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، ابن خلكان البرمكي الإربلي، ت/ ٦٨١هـ، ت. إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

٦٧٢- الولاية التكوينية (حقيقتها ومظاهرها)، كمال الحيدري، إعداد: علي حمود العبادي، ط١، ١٤٣١هـ، دار فراقد – قم. (ص١/٢٥٧

٦٧٣- الولاية التكوينية (فيض إلهي وعطاء رباني)، إسماعيل إبراهيم حريري العاملي، ط١، ١٤٢٤هـ دار الولاء – بيروت.

٦٧٤- الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم، جلال الصغير، ط٢، ١٤١٩هـ، دار الأعراف للدراسات – بيروت.

٦٧٥- الولاية التكوينية لآل محمد (في قوسي النزول والصعود)، علي عاشور العاملي، ط ١٣٢٠هـ، بدون ذكر الناشر وبلده.

(ي)

٦٧٦- اليقين، علي ابن طاووس، ت/ ٦٦٤هـ، (المقدمة: محمد مهدي الخرسان الموسوي)، ت. محمد باقر الأنصاري، محمد صادق الأنصاري، ط٢، ١٤١٠هـ، مؤسسة الثقلين – بيروت.

٦٧٧- الينابيع الفقهية، (موسوعة فقهية معاصرة)، علي أصغر مرواريد، ط١، ١٤١٣هـ، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت.

٦٧٨- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، عبد الوهاب الشعراني، ت/ ٩٧٣هـ، دار المعرفة - بيروت.

ثانياً: المخطوطات والرسائل الجامعية:

١- ابن أعثم الكوفي منهجه وموارده في خلافة أبي بكر الصديق، رسالة ماجستير غير منشورة، للباحث عبدالعزيز بن عمر البيتي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢- الأمالي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، ت/ ١٢٠٥هـ، (مخطوط ضمن المكتبة للشاملة، نسخه أحمد الخضري).

٣- جزء: التوسعة على العيال، أبو زرعة، عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت/ ٨٠٦هـ، عناية: مسعد عبد الحميد السعدني، ط١، ٢٠٠٤م، مخطوط نُشر (المكتبة الشاملة).

٤- الخوارج (تاريخهم، وآراؤهم الاعتقادية، وموقف الإسلام منها)، غالب بن علي عواجي، كلية الشريعة، جامعة الملك عبدالعزيز (أم القرى)، رسالة ماجستير، قدمت سنة ١٣٩٨-١٣٩٩هـ.

٥- شرح التجريد (في فقه الإمامين القاسم بن إبراهيم، والهادي يحيى بن الحسين)، أحمَد بن الحُسين الهاروني، ت/٤١١هـ، ط ١٤٠٥هـ، دار أسامة – دمشق (مخطوط مصور).

٦- القرامطة وآراؤهم الاعتقادية، د. سليمان بن عبدالله السلومي، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى -مكة، عام ١٤٠٠هـ، وهي غير منشورة، ومطبوعة على الآلة الكاتبة.

٧- الوجيز المفيد في تبيان أسباب ونتائج قتل عثمان بن عفان، مصطفى يونس الراقي الفاخري، بحث أكاديمي مقدم في قسم التاريخ بجامعة قار يونس – إجدابيا، عام ٢٠٠٥م، منشور على موقع المكتبة الشاملة، على الرابط التالي:

http://shamela.ws/index.php/book/2034

ثالثاً: الكتب الإلكترونية:

١- الأمالي، مرتضى الزبيدي، مرتضى الزبيدي، ت/ ١٢٠٥هـ، مخطوط، وهو من نسخ أحمد الخضري، ضمن موقع كتب المكتبة الشاملة الإلكترونية، على الرابط التالي:

http://shamela.ws/browse.php/book-10479#page-1

٢- إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النبوة، عبدالملك محمد الشافعي، موقع المكتبة الشاملة، على الرابط التالي:

http://shamela.ws/rep.php/book/1505

٣- الثائر من أجل الحسين عليه السلام المختار الثقفي، (سلسلة المعارف الإسلامية: ٥٧)، ص٦، ١١٦، عباس غيلان الفياض، مركز الرسالة –، وهو منشورر ضمن موقع: شبكة رافد للتنمية الثقافية، على الرابط التالي:

http://rafed.net/booklib/view.php?type=c_fbook&b_id=804

٤- الدليل العلمي منشور على الانترنت، في موقع: دار المعرفة، على الرابط التالي:

http://www.kl28.net/knol5/?page=1&p=view&post=133047

٥- رافضة المدينة النخاولة، أبو عبدالله الأثري، ملف وورد، موقع صيد الفوائد، على الرابط التالي:

٧٥٠&book=٨٩http://www.saaid.net/book/open.php?cat=

٦- الرد على الهجوم على الشعائر الحسينية (شعائر الإمام الحسيين المظلوم)، (البكاء – والتطبير)، محمد جميل حمود العاملي، منشور عبر موقع مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث – بيروت، على الرابط التالي:

٧- الحوثيون: النشأة، العقيدة، الأهداف، ص١٠، هدى المالكي، إشراف د. عبدالله بن عمر الدميجي، وهو منشور على شبكة الانترنت، موقع مكتبة صيد الفوائد، على الرابط التالي:

http://www.saaid.net/book/list.php?cat=89

٨- زيارة المراقد عند الشيعة، د. طه حامد الدليمي، ط ٢٠٠٤م.

٩- سنوات الحنابلة، محمد أبابطين، ط١٤٢٥هـ، كتاب منشور ضمن المكتبة الشاملة الإلكترونية.

١٠- الصوفية وطرقها، ممدوح الحربي، مجموعة دروس محاضرات مفرغة، (كتاب وورد إلكتروني).

١١- عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الرافضية، الأشبيلي المعافري الصنعاني، وهو في موقع: مشكاة (شبكة مشكاة الإسلامية)، المكتبة، مختارات من مكتبة المشكاة، على الرابط التالي:

http://www.almeshkat.net/books/open.php?cat=18&book=4470

١٢- عاشوراء ومفهوم العولمة، محمد المسند، ص١٩٧، محاضرات ألقيت في مأتم السّماكين في المنامة عام ١٤٢٥هـ، منشورة في (كتاب إلكتروني)، على الرابط التالي:

٨a٣al٢٠٪http://www.almustafa.dk/BOOKS/almaktaba

.html٠١_٣/bhsmasr٩٩aadia/book/

١٣- قبسات من كتاب لسان الصدق (قراءة في حياة وأفكار وإرشادات العارف الكبير)، الفصل الثاني، أجوبة المسائل العرفانية، عادل الكعبي، على الرابط التالي:
http://www.alseraj.net/alseraj1/books/kachmeri/4.htm

١٤- المنهاج القويم في التزكية، (الطريقة العمرية)، ص١١٨، عبد الغني العمري، وهو ضمن موقع: الطريقة العمرية، قسم الكتب، على الرابط التالي:
http://www.alomariya.org/koutoub1.php

١٥- نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية، محمد حسين فضل الله، وهو من إصدار دار الملاك – بيروت، على موقع: بينات، قسم الكتب، على الرابط التالي:
http://arabic.bayynat.org.lb/books/welaya_100.htm

١٦- نهضة عاشوراء، الخميني، إعداد: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، وهو ضمن مكتبة شبكة البتول الإلكترونية، وهو على الرابط التالي:
http://www.anwar5.net/albatoul/index.php?book=89&part=1

رابعاً: الصحف والمجلات:

١- آسفي نيوز(جريدة مغربية إلكترونية)، مقال: (الاحتفال بذكرى عاشوراء)، لمروى سالم، وهو على الرابط التالي:
http://www.safinews.com/index.php?op=suite&art=94

٢- جريدة الرياض، عدد: ١٦١٢٩ بتاريخ ١٤٣٣/١٠/٣هـ، مقال: (الحقاق والحومة والقرفيعان والتشرط مظاهر فرح الطفولة)، ناصر الحميضي.

٣- جريدة الوسط البحرينية، عدد: ٥٤٥، ٤/٣/ ٢٠٠٤م، مقال: (كتاب «المآتم في البحرين» إطلالة على الظاهرة الحسينية في البحرين)، على الرابط التالي:
http://www.alwasatnews.com/545/news/read/377817/1.html

٤- جريدة الوطن الكويتية، السبت، بتاريخ: ٢٠٠٥/٤/١٦م، مقال: (الهجرة النبوية كانت في عاشوراء من ربيع الأول)، كتبه حامد السيد.

٥- جريدة الوطن الكويتية، بتاريخ: ٢٦-١٢-٢٠٠٩م، مقال: (عاشوراء يوم حزن أم سرور

؟)، كتبه حسن علي.

٦- موقع: صحيفة المغاربة، وهو على الرابط التالي:
http://www.magharebia.com/cocoon/awi/xhtml1/ar/features/awi/features/2008/01/18/feature-01

٧- مجلة البحوث الإسلامية، عدد: ٢٨، ص٨٢، فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالرياض، فتوى برقم ٦٢٠٨.

٨- مجلة البيان، عدد: ٩٤، ص٩٠، مقال: (خطر.. على أرض الكنانة!)، أحمد العويمر، المنتدى الإسلامي – لندن.

٩- مجلة البيان، عدد: ١٣١، ملف: (القبور والأضرحة دراسة وتقويم)، مقال: (انتشار القبور والأضرحة وعوامل استمرارها: فسطاط الخرافة.. الجذور والواقع/ عاصفة الأوهام "عوامل الاستمرار")، خالد محمد حامد، المنتدى الإسلامي - لندن.

١٠- مجلة البيان،، عدد: ١٤٩، ص٨، مقال: (يوم عاشوراء.. أحكام وفوائد)، عبد اللطيف بن محمد الحسن، المنتدى الإسلامي – لندن.

١١- مجلة البيان، عدد: ١٧٤، ص٣، مقال بعنوان: الزلزال القادم، احتفالات: (النيروز عاشوراء)، لإدارة تحرير المجلة، الصادرة من المنتدى الإسلامي –لندن.

١٢- مجلة البيان، عدد: ٢٣٦، مقال: (الجذور التاريخية للتغلغل الشيعي في كردستان)، د. فرست مرعي الدهوكي، الصادرة عن المنتدى الإسلامي - لندن.

١٣- مجلة تراثنا، عدد: ٤٣- ٤٤، السنة: ١١، رجب – ذي الحجة، ١٤١٦هـ، مقال: (أساس نظام الحكم في الإسلام بين الواقع والتشريع، رؤية في التراث الفكري، ٢/٢)، صائب عبدالحميد، مجلة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت لإحياء التراث – قم.

١٤- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد: ٢٣، قسم: ردود ومناقشات، مقال: (عاشوراء صحيحة صريحة، وصيام اليوم العاشر مشروع)، د. نايف الدعيس.

١٥- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عدد: ١١١، ١٤٢١هـ، سنة: ٣٣، بحث: (إبراهيم بن محمد بن سفيان رواياته وزياداته وتعليقاته على صحيح مسلم)، عبد الله بن محمد حسن دمفو.

١٦- مجلة جنة الحسين، عدد٢، محرم١٤٣٢هـ، تابعة لشبكة جنة الحسين الحسينية التخصصية: مقال

(متى نشأت المجالس والمآتم)، على الرابط التالي:

http://site.jannatalhusain.net/?page=categories&id=٨٧

١٧- مجلة صوت الحسين الإلكترونية، عدد: ٢، مقال: (تاريخ المآتم في البحرين.. من البيوت والمزارع إلى المؤسسات)، مجلة تصدر عن مأتم سار - البحرين.

١٨- مجلة لغة العرب العراقية، عدد: ٥٥، السنة السادسة، مقال: (أوابد الشهور)، أحمد حامد الصراف، والمجلة تصدر من وزارة الأعلام العراقية، وتطبع بمطبعة الآداب – بغداد.

١٩- مجلة المنار، عدد: ربيع أول - ١٣٣٢هـ، فبراير - ١٩١٤م، مجلد: ١٧/ ٢١٨- ٢٢٤، مقال: (اعتقاد الشيخية)، محمد رشيد رضا.

٢٠- مجلة المنار، عدد: صفر - ١٣٤٦هـ/ أغسطس - ١٩٢٧م، مجلد: ٢٨/ ٤٣٩- ٤٥٠، مقال: (مناظرة في مسألة القبور والمشاهد)، محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي.

٢١- مجلة المنار، عدد: شوال - ١٣٤٦هـ، أبريل - ١٩٢٨م، مجلد: ١٩/ ١٤٧- ١٥١، مقال: (عباد القبور في الصومال)، محمد رشيد رضا.

٢٢- مجلة المنهاج اللبنانية، عدد: ٣٣، ١٤٢٥هـ. ٢٠٠٤م، مقال: (حقيقة النبوة في الفكر الفلسفي والعرفاني)، محمد يحيى فهم الدين، مجلة تصدر عن مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي – لبنان، على الرابط التالي:

http://www.shahrodi.com/al-menhaj/Almen33/Hp_men33a.htm

٢٣- مجلة المنهاج اللبنانية، عدد: ٣٣، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م، مقال:)المرجعيّة القرآنيّة والاتجاه اللأخباري في الفكر الشِّيعي) (٢/١) ، حيدر حب الله، على الرابط السابق.

٢٤- مجلة المنهاج اللبنانية، عدد: ٤٢، مقال: (نظرية الإنسان الكامل بين مذاهب علم النفس وآراء صدر المتألهين)، علي زينتي، ترجمة: محمد عبدالرزاق، على الرابط التالي:

٢٥- مجلة الموسم، عدد ١٢، ١٩٩١م، مقال: (من تاريخ الشعائر الحسينية في النجف الأشرف)، طالب علي الشرقي.

٢٦- مجلة ميزوبوتاميا. بلاد النهرين، عدد: ١، مقال: (الشبك.. عراقيون أصيلون متنوعو المذاهب واللغات)، نصرت مردان، وهي على الرابط الإلكتروني التالي:

http://www.mesopot.com/old/adad1/faatalwatan.htm

٢٧- مجلة نصوص معاصرة، عدد: ٩، السنة: ٢٠٠٩م، ملف العدد: (الشعائر الحسينية: التاريخ، الجدل والمواقف/ ٢)، مقال: (تاريخية تدوين المقتل الحسيني.. من التدوين إلى العاطفة إلى التوثيق)، محمد جواد صاحبي، ترجمة: محمد عبد الرزاق، والمجلة تصدر من بيروت، والمقال على موقع المجلة، على الرابط التالي:

http://www.nosos.net/main/pages/tex.php?tid=45

خامساً: القنوات الفضائية:

١- قناة صفا، ١٤٣٢هـ، برنامج إيران من الداخل، الأستاذ عمر بن عبدالعزيز الزيد (لقاء).

٢- موقع قناة العربية، مقال: (عاشوراء المغربية)، السبت ١٠ محرم ١٤٢٦هـ - ١٩ فبراير ٢٠٠٥م، وهو على الرابط التالي:

http://www.alarabiya.net/articles/2005/02/19/10499.html

سادساً: المواقع الإلكترونية:

١- شبكة إشارة الإخبارية، مقال: (قريباً... كرنفالات التشيع الأسود)، علي جعفر الشريمي، بتاريخ: ٢٠٠٩/١٢/١١م، على الرابط التالي:

http://www.esharh.net/?act=artc&id=2566

٢- شبكة الدفاع عن السنة، مقال: (مفاجأة كبرى ضريح متنقل)، خبر عن مدينة أراك الإيرانية، على الرابط التالي:

http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=115820

٣- شبكة منتديات أساتذة نجران ومثقفوها، مقال بعنوان: (يوم عاشوراء عند الإسماعيلية السليمانية)، وهي على الرابط التالي:

http://www.najran999.com/vb/showthread.php?t=32194

٤- منتديات الأستاذ التعليمية التربوية المغربية، مقال: (عاشوراء بيت الحاضر والماضي كما ترويها الجدة).

٥- منتديات السرداب الإسلامية، العامة، الحوار الإسلامي، مقال: (حقائق من عالم شيعي كبير لأول مرة)، وهو على الرابط التالي:

٥٣٤٥٤http://alsrdaab.com/vb/showthread.php?t=

٦- منتديات السرداب الإسلامية، العامة، الحوار الإسلامي، مقال: صباح الموسوي، مقال بتاريخ: ١٨/٠١/٢٠٠٧م، (محاولات أولية لإصلاح الفكر الشيعي)، على الرابط التالي:

٥٠٤٨٢http://www.alsrdaab.com/vb/showthread.php?t=

٧- موقع: الإسماعيلي العظيم، وهو على الرابط التالي :

/http://benyishmael.blogspot.com

٨- موقع الألوكة: مجلس السيرة النبوية والتاريخ والتراجم، موضوع: (دعوة لتجميع ما تناثر من "تاريخ نيسابور"، لأبي عبد الله الحاكم)، محمود الجيزي، على الرابط التالي:

http://majles.alukah.net/showthread.php?56846

٩- موقع: بينات: (مؤسسة محمد حسين فضل الله)، السيرة الذاتية، على الرابط التالي:

/http://arabic.bayynat.org.lb/sira

١٠- موقع بينات، مقال: (الإمام النائيني: الثائر والمفكر)، تحت نافذة اخترنا لك: شخصيات إسلامية، من دون ذكر كاتبه، وهو على الرابط التالي:

٢٠٪http://arabic.bayynat.org.lb/alam/mouhamad

.naeine.htm

١١- موقع بينات، فكر وثقافة، محاضرة بتاريخ: ١٠/١/ ١٤٢١هـ، على الرابط التالي:

http://arabic.bayynat.org/feker_w_sakafa/fikr166.htm

١٢- موقع البينة، مقالات، شخصيات ومنظمات، مقال: (أحمدي نجاد وجمعية الحجتية)، أ.د. يحيى داود عباس، على الرابط التالي:

http://www.albainah.net/index.aspx?function=item&id=100

=07&lang

١٣- موقع: تطبير، على الرابط التالي:

./initial.htm١http://www.tatbir.com/index

١٤- موقع: جمعية التوعية الإسلامية – مملكة البحرين، مقال: (نحتاج تغيير وإصلاح إيجابي.. والموكب في مقدمة الشعائر الإلهية)، هاشم السلمان، على الرابط التالي:

http://news.islam.org.bh/index.php?plugin=news&act=new
. s_read&nid=639

١٥- موقع: جمعية التوعية الإسلامية - مملكة البحرين، مقال: (حسينيون قرآنيون - عاشوراء البحرين)، على الرابط التالي:

٧http://ashura.islam.org.bh/?page_id=

١٦- موقع: حمدان العساف، مقالات اجتماعية، مقال: (زواج المتعة إحياء لطقوس فارسية قديمة)، علي الكاش - العراق، على الرابط التالي:

http://www.h-assaf.com/assaf/index.php

١٧- موقع الحوار المتمدن، عدد: ٢٨٢٥، ١٠/١١/٢٠٠٩م، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات ، مقال: (مقتل الحسين: البطل الديني بين ملحمة التشيع والطقوس الإيرانية)، على الرابط التالي:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=191134

١٨- موقع: حسين الراضي، على الرابط التالي:

http://www.alradhy.com/hadeth/alahadeth26/12-2.htm

١٩- موقع: الشيرازي نت، (موقع المرجع الشيعي صادق الشيرازي)، الصفحة العقائدية، مقال: (هل يجب اللطف على الله؟)، وهو على الرابط التالي:

.htm٠١٦http://www.alshirazi.net/aqaed/

٢٠- موقع: (فقيه مقدس أستاذ الفقهاء آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي)، على الرابط التالي:

/http://tabrizi.org/ar/2010/12/ashk-eshgh

٢١- موقع: الفكر العقدي الوافد، للدكتورة فوز كردي، ولها مشكورة له عناية في بحوثها بهذا الجانب، وموقعها على الرابط التالي:

http://www.alfowz.com/index.php?option=com_content&ta
sk=view&id=135&itemid=2

٢٢- موقع: فيصل نور (الحقائق الغائبة)، مقال: (عقيدة الاحتساب في النياحة وشق الجيوب وضرب الخدود على شهادة الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عاشوراء واستشهاد الحسين)، على الرابط التالي :

.htm٠٢٩٥http://www.fnoor.com/fn

٢٣- موقع: فيصل نور (الحقائق الغائبة)، بحوث ومقالات حول عاشوراء، مقال: (الطقوس العنفية على مسرح عاشوراء)، سلوى فاضل، كاتبة شيعية، على الرابط التالي:

http://www.fnoor.com/main/articles.aspx?article_no=6408#.UTNvHTA9P2A

٢٤- موقع: قادتنا كيف نعرفهم، قسم المقالات، مقال: (البعد العرفاني لكربلاء الإمام الحسين)، حسن الهاشمي، بتاريخ: ١٨/١١/١٤٢٩هـ، على الرابط التالي:

http://qadatona.org/

٢٥- موقع: مؤسسة آية الله العظمى علي الميلاني، المقالات، مقال: (صوم يوم عاشوراء)، على الرابط التالي:

http://almilani.org/%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA/462

٢٦- موقع: محمد يحي فهم الدين، قسم نقد التراث العقلي، مقال: (موقف الإخبارية من الدليل العقلي)، د. محمد يحيى فهم الدين، على الرابط التالي:

http://www.fahmaldin.com/index.php?id=64

٢٧- موقع: المركز الإعلامي للسيد الصرخي الحسني، الأدعية والمناجاة والزيارات، موضوع بعنوان: (حملة "الحسن المجتبى عليه السلام" القرآنية لتعجيل الفرج)، على الرابط التالي :

http://www.al-hasany.com/vb/showthread.php?s=e2496ec739f02faacadd5503695367e7&t=218138

٢٨- موقع مغرس، مقال: (المغاربة وعاشوراء: حدود الاتباع والابتداع(، المصطفى الناصري، بتاريخ: ٢١/ ٣/ ٢٠٠٢م، وهو على الرابط التالي:

http://www.maghress.com/attajdid/6218

٢٩- موقع: ملتقى أهل الحديث، موضوع بعنوان: (أين أجد كلام شيخ الإسلام ابن تيمية الذي لُخِّص منه هذا النقل)، على الرابط التالي:

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=٢٠٩٩٦١

٣٠- موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مقال: (عاشوراء الخروج تكشف رمسيس الثاني فرعون موسى)، مهندس / محمد عبد الرازق جويلي، وهو على الرابط التالي:

http://quran-m.com/container2.php?fun=artview&id=1140

٣١- موقع: موسوعة الرشيد، هيئات، مقال: (جماعة الحجتية)، موقع موسوعة الرشيد، على الرابط:

http://www.alrashead.net/index.php?partd=18&derid=680

٣٢- موقع: نصوص معاصرة، مقالات، مقال: (المرجع الديني الشيخ مكارم الشيرازي يحذر من خرافة فرحة الزهراء)، على الرابط التالي:

http://www.nosos.net/main/pages/news.php?nid=171

٣٣- موقع: نصوص معاصرة، عبد الجبار الرفاعي كتاب: الاجتهاد الكلامي - مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، وله مقال حوله في موقع نصوص معاصرة، بحوث ودراسات، بعنوان: (علم الكلام الجديد)، على الرابط التالي:

http://www.nosos.net/main/pages/news.php?nid=378

٣٤- موقع: الولاية التكوينية في المعتقد الإسلامي، وهو على الرابط التالي:

..htm١٠٠http://arabic.bayynat.org.lb/books/welaya_

٣٥- موقع: هيئة علماء بيروت (شيعية)، مقال (متى نشأت المجالس والمآتم)، محمد زيدان وهو على الرابط التالي:

،٢٦٤http://www.allikaa.net/subject.php?id=

٣٦- موقع: (يا علي)، على الرابط التالي:

www.yaali.net

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة